

المشهور

بمعاني الأخبار

للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري

المتوفى سنة ٣٨٠ هجرية

دراسة وتحقيق

وجيه كمال الدين زكي

رسالة ماجستير

المجلد الأول

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

أصل هذا الكتاب

رسالة علمية حصل بها مؤلفها على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة بتقدير امتياز

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

الكلاباذي ، محمد إبراهيم بن يعقوب ، ٩٣٥ - ١٠٠٨ .

بحر الفوائد ، المشهور بمعاني الأخبار / لأبي بكر محمد ابن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري ؛ دراسة وتحقيق وجيه كمال الدين زكي . - ط١ . - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٧ .

٢مج ؛ ٢٤سم .

تدمك ٦ ٥٨٨ ٣٤٢ ٩٧٧

١ - الحديث - شرح . ٢ - الأخلاق الإسلامية .

٣ - القرآن - تلاوة .

أ - زكي ، وجيه كمال الدين (دارس ، محقق)

ب - العنوان .

٢٣٧,٣

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للط... عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نـ...

هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ ...

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ ...

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد ش... مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ ...

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المس...

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ ...

بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com




الإهداء

إلى كل من سار على هدي النبي ﷺ
واتخذه أسوة ...
أهدي هذا الكتاب

عِلمُ الحديثِ رفيعُ القدرِ عظيمُ الفخرِ شريفُ الذِّكرِ
لا يَعْتَنِي بِه إلا كُلُّ حَبْرٍ ولا يُحرَمُه إلا كُلُّ غمْرٍ
ولا تَفْنَى مَحاسِنُه عَلى مَمَرِّ الدَّهْرِ

الإمام السيوطي
تدريب الراوي ص ١١




بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من بعثه الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا .

أما بعد : فإن الله تعالى قد امتن على هذه الأمة بهذا الكتاب الخالد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتكفل بحفظه ورعايته ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وجعل السنة النبوية المطهرة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - شارحةً له ، ومفسرةً ؛ فهي مبينة لمشكله ، ومفصلة لمجمله ، ومخصصة لعامه ، ومقيدة لمطلقه ، وموضحة لمبهمه ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

لذا حرص السلف الصالح جيلًا بعد جيل على تلقي الحديث ، مع الحفظ والضبط التام ، والدقة والأمانة عند التحمل والأداء ، امتثالًا لقول رسول الله ﷺ لصحابته في حجة الوداع : « **لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنْكُم الغَائِبَ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ** » [(١)] ، وقوله ﷺ : « **نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنه ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ** » [(٢)] .

ولقد رأيت أن قضية رواية السنة ، والتصدي لشرحها من القضايا الجديرة بالاهتمام ، ومن هنا كان سبب اختيار هذا البحث ، وهو تحقيق ودراسة لكتاب من الكتب المهمة ، التي اعتنت بالسنة النبوية المشرفة ؛ رواية لها ، وبيانًا لمعانيها ، وهو كتاب « بحر الفوائد » لمؤلفه « محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري » ، وجعلت عنوان البحث « بحر الفوائد للكلاباذي تحقيق ودراسة » .

وقد أردت من هذا البحث توثيق ودراسة ما رواه المصنف بإسناده إلى الرسول ﷺ من أحاديث عن طريق تطبيق القواعد المقررة في علم الحديث ، وإبراز قيمة الكتاب وصاحبه .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن محمد بن أبي بكرة ، عن أبيه في كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ : « **رب مبلغ أوعى من سامع** » (١/٣٧) ، رقم (٦٧) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ، عن زيد بن ثابت في كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم (٣/٣٢٢) ، رقم (٣٦٦٠) .

وترجع أهمية البحث إلى أهمية الكتاب نفسه ، وعدم وجود دراسات علمية سابقة عن المصنف ، أو عن الكتاب ، وندرة الكلام عن المصنف في كتب التراجم .

وقد قسمت البحث إلى قسمين رئيسين :

الأول : قسم الدراسة ، ويشمل ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حياة الكلاباذي وآثاره . تناولت فيه :

اسمه ، ولقبه ، وكنيته ، ونسبه ، ومولده ، ووفاته ، ومذهبه الفقهي ، وشيوخه ، وتلاميذه ، ومؤلفاته ، ومنزلته ، ونقل العلماء عنه .

الفصل الثاني : منهج التحقيق ، تناولت فيه :

نسبة الكتاب للمؤلف ، والتعريف بالكتاب ، ونسخ الكتاب التي اعتمدت عليها في التحقيق ، ونسخ الكتاب كما وردت في كتب التراجم وغيرها ، ومنهج التحقيق .

الفصل الثالث : منهج المؤلف ، وقيمة الكتاب ، تناولت فيه :

مقدمة الكتاب ، وشرطه في كتابه ، وموضوعات الكتاب ، وتعرضه لأحاديث الصفات ، وتعرضه لمختلف الحديث ، والجديد في كتابه ، والمآخذ عليه ، ومراجعه التي اعتمد عليها ، وطريقته في تناول الحديث ، وطريقته من ناحية الرواية ، وأهم نتائج البحث .

الثاني : متن الكتاب :

ويشتمل على الكتاب محققًا موثقًا .

وختامًا : فهذا كتاب « بحر الفوائد » أرجو أن يكون نبراسًا يضيء للمهتدي بهدي النبي ﷺ ، ودليلًا على جهود المحدِّثين الذين اهتموا بسنة النبي ﷺ رواية ودراية .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، ويجزي خيرًا كل من أعانني على إخراجه في هذه الصورة ، وفي مقدمتهم السيد الأستاذ الدكتور/ عبد الله أبو السعود بدر (أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية التربية جامعة القاهرة فرع الفيوم) ، الذي شرفت بأن قبل أن يكون مشرفًا عليَّ في هذه الرسالة ، فالله أسأل أن يجزيه عني خيرًا .

كما أوجه شكري للسادة الأساتذة المناقشين :

السيد الأستاذ الدكتور/ أحمد يوسف سليمان (أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة) ، والسيد الأستاذ الدكتور / عبد الواحد خميس عبد الواحد (أستاذ ورئيس قسم الحديث بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر فرع بني سويف) .

الذين شرفت بأن أقف بين أيديهم متعلمًا مصغيًا لكل توجيه منهم ، كما أسأل اللَّه تعالى أن يجزي زوجي عني خيرًا ، على صبرها وتحملها بنفس راضية طوال سنوات البحث ، وكانت خير معين لي ، وخير مشجع على مواصلته .

ولقد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي ، فإن كنت قد أحسنت فيه ؛ فذلك بتوفيق من اللَّه ، وله الحمد والمنة ، وإن كنت قد جانبني الصواب في شيء منه ؛ فذلك مني ، فأسأل اللَّه العفو عن التقصير ، وأن يعذرني القارئ عن الخطأ ، فهذه طبيعة البشر ، وأسأل اللَّه أن يوفقني لخدمة كتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، وأن نكون ممن يعمل بسنة النبي ﷺ ، ويرفع لواءها ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *






بحر الفوائد

المشهور

بمعاني الأخبار

القسم الأول

الدراسة

● ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : حياة الكلاباذي وآثاره .

الفصل الثاني : منهج التحقيق .

الفصل الثالث : منهج المؤلف وقيمة الكتاب .






الفَصْلُ الأول

حياة الكلاباذي وآثاره

١ - اسمه :

هو : أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكَلاباذي البخاري ، وهذا هو الاسم الصحيح الذي تأكد لي ، وقد اختلفت المصادر التي ترجمت له في اسمه على النحو الآتي :

جاء اسمه في « الجواهر المضية » (١) ، و « تاج التراجم » (٢) : أبو بكر بن إسحاق البخاري الكلاباذي .

وجاء في « كشف الظنون » : أبو بكر محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي (٣) .

وجاء في « الفوائد البهية » (٤) ، و « الرسالة المستطرفة » (٥) ، وحاشية طبقات الصوفية (٦) : محمد بن إسحاق أبو بكر البخاري الكلاباذي .

وجاء في « دائرة المعارف » للأعلمي : محمد إبراهيم الكلاباذي البخاري أبو بكر (٧) .

وجاء في « الأعلام » (٨) و « معجم المؤلفين » (٩) : محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري ، أبو بكر .

وجاء في « تاريخ الأدب العربي » : محمد بن إسحاق بن إبراهيم (باريس ٥٨٥٥ : ابن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب) الكلاباذي الحنفي أبو بكر (١٠) .

وجاء في « تاريخ التراث العربي » : تاج الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي (١١) .

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١٠٥/٤) .
(٢) تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية (ص ٣٣٣) .
(٣) كشف الظنون (١٠٤/١ ، ٣٤٨) .
(٤) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ١٦١ ، ٢٣٤) .
(٥) الرسالة المستطرفة (ص ٤٤ ، ١٠٣) .
(٦) طبقات الصوفية للسلمي بتحقيق نور الدين شريبة (ص ٣٧٩) .
(٧) دائرة معارف الأعلمي (١٢٤/٢٦) .
(٨) الأعلام (٢٩٥/٥) .
(٩) معجم المؤلفين (٢١٢/٨ ، ٢٢٢) .
(١٠) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤) .
(١١) تاريخ التراث العربي ، مجلد ١ (١٧٥/٤) .

وجاء في « طبقات المفسرين » : أبو بكر بن أبي إسحاق محمد بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الكلاباذي [١] .

وجاء في « مداخل المؤلفين والأعلام العرب » : محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري تاج الإسلام أبو بكر [٢] .

والمتأمل يجد اختلافًا في اسم والد المصنف ، مما دعا عبد الفتاح الحلو إلى أن نفى أن تكون ترجمة أبي بكر بن إسحاق البخاري الكلاباذي - كما في حاشية « الجواهر المضية » - هي لأبي بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي ، وادَّعى أنهما شخصان مختلفان [٣] .

وقد اعترض فكري زكي الجزار على هذا الرأي في « مداخل المؤلفين والأعلام العرب » بقوله : (أقول : إن محمد بن إسحاق ومحمد بن إبراهيم هما شخص واحد صاحب كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، لا شخصين كما ذهب عبد الفتاح الحلو . والدليل : ما ورد في تكرار ترجمة محمد بن إسحاق في أكثر من مصدر ومرجع ، وكذا على الأقل وجود كنيته « أبو إسحاق » .

وما أشرنا إليه يحتمل أمورًا ثلاثة :

١ - ربما يكون حدث سقط لكلمة (أبو) من كنية « أبي إسحاق » فتواردت ترجمة « محمد بن إسحاق » .

٢ - أما إذا لم يحدث سقط ألبتة وورد اسم « إسحاق » اسمًا لوالد المترجم له ؛ فيجب إظهار الخلاف حتى يستبين الحق .

٣ - مما تقدم ربما يكون حدث خطأ من النساخ ، وهو وارد ، فلا مفر من إثبات الترجمة الأكثر شيوعًا حتى نعثر على وثيقة مادية تحدد اسم والد المترجم له أهو : إبراهيم أم إسحاق ؟ وهل له كنية « أبو إسحاق » ؟! فعندئذ يلزم اتباع ما جاء في الوثيقة) [٤] . ا.هـ .

وقبل بحث المسألة يجب التنبيه إلى الخطأ الوارد في كلام فكري زكي الجزار ، وأعني قوله : (وكذا على الأقل وجود كنيته أبو إسحاق) فإنني لم أجد فيما وقعت عليه من مصادر ترجمت للمصنف من كناه بأبي إسحاق ، وهناك اتفاق على كنيته ،

---

(١) طبقات المفسرين لأحمد الأدنروي (١/٨٥) .
(٢) مداخل المؤلفين والأعلام العرب (٣/١٣٧٢) .
(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤/١٠٦) .
(٤) مداخل المؤلفين والأعلام العرب (٣/١٣٧٢) .

وهي « أبو بكر » ، ولعل ما ذكر عند فكري زكي الجزار كان تصحيفًا ، أو أنه أراد بأبي إسحاق كنية لوالد المصنف !! .

ومن خلال البحث تأكد الاحتمال الأول الذي ذكره فكري زكي الجزار وهو أنه قد حدث سقط لكلمة (أبو) من كنية أبي إسحاق ، فتواردت الترجمة محمد بن إسحاق بدلًا من محمد بن أبي إسحاق ؛ يدل على ذلك الوثائق المادية التي بين أيدينا ، والمتمثلة في النسخ المختلفة من كتاب « بحر الفوائد » المشهور بـ « معاني الأخبار » - محل الدراسة - ، كما يدل عليه بعض الشواهد الأخرى ، والتي لا تدع مجالًا للشك في أنه قد حدث تصحيف في اسم المصنف ، وهذا بيان ذلك :

١ - في النسخة التي أطلقت عليها لفظة (الأصل) ورد أول ذكر للمصنف هكذا : أبو بكر بن أبي إسحاق [١] بإثبات كلمة (أبي) ، وفي ثاني وثالث ذكر له في الأصل ورد ذكره هكذا : أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي [٢] ، وفي نهاية المخطوط : محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري [٣] .

٢ - في كلتا النسختين اللتين رمزت لأحدهما بـ (س) والأخرى بـ (خ) ورد ذكر المصنف هكذا : أبو بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري [٤] بإثبات كلمة (أبي) أيضًا .

٣ - ذكر محمد خير رمضان في حاشية كتاب « تاج التراجم » زيادة من إحدى نسخ كتاب « تاج التراجم » رمز لها بـ (جـ) مفادها حدوث السقط من اسم المصنف ، قال محمد خير رمضان : (في جـ الزيادة التالية : قلت : وهو الشيخ الإمام الصديق العارف أبو بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم الكلاباذي البخاري) [٥] .

٤ - ترجم الزركلي في « الأعلام » للمصنف تحت اسم : محمد بن إبراهيم بن يعقوب [٦] ، وذكر في الحاشية أن اسمه في « الفوائد البهية » محمد بن إسحاق ، دلالة أنه قد اعتبر أن كليهما شخص واحد .

٥ - عند ترجمة كارل بروكلمان للمصنف ذكر بجوار اسمه ملاحظة اقتبسها من إحدى نسخ كتاب « معاني الأخبار » للمصنف ومحلها فرنسا يفهم منها أيضًا حدوث السقط ، قال في ترجمته : محمد بن إسحاق بن إبراهيم (باريس ٥٨٥٥ : ابن أبي إسحاق

---

(١) لوحة رقم (١/أ) .
(٢) لوحة رقم (٢/أ) .
(٣) لوحة رقم (٣٧٩/ب) .
(٤) كلاهما في اللوحة رقم (١/أ) .
(٥) تاج التراجم في من صنف من الحنفية (ص ٣٣٣) .
(٦) الأعلام (٥/٢٩٥) .

إبراهيم بن يعقوب) الكلاباذي الحنفي أبو بكر .

ومما سبق يمكن القول :

أولًا : إن أبا بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري هو نفسه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي .

ثانيًا : إنه قد حدث تصحيف في اسم المصنف حيث سقط من النساخ لفظة (أبي) من كنية والده فتواردت الترجمة هكذا (أبو بكر بن إسحاق البخاري الكلاباذي) كما في الجواهر المضية وتاج التراجم ، أو هكذا (محمد بن إسحاق أبو بكر البخاري الكلاباذي) كما وردت في الفوائد البهية والرسالة المستطرفة ، أو هكذا (محمد بن إسحاق بن إبراهيم) كما ورد في تاريخ الأدب العربي وتاريخ التراث العربي ، فقد أضافا إلى خطأ السقط زيادة كلمة (ابن) قبل اسم والد المصنف ، مع أن كارل بروكلمان قد ذكر أن اسم المصنف ورد في نسخة (باريس ٥٨٥٥) هكذا : ابن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب .

ثالثًا : إن اسم والد المصنف (إبراهيم) وكنيته (أبو إسحاق) واسم جده (يعقوب) . ويكون الخلاف بهذا قد حسم ، والله أعلم .

وختامًا : فقد وردت الترجمة الآتية في تاريخ بغداد : (محمد بن إبراهيم بن إسحاق الضحاك ، أبو بكر البخاري . ذكر أبو القاسم بن الثلاج أنه قدم بغداد ، وحدثهم عن إسحاق بن أحمد بن خلف الحافظ) [1] .

فهل يمكن القول بأن المترجم له هو محمد بن إبراهيم الكلاباذي ، صاحب كتاب « التعرف » وكتاب « بحر الفوائد » ، بناء على إثبات حدوث التصحيف ؟ وبالتالى نستفيد من الترجمة أنه قد نزل بغداد وحدث بها ؟ وأن عدد شيوخه يزداد واحدًا وهو المذكور في الترجمة ؟ وأن من ألقابه لقب الضحاك ؟ وهل يرشح هذا القول أن إسحاق ابن أحمد بن خلف الحافظ بخاري أيضًا ؟ [2] .

وأرى أنه لا يمكن الجزم بذلك ، على الرغم من اشتراك محمد بن إبراهيم بن إسحاق الضحاك ، أبو بكر البخاري مع المصنف في اسمه واسم الأب والكنية والنسب ؛ ذلك لأن المترجم له لم يتحدد له سنة مولد ولا وفاة كي نستطيع الجزم بأنه هو ، ثم إنه بالبحث عن شيوخ المصنف الذين روى عنهم لم أجد منهم إسحاق بن أحمد بن خلف الحافظ .

---

(١) تاريخ بغداد (٤١١/١) ترجمة رقم (٣٩٩) .

(٢) تهذيب التهذيب (٢٥٨/٥) .

٢ - لقبه :

عرف الكلاباذي في المصادر بألقاب عديدة ، منها : تاج الدين [١] ، وتاج الإسلام [٢] ، والإمام الأصولي [٣] ، والشيخ الإمام الزاهد العارف [٤] .

٣ - كنيته :

أجمعت المصادر على أن كنيته هي « أبو بكر » ، غير أن هذه الكنية اشترك فيها محمود ابن أبي بكر الكلاباذي ، وهو أيضًا من علماء الحنفية ؛ ولذلك فقد فرق علماء الحنفية بينهما ، فقالوا : (إذا أطلق لفظ أبو بكر البخاري الكلاباذي فالمقصود به محمد ابن إسحاق [٥] ، وإذا أطلق لفظ أبو بكر الكلاباذي الفرضيُّ فالمقصود به محمود بن أبي بكر ، كل ذلك عند علماء الحنفية) [٦] .

٤ - نسبه :

من التراجم السابقة الذكر للمصنف يتضح - بلا خلاف - أنه بُخَاريٌّ ، كَلابَاذيٌّ .

فهو بُخَارِيٌّ نسبة إلى بُخَارَى ، بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة والراء بعد الألف ، وهي بلد يقع فيما وراء النهر [٧] ، ينسب إليه عدد من العلماء ، من أشهرهم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، صاحب الجامع الصحيح المشهور بصحيح البخاري ، أصح كتاب بعد كتاب الله ﷻ .

وهو كَلابَاذيٌّ نسبة إلى كَلاباذ ، بفتح الكاف والباء الموحدة وفي آخرها الذال المعجمة ، وهي محلة كبيرة بأعلى البلد من بخارى ، خرج منها جماعة كثيرة من العلماء والأئمة في كل فن [٨] ، منهم عالم ما وراء النهر أبو محمد الأستاذ عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن خليل الحارثي البخاري الكلاباذي الحنفي المشهور

---

(١) حاشية تاج العارفين (ص ١٤٠) .

(٢) كشف الظنون (١/١٠٤) ، الرسالة المستطرفة (ص ١٠٣) ، معجم المؤلفين (٨/٢١٢ ، ٢٢٢) ، مداخل المؤلفين والأعلام العرب (٣/١٣٧٢) .

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤/١٠٦) .

(٤) هذا ما تكرر في النسخ المختلفة التي اعتمدت عليها وهي ما أطلقت على أقدمها لفظة الأصل ورمزت للتي تليها في الرتبة بـ (س) وللثالثة بـ (خ) .

(٥) هذا اسم المصنف في الفوائد البهية .

(٦) الفوائد البهية (ص ٢٣٤) .

(٧) الأنساب (١/٢٠٤) .

(٨) الأنساب (٤/١٧٨) وينظر أيضًا معجم البلدان (٤/٤٧٢) .

بعبد اللّٰه الأستاذ [١] ، وهو أحد شيوخ المصنف ، ومنهم الحافظ أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن رستم البخاري الكلاباذي [٢] .

وزعم ابن أبي الوفاء أنها كُلابَاذ بضم الكاف وبعد اللام ألف باء موحدة مفتوحة ، وبعد الألف ذال معجمة [٣] ، وهو خطأ ؛ لأن كُلاباذ بضم الكاف محلة بنيسابور وحسب ، وأحيانًا ما يطلق عليها جُلابَاذ بالجيم [٤] .

٥ - مولده ووفاته :

لم أقف على ما يفيد شيئًا عن مولده ، أما وفاته فقد ذكرت أكثر المصادر أنه توفي سنة (٣٨٠هـ - ٩٩٠م) ، وزاد في « تاج التراجم » أن وفاته كانت ببخارى يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى [٥] ، وقيل : إنه توفي سنة (٣٨٤هـ - ٩٩٤م) [٦] ، وقيل : سنة (٣٨٥هـ) أو (٣٩٠هـ) [٧] .

٦ - مذهبه الفقهي :

الترجمة له في « طبقات الحنفية » [٨] تفيد أنه حنفي المذهب ، وقد صرح بأنه حنفي المذهب كل من حاجي خليفة [٩] ، والكتاني [١٠] ، وعمر رضا كحالة [١١] ، وكارل

---

(١) يلقب أيضًا إضافة إلى ما سبق بالأستاذ والشيخ والإمام والفقيه والعلامة والمحدِّث ، وقد ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين ، حدَّث عن عبيد اللّٰه بن واصل ، وعبد الصمد بن الفضل ، وحمدان بن ذي النون وغيرهما ، وكان شيخ المذهب الحنفي بما وراء النهر ، وتوفي في شوال سنة أربعين وثلاثمائة ، سير أعلام النبلاء (٤٢٤/١٥) .

(٢) يلقب بالإمام الحافظ الأوحد ، ولد في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وسمع من الهيثم بن كليب الشاشي وعلي بن محتاج وغيرهما ، روى عنه الدارقطني ، قال الحاكم : أبو نصر الكلاباذي الكاتب من الحفاظ ، حسن الفهم والمعرفة ، عارف بصحيح البخاري ، كتب بما وراء النهر وخراسان وبالعراق ، ووجدت شيخنا أبا الحسن الدارقطني قد رضي فهمه ومعرفته ، وهو متقن ثبت ، توفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، قال : ولم يخلف بما وراء النهر مثله ، سير أعلام النبلاء (٩٤/١٧) .

(٣) الجواهر المضية (٣٠٢/٤) .

(٤) الأنساب (١٧٩/٤) .

(٥) تاج التراجم فيمن صنف من الحنفية (ص ٣٣٣) .

(٦) أضافه فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي مجلد ١ (١٧٥/٤) .

(٧) أضافهما كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) .

(٨) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١٠٦/٤) ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ١٦١ ، ٢٣٤) ، وتاج التراجم في من صنف من الحنفية (ص ٣٣٣) .

(٩) كشف الظنون (١٠٤/١) .

(١٠) الرسالة المستطرفة (ص ١٠٣) .

(١١) معجم المؤلفين (٢١٢/٨ ، ٢٢٢) .

بروكلمان [١] ، وفؤاد سزكين [٢] .

٧ - شيوخه :

للكلاباذي شيوخ كثيرون ، وقد أحصيت له في كتابه « بحر الفوائد » قرابة أربعة وثمانين شيخًا صرح بالسماع منهم ما بين مقل من سماعه منهم ومستكثر ، وأحصيت له في كتابه الآخر المطبوع « التعرف لمذهب أهل التصوف » ثلاثة شيوخ بعد حذف المكرر منهم في « بحر الفوائد » [٣] ، هذا غير من لم يصرح باسمه ممن سمع منهم ، حيث وجدته في كتابه يقول : (وأنشدني بعض الأدباء لأبي نواس) [٤] ، و (أنشدني بعض العراقيين لقيس) [٥] ، و (أنشدني بعض شيوخ الصوفية ... وأنشدني غيره ...) [٦] ، و (سمعت بعض أصحابنا يقول) [٧] بما يفهم أن له شيوخًا آخرين غير من ذكر .

وقد راعيت عند إحصاء شيوخه من كتابيه « بحر الفوائد » و « التعرف لمذهب أهل التصوف » النظر إلى شيخ شيخ المصنف ؛ للتمييز بين أسماء شيوخه المتشابهة ، وذلك فيمن لم أميز بينهما من خلال ترجمة ، ومثال ذلك محمد بن موسى بن سماك الفقيه ومحمد ابن موسى الرازي ، حيث يروي الأول عن أبيه ، أما الثاني فيروي عن الحارث بن أبي أسامة ، فاعتبرت على سبيل الاحتياط أنهما مختلفان ، وذكرت كلًّا على حدة .

ومن شيوخه الذين استطعت أن أقف عليهم في كتب أخرى :

١ - أبو الفضل محمد بن محمود بن محمد بن نصر بن بشير البخاري [٨] .

٢ - محمد بن الفضل البخاري الكُمَارِي [٩] ، وهو إمام كبير وشيخ جليل معتمد في الرواية [١٠] ، أخذ الكلاباذي عنه الفقه [١١] .

---

(١) تاريخ الأدب العربي (٤/٨١) .

(٢) تاريخ التراث العربي المجلد الأول (٤/١٧٣) .

(٣) انظر فهرس شيوخ المصنف في آخر الكتاب .

(٤) الأصل لوحة رقم (٢٣٤/أ) .

(٥) الأصل لوحة رقم (٢٣٧/أ) .

(٦) الأصل لوحة رقم (٢٤٧/ب) .

(٧) الأصل لوحة رقم (٢٦٤/ ب) .

(٨) الإكمال لابن ماكولا (١/٢٩٥) .

(٩) الفوائد البهية (ص ١٦١) ، وطبقات المفسرين لأحمد الأدنروي (١/٨٥) .

(١٠) قال في الفوائد البهية : محمد بن الفضل أبو بكر الفضلي الكماري البخاري ، كان إمامًا كبيرًا وشيخًا معتمدًا في الرواية مقلدًا في الدراية ، رحل إليه أئمة البلاد ، ومشاهير كتب الفتاوى مشحونة بفتاواه ورواياته ، أخذ الفقه عن الأستاذ عبد الله السبذموني . . . ومات سنة (٣٨١هـ) . ا.هـ . الفوائد البهية (ص ١٨٤) .

(١١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ١٦١) .

٣ - محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسين الفارسي [1] .

وظهر لي من محاولة التعرف على شيوخه النتائج التالية :

١ - أن عدد الشيوخ الذين صرح بالسماع منهم في كتاب « بحر الفوائد » يصل إلى قرابة أربعة وثمانين شيخًا ، وبإضافة الشيوخ الثلاثة الذين ذكروا في « التعرف » [2] ، ولم يرد ذكرهم في « بحر الفوائد » ، والثلاثة الذين ذكروا في الكتب التي ترجمت له والمشار إليها سابقًا ، وهم أبو الفضل محمد بن محمود بن محمد بن نصر بن بشير البخاري ، ومحمد بن الفضل البخاري الكماري ، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسين الفارسي - يصل عدد شيوخه إلى تسعين شيخًا .

٢ - أن الشيوخ الذين أقل في الرواية عنهم في « بحر الفوائد » لا يعني أنه لم يتحمل عنهم غير هذه الأحاديث ؛ الدليل على ذلك أنه روى عن بعضهم في كتابه « التعرف » غير ما روى في « بحر الفوائد » ، وذلك بعد المقارنة ، فدل على أنه يذكر في « بحر الفوائد » ما يمس موضوعه الذي يناقشه لا ما يمس مروياته عن الشيخ .

٣ - أن أكثر الشيوخ الذين روى عنهم بالنظر إلى عدد الأحاديث التي رواها عن كل منهم هم على الترتيب :

أ - حاتم بن عقيل بن المهتدي (١٠٨ حديثًا) .

ب - نصر بن الفتح (٦٠ حديثًا) .

ج - عبد اللَّه بن محمد بن يعقوب (٥٢ حديثًا) .

د - عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم (٥١ حديثًا) .

هـ - خلف بن إبراهيم بن محمد [3] (٣٧ حديثًا) .

و - محمد بن أحمد البغدادي (٢٨ حديثًا) .

ز - أحمد بن عبد اللَّه بن محمد المزني [4] (٢٣ حديثًا) .

---

(١) حاشية طبقات الصوفية للسلمي (ص ٣٧٩) . (٢) انظر فهرس شيوخ المصنف في آخر الكتاب .

(٣) هو خلف بن محمد الخيام البخاري أبو صالح ، مشهور ، أكثر عنه ابن مندة ، قال الحاكم : سقط حديثه برواية حديث : « نهى عن الوقاع قبل الملاعبة » ، وقال أبو يعلى الخليلي : خلط . وهو ضعيف جدًا ، روى متونًا لا تعرف ، مات في حدود الخمسين وثلاث مائة ، لسان الميزان (٤٠٤/٢) رقم (١٦٦٢) .

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن عمار بن وليد بن حسان بن مغفل بن حسان بن عبد اللَّه ابن مغفل المزني صاحب رسول اللَّه ﷺ ، أبو حامد الهروي ، قدم بغداد حاجًا في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، =

ح - محمد بن عبد اللّٰه بن يوسف (٢٠ حديثًا) .

ثم بعد ذلك يأتي في المنزلة من روى عنهم ما دون العشرين حديثًا .

ولكن هل يمكن القول بأن هؤلاء الشيوخ هم أكثر الشيوخ تأثيرًا فيه ؟ والجواب أنه لا يمكن الجزم بذلك ؛ لعدم وجود ما يفيد ذلك ، ولأنه لا يمكن الجزم أيضًا بأنه قد سمع من كل شيوخه مشافهة ، والدليل على ذلك : أنه ذكر في موضع من كتابه ما يفيد قراءته من كتاب مثل قوله : (ولست أدري ما هذه الكلمة ، أعني الحتمة ، فإنها كذا وقعت في كتابي ، وأراني رأيت في موضع آخر الحنتمة وهي اسم أم عمر) [١] .

٤ - وبمحاولة التعرف على شيوخه من كتب التراجم وجدت أن عامة من يروي عنهم مجهولون ، ومن وقعت على ترجمة له وجدته :

إما ثقة مثل : محمد بن عبد اللّٰه بن يوسف ، وثَّقه الخطيب البغدادي [٢] وابن حجر [٣] ، ومثل : نصر بن الفتح ، قال فيه ابن حجر : ما ضعفه أحد قط وهو شيخ ابن حبان [٤] ، ومثل بكر بن محمد بن حمدان وثَّقه أبو يعلى [٥] ، والقيسراني [٦] .

وإما مسكوتًا عنه مثل : حاتم بن عقيل ، ذكره ابن ماكولا [٧] وابن حجر [٨] وسكتا عنه ، ومثل : إبراهيم بن حمد بن يوسف بن قطن ، ذكره ابن ماكولا وسكت عنه [٩] ، ومثل : أبي بكر أحمد بن سعد ، ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وسكت عنه [١٠] .

وإما مضعفًا متروك الحديث كـ : عبد اللّٰه بن محمد بن يعقوب الحارثي اتهم بوضع الحديث [١١] ، ضعفه غير واحد منهم ابن الجوزي ، وقد اعترض ابن أبي الوفاء على تضعيف ابن الجوزي له قائلًا : (عبد اللّٰه بن محمد أكبر وأجلُّ من ابن الجوزي) [١٢] .

= وحدث بها عن محمد بن محمد بن الحسن ومحمد بن عبد اللّٰه بن محمد بن مخلد الهرويين ، تاريخ بغداد (٤٤/٥) رقم (٢٤٠٣) .

(١) الأصل لوحة رقم (٢٩٠/أ) .

(٢) تاريخ بغداد (٤٤٤/٥) ترجمة رقم (٢٩٦٦) .

(٣) لسان الميزان (٢٣٤/٥) ترجمة رقم (٨١٧) .

(٤) لسان الميزان (١٥٦/٦) ترجمة رقم (٥٤٨) .

(٥) الإرشاد (٩٢٢/٣) .

(٦) تذكرة الحفاظ (٨٥٧/٣) .

(٧) الإكمال (٢٣٨/٦) ، (٢٣٩/٧) .

(٨) القول المسدد (١٧/١) .

(٩) الإكمال (٩٧/٧) .

(١٠) تاريخ بغداد (١٨٤/٤) رقم (١٨٦٧) .

(١١) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٤١/٢) ترجمة رقم (٢١١٨) ، وميزان الاعتدال للذهبي (١٨٩/٤) ترجمة رقم (٤٥٧٦) ، لسان الميزان لابن حجر (٣٤٨/٣) .

(١٢) الجواهر المضية (٣٤٤/٢) .

٥ – أن من شيوخه الفقهاء والمحدثين والحفاظ مثل : أحمد بن سعد بن نصر الفقيه البخاري [١] ، وأحمد بن علي بن عمرو الحافظ ، وأحمد بن نصر النيسابوري الفقيه المحدث [٢] ، وسهل بن السري بن الخضر الحافظ ، وعبد اللّٰه بن محمد بن يعقوب الفقيه ، المكثر من الحديث [٣] ، ومحمد بن عبد اللّٰه بن يزداد الفقيه ، ومحمد بن عبد اللّٰه بن يوسف النيسابوري الفقيه المحدث [٤] ، ومحمد بن علي بن الحسين الحافظ الإسفراييني ، ومحمد بن موسى بن سماك الفقيه .

٨ - تلاميذه والرواة عنه :

لم يذكر المترجمون للكلاباذي في المصادر التي رجعت إليها أحدًا ممن تتلمذ عليه ، غير أنني استطعت أن أتوصل إلى عدد منهم ، وهم :

١ – الشيخ أبو نصر أحمد بن علي المايمرغي .

وهذا الشيخ ورد ذكره في أحد أسانيد السماعات المذكورة في أول الكتاب ، وقد ذكره السمعاني في كتابه الأنساب ، وصرح بسماعه من المصنف [٥] .

٢ – علي بن أحمد بن خنباج .

ذكره عبد الكريم القزويني في كتابه التدوين في أخبار قزوين في سياق ذكر شيوخ والده في الحديث وجمل من مسموعاته ، فذكر أن والده قد سمع كتاب « بحر الفوائد » للكلاباذي من عبد الخالق بن زاهد بن طاهر أبو منصور الشحامي بروايته عن الحسن بن أحمد السمرقندي ، عن علي بن أحمد بن خنباج ، عن الكلاباذي [٦] ، فتبين بذلك أن علي بن أحمد بن خنباج من تلاميذ الكلاباذي .

٣ – ومنهم الذين سمعوا الكتاب من المصنف والوارد أسماؤهم في السماعات الموجودة بأول الكتاب .

٤ – أبو بكر أحمد بن علي بن محمد الأصبهاني [٧] .

---

(١) الجواهر المضية (١٧٠/١) .
(٢) الجواهر المضية (٩٨/١ ، ٣٤٢) .
(٣) الجواهر المضية (٣٤٤/٢) .
(٤) الجواهر المضية (١٩٨/٣) .
(٥) الأنساب (٢٢٣/٤) .
(٦) التدوين في تاريخ قزوين (٣٤٥/١) .
(٧) هو الحافظ الإمام البارع أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن منجويه الأصبهاني البردي نزيل نيسابور سمع أبا بكر الإسماعيلي وأبا بكر بن المقرئ وغيرهما ، روى أبو بكر الخطيب البغدادي ، وأبو بكر البيهقي وغيرهما ، صنف على الصحيحين وعلى جامع أبي عيسى ، وكان إمامًا واسع الحفظ ، ارتحل إلى =

من خلال بحثي في تاريخ بغداد وصلت إلى أن ممن أخذ عن الكلاباذي أبا بكر أحمد بن علي بن محمد الأصبهاني ، وهو من شيوخ الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، وقد دلني على ذلك هذا الحديث الذي أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناده ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن محمد الأصبهاني بنيسابور ، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب البخاري إملاء ، حدثنا أبو النضر محمد بن إسحاق الرشادي قال : سمعت ابن مسعدة يقول : سمعت طلحة بن عبيد الله البغدادي وكان يسكن مصر يقول : « وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل في السفينة ، من غير تعبية [1] ، فكان يطيل السكوت ، فإذا تكلم قال : اللّٰهم أمتنا على الإسلام والسنة » [2] .

فدل إسناد هذا الحديث على أن الكلاباذي كان شيخًا لأبي بكر أحمد بن علي بن محمد الأصبهاني ، كما دل أيضًا على أن الكلاباذي كان يعقد مجالس إملاء للحديث النبوي الشريف ، وهذا ما يفهم أيضًا من الحديث عن كتبه ، ومنها كتابه « أمالٍ في الحديث » ، كما دل الحديث أيضًا على فضله في كون أحد تلاميذه كان أحد شيوخ الخطيب البغدادي أحد أعلام علم الحديث .

٩ - مؤلفاته :

اشتهر الكلاباذي بكتابين اثنين ، هما « بحر الفوائد » و « التعرف لمذهب أهل التصوف » وإن كان بالثاني أشهر ، ولا يعني هذا أنه ليس له إلا هذان الكتابان ، فقد تفاوت المترجمون له في ذكر مؤلفاته ، ومما ذكروه له سبعة كتب ، وذكر هو نفسه في كتابه « بحر الفوائد » مصنفًا آخر وهو « شرف الفقر وأهله » مما يترجح به الظن بأن هذا المؤلف من أقدم مؤلفات الكلاباذي ، حيث إنني لم أقف له في طول الكتاب وعرضه على ما يفيد بغير هذا ، ليصبح مجموع مصنفاته ثمانية كتب ، غير أن البعض ذكر أن المصنف له شرح لكتابه « التعرف » يسمى « حسن التصرف » فإن صح هذا يصير مجموع مصنفاته تسعة كتب ، ومؤلفاته هي :

= بخارى وسمرقند وهراة وجرجان والري ونيسابور ، مات في خامس المحرم سنة ثمان وعشرين وأربع مائة وله إحدى وثمانون سنة ، تذكرة الحفاظ (١٠٨٥/٣) رقم (٩٨٧) .

(١) أي من غير ترتيب ، جاء في النهاية : يقال : عَبَّيْتُ الجيش تَعْبِيَةً : أي رَتَّبْتُهم في مواضِعِهم وهيَّأْتُهم للحَرْب ، النهاية مادة (عبأ) ، (١٦٨/٣) .

(٢) تاريخ بغداد (٣٤٩/٩) .

١ - « بحر الفوائد » المشهور بـ « معاني الأخبار »[1] ، وهو موضوع هذه الدراسة ، وسيأتي الحديث عنه لاحقًا .

٢ - « التعرف لمذهب التصوف »[2] .

يذكر هذا الكتاب أحيانًا بعنوان « التعرف لمذهب التصوف » وبعنوان « التعرف لمذهب أهل التصوف » وكلاهما أورده المترجمون . قال حاجي خليفة : (وهو كتاب مختصر مشهور ، اعتنى بشأنه المشايخ ، وقالوا فيه : لولا « التعرف » لما عرف التصوف ، وله شروح منها :

أ - شرح المصنف المسمى بـ « حسن التصرف » وصف في المتن والشرح طريق التصوف وسيرة الصوفي وبيَّنها ، وكشف عن كلام المشايخ في التوحيد والصفات ما أمكن كشفه .

ب - وشرح شيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي المتوفى سنة (٤٨١هـ) .

ج - وشرح القاضي علاء الدين علي بن إسماعيل التبريزي ثم القونوي الأصولي الشافعي المتوفى سنة (٧٢٩هـ) . وشرح الإمام إسماعيل بن محمد بن عبد الله المستملي المتوفى سنة (٤٣٤هـ)[3] .

د - وأضاف كارل بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » شرحًا آخر وهو : « نور المريدين وفضيحة المدعين » وأفاد بأنه شرح فارسي لأبي إبراهيم إسماعيل بن محمد البخاري المستملي[4] . وذكره أيضًا فؤاد سزكين في « تاريخ التراث العربي »[5] .

وقد احتفى بالكتاب المحدثون تحقيقًا كما احتفى به الأقدمون شرحًا ، وقد حققه ونشره لأول مرة المستشرق آرثر جون آربري سنة (١٩٣٣م) ، وحققه الشيخ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور سنة (١٩٦٠م) ، والشيخ محمد أمين

---

(١) كشف الظنون (٢٢٤/١) ، والرسالة المستطرفة (ص ٤٤) ، والأعلام (٢٩٥/٥) ، ومعجم المؤلفين (١١٢/٨ ، ٢٢٢) ، وتاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، وتاريخ التراث العربي ، مجلد ١ (١٧٥/٤) ودائرة المعارف للأعلمي (١٢٤/٢٦) .

(٢) الجواهر المضية (١٠٦/٤) ، وتاج التراجم فيمن صنف من الحنفية (ص ٣٠٢) ، وكشف الظنون (٣٤٨/١) ، والفوائد البهية (ص ١٦١) ، والأعلام (٢٩٥/٥) ، ومعجم المؤلفين (٢١٢/٨ ، ٢٢٢) ، وتاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، وتاريخ التراث العربي ، مجلد ١ (١٧٥/٤) ، وطبقات المفسرين لأحمد الأدنروي (٨٥/١) .

(٣) كشف الظنون (٣٤٨/١) .

(٤) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) .

(٥) تاريخ التراث العربي ، مجلد ١ (١٧٥/٤) .

النواوي وهو من علماء الأزهر سنة (١٩٨٠م) ، وحديثًا حققه أحمد شمس الدين (١٩٩٣م) ، ويعد هذا الكتاب عمدة لدى دارسي التصوف وترجع أهميته - كما ذكر د . محمد مصطفى في « تاج العارفين » - إلى ما يلي :

أ - انتماؤه إلى مدرسة ما وراء النهر التي اهتمت بحفظ تراث الجنيد .

ب - اهتمامه بذكر أقوال الجنيد في القضايا التي تعرض لها .

ج - شرح المؤلف بنفسه الكثير من أقوال الجنيد . وتبرز أهمية هذا العمل إذا تذكرنا أنه صوفي من المهتمين بالسنة ، وأنه متقدم نسبيًّا فقد عاش الفترة التي تلت موت الجنيد في القرن الرابع الهجري [١] .

٣ - « الأربعون في الحديث » [٢] .

اشتهر عن النبي ﷺ أنه قال : « **من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله فقيهًا** » وهذا الحديث - كما ذكر حاجي خليفة - اتفقوا على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه [٣] ، ومن هنا بدأ العلماء في جمع أربعين حديثًا ووضعها في مصنف مستقل ، مثلما فعل الإمام النووي في كتابه « الأربعين النووية » ، وقد اختلفت مقاصد العلماء - والكلام لحاجي خليفة - في تأليفها وجمعها وترتيبها ؛ فمنهم من اعتمد على ذكر أحاديث الأحكام ، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات ، ومنهم من اختار حديث المواعظ والرقائق ، ومنهم من قصد إخراج ما صح سنده وسلم من الطعن ، ومنهم من قصد ما علا إسناده ومنهم من أحب تخريج ما طال متنه وظهر لسامعه حين يسمعه حسنه ، إلى غير ذلك ، وسمى كل واحد منهم كتابه بكتاب الأربعين [٤] ، وقد حرص الكلاباذي ككثير من العلماء على جمع أربعين حديثًا ووضعها في مصنف أسماه « الأربعون في الحديث » ، ولعدم وقوفنا على الكتاب فإننا لا نعلم تحت أي باب جمعها .

٤ - « الأشفاع والأوتار » [٥] .

٥ - « أمالٍ في الحديث » [٦] .

---

(١) تاج العارفين (ص ١٤٠) .

(٢) كشف الظنون (١/١٠٤) ، ومعجم المؤلفين (٨/٢١٢، ٢٢٢) .

(٣) كشف الظنون (١/١٠٤) . قال البيهقي : هذا مشهور فيما بين الناس وليس له إسناد صحيح ، شعب الإيمان (٢/٢٧٠) رقم (١٧٢٦) .

(٤) كشف الظنون (١/١٠٤) .

(٥) كشف الظنون (١/١٠٤) ، ومعجم المؤلفين (٨/٢١٢ ، ٢٢٢) .

(٦) معجم المؤلفين (٨/٢٢٢) .

٦ - « فصل الخطاب » [١] .

٧ - كتاب في التفسير فيه أقاويل الصحابة [٢] .

٨ - « شرف الفقر وأهله » .

ذكره المصنف في كتابه « بحر الفوائد » حيث قال : (وقد أفردنا لشرف الفقر وأهله كتابًا جامعًا ، يشتمل على الأخبار والآثار المروية فيه ، والحجج الكثيرة من جهة الخبر والنظر ، ومعاني الأخبار التي وردت في الغنى ، ما أغنى عن الإعادة ها هنا ، وباللّٰه التوفيق) [٣] .

٩ - « حسن التصرف في شرح التعرف » [٤] .

ذكره حاجي خليفة على أنه للمصنف ، وذكر كارل بروكلمان وتبعه فؤاد سزكين أن هذا الشرح إنما هو لعلي بن إسماعيل القونوي المتوفى سنة (٥٨٧هـ) [٥] .

واللافت للنظر في مصنفاته أنها مختلفة الاتجاهات ، وإن كان بين بعضها تشابه في الوجهة ، ككتاب « بحر الفوائد » ، الذي يدخل تحت إطار علوم الحديث ، كذلك كتاباه « أمالٍ في الحديث » و « الأربعون في الحديث » ، أما كتاباه « التعرف لمذهب أهل التصوف » و « حسن التصرف في شرح التعرف » فموضوعهما التصوف ويلحق بهما « شرف الفقر وأهله » ، ثم إن له في التفسير كتابًا فيه أقاويل الصحابة ، ويتبقى لنا كتابان من الصعب تحديد محتواهما وهما « فصل الخطاب » و « الأشفاع والأوتار » .

وبالتأمل في مصنفاته نجد أنه كتب في التفسير والحديث والتصوف ، مما يؤكد مشاركته في بعض العلوم ، وهو ما قاله عمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » [٦] .

وقد حاولت البحث عن مصنفاته يدويًا من خلال الفهارس ، وآليًا من خلال الحاسوب الآلي في كل من قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية لأزداد تعرفًا على المصنف من خلال مصنفاته لكنني لم أجد غير كتابين اثنين ، هما : « بحر الفوائد » - محل الدراسة - ، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، والمؤكد أن بقية مصنفاته إما أنها موجودة ولكن في بلدان أخرى ، وإما أنها قد فقدت فيما فقد من التراث الإسلامي .

---

(١) السابق .

(٢) طبقات المفسرين لأحمد الأدنروي (١/٨٥) .

(٣) الأصل لوحة رقم (١٥٢/ب) .

(٤) كشف الظنون (١/٣٤٨) .

(٥) تاريخ الأدب العربي (٤/٨١) وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، مجلد ١ (٤/١٧٥) .

(٦) معجم المؤلفين (٨/٢١٢ ، ٢٢٢) .

١٠ - منزلته :

الكلاباذي من حفاظ الحديث (١) ، محدث مشارك في بعض العلوم (٢) ، إمام أصولي (٣) ، ولكن ليس له كتاب في الأصول ، وقد نعته المترجمون بقولهم : الشيخ العالم الفاضل ، وقد كان الكلاباذي إمامًا في عصره ، وقد استحق هذا اللقب لجمعه بين رتبتي الحفظ والتحديث ، فالحافظ كما جاء في علم الحديث هو من حفظ مائة ألف حديث متنًا وإسنادًا ولو بطرق متعددة ، ووعى ما يحتاج إليه (٤) ،والمحدث هو الذي يعتني بالحديث رواية ودراية (٥) . وقد نقل السيوطي في « تدريب الراوي » عن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قوله : (أما المحدث في عصرنا فهو من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواة ، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه ، فإن توسع في ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله منها ؛ فهذا هو الحافظ) (٦) .

ومما يؤكد فضله أنه كان يعقد مجالس إملاء الحديث ، وعقد مجالس إملاء الحديث استحبه علماء الحديث ، وعده السيوطي أعلى مراتب الرواية والسماع ، وفيه أحسن وجوه التحمل وأقواها (٧) ، وقد دل على أنه كان يعقد مجالس إملاء الحديث اسم كتابه « أمالٍ في الحديث » ، ودل على ذلك أيضًا تصريح شيخ الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي أنه أخذ عن الإمام الكلاباذي إملاء ، وذلك في الحديث الذي أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناده قال :

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن محمد الأصبهاني بنيسابور ، حدثنا أبو بكر محمد ابن إبراهيم بن يعقوب البخاري - إملاء - حدثنا أبو النضر محمد بن إسحاق الرشادي ، قال : سمعت ابن مسعدة يقول : سمعت طلحة بن عبيد اللّٰه البغدادي وكان يسكن

---

(١) الأعلام للزركلي (٢٩٥/٥) ، ودائرة معارف الأعلمي (١٢٤/٢٦) .

(٢) معجم المؤلفين (٢١٢/٨ ، ٢٢٢) .

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١٠٦/٤) ، والفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ١٦١) ، وطبقات المفسرين لأحمد الأدنروي (٨٥/١) .

(٤) عناية المسلمين بالسنة ومدخل لعلوم الحديث للدكتور محمد حسين الذهبي (ص ٤٠) .

(٥) السابق .

(٦) تدريب الراوي (ص ٢٠) .

(٧) تدريب الراوي (ص ٣٢٢) .

مصر يقول : « وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل في السفينة ، من غير تعبية ، فكان يطيل السكوت ، فإذا تكلم قال : اللّهم أمتنا على الإسلام والسنة »[١] .

١١ - نقل العلماء عنه :

نقل كثير من العلماء المشهورين عن الكلاباذي ، وكان من المصادر المعتمدة لديهم في قضايا مختلفة ، فقد كان مرجعًا لهم في القضايا العقدية ورواية الحديث وشرحه ، ومن العلماء الذين نقلوا عنه أو استشهدوا بآرائه :

١ - ابن تيمية (٧٢٨هـ) :

- وقد ظهر ذلك في كثير من مصنفاته ، ففي كتاب « منهاج السنة النبوية » ، وفي صدد مناقشة مسألة هل الخلق غير المخلوق ؟ يقول رحمه الله : (جمهور الناس يقولون : الخلق غير المخلوق ، وهذا مذهب الحنفية ، وهو الذي ذكره البغوي عن أهل السنة ، والذي ذكره أبو بكر الكلاباذي عن الصوفية في كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف »[٢])[٣] .

- وفي نفس المسألة يقول في موضع آخر : (وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون : إن فعل العبد فعل له في الحقيقة ، ولكنه مخلوق للّه ومفعول للّه ، لا يقولون هو نفس فعل اللّه ، ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول ، وهذا الفرق هو الذي حكاه البخاري في كتاب « أفعال العباد » عن العلماء قاطبة ، وهو الذي ذكره غير واحد من السلف والأئمة ، وهو قول الحنفية وجمهور المالكية والشافعية والحنبلية وحكاه البغوي عن أهل السنة قاطبة ، وحكاه الكلاباذي صاحب « التعرف لمذهب التصوف » عن جميع الصوفية ، وهو قول أكثر طوائف أهل الكلام من الهشامية)[٤] .

- وفي صدد التعرض لمسألة كلام اللّه يقول : (قيل : إن الحارث رجع عن ذلك ، وأقر بأن اللّه يتكلم بصوت ، كما حكى عنه ذلك صاحب « التعرف لمذهب التصوف » أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي)[٥] .

- وفي التعرض لمسألة أفعال اللّه يقول : (والقول الثاني : إنه تقوم به الأفعال ، وهذا

---

(١) تاريخ بغداد (٣٤٩/٩) .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق أحمد شمس الدين (ص ٤٨) .

(٣) منهاج السنة النبوية (٤٥٨/١) .

(٤) منهاج السنة النبوية (٢٩٨/٢) .

(٥) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٩٥/١٢) .

قول السلف وجمهور مثبتة الصفات ، ذكر البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » أن هذا إجماع العلماء ، خالق وخلق ومخلوق ، وذكر البغوي أنه قول أهل السنة ، وذكره أبو نصر محمد بن إسحاق الكلاباذي في كتاب « التعرف بمذاهب التصوف » أنه قول الصوفية ، وهو قول الحنفية مشهور عندهم يسمونه) [١] .

- وذكره أيضًا في « الفتاوى » في مسألة هل الخلق هو المخلوق ؟ ، فقال : (استقر قوله على أن الخلق غير المخلوق وإن خالفهم ابن عقيل ، وكما ذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي في كتاب « اعتقاد الصوفية » ، وكما ذكره أئمة الحديث والسنة) [٢] .

٢ - ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) :

- وقد نقل أيضًا عن الكلاباذي ابن حجر العسقلاني في كثير من كتبه ، مما يدل على اطلاعه لا على « التعرف لمذهب أهل التصوف » فقط ، كابن تيمية ولكن على « بحر الفوائد » أيضًا .

١ - فها هو يستعين به في تفسير الرجل المبهم في حديث : « **بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به** » ، يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : (ذكر أبو نصر الكلاباذي في « معاني الأخبار » أنه قارون وكذا هو في صحاح الجوهري) [٣] .

والحديث الذي ذكره ابن حجر مذكور بألفاظ مختلفة في اللوحة رقم (١٦/أ) تحت رقم [٥٩] ، وفي اللوحة رقم (٣٧٧/أ) تحت رقم [١٢٧٢] ، ولم أقف في كلا الموضعين على قول المصنف بأنه قارون ، فربما كان ما نقله ابن حجر من نسخة أخرى وقف عليها .

وقوله : (أبو نصر) تصحيف ؛ إذ من الثابت أن كتاب « معاني الأخبار » لأبي بكر الكلاباذي وليس لأبي نصر الكلاباذي صاحب كتاب « رجال صحيح البخاري » ، ويؤكد هذا التصحيف خلو كتاب « رجال صحيح البخاري » مما ذكره ابن حجر ، وقد صُوِّب الخطأ في الموضع التالي ، ففي مقدمة فتح الباري (ص ٣٢٩) قال ابن حجر : (ووقع في كتاب « معاني الأخبار » لأبي بكر الكلاباذي الجزم بأنه قارون) ، وقال أيضًا

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٧٥/١٦) .

(٢) فتاوى ابن تيمية (٤٣٤/٦) . ويعني بقوله : (في كتاب اعتقاد الصوفية) كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي .

(٣) مقدمة فتح الباري (ص ٢٩٨ ، ٣٢٩) ، (٢٦١/١٠) .

في الموضع الثالث في فتح الباري (٢٦١/١٠) : (وجزم الكلاباذي في « معاني الأخبار » بأنه قارون) .

٢ - وفي حديث « **نـزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة** » ، يقول ابن حجر : (وروى الحكيم الترمذي في النوادر أنه موسى ﷺ ، وبذلك جزم الكلاباذي في « معاني الأخبار ») [١] .

والحديث الذي ذكره ابن حجر مذكور بلفظه في اللوحة رقم (٩٠/أ) تحت رقم (٣٢٦) ، ولم يرد في ثنايا الشرح تحديد النبي بأنه موسى ﷺ .

٣ - وفي الأحاديث الواردة في شأن سد الأبواب اللافظة إلى المسجد إلا باب أبي بكر ، وفي رواية « إلا باب علي » ، يقول ابن حجر : (ومحصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين : ففي الأولى استُثْنِيَ عليٌّ لما ذكره ، وفي الأخرى استُثْنِيَ أبو بكر ، ولكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما في قصة علي على الباب الحقيقي ، وما في قصة أبي بكر على الباب المجازي ، والمراد به الخوخة ، كما صرح به في بعض طرقه ، وكأنهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها وأحدثوا خوخًا يستقربون الدخول إلى المسجد منها ، فأمروا بعد ذلك بسدها ، فهذه طريقة لا بأس بها في الجمع بين الحديثين ، وبها جمع بين الحديثين المذكورين أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار ، وهو في أوائل الثلث الثالث منه ، وأبو بكر الكلاباذي في « معاني الأخبار » ، وصرح بأن بيت أبي بكر كان له باب من خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد ، وبيت علي لم يكن له باب إلا من داخل المسجد ، والله أعلم) [٢] .

وما ذكره ابن حجر من طرق الجمع هذه في اللوحتين (٤٣/أ) و (٤٣/ب) .

٤ - وفي الأحاديث الواردة في شأن الفرار من المجذوم ، والأحاديث الأخرى في شأن نفي العدوى ، وأخذ النبي ﷺ بيد مجذوم فوضعها في القصعة ، وقال : « **كل** » ، ثقة بالله وتوكلًا عليه ، يقول ابن حجر : هذا الحديث (فيه نظر ، وقد أخرجه الترمذي وبين الاختلاف فيه على راويه ، ورجح وقفه على عمر ، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه ﷺ أكل معه ، وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة ، قاله الكلاباذي في « معاني الأخبار ») [٣] . ولم أقف على هذا القول في الكتاب .

٥ - وفي الحديث عن ما يذكر في الطاعون يقول ابن حجر : (وقال الكلاباذي في

---

(١) فتح الباري (٣٥٩/٦) (٢) فتح الباري (١٥/٧) .
(٣) فتح الباري (١٦٠/١٠) .

« معاني الأخبار » : يحتمل أن يكون الطاعون على قسمين : قسم يحصل من غلبة بعض الأخلاط من دم أو صفراء محترقة أو غير ذلك من غير سبب يكون من الجن ، وقسم يكون من وخز الجن ، كما تقع الجراحات من القروح التي تخرج في البدن من غلبة بعض الأخلاط وإن لم يكن هناك طعن ، وتقع الجراحات أيضًا من طعن الإنس . انتهى)[1] .

والذي ذكره ابن حجر مذكور في اللوحة رقم (٢٨٨/ب) ، (٢٨٩/أ) .

٦ - ثم تراه يرجع إلى الكلاباذي في الزيادات الواردة في متون بعض الأحاديث فتراه يقول : (وقد جاء في بعض الأحاديث استواء شهيد الطاعون وشهيد المعركة ، فأخرج أحمد بسند حسن عن عتبة بن عبد السلمي رفعه « **يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء . فيقال : انظروا ، فإن كان جراحهم كجراح الشهداء تسيل دمًا وريحها كريح المسك فهم شهداء . فيجدونهم كذلك** » وله شاهد من حديث العرباض بن سارية أخرجه أحمد أيضًا والنسائي بسند حسن أيضًا بلفظ : « **يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا ﷻ في الذين ماتوا بالطاعون ، فيقول الشهداء : إخواننا قتلوا كما قتلنا . ويقول الذين ماتوا على فرشهم : إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا . فيقول الله ﷻ : انظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم . فإذا جراحهم أشبهت جراحهم** » زاد الكلاباذي في « معاني الأخبار » من هذا الوجه في آخره « **فيلحقون بهم** »)[2] .

وهذه الزيادة التي ذكرها ابن حجر مذكورة في الحديث رقم [٩٩١] الواقع في اللوحة رقم (٢٨٨/أ) .

٧ - وفي حديث : « **من عادى لي وليًا** » يستشهد به في شرح معنى قوله ﷺ : «**كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها** » ، فيقول : (وقد استشكل كيف يكون الباري - جل وعلا - سمع العبد وبصره إلخ ، والجواب من أوجه : **أحدها** : أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى : كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري ، فهو يحب طاعتي ، ويؤثر خدمتي ، كما يحب هذه الجوارح . **ثانيها** : أن المعنى كليته مشغولة بي ، فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به . **ثالثها** : المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ . **رابعها** : كنت له في

---

(١) فتح الباري (١٠/١٨٢) .

(٢) فتح الباري (١٠/١٩٤) .

النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه . **خامسها** : قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة : هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف ، والتقدير : كنت حافظ سمعه الذي يسمع به ، فلا يسمع إلا ما يحل استماعه ، وحافظ بصره كذلك ، إلخ . **سادسها** : قال الفاكهاني : يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله ، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه ؛ لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول ، مثل : فلان أملي بمعنى مأمولي ، والمعنى : أنه لا يسمع إلا ذكري ، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ، ولا يأنس إلا بمناجاتي ، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ، ورجله كذلك ، وبمعناه قال ابن هبيرة أيضًا ، وقال الطوفي : اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته ، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ، ولهذا وقع في رواية : « **فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي** » . قال : والاتحادية زعموا أنه على حقيقته ، وأن الحق عين العبد ، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية ، قالوا : فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر ، قالوا : فاللَّه أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه ، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا ، وقال الخطابي : هذه أمثال ، والمعنى : توفيق اللَّه لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها ، بأن يحفظ جوارحه عليه ، ويعصمه عن مواقعة ما يكره اللَّه من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ، ومن النظر إلى ما نهى اللَّه عنه ببصره ، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ، ومن السعي إلى الباطل برجله ، وإلى هذا نحا الداودي ومثله الكلاباذي)[١] .

وحديث : « **من عادى لي وليًّا** » وقع تحت رقم [٤٨] ، والحديث ومنحى الكلاباذي في تأويله في اللوحة رقم (١٣/أ) .

٨ - ثم تراه يستشهد به أيضًا في شرح معنى قوله تعالى في نفس الحديث : « **وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن** » وهل من صفات اللَّه تعالى التردد ؟ يقول ابن حجر : (والثاني : أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن ، كما روي في قصة موسى وما كان من لطمه عين ملك الموت ، وتردده إليه مرة بعد أخرى ، قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف اللَّه على العبد ولطفه به وشفقته عليه . وقال الكلاباذي ما حاصله : أنه عبر عن صفة الفعل

(١) فتح الباري (٣٤٤/١١) .

بصفة الذات ، أي عن الترديد بالتردد ، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك ، قال : وقد يحدث اللَّه في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت ، فضلًا عن إزالة الكراهة عنه ، فأخبر أنه يكره الموت ويسوءه ، ويكره اللَّه مساءته ، فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال ، فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق ، قال : وقد ورد تَفَعَّلَ بمعنى فعَّل مثل تَفَكَّرَ وفَكَّرَ وتَدَبَّرَ ودَبَّرَ وتَهَدَّدَ وهَدَّدَ واللَّه أعلم) [١] .

وكلام الكلاباذي هذا مذكور في اللوحة رقم (١٣/ب) .

٩ - وأحيانًا يذكره منتقدًا روايته فيقول : (فعند أحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر الصديق نحوه بلفظ : « **أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعين ألفًا** » وفي سنده راويان : أحدهما : ضعيف الحفظ ، والآخر : لم يسمَّ ، وأخرج البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزم مثله ، وفيه راو ضعيف أيضًا ، واختلف في سنده ، وفي سياق متنه ، وعند البزار من حديث أنس بسند ضعيف نحوه ، وعند الكلاباذي في « معاني الأخبار » بسند واه من حديث عائشة : فقدت رسول اللَّه ﷺ ذات يوم فاتبعته فإذا هو في مشربة يصلي ، فرأيت على رأسه ثلاثة أنوار ، فلما قضى صلاته ، قال : « **رأيت الأنوار ؟** » قلت : نعم . قال : « **إن آتيًا أتاني من ربي ، فبشرني أن اللَّه يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب ، ثم أتاني فبشرني أن اللَّه يدخل من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفًا سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب ، ثم أتاني فبشرني أن اللَّه يدخل من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفًا المضاعفة سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب ، فقلت : يا رب لا يبلغ هذا أمتي ، قال : أكملهم لك من الأعراب ممن لا يصوم ولا يصلي** » ، قال الكلاباذي : المراد بالأمة أولًا أمة الإجابة ، وبقوله : آخرًا أمتي أمة الاتباع ، فإن أمته ﷺ على ثلاثة أقسام أحدها أخص من الآخر : أمة الاتباع ، ثم أمة الإجابة ، ثم أمة الدعوة ، فالأولى : أهل العمل الصالح ، والثانية : مطلق المسلمين ، والثالثة : من عداهم ممن بعث إليهم ، ويمكن الجمع بأن القدر الزائد على الذي قبله هو مقدار الحثيات) [٢] .

والحديث الذي ذكره ابن حجر مذكور تحت رقم [٧٥٦] ، والحديث وتأويله في

---

(١) فتح الباري (١١/٣٤٦) .
(٢) فتح الباري (١١/٤١١) .

اللوحتين رقم (٢١٨/ب) ، (٢١٩/أ) .

١٠ - وفي صدد الكلام عن كيفية معرفة المؤمنين ربهم يوم القيامة ، يقول ابن حجر : (وفي رواية العلاء بن عبد الرحمن : « **ثم يطلع ﷻ عليهم فيعرفهم نفسه ، ثم يقول : أنا ربكم فاتبعوني ، فيتبعه المسلمون** » ، وقوله في هذه الرواية : « **فيعرفهم نفسه** » أي يلقي في قلوبهم علمًا قطعيًّا يعرفون به أنه ربهم ﷻ ، وقال الكلاباذي في « معاني الأخبار » : عرفوه بأن أحدث فيهم لطائف عرفهم بها نفسه . ومعنى كشف الساق : زوال الخوف والهول الذي غيرهم حتى غابوا عن رؤية عوراتهم) [١] .

وقول الكلاباذي : « عرفوه بأن أحدث فيهم لطائف عرفهم بها نفسه » مذكور في اللوحة رقم (٢١٢/أ) ، وقوله « ومعنى كشف الساق : زوال الخوف والهول الذي غيرهم حتى غابوا عن رؤية عوراتهم » في اللوحة رقم (٢١٢/ب) .

١١ - وفي التعرض لحديث : « **آخر أهل الجنة دخولًا** » ، وفي ثنايا الشرح يقول ابن حجر : (وقال الكلاباذي : إمساكه أولًا عن السؤال حياء من ربه ، والله يحب أن يسأل ؛ لأنه يحب صوت عبده المؤمن ، فيباسطه بقوله أولًا : « لعلك إن أعطيت هذا تسأل غيره » ، وهذه حالة المقصر ، فكيف حال المطيع ، وليس نقض هذا للعبد عهده وتركه ما أقسم عليه جهلًا منه ولا قلة مبالاة ، بل علمًا منه بأن نقض هذا العهد أولى من الوفاء به ؛ لأن سؤاله ربه أولى من ترك السؤال مراعاة للقسم ، وقد قال ﷺ : « **من حلف على يمين فرأى خيرًا منها فليكفر على يمينه وليأت الذي هو خير** » ، فعمل هذا العبد على وفق هذا الخبر ، والتكفير قد ارتفع عنه في الآخرة) [٢] .

وحديث آخر أهل الجنة دخولًا ورد تحت رقم [٧٤٤] ، وقول الكلاباذي مذكور في اللوحتين رقم (٢١٣/ب) ، (٢١٤/أ) .

١٢ - وقد ذكر ابن حجر الكلاباذي في كتبه الأخرى مثل كتابه « لسان الميزان » [٣] ، وتراه يقول بلفظ صريح : (ووجدت في كتاب « معاني الأخبار » للكلاباذي خبرًا موضوعًا حدث به عن محمد بن علي بن الحسن ، عن الحسين بن محمد بن أحمد ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن مالك ، عن ابن المنكدر ، عن جابر ﷺ رفعه : « **من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد ، ومن أنكر نزول عيسى فقد كفر بما**

---

(١) فتح الباري (٤٥١/١١) . (٢) فتح الباري (٤٦١/١١) .

(٣) لسان الميزان (١٣٠/٥) ، (٣٠٩/٥) ، (٣٣٥/٥) .

أنزل على محمد ، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر بما أنزل على محمد ، فإن جبرائيل أخبرني أن اللَّه قال : من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتخذ ربًّا غيري ») (١) .

والحديث الذي ذكره ابن حجر مذكور تحت رقم [٨٧٠] في اللوحة رقم (٢٤٣/أ) .

وعبارة (وجدت) تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك اطلاعه على كتاب « بحر الفوائد » للكلاباذي .

١٣ - وكذلك تصريحه بمثل هذا اللفظ في القول المسدد ، قال : (فهذا ما يتعلق بسد الأبواب ، وأما سد الخوخ فالمراد به طاقات كانت في المسجد يستقربون الدخول منها ، فأمر النبي ﷺ في مرض موته بسدها إلا خوخة أبي بكر ، وفي ذلك إشارة إلى استخلاف أبي بكر ؛ لأنه يحتاج إلى المسجد كثيرًا دون غيره ، وظهر بهذا الجمع أن لا تعارض ، فكيف يُدَّعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرد هذا التوهم ؟ ولو فتح هذا الباب لرد الأحاديث لادُّعِيَ في كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان ، ولكن يأبى اللَّه ذلك والمؤمنون ، ثم وجدت في كتاب « معاني الأخبار » لأبي بكر الكلاباذي ، قال : لا تعارض بين قصة علي وقصة أبي بكر ؛ لأن باب أبي بكر كان من جملة أبواب تطلع إلى المسجد خوخات ، وأبواب البيوت خارجة من المسجد ، فأمر النبي ﷺ بسد كل الخوخ ، فلم يبق مطلع منها إلى المسجد ، وتركت خوخة أبي بكر فقط ، وأما باب علي فلأنه داخل المسجد يخرج منه ويدخل فيه ، كما قال ابن عمر الذي سأله حين أشار إلى بيت علي : « هذا بيت علي إلى جنبه بيت النبي ﷺ وكان بيت النبي ﷺ في المسجد » انتهى ، وبنحوه جمع بينهما الطحاوي في مشكل الآثار ، وهو في أوائل الثلث الثالث منه ، واللَّه أعلم ، فهذا ما يتعلق بسد الأبواب) (٢) .

ومسألة سد الخوخ مذكورة في اللوحتين رقم (٤٣/أ) ، (٤٣/ب) .

١٤ - وفي موضع آخر يستشهد به في رواية الحديث يقول : (ومن طرقه أيضًا ما رواه النسائي في « السنن الكبرى » عن محمد بن وهب ، عن مسكين بن بكير وأخرجه الكلاباذي في « معاني الأخبار » من وجه آخر عن مسكين) (٣) .

والحديث الذي ذكره ابن حجر مذكور تحت رقم [١٦٦] في اللوحة رقم (٤٣/ب) .

١٥ - ويقول في موضع آخر : (وأخرجه الكلاباذي في « معاني الأخبار » من طريق

---

(١) لسان الميزان (١٣٠/٥) .

(٢) القول المسدد (١٩/١) .

(٣) القول المسدد (١٧/١) .

عبد الله بن سلمة الأفطس أحد الضعفاء عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه نحوه ، وفيه « هذا بيت رسول الله ﷺ وأشار إلى بيت علي إلى جنبه » الحديث) [١] .

والحديث الذي ذكره ابن حجر مذكور تحت رقم [١٦٣] في اللوحة رقم (٤٣/أ) .

٣ - زين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر (٩٧٠هـ) :

وممن اطلع على كتاب « بحر الفوائد » ونقل عنه الفقيه الحنفي زين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر ، ويظهر ذلك في كتابه البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، وهو كتاب في الفقه الحنفي ، ففي صدد التعرض لشرح بركة السحور وكيف تكون استعان بكلام الكلاباذي في كتابه « بحر الفوائد » ، قال : (والسنة في السحور التأخير ؛ لأن معنى الاستعانة فيه أبلغ ، وكذا تعجيل الفطر ، كذا في البدائع ، والتعجيل المستحب التعجيل قبل اشتباك النجوم ، ذكره قاضيخان في شرح الجامع الصغير ، ولم أر صريحًا في كلامهم أن الماء وحده يكون محصلًا لسنة السحور ، وظاهر الحديث يفيده ، وهو ما رواه أحمد ؛ عن أبي سعيد مسندًا : « **السحور كله بركة فلا تدعوه ، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين** » ، والبركة في الحديث لغة الزيادة والنماء ، والزيادة فيه على وجوه : زيادة في القوة على أداء الصوم ، وزيادة في إباحة الأكل والشرب ، وزيادة على الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء ، كذا ذكره الكلاباذي) [٢] .

وقول الكلاباذي هذا في شرح الحديث رقم [٣٠٣] الواقع في اللوحة رقم (٨٣/ ب) .

٤ - إبراهيم بن محمد الحسيني (١١٢٠هـ) :

وقد نقل عن الكلاباذي أيضًا إبراهيم بن محمد الحسيني ، ويظهر ذلك في كتابه « البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف » ، ففي التعرض لحديث النملة التي قرصت نبيًّا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت يذكر سبب الحديث ، ثم يعرج على ذكر هذا النبي فيقول : (قيل : عزير ، وجزم الكلاباذي وغيره أنه موسى عليه السلام) [٣] ، ومن المحتمل أن يكون قد نقل هذا الكلام عن غيره من العلماء ، حيث إنه متأخر نسبيًّا بالنسبة لابن حجر الذي تناول نفس المسألة في فتح الباري [٤] .

---

(١) القول المسدد (١٨/١) .

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٣١٥/٢) .

(٣) البيان والتعريف (١٣٠/٢) .

(٤) فتح الباري (٣٥٩/٦) .

٥ - محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (١١٢٢هـ) :

وكذلك كان الكلاباذي من المصادر المعتمدة لدى الزرقاني شارح موطأ الإمام مالك ، ففي تعرضه لحديث : « **ما نقصت صدقة من مال** » ، يقول : (وقول الكلاباذي يراد بالصدقة الفرض وبإخراجها ما لم ينقص ماله ، لكونها دينًا فيه بعد لا يخفى) [١] .

وبمراجعة « بحر الفوائد » وجدت هذا القول في شرح حديث : « **ما نقصت أحدًا صدقة من مال** » الواقع تحت رقم [٣٣٣] في اللوحة رقم (٩٢/أ) فدل على أن الكلاباذي الذي ذكره هو صاحب كتاب « بحر الفوائد » لا غيره ، ودل على أن الزرقاني ممن اطلعوا على « بحر الفوائد » وأفادوا منه .

٦ - أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٣٢٩هـ) :

وممن أفادوا من الكلاباذي أحمد بن إبراهيم بن عيسى صاحب كتاب « توضيح المقاصد وتصحيح القواعد » في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، ومن الممكن القول بأنه نقل كلام الكلاباذي عن ابن تيمية ؛ ذلك لأنه ذكر نفس كلامه في مسألة هل الخلق غير المخلوق ؟ [٢] .

٧ - محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٣٥٣هـ) :

وممن أفاد من الكلاباذي من شراح الحديث المباركفوري في « تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي » ، حيث نقل أيضًا كلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري في أحاديث سد الأبواب اللافظة إلى المسجد وذكر فيها قول الكلاباذي [٣] .

٨ - عبد الرؤوف المناوي :

وممن اطلع على « بحر الفوائد » وأفاد منه كثيرًا المناوي مصنف « فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي » ، فقد ذكر الكلاباذي أو أحد كتابيه « بحر الفوائد » أو « التعرف » نصًا في أربعة وعشرين موضعًا مختلفًا ، غير المواضع التي نقل فيها شرحه للأحاديث ولم يشر إليه ، كل ذلك مستشهدًا بأقواله شارحًا أو راويًا ، وهذه مواضع مما

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٥٤٩/٤) .
(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١١٢/١) ، (٣٤٧/١) .
(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (١١٣/١٠) .

ذكر المناوي فيها الكلاباذي في كتابه :

١ - في سياق الحديث عن أمية بن أبي الصلت ، قال : (وزعم الكلاباذي أنه كان يهوديًا) [١] . وذكر أمية بن أبي الصلت ورد في الحديث رقم [٦٣٢] في اللوحة رقم (١٦٩/أ) ، وليس فيه أنه كان يهوديًا .

٢ - في سياق الحديث عن الحكيم الترمذي وذكر الكلام حوله قال : (وقال الكلاباذي في التعرف : هو من أئمة التصوف) [٢] .

٣ - في سياق ذكر ألفاظ حديث : « **إذا سمعت جيرانك يقولون : قد أحسنت فقد أحسنت** » ، يقول : (كذا ذكره الكلاباذي ، ثم إن ما ذكره بما تقرر من أن لفظ الحديث ما ذكر هو ما وقفت عليه بخط المؤلف) [٣] .

وهذا الحديث المذكور لم أقف عليه في « بحر الفوائد » .

٤ - عند ذكر نزول جبريل عليه السلام على صورة دحية ، قال : (قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء : ١٩٣] ، فالنازل بالوحي جبريل والصورة صورة دحية فجبريل هو جبريل والصورة غيره وإن كان الملك فيها ذكره الكلاباذي) [٤] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (١٦٩/ ب) .

٥ - عند ذكر حديث : « **أعطيت سورة البقرة** » ، يقول : (ورواه عنه أيضًا البيهقي في الشعب والدارقطني عن ابن عباس « **أعطيت سورة البقرة** » أي إلا خواتيمها ، كما يشير إليه بل يعينه قوله الآتي : « **وخواتيم سورة البقرة** » إلخ ، وفيه رد على من استكره أن يقال : سورة البقرة ، بل السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الأول ، أي عوضًا من الذكر الأول ، قال الكلاباذي في بحره : هو الصحف العشرة والكتب الثلاثة ولم يطلع عليه من أكثر الترديد والاضطراب) [٥] .

وحديث خواتيم سورة البقرة ورد تحت رقم [٤٨٧] في اللوحة رقم (١٠٧/أ) (س) ، ولم أقف على قول الكلاباذي .

٦ - عند ذكر حديث : « **خير القرون قرني** » ، يقول : (ثم إن هذا لا يناقضه خبر

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥٧/١) .
(٢) فيض القدير (١١٦/١) .
(٣) فيض القدير (٣٧٨/١) .
(٤) فيض القدير (٥١٤/١) .
(٥) فيض القدير (٥٦٣/١) .

« **خير الناس قرني** » ؛ لأنهم إنما كانوا خيرًا لأنهم نصروه وآووه وجاهدوا معه ، وقد توجد نحو هذه الأفعال آخر الزمان حين يكثر الهرج ، وحتى لا يقال في الأرض : اللَّه ، قال الكلاباذي وغيره : وأما خبر : « **خير الناس قرني** » فخاص بقوم منهم والمراد في قرني ، كالعشرة وأضرابهم ، وأما سواهم فيجوز أن يساويهم أفاضل أواخر هذه الأمة ، كالذين ينصرون المسيح ، ويقاتلون الدجال ، فهم أنصار النبي وإخوانه ا.هـ) [١] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (١٧٨/أ) .

٧ - عند ذكر حديث : « يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين » يقول : (« **استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي** » أي ثوابه ، وقال الكلاباذي : جعل اللَّه أوصاف المؤمنين صفته ، فقال : مرضت واستسقيتك واستطعمتك ؛ لأن الوصلة إذا استحكمت والمودة إذا تأكدت صار فعل كل واحد من المتواصلين فعل الآخر ، وكل ما فعله الحبيب فهو يسر حبيبه ، ألا ترى قيسًا المجنون كان إذا أراد أن يسكن ما به ذكرت له ليلى ، فينجلي ما هو فيه ويتكلم بأحسن كلام ، فيقال له : أتحب ليلى ؟ فيقول : لا . فيقال : لم ؟ فيقول : المحبة ذريعة الوصلة ، وقد وقعت الوصلة فسقطت الذريعة ، فأنا ليلى وليلى أنا ، وقال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته كنت أنا) [٢]

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٢٤٧/ب) .

٨ - عند ذكر حديث : « **فطوبى للغرباء** » ، يقول : (وزاد الترمذي بعد الغرباء « **الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي** » ، وفي خبر آخر : قيل : من الغرباء ؟ قال : « **النزاع من القبائل** » ، أي : الذين نزعوا عن أهلهم وعشيرتهم . قيل : وهم أصحاب الحديث ، يعني كون الإسلام غريبًا ليس منقصة عليهم بل سببًا لتقريبهم في الآخرة ا.هـ. وهو تخصيص بغير مخصص ، قال الكلاباذي : وإذا صار الأمر إلى هذا كان المؤمن فيهم كالمؤمن في زمن المصطفى صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فإن النازع من القبيلة مهاجر مفارق لأهله ووطنه) [٣] .

---

(١) فيض القدير (١٨٥/٢) .

(٢) فيض القدير (٣١٣/٢) .

(٣) فيض القدير (٣٢٢/٢) .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (١٧٧/ ب) .

٩ - عند ذكر شرح حديث : « **أنا مدينة العلم وعلي بابها** » يقول : (خرج الكلاباذي أن رجلًا سأل معاوية عن مسألة ، فقال : « سل عليًّا هو أعلم مني . فقال : أريد جوابك . قال : ويحك ، كرهت رجلًا كان رسول اللّٰه ﷺ يعزه بالعلم عزًّا ، وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك ، وكان عمر يسأله عما أشكل عليه ، جاءه رجل فسأله ، فقال : هاهنا علي فاسأله . فقال : أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين . قال : قم لا أقام اللّٰه رِجليك ، ومحا اسمه من الديوان) [١] .

والحديث المذكور ورد تحت رقم [٥٤٤] في اللوحة رقم (١٤١/أ) .

١٠ - وفي صدد شرح حديث : « **تسحروا فإن في السحور بركة** » ، يقول : (قال الكلاباذي : فالبركة فيه بمعنى الإباحة بعد الحظر عنه من أول الليل ، فكأنها إباحة زائدة على الإفطار آخر النهار ، فهو رخصة ، واللّٰه يحب أن تؤتى رخصه ، فالترغيب في السحور ترغيب في قبول الرخصة ، ومعنى البركة فيه الزيادة ، ويمكن كونها زيادة في العمر ؛ لكون النوم موتًا واليقظة حياةً ، ففي مدة الحياة معنيان : اكتساب الطاعة للمعاد ، والمرافق للمعاش ، وهو مما خصت به هذه الأمة) [٢] .

والحديث ورد تحت رقم [٣٠٣] في اللوحة رقم (٨٣/ ب) ، وهذا القول مذكور في اللوحتين (٨٣/ ب) ، (٨٤/أ) .

١١ - وعند ذكر « من خاف اللّٰه خافته المخاوف » ، يقول : (ذكره الكلاباذي) [٣] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٧٧/أ) .

١٢ - وعند شرح حديث : « **ثلاثة لا تقربهم الملائكة** » يذكر منهم الجنب إلا أن يتوضأ ، ثم يقول : (قال الكلاباذي : يجوز كونه فيمن أجنب من محرم ، أما من حلال فلا يجتنبه الملك ولا البيت الذي فيه ، فقد كان النبي يصبح جنبًا بغير حلم ويصوم ذلك اليوم ، وكان يطوف على نسائه بغسل واحد ، ويجوز كونه فيمن أجنب باحتلام وترك الغسل مع وجود الماء فبات جنبًا ؛ لأن الحلم من الشيطان ، فمن تلعب به في يقظته أو نومه تجنبه الملك الذي هو عدو الشيطان ا.هـ) [٤] .

---

(١) فيض القدير (٤٦/٣) .
(٢) فيض القدير (٢٤٣/٣) .
(٣) فيض القدير (٢٦٥/٣) .
(٤) فيض القدير (٣٢٥/٣) .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٢٤٥/ب) .

١٣ - وعند ذكر حديث « **ثلاثة لا يريحون رائحة الجنة حين يجد المقربون ريحها : رجل ادعى إلى غير أبيه** » ، يقول : (لأنه كاذب آثم ، كالذي يدعي أن اللّه خلقه من ماء فلان غير ماء أبيه ، فهو كاذب على اللّه ، « **ورجل كذب عليَّ** » ، أي : أخبر عني بما لم أقل أو أفعل ، « **ورجل كذب على عينيه** » ، أي : قال : رأيت في منامي كذا ؛ لأنه كذب على اللّه وعلى ملك الرؤيا ؛ إذ الرؤيا الصالحة بشرى من اللّه ، وذلك ذنب كبير ، فيستحق العقوبة ، ولأن رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة ، كما يجيء في عدة أخبار ، فكان الكاذب فيها متنبئًا بادعائه جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من أجزاء النبوة ، ومدعي الجزء كمدعي الكل ، ذكره الكلاباذي) [1] .

والحديث ورد تحت رقم [٥٥٤] وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (١٤٥/أ) ، (١٤٥/ب) .

١٤ - وعند ذكر شرح حديث : « **الكبرياء ردائي والعظمة إزاري** » ، يقول : (قال الكلاباذي : الرداء عبارة عن الجمال والبهاء ، والإزار عبارة عن الجلال والستر والحجاب ، فكأنه قال : لا تليق الكبرياء إلا بي ؛ لأن من دوني صفات الحدوث لازمة له ، وسمة العجز ظاهرة عليه ، والإزار عبارة عن الامتناع عن الإدراك والإحاطة به علمًا وكيفية لذاته وصفاته ، فكأنه قال : حجبت خلقي عن إدراك ذاتي وكيفية صفاتي بالجلال والعظمة ، فمن نازعني واحدًا منهما أي جاذبني إياه قذفته أي رميته ، وفي رواية : « **أدخلته في النار** » لتشوفه إلى ما لا يليق إلا بالقادر القهار القوي الجبار الغني العلي سبحانه ليس كمثله شيء) [2] .

والحديث ورد تحت رقم [٥٤٠] وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (١٤٠/أ) .

١٥ - عند ذكر حديث : « **لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب** » ، يقول : (أخبر عما لم يكن لو كان فكيف يكون ، كما أخبر تعالى في الذين قال فيهم : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٨] ، ففيه أنهم عاندوا اللّه ورسوله على بصيرة بمواضع الحق ، لا لشبهة عرضت ، فكذا قوله : « **لو كان بعدي** » إلخ ، ففيه إبانة عن فضل ما جعله اللّه لعمر من أوصاف الأنبياء وخلال المرسلين ، وقرب حاله منهم ، وفيه إشارة إلى أن النبوة ليست باستعداد بل يجتبي إليه من يشاء ، فكأن النبي أشار إلى أوصاف جمعت في عمر لو كانت موجبة للرسالة لكان بها نبيًا ، فمن أوصافه قوته في دينه ،

---

(١) فيض القدير (٣٢٨/٣) .

(٢) فيض القدير (٤٨٤/٤) .

وبذله نفسه وماله في إظهار الحق ، وإعراضه عن الدنيا مع تمكنه منها ، وخص عمر مع أن أبا بكر أفضل ؛ إيذانًا بأن النبوة بالاصطفاء لا بالأسباب ، ذكره الكلاباذي)[١] .

والحديث ورد تحت رقم [٤٧٥] وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (١٠٥/ ب) (س) .

١٦ - وفي تحديد المقصود بالعلماء يقول : (و « **العلماء ورثة الأنبياء** » قال في « بحر الفوائد » : وهم الفقهاء ، والعلماء بالإطلاق هم الفقهاء ، والعلماء بسائر العلوم علماء على التقييد إلى علمهم)[٢] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٣٠٦/ ب) .

١٧ - وفي حديث : « **ليس الخبر كالمعاينة** » ، يقول : (وقال الكلاباذي : الخبر خبران : صادق لا يجوز عليه الخطأ ؛ وهو خبر الله ورسوله ، ومحتمل ؛ وهو ما عداه ، فإن حمل الخبر على الأول فمعناه ليس المعاينة كالخبر في القوة ، أي الخبر أقوى وآكد وأبعد عن الشكوك إذا كان خبرًا لصادق ، والمعاينة قد تخطئ ، فقد يرى الإنسان الشيء على خلاف ما هو عليه ، كما في قصة موسى والسحرة ، وإن حمل على الثاني فمعناه ليس المعاينة كالخبر بل هي أقوى وآكد ؛ لأن المخبر لا يطمئن قلبه وتزول عنه الشكوك في خبر من يجوز السهو عليه والغلط ، والحاصل أن الخبر إن كان خبرًا لصادق فهو أقوى من المعاينة ، أو غيره فعكسه ، إلا أن ما ذكر في الخبر الآتي عقبه على الأثر يشير إلى أن المراد هنا الثاني)[٣] .

والحديث ورد تحت رقم [٩٨١] وهذا القول مذكور في اللوحتين رقم (٢٨٢/ ب) ، (٢٨٣/أ) .

١٨ - وفي حديث : « **ما نقصت صدقة من مال** » ، يقول : (وقول الكلاباذي قد يراد بالصدقة الفرض ، وبإخراجها لم تنقص ماله ؛ لكونها دينا فيه بعد لا يخفى)[٤] .

والحديث ورد تحت رقم [٣٣٣] وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٩٢/أ) .

١٩ - وفي الحديث : « **من أحزن والديه فقد عقهما** » ، يقول : (من أحزن والديه أي أدخل عليهما أو فعل بهما ما يحزنهما فقد عقهما ، قال الكلاباذي : إنما قصد أن لا تجفي

---

(١) فيض القدير (٣٢٥/٣) .
(٢) فيض القدير (٤٧٨/٣) .
(٣) فيض القدير (٣٥٧/٥) .
(٤) فيض القدير (٥٠٤/٥) .

الوالدين ؛ لأن فيه ألمهما ، فمن أحزنهما بقصد الجفاء فقد آلمهما ، وذلك عقوق) [١] .

والحديث ورد تحت رقم [٢٨٠] في اللوحة رقم (٧٣/أ) ، وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٧٥/ب) .

٢٠ - وفي حديث : « **من تاب إلى الله وهو يغرغر** » ، يقول : (قال الكلاباذي : ومعلوم أن هذا وقت لا يتلافى فيه ما فات ، فتوبته الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، أما حال الغرغرة فلا تقبل توبته ، ولا ينفذ تصرفه ، لقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر : ٨٥]) [٢] .

والحديث ورد تحت رقم [٣٩٧] وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٨٦/أ) (س) .

٢١ - وفي حديث : « **خير القرون قرني** » ، يقول : (ويكون المراد بخبر « **خير الناس قرني** » الخصوص في قوم منهم لا جميعهم ، ومعلوم أن قرنه كان منهم أبو جهل ومسيلمة وأضرابهما ، ذكره في « بحر الفوائد ») [٣] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (١٧٨/أ) .

٢٢ - وفي حديث : « **لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال** » ، يقول : (قال في « بحر الفوائد » : الشيطان جسم يمكن أن يكون له يمين لكن لا يأكل بها ؛ لأنه معكوس مقلوب الخلقة ، فنهى النبي أن يفعل كفعله ، وقد يقال : شمال الإنسان مشؤوم ، فإن الكافر يعطى يوم القيامة كتابه بشماله ، والإنسان جعل يمينه لما فوق الإزار من الأكل والطهارة) [٤] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٣٣٢/ب) .

٢٣ - وفي حديث : « **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جرس** » ، يقول : (« **لا تدخل الملائكة** » يعني ملائكة الرحمة ونحوهم ، « **بيتًا** » يعني مكانًا ، « **فيه جرس** » هو كل شيء في العنق أو الرجل حين يصوت ؛ وذلك لأنه إنما يعلق على الدواب للرعاية والحفظ ، ليعرف سيرها ووقوفها ، فتسكن الرفقة إلى سماعها ، ويتكلمون في السير عليها ، والملائكة حفظ لهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، فإذا سكنت القلوب انقطعت بعد سكونها إليها عن سكونها لمسيرها ومسيرهم ، ومصيرها ومصيرهم ، وحافظها وحافظهم ،

---

(١) فيض القدير (٣٧/٦) .

(٢) فيض القدير (٩٨/٦) .

(٣) فيض القدير (٢٦١/٦) .

(٤) فيض القدير (٣٨٥/٦) .

فإذا اتخذوا لهم حفظة لأنفسهم وكلوا إليها ، وليس الجرس كسائر ما يجعل وقاية للنفس والمال ؛ لأن في ذلك فوائد أخرى بخلاف الجرس ، ذكره الكلاباذي) [١] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٣٧/أ) ، (٣٧/ ب) .

٢٤ - وفي أحاديث قصة الدجال ونزول عيسى ﷺ يقول : (وقال في « بحر الفوائد » : قد ورد في نزوله أحاديث كثيرة ، روتها الأئمة العدول ، التي لا يردها إلا مكابر أو معاند) [٢] .

وهذا القول مذكور في اللوحة رقم (٢٤٢/ ب) .

* * *

---

(١) فيض القدير (٣٩٢/٦) .

(٢) فيض القدير (٤٦٥/٦) .

الفَصلُ الثَّاني

منهج التحقيق

أولًا : نسبة الكتاب للمؤلف والتعريف بالكتاب :

هناك قرائن عدة تؤكد صحة نسبة الكتاب لمؤلفه ، وتتمثل هذه القرائن في الآتي :

١ - السماعات الموجودة في أول الكتاب والتي تسند الكتاب إليه ، وهي كما وردت بأول النسخة الأصل :

يقول العبد الضعيف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين السُّغْدِيُّ أحسن اللَّه إليه أسعد جده : ثنا الشيخ القاضي الإمام الأجل جلال الدين أبو المحامد حامد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن إملاء ، قال : أخ الشيخ الإمام الأجل أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الصَّفَّارِيُّ الأنْصَارِيُّ ، قال : أخ الشيخ والدي ، قال : أخ الشيخ أبو طاهر إبراهيم بن أحمد المُسْتَمْلِيُّ ، قال : أخ الشيخ أبو بكر بن أبي إسحاق العارف الكَلابَاذِيُّ المصنف ، قال ﷺ :

وأخ بهذا الإسناد الشيخ الإمام الصالح الدين فخر الأئمة محمد بن هارون والشيخ الإمام زين الصالحين عمر بن أبي بكر بن عثمان الصَّابُونِيُّ بقراءتي عليهما في الجامع ببخارى قالا أيضًا بهذا الإسناد ، والشيخ الأستاذ ظهير الدين أبو المحاسن الحسين بن علي المَرْغِينَانِيُّ ، والشيخ القاضي جمال القضاة أبو بكر محمد بن عمر الْكَرْمِينِيُّ الفَرْغَانِيُّ في كثير من آخرين ، قال ﷺ :

وأخ الشيخ القاضي الإمام جلال ين / هذا رَحِمَهُ اللَّهُ قال : أخ الشيخ الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النَّسَفِيُّ ، قال : أخ يخ الإمام أبو بكر محمد بن أحمد البَلَدِيُّ ، قال : أخ الشيخ أبو نصر أحمد بن علي الْمَايْمَرْغِيُّ المصنف ﷺ ، قال ﷺ :

وأخ أيضًا بهذا الإسناد الشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين وجمال القضاة الْكَرْمِينيُّ في كثير من آخرين ، قال ﷺ :

وقد أخ الشيخ الإمام القاضي الأجل قاضي القضاة عماد الدين أبو حفص عمر بن أبي بكر بن محمد بن علي بن الفضل نجري بقراءة الشيخ الإمام الزاهد القطان المُسْتَمْلِيِّ في مسجده بعد أملاه ، قال : أخ الشيخ القاضي الإمام الأجل الزاهد الوالد ، قال :

سمعت معاني الأخبار وشرح الآثار من الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد التَّمِيمِيِّ في مسجد الشيخ الإمام شمس الأئمة أبي محمد عبد العزيز بن أحمد الحُلْوَانِيِّ هو حاضر يسمع في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة رواه عن المصنف ، قال ﷺ :

وأخ أيضًا بهذا الإسناد الشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين ، والشيخ الإمام الزين فخر الأئمة محمد بن هارون ، والشيخ القاضي الإمام أبو عمرو عثمان بن أبي بكر المُطَّوِعِيُّ ، وجمال القضاة الْكَرْمِينِيُّ في كثير من المشايخ يكثر تعدادهم قدس الله أرواحهم ، قال ﷺ :

وقد أخ الشيخ القاضي الإمام الأجل الأستاذ بهاء الدين مفتي الشرق والغرب أبو المحامد محمد بن أحمد بن يوسف المنسوب إلى أسبيجاب بقراءتي عليه من أوله إلى آخره في المسجد الجامع ببخارى عمرها الله وخلص أهلها ، وأتممتها في أوائل ذي الحجة سنة أربع وستين وخمسمائة قال : أخ الشيخ القاضي الإمام الزاهد الوالد ، قال : أخ الشيخ القاضي الإمام صدر الإسلام أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين الْبَزْدَوِيُّ ، قال : أخ الشيخ الإمام الأجل شمس الأئمة فخر الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسين / الكاتب قال أخ الشيخ الإمام الزاهد العارف أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلا البُخَارِي المصنف إملاء بدرب الجديد في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، قال ﷺ :

وأخ الشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين محمد بن أحمد المَحْبُوبِيُّ ، والشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين المَرْغِينَانِيُّ ، والشيخ القاضي الإمام جمال القضاة الْكَرْمِينِيُّ ، والشيخ القاضي الإمام أبو عمر المُطَّوِعِيُّ وغيرهم ، قالوا : أخ الشيخ القاضي الإمام الزاهد عماد الدين أبو بكر محمد بن الحسن بن منصور النَّسَفِيُّ رحمه الله وقد توفي سنة خمس وخمسمائة ، قال : أخ شمس الأئمة الحَلْوَانِيُّ عن أبي محمد الكاتب عن المصنف ، قال ﷺ :

٢ – أسلوب المصنف في كتابه هو نفسه أسلوبه في كتابه الآخر « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، من حيث كثير من الموضوعات المشتركة أو المتقاربة التي تناولها في كلا الكتابين ، ومن حيث الوجهة الصوفية في كليهما ، ومن حيث الأسلوب الأدبي الذي يتميز به المصنف في كثير من المواضع ، فعلى سبيل المثال : فقد تحدث مُفصِّلًا في كتاب التعرف عن قول الصوفية في الأصلح ، وأبطل القول به [1] ، وتعرض في كتاب

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق أحمد شمس الدين (ص ٥٣) .

« بحر الفوائد » موجزًا لنفس المسألة ، وأبطل أيضًا القول به [١] ، وفي كتاب « التعرف » تحدث عن المحبة ، وأنها ينبغي أن لا تكون معلولة بشيء [٢] ، وفي الحديث الأول في « بحر الفوائد » يتعرض لنفس المسألة ، ويخرج بنفس النتيجة [٣] ، وسيتضح ذلك بشيء من التفصيل في الفصل الثالث .

٣ - بعض شيوخه المكرر ذكرهم في الكتابين وصرح بالتحمل عنهم . وعلى سبيل المثال : أحمد بن حيان التميمي ، صرح بالتحمل عنه في التعرف [٤] ، وفي « بحر الفوائد » في الحديث رقم [٤٢٥] ، ويتبين ذلك بالرجوع إلى فهرس شيوخه .

٤ - المصادر التاريخية التي نسبت الكتاب إلى المصنف ، والتي لم تختلف في نسبة الكتاب إليه ، وهي : كشف الظنون (٢٢٤/١) ، والأعلام (٢٩٥/٥) ، ومعجم المؤلفين (٢١٢/٨ ، ٢٢٢) ، وتاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، وتاريخ التراث العربي مجلد ١ (١٧٥/٤) ، ودائرة معارف الأعلمي (١٢٤/٢٦) ، الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط (٢٨٨/١) ، هذا بالإضافة إلى فهارس المخطوطات بكل من قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، ومعهد المخطوطات العربية ، والمكتبة البلدية بالإسكندرية .

٥ - ويضاف إلى ذلك ما صرح به السمعاني في كتاب الأنساب عند الحديث عن نسبة المَايْمَرْغِيّ ، قال : هذه النسبة إلى مايَمْرغ ، وهي قرية كبيرة حسنة على طريق بخارى من نواحي نخشب.... والمشهور بالانتساب إليها أبو نصر أحمد بن علي بن الحسن بن عيسى المقرئ الضرير المايمرغي : كان شيخًا ثقة صالحًا صدوقًا مكثرًا من الحديث .... روى عن أبي بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي صاحب « معاني الأخبار ») [٥] ، فقد أثبت السمعاني في كلامه هذا نسبة كتاب « معاني الأخبار » للمصنف .

٦ - ويضاف أيضًا ما وجدته عند عبد الكريم القزويني في كتابه « التدوين في تاريخ قزوين » في سياق ذكر شيوخ والده في الحديث وجملٍ من مسموعاته ، فقد ذكر أن والده قد سمع كتاب « بحر الفوائد » للكلاباذي من عبد الخالق بن زاهد بن طاهر

---

(١) الأصل لوحة رقم (٧٦/ب) .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق أحمد شمس الدين (ص ١٢٨) .

(٣) الأصل لوحة رقم (٢/ب) .

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق أحمد شمس الدين (ص ١٧٣) .

(٥) الأنساب (٢٢٣/٤) .

أبو منصور الشحامي بروايته عن الحسن بن أحمد السمرقندي ، عن علي بن أحمد بن خنباج ، عن الكلاباذي [١] ، فقد أضاف للكتاب سماعًا جديدًا غير السماعات المذكورة بأول النسخة المتوافرة لدينا الآن ، بما يدل أيضًا على تأكيد نسبة الكتاب لمؤلفه، وشهرة الكتاب في أوساط علماء الحديث .

٧ - نقول العلماء عنه ونسبتهم هذه النقول إليه في كتابه تعد توثيقًا للكتاب ، ومن أشهر من نقلوا عنه ابن حجر العسقلاني والمناوي صاحب فيض القدير وغيرهم ، وقد ذكرت نماذج من هذه النقول ومكانها من الكتاب ، وذلك في الفصل الأول عند الحديث عن منزلته ونقل العلماء عنه .

اسم الكتاب :

يذكر المترجمون الكتاب بعدة أسماء منها : « بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار » [٢] ، وأحيانًا ما يذكر بـ « بحر الفوائد » فقط [٣] ، وأحيانًا ما يذكر بـ « معاني الأخبار المسمى ببحر الفوائد » [٤] ، وقد ذكر له فؤاد سزكين عدة أسماء منها : « معاني الآثار » أو « معاني الأخبار » أو « بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار » أو « مفتاح الأخبار » أو « معاني الأحاديث المصطفوية ومعاني الأخبار المجتبوية » وذكر أنه آخر ما ألف (٣٧٥هـ) [٥] .

وأضاف كارل بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » على ما سبق الأسماء الآتية : « مفتاح معاني الأخبار » و « الإخبار بفوائد الأخبار » و « معاني الأحاديث المصطفوية ومباني الأخبار المجتبوية » [٦] .

ولعل مرد الاختلاف في اسم الكتاب يعود إلى اسمه الوارد في النسخ المتعددة في البلدان المختلفة [٧] ، أما اسمه في النسخة التي اعتمدت عليها في التحقيق وأطلقت عليها لفظة « الأصل » فقد كان على بطاقة الكتاب في صدر الصفحة الأولى التي عليها بيانات المخطوط « بحر الفوائد » ، أما داخل المخطوط فقد ذكر في أحد أسانيد متحمله

---

(١) التدوين في تاريخ قزوين (٣٤٥/١) .

(٢) معجم المؤلفين (٢١٢/٨ ، ٢٢٢) ، والأعلام للزركلي (٢٩٥/٥) .

(٣) هكذا كتب على صدر الصفحة الأولى للنسخة المخطوطة التي اعتمدت عليها في التحقيق والتي أطلقت عليها اسم (الأصل) . وهكذا ذكر في دائرة معارف الأعلمي (١٢٤/٢٦) .

(٤) الرسالة المستطرفة (ص ٤٤) .

(٥) تاريخ التراث العربي ، مجلد ١ (١٧٥/٤) .

(٦) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) .

(٧) تراجع أماكن هذه النسخ في تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) .

وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين السعدي ما يفيد بأن اسم الكتاب « معاني الأخبار » وذلك في الإسناد الآتي :

(وقد أخ الشيخ الإمام القاضي الأجل قاضي القضاة عماد الدين أبو حفص عمر بن أبي بكر بن محمد بن علي بن الفضل نجري بقراءة الشيخ الإمام الزاهد القطان المستملي في مسجده بعد أملاه ، قال : أخ الشيخ القاضي الإمام الأجل الزاهد الوالد ، قال : سمعت « معاني الأخبار وشرح الآثار » من الشيخ الإمام ابن الحسن علي بن أحمد التميمي في مسجد الشيخ الإمام شمس الأئمة أبي محمد عبد العزيز بن أحمد الحلواني وهو حاضر يسمع في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وأربعمائة رواه عن المصنف قال ﷺ) [(١)] ا.هـ .

وذكر أيضًا في نهايته نفس الاسم في قوله : (وقد تم كتاب « معاني الأخبار » تصنيف الشيخ الإمام الأجل الزاهد العارف ناصر الشريعة محيي السنة ماحي البدعة محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري قدس اللّه روحه ونور ضريحه ...) [(٢)] ا.هـ .

أما في النسخة (س) وهي النسخة الثانية التي اعتمدت عليها في المقابلة بالأصل فقد اقتصر من الكتاب على نصفه تقريبًا واختتم هذا النصف بقوله : « واتفق الفراغ من كتابة شرح الأحاديث الشريفة لبيان أحكام الإمكان والوجوب في أول وقت الظهر في أواخر شهر صفر المظفر من شهور سنة إحدى وعشر وألف على يد ....) [(٣)] هذا ولم يوجد على النسخة أو في داخلها أية دلالة على اسم الكتاب ، والشيء الوحيد الذي يؤكد أن الكتاب هو نفسه بحر الفوائد للكلاباذي هو المحتوى ، فضلًا عن أنه قد أخذ رقمًا في معهد المخطوطات تحت اسم « بحر الفوائد » .

أخلص من هذا إلى أن للكتاب أسماء عدة أشهرها « بحر الفوائد » و « معاني الأخبار » ، والاسم الأول هو الذي اعتمدت عليه في عنوان البحث ، بناء على ما ذكر في بطاقة النسخة الأم التي اعتمدت عليها في التحقيق .

لماذا سمى الكلاباذي كتابه بـ « بحر الفوائد » أو « معاني الأخبار » أو غيرها من الأسماء ؟

لم يصرح المصنف بسبب تسمية الكتاب ، ولكن يظهر لي من خلال التطواف في الكتاب أن الكلاباذي حرص في المقام الأول على العناية ببعض الأخبار الواردة عن النبي ﷺ رواية لها ثم استنباطًا لمعانيها من الأوجه المحتملة ، ومن هنا جاءت التسمية

---

(١) الأصل لوحة رقم (١/ب) .   (٢) لوحة رقم (٣٨٠/ب) .

(٣) النسخة (س) لوحة رقم (١٥١/ب) .

بـ« معاني الأخبار » أو « معاني الأحاديث المصطفوية ومعاني الأخبار المجتبوية » أو « معاني الآثار » أو « مفتاح الأخبار » أو « مفتاح معاني الأخبار » أو « معاني الأحاديث المصطفوية ومباني الأخبار المجتبوية » . فكل هذه الأسماء تدور حول محاولة الوصول إلى مراد الرسول ﷺ من قوله الشريف .

ولم يخل الكتاب أيضًا من كثير من الفوائد الأخرى في مجالات مختلفة ؛ كالتوفيق بين بعض الأحاديث التي يبدو في ظاهرها التعارض ، وتحديد مدلول بعض المفردات الواردة في الأحاديث ومعالجة بعض القضايا العقدية .... إلخ ، ومن هنا يظهر سبب التسمية بـ « بحر الفوائد » أو « الإخبار بفوائد الأخبار » .

وتسمية الكتب بكلمة « بحر .... » منتشرة في التراث العربي الإسلامي وقد ذكر حاجي خليفة في « كشف الظنون » ما لا يقل عن ثمانية وثلاثين اسمًا لكتب تبدأ بكلمة « بحر » ومنها كتب متقدمة ترجع إلى القرن الرابع الهجري ككتاب « بحر الأوهام » لابن وكيع الشاعر المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، ومنها ما يطلق عليه « بحر الفوائد » مثل : « بحر الفوائد الحرفية وسر الفرائد العددية » و « بحر الفوائد في الحساب » [1] ويبدو أن أصحاب هذه البحور قد قصدوا جمع الفوائد المختلفة في مصنفاتهم ، ومنهم الكلاباذي ، ويلاحظ أن أقدم كتاب ذكر في « كشف الظنون » يبدأ بعبارة « بحر » هو كتاب « بحر الأوهام » لابن وكيع الشاعر المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، ويلاحظ أيضًا أنه متأخر بالنسبة إلى كتاب « بحر الفوائد » للكلاباذي ، فهل يكون الكلاباذي هو أول من صنف كتابًا يسمى « بحر .... » وتبعه المصنفون في هذه التسمية ؟ .

عدد أحاديث الكتاب :

ذكر الزركلي في الأعلام أن عدد أحاديث الكتاب ٥٩٢ حديثًا [2] ، وهذا الكلام مطابق لما ورد في آخر النسخة التي أطلقت عليها لفظة « الأصل » ، حيث قال فيها : (وجملة الأحاديث المروية في هذا الكتاب من أوله إلى آخره مائتان واثنان وعشرون حديثًا مبشرة ، وثلاثمائة وسبعون حديثًا شواهد ، فتكون جملتها خمسمائة واثنان وتسعون حديثًا) [3] ، ولعل ما ذكره الزركلي كان نقلًا من هذا الموضع من هذه النسخة .

ويلاحظ أن الناسخ قد قسم هذا العدد إلى ما أسماه أحاديث مبشرة ، وأخرى

---

(١) كشف الظنون (١/٢٢٣ - ٢٢٧) . (٢) الأعلام (٥/٢٩٥) .

(٣) الأصل لوحة رقم (٣٧٩/ب) .

شواهد ، ويمكن استنتاج أنه يقصد بالأحاديث المبشرة الأحاديث التي رواها المصنف بإسناده وتسبقها عبارة : « حديث آخر » ، حيث إن عددها بالفعل بلغ مائتين واثنين وعشرين حديثًا ، والأحاديث الشواهد التي يقصدها هي بقية الأحاديث التي رواها المصنف بإسناده أيضًا ، إذن فجملة الأحاديث التي ذكرها يعني بها الأحاديث المسندة ، وقد احتوى الكتاب على أحاديث أخر غير مسندة .

علمًا بأنه قد بلغ مجمل ما خرجته ألفًا ومائتين وتسعة وسبعين حديثًا ، المتكرر منها الذي سبق تخريجه وأحلت عليه في الحاشية بقولي : « سبق تخريجه في اللوحة رقم ... » قد بلغ أربعة وثمانين حديثًا ، وهذا العدد الذي ذكرته يشمل الأحاديث والآثار المسندة منها وغير المسندة التي ورد ذكرها في الكتاب .

والجدير بالذكر في هذا الموضع أنه يمكننا الجزم - بناء على ما ذكر - بأن النسخة التي أطلقت عليها الرمز (س) هي نسخة ناقصة ، حيث بلغ فيها عدد الأحاديث التي يسبقها عبارة : « حديث آخر » تسعة وأربعين ومائة حديث فقط ، ومجمل ما ساقه فيها من أحاديث بإسناده بما فيها عبارة : « حديث آخر » بلغ ستة وأربعين وثلاثمائة حديث فقط ، مخالفة بذلك ما ذكر في الأعلام للزركلي ، أو ما ذكر في آخر النسخة الأصل .

ثانيًا : نسخ الكتاب :

يوجد للكتاب النسخ المخطوطة الآتية :

١ - رضا / رامبور (٤٥٨/١) [M 3588 (883)] - (٣٢٤ و) - ق ٦ هـ - ناقص الأحاديث (٢٤ - ٢٢٣)[١] .

٢ - متحف طوبقبو سراي (١٢٩/٢) [A 2612 538] - (٢٧٢ و) - ٦٠٥هـ[٢] ، ٦٠٠ (٢٣٤ ورقة ، القرن الثامن الهجري) ، ٦١٩ (١٥٠ ورقة ، ٧٤٤هـ ، انظر الفهرس (١٢٩/٢ ، ١٣٠)[٣] .

٣ - جاريت (٤١٥) [H 747 (1368)] - (١٦٩ و) - ق ٧ تقريبًا ، وقيل : القرن الثالث عشر الهجري[٤] - ناقصة بعض الأوراق في الوسط والآخر - قطعة[٥] .

---

(١) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) .

(٢) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(٣) تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) . (٤) السابق .

(٥) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) .

٤ - غازي خسرو / سرايیفو (٢٧٥/١) [4094] - (٣٠٤ و) - ق ٨ هـ [١] .

٥ - دار العلوم الإسلامية / بشاور (٦٦/١) [٣٥٤] - ٨٠٣ هـ [٢] .

٦ - البلدية / الإسكندرية (الشندي / الحديث ٧ [٣١٧٩ جـ]) (١ مج - ٢٤٧ ورقة) ١٠١١هـ [٣] .

٧ - الأحمدية / حلب (٧٦) [(٢٧٤) الحديث] - (و ٢٨٢ + ١٨) ضمن مجموع [٤] .

٨ - دار الكتب / القاهرة ثان (٩٢/١) [٨١١] - مخروم الأول [٥] .

٩ - شهيد علي باشا (٣٢) [٣٧٥] - (١ مج - ٢٦٧ و) [٦] .

١٠ - فاتح ٤١ [٦٩٧] - (مج ١ ٣٠٧ و) [٧] .

١١ - فيض الله أفندي (ط) (٦) [٥٢ رقم متسلسل] - (مج ١) [٨] .

١٢ - ولي الدين (٤٦) [٨٤٤] - مج ١ (٣٦٨ و) [٩] .

١٣ - يني جامع (١٤) [٢٧٤] (٣٠٧ ورقة ، القرن التاسع الهجري) . شرحه مجهول بعنوان : « شرح معاني الأخبار » [١٠] .

١٤ - باريس (٥٨٥٥) (٣٩٨ ورقة ٦٩١ هـ ، انظر فايدا ٢٥٣) [١١] .

---

(١) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) .

(٢) السابق .

(٣) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(٤) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ التراث العربي المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(٥) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(٦) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) .

(٧) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(٨) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) .

(٩) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) .

(١٠) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (٢٨٨/١) ، تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(١١) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

١٥ - بريل ، الطبعة الثانية (٧٤٧) [١] .

١٦ - يني (٢٤٧) بعنوان (معاني الأحاديث المصطفوية ومباني الأخبار المجتبوية) [٢] .

١٧ - داماد زاده (٦١٠) (بعنوان بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار) [٣] .

١٨ - القاهرة أول (٢٧٥/١) (بعنوان بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار) [٤] .

١٩ - دمشق العمومية (٢١:٢٤٣) بعنوان (مفتاح معاني الأخبار) [٥] .

٢٠ - راغب (٣١١) (٣٠٠ ورقة ، ١١٢٨هـ) بعنوان (معاني الأحاديث المصطفوية ومباني الأخبار المجتبوية) [٦] .

٢١ - خالص (٤٩٤) ، بعنوان (معاني الأحاديث المصطفوية ومباني الأخبار المجتبوية) [٧] .

٢٢ - جار اللَّه (٩٩٥) (حوالي ١٠٠ ورقة ، ١١١١هـ) ، أسكدار ، خداثي ، هدى حديث ٢٣ ، بعنوان (معاني الأحاديث المصطفوية ومباني الأخبار المجتبوية) [٨] .

٢٣ - مراد ملا (٦١٠) (١٢٨ ، ١٠٥٥هـ) [٩] .

٢٤ - مكتبة جامعة إستانبول (٤٩٤) (١٥١ ورقة ، ١٠٨٣هـ) [١٠] .

٢٥ - الظاهرية ، حديث (٢٤٣) [١١] .

٢٦ - ولي الدين (٧١٨) (٣٢٣ ورقة ، القرن التاسع الهجري) [١٢] .

٢٧ - جورليلي (١٢٨) (حوالي ٣٠٠ ورقة ، القرن الثامن الهجري) [١٣] .

٢٨ - محمد بخاري (١/٩٤) (١ - ٢٠٩ب ، ١١١١هجرية) [١٤] .

٢٩ - قسطموني (١٣٩٨) (٧٨٥هـ) ، انظر : (Oriens 5,45) [١٥] .

٣٠ - جامعة لندن (١٩٠٧٤) [١٦] .

نسخ الكتاب التي اعتمدت عليها في التحقيق :

اعتمدت في تحقيق الكتاب على النسخ الثلاث الآتية :

النسخة الأولى : نسخة قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، والتي تحمل رقم

---

(١) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) . (٢-٥) السابق .

(٦) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(٧) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) .

(٨) تاريخ الأدب العربي (٨١/٤ ، ٨٢) ، تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) .

(٩) تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (١٧٣/٤) . (١٠-١٦) السابق .

(حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤) ، وعنوانها « بحر الفوائد » .

النسخة الثانية : نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية وهي : (حديث ٣١٧٩ جـ) ، وعنوانها « بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار » .

النسخة الثالثة : نسخة معهد المخطوطات العربية والتي تحمل رقم (٤٧٩) وعنوانها « معاني الأخبار في الحديث » .

وهذا تفصيل ذلك :

النسخة الأولى : نسخة قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، والتي تحمل رقم (حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤) .

وقد اخترت هذه النسخة لأجعلها النسخة الأم من بين ثلاث نسخ متوافرة بقسم المخطوطات وهي :

أ - حديث ٢٣٤٦ رقم الميكروفيلم ١٢٣٥٥ .

ب - حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤ .

ج - حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٤٧٤ .

لأنني وجدت أنها أصل واحد وهو النسخة الثانية (حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤) ، ونسختان منه ، هما (حديث ٢٣٤٦ رقم الميكروفيلم ١٢٣٥٥) و(حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٤٧٤) ، فالنسخة الأولى (حديث ٢٣٤٦ رقم الميكروفيلم ١٢٣٥٥) تم نسخها من النسخة الثانية (حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤) ، والنسخة الثالثة (حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٤٧٤) هي صورة ضوئية من النسخة الثانية (حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤) . وعلى هذا اعتبرت أن النسخه المتوافرة التي يمكن الاعتماد عليها من دار الكتب المصرية هي نسخة واحدة ، وهي النسخة الثانية التي تحمل رقم (حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤) ، ووصف هذه النسخة كالآتي :

وصف النسخة : النسخة حالتها جيدة ، إلا أن بها آثار عرق وبقع ترميم ، كتبت بخط رديء لكنه واضح ومقروء ، كتبها إبراهيم بن علي بن أحمد بن إبراهيم ، وانتهى من كتابتها في رابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية ، وعدد أوراقها ٣٨٠ ورقة ، وعدد أسطرها ١٧ سطرًا ، ومقاسها (٢٧,٨ × ١٩,٧ سم) ، عليها غلاف واضح ، واسم الكتاب كما هو مدون بالغلاف « بحر الفوائد » ، واسم

المؤلف « الشيخ أبي بكر محمد الكلاباذي » ، وعلى النسخة وقف للسلطان الملك الأشرف ، وتبدأ بسماعات تصل إلى ثمانية ، وقد ذكر متحملها أنه لولا الملال لأكثر من ذكر السماعات ، ويوجد بها سقط من نهاية اللوحة (١٠٩/أ) ، أتممته عند التحقيق من سبع لوحات من نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية ، وسقط آخر من نهاية اللوحة (١٢٩/أ) ، أتممته أيضًا من سبع لوحات أخرى من نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية ، وسقط ثالث من نهاية اللوحة (٢٣٠/أ) أتممته من ثماني لوحات من نسخة المدرسة الأحمدية بحلب .

تعليقات الهامش قليلة ، لا تعدو أن تكون تصحيحًا أو إثبات سقط يشير إليها بالرمز (صـح) ، أو ذكر بعض الفروق في نسخة أخرى لم يشر إليها الناسخ إلا بالرمز (خ) ، أو بعض التعليقات النادرة جدًّا باللغة الفارسية ، وقد تدخل متحمل النسخة وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين السعدي في نهاية بعض الأحاديث بذكر بعض الأشعار ، أو نادرًا ببعض التعليقات ، وفي كل مرة يتدخل فيها يقول : « قال أبو الحسن أحسن اللّٰه إليه » ، ثم يذكر تدخله ، حرصًا منه على تمييز كلام المصنف من تعليقه، وقد وجدت أحيانًا بعض الإدراج القليل في بعض الأحاديث لم أجده في النسختين الأخريين ، وظني أنه تدخل من أبي الحسن ويؤكد تدخله خلو النسختين الأخريين من هذه التدخلات .

وتوجد بعض التعليقات في الركن الأعلى من الصفحة اليسرى من اللوحة تتكرر كل عشر لوحات ، والتعليق عبارة عن ذكر رقم الكراسة التي منها الجزء المذكور من الكتاب ، ويظهر من ذلك أن المصنف قسم كتابه إلى كراسات ، والسقط الذي ذكرته من قبل عبارة عن ثلاث كراسات منها ، وتنتهي هذه النسخة بإثبات عدد الأحاديث المروية في الكتاب من أوله إلى آخره ، وعددها كما ذكر الناسخ مائتان واثنان وعشرون حديثًا مبشرة ، وثلاثمائة وسبعون حديثًا شواهد ، فتكون جملتها خمسمائة واثنان وتسعون حديثًا ، إلا أنني بعد الإحصاء الذي أجريته على عدد الأحاديث المبشرة التي ذكرها وهي التي تسبق بعبارة حديث آخر وجدتها مائتين وتسعة عشر حديثًا فقط ، والأحاديث الثلاثة الباقية التي تتمم العدد الذي ذكره المصنف وجدتها موجودة ضمن شروح الأحاديث السابقة لها ، وقد سبقت هذه الأحاديث الثلاثة بعبارة حديث آخر في النسختين الأخريين ، فأضفت عبارة حديث آخر قبل هذه الأحاديث ، ونبهت على ذلك في الحاشية .

وفي نهاية النسخة أيضًا إثبات إتمام النسخة ، وإثبات اسم ناسخها وهو إبراهيم بن

علي بن أحمد بن إبراهيم ، وإثبات تاريخ الانتهاء من نسخها وهو رابع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية .

فاتحة المخطوط : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله بجميع محامده لجميع آلائه ونعمائه ، والسلام والتحية والإكرام على سيد المرسلين خاتم النبيين ، وآله الطيبين ، وعلى جميع أصحابه من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، من أهل السموات وأهل الأرضين ، وغيرهم كلهم أجمعين ، وعلى جميع الصحابة والخلفاء الراشدين ، والتابعين ، وتبع التابعين ، والصالحين ، وعلماء الدين ، والشهداء ، والفقهاء ، والمتعلمين ، وجميع المسلمين والمؤمنين ، من الجنة والناس أجمعين ، في كل لحظة ولمحة وخطرة ، من أزل الأزل ، إلى أبد الآبدين . يقول العبد الضعيف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين السعدي : ...

خاتمة المخطوط : قوله في حديث الحماني : « **لو أنكم تكونون كما أنتم عندي** » يجوز أن يكون معناه تكونون عندي على خلاف ما أنتم عليه ، والذي أنتم عليه ليس لكم بحال ، ولهذا الكلام شرح طويل ، ليس هذا موضعه ، وقد وهم في هذا المعنى قوم لهم أخطار ، والخطأ فيه ليس بهين ولا بقليل ، والله يوفق من يشاء ، ويفتح على من يريد ، وهو الحميد المجيد (ن) . وصلَّى الله على سيد الأولين والآخرين ، وخاتم النبيين ، وحبيب رب العالمين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليمًا كثيرًا ، والحمد لله على ما ألهم من الصواب ، وأستغفر الله من الخطأ يوم الحساب ، والحمد لله رب العالمين ، وجملة الأحاديث المروية في هذا الكتاب من أوله إلى آخره مائتان واثنان وعشرون حديثًا مبشرة ، وثلاثمائة وسبعون حديثًا شواهد ، فتكون جملتها خمسمائة واثنان وتسعون حديثًا . وقد تم كتاب معاني الأخبار ، تصنيف الشيخ الإمام الأجل الزاهد العارف ناصر الشريعة محيي السنة ماحي البدعة محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، على يد العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير أحوج خلق الله إلى رحمة ربه الكريم إبراهيم بن علي بن أحمد بن إبراهيم ، تاب الله عليه ، وتولاه ، وجعل عقباه خيرًا من أولاه ، بالديار المصرية بالخانقاه المعمورة الملكية الناصرية ، خلد الله ملك واقفها ، في رابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على شفيع المذنبين ، وقائد الغر المحجلين ، محمد وآله وصحبه أجمعين .

النسخة الثانية : نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية وهي : (حديث ٣١٧٩ جـ) .

وهي تختلف عن نسخة دار الكتب المصرية من حيث عدد أوراقها وتاريخها وخطها وترتيب بعض الأحاديث فيها ، وتمامها في بعض المواضع التي يناظرها سقط من نسخة دار الكتب فاعتبرتها نسخة ثانية يعتمد عليها في العمل . ووصفها كالآتي :

وصف النسخة : النسخة حالتها جيدة ، كتبت بخط فارسي ، كتبها مرتضى بن يوسف بن محمد بن علي البلوي المدرس ، وانتهى من كتابتها في أواخر شهر صفر المظفر من شهور سنة (١٠١١هـ) ، وعدد أوراقها ١٥١ ورقة ، وعدد أسطرها ٢١ سطرًا ، ومقاسها (١٥ × ٢٢ سم) ، عليها غلاف تظهر عليه بوضوح بيانات النسخة ، واسم الكتاب كما هو مدون بالغلاف « بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار » ، واسم المؤلف « أبو بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري المتوفى سنة ٣٨٠هـ » ، وتبدأ النسخة بملحق في ورقتين عبارة عن فهرسة للأحاديث الواردة في هذا الجزء من الكتاب ، قد غاب من التصوير النصف الأسفل من الورقة الأولى اليمنى ، ثم يبدأ بعدهما الكتاب بدون سماعات أو توقيفات أو غيره ، ولكنها تنتهي بإثبات تملك النسخة لمالكها محمد بن محمد الكتبي ، وإثبات اسم ناسخها وتاريخ الانتهاء من نسخها ، وبالنسخة بعض التعليقات من الناسخ تدور حول شرح بعض الكلمات تبين لي أنها من مختار الصحاح للرازي ، ودائمًا يشير لها بالحرف « ص » ، وتوضيح بعض الأنساب تبين لي أنها من كتاب الأنساب للسمعاني ويشير لها بكلمة « أنساب » ، وذكر بعض النقول التوضيحية من بعض الكتب الأخرى ويذكر اسم الكتاب الذي نقل منه مثل « أصول أربعين » ، وبها إثبات بعض السقط ويشير له بالرمز (صـح) ، والنسخة كثيرة الأخطاء الإملائية ، تصل في بعض الأحيان إلى إحالة المعنى تمامًا ، وعلى سبيل المثال ففي اللوحة (٢٥/أ) وفي الحديث : « قال رجل للنبي ﷺ : إني لأحبك » نراه قد رسم الكلمة هكذا « لا أحبك » وتكرر ذلك منه في أكثر من موضع ، وفي اللوحة (٤٦/أ) وبدلًا من رسم كلمة « لأبويك » على شكلها الوارد في الحديث « فهل أنت شافع لأبويك » تراه يرسم الكلمة هكذا « لأبو بكر » ، وهذه النسخة لا تمثل الكتاب كاملًا ، وإنما تمثل نصفه تقريبًا ، وذلك على الرغم من قول الناسخ في نهايتها « تم الكتاب الشريف » ؛ إذ إنه اقتصر على نصف الأحاديث الواردة في النسختين الأخريين تقريبًا .

فاتحة المخطوط : بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، رب وفقني على إتمامه فإني عاجز عنه إلا بتوفيقك ، قال الشيخ الإمام الزاهد العارف أبو بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي

البخاري رحمه الله : حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن مردك ، قال : ح محمد بن عيسى الطرسوسي ، قال : حدثني يحيى بن معين وعلي بن بحر قالا : حدثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الله بن سليمان النوفلي ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أحبوا الله لما أردفكم به من نعمه ...** » .

خاتمة المخطوط : وأما الذي قلناه فإن هذا الظالم لم تحبط أعماله ، بل أسقطت حسناته عند عقوبات كثيرة ، ألا ترى أنه اقتص منه فوفت حسناته بجناياته ، أو نقصت جناياته وزادت حسناته دخل الجنة ، وإن زادت جناياته فإنما يعاقب في النار بقدر ما زاد من جناياته ، فتكون عقوبته أخف ، ومدة لبثه في النار أقل ، ولولا حسناته لطال لبثه في النار ، واشتدت عقوبته فيها ، والله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا . تم الكتاب الشريف والله يقول الحق ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، والأمر كله لله ، واتفق الفراغ من كتابة شرح الأحاديث الشريفة لبيان أحكام الإمكان والوجوب في أول وقت الظهر في أواخر شهر صفر المظفر من شهور سنة إحدى عشر وألف ، على يد عبد الضعيف النحيف المحتاج إلى رحمة الله الفقير مرتضى بن يوسف بن محمد بن علي البلوي المدرس ، أحسن الله تعالى خاتمته ، حامدًا الله تعالى ، ومصليًا على نبيه محمد ، وآله أجمعين ، والله المستعان ، وعليه التكلان (م) . من كتب عبد الله ، الراجي عفو الله ، محمد بن محمد الكتبي ، عفا الله عنهما .

النسخة الثالثة : نسخة معهد المخطوطات العربية والتي تحمل رقم (٤٧٩) وعنوانها « معاني الأخبار في الحديث » .

يوجد بمعهد المخطوطات العربية نسختان :

أولاهما : تحمل عنوان « بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار » وهي مدونة في فهرس المخطوطات المصورة بالمعهد تحت رقم (١٠٢) ، وهذه النسخة مصورة عن نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية والتي تحمل رقم (حديث ٣١٧٩ جـ) ، وهي النسخة الثانية التي اعتمدت عليها في التحقيق .

ثانيتهما : النسخة المدونة في الفهرس تحت رقم (٤٧٩) بعنوان « معاني الأخبار في الحديث » ، وهي نسخة تامة ، تختلف عن النسخ السابقة خطًا ، ولا يوجد عليها أو بداخلها ما يشير إلى أنها منسوخة مما سبق ذكره ، وتختلف مكانًا ؛ إذ إن محلها حلب بسوريا ، وهي تتفق مع نسخة المكتبة البلدية في زمن النسخ وهو القرن الحادي

عشر الهجري ، فاعتبرتها نسخة ثالثة . ووصفها كالآتي :

وصف النسخة : حالة النسخة جيدة ، لكن تصويرها رديء غير مقروء في بعض لوحاتها وتصل إلى عشر لوحات تقريبًا من مجمل العدد ، وبها آثار عرق وبقع ترميم ، كتبت بخط نسخ مقروء ، غير مدون فيها اسم ناسخها ، ولا زمن الانتهاء من نسخها ، وعدد أوراقها ٢٨٣ ورقة ، وعدد أسطرها ٢٣ سطرًا ، ومقاسها (٢٧ × ١٨ سم) ، غلافها غير واضح ، ومن فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية مع الغلاف غير الوضح يمكن الكشف عن محتواه كالآتي : اسم الكتاب على الغلاف « معاني الأخبار في الحديث » ، واسم المؤلف على الغلاف « أبو بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي » ، وتاريخ نسخها القرن الحادي عشر . وملحق ببداية النسخة فهرس لأحاديث وآثار وحكايات وأشعار الكتاب ، عدد أوراقه ١٧ ورقة ، صنعه أبو عبد الله محمد ، سماه « مفاتيح معاني الأخبار » ، والنسخة عليها وقف مدرسة الأحمدية بمدينة حلب ، في هامشها تعليقات كثيرة أغلبها من الناسخ ، وهي عبارة عن ضبط بعض الأنساب ، تبين لي أنها من كتاب الأنساب للسمعاني ، وشرح لبعض ألفاظ الأحاديث ، تبين لي أنها من كتاب النهاية في غريب الحديث ، وبها بعض السقط الذي يذكره في الهامش ويشير إليه بالرمز (صح) ، أو بعض الاختلافات عن نسخة أخرى أشار لها بالرمز (خ) ، وبعض التعليقات من الناسخ على بعض الأحاديث مثل حديث : « **لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم** » فقد لاحظ الناسخ أن المصنف قد شرح : « **ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد** » ولم يشرح الشق الثاني من الحديث فسجل تعليقه عليه في الهامش ، ويوجد أيضًا في الهامش تبويب لموضوعات الكتاب تحت عنوان « مطلب في كذا » وترتيب الأحاديث فيها يختلف في بعض الأحاديث عن نسخة دار الكتب المصرية ونسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية ، ويوجد في هامشها أيضًا بعض التعليقات النادرة بالفارسية ، والنسخة نادرة الأخطاء في الآيات القرآنية .

فاتحة المخطوط : بسم الله الرحمن الرحيم ، رب تمم بالخير ، قال الشيخ الإمام الزاهد العارف أبو بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري رحمة الله عليه : حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن مردك ، حدثنا محمد بن عيسى الطرسوسي ، حدثنا يحيى بن معين وعلي بن بحر قالا : حدثنا هشام بن يوسف ، عن عبد الله بن سليمان النوفلي ، عن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه علي ، عن جده ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أحبوا الله لما [ ]**[1] **به من نعمه ...** » .

---

(١) بياض بهذا الموضع من النسخة .

خاتمة المخطوط : قوله في حديث الحماني : « **لو أنكم تكونون كما أنتم عندي** » يجوز أن يكون معناه تكونون عندي على خلاف ما أنتم عليه ، والذي أنتم عليه ليس لكم بحال ، ولهذا الكلام شرح طويل ، ليس هذا موضعه ، وقد وهم في هذا المعنى قوم لهم أخطار ، والخطأ فيه ليس بهين ولا بقليل ، والله يوفق من يشاء ، ويفتح على من يريد ، وهو الحميد المجيد ، والحمد لله على ما ألهم من الصواب ، وأستغفر الله من الخطأ والزلل وما يوجب العقاب ، وقد تم الكتاب .

ترتيب منازل النسخ :

بالمقارنة بين النسخ الثلاث وجدت أن نسخة دار الكتب التي تحمل رقم (حديث ٨١١ رقم الميكروفيلم ٣٦٧٠٤) :

١ - أقدم ؛ حيث إنه تم نسخها سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية - كما ذكر في نهاية النسخة - بينما تم نسخ نسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية سنة إحدى عشرة وألف هجرية - كما ذكر في نهاية النسخة أيضًا ، وتم نسخ الثالثة في القرن الحادي عشر الهجري بدون تحديد سنة معينة كما في فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية ، ولا يوجد بداخلها ما يشير لزمن نسخها .

٢ - وأوفى ؛ حيث إن عدد أحاديثها ضعف الأحاديث الواردة بنسخة المكتبة البلدية بالإسكندرية تقريبًا ، ومساوية لعدد أحاديث النسخة الثالثة .

٣ - وأوثق ؛ حيث إنه قد ذكرت سماعات توثق النسخة في بدايتها ، بخلاف نسخة المكتبة البلدية التي بدأت بالحديث الأول مباشرة ، ومثلها النسخة الثالثة .

ولهذا اعتبرت نسخة دار الكتب هي النسخة الأم وأطلقت عليها لفظ (الأصل) باعتبارها الأقدم والأوفى والأوثق ، ورمزت لنسخة المكتبة البلدية بـ (س) إشارة إلى مكانها وهو الإسكندرية ، ورمزت للثالثة بـ (خ) إشارة لمكانها وهو معهد المخطوطات العربية .

ومن الجدير بالذكر أنني قد استأنست بالنسخة رقم (حديث ٢٣٤٦ رقم الميكروفيلم ١٢٣٥٥) ومحلها دار الكتب المصرية وذلك عند نسخي للأصل في توضيح بعض الكلمات به ؛ حيث إن النسخة المشار إليها مكتوبة بخط نسخ واضح ، ولم يسلم ناسخها من الوقوع في أخطاء أعرضت عن ذكرها ؛ لأن النسخة غير معتمدة لكونها منسوخة من الأصل .

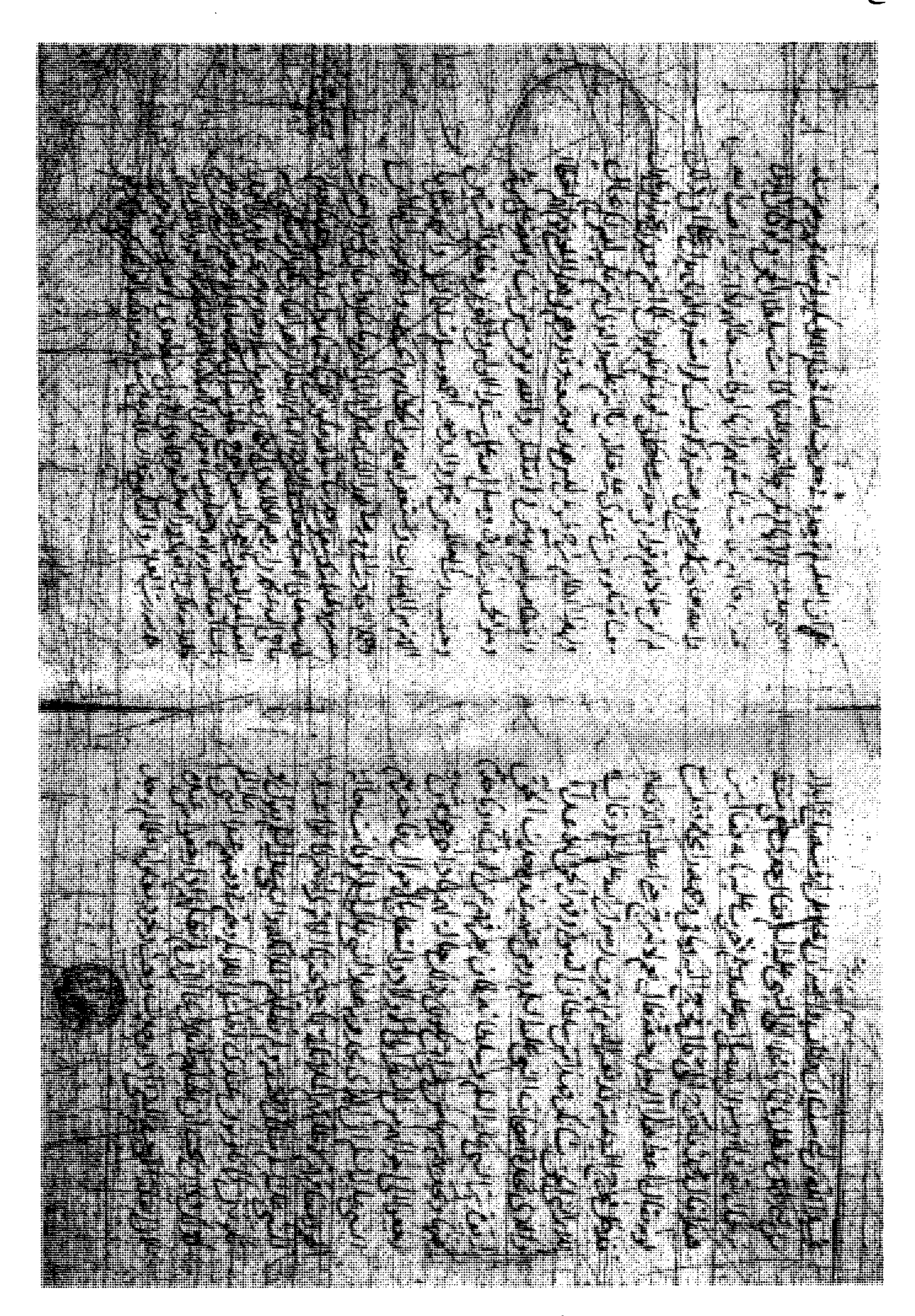
وفيما يلي صور المخطوطات التي استخدمتها :



صفحة التملكات من مخطوطة الأصل



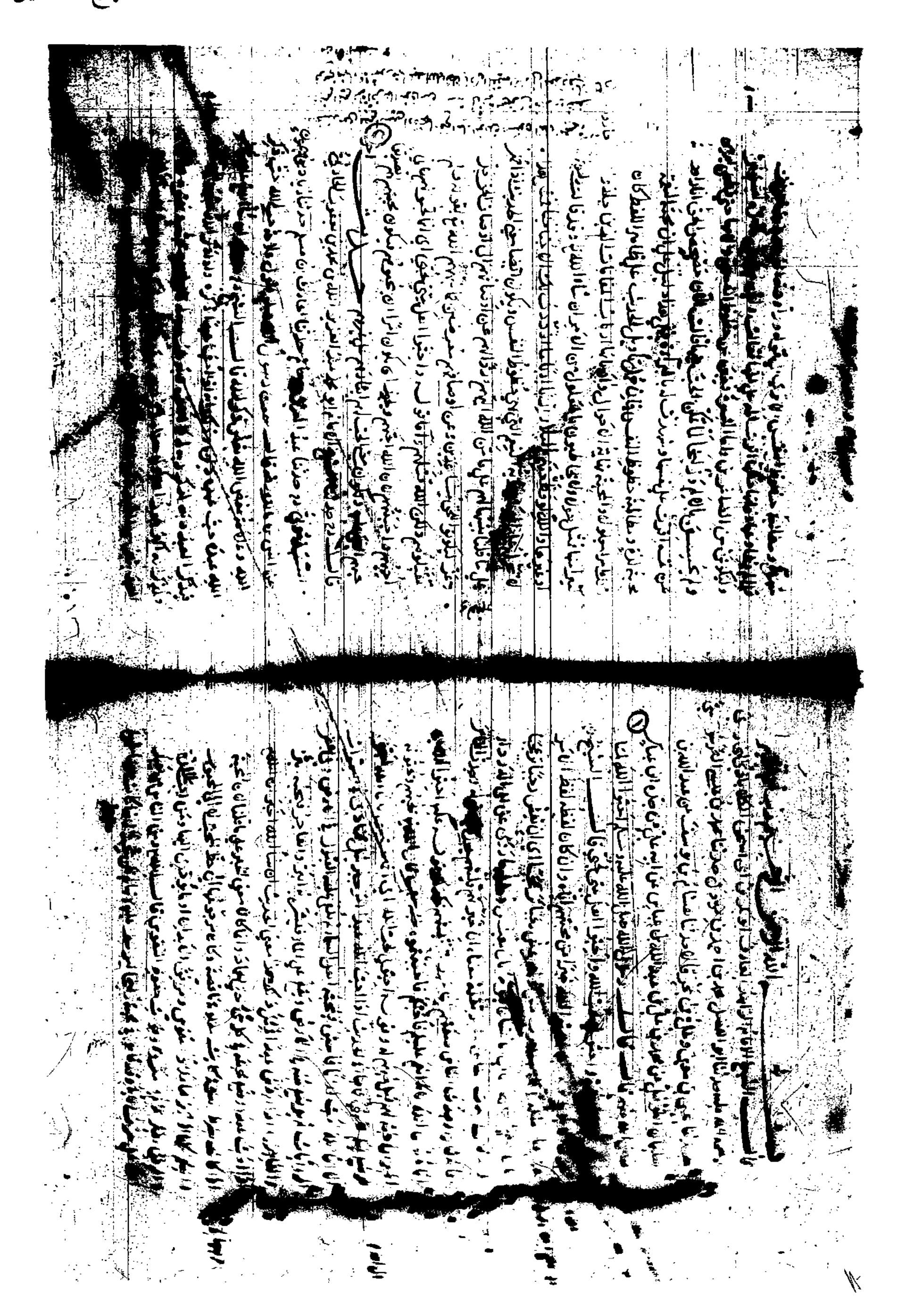
الصفحة الأولى من مخطوطة الأصل



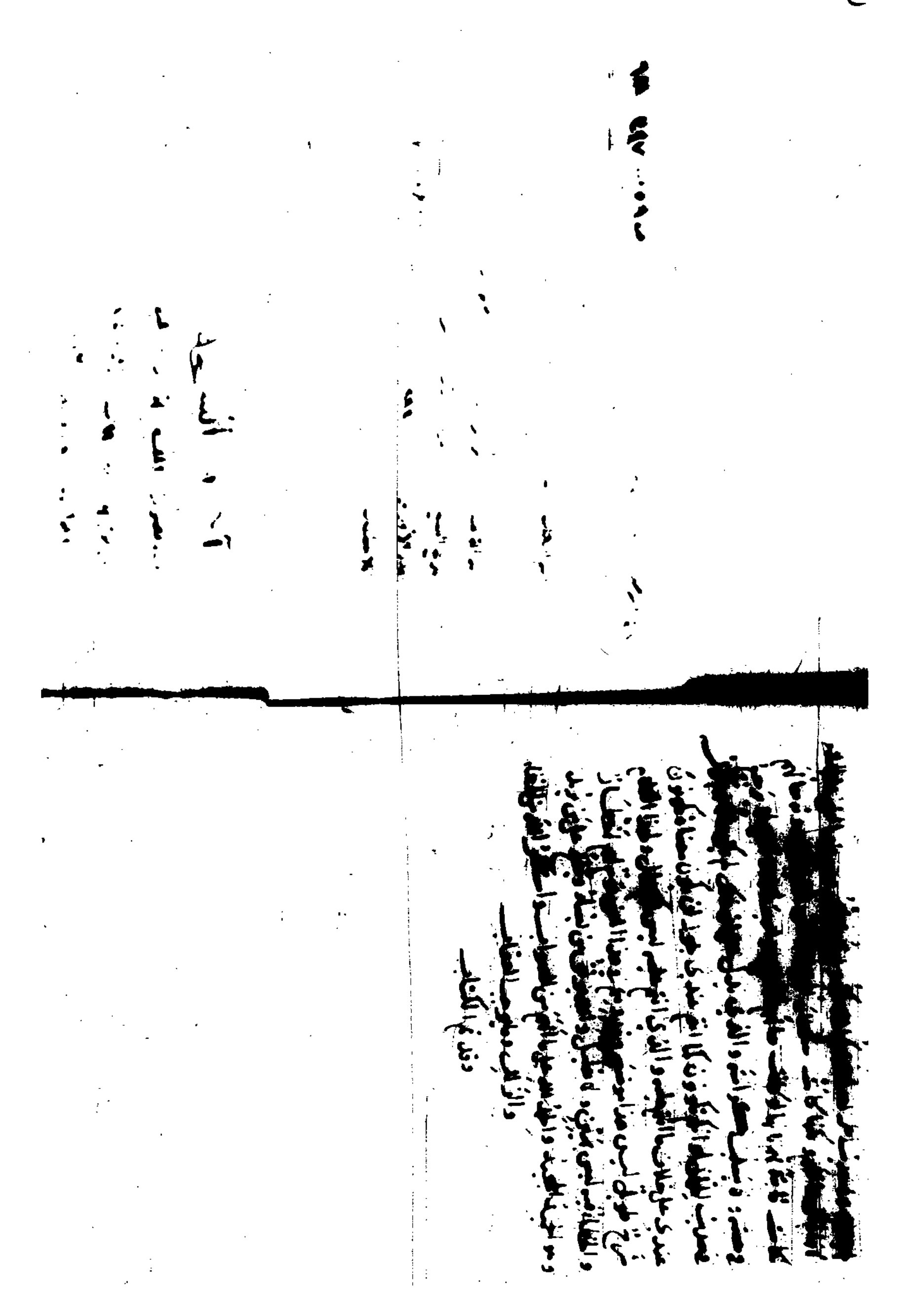
الصفحة الأخيرة من مخطوطة الأصل

الصفحة الأولى من مخطوطة (س)

الصفحة الأخيرة من مخطوطة (س)



الصفحة الأولى من مخطوطة (خ)



الصفحة الأخيرة من مخطوطة (خ)

ثالثًا : منهج التحقيق :

١ - مقابلة النسخ ببعضها ، ونبهت على ما فيها من الزيادة أو النقصان أو الاختلاف ، وأشرت إلى ذلك في الهامش ، وقد نسبت الزيادة أو النقص إلى الأصل .

٢ - بالنسبة لصيغ تحمل الأحاديث فقد ذكرت في البداية الفروق بين النسخ الثلاث في استعمال هذه الصيغ ، وذلك للوقوف على طبيعة صيغ التحمل في كل نسخة ، ثم أهملت ذكر ذلك في باقي الكتاب ؛ لكونه مكررًا .

٣ - تقويم النص بإتمام بعض عباراته ، وإتمام السقط بما يتفق مع السياق ، ونبهت على ذلك في الهامش ، ووضعت ذلك بين قوسين للتوثيق .

٤ - أما بالنسبة للأحاديث التي حدث بها سقط أو تصحيف نبهت على موضع السقط أو التصحيف في الحاشية ولم أثبته في المتن لاحتمالية أن يكون المصنف قد تحمل الحديث كما ورد في نسخة الأصل ، ومن ذلك ما ورد من سقط في متن الحديث رقم [٣٨٤] « **إذا أدخل الموحدين النار أماتهم فيها** » حيث وردت كلمة الموحدين منصوبة ، وإذا سلمنا بكون المتن صحيحًا كان الصواب في الكلمة « الموحدون » على أنها نائب عن الفاعل ، وبالرجوع إلى روايات الحديث المختلفة تبين أن بالحديث سقطًا ، وتمامه كما ورد في إحدى الروايات : « **إذا أدخل اللّٰه الموحدين النار** » ، وفي الحديث رقم [٣٧٩] وقع في متنه العبارة الآتية : « **ومِنْ سُوءِ المسِيحِ الدَّجَّالِ** » والحديث أخرجه المصنف بإسناده إلى الترمذي ، وقد وقعت عند الترمذي : « **ومن شر فتنة المسيح الدجال** » وكلمتا (سوء) الواردة في إسناد المصنف و (شر) الواردة عند الترمذي متقاربتان في الشكل ، بحيث يمكن القول بحدوث التصحيف ، وفي الحديث رقم [٤٠٥] « **إذا وقع الذباب في الإناء فاغمسوه كله ، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر دواء** » ، فقوله : (دواء) خطأ والصواب (داء) فنبهت على ذلك في الحاشية مع ذكر الرواية التي نبهت من خلالها على السقط .

٥ - بالنسبة للسقط الوارد في الآيات فقد أثبته في صلب النص بين معكوفين ، ونبهت عليه في الحاشية .

٦ - التنبيه على أسماء الرواة التي وقع بها التصحيف أو السقط ، ومثال ذلك : التصحيف الوارد في الحديث رقم [٣] في اسم أبي مسعود الزجاج ، حيث ذُكِرَ أن اسمه عبد الرحمن بن الحسين ، وبمراجعة كتب التراجم تبين أن الصواب في اسمه

عبد الرحمن بن الحسن ، وفي نفس الحديث حدث تصحيف في اسم سهيل بن أبي صالح ، حيث ذكر المصنف أن اسمه سهل ، ووقع في النسخة (س) سهيل ، وبمراجعة كتب التراجم تبين أن ما في (س) هو الصواب ، وفي الحديث رقم [١٨] ورد تصحيف في اسم الراوي حيث قال المصنف : (عن عمرو بن عمرو) ووقع في النسخة (س) (عن عمرو بن أبي عمرو) وبمراجعة كتب التراجم تبين أن ما في (س) هو الصواب ، وفي الحديث رقم [٥٥] وقع في إسناد المصنف (قال : ح سكين بن سراج) وبالرجوع لكتب التراجم وجدت أن الصواب في اسمه (سكين بن أبي سراج) ، وفي إسناد الحديث رقم [٤٢٨] يقول المصنف : (عن الحارث بن جميلة) والصواب (عن الحارث بن أبي جميلة) ، وفي إسناد الحديث رقم [٤٤١] يقول : (عن ربعي بن خراش ، عن ابن مسعود) والصواب (عن أبي مسعود) ، وفي إسناد الحديث رقم [٥٢٦] وقع في الإسناد (ح حارث بن ميمون الأنصاري) وكلمة حارث خطأ والصواب (حرب بن ميمون) ، وفي إسناد الحديث رقم [٥٢٢] وقع في إسناده (عن محمد بن سعد أبي طيبة ، عن المقداد بن الأسود) وهو تصحيف على الرغم من وروده في الأصل و (س) هكذا والصواب عن محمد بن سعد عن أبي ظبية ؛ لأن محمدًا بن سعد وهو الأنصاري الشامي يروي عن أبي ظبية الكلاعي عن المقداد بن الأسود ، فنبهت على الصواب في ذلك كله في الحاشية مع ذكر المصدر الذي رجعت إليه .

٧ - التنبيه على الأخطاء النحوية الموجودة مثل قول المصنف في شرح الحديث رقم [٥٣] : (ويجوز أن يكون أكثر السعداء مبتلون بهذا التعب) والصواب (مبتلين) ؛ لأنها خبر للفعل يكون ، وفي إسناد الحديث رقم [٧٥] وقع في الإسناد قول المصنف : (أنه سمع دراج أبا السمح) فقد منع صرف كلمة (دراج) بدون داع ، وكان الصواب أن يقول : (دراجًا) ، وفي شرح الحديث رقم [١٩٩] يقول المصنف : (يمنعوني فلا أقتل) بحذف نون الفعل المضارع مع أنه لم يسبق بناصب أو جازم ، والصواب : (يمنعونني) ، وفي ثنايا شرح الحديث رقم [٢٤٠] يقول المصنف : (فمتى حسن إسلام المرء حسن تسليم نفسه إلى اللّٰه غير ملتوي ولا متربص) بإثبات الياء في كلمة (ملتوي) ، والصواب حذفها ، وقد تكرر مثل هذا الخطأ كثيرًا ، وفي الحديث رقم [٢٨٩] « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت** » بإثبات الياء في كلمة (تستحي) وحقها الحذف لكونها سبقت بجازم ، وفي شرح الحديث رقم [٤٦٤] يقول المصنف : (وأخبر أنه يحب أُحُدَ) بمنع كلمة (أحد) من

الصرف ، والصواب صرفها ، وغير ذلك من الأخطاء التي نبهت عليها في الحاشية مبينًا الصواب في كل منها .

٨ - التنبيه على الأخطاء الإملائية ، ومثال ذلك : ما ورد في شرح الحديث رقم [٣٧٨] في قول المصنف : (والآخر من جهة الاستثناء اللّه بقوله) والصواب حذف أل من كلمة الاستثناء .

٩ - التنبيه على الأخطاء الواردة في الأشعار ، ومثال ذلك ما ذكر في نهاية الحديث رقم [١٧] حيث يقول :

حب الإله فريضة ولكنما حب النبي المصطفى مصداقه

والصواب في كلمة (ولكنما) حذف الواو ؛ لأن وجودها يكسر الوزن .

١٠ - تخريج الأشعار التي أوردها المصنف في الكتاب ما أمكنني ذلك ، مثال ذلك : ما ورد قبل الحديث رقم [٩٥١] والقائل :

ففي عروة العذري إن مت أسوة وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

بالبحث عنه وجدته في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني منسوبًا إلى ابن سريج وإلى ابن طنبورة عن الهشامي ، فبينت ذلك في الحاشية .

١١ - شرح المفردات اللغوية التي قد تكون في حاجة إلى التوضيح للقارئ من مظانها المعتمدة مثل لسان العرب ، وذلك مثل قول المصنف في سياق شرح الحديث رقم [٣٢٠] يقول المصنف : (فالشح ينبئ عن الكزازة والامتناع) وبالرجوع إلى لسان العرب في مادة (كزز) تبين أن معنى كلمة (الكزازة) اليبس والانقباض . وفي سياق شرح الحديث رقم [٣٩٣] يقول المصنف : (فهِجِّيرَى التواب أستغفر اللّه ، وهجيرى الأواب الحمد للّه ، وهجيرى المنيب لا إله إلا اللّه) وبالرجوع إلى لسان العرب في مادة (هجر) تبين أن كلمة (هجيرى) معناها الدأب والعادة والديدن . واستطعت أيضًا ضبط الكلمة .

١٢ - شرح غريب الحديث من كتب غريب الحديث ، واعتمدت في ذلك على كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير أو كتب غريب الحديث الأخرى كالغريب لابن قتيبة أو الخطابي أو ابن سلام ، وإلا فمن المعاجم اللغوية كلسان العرب . وأحيانًا جمعت بين معنى الكلمة من النهاية في غريب الحديث ومن لسان العرب لفائدة زائدة ، ككلمة (أرفدكم) الواردة في الحديث الأول ، حيث ذكر ابن الأثير أن معناها الإعانة ، وذكر في لسان العرب أن معناها العطاء والصلة ، وهي زيادة مفيدة .

١٣ - شرح المصطلحات الصوفية التي وردت في المخطوط بالاستعانة بكتاب « معجم اصطلاحات الصوفية » للكاشاني ، وكتاب « عوارف المعارف » للسهروردي ، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي . وذلك مثل الحال ، والمقام ، والمشاهدة ، والمريد ، والمكاشفة ، والخلة ، والمحبة ، وغيرها من المصطلحات الواردة في الكتاب .

١٤ - توضيح بعض العبارات التي يكتنفها الغموض ، والعمل على تقريبها بأسلوب قريب . وذلك مثل قول المصنف : (إذ علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه) في العبارة الآتية الواردة في شرح الحديث الثاني : (وقال تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] يجوز أن يكون معناه ذكر اللّٰه عبده أكبر من ذكر العبد اللّٰه تعالى ؛ لأن ذكر اللّٰه للعبد يثير من العبد ذكره للّٰه ؛ إذ علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه) فذكرت أنه يشير بذلك إلى أنه تعالى : قد جعل تذكرهم له سبحانه معلولًا بتذكره لهم ، ولكن تذكره ﷻ لهم ليس له علة ؛ لأن أفعاله سبحانه لا تعلل .

١٥ - الترجمة للأعلام الواردة التي اقتضت الحاجة الترجمة لها ترجمة موجزة في الهامش بالاستعانة بكتب التراجم كسير أعلام النبلاء للذهبي والأعلام للزركلي وغيرها ، أما الرواة فلم أترجم إلا للراوي الضعيف فقط .

١٦ - ضبط وتخريج الآيات القرآنية .

١٧ - ضبط الأحاديث بالشكل اعتمادًا على الكتب المشكولة مثل « صحيح البخاري » وغيره ، فإن لم أجد اللفظة فيها ضبطتها من « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير أو المعاجم اللغوية كـ « لسان العرب » .

١٨ - ضبط الأنساب مستعينًا في ذلك بكتاب « الأنساب » للسمعاني ؛ وذكرت ضبط النسب في الحاشية عند أول ذكر لصاحبه ، مع فائدة مختصرة عنه إن وجدت ، وقد قمت بضبط نسب من تأكدت من نسبه بأن كان للكلمة نسب واحد ، أو كان للكلمة أكثر من نسب لكن الراوي قد ذكر في أحدها ، وما اشتبهت فيه النسبة كأن كان للكلمة أكثر من ضبط ولم يذكر الراوي في أحدها تركت ضبطه ، ومثال ذلك : النواس بن سمعان الكلابي ، فكلمة (الكلابي) ورد في ضبطها شكلان هما (الكُلَّابِيُّ) بضم الكاف واللام ألف المشددة وفي آخرها الباء الموحدة ، وورد في ضبطها أيضًا (الكِلَابِيُّ) بكسر الكاف بعدها اللام ألف وفي آخرها الباء الموحدة ، ولم يُذكر النواس ابن سمعان في أحدهما ، فتركت ضبط نسبه . ومثله أيضًا قريش بن حبان العجلي ،

ورد في ضبط (العجلي) شكلان ؛ هما (العَجَلِيّ) بفتح العين المهملة والجيم ، وورد أيضًا (العِجْلِيّ) بكسر العين المهملة ، وسكون الجيم . ولم يتبين لي في كلا الموضعين من أيهما الراوي ؛ فتركت ضبط نسبه ، وتركت أيضًا ضبط النسب الذي لم يضبطه السمعاني ، ومثال ذلك (الجوزجاني) .

١٩ - ترقيم المخطوط بعلامات الترقيم المناسبة ، حيث إن كلمات المخطوط مرصوصة رصًّا متجاورًا ، لا فرجة بينها ، ولا نهاية لجملها ، ولا فواصل مما نشأ عنه تداخل أجزاء الجمل بعضها من بعض ، واضطراب المعاني نتيجة لهذا الخلط وهذا التداخل ، فلا يستطيع القارئ للمخطوطة أن يميز الآيات من غيرها من الكلام فلا توجد إشارة لبداية الآية أو نهايتها ، وما ينطبق على الآيات ينطبق على الأحاديث والآثار والأقوال وغيرها ؛ كل ذلك لأن الشكل لم يكن شائعًا كما هو عليه الآن ، فقمت بفصل وتمييز الآيات والأحاديث والشروح والأشعار وغيرها ، واجتهدت في تقسيم الكلام إلى فقرات قدر الإمكان ، نظرًا لكبر حجم الكتاب .

٢٠ - ترقيم الأحاديث ترقيمًا متتاليًا .

٢١ - كل حديث سبق بعبارة : « حديث آخر » قمت بوضع عنوان له ، على اعتبار أن المصنف يقصد بهذه العبارة التبويب لموضوع جديد ؛ لذلك وضعت قبل العنوان كلمة « باب في كذا » .

٢٢ - وضع شرطة مائلة وبمحاذاتها على جانب الصفحة الأيسر وضعت رقم اللوحة التي تنتهي بالكلمة السابقة للشرطة مباشرة ، دلالة على موضعها من النسخة التي أطلقت عليها لفظ الأصل ، وأشرت إلى الصفحة اليمنى من المخطوطة بـ (أ) ، والصفحة اليسرى بـ (ب) ، وعلى سبيل المثال فالرقم (١٠٠/أ) يشير إلى الصفحة اليمنى من اللوحة رقم (١٠٠) من الأصل ، وعند وجود سقط من الأصل وإتمامه من النسخة (س) أشرت إلى موضع الكلمة من النسخة (س) هكذا مثلًا : ١٠٠/أ (س) ومعناه أن الإشارة للصفحة اليمنى من اللوحة رقم (١٠٠) من النسخة (س) .

٢٣ - ألحقت في نهاية العمل مجموعة من الفهارس الفنية في قائمة مرتبة ترتيبًا هجائيًّا ، وتشمل هذه الفهارس :

- الآيات القرآنية .
- الأحاديث النبوية .
- الأعلام المترجم لها .
- الأبيات الشعرية .
- موضوعات الدراسة .

- موضوعات الكتاب .
- ملحق أرقام اللوحات من النسختين (س) و (خ) والتي أتممت بها النقص في الأصل .
- المصادر والمراجع .

منهج تخريج الأحاديث :

١ - الدلالة على موضع الحديث في الكتب الستة أو معظمها ، فإن وجدته في بعضها دللت على موضعه في غيرها ، مستوعبًا معظم الكتب التي روت السنة قدر الإمكان .

٢ - راعيت ذكر الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث ، وذلك في الكتب الستة فقط ، أما غيرها فقد ذكرت رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث فقط ، أو رقم الترجمة المخرج في ثناياها الحديث إن كان ذلك من كتب الرجال أو التراجم .

٣ - قمت ببيان درجة إسناد الحديث ، والحكم عليه بناء على قواعد المحدثين في الجرح والتعديل ، وقد اتبعت الآتي في الحكم على الحديث :

- إذا كان الحديث أخرجه البخاري أو مسلم أو كلاهما فهو صحيح .
- إذا كان الحديث أخرجه الترمذي فهو كما عقب عليه .
- إذا كان الحديث أخرجه باقي أصحاب السنن فهو كما عقب عليه أصحاب الشروح أو غيرهم من علماء هذا الفن المتقدمين كابن عدي أو العقيلي ... إلخ .
- إذا كان الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك فهو كما عقب عليه الذهبي .
- إذا كان الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده أو أبو يعلى أو البزار في مسانيدهم أو الطبراني في أحد معاجمه (الصغير أو الأوسط أو الكبير) فهو كما عقب عليه الهيثمي في مجمع الزوائد .
- إذا لم يوجد ما يدل على درجة إسناد الحديث قمت بدراسة رجال الإسناد وحكمت على إسناد الحديث بناء على أقوال علماء الحديث ورجاله .
- لم أحكم على الحديث بالوضع إلا إذا وجدت اتفاقًا من وجهات متعددة على وضعه ؛ وذلك لصعوبة الإقدام على ذلك ، أما إذا تفرد أحد العلماء بذكر الوضع على حديث نقلت ذلك عنه على عهدته .
- إذا حكم أحد العلماء على حديث بحكم وتبين لي خلافه من خلال دراسة

الإسناد نبهت على ذلك .

٤ - استخدمت في التخريج عدة اصطلاحات خاصة للدلالة على أوجه الاتفاق والاختلاف بين الرواية التي يسوقها المصنف وبين ما أخرجها غيره ، وهذه الاصطلاحات هي :

- اصطلاح (أخرجه بلفظه) : يعني ورود الحديث بنفس الألفاظ دون اختلاف .
- اصطلاح (أخرجه بلفظ مقارب) أو (بألفاظ متقاربة) : يعني ورود الحديث بلفظ يقرب من لفظ الحديث المراد تخريجه مع تغير بسيط ، وغالبًا ما يكون كلمة أو كلمتين ، وأحيانًا ما أنبّه على ذلك الاختلاف .
- اصطلاح (أخرجه بألفاظ مختلفة) : يعني ورود الحديث بألفاظ تختلف قليلًا عن لفظ الحديث المراد تخريجه ، وغالبًا ما يكون ذلك إذا زاد الاختلاف عن كلمتين أو ثلاث .
- اصطلاح (بنحوه) أو (بمعناه) : ويعني ورود الحديث بألفاظ مختلفة عن الحديث الذي يراد تخريجه ، وحدث التقاء في المعنى .
- اصطلاح (أخرج بعضه) أو (جزء من حديث) : يعني ورود جزء من الحديث في الكتاب المخرج منه ، أو كون حديث المصنف جزءًا من حديث أخرجه غيره .
- اصطلاح (أخرجه مطولًا) : يعني ورود الحديث الذي يراد تخريجه في سياق مطول .

٥ - حرَصت عند تضعيف أحد رجال الإسناد على ذكر أقوال علماء الجرح والتعديل فيه ، تدعيمًا للحكم الذي انتهيت إليه ، ولكي يطمئن إلى هذا الحكم .

٦ - حرَصت عند نقل الحكم على الحديث أن يكون من العلماء المتقدمين ، ومن المصادر المعتمدة ، وندر أن أنقل حكمًا عن متأخر .

٧ - حرَصت على ترتيب الكتب المخرج منها الحديث حسب منازلها المقررة ، فقدمت البخاري على مسلم فأبي داود ، فالترمذي ، فالنسائي ، فابن ماجه ، فمالك ، فالدارمي ، فأحمد ، ثم بعدهم الحاكم ، فالبيهقي ، فابن حبان ، ثم المصنفات ، فالمعاجم .

* * *

الفَصلُ الثَالِثُ

منهج المؤلف وقيمة الكتاب

مقدمة الكتاب :

يبدأ كتاب « بحر الفوائد » بخطبة قصيرة لمالك النسخة أبي الحسن علي بن محمد ابن علي بن الحسين السعدي ، تشمل حمد الله تعالى والسلام والتحية على رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين وغيرهم من المسلمين ، ثم بدأ بعدها في سرد الأسانيد التي تحمل بها النسخة ، ثم بعد ذلك بدأ في عرض الكتاب ، بادئًا مباشرة بأول حديث مسند للكلاباذي .

ويلاحظ على هذه البداية أنها قد خلت من خطبة للمصنف ، يكشف فيها عن الغرض من تأليف الكتاب ، ومنهجه فيه ، وشروطه في رواية الحديث ... إلخ .

وبالرجوع إلى كتابه الآخر « التعرف » نجد أن الكتاب يبدأ بخطبة بليغة ، يرى القارئ لها براعة وتمكنًا علميًا وأدبيًا من المصنف ، مما دعا محققي الكتاب الشيخ عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور - رحمهما الله - إلى أن وقفا معها محللين هذه الخطبة ، مبينين براعة المصنف ودقته في اختيار عباراته وألفاظه ، يقول العالمان الجليلان :

(وإن من أخلد ما كتب عن التصوف والصوفية لكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، للإمام العالم العارف تاج الإسلام أبي بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي ، المتوفى سنة (٣٨٠هـ - ٩٩٠م) ، وهو من أقدم وأدق وأنقى وأصفى ما كتب عن هذا العلم ورجاله ، كتبه العارف الكلاباذي في العصر الذهبي للتصوف ، في أوائل القرن الرابع للهجرة ، القرن الذي بلغ فيه التصوف كماله العلمي والفني ، واستكمل فيه التصوف علومه ومناهجه وآدابه وسلوكه ومقاماته ، وجاء كتاب الكلاباذي صورة كاملة لعصره الذهبي ، بل صورة للتصوف في أعلى ذراه وأنقى موارده وأهدى معارجه ، والكتاب بعد هذا صورة ورسالة يقوم على منهج وغاية في دقة وأمانة ، وبراعة علمية وكفاءة فنية ، يزينه ويجليه أسلوب عبقري ، فيه إشراق ومرونة ، لا يعرف الحشو والتطرف ، ولا البهرج المتكلف ، بل يقصد إلى غايته بأرشق الكلمات وأحلاها وأعلاها في غير إسراف أو تطويل أو خروج عن الهدف والمنهج ، ولهذا كان هذا الكتاب - مع قلة صفحاته - موسوعة علمية صوفية كبرى ، يغني عن غيره من الموسوعات الكبرى ، ولا يغني غيره عنه ، حتى

قال علماء التصوف القدامى : لولا التعرف لما عرف التصوف .

والكلاباذي ليس مؤرخًا في هذا الكتاب فحسب ، بل هو عالم عارف ذائق ، يدلي برأيه وحجته ، ثم هو معاصر وصديق للثقات الأئمة الذين أضاؤوا آفاق التصوف في عصره الذهبي ، ولهذا يقول في كتابه وهو يعرض لأحاديث الصفوة الأعلام : سمعنا ، أو قال لنا .

ويحدثنا الكلاباذي عن منهجه في كتابه فيقول : فدعاني ذلك إلى أن رسمت في كتابي هذا وصف طريقتهم وبيان نحلتهم وسيرتهم ، من القول في التوحيد والصفات ، وسائر ما يتصل به ، مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ، ولم يخدم مشايخهم ، وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه ، ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه ، ليفهمه من يفهم إشاراتهم ، ويدركه من لم يدرك عباراتهم ، وينتفي عنهم خرص المتخرصين ، وسوء تأويل الجاهلين ، ويكون بيانًا لمن أراد سلوك طريقه ، مفتقرًا إلى اللّٰه تعالى في بلوغ تحقيقه ، بعد أن تصفحت كتب الحذاق فيه ، وتتبعت حكايات المتحققين له ، بعد العشرة لهم والسؤال عنهم .

ثم لا يكتفي الكلاباذي في كتابه بهذا ، إن له لشخصيته وعلمه واستنباطه واجتهاده ، وإنه ليسخِّر كل ملكاته ليقدم لنا المعرفة الصوفية في صورة كاملة من تحصيله وتصويره ، وهو منهج في التأليف قل نظيره في قدامى المؤرخين ، يقول الكلاباذي : هذا ما تحققناه وصح عندنا من مذاهب القوم من أقاويلهم في كتبهم ممن ذكرنا أسماءهم ابتداءً ، ما سمعناه من الثقات ممن عرف أصولهم ، وتحقق مذاهبهم ، والذي فهمناه من رموزهم وإشاراتهم في ضمن كلامهم .

قال : وليس كل ذلك مسطورًا لهم على حسب ما حكيناه ، وأكثر ما ذكرنا من العلل والاحتجاج فمن كلامنا ، عبارة عما حصلناه من كتبهم ورسائلهم ، ومن تدبر كلامهم وتفحص كتبهم ، علم صحة ما حكيناه ، ولولا أنا كرهنا الإطالة لكنا نذكر مكان ماحكيناه من كلامهم في كتبهم نصًا ودلالة ؛ إذ ليس كل ذلك مرسومًا في الكتب على التصريح .

وكتاب التعرف ليس كتابًا من كتب الطبقات ، وليس موسوعة تجمع أشتاتًا من المعارف لا ترابط بينها ، إنه مادة العلم الصوفي وجوهره ، مع الدليل والتحليل والبرهان الذي لا يرقى إليه شك ولا يشوبه غموض ، فإذا تحدث الكلاباذي عن المقامات مثلًا

راح في علم وذوق يحللها ويجليها ويكشف عن أسرارها ومعانيها ، ويقدم لها الدليل تلو الدليل من الكتاب والسنة والمنطق الإسلامي .

يقول الكلاباذي في حديثه عن المقامات : ثم لكل مقام بدء ونهاية ، وبينهما أحوال متفاوتة ، ولكل مقام علم ، وإلى كل حال إشارة ، ومع كل مقام إثبات ونفي ، وليس كل ما نفي في مقام كان منفيًّا فيما قبله ، ولا كل ما أثبت فيه كان مثبتًا فيما دونه ، وهو كما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا إيمان لمن لا أمانة له** » فنفى إيمان الأمانة لا إيمان العقد ، والمخاطبون أدركوا ذلك ؛ إذ كانوا قد حلوا مقام الأمانة أو جاوزوه إلى ما فوقه ، وكان عليه السلام مشرفًا على أحوالهم ، فصرح لهم ، فأما من لم يشرف على أحوال السامعين وعبر عن مقام فنفى فيه وأثبت جاز أن يكون في السامعين من لم يصل ذلك المقام ، وكان الذي نفاه القائل مثبتًا فيه في مقام السامع ، فيسبق إلى وهم السامع أنه نفى ما أثبته العلم ، فخطأ قائله أو بدعه وربما كفره ، فلما كان الأمر كذلك اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظ في علومها ، تعارفوها بينهم ، ورمزوا بها ، فأدركه صاحبه وخفي على السامع الذي لم يحل مقامه ، فإما أن يحسن ظنه بالقائل فيقبله ، ويرجع إلى نفسه فيحكم عليها بقصور فهمه عنه ، أو يسوء ظنه به فيهوس قائله ، وينسبه إلى الهذيان ، وهذا أسلم له من رد حق وإنكاره .

ذلك هو منطق الكلاباذي في عرضه العلمي وتحليله الصوفي ، وهذا منهجه في سائر ما يتناول في كتابه من دقائق ، ولهذا كان كتابه صورة صادقة لاسمه « التعرف لمذهب أهل التصوف » .

ولقد وقفنا طويلًا عند هذه التسمية ، وأخذنا نتساءل : أهذه التسمية دقيقة ؟ لقد أثارت في قوة انتباهنا إليها ككل ، وأثارت في عنف انتباهنا إلى كل كلمة من كلماتها ، إن المؤلف قال : « التعرف » ، ولم يقل : دراسة أو بحث أو شرح ، وقال : « مذهب » بصيغة المفرد ، ولم يقل : مذاهب ، وقال : « أهل التصوف » ولم يقل : الصوفية مثلًا ، وكان من الممكن أن تكون التسمية هكذا : دراسة مذاهب الصوفية) ، ثم تسائلا : هل التزم المؤلف الدقة في هذا العنوان وتروَّى في كلماته ؟ وأجابا قائلين :

(إن المؤلف من أعلام الصوفية ، فإذا عبر عن التصوف فإنما يعبر عن شعور وذوق ، إنه يعبر عن تجربة مر بها ، فلا يمكن إلا أن يكون دقيقًا ، ثم هو فقيه حنفي ، ومن خصائص فقهاء الأحناف المنطق الدقيق والاستدلال العقلي ، والمؤلف إذن جمع بين الشعور الذوقي

والإتقان المنطقي ، وكتابه إذن إنما صدر عن تجربة وعن منطق ، ويظهر ذلك بوضوح في كل صفحة من صفحات الكتاب ، ولكن أيظهر ذلك في العنوان أيضًا ؟ .

الواقع أننا بعد أن أطلنا التفكير في العنوان دهشنا لدقته الدقيقة وإحكامه المحكم ، إن أمر التصوف في الواقع ليس أمر جدل أو بحث أو أخذٍ وردٍّ ، وإنما هو تعرف ، والقياس فيه والمنطق والاستدلال والبحث والدراسة والأسلوب العلمي يصب ظاهرًا منه وشكلًا أو رسمًا ، وربما كانت حجابًا أو ظلمة تبعد الدارس عن النور بدل أن تغمره بلآلئه ، ومن المؤكد أن الذين لا يعلمون إلا ظاهرًا من الأمر هم عن الحقيقة محجوبون ، والتصوف تجربة ، والتجربة شعور ، والشعور ليس منطقًا ولا برهانًا ، إنما هو تعرف ، وحينما دخل المنطق والبرهان في التصوف وكان أوضح مثل لذلك دراسات المستشرقين ومن لف لفهم من الشرقيين أفسد ذلك التصوف ؛ لأنه حوَّل النبع المتدفق إلى ركود آسن ، وحول السناء المتلألئ إلى ظلمة حالكة ، وأرجع فضل اللَّه ونعمته إلى مرض من الأمراض يعالج بالمادة ويشفى بالعقاقير ، إن التصوف ليس علمًا ، وإذا تدخل العلم فيه أفسده ؛ كإفساد العلم المزيف للدين حينما تدخل في الوحي والنبوة والألوهية ، ونقول : العلم المزيف ؛ لأن العلم الصحيح لا يتعدى حدوده ، وللعلم الصحيح دائرته ، وهي التجربة المادية التي لا يتعداها ، والتصوف تجربة روحية ، وليس للمادة شأن بالروح ، فليس للعلم بالمعنى الحديث إذن شأن بالتصوف ، إن العلم أرض ومادة وحس ، والتصوف سماء وروح وذوق ، وأمر التصوف في النهاية تعرف لا دراسة أو جدل أو علم ، وإذا ما وصلنا إلى هذه النتيجة التي هي في رأينا صحيحة كل الصحة فإن معنى ذلك أن من لا يشعر بالشعور الصوفي فإنه لا يتعرف عليه ، كما أن من لم يسلك طريقًا معينًا بالذات ولو مرة واحدة فإنه لا يتعرف على ما فيه من ظل ظليل أو زهور ناضرات ، وقديمًا قالوا : من ذاق عرف ، وبالتالي فإن من لم يذق لا يعرف . وكتاب المؤلف إذن ليس إلا محاولة للتعبير بالألفاظ عن الشعور المتدفق الفياض ، وهذا التعبير لا يفهمه حق فهمه إلا من شعر به ، ومعنى فهمه له : أنه تعرف عليه ، وفهمه إذن إنما هو تعرف فحسب .

والمؤلف يقول : « مذهب » ، وفي الناس من يرى أن التصوف مذاهب وفرق وطوائف ، ولكن هذا التفكير المنحرف تأتى إلى القائلين به من نظرتهم إلى علم الكلام وإلى الفلسفة ، ففي علم الكلام أشاعرة ومعتزلة ومشبهة ، وفي الفلسفة أرسطيون وأفلاطونيون وديكارتيون ، وأمر الطوائف والفرق يتجاوز علم الكلام والفلسفة إلى

الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع ، والنفوس مهيأة لقبول فكرة الطوائف في جميع العلوم النظرية ، ولقد خلط الكاتبون بين هذه الدراسات والتصوف ، فزعموا أن في التصوف مذاهب وفرقًا وطوائف ، ولو أنعموا النظر لعرفوا أن التصوف تجربة روحية ، وليس نظرًا عقليًا ، وإذا كان النظر العقلي يفرق الناظرين إلى طوائف وفرق فإن التجربة لا يختلف فيها اثنان ، وإذا كانت الفلسفة - لأنها نظر عقلي - مذاهب متعددة فإن التصوف - وهو تجربة - مذهب واحد لا تعدد فيه ولا اختلاف ، وكما أنه لا يستساغ الخلط بين الوسائل والغايات في أي ميدان من الميادين ؛ فإنه لا يستساغ الخلط بين طرق التصوف وهي وسائل ، وبين الغاية وهي التصوف نفسه ، فطرق التصوف متعددة مختلفة ، وبعضها أوفق من بعض ، وبعضها أسرع من غيرها ، ولكنها على اختلافها وتعددها تؤدي إلى هدف واحد وغاية واحدة ، التصوف إذن مذهب بصيغة المفرد لا مذاهب بصيغة الجمع ، وتعبير المؤلف إذًا مستقيم كل الاستقامة .

ويقول المؤلف : « أهل التصوف » ، وللتصوف حقيقة أهله وذووه ، أما أهله وذووه فهم هؤلاء الذين وهبهم اللَّه حسًا مرهفًا ، وذكاءً حادًّا ، وفطرة روحانية ، وصفاء يكاد يكون في صفاء الملائكة ، وطبيعة تكاد تكون مخلوقة من النور ، والناس معادن ، والطبائع مختلفة ، فمنها ما يرقى إلى الطبيعة الملائكية ، وكأنه في طبيعته قبس خالص من نور اللَّه ، ومنها ما يسفل ويسفل ، إلى أن يصبح أو يكاد في مستوى السائمة ، ولقد صور رسول اللَّه ﷺ طبائع الناس في تقبل النور الإلهي ، فقال : « **إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الماءَ فَأَنْبَتَتْ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالى بها النَّاسَ ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ ، لا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللَّهِ تَعَالى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تعالى بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ وَلم يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ** » ، وفي القرآن صور رائعة للطبائع المختلفة ، والآية الآتية تصور تلك الطبائع ، يقول اللَّه تعالى لرسوله الكريم : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] ، ومن أروع الصور القرآنية للذين نزلت طبائعهم إلى مستوى السائمة قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ

ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ ، ١٧٦] ، واختلاف الطبائع مسألة بديهية ، وما دام التصوف نورًا وهداية فإن له أهله وذويه الذين اصطفى اللّٰه واجتبى . « التعرف لمذهب أهل التصوف » إنه عنوان هادف كما أنه كتاب هادف)[١] .

وقد نقلت ما كتباه - على الرغم من طوله - بيانًا لدقة المصنف في اختيار ألفاظه ، ومنهجيته ، وأن من أسلوبه تصدير مصنفاته بخطبة تكشف عن محتواها ، وهل يمكن لكتاب مثل كتاب « بحر الفوائد » والذي يعد تتويجًا لنشاط المصنف العلمي أن يخلو من مقدمة ؟! لقد ألفه المصنف سنة خمس وسبعين وثلاثمائة[٢] ، أي قبل وفاته بخمس سنوات على الأرجح ؛ ولذا يمكن القول : إن كتاب « بحر الفوائد » قد فقدت خطبته ، ولعل هذه الخطبة موجودة بالفعل في نسخ أخرى غير النسخ التي بين أيدينا .

هل يمكن التعرف على شيء مما شرطه المصنف في كتابه ؟

وعلى الرغم من فقدنا خطبة المصنف في أهم مصنفاته « بحر الفوائد » إلا أنه من ثنايا كلامه يمكننا التعرف على شيء مما شرطه في كتابه ، ففي الحديث رقم [٩٣٩] قد استرسل فيه المصنف وأطنب في الكلام حوله ، ثم انتبه لذلك من نفسه ، فقال : (قد خرجنا إلى الإسهاب والإكثار ، وعدلنا عن الإيجاز إلى الإطناب ، ودخلنا فيما لم يكن من شرط الكتاب ، والذي حملنا على ذلك ذهاب بعض الثوابت من المتقرئة ، ومن أعجب بحاله عما يوجبه حقيقة النظر ، جهلًا منهم بمجاري القضاء والقدر ، وقلة معرفة بالورود والصدر ، فلاموا المعذور ، وأثموا المأجور ، وعاقبوا المغفور ، ونستغفر اللّٰه فإنه رب غفور (ن) ، نرجع الآن إلى فائدة الخبر في قوله : « **فعف وكتم ثم مات ؛ مات شهيدًا** » فنقول : الشهداء على ما ورد به الخبر سبعة ...)[٣] ، فظهر لنا من ذلك أنه مما شرط لنفسه في كتابه الإيجاز والاختصار وعدم الإسهاب والإكثار في بيان معاني الأخبار .

موضوعات الكتاب :

صنف الكتاب تحت قسم علم الحديث ، فجميع مخطوطات الكتاب مذكورة في قسم الحديث ، وقد ذكره الكتاني في « الرسالة المستطرفة »[٤] ضمن كتب السنة

(١) مقدمة التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور (ص ٧ - ١٤) .
(٢) تاريخ التراث العربي ، المجلد الأول (٤/١٧٣) . (٣) اللوحة رقم (٢٦٩/ب) .
(٤) الرسالة المستطرفة (ص ٤٤ ، ١٠٣) .

المشتملة على السنن وما هو في حيزها أو له تعلق بها سواء سميت مصنفًا أو جامعًا أوغير ذلك ، ومعلوم أن كتاب « الرسالة المستطرفة » هو لبيان مشهور كتب السنة المشرفة كما يتضح من بقية اسم الكتاب ، فدل هذا الذكر من الكتاني على أن كتاب « بحر الفوائد » هو كتاب مشهور من كتب السنة المشرفة .

ولا يصرف ذلك ترجمة كارل بروكلمان للمصنف في قسم التصوف [1] ؛ ذلك لأن المصنف مشهور كمتصوف ، وغير مشهور كمحدث ، وهو الجديد في هذه الدراسة التي تهدف لإبرازه كمحدث .

وقد اعتنى المصنف في كتابه برواية عدد من الأحاديث بإسناده ، تتناول موضوعات مختلفة ، ثم قام بشرحها مستقصيًا في معظم الأحيان المعاني المحتملة لها ، في براعة فائقة منه في الاستنباط وإعمال العقل والاجتهاد في بيان مراد الرسول ﷺ من قوله الشريف ، وإن شخصيته لتبدو بوضوح وجلاء فيه ، فنقوله عن العلماء نادرة .

وتبدو المسحة الصوفية على المصنف جلية في اختياراته لموضوعات كتابه ، فمعظم أحاديث الكتاب تدور حول الأخلاق ، ومن خلالها تناول المصنف في شرحه ما يمكن أن نطلق عليه الأحوال أو المقامات الصوفية ، وبعض الأحاديث تدور حول العقيدة ، وبخاصة أحاديث الصفات منها ، والبعض الآخر يتناول بعض الأحاديث التي يبدو في ظاهرها التعارض أو الاختلاف ، وبعضها أحاديث تحتاج في نظر المصنف لبيان المعنى المراد منها .

ولم يخل الكتاب من بعض الإشارات الفقهية النادرة ، وإن كان ينظر إليها من زاوية صوفية ، كإشارته إلى حرمة أكل لحم الميتة بتلذذ ، وكذلك لم يخل من الإشارة إلى بعض القضايا الحديثية ، كإشارته إلى حكم تلقي ورواية الأخبار التي تدخل في إطار المتشابه ، وهو يرد على المتعقلة الذين يردون الأحاديث بالعقل في أكثر من موضع ردودًا حاسمة ، مما يكشف عن شخصية غيورة على السنة النبوية المطهرة ، وهو يصرح بمنهجه في قبول الحديث ورده ، ويشير في أحد المواضع إلى المتواتر والآحاد وحكم العمل بهما ، وذلك كله في ثنايا شرحه للأحاديث .

والذي يقارن بين كتاب المصنف « التعرف لمذهب أهل التصوف » وكتابه « بحر الفوائد » - موضع البحث - يجد تشابهًا في كثير من الموضوعات التي تناولها المصنف

---

(١) تاريخ الأدب العربي (٤/٨١ ، ٨٢) .

في الكتابين ، كما يجد أيضًا اختلافًا في الهدف من كل كتاب منهما ، ففي الكتاب الأول كان هدفه تقديم تصور صحيح عن التصوف ، وذلك كما ذكر هو في مقدمة الكتاب قائلًا : (فدعاني ذلك إلى أن رسمت في كتابي هذا وصف طريقتهم ، وبيان نحلتهم وسيرتهم ، من القول في التوحيد والصفات ، وسائر ما يتصل به ، مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ، ولم يخدم مشايخهم ، وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه ، ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه ، ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم ، ويدركه من لم يدرك عباراتهم ، وينتفي عنهم خرص المتخرصين ، وسوء تأويل الجاهلين ، ويكون بيانًا لمن أراد سلوك طريقه ، مفتقرًا إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه ، بعد أن تصفحت كتب الحذاق فيه ، وتتبعت حكايات المتحققين له ، بعد العشرة لهم والسؤال عنهم)[1] .

ولذلك فقد ذكر في كتابه « التعرف » قولهم في التوحيد ، والصفات ، واختلافهم في أنه لم يزل خالقًا ، واختلافهم في الأسماء ، وقولهم في القرآن ، واختلافهم في الكلام ما هو ، وقولهم في الرؤية ، واختلاف قولهم في رؤية النبي ﷺ ، وقولهم في القدر ، وقولهم في الاستطاعة ، والجبر ، وقولهم في الأصلح ، والوعد والوعيد ، والشفاعة ، والأطفال ، والبالغين ، ومعرفة الله تعالى ، والإيمان ، وحقائق الإيمان ... إلخ .

ثم تحدث عن علوم الأحوال ، فتحدث عن الكشف والخواطر ، والتوبة ، والزهد ، والصبر ، والفقر ، والتواضع ، والإخلاص ، والشكر ، والتوكل ، والرضا ، واليقين ، والذكر ، والأنس ، والمحبة ، والغلبة ، والسكر ، والغيبة والشهود ، والجمع والتفرقة ، والتجلي والاستتار ... إلخ .

أما في كتابه « بحر الفوائد » فقد تناول الأحاديث التي تتكلم عن المحبة ، وكمال العبودية ، وحسن معاملة الخلق ، والدعاء وفوائده وتعظيم قدره ، وصحة حال الداعي من حيث أداء الأوامر واجتناب النواهي ، والانقطاع إلى الله ، والتوكل عليه ، وتفاوت المؤمنين في درجات الإيمان ، ونقاء الصدر حيث إنه سبب لدخول الجنة ، والتبري عما سوى الله تعالى والانقطاع إليه ، ورحمة الله بالمؤمنين الذين سيدخلهم النار حيث يغيبهم عن عذابها ، والسعادة وأنواعها ، وترك الكبر ودواعيه ، ونفاق العمل لا الاعتقاد ، وكفر النعمة ، وخطورة الدَّين ، والحث على تلاوة القرآن بخشوع ، وآداب التلاوة ، وجوع النبي ﷺ وقدوته للصحابة يوم الخندق ، والصوم وأسراره ، وبناء الإيمان على الشفقة على

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق أحمد شمس الدين (ص ٧) .

خــلــق الله ، والمقصود بالعين وكيفية حدوث الحسد ، والحرص على مخالطة أصحاب الوجوه السمحة ، وعدم الاتكال على غير الله تعالى ، والاستقامة ، وخطورة المنّ ، والفقر تعريفه وفضله ، والمكاشفة وشروط حدوثها ، والحياء ، والشكر ، والبركة ومعناها ، والسأم وبواعثه ، والغَيْن ، ومعنى حدوثه للنبي ﷺ ، والتسلي عن الغم بذكر الله تعالى ، والفتنة ومعناها ، والتوبة والإنابة والأوبة ، والرياء ، والمحبة والخلة ، وخصائص النبوة ، والاختلاف والتباغض وأسبابهما ، والحكمة ، والترغيب في الزهد في الدنيا ، والكذب وحده ، وفوائد حسن الخلق ... إلخ .

تعرضه لأحاديث الصفات :

وقد تناول الأحاديث التي تتكلم عن صفات الله ﷻ ثم قام بتأويلها على طريقة الأشعرية بما ينزه الله تعالى عن صفات النقص ، فقد تكلم عن حديث : « **خلق الله آدم على صورته** » ثم بين فيه المراد من قول النبي ﷺ : « **على صورته** » ، ويتعرض لقول النبي ﷺ : « **إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام** » ، والشفاعة وكيف تكون ، وحديث : « **ما من قلب آدمي إلا وهو بين أصبعين** » فتحدث عن وصف النبي ﷺ الله ﷻ بالأصابع ويناقش ذلك ، وفرح الله تعالى وكيف يكون ، وذلك في قوله ﷺ : « **لله أفرح بتوبة عبده** » ، ومسألة العَجَب من الله تعالى وتفسيره ، وذلك في حديث : « **إن الله عجب لصنيعكما** » ، ويتحدث عن إشراف الله ﷻ على أهل الجنة وعلاقة ذلك بالمكانية ، والحديث عن الرداء في قوله تعالى : « **الكبرياء ردائي** » وتأويله بما يناسب الله تعالى ، وقبض الأصابع وبسطها من الله تعالى وتأويل ذلك بما يليق بالله ﷻ ... إلخ .

وهذه الأحاديث التي تتعلق بصفات الله ﷻ عدها ابن فورك (متوفى ٤٠٦هـ) من مشكل الحديث ، وأفردها في مصنف له أسماه « مشكل الحديث وبيانه » ، قام في الكتاب بمثل ما قام به الكلاباذي من تأويل هذه الأحاديث نافيًا عنها التشبيه ، على طريقة الأشعرية ، قال في مقدمة كتابه : (وفّقنا الله على تحري النصح والصواب إلى إملاء كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ مما يوهم ظاهره التشبيه مما يتسلق به الملحدون على الطعن في الدين ...) [1] ، ويلاحظ أن ابن فورك متأخر عن الكلاباذي ، فهل ما فعله في كتابه كان تأثرًا منه بكتاب « بحر الفوائد » ؟ .

وبالمقارنة بين الموضوعات التي قدمها الكلاباذي في « التعرف » وموضوعاته التي

---

(١) مشكل الحديث وبيانه (ص ١٠) .

تناولها في « بحر الفوائد » نجد تشابهًا كبيرًا ، لكن الهدف من كل كتاب منهما يختلف ؛ إذ يتضح من كتاب « بحر الفوائد » - الذي خلا من مقدمة يتحدث فيها عن بواعث تأليف الكتاب كما رأينا في كتاب « التعرف » - أن هدفه هو استنباط معاني الأخبار ، ومعالجة بعض القضايا العقدية ، والرد من خلالها على المتعقلة الذين يردون الأحاديث لا لشيء إلا لأنها لم توافق عقولهم فهمًا ، وكذلك التوفيق بين بعض الأحاديث التي ظاهرها التعارض ، إذن فلم يكن هدفه تقديم صورة صحيحة عن التصوف ، كما أراد من كتابه التعرف ، وإن كانت لغة التصوف واضحة على معظم أسلوبه في العرض .

تعرضه لمختلف الحديث :

وقد تعرض الكلاباذي في كتابه لما يعرف بمختلف الحديث ، واختلاف الحديث عرفه الحاكم بقوله : (معرفة سنن لرسول اللّه ﷺ يعارضها مثلها) [(١)] ، وعرفه ابن جماعة بقوله : (هو أن يوجد حديثان متضادان في المعنى في الظاهر فيجمع أو يرجح أحدهما) [(٢)] ، وعرفه عبد اللطيف السيد سالم بقوله : (اختلاف الحديث هو ذكر الأحاديث التي يبدو في ظاهرها الاختلاف والتعارض في أنظار المكلفين ، فإذا بحثها العلماء أزالوا تعارضها ببيانهم الناسخ من المنسوخ ، أو ببيان العام والخاص منها ، أو المطلق والمقيد ، أو ما شابه ذلك من هذه المخارج التي يمكن بها إزالة الاختلاف والجمع بينها بلا تعارض) [(٣)] .

وقد أفرد علماء الحديث مبحثًا مستقلًّا في كتب علوم الحديث ومصطلحه بعنوان « مختلف الحديث » ، تعرضوا فيه لهذه القضية الحديثية بشكل موجز ، وإفرادهم هذا المبحث المستقل يدل على أهمية هذه القضية ، نتيجة ما وجدوه مختلفًا من الحديث .

وقد تعرض كثير من المفسرين لبعض هذه الأحاديث على بساط البحث في ثنايا بيان السنة لبعض آيات القرآن ، وتعرض الفقهاء في بعض مسائلهم الفقهية لكثير من هذه الأحاديث ، وتناول الأصوليون هذه المسألة في مبحث التعارض والترجيح .

ووجدنا بعض المرتابين من المسلمين وبعض المستشرقين قد اتخذوا من « مختلف الحديث » مطعنًا يشككون به في صحة الأحاديث النبوية ، وفي العمل بها ، مع أنه (لا يمكن بحال أن تكون السنة التي أوحى اللّه بها إلى رسوله مختلفة ، أو يشوبها

---

(١) معرفة علوم الحديث (١٢٢/١) .
(٢) المنهل الروي (٦٠/١) .
(٣) المنهج الإسلامي في علم مختلف الحديث (ص ٢١) .

اختلاف ؛ لأنها من عند الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ، والسنة مبينة للقرآن ، ومفسرة لبعضه ، والقرآن لا اختلاف فيه ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] ، ولا يمكن أن تكون السنة التي كانت اجتهادًا من رسول الله ﷺ يخالف بعضها بعضًا ؛ لأن الله تعالى لا يقر رسوله على خطأ أو اجتهاد متناقض ، فقد جعله الله لنا قدوة وأسوة في أقواله وأفعاله وتقريره ، فقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] [١] .

وتعرُّض الكلاباذي لمختلف الحديث أو مشكل الحديث يدل على فضله ، يقول النووي مبينًا فضل من له إسهام في هذا العلم : (هذا فن من أهم الأنواع ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرًا فيوفق بينهما أو يرجح أحدهما ، وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون الغواصون على المعاني) [٢] . فقد بين أن هذا العلم من أهم الأنواع ، وإنما يبرع فيه من جمع بين الحديث والفقه وأصوله ، وكانت له قدرة على الغوص في معاني الأخبار ، ويلاحظ أن كتاب الكلاباذي في الأساس هو لبيان معاني الأخبار ، كما يتضح من مسماه .

نماذج مما تعرض له الكلاباذي من الأحاديث التي في ظاهرها التعارض :

١ - من أمثلة ذلك الحديث رقم [٨٨] الذي ذكر فيه النبي ﷺ أمام علي بن أبي طالب ؓ فضل أبي بكر وعمر ؓ ، ثم نهاه عن إخبارهما قائلًا : « **يا علي لا تخبرهما** » ، ثم جاء في الحديث الآخر رقم [٩٠] أنه ﷺ قد أخبرهما قائلًا : « **هكذا نبعث يوم القيامة** » ، فقد ذهب المصنف إلى أن معنى الحديث الأول لا تخبرهما قبلي ليكون ذلك أجلَّ قدرًا وأعظم موقعًا ، ويكون فضل السبق بالبشارة له ﷺ ، وليس معناه أنه ﷺ يخاف الفتنة عليهما ؛ لأن النبي ﷺ أخبرهما بذلك وبما هو أعظم منه .

٢ - ومن أمثلته أيضًا الحديث رقم [٩٣] وهو حديث الخندق ، وفيه أن النبي ﷺ عصب الحجر على بطنه مما يوهم أنه قد فعل ذلك لجوع ، في حين أنه ﷺ قد أخبر في الحديث رقم [٩٤] أنه ليس مثلهم فهو يظل عند ربه يطعمه ويسقيه ، فذهب المصنف إلى أنه ﷺ قد فعل ذلك على سبيل الموافقة لهم ، وليعلم أصحابه أنه ليس عنده طعام استأثر به دونهم ، ويستدل المصنف على ما ذهب إليه بالحديثين رقم [٩٥ ، ٩٦] على

---

(١) المنهج الإسلامي في علم مختلف الحديث (ص ٦) .

(٢) تدريب الراوي (ص ٣٦٥) .

أنه ﷺ قد فعل ذلك على سبيل الموافقة لهم ، وبهذا تم الجمع بين الحديثين .

٣ - ومن أمثلته أيضًا الحديث رقم [٢٧٨] الذي يحدثنا عن المرأة التي تصوم النهار وتقوم الليل ، وتؤذي جيرانها ، وقد حكم عليها الرسول ﷺ بأنها في النار ، والحديث رقم [٢٧٩] الذي يتحدث عن رجل يصلي الليل كله فإذا أصبح سرق ، فلم يحكم النبي ﷺ عليه بأنه في النار كما حكم على المرأة ، وإنما قال لمن أخبره : « **سينهاه ما تقول** » ، فيجمع بينهما المصنف بأن النبي ﷺ علم من التي تؤذي جيرانها إعجابًا بعملها من صوم نهارها وقيام ليلها ، وأنها إنما كانت تؤذي جيرانها إزراء بهم وتصغيرًا لهم ، وتحقيرًا إياهم برؤية الفضل عليهم ، فاستوجبت النار بذلك ، والذي كان يقوم الليل ويسرق إذا أصبح ينظر إلى نفسه بعين التحقير ، ويعلم أن ما يأتيه من السرقة معصية يجب التوبة منها والرجوع عنها ، وأن قيامه بالليل لرؤية افتقاره إلى اللَّه ﷻ وطلبًا للخلاص مما يرى أنه يستوجب بسرقته ، فهذا من الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ، وقد أوجب اللَّه تعالى التوبة عليهم بقوله : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة : ١٠٢] ، وبهذا جمع المصنف بين الحديثين .

٤ - ومن أمثلته أيضًا الحديث رقم [٤٠٧] : « **لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا ، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ** » والحديث رقم [٤٠٨] : « **اصْطَنِعِ المعْرُوفَ إِلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وإِلَى مَنْ لَيْسَ هُوَ بِأَهْلِهِ ، وَإِنْ لم يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ** » فظاهر الحديث الأول يفيد النهي عن إطعام غير التقي ، وظاهر الحديث الثاني يفيد خلاف ذلك ، فيجمع بينهما المصنف بصرف معنى الحديث الأول إلى أن النهي المراد به عدم المؤاكلة التي توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة ، لا النهي عن الإطعام مطلقًا ، ويؤيد ما ذهب إليه من معنى بالآية الآتية : ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] ، فالأسير في دار الإسلام مشرك ، واللَّه تعالى أثنى فيها على من أطعم المشركين ، فكيف بمن أطعم من كان في جملة المسلمين .

ويتضح لقارئ كتاب « بحر الفوائد » بلا أدنى شك قدرة المصنف على الغوص في معاني الخبر ، والقدرة على الإتيان بكل وجه محتمل له ، يخدمه في ذلك كونه من حفاظ الحديث [١] ، محدثًا مشاركًا في بعض العلوم [٢] ، إمامًا أصوليًا [٣] ، يضاف إلى

(١) الأعلام للزركلي (٥/٢٩٥) ، ودائرة معارف الأعلمي (٢٦/١٢٤) .

(٢) معجم المؤلفين (٨/٢١٢ ، ٢٢٢) .

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤/١٠٦) ، والفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ١٦١) ، وطبقات المفسرين لأحمد الأدنروي (١/٨٥) .

ذلك كونه حنفي المذهب [١] ، إذن فقد جمع الأدوات اللازمة للإسهام في هذا العلم ، ولا غرو فقد رجع إليه أئمة كبار فيما ذهب إليه من توفيق بين الأحاديث ؛ كابن حجر العسقلاني [٢] .

الجديد في كتاب « بحر الفوائد » :

مما لا شك فيه أن الكلاباذي أضاف جديدًا في كتابه ، وهو ما دعا العلماء للأخذ عنه ، وقد ذكرت نماذج من نقولهم عنه في الفصل الأول ، ويمكن الإشارة إلى بعض من فوائد الكتاب :

١ - ترجع أهمية الكتاب إلى هذا العدد من الأحاديث التي رواها الكلاباذي بإسناده إلى النبي ﷺ ، وإذا ما علمنا أن الكلاباذي توفي سنة (٣٨٠هـ) ، عرفنا أن روايته للسنة متقدمة ، ترجع إلى العصور الأولى لجمع السنة المطهرة وتدوينها ، فبعد تحقيق الكتاب نكون قد ساهمنا في زيادة الصحيح من السنة النبوية المطهرة ، والحكم على ما كان في الطرق الأخرى من تغيير ، بتقوية بعض الطرق ؛ لأننا نعلم أن الحديث إذا تعددت طرقه ارتفع إلى درجة أعلى ، فإذا ما كان ضعيفًا في ذاته أو حسنًا في ذاته فإنه يرتفع إلى درجة الحسن لغيره ، أو الصحة لغيره بتعدد طرقه ، وإذا كان الحديث صحيحًا ازداد بالإسناد الجديد للكلاباذي صحة ، وترجح بالإسناد الجديد العمل به عند التعارض مع غيره مما لم يظفر بمثل ما ظفر به هذا الحديث من تقوية بالإسناد الجديد .

٢ - إزالة وهم التدليس أو الإبهام إذا ورد في أسانيد الكلاباذي ما يفيد جديدًا ؛ كالتصريح بالسماع ، أو تعيين المبهم إذا صرح به .

٣ - إضافة مزايا أخرى للحديث المخرج من الكتاب لغيره من الأحاديث المناظرة له ؛ كعلو الإسناد ، وهذه في ذاتها مزية أفردها علماء الرواية بالذكر في موضوعات علوم الحديث .

٤ - إزالة بعض العلل من الأحاديث ، وذلك إذا وردت روايته لها سالمة منها .

٥ - الذب عن سنة الرسول ﷺ ؛ وذلك ببيان الضعيف أو الموضوع منها ، مما رواه الكلاباذي وتفرد به وأثبتنا ضعفه .

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١٠٦/٤) ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص ١٦١ ، ٢٣٤) ، وتاج التراجم فيمن صنف من الحنفية (ص ٣٣٣) .

(٢) فتح الباري (١٥/٧) ، والقول المسدد (١٩/١) .

٦ - وإذا ما علمنا أن الكلاباذي كان أحد المصادر المعتمدة للأئمة السابقين أمثال ابن حجر وغيره ، في شرحهم للأحاديث ، والزيادات الواردة في رواياته ، وتفسير بعض من أبهم في الأسانيد من خلال التصريح به في أسانيده أو شرحه ، وبعض الروايات التي أخرجها وذكروها في كتبهم ، أو طريقته في التوفيق بين بعض الأحاديث ، أو بيان ما أشكل منها ، إذا ما علمنا ذلك ظهرت لنا أهمية هذا العمل وضرورته ، فبه يتوثق كلام الأئمة الناقلين عنه ، وكفى بها فائدة .

٧ - وقد خرج الكلاباذي في كتابه أحاديث بإسناده لم أجد لها نظيرًا في كتب السنة ، فيعتبر بذلك مرجعًا يرجع إليه فيها ، وهذه الأحاديث هي التي تحمل الأرقام الآتية : [١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٥٢٢ ، ٦٠٩ ، ٦٥٦ ، ٧٣٣ ، ٧٥٠ ، ٧٦٥ ، ٨٠٢ ، ٩٢١ ، ٩٥٠ ، ٩٨٣ ، ١٠٢٢ ، ١٠٦٦ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٨ ، ١١٤٤ ، ١١٩٧ ، ١٢١٦ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧] .

٨ - تشتمل أحاديثه على زيادات لا توجد عند غيره ، فيعتبر هو أول من وقف عليها ، وأول من أسند هذه الألفاظ المذكورة في رواياته ، وقد رجع إلى هذه الزيادات علماء الحديث ، ومنهم ابن حجر العسقلاني [1] ، وقد مر ذكر هذا الموضع في الفصل الأول عند الحديث على نقل العلماء عن الكلاباذي ، وعلى سبيل المثال أيضًا لا الحصر الحديث رقم [١٠٤٦] : « كُنْتُ في المسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَامَ يُصَلِّي ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ النَّحْلِ ... » هذا الحديث أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما ، وذكروا أن الرجل قام يصلي ، لكنهم لم يذكروا أنه كان يقرأ سورة النحل ، وهو ما زاده الكلاباذي في روايته ، مما يزيد من قيمة رواياته .

٩ - تعتبر معظم أحاديثه كمستخرجات للكتب الأخرى ، وموضوع المستخرج كما قال العراقي : (أن يأتي المصنف إلى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب ، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه) [2] . وعلى سبيل المثال لا الحصر الحديث رقم [٢٢٦] : « **تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفَقْرِ ، والْقِلَّةِ ، والذلَّةِ ، وأَنْ تَظْلِمَ أَوْ تُظْلَمَ** » يلتقي فيه الكلاباذي مع شيخ شيخ النسائي ، وهو الوليد ، ويتطابق من عنده إسناداهما إلى آخره .

وفي الحديث رقم [٤٢٥] : « **إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ المؤْمِنَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا في الدُّنْيَا وقِلَّةَ**

---

(١) فتح الباري (١٠/١٩٤) .

(٢) تدريب الراوي (ص ٦٦) .

المنطِقِ ، فَاقْبَلُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُلَقَّى الحِكْمَةَ » يلتقي فيه مع شيخ ابن ماجه مباشرة إلى آخر الإسناد ، وشيخه هو هشام بن عمار ، ويتطابق من عنده إسناداهما إلى آخره .

وقد وجدت له كثيرًا من الأحاديث التي يلتقي فيها مع شيوخ أئمة مشهورين من أصحاب الصحاح أو كتب السنن أو الأجزاء أو غيرها ، أعرضت عن ذكرها تحرزًا من الإطالة .

ولا يخفى ما في المستخرجات من فوائد ، ذكر منها النووي فائدتين هما : علو الإسناد ، وزيادة الصحيح ، وأضاف السيوطي عليهما فوائد أخر : منها : القوة بكثرة الطرق للترجيح عند المعارضة . ومنها : أن يكون مصنف الصحيح روى عمن اختلط ولم يبين هل سماع ذلك الحديث في هذه الرواية قبل الاختلاط . أو بعده ؟ فيبينه المستخرج إما تصريحًا أو بأن يرويه عنه من طريق من لم يسمع منه إلا قبل الاختلاط ، ومنها : أن يروي في الصحيح عن مدلس بالعنعنة فيرويه المستخرج بالتصريح بالسماع . ومنها : أن يروي عن مبهم ، كحدثنا فلان أو رجل ، أو فلان وغيره ، أو غير واحد ، فيعينه المستخرج . ومنها : أن يروي عن مهمل ، كمحمد من غير ما يميزه من المحمدين ، ويكون في مشايخ من رواه كذلك من يشاركه في الاسم ، فيميزه المستخرج ، وكل علة أعل بها حديث في أحد الصحيحين جاءت رواية المستخرج سالمة منها ، فهي من فوائده ، وذلك كثير جدًّا [١] ، ولا يختص المستخرج بالصحيحين [٢] .

١٠ - احتوت أسانيد الكلاباذي على أسانيد لأئمة مشهورين بأحاديث لا توجد في كتبهم ؛ فيعد الكتاب بهذا حافظًا لهذه الأحاديث عنهم ، ومثال ذلك الحديث رقم [٤٧٧] ، يرويه المصنف بإسناده إلى الإمام أحمد بن حنبل ، ولا يوجد في مسنده .

١١ - احتوى كتابه على تحديد لمدلولات الكثير من الألفاظ الواردة في الأحاديث النبوية ، وهو من الأمور المهمة التي تفيد شراح الحديث ، وقد نقل حاجي خليفة في كشف الظنون عن ابن حجر قوله في فائدة هذا الأمر : (قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في نخبة الفكر : إن كان اللفظ مستعملًا بقلة احتيج إلى الكتب المصنفة في شرح الغريب ، وإن كان مستعملًا بكثرة لكن في مدلوله دقة احتيج إلى الكتب المصنفة في شرح معاني الأخبار وبيان المشكل منها) [٣] .

---

(١) تدريب الراوي (ص ٦٨ ، ٦٩) . (٢) السابق .
(٣) كشف الظنون (٨/١) .

١٢ - وأخيرًا فإننا بتحقيق هذا الكتاب نرجو أن نبرز للعالم الإسلامي محدثًا شارحًا عالـمًا في مشكل الحديث والتأويل بين مختلفه ، حيث يبدو ذلك جليًا في مخطوطته النفيسة التي شرفت بأن تكون موضوع رسالتي .

من المآخذ عليه :

ومما يؤخذ عليه احتواء كتابه على أخبار ضعيفة وأخرى موضوعة ، وقد أجهد نفسه في التصدي لبيان معاني هذه الأخبار ، ومحاولة التوفيق بين بعضها مع كون أحدها ضعيفًا والآخر صحيحًا ، والقاعدة تقول : إنه (يعمل بالحديث الصحيح ، ويطرح ما سوى ذلك من قول الصحابي ، أو عمل أهل المدينة ، ويطرح الحديث الضعيف المخالف للحديث الصحيح ، كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء)[١] .

ومن الأحاديث الموضوعة التي اتفق على وضعها الأحاديث التي تحمل الأرقام الآتية : [١٥٥ ، ٧٢٣ ، ٧٢٩ ، ٨٧٠ ، ٩٣٩ ، ١١٦٨ ، ١٢٣٩] .

وقد احتوى الكتاب أيضًا على بعض الروايات غير المسندة والتي لا يعلم من أخرجها كما بينت ذلك في تخريجي لها ، كالرواية رقم [١٠٥١] .

ومما يؤخذ عليه روايته عمن يروي الغرائب والمناكير ، مثل منصور بن عبد اللَّه الهروي ، وقد ترجمت له في حاشية الحديث رقم [٧٧] .

مراجعه التي اعتمد عليها :

اتضح لي من تخريجي لأحاديث الكتاب أن المصنف ذكر أحاديث كثيرة بدون إسناد ، وبالبحث عنها وجدتها بلفظها في كتاب محدد دون غيره ، وبألفاظ متقاربة أو مختلفة في كتب أخرى ، فدل ذلك على أن هذا الكتاب كان من مصادره التي رجع إليها ، واعتمد عليها في ذكر هذه الرواية ، ومن ذلك على سبيل المثال الحديث رقم [١٤٠] : « **قَوْمٌ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهُم** » لم أجده بلفظه إلا عند أبي داود الطيالسي في مسنده ، فدل على أن من بين ما رجع إليه الكلاباذي مسند أبي داود الطيالسي ، ومن ذلك الحديث رقم [٢٨٦] : « **إِنَّ النَّارَ تَـقُولُ : جُزْ يَا مُؤْمِنُ ، فَإِنَّ نُورَكَ أَطْفَأَ لَهَبِي** » لم أجده بلفظه إلا عند الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، فدل على أن كتاب نوادر الأصول كان من مصادره .

---

(١) المنهج الإسلامي في علم مختلف الحديث (ص ٢٩) .

وعلى هذا ومما ورد في ثنايا الكتاب من إشارات لمصادر المصنف نستطيع أن نقول بأنه قد رجع إلى أغلب كتب الصحاح والمسانيد والسنن والمصنفات والأجزاء الحديثية ، وغيرها من الكتب التي اهتمت برواية السنة النبوية المطهرة ، واعتمد أيضًا على كتب التفسير ، ومن أهمها : « جامع البيان » للطبري ، وكتب القراءات ، ورجع أيضًا إلى كتب السيرة النبوية ، ومن أهمها : كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام و « المغازي » لابن إسحاق ، ورجع إلى الكتب التي تعالج الحديث من وجهة النظر الصوفية كـ « نوادر الأصول » للحكيم الترمذي ، وكتب الزهد على اختلاف أسماء مصنفيها ، ورجع إلى كتب الأدب ، ويظهر ذلك جليًا من الروايات الأدبية التي ساقها ووجدتها في كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني (متوفى ٣٥٦هـ) ، ورجع إلى بعض الكتب في الفنون المختلفة ككتاب « المجالسة وجواهر العلم » لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (٢٩٨هـ) عرفنا ذلك من الخبر رقم [٢٦٦] « كَأَنَّه يَنْظُرُ إلى الغَيْبِ مِنْ دُونِ سِتْرٍ رَقِيقٍ » ، الذي لم يروه إلا الدينوري في المجالسة كما ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة [1] ، ومن مراجعه كتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمي كما صرح هو بنفسه في كتابه « بحر الفوائد » ، هذا فضلًا عن كون شيوخ الصوفية كانوا من مصادره حيث صرح في كثير من المواضع إلى أخذه عنهم .

طريقته في تناول الحديث :

١ - يفسر الحديث بالحديث .

مثال ذلك : الحديث رقم [٧٨] : « **زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْواتِكُم** » يذهب فيه إلى أن معناه : زينوا أصواتكم بالقرآن ، ويؤيد هذا التأويل بالحديث رقم [٨١] : « **صَلُّوا في بُيُوتِكمْ ولا تجعَلُوهَا قُبورًا ، وزَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالقُرْآنِ** » .

ومثاله أيضًا الحديث رقم [١١٢] : « **خَلَقَ اللَّهُ تَعَالى آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** » يذهب في بعض الأوجه المحتملة لمعناه أن اللَّه تعالى خلقه على الصورة التي ارتضاها الرحمن أن تكون صورة لآدم ، ويؤيد هذا التفسير بالحديث رقم [١١٣] : « **لا تُقَبِّحُوا الوجُوهَ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحمنِ** » .

٢ - يشرح معنى العبارات الواردة في الحديث بالحديث الموقوف في نظره .

ومثال ذلك الحديث رقم [١] : « **أَحِبُّوا اللَّهَ لما أَرْفَدَكُمْ به منْ نِعَمِهِ** » ، فنراه يفسر

---

(١) الإصابة (١٤٦/٤) .

قوله ﷺ : « **أَحِبُّوا اللَّهَ** » بقول أبي الدرداء في الحديث رقم [٢] : « **وَجَدْتُ النَّاسَ اخْبُرْ تَقْلُهْ** » ، وقد استعان المصنف بهذا القول وهو موقوف في نظره ، وقد بينت في تخريج الحديث أنه ورد مرفوعًا في مسند الشهاب للقضاعي .

٣ - يدعم ما ذهب إليه من تأويل للحديث بالآيات .

ومثال ذلك : ما ذهب إليه في الحديث رقم [١] من تأويل المحبة الواردة في الحديث ، ويستدل لذلك بما ورد من آيات سورة يوسف عليه السلام .

٤ - يميل إلى التأويل الإشاري للحديث ويقدمه في عرضه لمعنى الحديث على المعنى الظاهر له ، وهذا منهج كثير من أئمة الصوفية ؛ كالقشيري وغيره ، ثم هو لا يجزم بأن معنى الحديث هو ما ذهب إليه ، فنراه يعرض الأوجه المحتملة لمعنى الحديث ، ومنها المعنى الظاهر للحديث .

ومثال ذلك : الحديث رقم [٢] « **علامةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ ذِكْرِ اللَّهِ ، وعلامةُ بُغْضِ اللَّهِ بُغْضُ ذِكْرِ اللَّهِ** » ، فهو يذهب إلى أن معنى الخبر : أن علامة حب اللَّه عبده حب العبد ذكره للَّه ، وهو مع ذلك يجوز أن يكون معناه على ظاهره ، وهو أن علامة حب العبد للَّه حب العبد ذكر اللَّه .

٥ - أحيانًا يقتصر من الحديث على جزء منه فيتصدى له شارحًا معناه ، وإذا وجد في الحديث معنى آخر يخدم الفكرة الصوفية فإنه يتناولها بالبيان .

ومثال ذلك : الحديث رقم [١٠] : « **منْ أحبَّ لقاءَ اللَّهِ أحبَّ اللَّه لِقَاءهُ ، ومَنْ كرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كرهَ اللَّه لِقَاءهُ ، والمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ تعَالى** » ، قد تناول في هذا الحديث المحبة ، وكيف أنها تكون أولًا من اللَّه ، وأنها غير متوقفة على محبة العبد ، فبعد أن يتناول مسألة المحبة نجده قد توقف عند عبارة : « **والمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ تعَالى** » فقد وجد فيها معنى صوفيًا لا يصح في نظره تجاهله ، وهو أنه لن ينال العبد لقاء اللَّه شهودًا له بالقلب إلا بعد موت النفس وذهاب حظوظها والغيبة عما دون اللَّه . فنراه يقف عند هذا الجزء من الحديث فيتعرض لبيان معناه أيضًا ، ويستدل له بما يؤيده .

٦ - يلجأ في بعض الأحيان إلى تأويل لفظة من الحديث ليصل إلى المعنى الذي يراه مناسبًا لأمور مقررة .

ومثال ذلك : تأويله للفظة « من » الواردة في الحديث رقم [١٢] : « **إِنَّمَا حُبِّبَ إِليَّ مِنَ الدُّنيَا ثَلاثٌ : الطِّيبُ والنِّسَاءُ ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ** » فقد ذهب إلى أن لفظة

« من » معناها « في » ، ليصل بهذا التأويل إلى إثبات كمال العبودية للرسول ﷺ ، والمتمثل في كمال تخلصه من الدنيا ؛ لأن المعنى سيكون بعد التأويل : إنما حبب إلي في فترة وجودي في الدنيا ، فجعل هذه الثلاث من الدين لا من الدنيا .

ولم أجد فيما وقفت أن لفظة « من » تأتي بمعنى « في » ، حيث إنها تأتي لمعانٍ عدة ، منها : التبعيض ، وبيان الجنس ، وابتداء الغاية في الزمان ، وابتداء الغاية في المكان [1] .

٧ - إذا لجأ إلى تأويل لفظة من الحديث عمد إلى بعض الروايات التي تدعم ما ذهب إليه فيذكرها .

مثال ذلك : الحديث رقم [١٢] : « **إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنيا ثَلاثٌ : الطِّيبُ والنِّسَاءُ ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ** » فقد ذهب إلى أن لفظة « من » معناها « في » ، ليصل بهذا التأويل إلى إثبات كمال العبودية للرسول ﷺ ، والمتمثل في كمال تخلصه من الدنيا ؛ لأن المعنى سيكون بعد التأويل : إنما حبب إلي في فترة وجودي في الدنيا ، فجعل هذه الثلاث من الدين لا من الدنيا ؛ تنزيهًا للرسول ﷺ من أن يكون متعلقًا بالدنيا ، وقد دعم المعنى الذي ذهب إليه بأن ساق الرواية الآتية [١٧] : « **مِنْ دُنْيَاكُم** » .

٨ - يوظف علم المعاني لبيان بعض ألفاظ الحديث .

ومثال ذلك : الحديث رقم [١٨] : **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ** : « **هَذَا جَبَلٌ يحبُّنا ونحبُّهُ** » فقد ذهب إلى أن في قوله ﷺ : « **هَذَا جَبَلٌ يحبُّنا** » مجاز ، وتقدير الكلام : « يحبنا أهله ونحبهم » ويأتي بقوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ إذ تقدير الكلام : واسأل أهل القرية .

٩ - أحيانًا ما يأتي بالمعنى مقتضبًا دونما شواهد عليه أو أدلة على ما ذهب إليه ، وأحيانًا يسهب ويكثر .

مثال الاقتضاب : الحديث رقم [٢٢] : **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو** : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالْعِفَّةَ وَالأَمَانَةَ وَحُسْنَ الخُلُقِ والرِّضَا بِالْقَدَرِ** » ، فقد اقتصر في بيان معنى الحديث على قوله : الصحة في إقامة الأوامر ، والعفة الانتهاء عن الزواجر ، والأمانة زم الجوارح ، وحسن الخلق تحمل أثقال الخلق ، وهو يحقق العبودية ، والرضا بالقدر مشاهدة الربوبية .

ومثال الإسهاب : الحديث رقم [٩٣٩] : « **مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ وَكَتَمَ مَاتَ شَهِيدًا** » ،

---

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١٥/٣) .

استرسل في الحديث عن العشق ومن مات بسببه ، حتى انتبه لذلك من نفسه ، فقال : (قد خرجنا إلى الإسهاب والإكثار ، وعدلنا عن الإيجاز إلى الإطناب ، ودخلنا فيما لم يكن من شرط الكتاب) .

١٠ - يورد عدة أحاديث متتالية لدعم ما ذهب إليه من معنى موظفًا في ذلك أحاديث أخرى أو أقوال الصحابة أو التابعين .

مثال ذلك : الحديث رقم [٣٠] : « **الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ، وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعًا وَاحِدٍ** » ذهب في معناه إلى أن ذلك عبارة عن كثرة الأكل وقلته ، وذلك أن الكافر يأكل للشهوة ، والمؤمن يأكل للضرورة ، ثم يسوق ما يدعم هذا المعنى ، فساق الروايات الآتية متتالية : ما روي عن مالك بن دينار أنه قال [٣١] : « وَدِدْتُ أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَجْعَلُ رِزْقِي فِي حَصَاةٍ أَلُوكُهَا حتَّى أَمُوتَ » ، وما روي عن النبي ﷺ أنه قال [٣٢] : « **بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ** » ، وقوله ﷺ [٣٣] : « **ما مِنْ وِعَاءٍ إِذَا مُلِئَ شَر مِنَ الْبَطْنِ ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ ، وثُلُثٌ لِلنَّفَسِ** » .

١١ - يستخدم اللغة في الوصول لمعنى مفردات الحديث أو الآيات التي يسوقها على سبيل الاستدلال .

مثال ذلك : قوله في اللوحة رقم (٨/أ) : (على أن الداعي لا شك يجاب لقوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] فهذه سين التوكيد ، وهي تقوم مقام القسم عند أصحاب المعاني) .

وقوله في اللوحة رقم (٨/ب) : (قال بعض علماء اللغة : الإجابة نوعان : قد تكون بالمراد وقد لا تكون ، والاستجابة لا تكون إلا بالمراد وقد صح قول أصحاب المعاني إن هذه السين تقوم مقام القسم) .

وقوله في اللوحة رقم (١٤/أ) : (وتردَّد قد يجوز بمعنى ردَّد - إن شاء اللّه تعالى - فقد جاء عنهم : تفكَّرَ وفكَّرَ ، تدبَّرَ ودبَّرَ ، تَهَدَّدَ وهدَّدَ ، فيكون تردَّدَ بمعنى ردَّدَ) .

وفي الحديث رقم [٢٧٥] : « **الدنيا ملعونة** » يفسر اللعن بالترك ، ويستدل بما ورد من كلام العرب من استخدام كلمة اللعن بمعنى الترك ، ويشير إلى هذا الاستخدام عندهم ، مستدلًّا ببيت من الشعر .

١٢ - يتبنى رأي الأشاعرة فيما يتصل بأحاديث الصفات .

مثال ذلك : الحديث رقم [١٧٦] ففي تأويل بسط اليد من اللّه تعالى في قوله ﷺ :

« **بَاسِطٌ يَدَهُ لِمسِيءِ اللَّيْلِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى النَّهَارِ ، وبَاسِطٌ يَدَهُ لِمسِيءِ النَّهَارِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّيْلِ** » يقول : (اليد صفة للّه تعالى وصف بها نفسه ، ولو لم يرد السمع لم يجز القول به لأنه من الصفات المتشابهة ، فلما ورد السمع به وجب التصديق له ، والإيمان به ، وتأويله على ما يليق به ، ونفي التشبيه وأوصاف الحدث عنه) .

والحديث رقم [٣٣٤] يثبت صفة الضحك للّه تعالى ، ومثله الحديث رقم [٣٣٦] ، يؤول المصنف هذه الصفة على ما يليق باللّه تعالى قائلًا : (فإذا وردت الأخبار عن رسول اللّه ﷺ بهذه الصفة وجب علينا الإيمان به والتسليم له ، ونفي أوصاف الحدث عن اللّه ﷻ ، والتشبيه له بخلقه - جل وعز - ووجب حمل معنى هذه الصفة على ما يليق به ، فيجوز أن يحمل معناه على الرضا من عبده واختصاصه له) .

١٣ - يشرح معنى العبارات الواردة في الحديث بما ورد في كلام العرب من أمثال .

ومثال ذلك : الحديث رقم [١] : « **أَحِبُّوا اللَّهَ لما أَرْفَدَكُمْ به منْ نِعَمِهِ** » ، فنراه يفسر قوله ﷺ : « **أَحِبُّوا اللَّهَ** » بما ورد في كلام العرب من قولهم : (عِشْ رَجَبًا تَرَ عَجَبًا) .

١٤ - يؤيد ما ذهب إليه من معنى للحديث بأقوال المتصوفة .

مثال ذلك : الحديث الأول : « **أحبوا اللّه لما أردفكم به من نعمه** » والذي ذهب في تأويله إلى أن المحبة يجب أن لا تستند إلى رؤية النعم ، يؤيد هذا التأويل بقول رابعة العدوية : (واللّه لو قطعتني بالبلاء إربًا إربًا ما ازددت لك إلا حبًّا حبًّا) .

١٥ - يستعين أحيانًا بأقوال غيره في توضيح معنى ما مع التصريح باسمه .

مثال ذلك : الحديث رقم [٩٨] عند بيان معنى : « **وأنا أجزي به** » يقول : [وقد سمعت الشريف أبا الحسن الْعَلَوِيَّ الْهَمَذَانِيَّ يقول : ...] ، وفي الحديث رقم [١٢٢] : « **إن الدين النصيحة** » ينقل فيه قول أبي الحسن بن أبي ذر : (النصح في الجملة عندي هو فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة ....) ، ونقل عن عبد اللّه بن محمد الأنطاكي ، وسهل بن عبد اللّه التستري وغيرهم .

طريقته من ناحية رواية الحديث :

١ - اهتم المصنف برواية الحديث بالإسناد حرصًا منه على ثبوت شرف نسبته لأهل الحديث ، وقد حرص على الإسناد حتى في نقوله عن العلماء أو المتصوفة .

مثال ذلك : الرواية رقم [٧٧] ، ونقله سماعًا عن الشريف أبي الحسن العلوي

الهمذاني في اللوحة رقم (٢٤/أ) ، والرواية رقم [٣٦٧] ، والرواية رقم [٤٧٢] ، والرواية رقم [٦٠٩] ، وما رواه مسندًا عن إبراهيم بن أدهم في اللوحة رقم (٢٠٣/أ) .

٢ - لا يصرح بدرجة الحديث إلا نادرًا ، وأحيانًا ما يكون هذا التصحيح تاليًا للحديث مباشرة ، أو في ثنايا شرحه له ، ولعلَّ سبب ذلك منه رغبته في كون كتابه مركزًا بصفة رئيسة على معاني الأخبار ، اعتمادًا على أن ما يرويه من أخبار صحيح في نظره .

ومن المواضع التي صرح بها بدرجة الحديث : موضع في اللوحة رقم (١١٣/أ) يقول فيه : (والأخبار في الوزن وأنه ميزان له كفتان توضع في إحداهما الحسنات ، وفي الأخرى السيئات كثيرة صحيحة) ، وبعد الحديث رقم [٧١٣] يقول : (قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح) ، وفي اللوحة رقم (٢٠٠/ب) يقول : (ولولا الخبر الصحيح الذي ورد ...) ، وفي اللوحة رقم (٢٠١/ب) يقول : (وهذا أيضًا في حديث النواس عن النبي ﷺ وهو حديث صحيح) ، وفي اللوحة رقم (٢١٠/ب) يقول : (فسر النبي ﷺ هذه الزيادة بالنظر إلى وجه اللَّه تعالى بروايات صحيحة عن غير واحد من الصحابة رووا عن رسول اللَّه في إثبات رؤية اللَّه تعالى بضعة عشر نفسًا ، دخل أكثرها في الصحاح) ، وفي الحديث رقم [٨٦٨] يقول : (قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح حسن) ، وفي الحديث رقم [٨٦٩] يقول : (وهذا حديث حسن صحيح) ، وبعد الحديث رقم [١٢٥٦] يقول : (وهو حديث صحيح) .

٣ - يغلب في سرده حق الرواية على حق الدراية ، فبعد أن يسوق بعض الروايات يظهر هذا من كلامه فنراه يقول : (فإن كان هذا صحيحًا ...) ، أو يقول : (فإن كان محظوظًا ...) ، ومثال ذلك : الرواية رقم [١١٣ ، ٢٠٠ ، ٩٨٣] .

٤ - أحيانًا يحيل إحالة عامة إلى مصادر الرواية التي يسوقها ، ومثال ذلك : الحديث رقم [٦٢٧] ، يقول بعد أن ساقه بإسناده : (روت الأئمة هذا الحديث من وجوه كثيرة ووضعوه في كتبهم وصححوه وعدلوا رواته) .

٥ - يقدم المتن قبل الإسناد أحيانًا ، على سبيل التعجيل بإظهار الفائدة .

وطريقة ذلك : أن يقدم الراوي المتن على الإسناد ، فيقول : قال الرسول ﷺ كذا ، ثم يذكر الإسناد بعده ، وهذا جائز ، جوزه ابن جماعة وغيره [١] .

---

(١) المنهل الروي (١٠٣/١) .

ومثال تقديمه المتن على السند : الأحاديث التي تحمل الأرقام الآتية : [٣ ، ٥ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٩٩] .

٦ - يستعمل صيغًا مختلفة يتحمل بها الإسناد منها :

أ - [ح] وهو أكثر الصيغ المستعملة ، ويعني « حدثنا » ، ولا يعني تحويل الإسناد ؛ لأن تحويل الإسناد عنده يستخدم له [و ح] أو [وحدثنا] ، ويلاحظ أن مجيء هذا الاصطلاح أول الإسناد يعد اصطلاحًا خاصًا به ، وأمثلة مجيئه أول الإسناد : الروايات رقم [١ ، ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٠] ، ومن أمثلة تحويل الإسناد : الروايات رقم [١٨ ، ٢٤٢ ، ٢٩٧ ، ٤٢٨ ، ١١١٦ ، ١٢٧٤] .

ب - [ح به] ، ومثاله : الرواية رقم [٧٦ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ٢٧٢] .

ج - [حدثنا] ، ومثاله : الرواية رقم [١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧] .

د - [حدثنا به] ، ومثاله : الرواية رقم [٦٨ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ٢٣٢] .

هـ - [حدثناه] ، ومثاله : الرواية رقم [٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠] .

و - [حدثني] ، ومثاله : الرواية رقم [٩٥٠ ، ١٠٠٣] .

ز - [سمعت] ، ومثاله : الرواية رقم [٧٧ ، ٤٥٧ ، ١٠٧١ ، ١١٤٦] .

ويلحظ عليه أنه يعمد إلى الاختصار في عبارات التحمل وصيغها ، وأحيانًا يصرح بها ، وهذا من المآخذ عليه ؛ لأنه لم يسلك طريقًا واحدًا .

٧ - يروي الأحاديث مختصرًا في أغلب المواضع ، فهو يقتصر على ما يحتاج إليه في بابه ، وأحيانًا يروي الحديث مطولًا كالحديث رقم [٧٤٤] .

واختصار الحديث أن يروي المرء بعضه دون بعض ، وهذا جائز إذا كان الراوي لذلك عالمًا بمواقع الكلام ، ولم يكن المحذوف متعلقًا بالمذكور تعلقًا يؤدي معه الحذف إلى الإخلال بالمعنى (١) ، واختصار الحديث في كتب السنة ليس بغريب ، فقد فعله كثير من المحدثين الثقات ؛ كالبخاري ، والنسائي ، والترمذي ، ومالك وغيرهم ، والبخاري أكثرهم اشتهارًا بذلك ، فكان يقطع الحديث فيذكر بعضه في موضع والبعض الآخر في موضع ثانٍ تبعًا لما يستنبطه من الحديث من أحكام ودلالات ، وممن فعل ذلك أبو داود في سننه ، قال ابن حجر في الإصابة بعد أن ساق حديثًا مختصرًا أخرجه أبو داود : (هكذا

(١) تدريب الراوي (ص ٣٠٣) .

أورده أبو داود مختصرًا كعادته في الاقتصار على ما يحتاج إليه في بابه) [١] .

٨ - يروي الحديث باللفظ الذي تحمله به ، والحديث الذي يرويه بالمعنى يردفه بما يفيد ذلك .

مثال ذلك : الحديث رقم [٢٨] أردفه بقوله : (هذا معنى الرواية والله أعلم بلفظه) ، والحديث رقم [٣٧٨] أردفه بقوله : (هذا معنى الحديث والله أعلم بلفظه) ، والحديث رقم [٩٠٥] أردفه بقوله : (هذا معناه والله أعلم بلفظه) ، والحديث رقم [٢٠١] أردفه بقوله : (هذا أو كلامًا هذا معناه) ، والأحاديث [٢٠١ ، ٢١٨ ، ٣٨٢ ، ٤١٤ ، ٦٦٣ ، ٧٨٧ ، ٧٩٠ ، ٨٦٦ ، ١٠٢٤ ، ١٢٥٣] أردفها بقوله : (أو كلامًا هذا معناه) .

وعلى الرغم من حرصه على بيان ذلك إلا إنني وجدت له رواياتٍ مختلفةً في بعض ألفاظها عن نظائرها في كتب السنة التي يروي المصنف الحديث بإسناده إليها ، وذلك على الرغم من أنه لم يردفها بعبارة تفيد روايته لها بالمعنى .

مثال ذلك : الأحاديث التي تحمل هذه الأرقام : [٢٠ ، ١٢٣ ، ٣٧٩ ، ٥٢٦ ، ٥٣٦ ، ٥٨٧ ، ٦١٢] وهذه الأحاديث من أحاديث يرويها المصنف بإسناده إلى الترمذي في الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي ، وهذه الأحاديث قد رواها بألفاظ متقاربة ولم يروها بنفس ألفاظ الترمذي كمعظم ما رواه بإسناده إليه ، ولم يشر بعدها أو قبلها بما يفيد روايته لها بالمعنى .

والأحاديث الأخرى التي يسوقها المصنف بغير إسناد كثير منها لم أقف عليه بلفظه ، ولكن وقفت عليه بألفاظ متقاربة ، أو بألفاظ مختلفة ، أو بنحوه ، مما ترجح به الظن عندي أنه يروي الأحاديث بالمعنى ، وهو وإن كان يروي الأحاديث بالمعنى فلا يطعن ذلك في رواياته ؛ ذلك لأن رواية الحديث بالمعنى جائزة على الأرجح [٢] .

٩ - إذا تشكك في لفظ الحديث أردفه بمثل قوله : (أو كلامًا هذا معناه) .

مثال ذلك : الحديث رقم [٤١٤] أردفه بهذه العبارة ، على الرغم من أنه أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بلفظه كما يتضح من تخريج الحديث .

---

(١) الإصابة (٥٢٥/٣) .

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (٢٠١/١) .

١٠ - لا يتوقف عند رجال الإسناد بالنقد جرحًا أو تعديلًا إلا في النادر ، فيعطي إشارة لتعديله الراوي عن طريق ذكر درجته في التحديث .

مثال ذلك : أحمد بن علي بن عمرو الحافظ ، في الحديث رقم [١٢٠٩] ، وأبو حاتم سهل بن السُّرِّيُّ بن الخضر الحافظ ، في الحديث رقم [٣٤] ، وأبو علي محمد بن الحسين الحافظ ، في الحديث رقم [٤٣١] .

أهم نتائج البحث التي توصلت إليها :

بتحقيق كتاب « بحر الفوائد » للكلاباذي نكون قد قدمنا إلى العالم الإسلامي مصنفًا مهمًّا ، احتوى على الكثير من الفوائد التي قل أن توجد في نظيره من الكتب ، وهو ما دعا كثير من العلماء المشهورين إلى النقل عنه في الكثير مما احتواه ، من روايات للحديث ، أو الزيادات الواردة في بعض متون الأحاديث ، أو بيان معانيها ، أو مشكلها ، أو الجمع بين ما ظاهره التعارض منها أو بعض القضايا العقدية التي تعرض لها ، أو غير ذلك مما احتواه .

ومن نتائج البحث أيضًا العمل على توثيق نقول الأئمة المشهورين عن الكلاباذي ، أمثال ابن حجر وغيره ممن نقل عنه واستفاد من مصنفه القيم .

وبتقديمنا لهذا الكتاب نكون قد لفتنا الانتباه أيضًا إلى الكلاباذي كمحدِّث ، بعد أن اشتهر في الأوساط العلمية كمتصوف .

ولا شك في أن هذا الكتاب يغطي جانبًا مهمًّا من الدراسات الحديثية التي يمكننا بها الرد على من اتهموا أحاديث رسول اللَّه ﷺ بأن فيها اختلافًا ، أو هؤلاء الذين يردون أحاديث رسول اللَّه ﷺ لا لشيء إلا لأنها لم توافق عقولهم ، وهؤلاء هم الذين سماهم الكلاباذي المتعقلة ، سواء من المسلمين الذين ضعفت ثقتهم بسنة النبي ﷺ من جراء عدم فهمهم لها فهمًا صحيحًا ، أو من المستشرقين الطاعنين ، وبهذا الكتاب أيضًا يزداد الذين آمنوا إيمانًا .

واللَّه أسأل أن يتقبل عملي هذا ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، فإن كنت أصبت فيه فمن اللَّه ، وإن كنت قد أخطأت في شيء منه فمن نفسي والشيطان ، فأسأل اللَّه تعالى العفو عما كان فيه من زلل ، فهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة .

واللَّه ولي التوفيق .






بحر الفوائد

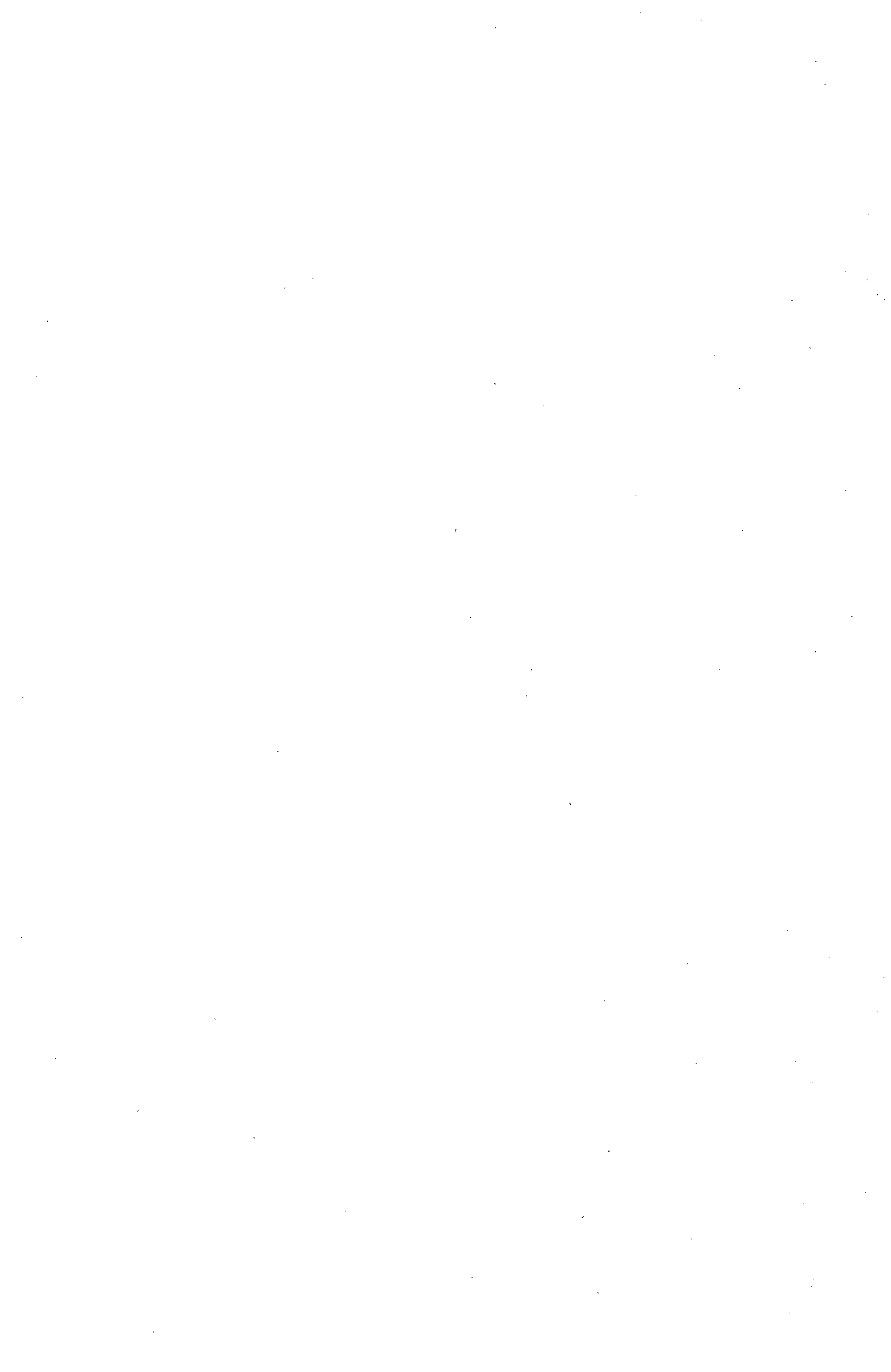
المشهور

بمعاني الأخبار

القسم الثاني

التحقيق



بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الكتاب]

الحمد لله بجميع محامده لجميع آلائه ونعمائه ، والسلام والتحية والإكرام على سيد المرسلين ، خاتم النبيين ، وآله الطيبين ، وعلى جميع أصحابه من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين من أهل السموات وأهل الأرضين ، وغيرهم كلهم أجمعين ، وعلى جميع الصحابة والخلفاء الراشدين ، والتابعين وتبع التابعين ، والصالحين وعلماء الدين والشهداء والفقهاء والمتعلمين ، وجميع المسلمين والمؤمنين من الجنة والناس أجمعين ، في كل لحظة (١) ولمحة (٢) وخطرة (٣) من أزل (٤) الأزل إلى أبد (٥) الآبدين .

يقول العبد الضعيف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين السُّغْدِي (٦) - أحسن الله إليه [و] (٧) أسعد جده - : ثنا الشيخ القاضي الإمام الأجل جلال الدين أبو المحامد حامد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن إملاء قال : أخ الشيخ الإمام الأجل أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الصَّفَّارِي (٨) الأنْصَارِي قال : أخ الشيخ والدي

(١) لحظة : اللحظة النظرة من جانب الأذن ، وقيل : غير ذلك ، لسان العرب مادة (لحظ) وأراد المصنف بها الوقت اليسير .

(٢) لمحة : اللمحة هي النظرة بالعَجَلَةِ ، لسان العرب مادة (لمح) .

(٣) خطرة : الخطرة من الخاطر وهو الهاجس ، لسان العرب مادة (خطر) وهي عند الصُّوفِيَّة : داعية تدعو العبد إلى ربه بحيث لا يتمالك دفعها ، معجم اصطلاحات الصُّوفِيَّة للكاشاني (١٧٩) .

(٤) أزل : الأزل القدم ومنه هذا شيء أزلي أي قديم ، لسان العرب مادة (أزل) .

(٥) أبد : الأبد الدهر ، وأبد الأبد أي آخر الدهر ، لسان العرب مادة (أبد) .

(٦) السُّغْدِي : بفتح السين وسكون العين وفي آخرها الدال المهملات . هذه النسبة إلى عدة قبائل منهم : إلى سعد بن بكر بن هوازن ، وإلى سعد تميم ، وإلى سعد الأنصار ، وإلى سعد جذام ، وإلى سعد خولان ، وإلى سعد تجيب ، وإلى سعد بن أبي وقاص ، وإلى سعد من بني عبد شمس ، وإلى سعد هذيم بن قضاعة ، الأنساب (٣٥/٣) .

(٧) زيادة يقتضيها السياق .

(٨) الصَّفَّارِي : الصَّفَّار بفتح الصاد المهملة وتشديد الفاء وفي آخرها الراء المهملة ، يقال لمن يبيع الأواني الصُّفرية : الصَّفَّار ، الأنساب (٢٠٨/٣) . وأبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل عرف بالصَّفَّار من أهل بيت علماء فضلاء ، تفقه على والده ، وغيره ، وتفقه عليه قاضي خان ، وسمع الآثار للطحاوي على والده وكتاب « العالم والمتعلم » لأبي حنيفة ... ولد في حدود سنة ستين وأربعمائة ، كان من أهل بخارى ، موصوفًا بالزهد والعلم ، وكان لا يخاف في الله لومة لائم ، مات ببخارى ، في السادس والعشرين من ربيع الأول ، سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، الجواهر المضية (٧٣/١) .

قال : أخ الشيخ أبو طاهر إبراهيم بن أحمد المُسْتَمْلِي [(١)] قال : أخ الشيخ أبو بكر بن أبي إسحاق العارف الكَلاباَذِي [(٢)] المصنف قال ﷺ :

وأخ بهذا الإسناد الشيخ الإمام الصالح الدين فخر الأئمة محمد بن هارون ، والشيخ الإمام زين الصالحين عمر بن أبي بكر بن عثمان الصَّابُونِي [(٣)] بقراءتي عليهما في الجامع ببخارى قالا أيضًا بهذا الإسناد ، والشيخ الأستاذ ظهير الدين أبو المحاسن الحسين [(٤)] بن علي المَرْغِينَانِي [(٥)] ، والشيخ القاضي جمال القضاة أبو بكر محمد بن عمر الكَرْمِينِي [(٦)] الفَرْغَانِي [(٧)] في كثير من آخرين قال ﷺ :

وأخ الشيخ القاضي الإمام جلال ين [(٨)] [١/أ] هذا رَحِمَهُ اللهُ قال : أخ الشيخ الإمام نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النَّسَفِي [(٩)] قال : أخ يخ [(١٠)] الإمام أبو بكر محمد بن أحمد

---

(١) المُسْتَمْلِي : بضم الميم ، وسكون السين المهملة ، وفتح التاء المنقوطة من تحتها باثنتين ، وسكون الميم وفي آخرها اللام ، اختص بهذه النسبة جماعة كثيرة كانوا يستملون للأكابر والعلماء ... وأبو طاهر إبراهيم بن أحمد بن سعيد بن محمد بن إسحاق المُسْتَمْلِي البخاري الطبيب ، كان يستملي على شيوخ بخارى ... روى عنه أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبي الحافظ ، الأنساب (٢٩٢/٤) .

(٢) الكلاباذي : نسبة لكلاباذ ، وكلاباذ بفتح الباء الموحدة وآخره ذال معجمة : محلة ببخارى ، معجم البلدان (٤٧٢/٤) .

(٣) الصَّابُونِي : بفتح الصاد المهملة ، وضم الباء الموحدة وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى عمل الصابون ، وبيت كبير بنيسابور « الصابونية » لعل بعض أجدادهم عمل الصابون فعرفوا به ، الأنساب (١٨٣/٣) .

(٤) كذا في الأصل ، والصواب « الحسن » ، الجواهر المضية (٧٤/٢) .

(٥) المَرْغِينَانِي : بفتح الميم ، وسكون الراء ، وكسر الغين ، وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وفتح النون وفي آخرها نون أخرى . هذه النسبة إلى مرغينان ، وهي بلدة من بلاد فرغانة ، الأنساب (٢٧٤/٤) .

(٦) الكَرْمِينِي : بفتح الكاف ، وسكون الراء وكسر الميم والياء المنقوطة باثنتين من تحتها والنون في آخرها ، هذه النسبة إلى كَرْمِينِيَّة ، وهي إحدى بلاد ما وراء النهر ، على ثمانية عشر فرسخًا من بخارى ، الأنساب (١٤٣/٤) .

(٧) الفَرْغَانِي : بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى موضعين : أحدهما : فرغانة ، وهي ولاية وراء الشاش من بلاد المشرق وراء نهر جيحون وسيحون ... وأما الثاني : فهو قرية فرغان قرية من قرى فارس ، الأنساب (٤٤٥/٣) .

(٨) كذا في الأصل وهو : جلال الدين أبو المحامد حامد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، المذكور في الإسناد الأول .

(٩) النَّسَفِي : بفتح النون والسين وكسر الفاء ، هذه النسبة إلى نَسَف ، وهي من بلاد ما وراء النهر ، يقال لها : نَخْشَب ، الأنساب (٤١٩/٤) .

(١٠) كشط في الأصل ولعلها : الشيخ .

البَلَدِي [١] قال : أخ الشيخ أبو نصر أحمد بن علي المَائِمَرْغِي [٢] المصنف ﷺ قال ﷺ :

وأخ أيضًا بهذا الإسناد الشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين وجمال القضاة الكَرْمِينِي [٣] في كثير من آخرين قال ﷺ :

وقد أخ الشيخ الإمام القاضي الأجل قاضي القضاة عماد الدين أبو حفص عمر بن أبي بكر بن محمد بن علي بن الفضل نجرى [٤] بقراءة الشيخ الإمام الزاهد القطان المُسْتَمْلِي في مسجده [بعد أملاه] [٥] قال : أخ الشيخ القاضي الإمام الأجل الزاهد الوالد قال : سمعت معاني الأخبار وشرح الآثار من الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أحمد التَّمِيمِي [٦] في مسجد الشيخ الإمام شمس الأئمة أبي محمد عبد العزيز بن أحمد الحُلْوَانِي [٧] [و] [٨] هو حاضر يسمع في شهر رمضان سنة ست وثلاثين

---

(١) البَلَدِي : بفتح الباء المنقوطة بواحدة واللام وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى موضعين أحدهما البلد ، اسم بلدة تقارب الموصل ، يقال لها : بلد الحطب ، وبها كان يونس بن متى عليه الصلاة والسلام ... والثاني منسوب إلى بلد الكرج التي بناها أبو دلف وسماها البلد ، وأما أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي النضر البلدي الإمام المحدث المشهور من أهل نسف ، كان فاضلًا من أولاد الأئمة والمحدثين ... سمع أبا نصر أحمد بن علي المايمرغي ... روى عنه أكثر من عشرين نفسًا ببخارى وسمرقند ونسف ومايمرغ ، وحدث بالكتب الكبار مثل « الجامع الصحيح » لأبي حفص عمر بن محمد البجيري ... توفي سنة أربع وخمسمائة ، الأنساب (٢٧٩/١) .

(٢) المَائِمَرْغِي : بسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها بين الميمين المفتوحتين وسكون الراء وفي آخرها الغين المعجمة المكسورة ، هذه النسبة إلى مايَمَرْغ ، وهي قرية كبيرة حسنة على طريق بخارى من نواحي نخشب ... والمشهور بالانتساب إليها أبو نصر أحمد بن علي بن الحسن بن عيسى المقرئ الضرير المايمرغي : كان شيخًا ثقة صالحًا صدوقًا مكثرًا من الحديث ... روى عن أبي بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي صاحب « معاني الأخبار » روى عنه جماعة منهم : أبو بكر محمد بن أحمد البلدي ... ولد سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة ، الأنساب (٢٢٣/٤) .

(٣) الكَرْمِينِي : بفتح الكاف ، وسكون الراء وكسر الميم والياء المنقوطة باثنتين من تحتها والنون في آخرها ، هذه النسبة إلى كَرْمِينِيَّة ، وهي إحدى بلاد ما وراء النهر ، على ثمانية عشر فرسخًا من بخارى ، الأنساب (١٤٣/٤) .

(٤) هكذا في الأصل ويسبقها كشط . وقد جاءت ترجمته في الجواهر المضية هكذا (عمر بن أبي بكر بن محمد الغَزْنَوِي ، أبو حفص ، أقضى القضاة ، كان إمامًا في علم الكلام والفقه ، الجواهر المضية (٦٤٢/٢) .

(٥) هكذا ولعلها : بعد إملائه .

(٦) التَّمِيمِي : بفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها ، والياء المنقوطة باثنتين من تحتها بين الميمين المكسورتين ، هذه النسبة إلى تميم ، الأنساب (٣٤٥/١) .

(٧) الحُلْوَانِي : بضم الحاء المهملة وسكون اللام والنون بعد الواو والألف ، هذه النسبة إلى حلوان ، وهي آخر حد عرض سواد العراق مما يلي الجبال ، الأنساب (٧٦/٢) .

(٨) زيادة يقتضيها السياق .

وأربعمائة رواه عن المصنف قال ﷺ :

وأخ أيضًا بهذا الإسناد الشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين والشيخ الإمام الزين فخر الأئمة محمد بن هارون والشيخ القاضي الإمام أبو عمرو عثمان بن أبي بكر المُطَّوِعِي [١] ، وجمال القضاة الكَرْمِينِي في كثير من المشايخ يكثر تعدادهم - قدس الله أرواحهم - قال ﷺ :

وقد أخ الشيخ القاضي الإمام الأجل الأستاذ بهاء الدين مفتي الشرق والغرب أبو المحامد محمد بن أحمد بن يوسف المنسوب إلى أسبيجاب بقراءتي عليه من أوله إلى آخره في المسجد الجامع ببخارى عمرها الله وخلص أهلها ، وأتممتها في أوائل ذي الحجة سنة أربع وستين وخمسمائة . قال : أخ الشيخ القاضي الإمام الزاهد الوالد قال : أخ الشيخ القاضي الإمام صدر الإسلام أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين البَزْدَوِي [٢] قال : أخ الشيخ الإمام الأجل شمس الأئمة فخر الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسين [١/ب] الكاتب قال : أخ الشيخ الإمام الزاهد العارف أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلا [٣] البُخَارِي المصنف إملاء بدرب الجديد في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة قال ﷺ :

وأخ الشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين محمد بن أحمد المَحْبُوبِيُّ [٤] والشيخ الإمام الأجل الأستاذ ظهير الدين المَرْغِينَاني والشيخ القاضي الإمام جمال القضاة الكَرْمِينِيُّ والشيخ القاضي الإمام أبو عمر المُطَّوِعِيُّ وغيرهم قالوا : أخ الشيخ القاضي الإمام الزاهد عماد الدين أبو بكر محمد بن الحسن بن منصور النَّسَفِي رحمه الله وقد توفي سنة خمس وخمسمائة قال : أخ شمس الأئمة الحَلْوَاني عن أبي محمد الكاتب عن المصنف قال ﷺ :

وقد أعرضت عن إيراد الأسانيد وذكر المشايخ تحرزًا عن الملالِ للأحباب والأصحاب - قدَّس الله أرواح الماضين وحصَّل آمال الحاضرين بفضله ورحمته وهو أرحم الراحمين -

---

(١) المُطَّوِعِيُّ : بضم الميم وتشديد الطاء المهملة وفتحها وكسر الواو وفي آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى المطوعة ، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد ورابطوا في الثغور وتطوعوا بالغزو ، الأنساب (٣١٨/٤) .

(٢) البَزْدَوِيُّ : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وفي آخرها الواو ، هذه النسبة إلى بزدة وهي قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف على طريق بخارى ، الأنساب (٢٣٩/١) .

(٣) كشط في الأصل والظاهر أنها : الكلاباذي .

(٤) المَحْبُوبِيُّ : بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وضم الباء الموحدة وفي آخرها باء أخرى بعد الواو ، هذه النسبة إلى محبوب وهو اسم لجد المنتسب إليه ، الأنساب (٢٤١/٤) .

وبهذه الأسانيد التي ذكرناها قال [١] الشيخ الإمام الزاهد العارف أبو بكر بن أبي إسحاق [٢] [وهو محمد بن إبراهيم بن يعقوب] [٣] البُخَارِي قال :

١
باب في المحبة وهل تستند إلى رؤية النعم ؟

[١] ح [٤] أبو الفضل محمد بن أحمد بن مَرْدَك قال : ح محمد بن عيسى الطَّرَسُوسِي [٥] قال : حدثني يحيى بن معين وعلي بن بحر قالا : حدثنا هشام بن يوسف عن عبد اللّٰه بن سليمان النَّوْفَلِي [٦] عن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس - رضي اللّٰه عنهم أجمعين - قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **أَحِبُّوا اللَّهَ لما أَرْفَدَكُمْ [٧] به من نِعَمِهِ ، وأَحِبُّوني لِحُبِّ اللَّهِ ، وأَحِبُّوا أَهْلَ بيتي لِحُبِّي** » [٨] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون قوله : « **أحبوا اللّٰه** » خبرًا عن محبتهم إياه ، وإن كان لفظه لفظ الأمر ، وقد جاء مثله في كلام العرب ، مثل قولهم : (عِشْ رَجَبًا تَرَ

(١) بداية النسخة (س) و (خ) . (٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : الكلاباذي .
(٣) سقط من (س) و (خ) . (٤) في (س) و (خ) : حدثنا .
(٥) الطَّرَسُوسِي : بفتح الطاء والراء المهملتين والواو بين السينين المهملتين الأولى مضمومة والثانية مكسورة ، هذه النسبة إلى طَرَسُوس ، وهي من بلاد الثغر بالشام ، الأنساب (٢٦٣/٣) .
(٦) النَّوْفَلِي : بفتح النون وسكون الواو وفتح الفاء . هذه النسبة إلى نوفل بن عبد مناف عم جد رسول اللّٰه ﷺ ، الأنساب (٤٤٨/٤) .
(٧) أرفدكم : في س (أردفكم) ، أما في (خ) فهي غير واضحة . وأرفدكم من الرِّفْد وهو الإعانة ، النهاية في غريب الحديث مادة (رفد) ، (٢٤١/٢) ، أو هو العطاء والصلة ، لسان العرب مادة (رفد) .
(٨) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب المناقب باب في مناقب أهل بيت النبي ﷺ وقال فيه : حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه (٦٦٤/٥) رقم (٣٧٨٩) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١٦٢/٣) رقم (٤٧١٦) ، والطبراني في الكبير (٢٨١/١٠) رقم (١٠٦٦٤) ، (٤٦/٣) رقم (٢٦٣٩) ، وأحمد في فضائل الصحابة (٩٨٦/٢) رقم (١٩٥٢) كلهم بلفظ (يغذوكم) بالمعجمة إلا الطبراني قال : (يغدوكم) بالمهملة ، والحديث إسناده ضعيف لجهالة عبد اللّٰه ابن سليمان النَّوْفَلِي الذي تفرد به ولم يوثق . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : ليس النَّوْفَلِي بمعروف (٥٨٢/٩) ، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : مقبول (٢٤٩) رقم (٣٣٧٢) ، أي حيث يتابع تقريب التهذيب (ص ١٣) ولا متابع له . وقد ذكر ابن الجوزي الحديث في العلل المتناهية (٢٦٧/١) رقم (٤٣٠) ، وضعف إسناده الألباني في تحقيقه لفقه السيرة (٢٣) .

عَجَبًا) [(١)] ؛ [أي إن تعش رجبًا تر عجبًا] [(٢)] ؛ لأن العيش ليس إلى الإنسان فيؤمر بأن يعيش ، ومثله ما روي عن أبي الدرداء ﷺ قال : [٢] « وَجَدْتُ النَّاسَ اخْبُرْ تَقِلْهُ » [(٣)] معناه : إن خبرتهم قليتهم ، يدل عليه قوله : « وجدت الناس » كأنه قال : وجدت الناس وصفتهم إن خبرتهم قليتهم ، فكذلك قوله ﷺ : « **أحبوا الله** » معناه : إنما تحبون الله [٢/أ] لأنه أنعم عليكم ، فأحبكم فأحببتموه لحبه لكم ، كما قال الله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، أخبر عن حبه لهم قبل حبهم له .

وقوله : « **أحبوني لحب الله** » أي إنما تحبونني ؛ لأن الله تعالى أحبني فوضع فيكم محبتي ، كما جاء في الحديث : [٣] « **إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عبْدًا أمرَ جبريلَ** عليه السلام [**إني أحِبُّ فُلانًا ، فأَحِبُّوه**] [(٤)] ، **فنَادَى** [**جبريلُ** عليه السلام] [(٥)] **في السمواتِ : أَلا إِنَّ اللَّهَ تَعالى أَحَبَّ فُلانًا ، فأَحِبُّوه فيُحِبُّه أَهْلُ السَّماءِ** [(٦)] ، **ثمَّ يُوضَعُ حُبُّه في الأرْضِ** [(٧)] ، **فيقع** [(٨)] **على الماءِ فيشْرَبَه البرُّ والفاجِرُ** ، [**فيحبُّه البرُّ والفاجِرُ**] [(٩)] ، **وإِذَا أبغَضَ عبْدًا ، فمِثْلُ ذَلِكَ** » هذا معنى الحديث إن شاء الله .

[قال الشيخ رحمه الله : حدثناه أحمد بن علي بن عمرو قال : ح علي بن إسحاق المَادرائي [(١٠)] قال : ح علي بن حرب قال : ح أبو مسعود الزجاج واسمه عبد الرحمن

---

(١) يضرب مثلًا في تحول الدهر وتقلبه وإتيان كل يوم بما يتعجب منه ، كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٥٣/٢) رقم (١٢١٤) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في مسند الشاميين بلفظ : « اخبر تقله » ، (٣٥٨/٢) رقم (١٤٩٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب مرفوعًا بنفس اللفظ (٣٦٩/١) رقم (٦٣٥) ، وبلفظ « : اخبر تقله وثق بالناس رويدًا » ، (٣٦٩/١) رقم (٦٣٦) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٥٤/٥) ، وابن عدي في الكامل (٣٦/٢) رقم (٢٧٧) كلهم من طريق عبد الله بن أبي مريم والحديث ضعيف ، فيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم قال ابن عدي : ضعيف الحديث ليس بشيء (٣٦/٢) رقم (٢٧٧) ، وقد ضعف الحديث ابن الجوزي في العلل المتناهية (٧٢٣/٢) رقم (١٢٠٥) ، والزركشي في التذكرة (١١١/١) رقم (٤٦) ، والسخاوي في المقاصد الحسنة (٣٨/١) ، وابن طولون في الشذرة (٤١/١) رقم (٣٦) .

(٤ ، ٥) سقط من (خ) .

(٦) زاد في (خ) بعدها : « ثم يلقى عليه القبول في الأرض » وفي بعض الروايات . ا.هـ .

(٧) زاد في (س) بعدها عبارة : وفي بعض الحديث .

(٨) في (خ) : ويقع . ا.هـ .

(٩) من هامش الأصل .

(١٠) قال السمعاني : المَادرائي بفتح الميم والدال المهملة بعد الألف وبعدها الراء ، هذه النسبة إلى مادرايا وظني أنها من أعمال البصرة ، الأنساب (٢٠٥/٤) .

ابن الحسين [١] عن معمر عن سهل [٢] بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ... » الحديث] [٣] .

قال المصنف رحمه الله : فأخبر النبي ﷺ أن الله تعالى إذا أحب عبدًا وضع محبته في كل شيء حتى الجماد ، وإنما حملنا [٤] معنى الخبر على ما قلنا ؛ لأن المحبة إذا كانت بشرط النعمة كانت معلولة ناقصة ، وكان مرجوعها إلى حظ المحب لا إلى المحبوب ، والنعم كلها أو أكثرها ملاذ النفوس ومرافق [٥] الأبدان أو ما يؤدي إليها ، فمن أحب شيئًا للذة والرفق تغير للألم والمكروه وفوات حظوظ النفس ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ [الحج : ١١] ، وقد قالوا في محبة زليخا [٦] ليوسف - عليه السلام والتحية - إنها لم تكن محبة حقيقية ؛ لأنه كانت معها شهوة ومطالبة حظوظ النفس ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ [يوسف : ٢٣] ، فلما لم يطاوعها وفاتها حظها منه آثرت ألمه على ألمها ، فقالت : ﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ ﴾ الآية [يوسف : ٣٢] ، وأما النسوة فغبن عن حظوظ أنفسهن وآلامهن حتى قطعن أيديهن ولم يحسسن بالألم ، وزليخا لما تمكن الحب منها ، فقالت : ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ [يوسف : ٥١] أقرّت على نفسها وشهدت له بالبراءة ، ففي هذا دليل أن محبة النعمة محبة لذة ومطالبة حظوظ النفس [٢/ب] .

---

(١) كذا في الأصل و (س) والصواب : الحسن ، تهذيب الكمال (١١/٥٣) .

(٢) كذا في الأصل أما في (س) : (سهيل) وهو الصواب ، تهذيب التهذيب (٤/٢٣١) .

(٣) ما بين المعكوفين سقط من (خ) ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة ﷺ في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٣/١١٧٥) رقم (٣٠٣٧) ، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده (٤/٢٠٣٠) رقم (٢٦٣٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة مريم (٥/٣١٧) رقم (٣١٦١) ، ومالك في الموطأ (٢/٩٥٣) رقم (١٧١٠) ، وأحمد في مسنده (٢/٢٦٧) رقم (٧٦١٤) . وليس في أي من عباراتهم : « يقع على الماء فيشربه البر والفاجر فيحبه البر والفاجر » .

(٤) في (خ) : كان . ا.هـ .

(٥) مرافق : جمع مَرفِق والمرفق من الأمر وهو ما ارتفقت وانتفعت به ، لسان العرب مادة (رفق) .

(٦) هذا الاسم لم يثبت ، وغاية ما وقفت عليه ما ذكره ابن كثير بقوله : (وقال غيره : اسمها زليخا) يعني بذلك امرأة عزيز مصر ، تفسير القرآن العظيم (٢/٤٧٤) وذكر ابن حجر أن هذا هو المشهور من المنقول عن العلماء . فتح الباري (٨/٣٦٣) .

فإن حمل تأويل الحديث على ظاهر اللفظ كان ذلك أمرًا معلولًا ، والمحبة نهاية الأحوال [١] وأربابها أرباب المقامات الذين جازوا كثيرًا منها ، فمثل هؤلاء لا يخاطبون بالمعلول من الأمر إن شاء اللّٰه تعالى ، وقد قالت رابعة [٢] أو غيرها : (واللّٰه لو قطعتني بالبلاء إربًا إربًا ما ازددت لك إلا حبًا حبًّا) ، ومثل هذا لا يحمله على المحبة رؤية النعم التي هي حظوظ النفس ، ويكون أيضًا معنى الحديث : - إذا حمل على ما قلنا - تنبيهًا لهم على ما منَّ اللّٰه إليهم ، وردًّا لهم عن أوصافهم [إلى أوصاف الحق - جل جلاله - ليكونوا للحق مشاهدين [٣] وعن أوصافهم] [٤] معرضين ،كما نبههم اللّٰه تعالى بقوله جل جلاله : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

وأما قوله : « وأحبوا أهل بيتي لحبي » أي إنما تحبونهم ؛ لأني أحببتهم ؛ وأحببتهم ؛ لأن اللّٰه تعالى أحبهم ، ويجوز أن يكون أمر [٥] أن يحبوهم فتكون محبتهم لهم تصديقًا لحبهم النبي ﷺ ، ويكون معنى الحب لهم إيثارهم على غيرهم .

٢
باب في علامة حب اللّٰه عبده

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٤] ح أبو محمد عبد [٦] اللّٰه بن محمد بن يعقوب [٧] قال : ح عبد العزيز بن حاتم قال : ح الحارث بن مسلم قال : ح زياد بن

---

(١) الأحوال : جمع حال ويعنى عند الصُّوفيَّة تردد الصفة في النفس وعدم تمكنها كأن ينبعث من داخل النفس داع للمحاسبة فيحاسب نفسه ثم تغلبه نفسه فتزول الصفة منه ، أما إذا استمر العبد يتعاهد المحاسبة إلى أن انقهرت نفسه وتملكته المحاسبة وصارت وطنه ومستقره ومقامه صار العبد في مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة . وهذا هو الفرق بين الحال والمقام عندهم فالحال سمي حالًا لتحوله ، والمقام مقامًا لثبوته واستقراره ا.هـ . بتصرف من كتاب عوارف المعارف مع الإحياء للسهروردي (٥/٣٠٠) .

(٢) البَصْرِيَّة الزاهدة العابدة الخاشعة أم عمرو رابعة بنت إسماعيل ، قيل : عاشت ثمانين ، وتوفيت سنة ثمانين ومائة ، سير أعلام النبلاء (٨/٢٤١) ، وقيل : توفيت بالقدس عام (١٣٥ هـ) ، الأعلام للزركلي (٣/١٠) .

(٣) المشاهدة لغة : المعاينة ، لسان العرب مادة (شهد) ، قال الكاشاني : المشاهدة شهود الذات بارتفاع الحجاب مطلقًا ، معجم اصطلاحات الصُّوفِيَّة (٣٤٧) . ولعله يشير بذلك إلى الإحسان الوارد في قوله ﷺ في حديث جبريل : « أن تعبد اللّٰه كأنك تراه » .

(٤) سقط من (س) .

(٥) في (س) و (خ) : أمرًا ، انتهى والصواب ما في الأصل لعود الضمير على المعرفة وهو الرسول ﷺ .

(٦) زاد في (خ) بعدها : العزيز .

(٧) زاد في (س) بعد يعقوب : الحَارِثي الحسبلوني السبذموني ا.هـ . وزاد في (خ) : الحارثي السبذموني =

ميمون عن أنس بن مالك - رضوان الله عليهم أجمعين - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **علامةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ ذِكْرِ اللَّهِ ، وعلامةُ بُغْضِ اللَّهِ بُغْضُ ذِكْرِ اللَّهِ** » [(١)] .

معناه إن شاء الله : علامةُ حب الله عبده حبُّ عبده ذكرَه ، وذلك أنه إذا أحب عبدًا ذكره ، وإذا ذكر الله عبدًا حبب إليه ذكره ، فيذكر العبد ربه لذكر ربه له ، كما أحب ربه لحب ربه له ، قال الله تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، يجوز أن يكون معناه : ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد الله تعالى ؛ لأن ذكر الله للعبد يثير من العبد ذكره لله ؛ إذ علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه [(٢)] ، والله تعالى إذا أحب عبدًا أحب منه ذكره له ، كما جاء في الحديث : [٥] قال جبريل - صلوات الله عليه - : « **يَا رَبِّ عبدُكَ فُلانٌ اقْضِ لَهُ حَاجَتَهُ . فيقولُ : دَعُوا عَبدِي [٣/أ] فإني أُحِبُّ أنْ أَسْمَعَ صَوتَهُ** » .

قال المصنف رحمه الله : ح [(٣)] عبد الله بن محمد قال : ح عبد الرحيم بن عبد الله بن إسحاق السَّمَنَاني [(٤)] قال : ح إسماعيل بن توبة قال : ح عفيف بن سالم المَوْصِلِي [(٥)] عن بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرَّقَاشِي [(٦)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن

= ا.هـ . وفي هامش (خ) : السبذموني بضم السين أو فتحها وفتح الباء الموحدة وسكون الذال المعجمة وضم الميم وفي آخرها النون هذه النسبة إلى قرية من قرى بخارى على نصف فرسخ منها والمشهور منها عبد الله الكلاباذي الفقيه الحارثي المعروف بالأستاذ . من الأنساب . ا.هـ .

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب عن أنس بن مالك (٣٦٧/١) رقم (٤١٠) ، وابن عدي في الكامل (١٨٥/٣) ترجمة رقم (٦٨٦) ، والحديث إسناده ضعيف ؛ لأن فيه زياد بن ميمون . قال النسائي فيه في الضعفاء والمتروكين : « متروك الحديث » ، (٤٤/١) رقم (٢٢٢) ، وذكره ابن حبان في المجروحين من المحدثين (٣٠٥/١) رقم (٣٥٩) ، وابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (١/ ٣٠١) رقم (١٣٠٦) ، ولم يثبت سماعه من أنس ، الضعفاء للعقيلي (٧٧/٢) رقم (٥٢٦) ، الكامل لابن عدي (١٨٥/٣) رقم (٦٨٦) .

(٢) يشير بذلك إلى أنه تعالى قد جعل تذكرهم له سبحانه معلولًا بتذكره لهم . ولكن تذكره ﷺ لهم ليس له علة ؛ لأن أفعاله سبحانه لا تعلل .

(٣) في (س) و (خ) : حدثناه .

(٤) السَّمَنَاني : بكسر السين المهملة ، وفتح الميم والنون ، بلدة من بلاد قومس بين الدامغان وخوار الري يقال لها : سمنان ... من قرى نسا . الأنساب (٥٩/٣) .

(٥) المَوْصِلِي : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وفي آخرها اللام ، هذه النسبة إلى الموصل ، وهي من بلاد الجزيرة ، وإنما قيل لبلادها الجزيرة ؛ لأنها بين الدجلة والفرات ، الأنساب (٣٧٠/٤) .

(٦) الرَّقَاشِي : بفتح الراء والقاف المخففة وفي آخرها شين معجمة ، هذه النسبة إلى امرأة اسمها رقاش ، كثرت أولادها حتى صاروا قبيلة ، وهي من بني عيلان ، الأنساب (٣١٨/٢) .

النبي ﷺ : الحديث [١] .

قال المصنف رحمه الله : ويجوز أن يكون معناه على ظاهره ، فتكون علامة المحب لله تعالى كثرة ذكره لله تعالى ؛ لأنه قيل : [٦] « مَنْ أَحَبَّ شيئًا أكثرَ ذِكْرَهُ » [٢] ؛ لأن من أحب الله تعالى أحب أن يكون معه وعنده ، وكونه معه وعنده ذكره إياه ، كما جاء في الحديث : [٧] [قالَ اللَّه ﷻ :] [٣] « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَني » [٤] . وقد قال النبي ﷺ : « أنتَ مَعَ مَنْ أَحْببتَ » .

قال المصنف رحمه الله : ح به بكر بن مسعود بن رواد [٥] قال : ح أبو سليمان محمد بن منصور البَلْخِي [٦] قال : ح القَعْنَبِي [٧] قال : ح مالك عن إسحاق بن عبد الله [٨] عن

---

(١) الحديث ذكره بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه لابن النجار (جـ ٢) رقم (٤٩٠٥) وإسناده ضعيف فيه ضرار بن عمرو هو الملطي ، قال ابن حبان في المجروحين : منكر الحديث جدًّا (٣٨٠/١) رقم (٥١٤) ، وقال ابن عدي في الكامل : منكر الحديث (١٠٠/٤) رقم (٩٤٩) . وفي الحديث أيضًا يزيد الرَّقَاشِي وهو يزيد بن أبان الرَّقَاشِي وهو ضعيف ، الضعفاء للعقيلي (٣٧٣/٤) رقم (١٩٨٣) ، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢٠٦/١) رقم (٣٧٧٠) ، وقال ابن عدي في الكامل : نرجو أنه لا بأس به برواية الثقات عنه من البَصْريين والكوفيين وغيرهم (٢٥٧/٧) رقم (٢١٥٨) وهنا الراوي عنه ليس من الثقات .

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن مالك بن دينار (٣٨٨/١) رقم (٥٠١) وهو في سير أعلام النبلاء من قول رابعة العَدَوِيَّة (٢٤١/٨) ، وعزاه العجلوني في كشف الخفاء لأبي نعيم والدَّيْلَمِي عن عائشة مرفوعًا (٢٨٩/٢) رقم (٢٣٥٢) ، وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات (١٩٩/١) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظة عن كعب (١٠٨/١) رقم (١٢٢٤) و (٧٣/٧) رقم (٣٤٢٨٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٥١/١) رقم (٦٨٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٤٢/٦) ، والإمام أحمد في الزهد رقم (٣٥٤) ، (ص ١١٠) ، قال العجلوني في كشف الخفاء : رواه الدَّيْلَمِي بلا سند عن عائشة مرفوعًا وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب (٢٣٢/١) رقم (٦١١) . وقوله عن أبي بن كعب خطأ ، فقد وجدته عند البيهقي عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب ، وكذا عند ابن أبي شيبة وأبو نعيم والإمام أحمد . قال السمهودي في الغماز : طرقه ضعيفة . حديث رقم (٤٢) ص (٤١) وكذا قال في أسني المطالب حديث رقم (٣٨٧) ، (ص ٩٣) .

(٥) في (س) : مرواد .

(٦) البَلْخِي : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام ، وفي آخرها الخاء المعجمة ، هذه النسبة إلى بلدة من بلاد خراسان ، يقال لها : بلخ ، الأنساب (٢٧٨/١) .

(٧) في (خ) : الكعنبي ا.هـ . وفي هامشها : القعنبي في . ا.هـ . والقَعْنَبِي : بفتح القاف ، وسكون العين المهملة ، وفتح النون بعدها باء منقوطة بواحدة ، هذه النسبة إلى الجد ، الأنساب (٧٥/٤) .

(٨) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن أبي طلحة .

أنس ابن مالك ﷺ قال : [٨] قالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، متى الساعةُ ؟ فقالَ لهُ : « **مَا أعْدَدْتَ لها ؟** » قالَ : حُبَّ اللَّهِ ورسُولِه . قال : « **أنتَ معَ منْ أحببتَ** » (١) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون معناه إن كنت كذلك فأنت مع من أحببت ، شهودًا له بالقلب ، وذكرًا له باللسان ، وخدمة له بالجوارح ، فتكون علامة من أحب الله أن يحب ذكر الله ، وذكر الله من العبد باللسان علامة شهوده له بالقلب ،كما قال ﷺ : [٩] « **اعْبُدِ اللَّهَ كأنَّكَ تراهُ** » (٢) ومن شهده بقلبه فهو معه ، ومن ذكره كان (٣) جليسه ، وهكذا معنى قول النبي ﷺ : « **منْ أحبَّ لقاءَ اللَّهِ أحبَّ اللَّه لِقَاءهُ** » .

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : ح أبو النضر محمد بن إسحاق الرَّشَادِي (٤) قال : أخ (٥) علي بن عبد العزيز قال : أخ أبو عبيد قال : حدثني يحيى بن سعيد عن زكريا عن عامر عن شريح بن هانئ عن عائشة ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : [١٠] « **منْ أحبَّ لقاءَ اللَّهِ أحبَّ اللَّهُ لِقَاءهُ ، ومَنْ كرِهَ [لِقَاءَ اللَّهِ]** (٦) **كرهَ اللَّهُ لِقَاءهُ ، والمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ تعَالى** » (٧) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك بألفاظ مختلفة في كتاب الأدب باب علامة الحب في اللَّه ﷺ (٢٢٨٣/٥) رقم (٥٨١٩) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب (٢٠٣٢/٤) رقم (٢٦٣٩) ، والترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة في كتاب الزهد باب ما جاء أن المرء مع من أحب (٥٩٥/٤) رقم (٢٣٨٥) .

(٢) جزء حديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه مع زيادات عن معاذ بن جبل (٨٧/٧) رقم (٣٤٣٢٥) ، والطبراني في الكبير بلفظه مع زيادات (١٧٥/٢٠) رقم (٣٧٤) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه الطبراني بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعًا بين أبي سلمة ومعاذ (١٢٢/٤) وبين السبب في موضع آخر فقال : أبو سلمة لم يدرك معاذًا (٥٣/٤) ، وأخرجه ابن السَّرِّي في الزهد (٥٣١/٢) رقم (١٠٩٢) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٥٦/٢) رقم (٢٢) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : إسناده جيد (٣٤١/٣) ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد عن زيد بن أرقم (ص ٩٣) رقم (٢٢٢) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٢/٨) ، وأخرجه أيضًا عن ابن عمر (١١٥/٦) .

(٣) في (س) و (خ) : فكأنه .

(٤) الرَّشَادِيُّ : بفتح الراء والشين المعجمة ، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى رشاد ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه ، وهو أبو النضر محمد بن إسحاق بن رشاد بن بور بن عبيد اللَّه الرشادي السمرقندي ، الأنساب (٣١٠/٢) .

(٥) في س : ح . ا.هـ . وفي (خ) : حدثنا . ا.هـ .

(٦) في (س) : لقاءه .

(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة في كتاب الذكر والدعاء باب من أحب لقاء اللَّه (٢٠٦٦/٤) رقم (٢٦٨٤) ، والترمِذِي في جامعه عن عبادة بن الصامت بلفظه دون عبارة : =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : أي إنما يحب العبد لقاء الله إذا أحب الله لقاء العبد ؛ لأن [٣/ب] المحبة صفة له عَزَّوَجَلَّ ، والله ﷻ بجميع صفاته قديم عند عامة الصُّوفِيَّة وكثير من المتكلمين [١] من [أهل السنة] [٢] المثبتة ، فالمحبة من الله تعالى من صفة ذاته ، وبه قال الأَشْعَرِي [٣] وأصحابه ، وكذلك البغض والسخط والرضا والغضب والموالاة ، وإذا كان كذلك لم يجز أن تكون محبة الله عبده تبعًا لمحبة العبد الله أو موجبة لها .

وقوله : « **والموت دون لقاء الله تعالى** » يجوز أن يكون فيه معنى دقيقًا [٤] ، أي أن دون لقاء الله من العبد شهودًا له [بقلبه موت النفس وذهاب الحظوظ ، كأنه يقول : لا ينال لقاء الله شهودًا له] [٥] بالقلب إلا بعد [موت] [٦] النفس والغيبة عما دون الله ، كما قال حارثة : [١١] « عَزَفَتْ نفْسِي عن الدُّنيا [٧] ، فأظمأتُ نهارِي وأسْهَرتُ لَيلِي ، فكأنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا » [٨] بعد تركي حظوظ النفس وإماتة الشهوات كلها .

= « والموت دون لقاء الله تعالى » في كتاب الزهد باب ما جاء من أحب لقاء الله ، وقال : « حسن صحيح » ، (٥٥٤/٤) رقم (٢٣٠٩) ، والإمام أحمد في مسنده عن عائشة بألفاظ متقاربة (٢٠٧/٦) ، رقم (٢٥٧٦٩) وإسحاق بن راهويه في مسنده عن عائشة بألفاظ متقاربة (٨٩٣/٣) رقم (١٥٧١) ، والطبراني في الكبير عن عبد الله بألفاظ متقاربة (١٧٨/٩) رقم (٨٨٨٢) .

(١) بل جمهور المتكلمين من أهل السنة على ذلك ولم يشذ عن ذلك إلا المبتدعة وإنما اختلفوا في معنى القول في الله إنه قديم لعدم ورود اللفظ في القرآن والسنة ، مقالات الإسلاميين للأشعري (١٨١ ، ٥١٨) .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأَشْعَرِي (٨٠/٢) وما قبلها ، والأَشْعَرِي هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق ، من نسل الصحابي أبي موسى الأَشْعَرِي ، وهو مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ولد في البصرة سنة (٢٦٠ هـ) وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٤ هـ) ، قيل : بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب ، الأعلام للزركلي (٢٦٣/٤) .

(٤) كذا في الأصل و (س) و (خ) وهو خطأ نحوي صوابه : دقيقٌ لكون الكلمة نعتًا لِـ (معنى) وهي مرفوعة . وقد كتبها في هامش (خ) : (دقيق) بدون أية إشارة تصحيح ، إشارة منه لهذا الخطأ .

(٥) سقط من (س) .

(٦) زيادة من (خ) يقتضيها السياق .

(٧) عزفت نفسي عن الدنيا ، أي : عافتها وكرهتها ، النهاية مادة (عزف) ، (٢٣٠/٣) .

(٨) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن محمد بن صالح الأَنْصَارِي بألفاظ مختلفة مع زيادات (١٧٠/٦) رقم (٣٠٤٢٥) ، وعبد بن حميد في المنتخب عن الحارث بن مالك الأَنْصَارِي بألفاظ مختلفة مع زيادات (ص ١٦٥) رقم (٤٤٥) ، والطبراني في الكبير عن أنس بألفاظ مختلفة (٢٦٦/٣) رقم (٣٣٦٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس بألفاظ متقاربة مع زيادات (٣٦٢/٧) رقم (١٠٥٩٠ - ١٠٥٩٢) . قال =

أنشدت لبعض أهل المعرفة :

أحب عبدًا أحب مولاه إذا دعا ذا الجلال لباه
قد كشف الحب عن بواطنه فنور مولاه قد تغشاه
قد ادعى حبه فأحزنه كفى بذا العبد صدق دعواه
يقول يا غايتي ويا أملي ما خاب عبد تكون مولاه

٣
باب في الكمال في العبودية

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١٢] ح أبو الفضل محمد بن حاتم بن الهيثم قال : ح محمد بن بحير بن حازم أبو جعفر قال : ح محمد بن مخلد الحَضْرَمِي [(١)] [قال : ح] [(٢)] أبو عمرو البَصْرِي قال : ح سلام أبو المنذر عن ثابت البُنَانِي [(٣)] عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِن الدُّنيَا ثَلاثٌ** [(٤)] **: الطِّيبُ والنِّسَاءُ ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ** » [(٥)] .

= العقيلي في الضعفاء : ليس لهذا الحديث إسناد يثبت (٤/٤٥٥) ، وقال ابن حجر في الإصابة : وهذا الحديث لا يثبت موصولًا (١/٥٩٧) ، وقال ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار : روي من وجوه مرسلًا وروي مسندًا متصلًا من رواية يوسف بن عطية الصفار وفيه ضعف (٢/٣٣) ، ثم قال في نفس الموضع : والمرسل أصح . ا.هـ . وقد زاد في (س) بعد الحديث العبارة الآتية : [أي إنما كان نظري إلى عرش ربي بارزًا] .

(١) الحَضْرَمِي : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المنقوطة وفتح الراء ، هذه النسبة إلى حضرموت ، وهي من بلاد اليمن من أقصاها ، الأنساب (٢/٦٥) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) البُنَانِي : بضم الباء المنقوطة من تحتها بنقطة والنون المفتوحة ، فهذه النسبة إلى بنانة ، محلة بالبصرة ، الأنساب (١/٢٨٨) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى عن أنس بألفاظ متقاربة في كتاب عشرة النساء باب حب النساء (٥/٢٨٠) رقم (٨٨٨٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة في باب الرغبة في النكاح (٧/٧٨) رقم (١٣٢٣٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٣/١٢٨) ، رقم (١٢٣١٥ ، ١٢٣١٦) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ مختلفة (٦/١٩٩) رقم (٣٤٨٢) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢/١٧٤) رقم (٢٦٧٦) ، وابن عدي في الكامل (٣/٣٠٥) ، رقم (٧٦٨) وغيرهم دون لفظ « ثلاث » قال الزركشي في التذكرة : لم يرد فيه لفظ ثلاثة ... =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **من الدنيا** » أي في الدنيا ، فتكون « من » بمعنى « في » ، فكأنه قال : « حبب إلي في الدنيا » أي مدة كوني [٤/أ] فيها هذه الأشياء الثلاثة ، فتكون هذه الأشياء من الدين لا من الدنيا وإن كانت فيها ، ويكون قوله : « **إنما حبب إلي في** [1] **الدنيا** » ما ذكر إخبارًا منه عن بلوغه نهاية الكمال في العبودية للَّه تعالى ، وذلك أن أصل العبودية للَّه تعالى ، ودوران أحوالها على شيئين : تعظيم قدر [2] اللَّه تعالى ، وحسن معاملة خلق اللَّه . وما ذكر [3] أنه حبب إليه يجمع هاتين الخصلتين ، وذلك أن الصلاة أجمع خصلة من خصال الدين لتعظيم قدر اللَّه ، وأدل شيء على إجلاله ، وذلك أن أولها الطهارة سرًّا وجهرًا ، ثم جمع الهمة وإخلاء السر ، وهو النية ، ثم الانصراف عما دون اللَّه ، إلى اللَّه بالقصد إليه ، وهو التوجه ، ثم الإشارة برفع اليدين إلى نبذ ما ربط به ، ثم أول أذكارها التكبير ، وهو النهاية في التعظيم لقدر اللَّه ، وهو قوله : اللَّه أكبر ، ثم أول ثناء فيه ثناء [4] لا يشوبه ذكر شيء سواه ، وهو قولك : « سبحانك اللَّهم وبحمدك » إلى قوله : « ولا إله غيرك » [5] ، ثم

= وزيادة الثلاثة مخلة للمعنى فإن الصلاة ليست من الدنيا (ص ١٨١) ، وفسر صاحب الأسرار المرفوعة الصلاة بالصلاة عليه ﷺ ، الأسرار المرفوعة (١٠٧) . والحديث ضعيف عند العقيلي في الضعفاء (١٦٠/٢) رقم (٦٦٦) ، وابن عدي في الكامل (٣٠٥/٣) رقم (٧٦٨) ، ونقل ذلك عنه ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ولم يزد شيئًا (٤/٢٧) رقم (٢٢٩) ، وتبعه الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ١٢٥) .

(١) زاد في (س) بعدها : هذا .ا.هـ . وفي (خ) بدلًا منها : من . ا.هـ .

(٢) في (خ) : أمر .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : (ﷺ) . ا.هـ. وهي زيادة توضيحية لبيان الذاكر .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) هذه الصيغة من أدعية استفتاح الصلاة وتمامها : « سبحانك اللَّهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » وقد أخرجها أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخُدْرِي في كتاب الصلاة باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللَّه وبحمدك (٢٠٦/١) رقم (٧٧٥) ، والترمذِي في جامعه عن عائشة في كتاب أبواب الصلاة باب ما يقول عند افتتاح الصلاة (١١/٢) رقم (٢٤٣) ، وابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخُدْرِي في كتاب إقامة الصلاة باب افتتاح الصلاة (٢٦٤/١) رقم (٨٠٤) ، قال النووي في الأذكار : بأسانيد ضعيفة (ص ٤٣) ، وقال البيهقي في سننه الكبرى : وروي عن ابن مسعود وعن أنس مرفوعًا وكلها ضعيفة ، وأصح ما روي فيه الأثر الموقوف عن عمر بن الخطاب ﷺ (٣٤/٢) . ويعني بذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب حجة من قال : لا يجهر بالبسملة (٢٩٩/١) رقم (٣٩٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٤/٢) رقم (٢١٨٠) .

قراءة كلامه لا يجوز غيره ، منتصبًا ، قد زم [١] جوارحه هيبة وخشوعًا وإجلالًا وتعظيمًا ، ثم تحقيق ما عبر بلسانه عن ضميره من التعظيم للَّه فعلًا وحركة ، وهو الركوع والسجود وأذكارهما ؛ تنزيهًا للَّه وإجلالًا له ، وتعظيمه بقوله : سبحان ربي العظيم ، سبحان ربي الأعلى ، ثم مع كل حركة تكبيرة ، وليست هذه الخصال بأجمعها في شيء من العبادات أجمل منها في الصلاة ، فكأن قوله : « **جعلت قرة عيني في الصلاة** » عبارة عن تعظيمه قدر اللَّه .

وأما حسن معاملة خلق اللَّه فالنهاية فيه أن يوفر [٢] عليهم حقوقهم ويزيدهم [٣] ، ويبذل [٤] لهم حظوظهم [٥] من نفسه ، ولا يستوفي منهم حق [٦] نفسه ، ولا يطالبهم بحظوظها ، فأخبر عن كماله في هذه الخصلة بقوله : « **الطيب والنساء** » ، وذلك أن الطيب من حظ الروحانيين من خلق اللَّه ، ومنهم [٧] الملائكة - عليهم الصلوات والتحيات - وليس لهم في شيء من عرض الدنيا غير الطيب حظ ، فأحب ﷺ الطيب إيفاء لحظوظهم [٨] ، وحسن معاملته لهم مع غناه عنه [٩] ؛ لأنه ﷺ كان أطيب ريحًا من كل طيب [٤/ب] في الدنيا .

قال المصنف رحمه الله : قال : ح أبو منصور محمد بن نعيم بن ناعم قال : ح أبو حاتم الرَّازِيُّ [١٠] قال : ح الأَنْصَارِيُّ قال : حدثني حميد عن أنس رضي الله عنه قال : [١٣] « مَا

---

(١) زم : قال ابن منظور : زم البعير بالزمام ، لسان العرب مادة (زمم) ، وفسرت في المعجم الوجيز بالآتي : أي جعل له زمامًا ا.هـ . ويفهم منه أن زم جوارحه أي كبح جماحها فانقادت له ، على سبيل الاستعارة المكنية .

(٢) وفر عليهم حظوظهم : استوفاها ، لسان العرب مادة (وفر) .

(٣) زاد في (س) بعدها : ويرفدهم . ا.هـ . والرفد سبق تعريفه .

(٤) في هامش (س) : بذل الشيء أعطاه وجاد به وبابه نصر .

(٥) في (خ) : حقوقهم .

(٦) في (خ) : حظ .

(٧) في (س) : وهم .

(٨) في (س) و (خ) : لحقوقهم .

(٩) في (خ) : عنهم .

(١٠) الرَّازِي : بفتح الراء والزاي المكسورة بعد الألف ، هذه النسبة إلى الري ، وهي بلدة كبيرة من بلاد الديلم بين قومس والجبال ، وألحقوا الزاي في النسبة تخفيفًا ؛ لأن النسبة على الياء مما يشكل ، ويثقل على اللسان والألف لفتحة الراء ، الأنساب (٢/٢٨٠) .

مَسِسْتُ حَرِيرَةً ، ولا خَزًّا [١] أليَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا شَمِمْتُ رَائِحَةً قَطُّ مِسْكًا ولا عَنْبَرًا - [أو قال : عَنبرًا] [٢] - أطيبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » [٣] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : فمن كان بهذه الصفة لم يستعمل الطيب لنفسه .

وكان بلغ من حبه الطيب أنه أمر عليًّا ﷺ أن يجعل ثلثي مهر ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الطيب .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : حدثناه حاتم بن عقيل قال : ح يحيى بن إسماعيل قال : ح يحيى الحِمَّاني [٤] قال : ح خالد بن عبد اللَّه عن المنذر بن ثعلبة عن علباء [٥] بن أحمد [١٤] « أنَّ عَلِيًّا تزوَّجَ فَاطِمَةَ ﷺ عَلَى أَرْبَعمِائَةِ دِرْهَمٍ وثمانِينَ دِرْهمًا ، فأَمَرهُ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يجعَلَ [٦] ثُلُثيهَا في الطِّيبِ » [٧] .

فهذا حظ الروحانيين من الخلق ، بلغ [٨] النهاية فيه من حبه له ، فكأنه أحب أن يوفر عليهم حظوظهم ؛ إذ ليس لهم في شيء من عرض الدنيا غير الطيب حظ ، ثم عشرة النساء ومعاملتهن أصعب وأعسر ؛ لأنهن أضعف تركيبًا ، وأقل عقلًا ، وأرق دينًا ،

---

(١) الخز : ثياب تنسج من صوف وإبريسم ، النهاية مادة (خزز) ، (٢٨/٢) .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) الحديث أخرجه بألفاظ مختلفة البخاري في صحيحه عن أنس . في كتاب الصوم باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره (٦٩٦/٢) رقم (١٨٧٢) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه (١٨١٤/٤) رقم (٢٣٣٠) ، والترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة عن النبي ﷺ باب ما جاء في خلق النبي ﷺ (٣٦٨/٤) رقم (٢٠١٥) ، والدارمي في سننه في باب « في حسن النبي ﷺ » ، (٤٥/١) رقم (٦١) ، وأحمد في مسنده (١٠٧/٣) رقم (١٢٠٦٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٦٣/٦) رقم (٣٨٦٦) .

(٤) الحماني : بكسر الحاء المهملة وفتح الميم المشددة ، هذه النسبة إلى بني حِمَّان ، وهي قبيلة نزلت الكوفة ، الأنساب (٨٤/٤) .

(٥) في هامش (خ) : علباء بن أحمد بعين مهملة مكسورة سمع عليًّا ﷺ .

(٦) في (س) : يجعلها .

(٧) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن علباء بن أحمر بألفاظ مختلفة مع زيادات (٢٩٠/١) رقم (٣٥٣) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات (١٧٥/٩) ، وأخرجه ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة بألفاظ مختلفة مع زيادات ، وقال : إسناده صحيح (٣٠٧/٢) رقم (٦٨٤) .

(٨) في (س) : وبلغ أو بزيادة الواو .

وأغلب على ألباب [١] الرجال [٢] ، فأخبر أنه حببن إليه فحبب إليه معاملتهن وعشرتهن مع ضيق أخلاقهن ، فعاملهن النبي ﷺ أحسن معاملة حتى جمع بين الضرائر ، وهو سبب المشاحة [٣] والتشاجر وتغير الأخلاق ، حتى بلغ من حسن معاملته إياهن أن تحاببن وتواصلن ، وبلغ من رفقه بهن أن عاتبه اللَّه تعالى ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم : ١] ، فمن كانت معاملته مع النساء هذه المعاملة ، فما ظنك في معاملته الرجال ، وكان من حسن معاملته ما حدثناه حاتم بن عقيل قال : ح يحيى بن إسماعيل قال : ح يحيى الحِمَّاني قال : ح مندل عن الحسن بن الحكم النَّخَعِي [٤] عن أنس بن مالك ﷺ قال [٥/أ] : [١٥] « خَدَمْتُ النَّبيَّ ﷺ عشرَ سِنينَ فَمَا قالَ لي لِشَيءٍ صَنَعْتُهُ : لم صَنَعْتَهُ ، ولا قَالَ لي لِشَيءٍ لم أصنَعْهُ : أَلا صَنَعْتَهُ ، وَلا رَأَيْتُ رُكبَتَهُ قُدَّامَ رُكْبَةِ جَلِيسِهِ قَطُّ ، ولا عَابَ طَعَامًا قَطُّ ، ولا صَافَحَهُ أَحَدٌ قَطُّ فَانتزَعَ يدَهُ مِنْ يدِهِ حَتَّى يكونَ المصَافِحُ هُوَ الذِي ينتزِعُ يَدَهُ مِنْهُ ، ولا أَصْغَى [٥] إليهِ أحَدٌ برأسِهِ ، فيُنَحِّي رَسولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ حتَّى يكونَ المصْغِي هُوَ الذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ ، ولَقَدْ شممْتُ رِيحَ طِيبِ النِّسَاءِ والرِّجَالِ ؛ فَمَا شممْتُ رِيحًا قَطُّ ولا رَائِحَةً أطيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ولا عرْفه » [٦] . [وفي رواية : عَرَقِهِ] [٧] .

---

(١) في هامش (س) : اللب العقل وجمعه ألباب .

(٢) يشير بذلك إلى ما أخرجه البخاري في كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم (١١٦/١) رقم (٢٩٨) عن أبي سعيد الخُدْرِي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن » ، وإلى ما أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات عن عبد اللَّه بن عمر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن » ، (٨٦/١) رقم (٧٩) .

(٣) في (س) : المشاقة ا.هـ . والمشاحة : التنازع ، لسان العرب مادة (شحح) .

(٤) النَّخَعِيُّ : بفتح النون والخاء المعجمة بعدها العين المهملة ، هذه النسبة إلى النَّخَع وهي قبيلة من العرب نزلت الكوفة ومنها انتشر ذكرهم ، الأنساب (٤١١/٤) .

(٥) أصغى : أمال ، النهاية مادة (صغي) ، (٣٣/٣) .

(٦) في (خ) : عرقه ا.هـ . والعرف : الريح ، النهاية مادة (عرف) ، (٢١٦/٣) .

(٧) سقط من (س) و (خ) . والحديث أخرج نحوه الأصبهاني في مسند أبي حنيفة (٥١/٢) ، وأخرجه البخاري في صحيحه من أوله حتى « صنعته » عن أنس بألفاظ مختلفة في كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (٢٢٤٥/٥) رقم (٥٦٩١) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة في كتاب الفضائل باب كان رسول اللَّه ﷺ أحسن الناس خلقًا (١٨٠٤/٤) رقم (٢٣٠٩) ، وأبو داود في سننه =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : وبلغ من حسن معاملة (١) خلق اللَّه أن أسلم له الشيطان ، حدثناه حاتم قال : ح يحيى [قال : ح يحيى الحِمَّاني] (٢) قال : ح جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١٦] « **ما مِنْ أَحَدٍ إلا وقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ (٣) مِنَ الجنِّ** » . قَالُوا : وإيَّاكَ يا رسُولَ اللَّهِ ؟ قالَ : « **وإيَّايَ إلا أنَّ اللَّهَ تعَالى أعَانَني عَلَيْهِ فَأَسْلَم** » (٤) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : واختلف في معنى قوله : « **فأسلم** » فقيل : استسلم ، وقيل : أسلم أنا منه ، وقيل : صار مسلمًا (٥) . فلو كان استسلم فهذا غاية حسن المعاملة حتى يكون انقاد له العدو واستسلم ، وإن سلم النبي ﷺ منه ، فبحسن معاملته بعد عصمة ربه ﷻ وسلم منه ؛ لأنه غاية الرفق والتوقي ، وإن أسلم ودخل في (٦) الإسلام فلا يستنكر إسلام واحد من بين [جميع الشياطين] (٧) ، كما لم يستنكر كفر واحد من بين جميع الملائكة

= بنحوه في كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ (٢٤٧/٤) رقم (٤٧٧٤) ، والترمذي في جامعه بنحوه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في خلق النبي ﷺ ، وقال : حسن صحيح (٣٦٨/٤) رقم (٢٠١٥) ومن قوله : « ولا صافحه أحد » حتى « منه » أخرجه بنحوه الحافظ نور الدين الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٨٨٢/٢) رقم (٩٥٠) ، وهذا الحديث إسناده ضعيف حيث إن الحسن ابن الحكم النَّخعي لم يلق أنس بن مالك إنما يحدث عن التابعين ، جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص ١٦٢) رقم (١٣٣) ، تهذيب التهذيب (٢٣٦/٢) ، رقم (٤٩٠) .

(١) في (خ) : معاملته .

(٢) سقط من (س) .

(٣) قرينه : مُصَاحبه ، النهاية مادة (قرن) ، (٥١/٤) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود بألفاظ متقاربة في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب تحريش الشيطان (٢١٦٧/٤) رقم (٢٨١٤) وزاد في آخره : « فلا يأمرني إلا بالخير » ، وأخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس بألفاظ مختلفة (٢٥٧/١) رقم (٢٣٢٣) ، وأخرجه الطبراني في الكبير عن أسامة بن شريك بألفاظ مختلفة (١٨٧/١) رقم (٤٩٤) ، وفي الأوسط عن ابن مسعود بألفاظ متقاربة (٩٣/٣) رقم (٢٥٩٣) ، وفي مسند الشاميين عن ابن عباس بنحوه (٤١٩/١) رقم (٧٣٧) ، والهيثمي في موارد الظمآن عن شريك بن طارق بنحوه (ص ٥١٥) .

(٥) هذا الاختلاف مرده ضبط ميم « فأسلم » ، قال السيوطي : روي بفتح الميم فعل ماض من الإسلام وضميره القرين ، وبرفعها مضارع من السلامة أي أسلم أنا من شره وفتنته ؛ والأولى أرجح عند القاضي والنووي ، الديباج على صحيح مسلم (١٦٨/٦) أما « استسلم » فقد ذكره المباركفوري مع الوجهين السابقين ، تحفة الأحوذي (٢٨٢/٤) .

(٦) في (س) : على .

(٧) في (س) و (خ) : الجميع .

[وهو إبليس] (١) مع قوله : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التحريم: ٦] وعصيان اثنين منهم (٢) هاروت وماروت (٣) ، فيكون الواحد مستثنى من بين الجميع ، وإن لم نعلم وجه الاستثناء فهذا من حسن المعاملة منه إياه أن أسلم الشيطان .

وقوله : « **إنما حبب إلي من الدنيا الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة** » عبارة عن بلوغ الغاية في العبودية كما قلنا ، ولما كان أصل العبودية الخصلتين اللتين (٤) ذكرناهما من تعظيم قدر الله وحسن معاملة خلق الله ، وكان [٥/ب] إحدى الخصلتين أعظم من الأخرى ، وهو (٥) تعظيم قدر الله ، فلذلك زيد في تحبيبها إليه حتى صارت قرة عينه ، فإن قرة العين غاية المحبة ، فكأنه قال : إنما حبب إلي من (٦) الدنيا العبودة (٧) لله لا غير (ن) .

وفي بعض الروايات : [١٧] « **مِنْ دُنْياكُمْ** » (٨) ، فيكون فيه إشارة إلى أنه ليس له فيها حظ ولا إليها نظر ولا لها عنده خطر (٩) ، وأنها بغيضته (١٠) رأسًا ، والذي حبب إليه فيها ما هو لله تعالى (ن) .

يقول (١١) العبد الضعيف أبو الحسن (١٢) - أحسن الله إليه - : أنشدني بعض

---

(١) سقط من (خ) . وفي هذه المسألة خلاف مرده الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [طه: ١١٦] ، وقد نقل ذلك الخلاف الطبري في تفسيره جامع البيان (١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥) ، (١٥/ ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) القول بأن هاروت وماروت من الملائكة اختاره الطبري في تفسيره جامع البيان (١/ ٤٥٥) وساق لذلك آثارًا بإسناده تعقبها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ، وأرجع ذلك كله إلى الإسرائيليات حيث قال : وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كـ ... وغيرهم . وقصها خلق من المفسرين والمتقدمين والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ؛ إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق ، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٢) .

(٤) زاد في الأصل بعدها (التي) وهي سقط من (س) وهو الصواب .

(٥) في (س) و (خ) : وهي .

(٦) في (س) و (خ) : في .

(٧) في (س) و (خ) : العبودية .

(٨) أخرجها البيهقي في سننه الكبرى عن أنس بن مالك ﷺ (٧/ ٧٨) رقم (١٣٢٣٢) .

(٩) في (خ) : نظر ا.هـ . وفي هامش (س) : وخطر الرجل قدرُه ا.هـ . والخطر : الحظ والنصيب ، لسان العرب مادة (خطر) .

(١٠) في هامش (س) : الدنيا أي مبغوضته .

(١١) من هنا حتى آخر الآيات غير موجود في (س) و (خ) .

(١٢) عرف نفسه في المقدمة بقوله : أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين السُّغْدِي .

المحققين من أهل المحبة (شعر) :

حب الإله فريضة ولكنما [1] حب النبي المصطفى مصداقه
إن المحب يحب حب حبيبه أو لا فباد كذبه ونفاقه
فمحبة الرحمن عز حاضر وسلوك منهاج الرسول وثاقه
وقيام خلق اللّه خلف محمد وحياة أرباب الهدى أخلاقه
وحدائق الفردوس من أنواره نوارة وخلاله أوراقه
فمن اقتفى آثاره يفلح ومن يعرض فأصناف العذاب خلاقه

٤
باب في محبة الله تعالى رسوله وإسكان محبته كل شيء

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١٨] ح أبو الليث نصر بن الفتح قال : ح أبو عيسى [2] محمد بن عيسى بن سورة قال : ح قتيبة عن مالك .

قال المصنف رحمه الله : و ح نصر قال : ح [3] أبو عيسى قال : ح إسحاق بن موسى الأَنْصَارِي قال : ح معن قال : حدثنا مالك عن عمرو بن عمرو [4] عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ : « **هَذَا جَبَلٌ يحبُّنا ونحبُّهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وأَنَا أُحَرِّمُ مَا بينَ لابَتَيْهَا** » [5] [6] .

---

(١) كذا وهو خطأ في الوزن ، والصواب (لكنما) بدون واو .

(٢) زاد في (س) بعد عيسى : قال ح . ا.هـ . وهو خطأ ؛ لأن أبا عيسى هذا هو محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المشهور صاحب الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي .

(٣) في (س) : و ح .

(٤) في (س) و (خ) : أبي عمرو ا.هـ . وهو الصواب ، تهذيب الكمال (١٦٨/٢٢) ترجمة رقم (٤٤١٨) .

(٥) لابتيها : المراد ما بين طرفي المدينة ، غريب ابن قتيبة (٤٦٥/٢) . وفي هامش (س) : أي طرفيها .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك بلفظه في كتاب الأنبياء باب يزفون (١٢٣٢/٣) رقم (٣١٨٧) ، ومسلم في صحيحه بنحوه في كتاب الحج باب فضل المدينة (٩٩٣/٢) رقم (١٣٦٥) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب المناقب باب ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ (٧٢١/٥) رقم (٣٩٢٢) ، ومالك في الموطأ بلفظه (٨٨٩/٢) رقم (١٥٧٦) ، وأحمد في مسنده بلفظه (١٤٩/٣) رقم (١٢٥٣٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظه (١٩٧/٥) رقم (٩٧٣٧) ، وابن حبان في صحيحه مطولًا عن أبي حميد الساعدي بنحوه (٣٥٤/١٠) رقم (٤٥٠٣) ، وأبو يعلى في =

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **هذا جبل يحبنا** » أي أهله ونحبهم ، فكأنه قال : أهل هذا الجبل يحبوننا ونحبهم ، وهم أهل المدينة كما قال [٦/أ] الله تعالى خبرًا [(١)] : ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] ، أي أهل القرية وأهل [(٢)] العير ، ويجوز أن يكون ذلك إشارة منه إلى حب الله تعالى إياه وأنه حبيب الله أحبه الله وأسكن [(٣)] حبه ما اختار من خلقه من حيوان وجماد ، وقد قال ﷺ : « **إذَا أَحَبَّ اللَّه عَبْدًا أَمَرَ جِبريلَ** عليه السلام ، **فنادى** [(٤)] **في أهلِ السَّموَاتِ ألا إنَّ اللَّه تعَالى أحَبَّ فُلانًا فأَحِبُّوهُ فيُحِبُّه أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ تُوضَعُ محبَّتُهُ في كُلِّ شَيْءٍ [حَتَّى** [(٥)] **ذَكَرَ]** [(٦)] **الماءَ** » حدثناه أحمد بن علي بن عمرو قال : ح علي بن إسحاق الْمَاذَرَائِي قال : ح علي بن حرب قال : ح أبو مسعود الزجاج – واسمه عبد الرحمن بن الحسين [(٧)] – عن معمر [(٨)] عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٩] « **إنَّ اللَّه تعَالى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبريلَ** عليه السلام : **إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُنَادِي جِبريلُ في السَّمَاءِ : إنَّ** [(٩)] **رَبَّكُمْ** عز وجل **يحبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يُلْقَى عَلَيْهِ الْقَبولُ في الأرْضِ فَيَقَعُ** [(١٠)] **على الماءِ ، فيشْرَبُهُ البرُّ والفَاجِرُ فيُحِبُّهُ البَرُّ والفَاجِرُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا فَمِثْلُ ذَلِكَ** » [(١١)] [هذا معنى الحديث] [(١٢)] .

فأخبر أنه تعالى أحبه ، فأسكن محبته كل شيء ، حتى أسكن محبته أبعد الأشياء من صفة المحبة وهو الجبل ، فيكون ذلك إبلاغًا في المحبة منه [(١٣)] له ، كما ذكر الله تعالى الحجارة وأخبر أن منها ما يتفجر منه الأنهار ويتشقق [(١٤)] فيخرج منه الماء ويهبط من خشيته [(١٥)] ، مع بعدها من [(١٦)] أوصاف اللين والرطوبة ، مبالغة في ذكر قسوة قلوب

= مسنده بلفظه (٣٦٩/٦) رقم (٣٧٠٢) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار بلفظه (١٩٣/٤) .

(١) سقط من (س) .
(٢) سقط من (س) و (خ) .
(٣) في (س) و (خ) : فأسكن .
(٤) في (س) : ينادي .
(٥) سقط من (س) .
(٦) في (خ) : ويقع على .
(٧) كذا أيضًا في (خ) ، وفي (س) : الحسن ا.هـ . والصواب ما في (س) .
(٨) في (س) : عمر .
(٩) سقط من (س) و (خ) .
(١٠) في (س) و (خ) : ويقع .
(١١) سبق في اللوحة رقم (٢/ب) .
(١٢) سقط من (س) و (خ) .
(١٣) في (س) : فيه .
(١٤) في (س) ويشقق .
(١٥) يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤] .
(١٦) في (خ) : عن .

الكافرين ، فكذلك النبي ﷺ ذكر محبة الجبل إياه مبالغة في محبة الله له ، حتى وضع في الجبل محبته .

وقد وضع الله تعالى محبته في الجذع حتى حنَّ [١] له لما فارقه شوقًا إليه ، ومحبة له :

حدثناه نصر قال : ح أبو عيسى قال : ح محمود بن غيلان قال : ح عمرو بن يونس عن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ﷺ [٢٠] « أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خطبَ إِلى لِزْقِ [٢] جذعٍ [ثُمَّ اتَّخذُوا] [٣] له مِنْبَرًا فَخَطَبَ عَلَيْهِ ، فَحَنَّ لَهُ [٤] الجذعُ [٥] حنينَ النَّاقَةِ ، فَنَزَلَ النَّبيُّ ﷺ فَمَسَّهُ فَسَكَنَ » [٦] . وفي رواية أخرى : [٢١] « فاحتضَنَهُ [٧] فَسَكَنَ » [٨] فأخبر أن [من] [٩] محبته إياه [٦/ب] حن ، ألا تراه يقول : « فاحتضنه فسكن » ، فكان سكونه حين مسه أو احتضنه .

وقوله : « **ونحبُّه** » يجوز أن تكون محبة النبي ﷺ الجبل على سبيل المجازات [١٠] ، وذلك أن من أحب شيئًا فقد آثره ، ومن الحق أن تؤثر حق [١١] من يؤثرك ، ويجوز أن

---

(١) في هامش (س) : الحنين : الشوق وتوقان النفس ، وقد حن يحن بالكسر حنينًا .

(٢) لزق : يقال : هذا لِزْقُ هذا ولزيقه وبلزقه ، أي لصيقه وقيل : بجانبه ، لسان العرب مادة (لزق) وفي هامش (س) : يقال : فلان لزقي وبلزقي ولزيقي أي بجنبي . ا.هـ ، والجذع : واحد جذوع النخلة ، وقيل : هو ساق النخلة ، لسان العرب مادة (جذع) .

(٣) في (س) و (خ) : فاتخذوا . (٤) سقط من (س) .

(٥) حَنَّ الجذع : أي نزع واشتاق ، وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها ، النهاية مادة (حنن) ، (١/ ٤٥١) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر بألفاظ مختلفة في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (١٣١٣/٣) رقم (٣٣٩٠) ، والترمذي في جامعه عن أنس بن مالك بألفاظ متقاربة في كتاب المناقب (٥٩٤/٥) رقم (٣٦٢٧) ، وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أيضًا عن ابن عمر بنحوه في كتاب الجمعة باب ما جاء في الخطبة على المنبر ، وقال : حسن غريب صحيح (٣٧٩/٢) رقم (٥٠٥) ، وأحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله بنحوه (٢٩٣/٣) رقم (١٤١٥١) ، وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد بنحوه (٣٢٨/٢) رقم (١٠٦٧) ، والدارمي في سننه عن أبي سعيد بنحوه (٣١/١) رقم (٣٧) .

(٧) في هامش (س) حضن الطائر بيضه من باب نصر ودخل إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه ا.هـ .

(٨) أخرجها الدارمي في سننه عن ابن عباس (٣١/١) رقم (٣٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس (٣١٩/٦) رقم (٣١٧٤٦) . (٩) زيادة من (س) .

(١٠) هكذا في الأصل أما في (س) و (خ) المجازاة .

(١١) سقط من (س) و (خ) .

يكون معناه أن من أحب رسول الله ﷺ أحبه الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فإذا كان اتباعه موجبًا محبة الله فكيف بمحبته ؟ ومن أحبه الله تعالى أحبه أحباء الله ، والنبي ﷺ سيد الأحباء [١] ، وهو أحق أن يحب من يحبه الله .

ويجوز أن يكون معناه إشارة منه إلى حبه لله ؛ لأنه ﷺ علم أن أُحُدًا موضع الإشارة إلى محبة الله إياه ، فكأنه أخبر عن محبة الله له بقوله : « **يحبنا** » ، وأخبر عن محبته لله بقوله : « **ونحبه** » ، والجبل واسطة بين الحبيبين [٢] كما كانت الشجرة واسطة [٣] بين الكليمين [٤] (ن) .

٥
باب في دعاء النبي ﷺ وشروط إجابة الدعاء

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٢٢] ح محمد بن إسحاق الرَّشَادِي قال : ح محمد بن الضوء قال : ح [محمد بن] [٥] كثير العَبْدِي [٦] قال : ح سفيان بن سعيد الثَّوْرِي [٧] عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر [٨] رضي الله عنه قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَّةَ وَالْعِفَّةَ وَالأَمَانَةَ وَحُسْنَ الْـخُلقِ والرِّضَا بِالْقَدَرِ** » [٩] .

قال المصنف رحمه الله : الصحة في إقامة الأوامر ، والعفة الانتهاء عن الزواجر ، والأمانة زم الجوارح ، وحسن الخلق تحمل أثقال الخلق ، وهو يحقق العبودية ، والرضا بالقدر

---

(١) في (س) و (خ) : أحباء الله .
(٢) في هامش (س) : الله ورسوله .
(٣) من هامش الأصل .
(٤) في هامش (س) : الله وموسى .
(٥) سقط من (س) .
(٦) سقط من (خ) . والْعَبْدِي : بفتح العين المهملة ، وسكون الباء المنقوطة بواحدة ، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى عبد القيس في ربيعة بن نزار ، الأنساب (٣٠٦/٣) .
(٧) الثَّوْرِي : بفتح الثاء المنقوطة بثلاث وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى ثور تميم ، الأنساب (٣٧١/١) .
(٨) في (س) : عمرو . وهو الموافق لروايات الحديث التي وقفت عليها والآتي بيانها .
(٩) أخرجه بلفظه عن عبد الله بن عمرو : البخاري في الأدب المفرد في باب من دعا الله أن يحسن خلقه (ص ١١٥) رقم (٣٠٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٤/٦) رقم (٨٥٤٠) ، والطبراني في الدعاء (ص ٤١٥) رقم (١٤٠٦) ، والخطيب البَغْدَادِي في تاريخ بغداد (١٢١/١٢) رقم (٦٥٧١) .

مشاهدة الربوبية [(١)] .

قال المصنف رحمه الله : و [(٢)] ح [محمد بن إسحاق [(٣)]] [(٤)] قال : ح أحمد بن داود السِّمَنَاني قال : ح عبد الواحد بن غياث قال : ح صالح الْمُرِّي [(٥)] عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢٣] « **ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ لاهٍ** » [(٦)] [٧/أ] .

قال المصنف رحمه الله : معنى قوله : « **وأنتم موقنون بالإجابة** » : أي كونوا على حالة تستحقون الإجابة أي بحضور [(٧)] السر وصحة الحال حتى تكون معروفًا في الملكوت ، حتى يقال : صوت معروف ، وهو أن تكون تعرف إلى الله في أداء أوامره واجتناب مناهيه وقبول أحكامه غير متسخط ، ثم يدعوه ولا يكون في سره غيره ، ألا تراه يقول : ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق : ٣٣] ، أي راجع إليه عما سواه ثم [(٨)] يكون مضطرًا إليه قد انقطع رجاؤه عما سواه ، لا يرجع إلى حوله وقوته ولا إلى أفعاله ، قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] ، قال بعضهم : (المضطر الذي إذا رفع يديه إليه لم ير لنفسه عملًا) ، فإذا كان كذلك أيقن بإجابة دعوته ؛ لأن الله تعالى وعد بإجابة دعوة [(٩)] من دعاه ، وهذه شرائط من يجيب دعاءه ، فمن أتى بها فالله تعالى منجز له

---

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها عبارة : حديث آخر .

(٢) سقط من (س) .

(٣) زاد في (س) بعدها : الرَّشَادِي .

(٤) في (خ) : الرشادي .

(٥) الْمُرِّي : بضم الميم والراء المكسورة المشددة ، هذه النسبة إلى جماعة من بطون قبائل شتى ... وصالح المري منسوب إلى مرة بن الحارث بن عبد القيس ، الأنساب (٢٨١/٤) .

(٦) الحديث أخرجه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة رضي الله عنه الترمِذِي في جامعه في كتاب الدعوات في باب منه (٥١٧/٥) رقم (٣٤٧٩) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح الْمُرِّيُّ وهو أحد زهاد البصرة ولم يخرجاه (٦٧٠/١) رقم (١٨١٧) ، والطبراني في الأوسط (٢١١/٥) رقم (٥١٠٩) وفي الدعاء (ص ٣٩) رقم (٦٢) ، والخطيب البَغْدَادِي في تاريخ بغداد (٣٥٥/٤) رقم (٢٢٠٥) ، وابن عدي في الكامل (٦٢/٤) رقم (٩١٢) وعد هذا الحديث من منكرات صالح الْمُرِّيُّ . وأخرجه بنحوه عن عبد الله بن عمرو أحمد في مسنده (١٧٧/٢) رقم (٦٦٥٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن (١٤٨/١٠) .

(٧) في (خ) : لحضور .

(٨) في (خ) : لم .

(٩) سقط من (س) .

وعده ، وهو لا يخلف الميعاد .

يقول [1] العبد الضعيف المعترف بذنوبه أبو الحسن - أحسن اللّه إليه - : قد سمعت بعض المحققين وأهل المحبة قدس اللّه أرواحهم (شعر) :

أولى الأنام بفضل اللّه أرحمهم ... بخلقه سوف يلقى ما تمناه
ينال ما يرتجي يوم اللقاء كما ... أرضى العباد بما أرضاه مولاه
وإن رحمة قلب العبد شاهدة ... برحمة اللّه في الدارين إياه
ما أكرم اللّه عبدًا بالنبوة في ... دنياه إلا رحيمًا قد تولاه
فعاش أهل الهدى في ظل رحمته ... وصار في رحمة الرحمن مأواه
فليرحم الخلق طرًّا كل ذي ورع ... يحرز من الأجر أعلاه وأزكاه

٦
باب في أي الدعاء خير ؟

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٢٤] ح [محمد بن يعقوب] [2] قال : ح يحيى بن إسماعيل بن الحسن الْهَمَدَاني قال : ح خالد بن يزيد العمري عن ابن أبي ذئب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخُدْرِي [3] رضي الله عنه [٧/ب] أَنَّ رَجُلا قَالَ لِلنَّبي ﷺ : أيُّ الدُّعَاءِ خَيرٌ أَدْعُو بِهِ في صَلاتِي ؟ فقَالَ : « **نَزَلَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ - صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيهِ - وَقَالَ : إِنَّ خَيْرَ الدُّعَاءِ أَنْ تَقُولَ في صَلاتِكَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ ، وَلَكَ الخَلْقُ كُلُّهُ ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ، أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ** » [4] .

---

(١) من هنا حتى آخر الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

(٢) في (س) و (خ) : عبد اللّه بن محمد بن يعقوب وزاد في (خ) بعد يعقوب : الحارثي .

(٣) الخُدْرِي : بضم الخاء وسكون الدال المهملة والراء في آخرها ، هذه النسبة إلى خدرة قبيلة من الأنصار ، الأنساب (١٣٦/٢) .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخُدْرِي بألفاظ مختلفة ، وقال : تفرد به خالد ابن يزيد العمري عن ابن أبي ذئب (٩٧/٤) رقم (٤٤٠٠) ، والحديث إسناده ضعيف ؛ لأن فيه خالد بن يزيد العمري وهو المكي ويُكنى بأبي الهيثم ، قال ابن حجر في لسان الميزان : كذبه أبو حاتم ويحيى ، قال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الأثبات (٣٨٩/٢) رقم (١٥٩٨) .

قال المصنف رحمه الله : قوله « **لك الحمد كله** » موضع الصفاء والانقطاع إليه ، و « **لك الملك كله** » موضع الكفاية به والتوكل عليه ، و « **لك الخلق كله** » موضع الأمن به والسكون إليه ، و « **إليك يرجع الأمر كله** » موضع الإخلاص له والتبري إليه ، و [(١)] « **أسألك من الخير كله** » موضع الوقوف معه والالتجاء إليه ، و « **أعوذ بك من الشر كله** » الرجوع إلى [اللَّه من][(٢)] نفسك وأوصافها .

٧
باب في تعظيم قدر الدعاء

حديث آخر [(٣)] : قال المصنف رحمه الله : [٢٥] ح أبو أحمد عبد العزيز بن محمد [ح أبو أحمد] [(٤)] الدِّهْقَان [(٥)] قال ح : أبو الفضل محمد بن إبراهيم البَكْرِي [(٦)] قال : ح محمد بن إسماعيل بن جعفر المدني قال : ح موسى بن جعفر قال : ح عبد الرحمن بن أبي بكر الْمُلَيْكِيُّ [(٧)] عن موسى بن عقبة عن نافع عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنه أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : « **مَنْ أُذِنَ لَهُ بِالدُّعَاءِ مِنْكُمْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ، وَمَا يُسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا قَطُّ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** » [(٨)] .

قال المصنف رحمه الله : في هذا الحديث تعظيم قدر الدعاء ، والتنبيه لعظم المنة وشرف

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) سقط من (س) و (خ) .
(٣) زيادة من (س) و (خ) .
(٤) سقط من (س) و (خ) .
(٥) الدِّهْقَان : بكسر الدال المهملة ، وسكون الهاء ، وفتح القاف ، وفي آخرها النون ، هذه اللفظة لمن كان مقدم ناحية من القرى ، ومن يكون صاحب الضيعة والكروم ، الأنساب (٢/٢٥٧) .
(٦) البَكْرِي : بفتح الباء المنقوطة بواحدة ، وسكون الكاف ، هذه النسبة إلى جماعة ممن اسمهم أبو بكر وبكر فالأول جماعة انتسبوا إلى أبي بكر الصديق ، والثاني منسوب إلى بكر بن وائل ، الأنساب (١/٢٧٥) .
(٧) الْمُلَيْكِي : بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وكسر الكاف ، هذه النسبة إلى مليكة وهو عبد اللَّه بن أبي مليكة ، الأنساب (٤/٣٥٥) .
(٨) الحديث أخرجه عن ابن عمر بنحوه الترمذي في جامعه في كتاب الدعوات باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي وهو ضعيف في الحديث ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه (٥/٥٥٢) رقم (٣٥٤٨) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١/٦٧٥) رقم (١٨٣٣) . قال ابن حجر في الفتح : الحديث أخرجه الترمذي بسند لين وصححه الحاكم فوهم (١١/١٤١) ، وقد أخرجه بنحوه أيضًا عن ابن عمر العقيلي في الضعفاء (٢/٣٢٤) رقم (٩١٥) والجُرْجاني في تاريخ جرجان (١/٢٨٤) رقم (٤٩٠) كلاهما من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر الْمُلَيْكِي .

المنزلة ، أعطي العبد ما سأل أو منع [١] ، وذلك أن من أذن له بالدعاء فقد جذبه الحق ﷻ إليه وصرفه عن غيره ، وألجأه إلى كنفه وضمه إليه ، واختصه به ، وشغله به عمن سواه ؛ لأنه صرف قلبه بالرغبة إليه ، وشغل لسانه بالثناء عليه ، وزم جوارحه بالمثول [٢] بين يديه ، فما قدر ما منع عندما أعطي ، فلو أعطي الملك كله لكان ما أعطي في الدعاء أكثر ، على أن الداعي لا شك يجاب لقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] فهذه سين التوكيد ، وهي [٣] تقوم مقام القسم عند أصحاب المعاني ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] ، وفيه إضمار أن الله تعالى يجيبه لا غيره ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، فإذا دعاه بأسمائه وأثنى عليه بصفاته [٨/أ] لا بد أن يجيبه ؛ لأن في ترك الإجابة رجوع العلة إليه جل [ذلك علوًّا كبيرًا لا إلى العبد وتعالى عن ذلك] [٤] ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : [٢٦] « **مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لم يُحْرَمِ الإجَابَةَ** » [٥] فالإجابة نوعان : قد تكون بالمراد وقد لا تكون ، والاستجابة ليس إلا إجابة عن المراد ، وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ، ولولا ذلك لما فتح عليه الدعاء له [٦] .

قال : و [٧] ح عبد الله بن محمد قال : ح عبد الرحيم بن عبد الله بن إسحاق قال : ح إسماعيل بن توبة قال : ح عفيف بن سالم المَوْصِلي عن بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرَّقَاشِي عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٢٧] « **إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا صَبَّ عَلَيْهِ الْبَلاءَ صَبًّا وَسَحَّهُ عَلَيْهِ سَحًّا** [٨] ، **فإذا دَعَاهُ قَالَتِ الملائِكَةُ : صَوْتٌ مَعْرُوفٌ ، وَقَالَ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ – يَا رَبِّ عَبْدُكَ فُلانٌ اقْضِ لَهُ**

---

(١) في هامش الأصل : حرم . (٢) في هامش (س) : المثول والقيام .

(٣) في (س) : وهو .

(٤) في (س) : [وعلا لا إلى العبد ويتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا] ا.هـ . وهو المتسق والنص ، وفي (خ) نحوه .

(٥) الحديث ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بلفظ مقارب (٢/٢١١) ، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة عن أنس بألفاظ متقاربة ، وقال : في إسناده من لم أعرفه (٥/١٩٢) رقم (١٨١٤) .

(٦) زاد في (س) بعدها عبارة حديث آخر .

(٧) سقط من (س) و (خ) .

(٨) سحه عليه سحًّا : قال ابن منظور : سحَّ الماء وغيره يسُحُّه سحًّا : صبه صبًّا متتابعًا كثيرًا ، لسان العرب مادة (سحح) .

حَاجَتَهُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : دَعُوا عَبْدِي فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ وَإِذَا [١] قال : يا ربِّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَبَّيْكَ عَبْدِي وَسَعْدَيْكَ لا تَدْعُونِي بِشَيْءٍ [٢] إلا اسْتَجَبْتُ لَكَ ، ولا تسْأَلُنِي شَيْئًا إلا أَعْطَيْتُكَ ، إِمَّا أَنْ أُعَجِّلَ لَكَ مَا سَأَلْتَهُ [٣] ، وَإِمَّا أَنْ أَدَّخِرَ لَكَ عِنْدِي أَفْضَلَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ أَدْفَعَ عَنْكَ مِنَ الْبَلاءِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ » [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : ذكر [٥] في الحديث : « **لا تدعوني بشيء إلا استجبت لك** » ، كما قال : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال بعض علماء اللغة : الإجابة نوعان : قد تكون بالمراد وقد لا تكون [٦] ، والاستجابة [لا تكون إلا بالمراد] [٧] وقد صح قول أصحاب المعاني إن هذه السين تقوم مقام القسم ، والله تعالى لا يخلف الميعاد فما ظنكم إذا أكده بالقسم ، وفي بعض الروايات : [٢٨] « أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاودَ عليه السلام أَنْ قُلْ لِظَلَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : لا تَدْعُونِي ؛ فَإِنِّي آلَيْتُ [٨] على نَفْسِي أَلا يَدْعُوَنِي أَحَدٌ إِلا أَجَبْتُهُ ، وَإِنَّهُمْ إِنْ دَعَوْنِي أَجَبْتُهُمْ بِاللَّعْنَةِ » [٩] هذا معنى الرواية والله أعلم بلفظه .

فقد أخبر أنه يجيب من دعاه ، وكفى بك [١٠] شرفًا أن تدعوه فيجيبك ، وأما

---

(١) في (س) و (خ) : فإذا .

(٢) في (س) : لشيء .

(٣) في (س) و (خ) : ما سألت .

(٤) الحديث أخرج بعضه ابن أبي الدنيا بنحوه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أحب عبدًا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبًا وثجه عليه ثجًا ، فإذا دعا العبد قال : يا رباه ، قال الله : لبيك عبدي لا تسألني شيئًا إلا أعطيتك إما أن أعجله لك ، وإما أن أدخره لك » ، المرض والكفارات (ص١٧٣) رقم (٢٢٠) ، وقد عزاه الحافظ العراقي إلى الأصفهاني في الترغيب والترهيب وضعف إسناده لوجود بكر بن خنيس والرَّقَاشِي ، المغني عن حمل الأسفار مع الإحياء للحافظ العراقي (١٣٧/٤) ، وفيه أيضًا ضرار بن عمرو هو الملطي ، قال ابن حبان في المجروحين : منكر الحديث جدًا (٣٨٠/١) رقم (٥١٤) ، وقال ابن عدي في الكامل : منكر الحديث (١٠٠/٤) رقم (٩٤٩) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) زاد في (خ) بعدها : به .

(٧) من هامش الأصل . أما في (س) و (خ) : ليس إلا إجابة عن المراد .

(٨) آليت : أقسمت ، لسان العرب مادة (ألي) .

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس (٣٤٤/٦) رقم (٣١٨٩٥) ، (١٩٢/٧) رقم (٣٥٢٤٦) ، وابن السَّرِيِّ في الزهد (٤٠٦/٢) رقم (٧٨٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٥/٦) رقم (٧٤٨٣) ولفظه : « أوحى الله ﷻ إلى داود : يا داود قل للظلمة : لا تذكروني فإن حقًا عليَّ أن من ذكرني أذكره وإن ذكري إياهم أن ألعنهم » .

(١٠) في (خ) : به .

السؤال ففيه [١] شرط الاختيار لك ، كما قال : « **إما أن أعجل لك أو أدخر أو أدفع عنك** » ، فحسبك شرفًا أن يختار [٨/ب] لك مولاك ، ولأن تمنع ما سألت أعظم وأشرف ؛ لأنه قال : « **أو أدخر لك عندي** » هاه [٢] لو علمت قوله : « **عندي** » لهان عليك أن يسلخ جلدك وأنت حي ، فكيف بما صرف عنك !! .

وأما قوله : « **ما يسأل اللَّه شيئًا أحب إليه من أن يسأل العفو والعافية** » [٣] أما العفو فبأن يختصك لنفسه ، ويسترك عن غيره ، فيعفي [٤] على أثرك ، فلا يفطن بك ، ولا يعرف مذهبك فتفوت عدوك إن أرادك ، وسائر الخلق أن يفتنوك ، ونفسك أن تطالبك بحظوظها ، أما العافية أن يعصمك عما سواه ، فلا يكون لك إلى غيره رجوع ، ولا إلى سواه نظر ، أما الدعاء مثل قوله : يا اللَّه يا رحمن ، فمن كان مؤمنًا فدعاه [٥] ووصفه كما هو ؛ لم يحرم الإجابة ، وهذا معنى قوله : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] ، وأما الكفار إذا دعوه فلم [٦] يصفوا له كما وصف به نفسه ، فلا شك أن الإجابة تكون باللعنة ، وللمؤمنين بقوله [٧] : لبيك ، وقوله : « اللَّهم اغفر لي » لا تكون دعاء وإنما هو سؤال ، والسؤال غير الدعاء [٨] .

٨
باب في فوائد الدعاء

حديث آخر [٩] : قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : [٢٩] ح أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد اللَّه البَغْدَادِي قال : ح ابن أبي العوام قال : ح يزيد بن هارون قال : ح عبد الرحمن بن أبي [١٠] بكر بن أبي مليكة عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهم

---

(١) في (س) : فقد .

(٢) هاه : كلمة تقال في الإبعاد في حكاية الضحك وقد تقال للتوجع فتكون الهاء الأولى مبدلة من همزة آه ، النهاية مادة (هوه) ، (٥/٢٨٤) وفي هامش النسخة (س) : أي انتبه .

(٣) زاد في (س) بعد العافية : في الدنيا . أما لفظ الحديث الذي أخرجه المصنف فهو « في الدنيا والآخرة » .

(٤) العفو : هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس ، النهاية مادة (عفو) ، (٣/٢٦٥) ، وقد استعملت هنا بمعنى المحو والطمس .

(٥) في (س) : دعاه .

(٦ ، ٧) سقط من (س) .

(٨) زاد في (س) و (خ) بعدها : واللَّه أعلم .

(٩) زيادة من (س) و (خ) .

(١٠) سقط من (س) .

أجمعين - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَـزَلَ وَمِمَّا لم يَنْـزِلْ ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ** » [١] .

قال المصنف رحمه الله : معنى قوله : « **مما نـزل ومما لم ينـزل** » هو ما قلناه إن شاء الله تعالى أنه قد حصل [٢] لك شرف الإذن في الدعاء ، وفتح أبواب الرحمة ، وأن تكون داعيًا له مفتقرًا إليه مثنيًا عليه ذاكرًا له ، فهذا خير لك من كثير مما تسأل ، ويجوز أن يكون الدعاء يسهل على الداعي تحمل ما نـزل به من البلاء والمصيبة ، ويضاعف له ثواب ما نـزل ؛ لأنه يحوز ثواب المصيبة والبلاء ، وثواب الافتقار والاضطرار [٣] إليه وشرف الدعاء له ؛ فيكون الدعاء بعد نـزول البلاء سبب الصبر والرضا ، وسبب العصمة عن الجزع الذي يحرم به الثواب .

و « **مما لم ينـزل** » بأن يصرف عنه أو يخفف عليه ، أو ينـزل معه توفيق الصبر والرضا والشكر ، ويعطيه العوض عليه في الدنيا والآخرة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (ن) .

يقول [٤] العبد [٩/أ] الضعيف أبو الحسن - أحسن الله إليه - : أنشدني بعض المحققين من العلماء :

إذا سمع الله الدعاء من العبد	يقول له لبيك في القرب والبعد
ويكشف عنه الضر والسوء والأسى	ولو بعد حين فهو ذو الجود والمجد
وإن لم يكن للعبد منه إجابة	فدعوته إياه من أفضل الورد
يجلي عن القلب الحجاب وطعمها	للعابد المشتاق أحلى من الشهد
وحسب الفتى أن يدعو الله ربه	ويشكو إليه ما يقاسي من الوجد

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن ابن عمر في كتاب الدعوات باب في دعاء النبي ﷺ ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي ، وهو ضعيف في الحديث ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه (٥٥٢/٥) رقم (٣٥٣٨) ، والحاكم في المستدرك (٦٧٠/١) رقم (١٨١٥) ، وقد أخرجه بألفاظ متقاربة مع زيادة في أوله أحمد في مسنده عن معاذ (٢٣٤/٥) رقم (٢٢٠٩٧) ، والطبراني في الكبير (١٠٣/٢٠) رقم (٢٠١) ، وأخرج القضاعي نحوه في مسند الشهاب عن عائشة رضي الله عنها (٤٨/٢) رقم (٨٥٩) .

(٢) في (س) : جعل .

(٣) في (س) : الاضطراب .

(٤) من هنا حتى آخر الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

وكل المنى في ذكره ودعائه ينال به أدنى الورى أفضل الرفد

٩

باب في الأكل للضرورة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٣٠] ح عبد العزيز بن محمد الْمَرْزُبَان قال : ح أبو الفضل محمد بن إبراهيم قال : ح محمد بن إسماعيل بن جعفر قال : حدثني أبو ضمرة عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ، وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعًا [١] وَاحِدٍ** » [٢] .

قال المصنف رحمه الله : هذا إن شاء اللّه عبارة عن كثرة الأكل وقلته ، وذلك أن الكافر يأكل للشهوة ، والمؤمن يأكل للضرورة ، ألا ترى إلى ما روي عن بعض الصحابة [٣] أو التابعين رضي الله عنهم أنه قال : [٣١] « **وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ [٤] رِزْقِي فِي حَصَاةٍ أَلُوكُهَا [٥] حتَّى أَمُوتَ** » [٦] ، وقد روي [٧] عن النبي ﷺ أنه قال : [٣٢] « **بِحَسْبِ ابْنِ**

(١) معًا : واحد الأمعاء وهي المصارين ، النهاية مادة (معن) ، (٣٤٤/٤) وفي هامش (س) العبارة الآتية (في مِعًى هكذا رَسمُ الخط) ا.هـ . وقد ورد رسم هذه الكلمة بالكيفيات الثلاثة (معًا - معاء - معى) في روايات مختلفة لا مجال لذكر مواضعها .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر بلفظه مع زيادات وتقديم وتأخير في كتاب الأطعمة باب المؤمن يأكل في معى واحد (٢٠٦١/٥) رقم (٥٠٧٨) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب الأشربة باب المؤمن يأكل في معى واحد (١٦٣١/٣) رقم (٢٠٦٠) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الأطعمة باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معًا واحد ، وقال : حسن صحيح (٢٦٦/٤) رقم (١٨١٨) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه مع تقديم وتأخير عن ابن عمر في كتاب آداب الأكل باب الفرق بين المسلم والكافر في الأكل (١٧٨/٤) رقم (٦٧٧١) ، وابن ماجه في سننه بلفظه عن ابن عمر في كتاب الأطعمة باب المؤمن يأكل في معى واحد (١٠٨٤/٢) رقم (٣٢٥٦) .

(٣) في هامش (س) و (خ) : قيل : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ا.هـ ، والصواب : أنه مالك بن دينار كما يتضح من التخريج .

(٤) في (س) : جعل .

(٥) ألوكها : أي أمضغها ، واللوك : إدارة الشيء في الفم ، النهاية مادة (لوك) ، (٢٧٨/٤) .

(٦) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بألفاظ متقاربة عن مالك بن دينار (٣٧٠/٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠/٥) رقم (٥٦٩٦) .

(٧) في (خ) : قال .

آدَمَ أَكَلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ » [(١)] ، وقال ﷺ : [٣٣] « ما مِنْ وِعَاءٍ إِذَا مُلِئَ شَر [(٢)] مِنَ الْبَطْنِ ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ ، وثُلُثٌ لِلنَّفَسِ » [(٣)] وهذا نهاية ما أبيح من الأكل وهو ثلث البطن ؛ لأنه قال : « فإن كان لا بد » [(٤)] لا تملؤون بطونكم [(٥)] ، فإن كنتم لا بد مالئيها فاملؤوا الثلث بالطعام ولا تزيدوا عليه [(٦)] ، فإذا كانت النهاية ثلث البطن جاز أن يكون الاختيار نصف ذلك وهو السدس ، ثم ينقص المؤمن من هذا الحد شيئًا فيصير سبع [٩/ب] البطن ، فكأنه يأكل سبع ما يأكله الممتلئ [(٧)] الذي يصير بطنه شر وعاء ملئ ، والكافر يملؤه فيكون بطنه شر وعاء كما أنه شر الخلق .

وأخرى أن شهوات الطعام تنقسم على سبعة أقسام ، منها : شهوة الطبع ، وشهوة النفس ، وشهوة العين ، وشهوة الفم ، وشهوة الأذن ، وشهوة الأنف ، والضرورة سابعها . والطعام يؤكل للضرورة وهو الجوع الذي لا بد من تسكينه ، ويرى الإنسان الطعام فيشتهيه [وليست له إليه حاجة فيأكله ، ويشم رائحة الطعام فيشتهيه] [(٨)] فيأكله ، ويسمع بذكر [(٩)] الطعام فيشتهيه فيأكله ، ويستلذ الطعام فيأكله [وكل هذا بعد أن يكون قد استوفى من الطعام ، ويشتهي الحامض و [(١٠)] الحلو والمر فيأكله] [(١١)]

---

(١) جزء حديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن المقدام بن معدي كرب في كتاب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، وقال : حسن صحيح (٥٩٠/٤) رقم (٢٣٨٠) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٣٦٧/٤) رقم (٧٩٤٥) ، وأحمد في مسنده (١٣٢/٤) رقم (١٧٢٢٥) ، وابن حبان في صحيحه (٤٤٩/٢) رقم (٦٧٤) ، والطبراني في مسند الشاميين (٢٩٦/٢) رقم (١٣٧٥) ، والحديث حسن عند ابن حجر ، فتح الباري (٥٢٨/٩) .

(٢) في هامش الأصل : شرًا .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ وهو جزء حديث من تتمته الحديث السابق انظر لتخريجه الحديث السابق رقم [٣٢] .

(٤) زاد في (س) بعدها : كأنه يقول .

(٥) في هامش (س) : لا تملؤوا البطن .

(٦) زاد في (س) بعدها : جعل النهاية ثلث البطن فيجب ألا يزاد عليه .

(٧) زاد في (س) بعدها : جوفه .

(٨) من هامش الأصل .

(٩) في (س) : بذلك . وفي هامشها : (بذكر) .

(١٠) كذا في الأصل و (س) و (خ) وفي هامش الأصل : أو .

(١١) من هامش الأصل .

بشهوة طبعه ، فأما شهوة النفس فإنها لا تعاف [١] ؛ وذلك أن المرء ربما يعاف الطعام لامتلائه ، ويشتهي ما يشتهيه ، ويهيئ الطعام لوقت مستقبل ، فالذي يأكله للشهوة ربما جمع هذه الشهوات كلها ، والمؤمن لا يأكل للشهوة ، ولكن يأكل للضرورة ، فهو سبع ما يأكله الكافر .

١٠

باب في اختلاف المؤمنين في أحوالهم

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٣٤] ح أبو حاتم سهل بن السُّرِّي [٢] بن الخضر الحافظ قال : ح سهل بن شاذويه قال : ح عمر بن محمد بن الحسين قال : ح أبي قال : ح محمد بن زياد بن مروان عن محمود [٣] بن راشد - شيخ من أهل مرو - عن أبي أمية عبد الكريم عن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهم أجمعين - عن النبي ﷺ قال : « **مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلا وفِيهِ حَسَدٌ [٤] وسُوءُ ظَنٍّ [٥] وَطِيَرَةٌ [٦] ، فَذَهَابُ حَسَدِهِ أن لا يَبْغِي أَخَاهُ غَائِلَةً [٧] ، وَذَهَابُ سُوءِ ظَنِّهِ أن لا يُحَقِّقَهُ بِقَوْلٍ يَقُولُه ، وَذَهَابُ طِيَرَتِهِ أَنْ يَمْضِي لِحَاجَتِهِ وَلا تَرُدُّهُ الطِّيَرَةُ** » [٨] .

---

(١) في (خ) : تعف . ا.هـ . وفي هامش (س) : عفَّ عن الحرام يعف عِفَّة أي كفَّ ا.هـ .

(٢) السُّرِّي : بضم السين وتشديد الراء المكسورة . هذه النسبة إلى سر ، وهي قرية من قرى الريِّ ، الأنساب (٣٤/٣) .

(٣) في (س) : محمد ا.هـ . وفي هامش (س) : محمود .

(٤) الحسد : يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه ، النهاية مادة (حسد) ، (٣٨٣/١) وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها ، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص ١١٨) .

(٥) الظن : اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ، ومتى ضعفت جدًّا لم يتجاوز حد التوهم ، المفردات للأصفهاني (ص ٣١٧) .

(٦) الطيرة : بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن : هي التشاؤم بالشيء ، النهاية مادة (طير) ، (١٥٢/٣) وفي هامش (س) : الطيرة على وزن العنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء . ا.هـ .

(٧) الغائلة : صفة لخصلة مهلكة ، النهاية مادة (غول) (٣٩٧/٣) وفي هامش (س) و (خ) : أي شر .

(٨) الحديث أخرجه الأَزْدِي في الجامع بنحوه عن إسماعيل بن أمية (٤٠٣/٢) رقم (١٩٥٠٤) ، وأبو داود في المراسيل عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي في باب ما جاء في الطيرة (ص ٣٦٢) رقم (٥٣٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن إسماعيل بن أمية ، وقال : هذا منقطع (٦٣/٢) رقم (١١٧٢) ، والطبراني في الكبير عن حارثة بن النعمان (٢٢٨/٣) ، والحديث إسناده ضعيف لوجود أبي أمية =

قال المصنف رَحِمَهُ الله : المؤمنون متفاوتون في أحوالهم ومقاماتهم [(١)] ودرجاتهم ، فمنهم الضعيف في إيمانه ، ومنهم القوي ، ومنهم العالي فيه [(٢)] ، ومنهم الداني ، وقوله ﷺ : « **ما من مؤمن إلا وفيه كذا وكذا** » عم الجميع من المؤمنين ، إلا أن لكل واحد منهم من هذه الخصال التي عدها الخبر على ما يليق به وبحاله ، فالذي [١٠/أ] وصف النبي ﷺ في هذا الحديث حالة المتوسطين من المؤمنين بقوله : « **ذهاب حسده ألا يبغي أخاه غائلة** » [(٣)] ، هذا هو الحسد المذموم الذي يعرفه المؤمن من نفسه ، فيجاهدها بألا يبغي أخاه غائلة ؛ لأن صفة الحاسد [(٤)] أن يغتال [(٥)] الحاسد محسوده ، فكأن نفسه تطالبه بأن يبغي أخاه غائلة ، وهو [(٦)] يجاهدها ، وكذلك إذا ساء ظنه بأخيه فإن نفسه تطالبه بأن يسيء القول فيه والفعل به فهو يجاهدها ، والطيرة تمنع صاحبها عن المضي في حاجاته ، فهو يجاهد نفسه ، ولا تثنيه [(٧)] الطيرة عن وجهه بل يمضي فيه ، فهذه صفة أوساط المؤمنين ، فأما من علت رتبته وارتفعت منزلته وجلت صفته فإنه تكون فيه هذه الخصال ، غير أنها لا تكون مذمومة ، وذلك بأنها تكون في أسباب الدين ولله سبحانه لا في أسباب الدنيا ولا لنفسه ، وهو أن يكون حسده في فضيلة يراها في أخيه ، وخلة من خلال الخير يجدها فيه ، فيتمناها لنفسه كما جاء [(٨)] فيما ح به نصر [بن الفتح] [(٩)] قال : ح ابن

= عبد الكريم ، وهو عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية البَصْرِي المعلم وهو ضعيف الحديث ، قال القيسراني في تذكرة الحفاظ : ليس بقوي الحديث (١٤٠/١) رقم (١٣٢) ، ونقل أبو الوليد الباجي في التعديل والتجريح لمن أخرج له البخاري في الجامع الصحيح عن أحمد بن حنبل قوله فيه : ليس بشيء شبه المتروك . وعن يحيى بن معين قوله : ضعيف الحديث . وعن أبي زرعة قوله : لين (٩١٨/٢) رقم (٩٩٤) ، ويراجع أيضًا الضعفاء للعقيلي (٦٢/٣) رقم (١٠٢٧) والكامل في ضعفاء الرجال (٣٣٨/٥) رقم (١٤٩٦) .

(١) الأحوال والمقامات من اصطلاحات الصُّوفِيَّة وقد سبق تعريفها ، قال السهروردي : فالحال سمي حالًا لتحوله والمقام مقامًا لثبوته واستقراره ، وقد يكون الشيء بعينه حالًا ثم يصير مقامًا ، عوارف المعارف مع الأحياء (٣٠٠/٥) ثم فسر ذلك بالصفة التي تتردد في النفس ثم بعد ذلك تستقر فتصير مقامًا .

(٢) سقط من (س) .

(٣) زاد في (س) بعدها : فالحسد الذي يبغي صاحبه أخاه عائلة .

(٤) في (س) : الحسد .

(٥) في هامش (س) : اغتاله أي قتله ، يقال : فلان قليل الغائلة أي الشر ا.هـ .

(٦) في (خ) : فهو . (٧) في هامش (س) أي ولا تصرفه .

(٨) زاد في (س) بعدها : عن رسول الله ﷺ . (٩) في (خ) : حدثنا أبو عيسى .

أبي عمر قال : ح سفيان قال : ح الزُّهْرِي عن سالم عن أبيه - رضوان الله عليهم أجمعين - قال : قال رسول الله ﷺ : [٣٥] « **لا حَسَدَ إلا في اثْنَينِ ؛ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آنَاءَ** [١] **اللَّيلِ والنَّهَارِ** [٢] **، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ والنَّهَارِ** » [٣] [٤] .

قال المصنف رحمه الله : فسمي هذا حسد [٥] ، وهذا حسد من علت رتبته في الدين عن درجة أولئك ، وسوء ظنه يكون بنفسه [لا بغيره من المؤمنين ، فهو لسوء ظنه بنفسه] [٦] يخاف عليها مع حسن عمله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] ، أي يفعلون من الخير والطاعة والبر ، ويخافون [٧] أنها لا تقبل منهم وترد عليهم لسوء ظنهم بأنفسهم أنهم قصَّروا في واجب حق الله تعالى [٨] ، كذلك [٩] [مثل هذا المعنى من الحديث] [١٠] فيما حدثناه خلف بن محمد قال : ح أحمد بن محمد بن الفضل وأحيد بن عمر [١٠/ب] قالا ح ابن أبي عمر قال : ح سفيان عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعد بن وهب الْهَمَدَانِي عن عائشة رضي الله عنها [٣٦] أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عنْ هَذِهِ الآيةِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أَهُم [١]

---

(١) آناء الليل : ساعاته ، المفردات في غريب القرآن (ص ٢٩) .

(٢) في (س) : وآناء النهار . (٣) السابق .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة مع تقديم وتأخير عن سالم عن أبيه في كتاب التوحيد باب قول النبي : رجل آتاه الله القرآن (٢٧٣٧/٦) رقم (٧٠٩١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن (٥٥٨/١) رقم (٨١٥) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الحسد ، وقال : « حسن صحيح » ، (٣٣٠/٤) رقم (١٩٣٦) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب في كتاب فضائل القرآن باب اغتباط صاحب القرآن (٢٧/٥) رقم (٨٠٧٢) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة مع تقديم وتأخير في كتاب الزهد باب الحسد رقم (١٤٠٨/٢) رقم (٤٢٠٩) .

(٥) في (خ) : حسدًا .

(٦) سقط من (خ) .

(٧) في (س) : وقلوبهم وجلة . وعلق عليها في الهامش بقوله : أي يخافون (ص) . ا.هـ . و (ص) إشارة إلى موضع الشرح وهو مختار الصحاح .

(٨) زاد في (س) بعدها : الذي وجب عليهم من ذلك .

(٩) زاد في (س) بعدها : روي .

(١٠) سقط من (س) و (خ) .

الذينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ [٢] وَيَسْرِقُونَ ؟ قَالَ : « **لا يا ابْنَةَ [٣] الصِّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُمْ الذِينَ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ ، وَيَخَافُونَ [٤] ألا يُتَقَبَّلَ مِنهُمْ ، أُولَئِكَ الذِينَ يُسَارِعُونَ في الخَيْرَاتِ** » [٥] .

وأما الطيرة فإنها تكون لهم في أسباب الدنيا إذا فتحت عليهم تطيروا أنها لهم فتنة ، وسبب الاشتغال عن ذكر [٦] الله ، ويرون أنها سبب الفتنة ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ [الأنعام : ٤٤] وفي بعض الأخبار قالوا [٧] : [٣٧] « إِذَا رَأَيْتَ الْغِنَى مُقْبِلًا فَقُلْ : ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ [وَإِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ : مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالحِينَ] » [٨] [٩] فهذه الطيرة لهؤلاء وسوء ظنهم وحسدهم في الدين ، فإن الذين اصطفاهم الله لنفسه وانتخبهم [١٠] لولايته ، وجعلهم في قبضته [١١] ، وكل خصالهم محمودة ، وجميع حركاتهم على ما يحب ، وعامة صفاتهم صفات المدح وإن كانت عامة [١٢] أحوال الآدميين لا تكون على حالة واحدة .

يقول [١٣] العبد الضعيف أبو الحسن : ولقد أنشدني بعض المحققين من أهل

---

(١) في (س) و (خ) : هم .

(٢) في (س) : الخمور . وفي هامش نفس النسخة : الخمر .

(٣) في (س) : يا ابنت .

(٤) في (س) و (خ) : وهم يخافون .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن عائشة في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المؤمنون (٥/٣٢٧) رقم (٣١٧٥) ، وأخرجه بنحوه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب التوقي على العمل (٢/١٤٠٤) رقم (٤١٩٨) ، والحميدي في مسنده (١/١٣٢) رقم (٢٧٥) ، وأحمد (٦/٢٠٥) رقم (٢٥٧٤٦) ، وأبو يعلى (٨/٣١٥) رقم (٤٩١٧) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٢/٤٢٧) رقم (٣٤٨٦) .

(٦) سقط من (س) و (خ) .

(٧) سقط من (س) .

(٨) السابق .

(٩) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظه عن كعب بروايتين مختلفتين (٦/٥) ، (٦/٣٧) .

(١٠) انتخبهم : اختارهم ، لسان العرب مادة (نخب) .

(١١) في هامش (س) : عبارة عن الحفظ والعصمة .

(١٢) في (س) : غلبة . وفي هامشها : وإن كانت عامة أحوال المؤمنين .

(١٣) من هنا حتى آخر الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

المعرفة - قدس الله روحه - :

من صح بالله إيمانه ألهاه عما يريد هواه خوف عقباه
فقلبه وجل من خوف خالقه وسره خجل من سوء محياه
يشتاق حين يرى آثار رحمته إلى اللقاء فيستشفي بذكراه
فإن تفكر فيما قدمت يده أبكاه أحسن ما أدى وأجشاه
فلم يزل بين نار الخوف تحرقه وفي نسيم رجاه طاب رياه [١١/أ]
فهذه صفة العبد التقي فما حال الشقي الذي قد خان مولاه
فلا يغرن عبدًا حسن سيرته فإنما يرفع الإنسان تقواه

١١
باب في الأبدال

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٣٨] ح نصر بن الفتح قال : ح محمد بن سليمان بن الحارث البَاغَنْدِي (١) قال : ح محمد بن عمران بن محمد بن أبي ليلى قال : ح سليمان بن رجاء عن صالح الْمُرِّي عن الحسن البَصْرِي عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ أو غيره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ أَبْدَالَ** (٢) **أُمَّتي لم يَدْخُلوا الجَنَّةَ بِالأَعْمَالِ وَلَكِنْ دَخَلُوهَا** (٣) **برحمةِ اللَّهِ تعَالى ، وَسَخَاوَةِ الأَنْفُسِ ، وَسَلامَةِ الصُّدُورِ ، ورَحْمَةِ المسْلِمِينَ** » (٤) .

---

(١) قال السمعاني : البَاغَنْدِي بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة وسكون النون وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى باغند ، وظني أنها قرية من قرى واسط ، الأنساب (١٨٢/١) .

(٢) أبدال : هم الأولياء والعباد الواحد بِدْل كحِمْل وأحمال ، وبدل كجمل سموا بذلك ؛ لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر ، النهاية مادة (بدل) ، (١٠٧/١) .

(٣) في (س) : دخلوا الجنة .

(٤) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء بنحوه مرسلًا عن الحسن (ص ٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٣٩/٧) رقم (١٠٨٩٢) وفيه أيضًا بألفاظ متقاربة عن أبي سعيد الخُدْرِي أو غيره (٤٣٩/٧) رقم (١٠٨٩٣) والحديث إسناده ضعيف ، فيه صالح الْمُرِّي وهو صالح بن بشير بن وادع الْمُرِّي ، قال البخاري في الضعفاء الصغير : منكر الحديث (٥٨/١) رقم (١٦٥) ، ونقل العقيلي في الضعفاء عن يحيى ابن معين قوله فيه : ضعيف (١٩٩/٢) رقم (٧٢٣) ، ونقل ابن عدي في الكامل عن أحمد بن حنبل قوله =

قال المصنف رحمه الله : إنما سموا أبدالًا ؛ لأنهم بدل من النبي ﷺ والصديقين والشهداء والصالحين (١) الذين هم أصحاب رسول اللَّه ﷺ من المهاجرين السابقين الأولين والأنصار في أن يصرف اللَّه بهم العذاب عن أهل الأرض بعصيانهم ، فإن النبي ﷺ كان أمانًا في أمته ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] ، ثم أصحابه من بعده وأهل بيته قال ﷺ : [٣٩] « **أَهْلُ بَيتِي أَمَانٌ لأُمَّتِي** » (٢) [وقال أيضًا : [٤٠] « **أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي**] (٣) **إِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى** (٤) **أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ** » (٥) فلما قبض اللَّه تعالى هؤلاء إلى رحمته جعل منهم في كل عصر وحين بدلاء منهم على حسب ما يليق بأهل ذلك العصر فيدفع بهم [عن أهل الأرض] (٦) .

وقوله : « **لم يدخلوا الجنة بالأعمال** » يعني بالحركات الظاهرة ، فإنهم عسى (٧) ليسوا بأكثر صلاة و [صيامًا وجهادًا] (٨) ونفقة من غيرهم من صالحي المؤمنين ، ولكن دخلوها بهذه الصفات التي تفردوا بها عن غيرهم ، وقد يجوز أن يكون في عصرهم من هو أكثر عملًا منهم ، وقد قال ﷺ في أبي بكر الصديق رضي الله عنه : [٤١] « **إِنَّه لم يَفْضُلْكُمْ**

= فيه : ليس هو صاحب حديث ولا إسناد ولا يعرف الحديث (٦٠/٤) رقم (٩١٢) ، وذكره ابن حبان في المجروحين (٣٧٢/١) رقم (٤٩٤) .

(١) سقط من (س) .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظه عن إياس بن سلمة عن أبيه (٢٢/٧) رقم (٦٢٦٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه موسى بن عبيدة الرَّبَذِي وهو متروك (١٧٤/٩) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) زاد في (س) بعدها : كذلك .

(٥) الحديث أخرجه بلفظه مسلم في صحيحه عن سعيد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبيه في كتاب فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه (١٩٦١/٤) رقم (٢٥٣١) ، والإمام أحمد في مسنده (٣٩٨/٤) رقم (١٩٥٨٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٠٤/٦) رقم (٣٢٤٠٦) .

(٦) في (س) : عنهم العذاب . وفي هامشها : أي عن أهل الأرض . ا.هـ . هكذا أو لعله أراد الأرض . وفي هامش نفس النسخة : في الخبر من اللَّه ﷻ : وعزتي وجلالي إني لأَتَهُمّ بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت بينهم . شرح . ا.هـ .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) في (س) : صيام وجهاد . ا.هـ . والصواب ما في الأصل لكونه معطوفًا على منصوب وهو (صلاة) .

بِكَثْرَةِ صَلاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ [(١)] **فِي صَدْرِهِ** » [(٢)] .

وقوله : « **وسخاوة الأنفس** » أي بسخاوتها بفوات ما دون الله وسلامة الصدور من السكون إلى غير الله تعالى ، قال الله تعالى [١١/ب] : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٩] ، قيل : سليم عما دون الله تعالى [(٣)] .

وقوله : « **ورحمة المسلمين** » والشفقة على خلق الله في تحمل أثقالهم وتخفيف مؤنهم عنهم [(٤)] .

١٢
باب في صرف وجوه الناس إلى الله تعالى

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٤٢] ح أبو الفضل محمد بن حاتم الهيثم [(٥)] قال : ح الحسن بن مكرم قال : ح روح بن عبادة قال : ح شعبة قال : سمعت أبا التياح قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا ، وسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا** » [(٦)] .

قال المصنف رحمه الله : [معنى قوله : « **يسروا** » إن شاء الله] [(٧)] أي اصرفوا بوجوه [(٨)] الناس إلى الله تعالى في الرغبة إليه ، وردوهم في طلب الحوائج إلى الله تعالى ، ودلوهم في جميع أحوالهم على الله ، فإن اليسر كله عند الله ، قال الله عز وجل : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ

---

(١) وقر : وقر في صدره أي سكن فيه وثبت . من الوقار : الحلم والرزانة ، النهاية مادة (وقر) ، (٢١٣/٥) .

(٢) الحديث ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بألفاظ مختلفة عن بكر بن عبد الله المزني (١٤٨/١) قال الحافظ العراقي : أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر من قول أبي بكر بن عبد الله المزني ولم أجده مرفوعًا ، المغني عن حمل الأسفار مع كتاب الإحياء (٣٤/١) ، وحكم عليه ابن القيم بالوضع في المنار المنيف (١١٥) رقم (٢٤٦) ، وفي نقد المنقول (١٠٤) رقم (١٥١) ، كذا تاج الدين السبكي في التي لا أصل لها في الإحياء (٢٨٨/١) .

(٣) قال نحو هذا الطبري في جامع البيان (٨٧/١٩) .

(٤) في (خ) : عندهم .

(٥) في (س) و (خ) : ابن الهيثم .

(٦) الحديث أخرجه بلفظه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك في كتاب الأدب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا » (٢٢٦٩/٥) رقم (٥٧٧٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٣٥٩/٣) رقم (١٧٣٤) .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) في (س) : وجوه .

بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقال : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦] .

وقوله : « ولا تعسروا » أي ولا تردوهم إلى المخلوقين في طلب الحوائج منهم وقضائها من عندهم ، فإنهم محتاجون إلى مثل ما يحتاج إليهم فيه ، فكأنهم يتجاذبون شيئًا بينهم ، كل يريده لنفسه فيعسر عليكم الوصول إلى ما تتجاذبونه بينكم .

وقوله : « سكنوا » تصديق لما قلنا ؛ لأن السكون هو الطمأنينة ، وقد قال الله تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] ، فلا يزال قلب المؤمن في اضطراب في نيل ما يرجوه ودرك ما يريده حتى يرد إلى الله تعالى ، فهناك يسكن اضطرابه ضرورة واختيارًا ، وكذا قوله : « ولا تنفروا » أي لا تفرقوهم في دلالتهم على غير الله وردهم إلى من سواه فتتفرق بهم المذاهب ، وتختلف عليهم المسالك والطرق في طلب ما يريدونه ، فالتنافر فرقة والسكون جمع .

فكان معنى قوله : « يسروا [(١)] ولا تعسروا » [(٢)] لا تردوهم إلى العسر ، « وسكنوا » : أي اجمعوهم ، و « لا تنفروا » : [١٢/أ] أي لا تفرقوهم ، قال ﷺ : [٤٣] « **مَنْ أَصْبَحَ وهَمُّهُ الدُّنيا ، شَتَّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَمَنْ أَصْبَحَ وهَمُّهُ الآخِرَةُ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ** » [(٣)] هذا فيمن أراد الدنيا والآخرة ، فما ظنكم فيمن أراد ربهما ، يدل على صحة هذا التأويل : ما ح به محمود بن إسحاق الخُزَاعِي [(٤)] ، قال : ح سعيد بن مسعود قال : ح جعفر بن عون عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﵂ قالت : [٤٤] « **ما خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بينَ أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ الذِي هُوَ أَيْسَرَ** » [(٥)] .

(١) زاد في (خ) بعدها : أي ردوهم إلى الله .

(٢) زاد في (خ) بعدها : أي .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بنحوه عن أنس بن مالك (٤/٦٤٢) رقم (٢٤٦٥) ، وهناد بن السَّرِي في الزهد (٢/٣٥٥) رقم (٦٦٩) ، والحافظ نور الدين الهيثمي في مسند الحارث (٢/٩٨٢) رقم (١٠٩٢) ، وأخرجه عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه الدارمي في سننه (١/٨٦) رقم (٢٢٩) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٢/٣٣) ، وأحمد في مسنده (٥/١٨٣) رقم (٢١٦٣٠) ، وأخرجه عن زيد بن ثابت الطبراني في الكبير (٥/١٤٣) رقم (٤٨٩١) ، وفيه أيضًا عن ابن عباس (١١/٢٦٦) رقم (١١٦٩٠) .

(٤) الْخُزَاعِي : بضم الخاء المعجمة ، وفتح الزاي ، وفي آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى خزاعة ، الأنساب (٢/١٥٤) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن عائشة في كتاب الحدود باب إقامة الحدود =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معناه اختار الذي هو لله ، فإنه إذا اختار ما أراد الله فقد اختار اليسر ؛ لأن الله تعالى يريد اليسر (١) .

١٣
باب في الانقطاع إلى الله تعالى

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٤٥] و ح أبو الحسن محمد بن عمر البُجَيْرِي (٢) قال : ح أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البَصْرِي قال : ح مسلم بن إبراهيم قال ح هشام وهمام قالا : ح [يحيى بن جعفر] (٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لا يُشَكُّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْوَالِدِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ** » (٤) .

وروي : [٤٦] « **دَعْوَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ** » (٥) هكذا قال مسلم بن إبراهيم ، قال أبان : « **دَعْوَةُ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ** » (٦) والولد مخلص في دعاء والديه . وروي عن

= والانتقام لحرمات الله (٢٤٩١/٦) رقم (٦٤٠٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره المباح (١٨١٣/٤) رقم (٢٣٢٧) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في التجاوز في الأمر (٢٥٠/٤) رقم (٤٧٨٥) .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

(٢) البُجَيْرِي : بضم الباء المنقوطة ، وفتح الجيم ، وسكون الياء المنقوطة من تحتها بنقطتين ، والراء المهملة ، هذه النسبة إلى الجد وهو بجير ، الأنساب (٢٠٠/١) .

(٣) في (س) و (خ) : يحيى عن أبي جعفر .

(٤) الحديث أخرجه بلفظه عن أبي هريرة أبو داود في سننه في كتاب الوتر باب الدعاء بظهر الغيب (٨٩/٢) رقم (١٥٣٦) ، والطبراني في الدعاء (٣٩٢) رقم (١٣١٤) ، وأخرجه بلفظه مع زيادة « على ولده » بعد « والده » البخاري في الأدب المفرد باب دعوة المظلوم (١٦٩) رقم (٤٨١) ، والترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في دعاء الوالدين . وقال : هذا حديث حسن (٣١٤/٤) رقم (١٩٠٥) ، وابن حبان في صحيحه (٤١٧/٦) رقم (٢٦٩٩) ، وأحمد في مسنده (٢٥٨/٢) رقم (٧٥٠١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٥/٦) رقم (٢٩٨٣٠) ، والطبراني في الدعاء (٣٩٤) رقم (١٣٢٣) ، وأخرجه بلفظه مع زيادة « لولده » ، ابن ماجه في سننه (١٢٧٠/٢) رقم (٣٨٦٢) وبلفظ : « دعوة الوالدين على ولدهما » ، البخاري في الأدب المفرد باب دعوة الوالدين (ص ٢٥) رقم (٣٢) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) مسلم بن إبراهيم عن أبان هذا إسناد الطبراني في الدعاء (ص ٣٩٤) رقم (١٣٢٣) وأبان هو أبان بن =

النبي ﷺ قال : [٤٧] « [إِنَّ اللهَ تَعَالى] [(١)] اسْتَجَابَ دَعْوَةَ الصِّبْيَانِ لِوَالِدِيهِمْ » [(٢)] ؛ لطهارتهم ؛ ولأنه ربما يكون أطهر منهما وأقلهما ذنبًا ، [جئنا إلى الحديث] [(٣)] فيه إشارة إلى التبري عما سوى اللّه ، والانقطاع إلى اللّه ، والشفقة على خلق اللّه ، وذلك أن المسافر مستوفز [(٤)] مضطرب الحال ، قل ما يساكن شيئًا أو يواقف [(٥)] حالًا ؛ لأنه منتقل في [(٦)] المكان ، مختلف العشرة من الأخدان [(٧)] ، على وجل من حوادث الزمان ، كثير الرجوع إلى الرحمن ، فعلى قدر ما انفصل بسره من الأغيار [(٨)] اتصل سره بالجبار - تعالى وتقدس - فصفا سره ، فأسرعت الإجابة إليه إذا دعاه .

والمظلوم مضطر ، قال اللّه ﷻ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] ، والمضطر منقطع إلى اللّه ، والوالد مشفق على ولده ، مؤثر لحظه على حظ نفسه ، فصحت شفقته فأجيبت دعوته [(٩)] . [١٢/ب]

يقول [(١٠)] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن اللّه إليه - : وقد أنشدني بعض الكبار من المخلصين المحبين قدس اللّه أرواحهم (شعر) :

إذا لم يكن للعبد من دعواته ... نصيب يكن كالجسم ليس له قلب
وكالشجر الخالي عن النور والجنى ... وما قدر غصن ما له ثمر رطب
إذا أخلص العبد الدعاء بدا له ... من القرب ما يرضاه وانكشف الحجب
ولباه مولاه ولقاه سؤله ... ففرج عنه الهم والحزن والكرب

= يزيد ولا يوجد في هذه الرواية : « دعوة الولد على والده » بل « دعوة الوالد على ولده » ولعل ما ذكره المصنف تصحيفًا في كتابه الذي يروي منه والأعجب من ذلك أنه قد بنى على هذا التصحيف وأخذ يستدل له بالرواية التالية .

(١) من هامش الأصل . (٢) لم أقف عليه .

(٣) زاد في (س) بعدها : قال الشيخ رحمه الله . ا.هـ . وهذه العبارة لعلها تكون مدرجة من الناسخ .

(٤) في هامش (س) : استوفز في قعدته إذا قعد قعودًا منتصبًا غير مطمئن . ا.هـ .

(٥) في (خ) وفي هامش (س) : يوافق . (٦) في (خ) : عن .

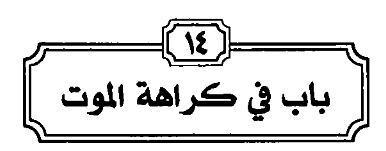
(٧) الأخدان : الخِدْنُ والخدينُ : الصديق ، لسان العرب مادة (خدن) .

(٨) الأغيار : جمع غير بمعنى سوى ، لسان العرب مادة (غير) ولم أقف على معناها لدى الصُّوفيَّة وقد تشير إلى كل ما سوى اللّه تعالى .

(٩) زاد في (خ) بعدها : والولد مخلص في دعاءه على والديه ؛ لأنه ربما يكون أطهر منهما ، وأقلهما ذنبًا ، وقد روي عن النبي ﷺ « إن اللّه استجاب دعوة الصبيان لوالديهم لطهارتهم » واللّه أعلم .

(١٠) من هنا حتى آخر الأبيات غير موجود بالنسخة (س) .

فلا يحقر العبد الدعاء فإنه لأعماله التي تحلى لها قطب



١٤ باب في كراهة الموت

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٤٨] ح أبو الفضل علي بن الحسين [١] بن أحمد إمام جامع سرخس ، وأبو محمد أحمد بن محمد بن رجاء السَّرْخسِيَّان [٢] قالا : ح أبو لبيد محمد بن إدريس السَّامِي [٣] قال : ح أبو جعفر أحمد بن صالح المَخْزُومِي [٤] قال : ح عبيد اللّٰه بن عمر ، قال : ح يوسف بن خالد السَّمْتِي [٥] قال : ح عمر بن إسحاق أنه سمع عطاء بن يسار يحدث عن ميمونة - رضوان اللّٰه عليهم أجمعين - عن النبي ﷺ قال : « **قَالَ اللَّهُ - جَلَّ جَلالُه : مَنْ آذَى لي وَلِيًّا فَقَد اسْتَحَلَّ مَحَارِمِي ، ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي في مِثْلِ أَدَاءِ فَرَائِضِي** [٦] ، **وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ** [٧] **حتى أُحِبَّه ، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كنتُ رِجْلَهُ التي يمشِي بِهَا ، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا ، ولِسَانَهُ الذِي يَتَكلَّمُ بِه ، وقَلْبَهُ الذِي يَعْقِلُ بِه ، إِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُه ، وإِنْ دَعَانِي أَجَبْتُه ، وما تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُه تَرَدُّدِي عَنْ مَوْتِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكْرَهُهُ ، وأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءتَهُ** » [٨] [٩] .

---

(١) في (س) و (خ) : الحسن .

(٢) السَّرْخسِي : هذه النسبة إلى بلدة قديمة من بلاد خراسان يقال لها : سُرخس ، وسَرَخس ، الأنساب (٣/٣٠) .

(٣) السَّامِي : هذه النسبة إلى سامة بن لؤي بن غالب ... وأبو لبيد محمد بن إدريس من أهل سرخس ، الأنساب (٣/١٠) .

(٤) المَخْزُومِي : بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وضم الزاي وفي آخرها الميم ، الأنساب (٤/٢٥٠) .

(٥) السَّمْتِي : بفتح السين المهملة وسكون الميم وفي آخرها التاء المنقوطة باثنتين من فوقها . هذه النسبة إلى السمت والهيئة . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي : قيل ليوسف بن خالد : السمتي ، للحيته وسمته ، وكان صاحب رأي .. ويوسف بن خالد من أهل البصرة ، الأنساب (٣/٥٣) .

(٦) في (س) و (خ) : فريضتي .

(٧) النوافل الزائدة على الفرائض ، النهاية مادة (نفل) ، (٥/٩٩) .

(٨) مساءته : ساءه فُعِلَ به ما يُكْرَه ، نقيض سرَّه ، لسان العرب مادة (سوء) .

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الرقاق باب التواضع (٥/٢٣٨٤) رقم (٦١٣٧) ، وابن حبان في صحيحه (٢/٥٨) رقم (٣٤٧) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٤٦) رقم (٦١٨٨) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة (١/٤) ، وأخرجه أحمد في مسنده عن عائشة =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **كنت رجله ويده** » إن شاء الله ، أي كنت حافظًا له ، أعصمه وأعصم جوارحه ظاهرًا [١٣/أ] وباطنًا أن تتصرف إلا في محابي ؛ لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه .

وقوله : « **ما ترددت عن شيء أنا فاعله** » يجوز أن تكون هذه عبارة عن الفعل بالصفة ، فيكون المراد منه - والله أعلم - ما رددت شيئًا مما أريد أن أفعله بعبدي كما رددت عليه في إزالة كراهة الموت عنه ، وذلك أن المؤمن إذا كره الموت ردد الله تعالى عليه أحوالًا مختلفة حالًا بعد حال ، ومرة بعد أخرى مما يحدثه في نفسه من عجز يجده فيها [(١)] ، وضعف يراه في نفسه ، وأسباب تحدث له في مدة عمره حتى يسأم لذلك حياته ، فيتمنى الموت ، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : [٤٩] « **يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْعَى إِلَى قَبْرِ قَرَابَتِهِ أَوْ ذِي رَحِمِهِ فَيَقُولُ : يا لَيْتَنِي مَكَانَكَ وَلا أُعَايِنُ** [(٢)] **ما أُعَايِنُ** » حدثناه محمد بن أحمد البَغْدَادِي ، قال : ح محمد بن سليمان بن الحارث الوَاسِطِي [(٣)] ، قال : ح أبو نعيم النَّخَعِي ، قال : ح أبو العنبس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ... الحديث [(٤)] .

= بألفاظ متقاربة (٢٥٦/٦) رقم (٢٦٢٣٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٢٧/٢) رقم (١٤٥٧) ، وأبو يعلى في مسنده عن ميمونة (٥٢٠/١٢) رقم (٧٠٨٧) وفيه : « فقد استحق محاربتي » ، وأخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس بنحوه (١٤٥/١٢) رقم (١٢٧١٩) ، وعن أبي أمامة (٢٢١/٨) رقم (٧٨٨٠) بلفظ مقارب مع زيادات . وإسناد هذا الحديث ضعيف فيه يوسف بن خالد السَّمْتِي كذاب لا يكتب حديثه تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد للنسائي (١٢٤) ، الضعفاء للعقيلي (٤٥٣/٤) رقم (٢٠٨٢) ، المجروحين من المحدثين والضعفاء لابن حبان (١٣١/٣) رقم (١٢٢٧) ، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (١٥٩/٧) رقم (٢٠٦٧) .

(١) سقط من (س) .

(٢) أعاين : يقال رآه عِيانًا : لم يشك في رؤيته إياه . ورأيت فلانًا عِيانًا أي مواجهة ، لسان العرب مادة (عين) .

(٣) الواسِطِي : بكسر السين والطاء المهملتين ، هذه النسبة إلى خمسة مواضع ، أولها : واسط العراق ، والثاني : واسط الرقة ، والثالث : واسط نوقان ، والرابع : واسط مرزاباد ، والخامس : إلى واسط وهي قرية ببلخ ، الأنساب (٤٦٣/٤) .

(٤) هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور (٢٦٠٤/٦) رقم (٦٦٩٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه (٢٢٣١/٤) رقم (١٥٧) ، وابن حبان في صحيحه (١٠٠/١٥) رقم (٦٧٠٧) ، ومالك في الموطأ في كتاب الجنائز باب جامع الجنائز (٢٤١/١) =

قال المصنف رحمه الله : ويبلغ من تمنيه الموت ما يسأل الله تعالى ذلك ، حتى ورد النهي عن النبي ﷺ فقال : [٥٠] « **لا يَتَمَنيَنَّ أَحَدُكُمْ الموتَ لِضُرٍّ** [١] **نَـزَلَ بِهِ** » [٢] ، ألا ترى إلى ما روي عن علي رضي الله عنه أنه أخذ بلحيته فقال : [٥١] « **مَا يحبِسُ أَشْقَاها أَنْ يخضِبَ هَذِهِ مِنْ هَذَا . وأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِهِ** » [٣] فهذا تمنيه للموت لاختلاف رعيته عليه وأذاهم له في أحوال مختلفة ، فمرة يقاتل الناكثين [٤] ، ومرة يقاتل القاسطين [٥] ، ومرة يقاتل المارقين [٦] من الجمل [٧] إلى صفين [٨] ، ومنها إلى النهروان [٩] ، ثم مخالفة رعيته له .

= رقم (٥٧٢) ، وأخرجه الخطيب البَغْدَادِي في تاريخ بغداد بلفظه مع زيادة ويل للعرب من شر قد اقترب في أوله (٢٥٠/٤) رقم (١٩٧٨) .

(١) في (خ) : بضر .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس رضي الله عنه في كتاب الدعوات باب الدعاء بالموت والحياة (٢٣٣٧/٥) رقم (٥٩٩٠) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب تمني كراهة الموت لضر نزل به (٢٠٦٤/٤) رقم (٢٦٨٠) ، وأبو داود في سننه في كتاب الجنائز باب في كراهية تمني الموت (١٨٨/٣) رقم (٣١٠٩) ، والترمِذِي في جامعه في كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن التمني للموت (٣٠١/٣) رقم (٩٧٠) ، والنسائي في المجتبى في كتاب الجنائز باب تمني الموت (٣/٤) رقم (١٨٢٠) .

(٣) الحديث أخرجه ابن سعد في طبقاته بلفظه عن أبي الطفيل (٣٣/٣) ، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب بمعناه عن أبي سنان الدؤلي (٦٠) رقم (٩٢) ، وأبو بكر الشَّيْبَاني في الآحاد والمثاني (١٤٦/١) رقم (١٧٤) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (١٢٢/٣) رقم (٤٥٩٠) ، والبيهقي في سننه (٥٨/٨) رقم (١٥٨٤٨) ، والطبراني في الكبير (١٠٦/١) رقم (١٧٣) ، وفيه أيضًا عن أبي الطفيل (١٠٥/١) رقم (١٦٩) .

(٤) الناكثين : أراد بهم أهل وقعة الجمل ؛ لأنهم كانوا بايعوه ثم نقضوا بيعته ، النهاية مادة (نكث) ، (١١٣/٥) .

(٥) القاسطين : أهل صفين ؛ لأنهم جاروا في حكمهم وبغوا عليه ، النهاية مادة (قسط) ، (٦٠/٤) وفي هامش (س) : أي الجائرين وهم أصحاب معاوية رضي الله عنه ومن سايره .

(٦) المارقين : الخوارج ؛ لأنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، النهاية مادة (قسط) ، (٦٠/٤) وفي هامش (س) : الخوارج .

(٧) الجمل : وقعة بين الإمام علي كرم الله وجهه والسيدة عائشة ، وسميت بذلك نسبة إلى الجمل الذي كانت تركبه السيدة عائشة ، وكانت بعد مقتل سيدنا عثمان ، البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٠/٧) وفي هامش (س) : أي من حرب الجمل .

(٨) صفين : بكسرتين وتشديد الفاء ، موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وصفين إشارة إلى وقعة كانت بين علي ومعاوية في سنة (٣٧هـ) ، معجم البلدان (٤١٤/٣) .

(٩) في (خ) : النهر . ا.هـ . والنهروان : أكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون وهي ثلاثة نهروانات : الأعلى والأوسط والأسفل وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، وكان بها وقعة مشهورة =

وكل هذا مما[١] يردد اللّٰه تعالى عليه حتى بلغ من تمنيه الموت ما ذكر ، وقد يحدث اللّٰه تعالى في قلوب عباده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه[٢] ، والحب للقائه ما[٣] يشتاق إلى الموت فضلًا عن زوال الكراهة عنه له ، فأخبر أنه يكره الموت ويسوءه ويكره اللّٰه تعالى مساءته [١٣/ب] فيزيل عنه كراهة الموت بما يردد عليه من الأحوال ، فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق .

وتردَّد[٤] قد يجوز بمعنى ردَّد - إن شاء اللّٰه تعالى - فقد جاء عنهم : تفكَّرَ وفكَّرَ ، تدبَّرَ ودبَّرَ ، تَهَدَّدَ وهدَّدَ ، فيكون تردَّدَ بمعنى ردَّدَ .

١٥
باب في تغييب المؤمنين عن آلام النار

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٥٢] ح [أبو الفضل][٥] محمد بن أحمد القاضي ، قال : ح أبو سعيد[٦] العَدَوِي[٧] [قال : ح الحسن بن علي ، قال :][٨] ح محمد بن عبد الأعلى الصَّنْعَاني[٩] ، قال : ح معتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم : « **أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الذينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُم لا يموتُونَ فِيهَا ، وأَمَّا قَوْمٌ يُرِيدُ اللّٰهُ تَعَالَى بِهِمُ الرَّحْمَةَ فَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا أَمَاتَهُم حتى يأْذَنَ بإخْرَاجِهِمْ فيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ** »[١٠] .

= لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج ، معجم البلدان (٣٢٥/٥) وفي هامش (س) : النهروان اسم موضع .

(١) سقط من (س) .

(٢) في هامش (س) : قيل : علامة الشوق حب الموت مع الراحة .

(٣) في (س) : مما .

(٤) زاد في (خ) بعدها : في اللغة .

(٥) في (س) : أبو بكر .

(٦) زاد في (خ) بعدها : الحسن بن علي .

(٧) العَدَوِي : بفتح العين ، والدال المهملتين ، هذه النسبة إلى خمسة رجال منهم : عدي بن كعب ، وعدي ابن عبد مناة ، وعدي الأنصار ، وبني العدوية ، وعدي بن خزاعة ، الأنساب (٣٢٦/٣) .

(٨) سقط من (خ) .

(٩) الصَّنْعَانِي : بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح العين المهملة والنون بعد الألف هذه النسبة إلى « صنعاء » ، الأنساب (٢١٣/٣) .

(١٠) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه عن أبي سعيد الخُدْري في كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون قوله : « **أماتهم** » عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها فيها ، ولا يكون ذلك موتا على الحقيقة ، فإن النوم قد يغيِّب عن كثير من الآلام والملاذ ، وقد سمي الموت وفاة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] ، فهو وفاة وليس بموت على (١) الحقيقة الذي هو خروج الروح عن البدن ، وكذلك الصعقة قد عبر الله تعالى عن الموت بها ، فقال : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٦٨] ، وأخبر عن موسى - صلوات الله عليه - أنه خر صعقًا (٢) ، ولم يكن ذلك موتًا على الحقيقة ، غير أنه لما غيب عن أحوال الشاهد وعن الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتًا .

فيجوز أن يكون معنى « **أماتهم** » أي غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله تعالى فيهم (٣) ، كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغبن فيه عن ألمهن (٤) .

ويجوز أن يكون ذلك موتًا على الحقيقة [١٤/أ] وهو أن يميتهم [على الحقيقة] (٥) فيها بخروج أرواحهم ، فيكونوا أمواتًا على الحقيقة مع قوله تعالى : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه : ٧٤] ؛ لأن أهل النار أحياء في الحقيقة وليسوا بأموات ؛ لأن الحيوان إذا لم يوصف بالحياة فهو موصوف بالموت ، فلما لم يكونوا فيها موتى فهم أحياء ، فإذا جاز أن يكونوا أحياء مع قوله : ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ جاز أن يكون الموحدون فيها أمواتًا مع قوله : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ ، ومعنى قوله : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أي : لا يموت فيستريح ولا يحيى فينتفع بحياته .

= وإخراج الموحدين من النار (١٧٢/١) رقم (١٨٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة (١٤٤١/٢) رقم (٣٠٩) ، والدارمي في سننه في باب أودته جهنم (٤٢٧/٢) رقم (٢٨١٧) ، وأحمد في مسنده (٥/٣) رقم (١٠٢٩) ، وابن حبان في صحيحه (٤١٢/١) رقم (١٨٤) ، والبيهقي في الاعتقاد (١٩٦/٢) ، وفي شعب الإيمان (٢٩٣/١) رقم (٣٢٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٢٧٤) رقم (٨٦٥) ، والطبري في جامع البيان (٢٤٨/١) .

(١) في (س) : في .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) في (س) و (خ) : آلامهن .

(٥) سقط من (س) .

فإن قيل : فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير متألمين ؟! قيل : يجوز أن يدخلهم النار تأديبًا لهم ، وإن لم يعذبهم فيها ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجون ، فإن الحبس عقوبة ، وإن لم يكن معه غل ولا قيد ، ويجوز أن يكونوا متألمين ، غير أن ألمهم يكون أخف من آلام الكفار ؛ لأن ألم المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء ، قال اللّٰه تعالى في قصة آل فرعون : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] ، فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا (١) أشد من عذابهم وهم موتى وهم في حال (٢) الموت معذبون ، فكذلك الموحدون يميتهم في النار ويكونون معذبين متألمين وهم موتى ، ويكون عذابهم وألمهم أخف من عذاب الكفار ، على أن قوله : ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾ [طه: ٧٤] في صفة (٣) الكفار ؛ لأنه قال : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾ [الأعلى: ١١- ١٣] والأشقى هو الذي بلغت شقاوته نهايتها ، وهو (٤) لا يسعد أبدًا ، وهو الذي يخلد فيها ، فأما الموحد فإنه وإن شقي بدخوله فيها ، فإنه يسعد بخروجه منها ، فهو وإن شقي فليس بالأشقى ، وإذا كان ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾ في الكفار خرج الموحدون منها .

ويجوز أن يموتوا ولا يكون ذلك خلافًا للآية ، فإن قيل بأن المخلدين فيها ليسوا بصفة الأحياء ولا الموتى لم يبعد ، فإن الجماد لا يوصف بالحياة ولا بالموت ، فهم وإن لم يكونوا بأحياء ولا موتى [١٤/ب] يخلق اللّٰه تعالى فيهم الآلام الشديدة ويكونون معذبين أبد الآبدين (٥) بأشد العذاب ، وقد خلق اللّٰه تعالى في الجماد الألم وهو الجذع الذي كان يخطب النبي ﷺ عنده ، لما اتخذ له منبر حنَّ حنين الناقة حتى نزل فاحتضنه فسكن . وإنما حنَّ حزنًا على مفارقة رسول اللّٰه ﷺ ، والحزن ألم . وخلق (٦) الكلام في الجماد بقوله : ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١] ، فإذا جاز هذا فيما لا يوصف بالموت والحياة (٧) جاز أن يخلق في أهل النار الذين هم الكفار الألم والعذاب

---

(١) زاد في (س) بعدها : يكون .
(٢) في (س) : حالة .
(٣) في (خ) : حق .
(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : الذي .
(٥) في (س) و (خ) : الأبد .
(٦) زاد في (س) بعدها : اللّٰه تعالى .
(٧) في (س) : ولا بالحياة .

الأبد [١] الأبد وليسوا بأحياء ولا موتى [٢] .

يقول [٣] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن الله إليه - : أنشدني بعض الكبار :

حياة الفتى بالروح ما عاش سالمًا ... وإن حياة الروح بالدين والذكر

فمن فاته دين الهدى فهو ميت ... وإن كان حيًّا في البطالة والغدر

لذلك يلقى في الجحيم غدًا فلا ... يموت ولا يحيى إلى أبد الدهر

ألا فاشكروا يا إخوة الدين ربكم ... على ما هداكم فالزيادة في الشكر

ولا تكفروا من قد هداكم بفضله ... إلى الدين فالكفران داعية الكفر

فيا رب ثبتنا بحرمة ديننا ... على ديننا واختم به آخر العمر

١٦
باب في السعادة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٥٣] ح حاتم بن عقيل قال : ح يحيى بن إسماعيل ، قال : ح يحيى الحِمَّانيُّ ، قال : ح عبد العزيز بن محمد عن محمد بن أبي حميد عن إسماعيل بن محمد عن أبيه عن جده سعد بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **سَعَادَةٌ لابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ ، وشِقْوَةٌ لابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ ، فمِنْ سَعَادَةِ ابنِ آدَمَ المرأةُ الصَّالحَةُ ، والمسْكنُ الواسِعُ ، والمرْكبُ الصَّالحُ ، [ومن شَقَاوةِ]** [٤] **ابنِ آدَمَ المسْكَنُ السُّوءُ ، والمركبُ السُّوءُ ، والمرْأةُ السُّوءُ** » [٥] .

قال المصنف رحمه الله : [١٥/أ] هذه إن شاء الله تعالى سعادة الدنيا دون سعادة الدين ، والسعادة سعادتان : مطلقة ومقيدة ، فالمطلقة السعادة في الدين والدنيا ، والمقيدة فيما قيدت به ، وهذه سعادة مقيدة ؛ لأنها ذكرت بأشياء معدودة ، فكأن من رزق امرأة

(١) في (س) و (خ) : أبد .

(٢) زاد في (س) بعدها : والله أعلم بالصواب .

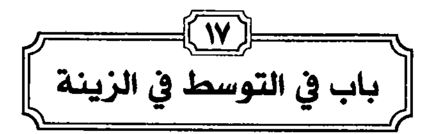
(٣) من هنا حتى آخر الأبيات غير موجودة بالنسخة (س) و (خ) .

(٤) في (س) : وشقوة . ا.هـ . وفي (خ) : ومن شقوة .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن سعد بن أبي وقاص (١٦٨/١) رقم (١٤٤٥) ، وأبو داود الطَّيَالِسِي في مسنده (٢٩) رقم (٢١٠) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٥٧/٢) رقم (٢٦٤٠) ، والطبراني في الكبير (١٤٦/١) رقم (٣٢٩) ، كما أخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد (١٧٥/٢) رقم (٢٦٨٤) .

صالحة ومسكنًا واسعًا ومركبًا صالحاً طاب عيشه وتهنى [١] ببقائه ، وتم رفقه بها ؛ لأن هذه الأشياء من مرافق الأبدان ، ومتاع الحياة الدنيا ، وقد يكون السعيد في الدين ، ومن عباد اللَّه الصالحين ، ولا يكون له شيء من هذه الأشياء ، وإن كانت [٢] فعلى ضد هذا المعنى من الشقاء .

ومعنى الشقوة هاهنا التعب ، قال اللَّه تعالى [٣] : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١١٧] قيل : فتتعب . ومن ابتلي بالمرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء تعب في أكثر أوقاته [وهو سعيد عند ربه] [٤] . ويجوز أن يكون أكثر السعداء مبتلين [٥] بهذا التعب ، فإن الأولياء مرادون بالبلاء . قال النبي ﷺ : [٥٤] « **إنَّ** [٦] **أشَدَّ النَّاسِ بلاءً الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ** » [٧] ، وقد كان لنوح ولوط عليهما السلام امرأتا سوء ، وهما في غاية الشقاء ، ونوح ولوط في غاية السعادة ، وامرأة فرعون أسعد أهل زمانها ، وفرعون أشقى الخلق ، وكان لموسى عليه السلام عريش يأوي إليه ، وكذلك أكثر الأنبياء والأولياء عليهم السلام . فدل أنه أراد به السعادة المقيدة التي هي سعادة الدنيا دون السعادة المطلقة التي تعم الدين والدنيا .



١٧ باب في التوسط في الزينة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٥٥] ح محمد بن عبد اللَّه بن يوسف المعروف

---

(١) في (س) و (خ) : ويهنأ .

(٢) زاد في (س) بعدها : أي الشقاوة .

(٣) زاد في (خ) بعدها : في قصة آدم عليه السلام . (٤) سقط من (س) .

(٥) كذا في (س) و (خ) وهو الصواب نحويًا ، أما في الأصل : مبتلون .

(٦) سقط من (س) .

(٧) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن مصعب بن سعد عن أبيه في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وقال : حسن صحيح (٦٠١/٤) رقم (٢٣٩٨) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته في كتاب الطب باب أيّ الناس أشد بلاء ؟ (٣٥٢/٤) رقم (٧٤٨٢) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن مصعب بن سعد عن أبيه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (١٣٣٤/٢) رقم (٤٠٢٣) ، والدارمي في سننه في كتاب الرقاق باب في أشد الناس بلاء (٤١٢/٢) رقم (٢٧٨٣) ، وأحمد في مسنده (١٧٢/١) رقم (١٤٨١) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين (٩٩/١) رقم (١٢٠) .

بالعماني ، قال : ح أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد القُشَيْرِي [١] ، قال : ح محمد بن الأزهر ، قال : ح عبد الرحمن [٢] قال : ح سكين بن سراج [٣] قال : المغيرة بن سويد عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مِنْ سعَادَةِ المرءِ خِفَّةُ لحيَتِهِ** » [٤] .

قال المصنف رحمه الله : اللحية للرجل زينة . روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقسم فتقول : [٥٦] « لا والذِي زيَّنَ الرِّجَالَ باللحَى » [٥] والزينة إذا كانت تامة وافرة ، فربما أعجب المرء بنفسه ، والعجب هلاك ، والهلاك شقاء [٦] . وقال ﷺ : [٥٧] [١٥/ب] « **ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وهوًى مُتَّبَعٌ ، وإعجَابُ المرْءِ بنفْسِهِ** » [٧] ، وسئل النبي ﷺ : [٥٨] « ما خيرُ ما أُعطِيَ المسْلِمُ ؟ قالَ : « **خُلقٌ حَسَنٌ** » . قِيلَ : وما [٨] شرُّ ما أُعْطِيَ ؟

---

(١) القُشَيْرِي : بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها الراء . هذه النسبة إلى بني قشير ، الأنساب (٥٦/٤) .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن قيس .

(٣) في (س) و (خ) : السراج . ا.هـ . والصواب في اسمه : سكين بن أبي سراج ، لسان الميزان (٥٦/٣ رقم (٢١٤) .

(٤) حديث موضوع ، لسان الميزان (٩٢/٧ رقم (٩٦٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين ، وقال في سكين : شيخ يروي الموضوعات وساق الحديث (٣٦٠/١) رقم (٤٧٤) ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (١٦٧/٧) رقم (٢٠٧٣) ، وقال : سكين ليس بالمعروف ، وأخرجه من حديث الحسين بن المبارك ، وقال : منكر بهذا الإسناد (٣٦٤/٢) رقم (٤٩٣) ، وأخرجه من حديث سليمان بن عمرو ، وقال عن أحاديثه : كلها موضوعة (٢٤٥/٣) رقم (٧٣٣) ، وأخرجه الخطيب البَغْدَادِي في تاريخ بغداد ، وقال : سكين مجهول منكر الحديث ، والمغيرة بن سويد أيضًا مجهول ولا يصح هذا الحديث (٢٩٧/١٤) رقم (٧٦٠٨) ، وقال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث : ليس له أصل (ص ٧٥) .

(٥) لم أقف عليه ، قال في كشف الخفاء : رواه الحاكم عن عائشة ، وذكره في تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر في أثناء حديث بلفظ : « ملائكة السماء يستغفرون لذوائب النساء ولحى الرجال ، يقولون : سبحان الذي زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب » أسنده عن عائشة ، كشف الخفاء (٥٣٨/١) رقم (١٤٤٧) .

(٦) ساق في هامش (س) القصة الآتية : نظر رجل إلى شيبة بن منصور وهو يطيل الصلاة ويحسن العبادة ، فلما فرغ قال : لا يغرنك ما رأيت مني ، فإن إبليس عبد الله تعالى وصلى آلاف سنين ، ثم صار إلى ما صار إليه . أصول أربعين ا.هـ .

(٧) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن أنس بن مالك ﷺ (٢١٤/١) رقم (٣٢٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧١/١) رقم (٧٤٥) ، والطبراني في الأوسط (٣٢٨/٥) رقم (٥٤٥٢) ، قال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار مع الإحياء : إسناده ضعيف (٢٦/١) .

(٨) في (س) و (خ) : فما .

قال : « **قَلْبُ سُوءٍ في صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، فَإِذَا نَظَرَ إلى نَفْسِهِ أَعْجَبَتْهُ** » حدثناه أبو بكر محمد ابن مهرويه بالري قال : ح أبو حاتم محمد بن إدريس [سنة ست وسبعين ومائتين ، قال :][1] ح عبد اللّه بن مروان أبو شيخ الحَرَّاني [2] قال : ح زهير قال : ح أبو إسحاق عن المُزَنِي [3] أو الجُهَني [4] « أَنَّ رجُلًا أَتَى رسُولَ اللهِ ﷺ ، فقالَ : يا رسُولَ اللَّهِ ، مَا خَيرُ ما أُعْطِيَ المسْلمُ ؟ فذكره » [5] .

قال المصنف رحمه الله : فإذا كانت الزينة سبب إعجاب المرء بنفسه ، وإعجابه بها من المهلكات - والهلاك شقاء - فكانت [6] الخفة في الزينة سبب ازدرائه [7] بها ، فكان ذلك فوزًا ونجاة ، وهو السعادة .

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الْحَرَّاني : حران بلدة من الجزيرة كان بها ومنها جماعة من الفضلاء والعلماء في كل فن وهي من ديار ربيعة ، الأنساب (٤١/٢) .

(٣) الْمُزَنِيُّ : بضم الميم وفتح الزاي ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى مزينة ، الأنساب (٢٨٦/٤) .

(٤) الْجُهَنِيُّ : بضم الجيم وفتح الهاء وكسر النون في آخرها ، هذه النسبة إلى جهينة وهي قبيلة من قضاعة... نزلت الكوفة ، الأنساب (٤٦٨/١) .

(٥) الحديث أخرجه البيهقي بألفاظ متقاربة عن المُزَني أو الجُهَني - كذا عنده - في شعب الإيمان (٢٣٥/٦) رقم (٧٩٩٢) ، وأخرجه من أوله حتى « خلق حسن » ابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة في صحيحه عن أسامة بن شريك (٢٢٦/٢) رقم (٤٧٨) وابن الجعد في مسنده (٣٧٨) رقم (٢٥٨٦) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص ٢١٩) رقم (١٧١) وأبو بكر الشَّيْباني في الآحاد والمثاني (١٤١/٣) رقم (١٤٦٨) ، والطبراني في الأوسط (٢٣٩/١) رقم (٣٦٩) ، والكبير (١٨١/١) رقم (٤٧٠) وإسناد هذا الحديث فيه مقال : ففيه عبد اللّه بن مروان أبو شيخ الحَرَّاني ، قال ابن حبان في المجروحين : لا يحل الاحتجاج به (٣٦/٢) رقم (٥٦٨) ، وقال في الثقات : يعتبر حديثه إذا بين السماع في خبره (٣٤٥/٨) رقم (١٣٧٩٩) ، وانظر طبقات المدلسين لابن حجر (ص ٣٩) رقم (٧٦) ، ولسان الميزان (٣٥٦/٣) رقم (١٤٤٤) وقد ثبت تحديثه عن زهير ، تاريخ بغداد (١٥١/١٠) رقم (٥٣٠٢) ولكن لم يثبت عندي تحمل أبي حاتم محمد بن إدريس منه ، وفي الإسناد أيضًا زهير وهو زهير بن معاوية بن خديج وهو ثقة ، إلا أنهم تحفظوا عليه في حديثه عن أبي إسحاق ؛ لأنه سمع منه بعد الاختلاط ، تهذيب الكمال (٤٢٠/٩) رقم (٢٠١٩) ، قال ابن حجر : في حديثه عن أبي إسحاق لين ، تهذيب التهذيب (٣٠٣/٣) رقم (٦٤٨) ، وفيه أبو إسحاق وهو عمرو بن عبد اللّه السبيعي ثقة مشهور بالتدليس ، طبقات المدلسين لابن حجر (ص ٤٢) رقم (٩١) ولم يصرح بالسماع من المُزَنِيّ أو الجُهَنِيّ ولم يبين عن أيّ المُزَنِيين أو الجُهَنِيين روى .

(٦) في (س) و (خ) : (كانت) .

(٧) في (س) و (خ) : إزرائه .

ففي الحديث دلالة على أن [١] الاختيار في التوسط في التزين وترك المبالغة فيها من لباس ودار ومركب وكلام ومشي ، وفي جميع ما يتزين المرء به ، وقد ورد في كل شيء من هذا أخبار منها : ما ح به محمد بن محمد أبو جعفر الجمال قال : ح أحمد بن محمد بن رزيق [٢] المعروف بابن الأعجم بصنعاء ، قال : ح أبو سالم بن جعشم قال : ح ابن أبي رواد عن حنظلة عن طاوس عن أبي هريرة ﷺ لا نعلمه إلا قال : قال رسول الله ﷺ : [٥٩] « **بينا رَجُل مِنْ بني إِسْرائيلَ لبِسَ حُلَّةً** [٣] ، **فأعْجبَتْهُ نَفْسُهُ ، فاخْتالَ** [٤] **فِيها في مِشْيَتِهِ ، فَخَسَفَ** [٥] **اللَّهُ تعَالى بِه الأَرْضَ ، فهُوَ يتَجَلْجَلُ** [٦] **فِيها** [٧] **إلى يوْمِ القِيامَةِ** » [٨] ، وقال عمر بن الخطاب ﷺ : [٦٠] « اخْشَوْشِنُوا [٩] واخْشَوْشِبُوا [١٠] » الحديث [١١] . وركب رسول الله ﷺ فرسًا فكرهه ، وقال : [٦١] « **وجدتُه**

---

(١) سقط من (س) و (خ) .

(٢) في هامش (س) العبارة الآتية : في بعض النسخ زُرَيْق بتقديم الزاي على الراء .

(٣) حلة : كل ثوب جيد جديد تلبسه ، لسان العرب مادة (حلل) .

(٤) اختال : تكبر ، النهاية مادة (خيل) ، (٩٣/٢) .

(٥) خسف : غاب به في الأرض ، لسان العرب مادة (خسف) .

(٦) يتجلجل : أي يغوص في الأرض حين يخسف به ، النهاية مادة (جلج) ، (٢٨٣/١) وفي هامش (س) أي يتزلزل .

(٧) من هامش الأصل .

(٨) الحديث أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه عن سالم بن عبد الله عن أبيه في كتاب اللباس باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار (٢١٨٢/٥) رقم (٥٤٥٣) ، والنسائي في سننه الكبرى عن عبد الله بن عمر في كتاب الزينة باب لبس السراويل لمن لم يجد الإزار (٤٨٣/٥) رقم (٩٦٧٦) ، وأحمد في مسنده (٢٦٧/٢) رقم (٧٦١٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٢/٦) رقم (٨١٦٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٠/١١) رقم (٦٤٨٤) ، والأَزْدِي في الجامع (٨٢/١١) رقم (١٩٩٨٣) .

(٩) اخشوشنوا : اخشوشن إذا لبس الخشن ، النهاية مادة (خشن) ، (٣٥/٢) وقال ابن منظور : اخشوشن الرجل لبس الخشن وتعوده أو أكله أو تكلم به أو عاش عيشًا خشنًا ، وقال قولاً فيه خشونة ، لسان العرب مادة (خشن) .

(١٠) اخشوشبوا : اخشوشب الرجل إذا كان صلبًا خشنًا في دينه وملبسه ومطعمه وجميع أحواله ، النهاية مادة (خشب) ، (٣٢/٢) .

(١١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ بمعناه (٤٣/١) رقم (٣٠١) ، والبيهقي في سننه (١٤/١٠) رقم (١٩٥٢٢) ، وابن حبان في صحيحه (٢٦٨/١٢) رقم (٥٤٥٤) ، وابن الجعد في مسنده (ص ١٥٦) رقم (٩٩٥) ، وقد أخرجه بلفظه الطحاوي في شرح معاني الآثار عن أبي عثمان النَّهْدِي (٢٧٥/٤) .

بحرًا [١] » [٢] . [٦٢] و « كان عمر ﷺ ينهى عماله عن ركوب البراذين [٣] لفراهتها [٤] ولين متونها » [٥] [٦] . وفي صفة النبي ﷺ : [٦٣] « **إذَا مَشَى تَكَفَّأَ** [٧] ، **فكأنَّما يمشِي في صَبَبٍ** » [٨] [٩] .

[فكره المبالغة [١٦/أ] في الزينة في كل الأحوال] [١٠] . فكل هذه الأخبار دلالة على كراهة المبالغة في الزينة ، وكره للرجال ما ظهر لونه من الطيب [١١] ، وكل ما أدى إلى الإعجاب بالنفس فهو شقاء والسعادة بخلافه . ففي خفة اللحية خفة الزينة ، وفي خفة الزينة السعادة - إن شاء اللّه تعالى - [فمعنى قوله] [١٢] : « **من سعادة المرء خفة لحيته** » ما ذكرنا أنه سبب بعد المرء عن الإعجاب بنفسه فهو السعادة له .

(١) بحرًا : ذكر في النهاية : أنه ركب فرسًا لأبي طلحة ، فقال : إن وجدناه لبحرًا أي واسع الجري ، النهاية مادة (بحر) ، (٩٩/١) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الجهاد والسير باب إذا فزعوا بالليل (١١٠٦/٣) رقم (٢٨٧٥) ، ومسلم في صحيحه بلفظ مقارب في كتاب الفضائل باب في شجاعة النبي ﷺ (١٨٠٣/٤) رقم (٢٣٠٧) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الجهاد باب ما جاء في الخروج عند الفزع ، وقال : صحيح (١٩٩/٤) رقم (١٦٨٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب السير باب سبق الإمام إلى النفير وترك انتظار الناس (٢٥٧/٥) رقم (٨٨٢٩) .

(٣) البراذين : الدابة ، والبراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العراب ، لسان العرب مادة (برذن) ، قال مالك في الموطأ : لا أرى البراذين والهجن إلا من الخيل (٤٥٦/٢) رقم (٩٧٦) .

(٤) لفراهتها : يقال : جارية فارهة إذا كانت حسناء مليحة ، وغلام فاره : حسن الوجه ، والفراهة : النشاط ، لسان العرب مادة (فره) .

(٥) متونها : المتن الظهر ، لسان العرب مادة (متن) .

(٦) هذا معنى حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عاصم بن أبي النجود (٢٤/٦) رقم (٧٣٩٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦١/٦) رقم (٣٢٩٢٠) ، والأزدي في الجامع (٣٢٤/١١) رقم (٢٠٦٦٢) .

(٧) تكفأ : تمايل إلى قدام ، النهاية مادة (كفأ) ، (١٨٠/٤) .

(٨) صبب : أي في موضع منحدر ، النهاية مادة (صبب) ، (٣/٣) .

(٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بألفاظ متقاربة عن محمد بن علي بن الحنفية عن أبيه باب الجفاء (ص ٤٤٥) رقم (١٣١٥) ، ومسلم في صحيحه بنحوه عن أنس في كتاب الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ (١٨١٥/٤) رقم (٢٣٣٠) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن علي في كتاب المناقب باب ما جاء في صفة النبي ﷺ (٥٩٨/٥) رقم (٣٦٣٧) ، وفي الشمائل المحمدية (٣١/٢) رقم (٥) .

(١٠) سقط من (س) .

(١١) زاد في (خ) بعدها : فإذا كان كذلك كان قوله .

(١٢) في (س) : وفي أصل آخر بعد قوله : ما ظهر لونه من الطيب فإذا كان كذلك كان قوله . ا.هـ .

يقول [١] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن الله إليه - : قال الشيخ الأجل الأستاذ ظهير الدين : حكي أن شابًّا طالب العلم أدركته المنية فقال :

ألا لا يعجبنكم الشباب ... فإن الموت للشبان باب
تغير ما عهدتم من جمال ... وأبلى حسن صورتي التراب
فعيشي كان عشرًا بعد عشر ... وخمسًا ثم فاجأني تباب
فمن يسمع بموتي فاعتبره ... ولا تغرره دنيا أو شباب
فصبرًا يا أبي صبرًا جميلًا ... فإن الصبر يتلوه الثواب

١٨
باب في قرب الملائكة وبعدها

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٦٤] ح عصمة بن محمود بن إدريس البَيْكَنْدي [٢] ، قال : ح إبراهيم بن إسماعيل البَيْكَنْدي ، قال : ح سويد ، قال : ح بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **العَطْسَةُ عِنْدَ الحدِيثِ شَاهِدُ عَدْلٍ** » [٣] .

قال المصنف رحمه الله : و ح أحمد بن محمد بن رجاء ، وأبو الفضل علي بن الحسين ابن أحمد السَّرْخسِيَّان قالا [٤] : ح محمد بن إدريس السَّامِي أبو الوليد [٥] ، [قال : ح

(١) من هنا لآخر الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .
(٢) البَيْكَنْدِي : من بلاد ما وراء النهر ، على مرحلة من بخارى إذا عبرت النهر ، لها ذكر في الفتوح ، وكانت بلدة حسنة ، كبيرة ، كثيرة العلماء ، الأنساب (٣١٦/١) .
(٣) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة بلفظ : « من حدث حديثًا فعطس عنده فهو حق » ، (٤٠٢/٦) رقم (١٨٨٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٣٤/١١) رقم (٦٣٥٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣/٧) رقم (٩٣٦٥) ، والطبراني في الأوسط (٣١٦/٦) رقم (٦٥٠٩) ، وتمام الرَّازي في الفوائد (١٦/٢) رقم (١٠٠٥) ، قال ابن أبي حاتم عن أبيه (هذا حديث كذب) علل الحديث (٣٤٢/٢) رقم (٢٥٥٢) ، وقال ابن حجر في ترجمة معاوية بن يحيى ، وأورد له ابن عدي من المناكير حديثه عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا ...... وساق الحديث ، تهذيب التهذيب (١٩٨/١٠) رقم (٤٠٥) .
(٤) في (س) : قال .
(٥) في هامش الأصل و (س) : لبيد .

سويد بن سعيد الْحَدَثَانِي [(١)] ، قال : سمعت بقية بن الوليد] [(٢)] . بإسناده مثله .

قال المصنف رحمه الله : الشاهد : الحاضر ، والشهود : الحضور ، والكذب ضد الصدق [(٣)] ، و [(٤)] الملك يتباعد عن العبد عند الكذب ، وح نصر بن الفتح قال : ح أبو عيسى ، قال : ح يحيى بن موسى ، قال : قلت [١٦/ب] لعبد الرحيم بن هارون الغَسَّاني [(٥)] : حدثكم عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [٦٥] « **إِذَا كَذَبَ العَبْدُ يتباعَدُ [(٦)] عَنْهُ المَلَكُ مِيلًا مِنْ نتَنِ ما جَاءَ بِهِ** » قال يحيى : فأقر به عبد الرحيم بن هارون ، فقال : نعم [(٧)] .

قال المصنف رحمه الله : فإذا غاب الملك عند الكذب حضر عند الصدق [(٨)] فالملك حبيب الله ؛ لأنه كريم عليه ، قال الله تعالى : ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١١] أي كرامًا على الله تعالى كاتبين لأعمالكم ، وقال : ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٦] ، وقال : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التحريم: ٦] [فهذه صفات من يحبهم الله عز وجل . إذا فالملك حبيب الله] [(٩)] ، ومن كان بهذه الصفة فهو لله حبيب ، ثم ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ اللَّهَ تعَالى يحبُّ العُطَاسَ ويكْرَهُ التَّثَاؤبَ** » حدثناه [(١٠)] محمد بن عبد الله [(١١)]

---

(١) الْحَدَثَانِي : بفتح الحاء والدال المهملتين والثاء المنقوطة بثلاث وفي آخرها النون ... وسويد بن سعيد الحدثاني يقال له : الحديثي أيضًا من أهل الحديثة بلدة على الفرات ، الأنساب (٣٤/٢) .

(٢) من هامش الأصل .

(٣) زاد في (س) بعدها : وروي أن .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) الغَسَّاني : بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة وفي آخرها النون هذه النسبة إلى غسان وهي قبيلة نزلت الشام ، الأنساب (٤٠١/٣) .

(٦) في (س) و (خ) : تباعد .

(٧) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن ابن عمر في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الصدق والكذب ، وقال : حديث حسن جيد غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه تفرد به عبد الرحيم بن هارون (٣٤٨/٤) رقم (١٩٧٢) ، وابن عدي في الكامل (٢٨٣/٥) رقم (١٤٢١) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٨/٢) رقم (٤٧٧) بلفظ مقارب ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٩٧/٨) ، وقال : غريب ، والطبراني في الأوسط (٢٤٥/٧) رقم (٧٣٩٨) .

(٨) زاد في (س) بعدها : فشهد و .

(٩) سقط من (خ) .

(١٠) في (س) : ح .

(١١) زاد في (س) بعدها : بن يوسف .

العماني ، قال : ح محمد بن أحمد بن [١] البراء أبو الحسن قال : ح المعاف [٢] بن سليمان قال : ح [القاسم بن معن] [٣] عن محمد بن عجلان ، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِي [٤] ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٦٦] « **إنَّ اللهَ ﷻ يُحِبُّ العُطَاسَ ويَكْرَهُ التَّثَاؤبَ** » [٥] .

قال المصنف رحمه الله : فإذا شهد [الملك عند الحديث الذي هو صدق ، وهو حبيب اللَّه دل شهود] [٦] العطاس الذي هو حبيب اللَّه عند الحديث على صدقه ، فكان شاهدًا ؛ لأنه حضر ولم يغب ، وعدلًا ؛ لأنه حبيب اللَّه فإذا دل حضور أحد الحبيبين وهو الملك عند الحديث على الصدق دل حضور الحبيب الآخر ، وهو العطاس عند الحديث على صدقه .

١٩
باب في الحسب والمروءة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٦٧] ح أبو إسحاق إبراهيم بن بشرويه بن علي ، قال : ح أبو علي صالح بن محمد ، قال : ح علي بن الجعد ، قال : أخ مسلم بن خالد الزَّنْجِي [٧] عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال

---

(١) سقط من (س) .

(٢) في (س) و (خ) : المعافى .

(٣) في (س) : القسم بن القاسم .

(٤) المَقْبُرِي : بفتح الميم وسكون القاف وضم الباء المعجمة بنقطة في آخرها راء مهملة ، قال ابن حبان : نسب إلى مقبرة كان يسكن بالقرب منها ، الأنساب (٣٤٠/٤) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب (٢٢٩٧/٥) رقم (٥٨٦٩) ، وفي الأدب المفرد في باب العطاس (٣١٦) رقم (٩١٩) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب ما جاء في التثاؤب (٣٠٦/٤) رقم (٥٠٢٨) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأدب باب ما جاء إن اللَّه يحب العطاس ويكره التثاؤب ، وقال : حسن صحيح (٨٦/٥) رقم (٢٧٤٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا عطس (٦٢/٦) رقم (١٠٠٤٣) .

(٦) سقط من (س) .

(٧) الزَّنْجِيُّ : بفتح الزاي والنون الساكنة وفي آخرها الجيم ، بلاد الزنج معروفة ، وهي من بلاد السودان ، الأنساب (٣٧٧/٢) .

رسول الله ﷺ : « حَسَبُ [(١)] الرَّجُلِ دِينُهُ ، ومُرُوءتُهُ عَقْلُهُ » [(٢)] .

قال [١٧/أ] المصنف رحمه الله : الحسب في الآباء والشرف في الولادة ، وأشرف الأحساب حسب العرب ، والعرب إنما شرفوا بالدين ، وذلك أن خيار الناس وأفضلهم في الدين وأقربهم زلفى عند الله تعالى كانوا من العرب ، وهو النبي محمد بن عبد الله سيد الخلق كلهم - صلوات الله عليه - . وسيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين غير النبيين والمرسلين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وسيدة النساء خديجة وفاطمة رضي الله عنهما ، فإذا كان هؤلاء هم خيار الخلق من الأولين والآخرين ، وأفضلهم من العرب ، صار للعرب الشرف بذلك . أما أوائلهم فبأنهم كانوا سببًا لكونهم ؛ لأنهم [(٣)] ولدوهم ، وأما من بعدهم فلأنهم من نسل هؤلاء الخيار ، فصح أن علة الشرف الدين ، فكان الحسب في الجاهلية هو الشرف بالولادة ؛ إذ لم يكن لهم دين ، فلما أظهر الله تعالى الدين وأخرج الخيار والأفاضل الذين هم ودائعه في الأصلاب والأرحام ، سقط شرف الماضين منهم ؛ إذ كان شرفهم بهم ، فصار الشرف في الأصل الذي كان سببًا لشرف العرب وهو الدين فصار الانتماء والافتخار الذي كان بالآباء بالدين ، ألا ترى إلى ما روي عن النبي ﷺ قال [(٤)] فيمن انتمى وافتخر بالآباء : فيما حدثنا به عبد العزيز بن محمد ، قال : ح محمد بن إبراهيم ، قال : ح أبو ثابت ، قال : ح عبد الله بن وهب ، قال : ح هشام بن سعد [(٥)] عن سعيد المَقْبُرِي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [٦٨]

---

(١) حسب : الحسب في الأصل الشرف بالآباء ، النهاية مادة (حسب) ، (٣٨١/١) .

(٢) الحديث أخرجه بلفظ : « كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه » ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٢٣٢/٢) رقم (٤٨٣) ، وابن عدي في الكامل (٣٠٨/٦) رقم (١٧٩٧) ، وابن الجعد في مسنده (ص ٤٣٥) رقم (٢٩٦٢) ، والقضاعي في مسنده (١٤٣/١) رقم (١٩٠) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ١٧) رقم (١) ، والبيهقي في سننه (١٣٦/٧) رقم (١٣٥٥٥) والدارقطني في سننه (٣٠٣/٣) رقم (٢١٤) كما أخرجه موقوفًا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ : « حسب الرجل دينه ومروءته خلقه وأصله عقله » ، (٢١٢/٥) رقم (٢٥٣٣٤) ، والبيهقي في سننه الكبرى ، وقال : هذا الموقوف إسناده صحيح (١٩٥/١٠) رقم (٢٠٦٠٠) ، والدارقطني في سننه (٣٠٤/٣) رقم (٢١٦) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في (س) : أنه كيف قال ا.هـ . وفي (خ) : كيف قال .

(٥) في (س) : سعيد .

« إنَّ اللَّهَ تعَالى [١] أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبيةَ [٢] الجاهِلِيةِ وفَخْرَهَا بِالآبَاءِ ، فمُؤْمِنٌ [٣] تقِيٌّ أو فَاجِرٌ شَقِيٌّ ، أَنْتُم بَنُو آدَمَ ، وآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُم بِأَقْوَامٍ إنَّمَا هُم فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ ، [أُولئِكَ الذينَ ليَكُونُنَّ] [٤] أهْونَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الجُعْلانِ [٥] التي تدْفَعُ بأَنْفِهَا النَّتَنَ » [٦] .

قال المصنف رحمه الله : فقد أخبر [٧] أن الشرف بأولئك قد [١٧/ب] سقط ، ثم كانت العرب قبائل ، فكل كان [٨] ينتمي إلى إحداها فصار نعوت المؤمنين بدل قبائل العرب ، ومراتب الدين بدل شعوبها ، قال اللَّه تعالى : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ ﴾ الآية [الأحزاب : ٣٥] ، فالانتماء إلى هذه الأوصاف ، والشرف بهذا النسب دون الآباء والسلف .

وقوله : « **ومروءته عقله** » ظاهر المروءة عند الناس حسن الزي والجمال ، والتوسع في الطعام والإطعام ، وهذه أحوال من اتسع في المال فيمكنه ذلك ، فكان النبي ﷺ أخبر أن المروءة هو [٩] العقل وقد يكون العاقل موسعًا عليه ، ومقدرًا له ، فإذا كمل عقل المرء تمت مروءته ، وذلك أن اشتقاق المروءة من المرء ، والمرء الإنسان ، والإنسان إنما شرف على سائر الحيوان بالعقل ، وكمال العقل التنزه عن كل خلق ذميم وكف النفس عن شهواتها الردية ، وطباعها الدنية ، ووضع كل شيء موضعه ، وإيفاء كل ذي حق حقه ، فالعاقل يوفي حق الربوبية لربه على قدر وسعه وطاقته ، ويوفي حق [١٠] العبودية من

---

(١) زاد في (خ) بعدها : قد .

(٢) عبية : الكبر ، وتضم عينها وتكسر ، النهاية مادة (عبي) ، (٣/١٦٨) .

(٣) في (س) و (خ) : مؤمن .

(٤) في (س) و (خ) : أو ليكونن .

(٥) الجعلان : الجعل حيوان معروف كالخنفساء ، النهاية مادة (جعل) ، (١/٢٧٦) .

(٦) الحديث أخرجه بلفظ مقارب أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الأدب باب التفاخر بالأحساب (٤/٣٣١) رقم (٥١١٦) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة مع تقديم وتأخير في كتاب المناقب باب في ثقيف وبني حنيفة ، وقال : حسن غريب ، (٥/٧٣٤) رقم (٣٩٥٥) ورقم (٣٩٥٦) ، وقال : هذا أصح عندنا ، وأخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٦١) رقم (٨٧٢١) ، وابن حبان في صحيحه بنحوه (٩/١٣٧) رقم (٣٨٢٨) ، والبيهقي في سننه (١٠/٢٣٢) رقم (٢٠٨٥١) .

(٧) زاد في (س) بعدها : رسول اللَّه ﷺ .

(٨) سقط من (خ) .

(٩) هكذا والصواب : هي .

(١٠) في (س) : حقوق .

نفسه ، ويوفي حق خلق اللَّه من فصيح [(١)] وأعجمي [(٢)] ، ويوفي حقوق نفسه ، فإن لها عليه حقًّا . فقال ﷺ : [٦٩] « **إنَّ لِنفسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** » [(٣)] ، فمن كانت فيه هذه الخصال التي يجمعها العقل فقد تمت مروءته وظهرت إنسانيته ، ومن لم يكن بهذه الأوصاف فلا فرق بينه وبين سائر الحيوان بل هو شر الحيوان ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] [(٤)] .

يقول [(٥)] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن اللَّه إليه - : وقد أنشدني بعض الكبراء من إنشائه في فضائل العقلاء (شعر) :

من رام حسن ما به فليعتصم ... بمحجة العلماء والعقلاء
فالعلم صبح صادق يجلو الدجى ... والعقل نور نواظر البصراء [١٨/أ]
فإذا التقى النوران يتضح الهدى ... للعبد في السراء والضراء
وينال قرة عينه ويحوز ما ... طمحت إليه همة الكبراء
ويرى بناظر سره معبوده ... متجليًا في عزة وعلاء
فمن ارتقى هذا المقام فإنه ... من جملة الأبدال والخلفاء



٢٠ باب في نفاق العمل

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٧٠] ح أبو بكر محمد بن مهرويه الرَّازي بالري ،

---

(١) في هامش (خ) : إنسان .

(٢) في هامش (خ) : وغيره .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه في كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر (٦٩٤/٢) رقم (١٨٦٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب الزهد باب منه (٦٠٨/٤) رقم (٢٤١٣) ، وابن حبان في صحيحه بلفظ مقارب (٢٣/٢) رقم (٣٢٠) ، وابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصيام باب إباحة الفطر في صوم التطوع (٣٠٩/٣) رقم (٢١٤٤) ، والبيهقي في سننه (٢٧٥/٤) رقم (٨١٢٨) ، والطبراني في الكبير (١١٢/٢٢) رقم (٢٨٥) ، والدارقطني في سننه (١٧٦/٢) رقم (٢٠) .

(٤) وقد زاد في الأصل و (س) بعد ﴿ أَضَلُّ ﴾ كلمة (سبيلًا) وهو خطأ .

(٥) من هنا حتى آخر الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

قال : ح أبو يحيى جعفر بن محمد الزَّعْفَرَانِي [١] ، قال : ح موسى بن محمد البجلي ، قال : ح ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر ﷺ قال : قال رســول اللَّه ﷺ : « أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا » [٢] [٣] .

قال المصنف رحمه الله : هذا [إن شاء اللَّه أراد به] [٤] نفاق العمل لا نفاق الاعتقاد ؛ وذلك أن المنافق أظهر شيئًا وأضمر خلافه ، أظهر الإيمان باللَّه للَّه [٥] تعالى ، وأضمر عصمة ماله ودمه ، والمرائي بعمله أظهر أنه يريد بعمله الدار الآخرة ، وأضمر ثناء الناس وعرض الدنيا ، والقارئ أظهر أنه يريد اللَّه تعالى بعمله ووجهه لا غير ، وأضمر حظ نفسه وهو الثواب ويرى نفسه أهلًا لذلك ، وينظر [إلى عمله] [٦] بعين الإجلال ، فلما كان باطنه خلاف ظاهره صار منافقًا ؛ إذ المنافق بإيمانه قصد حظ نفسه وحفظه [٧] ، والقارئ بعمله قصد حفظ [٨] نفسه فاستويا في القصد ومخالفة الظاهر الباطن ، فاستويا في الاسم لاستوائهما في [٩] الصفة ، فالمنافق راءى الإمام والسلطان وعوام المسلمين ، والمرائي راءى الزهاد والعباد وأرباب الدين ، والقارئ راءى اللَّه تعالى فصال [١٠] بعمله ، وأعجب بنفسه ، وتمنى على ربه .

---

(١) الزَّعْفَرَاني : بفتح الزاي المنقوطة وسكون العين المهملة ، وفتح الفاء والراء المهملة ... وهي قرية من قرى سواد بغداد تحت كلوذا ، وليس إلى بيع الزعفران ، الأنساب (٣٦٧/٢) .

(٢) قراؤها : أي أنهم يحفظون القرآن نفيًا للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون تضييعه ، وكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة ، النهاية مادة (قرأ) ، (٣٠/٤) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد بلفظه عن عقبة بن عامر في باب ما يدل على أصوات العباد (١١٨/١) ، وأحمد في مسنده (١٥١/٤) رقم (١٧٤٠٥) وابن عدي في الكامل ، وقال في ابن لهيعة : حديثه حسن (١٤٤/٤) رقم (٩٧٧) ، والطبراني في الكبير (٣٠٥/١٧) رقم (٨٤١) ، كما أخرجه البخاري في التاريخ الكبير عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص (٢٥٧/١) رقم (٨٢٢) ، وأحمد في مسنده (١٧٥/٢) رقم (٦٦٣٣) ، وأخرجه الطبراني في الكبير عن عصمة (١٧٩/١٧) رقم (٤٧١) .

(٤) سقط من (س) أما في (خ) فقد أسقط عبارة : أراد به .

(٥) هكذا في الأصل و (س) و (خ) ووجودها يخل بالمعنى الذي أراده المصنف .

(٦) في (س) : بعمله .

(٧) سقط من (س) و (خ) .

(٨) في (خ) : حظ .

(٩) زاد في (س) بعدها : القصد و .

(١٠) فى هامش (س) : صَوَل استطال ا.هـ .

٢١
باب في كفر النعمة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٧١] ح أبو جعفر محمد بن جعفر قال : ح أبو نعيم عبد الملك [١] بن عدي قال : ح أحمد بن يحيى الصُّوفِي [٢] قال : ح زيد بن [١٨/ب] الحباب قال : ح سفيان الثَّوْرِي عن حجاج بن فرافصة عن يزيد الرَّقَاشِي عن أنس [٣] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **كَادَ الْفَقْرُ يَكُونُ كُفْرًا ، وكَادَ الْحَسَدُ أَنْ [٤] يَغْلِبَ الْقَدَرَ** » [٥] .

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون أراد [٦] كفر النعمة الذي هو ضد الشكر لا كفر الجحود الذي هو ضد الإيمان ، وهو أن الفقر نعمة من الله على العبد ؛ لأنه سبب الرجوع إلى الله والالتجاء إليه والطلب منه ، وهو حلية الأنبياء ، وزي الأولياء ، وشعار الصالحين ، وزينة المؤمنين . قد روي في الحديث : [٧٢] « **إِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ مَرْحَبًا بِشِعَارِ [٧] الصَّالِحِينَ** » [٨] ، وروي أن : [٧٣] « **الْفَقْرُ أَزْيَنُ بِالْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعِذَارِ [٩] الْجَيِّدِ عَلَى خَدِّ الْفَرَسِ** » [١] فما كان كذلك فهو نعمة جليلة غير أنه مكروه

---

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : بن محمد .

(٢) الصُّوفي : بضم الصاد المهملة والفاء بعد الواو هذه النسبة اختلفوا فيها ، ومنهم من قال : من الصفا ، ومنهم من قال : من بني صوفة ، وهم جماعة من العرب كانوا يتزهدون ويتقللون من الدنيا ، فنسبت هذه الطائفة إليهم ، الأنساب (٣/٢٢٠) .

(٣) زاد في (س) بعدها : بن مالك .   (٤) سقط من (س) .

(٥) الحديث أخرجه العقيلي في الضعفاء بلفظ مقارب عن أنس (٤/٢٠٦) رقم (١٧٩٠) ، والطبراني في الدعاء عن عمر ، وفيه زيادات (ص ٣١٩) رقم (١٠٤٨) ، وقد ضعف إسناد الطبراني العجلوني في كشف الخفاء (٢/١٤١) رقم (١٩١٩) ، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٥٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١/٣٤٢) رقم (٥٨٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٦٧) رقم (٦٦١٢) ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية : هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ (٢/٨٠٥) رقم (١٣٤٦) وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي : وأما حديث « كاد الفقر أن يكون كفرًا » فهو ضعيف جدًّا وعلى تقدير صحته فمحمول على الفقر القلبي المؤدي إلى الجزع والفزع (٧/١٧) .

(٦) من هامش الأصل .

(٧) الشعار : الثوب الذي يلي الجسد ؛ لأنه يلي شعره ، النهاية مادة (شعر) ، (٢/٤٧٩) .

(٨) سبق في اللوحة رقم (١١/أ) .

(٩) العذار : العذران من الفرس كالعارضين من وجه الإنسان ، ثم سمي السير الذي يكون عليه من اللجام عذارًا باسم موضعه ، النهاية مادة (عذر) ، (٣/١٩٦) .

(١) الحديث أخرجه بلفظه ابن المبارك في الزهد عن سعد بن مسعود (ص ١٩٩) رقم (٥٦٨) ، والبيهقي =

مؤلم شديد التحمل ، فقال : كاد أن يكفر نعمة الفقر لثقل تحملها على النفوس .

وقوله : « **كاد الحسد أن يغلب القدر** » أي كاد الحسد في قلب الحاسد أن يغلب على رؤية القدر ، فلا يرى أن النعمة التي حسده عليها إنما صارت له بقدر اللّٰه وقضائه لا تزول عنه إلا بقضاء اللّٰه وقدره . وغرض الحاسد ومراده وشهوته زوال نعمة المحسود . ألا يرى إلى ما روي عن النبي ﷺ [1] قال : [٧٤] « **ما مِنْ مُؤمِنٍ إلا وفِيهِ حَسَدٌ** » ، ثُمَّ قَالَ : « **فَذَهَابُ حَسَدِهِ ألا يَبْغِي أَخَاهُ غَائِلَةً** » [2] أخبر أن الحاسد يعمل في إزالة النعمة عن المحسود ، ولو تحقق معرفته بالقدر لم يحسده ، ولرجع إلى اللّٰه تعالى في الاستسلام له والانقياد لحكمه ورضي بقدره الذي يعلم أنه لا يرده أحد [3] .

٢٢
باب في جحود حق العباد

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٧٥] ح عبد اللّٰه بن [4] يعقوب [5] ح عبد الصمد ابن الفضل قال ح : عبد اللّٰه بن يزيد المُقْرِئ [6] ، قال : ح حيوة بن شريح ، قال : ح سالم بن غيلان أنه سمع دراجًا [7] أبا السمح قال : سمعت أبا الهيثم قال : سمعت

= في شعب الإيمان عن سعيد بن مسعود (٣٤٠/٧) رقم (١٠٥٠٩) ، وأخرجه هناد بن السَّرِيّ في الزهد بلفظ مقارب (٣٢٤/١) رقم (٥٨٨) ، ومثله الطبراني في الكبير ولكن عن شداد بن أوس (٢٩٤/٧) رقم (٧١٨١) ، والعقيلي في الضعفاء عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٣٤٤/١) رقم (١٧٧) ، قال العجلوني في كشف الخفاء : ومن الواهي في الفقر ما للطبراني عن شداد بن أوس رفعه . « الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس » ، وقال ابن تيمية : كذب وسنده ضعيف ، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (١١٣/٢) رقم (١٨٣٥) .

(١) زاد في (س) بعدها : أنه .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٠/أ) .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : قال : ويجوز أن يكون المراد منه الفقر من العلم وهو الفقر الأعظم ، فإن الجهل أقرب شيء إلى الكفر ، فإن برصيصًا ظن لجهله أن سجود المخلوق ينجيه فكفر . ا.هـ .

(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : محمد .

(٥) زاد في (س) و (خ) بعدها : الحَارِثي .

(٦) في (س) : المَقْبُرِي ا.هـ . والمقرئ نسبة إلى قراءة القرآن الكريم وإقرائه ، اختص بهذه النسبة جماعة من المحدثين ، الأنساب (٣٤٤/٤) .

(٧) في الأصل : دراج .

أبا سعيد الخُدْري ﷺ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **تعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الكُفْرِ والدَّيْنِ** » ، فقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْدِلُ الْكُفْرَ [١٩/أ] بِالدَّيْنِ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » [(١)] .

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون المعنى فيه إذا جحد المديون [(٢)] الدين وأنكره ؛ لأن الكفر جحود حق اللَّه ، والإنكار لصاحب الدين جحود حق العباد ، فعادل جحود حق العباد جحود حق اللَّه تعالى ، ويكون إتلاف أموال الناس وإن لم ينكرها جحودًا ؛ لأن المعنى في الجحود الإتلاف في أي وجه أتلفه [(٣)] ، فكأنه جحده . ألا يرى أن النبي ﷺ كان لا يصلي على من مات وعليه دين ولم يترك وفاء ، ويصلي عليه إذا ترك وفاء أو ضمن الدين ضامن ، فأما من لم يجحد الدين ولم يرد إتلافه فإنه لا يعادل الكفر إن شاء اللَّه ، يؤيد ذلك ما ح به عامر بن محمد ، قال : ح أبو الحسن علي بن صالح قال : ح عبد السلام بن عاصم الرَّازِي قال : أخ جرير بن عبد الحميد عن منصور بن المعتمر عن زياد بن عمرو بن هند عن عمران بن حذيفة قال : [٧٦] كَانَتْ مَيْمُونَةُ تَدَّانُ فَتُكْثِرُ ، فَقَالَ لها أَهْلُهَا في ذَلِكَ ولامُوهَا وَوَجَدُوا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : لا أَتْرُكُ الدَّيْنَ ، وقَدْ سَمِعْتُ خَلِيلِي وَنَبِيِّي ﷺ يَقُولُ : « **مَا مِنْ أَحَدٍ يَدَّانُ دَيْنًا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَهُ إلا أَدَّى اللَّهُ تَعَالى عَنْهُ في الدُّنيا** » [(٤)] .

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب عن أبي سعيد الخُدْرِي في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من الدين (٤٥٣/٤) رقم (٧٩٠٨) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٧١٤/١) رقم (١٩٥٠) ، وابن حبان في صحيحه (٣٠١/٣) رقم (١٠٢٥) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٩١/٢) رقم (١٣٣٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٢٩٠) رقم (٩٣١) .

(٢) الصواب لغة أن تكون : المدين .

(٣) في (س) : أتلف .

(٤) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب عن عمران بن حذيفة في كتاب البيوع باب التسهيل فيه (٥٨/٤) رقم (٦٢٨٥) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة في كتاب الصدقات باب من ادان دينًا وهو ينوي قضاءه (٨٠٥/٢) رقم (٢٤٠٨) ، وأحمد في مسنده عن أبي جعفر (٩٩/٦) رقم (٢٤٧٢٣) ، والحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن القاسم ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي (٢٦/٢) رقم (٢٢٠٢) ، والبيهقي في سننه عن عمران (٣٥٤/٥) رقم (١٠٧٤٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٥١٤/١٢) رقم (٧٠٨٣) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٤٤٧) رقم (١٥٤٩) ، والطبراني في الكبير (٢٤/٢٤) رقم (٦١) ، وفي الأوسط عن عبيد اللَّه (٤٥٩/١) رقم (٨٣٣) وحدد فيه الدين بثلاثمائة درهم ، وفي رواية أخرى في الكبير حدده بثمانمائة درهم (٤٣٢/٢٣) رقم (١٠٥٠) وإسناد هذا الحديث ضعيف ، فيه عمران بن حذيفة وهو مجهول . قال الحافظ المزي في =

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : وسمعت منصور بن عبد الله الهَرَوِي [١] يقول : سمعت محمد بن حامد الترمِذِيَّ [٢] يقول : [٧٧] « كنتُ عندَ أحمدَ بنِ خَضرَوَيْه [٣] وقد احتُضِرَ ، فتقدَّمَ بعضُ تلاميذِهِ إليهِ فسألَهُ عنْ مسألةٍ ، ففتحَ عينيهِ وهما تذْرِفَانِ [٤] بالدموعِ ، فقالَ : يا بني بابٌ كنتُ أدقُّه منذُ خمسٍ وتسعين سنةً ، الآنَ يفتحُ لي ، فلا أدرِي أُبشَّرُ بالسعادةِ أم بالشقاوةِ ، ثمَّ التفتَ عن يمينِهِ ويسارِهِ فإذَا غُرَمَاؤُه [٥] جلوسٌ فرفعَ رأسَه إلى السَّماءِ ، وقالَ : اللَّهمَّ إنَّكَ جعلتَ الرَّهائِنَ توثقةً [٦] لأربابِ الأموالِ في الدُّنيَا ، وأنا رهنٌ بينَ أظهُرِهِم ، فإنْ كنتَ تريدُ أخذَ الرَّهنِ [٧] منهم فأدِّ إليهِم حقوقَهُم ، فإذا داقٌّ يدقُّ البابَ ففتحُوا ، فإذَا رجُلٌ عَلَى بغلةٍ ، ومعهُ جرابٌ فنزلَ ودخلَ ، وقالَ : أينَ غُرماءُ أحمدَ ؟ [٨] فقالوا : نحن . فأدَّى ما كانَ عليهِ - وذلكَ سبعمِائةِ دينارٍ - وخرجَ ، فماتَ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ » [٩] .

= تهذيب الكمال : عمران بن حذيفة أحد المجاهيل ، (٣١٨/٢٢) ترجمة رقم (٤٤٨٥) .

(١) هو منصور بن عبد الله بن خالد بن أحمد أبو علي الخالدي الذهلي من أهل هراة حدث عن جماعة من الخراسانيين بالغرائب والمناكير ، وقدم بغداد وحدث بها .... وعن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي : منصور بن عبد الله كذاب لا يعتمد على روايته ، تاريخ بغداد (٨٤/١٣) رقم (٧٠٦٣) ، قال ابن حجر : مات سنة اثنتين وأربع مائة ، لسان الميزان (٩٦/٦) رقم (٣٣٦) .

(٢) هو محمد بن محمد بن حامد أبو نصر الترمِذِي والزاهد ، قدم بغداد حاجًا وحدث بها ، وكان ثقة ، توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، تاريخ بغداد (٢١٨/٣) رقم (١٢٧٢) ، والترمِذي : هذه النسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له : جيحون ، خرج منها جماعة كثيرة من العلماء والمشايخ والفضلاء ، الأنساب (٣٣٣/١) .

(٣) هو أحمد بن الخضر المعروف بابن خضرويه البَلْخِي شيخ خراسان وهو مروزي الدار ، حلية الأولياء (٤٢/١٠) رقم (٤٦٧) ، وقال الذهبي : الزاهد الكبير الشهير أبو حامد البَلْخِي من أصحاب حاتم الأصم وقد كان معمرًا ، قيل : إنه توفي سنة أربعين ومائتين ، سير أعلام النبلاء (٤٨٧/١١) .

(٤) في هامش (س) : ذرف الدمع سال ا.هـ .

(٥) غرماؤه : جمع غريم وهو الذي له الدين ، والذي عليه الدين جميعًا ، لسان العرب مادة (غرم) .

(٦) في (خ) : وثيقة .

(٧) من هامش الأصل .

(٨) السابق .

(٩) هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن محمد بن الحسين (٤٢/١٠) رقم (٤٦٧) ، وإسناده ضعيف ، فيه منصور بن عبد الله الهَرَوِي ، قال الخطيب البَغْدَادِي : حدث عن جماعة من الخراسانيين بالغرائب والمناكير . ونقلًا عن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي قال : منصور بن عبد الله الهَرَوِي كذاب لا يعتمد على روايته ، تاريخ بغداد (٨٤/١٣) رقم (٧٠٦٣) .

فمن ادان على اللَّه للَّه [١] تعالى أدى اللَّه تعالى عنه في [١٩/ب] الدنيا والآخرة [٢].
ومن ترك وفاء بما عليه وهو غير جاحد ولا مَطُول خرج من هذا الوعيد - إن شاء اللَّه تعالى - .

يقول [٣] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن اللَّه إليه - : وقد أنشدني بعض العلماء قال :

إذا رزق الإنسان عقلًا فإنه ... يصيب من الخيرات كل نصيب
ويحسده العادي على طيب عيشه ... ويغبطه في الدين كل حبيب
ويضحى غنيًّا وهو في الفقر مخصب ... وإن كان في قفر المكان جديب
وفي رأيه إنجاح كل مؤمل ... وصحة مسقام وروح كئيب
يعد رفيع القوم من كان عاقلًا ... وإن لم يكن في قومه بنسيب
إذا حل أرضًا عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدة بغريب

(٢٣) باب في تزيين الصوت بالقرآن

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٧٨] ح عصمة بن محمود بن محمد [٤] البَيْكَنْدي [٥] قال : ح إبراهيم بن إسماعيل قال : ح محمد بن بشار ، قال : ح قيس بن الربيع عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُم » [٦] .

---

(١) سقط من (س) . (٢) السابق .
(٣) من هنا لآخر الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .
(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : أبو محمد .
(٥) في (س) : السكندي ا.هـ . وهي سقط من (خ) .
(٦) الحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد بلفظه عن البراء (٦٨/١) وعده من الأخبار المستفيضة عند أهل العلم (٦٩/١) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر باب استحباب الترتيل في القراءة (٧٤/٢) رقم (١٤٦٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب صفة الصلاة باب تزيين القرآن بالصوت (٣٤٨/١) رقم (١٠٨٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة باب في حسن الصوت بالقرآن (٤٢٦/١) رقم (١٣٤٢) ، والدارمي في سننه في كتاب فضائل القرآن باب التغني بالقرآن (٥٦٥/٢) رقم (٣٥٠٠) ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه وقال : قال أبو حاتم : هذه اللفظة من ألفاظ الأضداد ، يريد بقوله ﷺ : =

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : معناه : زينوا أصواتكم بالقرآن ، فإن القرآن يزين صوت المؤمن لقوله [(١)] : [٧٩] مَنْ أحْسَنُ النَّاسِ صَوْتًا بِالقُرْآنِ يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **مَنْ إذَا قَرَأَ رَأَيْتَ** [(٢)] **أنَّه يخشَى اللَّهَ تبَارَكَ وتعَالى** » [(٣)] حدثناه [(٤)] محمد بن حامد قال : ح محمد بن رجاز [(٥)] قال : [أخ حبان قال : أخ عبد اللَّه قال] [(٦)] : ح يونس بن يزيد عن الزُّهْرِي [(٧)] قال : بلغنا أن النبي ﷺ قال : [٨٠] « **إنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالقُرْآنِ الذي إِذَا سمِعْتَه يقْرأُ رَأَيْتَ أَنَّه يخشَى اللَّهَ تعَالى** » [(٨)] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : فقراءة القرآن من الخاشي زينة لصوته ، فكأنه يقول : زينوا قراءتكم بالخشية للَّه تعالى ، وحسنوا أصواتكم بقراءة القرآن على خشية من [٢٠/أ] قلوبكم . ويروى عن النبي ﷺ ذلك نصًّا كما ذكرناه من المعنى وهو ما حدثناه عبد العزيز بن

= « زينوا القرآن بأصواتكم » : زينوا أصواتكم بالقرآن (٢٦/٣) رقم (٧٤٩) ، وقال ابن حجر في الفتح : هذا الحديث من الأحاديث التي علقها البخاري ولم يصلها في موضع آخر من كتابه وقد أخرجه ... والدارقطني في الأفراد بسند حسن ، وعن عبد الرحمن بن عوف أخرجه البزار بسند ضعيف (٥١٩/١٣) .

(١) زاد في (س) بعدها : حين سئل .

(٢) في هامش الأصل : أي ظننت .

(٣) الحديث أخرجه بلفظه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر (٣١١/٢) رقم (٢٠٧٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه حميد بن حماد بن حوار وثَّقه ابن حبان ، وقال : ربما أخطأ وبقية رجال البزار رجال الصحيح (١٧٠/٧) .

(٤) في (س) : ح . انتهى . وقد زاد قبلها عبارة : وبرواية أخرى .

(٥) في (س) وهامش (خ) : رَجَاءةٍ . وفي هامش (س) : رَجَاءٍ .

(٦) في (س) : ح حبان بن عبد اللَّه بن خارجة قالا : ح عبد اللَّه بن عمرو قال .

(٧) الزُّهْرِي : بضم الزاي وسكون الهاء وكسر الراء ، وهذه النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرة ، وهي من قريش ، الأنساب (٣٨٤/٢) .

(٨) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه عن جابر بلفظ مقارب في كتاب إقامة الصلاة باب في حسن الصوت بالقرآن (٤٢٥/١) رقم (١٣٣٩) ، والبوصيري في مصباح الزجاجة عن جابر ، وقال عن إسناده : ضعيف (١٥٧/١) رقم (٤٧٥) ، وأخرجه الروياني في مسنده عن ابن عمر (٤١٠/٢) رقم (١٤١٥) بلفظ : « أريت » وبنفس اللفظ أخرجه ابن المبارك في الزهد عن الزُّهْرِي (٣٧) رقم (١١٤) ، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء مرسلًا عن طلق (٦٤/٣) وقال ابن أبي حاتم عنه في علل الحديث : حديث غريب منكر (١١٩/٢) رقم (١٨٥٠) ، وأخرجه الطبراني في الكبير بمعناه عن ابن عباس (٧/١١) رقم (١٠٨٥٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف (١٧٠/٧) ، وإسناد هذا الحديث ضعيف ؛ لأنه مرسل عن الزُّهْرِي .

محمد قال : ح عبد الله بن حماد قال : ح يحيى بن بكير ، قال : حدثني يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : [٨١] « **صَلُّوا في بُيُوتِكُمْ ولا تجعَلُوهَا قُبُورًا ، وزَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالقُرْآنِ فإنَّ الشَّيْطَانَ يَنفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ** » [١] .

٢٤
باب في التودد إلى الناس

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٨٢] ح عبد الله بن محمد بن يعقوب الفقيه الحَارِثي [٢] قال : ح أبو بكر بن همام بن عيسى قال : ح إسحاق بن محمد بن إسحاق العَمي [٣] ، قال : ح أبي عن يونس بن عبيد عن الحسين [٤] عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **رَأْسُ العَقْلِ بعْدَ الإيمانِ باللهِ تعَالى التَّوَدُّدُ [٥] إلى النَّاسِ** » [٦] .

قال المصنف رحمه الله : معنى التودد : الإتيان بالأفعال التي يودك الناس ويحبونك من

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا ، ولفظه : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » بدون « زينوا أصواتكم بالقرآن » وذلك في كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٥٣٩/١) رقم (٧٨٠) ، وقد أخرج الجزء الأول من الحديث حتى « قبورًا » مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٥٣٩/١) رقم (٧٧٧) والترمذي في جامعه عن ابن عمر في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في فضل صلاة التطوع في البيت ، وقال : حسن صحيح (٣١٣/٢) رقم (٤٥١) ، أما : « زينوا أصواتكم بالقرآن » فقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بلفظه عن البراء بن عازب (٤٨٥/٢) رقم (٤١٦٧) ، والحاكم في المستدرك (٧٦٢/١) رقم (٢٠٩٩) ، (٤٦٧/١) رقم (٢١٠٨) ، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (٨١/١١) رقم (١١١١٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني بإسنادين وفي أحدهما عبد الله بن خراش وثَّقه ابن حبان ، وقال : ربما أخطأ ، ووثقه البخاري وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح (١٧٠/٧) .

(٢) الحَارِثي : هذه النسبة إلى قبائل منها إلى بني حارثة من الخزرج ، الأنساب (٧/٢) .

(٣) بفتح العين المهملة ، وتشديد الميم ، هذه النسبة إلى العم ، وهو بطن من تميم ، الأنساب (٣٧١/٣) .

(٤) في (س) و (خ) : الحسن .

(٥) التودُّد : تودد إليه ، تحبب ، وتودده : اجتلب وده ، لسان العرب مادة (ودد) .

(٦) جزء حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن أنس بن مالك (٢٥٥/٦) رقم (٨٠٦١) ، وعن سعيد بن المسيب ، وقال : هذا هو المحفوظ مرسل (٥٠٠/٦) رقم (٩٠٥٤) ، وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وقال : في هذا الإسناد ضعف (٥١٠/٦) رقم (٩٠٥٥) ، وقد أخرجه أيضًا عن سعيد بن =

أجلها كما روي عن النبي ﷺ أنه قال : [٨٣] « **ازْهَدْ** (١) **فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يحِبُّكَ النَّاسُ** » (٢) .

قال المصنف رحمه الله : فمن زهد فيما في أيديهم ، وبذل لهم ما عنده وتحمل أثقالهم ، ولم يكلفهم حملها من نفسه ، وكف أذاه عنهم ، وتحمل أذاهم ، وأنصفهم ولم ينتصف منهم وأعانهم ، ولم يستعن بهم ، ونصرهم ولم ينتصر منهم ، فهذه أوصاف العقلاء ، أي هذه وأمثالها . فمن أتى بهذه الأوصاف ، وتخلق بهذه الأخلاق ، فقد تودد إليهم ، فكأنه أشار إلى التخلق بهذه الأخلاق ، واكتساب هذه الأفعال . فمن تخلق بها وعاشر الناس عليها وعاملهم بها وده الناس وأحبوه ، وهذه أوصاف العقلاء [من الناس] (٣) ، وليس معناه أنه يريد بها (٤) محبتهم له وودهم إياه ، بل يفعل ما يفعله لله تعالى ، ولوجوب حق العباد عليه ، لا لمطالبة الود منهم ، فإذا فعل العبد ذلك لله تعالى أودع الله تعالى حبه في قلوب المؤمنين ؛ لأنه تعالى يحبه ويوده ، فيجعل وده في قلوب عباده المؤمنين ، قال الله سبحانه : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] ، قيل (٥) : في قلوب أوليائه . (ن) [٢٠/ب] .

= أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله بلفظ مقارب (ص ٤٥) رقم (٢٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢١/٥) رقم (٢٥٤٢٨) ، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب بلفظه عن أبي هريرة (١٤٧/١) رقم (٢٠٠) ، والطبراني في الأوسط (١٥٦/٦) رقم (٦٠٧٠) وفيه أيضًا عن علي بلفظ مقارب (١٢٠/٥) رقم (٤٨٤٧) .

(١) ازهد : الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا ، لسان العرب مادة (زهد) .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ مقارب عن سهل بن سعد في كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا (١٣٧٣/٢) رقم (٤١٠٢) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي (٣٤٨/٤) رقم (٧٨٧٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٤/٧) رقم (١٠٥٢٢) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٧٣/١) رقم (٦٤٣) ، والطبراني في الكبير (١٩٣/٦) رقم (٥٩٧٢) ، قال النووي في الأذكار : حديث حسن (ص ٣٦٤) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) سقط من (س) .

(٥) زاد فى (س) بعدها : (أي) ا.هـ . وفي هامش النسخة نفسها : يعني في قلوب أوليائه . ا.هـ . وهذا القول معنى حديث أخرجه الحكيم الترمذي وابن مردويه - كما ذكر السيوطي في الدر المنثور - عن علي قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] ما هو ؟ قال : المحبة في قلوب المؤمنين ... الحديث ، الدر المنثور (٥٤٤/٥) ، وورد هذا القول عن الضحاك فيما أخرجه هناد بن السَّرِيّ في =

٢٥

باب فيمن يريد العاجلة

حديث آخر : قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : [٨٤] ح أبو عمرو الحسين بن الحسن [١] العطار ، قال : ح [عبد الله بن أبي ميسرة] [٢] قال : ح يحيى بن محمد الحَارِثي [٣] ، قال : ح [عبد العزيز بن محمد عن أسامة بن زيد] [٤] عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رَأَى قَوْمًا يقْرَؤُونَ القُرْآنَ في المسْجِدِ ، فَقَالَ : « **اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدحِ** [٥] ، **يَتَعَجَّلُونَه ولا يَتَأَجَّلُونَه** » [٦] .

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : معناه [إن شاء الله] [٧] أي يريدون به العاجلة ، عرض الدنيا وحطامها ، والرفعة فيها . « **ولا يتأجلونه** » أي لا يريدون به الدار الآخرة وما عند الله تعالى ، معناه : أنهم لا يقرؤون القرآن للآجلة بل يقرؤونه للعاجلة ، فمن أراد الدنيا

= الزهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] ، قال : محبة في صدور المؤمنين (٢٧٤/١) رقم (٤٧٩) .

(١) في (خ) : علي بن الحسين .

(٢) في (س) : أبي عبد الله أبي ميسرة ا.هـ . والصواب عبد الله بن أحمد بن أبي ميسرة المكي ، الثقات لابن حبان (٣٦٩/٨) رقم (١٣٩٢٣) ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/٥) رقم (٢٨) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في (س) : عبد العزيز محمد بن أسامة بن زيد .

(٥) في هامش (س) : القدح بالكسر والسكون سهم القمار . ا.هـ .

(٦) الحديث أخرجه بلفظه ابن أبي شيبة في مصنفه عن محمد بن المنكدر مرسلًا (٣٨٢/٣) رقم (٦٠٣٤) ، وأبو يعلى في مسنده (١٤٠/٤) رقم (٢١٩٧) عن محمد بن المنكدر عن جابر ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣٩/٢) رقم (٢٦٤٣) ، وعن سهل بن سعد بلفظ مقارب رقم (٢٦٤٤) ، وعن محمد بن المنكدر مرسلًا بلفظ مقارب (٥٣٨/٢) رقم (٢٦٤١) ، والحديث إسناده حسن ففيه أسامة بن زيد هو الليثي ، حسن الحديث ، تهذيب الكمال (٣٤٧/٢) رقم (٣١٧) ، تهذيب التهذيب (١٨٣/١) رقم (٣٩٢) ، الكامل في ضعفاء الرجال (٣٩٤/١) رقم (٢١٢) ، وفيه عبد العزيز بن محمد ، هو الدَّرَاوَرْدِي حسن الحديث ، تقريب التهذيب (٣٥٨/١) رقم (٤١١٩) ، وفيه يحيى بن محمد الجاري ، قال ابن عدي في الكامل : ليس بحديثه بأس (٢٢٦/٧) رقم (٢١٢٣٠) ، وفيه عبد الله بن أبي ميسرة هو عبد الله بن أحمد بن أبي ميسرة المكي ، قال فيه عبد الرحمن بن أبي حاتم في الجرح والتعديل : محله الصدق (٦/٥) رقم (٢٨) .

(٧) في (س) : والله أعلم . ا.هـ .

وترسل في قراءته ورتل فهو متعجل ، ومن أراد به الآخرة ومر فيه متعجلًا في قراءته بعد أداء الحروف حقها فهو متأجل ، الدليل على ذلك ما روي من ختم عثمان بن عفان رضي الله عنه في ليلة واحدة [1] .



٢٦ باب في فضل خديجة رضي الله عنها

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٨٥] ح محمد بن عبد الله العماني [2] قال : ح محمد بن هشام هو ابن أبي الدميك قال : ح [حماد بن خباب] [3] ، قال : ح عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **بَشِّرُوا خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ** [4] **لا صَخَبَ** [5] **فِيهِ ولا نَصَبَ** [6] » [7] .

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **لا صخب فيه أي هو مخصوص**

---

(١) كلمة [واحدة] سقط من (س) . وختم عثمان بن عفان رضي الله عنه القرآن في ليلة نقله جمال الدين المزي في تهذيب الكمال قال : وقال أبو هلال - يعني الرَّاسِبِي - حدثنا محمد بن سيرين « أن عثمان كان يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن » ، وقال سلام بن مسكين : سمعت محمد بن سيرين يقول : « قالت امرأة عثمان حين طافوا به يريدون قتله : إن يقتلوه أو يتركوه فإنه كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن » (٤٤٥/١٩) رقم (٣٨٤٧) ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٦) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٤/٣) ، وابن سعد في طبقاته (٧٥/٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٥/٣) ، والزهد للإمام أحمد بن حنبل (ص ١٢٧) وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط ، وزهير الشاويش في محصلة شرح السنة (٤٩٩/٤) .

(٢) في (س) : ابن العماني .

(٣) في (خ) : أحمد بن جناب .

(٤) قصب : لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف ، والقصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف ، النهاية مادة (قصب) ، (٦٧/٤) .

(٥) صخب : الصخب الضجة واضطراب الأصوات للخصام ، النهاية مادة (صخب) ، (١٤/٣) .

(٦) نصب : تعب ، النهاية مادة (نصب) ، (٦٠/٥) .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن عبد الله بن أبي أوفى في كتاب العمرة باب متى يحل المعتمر (٦٣٦/٢) رقم (١٦٩٩) ، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين (١٨٨٧/٤) رقم (٢٤٣٢) ، وأحمد في مسنده عن جعفر بن أبي طالب (٢٠٥/١) رقم (١٧٥٨) ، والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن جعفر ، وقال الذهبي : على شرط مسلم (٢٠٣/٣) رقم (٤٨٤٨) .

لها (١) ، لا يشاركها (٢) أحد ؛ لأن الغالب في أحوال الناس التنازع في الشيء المشترك بينهم ، والمنازعة تفضي إلى الصخب ، وما انفرد لأحد شيء لم ينازع فيه ، فلم يكن هناك صخب . فعبر عن انفرادها بهذا البيت الذي هو من درة جوفاء بزوال الصخب فيه ، وإن لم يكن هناك صخب . وقوله : « **لا نصب** » أي ليس ذلك جزاء لنصبها وما تكلفتها من الأعمال التي أثيبت عليها ، لكن هذا زيادة وفضل من الله تعالى لها بعد ما أعطاها من الثواب على أفعالها ، وأضعف لها منه . (ن) [٢١/أ] .

٢٧
باب في ترك الشكر على النعمة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٨٦] ح أبو الحسن محمد بن عمر البُجَيْرِي ، قال : ح أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البَصْرِي ، قال : ح سليمان بن حرب ، قال : ح شعبة قال : حدثني واقد - جده عبد الله بن عمر - عن أبيه عن جده - رضوان الله عليهم أجمعين - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** » (٣) .

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **كفارًا** » لنعمة الإسلام ، تاركين للشكر فيه ، فإن من الشكر على نعمة الإسلام مواصلة أهله وموافقتهم واجتماع الكلمة فيه ، والتحاب لأجله ، وترك التقاطع وبغي بعض على بعض ؛ لأن من أحب شيئًا أحب أهله . ألا ترى إلى قوله ﷺ : [٨٧] « **واللهِ لا تُؤمِنُونَ بي حتَّى تحَابُّوا** » (٤) .

(١) في هامش الأصل : من درة جوفاء .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : فيه .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن جرير في كتاب العلم باب الإنصات للعلماء (٥٦/١) رقم (١٢١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان معنى قول النبي ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا » ، (٨١/١) رقم (٦٥) ، وأبو داود في سننه عن ابن عمر في كتاب السنة باب في رد الإرجاء (٢٢١/٤) رقم (٤٦٨٦) ، والترمذي في جامعه عن ابن عباس في كتاب الفتن باب ما جاء لا ترجعوا بعدي كفارًا ، وقال : حسن صحيح (٤٨٦/٤) رقم (٢١٩٣) ، والنسائي في سننه الكبرى عن جرير في كتاب المحاربة باب تحريم القتل (٣١٧/٢) رقم (٣٥٩٦) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا ...... الحديث » في كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٧٤/١) رقم (٥٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في إفشاء السلام (٣٥٠/٤) رقم (٥١٩٣) ، =

يقول [١] العبد الضعيف أبو الحسن – أحسن الله إليه – : وقد أنشدني بعض الكبار في فضل من اتبع منهاج الدين :

يا من يروم إلى رضوان خالقه … نهجًا مبينًا بلا لبس ولا حرج
هذا سبيل رسول الله أوضحه … قولًا وفعلًا بلا زيغ ولا عوج
يهدي الأنام إلى ما يرتضيه بهم … رب الورى ويرقيهم إلى الدرج
فما لمن يقتفي آثاره زلل … وما لمن زاغ مجراه من الفرج

٢٨
باب في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [٨٨] ح نصر بن الفتح قال : ح أبو عيسى قال : ح علي بن حجر [قال : أخ الوليد] [٢] بن محمد الْمُوَقَّرِي [٣] عن الزُّهْرِي عن علي ابن الحسين [٤] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ [٥] أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ إِلا النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ . يَا عَلِيُّ : لا تُخْبِرْهُمَا** » [٦] .

= والترمذي في جامعه عن الزبير بن العوام في كتاب صفة القيامة باب منه (٦٦٤/٤) رقم (٢٥١٠) ، وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب إفشاء السلام (١٢١٧/٢) رقم (٣٦٩٢) .

(١) من هنا لنهاية الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

(٢) في (س) : قالا أبو لبيد .

(٣) الْمُوَقَّرِيُّ : بضم الميم وفتح الواو وتشديد القاف وفتحها وكسر الراء المهملة ، الأنساب (٣٧٢/٤) . وذكر في الحاشية أن النسبة لموضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق .

(٤) زاد في (خ) بعدها : عن حسين بن علي .

(٥) كهول : الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين ، وقيل : من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين ... وقيل : أراد بالكهل هاهنا الحليم العاقل أي إن الله يدخل أهل الجنة الجنة حلماء عقلاء ، النهاية مادة (كهل) ، (٢١٣/٤) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن علي بن أبي طالب في كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه والوليد بن محمد الْمُوَقَّرِي يضعف في الحديث ولم يسمع علي بن الحسين من علي بن أبي طالب ، وقد روي هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجه (٦١١/٥) رقم (٣٦٦٥) ، وأخرجه عن أنس ، وقال : حسن غريب من هذا الوجه (٦١٠/٥) =

قال الشيخ رحمه الله : معنى قوله : « **لا تخبرهما** » يجوز أن يكون ذلك على معنى : لا تخبرهما قبلي ، كأنه ﷺ [٢١/ب] أراد أن يكون المخبر لهما والمبشر لهما بهذه البشارة هو [١] ليكون ذلك أجل قدرًا وأعظم موقعًا ، ويكون فضل السبق بالبشارة له ، وتكون هذه الفضيلة من الفضائل التي لا تكون إلا له ﷺ ، وليس ذلك على مخافة الفتنة عليهما ، فقد أخبرهما النبي ﷺ بذلك وبما هو أعظم منه بقوله : [٨٩] « **إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَرَوْنَ أَهْلَ عِلِّيِّينَ ، كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ [٢] في أُفُقِ [٣] السَّمَاءِ ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما مِنْهُم وأنعمَا [٤]** » [٥] .

ودخل رسول اللَّه ﷺ [٦] وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وهو آخذ بأيديهما وقال : [٩٠] « **هَكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ** » [٧] فقد بين في هذا الحديث وغيره من الأخبار أنه أخبرهما . فلو كان قوله : « **يا علي لا تخبرهما** » حفظًا لمواضع

= رقم (٣٦٦٤) ، وابن ماجه في سننه عن علي وزاد في آخره : « ما داما حيين » في أول الكتاب باب في فضائل أصحاب رسول اللَّه ﷺ (٣٦/١) رقم (٩٥) ، وأحمد في مسنده (٨٠/١) رقم (٦٠٢) ، وفي فضائل الصحابة (٢٣٧/١) رقم (٢٩٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٠٥/١) رقم (٥٣٣) .

(١) سقط من (س) و (خ) .

(٢) الكوكب الدري : أي الشديد الإنارة ، كأنه نسب إلى الدر تشبيهًا بصفائه ، وقال الفراء : الكوكب الدري عند العرب هو العظيم المقدار ، وقيل : هو أحد الكواكب الخمسة السيارة ، النهاية مادة (درر) ، (١١٣/٢) .

(٣) أفق السماء : أي نواحيها ، النهاية مادة (أفق) ، (٥٥/١) .

(٤) وأنعما : أي زادا وفضلا ، ... وقيل : معناه : صارا إلى النعيم ودخلا فيه ، النهاية مادة (نعم) ، (٨٣/٥) .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بنحوه عن أبي سعيد الخُدْرِي في أول كتاب الحروف والقراءات (٣٤/٤) رقم (٣٩٨٧) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق ، وقال : هذا حديث حسن (٦٠٧/٥) رقم (٣٦٥٨) ، وقد أخرجه بلفظه أحمد في فضائل الصحابة (١٦٩/١) رقم (١٦٥) ، وابن الجعد في مسنده (ص ٢٩٨) رقم (٢٠٢٨) ، وأخرجه بلفظ مقارب الحميدي في مسنده (٣٣٣/٢) رقم (٧٥٥) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٩/٢) رقم (١١٣٠) ، والطبراني في الأوسط (٤٦٣/٢) رقم (١٧٩٩) ، وفي الصغير (٢٢٠/١) رقم (٣٥٣) ، وفي الكبير ولكن عن جابر ابن سمرة (٢٥٤/٢) رقم (٢٠٦٥) .

(٦) زاد في (س) بعدها : المسجد .

(٧) الحديث أخرجه الترمِذِي في جامعه بلفظه عن ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما (٦١٢/٥) رقم (٣٦٦٩) ، وأحمد في فضائل الصحابة (١٠٥/١) رقم (٧٧) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي (٧١/٣) رقم (٤٤٢٨) ، (٣١٢/٤) رقم (٧٧٤٦) .

الفتنة عليهما لم يخبرهما ، وكيف يخاف عليهما الفتنة وهو يعلم أنهما بهذه الصفة ، والمفتون لا يستحق هذه الفضيلة ولا ما هو دونها . ومن بلغت رتبته هذه الرتبة عصم من الفتنة [١] والإعجاب بالنفس ؛ لأن الإعجاب بالنفس من المهلكات ، ومن كان بهذه الصفة لا يجوز أن يهلك . وقد أخبر النبي ﷺ بمثل ما أخبرهما به من هو دونهما في الفضيلة مثل عكاشة [٢] حين قال ﷺ : [٩١] « **يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتي الجَنَّةَ سَبعُونَ أَلفًا بغيرِ حِسَابٍ** » . **فَقَالَ عكَاشَةُ** ﷺ : ادْعُ اللَّهَ تعَالى أَنْ يجعَلَني مِنهُم . فقالَ : « **أَنتَ مِنهُم** » [٣] ، وقال لبلال ﷺ : [٩٢] « **سمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ** [٤] **بينَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ** » [٥] . وكثيرًا من أصحابه بشرهم بالجنة ولم يخف عليهم الفتنة ، لعلمه أنهم يعصمون عن الفتنة ، ليتم مراد اللَّه تعالى فيهم ، فكيف بهما وهما بحيث لا يدانيهما في الفضل أحد من الناس من الأولين والآخرين بعد النبيين والمرسلين .

٢٩
باب في عصب النبي ﷺ الحجر على بطنه

حديث آخر : قال المصنف ﷺ : [٩٣] و [٦] ح أحمد بن عبد اللَّه الهَرَوِي [٧] ،

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) في هامش (س) : عكاشة بالتشديد سماعًا من الثقات والمحدثون على التخفيف من المغرب . ا.هـ . وفي هامش (خ) مثله دون قوله : من المغرب .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/١٩٧) رقم (٢١٦) وبلفظه (١/١٩٩) رقم (٢٢٠) ، وأحمد في مسنده (٢/٣٥١) رقم (٨٥٩٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٤/٣٣٩) رقم (٦٤٣٠) .

(٤) خشخشتك : الخشخشة حركة لها صوت كصوت السلاح ، النهاية مادة (خشخش) ، (٢/٣٣) .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه عن جابر بن عبد اللَّه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أم سليم أم أنس بن مالك وبلال ﷺ (٤/١٩٠٨) رقم (٢٤٥٧) ، والترمِذِي في جامعه بلفظ مقارب عن أبي بريدة في كتاب المناقب باب من مناقب عمر بن الخطاب (٥/٦٢٠) رقم (٣٦٨٩) ، وأحمد في مسنده (٥/٣٥٤) رقم (٢٣٤٠٦) ، وفي فضائل الصحابة (٢/٩٠٧) رقم (١٧٣١) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢/٢١٣) رقم (١٢٠٩) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (١/٤٥٧) رقم (١١٧٩) .

(٦) سقط من (س) و (خ) .

(٧) الْهَرَوِي : بفتح الهاء والراء المهملة ، هذه النسبة إلى بلدة هراة ، وهي إحدى بلاد خراسان ، الأنساب (٤/٥٠٥) .

قال [(١)] : ح أبو بكر جعفر بن محمد الفِرْيَابِي [(٢)] قال : ح أبو بكر [٢٢/أ] بن أبي شيبة قال : ح عبد الرحمن بن محمد المُحَارِبي [(٣)] عن عبد الرحمن بن أيمن عن أبيه قال : قلت لجابر بن عبد الله - رضوان الله عليهم أجمعين - حدثني بحديث عن رسول الله ﷺ أرويه عنك . فقال جابر : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الخَنْدَقِ نحفرُ فِيهِ ، فَلَبِثْنَا [(٤)] ثَلاثَةَ أيَّام لا نَطْعَمُ شَيْئًا ، ولا نقدِرُ عَلَيْهِ ، فعَرَضَتْ في الخندَقِ كُدْيَةٌ [(٥)] فَجِئْتُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : هَذِهِ كُدْيَةٌ قَدْ عَرَضَتْ في الخنْدَقِ ، وقَدْ رَشَشْنا عَلَيْهَا الماءَ فَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ [(٦)] بحجَرٍ ، فَأَخَذَ المِعْوَلَ [(٧)] ثمَّ سمَّى لها ، ثمَّ ضَرَبَ ، فَعَادَتْ كَثِيبًا [(٨)] أَهْيَلَ [(٩)] » [(١٠)] .

---

(١) في الأصل : قالا . ا.هـ . وهي سقط من (خ) .

(٢) الفِرْيَابِي : بكسر الفاء وسكون الراء ثم الياء المفتوحة آخر الحروف وفي آخرها الباء الموحدة ، هذه النسبة إلى فارياب بليدة بنواحي بلخ ، وينسب إليها بالفريابي والفاريابي والفيريابي أيضًا بإثبات الياء ، خرج منها جماعة من المحدثين والأئمة ، الأنساب (٤٥١/٣) .

(٣) الـمُحَارِبي : بضم الميم ، وفتح الحاء المهملة ، بعدها الألف ، وفي آخرها الراء المكسورة ، والباء الموحدة ، هذه النسبة إلى الجد وإلى قبيلة محارب ، الأنساب (٢٣٧/٤) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) في هامش الأصل : أي صلابة في الأرض . ا.هـ . والكدية : قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس ، النهاية مادة (كدي) ، (١٥٦/٤) .

(٦) كان من عادتهم إذا جاع أحدهم أن يشد جوفه بعصابة وربما جعل تحتها حجرًا ، النهاية مادة (عصب) ، (٢٤٤/٤) .

(٧) المعول : بالكسر الفأس ، النهاية مادة (عول) ، (٣٤٤/٤) .

(٨) كثيبًا : الكثيب الرمل المستطيل المحدودب ، النهاية مادة (كثب) ، (١٥١/٤) .

(٩) أهيل : فعادت كثيبًا أهيل أي رملًا سائلًا ، النهاية مادة (هيل) ، (٢٨٨/٥) .

(١٠) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر في كتاب المغازي باب غزوة الخندق (١٥٠٥/٤) رقم (٣٨٧٥) ، والدارمي في سننه في باب ما أكرم به النبي ﷺ في بركة طعامه (٣٣/١) رقم (٤٢) ، وأحمد في مسنده بنحوه (٣٠٠/٣) رقم (١٤٢٤٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه مطولًا (٣١٤/٦) رقم (٣١٧٠٩) .

وقد حدث تصحيف في إسناد الكلاباذي حيث ساق الحديث بإسناده إلى ابن أبي شيبة وإسناد ابن أبي شيبة في مصنفه فيه عبد الواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر (٣١٤/٦) رقم (٣١٧٠٩) ، وإسناد الكلاباذي عن عبد الرحمن بن أيمن عن أبيه عن جابر ولم يثبت تحمل عبد الرحمن بن أيمن عن أبيه ، وكذلك لم يثبت أن المُحَارِبي ممن تحملوا عن عبد الرحمن بن أيمن ، تهذيب الكمال (٤٤٦/١٨) رقم (٣٥٨٣) .

قال المصنف رحمه الله : معنى عصب النبي ﷺ الحجر على بطنه عند الجوع يجوز أن يكون لعادة كانت للعرب أو أهل المدينة أنهم كانوا يفعلون ذلك إذا خلت أجوافهم فغارت بطونهم ، فشدوا عليها حجرًا يعتمدون عليه ، وكان أصابهم الجوع ، ففعلوا ذلك ففعله النبي ﷺ موافقة لهم ، وليعلم أصحابه أنه ليس عنده طعام استأثر به دونهم ، وأراهم خلاء جوفه كخلاء أجوافهم ، وإن كان هو محمولًا في الجوع عن الضعف الذي يلحقهم [عنده فإنه قال حين واصل فواصل أصحابه فنهاهم عن ذلك ، فقالوا : إنك تواصل ، قال : [٩٤] « **إِنِّي لستُ كأحَدِكُم**] (١) ، **إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي** (٢) » (٣) .

فأخبر أنه محمول فيما يرد عليه من الله تعالى ، وما يغنيه عن الطعام والشراب ، وإنما عصب الحجر على بطنه على معنى المساواة لهم ، والموافقة لهم . الدليل على ذلك في الحديث الذي حدثناه نصر بن الفتح ، قال : ح أبو عيسى ، قال : ح عبد الله بن أبي زياد ، قال : ح سيار عن سهل بن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن أنس عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : [٩٥] « شَكَوْنَا إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الجوعَ ، فَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا حَجَر حَجَر ، فرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ » (٤) .

قال المصنف رحمه الله : ألا ترى أنهم لما شكوا إليه الجوع أظهر لهم ما أظهروه له ، وقد قال لأبي بكر (٥) وعمر رضي الله عنهما لما خرجا إلى المسجد ليلًا ، وخرج النبي ﷺ فرآهما ،

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) في الأصل : ويسقين ا.هـ . وفي هامش (س) و (خ) : تصل إليه لطيفة ربانية ومائدة روحانية تغنيه عن الطعام والشراب .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بنحوه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في كتاب الصوم باب في الرخصة في ذلك (٣٠٩/٢) رقم (٢٣٧٤) ، والترمذي في جامعه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب الصوم باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم ، وقال : حديث أنس حسن صحيح (١٤٨/٣) رقم (٧٧٨) ، والنسائي في سننه الكبرى عن عائشة في كتاب الصيام باب النهي عن الوصال رحمة (٢٤٢/٢) رقم (٣٢٦٦) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٢٥٣/٢) رقم (٧٤٣١) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٠/٣) رقم (٢٠٧٢) ، وأبو يعلى في مسنده عن عائشة (٣٤٢/٧) رقم (٤٣٧٨) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بلفظ مقارب (٤٦٣/٢) رقم (١٠٣٥) .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي طلحة في كتاب الزهد باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٥٨٥/٤) رقم (٢٣٧١) .

(٥) من هامش الأصل .

فقال لهما : [٩٦] « **ما أَخرَجَكُمَا** (١) **هَذِهِ السَّاعَة ؟** » فَقَالا : الجوعُ . فَقَالَ : « **واللَّهِ ما أخرَجَنِي إلا الذي أخرَجَكُمَا** » (٢) . أخبرهما بما شكوا إليه من نفسه تطييبًا [٢٢/ب] لنفوسهما ونفوس أصحابه ، وإن لم يجد طعامًا كما لم يجدوا ، فيكون ذلك أسهل عليهم ، وأطيب لنفوسهم وأرضى لهم بأحوالهم .

ويجوز أن يكون معنى عصب الحجر منه على بطنه إشارة منه لهم إلى أن القوام الذي بالطعام ليس هو من الطعام ، ولكن القوام هو باللّه تعالى ؛ لأن الطعام إنما يكون فيه القوة ، والقوام بما يصل منه إلى الجوف ، فعمد ﷺ إلى أبعد الأشياء من معاني الغذاء به ، فربطه من خارج ، يريهم أن هذا يقوم له مقام الطعام الذي يصل إلى الجوف ، فيكون منه القوام ، ليقطعهم ذلك عن الاعتماد في حال الجوع على الطعام ويصرفهم إلى اللّه تعالى في التقوية بما شاء من طعام أو غيره فيكون اعتمادهم على اللّه دون اعتمادهم على الأسباب ، ويكون هو أول من فعل ذلك ، ويكون ذلك ممن فعله تأسيًا به وقدوة ، فتحملهم بركة الأسوة عن الجوع الذي حل بهم ، ولم يأت في الأخبار أن عيون أصحابه فعلوا ذلك ؛ لأنهم أدركوا إشارته في ذلك ، فلذلك لم يربطوها على بطونهم .

ويجوز أن يكون ربط الحجر منه مقابلة أصحابه بما أظهروه من الضعف والعجز ، والحاجة إلى الطعام ، فقابلهم بمثله من نفسه من ضعف البشرية وعجز صفة الإنسانية ، وأنه يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الطعام على جلالة قدره ، وعلو درجته ، وارتفاع منزلته عند ربه ، كما قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الأنبياء : ٨] ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الفرقان : ٢٠] .

ثم لما أظهروا القوة من نفوسهم بالوصال أراهم ضعفهم في أحوالهم وعجزهم في نفوسهم ، فنهاهم عن ذلك ، قالوا : « إِنَّكَ لَتُوَاصِلُ . فقَالَ : « **لستُ كأَحَدِكُم ، إنَّ**

---

(١) في (س) : ما أخركما .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الأشربة باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام (١٦٠٩/٣) رقم (٢٠٣٨) ، والحاكم في المستدرك عن ابن عباس (٣٢٤/٣) رقم (٥٢٥٢) ، والطبراني في الكبير عن أبي هريرة (٢٥٧/١٩) رقم (٥٧١) ، وأبو يعلى في مسنده (٧٩/١) رقم (٧٨) .

رَبِّي يطْعِمُني ويسْقِينِ [١] » ، ثم واصل النبي ﷺ حتى انسلخ [الأشهر الحرم] [٢] قال : [٩٧] « لَوْ دَامَ لِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ » [٣] ، وقال في الحديث كالمنكل [٤] لهم حين أظهروا قوة من نفوسهم [٢٣/أ] وأعلمهم أنه محمول عن ضعف أوصاف البشرية وعجزها بالوارد عليه [٥] من ربه ، ألا تراه يقول : « **إني لست كأحدكم** » ﷺ .

يقول [٦] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن الله إليه - : وقد أنشدني بعض الكبراء من العلماء في فضائل سيد الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين - :

لقد كان في ختم النبيين أسوة ... لمن دان دين الحق في صفحة الترب

دعا وهدى أهل الثرى بخصاله ... وأحواله في البعد منهم وفي القرب

كذا كان يدعو للهدى حركاته ... وإن ظهرت في اللبس والأكل والشرب

فلو كان للإسلام شكل فإنه ... هو السيد المبعوث في العجم والعرب

لقد زين السبع الشداد ضياؤه ... وأحيا قلوب الخلق في الشرق والغرب

فحياه رب العالمين تحية ... مباركة تنجي العباد من الكرب

٣٠
باب في معنى إضافة الصوم لنفسه ﷻ

حديث آخر : [قال المصنف رحمه الله] [٧] : [٩٨] ح الحسين بن علي العطار ، قال : ح إبراهيم بن عبد الله العَبْسِي [٨] ، قال : ح وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي

---

(١) في (س) و (خ) : ويسقيني .
(٢) في (س) : الشهر ا.هـ . والأحاديث الواردة في ذلك تبين أنه شهر .
(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب التمني باب ما يجوز من اللو (٢٦٤٥/٦) رقم (٦٨١٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم (٧٧٥/٢) رقم (١١٠٤) .
(٤) في هامش (س) : نكل به أي جعله نكالًا وعبرة لغيره ا.هـ ، وفي هامش (خ) : كالمعاقب أو المعاتب .
(٥) في (س) : عليها .
(٦) من هنا لنهاية الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .
(٧) في (س) : ح أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب قال .
(٨) العَبْسِي : بفتح العين المهملة ، وسكون الباء الموحدة ، وكسر السين المهملة هذه النسبة إلى عبس ... وهي القبيلة المشهورة التي ينسب إليها العبسيون بالكوفة ، الأنساب (٣٠٩/٣) .

هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ** (١) **أَمْثَالها إلى سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ ، قَالَ اللَّهُ تعَالى : إلا الصَّومَ ؛ فَإِنَّهُ لي وأنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ** (٢) **وشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي ، و** (٣) **للصَّائِم فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ وفَرْحَةٌ عِنْدَ [لِقَاءِ رَبِّهِ]** (٤) **، ولخُلُوفُ** (٥) **فَمِ** (٦) **الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تعَالى مِنْ رَائِحَةِ المسْكِ ، الصَّومُ جُنَّةٌ** (٧) **، الصَّومُ جُنَّةٌ** » (٨) .

قال المصنف ﷺ : معنى إضافة الصوم إلى نفسه - جل اسمه - يجوز أن يكون لبعده من الرياء والسمعة ؛ لأنه لا يكاد تقع عليه أبصار الناظرين ، فيدخل في الرياء .

ويجوز أن يكون على معنى أن الصائم لا يطعم ، واللَّه ﷻ وصف نفسه فقال : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤] [٢٣/ب] فكأن الصائم اتصف بصفة من صفات الحق سبحانه على قدر ما يليق بالبشرية (٩) وكماله للَّه ﷻ على استحقاق الربوبية ، كما أن العالم منا والكريم والرحيم متصف بصفة يستحقها اللَّه وللعبد فيها نسبة على قدر البشرية ، فلما كان كذلك يجوز أن يكون خصوص الإضافة إلى نفسه لذلك .

وقوله : « وأنا أجزي به » أي على كرم الربوبية لا على استحقاق العبودية ، كأنه (١٠) يقول : إن الذي أتيت به من الإمساك عن الطعام ليس من صفتك إنما هو من صفتي ،

---

(١) في (خ) : عشر .
(٢) سقط من (س) .
(٣) سقط من (س) و (خ) .
(٤) في (خ) : لقائه ﷻ .
(٥) خلوف : تغير ريح الفم ، النهاية مادة (خلف) ، (٦٥/٢) .
(٦) في هامش الأصل : فمه .
(٧) جنة : الجنة الوقاية ، والصوم جنة أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات ، النهاية مادة (جنن) ، (٣٠٧/١) .
(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة ﷺ في كتاب اللباس باب ما يذكر في المسك (٢٢١٥/٥) رقم (٥٥٨٣) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة في كتاب الصوم باب حفظ اللسان للصيام (٧٠٨/٢) رقم (١١٥١) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام باب ما جاء في فضل الصيام (٥٢٥/١) رقم (١٦٣٨) ، والبيهقي في سننه (٢٧٣/٤) رقم (٨١١٦) ، وابن حبان في صحيحه بنحوه (٢١١/٨) رقم (٣٤٢٤) .
(٩) في (س) : من البشرية .
(١٠) زاد في (س) بعدها : تعالى .

فإني أنا الذي لا أطعم غير أنك تكلفت لذلك من أجلي ، وتركت طعامك وشرابك ، فأنا أجزيك على قدري .

قال المصنف رحمه الله : [وقد سمعت الشريف أبا] (١) الحسن الْعَلَوِي (٢) الْهَمَذَانِي (٣) يقول : اختص بالصوم لنفسه ليسلم من العدو أن يفسده ؛ لأنه لا يطمع فيما لله تعالى ، ويسلم من الخصوم أيضًا (٤) أن يأخذوه عند الحساب ، فإذا استوفى الخصوم أعمال المؤمن ، ولم يبق له عمل أخرج الله تعالى ديوان صومه الذي هو لله تعالى دون العبد ، فيجزيه على ذلك على استحقاق الربوبية ؛ لأنه له ، وثوابه على قدره .

قال المصنف رحمه الله : قال أبو الحسن بن أبي ذر رحمه الله (٥) : معنى قوله : « **أنا أجزي** » أي أنا الجزاء [له به] (٦) . قال أبو الحسن : أي معرفتي هي الجزاء له به ، وحسبه ذلك جزاء ، فما شيء يدانيها ولا يبلغها .

وقوله : « **للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره** » يجوز أن يكون فرحه على حصول صومه ، فلم ينقطع عليه بموت أو علة أو آفة ، فهو يسر بذلك .

ويجوز أن يفرح به أنه حصل له شيء هو لله تعالى خالص ؛ لأن الله تعالى حكم بذلك فقال : « **الصوم لي** » ومنهم من يفرح بتوفيق ربه إياه على صومه فيكون فرحه بما جاء من الله تعالى إليه ، دون ما جاء منه ، فلن يكون عمل إلا به .

ويجوز أن يريد بإفطاره يوم خروجه من [٢٤/أ] الدنيا ، فإن المؤمن قد صام عن جميع لذاته وشهواته المحرمة عليه أيام عمره فدهره في ذلك يوم ، وفطره في آخر النهار ، وإذا غربت الشمس أفطر الصائم وإن لم يأكل ، فالمؤمن إذا غربت شمس حياته في

---

(١) في (س) و (خ) : وقال الشريف أبو .

(٢) الْعَلَوِي : بفتح العين المهملة واللام المخففة وفي آخرها الواو . هذه النسبة إلى أربعة ممن اسمهم علي ، الأنساب (٣٦٣/٣) .

(٣) لم أقف إلا على اسمه وهو : أبو الحسن محمد بن علي الْعَلَوِي الْهَمَذَانِي ، تاريخ بغداد (٢٢٩/٧) ، والْهَمَذَانِي : بالهاء والميم المفتوحتين والذال المنقوطة بعدهما ، فهي مدينة بالجبال مشهورة على طريق الحاج والقوافل ، الأنساب (٥١١/٤) .

(٤) سقط من (س) .

(٥) في هامش (خ) : البخاري ا.هـ . وهو أبو الحسن محمد بن علي الْعَلَوِي الْهَمَذَانِي ، تاريخ بغداد (٢٢٩/٧) .

(٦) في (س) : به له .

الدنيا أفطر من صيامه عن شهواته ، وذلك حين فرحه . قال ﷺ : [٩٩] « **تُحْفَةُ**[(١)] **المؤْمِنِ الموْتُ** » حدثناه حاتم بن عقيل ، قال : ح يحيى بن إسماعيل ، قال : ح [يحيى الحِمَّاني][(٢)] ، قال : ح يحيى[(٣)] بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن [بكر بن عمرو][(٤)] عن عبد الرحمن بن زياد عن [عبد الرحمن][(٥)] الْحُبُلِي[(٦)] عن عبد الله ابن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ [قال ذلك][(٧)] .

« **وفرحة عند لقاء ربه** » وهو النظر إليه - جل وعز - لأنه قال : « **وأنا أجزي به** » أي أنا أجزيك النظر إليَّ ، لا أن يكون ذلك جزاء لعملك ، ولكني أجزيك من عندي فضلًا ومنة .

وقوله : « **ولخلوف فمه أطيب عند الله من ريح المسك** » أي من رائحة المسك عند الخلق ، كما أنهم يحبون ريح المسك ، ويؤثرونه ، ويرضون به ، ويختارونه ، كذلك الله سبحانه يحب خلوف فم الصائم ، ويؤثره ويختاره ، ويرضى به .

---

(١) تحفة : التحفة الطرفة من الفكاهة وغيرها من الرياحين ، لسان العرب مادة (تحف) ، وتحفة المؤمن الموت أي ما يصيب المؤمن في الدنيا من الأذى وما له عند الله من الخير الذي لا يصل إليه إلا بالموت ، النهاية مادة (تحف) ، (١٨٢/١) .

(٢) في (س) : يحيى بن الحِمَّاني .

(٣) كلمة (يحيى) من هامش الأصل ، وهي سقط من (س) .

(٤) في (س) : بكير بن عمر .

(٥) في (س) و (خ) : أبي عبد الرحمن .

(٦) قال السمعاني : الحُبُلِي بضم الحاء المهملة والباء المنقوطة بواحدة ... منسوب إلى حي من اليمن من الأنصار يقال لهم : بنو الحبلي وذكر سيبويه النحوي الْحُبَلي ، وقال : منسوب إلى بني الحُبلي . قلت : والمشهور بالنسبة هي الأولى وأبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي من تابعي أهل مصر ، الأنساب (٢٢/٢) .

(٧) ما بين المعكوفين سقط من (س) . والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه عن عبد الله بن عمرو ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي قال : ابن زياد هو الأفريقي ضعيف (٣٥٥/٤) رقم (٧٩٠٠) ويعني به عبد الرحمن بن زياد ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧١/٧) رقم (٩٨٨٤) ، وابن المبارك في الزهد (ص ٢١٢) رقم (٥٩٩) وعبد بن حميد في المنتخب (ص ١٣٧) رقم (٣٤٧) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٠/١) رقم (١٥٠) ، وأخرجه الطبراني في الكبير بنحوه موقوفًا على عبد الله (١٥٤/٩) رقم (٨٧٧٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله ثقات (٣٢٠/٢) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب : إسناده جيد (١٧٢/٤) رقم (٦) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظه ، وقال : غريب من حديث عبد الله بن عمرو (١٨٥/٨) .

وقوله : « **الصوم جنة** » يجوز أن يكون جنة في الدنيا من المعاصي ، والسفه على الناس ، والغيبة لهم ، ومجازاة من أساء إليهم قولًا وفعلًا . فقد قال ﷺ : [١٠٠] « **إِنْ جَهِلَ** (١) **عَلَى أَحَدِكُم جَاهِلٌ وهُوَ صَائِمٌ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ** » (٢) معناه - إن شاء اللّٰه - ألا يجازيه على وجهه (٣) ، وليقل لنفسه إن طالبته بمجازاته : « **إني صائم** » ولا ينبغي للصائم أن يجهل ويسفه ويمنعه عن الغيبة ، فقد قال ﷺ : [١٠١] « **مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ** (٤) **والعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للّٰهِ حَاجَةٌ بِأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ** » (٥) أخبر أن الصيام ترك ما نهى (٦) اللّٰه تعالى عنه من قول أو (٧) عمل ، وليس هو بترك الطعام والشراب فقط ، فالصيام جنة تستره ، وتحول بينه وبين المعاصي ، وهو جنة في الآخرة من النار ، ويجوز ألا يكون للنار سبيل على الصائم ، كما أنه لا سبيل لها على مواضع الوضوء [٢٤/ب] من العبد ؛ لأن الصوم يعم جميع البدن فلا يكون للنار عليه (٨) سبيل ، فهو جنة له منها .

ومعنى آخر في تخصيص الصوم وهو أن في الصوم معنى الإعراض عن النفس طلبًا

---

(١) جهل : أي أظهر الجهل ، لسان العرب مادة (جهل) .

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الصيام باب حفظ اللسان للصائم (٨٠٦/٢) رقم (١١٥١) ، وأبو داود في سننه في كتاب الصوم باب الغيبة للصائم (٣٠٧/٢) رقم (٢٢٦٣) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الصوم باب ما جاء في فضل الصوم (١٣٦/٣) رقم (٧٦٤) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب الصوم باب ما يقول الصائم إذا جهل عليه (٢٤٠/٢) رقم (٣٢٥٨) ، ومالك في الموطأ بنحوه (٣١٠/١) رقم (٦٨٢) .

(٣) في (خ) : جهله .

(٤) الزور : الكذب والباطل والتهمة ، النهاية مادة (زور) ، (٣١٨/٢) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة ﷺ في كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور (٦٧٣/٢) رقم (١٨٠٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الصوم باب الغيبة للصائم (٣٠٧/٢) رقم (٢٣٦٢) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الصوم باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم ، وقال : حسن صحيح (٨٧/٣) رقم (٧٠٧) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب في كتاب الصيام باب ما ينهى عنه الصائم من قول الزور والغيبة (٢٣٨/٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم (٥٣٩/١) رقم (١٦٨٩) .

(٦) بياض بالأصل والكلمة المثبتة من (س) .

(٧) في (س) و (خ) : و .

(٨) سقط من (س) و (خ) .

لمرضاة اللَّه تعالى ، والإعراض عن النفس ترك حظوظها ، وحظوظ النفس هو الطعام والشراب والرفث إلى النساء ، فمن ترك هذه الأشياء فقد ترك حظوظ نفسه وشهواتها ولذاتها ، ومن ترك ذلك فقد أعرض عن نفسه ، ومن أعرض عن نفسه ابتغاء وجه اللَّه تعالى لم يبق بينه وبين اللَّه حجاب ؛ لأن الحجب ثلاثة : الخلق ، والدنيا ، والنفس . والخلق والدنيا إنما يحجبان إذا كانا لحظ النفس ، فمن أعرض عن نفسه فقد أعرض عن الدنيا والخلق ، فحصل الصوم إعراضًا عن النفس ، والإعراض عنها وصول إلى اللَّه تعالى ، فلذلك قال : « **الصوم لي** » وليس هذا المعنى في شيء من الفرائض غير الصوم والصلاة [إلا أن] [1] وقت الصلاة وقت يسير ، فهو إذا فرغ منها رجع إلى جميع حظوظه . ووقت الصوم يمتد ؛ لأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وجملة الشرائع التي بني عليها الإسلام خمس : شهادة ألا إله إلا اللَّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . وليس معنى الإعراض عن النفس على طول المدة [في شيء منها] [2] إلا في الصوم ، الدليل على هذا قوله تعالى : « **يدع طعامه وشرابه** [3] **وشهوته من أجلي** » أخبر أن تركه طعامه وشهوته هو شيء للَّه سبحانه لا غير .

يقول [4] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن اللَّه إليه - : أنشدني بعض الكبار عن بعض العارفين ، قال :

صومي عن الخلق يا مولاي أعطشني ... إلى لقائك والعطشان ذو قلق

فليس غير شراب الوصل يقنعني ... فاسقنى شربة أطفي بها حرقي [٢٥/أ]

وقال آخر :

من صام عن طيبات الرزق فليصم ... عما نهى عنه أهل الدين والكرم

ثم ليصم عن حظوظ النفس مجتنبًا ... ما لا يفيد من الأفعال والكلم

ثم ليصم بعد عن ذكر الخلائق في ... شهود خالقه الموصوف بالقدم

هذي مراتب صوم العارفين وما ... وراءها صوم أهل الفقد والعدم

---

(١) في (س) : لأن ا.هـ . وفي (خ) : إلا في .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) من هنا لنهاية الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

فليطلب العبد من أهل الهدى رتبًا سما إليها أولوا الأبصار والهمم

٣١
باب في بناء الإيمان على الشفقة على خلق الله تعالى

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١٠٢] ح حاتم بن عقيل قال : ح يحيى بن إسماعيل قال : ح يحيى الحِمَّانِي قال : ح أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا ، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً ، الإيمانُ يَمَانٍ ، والحِكمَةُ يمانِيَّةٌ ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ** » [١] .

قال المصنف رحمه الله : وصف أهل اليمن بلين القلوب ورقة الأفئدة [٢] ، ثم نسب الإيمان والحكمة إليهم ، كأنه أخبرهم أن بناء الإيمان على الشفقة على خلق الله والرقة عليهم ؛ إذ كان صفة من نسب الإيمان إليهم بقوله : « **الإيمان يمان** » . والحكمة هي الإصابة لما يرضى به الله ﷻ وما يحبه ، وترك ما يسخطه ويكرهه ، ولا ينال ذلك إلا برقة القلب وصفائه ، فيشهد [٣] فيه زواجر الحق ؛ لأن زواجر الله في قلب كل مؤمن ، فمن كان أصفى قلبًا فإنه أحسن إدراكًا لذلك الزواجر [٤] وأشد إصابة له ؛ لذلك نسب الحكمة إلى من رق قلبه ويكون ذكر القلب والفؤاد عبارة عن شيء واحد .

ويجوز أن يكون الفؤاد عبارة عن باطن القلب ، فإن الحكماء قالوا : الصدر خارج القلب والفؤاد داخله . فوصف القلب باللين ، والشيء اللين يتثنى وينعطف وهو التقلب ، ويسمى القلب قلبًا ؛ لأنه يتقلب [٥] . [٢٥/ب] قال ابن عباس رضي الله عنهما : [١٠٣] « **إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا ؛ لأَنَّه يتَقَلَّبُ** » [٦] [٧] وقال ﷺ : [١٠٤] « **مَثَلُ الْقَلْبِ**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب المغازي باب قدوم الأَشْعَرِيين وأهل اليمن (١٥٩٤/٤) رقم (٤١٢٧) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه (٧٣/١) رقم (٥٢) ، والترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة في كتاب المناقب باب في فضل اليمن (٧٢٦/٥) رقم (٣٩٣٥) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢٥٢/٢) رقم (٧٤٢٦) ، والبيهقي في سننه بألفاظ مختلفة (٣٨٥/١) رقم (١٦٨١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه (٤٠٦/٦) رقم (٣٢٤٣٢) .

(٢) من هامش الأصل .

(٣) في هامش (س) و (خ) : أي فيحضر .

(٤) في (س) و (خ) : الزاجر

(٥) في (س) و (خ) : متقلب .

(٦) في (خ) : متقلب .

(٧) لم أقف عليه من كلام ابن عباس وإنما أخرجه ابن المبارك في الزهد بنحوه موقوفًا على أبي موسى =

مَثَلُ رِيشَةٍ بِفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ » [(١)] والمتقلب يتقلب إلى كذا [وإلى كذا] [(٢)] فكأنه وصف أهل اليمن بأن قلوبهم ألين وأكثر تقلبًا وتثنيًا ، وأن تقلبها وتثنيها إلى الإيمان والحكمة أكثر شهودًا للغيب ؛ لأن الشيء الرقيق أنفذ في خلال الأشياء المانعة والحجب الساترة من الشيء الغليظ ، ومن خرق الحجب أدرك الإيمان وحقيقته ، والحكمة التي هي التكلم عن اللَّه سبحانه .

ويجوز أن يكون أشار بلين القلب إلى خفض الجناح ولين الجانب والانقياد والاحتمال وترك العلو والترفع ؛ لأن هذه الأفعال إنما تظهر ممن لان قلبه ، وهي أوصاف الظاهر . وأشار برقة أفئدتهم إلى شفقتهم على الخلق والرحمة لهم ، والرأفة بهم ، والعطف عليهم ، والنصح لهم ، وأن يحبوا لهم ما يحبون لأنفسهم ، وهذه أوصاف الباطن ، فكأنه أشار إلى أنهم أحسن أخلاقًا ظاهرًا وباطنًا ، وقد قال : [١٠٥] « **أَكْمَلُ المؤمِنِينَ إِيمانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا** » [(٣)] .

وقوله : « **الإيمان يمان** » أي أهل اليمن أكمل الناس إيمانًا وتكون الحكمة من أوصاف من كمل إيمانه ويقينه .

ويجوز أن يكون وصفه لهم بلين القلوب إشارة إلى قبول الحق ؛ لأن أهل اليمن أجابوا إلى الإسلام بالدعوة دون المحاربة والقتال فقبلوا الحق للين قلوبهم ؛ لأن من قسا قلبه لا يقبل الحق وإن كثرت دلائله وقامت حججه . قال اللَّه ﷻ : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم

= الأَشْعَرِي (ص ١٢٢) رقم (٣٥٨) ، وابن الجعد في مسنده بألفاظ متقاربة (ص ٢١٩) رقم (١٤٥٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه (١٤٢/٧) رقم (٣٤٨١٩) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظ مقارب (٢٦١/١) ، وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة عن أبي موسى الأَشْعَرِي مرفوعًا (٤٧٣/١) رقم (٧٥٢) .

(١) يأتي الحديث بتمامه وتخريجه في اللوحة رقم (٤٩/ب) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب السنة باب في رد الإرجاء (٢٢٠/٤) رقم (٤٦٨٢) ، والترمذي في جامعه في كتاب الإيمان باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه وقال : هذا حديث صحيح (٩/٥) رقم (٢٦١٢) ، والنسائي في سننه الكبرى عن عائشة في كتاب عشرة النساء باب لطف الرجل أهل (٣٦٤/٥) رقم (٩١٥٤) ، والدارمي في سننه في حسن الخلق (٤١٥/٢) رقم (٢٧٩٢) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين ، ووافقه الذهبي (٤٣/١) رقم (٢) .

﴿ مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾ [البقرة: ٧٤] أخبر أن من قسا قلبه لا يرجع إلى الحق وإن ظهرت أعلامه ، والآيات إنما يعقلها من كانت صفته ضد صفة القاسية قلوبهم ، فلذلك نسب الإيمان إليهم ؛ لأنهم قبلوه من غير عنف ونسبهم إلى الحكمة ؛ لأن الحكمة [٢٦/أ] هي الإصابة للحق فأصابوا الحق فآمنوا للين قلوبهم ومواتاتهم (١) وقبولهم الحق .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **أرق أفئدة** » إشارة إلى توسطهم في مشاهدات القلوب ومنازلات الأسرار (٢) ، وذلك أنهم قالوا : إن الفؤاد عين القلب ، فكأنه أشار إلى أن في نظرهم إلى أحوال الغيوب رقة وأنهم في هذه الصفة ليسوا بذاك ، وبذلك تشهد أحوالهم ويعرفها من شاهدهم كأنه أشار إلى أنهم في الأحوال الظاهرة أقوى منهم في الأحوال الباطنة ، يدل على ذلك ما حدثناه عبد العزيز قال : ح محمد بن إبراهيم البَكْرِي (٣) قال : ح [محمد بن] (٤) إسحاق الفَرْوِي (٥) قال : ح ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٠٦] « **أتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ (٦) أفئدةً (٧) و (٨) الفِقْهُ يَمَانٍ والحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ** » (٩) .

قال المصنف رحمه الله : يدل على ذلك إجابة الكثير منهم الأسود العَنْسِي وطليحة الأسدي لما تنبيا بعد رسول الله ﷺ فذلك لرقة أفئدتهم وضعف رؤية قلوبهم (١٠) ؛ لأن

(١) في هامش (خ) : المؤاتاة الموافقة .
(٢) في هامش (س) : أي الخواطر الرحمانية .
(٣) في (س) : السكندي . (٤) سقط من (خ) .
(٥) الفَرْوِي : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة ، هذه النسبة إلى الجد الأعلى ، الأنساب (٤٥٠/٣) .
(٦) أرق أفئدة : أي ألين وأقبل للموعظة والمراد بالرقة ضد القسوة والشدة ، النهاية مادة (رقق) ، (٢٥١/٢) .
(٧) أفئدة : الفؤاد القلب ، وقيل : وسطه . وقيل : الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه وجمعه أفئدة ، النهاية مادة (فأد) ، (٤٠٥/٣) ، والقلب أخص من الفؤاد في الاستعمال ، وقيل : هما قريبان من السواء ، النهاية مادة (قلب) ، (٩٦/٤) .
(٨) سقط من (خ) .
(٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب المغازي باب قدوم الأَشْعَرِيين وأهل اليمن (١٥٩٥/٤) رقم (٤١٢٩) ، ومسلم في صحيحه بلفظ مقارب في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه (٧٢/١) رقم (٥٢) ، والترمِذِي في جامعه بألفاظ متقاربة في كتاب المناقب باب في فضل اليمن (٧٢٦/٥) رقم (٣٩٣٥) ، وأحمد في مسنده (١/٣) رقم (١٠٩٩٥) .
(١٠) في (س) و (خ) : أفئدتهم .

الفؤاد عين القلب لما ضعفت [١] أبصار قلوبهم لم يشاهدوا ما أجابوا إليه أول مرة من صحة نبوة محمد خاتم الرسل ﷺ فلما دعاهم غيره أجابوه وهذه صفة عوامهم ، أما خواصهم فرقت أفئدتهم فنفذت في خلال الحجب فخرقتها فشاهدت الغيوب ، فقوي إيمانهم فثبتوا عليه .

وقوله : « **رأس الكفر قبل المشرق** » . يجوز أن يكون المراد منه كفر النعمة لا كفر الجحود ، وذلك أن أكثر الفتن التي كانت في الإسلام ظهرت من قبل المشرق وهو العراق وما وراءه . كان الجمل وهو أعظم فتنة [٢] كانت في الإسلام بعد قتل عثمان بن عفان ﷺ وذلك كان بالعراق ، وكذلك صفين والنهروان وقتل الحسين بن علي ﷺ كان بالعراق ، وفيها كانت فتنة ابن [٣] الزبير [بين [٤] عبد الملك بن مروان ومصعب ابن الزبير] [٥] [٢٦/ب] [تسع سنين] [٦] ، وفتنة الجماجم [٧] ، قالوا : قتل فيها خمسمائة من قراء التابعين ، ثم واقعة [٨] أبي مسلم [٩] كان ظهوره [١٠] فيها ، وغيرها من الفتن والأحداث كانت أكثرها من قبل المشرق ، وسبب الفتنة وإراقة دماء المسلمين كفران نعمة الإسلام .

ويجوز أن يكون المراد فيه الكفر الذي هو ضد الإيمان ، ويكون ذلك خروج الدجال ، فإن أكثر الروايات على أن خروجه يكون من قبل الترك . حدثناه حاتم [بن

---

(١) في (س) : ضعف .

(٢) في (خ) : فتن .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : الزبير بن .

(٥) سقط من (س) .

(٦) سقط من (خ) .

(٧) الجماجم : وقعة بين أهل العراق تحت إمرة ابن الأشعث من ناحية وبين الحجاج بن يوسف الثَّقَفِي من ناحية أخرى لخلع عبد الملك بن مروان والحجاج وكانت في دير الجماجم بالعراق هزم فيها ابن الأشعث وقعت في شعبان سنة (٨٢ هـ) ، تاريخ الأمم والملوك للطبري بتصرف (٦٢٩/٣) ، والبداية والنهاية لابن كثير بتصرف (٤٠/٩) .

(٨) في (س) و (خ) : فتنة .

(٩) أبو مسلم : هو الخراساني الداعي إلى إقامة الدولة العباسية ، ثم ما لبث أن قتله المنصور بعد أن استتب له الأمر ، وكان ظهور أبي مسلم الخراساني سنة (١٢٩ هـ) واقتتاله كان مع نصر بن سيار أمير خراسان ، البداية والنهاية (٢٩/١٠ ، ٣٠) .

(١٠) زاد في (خ) بعدها : من قبل المشرق .

عقيل قال : ح] [١] يحيى عن [٢] علي بن مسهر عن عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أجمعين أنه قال : [١٠٧] « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ أَعْوَرَ [٣] الدَّجَّالِ مَسِيحَ الضَّلالَةِ يخرُجُ مِنْ قِبَلِ المشْرِقِ » [٤] في حديث ساقه .

قال [٥] أبو الحسن : والشيخ الإمام العارف لو كان في زماننا يقول : يحتمل أنه ﷺ أراد بقوله : « **رأس الكفر قبل المشرق** » أنهم هم الكفرة الفجرة من أهل خطا وهم على الخطأ ، بل تحقق وما تردد ؛ لأنهم هم الذين قهروا جميع الأنام وخربوا ديار الإسلام ، واستولوا على الخاص والعام ، هداهم الله بفضله وإلا فرق جمعهم وشتت شملهم وقهرهم وقمعهم ونجانا منهم ومن شرهم وأيدي الظالمين ، إنه أرحم الراحمين . قاله أبو الحسن ، وقد أنشدني بعض المحققين من الكبار في صفة الكفار :

من آثر الدنيا ولذاتها	على ثواب الله في الآخرة
فعزه ذل وأعماله	مثل سراب لاح في الهاجرة
وهو عدو الله في جلده	وإن أتى بالقرب الظاهرة
يؤثر الدنيا التي ابتاعها	شر الورى بالقيمة الفاخرة
واعتاضها من دينه فاعتدى	من فعله في صفقة خاسرة
فلم يبعها غير من سامها	بدينه والملة الزاهرة
فما لمن يقتله بغتة	من قود أو دية جابرة
بؤسًا لها ملعونة لا ترى	تألف إلا الفئة الكافرة
فلا يعادي الدين إلا الذي	يرغب في نفسه الفاجرة [٢٧/أ]

---

(١) سقط من (س) .

(٢) في (س) : الحِمَّاني ح ا.هـ . وفي (خ) : حدثنا الحماني حدثنا .

(٣) في (خ) : الأعور .

(٤) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في ذكر قدر مكث الدجال في الأرض (٢٢٣/١٥) رقم (٦٨١٢) والهيثمي في موارد الظمآن (ص ٤٦٩) رقم (١٩٠٤) ، وأورده في مجمع الزوائد وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة (٣٤٩/٧) .

(٥) من هنا لنهاية الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

٣٢
باب في حسن الظن بالله

حديث آخر : [١٠٨] ح حاتم بن عقيل قال : ح يحيى [الحِمَّاني قال : ح يحيى] [(١)] قال : ح أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَقُولُ اللَّهُ** ﷻ **: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ [(٢)] ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ خَيْرٍ مِنْهُم ، وإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْه ذِرَاعًا ، وإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً [(٣)]** » [(٤)] .

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **أنا عند ظن عبدي** » بالكفاية إذا استكفاني ، وبالكلاءة له إذا استكلأني ، والإقبال عليه إذا أناب إلي ، وبالإجابة له إذا دعاني ، والقبول منه إذا عمل لي ، والمغفرة له إذا استغفرني ؛ لأن هذه الأوصاف لا تظهر من العبد إلا إذا حسن بالله ظنه وقوي يقينه .

وقوله : « **فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي** » يجوز أن يكون معناه إن خلا بذكري أخليت سره عن سواي ، وإن أخفى ذكره لي إجلالًا لقدري وتعظيمًا لحقي ، وغيرة على الذكر لي أخفيته في غيبي فلا أطلع عليه إلا أحبابي غيرة عليه مني ، وأغيبه في غيب غيبي [(٥)] فلا يكون لشيء إليه طريق يشغله عني فيكون سري بين خلقي كما

---

(١) في (س) : بن [بياض بالنسخة] ح يحيى الحِمَّاني ا.هـ . وفي (خ) : حدثنا الحماني .

(٢) ملأ : الملأ أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم وجمعه أملاء ، النهاية مادة (ملأ) ، (٣٥١/٤) .

(٣) هرولة : الهرولة بين المشي والعدو وهو كناية عن سرعة إجابة الله تعالى وقبول توبة العبد ولطفه ورحمته ، النهاية مادة (هرول) ، (٢٦١/٥) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب التوحيد باب ما يذكر في الذات والنعوت (٢٦٩٣/٦) رقم (٦٩٧٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦١/٤) رقم (٢٦٧٥) ، والترمذي في جامعه بلفظ مقارب في كتاب الزهد باب في حسن الظن بالله ﷻ وقال : حسن صحيح (٥٨١/٥) رقم (٣٦٠٣) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب التعبير في ذكر أسماء الله تعالى علام الغيوب (٤١٢/٤) رقم (٧٧٣٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب باب فضل العلم (١٢٥٥/٢) رقم (٣٨٢٢) .

(٥) في هامش (س) و (خ) : المعنى من غيب غيبي ألا يطلع عليه غيره ، والغيب ما يكون خفيًا ولكن =

كنت سره من خلقي ، وفي بعض الروايات : [١٠٩] « **مَنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي** » [(١)] .

يجوز أن يكون معناه : من ذكرني في نفسه هو الذي ذكرته في نفسي [(٢)] أي في غيبي قبل إيجادي له [(٣)] ، وقبل ذكره لي ، وقبل كل قبل في أزل الأزل [(٤)] وسابق العلم وإن ذكرني في ملأ افتخارًا بي وإجلالًا بين خلقي ذكرته في ملأ خير منهم مباهاة به وتعظيمًا لقدره بين ملائكتي الذين هم أفضل ممن ذكرني فيهم وهم المؤمنون [(٥)] . ويجوز أن يكون معنى قوله : [٢٧/ب] « **في ملأ خير منهم** » أي خير منهم حالًا ؛ لأن الملائكة أحوالهم حالة واحدة ، وهي الحالة المرضية لقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، ولقوله ﷻ : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] والمؤمنون تتفاوت أحوالهم وتختلف أوقاتهم ما بين طاعة وضدها ، وفتور وتقصير وجد وتوفير ؛ فأولئك الملأ الذين هم الملائكة في أحوالهم خير من الملأ الذين هم المؤمنون ، وإن لم تكن الملائكة خيرًا منهم في الفضل .

ومعنى قوله : « **وإن اقترب إلي** » أي بالقصد والنية « **شبرًا** » قربته مني توفيقًا وتيسيرًا ذراعًا ، وإن اقترب إلي بالعزم والاجتهاد ذراعًا قربته مني بالهداية والرعاية باعًا ، وإن أتاني معرضًا عمن سواي يمشي آويته إلى كنفي فيفوت من سواي أثرًا فيه أو طريقًا إليه كأنه يقول : من أعرض عما سوى الله وأقبل على الله مسرعًا خوفًا أن يدركه شيء يقطعه عن سيره إلى الله وإقباله على الله آويته إليَّ وحلت بينه وبين كل قاطع وسبقت به كل مانع .

= يطلع عليه باطلاع الله . ا.هـ .

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظه عن أبي هريرة ﷺ (٣٥٤/٢) رقم (٨٦٣٥) ، وابن المبارك في الزهد عن خالد بن معدان (ص ٣٢٦) رقم (٩٢٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي هريرة (٦١/٦) رقم (٢٩٤٧٩) ، والطبراني في الدعاء (ص ٥٢٢) رقم (١٨٦٧) .

(٢) زاد في (س) بعدها : كأنه يقول : من ذكرني في نفسه هو الذي ذكرته .

(٣) في هامش (س) : فكان ذكر الله سابقِ على ذكره .

(٤) في (س) : الآزال . ا.هـ . وفي الهامش : الأزل عبارة عن الوقت الذي يعجز العقل عن دركه ، وأزل الأزل مبالغة فيه .

(٥) زاد في (س) بعدها : مباهاة كقوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية [البقرة : ٣٠] فأجاب : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ا.هـ .

وعلى الرواية الأخرى : [١١٠] « **مَنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا** » و « **مَنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ**[(١)] **ذِرَاعًا** » و « **مَنْ أَتَانِي يَمْشِي** »[(٢)] فمعناه إن شاء اللّٰه أن الذي اقترب مني شبرًا بالطاعة هو الذي اقتربت منه ذراعًا بالتوفيق ، والذي اقترب مني ذراعًا بالإخلاص اقتربت منه باعًا بالجذب ، ومن أتاني مشاهدًا لي هو الذي هرولت إليه برفع أستار الغيوب بيني وبينه ، فيكون معنى « من » الذي [و][(٣)] يكون قوله : « **اقتربت إليه** » خبرًا[(٤)] ، كما قال ﷺ : [١١١] « **مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ**[(٥)] **فَعَلِيٌّ مَوْلاه** »[(٦)] [معناه : علي مولى من كنت مولاه][(٧)] فكذلك قوله : « **من اقتربت إليه** » أي اقترب إلي .

ويجوز أن يكون معنى هذه العبارات كأنه سؤال وجواب كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] فكان الجواب من الذي منه السؤال .

٣٣

باب في معنى : « خلق اللّٰه آدم على صورته »

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١١٢] ح عبد العزيز بن محمد [٢٨/أ] قال : ح محمد بن إبراهيم البَكْرِي قال : ح إسحاق الهَرَوِي[(٨)] قال : ح ابن أبي الزناد [عن أبي

---

(١) في (خ) : مني .

(٢) الحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد بلفظه عن أبي ذر (٣٦٦/١) رقم (١٠٣٥) .

(٣) زيادة من (س) و (خ) .

(٤) في هامش (خ) : أي لا جزاء .

(٥) مولاه : المولى اسم يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه ومولاه هنا تحمل على أكثر هذه الأسماء المذكورة ، النهاية مادة (ولي) ، (٢٢٧/٥) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم - شك شعبة راوي الحديث - في كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب ، وقال : حسن صحيح (٦٣٣/٥) رقم (٣٧١٣) ، والنسائي في سننه الكبرى عن بريدة في كتاب المناقب باب فضائل علي (٤٥/٥) رقم (٨١٤٥) ، وفي خصائص علي (٩٩/٢) رقم (٨١) ، وابن ماجه في سننه عن سعد بن أبي وقاص في أول الكتاب باب فضل علي بن أبي طالب (٤٥/١) رقم (١٢١) ، وأحمد في مسنده عن زاذان بن عمر (٨٤/١) رقم (٦٤١) ، والحاكم في المستدرك عن بريد الأسلمي ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (١١٩/٣) رقم (٤٥٧٨) .

(٧) من هامش الأصل .

(٨) في (س) : القزوي .

الزناد] (١) عن موسى بن أبي عثمان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا** » (٢) .

قال المصنف رحمه الله : معنى قوله : « **خلق آدم على [صورته** » أي على صورة] (٣) آدم التي كان عليها يوم قبض أي (٤) لم يكن علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم مكسوًّا لحمًا ثم طفلًا ثم بالغًا أشده ثم شيخًا أي لم يخلق أطوارًا بل خلق على الصورة التي كان بها . ويقال : خلقه على صورته (٥) التي كان في الجنة عليها لم تتغير صورته (٦) ولم ينتقص طوله ولا سلب نوره ، يدل عليه قوله : « **طوله ستون ذراعًا** » أي على هذا الطول خلق ، ولم يكن في الجنة أطول منه في الأرض ولا أقل نورًا ولا أدنى حالًا منها منه في الجنة .

ويجوز أن يكون معنى « **صورته** » أي صورة حاله وأن يكون متفاوت الحال ، متغاير الوصف فيوصف مرة بالغواية ومرة بالهداية وبالعصيان والتوبة . قال الله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] ووصفه بالعلم مرة وبالجهل أخرى ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] ، وقال : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] هذا إلى سائر أحواله في تباينها وأوصافه في تغايرها ، ثم ما أكرمه به من فضله واختصه واصطفاه واستخلصه واجتباه فكان خليفته في أرضه وقبلة ملائكته وقسيم أهل ناره وجنته وعلمه الأسماء وألهمه الحمد والثناء فكان خلقه الله تعالى بهذه الأوصاف وعلى صورة هذه الأحوال وهذا كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] ، وقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

---

(١) سقط من (س) .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعد الحديث العبارة الآتية : قال أبو الزناد : ولا أعلم إلا أن الأعرج حدثني بذلك ا.هـ . والحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الاستئذان باب بدء السلام (٢٢٩٩/٥) رقم (٥٨٧٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (٢١٨٣/٤) رقم (٢٨٤١) ، وأحمد في مسنده (٣١٥/٢) رقم (٨١٥٦) ، وابن حبان في صحيحه في ذكر وصف طول آدم (٣٣/١٤) رقم (٦١٦٢) ، والأَزْدِي في الجامع بنحوه (٤١٦/١١) رقم (٢٠٨٧٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥/٧) رقم (٣٤٠٠٦) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة بلفظه (٤٢٢/٣) رقم (٧١٢) .

(٣) في (س) : صور .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : فكان في الأرض حين أهبط إليها على صورته .

(٦) زاد في (س) بعدها : التي أهبط فيها إلى الأرض لم تتغير صورته .

[قيل : خلقهم ليكونوا مختلفين [١]] [٢] فكذلك خلق الله تعالى آدم عليه السلام لهذه الأمور وما لا يحصى من العلم فيه فكان منه قوله : « **خلق الله تعالى آدم على** [٢٨/ب] **صورته** » أي خلقه لتكون صورة حاله هذه الصورة ، وخلق سائر الخلق على حالة واحدة ، فخلق الملائكة للطاعة لا غير ، والشياطين للعصيان لا غير والبهائم وسائر الحيوان للتسخير لا غير . وفي بعض الروايات قال [٣] : « **خُلِقَ آدَمُ عَلَى صُورَةِ الرَّحمَنِ** » [حدثناه علي بن عبد العزيز] [٤] قال : ح إسحاق بن إسماعيل ، قال : ح جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء [٥] عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١١٣] « **لا تُقَبِّحُوا الوجُوهَ فَإِنَّ ابْنَ** [٦] **آدَمَ خُلِقَ** [٧] **عَلَى صُورَةِ الرَّحمنِ** » [٨] .

قال المصنف رحمه الله : فإن كان هذا محفوظًا فيكون معناه والله أعلم : أي خلقه على الصورة التي ارتضاها الرحمن أن تكون صورة لآدم ؛ إذ لم يكن في خلق الله خلق على صورته في البنية والحال ؛ إذ الملائكة على حالة واحدة ، والله أعلم بصورة بنيتهم . غير أن الأخبار وردت بأنه لم يكن قبله شيء من المخلوقات على صورته وخلقته ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] [هذا إضافة التشريف والتكريم كقوله : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر : ٢٩] ، ﴿ فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] ، ﴿ نَاقَةُ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٧٣] ، ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، ﴿ يَٰعِبَادِىَ ﴾

---

(١) قال : هذا القول الحسن فيما رواه عنه الطبري في جامع البيان (١٤٣/١٢) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) في (خ) : أنه .

(٤) في (س) : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد البجلي ، وقال : ح منصور بن نصير ، قال : أخ أبو جعفر ابن محمد بن محمد بن عبد الله . ا.هـ . وفي (خ) : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد البجلي أخبرنا منصور بن نصير أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله حدثنا .

(٥) زاد في (س) بعدها : ابن رباح . ا.هـ . وفي (خ) : ابن أبي رباح .

(٦) سقط من (س) .

(٧) سقط من (س) و (خ) .

(٨) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بلفظه عن ابن عمر (٢٢٨/١) رقم (٥١٧) ، قال الألباني في هامش التحقيق : والحديث إسناده ضعيف وعلته عنعنة حبيب بن أبي ثابت وكذلك الأعمش وقد خولف في إسناده من قبل سفيان الثَّوري ، فقال عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء قال : قال رسول الله ﷺ فأرسله أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (ص ٢٧) بسند صحيح فهذا المرسل أصح من الموصول ، وقال : وأعله ابن خزيمة بالعلل الثلاث المتقدمة مخالفة الثَّوري وتدليس حبيب والأعمش ، الموضع السابق .

[الزمر : ٥٣] [١] . وقيل : إن قوله : « **خلق آدم على صورته** » كان عقيب قوله : [١١٤] « **لا تَقُولُوا : قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ** » [٢] [فإن آدم خلق على صورته فإن الله خلق آدم على صورته ، أي على صورة هذا المقبح وجهه] [٣] ، وقال : [١١٥] « **إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ خَادِمَهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ** » ، ثم قال : « **فَإِنَّ اللَّهَ تعالى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** » [٤] أي على صورة هذا المضروب والمقبح وجهه ، وهذا كما روي عن النبي ﷺ قال : « **تُسَمُّونَ أَوْلادَكُمْ محمَّدًا ثمَّ تَلْعَنُونَهُمْ** » إجلالًا لاسمه وتكريمًا لصورة آدم . حدثناه [محمد بن إسحاق] [٥] قال : ح حريث بن عبد الرحمن قال : ح محمود بن غيلان قال : ح أبو داود الطَّيَالِسِيُّ [٦] عن الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١١٦] « **تُسَمُّونَ أَوْلادَكُمْ محمَّدًا ثمَّ تَلْعَنُونَهُمْ** » [٧] [٢٩/أ] إجلالًا لاسمه وتكريمًا

---

(١) سقط من (س) .

(٢) زاد في (س) بعدها : فإن آدم خلق على صورته ، فإن الله خلق آدم على صورته أي على صورة هذا المقبح وجهه ا.هـ . والحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في باب لا تقل قبح الله وجهه (ص ٧١) رقم (١٧٣) ، وأحمد في مسنده (٢/٢٥١) رقم (٧٤١٤) ، وابن حبان في صحيحه (١٣/١٨) رقم (٥٧١٠) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/٤٤٥) رقم (١٧٩٥٢) ، والحميدي في مسنده (٢/٤٧٦) رقم (١١٢٠) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٢٣) رقم (٧١٥) ، والدارقطني في الصفات (١/٣٥) رقم (٤٤) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن ضرب الوجه (٤/٢٠١٧) رقم (٢٦١٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٢/٢٤٤) رقم (٧٣١٩) ، وعبد الرزاق في مصنفه بألفاظ مختلفة (٩/٤٤٥) رقم (١٧٩٥٢) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، وقال الألباني : إسناده حسن صحيح (١/٢٣٠) رقم (٥٢٠) ، والحميدي في المسند بلفظ مقارب (٢/٤٧٦) رقم (١١٢١) ، وقد أخرج الجزء الأول من الحديث البخاري في الأدب المفرد بلفظه عن أبي هريرة ﷺ (ص ٧١) رقم (١٧٤) .

(٥) في (س) : محمود بن إسحاق أبو إسحاق الخُزَاعِيُّ ا.هـ . وفي (خ) : محمود بن إسحاق .

(٦) بفتح الطاء المهملة والباء المنقوطة بنقطتين من تحتها ، وسكون الألف وكسر اللام ، وفي آخرها السين المهملة وهذه النسبة إلى الطيالسة ، وهي التي تكون فوق العمامة ، وأبو الوليد الطيالسي من أهل البصرة ، الأنساب (٣/٢٨٠) .

(٧) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه عن أنس بن مالك وقال : تفرد الحكم بن عطية عن ثابت (٤/٣٢٥) رقم (٧٧٩٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب عن أبي العالية (٥/٢٦٢) رقم (٢٥٩٠٥) ، وأبو يعلى في مسنده عن أنس (٦/١١٦) رقم (٣٣٨٦) ، وابن بكير في فضائل التسمية بأحمد ومحمد بنحوه (ص ٢٩) رقم (٢٠) ، وابن عدي في الكامل وقال : الحكم بن عطية عندي ممن =

لصورة آدم .

يقول (١) العبد أبو الحسن – أحسن اللّه إليه – : أنشدني بعضهم في فضائل سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ (شعر) :

سبحان من جمع المكارم كلها — لنبيه خير الأنام محمد
وأعار من أنواره شمس الضحى — فتبرجت في ضوئها المتجدد
وأضاء للثقلين منهاج الهدى — بعد العمى من نوره المتوقد
وجلا وطاب جنى الجنان ونورها — من حلو منطقه وحسن المشهد
لم تبق مكرمة حواها ماجد — واسم تنافس فيه أهل السؤدد
إلا حواها المصطفى من قبل أن — أمسى وأصبح في صفوف المسجد

٣٤
باب في حفظ النبي ﷺ موضع الفتنة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١١٧] ح عبد العزيز بن محمد [قال : ح محمد بن إبراهيم] (٢) قال : ح أبو ثابت محمد بن عبيد اللّه المدني (٣) حدثني عبد اللّه بن وهب قال : أخبرني أبو يحيى ابن سليمان عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللّه ﷺ قال : « **مَنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ** » (٤) ، وقال (٥) : [١١٨] « **لا تُفَضِّلُوني عَلى أَخِي يُونُسَ** عليه السلام » (٦) .

= لا بأس به يكتب حديثه (٢/٢٠٥) رقم (٣٩٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى والبزار وفيه الحكم بن عطية وثَّقه ابن معين وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح (٨/٤٨) .

(١) من هنا لنهاية الأبيات غير موجود بالنسخة (س) و (خ) .

(٢) في (س) : ابن إبراهيم .

(٣) في (خ) : المديني .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التفسير باب ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٩] ، (٤/١٨٠٨) رقم (٤٥٢٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الزمر ، وقال : حسن صحيح ، (٥/٣٧٣) رقم (٣٢٤٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر البعث (٢/١٤٢٨) رقم (٤٢٧٤) .

(٥) في (س) و (خ) : وفي حديث آخر .

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد أخرج نحوه البخاري في صحيحه عن أبي وائل في كتاب الأنبياء باب قول =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **من قال : أنا خير من يونس بن متى فقد كذب** » أي من قال : أنا خير منه في النبوة والرسالة ، وذلك أن الرسالة والنبوة معنى واحد لا تفاضل فيها بين الأنبياء [1] عليهم السلام ، وإنما التفاضل في تفضيل الله من يشاء منهم بعد النبوة والرسالة وما يحدث لهم من الأحوال التي يتبين [٢٩/ب] شرفهم وفضلهم عنده جل جلاله .

ومعنى تخصيصه يونس عليه السلام بتسميته بين [2] الأنبياء عليهم السلام يجوز أن يكون ذلك ؛ لأن الله تعالى وصف يونس بأوصاف يسبق إلى الأوهام انحطاطه في الدرجة وانخفاضه في المنزلة ، وذلك أنه قال : ﴿ فَظَنَّ [3] أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، وقال : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [الصافات : ١٤٠] ، وقال : ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات : ٤٢] و [قال] [4] : ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ [القلم : ٤٩] ، وقال النبي ﷺ : [١١٩] « **إنَّ للنبُوَّةِ أثقالاً ، وإنَّ يُونُسَ عليه السلام تَفَسَّخَ [5] مِنها تفَسُّخَ الرُّبَعِ** » [6] [7] فحفظ النبي ﷺ موضع الفتنة من أوهام بعض من يسبق إليها منه أن هذه الأوصاف جرحت [8] في نبوته وأخلت برسالته ، أو قدحت في الاصطفاء

= الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، (١٢٥٤/٣) رقم (٣٢٣١) ، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى (١٨٤٦/٤) رقم (٢٣٧٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الزمر : ٦٨] ، (٤٤٨/٦) رقم (١١٤٥٨) ، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخُدْري (٤٠/٣) رقم (١١٣٨٣) ، وأبو داود الطَّيَالِسِي في مسنده عن أبي هريرة (٣١٢/١) رقم (٢٣٦٦) .

(١) زاد في (س) بعدها : والمرسلين .

(٢) في (س) : من بين سائر ا.هـ . وفي (خ) : من بين .

(٣) في (س) : وظن .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) تفسخ : في هامش (س) أي خرج وهرب ا.هـ . وقال في لسان العرب في مادة (فسخ) تفسَّخ الرُّبَعُ تحت الحمل الثقيل وذلك إذا لم يطقه .

(٦) الرُّبَعُ : الفصيل الذي ينتج في الربيع وهو أول النتاج ، سمي رُبَعًا ؛ لأنه إذا مشى ارتبع ورَبَع أي وسع خطوه وعدا ، والجمع رباع وأرباع والأنثى رُبَعَة ، لسان العرب مادة (ربع) .

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد أخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه عن وهب بن منبه وسكت عنه الذهبي (٦٣٩/٢) رقم (٤١٢٨) ، والطبري في جامع البيان (٧٧/١٧) .

(٨) في (خ) : خرجت .

القديم منه [1] إياه ، أو حطت من مرتبته ، أو وهنت قوى عصمته ، كما حفظ النبي ﷺ موضع الفتنة على الأنْصَارِي الذي مر به عشاءِ وهو قائم مع صفية رضي الله عنها ، فقال : [١٢٠] « أَمَا إِنَّها صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ » . فَقَالَ الأَنْصَارِي : سُبحَانَ اللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ ! فَقَالَ ﷺ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِي [2] مِن ابنِ آدَمَ مجرَى الدَّم » [3] هذا معنى الحديث إن شاء اللَّه ، فأخبر أنه مع ما وصفه اللَّه تعالى من هذه الأوصاف بنبيه الكريم ورسوله المصطفى ، وهو مع هذه الأوصاف ليس بأدون درجة مني في النبوة والرسالة مع أني سيد ولد آدم ، وأكرم الخلق على اللَّه تعالى ، وأدناهم منه منزلة ، وأقربهم إليه وسيلة ، وأول شافع وأكرم مشفع ، إلى سائر الفضائل التي وصفها له [4] ، وما له عند اللَّه تعالى لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ .

٣٥
باب في الشكر لله بالعمل

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١٢١] ح حاتم بن عقيل قال : ح يحيى قال : ح يحيى الحِمَّاني قال : ح [5] شريك عن ابن موهب [6] عن أبيه عن [٣٠/أ] أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللَّه يحِبُّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ [7] نِعْمَةً أَنْ يَرَى أَثَرَهَا [8] عَلَيْه » [9] .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : تعالى .

(٢) في (س) و (خ) : يجري .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن علي بن الحسين في كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٧١٧/٢) رقم (١٩٣٣) ، ومسلم في صحيحه عن صفية في كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة وكانت زوجة أو محرمًا له أن يقول : هذه فلانة ليرفع ظن السوء به (١٧١٢/٤) رقم (٢١٧٥) ، وأبو داود في سننه في كتاب الصوم باب أين يكون الاعتكاف ؟ (٣٣٣/٢) رقم (٢٤٧٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الاعتكاف باب تشييع زائر المعتكف والقيام معه (٢٦٣/٢) رقم (٣٣٥٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد (٥٦٦/١) رقم (١٧٧٩) .

(٤ ، ٥) سقط من (س) .

(٦) في (س) و (خ) : وهب .

(٧) في (س) و (خ) : عبده .

(٨) في هامش (س) : أي يرى النعمة فضلًا من اللَّه تعالى لا استحقاقًا من عنده .

(٩) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بنحوه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في كتاب الأدب باب ما جاء إن اللَّه تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، وقال : هذا حديث حسن (١٢٣/٥) رقم (٢٨١٩) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٣١١/٢) رقم (٨٠٩٢) ، والحاكم في =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى « أثرها » الشكر للَّه بالعمل الصالح فيه ، والثناء عليه ، والذكر له ظاهرًا وباطنًا ، والإفضال منه ، والعود على الأغيار ، والعطف على الجار ، والإنفاق من فضل ما عنده ، والإنفاق منه في وجوه القرب ، كما قال اللَّه تعالى في قصة قارون : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧٦، ٧٧] ، وهو أن يبدأ بالإنفاق منه على نفسه ثم على عياله وولده ، فيرى أثر الجدة [١] عليه زيًّا وإنفاقًا .

وشكر اللَّه بالعمل الصالح والثناء عليه باللسان ، وهذا في النعمة التي هي سعة المال ، أما النعمة الدينية فأولى وأحق [٢] ممن أوتي علمًا باستعمال علمه وزم جوارحه وتهذيب أخلاقه ، ورياضة نفسه ، ولين الجانب ، وخفض الجناح [٣] ، والحلم عن السفيه ، والإعراض عن الجاهل في خشية اللَّه تعالى ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ثم تعليم الجاهل ، وتأديب الغر [٤] ، وبث العلم في أهله ، ووضعه في حقه في تواضع ولين وبر وإشفاق ، وممن أنعم اللَّه عليه بالولاية للمسلمين بالدفع عنهم ، والنظر لهم ، والإنصاف فيما بينهم ، وبسط العدل ، والحكم بالقسط ، إلى سائر ما يجب عليه ، وهذا يدخل - إن شاء اللَّه - في كل نعمة أنعم اللَّه تعالى بها على العباد مما يطول شرحها .

٣٦
باب في الدين النصيحة

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١٢٢] ح عبد العزيز بن أحمد [٥] قال : ح محمد بن إبراهيم البَكْرِي قال : ح محمد بن إسماعيل قال : حدثني أبو ضمرة عن ابن

= المستدرك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤/١٥٠) رقم (٧١٨٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن أبي رجاء العطاردي بلفظ مقارب (٣/٢٧١) رقم (٥٨٨٨) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي الأحوص عن أبيه في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من إظهار نعمة اللَّه جل وعلا (١٢/٢٣٥) رقم (٥٤١٧) .

(١) الجدة : قال في لسان العرب في مادة (وجد) : وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً أي استغنى غنى لا فقر بعده .

(٢) زاد في (س) بعدها : وهو .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) في هامش (س) : أي الغافل .

(٥) في (س) و (خ) : محمد .

عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ** [(١)] ، **إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ** » . [٣٠/ب] قِيلَ : لِمَنْ يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **لِلَّهِ ، ولِكِتَابِه ، ولِرَسُولِهِ ، ولأَئمَّةِ المُؤْمِنِينَ ، ولِعَامَّتِهِمْ** » [(٢)] .

قال المصنف رحمه الله : قال أبو الحسن بن أبي ذر رحمه الله : النصح في الجملة عندي هو فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة مأخوذة [(٣)] من النصاحة وهو [(٤)] السلوك التي تخاط بها ، وتصغيرها نُصَيِّحَة ، تقول العرب [(٥)] : هذا قميص منصوح ، أي مخيط ، ونَصَحْتُه أَنْصَحُه نُصْحًا إذا خِطْتُه ، وإنما اختلف النصح في الأشياء لاختلاف أحوال الأشياء ، فالنصح للَّه تعالى هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس بأهل له عقدًا [(٦)] وقولًا ، والقيام بتعظيمه ، والخضوع له ظاهرًا وباطنًا ، والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، والجهاد في رد العاصين إلى طاعته قولًا وفعلًا وإرادة .

والنصيحة لكتابه إقامته في التلاوة ، وتحسينه عند القراءة ، وتفهم ما فيه واستعماله ، والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين .

والنصيحة للرسول ﷺ مؤازرته ونصرته ، والحماية من دونه حيًّا وميتًا ، وإحياء سنته بالطلب ، وإحياء طريقته في بث الدعوة وهو [(٧)] تأليف الكلمة ، والتخلق بالأخلاق الظاهرة .

---

(١) النصيحة : كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له ، النهاية مادة نصح (٥/٦٢) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن تميم الداري في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة (١/٧٤) رقم (٥٥) ، وأبو داود في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الأدب باب في النصيحة (٤/٢٨٦) رقم (٤٩٤٤) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة باب ما جاء في النصيحة ، وقال : حسن صحيح (٤/٣٢٤) رقم (١٩٢٦) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه عن أبي هريرة في كتاب البيعة باب النصيحة للإمام (٤/٤٣٣) رقم (٧٨٢٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن تميم الداري (٤/١٠٢) رقم (١٦٩٨٧) ، وابن حبان في صحيحه في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم النصيحة في دين اللَّه لنفسه وللمسلمين عامة (١٠/٤٣٥) رقم (٤٥٧٥) .

(٣) في (س) و (خ) : مأخوذ .

(٤) في (س) : وهي .

(٥) هذه الأقوال في لسان العرب مادة (نصح) ، (٢/٦١٥) .

(٦) عقدًا : يقال عقد قلبه على الشيء أي لزمه ، لسان العرب مادة (عقد) .

(٧) سقط من (س) و (خ) .

والنصيحة للأئمة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به [1] في تنبيههم عند الغفلة ، وتقويمهم عند الهفوة ، وسد خلتهم عند الحاجة ، ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ، ورد القلوب النافرة إليهم .

والنصيحة لجماعة المسلمين الشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحم صغيرهم ، وتفريج كربهم ، والسعي فيما يعود نفعه عليهم في الآجل ، ودعوتهم إلى ما يسعدهم ، والتوقي مما يشغل خواطرهم ، ويفتح باب الوسواس عليهم وإن [٣١/أ] كان في نفسه حقًّا وحسنًا .

والنصيحة للمسلمين رفع مؤنة بدنه ونفسه وحوائجه عنهم .

يقول [2] العبد الضعيف أبو الحسن - أحسن اللَّه إليه - : وقد أنشدني بعض المشايخ أبياتًا في النصيحة والإحسان لجميع الإخوان والخلان :

علامة الفضل في نفسه ... أن يدفع الشر بإحسان
والصابر الصادق في الدين من ... لا يترك النصح بطغيان
ومن أحب اللَّه لم يلهه ... عنه هوى باق ولا فان
وكان أهل الدين في قلبه ... أعز إخوان وخلان

وقال آخر :

أحسن أخاك وجد مع الجيران ... تملك رقابهم بذا الإحسان
واخفض جفونك إن مشى جار على ... أجفان عينك وافد بالإنسان
أد الحقوق ولا تكن متغافلًا ... وذر الهوى واحذر عن العصيان

٣٧
باب في ابتلاء من أحب النبي ﷺ

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١٢٣] ح نصر بن الفتح قال : ح أبو عيسى

---

(١) زاد في (س) بعد كلمة (به) : وفي بعض النسخ على ما تكلفوا القيام به .

(٢) من هنا لنهاية الأبيات غير موجود بالنسخة (س) ، لكنه موجود في هامش النسخة (خ) بدون ذكر اسم أبي الحسن ، : قال : قال العبد الضعيف وقد أنشدني بعض المشايخ في النصيحة والإحسان لجميع الإخوان والخلان ... وذكر الأبيات لنهايتها .

قال : ح محمد بن عمرو بن نبهان بن صفوان الثَّقَفِي [١] البَصْرِي قال : ح روح بن أسلم قال : ح شداد أبو طلحة الرَّاسِبِي [٢] عن أبي الوازع عن عبد الله بن مغفل ﷺ قال : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، واللَّهِ [٣] إِنِّي لأُحِبُّكَ [٤] . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **انْظُرْ ما تَقُولُ** » قَالَ : واللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - . قَالَ : « **إِنْ كُنْتَ تحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا** [٥] ، **فَإِنَّ الْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ** » [٦] .

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **فأعد للفقر تجفافًا** » أي أنك ادعيت دعوى كبيرة ، ومن ادعى شيئًا [٣١/ب] طولب بالبينة [٧] ، فكأنه قال : إنك مطالب لصحة [٨] دعواك بالاختبار لك بالصبر تحت أثقال الفقر ، وتحمل مكروهه ، وتجرع غصصه ، فاستعد لذلك فإن ذلك كائن . ومما يدل على ذلك [٩] قوله له : « **انظر ما تقول** » كأنه نبهه على أن ما ادعاه من محبته إياه ﷺ أنه أمر له غور [١٠] وليس ذلك بهيِّن ، وعلم النبي ﷺ أنه إنما يقول ما يقول عن غفلة لعظم ما ادعاه وحسبان منه وسلامة صدر ، وليس يقوله على التيقظ والعلم وتحقق معناه ، ألا ترى أن في الحديث :

---

(١) الثَّقَفِي : بفتح الثاء المثلثة والقاف ، هذه النسبة إلى ثقيف ، الأنساب (٣٦٧/١) .

(٢) الرَّاسِبِي : بكسر السين والباء الموحدة ، منسوب إلى بني راسب ، وهي قبيلة نزلت البصرة ، الأنساب (٢٨١/٢) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (س) : لا أحبك . ا.هـ . وهو خطأ إملائي يحيل المعنى ، وقد تكرر نفس الخطأ في باقي الحديث والأحاديث التالية .

(٥) تجفافًا : التجفاف ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، النهاية مادة (تجف) ، (١٨٢/١) وهو مستعار للصبر على مشاق الشدائد .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظ مقارب عن عبد الله بن مغفل في كتاب الزهد باب ما جاء في فضل الفقر ، وقال : حسن غريب (٥٧٦/٤) رقم (٢٣٥٠) ، وابن حبان في صحيحه بنحوه في ذكر البيان بأن البلايا تكون أسرع إلى محبي المصطفى ﷺ من الشيء المدلي إلى منتهاه أو الجاري إلى نهايته (١٨٥/٧) رقم (٢٩٢٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة (١٧٣/٢) رقم (١٤٧١) ، والحاكم في المستدرك بنحوه عن أبي ذر ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٣٦٧/٤) رقم (٧٩٤٤) ، والروياني في مسنده بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن مغفل (٨٨/٢) رقم (٨٧٢) .

(٧) زاد في (س) بعدها : عليه .

(٨) في (خ) : بصحة .

(٩) زاد في (س) بعدها : كذلك ا.هـ . وفي (خ) : أن ذلك كذلك .

(١٠) غور : غور كل شيء قعره وعمقه وبعده ، يقال : فلان بعيد الغور ، لسان العرب مادة (غور) .

« أن رجلًا أتاه » دل على أنه ليس من علية أصحابه [(١)] ﷺ ومن الذين لهم فضل العلم بالله .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **أعد للفقر تجفافًا** » تنبيهًا له ، وحثًا على العمل ، واستعدادًا لفقر يوم الحساب ، كأنه يقول له : لا تتكل على ذلك ، واعمل كيلا تأتي يوم القيامة وليس لك عمل صالح ، كما قال ﷺ : [١٢٤] « **يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ** [(٢)] **مُحَمَّدٍ اشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ اللَّهِ** ﷻ ، **فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكِ مِنَ اللَّهِ** ﷻ **شَيْئًا ، يا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ اشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا** [**غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا** » [(٣)] ، أي : سأصل رحمكم وأحسن إليكم بحق القرابة] [(٤)] ؛ حثًا لهم على العمل وترك التفريط فيه اتكالًا على قرب النسب منه .

ويجوز أن يكون النبي ﷺ علم من الرجل نظرًا إلى نفسه وإلى أوصافها بعين التعظيم ، فصرفه عن نظره إلى أوصافه بعين التعظيم [٣٢/أ] والاتكال عليها ، وهو ﷺ وإن دعاه إلى عمل لفقر يوم الحساب ، وعمله صفته فإنه دعا إليه جدًّا واجتهادًا ، فقد دعاه عنه اتكالًا عليه وسكونًا إليه ، ويدل على أنه أراد به فقر يوم الحساب .

قوله : « **أعد للفقر تجفافًا** » والتجفاف إنما يكون لرد الشيء والحول بينه وبينك ، وفقر الدنيا لمن أحب رسول الله ﷺ جائزة من الله وعطاء ، وعطاء الله وجائزته لا ترد ، فدل قوله : « **أعد للفقر تجفافًا** » أي لفقر يوم القيامة ليصرفه عنك .

ويجوز أن يريد به الفقر الذي هو قلة المال والضر وعدم المرافق [(٥)] ، وهو الفقر

---

(١) في هامش (خ) : أي كبراء أصحابه . (٢) في (س) : ابنة .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب المناقب باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية (١٢٩٨/٣) رقم (٣٣٣٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، (١٩٢/١) رقم (٢٠٤) ، والترمذيُّ في جامعه عن عائشة في كتاب الزهد باب ما جاء في إنذار النبي ﷺ قومه ، وقال : حديث عائشة حسن غريب (٥٥٤/٤) رقم (٢٣١٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الوصايا باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين (١٠٧/٤) رقم (٦٤٧١) ، والدارمي في سننه في كتاب الرقاق باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، (٣٩٥/٢) رقم (٢٧٣٢) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٣٦٠/٢) رقم (٨٧١١) .

(٤) سقط من (س) و (خ) .

(٥) المرافق : جمع مَرْفَق وهو ما استعين به ، والمرفق من الأمر ما ارتفقت وانتفعت به ، لسان العرب مادة (رفق) .

المعروف ، ويكون معنى قوله ﷺ : « **فأعد للفقر تجفافًا** » [١] تصونه [٢] وتدفع عنه ما يقدح فيه من الجزع [٣] والتكره [٤] والتشرق [٥] بمرارته [٦] ، فإن الفقر جائزة الله تعالى لمن اجتباه ، وخلعته عليه وبره به وإكرامه له وتحفته إياه ، وجزيل الثواب منه على جليل قدر هذه الصفة عنده وذلك أن الفقر زي أنبيائه عليهم السلام وحلية أوليائه ، وزينة المؤمنين ، وشعار الصالحين - رحمهم الله - كأنه يقول : إن هذا كائن من الله تعالى لك فاستعد لقبوله والاستقبال له والاستعداد لدفع ما يقدح من الصبر فيه والشكر عليه والصون له ، والدفع عنه تعظيمًا له وإجلالًا لقدره ، فكأنه ﷺ وإن ذكر الفقر من بين جميع المكاره فإنه لم يرد به خصوص الفقر الذي هو عدم الأملاك ، ولكنه أراد جميع المكاره [٣٢/ب] وأنواع المحن والبلايا ؛ لأنه قال : [١٢٥] « **إِذَا أَحَبَّ اللَّه تَعَالَى عَبْدًا صَبَّ عَلَيْهِ الْبَلاءَ صَبًّا وَسَحَّهُ عَلَيهِ سَحًّا** » [٧] .

ومن أحب رسول الله ﷺ أحبه الله ﷻ ، والمراد [٨] بالفقر المكاره والبلايا من أي وجه كان ، وليس ذلك خصوص الفقر ، ولكنه لما كان من عظيم المكاره وجليل البلايا عبر عن البلاء والمكروه به ، الدليل عليه قوله [٩] : إن أصحاب النبي ﷺ الأجلة منهم والكبار لم يكونوا مخصوصين بالفقر وعدم الأملاك ، ولم يكونوا بِخَالِين من البلايا العظام والمكاره الشداد . قالت عائشة رضي الله عنها : [١٢٦] « **تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فلو نَـزَلَ بِالجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ مَا نَزَلَ بِأَبِي لَهَاضَهَا** [١٠] » حدثناه أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البَغْدَادِي قال : ح المَدَايِنِي [١١] وهو عبد الله بن روح قال : ح شبابة [١٢] قال : ح عبد العزيز المَاجِشُونِي [١٣] عن عبد الواحد بن أبي عون عن القاسم بن محمد عن

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : أي تجفافًا . (٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : به .
(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : فيه . (٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : له
(٥) التشرق : من الشَّرَق بالماء والريق ونحوها كالغصص بالطعام ، لسان العرب مادة (شرق) والتشرق بمرارته مجاز فيما ناله من أمر الفقر وحل به حتى كأنه لم يقدر على إساغته وابتلاعه فغص به .
(٦) في (س) و (خ) : لمرارته . (٧) سبق في اللوحة رقم (٨/ب) .
(٨) في (خ) : فالمراد . (٩) سقط من (س) .
(١٠) في هامش (س) و (خ) : الهيض الكسر بعد الجبر .
(١١) المدائني : بفتح الميم والدال المهملة ، وكسر الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها ، وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى المدائن ، وهي بلدة قديمة مبنية على الدجلة ، الأنساب (٢٥٣/٤) .
(١٢) في (خ) : ابن شبابة .
(١٣) الماجشون : بفتح الميم وكسر الجيم وضم الشين المعجمة وفي آخرها النون ، قال ابن حبان : الماجشون =

عائشة ﵂ الحديث [(١)] ، وقتل عمر ، وحوصر عثمان أربعين يومًا ، وقد ذبح ﵁ ، ولقي علي ﵁ ما لقي ، وكأنه كان مخصوصًا بالبلاء مرادًا به أكثر عمره ، ولقيت عائشة ﵂ ما لقيت بالجمل ، وطلحة والزبير قتلا ، وتوفي أبو ذر بالربذة [(٢)] وحيدًا فريدًا ، وعمران بن حصين أضني [(٣)] على سرير منقوب [(٤)] ثلاثين سنة ، وخباب بن الأرت مرض مرضًا طالت مدته حتى اكتوى في بطنه سبعًا ، وكذلك عامة أصحابه لقوا من البلايا والشدائد أنواعًا ، وهؤلاء هم المخصوصون بشدة المحبة لرسول الله ﷺ ولم يبتلوا كلهم بالفقر خاصة ولكن بأنواع البلايا [٣٣/أ] ، وقد صرح بذكر البلاء خبر آخر حدثنا به أحمد بن سهل قال : ح صالح بن محمد قال : ح عبيد الله بن عمر قال : ح يوسف ابن يزيد أبو معشر [(٥)] البراء قال : ح شداد بن سعيد عن أبي [الوازع] [(٦)] جابر بن عمرو عن عبد الله بن مغفل [(٧)] ﵁ قال : [١٢٧] قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لأُحِبُّكَ ، قَالَ : « **فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا ، فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا ، فَإِنَّ الْبَلاءَ أَسْرَعُ إِلى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ** » [(٨)] .

= بالقادسية المورِّد ، الأنساب (٢٠٣/٤) .

(١) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن عائشة (٢٠٠/٨) رقم (١٦٦٢٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٣٤/٧) رقم (٣٧٠٥٥) ، والمحاملي في أماليه (ص ١٤٠) ، والحارث في مسنده (٨٩٣/٢) رقم (٩٦٦) ، والطبراني في الأوسط (٣١٩/٤) رقم (٤٣١٨) ، وفي الصغير (٢١٤/٢) رقم (١٠٥١) .

(٢) الربذة : بالتحريك والذال المعجمة موضع كانت به وقعة بين أهل الردة وأبي بكر الصديق ، معجم البلدان (٦٨/١) ، وهي من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري ﵁ واسمه جندب بن جنادة وكان قد خرج إليها مفاجئًا لعثمان ابن عفان ﵁ فأقام بها إلى أن مات في سنة (٢٣ هـ) ، معجم البلدان (٢٤/٣) .

(٣) في هامش (س) : الضَّني المرض ، فهو رجل ضَنًى وضنٍ ا.هـ .

(٤) في (خ) : بمنقوب .

(٥) في (خ) : معسر .

(٦) في (س) : الوازع قال : ح . ا.هـ . وهو خطأ ؛ لأن اسم أبي الوازع جابر بن عمرو وهو بَصْرِي ، الكنى للبخاري (٨٤/١) رقم (٨٢٨) .

(٧) زاد في (س) بعدها : صاحب رسول الله ﷺ .

(٨) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن مغفل (١٨٥/٧) رقم (٢٩٢٢) ، وأخرج نحوه الطبراني في الكبير عن محمد بن إبراهيم بن عنمة الجُهَني عن أبيه عن جده (٨٣/١٨) رقم (١٥٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه جماعة لم أعرفهم (٣١٣/١٠) .



٣٨ باب في العين

حديث آخر : قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : [١٢٨] ح أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البَغْدَادِي قال : ح عبيد الله بن محمد بن إبراهيم الكَشْوَرِي [١] الصَّنْعَانِي قال : ح عبد ربه بن عبد الله [٢] العَبْدِي عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : أَتَى جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَوَافَقَهُ مُغْتَمًّا ، فَقَالَ : « يا مُحَمَّدُ ما هَذَا الغَمُّ [٣] الذي أَرَاهُ في وَجْهِكَ ؟ قَالَ : **الحَسَنُ والحسَيْنُ أَصَابَهُمَا عَيْنٌ** . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، صَدِّقْ بِالْعَيْنِ ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ » [٤] وذكر الحديث [٥] .

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يجوز أن يكون معنى « **العين** » : العين التي تجري منها الأحكام والأمور في الخلق وهو القضاء القديم والقدر السابق والكتاب الأول الذي بين الله تعالى فيه ما حكم في خلقه وعلى عباده [ما يصيبهم] [٦] من المكاره والمحاب والآلام والملاذ وما يعملونه من الخير والشر وسائر أحوالهم وما قضى في أرضه وسمائه ، فكأنه يقول له : صدق وتحقق ، فإن الذي أصابهما بقضاء الله وقدره ، وإن ذلك شيء لم يحدث في الوقت كما قال ﷺ لعمر رضي الله عنه حين قال له : [١٢٩] « أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ فِيهِ أَنَعْمَلُ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ [٧] أَوْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : **عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ** » [٨] . وكذلك [٣٣/ب]

---

(١) الكَشْوَرِي : بفتح الكاف ، وقيل : بالكسر والواو ، بينهما الشين المعجمة ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى كَشْوَر ، وهي قرية من قرى صنعاء اليمن ، الأنساب (٤/١٥٥) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : عبد ربه .

(٣) الغم : الكرْب ، لسان العرب مادة (غمم) .

(٤) الحديث أخرجه خيثمة بن سليمان الأطرابلسي في كتابه (من حديث خيثمة) بألفاظ متقاربة عن علي ابن أبي طالب (ص ٢٠٤) ، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (جـ١٠) رقم (٢٨٥٤٦) وعزاه لابن منده في غرائب شعبة ، والجُرجاني في الجُرجانيّات ، والأصبهاني في الحجة ، قال المتقي الهندي : تفرد به أبو رجاء محمد بن عبيد الله الخطيبي من أهل تستر .

(٥) زاد في (س) بعدها : إلى آخره . ا.هـ . ثم ذكر في هامشها التعليق الآتي : أي ذكر الحديث بتمامه ، وتمامه : « فإن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر » .

(٦) سقط من (س) .

(٧) في هامش (س) : (الاستئناف) و (الائتناف) الابتداء (ص) . ا.هـ . وفي لسان العرب : استأنف الشيء وَأْتَنَفَه : أخذ أوله وابتداءه ، لسان العرب مادة (أنف) .

(٨) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن سالم بن عبد الله عن أبيه في كتاب القدر باب =

قوله : « صدق بالعين » يعني صدق بالقدر ، ومعنى قوله : صدق بالقدر كأنه يقول له : أنت مصدق بالقدر فما هذا الحزن الذي ظهر فيك [(١)] ، وليس على معنى أنه يأمره بأمر لم يكن [(٢)] فيه ، وهذا كما يقول القائل لمن يعمل عملًا ثم يعرض له ذكر شيء فيقول له : اعمل عملك ولا يهمنك هذا ، فكذلك قوله : « صدق بالقدر » الذي أنت به مصدق ، ولا يهمنك أمر الحسن والحسين ﷺ فإن اللَّه تعالى يعافيهما .

ويجوز أن يكون قول النبي ﷺ : « **أصابهما عين** » هي الآفة التي تصيب الإنسان عند استحسان أحد شيئًا من عمله أو نفسه أو بدنه ، فتصيبه علة في ذلك الوقت ، وذلك بقضاء اللَّه وقدره لا أن يحدث الناظر في المنظور إليه فعلًا ، فإن المحدث لا يفعل في غيره ، وإنما [(٣)] يفعل في نفسه ، ومحل قدرته ، فقال له جبريل عليه السلام : « صدق بالعين » التي هي القضاء والقدر فإنها حق ، وهذه الآفة والعلة تزول عنهما فعوذهما بكذا ، وذكر [(٤)] الحديث تسكينًا لقلوب العباد ، وتحقيقًا أن الذي [أصاب المعين] [(٥)] [(٦)] إنما أصابه من اللَّه تعالى ، ألا يرى أنه عوذه باللَّه عز وجل .

وقال بعض الناس : إن العين داء كانت العرب تعرفها ، وعلة كانت تسمى عينًا ، ولذلك قيل : [١٣٠] « إِنَّ الْعَيْنَ تُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبرَ والجمَلَ القِدْرَ » [(٧)] ، أي هذا الداء [(٨)] يقتل .

وقال بعضهم : إن الناظر إذا نظر إلى شيء فاستحسنه حتى شغل به عن ذكر

= ما جاء في الشقاء والسعادة ، وقال : حسن صحيح (٤/٤٤٥) رقم (٢١٣٥) ، وأحمد في مسنده (١/٢٩) رقم (٩٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٩/٣٥٣) رقم (٥٤٦٣) ، والبزار في مسنده (١/٢٣٢) رقم (١٢١) ، والطَّيَالِسِي في مسنده (٢/٤) رقم (١١) ، وقد أخرجه من كلام أبي بكر الصديق أحمد في مسنده (١/٥) رقم (١٩) إلا أن في إسناده رجلًا مبهمًا لم يسمه ، مجمع الزوائد (٧/١٩٤) ، والطبراني في الكبير (١/٦٤) رقم (٤٧) ، والبزار في مسنده وحسن إسناده (١/٨٣) رقم (٢٨) .

(١) في هامش (س) : أي في وجهك الشريفة ا.هـ . (هكذا) .

(٢) زاد في (س) بعدها : هو .

(٣) في (خ) : فإنما .

(٤) زاد في (خ) بعدها : في .

(٥) في هامش (س) : و (عانه) من باب باع : أصابه بعينه فهو عائن وذاك معين (ص) ا.هـ .

(٦) في (خ) : أصابه العين .

(٧) الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظه بدون « إن » عن جابر مرفوعًا (٧/٩٠) ، والخطيب البَغْدَادِي في تاريخ بغداد (٩/٢٤٤) رقم (٤٨١٨) .

(٨) في (خ) : البلاء .

اللَّه ﷻ ولم يرجع إلى اللَّه تعالى [٣٤/أ] وإلى رؤية صنعه أحدث اللَّه ﷻ في المنظور علة ، ويكون (١) ذلك الناظر سببها ، فيؤاخذه اللَّه بجنايته بنظره إليه على غفلة من ذكر اللَّه تعالى ، كأنه هو الذي فعلها به ، وهذا كضرب (٢) الضارب بالسيف فيحدث اللَّه تعالى الجراحة في المضروب والألم فيه ، أو خروج الروح على أثره ويكون هو القاتل والجارح ، وإن كان موت المضروب وألمه فعل اللَّه تعالى وليس بفعل الضارب ، ولكن لما كان الضارب منهيًّا عن الضرب بغير حقِّه لحِقَهُ الوعيد الذي أوعده اللَّه تعالى به واستحقه بجنايته وهو الضرب ، فكذلك الناظر نهي عن نظره إلى شيء من الأشياء على غفلة ونسيان ذكر اللَّه ﷻ ، فكانت هذه جنايته ، فيجوز أن يحدث اللَّه ﷻ في المنظور علة يأخذ الناظر بجنايتها (٣) [يبينك (٤) هذا أن النظر على الغفلة أثر في المنظور، فكيف لا يؤثر في الناظر من الوعيد] (٥) .

٣٩
باب في الكتمان في قضاء الحوائج

حديث آخر : قال المصنف رحمه الله : [١٣١] ح محمد بن أحمد البَغْدَادِي قال : ح إسماعيل بن إسحاق القاضي قال : ح سعيد بن سلام العطار الأعور قال : ح ثور بن يزيد (٦) عن خالد بن معدان عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه رفعه قال : « **اسْتَعِينُوا عَلَى نَجَاحِ (٧) الحَوَائِجِ (٨) بِالْكِتْمَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ** » (٩) .

---

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : نظر .
(٢) في (خ) : كالضرب من .
(٣) زاد في (س) بعدها : وذلك بقضاء اللَّه وقدره .
(٤) في هامش الأصل : ينبئك . (٥) سقط من (خ) .
(٦) زاد في (س) و (خ) بعدها : الشامي .
(٧) في هامش (س) : النجاح بالفتح الظفر بالحوائج (ص) ا.هـ .
(٨) في هامش (س) : والحوائج جمع الحاجة على غير القياس (ص) . ا.هـ .
(٩) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ مقارب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه (٩٤/٢٠) رقم (١٨٣) ، وفي الأوسط (٥٥/٣) رقم (٢٤٥٥) ، وقال : لا يروى هذا الحديث إلا بهذا الإسناد تفرد به سعيد ، وفي الصغير (٢٩٢/٢) رقم (١١٨٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧٨/٥) رقم (٦٦٥٥) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٢١٥/٥) ، والروياني في مسنده (٤٢٨/٢) رقم (١٤٤٩) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٤١١/١) رقم (٧٠٧) والعقيلي في الضعفاء (١٠٨/٢) ترجمة رقم (٥٨٠) ، =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معناه : اكتموا حوائجكم ولا ترفعوها إلى الناس ، فإنكم إذا رفعتموها إليهم ربما يكون المرفوع إليه بعض حسادكم ولا يحب قضاء الحاجة لكم فيحسدكم على نعمة القضاء فيمتنع عنه ، أو يحسدكم [٣٤/ب] على النعمة بألا تكونوا محتاجين ، فإذا أظهرتم حاجتكم شمت [1] بكم ، وانتظروا الفرج ونجاح الحاجة من الله ﷻ فإنه يحب قضاءها لكم إذا كنتم إليه منقطعين وبقضائه راضين ، وعلى كتمان حوائجكم وضروراتكم صابرين .

ويجوز أن يكون معنى قوله : [« **استعينوا على نجاح حوائجكم بالكتمان** » أي] [2] استعينوا بالله على نجاح الحوائج في حال الكتمان لها ، أي كونوا لها كاتمين ، واستعينوا بالله تعالى على نجاحها ، وتكون الباء الموصولة بالكتمان بمعنى « في » ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] ، أي : استعينوا بالله في حالة الصبر والصلاة ، أي استعينوا بالله ﷿ وكونوا صابرين مصلين ، فكأن النبي ﷺ أشار إلى الصبر والصلاة [3] والقناعة [4] والرضا ، فإن كتمان الحاجة من إحدى هذه الوجوه ، إما أن يكون راضيًا فلا يريد عنه حولًا [5] رضًا منه بقضاء ربه ﷻ أو يكون قانعًا سهل عليه تحمل الألم فيه ؛ لأنه اختيار الله له ، أو صابرًا بتجرع غصصه رجاء ثواب الله ﷻ ، فمن كانت إحدى هذه الخصال فيه فإنه يقضي له حاجته ؛ لأنها من خصال من لو أقسم على الله لأبره ، بل تكون حاجته مقضية ؛ لأن الراضي إنما يريد موافقة الله ، وقد أصابها في رضاه ، والقانع إنما يريد ما اختار الله له ، وقد أصاب ما اختار الله في قناعته .

والصابر إنما يريد ثواب الله تعالى ، وقد أصابه في هذه [6] ؛ لقوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] وكل هذه الخصال [7] والأحوال نعم من

= والحديث إسناده ضعيف فيه سعيد بن سلام العطار تفرد به وهو يذكر بوضع الحديث وهو منكر الحديث ويتبين على حديثه ورواياته الضعف ، الكامل في ضعفاء الرجال (٤٠٤/٣) ترجمة رقم (٨٢٨) ، قال العقيلي في الضعفاء عن الحديث : لا يتابع عليه (١٠٨/٢) ترجمة رقم (٥٨٠) .

(١) في هامش (س) : الشماتة ببلية العدو وبابه سلم (ص) ا.هـ .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) في (خ) : القنوع . ا.هـ . وفي هامش (س) : والقناعة الرضا بالقسمة وبابه سلم فهو قنع وقنوعٌ (ص) .

(٥) في هامش (س) : التحول والتنقل من موضع إلى موضع والاسم الحول ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٨] (ص) .

(٦) في (س) و (خ) : صبره .

(٧) سقط من (س) و (خ) .

الله تعالى [٣٥/أ] جليلة على عباده ، وهم عليها محسودون من العدو والولي ، أما العدو يريد زوالها عنه ، فيكبته الله تعالى بإدامتها للمحسود ، وأما الولي فإنه يتمناها لنفسه ، كما قال : [١٣٢] « **لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ** »(١) .

٤٠
باب في أشد الناس بلاء

حديث آخر(٢) : [١٣٣] وحدثناه(٣) أبو العباس أحمد بن السباع بن الوضاح الخطيب قال(٤) : ح محمد بن الضوء قال : ح عمرو بن عون الواسطي ، قال : ح خالد عن العلاء بن المسيب عن أبيه عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : سئل النبي ﷺ : **أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : « الأَنْبِيَاءُ ثمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، ثمَّ يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ ، فَمَنْ ثَخُنَ(٥) دِينُه ثَخُنَ بَلاؤُه ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلاؤُه »**(٦) .

قال المصنف رحمه الله : أكثر البلايا من وجهين : سلب المحبوب ، وحمل المكروه . والمحبوبات مسكون إليها ، ومن ساكن شيئًا شغل به وأقبل عليه ، والمكاره مهروب منها ومن هرب عن شيء أدبر عنه ، والأنبياء عليهم السلام والأمثلون أحباء الله ، والله جل جلاله حبيبهم ، والحبيب يحب مواجهة حبيبه له بوجهه(٧) وإقباله عليه بكليته ، فسلبهم المحبوبات والملاذ ليصرف بوجوههم إليه ، ويقبل بقلوبهم عليه ، ويحملهم المكاره ليهربوا منها

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٠/ب) .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في (خ) : حدثنا .

(٤) في (س) : وقال .

(٥) ثخن : ثخن الشيء كثف وغلظ وصلب ، والإثخان في الشيء المبالغة فيه والإكثار منه ، لسان العرب مادة (ثخن) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بنحوه عن مصعب عن أبيه في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وقال : حسن صحيح (٦٠١/٤) رقم (٢٣٩٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطب باب أي الناس أشد بلاء ؟ (٣٥٢/٤) رقم (٧٤٨١) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (١٣٣٤/٢) رقم (٤٠٢٣) ، والدارمي في سننه في كتاب الرقاق باب في أشد الناس بلاء (٤١٢/٢) رقم (٢٧٨٣) ، وأحمد في مسنده (١٨٥/١) رقم (١٦٠٧) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي (٩٩/١) رقم (١٢٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٨٣/٧) رقم (٢٩٢٠) .

(٧) من هامش الأصل .

إليه ، فيدبروا من الأشياء ويقبلوا عليه [بكليتهم ليكونوا له ومعه وفيه بفضله ورحمته وهو أرحم الراحمين] (١) (ن) .

٤١
باب في طلب الحوائج إلى حسان الوجوه

حديث آخر : قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ : [١٣٤] ح أبو إسحاق إبراهيم بن حمد (٢) بن يوسف قال : ح عبد الصمد بن الفضل قال : ح خالد بن عبد الرحمن المَخْزُومِي عن خيرة [٣٥/ب] بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **اطْلُبُوا الحَاجَةَ إِلَى حِسَانِ الوُجُوهِ و (٣) محَاسِنِ الأَخْلاقِ** » (٤) وقال (٥) : [١٣٥] « **إِنَّ اللَّه تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ** » (٦) .

---

(١) سقط من (س) و (خ) ويوجد مكانها العبارة الآتية : (فإذا أقبلوا عليه أبلاهم به) .

(٢) في (س) و (خ) : أحمد ا.هـ . وهو خطأ ، الإكمال لابن ماكولا (٩٧/٧) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج بألفاظ متقاربة عن عائشة (ص ٥٧) رقم (٥١) وأبو يعلى في مسنده (١٩٩/٨) رقم (٤٧٥٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه من لم أعرفهم (١٩٥/٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه عن أبي مصعب الأنصاري (٢٩٨/٥) رقم (٢٦٢٧٦) ، والبرجلاني في الكرم والجود (ص ٣٨) رقم (١٨) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بألفاظ متقاربة (٩٤٧/٣) رقم (١٦٥١) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن ابن عمر (٢٨٦/١) رقم (٦٦١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٢٤٣) رقم (٧٥١) ، والطبراني في الأوسط بلفظه عن أبي هريرة (١٢٩/٤) رقم (٣٧٨٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك (١٩٥/٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان عنه بلفظ مقارب عن عائشة (٢٧٨/٣) رقم (٣٥٤١) كلهم دون لفظ : « ومحاسن الأخلاق » ، قال العقيلي في الضعفاء : وليس في هذين البابين عن النبي ﷺ شيء يثبت (١٣٨/٢) ترجمة رقم (٦٢٨) ويعني بالبابين حديث « زر غبًا تزدد حبًا » وحديث « اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه » وقال في موضع آخر : ليس له طريق يثبت (٣٢٠/٢) ترجمة رقم (٩٠٩) وقال ابن عدي في الكامل عن الأحاديث الواردة في هذا الباب : (كلها موضوعة (٢٠٤/٢) ترجمة رقم (٣٨٩) .

(٥) في (س) و (خ) : وقالت : قال رسول الله ﷺ .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن ابن مسعود في كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه (٩٣/١) رقم (٩١) ، وأحمد في مسنده (٣٩٩/١) رقم (٣٧٨٩) ، والحاكم في المستدرك وسكت عنه الذهبي (٢٠١/٤) رقم (٧٣٦٥) ، وابن حبان في صحيحه في ذكر ما يستحب للمرء تحسين ثيابه وعمله إذا قصد به غير الدنيا (٢٨٠/١٢) رقم (٥٤٦٦) ، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص ٢٦٤) رقم (٢١٨) ، =

قال المصنف رحمه الله : يجوز أن يكون معنى « **حسان الوجوه** » أي الذين وجوههم طلقة [(١)] مستبشرة بسطة ، فإن ذلك يدل على سعة صدورهم وحسن أخلاقهم وتحريهم مسرة الناس ، ومن اتسع صدره لا يصعب عليه قضاء الحاجة لأخيه [(٢)] ، ومن حَسُنَ خلقُه استحيا من الرد ، ومن اتسع صدره يسخو بما في يده ، فإن البخل من ضيق الصدر [(٣)] ؛ لأنه يخاف أن يحتاج إلى ما يطلب منه [(٤)] ، فيتمسك به صيانة [(٥)] لحاجته إليه ؛ لضيق صدره عن تحمل الخصاصة إن دفع إليها ، ومن تحرى مسرة الناس يسارع إلى قضاء حوائجهم ؛ لأن طلاقة وجهه وبسطه [(٦)] إنما يريد به مسرة الناس ويطلب محابهم وقضاء حوائجهم ، مسرتهم ومحابهم ، الدليل على ذلك ما ذكر في الحديث : « **ومحاسن الأخلاق** » وفي بعض الروايات : [١٣٦] « **اطْلُبُوا الحوَائِجَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ** » [(٧)] فيجوز أن يكون معناه : اطلبوا الحوائج إلى الله وكونوا عند حسان الوجوه أي وجوه أحوالهم ، كأنه يقول : خالطوا الذين حسنت أحوالهم في معاملتهم لله في قضاء فروضه واجتناب مناهيه وقبول أحكامه ، وحسنت معاملاتهم بالعباد في تحمل أذاهم وطلب محابهم ، وكف الأذى عنهم ، كأنه يقول : كونوا عند الصالحين من عباده كما قال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ [٣٦/أ] ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] وقال ﷺ : [١٣٧] « **أطْعِمُوا طَعَامَكم الأبْرَارَ** [(٨)] » [(٩)] كأنه يريد الخلطة ، أي خالطوا الأبرار من الناس ، وكونوا معهم ، يدل على ذلك قوله ﷺ : [١٣٨]

= وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد (٢/٣٢٠) رقم (١٠٥٥) .

(١) في هامش (س) : يقال : رجل طلق الوجه وطليق الوجه (ص) ا.هـ .

(٢) في هامش (س) : المؤمن .

(٣) في هامش (س) : أي من ضيق صدر البخيل .

(٤) في هامش (س) : من البخيل .

(٥) في (س) : ضنًّا به .

(٦) زاد في (خ) بعدها : يدل على أنه .

(٧) أخرجها ابن أبي الدنيا بلفظها عن ابن عمر في قضاء الحوائج (ص ٥٧) رقم (٥١) ، وتمام الرازي في الفوائد عن جابر بن عبد الله (٢/١٨٧) رقم (١٤٨٨) .

(٨) الأبرار : جمع بر وهو كثيرًا ما يخص بالأولياء والزهاد والعباد ، النهاية مادة (برر) ، (١/١١٦) .

(٩) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان بلفظ مقارب عن أبي سعيد الخُدْري (ص ٢٣١) رقم (١٩٦) ، والبرجلاني في الكرم والجود (ص ٤٨) رقم (٤١) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١/٤١٤) رقم (٧١٣) .

« **خَالِطُوا الحُكَمَاءَ** » (١) (٢) فيكون معنى قوله : « **اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه** » أي اطلبوا الحوائج من اللَّه وكونوا عند حسان الوجوه أي كونوا مع الصالحين .

وقوله : « **إن اللَّه جميل يحب الجمال** » ، أي جميل الأفعال بكم حسن النظر إليكم مريد لصلاحكم ، جميل المعاملة معكم يرضى بالقليل ، ويثيب عليه الجزيل ، ويقبل الحسنات المدخول عليها ويعفو عن السيئات المسكون إليها ، ويكلفكم اليسير ، ويعينكم عليه ويعطيكم الجزيل ويشكركم عليه (٣) فهو يحب الجمال منكم ، أي التجمل منكم في قلة إظهار الحاجة إلى غيره ، فإنه قام لكم بها وما زوى (٤) عنكم زواها نظرًا لكم ، وإرادة الخير لكم ، فتجملوا فيما بينكم وبينه (٥) ولا تشكوه إلى غيره بإظهار حوائجكم ، فهو جميل الفعل بكم يحب التجمل منكم .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **إن اللَّه تعالى جميل يحب الجمال** » أنه جميل الفعل بخلقه كما قلنا ، من ذلك قضاء حاجات الخلق ، فيحب منكم [هذه الصفة ، أي يحب منكم] (٦) قضاء حوائج إخوانكم ، [وهو الجمال] (٧) ، وبه الجمال لكم .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه** » أي اطلبوا حوائجكم من اللَّه تعالى بكونكم عند حسان الوجوه ، [ووجوه أحوالكم] (٨) أي إذا كنتم عند الصالحين من عباده بالحب لهم [والخدمة لهم والأخذ منهم] (٩) والتخلق بأخلاقهم شكر اللَّه ذلك لكم فقضى حوائجكم [٣٦/ب] كما قال ﷺ : [١٣٩] « **لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كَمَا يَرْزُقُ الطَّيرَ تَغْدُو** (١٠) **خِمَاصًا** (١١)

---

(١) الحكماء : جمع حكيم ، قيل : هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها ، وقيل : ذو الحكمة وهو عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، النهاية مادة (حكم) ، (٤١٨/١) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ مقارب ، عن أبي جحيفة (١٢٥/٢٢) رقم (٣٢٣) ، وابن عدي في الكامل وحسنه (٢٠٣/٥) ترجمة رقم (١٤٤٧) .

(٣) زاد في (س) بعدها : ولا يمن عليكم وتعطون القليل ويشكركم . ا.هـ .

(٤) زوى : زوى الشيء نحاه فتنحى ، لسان العرب مادة (زوي) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) سقط من (خ) .

(٧) السابق .

(٨) في (خ) : وجوه أحوالهم .

(٩) سقط من (س) .

(١٠) تغدو : تسير أول النهار ، لسان العرب مادة (غدو) .

(١١) خماصًا : جياعًا ضامري البطن ، لسان العرب مادة (خمص) .

وتَرُوحُ[(١)] بِطَانًا »[(٢)] [(٣)] ، وكما قال ﷺ :[١٤٠] « قَوْمٌ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهُم »[(٤)] .

٤٢
باب في نفور الملائكة من رفقة بها كلب أو جرس

حديث آخر : [١٤١] حدثنا نصر بن الفتح حدثنا أبو عيسى ح قتيبة ح عبد العزيز ابن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « لا تَصْحَبُ الملائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ ولا جَرَسٌ »[(٥)] .

---

(١) تروح : تذهب أو تسير بالعشي ، لسان العرب مادة (روح) .

(٢) بطانًا : ممتلئة البطون ، لسان العرب مادة (بطن) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن عمر بن الخطاب ﷺ في كتاب الزهد باب في التوكل على اللَّه ، وقال : حسن صحيح (٥٧٣/٤) رقم (٢٣٤٤) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب التوكل واليقين (١٣٩٤/٢) رقم (٤١٦٤) ، وأحمد في مسنده (٣٠/١) رقم (٢٠٥) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي (٣٥٤/٤) رقم (٧٨٩٤) ، وابن حبان في صحيحه في ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قطع القلب عن الخلائق (٥٠٩/٢) رقم (٧٣٠) ، وابن أبي عاصم في الزهد (١٨/٢) ، والبزار في مسنده (٤٧٦/١) رقم (٣٤٠) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة ﷺ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل مجالس الذكر (٢٠٦٩/٤) رقم (٢٦٨٩) ، وأحمد في مسنده (٢٥١/٢) رقم (٧٤١٨) ، والحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث صحيح تفرد بإخراجه مسلم بن الحجاج مختصرًا (٦٧٢/١) رقم (١٨٢١) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٢٨٦/٢) ، وأبو داود الطَّيَالِسِي في مسنده بلفظه (٣١٩/٢) رقم (٢٤٣٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب (٣٩٩/١) رقم (٥٣١) ، والطبراني في الدعاء (ص ٥٣٠) رقم (١٨٩٤) .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة ﷺ في كتاب اللباس والزينة باب كراهة الكلب والجرس في السفر (١٦٧٢/٣) رقم (٢١١٣) ، وأبو داود في سننه بلفظ مقارب في كتاب الجهاد باب في تعليق الأجراس (٢٥/٣) رقم (٢٥٥٥) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الجهاد باب ما جاء في كراهية الأجراس على الخيل ، وقال : حسن صحيح (٢٠٧/٤) رقم (١٧٠٣) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب في كتاب السير باب التغليظ في الأجراس (٢٥١/٥) رقم (٨٨١٠) ، والدارمي في سننه في كتاب الاستئذان باب في النهي عن الجرس (٣٧٤/٢) رقم (٢٦٧٦) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٤٤٤/٢) رقم (٩٧٣٦) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : قد ورد الخبر بأن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : [١٤٢] « إِنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ولا صُورَةٌ » (١) أما الكلاب فيجوز أن يكون تستقذرها الملائكة ، والكلاب أيضًا مؤذية للناس ، ولا فائدة في إمساكها لغير ماشية أو صيد فما كان لغير ذلك فإمساكها مع قذرها ونجاستها وأذاها (٢) لغير فائدة معصية للَّه تعالى ، وأما (٣) الصورة ، فإن النبي عليه السلام قال : [١٤٣] « **مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ ولَيْسَ بِفَاعِلٍ** » (٤) (٥) ؛ لأن فيها منازعة اللَّه ؛ إذ اللَّه الخالق المصور ، وفيها أخبار في التشديد من الوعيد ، فهي للَّه كبيرة (٦) ، فيكون تخلف الملائكة عليهم السلام عن البيت الذي فيه كلب أو (٧) صورة لأجل معصية أهل البيت للَّه في ذلك ، وأما الجرس إنما يعلق على أعناق الجمال والدواب للرعاية والحفظ ليعرف سيرها ووقوفها ، وعدولها عن الطريق يمنة ويسرة أو سيرها عن سنن الطريق ، وقد تسكن قلوب الرفقة (٨) إليها فما (٩) داموا

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظه مع تقديم كلمة (صورة) عن سالم عن أبيه في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم : آمين (٣/١١٧٩) رقم (٣٠٥٥) ، ومسلم في صحيحه بلفظه عن عائشة رضي الله عنها في كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٣/١٦٦٤) رقم (٢١٠٤) ، وأبو داود في سننه بلفظه عن ميمونة في كتاب اللباس باب في الصور (٤/٧٤) رقم (٤١٥٧) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب عن ميمونة في كتاب الصيد والذبائح باب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب (٣/١٤٨) رقم (٤٧٩٤) ، وابن ماجه في سننه بلفظه عن عائشة في كتاب اللباس باب الصور في البيت (٢/١٢٠٤) رقم (٣٦٥١) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) في (س) و (خ) : وكذلك .

(٤) زاد في (خ) بعدها : وليس بنافخ ولا مستطيع له بفاعل .

(٥) الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب اللباس باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ (٥/٢٢٢٣) رقم (٥٦١٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٣/١٦٧١) رقم (٢١١٠) ، وأبو داود في سننه بنحوه في كتاب الأدب باب ما جاء في الرؤيا (٤/٣٠٦) رقم (٥٠٢٤) ، والترمذي في جامعه في كتاب اللباس باب ما جاء في المصورين ، وقال : حسن صحيح (٤/٢٣١) رقم (١٧٥١) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب الزينة باب التصاوير (٥/٥٠٢) رقم (٩٧٨٢) ، وأحمد في مسنده (١/٢٤١) رقم (٢١٦٢) .

(٦) في (خ) : معصية عظيمة .

(٧) في (س) : و .

(٨) من هامش الأصل .

(٩) في (خ) : ما .

يسمعون [٣٧/أ] صوته فيتكلون على ذلك ويسكنون إليه . والملائكة حفظة للمسلمين من الآفات من بين أيديهم ومن خلفهم ، قال الله ﷻ : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١] إن استخفى السائر بالليل أو ظهر سائرًا (١) بالنهار ، فإذا اطمأنت قلوب الرفقة وسكنت نفوسهم إلى صوت الجرس في الحفظ لهم في سير الجمال والدواب انقطعت بقدر سكونها إليه عن الله تعالى ، فيجوز أن يكون الله تعالى يكلهم إلى ما توكلوا عليه ، ويصرف عنهم حفظته إذا اتخذوا لهم من عند أنفسهم حفظة . والجرس ليس كسائر الأسباب التي يتخذها الناس حاجزًا بينهم وبين الآفات ، كالأبواب (٢) والمغاليق والأوكية ، فإن أكثر ما يتخذها الناس من ذلك فيها فوائد أخر سوى التحرز بها عن الآفات ، وليس الجرس كذلك ؛ لأن هذه الفائدة التي اتخذه الناس لها إن زالت عنه لم يبق فيه معنى غير التلهي بصوته لمن استلذه ، والذي يستلذه فليس بلبيب . حدثنا حاتم ، ح يحيى [ح يحيى الحِمَّاني] (٣) ح سليمان هو ابن بلال (٤) عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : [١٤٤] « **الجَرَسُ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ** » (٥) إذًا فليس في الجرس معنى غير التحرز من الآفات ، والاتكال عليه في التحرز من الآفة ، والتحرز منها يكون بصحبة الملائكة الذين هم المعقبات وسبب استحضارهم ذكر الله ﷻ ، والتوكل عليه [٣٧/ب] والانقطاع عما دونه إليه ، وترك الاعتماد على ما سواه من حي وجماد .

٤٣
باب فيمن كان فيه فضل وخير

حديث آخر : [١٤٥] حدثنا حاتم بن عقيل ، ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى

---

(١) في (خ) : سارب ا.هـ . وفي هامشها : سائر .
(٢) في (خ) : من الأبواب . (٣) سقط من (س) .
(٤) في (خ) : هلال .
(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الجهاد باب في تعليق الأجراس (٢٥/٣) رقم (٢٥٥٦) ، وأحمد في مسنده (٣٦٦/٢) رقم (٨٧٦٩) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، (٦١٣/١) رقم (١٦٢٩) ، وابن حبان في صحيحه في ذكر العلة التي من أجلها لا تصحب الملائكة الرفقة التي فيها الجرس (٥٥٥/١٠) رقم (٤٧٠٤) ، وابن خزيمة في صحيحه في كتاب المناسك باب ذكر الدليل على أن الملائكة لا تصحب رفقة فيها جرس (١٤٧/٤) رقم (٢٥٥٤) .

الحِمَّاني ح ابن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه عن حكيم بن حزام ﷺ قال : قُلْتُ : يا رسُـــولَ اللَّهِ ، أَعْتَقْتُ أَرْبَعِينَ مُحَرَّرًا في الجاهِلِيَّةِ . قَالَ : فَقَالَ ﷺ : «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَبَقَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ**» [١] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **أسلمت على ما سبق لك من خير** » أي أن ذلك سابقة خير لك إلى ما بعده من إسلامك ، فتثاب على ما سبق لك من الخير ، ويجمع لك ذلك إلى ما تعمله في الإسلام ، ويجوز أن يكون ذلك [٢] « **أسلمت على ما سبق لك من خير** » أي ببركة تلك السابقة من الخير هداك اللَّه إلى الإيمان به والإسلام له ، فيكون فيه إشارة إلى أن من ظهر فيه [٣] خير كان ذلك دليلًا على سعادة تقدمت له من اللَّه ، وأن عاقبة من كان فيه فضل وخير وخلق حسن وفعل جميل تكون إلى خير وإن كان في الوقت ما كان . يدل على ذلك ما حدثنا حاتم ح يحيى [٤] الحِمَّاني ح عيسى بن يونس عن الأعمش عن أبي صالح - فيما نعلم - عن أبي هريرة ﷺ قال : [١٤٦] قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : [إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ كُلِّهِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ يَسْرِقُ [٥] . قَالَ : « **سَيَنْهَاهُ ما تَقُولُ** » [٦] فقد أخبر ﷺ] [٧] أن تلك الفضيلة التي فيه ، وهي صلاته بالليل ، بشرى من اللَّه على ما سبق له من السعادة ، وأنه يرجع إلى اللَّه تعالى ويتوب إليه (ن) [٣٨/أ] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن حكيم بن حزام مع بعض اختلاف في ترتيب الألفاظ (٤٣٤/٣) رقم (١٥٦١٣) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي (٥٥٠/٣) رقم (٦٠٤٦) ، والحميدي في مسنده بألفاظ متقاربة (٢٥٣/١) رقم (٥٥٤) ، والطبراني في الكبير (١٩٠/٣) رقم (٣٠٨٤) ، وابن منده في الإيمان (٥٠١/١) رقم (٣٩٢) .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) في (خ) : منه .

(٤) زاد في (خ) بعدها : حدثنا .

(٥) في (خ) : سرق .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٤٤٧/٢) رقم (٩٧٧٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح (٨٩/٧) ، وابن حبان في صحيحه في ذكر استحباب الإكثار للمرء من قيام الليل رجاء ترك المحظورات (٣٠٠/٦) رقم (٢٥٦٠) ، وأخرج نحوه ابن الجعد في مسنده عن جابر (ص ٣٠٦) رقم (٢٠٦٩) ، والدارقطني في الجزء (٢٣) من حديث أبي الطاهر (ص ١٤) رقم (٥) ، ووكيع بن الجراح في نسخته عن الأعمش (ص ٨٩) رقم (٣١) .

(٧) سقط من (س) .

٤٤

باب في هداية من شاء اللّه تعالى

حديث آخر : [١٤٧] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّاني ح ابن المبارك عن الأَوْزَاعِيِّ (١) عن ربيعة بن يزيد الدِّمَشْقِي عن عبد اللّه بن الدَّيْلَمِي (٢) عن عبد اللّه بن عمرو ﷺ قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول (٣) : « **إِنَّ اللّهَ تعَالى خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ (٤) ، ثمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ نُورِ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْءٌ فَقَد اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ (٥) فَقَدْ ضَلَّ** » . قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو ﷺ : فَمِنْ ثَمَّ (٦) ، أَقُولُ : جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللّهِ (٧) .

---

(١) قال السمعاني : الأَوْزَاعي بفتح الألف وسكون الواو وفتح الزاي في آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى الأوزاع ، وهي قرى متفرقة فيما أظن بالشام فجمعت ، وقيل لها : الأوزاع ، وقيل : إنها قرية تلي باب دمشق يقال لها : الأوزاع وهو الصحيح ، الأنساب (١٥٨/١) .

(٢) الدَّيْلَمِيّ : بفتح الدال المهملة ، وسكون الياء المعجمة بنقطتين من تحتها ، وفتح اللام ، وكسر الميم ، هذه النسبة إلى الديلم ، وهي بلاد معروفة ، الأنساب (٢٦٥/٢) .

(٣) زيادة من (س) . وفي هامشها التعليق الآتي : هذا الحديث مذكور في المصابيح في باب الإيمان بالقدر من (غير واضحة) لكن لفظ الحديث هكذا : « إن اللّه خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلّ » . ا.هـ .

(٤) في هامش (س) التعليق الآتي : قوله : « إن اللّه تعالى خلق خلقه في ظلمة » مستعار لما هم عليه من الجهل والضلال وكذا النور مستعار لهدايته وتبصيره أو المراد بها ظلمة الطبيعة من الميل إلى الشهوات . شرح ا.هـ .

(٥) في هامش (س) : التوضيح الآتي : من الجن والإنس ؛ لأن الملائكة خلقوا من النور . ا.هـ .

(٦) في هامش (س) : التوضيح الآتي : أي لأجل أن الاهتداء والضلال قد جرى في الأزل . أقول : قد جف القلم . وجفافه كناية عن انتهاء القسمة وقرارها وعدم تبدلها وتعبير على علم اللّه أي على ما علم اللّه في الأزل .

(٧) الحديث أخرجه الترمِذِي في جامعه بألفاظ مختلفة عن عبد اللّه بن عمرو في كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وقال : حسن (٢٦/٥) رقم (٢٦٤٢) ، وأحمد في مسنده (١٧٦/٢) رقم (٦٦٤٤) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة ، وقال الذهبي : على شرطهما ولا علة له (٨٤/١) رقم (٨٣) ، والبيهقي في سننه (٤/٩) رقم (١٧٤٨٨) ، وابن حبان في صحيحه (٤٣/١٤) رقم (٦١٦٩) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة وقال الألباني في تحقيقه : إسناده صحيح (١٠٧/١) رقم (٢٤١) ، والطبراني في مسند الشاميين (٣٠٤/١) رقم (٥٣٢) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : يجوز أن يكون معنى [١] قوله : « **خلق خلقه في ظلمة** » أي خلقهم [٢] جهالًا عن معرفة اللَّه تعالى فعبر عن الجهل بالظلمة ، أي إنهم لم يكونوا يهتدون إلى معرفة اللَّه تعالى من حيث هم ؛ لأن العبودية [٣] لا تدرك الربوبية ؛ لأن المعروف من الأشياء ما يدخل تحت الحواس أو يدركه الأوهام ، واللَّه متعالٍ [٤] عن ذلك علوًّا كبيرًا ، إذًا فليس للعبد أن يعرف اللَّه من حيث العبد ، إنما يعرفه بإحداث اللَّه المعرفة له به ، ويتعرف إليه فيعرفه العبد [٥] حينئذ ، وهو معنى « **ثم ألقى عليهم من نوره** » أي هدى من شاء منهم فعبر عن الهداية بالنور ، ألا تراه يقول : « **فمن أصابه من نور ذلك اليوم فقد اهتدى** » أخبر أنه لا يهتدي إلى معرفة اللَّه إلا باللَّه ، فالدلائل والأعلام التي في الأقطار والأنفس لإلزام الحجة ، وليست بأسباب للهداية بمجردها ، ولو كانت كذلك لاهتدى بها كل من نظر إليها ، وقد نظر إليها كل من له [٣٨/ب] عقل سليم ، ولم يهتد إلا من شاء اللَّه . قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [يونس : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل : ٩٣] وباللَّه العصمة .

٤٥
باب في الاستقامة

حديث آخر : [١٤٨] حدثنا حاتم ح يحيى [ح يحيى الحِمَّاني] [٦] ح أبو الأحوص عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا ، واعْلَمُوا أَنَّ مِنْ [٧] خَيْرِ أَعْمَالِكُم الصَّلاةَ [٨] ولا يحافِظُ عَلَى الطُّهُورِ إلا مُؤْمِنٌ** » [٩] .

---

(١) زاد في (س) بعد لفظة (معنى) العبارة الآتية : التي تجري منها الأحكام والأمور في الخلق وهو القضاء القديم .
(٢) سقط من (خ) .
(٣) في هامش (س) : التعليق الآتي : يعني العبودية ضد الربوبية والعلم صفة فيكون صفة اللَّه تعالى فلا يكون صفة للعباد إلا بأن يعطيهم اللَّه تعالى العلم .
(٤) في الأصل : متعالي . ا.هـ . وفي (س) : يتعالى .
(٥ - ٧) سقط من (س) .
(٨) زاد في (س) : وفي بعض النسخ : « من خير أعمالكم الصلاة » .
(٩) الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولكن أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ مقارب عن ثوبان في كتاب =

قال الشيخ رحمه الله : روي في التفسير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [فصلت : ٣٠] ، [قال : استقاموا على قول :] [١] لا إله إلا اللّٰه [٢] . والاستقامة هي الإقامة على قول : لا إله إلا اللّٰه بإيفاء حقه ورعاية حده ، وأدنى حقه إسقاط تعظيم ما سوى اللّٰه عن سرك ، وهو ألا تخاف غيره ، ولا ترجو سواه ، ولا تراعي إلا حقه ، وكل حق أوجبه اللّٰه تعالى فهو من حق اللّٰه تعالى ، وأدنى حدوده إقامة ما أوجبه حق هذا القول ، وهو أداء أوامره والانتهاء عما نهى عنه والرضا بما يكون منه .

وقوله : « **ولن تحصوا** » قيل : ولن تحصوا ثوابها ، وقيل : لن تطيقوا أي لا تستطيعوا أن تستقيموا ، ومعناه : لا تستطيعون بحولكم وقوتكم ولا باجتهادكم واستطاعتكم بل باللّٰه تعالى تطيقونه ، وأحرى ألا تطيقوه وإن بذلتم مجهودكم أراهم عجزهم في أداء حق اللّٰه .

ويجوز أن يكون [« **لن تحصوا** » معنى قوله :] [٣] « **استقيموا** » على ما أقررتم في الذر [٣٩/أ] الأول حين أجبتم ربكم بقولكم : ﴿ بَلَىٰ ﴾ حين قال لكم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] أي استقيموا على قولكم : ﴿ بَلَىٰ ﴾ بمراعاة الأنفاس ومراقبة الأهجاس [٤] ولن تحصوا عدد أنفاسكم ولا تطيقون مراقبة خواطركم ، فكيف تستقيمون صرفهم عن أوصافهم في رؤية الاستقامة منهم ، وأقامهم مقام الاضطرار [٥]

= الطهارة وسننها باب المحافظة على الوضوء (١٠١/١) رقم (٢٧٧) ، ومالك في الموطأ في كتاب الطهارة باب جامع الوضوء (٣٤/١) رقم (٦٦) ، والدارمي في سننه في كتاب الطهارة باب ما جاء في الطهور (١٧٤/١) رقم (٦٥٥) ، وأحمد في مسنده (٢٧٦/٥) رقم (٢٢٤٣٢) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح عن شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الذهبي : على شرطهما ولا علة له سوى وهم أبي بلال الأَشْعَري (٢٢١/١) رقم (٤٤٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣) رقم (٢٧١٣) ، والطبراني في الكبير (١٠١/٢) رقم (١٤٤٤) ، وقد أخرج ابن أبي شيبة بعضه من أول : « ولا يحافظ » بلفظه عن ثوبان وقد انفرد بذكر لفظة : « الطهور » (١٤/١) رقم (٣٥) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب بإسناد صحيح (٩٧/١) .

(١) سقط من (س) .

(٢) روي هذا القول عن مجاهد فيما أخرجه الطبري بسنده إليه في تفسيره ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١٥/٢٤) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الأهجاس : الهاجس الخاطر ، لسان العرب مادة (هجس) .

(٥) في (س) : الاضطراب .

لعجز البشرية ودلهم على الافتقار إلى اللَّه تعالى في طلب الاستقامة واللَّه أعلم .

وقوله : « **واعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة** » يجوز أن يكون معناه أن من أفضل أعمالكم وأتمها دلالة على الاستقامة الصلاة ؛ وذلك أنها معنى الانفراد باللَّه عما دون اللَّه والانقطاع إليه عما سواه ، وفيها زم الجوارح وجمع السر ، والإقبال على اللَّه ، والانصراف عما سواه ، والاشتغال به عمن دونه .

وقوله : « **ولا يحافظ على الطهور إلا مؤمن** » يجوز أن يكون المراد به الطهارة من الحدث ، وهو الوضوء . وفي رواية أخرى : [١٤٩] « **وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الوضُوءِ إلا مُؤمِنٌ** » وهي رواية عن الأعمش عن سالم عن ثوبان . حدثنا أحمد بن محمد بن زكريا ح إسحاق بن أحمد ح يعلى عن الأعمش عن سالم [١] . « **وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الوضُوءِ إلا مُؤمِنٌ** » ، وقال : « **أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ** » [٢] .

قال : ويجوز أن يكون معنى الطهور ظاهرًا وباطنًا ، وهو أن يحافظ على طهارة سره عن النظر عما سوى اللَّه كما يحافظ على طهارة ظاهره عن الحدث .

وقوله : « **لن يحافظ** » دليل على صحة تأويل قوله : « **ولن تحصوا** » أي لن تطيقوا ؛ لأن المحافظة على وزن المجاهدة [٣٩/أ] وهو أن تجاهد من يجاهدك أي تكون غالبًا مرة ومغلوبًا أخرى وأنت تجهد [٣] وتبذل مجهودك في الجهاد ، فكذلك المحافظة ، وذلك أنك تتحفظ جهدك وطاقتك في تطهير سرك ، ثم تغلب عليه ثم تحفظ ، ثم تضيع مرة حفظًا ومرة ضيعة ، وأنت باذل مجهودك في حفظ سرك ، أي لن تطيق الاستقامة ، ولكن تبذل مجهودك فيه ، ويكون مرة كذا ومرة كذا ، كما أن المحافظة على الوضوء ليس ألا يحدث ، ولكن كلما أحدث تطهر ، فيكون المؤمن بين هاتين الحالتين في الاستقامة بين عجز البشرية وبين استظهار الربوبية ، فيكون بين رعاية وإهمال ، وبين تقصير وإكمال ، وبين مراقبة وإغفال وهو بين جد وفتور كما أنه بين حدث وطهور (ن) .

---

(١) زاد في (س) بعدها : عن ثوبان .

(٢) رواية الأعمش أخرجها الحاكم في المستدرك (٢٢٠/١) رقم (٤٤٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٨٢/١) رقم (٣٨٩) ، والنقاش في فوائد العراقيين (ص ٩٧) رقم (٨٨) .

(٣) في (س) : تجتهد .

٤٦

باب في فضل الكبراء والحكماء والعلماء

حديث آخر : [١٥٠] حدثنا عبد اللّه بن محمد بن يعقوب الحَارِثي ح داود بن [(١)] أبي العوام أبو حاتم ح عبد الصمد بن النعمان ح عبد الملك بن حسين هو النَّخَعِي عن سلمة بن كهيل عن أبي جحيفة عن النبي ﷺ أنه قال : « **جَالِسِ الْكُبَرَاءَ وخَالِطِ الحكَمَاءَ وسَائِلِ العُلَمَاءَ** » [(٢)] ، وقال مسعر عن سلمة بن كهيل عن أبي جحيفة : [١٥١] « **وخَالِلِ الحكَمَاءَ** » حدثنا به محمد بن علي بن الحسين ح أبو عوانة الإِسْفَرَايِينِي [(٣)] ح أبو عمر الإمام ح مخلد بن يزيد ح مسعر [(٤)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يريد ﷺ بقوله : « **جالس الكبراء** » أي ذوي [(٥)] الأسنان والشيوخ الذين لهم تجارب [٤٠/أ] وقد كملت عقولهم ، وسكنت حدتهم ، وكملت آدابهم [(٦)] ، وزالت عنهم خفة الصبا وحدة الشباب وأحكموا التجارب ، فمن جالسهم تأدب بآدابهم وانتفع بتجاربهم وكان سكونهم ووقارهم حاجزًا لمن جالسهم وزاجرًا لهم عما يتولد من طباعهم ويتبرك بهم . فقد قال عليه السلام : [١٥٢] « **الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُم** [(٧)] » [(٨)] وقد أمر بتوقيرهم بقوله عليه السلام : [١٥٣] « **مَنْ لم يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**

---

(١) سقط من (س) .

(٢) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بلفظه عن أبي جحيفة وحسنه (٣٠٣/٥) ترجمة رقم (١٤٤٧) ، والطبراني في الكبير (١٢٥/٢٢) رقم (٣٢٤) .

(٣) الإِسْفَرَايِينِي : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء وكسر الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، هذه النسبة إلى إسفرايين ، وهي بليدة بنواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان ، الأنساب (١٠٠/١) .

(٤) الحديث ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٤٢١/١) ، والمتقي الهندي في كنز العمال وعزاه إلى العسكري (جـ ٩) رقم (٢٥٥٨٤) .

(٥) في (س) : ذو . ا.هـ . وهي هنا منصوبة على تقدير الفعل المحذوف ، أي جالس ذوي الأسنان .

(٦) في هامش الأصل : وفي بعض النسخ آراؤهم ، وقد أثبتها في النسخة (س) في صلب النص .

(٧) في (خ) : أكابرهم .

(٨) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه عن ابن عباس ، وقال : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١٣١/١) رقم (٢١٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦٣/٧) رقم (١١٠٠٤) ، وابن حبان في صحيحه في ذكر استحباب التبرك للمرء بعشرة مشايخ أهل الدين والعقل (٣١٩/٢) رقم (٥٥٩) ، والطبراني في الأوسط (١٦/٩) رقم (٨٩٩١) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٧/١) رقم (٣٦) .

فَلَيْسَ مِنَّا » [١] .

ويجوز أن يريد بقوله : « **جالس الكبراء** » أي الكبراء في الحال ومن له مرتبة في الدين ومنزلة عند الله ، وإن لم يكن بكبير في السن ، والكبير في الحال [هو الذي] [٢] جمع علم الوراثة إلى علم الدراسة فقد قيل : جاء في الحديث : [١٥٤] « **مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لم يَعْلَمْ** » [٣] فقد شرط لوراثة هذا العلم العمل بعلم الدراسة الذي هو علم الاكتساب ، وهو علم الأحكام بعد إحكام علم التوحيد ، فهذا علم الدراسة ، وعلم الوراثة علم آفات النفس وآفات العمل وخدع النفس وغرور الدنيا . وأخبر أن من عمل بعلم الاكتساب ورَّثه اللَّه تعالى علم ما لم يعلم ، وهو علم الإلهام [٤] والفراسة الذي هو النظر بنور اللَّه ﷻ ، فقد قال ﷺ : [١٥٥] « **اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ﷻ** » [٥] ومن ورَّثه اللَّه هذا العلم فهو الذي شرح اللَّه صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، وقد قال ﷺ : [١٥٦] « **النُّورُ إِذَا دَخَلَ القَلْبَ انْشَرَحَ وانْفَسَحَ** » . **فَقِيلَ : وَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ** : « **التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ والإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ** [٤٠/ب] **والاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ** » [٦] ومن تجافى عن الدنيا كشف عن سره حجب الغيب فصار الغيب له شهودًا كما قال حارثة : « **عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، فَأَظْمَأْتُ نَهَارِي** ،

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد أخرجه أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ : ليس منَّا من لم يوقر كبيرنا (٢٠٧/٢) رقم (٦٩٣٧) ، وأبو يعلى في مسنده عن أنس (١٩٢/٦) رقم (٣٤٧٦) ، قال الهيثمي : وفي إسناده يوسف بن عطية وهو متروك ، مجمع الزوائد (١٤/٨) ، والطبراني في الأوسط (١٠٧/٥) رقم (٤٨١٢) ، قال الهيثمي : في إسناده غير واحد ضعيف ، مجمع الزوائد (١٤/٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس (٤٥٨/٧) رقم (١٠٩٨٠) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني بلفظ مقارب عن أنس بن مالك ﷺ وضعفه ، حلية الأولياء (١٥/١٠) .

(٤) في (س) : الأفهام ، وفي نسخة علم الإلهام والفراسة .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي سعيد الخُدْري في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الحجر ، وقال : حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه (٢٩٨/٥) رقم (٣١٢٧) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن أبي أمامة (٣٨٧/١) رقم (٦٦٣) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء عن ابن عمر (٩٤/٤) ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة (١٠٢/٨) رقم (٧٤٩٧) ، قال الهيثمي بإسناد حسن ، مجمع الزوائد (٢٦٨/١٠) .

(٦) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود (٣٤٦/٤) رقم (٧٨٦٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٢/٧) رقم (١٠٥٥٢) ، وابن المبارك في الزهد عن أبي جعفر بألفاظ مختلفة (ص ١٠٧) رقم (٣١٥) .

وأَسْهَرْتُ لَيْلِي ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا » ، وهذا الحديث الذي حدثنا به خلف بن محمد ح صالح بن محمد ح إسماعيل بن إبراهيم التَّرْجُمَانِي [(١)] ح يوسف بن عطية الصفار ح ثابت البُنَانِي عن أنس بن مالك ﷺ قال : [١٥٧] بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يمشِي إِذَا اسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ لَهُ ﷺ : « **كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ ؟** » فَقَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَقًّا . قَالَ : « **انْظُرْ إِلَى مَا تَقُولُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَة** » . فَقَالَ : يَا رسُولَ اللَّهِ ، عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي ، فَكَأَنِّي بِعَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَوْنَ [(٢)] فيها . قَالَ : « **أَبْصَرْتَ فَالْزَمْ** - [وفي رِوَايَةٍ : « **أَصَبْتَ فَالْزَمْ** »] [(٣)] - **هَذَا** [(٤)] **عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّه الإيمَانَ في قَلْبِهِ** » . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّه لي بِالشَّهَادَةِ ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنُودِي يَوْمًا فِي الخيْلِ يَا خَيْلَ اللَّهِ [(٥)] ارْكَبِي ، فَكَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ رَكِبَ وأَوَّلَ فَارِسٍ اسْتُشْهِدَ فَبَلَغَ أُمَّهُ فَجَاءتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ] [(٦)] أَخْبِرْنِي عَنِ ابْنِي فَإِنْ يَكُ في الجَنَّةِ فَلَنْ أَبْكِي ولَنْ أَجْزَعَ ، وإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ بَكَيْتُ مَا عِشْتُ في الدُّنْيَا . فَقَالَ : « **يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بجنَّةٍ وَلَكِنَّهَا جَنَّةٌ في** [٤١/أ] **جِنَانٍ ، والحَارِثُ** [(٧)] **في الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى** » . فَرَجعَتْ وهِيَ تَضْحَكُ وَتَقُولُ : بَخٍ بَخٍ لَكَ يَا حَارِثُ [(٨)] .

فأخبر في هذا الحديث أن من عمل بما علم نوَّر اللَّه قلبه ، ومن نوَّر اللَّه قلبه كوشف عن كثير من أحوال الغيب ، وعلم ما لم يتعلم من جهة اليقين فيما تعلم لا أنه يعلم شيئًا من الأحكام أو غيره من غير اجتهاد في تعلمه حتى يعلم القرآن وأخبار الرسول وأحكام الدين من غير تعلم ، ليس كذلك ولكن يكاشف وينهتك الحجب بينه وبين كثير من أحوال الغيب ، فلا تعترضه الشكوك ولا تنازعه الخواطر في الحق ، وبيانه كما قال ﷺ :

---

(١) التَّرْجُمَانِي : بفتح التاء ثالث الحروف ، وضم الجيم ، بينهما الراء الساكنة والميم المفتوحة ، بعدها الألف وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى الترجمان وهو اسم لجد ، الأنساب (١/٣٣١) .

(٢) في هامش (خ) : التعاوي التصايح من عواء الذئب .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) سقط من (خ) . وفي هامشها : أي هذا عبد كأنه التفت إلى الحاضرين وقال : هذا .

(٥) في هامش (خ) : أي يا فرسان اللَّه .

(٦) سقط من (س) .

(٧) في (س) : والحارثة .

(٨) سبق مختصرًا في اللوحة رقم (٤/أ) .

[١٥٨] « **إِنَّ الحَقَّ لَيَنْطِقُ** [١] **عَلَى لِسَانِ عُمَرَ** » [٢] فهذه أوصاف الكبراء ، ومن كان بهذه الصفة [٣] يجل قدره على أهل زمانه فإنه يجالس بالتوقير والإجلال والتعظيم وزم الجوارح ومراقبة الخواطر ، فإن أهلِ الصدق لهم نور يقفون به على كثير من أحوال الناس ، قال عبد الله بن محمد الأَنْطَاكِي [٤] : (إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق ؛ فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في أسراركم ويخرجون من هممكم) ، ومن جالسهم فلا يجب أن يعترض عليهم في أحوالهم ولا يبادؤون [٥] بشيء ولا ينكر عليهم حال ولكن يصبر عليهم حتى يكونوا هم الذين يكشفون لهم ما التبس عليهم من أحوالهم ، كما قال العبد الصالح لموسى عليه السلام : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٧٠] ، وإنما يجالس الكبراء في أوقات تكون منهم البداية والإذن ، ولا يداخلون [٤١/ب] كل وقت ، فإن أوقاتهم لهم فيما بينهم وبين الله ، لا يحملهم فيها غيره . وقال النبي ﷺ : [١٥٩] « **لي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ لا يسَعُنِي فِيهِ غَيْرُهُ** » [٦] هذا حال النبي ﷺ ، وحاله أرفع من أن يعلم أو يعبر عنه ، وأحوال سائر الكبراء على قدر ما يليق بهم ، إذاً فهؤلاء يجالسون تبركًا بهم وتيمنًا بروائح أعمالهم [٧] ، فهم ملجأ المريدين [٨]

---

(١) في (س) : ينطق .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب الخراج والفيء والإمارة باب في تدوين العطاء (١٣٩/٣) رقم (٢٩٦٢) ، والترمِذِي في جامعه عن ابن عمر في كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال : حسن غريب (٦١٧/٥) رقم (٣٦٨٢) ، وابن ماجه في سننه عن أبي ذر في أول الكتاب باب فضل عمر رضي الله عنه (٤٠/١) رقم (١٠٨) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن وهب السوائي (١٠٦/١) رقم (٨٣٤) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن أبي ذر ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الذهبي : على شرط مسلم (٩٣/٣) رقم (٤٥٠١) .

(٣) زاد في (س) بعدها : يجل على قدر زمانه وفي بعض النسخ .

(٤) الأَنْطَاكِي : بفتح الألف وسكون النون ، وفتح الطاء المهملة ، وفي آخرها الكاف ، هذه النسبة إلى بلدة يقال لها : أنطاكية ، الأنساب (١٥٢/١) .

(٥) في هامش الأصل : يبادرون .

(٦) لم أقف عليه . قال العجلوني في كشف الخفاء : تذكره الصُّوفِيَّة كثيرًا وهو في رسالة القُشَيْرِي بلفظ : «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » ، (٢٢٦/٢) رقم (٢١٥٩) ، وقال القاري في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : من كلام بعض الصُّوفِيَّة وليس بحديث (١٥١/١) رقم (٢٥٩) .

(٧) في (خ) : أحوالهم .

(٨) المريد عند الصُّوفِيَّة : هو الذي قال الله عنه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وهو الذي يريده الله تعالى فيقبل بقلبه ويحدث فيه لطفًا يثير منه الاجتهاد فيه والإقبال عليه والإرادة له ، التعرف لمذهب أهل التصوف للمصنف طبعة دار الكتب العلمية (١٥٨) .

وكهفهم وكنفهم ، بهم يتحرزون من كثير مما يخافون من فتن الزمان وشر أهله ومكائد العدو وبلاء النفوس . قال النبي ﷺ : [١٦٠] « **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرِقُ** [١] **مِن ظِلِّ عُمَرَ** » [٢] وقال النبي ﷺ فيما يروي عن الله ﷻ : [١٦١] « **هُم الْقَوْمُ لا يَشْقَى جَلِيسُهُم** » [٣] .

وقوله : « **وخالط الحكماء** » أي داخلهم واختلط بهم وكن معهم في كل وقت ، فإن الحكيم هو المصيب في أقواله ، والمتقن لأفعاله ، والمحفوظ في أحواله ، فمن خالطهم وداخلهم أخذ محاسن أخلاقهم [وانتفع بإصابتهم في أقوالهم] [٤] وتهذب بهم في مختلف أحوالهم .

وقوله : « **وسائل العلماء** » تنبيه منه ﷺ على إحكام الأمور وإصلاحها فيما بينك وبين الله ، وفيما بينك وبين الخلق ، كأنه يقول : قدِّم العلم على العمل ؛ لتكون أعمالك على تقدمة العلم بها فتصح .

وقوله : « **وسائل العلماء** » لم يجعل له وقتًا دون وقت ، كأنه يقول : كن أبدًا [عالمًا سائلًا ومتعلمًا] [٥] .

والعلماء إذا أطلق فهم الفقهاء ؛ لأن العلم إذا أطلق أريد به علم الفقه الذي هو علم

---

(١) في هامش الأصل و (خ) (يفر) ا.هـ . والفرق بالتحريك الخوف والفزع ، النهاية مادة (فرق) ، (٤٣٨/٣) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه عن عبد الله بن بريدة بنحوه في كتاب المناقب باب في مناقب عمر ابن الخطاب ﷺ وقال : حسن صحيح غريب (٦٢٠/٥) رقم (٣٦٩٠) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٥٣/٥) رقم (٢٣٠٣٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى بنحوه (٧٧/١٠) رقم (١٩٨٨٨) ، وابن حبان في صحيحه (٣١٥/١٥) رقم (٦٨٩٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة (٣٥٦/٦) رقم (٣١٩٩٥) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٥٨١/٢) رقم (١٢٥١) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر (٢٠٦٩/٤) رقم (٢٦٨٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الدعوات باب ما جاء أن لله ملائكة سياحين في الأرض ، وقال : حسن صحيح (٥٧٩/٥) رقم (٣٦٠٠) ، وأحمد في مسنده (٢٥١/٢) رقم (٧٤١٨) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح تفرد بإخراجه مسلم (٦٧٢/١) رقم (١٨٢١) سبق في اللوحة رقم (٣٧/أ) بلفظ : « قوم لا يشقى بهم جليسهم » .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) هكذا في الأصل و (س) و (خ) ولعل الصواب عالمًا أو سائلًا متعلمًا ؛ لأن السائل هو الحالة الثانية للعالم .

الأحكام ومعرفة الحلال والحرام ، وأما سائر العلوم فإنه مقيد ، يقال : علم الكلام ، وعلم القرآن [٤٢/أ] ، وعلم الحديث ، وعلم اللغة ، وكذلك جميع العلوم ، فإنها تقيد بذكر يخصه به ، وكذلك العلماء إذا أطلق كان المفهوم به الفقهاء ، فأما سائر العلماء بسائر العلوم فإنما يقال : هذا قول المتكلمين ، وقال فيه المفسرون ، وكذا يقول اللغويون ، وقال النحويون ، وبه قرأ القراء ، ينسب أهل كل نوع من العلم إلى ما ينتحله ، والعلماء اسم يختص به الفقهاء عند الإطلاق ، فيجوز أن يكون قوله : « **سائل العلماء** » أراد به ما قلناه من علم الأحكام ، فإن البلوى به أكثر والحاجة إليه أمس .

٤٧
باب في الجنابة في المسجد

حديث آخر : [١٦٢] حدثنا بكر [١] بن محمد بن حمدان [٢] ح أبو جعفر أحمد ابن علي الخزاز ح أسيد [٣] بن زيد الجمال ح محمد بن عبد اللّٰه العَوْفِي [٤] عن عطية عن أبي سعيد الخُدْرِي ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **مَا يَنْبَغِي لمسْلِمٍ ولا يَصْلُحُ [٥] أَنْ يُجْنِبَ [٦] في المسْجِدِ إلا أنَا وعَلِي** » [٧] .

قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون ذلك ؛ لأن بيت النبي ﷺ كان في المسجد ، وبيت علي كان كذلك ، وإن كان البيتان لم يكونا من المسجد ولكن كانا متصلين بالمسجد وأبوابهما كانت في المسجد ، فجعلهما رسول اللّٰه ﷺ من المسجد ، فقال : « **ما ينبغي لمسلم أن يجنب في المسجد إلا أنا وعلي فإن أجنبنا فيه فإنا في بيوتنا** » ، فيكون

---

(١) في (س) : بكير . (٢) في (س) : أحمدان .

(٣) في (س) : أسيده

(٤) في (س) : العوني ا.هـ . والعَوْفِي : بفتح العين وسكون الواو وفي آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى عوف ، وهم جماعة ، الأنساب (٣٨٠/٣) .

(٥) زاد في (س) بعدها : له .

(٦) يجنب : الجنب هو الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني ويقع على الواحد والاثنين والجميع والمؤنث بلفظ واحد ، النهاية مادة (جنب) ، (٣٠٢/١) .

(٧) الحديث أخرجه الترمِذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخُدْرِي في كتاب المناقب باب مناقب علي ، وقال : حسن غريب (٦٣٩/٥) رقم (٣٧٢٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٣١١/٢) رقم (١٠٤٢) ، والطبراني في الكبير عن أم سلمة (٣٧٢/٢٣) رقم (٨٨١) ، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد عن سعد ، وقال : رواه البزار وخارجة لم أعرفه وبقية رجاله ثقات (١١٥/٩) .

معناه : لا ينبغي لمسلم أن يجنب في المسجد ونحن إنما نجنب في بيوتنا ليس في المسجد . والذي يدل على أن بيت علي كان في المسجد كما بيت النبي ﷺ في المسجد : [قال أبو بكر رحمه الله : هذا ما] [١] حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل بن جعفر المَدِينِي [٢] [٤٢/ب] حدثني عبد الله بن سلمة عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله قال : [١٦٣] « سَأَلَ أَبِي رَجُلٌ عَنْ عَلِيٍّ وعُثْمَانَ رضي الله عنهما أَيُّهُمَا كَانَ خَيْرًا ؟ فَقَالَ [٣] عَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ : هَذَا بَيْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأَشَارَ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ لم يَكُنْ يَكُونُ في هَذَا المَسْجِدِ غَيْرُهُمَا » [٤] وذكر الحديث . إذًا فلم يكونا يجنبان في المسجد ، وإنما كانا يجنبان في بيوتهما وبيوتهما في المسجد ؛ إذ كان أبوابهما فيه وكانا يستطرقانه في حال الجنابة . قال : ح نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح علي بن المنذر حدثني ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ لعلي رضي الله عنه : [١٦٤] « **يَا عَلِيُّ لا يحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يُجنِبَ في هَذَا المَسْجِدِ غَيْرِي وَغَيْرِك** » . قَالَ نَصْرٌ : قَالَ أَبُو عِيسَى : قَالَ عَلِيُّ بنُ المُنْذِرِ : قُلْتُ : لِضِرَارِ بنِ صُرَدٍ [٥] : مَا مَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ ؟ قَالَ : لا يحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَسْتَطْرِقَهُ جُنُبًا غَيْرَكَ وَغَيْرِي [٦] . فدل هذا على أن أبواب بيت النبي ﷺ وبيت علي رضي الله عنه كانا في المسجد فكانا يستطرقان المسجد إذا خرجا من بيوتهما في حال الجنابة .

ويجوز أن يكون هذا تخصيصًا لهما ، كان النبي ﷺ خص بأشياء ، فيكون هذا مما خص به ، ثم خص النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه فرخصه فيما لم يرخص به غيره وإن كانت أبواب بيوتهم في المسجد فإنه كانت في المسجد أبواب بيوت غير بيتهما حتى أمر النبي ﷺ بسدها إلا باب علي رضي الله عنه قال : ح حاتم بن عقيل قال : ح يحيى قال : ح يحيى

---

(١) سقط من (س) و (خ) .

(٢) في (س) : المدني ا.هـ . والمَدِينِي : بفتح الميم والدال المهملة المكسورة بعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى عدة من المدن ، الأنساب (٢٥٦/٤) .

(٣) زاد في (س) بعدها : له .

(٤) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بنحوه عن العلاء بن عرار في كتاب الخصائص باب ذكر المثل الذي ضربه رسول اللَّه ﷺ لعلي بن أبي طالب (١٣٧/٥) رقم (٨٤٩٠ ، ٨٤٩١) .

(٥) في (س) : جرد .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي سعيد في كتاب المناقب باب مناقب علي ، وقال : حسن غريب (٦٣٩/٥) رقم (٣٧٢٧) .

الحِمَّانِي ح أبو عوانة عن أبي بلج [1] عن عمر [2] بن ميمون عن ابن عباس [٤٣/أ] ﵄ : قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [١٦٥] « **سُدُّوا أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ كُلَّهَا إِلا بَابَ عَلِيٍّ** » [3] ﵁ قال : وح أبو الفضل [محمد بن أحمد] [4] المَزْدَكِي [5] قال : ح محمد بن عيسى الطَّرَسُوسِي ح أبو جعفر النُّفَيْلِي [6] ح مسكين بن بكير عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو ابن ميمون عن بن عباس ﵁ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [١٦٦] « **سُدُّوا الأَبْوَابَ إِلا بَابَ عَلِيٍّ** » [7] ﵁ . فخصه ﵇ بأن يترك بابه في المسجد مفتوحًا ، فكان يجنب في بيته ، وبيته في المسجد ، وأما الحديث الآخر الذي قال : [١٦٧] « **لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ بَابٌ إِلا سُدَّ غَيْرُ بابِ أَبِي بَكْرٍ** » ﵁ قال : ح به المَزْدَكِي ح محمد ابن عيسى ح إسماعيل بن أبي أويس ح مالك بن أنس عن أبي النضر عن عبيد بن حنين عن أبي سعيد الخُدْرِي ﵁ عن النبي ﵇ [8] . فإن ذلك كانت أبوابًا تطلع إلى المسجد خوخات

---

(١) زاد في (س) بعدها : وفي بعض النسخ عن أبي صالح ا.هـ . يعني بدلًا من أبي بلج .

(٢) في (خ) : عمرو .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي بألفاظ متقاربة عن ابن عباس في كتاب المناقب باب مناقب علي ، وقال : حديث غريب (٦٤١/٥) رقم (٣٧٣٢) ، والنسائي في سننه الكبرى عن زيد بن أرقم في كتاب الخصائص باب ذكر قول النبي ﷺ : « أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي » ، (١١٨/٥) رقم (٨٤٢٣) ، وأحمد في مسنده عن ابن عباس (٣٣٠/١) رقم (٣٠٦٢) ، قال الهيثمي : فيه ميمون أبو عبد اللّٰه وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح ، مجمع الزوائد (١١٤/٩) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١٣٥/٣) رقم (٤٦٣١) .

(٤) سقط من (س) .

(٥) المَزْدَكِي : بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وفي آخرها الكاف . هذه النسبة إلى مزدك وهو اسم رجل من أهل حبيص كرمان ، الأنساب (٢٨٣/٤) ، وجاء في الحاشية أن موقعها اليوم على الخليج العربي في إيران .

(٦) بضم النون وفتح الفاء وسكون الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها ، وهذه النسبة إلى الجد الأعلى ، الأنساب (٤٣٥/٤) .

(٧) نفس تخريج الحديث السابق .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي سعيد الخُدْرِي في كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد (١٧٧/١) رقم (٤٥٤) ، والترمذي في جامعه بنحوه عن عائشة في كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي اللّٰه تعالى عنهما كليهما (٦١٦/٥) رقم (٣٦٧٨) ، والدارمي في سننه في باب وفاة النبي ﷺ (٥١/١) رقم (٨١) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي سعيد الخُدْرِي (١٨/٣) رقم (١١١٥٠) .

وأبواب البيوت خارج [(١)] من المسجد ، فأمر بسد تلك الخوخات فلم يكن مطلع في المسجد وترك خوخة أبي بكر ﷺ ، تصديق ذلك في رواية أخرى ، قال : « **سُدُّوا كُلَّ خُوخَةٍ** [(٢)] [**في المسْجِدِ**] [(٣)] **إلا خُوخَةَ أَبِي بَكْرٍ** » ﷺ حدثناه القَوَارِيري [(٤)] ح حامد بن سهل ح محمد بن عبد الرحمن أبو بكر بن أخي الحسين الجُعْفِي ح زيد بن يحيى [(٥)] بن عبيد الخُزَاعِيُّ عن [(٦)] مالك بن أنس عن حسين [(٧)] بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٦٨] « **سُدُّوا كُلَّ خُوخَةٍ في المسْجِدِ إلا خُوخَةَ أَبِي بَكْرٍ** » [(٨)] ، وقال غيره : [١٦٩] « **سُدُّوا الأَبْوَابَ اللافِظَةَ** [(٩)] **إِلَى المسْجِدِ واتْرُكُوا بَابَ أَبِي بَكْرٍ** » [(١٠)] ﷺ . فدل في هذا أن تلك الأبواب لم تكن أبواب البيوت التي

---

(١) في (خ) : خارجة .

(٢) خوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة وتكون بين بيتين ينصب عليها باب النهاية مادة (خوخ) (٨٦/٢) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) القَوَارِيري : بفتح القاف والواو والراء المكسورة بعد الألف والياء المنقوطة من تحتها باثنتين بين الرائين ، هذه النسبة إلى القوارير ، وهي عمل القارورة وبيعها ، واشتهر بها جماعة ، الأنساب (٩١/٤) .

(٥) زاد في (س) بعد يحيى : وفي نسخة يزيد بن يحيى .

(٦) في (س) : قال ح ا.هـ . وفي (خ) : حدثنا .

(٧) في (س) : حصين .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن ابن عباس في كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد (١٧٨/١) رقم (٤٥٥) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق (١٨٥٤/٤) رقم (٢٣٨٢) ، والترمِذي في جامعه في كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق ، وقال : حسن صحيح (٦٠٨/٥) رقم (٣٦٦٠) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب عن ابن عباس في كتاب المناقب باب فضل أبي بكر الصديق ﷺ (٣٥/٥) رقم (٨١٠٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٥٧/٤) رقم (٢٥٨٤) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة بلفظه (٦٢٧/٢) رقم (١٤٦٣) .

(٩) اللافظة : اللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك ، لسان العرب مادة (لفظ) وهو يشير بذلك إلى الأبواب الخارجة إلى المسجد وكأنها ملفوظة .

(١٠) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة معلقًا عن ابن عباس في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » (١٣٣٧/٣) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة عن عتبة بن غزوان (٥٧٩/٢) رقم (١٢٤٢) ، وابن عدي في الكامل عن أنس (٢٠٧/٤) ترجمة رقم (١٠١٥) ، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٣٥٣/١) رقم (٥١٢) ووجدت قريبًا منه في سيرة ابن هشام فيما نقله عن ابن إسحاق بإسناده إلى أيوب بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد فسدوها إلا بيت أبي بكر » ، السيرة النبوية (٦٤/٦) .

يدخل فيها [٤٣/ب] ويخرج منها ، وإنما كانت خوخات تطلع إلى المسجد كالكوى [١] والمشاكي [٢] ، وباب علي ﷺ كان باب البيت الذي يدخل فيه ويخرج منه كما قال عبد الله بن عمر ﷺ حين أشار إلى بيت علي إلى جنب بيت النبي ﷺ وبيت النبي ﷺ في المسجد فدل أن بيت علي كان فيه ، وقد فسر بذلك ابن عمر [أيضًا بقوله] [٣] : « لم يكن يكون في هذا المسجد غيرهما » .

٤٨
باب في الاحتراز من الشيطان

حديث آخر : [١٧٠] حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد ابن إسماعيل بن جعفر ح الدَّرَاوَرْدِي [٤] عن يزيد بن عبد الله عن محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **إِذَا اسْتَيقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَتَوَضَّأْ وليَسْتَنْثِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ** [٥] » [٦] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون ذلك لبعدها من مواضع التعبد ، فإن العين باب النظر إلى خلق السموات والأرض ، قال الله تعالى [٧] : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

---

(١) الكوى : الكَوَّةُ الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه ، لسان العرب مادة (كوي) .

(٢) المشاكي : جمع مشكاة وهي كل كَوَّة ليست بنافذة ، لسان العرب مادة (شكي) .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) الدَّرَاوَرْدِي : بفتح الدال المهملة والراء والواو وسكون الراء الأخرى وكسر الدال الأخرى ، هذه النسبة لأبي محمد عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي من أهل المدينة ... كان أبوه من دارابجرد – مدينة بفارس – وكان مولى لجهينة ، فاستثقلوا أن يقولوا : دارابجردي ، فقالوا : الدراوردي ، الأنساب (٢/٢٢٥) .

(٥) خياشيمه : الخيشوم من الأنف ما فوق نُخرته من القصبة وما تحتها من خشارمِ رأسه ، وقيل : الخياشيم غراضيف في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ ، وقيل : هي عروق في باطن الأنف ، وقيل : الخيشوم أقصى الأنف ، لسان العرب مادة (خشم) .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه دون قوله : « فليتوضأ » عن أبي هريرة في كتاب الطهارة باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار (١/٢١٢) رقم (٢٣٨) ، وأحمد في مسنده (٢/٣٥٢) رقم (٨٦٠٧) ، وابن خزيمة في صحيحه إلا أنه قال : « فتوضأ » ، (١/٧٧) رقم (١٤٩) ، وأبو عوانة في مسنده (١/٢٤٨) .

(٧) زاد في (س) بعدها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ ﴾ وقال تعالى . ا.هـ . وفي الآية سقط ، والصواب وضع كلمة (إلى قوله) بين كلمتي الأرض و لآيات ، كما ورد في زيادة (خ) حيث زاد : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ .

[الذاريات: ٢١] ، وقال ﷺ : [١٧١] « **النَّظَرُ إلى الْفَقِيهِ** (١) **عِبَادَةٌ** » (٢) فهي من باب العبادة والعبرة ، والفم باب الذكر قال اللّه تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩] ، والأذن باب سماع ذكر اللّه ، وسماع العلم ، قال اللّه تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ ﴾ [الزمر: ١٨] فليس في الخياشيم شيء من هذا المعنى ، ويجوز أن يكون اقتراب الشيطان من الإنسان موضع مدخله فيه ، إما من طريق الوسوسة أو جريانه فيه ، فقد قال ﷺ : [١٧٢] « **إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ** » (٣) . وقال في التثاؤب : [١٧٣] « **التَّثَاؤبُ** [٤٤/أ] **في الصَّلاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإذَا تَثَاءبَ أَحَدُكُم في الصَّلاةِ فَلْيَكْظِمْ فَاه** (٤) **مَا اسْتَطَاعَ** » (٥) ، وقال : [١٧٤] « **فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ في جَوْفِهِ** » (٦) فأخبر أن الشيطان يدخل جوف الإنسان ، فيجوز أن يكون مدخله من طريق الخياشيم ، وفيه من طريق الوسوسة [هو هذا الباب] (٧) ويقول

---

(١) في (س) و (خ) : الكعبة .

(٢) الأثر أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظه من كلام حاتم الأصم (٨٠/٨) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن علي بن حسين في كتاب الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم (٢٦٢٣/٦) رقم (٦٧٥٠) ، ومسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليًا بامرأة ... إلخ (١٧١٢/٤) رقم (٢١٧٤) ، وأبو داود في سننه بلفظه عن أنس في كتاب السنة باب في ذراري المشركين (٢٣٠/٤) رقم (٤٧١٩) ، والترمذي في جامعه بلفظ مقارب عن جابر في كتاب الطلاق واللعان باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات (٤٧٥/٣) رقم (١١٧٢) ، والنسائي في سننه الكبرى عن صفية في كتاب الاعتكاف باب تشييع زائر المعتكف والقيام معه (٢٦٣/٢) رقم (٣٣٥٧) ، وابن ماجه في سننه بلفظه في كتاب الصيام باب في المعتكف يزوره أهله (١/ ٥٦٦) رقم (١٧٧٩) .

(٤) سقط من (س) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (١١٩٧/٣) رقم (٣١١٥) ، ومسلم بألفاظ متقاربة في كتاب الزهد والرقائق باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب (٢٢٩٣/٤) رقم (٢٩٩٤) ، وأبو داود في سننه بنحوه في كتاب الأدب باب ما جاء في التثاؤب (٣٠٦/٤) رقم (٥٠٢٨) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في كراهية التثاؤب في الصلاة ، وقال : حسن صحيح (٢٠٦/٢) رقم (٣٧٠) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب ما جاء إن اللّه يحب العطاس ويكره التثاؤب ، وقال : حسن صحيح (٨٦/٥) قم (٢٧٤٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا عطس (٦٢/٦) رقم (١٠٠٤٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٦١/٢) رقم (٩٢١) ، والحميدي في مسنده (٤٩٠/٢) رقم (١١٦١) .

(٧) في (س) : وهو باب ظاهر .

الناس لمن استخفه أمر أو ظهر فيه كبر : نفخ الشيطان في منخره ، وقال الحجاج في خطبته : (يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، قد نفخ الشيطان في مناخركم حتى قلتم : مات الحجاج فمه ، وهل يرجو الحجاج الخير كله إلا بعد الموت ؟!) (١) ، وهو باب ظاهر ليس له طبق ، والعين والفم فلهما طبقان ، وما دون الإزار فمستور من المسلم فلا يجد العدو إليه سبيلًا ، كما لا يجد إلى السقاء إذا أوكي وإلى الباب إذا أغلق سبيلًا (٢) قال : ح حاتم ابن عقيل المهتدي ح يحيى ح [يحيى الحِمَّاني] (٣) ح حماد بن شعيب عن أبي الزبير عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٧٥] « **إِذَا نِمْتَ فَأَغْلِقِ البَابَ ، وأَوْكِ (٤) السِّقَاءَ ، وخَمِّرِ (٥) الإِنَاءَ ، وأَطْفِئِ السِّرَاجَ (٦) ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ غَلَقًا سُدَّ ، ولا يحِلُّ وِكَاءً ، ولا يَكْشِفُ إِنَاءً ، وإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ (٧) تُضْرِمُ (٨) عَلَى النَّاسِ بُيُوتَهُم فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تُخَمِّرُهُ بِهِ ، فَأَعْرِضْ عَلَيْهِ ولَوْ بِعُودٍ واذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ** » (٩) .

٤٩

باب في نفي النوم عن الله تعالى

حديث آخر : [١٧٦] حدثنا أبو سعيد حاتم بن عقيل بن المهتدي ح يحيى بن إسماعيل بن عثمان ح يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني ح قيس ح عمر (١٠) بن مرة عن

---

(١) البداية والنهاية بنحوه (٧/٩) ، (١٢٢/٩) .

(٢ ، ٣) سقط من (س) .

(٤) أوك : الوكاء الخيط الذي تشد به الصرة والكيس وغيرهما ، وأوكوا الأسقية : أي شدوا رؤوسها بالوكاء؛ لئلا يدخلها حيوان ، أو يسقط فيها شيء ، النهاية مادة (وكا) ، (٢٢١/٥) .

(٥) خمر الإناء : التخمير التغطية ، النهاية مادة (خمر) ، (٧٧/٢) .

(٦) السراج : المصباح ، النهاية مادة (صبح) ، (٧/٣) .

(٧) الفويسقة : تصغير فاسقة وهي الفأرة وسميت كذلك لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها ، النهاية مادة (فسق) ، (٤٤٦/٣) .

(٨) تضرم : توقد النار والضرام لهب النار ، النهاية مادة (ضرم) ، (٨٦/٣) .

(٩) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن جابر في كتاب الأشربة الأمر بتغطية الإناء (١٥٩٤/٣) رقم (٢٠١٢) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأشربة باب في إيكاء الآنية (٣٣٩/٣) رقم (٣٧٣٢) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في تخمير الإناء ، وقال : حسن صحيح (٢٦٣/٤) رقم (١٨١٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأشربة باب تخمير الإناء (١١٢٩/٢) رقم (٣٤١٠) ، ومالك في الموطأ (٩٢٨/٢) رقم (١٦٥٩) .

(١٠) في (خ) : عمرو .

أبي عبيدة عن أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى** [٤٤/ب] **لا يَنَامُ ، ولا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ القِسْطَ** [١] **ويَرفَعُهُ ، بَاسِطٌ يَدَهُ لمسِيءِ اللَّيْلِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى النَّهَارِ ، وبَاسِطٌ يَدَهُ لمسِيءِ النَّهَارِ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّيْلِ ، يَرْفَعُ عَمَلَ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ ، وعَمَلَ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النَّارُ ، لَوْ كَشَفَ عَنْهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ** [٢] **وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَ بَصَرُهُ** » . ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ : ﴿ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل : ٨] [٣] .

قال : ح محمد بن نعيم بن ناعم حدثني أبي ح عثمان بن أبي شيبة ح عبيد الله بن موسى ح سفيان عن حكيم بن الدَّيْلَمِي عن أبي بردة [٤] عن أبي موسى نحوه وقال : [١٧٧] « **حِجَابُهُ النَّهَارُ** » [٥] .

قال الشيخ رحمه الله : قوله عليه السلام : « **إن الله تعالى لا ينام** » نفى عنه النوم الذي هو الاستراحة من التعب والنصب ، والله تعالى يتعالى عن ذلك ، فليست الاستراحة له بصفة ، والنوم غفلة ، والله يتعالى عنها ، ونفى بقوله : « **ولا ينبغي له أن ينام** » جوازه عليه ، أي لا ينام ولا يجوز عليه النوم ؛ لأنه آفة ، والآفة حدث ، وليس جل وعز بمحل للحوادث ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وقوله : « **يخفض القسط ويرفعه** » يجوز أن يريد يرفع أهل القسط وهو العدل ، ويضع أهل الجور ، أي يرفع قدر أهل العدل في الدنيا بين الناس بالثناء الحسن والحفظ

---

(١) القسط : الميزان سمي به من القسط : العدل ، أراد أن الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده كما يرفع الوزان يده ويخفضها عند الوزن وهو تمثيل لما يقدره الله وينزله ، وقيل : أراد بالقسط القسم من الرزق الذي يصيب كل مخلوق ، وخفضه تقليله ، ورفعه : تكثيره ، النهاية مادة (قسط) ، (٤/ ٦٠) .

(٢) سبحات : سبحات الوجه محاسنه ، وقيل : غير ذلك ، واختار ابن الأثير المعنى الآتي : لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خر موسى صعقًا وتقطع الجبل دكًا لما تجلى الله ﷻ ، النهاية مادة (سبح) ، (٢/ ٣٣١) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي موسى في كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام » (١/ ١٦١) رقم (١٧٩) ، والنسائي في : جزء فيه مجلسان من إملاء النسائي (ص ٤٥) رقم (١٣) ، وابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب فيما أنكرت الجهمية (١/ ٧٠) رقم (١٩٥ ، ١٩٦) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٠) رقم (١٩٦٠٢) ، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٩٩) رقم (٢٦٦) ، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٢٤٥) رقم (٧٢٦٢) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٢٧٢) رقم (٦١٤) ، والطَّيَالِسِي في مسنده (٢/ ٦٧) رقم (٤٩١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ١٩١) رقم (٥٤١) .

(٤) في (س) : هريرة .

(٥) لم أقف عليه .

إياهم [١] والعون لهم ، وفي الآخرة بالثواب والدرجات ، ويضع أهل الجور في الدنيا بالبغض لهم من الناس والعاقبة الوبيئة [٢] ، وفي الآخرة بالعقوبة وخفة الميزان فلا يقيم لهم يوم القيامة وزنًا . فكأنه قال : يخفض أقوامًا لأجل القسط ؛ لأنهم تركوه ولم يعملوا به [٤٥/أ] ، ويرفع أقوامًا لأجل القسط ؛ لأنهم عملوا به .

ويجوز أن يكون معناه : يخفض بالقسط ويرفع بالقسط ، ومعناه : يرفع أقوامًا في الدين والدنيا بالعلم والقدرة والهداية والإيمان ومراتبه « ويضع آخرين » بالذل والجهل والضلال [٣] والكفر ، وهو في ذلك عادل غير ظالم لهم ولا جائر عليهم ؛ لأن الظلم لا يكون منه ، والجور لا يجوز عليه ؛ لأنه ليس تحت قدرة قادر ولا فوقه آمر ولا زاجر فيكون ظالمًا بترك الأمر أو جائرًا عن سنن الحق ، تعالى اللّٰه عن ذلك علوًّا كبيرًا .

ويجوز أن يكون معنى : « **يخفض القسط** » أي ينقص العدل في الأرض بغلبة الجور وأهله ، « ويرفع القسط » من الأرض بغلبة العدل وأهله [٤] ، فقد كان القسط والعدل والإيمان غير موجود ولا معروف لغلبة [٥] فرعون وملئه ، ثم بسطه اللّٰه تعالى بإرسال موسى عليه السلام ، ثم ظهر الجور والكفر حتى أرسل اللّٰه تعالى محمدًا عليه السلام فبسط اللّٰه القسط وأظهر الإيمان ومحق الكفر ، ثم قال عليه السلام في شأن المهدي : [١٧٨] « **فَيَمْلأُ الأَرْضَ [٦] قِسطًا وعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وجُورًا** » [٧] .

وقوله عليه السلام : « **باسط يده لمسيء الليل أن يتوب إلى النهار** » : اليد صفة للّٰه تعالى وصف بها نفسه ، ولو لم يرد السمع لم يجز القول به ؛ لأنه من الصفات المتشابهة ، فلما ورد السمع به وجب التصديق له ، والإيمان به ، وتأويله على ما يليق به ، ونفي التشبيه وأوصاف الحدث عنه ، فقال أهل الحديث وسائر المثبتة [أهل السنة] [٨] : إن له يد لا كالأيدي كما أن اللّٰه تعالى موجود لا كالموجودين وشيء [٤٥/ب] لا كالأشياء ،

---

(١) في (س) و (خ) : لهم .

(٢) في (س) : الوبئة ا.هـ . ووبيئة ووبئة أي كثيرة الوباء ، لسان العرب مادة (وبأ) .

(٣) من هامش الأصل . (٤) سقط من (س) .

(٥) في (خ) : بغلبة . (٦) سقط من (س) .

(٧) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن أبي سعيد الخُدْري (٣٧/٣) رقم (١١٣٤٤) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي قال : سنده مظلم (٥١٢/٤) رقم (٨٤٣٨) .

(٨) سقط من (س) و (خ) .

وقال بعض المثبتة : إنها يد صفة وليست بيد جارحة ولا جزء ولا بعض ، كما أن ذاته ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، قال الله ﷻ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] ، وقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وورد الخبر بقوله :« **باسط يده** » فصدقه القرآن فوجب تصديقه والقول به على ما قلنا . فقوله ﷺ : « **باسط يده لمسيء الليل إلى النهار** » يجوز أن يكون معناه ألا يثبت إساءته في ديوانه ليلته ويمهله إلى النهار كما حدثنا عبد الله بن محمد ح الحسين بن الفضل ح عبد الله بن بكر السَّهْمِي (١) ح بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : [١٧٩] « **صَاحِبُ اليَمِينِ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ ، وإذا (٢) عَمِلَ العَبْدُ الحسَنَةَ كَتَبَهَا لَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا ، وإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً قَالَ صَاحِبُ اليَمِينِ لِصَاحِبِ الشِّمَالِ : أَمسِكْ . فَيُمْسِكُ عَنْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ ، فَإِن اسْتَغْفَرَ لم يَكْتُبْ عَلَيْهِ ، وإِنْ لم يَسْتَغْفِرْ كَتَبَ سَيِّئَةً وَاحِدَةً** » (٣) ، فأخبر أنه يمسك عن إثباتها في ديوانه ليستغفر ، فمعنى : « **باسط يده** » يعني بالرحمة والإمهال ليتوب ، فإن تاب تاب الله عليه وأثبتها حسنة في ديوانه . قال الله ﷻ : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠] فإن لم يتب أثبتها في ديوانه سيئة واحدة ، والتوبة مبسوطة له إلى أن يغرغر (٤) بالموت ، والشفاعة يوم القيامة إن لم يتب [٤٦/أ] منها ، والرحمة من الله تعالى التي وسعت كل شيء ، قال تعالى : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ (٥) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، وقوله : « **يرفع عمل الليل قبل النهار** » يجوز أن يكون معناه تصعد ملائكة الليل بأعمال الخلق في الليل إلى السماء قبل النهار ، وملائكة النهار بأعمال الخلق في النهار قبل الليل .

ويجوز أن يكون معناه : يقبل أعمال المؤمنين المخلصين في ليلهم قبل النهار وفي

---

(١) السَّهْمِيُّ : بفتح السين المهملة وسكون الهاء وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى سهم باهلة (الأنساب ٧٨/٣) .

(٢) في (خ) : فإذا .

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في مسند الشاميين بألفاظ مختلفة عن أبي أمامة (٢٦٩/١) رقم (٤٦٨) ، وفي الكبير (١٩١/٨) رقم (٧٧٨٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٠/٥) رقم (٧٠٤٩) ، والطبري في جامع البيان عن إبراهيم التَّيْمِيِّ (١٥٩/٢٦) .

(٤) في هامش (خ) : الغرغرة تردد الروح في الحلق .

(٥) زاد في الأصل بعدها : وقوله .

نهارهم قبل الليل يكون في معنى تعجيل إجابته لمن دعاه وحسن قبوله لمن عمل له وسرعة إقباله على من أقبل عليه .

وقوله : « **حجابه النار** » (١) يجوز أن يكون معناه أي حجب الخلق عن إدراكه والتوهم له والفكرة فيه بسلطانه وجبروته وكبريائه ، فلا يحيطون به علمًا .

وقوله : « **لو كشف عنها** » يجوز أن يريد لو كشف الحجاب عن خلقه وهو حجاب لطفه عن أوليائه والمؤمنين به ، وحجاب الغفلة على أعدائه ومن جحده ، وحجاب الرحمة عن سائر الأشياء من جميع خلقه من جماد وحيٍّ ، فظهر لهم جلاله وهيبته وقهره لتلاشت الأشياء كلها واضمحلت وفنيت وغابت ، قال اللَّه ﷻ : ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا** ﴾ [الأعراف : ١٤٣] أي بان له سلطانه وعظمته فصار ترابًا ، بل تلاشى وذهب وفني ، وقال النبي ﷺ : « **إِنَّ اللَّه تعالى إِذَا تَجَلَّى لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعَ** » حدثنا محمد بن علي بن الحسين أبو علي الإِسْفَرَايِينِي ح أحمد بن علي بن [الحسين بن شعيب المَدَايِنِي] (٢) ح أحمد بن عبد اللَّه بن عبد الرحيم البَرْقِي (٣) ح دحيم بن إبراهيم ح مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن [٤٦/ب] النعمان بن بشير وقبيصة بن المخارق ﭫ قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : [١٨٠] « **إِنَّ الشَّمْسَ والْقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ** (٤) **لِمَوْتِ أَحَدٍ ولَكِنَّ اللَّه تعَالى إِذَا تَجَلَّى لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعَ ، فَإِذَا انْكَسَفَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَصَلُّوا كَأَتَمِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ صَلَّيْتُمُوهَا** » (٥) أخبر

---

(١) في (خ) : النهار . (٢) في (س) : الحسن أبي شعيب المداني .

(٣) البَرْقِي : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء ، هذه النسبة إلى برقة وهي بلدة تقارب تروحة من أعمال المغرب ، الأنساب (١/ ٢٢٨) .

(٤) ينكسفان : الكسوف ، معناه : ذهاب نورهما وإظلامهما ، النهاية مادة (خسف) ، (٣١/٢) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري بألفاظ مختلفة عن أبي مسعود في كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف الشمس ، ولكن دون قوله : (ولكن اللَّه تعالى إذا تجلى ... خشع) ، (٣٥٣/١) رقم (٩٩٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الكسوف باب ذكر النداء لصلاة الكسوف (٦٢٨/٢) رقم (٩١١) ، وأبو داود في سننه عن عائشة في كتاب صلاة الاستسقاء باب صلاة الكسوف (٣٠٥/١) رقم (١١٧٧) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن النعمان بن بشير في كتاب كسوف الشمس والقمر باب نوع آخر من صلاة الكسوف (٥٧٦/١) رقم (١٨٧٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الكسوف (٤٠١/١) رقم (١٢٦٢) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ (٤٨١/١) رقم (١٢٣٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى وقال : (هذا مرسل أبو قلابة لم يسمعه من النعمان بن بشير إنما رواه عن رجل عن رجل عن النعمان وليس فيه هذه اللفظة الأخيرة (٣٣٢/٣) رقم (٦١٢٨) .

الأشياء في حجبة عنه ، ولو كشف الحجاب عنها تلاشت .

ومعنى التجلي : إظهار الهيبة والجلال ، فعلى قدر ما يظهر من ذلك يكون ذهاب الأشياء ، وعلى قدر ما يحجبها يكون بقاؤها .

ومعنى قوله [(١)] : « **حجابه النهار** » يجوز أن يكون النهار عبارة عن الشغل ، أي حجب الخلق عنه بشغلهم بذواتهم وحاجاتهم من ضرورات وشهوات ، ولو كشف هذا الحجاب عنهم فبان لهم هيبته وسلطانه تلاشوا وفنوا .

ومعنى : « **سبحات وجهه** » يجوز أن يكون عبارة عن الجلال والهيبة ؛ لأن التسبيح تنزيه اللَّه وإجلاله وتعظيمه ، فمعنى قوله : « **لأحرقت سبحات وجهه** » أي أفنى جلاله وهيبته وقهره ما أدركه بصره .

ومعنى : « **ما أدركه بصره** » أي كل شيء خلقه وأحدثه من العرش إلى الثرى ، كأنه عبارة عن كل موجود سواه ، وليس قوله : « **ما أدركه بصره** » على التحديد والتجزئة حتى يكون وراء ذلك شيء موجود ، بل هو مستوعب لكل موجود سواه ؛ وذلك أنه مدرك لكل موجود ، لا يغيب عن بصره شيء ، ولا يستتر عنه مخلوق ، ولا يتوارى عنه محدث ، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا .

٥٠
باب في الشفاعة

حديث آخر : [١٨١] حدثنا حاتم بن عقيل ح [يحيى بن إسماعيل ح] [(٢)] يحيى الحِمَّاني ح أبو معاوية ح إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري عن أبي هريرة [٤٧/أ] ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **سَأَلْتُ الشَّفَاعَةَ لأُمَّتِي ، فَقَالَ : لَكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . قُلْتُ** [(٣)] **: رَبِّ زِدْنِي . قَالَ : [لَكَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَقُلْتُ : رَبِّ زِدْنِي . فَقَالَ]** [(٤)] **: لَكَ هَذَا فَحَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ** » . فقالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : حسْبُنَا يا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ عُمَرُ ﷺ : دَعْ رَسُولَ اللَّهِ يُكْثِرُ لَنَا ما أَكْثَرَ اللَّه لَنَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ إِنَّهَا حَثْيَةٌ مِنْ

---

(١) في (خ) : ما جاء في رواية أخرى .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) في (خ) : فقلت .

(٤) سقط من (خ) .

حَثَيَاتِ رَبِّنَا ﷻ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَقَ أَبُو بَكرٍ » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : في حثية النبي ﷺ عن يمينه وشماله معنيان : الكثرة والاختلاط ، وذلك أن من حثا عن يمينه وشماله لا يميز ولا يختار ، فيأخذ شيئًا ويدع آخر ، ولكنه يأخذ ما حصل في قبضته من أي شيء كان وعلى أي صفة كان وما كان من العدد فكأن النبي عليه السلام أخبر (٢) بحثيته أن الذين شفعه الله فيهم يحوز العدد كثرة والصفة جميعًا ، فكأنه يقول : شفعني الله في أمتي بغاية من الكثرة لا يحصى عددهم ولا تعرف أوصافهم فهم (٣) مسيئين كانوا أو محسنين أصحاب صغائر كانوا أو كبائر ، يدل على ذلك قوله : « شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي » قال : حدثنا به بكر بن حمدان ح محمد ابن يونس الكُدَيْمِي (٤) ح أبو عاصم النبيل ح ابن جريج ح أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٨٢] « شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ (٥) مِنْ أُمَّتِي » (٦) قال : وحدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى [ح يحيى الحِمَّاني] (٧) ح نوح بن قيس الحَرَّانِي [وقيل : الحُدَّاني (٨)] (٩) عن يزيد الرَّقَاشِي عن أنس رضي الله عنه قال : [١٨٣] قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ

---

(١) الحديث أخرجه هناد بن السَّرِيّ في كتاب الزهد بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (١٣٦/١) رقم (١٧٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٨/٦) رقم (٣١٧٣٩) ، وابن الجعد في مسنده (ص ٤١٧) رقم (٢٨٤٩) ، قال المناوي في فيض القدير : وقد رمز السيوطي لحسنه ، وقال ابن حجر : سنده جيد (٧٨/٤) .

(٢) سقط من (س) ، وفي (خ) : أعلم .   (٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) الكُدَيْمِي : بضم الكاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى كُدَيْم ، وهو اسم للجد الأعلى لأبي العباس محمد بن يونس بن موسى ... وكان يضع على الثقات الحديث وضعًا ، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث ، الأنساب (١٣٠/٤) .

(٥) الكبائر : واحدتها كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعًا العظيم أمرها ؛ كالقتل والزنى والفرار من الزحف وغير ذلك ، النهاية مادة (كبر) ، (١٣٩/٤) .

(٦) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن أنس في كتاب السنة باب في الرد على الجهمية (٢٣٦/٤) رقم (٤٧٣٩) ، والترمِذي في جامعه في كتاب الزهد باب ما جاء في الشفاعة ، وقال : حسن صحيح غريب (٦٢٥/٤) رقم (٢٤٣٥) ، وأحمد في مسنده (٢١٣/٣) رقم (١٣٢٤٥) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، وافقه الذهبي (١٣٩/١) رقم (٢٢٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٧/٨) رقم (١٥٦١٦) ، والطَّيَالِسِي في مسنده عن جابر (٢٣٣/٢) رقم (١٦٦٩) .   (٧) سقط من (س) .

(٨) الحُدَّاني : بضم الحاء وتشديد الدال المهملتين وفي آخرها نون بعد ألف ، هذه النسبة إلى حدان ، وهي من الأزد ، وعامتهم بصريون ، الأنساب (٣٣/٢) .

(٩) سقط من (س) و (خ) . ونسبه الحُدَّاني بالدال ، تهذيب التهذيب (٤٣٢/١٠) ترجمة رقم (٨٧٧) .

تَشْفَعُ ؟ قَالَ : [٤٧/ب] « **لأَصْحَابِ الدِّمَاءِ والعَظَائِم** » (١) ففي هذا الحديث دليل على أنه ﷺ أشار بحثيته إلى كثرة عددهم واختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم .

وقول أبي بكر رضي الله عنه : « إنها حثية من حثيات ربنا » وتصديق النبي ﷺ إياه إخبار منه أن الكثرة من النبي ﷺ تجاوز العدد والإحصاء ، فكيف بالذي يعلم الله تعالى بكثرته . ففي قول أبي بكر رضي الله عنه دلالة أنه شفع في جميع أمته من أهل الإيمان . ألا تراه يقول : « حسبنا يا رسول الله » أي قد استوعبت ، وقول عمر رضي الله عنه : « دع رسول الله يكثر لنا ما أكثر الله لنا » يدل على أنه لم يدرك من إشارة النبي ﷺ ما أدركه أبو بكر ؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه علم أنه إخبار عن الجميع حتى لا يبقى منه شيء ، وليس وراء ذلك غاية ، الدليل على ذلك حديثه الآخر ، قال : ح محمد بن حامد القَوَارِيرِي ح أحمد بن نصر بن إبراهيم النَّيْسَابُورِي (٢) ح عمرو (٣) بن علي ح أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٨٤] « **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نبي دَعوته ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (٤) وهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئًا . قال : ح عبد الله بن محمد بن يعقوب ح حمدان بن ذي النون وعبد الصمد بن الفضل وأحيد (٥) بن الحسين قالوا : ح مكي ابن إبراهيم ح داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأَزْدِي (٦) قال : سمعت أبا بردة الأشْعَرِي

---

(١) لم أقف عليه وقد عزاه العجلوني في كشف الخفاء لابن خزيمة ، كشف الخفاء (١٤/٢) ، ومعنى الشفاعة لأصحاب الدماء والعظائم ثابت بالحديث السابق الذي أخرجه المصنف بإسناده عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .

(٢) النَّيْسَابُورِي : بفتح النون وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنين وفتح السين المهملة وبعد الألف باء منقوطة بواحدة وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى نيسابور ، وهي أحسن مدينة وأجمعها للخيرات بخراسان ، الأنساب (٤٥٦/٤) .

(٣) في (خ) : عمر .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الدعوات باب لكل نبي دعوة مستجابة (٢٣٢٣/٥) رقم (٥٩٤٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب اختبار النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١٨٩/١) رقم (١٩٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الدعوات باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله (٥٨٠/٥) رقم (٣٦٠٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة (١٤٤٠/٢) رقم (٤٣٠٧) .

(٥) في (س) : وأجيد . وفي هامش الأصل : وأحمد .

(٦) من هامش الأصل . والأَزْدِي : بفتح الألف وسكون الزاي وكسر الدال المهملة ، هذه النسبة إلى أزد شنوءة ، الأنساب (٨٥/١) .

يحدث عن أبي المليح البَصْرِي عن أبي موسى الأشْعَرِي قال : [١٨٥] سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ [٤٨/أ] يَوْمٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا ، فَكُنَّا مَعَهُ فَفَقَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجْنَا نَطْلُبُهُ فَاطَّلَعَ عَلَيْنَا يَبْتَسِمُ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْنَا قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَ كُنْتَ قَالَ : « **أَتَانِي جِبْرِيلُ** ﷺ **فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ ، وَبَيْنَ أَنْ يَتَقَبَّلَ شَفَاعَتِي فِيهِمْ** . قَالَ : **فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ** » . فَقُلْنَا : أَتَشْفَعُ لَنَا ؟ قَالَ : « **قَدْ شَفَعْتُ لَكُمْ** » ، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَالَ : « **هِيَ لِمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُخْلِصًا** » [١] .

قال الشيخ رحمه الله : فقد صرح في هذه الأخبار بما تضمنت إشارة النبي ﷺ في حثيته ، وأنها إخبار منه ﷺ عن اللّه تعالى بأنه شفعه في جميع أمته ، وأنه لا يخرج منها أصحاب الكبائر والعظائم ، ومن لم يعمل سوى الإيمان خيرًا ، حين أخبر أنها حثية من حثيات الرب ، فمعنى الحثية من اللّه تعالى عبارة عما قلناه (ن) .

٥١
باب في الوحدانية للّه تعالى

حديث آخر : قال : [١٨٦] ح علي بن محتاج ح علي بن عبد العزيز ح يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني ح جرير عن منصور عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة [٢] عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ** [٣] ، **فَأَوْتِرُوا** [٤] **يَـا أَهْلَ الْقُرْآنِ** » [٥] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بنحوه عن عوف بن مالك الأشجعي في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في الشفاعة (٤/٦٢٧) رقم (٢٤٤١) ، وابن ماجه في سننه بنحوه عن أبي موسى الأَشْعَرِي في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة (٢/١٤٤١) رقم (٤٣١١) ، وأحمد في مسنده (٤/٤٠٤) رقم (١٩٦٣٤) ، والحاكم في المستدرك عن عوف بن مالك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١/٦٠) رقم (٣٦) ، والطبراني في الأوسط بنحوه عن أبي موسى (٥/٢٩٠) رقم (٥٣٤٣) .

(٢) في (س) : ضمر .

(٣) يحب الوتر : الوتر الفرد ، وتكسر واوه وتفتح ، ويحب الوتر أي يثيب عليه ويقبله من عامله ، النهاية مادة (وتر) ، (٥/١٤٧) .

(٤) فأوتروا : أمرٌ بصلاة الوتر ، النهاية مادة (وتر) ، (٥/١٤٧) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الدعوات باب للّه مائة اسم غير واحد (٥/٢٣٥٤) رقم (٦٠٤٧) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب الذكر والدعاء باب في =

قال الشيخ رحمه الله : إن الوتر هو الفرد ، والفرد هو الذي لا يزدوج ، والوتر هو الذي لا يشفع ، فاللَّه تعالى وتر لا يشفع بشيء من خلقه ؛ إذ هو الفرد الذي لا يزدوج بشيء ، وكل ما سواه من الأفراد فإنه يزدوج بشكل أو بضد ، وكل وتر غيره يشفع بخلاف أو وفاق ، فاللَّه تعالى وتر ؛ إذ لا شكل له ولا ضد له ، وكل وتر سواه فهو في نفسه ليس بفرد بل هو شفع ؛ لأنه [٤٨/ب] مركب ويقبل التركيب ، واللَّه تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، فهو فرد وتر واحد أحد لا يوصف شيئًا بما يوصف به خلقه بوجه من الوجوه من جهة الفردية والوترية والواحدية [١] والأحدية والوحدانية ، فهو واحد متوحد فرد متفرد ، أحد متحد .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « **إن اللَّه تعالى وتر يحب الوتر** » أي هو فرد واحد يحب من عباده كل فرد لا يزدوج بالمحدثات ، بمعنى السكون إليها ، والتشبث بها ، والاعتناق لها والعكوف عليها ، بل ينفرد عن الخلق فلا يسكن إليهم في معنى الضر والنفع ، وينفرد عن الدنيا فلا يميل إليها ، وعن حظوظ نفسه فلا تشغله عن واجب حق اللَّه تعالى .

[ومعنى آخر : وهو أن] [٢] اللَّه تعالى وتر [يحب الوتر] [٣] أي فرد تفرد بخلق عباده ، فلم يكن له معين ولا ظهير ، وتفرد بهداية من هداه ، من غير شفيع ولا وزير ، وأنعم على المؤمنين بما لو عدوها لم يحصوها ، تفرد بكل ذلك وحده من غير علة ، فيحب من عباده كل وتر ، أي متفرد بعبادته مقبل بكليته عليه قاصد بنيته نحوه ، ناظر في جميع أحواله إليه ، فيكتفي عن جميع خلقه به ، لا يعرج في سيره إليه على شيء من الأشياء ، ولا يواقف [٤] حالًا من الأحوال ، ولا تكون الدنيا منه على بال ، فيكون وترًا لوتر فردًا لفرد .

= أسماء اللَّه تعالى وفضل من أحصاها (٢٠٦٢/٤) رقم (٢٦٧٧) كلاهما دون : (فأوتروا يا أهل القرآن) ، وأبو داود في سننه بلفظه مع اختلاف الترتيب عن علي في كتاب الوتر باب فيمن يقرأ السجدة بعد الصبح (٦١/٢) رقم (١٤١٦) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الوتر باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم ، وقال : حديث علي حديث حسن (٣١٦/٢) رقم (٤٥٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصلاة الأول باب الأمر بالوتر (١٧١/١) رقم (٤٤٠) ، وابن ماجه في سننه بلفظه مع اختلاف الترتيب في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في الوتر (٣٧٠/١) رقم (١١٦٩) .

(١) سقط من (س) . (٢ ، ٣) السابق .

(٤) في (س) : يوافق .

وقوله : « **فأوتروا يا أهل القران** » يجوز أن يستدل به على إيجاب الوتر ، كأنه يقول : من كان من أهل القرآن إيمانًا به وتلاوة له فليوتر ، فأوجب الوتر كإيجاب قراءة القرآن .

ويجوز أن يكون معناه : أفردوا الأعمال [٤٩/أ] لله ، لا تشوبوها برياء ولا سمعة ، ولا تخلطوها بإرادة دنيا ولا همة حظ نفس ، قال النبي ﷺ : [١٨٧] « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنيَّاتِ [وَإِنَّمَا لامْرِئٍ]** (١) **مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، [فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه]** (٢) **وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ** » (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : [١٨٨] « **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا وَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ** » قال : ح عبد العزيز ابن محمد ح محمد بن إبراهيم ح إسحاق بن محمد الفَرْوِي (٤) ح ابن أبي الزناد عن عمرو بن أبي عمرو عن المَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **قال الله تعالى ...** » وذكر الحديث (٥) .

فكان معنى قوله ﷺ : « **أوتروا يا أهل القرآن** » أي أخلصوا العمل لله ولا تراؤوا فيه ، وأفردوا له أعمالكم .

---

(١) في (س) : ولكل امرئ .   (٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري بألفاظ متقاربة عن عمر بن الخطاب ﷺ في كتاب الحيل باب في ترك الحيل (٢٥٥١/٦) رقم (٦٥٥٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنية » (١٥١٥/٣) رقم (١٩٠٧) ، وأبو داود في سننه في كتاب الطلاق باب فيما عني به الطلاق والنيات (٢٦٢/٢) رقم (٢٢٠١) ، والترمذي في جامعه في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا (١٧٩/٤) رقم (١٦٤٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطهارة باب النية في الوضوء (٧٩/١) رقم (٧٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب النية (١٤١٣/٢) رقم (٤٢٢٧) .

(٤) زاد في (س) بعدها : وفي بعض النسخ الهَرَوِي .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله (٢٢٨٩/٤) رقم (٢٩٨٥) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الزهد باب الرياء والسمعة (١٤٠٥/٢) رقم (٤٢٠٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٩/٥) رقم (٦٨١٥) ، وابن خزيمة في صحيحه (٦٧/٢) رقم (٩٣٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٣٠/١١) رقم (٦٥٥٢) ، والطبراني في الأوسط (٣٢٤/٦) رقم (٦٥٢٩) .

٥٢

باب في تصرف الله تعالى في قلوب العباد

حديث آخر : قال : [١٨٩] ح أبو سعيد حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني ح أبو إسحاق - هو خازم بن الحسين الحُمَيْسِي [(١)] - عن يزيد الرَّقَاشِي عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَا مِنْ قَلْبِ آدَمِيٍّ إلا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يُثَبِّتَهُ ثَبَّتَهُ ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقَلِّبَهُ قَلَّبَهُ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ بِأَرْضِ فَلاةٍ فِي رِيحٍ عَاصِفٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ** » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : وصف النبي عليه السلام الرب بالأصابع كما وصف الله نفسه باليد

---

(١) الحُمَيْسِي : بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها وكسر السين المهملة ، هذه النسبة إلى بني حميس ، الأنساب (٢/٩٤) .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد أخرج جزأه الأول حتى « قلبه » النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة (٤/٤٤٣) رقم (٧٨٦١) ، وأحمد في مسنده عن النواس بن سمعان (٤/١٨٢) رقم (١٧٦٦٧) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك (١/٧٠٦) رقم (١٩٢٦) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ، وقال الألباني في الحاشية : صحيح وهو على شرط البخاري (١/٩٨) رقم (٢١٩) ، والطبراني في الدعاء عن أم سلمة (ص ٣٧٧) رقم (١٢٥٨) ، أما الجزء الثاني من الحديث من : « وإنما مثل القلب » فقد أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي موسى الأَشْعَرِي في افتتاح الكتاب باب في القدر (١/٣٤) رقم (٨٨) ، وأحمد في المسند (٤/٤٠٨) رقم (١٩٦٧٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس (١/٤٧٣) رقم (٧٥١) ، وعن أبي موسى (١/٤٧٤) رقم (٧٥٣) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة عن أبي موسى وصححه الألباني (١/١٠٢) رقم (٢٢٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/١٤٢) رقم (٣٤٨١٩) ، وهناد بن السَّرِي في الزهد (٢/٥٨٣) رقم (١٢٣٧) ، وابن الجعد في مسنده (ص ٢١٩) رقم (١٤٥٠) .

وإسناد هذا الحديث ضعيف ففيه يزيد الرَّقَاشِي وهو يزيد بن أبان الرَّقَاشِي (ضعيف) ، الضعفاء للعقيلي (٤/٣٧٣) ترجمة رقم (١٩٨٣) ، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١/٢٠٦) ترجمة رقم (٣٧٧٠) ، وقال ابن عدي في الكامل : نرجو أنه لا بأس به برواية الثقات عنه من البَصْرِيين والكوفيين وغيرهم ، والراوي عنه هنا ليس من الثقات وهو خازم بن الحسين الحُمَيْسِي ، قال ابن حبان في المجروحين : منكر الحديث على قلة روايته كثير الوهم فيما يرويه لم يكن يعلم الحديث ولا صناعته وليس ممن يحتج به إذا وافق الثقات فكيف إذا انفرد بأوابد وطامات (١/٢٨٨) ترجمة رقم (٣١٧) ، وقد وجدت هنا متنين تحت إسناد حديث واحد تفرد به المصنف فربما كان ذلك من وهم خازم بن الحسين .

والسمع والبصر ، وقامت الدلائل على أن يده وسمعه [٤٩/ب] وبصره ليست بجوارح ولا أعضاء ولا أبعاض ولا أجزاء ؛ إذ هو ﷻ واحد أحد فرد صمد ، بعيد عن أوصاف الحدث وعن شبه المخلوقين ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فعلينا الإيمان به ، والوصف له بما وصف به نفسه ، ونفي أوصاف الحدث عنه [1] ، وتنزيهه عن التشبيه والكيفية والدرك إلا من حيث الإقرار به والإيمان والتصديق له ، فكذلك ما وصفه به رسوله من الأصبع فعلينا التسليم له [2] ، والإيمان به ، والتصديق على أنها صفة له ، على ما يستحقه ويليق به ، من غير كيفية ولا إدراك ولا تشبيه ؛ إذ هو ﷺ أعلم الخلق به وأعرفهم بأوصافه ، قال ﷺ : [١٩٠] « **أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ** » [3] وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤] ، فالأصبع صفة لله ، والعدل والفضل صفتان له ، فيجوز أن يكون معنى قوله : « **بين أصبعين** » أي بين صفتين من صفاته تعالى ، وتكون الصفتان الفضل والعدل ، لقوله : « **يقلبها** » فيكون التقليب بين حالتين مختلفتين ، مرة إلى كذا ومرة إلى كذا ، كما قال في حديث آخر : [١٩١] « **تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ** » [4] فإذا قلَّب قلبَ عبدٍ إلى هدى فهو فضل منه ، وإذا قلبه إلى ضلال فهو عدل منه ، وكان ﷺ يكثر أن يقول : [١٩٢] « **يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ** » [5]

---

(١) سقط من (س) .

(٢) زاد في (س) بعدها : وفي بعض النسخ الإسلام له .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عائشة في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ : « أنا أعلمكم بالله » ، (١٦/١) رقم (٢٠) ، والحاكم في المستدرك عن جابر (٦٤٧/١) رقم (١٧٤٢) ، وعبد بن حميد في المنتخب عن عائشة (ص ٤٣٥) رقم (١٥٠٢) .

(٤) الحديث أخرجه هناد بن السَّرِّي في الزهد عن أبي موسى بلفظ : تطير بها الريح ظهرًا لبطن (٥٨٣/٢) رقم (١٢٣٧) ، وابن المبارك في الزهد بلفظ : الريح تصفقها ظهرًا لبطن (ص ١٢٢) رقم (٣٥٨) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة بلفظه عن أبي موسى ، وقال الألباني في تحقيقه : إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم (١٠٢/١) رقم (٢٢٧) ، والروياني في مسنده (٣٧٢/١) رقم (٥٦٨) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ١٩٠) رقم (٥٣٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٣/١) رقم (٧٥٢) .

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أنس في كتاب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ، وقال : حديث حسن (٤٤٨/٤) رقم (٢١٤٠) ، والنسائي في سننه الكبرى عن عائشة في كتاب التعبير باب قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه: ٣٩] ، (٤١٤/٤) رقم (٧٧٣٧) ، وأحمد في مسنده عن أنس (١١٢/٣) رقم (١٢١٢٨) ، والحاكم في المستدرك عن النواس بن سمعان ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٧٠٦/١) رقم (١٩٢٦) .

ويسأله التثبيت ، فالله تعالى يقلب قلوب [1] أعدائه بعدله ، والعدل صفة له ، فهو يقلب قلوبهم من حال إلى حال ، فكلها إرادة الشر بهم ، والضلال ؛ لقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١] فهو يجعل في قلوبهم المرض ، ويقلبها من [٥٠/أ] المرض إلى الزيغ [2] ومن الزيغ إلى الرين [3] ، ومن الرين إلى أن يجعلها الله تعالى في أكنة [4] ، ومنها إلى الطبع ، ومن الطبع إلى الختم [5] ، وذلك عدل منه ، وهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، قال الله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة : ١٠] ، وقال : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف : ٥] [6] ، وقال : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ [الأنعام : ٢٥] وقال : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] ، وقال : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة : ٧] فهو جل وعز يفعل ذلك بالمنافقين والكافرين دون المؤمنين المخلصين ، وله أن يفعل ما يشاء ؛ إذ هو المالك لهم لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فعلى هذا يقلب قلوب أعدائه ومن سبق له من الله الشقاء فكفر وجحد وأشرك ونافق ، تعالى الله عن ظلم عباده علوًا كبيرًا . ويقلب قلوب أوليائه بفضله من حال إلى حال إرادة الخير لهم ليهتدوا به فيوقنوا ويزيدهم إيمانًا وإيقانًا ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] ، وتثبيتًا لهم كما قال : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا [7] وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] فقلوب أوليائه المؤمنين المخلصين الذين سبقت لهم منه الحسنى تتقلب بين الخوف والرجاء ، واللين والشدة ، والوجل والطمأنينة ، والقبض والبسط ، والشوق والمحبة ، والأنس والهيبة ، والله تعالى مقلبها بفضله ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) الزيغ : الميل عن الاستقامة ، المفردات للأصفهاني مادة (زيغ) .

(٣) الرين : صدأ يعلو الشيء الجليل ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ [المطففين : ١٤] أي صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفة الخير من الشر ، المفردات للأصفهاني مادة (رين) .

(٤) أكنة : جمع كِنان وهو الغطاء الذي يكن فيه الشيء ، المفردات مادة (كنن) .

(٥) الطبع ، الختم : الختم والطبع يقال على وجهين مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع ، والثاني الأثر الحاصل عن النقش ، والطبع على القلب استعارة الإغفال ، المفردات للأصفهاني مادة (ختم) .

(٦) وبهامش الأصل التعليق الآتي : أي فلما زاغوا بالأبدان بالعصيان أزاغ الله قلوبهم بالخذلان .

(٧) سقط من (س) .

اَللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج : ٣٥] ، وقال : ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [الحجرات : ٣] ، ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم (١) بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [النور : ٢] ، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ [٥٠/ب] اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] ، ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] يقبض قلوبهم بالخوف منه ، ويبسطها بالأمن (٢) به والذكر له (٣) ، فقلوب عباده تتقلب بين هاتين الصفتين العدل والفضل ، وهو يقلبها ، له الخلق والأمر ، وبيده الهدى والضلال ، ومنه التثبيت والإزاغة (٤) ، له الحكم واليه المصير . وقلوب عامة المؤمنين تتقلب بين أحوال مختلفة ، بين يقين واضطراب ، وغفلة وتيقظ ، وسكون إلى الدنيا أو ميل إلى الآخرة ، مرة إلى هذا ومرة إلى هذا ، قال عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما : [١٩٣] « إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا ؛ لأَنَّهُ يَتَقَلَّبُ » (٥) ، وقال بعض الحكماء : (ما من (٦) شيء أشد على العبد من حفظ القلب بينما هو يجول حول العرش حتى تراه (٧) جوف الحش) (٨) .

وقال سهل بن عبد اللَّه التُّسْتَرِي (٩) : (إنما على العبد زم جوارحه وحفظ حدود اللَّه ، وكف النفس عن شهواته ، فإذا فعل ذلك حفظ اللَّه قلبه وأصلح سره) ، وفي بعض الروايات : [١٩٤] (مَنْ أَصْلَحَ بَرَّانِيَّهُ (١٠) أَصْلَحَ اللَّه جُوَّانِيَّهُ) (١١) ، معناه : من

---

(١) في (س) : ولا تأخذك . (٢) في (س) : بالأنس .

(٣) لم أقف على قائل هذا القول ولكن قال القرطبي في تأويل الآية ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ [البقرة : ٢٤٥] : هذا عام في كل شيء فهو القابض الباسط ، وقد أتينا عليهما في شرح الأسماء الحسنى في الكتاب الأسنى ، الجامع لأحكام القرآن (٢٤٣/٣) .

(٤) في (س) : والإزالة . (٥) سبق في اللوحة رقم (٢٦/أ) .

(٦) من هامش الأصل . (٧) زاد في (س) بعدها : يجول .

(٨) في هامش الأصل : الحش موضع ا.هـ . والحش جماعة النخل ، والحش أيضًا البستان ، لسان العرب مادة (حشش) .

(٩) التُّسْتَرِي : بالياء المضمومة المنقوطة من فوق بنقطتين وسكون السين المهملة وفتح التاء المعجمة أيضًا بنقطتين من فوق والراء المهملة هذه النسبة إلى تستر بلدة من كور الأهواز من بلاد خوزستان يقولها الناس شوشتر وبها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه ، الأنساب (٣٣٧/١) .

(١٠) في (س) : من صلح ربانيه .

(١١) الأثر أخرجه ابن المبارك في الزهد عن سلمان ولفظه : (إن لكل امرئ جوانيًا وبرانيًا فمن يصلح جوانيه يصلح اللَّه برانيه ومن يفسد جوانيه يفسد اللَّه برانيه) ، (ص ١٧) رقم (٧٢) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ، وقال : رواه الثَّوري ووهب وخالد عن عطاء مثله (٢٠٣/١) .

أصلح ظاهره بزم جوارحه وحفظ حركاته أعانه الله تعالى على حفظ قلبه .

وقال بعض الحكماء : (استجلب نور القلب بدوام الحزن ، واستفتح باب الحزن بطول الفكر ، واطلب راحة البدن بإجمام القلب ، واطلب إجمام القلب بترك خلطاء السوء) . وقيل : (موت القلب بالجهل ، وحياة القلب بالعلم) . حدثنا [محمد بن موسى] (١) بن سماك الفقيه ح أبي ح الحسن (٢) بن سهل البصري ح عبد الرزاق أخ [٥١/أ] [معمر عن قتادة] (٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [١٩٥] « **إِنَّ القَلْبَ يَدْثُرُ** (٤) **كمَا يَدْثُرُ السَّيفُ [وَإِنَّ جِلاءه ذِكْرُ اللَّهِ في كُلِّ فَجٍّ]** » (٥) (٦)

قال : ح حاتم بن عقيل ح يحيى ح يحيى الحِمَّاني ح أبو بكر عن أبي المهلب عن عبيد الله بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : [١٩٦] « **إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ لابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِمَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ ، وَاسْتِمَاعِ** (٧) **كَلامِ الحكَمَاءِ ، فَإِنَّ اللَّه تعَالى يُحْيِي الْقَلْبَ الميِّتَ بِنُورِ الحِكمَةِ ، كمَا يُحْيِي الأَرْضَ الميْتَةَ بِوَابِلِ المطَرِ** » (٨) .

٥٣
باب في ابتلاء الله ليوسف عليه السلام بكلمة قالها

حديث آخر : [١٩٧] قرئ (٩) علي أبي ناصر محمد بن حمدويه بن سهل المُطَّوِعِي في المحرم سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة في دار بكار وهو ينظر في كتابه حدثكم محمود ابن آدم ح سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار (١٠) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ ومِنْ صَبْرِهِ وَمِنْ** (١١) **كَرَمِهِ ، واللَّه يغْفِرُ**

---

(١) في (س) : موسى بن محمد بن محمد . (٢) في (س) : الحسين .

(٣) في (س) : أبو معمر .

(٤) يدثر : أي يصدأ كما يصدأ السيف ، النهاية مادة (دثر) ، (٢/١٠٠) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) لم أقف عليه ، وقد ذكره ابن الأثير في النهاية عن أبي الدرداء ، النهاية مادة (دثر) ، (٢/١٠٠) .

(٧) في (س) : واستمع ا.هـ . وهو الموافق لرواية الطبراني .

(٨) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظه عن أبي أمامة (٨/١٩٩) رقم (٧٨١٠) ، قال السيوطي في الدر المنثور : وأخرج الطبراني والرامهرمزي في الأمثال بسند ضعيف عن أبي أمامة وساق الحديث ، الدر المنثور (٦/٥١٢) .

(٩) في (س) : قرأ .

(١٠) في (س) : زياد . (١١) سقط من (س) .

لَهُ [حِينَ سُئِلَ عَنِ البَقَرَاتِ العِجَافِ كَيفَ أَخبَرَ حَتَّى يُخرِجُوهُ ، وَعَجِبْتُ مِنْ صَبْرِهِ وَكَرَمِهِ واللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ] (١) **لَوْ كُنتُ أَنَا مَكَانَهُ حِينَ أَتَاهُ الرَّسُولُ لَبَدَرْتُهُ الْبَابَ ، لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْعُذْرُ ، ولَوْلا كَلِمَةٌ قَالَهَا مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ »** (٢) .

قال الشيخ رحمه الله : أخبر النبى عليه السلام عن صبر الكريم ابن الكرام يوسف عليه السلام وسكونه في حاله ، ورضاه وتمكنه وسكونه تحت مجاري أقضية اللَّه وقلة اضطرابه وانتظاره حكم ربه في الفرج عما هو فيه من غم السجن وكربه ، وعجب من شأنه في صبره وكرمه ورفع من قدره ﷺ وأخبر عن نفسه أن لو كان مكانه لبادر الباب ، وهو ﷺ أرفع حالًا [٥١/ب] وأشد تمكنًا ، وأجل قدرًا ؛ إذ هو ﷺ أفضل الأنبياء وخير البشر فهو أحرى بالصبر والكرم ، وأحق بتمكين الحال ، فليس إخباره عن نفسه مبادرة الخروج - إن شاء اللَّه - تضجرًا من الحال ، ولا استبطاء للفرج ولا لقلة التمكن [ولا لاضطراب] (٣) منه في الحال التي دفع إليها ، ولكنه إخبار منه عن نفسه إيثار حق اللَّه على حظ نفسه ؛ وذلك أن يوسف عليه السلام كان رسولًا للَّه ، وقد بعث إلى القوم الذين هو بين أظهرهم ، وكان يجب عليه الدعاء إلى اللَّه ، وقد دعا أهل السجن ، قال ﷻ : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٩] ، ودلهم على صدقه بالمعجز من الآية ، وهو على علم الغيب الذي لا يعلمه إلا اللَّه ومن ارتضى من رسول ، فقال : ﴿ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ ﴾ الآية [يوسف : ٣٧] ، ولم يكن له طريق إلى دعوة الملك إلى اللَّه لكونه في السجن ، فلما وجد السبيل إلى ذلك بإرسال الملك إليه أن يأتوه به إليه تربص وقدم عذر نفسه وبراءتها مما نسبت إليه من إرادة السوء الذي رمته امرأة العزيز بها ؛ إذ تقول : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ [يوسف : ٢٥] فرد عليه السلام الرسول ، فقال : ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي ﴾ الآية [يوسف : ٥٠] ، فلما برأنه بقولهن : ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ ﴾ [يوسف : ٥١] ، وقالت امرأة العزيز : ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ٥١] فعند ذلك أجاب الملك وخرج من السجن ، فقال النبي ﷺ : « **لو كنت**

---

(١) السابق .

(٢) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان عن عكرمة بألفاظ مختلفة (٢٣٥/١٢) ، وأورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم عن عكرمة أيضًا ، وقال : مرسل (٤٨٢/٢) وإسناد هذا الحديث حسن ، فيه محمود ابن آدم ، قال ابن حجر : صدوق ، تقريب التهذيب (٥٢٢/١) رقم (٦٥٠٩) .

(٣) كذا في (س) و (خ) ، وفي الأصل : والاضطراب .

مكانه لبادرت الباب » يعني لأصل إلى دعوة الملك إلى [٥٢/أ] الله لوجوب حق الله ، وتأدبًا بأدب الله له بقوله : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر : ٩٤] ، وقوله : ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، فأخبر أنه لو كان مكانه لآثر حق الله في دعوة الملك إلى الله تعالى على براءة نفسه إعراضًا عنها ، وإقبالًا على الله في أداء حقه ، وجعل ذلك من يوسف شبه التقصير ، ألا ترى إلى قوله : « **والله يغفر له** » .

ومما يدل على أن ذلك على الإشارة إلى التقصير قوله في حديث آخر : [١٩٨] « **لَوْ لبِثْتُ في السِّجْنِ مَا لَبِثَ ثُمَّ جَاءني الرَّسُولُ أَجَبْتُ** » [(١)] ، ثم قال : [١٩٩] « **رَحْمَةُ اللّهِ عَلَى لُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ قَالَ : فَمَا بَعَثَ اللّهُ مِنْ بَعْدِهِ نَبِيًّا إِلا في ذِرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ** » أخبرنا به نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح الحسين بن حريث الخُزَاعِي ح الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٢)] .

فقوله : « **إن كان ليأوي إلى ركن شديد** » [إشارة إلى تقصيره عند قوله : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠]] [(٣)] كأنه يقول : قد كان يأوي إلى ركن شديد وهو الرسالة والنبوة ، وهي أعز من العشيرة ، فكذلك قوله : « **لو كنت أنا مكانه حين أتاه الرسول لبادرته** » ، وليس معنى التقصير تقصيرًا في حق [(٤)] يوسف ولكنه تقصير في حال النبي عليه السلام أن لو كان ذلك منه [لكان تقصيرًا] [(٥)] وإن لم يكن من

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التعبير باب رؤيا أهل السجون (٢٥٦٧/٦) رقم (٦٥٩١) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ﴾ [يوسف : ٥٠] ، (٣٦٩/٦) رقم (١١٢٥٤) ، وأحمد في مسنده (٣٣٢/٢) رقم (٨٣٧٣) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة ، ووافقه الذهبي (٣٧٧/٢) رقم (٣٣٢٥) ، والطبري في تفسيره جامع البيان بلفظ مقارب (٢٣٥/١٢) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة يوسف ، وقال : هذا حديث حسن (٢٩٣/٥) رقم (٣١١٦) ، والحاكم في المستدرك إلا أنه قال : « في ثروة من قومه » ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الزيادة ، وسكت عنه الذهبي (٦١١/٢) رقم (٤٠٥٤) ويعني بالزيادة من قوله : « فما بعث الله ... إلخ » ، والطبري في تفسيره جامع البيان ، وقال : قال محمد : والثروة الكثرة والمنعة (٨٧/١٢) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (س) : حال .

(٥) في (س) : تقصير .

يوسف تقصيرًا ؛ لأنه أرفع حالًا منه ، أبان عليه السلام عن ارتفاع درجته من (١) درجة يوسف وأن ما كان من يوسف لو كان من النبي (٢) كان ذلك منه تقصيرًا وإن لم يكن من يوسف تقصيرًا ؛ لأن إظهار عذره عند الملك من واجب حق الله تعالى ؛ لأنه كان [٥٢/ب] رسول الله عليه السلام ، ورسول الله [لا يرتكب ما رمي (٣) به ونسب إليه ، ورمي الرسول بمثل ما رمي به افتراء (٤) على الله ورسوله] (٥) وكذلك قول لوط : ﴿ أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠] يمنعوني (٦) فلا أقتل لأصل إلى قضاء حق الله تعالى في الدعاء إليه ، ولم يكن ذلك منه ومن يوسف طلب حظوظ النفس ، فهما وإن لم يقصدا حظوظ أنفسهما ففيه ذب عن أنفسهما وخصومة عنهما ، ويقدم (٧) ذلك على الدعاء إلى الله فهو شبه التقصير في حال من سقطت عنه نفسه وحظوظها وهو النبي عليه السلام ، وقيل : لو خرج يوسف من قبل أن يبرئنه لاحتاج إلى طلب العذر من الملك فيما رمي به ، فلما تربص حتى برأنه اعتذر الملك إليه بقوله : ﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: ٥٤] ، وقوله : « **ولولا كلمة قالها ما لبث في السجن ما لبث** » فقيل : الكلمة التي قالها قوله للذي نجا منهما أي صاحبي السجن : ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] قال : ح محمد بن عبد الله الفقيه ح أبو إسحاق الهِسِنْجَاني (٨) ح أحمد هو ابن أبي الحَوَارِي (٩) ح زهير بن عباد وعبد العزيز [بن عمير] (١٠) قالا : [٢٠٠] « دَخَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى يُوسُفَ في السِّجْنِ . قَالَ فَعَرَفَهُ يُوسُفُ فَقَالَ لَهُ : يَا أَخَا المُنْذِرِينَ ، مَا لي أَرَاكَ بَيْنَ المذْنِبِينَ (١١) [أراه (١٢) : كأسير بين الخاطئين .

---

(١) في (س) و (خ) : عن .
(٢) زاد في (خ) بعدها : محمد.
(٣) في (خ) : روي .
(٤) في (خ) : إزراء .
(٥) سقط من (س) ومكانه : قال .
(٦) في (س) و (خ) : يمنعونني ا.هـ . وهو الصواب نحويًا .
(٧) في (خ) : وتقديم .
(٨) الهِسِنْجَاني : بكسر الهاء والسين المهملة وسكون النون وفتح الجيم وفي آخرها النون بعد الألف هذه النسبة إلى قرية من قرى الريِّ يقال لها : هسنكان فعرب إلى هسنجان ، الأنساب (٥٠٨/٤) .
(٩) الحَوَاري : هذا إنما يشبه النسبة ، وهو اسم ، وأحمد بن أبي الحواري من أهل دمشق ، الأنساب (١٠٣/٢) .
(١٠) سقط من (س) .
(١١) في (س) : المنذرين ا.هـ . وزاد في (خ) بعدها : قال الشيخ رحمه الله .
(١٢) زاد في (خ) بعدها : قال : أما تراني .

قال الشيخ رحمه الله : الصواب فيما أرى أن يكون هذا القول] [١] أَمَا تَرَانِي كَأَسِيرٍ بَيْنَ الخَاطِئِينَ [حتى يستقيم الكلام] [٢] [٣] فَقَالَ جِبْرِيلُ : « يَا طَاهِرَ ابنَ الطَّاهِرِينَ ، إِنَّ اللَّه تَعَالَى كَرَّمَنِي بِكَ وبِآبَائِكَ ، وَهُوَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ [ويَقُولُ لَكَ] [٤] : أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَنِ اسْتَشْفَعْتَ بِغَيْرِي [٥] ، وَعِزَّتِي لأُلْبِثَنَّكَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ [٥٣/أ] سِنِينَ . قَالَ : فَقَالَ جِبْرِيلُ [٦] : وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِذًا لا أُبَالِي » [٧] .

قال : فإن كان هذا صحيحًا فهو الحق ، والقول بعده تكلف ، وإن كان غير ذلك فيجوز أن تكون الكلمة التي قالها قوله : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف : ٣٣] فقد روي في بعض الأخبار أنه قال : [٢٠١] « إِنَّ الْبَلاءَ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ » [٨] ، ولو لم يقل : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ لم يسجن ، هذا أو كلامًا هذا معناه . فكأنه لما كان ذلك من قدر الله وكتابه على يوسف أجرى ذلك على لسانه ؛ لئلا يسبق إليه الأوهام أن لبثه في السجن كان عقوبة له على ذنب ، أو معاتبة [٩] على تقصير ، ولكن على اختيار منه ، وأنه آثر ألم نفسه ، وغمها على ارتكاب ما رُوِّد عليه من معصية الله تعالى ، فهو تشكر به [١٠] منه ، وإظهار فضله عليه السلام . ولبثه في السجن مدة ما لبث رفعة له وإظهار شرفه وعلو منزلته وارتفاع درجته ، فقد روي في بعض الأخبار أنه [١١] حجة

(١ ، ٢) سقط من (س) .

(٣) سقط من (خ) . (٤) من هامش الأصل .

(٥) زاد في (س) بعدها : وفي رواية : استعنت بغيري .

(٦) كذا في الأصل و (س) والصواب أن يكون (فقال : يا جبريل) كما في الرواية التى أوردها القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٩/١٩٥) .

(٧) لم أقف عليه إلا عند القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن فقد أورده بألفاظ مختلفة عن عبد العزيز ابن عمير (٩/١٩٥) ، وإسناد هذا الحديث معضل فزهير بن عباد يروي عن أتباع التابعين ، تهذيب التهذيب (٣/٢٩٧) ترجمة رقم (٦٣٩) وعبد العزيز بن عمير لم أقف على ترجمة له .

(٨) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه عن عبد الله (٥/٢٣١) رقم (٢٥٥٤٧) ، وهناد بن السَّرِيّ في الزهد (٢/٥٧٠) رقم (١١٩٣) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٢/١٦٢) ، وابن الجعد في مسنده (ص ٢٩٠) رقم (١٩٦٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب بلفظ مقارب عن حذيفة (١/١٦١) رقم (٢٢٧) وعن علي (١/١٦٢) رقم (٢٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن أنس بن مالك وعن أبي الدرداء (٣/٢٤٤) رقم (٤٩٤٨ ، ٤٩٤٩) ، وابن عدي في الكامل عن أبي الدرداء (٦/٢٠٦) ترجمة رقم (١٦٧٩) .

(٩) في (خ) : معاقبة . (١٠) سقط من (س) .

(١١) أي يوسف عليه السلام .

على من ابتلي بالرق والعبودية [١] إذا قصر في حق الله تعالى ، وأيوب ﷺ حجة على أهل البلاء ، وسليمان حجة على الملوك ، وليس ما جرى على الأنبياء والرسل وما ابتلي به الأولياء والصديقون من المحن والبلايا عقوبات لهم ، ولكن تحف وهدايا وخلع . قال النبي ﷺ : [٢٠٢] « **أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأنبِياءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ** » [٢] ، وقال : [٢٠٣] « **إِذَا أَحَبَّ اللَّه عَبْدًا صَبَّ عَلَيْهِ البَلاءَ صَبًّا وَسَحَّهُ** [٣] **سَحًّا** » [٤] .

وقد يجوز أن يكون معنى قوله ﷺ : « **لولا كلمة قالها** » يصرف معنى [٥٣/ب] الكلمة إلى القضاء والحكم والتقدير الأول في سابق علم الله تعالى أن يلبث يوسف ﷺ في السجن ما لبث فيكون معناه : لولا كلمة قالها الحق [٥] ما لبث [٦] في السجن ما لبث فيكون قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ [يونس : ١٩] ، وقوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ١١٥] ، وقوله : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة : ١٣] فيجوز أن يكون معنى القول مصروفًا إلى الله ﷻ وإن لم يتقدم قبل اسمه ﷻ كقوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] فكانت الهاء إشارة إلى القرآن وإن لم يسبق له ذكر الله [٧] ، فكذلك قوله : « **ولولا كلمة قالها** » يعني قالها الله تعالى ، وإن لم يسبق ذكر الله .

ويجوز أن يصرف إلى قوله : « **والله يغفر له** » فيكون القول مصروفًا إلى الاسم المذكور في قوله : « **والله يغفر له** » وتكون الفائدة فيه أن لبث يوسف في السجن ما لبث لم يكن عقوبة لذنب كان منه ولا زلة سبقت ولا عتاب على تقصير في حق ، ولكن لقضاء سبق وقدر مضى ؛ لما فيه من التدبير والحكمة منها ما ظهر ، والذي استأثره الله تعالى بعلمه أكثر .

٥٤
باب في التوكل والأخذ بالأسباب

حديث آخر : [٢٠٤] [حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد القاضي ح عمران بن

---

(١) زاد في (س) بعدها : وفي بعض النسخ والعبودة . ا.هـ .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٥/ب) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : عليه .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٨/ب) .

(٥) يعني : الله ﷻ .

(٦) زاد في (س) بعدها : يوسف ﷺ . ا.هـ .

(٧) لفظ الجلالة سقط من (س) .

موسى الجرجاني] [١] ح إبراهيم بن المنذر الحِزَامِي [٢] ح عبيد اللَّه بن موسى التَّيْمِي [٣] ح يعقوب بن عبد اللَّه بن عمرو بن أمية الضَّمْرِي [٤] عن جعفر بن عمرو عن أبيه عمرو ابن أمية قال : « **قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُقَيِّدُ نَاقَتِي** [٥] **وَأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ : « بَلْ قَيِّدْ وَتَوَكَّلْ »** [٦] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : أصل التوكل السكون إلى ما سبق من قضاء اللَّه وقدره ، وهو أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما [٥٤/أ] أخطأه لم يكن ليصيبه ، وإذا تحقق العبد بذلك سكن منه الاضطراب وسقط عنه السكون إلى الأسباب ، ومن صح توكله لم يلتفت إلى فوت حظه ، ولا إلى إصابته ، فيستوي فيه الأمران جميعًا ؛ لأنه إنما توكل على ما سبق وسكن إليه وهو لا يدري ماذا قدر اللَّه له فوات حظه أو إصابته ، فأما من توكل ليتحرز من فوات ما عنده أو نيل ما ليس عنده فليس بمتوكل على الحقيقة ؛ إذ قد يجوز أن يكون في قدر اللَّه فوت ما عنده ونيل ما ليس عنده ، ولا مرد لقضاء اللَّه ، ولا رادَّ لحكمه ، فسواء توكل أو تمسك بالسبب واحتاط في الطلب .

ألا ترى أن النبي ﷺ قال : [٢٠٥] « **لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا** » [٧] ومعلوم بأن الطير لا توكل لها ، ولكنها

---

(١) سقط من (س) .

(٢) الحِزَامِي : بكسر الحاء المهملة والزاي والميم بعد الألف ، هذه النسبة إلى الجد الأعلى ، الأنساب (٥٤/٢) .

(٣) التَّيْمِي : هذه النسبة إلى قبائل اسمها تيم ، الأنساب (٣٦/١) .

(٤) الضَّمْرِي : بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم وكسر الراء هذه النسبة إلى ضمرة وهو بنو ضمرة رهط عمرو بن أمية الضمري صاحب رسول اللَّه ﷺ ومن ضمرة غفار رهط أبي ذر ، الأنساب (٢٣٧/٣) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بنحوه عن أنس في كتاب صفة القيامة باب منه (٦٦٨/٤) رقم (٢٥١٧) ، والحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة عن عمرو بن أمية الصخري ، وقال الذهبي : سنده جيد (٧٢٢/٣) رقم (٦٦١٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩/٢) رقم (١٢٠٩) ، وابن حبان في صحيحه وقال : يعقوب هذا هو يعقوب بن عمرو بن عبد اللَّه بن عمرو بن أمية الضَّمْرِي من أهل الحجاز مشهور مأمون (٤/٣) رقم (٧٣١) ، وابن الجعد في مسنده بنحوه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ص ٣٤٦) رقم (٢٣٨٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب بألفاظ مختلفة عن عمرو بن أمية الضَّمْرِي (٣٦٨/١) رقم (٦٣٣) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بنحوه عن أنس (٣٩٠/٨) ، قال العجلوني في كشف الخفاء ، قال ابن الفرس : وفي رواية : « قيد وتوكل » وسنده جيد (١٣٥/٢) رقم (١٩٠٥) .

(٧) سبق في اللوحة رقم (٣٧/أ) .

لا تلتفت إلى فوات أو نيل ، فقال : لو كنتم كذلك غير ملتفتين إلى الأسباب ولا متعلقين بها ولا مضطربين فيما تكفل لكم من أرزاقكم لأدركتم ما قسم لكم من غير حرث ولا زرع ولا تكلف ، فأما التحرز لدفع المضار والمكاره وحفظ الحظوظ ونيلها فإنها مأذون فيها غير مدعو إليها ، إلا ما كان فيها منفعة للأغيار ، وصونًا للدين والعرض ، الدليل على ذلك قوله ﷺ في صفة السابقين قال : [٢٠٦] « **هُمُ الذِينَ لا يَرْقُونَ** (١) **ولا يَسْتَرقُونَ ولا يَكْوُونَ** (٢) **ولا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ** » (٣) وقد رقى رسول اللَّه ﷺ وعلم المعاوذ ، وكوى سعد بن الربيع ، غير أنه قال : [٢٠٧] « **لا تَلُومُنَّ في أَبِي أُمَامَةَ يَعْنِي – سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ** – [٥٤/ب] **فَكَوَاهُ** » (٤) .

يعني : لأعذرن فيه ، فأخبر أن التوكل رفض هذه الأسباب ؛ لأن الرقى والكي إنما يستعملان رجاء العافية ، والمتوكل لا يبالي بالمرض والصحة ، وإنما يختار ما يكون لا ما يريد ، ويكون سكونه إلى ما سبق له من اللَّه ﷻ من صحة أو مرض أو نيل أو فوات .

فأما الأسباب التي جاء الترغيب فيها من المكاسب والحرف والتجارات فعلى شرط التعاون يصح ، والمتوكل يفعل هذه كلها لا ليجر بها نفعًا إلى نفسه لكن لينفع الأغيار ، ويصون به عرضه ودينه ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : [٢٠٨] « **مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالًا اسْتِعْفَافًا عَنِ المسْأَلَةِ وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ ، وتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّه وَوَجْهُهُ كَالقَمَرِ**

---

(١) لا يرقون : الرقية العُوذة التي يرقى بها صاحب الآفة ؛ كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، النهاية مادة (رقى) ، (٢٥٤/٢) .

(٢) يكوون : الكي بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض ، النهاية مادة (كوي) ، (٢١٢/٤) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن ابن عباس في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١٩٩/١) رقم (٢٢٠) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود ، وقال : صحيح الإسناد من أوجه ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٤٦٠/٤) رقم (٨٢٧٨) ، وأبو عوانة في مسنده (٨٦/١) ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة (٥٦/٤) رقم (٣٦١٩) كلهم دون لفظ : « لا يكوون » .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في مسنده بلفظ مقارب عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة في كتاب الطب باب من اكتوى (١١٥٥/٢) رقم (٣٤٩٢) ، والحاكم في المستدرك بنحوه ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٢٣٩/٤) رقم (٧٤٩٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب (٥٢/٥) رقم (٢٣٦١٢) ، والطبراني في الكبير (٣٠٤/١) رقم (٨٩٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله ثقات (٩٨/٥) .

لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَمَنْ طَلَبَهَا حَلالاً مُكَاثِرًا مُفَاخِرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ » [1] ، فقد أخبر أن تناول الأسباب لصون الدين والعرض ونفع الغير ، فأما ما يتحرز فيه من الآفات فهو غير مدعو إليها إلا أنه مأذون فيها إلا ما يتحرز به من آفات الأغيار . فقوله ﷺ : « **قيد وتوكل** » إنما قال له ذلك ؛ لأنه كان يريد التوكل لئلا تفوته ناقته ، وكان توكله للتحرز من الآفة لا للسكون إلى المقدور فاحتاط له الرسول ﷺ في التحرز ، فقال : قيد لتبلى العذر في التحرز ، وتوكل [2] لئلا تؤتى إن أتيت من جهة الخذلان ، وهو أن ترد إلى فعلك وتحرزك ، فتكون قد أحكمت من الوجهين جميعًا ، وكذلك الواجب على كل مستشار أن يحتاط للمستشير ، ويدله على أحكم الأمور وأوثق [٥٥/أ] الأسباب وأبعدها عن مواضع التلف ؛ لأن المستشير طالب الأرفق به ، مؤثر له خائف من ضده ، لم يستكمل حق التوكل والسكون إلى ما قدر له ، فهو كالمضطرب فيه ، ألا ترى أنه قال لكعب بن مالك : [٢٠٩] « **بَقِّ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ** » [3] . وقال لبلال : [٢١٠] « **أَنْفِقْ بِلالُ ، وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالاً** » [4] وقال له فيما خبأه له : [٢١١] « **أَمَا**

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب عن أبي هريرة ﷺ (٤٦٧/٤) رقم (٢٢١٨٦) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣٥٣/١) رقم (٣٥٢) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٤١٨) رقم (١٤٣٣) ، وأبو مسهر في نسخته (ص ٥١) رقم (٤٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٨/٧) رقم (١٠٣٧٥) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، وقال : غريب من حديث مكحول لا أعلم له راويًا عنه إلا الحجاج (٢١٥/٨) ، وقد أخرجه البيهقي أيضًا في الأربعون الصغرى ، وقال : هكذا قال مكحول عن أبي هريرة ومكحول لم يسمع من أبي هريرة (١١٦/٢) .

(٢) من هامش الأصل .

(٣) هذا معنى حديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه : « أمسك عليك بعض مالك » عن كعب بن مالك في كتاب الوصايا باب إذا تصدق أو أوقف بعض ماله (١٠١٣/٣) رقم (٢٦٠٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب الإيمان والنذور باب فيمن نذر أو تصدق بماله (٢٤٠/٣) رقم (٣٣١٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة (٢٨٢/٥) رقم (٣١٠٢) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب النذور باب من إذا نذر ثم أسلم قبل أن يفي (١٣٨/٣) رقم (٤٧٦٥) .

(٤) الحديث أخرجه هناد بن السَّرِيّ في الزهد بلفظ مقارب عن أبي حصين (٣٤٠/١) رقم (٦٢٦) ، وأبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة (٤٣٠/١٠) رقم (٦٠٤٠) ، والهيثمي في بغية الباحث عن عبد الله ابن مسعود (٨٧٥/٢) رقم (٩٤١) ، والشاشي في مسنده عن عبد الله (٣٩١/٢) رقم (٣٨٨) ، والقضاعي في مسند الشهاب بلفظ مقارب (٤٣٧/١) رقم (٧٤٩) ، والطبراني في الكبير (٣٤٠/١) رقم (١٠٢٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٢/٢) رقم (١٤٦٦) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بلفظه عن أبي هريرة (٢٨٠/٢) .

تَخْشَى أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » [١] وكان خبأ له شيئًا من تمر ؛ لأنه ﷺ كان مستكمل التوكل ساكنًا إلى ما له عند الله ، غير مضطرب فيه ، ولا ملتفت إلى حظ نفسه ، بل كان نظره إلى ما يريد الله به ، سواء كان فيه رفقه أو غيره ، وعلم من كعب ابن مالك ميلًا إلى رفقه وإيثارًا لحظه ، فقال له : « **بق عليك بعض مالك** » لئلا يضطرب سره ، وكذلك عمرو بن أمية حين قال له : « أقيد أو [٢] أتوكل ؟ » كأنه يقول : بأيهما أحتاط لنفسي بالقيد أو بالتوكل ؟ فقال : بكلا الأمرين ؛ ليتم سكونك ، ولا يضطرب سرك .

٥٥
باب في الخوف على النفس من النفاق

حديث آخر : [٢١٢] ح عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم البَكْرِي ح محمد بن إسماعيل بن جعفر ح [٣] عبد الله بن سلمة عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِي عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّى لِحُذَيْفَةَ المنَافِقِينَ ، وقَالَ لَهُ : « **إِيَّاكَ أَنْ تُخْبِرَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ حَتَّى آذَنَ لَكَ** » . **فَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَأْذَنْ لِحُذَيْفَةَ فِي ذِكْرِهِمْ بِذَلِكَ ، فَلَبِثَ فِي ذَلِكَ حَتَّى كَانَ زَمَنُ عُمَرَ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ أَنَا فِيمَنْ سَمَّى لَكَ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ : لا واللَّهِ ، وواللَّهِ لا أُبَرِّئُ مِنْهَا رَجُلًا بَعْدَكَ** » [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « سمى [٥٥/ب] لك » أي وصف لك صفتهم ، فأكون فيمن وصف ، أي هل فيَّ من أوصافهم شيء .

وقد يجوز أن يراد بالاسم الصفة ؛ لأن الاسم يدل على المسمى ، وكذلك الصفة وقد تعرف الشيء باسمه وبصفته ، ولما كان كذلك جاز أن يوضع أحدهما مكان

---

(١) هذه العبارة لم أقف عليها بلفظها ولكن أخرجها بنحوها تكملة للحديث السابق هناد بن السَّرِيّ في الزهد ، وأبو يعلى في مسنده ، والهيثمي في بغية الباحث ، والشاشي في مسنده ، والطبراني ، وأبو نعيم في حلية الأولياء في نفس المواضع السابقة .

(٢) في (س) : و .

(٣) سقط من (س) .

(٤) لم أقف عليه وقد أخرج نحو قول عمر أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها (٢٩٨/٦) رقم (٢٦٥٩١) ، ويعقوب بن شيبة في مسند عمر بن الخطاب ﷺ (٩١/٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار ورجاله ثقات (٤٢/٣) ، (٧٢/٩) يعني بذلك قول عمر .

الآخر ، فكأن عمر ﷺ إنما استخبر حذيفة عن صفة المنافقين ليتوقاها ، وإن كانت فيه أزالها عن نفسه ، فأما النفاق فإنه قد كان متحققًا متيقنًا إنه ليس فيه في الوقت ، ولا يجوز أن يكون منافقًا فيما بعد ؛ لبشارة النبي ﷺ له بالجنة ، فكيف يكون من بُشّر بالجنة منافقًا ، والمنافق في الدرك الأسفل من النار ؟ وخبر النبي ﷺ يوجب التصديق ، والشك فيه كفر .

وقد يجوز أن يكون في المؤمن بعض أوصاف المنافقين ، وإن لم يكن منافقًا ، وإنما أراد عمر ﷺ أن يعرف صفة من أوصاف المنافقين التي أسرها النبي ﷺ من المنافقين إلى حذيفة ممن سمى له النبي ﷺ من المنافقين ، فإن كانت فيه أزالها عن نفسه وتحرز منها إن لم تكن فيه ، وهذا كما قال عمر بن عبد العزيز : [٢١٣] « رَحِمَ اللَّه امْرَءًا أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي » (١) أي يخبرني بعيوبي فأتركها .

٥٦
باب فيمن ترك الحج بغير عذر

حديث آخر : [٢١٤] حدثنا على بن محتاج ح علي بن عبد العزيز ح (٢) مسلم بن إبراهيم ح هلال مولى ربيعة بن عمرو البَاهِلِي (٣) ح أبو إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « **مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُه إِلَى بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَحُج فَلا عَلَيْه (٤) أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا ، وذَلِكَ أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ [٥٦/أ] حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾** [آل عمران : ٩٧] » (٥) .

(١) لم أقف عليه ولكن وجدته عند الدارمي في سننه منسوبًا إلى عمر بن الخطاب ﷺ في سياق رسالة عباد ابن عباد الخواص الشامي (١٧٠/١) رقم (٦٤٩) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى بلفظ : أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي (٢٧٤/٣) .
(٢) سقط من (س) .
(٣) البَاهِلِي : بفتح الباء المنقوطة بواحدة وكسر الهاء واللام هذه النسبة إلى باهلة بن أعصر ، الأنساب (١٩١/١) .
(٤) في هامش الأصل هذا التعليق : أي ليس له مبالاة .
(٥) الحديث أخرجه الترمِذِي في جامعه عن علي بلفظه إلا أنه قال : ولم يحج في كتاب الحج باب ما جاء في التغليظ بترك الحج ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفي إسناده مقال ، وهلال بن عبد اللّٰه مجهول ، والحارث يضعف في الحديث (١٧٦/٣) رقم (٨١٢) ، والبزار في مسنده عن علي (٨٧/٣) رقم (٨٦١) ، والعقيلي في الضعفاء ، وقال : يروى عن علي موقوفًا ويروى مرفوعًا من طريق أصلح من هذا =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : معنى قوله : « **فلا عليه** » يجوز أن يكون : سواء عليه . وقوله : « يهوديًا أو نصرانيًا » معناه - إن شاء اللَّه - تشبيه وتقريب وليس بحكم ، كأنه يقول : سواء عليه أن يموت على شريعة اليهود أو النصارى ، وذلك أن اليهود والنصارى لا يعدون الحج في شرائع دينهم ، ولا يتعبدون اللَّه به [ولا يتقربون إليه به] [(١)] ، ويجحدون أن يكون الحج من فروض [اللَّه تعالى التي أوجبها على عباده ، ويتقربون إليه - بزعمهم - بالصلاة والصدقة] [(٢)] والطهارة وغيرها من شرائع الإسلام ، وإن كانت على خلاف ما عليه المسلمون ، فمن أقام من المسلمين شرائع الإسلام وترك الحج من غير عذر مع الاستطاعة إلى السبيل إليه [(٣)] فكأنه جحده ، وإن أقر بلسانه فإنه ليس بين الإقرار والجحود في الظاهر إلا إقامة ما أقر به أو تركه ، فالتارك للحج مع الاستطاعة من غير عذر متشبه باليهود والنصارى ، و [٢١٥] « **مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم** » قاله النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ [(٤)] .

ومعنى قوله : « **فهو منهم** » أي يعد فيهم ومنهم ؛ لأن الناس إنما يعرفون ظواهر الخلق ولا يعلم سرائرهم وبواطنهم إلا اللَّه تعالى ، فمن رأوه على فعل أو مع قوم زيًّا وفعلًا عدوه منهم وجعلوه فيهم وحكموا عليه بحكمهم ، فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « **فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا** » يريد إن مات قبل أن يحج ولا عذر له فكأنه مات على شريعة اليهود والنصارى ، وذكر الموت فيه على التوقيت ، فإن وقت الحج موسع ، وفواته بالموت ، فإذا مات فقد فاته ، فكأنه تركه ترك جحود وإنكار ؛ لأنه قد أقام سائر الشرائع التي أقرَّ بها .

= (٣٤٩/٤) ترجمة رقم (١٩٥٥) ولم أقف على هذا الطريق ، وأخرجه ابن عدي في الكامل ، وقال : وهلال لم ينسب وهو مولى ربيعة بن عمرو وهو يعرف بهذا الحديث يرويه عن أبي إسحاق بهذا الإسناد وليس الحديث بمحفوظ (١٢٠/٧) ترجمة رقم (٢٠٣٧) .

(١) سقط من (س) .

(٢ ، ٣) السابق .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن ابن عمر في كتاب اللباس باب في لبس الشهرة (٤٤/٤) رقم (٤٠٣١) ، والأزدي في جامعه موقوفًا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤٥٣/١١) رقم (٢٠٩٨٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عمر (٤٧١/٦) رقم (٣٣٠١٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب مرسلًا (٢٤٤/١) رقم (٣٩٠) ، والطبراني في الأوسط عن أبي عبيدة بن حذيفة عن أبيه (١٧٩/٨) رقم (٨٣٢٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه علي بن غراب وقد وثّقه غير واحد وضعفه بعضهم وبقية رجاله ثقات (٢٧١/١٠) .

فلما ترك هذا مع [٥٦/ب] الإمكان فكأنه معرض عنه مستهين به مستخف بحقه فصار كالجاحد والمنكر له وهو [١] اليهود والنصارى فتشبه بهم وعد فيهم ومنهم - والله أعلم - .

٥٧
باب فيمن يلعن دابته

حديث آخر : [٢١٦] حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد ابن إسماعيل بن جعفر حدثني أبو ضمرة عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا يَلْعَنُ [٢] نَاقَتَهُ ، قَالَ : فَسَارَ مَعَ النَّبِي ﷺ شَيْئًا ،ثُمَّ قَالَ : « **أَيْنَ اللاعِنُ نَاقَتَهُ ؟** » فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ [٣] : « **أَخْرِجْهَا عَنَّا فَقَدْ أُجِبْتَ فِيهَا** » [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **فقد أُجبت فيها** » أي حكم الله عليك بطردها وإبعادها ، فإن اللعن هو الطرد عند أهل اللغة ، فكأن الرجل لما قال لناقته : لعنك الله ؛ فأوجب [٥] الله عليه طردها وإبعادها ، عقوبة له أو تأدبًا ؛ لئلا يعود إلى مثله ، وهذا يدل على أن اللاعن ناقته كان له عند الله حالة حسنة ؛ لأن في الحديث : [٢١٧] « **إِذَا لَعَنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَهْلًا لَهُ وإِلا رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى صَاحِبِهَا** » [٦] أي اللاعن ، هذا معنى الحديث . فلما لعن هذا الرجل ناقته لم تكن الناقة أهلًا للعن ، ولم

---

(١) كذا في الأصل و (س) ، والصواب : وهم .

(٢) يلعن ناقته : أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء ، النهاية مادة (لعن) ، (٤/٢٥٥) .

(٣) في (س) : فقال .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٢/٤٢٨) رقم (٩٥١٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : ورجاله رجال الصحيح (٨/٧٧) ، وأخرجه الطبراني في الدعاء (ص ٥٧٧) رقم (٢٠٨٩) ، وأخرجه بنحوه أبو يعلى في مسنده عن أنس بن مالك (٦/٣٠٥) رقم (٣٦٢٢) ، والطبراني في الدعاء (ص ٥٧٧) رقم (٢٠٨٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال أبي يعلى رجال الصحيح (٨/٧٧) .

(٥) في (س) : أوجب .

(٦) الحديث أخرجه أبو داود في سننه عن أبي الدرداء في كتاب الأدب باب في اللعن ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذي لعن ، فإن كان لذلك =

ترجع على اللاعن ؛ لأنه لو كان أهلًا لها لرجع عليه ، ولو رجع عليه لطرده رسول الله ﷺ وأخرجه من بينهم ، فلما قال : « **أخرجها عنا** » علم أنه لم يرجع عليه ، [ولو رجع عليه] [١] لقال له : اخرج عنا . فلما لم يقل ذلك وقال : « **أخرجها عنا** » فصار كأن الحكم وجب عليها ، وليست الناقة من أهل الخطاب فيقع عليها اللعن من الله ، وإنما وجب الحكم بطردها [٥٧/أ] على الرجل ، فصارت مطرودة متروكة مبعدة ولا يجوز له الانتفاع [٢] بها من ركوب أو بيع أو نحر ، فحرم نفعها تأديبًا له ، وقال بعض أهل اللغة : اللعن الترك ، والملعون المتروك وأنشد [٣] :

أفطيم هل تدرين كم من متلف جاوزت لا مرعى ولا مسكون
غورية نجدية تصعيدة تصويبه متشابه ملعون (ن)

يصف الطريق يقول : إنه متروك لا يسلك فيه . فقوله : « **قد أجبت فيها** » أي أوجب الله عليك تركها والانتفاع بها . قال : وأظن أن في بعض الروايات : [٢١٨] « **فَحَطَّ عَنْهَا رَحْلَهُ ، فَكَانَتْ** [٤] **تَسِيرُ لا يَقْرَبُهَا** [٥] **أَحَدٌ** » [٦] أو كلامًا هذا معناه . حدثنا حاتم ح يحيى ح حماد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب عن عمران بن حصين قال : [٢١٩] **بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ سَمِعَ لَعْنَةً ، فَقَالَ : « مَنْ هَذَا ؟ » فَقِيلَ : فُلانَةٌ لَعَنَتْ رَاحِلَتَهَا . فَقَالَ : « ضَعُوا عَنْهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ » قَالَ : فَوَضِعَ عَنْهَا . قَالَ الرَّاوِي : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا نَاقَةً وَرْقَاءَ** [٧] [٨] . ففي هذا دليل أنه حكم عليه

= أهلًا وإلا رجعت إلى قائلها » ، (٢٧٧/٤) رقم (٤٩٠٥) ، وأخرجه الترمذي في جامعه عن ابن عباس في كتاب البر والصلة باب ما جاء في اللعن ولفظه : أن رجلًا لعن الريح عند النبي ﷺ ، فقال : « لا تلعن الريح فإنها مأمورة وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه » ، وقال : حسن غريب (٣٥٠/٤) رقم (١٩٧٨) ، والطبراني في الكبير (١٦٠/١٢) رقم (١٢٧٥٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٦/٣) رقم (٥٢٣٥) ، وابن قانع في معجم الصحابة عن أسير بن جابر (٥٦/١) .

(١) سقط من (س) .
(٢) في (س) : الانقطاع .
(٣) سقط من (س) .
(٤) في (س) : وكانت .
(٥) في (س) : لا يرقبها .
(٦) ورد هذا الكلام في الحديث التالي في رواية مسلم ولفظه قال عمران : (فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد) ، (٢٠٠٤/٤) رقم (٢٥٩٥) .
(٧) ورقاء : الأورق الأسمر ومنه جمل أورق وناقة ورقاء ، النهاية مادة (ورق) ، (١٧٥/٥) .
(٨) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عمران بن حصين في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن لعن الدواب وغيرها (٢٠٠٤/٤) رقم (٢٥٩٥) ، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب =

بطردها وتركها والانتفاع بها فهي ملعونة أي متروكة مخلًّا سبيلها .

٥٨
باب فيمن لا ينظر الله إليهم يوم القيامة

حديث آخر : [٢٢٠] حدثنا عبد الله بن محمد الحارثي ح الفضل بن عمير عن [١] عثمان المَرْوَزي [٢] ح إسماعيل بن [٣] أبي أويس حدثني أبي عن عاصم بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى ابن عمر أنه قال : أشهد لسمعت سالمًا يقول : قال عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللَّه إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ : الحَالِفُ بَعْدَ الْعَصْرِ كَاذِبًا ، ومُدْمِنُ الخَمْرِ ، والمَنَّانُ [٤] بِمَا أَعْطَى** » [٥] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون تخصيص الوقت للحلف كاذبًا بعد العصر [٥٧/ب]

= النهي عن لعن البهيمة (٢٦/٣) رقم (٢٥٦١) ، والدارمي في سننه في كتاب الاستئذان باب النهي عن لعن الدواب (٣٧٤/٢) رقم (٢٦٧٧) ، وأحمد في مسنده (٤٢٩/٤) رقم (١٩٨٧٢) .

(١) في (س) : ابن .

(٢) قال السمعاني : المَرْوَزي بفتح الميم والواو ، بينهما الراء الساكنة ، وفي آخرها الزاي ، هذه النسبة إلى مرو الشهجان ، وإنما قيل لها : الشاهجان يعني شاه جاء ، في موضع الملوك ومستقرهم ، كان فتح مرو سنة ثلاثين من الهجرة ، وكان إلحاق الزاي في هذه النسبة فيما أظن للفرق بين النسبة إلى المروي ، وهي الثياب المشهورة بالعراق منسوبة إلى قرية بالكوفة ، الأنساب (٢٧٨/٤) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) المنان : هو الذي لا يعطي شيئًا إلا منَّة واعتد به على من أعطاه وهو مذموم ؛ لأن المنة تفسد الصنيعة ، النهاية مادة (منن) ، (٣٦٥/٤) .

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر بلفظ : العاق والديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى (١٣٤/٢) رقم (٦١٨٠) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٦٣/٤) رقم (٧٢٣٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٨٨/٨) رقم (١٧١١٩) ، وفي شعب الإيمان (١٩٢/٦) رقم (٧٨٧٧) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٥/١٦) رقم (٧٣٤٠) ، وأبو يعلى في مسنده (١٣٤/٢) رقم (٦١٨٠) ، والطبراني في الكبير (٣٠٢/١٢) رقم (١٣١٨٠) ، أما الحلف بعد العصر فقد ورد في أحاديث منها ما أخرجه مؤمل بن إيهاب في جزء المؤمل (ص ٦٩) رقم (١١) وابن منده في الإيمان (٦٥١/٢) رقم (٦٢٢) ، وغيرهما ولكن الحديث بهذا اللفظ لم أقف عليه ، وإسناد هذا الحديث ضعيف فيه عبد الله بن عبد الله بن أويس والد إسماعيل بن أبي أويس ضعيف ، ولم يثبت تحديثه عن عاصم بن محمد تهذيب الكمال للمزي (١٦٩/١٥) ترجمة رقم (٣٣٦١) وإسماعيل بن أبي أويس متكلم فيه الكامل لابن عدي (٣٢٣/١) ترجمة رقم (١٥١) .

أراد به ختم عمله ؛ لأن بعد العصر هو آخر النهار ، وحلفه كاذبًا في ذلك الوقت ختمه عمل نهاره بعمل سيئ ، وقد قال النبي ﷺ : [٢٢١] « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ** » (١) ، وفي رواية : [٢٢٢] « **بخوَاتِيمِهَا** » (٢) ، وقال : [٢٢٣] « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى لا يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إِلا قَيْدُ شِبْرٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ [فَيَدْخُل النَّارَ] (٣)** » (٤) .

فهذا الحالف في آخر نهاره قد ختم عمل نهاره بعمل من أعمال أهل النار وعسى يكون هذا آخر نهار من (٥) عمره ، فيكون آخر عمله عملًا سيئًا فلا ينظر الله إليه ، وكذلك مدمن الخمر ؛ لأن من أدمن على عمل وأقام عليه أدركه الموت عليه ، فكان ذلك آخر عمله . ولعن رسول الله ﷺ عاصر الخمر ومعتصرها [وحاملها والمحمولة إليه ، وبائعها ومشتريها وكاتبها وشاهدها وشاربها] (٦) ، والمدمن لها جامع لهذه

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن سهل بن سعد في كتاب القدر باب العمل بالخواتيم (٢٤٣٦/٦) رقم (٦٢٣٣) ، وأحمد في مسنده (٣٣٥/٥) رقم (٢٢٨٨٦) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه عن عائشة (٥٢/٢) رقم (٣٤٠) ، وابن الجعد في مسنده (ص ٤٢٩) رقم (٢٩٢٩) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن سهل (١٩٣/٢) رقم (١١٦٧) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن سهل بن سعد الساعدي في كتاب الرقاق باب الأعمال بالخواتيم (٢٣٨١/٥) رقم (٦١٢٨) ، وابن حبان في صحيحه عن معاوية (٥١/٢) رقم (٣٣٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٨/١٣) رقم (٧٣٦٢) ، والطبراني في الأوسط عن علي (٢٤٧/٥) رقم (٥٢١٩) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد الله في كتاب القدر (٢٤٣٣/٦) رقم (٦٢٢١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه (٢٠٣٦/٤) رقم (٢٦٤٣) ، وأبو داود في سننه في أول كتاب السنة باب في القدر (٢٢٨/٤) رقم (٤٧٠٨) ، والترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم (٤٤٦/٤) رقم (٢١٣٧) ، وابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب في القدر (٢٩/١) رقم (٧٦) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) سقط من (س) والمصنف يشير بكلامه للحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه عن ابن عمر في كتاب الأشربة باب لعنت الخمر على عشرة أوجه ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « لعنت الخمر على عشرة أوجه بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها » ، (١١٢١/٢) رقم (٣٣٨٠) ، وأحمد في مسنده (٢٥/٢) رقم (٤٧٨٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٨٧/٨) رقم (١٧١١٢) ، وسعيد بن منصور في سننه (١٥٨٩/٤) رقم (٨١٥) ، وابن أبي شيبة في =

الأوصاف فهو جامع لهذه الملاعن كلها وأقام عليها ولم ينتقل عنها ، فأدركه الموت فختم له به . والمنان بما أعطى منازع لله في صفته التي لا يستحقها غيره ؛ لأن المنة بالعطاء لا يستحقها إلا الله تعالى ؛ لأنه يعطي من ملك نفسه ، ويعطي ما يعطي من غير وجوب ، فإن الله تعالى ليس بواجب عليه فعل شيء ؛ إذ له أن يعطي وله أن يمنع ، فإذا أعطى من غير وجوب وأعطى من ملكه لا من ملك غيره استحق الامتنان ، فأما من دونه فإنه إذا أعطى أعطى من ملك غيره لا من نفسه ؛ لأن ما في أيدي العباد فملكه على الحقيقة لله تعالى ، وما أعطى أعطى بوجوب ؛ لأن الله تعالى أوجب عليه [٥٨/أ] الإعطاء ، ومن أعطى ما أعطى من ملك غيره لم يجز له أن يمن على من أعطى ، ومن أعطى ما وجب عليه لم يستوجب المنة ، فهو إذا من بما أعطى كأنه ادعى لنفسه الملك والحرية ، وانتفى من العبودية ، ونازع الله تعالى في صفته ، فلا ينظر الله إليه ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

وقوله : « **لا ينظر الله إليهم** » أي لا يرحمهم ولا يتحنن عليهم ، ومعناه : ألا يرحمهم رحمة لا يعذبهم ويرحمهم [١] رحمة لا يطيل مكثهم في النار ، ويجوز ألا يرحمهم عند الموت ولا يتحنن عليهم فينـزل عليهم الملائكة بأنه لا خوف عليهم [٢] ولا أنتم تحزنون ، ويرحمهم إذا أدخلوا حفرهم فقد قيل : [٢٢٤] « أَرْحَمُ مَا يَكُونُ اللهُ بِعَبْدِهِ إِذَا أُدْخِلَ حُفْرَتَهُ وَرَجَعَ عَنْهُ مُشَيِّعُوهُ » [٣] .

ويجوز ألا يرحمهم في قبرهم ويرحمهم في القيامة ، ويجوز ألا يرحمهم في القيامة ويرحمهم بشفاعة النبي ﷺ ، أو يرحمهم بعد أن يدخلهم النار ، ثم يرحمهم بإيمانهم فيخرجهم من النار وقد امتحشوا [٤] على ما جاء في الحديث [٥] .

= مصنفه (٤/٤١٣) رقم (٢١٦٢٥) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٩/٢٣٨) رقم (١٧٠٦٧) ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود (١٠/٩٢) رقم (١٠٠٥٦) .

(١) في (س) : ولا يرحمهم .

(٢) في (س) : عليكم .

(٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه للديلمي في مسند الفردوس عن أنس (جـ ١٥) رقم (٤٢٣٨٦) .

(٤) امتحشوا : الامتحاش الاحتراق ، لسان العرب مادة (محش) .

(٥) يشير إلى الحديث الطويل الذي أخرجه جمع من الأئمة منهم البخاري في كتاب صفة الصلاة باب فضل السجود عن أبي هريرة ﷺ وفيه : « فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... » الحديث (١/٢٧٨) رقم (٧٧٣) .

وقوله في الخبر الآخر : « **فيعمل بعمل أهل النار** » إنما هو الكفر والجحود والشرك الذي لا يجوز أن يغفر اللَّه ؛ لأن أهل النار على الإطلاق هم المخلدون في النار ، ولا يخلد في النار إلا كل كافر أثيم ، فأما أهل الصلاة فهم أهل الجنة على الحقيقة ؛ لأنهم إليها صائرون ، وفيها مخلدون ، ودخولهم النار تأديب لهم وتطهير قال النبي ﷺ : [٢٢٥] « **أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الذين هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُم لا يموتُونَ فِيهَا ، وأَمَّا قَوْمٌ يُرِيدُ اللَّه بهِم الرَّحْمَةَ فَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا أَمَاتَهُم** » الحديث [١] .

فأخبر أن أهل النار هم الأشقون ، الذين يصلون النار الكبرى ، [٥٨/ب] فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وهم الكفار ، وأما أهل الصلاة فليسوا من أهل النار بالحقيقة ، فإذا كان أهل النار هم الكفار كان عمل أهل النار على الإطلاق إنما هو الكفر ، وسائر المعاصي دون الكفر ، فليس من عمل أهل النار على الإطلاق ؛ إذ قد يجوز وقوعها من الأولياء وأفاضل المؤمنين ، ولا يجوز وقوع الكفر منهم ؛ إذ لا يجامع الكفر الإيمان ، وقد تجامع المعصية - التي هي دون الكفر - الإيمان . قال اللَّه تعالى : ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة : ١٠٢] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم : ٨] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] ، وأمثالها في القرآن كثيرة .

٥٩
باب في التعوذ بالله من الفقر والقلة والذلة والظلم

حديث آخر : [٢٢٦] حدثنا أبو العباس أحمد بن سباع بن الوضاح ح أبو عبد اللَّه سليمان بن الأحوص حدثني أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم الدِّمَشْقِيُّ [٢] ولقبه دحيم ابن اليتيم ح الوليد ح الأَوْزَاعِيُّ حدثني إسحاق هو ابن عبد اللَّه بن أبي طلحة الأَنْصَارِيُّ حدثني جعفر بن عياض حدثني أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِن الْفَقْرِ والقِلَّةِ والذلَّةِ وأَنْ تَظْلِمَ أَوْ تُظْلَمَ** » [٣] .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٤/أ) .

(٢) الدِّمَشْقِيُّ : بكسر الدال المهملة والميم المفتوحة ، والشين المعجمة الساكنة ، هذه النسبة إلى دمشق ، وهي أحسن مدينة بالشام ، الأنساب (٢/٢٤٠) .

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه بلفظه عن أبي هريرة ﷺ في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من الذلة (٤/٤٥٠) رقم (٧٨٩٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الدعاء باب ما تعوذ منه رسول اللَّه ﷺ (٢/١٢٦٣) =

قال الشيخ رحمه الله : الفقر على وجوه ، منها : عدم المال والمرافق ، وخلو اليد عن الأملاك ، ومنها عدم العلم ، وهو الجهل ، وهو الفقر الأعظم ، ومنه فقر الآخرة ، وهو الخسران المبين ، فأما عدم المال وخلو الأيدي عن الأملاك إذا قارنه الصبر وصح التوكل على اللّه والرضى بما قضى اللّه فهو حلية الأنبياء ، وزي الأولياء ، وشعار الصالحين ، وزين [٥٩/أ] المؤمنين ، وفيما أوحى اللّه تعالى إلى موسى : [٢٢٧] « [يَا مُوسَى] [1] إِذَا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلًا فَقُلْ مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ » [2] ، وعن النبي ﷺ أنه قال : [٢٢٨] « **الفَقْرُ [3] أَزْيَنُ بِالمُؤْمِنِ مِنَ الْعِذَارِ الجيدِ عَلَى خَدِّ الفَرَسِ** » [4] ، وقال ﷺ : [٢٢٩] « **اللهُمَّ مَنْ أَحَبَّنِي فَأَقْلِلْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ** » [5] وإذا خلا الفقر عن هذه الخصال ، وكان معه التسخط على اللّه والتتبع لما نهى اللّه عنه ، والجزع فيه ، فهو الفقر المنسي الذي أمر النبي عليه السلام بمبادرته لقوله : [٢٣٠] « **بَادِرُوا بِالأعمَالِ خَمْسًا : هَرَمًا مُفْنِدًا ، وسُقْمًا مُفْسِدًا ، وغِنًى مُطغِيًا ، وفَقْرًا مُنْسِيًا ، ومَوْتًا مُجْهِزًا** » [6] واللّه أعلم بسياق الحديث ، فهذا يجوز أن يكون الفقر الذي أمر النبي عليه السلام بالاستعاذة منه هو هذا الفقر ، وأما عدم العلم فهو الذي قال النبي عليه السلام : [٢٣١] « **كادَ الفقرُ يكونُ كُفْرًا** » [7] فإن الجهل أقرب الشيء إلى الكفر - نعوذ باللّه منه - .

= رقم (٣٨٤٢) ، وأحمد في مسنده (٥٤٠/٢) رقم (١٠٩٨٦) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٧١٣/١) رقم (١٩٤٧) ، وابن حبان في صحيحه (٢٨٤/٣) رقم (١٠٠٣) .

(١) من هامش الأصل وهي سقط من (س) و (خ) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١١/أ) .

(٣) في (س) : للفقر .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٩/أ) .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن عمرو بن غيلان الثَّقَفِيّ في كتاب الزهد باب في المكثرين (١٣٨٥/٢) رقم (٤١٣٣) ، والطبراني في مسند الشاميين (٣١٢/٢) رقم (١٤٠٦) ، وفي المعجم الكبير (٣١/١٧) رقم (٥٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد وهو متروك (٢٨٦/١٠) ، وقال فيه ابن عدي في الكامل : هو من الشاميين من يكتب حديثه مع ضعفه (١١٨/٥) ترجمة رقم (٢٨١٣) .

(٦) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزهد باب ما جاء في المبادرة بالعمل ولفظه : عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « بادروا بالأعمال سبقًا هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا أو غنًى مطغيًا أو مرضًا مفسدًا أو هرمًا مفندًا أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » ، قال الترمِذِيُّ : حسن غريب (٥٥٢/٤) رقم (٢٣٠٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٧/٧) رقم (١٠٥٧٢) ، والطبراني في الأوسط (٢٣٤/٨) رقم (٨٤٩٨) .

(٧) سبق في اللوحة رقم (١٩/أ) .

وأما فقر الآخرة فهو ما جاء في الحديث : [٢٣٢] « **أَتَدْرُونَ مَن المفْلِسُ ؟** » قَالُوا : المفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ ولا مَتَاعَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **المفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاتِهِ وصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ ، ويَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وضَرَبَ هَذَا ، فَيَقْعُدُ ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُ** [١] **فَطُرِحَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ** » حدثنا به نصر بن الفتح ح [٢] أبو عيسى ح قتيبة بن سعيد ح عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ [٥٩/ب] قال : « **أَتَدْرُونَ مَنْ المفلِسُ ؟** » وذكره [٣] .

فههنا [٤] الفقر الذي يجوز أن يكون عناه النبي عليه السلام وأمر بالتعوذ منه ، مع ما ذكرنا من القسمين واللَّه أعلم . وأما القلة : فيجوز أن يكون التكثر بالمال والاستغناء بالثروة والسكون إليه والاعتماد عليه ، فقد قال اللَّه تعالى : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] ، وقال الحكيم : (من استغنى بماله قل ، ومن اعتز بمخلوق ذل) ، فمن أقل ممن استأثر بالقليل ، واستغنى بالنزر الحقير .

ويجوز أن تكون القلة القلة من الأعمال الصالحة ، وما عمل منها مدخول فيها ، فقد قال – جل وعز – في صفة قوم : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] ، قال : قلَّت أذكارهم وما وقع منها فمراءاة ، والقليل مع الإخلاص كثير ، والكثير دون الإخلاص قليل . وأما الذلة فالتعزز بالمخلوق والاستظهار بالنادي [٥] والعشير ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٧ ، ١٨] ، وقال ﷻ : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : ٨] ، فكان الأذل هو الأعز عند نفسه بكثرة أتباعه

(١) كذا في الأصل و (س) وهو خطأ ، والصواب « خطاياهم » كما في رواية الترمِذِيّ التي يرويها المصنف بإسناده .

(٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (١٩٩٧/٤) رقم (٢٥٨١) ، والترمِذِيّ في جامعه بلفظه إلا أنه قال : « أتدرون ما المفلس ؟ » في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ، وقال : حسن صحيح (٦١٣/٤) رقم (٢٤١٨) ، وأحمد في مسنده (٣٣٤/٢) رقم (٨٣٩٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة (٩٣/٦) رقم (١١٢٨٤) ، وابن أبي عاصم في الزهد (١٩/٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٨٥/١١) رقم (٦٤٩٩) ، والطبراني في الأوسط (١٥٦/٣) رقم (٢٧٧٨) .

(٤) في (خ) : فهو .

(٥) في هامش الأصل : مجمع القوم .

وأنصاره ، وقال ﷺ : [٢٣٣] « **مَنْ اعْتَزَّ بِالعَبِيدِ** [١] **أَذَلَّهُ اللَّه** » [٢] ، وقال الحكيم : (من اعتز بمخلوق ذل ، ومن اهتدى برأيه ضل) فالذلة هي التعزز بمن لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا ، فهو كما قال الله تعالى : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] .

ويجوز أن تكون الذلة الشذوذ عن الجماعة ، والاعتزال عن السواد الأعظم [٣] ، واتباع الهوى بمخالفة الكتاب والسنة ، والاتباع لغير سبيل المؤمنين ، فقد قال الله جل وعز : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا [٦٠/أ] تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] فلا أذل ممن رد إلى نفسه الأمارة بالسوء ، وانفرد في متابعة هواه وظلمة رأيه ، وانقطع عمن له العزة ، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فمن انقطع عن الله بإعراضه عن كتاب الله ، وأعرض عن رسول الله بتركه سنته ، وخالف أولياء الله تعالى باتباعه غير سبيلهم ، فهو الوحيد الفريد الشريد الطريد الحقير الذليل النزر القليل جليس الشيطان وبغيض الرحمن ، قال النبي ﷺ : [٢٣٤] « **عَلَيْكُم بِالجَمَاعَةِ فَإِنَّ الذِّئبَ إِنَّمَا يَأْخُذُ الشَّاذَّةَ والقَاصِيَةَ** [٤] » [٥] ، فيجوز أن تكون الذلة التي أمر النبي ﷺ بالتعوذ عنها هي متابعة الهوى في دين الله والتعزز بما دون الله [٦] .

وقوله : « **أن تظلم وأن تظلم** » .

---

(١) في (س) : بالمخلوق .

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٧٤/٢) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٢٧/١) رقم (٣٥٠) ، والعقيلي في الضعفاء (٢٧١/٢) ترجمة رقم (٨٣٠) ، وذكره الحكيم الترمذيُّ في نوادر الأصول (٣٠٠/٢) والحديث فيه عبد الله بن عبد الله الأموي لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا بهذا الحديث ، الضعفاء للعقيلي (٢٧١/٢) ترجمة رقم (٨٣٠) .

(٣) في هامش الأصل : الجماعة الكثيرة المجتمعة على ما عليه الرسول والصحابة والتابعون .

(٤) القاصية : في هامش الأصل : المنفردة ا.هـ . قال ابن الأثير في النهاية : القاصية المنفردة عن القطيع البعيدة منه يريد أن الشيطان يتسلط على الخارج من الجماعة وأهل السنة ، مادة (قصا) ، (٧٤/٤) .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي الدرداء في كتاب الصلاة باب في التشديد في ترك الجماعة (١٥٠/١) رقم (٥٤٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الإمامة والجماعة باب التشديد في ترك الجماعة (٢٩٦/١) رقم (٩٢٠) ، وأحمد في مسنده (١٩٦/٥) رقم (٢١٧٥٨) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٥٢٤/٢) رقم (٣٧٩٦) .

(٦) زاد في (س) بعدها آية : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ا.هـ . وليست في موضعها .

والظلم أنواع : منها الشرك وهو أعظمه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، ومنها ظلم عباد الله ، وهو الإفلاس بين يدي الله ، والمصير إلى عذاب الله ، ومنها ظلم المرء نفسه وهو الحيرة يوم القيامة ، قال النبي ﷺ : [٢٣٥] « **إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » [(١)] ؛ لأن من ظلم نفسه منعها حقها الذي أوجب الله عليه لها ، من إتيان ما أمر الله تعالى ، فأتى يوم القيامة خلوًا من الأعمال التي نورها [(٢)] بين أيدي المؤمنين وبأيديهم [(٣)] ، فبقي في ظلمة ، فإن قيل له : ارجع وراءك فالتمس نورًا فقد خاب وخسر ، وإن تداركه الله برحمته أضاء له إيمانه ، وأنار له توحيده ، فذلك فضل الله ، والله ذو الفضل [٦٠/ب] العظيم ، فمن ظلم فاتته آخرته التي إليها معاده فخسر خسرانًا مبينًا ، وضل في النار ضلالًا بعيدًا ، أو أضر بها فنوقش وعذب ، أو يرحمه الله إن شاء برحمته التي وسعت كل شيء ، وإن ظلم أخل بدنياه التي فيها معاشه فشقي وتعب ، أو يرفق الله به ، والله رؤوف رحيم .

ففي أمره ﷺ بالتعوذ من أن تظلم أو تظلم إشارة إلى ضعف العبد وفقره ، وأنه لا بد له من مرافقه التي يصلح بها دينه ويقوم بها نفسه ، ويصون بها عرضه ، قال الله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ولا بد له في الآخرة مما يرجع إليه من نعمة الله وشفاعة رسوله وعمل صالح قدمه لينال به ثواب الله ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] .

٦٠
باب في إظهار الافتقار إلى الله

حديث آخر [(٤)] : [٢٣٦] حدثنا نصر بن الفتح ح محمد بن عيسى ح سويد [أخ

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه دون (إن) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب المظالم باب الظلم ظلمات يوم القيامة (٨٦٤/٢) رقم (٢٣١٥) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (١٩٩٦/٤) رقم (٢٥٧٩) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الظلم ، وقال : حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر (٣٧٧/٤) رقم (٢٠٣٠) ، والنسائي في جزء من إملائه (ص ٤٥) رقم (١٢) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : يسعى .

(٣) في (خ) : وبأيمانهم .

(٤) في هامش (س) التعليق الآتي : هذا الحديث مذكور في المصابيح من الحسان . ا.هـ .

عبد اللَّه أخ خالد (أبو العلاء) [(١)] [(٢)] عن عطية عن أبي سعيد الخُدْرِيّ ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **فَكيفَ أَنْعَمُ وصَاحِبُ القَرْنِ** [(٣)] **قَد الْتَقَمَ القَرْنَ ، واستَمَعَ الإِذْنَ مَتى يُؤمَرُ بالنَّفْخِ فَيَنْفَخ** » . فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لهم النَّبي ﷺ قُولُوا : « **حَسْبُنَا اللَّه ونِعْمَ الوَكيلِ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا** » [(٤)] .

قال الشيخ رحمه الله : في هذا الحديث إشارة من النبي ﷺ لأصحابه إلى الرجوع إلى اللَّه ، والاعتماد عليه ، والتبري من الحول والقوة ، والنظر إلى أفعالهم ، والاعتماد على أعمالهم ، والسكون إلى شيء دون اللَّه في أحوالهم ، ألا ترى أنهم لما تحيروا [٦١/أ] وألقوا بأيديهم [(٥)] وتثاقلوا في نفوسهم لم يدلهم على عمل من أعمالهم يرجعون إليه ، ولا أمرهم بفعل شيء من أفعالهم يعتمدون عليه ، بل ردهم إلى اللَّه ﷻ وصرفهم عما سواهم [(٦)] إليه ، فقال : « **قولوا : حسبنا اللَّه** » ، إظهارًا للافتقار ، وإقرارًا بالاضطرار ، فإنه لا نجاة من اللَّه إلا بالله ، ولا مفر منه إلا إليه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات : ٥٠] .



٦١ باب في استغفار النبي ﷺ لأبويه

حديث آخر : [٢٣٧] حدثنا محمود [(٧)] بن إسحاق الخُزَاعِيُّ ح سعيد بن مسعود

---

(١) في (س) : ابن العلاء وفي بعض النسخ أبو العلاء .

(٢) هذا الإسناد إسناد الترمِذِيِّ وعند الترمِذِيِّ (أخبرنا عبد اللَّه أبو العلاء) .

(٣) في هامش (س) التعليق الآتي : صاحب القرن إسرافيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام والقرن الصور . ا.هـ .

(٤) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور ، وقال : حديث حسن (٦٢٠/٤) رقم (٢٤٣١) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة ﷺ في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، (٣١٦/٦) رقم (١١٠٨٢) ، وأحمد في مسنده عن ابن عباس (٣٢٦/١) رقم (٣٠١٠) ، والحاكم في المستدرك عن أبي سعيد وفي إسناده عنده إسماعيل أبو يحيى التَّيْمِيُّ ، قال الحاكم : ولولا أن أبا يحيى التَّيْمِيَّ على الطريق لحكمت للحديث بالصحة على شرط الشيخين ، وقال الذهبي أبو يحيى واه (٦٠٣/٤) رقم (٨٦٧٨) ، وأبو يحيى التَّيْمِيُّ ليس في هذا الإسناد إذن فالحديث صحيح عنده على شرط الشيخين .

(٥) في هامش الأصل التعليق الآتي : ندموا .

(٦) في (خ) : سواه .

(٧) في (س) : محمد .

المَرْوَزِيُّ [١] ح إسحاق بن منصور السَّلُولِيُّ [٢] وعبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن المنهال عن عبد الله بن الحارث عن أبي هريرة ﷺ - إن شاء الله - قال : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلْ أَنْتَ شَافِعٌ لأبَوَيْكَ [٣] ؟ قَالَ : « **إِنِّي لَشَافِعٌ لهمَا أُعْطِيتُ أَو مُنِعْتُ ، ومَا أَرْجُو لهمَا** » [٤] .

قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون أراد النبي ﷺ بقوله : « **إني لشافع لهما** » أي إني لشافع لهما في الدنيا ، وذلك قبل أن نهاه الله عن الاستغفار لهما بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة : ١١٣] ، وهذا كما استغفر إبراهيم لأبيه بقوله : ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء : ٨٦] .

وقوله : « **وما أرجو لهما** » ؛ لأن استغفاره لهما إنما كان بعد موتهما فلم يرج لهما إذا [٥] ماتا على غير الإسلام ، واستغفر لهما رقة عليهما [٦] وقضاء لحقهما ؛ إذ لم يدركهما فيحسن معاملتهما ويصاحبهما في الدنيا معروفًا ، وكان استغفار إبراهيم لأبيه في حياته لموعدة وعدها إياه بقوله : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي [٦١/ب] حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٧] ، فلما مات تبين له أنه عدو لله ؛ لأنه مات على شركه لم يتب منه ، تبرأ منه وترك الاستغفار له ، والنبي ﷺ علم من أبويه ما علمه إبراهيم من أبيه ، غير أنه أراد قضاء حقهما ، ونهى الله تعالى عنه فانتهى .

---

(١) في (س) : المروي .
(٢) في (س) : السلوى ا.هـ . والسَّلُولِيُّ : بفتح السين المهملة وضم اللام الأولى ، هذه النسبة إلى بني سلول ، وهي قبيلة نزلت الكوفة ، وصارت محلة معروفة بها لنزولهم إياها ، الأنساب (٣/٤٧) .
(٣) في (س) : لأبو بكر .
(٤) زاد في (س) بعدها : النجاة من النار بالكلية ا.هـ . والحديث لم أقف عليه وإسناده ضعيف ، ففيه محمود ابن إسحاق الخزاعي مجهول ، وفيه يزيد بن عبد الرحمن وهو أبو خالد الدالاني ، قال ابن حبان في المجروحين من المحدثين : روى عنه عبد السلام بن حرب وأهل العراق ، كان كثير الخطأ ، فاحش الوهم ، يخالف الثقات في الروايات حتى إذا سمعها المبتدئ في هذا الصناعة علم أنها معمولة أو مقلوبة لا يجوز الاحتجاج به إذا وافق الثقات فكيف إذا انفرد عنهم بالمعضلات ، المجروحين من المحدثين (٣/١٠٥) رقم (١١٨٥) .
(٥) في (س) : إذ .
(٦) زاد في (س) بعدها : وفي بعض النسخ رأفة .

٦٢

باب في ترك الرياء والسرور بتوفيق الله تعالى

حديث آخر : [٢٣٨] [حدثنا نصر ح أبو عيسى ح محمد بن المثنى ح أبو داود] (١) ح أبو سنان الشَّيْبَانيُّ (٢) عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُسِرُّه ، فَإِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **لَهُ أَجْرَانِ ، أَجْرُ السِّرِّ وأَجْرُ الْعَلانِيَة** » (٣) .

قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون سروره الذي يؤجر عليه سروره بتوفيق الله تعالى إياه (٤) على إصلاح سريرته ، وأن الله تعالى جعله من الذين حسنت سرائرهم ، وما ظهر منها لم يكن قبائح وفضائح ، فكثير من الناس يفتضحون إذا ظهرت سرائرهم ؛ لأنها تكون قبائح أسروها فيما بينهم وبين الله تعالى وإن حسنت ظواهرهم ، فهذا إذا ظهرت سريرته ووافقت علانيته فاستويا في الحسن فسر بذلك ؛ لأنها من أوصاف المؤمنين ، أعني موافقة السر العلانية على ما يرضي الله ﷻ ، فيكون سروره على حسن إيمانه وتوفيق الله تعالى إياه بتحسين العمل في السر كتحسين عمله في العلانية ، فيكون ذلك أمارة الإيمان ، قال النبي ﷺ : [٢٣٩] « **مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ** » (٥) فيكون

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الشَّيْبَانيُّ : بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، والباء الموحدة بعدها وفي آخرها النون هذه النسبة إلى شيبان وهي قبيلة معروفة في بكر بن وائل ، الأنساب (١٦٥/٣) .

(٣) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن أبي هريرة ﷺ إلا أنه قال : أعجبه ذلك في كتاب الزهد باب عمل السر ، وقال : حسن غريب (٥٩٤/٤) رقم (٢٣٨٤) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة في كتاب الزهد باب الثناء الحسن (١٤١٢/٢) رقم (٤٢٢٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٤/٥) رقم (٧٠٠٣) ، وابن حبان في صحيحه بلفظ مقارب (٩٩/٢) رقم (٣٧٥) ، وهناد بن السَّرِيُّ في الزهد بألفاظ مختلفة مرسلًا عن أبي صالح (٤٤٤/٢) رقم (٨٨٠) ، وأبو مسهر في نسخته (ص ٦٤) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء عن أبي ذر (٢٥٠/٨) .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن ابن عمر في كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة ، وقال : حسن صحيح (٤٦٥/٤) رقم (٢١٦٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عشرة النساء باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر فيه (٣٨٨/٥) رقم (٩٢٢٥) ، والحاكم في المستدرك عن أبي أمامة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي (٥٩/١) رقم (٣٥) ، والبيهقي في =

سروره لله دون أن يكون لحسن ثناء من الناس أو تعظيم عندهم أو إجلال في أعينهم .

ويجوز أن يكون معناه [٦٢/أ] أن العمل إذا صح في أوله لم يضره فساد يكون بعده ؛ لأن الرياء هو ما يفعله العبد من العمل ليرائي به الناس ويكون ذلك قصده ومراده ، وما كان كذلك لم يكن لله تعالى ، وما لم يكن لله تعالى فمحبط باطل ، قال الله تعالى : ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] فأما ما وقع من العمل لله تعالى وإرادة الدار الآخرة لم يلحقه فساد يكون بعده لم يحبطه شيء دون الشرك - نعوذ بالله منه - عند أهل السنة والجماعة ، لقول الله تعالى : ﴿ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة : ١٠٢] ولو كان الأمر على ما تزعم المعتزلة من إحباط الطاعات بالمعاصي لم يجز اختلاطهما واجتماعهما . فيكون معنى قوله : « **له أجران** » أي أن عمل السر قد خلص لله تعالى فلا يلحقه فساد ، وسروره بحسنته إذا ظهرت حسنة أخرى فصار له بذلك أجران .

٦٣

باب في حسن إسلام المرء

حديث آخر : [٢٤٠] حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح أحمد بن نصر النَّيْسَابُورِيُّ وغير واحد قالوا : ح أبو مسهر عن إسماعيل بن عبد الله بن سماعة عن الأَوْزَاعِيِّ عن قرة عن الزُّهْرِيِّ عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ** » (١) .

[قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون معنى قوله : « **تركه ما لا يعنيه** »] (١) من

= شعب الإيمان عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ (٣٧٢/٥) رقم (٦٩٩٤) ، وأبو يعلى في مسنده (١٣١/١) رقم (١٤١) .

(١) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن أبي هريرة ﷺ في كتاب الزهد ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه (٥٥٨/٤) رقم (٢٣١٧) وقد أخرجه عن طريق الزُّهْرِيِّ عن علي بن حسين عن النبي ﷺ مرسلًا ، وقال : هذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة وعلي بن حسين لم يدرك علي بن أبي طالب (٥٥٨/٤) رقم (٢٣١٨) ، وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة (١٣١٥/٢) رقم (٣٩٧٦) ، وأحمد في مسنده عن علي بن حسين عن أبيه (٢٠١/١) رقم (١٧٣٧) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٤٦٦/١) رقم (٢٢٩) .

(١) من هامش الأصل .

أوصاف الناس وأفعالهم فلا يكاد يذكرهم ولا ينظر إلى عيوبهم ولا يعترض عليهم في أخلاقهم ؛ لأنه قد أسلمهم إلى الله ، فيكون الله ﷻ هو الذي يطالبهم بصدقهم في أفعالهم وصحة أعمالهم ويقيم أمر الله فيهم ، ويشفق عليهم وينصح لهم ويقبل منهم ظواهرهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، فإنها ليست مما يعنيه ، فإذا كان كذلك سلم المؤمنون [١] من لسانه ويده فهو المسلم ، والإسلام [٦٢/ب] له صفة ، والحسن لإسلامه صفة ، فهو لما حسن إسلامه في إسلام خلق الله إلى الله ترك ما لا يعنيه من البحث عن سرائرهم ومطالبة الصدق إذا صلحت ظواهرهم وأعرض عن مختلف أحوالهم إلا فيما يلزمه فرض أمر بمعروف أو نهي عن منكر في رفق بهم وشفقة عليهم وإرادة الصلاح لهم .

ويجوز أن يكون معنى : « **حسن إسلام المرء** » حسن تسليمه وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] ، فقد اشترى الله منهم نفوسهم ، فعليهم تسليم المبيع ، وقد يبيع البائع الشيء ويلتوي في تسليم المبيع حتى ينتزعه المشتري منه بحق البيع ، فأما من حسن تسليمه سلم المبيع أوفى [٢] ما كان وأتمه ، في سعة من صدره ، وطيبة من نفسه ، خاصة إذا علم أنه استحق من الثمن أضعاف أضعاف أضعاف [٣] القيمة ، فمتى حسن إسلام المرء حسن تسليم نفسه إلى الله غير ملتوٍ [٤] ولا متربص ، قال الله تعالى لخليله إبراهيم ﷺ : ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ الآية [البقرة : ١٣١، ١٣٢] . ومن حسن تسليمه ألا يعترض على الله في أحكامه عليه وقضاياه فيه فيما ساء وسر ، فإن الاعتراض منه على الله تعالى في سخط قضائه والتأني لقبول أحكامه هو الذي لا يعنيه ؛ لأن المشتري إذا أحدث فيما اشتراه من هدم بناء فيه و [٥] تغيير شيء فيه أو نقض فيه أو إبرام ، فاعتراض [٦٣/أ] البائع فيه مما لا يعنيه [في قولهم] [٦] لم فعلت كذا [٧] وألا صنعت كذا ، ولو فعلت كذا ، وليتك صنعت كذا ، وكل ذلك ما لا يعنيه ، فحصل معنى قوله ﷺ : « **من حسن إسلام المرء تركه**

---

(١) في (خ) : المسلمون .
(٢) في (خ) : أوفر .
(٣) زاد في (خ) بعدها : أضعاف .
(٤) كذا في (س) و (خ) وهو الصواب نحويًا ، أما في الأصل : ملتوي .
(٥) في (خ) : أو .
(٦) في (س) : من قوله .
(٧) سقط من (س) .

ما لا يعنيه » على هذا الموضع الرضا بأحكام الله والتلقي بالبشر والسرور لمر القضاء والصبر تحت أثقال ما يكرهه والانقياد والاستسلام بذل العبودية للملك القهار فيما يجريه من أحكامه في جميع خلقه من أرضه وسمائه ، وفي نفس هذا العبد مما يؤلمه أو يسره ويلذه ويحزنه . قال عبد الله بن مسعود ﷺ : [٢٤١] « وَايْمُ اللَّهِ مَا هُوَ إلا الغِنَى والْفَقْرُ ، ومَا أُبَالِي بِأَيِّهِمَا ابْتُدِئْتُ » [١] [٢] فهذا من حسن الإسلام ألا يعترض على الله ، ولا يختار ؛ تسليمًا لنفسه إليه وتفويضًا لأمره كما ندب النبي ﷺ فيما حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح شريك وأبو الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء . قال الحِمَّانِيُّ : وحدثنا شريك عن عبد الله [٣] حبش عن البراء أن النبي ﷺ قال لرجل : [٢٤٢] « **إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إِلَيْكَ ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَا مِنْكَ إلا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذِي أَنْزَلْتَ ، وبِنَبِيِّكَ الذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ** » [٤] . زَادَ أَبُو الأَحْوَصِ : « **وإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا** » [٥] .

فقوله : « **أسلمت نفسي إليك** » تسليمًا [٦] للمبيع إلى المشتري طوعًا .

وقوله : « **وجهت وجهي إليك** » هو الإقبال عليه والإعراض [٦٣/ب] عما دونه .

وقوله : « **ألجأت ظهري إليك** » هو الاعتماد عليه .

---

(١) في (س) : ابتليت وفي بعض النسخ ابتدئت . ا.هـ .

(٢) الخبر أخرجه هناد بن السَّرِيِّ في الزهد بلفظه إلا أنه قال : « بأيهما ابتليت » عن عبد الله بن مسعود (٣٣٠/١) رقم (٦٠٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٦/٧) رقم (٩٩٧٥) ، وقد ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء بلفظ : « بأيهما ابتدئت » ، (٤٩٦/١) .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن .

(٤) الفطرة : الفطر الابتداء والاختراع ، والفطرة الحالة منه ، النهاية مادة (فطر) ، (٤٥٧/٣) .

(٥) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن البراء في كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه ، وقال : حديث حسن (٤٦٨/٥) رقم (٣٣٩٤) ، والحاكم في المستدرك بنحوه عن علي ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٧٠٩/١) رقم (١٩٣٣) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن البراء (٣٣٧/١٢) رقم (٥٥٢٧) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (١٠١/٢) رقم (٧٤٤) ، والطبراني في الأوسط (١٠١/٢) رقم (٧٤٤) .

(٦) في (س) : تسليم .

وقوله : « **فوضت أمري إليك** » هو التوكل عليه رغبة إليه دون ما سواه من ملاذ النفس ومرافقها ، ورهبة منه لا من آلام النفوس ومكارهها ؛ لأن من سلم نفسه وفوض أمره فمطالبته حظوظ نفسه واتساق أموره مما لا يعنيه ؛ إذ ليس ذلك له وإليه ، ومن توجه إليه وأقبل عليه لم يلتفت إلى شيء دونه ، ومن كان كذلك لم تكن رغبته في شيء دونه لا يريد غيره ولا يطلب إلا رضاه والقربة منه والزلفى لديه ، ومن اعتمد في أحواله عليه وتوكل فيما يعامله به عليه فقد احترز من جميع المكاره ، بل تفرغ منها له فلا يخاف شيئًا سواه ، ولا يرهب إلا منه ؛ لأن ما عنده باق ، وإنما ينفد ما عند غيره ، فهذا عبد لا يرى غير ربه ، ولا يطالع غير سيده ولا يراقب إلا مولاه ، فكأنه ليس في الدار غيره ، ولا للملك سواه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] ، فاليوم يوم ، وغدًا يوم ، والأيام كلها يوم واحد ، لا مصرف لها إلا واحد ، ولا مدبر فيها إلا واحد ، فله الملك اليوم ، يفعل في خلقه ما يشاء ، من تصريف عباده ، وتغيير الأحوال في بلاده ، ويفعل فيهم ما يشاء ، ويحكم فيهم ما يريد ، له الخلق والأمر تبارك اللَّه رب العالمين ، وله الملك غدًا إذا أفنى عباده ، وطوى بلاده ، ولا أحد ينازعه ، ولا مجيب يحاوره ، فالملك اليوم وغدًا للَّه الواحد القهار ، لا ملجأ منه ولا منجى منه إلا إليه ، منه المفر وإليه المقر ، ففروا إلى اللَّه [٦٤/أ] إني لكم منه نذير مبين ، تبارك اللَّه رب العالمين .

٦٤
باب في أمنة السماء والصحابة والأمة

حديث آخر : [٢٤٣] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح الحسين [١] بن علي الجُعْفِيُّ [٢] عن مجمع بن يحيى [٣] قال : سمعته يذكر عن سعيد ابن أبي بردة [عن أبي بردة] [٤] عن أبي موسى ﷺ[٥] قال : صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المغْرِبَ ثمَّ قُلنَا : لَوْ انْتَظَرْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ الْعِشَاءَ فَانْتَظَرْنَاه فَخَرَجَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : « **مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا** » . قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قُلْنَا : نُصَلِّي مَعَكَ الْعِشَاءَ . قَالَ : « **أَحْسَنْتُم**

---

(١) في (خ) : حسين .

(٢) الْجُعْفِيُّ : بضم الجيم وسكون العين المهملة ، وفي آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى القبيلة ، وهي جعفي بن سعد العشيرة ، الأنساب (٤١٨/١) .

(٣) زاد في (س) بعدها : الأَنْصَارِيُّ .

(٤) سقط من (س) .

(٥) زاد في (س) بعدها : الأَشْعَرِيُّ .

أَوْ أَصَبتُم » . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَه إِلَى السَّمَاءِ ، وَكَانَ كثيرًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : « **النُّجُومُ أَمَنَةٌ** [(١)] **لأَهْلِ السَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ** [(٢)] **النُّجومُ أَتَى أَهْلَ السَّمَاءِ مَا يُوعَدُون وأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابي ، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا أَتَى أَصْحَابي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابي أَمَنَةٌ لأُمَّتي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابي أَتَى أُمَّتي مَا يُوعَدُونَ** » [(٣)] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : يجوز أن يكون معنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « **النجوم أمنة لأهل السماء** » أي أنها لا تنفطر ولا تنشق ولا يموت أهلها ما دامت النجوم فيها باقية ، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ [التكوير : ١، ٢] ، ثم قال : ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ [التكوير : ١١] ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار : ١، ٢] ، فهذا ذهاب النجوم وما يوعد أهل السماء ، وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] ، وقوله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، وقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦، ٢٧] ، وهذا الوعد يأتيها إذا نفخ في الصور لقوله : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الزمر : ٦٨] ، فإذا انتثرت النجوم تفطرت السماء وصعق [٦٤/ب] من فيها .

وقوله : « **أنا أمنة لأصحابي** » يجوز أن يكون من اختلاف قلوبهم والتقاطع بينهم والتشاجر ، فإنهم كانوا في حياته مؤتلفين متفقين متواصلين متباذلين ، قلوبهم على قلب واحد ليس فيها همة دنيا ولا عزة نفس ولا نظر إلى شيء ما سوى الله ، فإذا [(٤)] توفي

---

(١) النجوم أمنة : قال ابن الأثير في النهاية : أراد بوعد السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة ، وذهاب النجوم تكويرها وإندارها وعدمها وأراد بوعد أصحابه ما وقع بينهم من الفتن ، وكذلك أراد بوعد الأمة ... والأمنة جمع أمين وهو الحافظ ، النهاية مادة (أمن) ، (١/٦٩) .

(٢) في (س) : ذهب .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي بردة عن أبيه في كتاب فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمانة لأصحابه (٤/١٩٦١) رقم (٢٥٣١) ، وأحمد في مسنده (٤/٣٩٨) رقم (١٩٥٨٤) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ (١٦/٢٣٤) رقم (٧٢٤٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي بردة عن أبيه (٦/٤٠٤) رقم (٣٢٤٠٦) ، وعبد بن حميد في المنتخب عن أبي موسى (ص ١٩٠) رقم (٥٣٩) ، والخلال في كتاب السنة بألفاظ متقاربة (٢/٤٨٤) رقم (٧٧٢) ، والبيهقي في الاعتقاد وصححه (٢/٣١٩) .

(٤) في (س) و (خ) : فلما .

رسول الله ﷺ تغيرت قلوبهم . حدثنا حاتم ح يحيى [ح يحيى الحِمَّانيُّ] [(١)] ح جعفر ابن سليمان عن ثابت عن أنس ﷺ قال : [٢٤٤] « مَا نَفَضْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ [(٢)] أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا » [(٣)] ، [وفي رواية : [٢٤٥] « حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا »] [(٤)] .

قال الشيخ رحمه الله : وتغيرت أحوالهم ، ومالوا إلى الدنيا ، وافترقت آراؤهم حتى تقاطعوا وتشاجروا ، وتواثبوا على الملك حتى تقاتلوا ، وجعل بعضهم يضرب وجه بعض ، فهذا الذي وعدوا ، فقد قال ﷺ : [٢٤٦] « **لا تَرجِعُوا بَعدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بعضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ** » [(٥)] ، وقال : [٢٤٧] « **سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً** [(٦)] **وأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا** » [(٧)] ، وقال : [٢٤٨] « **الخِلافةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً** » [(٨)] وقال : [٢٤٩] « **إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، إِنَّمَا**

---

(١) سقط من (س) .

(٢) زاد في (س) بعدها : حتى .

(٣) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن أنس بن مالك في كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ ، وقال : هذا حديث غريب صحيح (٥/٥٨٨) رقم (٣٦١٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ (١/٥٢٢) رقم (١٦٣١) ، وأحمد في مسنده (٣/٢٢١) رقم (١٣٣٣٦) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظه (٦/٥١) رقم (٣٢٩٦) ، وعبد بن حميد في المنتخب بلفظ مقارب (ص ٣٨٦ رقم (١٢٨٩) ، والروياني في مسنده (٢/٣٩٢) رقم (١٣٨٦) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه (١٤/٦٠١) رقم (٦٦٣٤) ، قال ابن حجر في الفتح : أخرجه البزار بسند جيد (٨/١٤٩) .

(٤) من هامش الأصل وهي سقط من (خ) ، ولم أقف على هذه الرواية .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٢١/ب) .

(٦) في هامش الأصل التوضيح الآتي : الأثرة اسم من الاستئثار وهو أن يؤثر نفسه على غيره وينفرد بالشيء دون غيره ، والإيثار أن يختار الشيء لغيره على نفسه . ا.هـ .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه دون قوله : وأمورًا تنكرونها عن أسيد بن حضير في كتاب مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ للأنصار : « اصبروا حتى تلقوني على الحوض » (٣/١٣٨١) رقم (٣٥٨١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم (٣/١٤٧٤) رقم (١٨٤٥) ، والنسائي في المجتبى في كتاب آداب القضاة باب ترك استعمال من يحرص على القضاء (٨/٢٢٤) رقم (٥٣٨٢) .

(٨) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب عن سفينة في كتاب السنة باب في الخلفاء (٤/٢١١) رقم (٤٦٤٦) ، والترمِذِيُّ في سننه في كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة ، وقال : حديث حسن (٤/٥٠٣) رقم (٢٢٢٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (٥/٤٧) رقم (٨١٥٥) ، وأحمد في مسنده (٥/٢٢١) رقم (٢١٩٧٨) ، والحاكم في =

عَذَابُهَا في القَتْلِ والزَّلازِلِ والْفِتَنِ »[1] حدثناه محمد بن نعيم بن ناعم ح أبي ح عثمان ابن أبي شيبة ح الحسن بن موسى ح سعيد بن زيد ح ليث[2] بن أبي سليمان[3] عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعرى ﷺ عن النبي ﷺ قال : ...[4] .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « **أتى أصحابي ما يوعدون** » هو تغير قلوبهم وتفرق أهوائهم وتشاجرهم ، وما لا خفاء به مما ظهر فيهم بعده مما أخبرهم به ووعدهم أنه كائن فيهم ، كقوله لعلي ﷺ : [٢٥٠] « **إِنَّكَ لَتُقَاتِلَنَّ النَّاكِثِينَ والقَاسِطِينَ والمارِقِينَ** »[5] [6] وقوله لعثمان ﷺ : [٦٥/أ] [٢٥١] « **عَسَى يُقَمِّصُكَ اللَّه تَعَالى قَمِيصًا مِنْ بَعْدِي ، فَإِذَا أَرَادَكَ المنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلا تَخْلَعْه - ثَلاثَ مَرَّاتٍ -** »[7] [8] .

= المستدرك وقد ضعفه الذهبي (١٥٦/٣) رقم (٤٦٩٧) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه (٣٩٢/١٥) رقم (٦٩٤٣) .

(١) زاد في (س) بعدها : وذلك لأن العذاب لو كان في الآخرة لا ينفعهم . ا.هـ .

(٢) في (خ) : الليث . (٣) في (س) و (خ) : سليم .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب عن أبي موسى في أول كتاب الفتن والملاحم باب ما يرجى في القتل (١٠٥/٤) رقم (٤٢٧٨) ، وأحمد في مسنده (٤١٠/٤) رقم (١٩٦٩٣) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٩١/٤) رقم (٨٣٧٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨/٧) رقم (٩٧٩٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٢/١٣) رقم (٧٣٧٧) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٠/٢) رقم (٩٦٩) ، ونعيم بن حماد في الفتن (٦١٤/٢) رقم (١٧٠٧) .

(٥) الناكثون : أصحاب الجمل ؛ لأنهم نكثوا بيعتهم . والقاسطون : أهل صفين ؛ لأنهم جاروا في حكمهم وبغوا عليه . والمارقين : الخوارج ؛ لأنهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، النهاية مادة (قسط) ، (٦٠/٤) .

(٦) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ مقارب عن أبي أيوب الأَنْصَارِيِّ وقد ضعفه الذهبي (١٥٠/٣) رقم (٤٦٧٤) ، وأبو يعلى في مسنده عن علي بن ربيعة (٣٩٧/١) رقم (٥١٩) ، والطبراني في الكبير عن عبد الله (٩١/١٠) رقم (١٠٠٥٤) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد عن خليد العصري (٣٤٠/٨) رقم (٤٤٤٧) ، والعقيلي في الضعفاء عن القاسم بن سليمان عن أبيه عن جده ، وقال : ولا يثبت في هذا الباب شيء (٤٨٠/٣) ترجمة رقم (١٥٣٧) ، وابن عدي في الكامل عن علي (٢١٦/٢) رقم (٤٠٢) ، وقد ضعف ابن حجر الرواية عن علي بذلك إلا قتاله الحرورية فإنه صحيح ، لسان الميزان (٤٤٦/٢) ترجمة رقم (١٨٢٧) .

(٧) في هامش (خ) : أي قال هذا القول ثلاث مرات .

(٨) في هامش الأصل : وفي رواية : « وإنك لتلاص على خلعه » أي لتراود أي تطالب ا.هـ . ولا توجد علامة تصحيح ولا توجد هذه الزيادة في النسخة (س) .

[حدثنا محمد بن محمد البَغْدَادِيُّ ح أبو العباس محمد بن محمد البَغْدَادِيُّ] [(١)] ح أبو العباس محمد بن طاهر بن أبي الدميك قال : ح إبراهيم بن زياد بسبلان [(٢)] ح فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزُّبَيْدِيِّ [(٣)] عن الزُّهْرِيِّ عن القاسم بن محمد عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لعثمان ذلك [(٤)] .

وقوله عليه السلام : « **أصحابي أمنة لأمتي** » يعني من الاختلاف في الدين وظهور البدع والأهواء المردية ، فقد كانت الأمة في زمن أصحاب النبي عليه السلام على ما فارقوا عليه رسول الله عليه السلام من الحنيفية السمحة التي قال عليه السلام : [٢٥٢] « **وَايمُ اللّهِ لأتْرُكَنَّكُم عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلهَا ونهَارهَا** » [(٥)] ، فكانت الأمة على ذلك في حياة أصحاب النبي عليه السلام ، فلما ذهب أصحابه ظهرت الأهواء والبدع ، واختلفوا في الدين ، وتفرقوا في الآراء والديانات ، فكفَّر بعضهم بعضًا ، وتبرأ بعضهم من بعض ، فصاروا فرقًا شتَّى ، وهو الذي وعدوا ، وقال النبي عليه السلام : [٢٥٣] « **افْتَرَقَتِ الأمَمُ عَلَى وَاحِدَةٍ وسَبْعِينَ فِرْقَةً** ،

---

(١) هكذا في الأصل أما في (س) فيوجد مكانها الآتي : حدثناه محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ وفي بعض النسخ أحمد بن محمد . ا.هـ . وفي (خ) : حدثناه محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ .

(٢) سقط من (س) . وسبلان : بفتح أوله وثانيه ، وآخره نون ، جبل عظيم مشرف على مدينة أردبيل من أرض أذربيجان ، معجم البلدان (١٨٦/٣) .

(٣) الزُّبَيْدِيُّ : بضم الزاي وفتح الباء المنقوطة بواحدة بعدها ياء معجمة بنقطتين من تحتها ، وفي آخرها دال مهملة ، هذه النسبة إلى زبيد ، وهي قبيلة قديمة من مذحج أصلهم من اليمن نزلوا الكوفة ، الأنساب (٣٥٦/٢) .

(٤) الحديث أخرجه الترمذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب المناقب باب في مناقب عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، وقال : حسن غريب (٦٢٨/٥) رقم (٣٧٠٥) ، وابن ماجه في سننه بنحوه عن عائشة في أول الكتاب باب فضل عثمان رضي الله عنه (٤١/١) رقم (١١٢) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة ، وقال : صحيح عالي الإسناد ولم يخرجاه (١٠٦/٣) رقم (٤٥٤٤) ، وأحمد في مسنده عن النعمان بن بشير (١٤٩/٦) رقم (٢٥٢٠٣) ، وفضائل الصحابة بألفاظ مختلفة عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه (٤٥٣/١) رقم (٧٢٨) ، وابن حبان في صحيحه عن النعمان بن بشير (٣٤٦/١٥) رقم (٦٩١٥) ، والطبراني في مسند الشاميين عن عائشة (٢٢٦/٢) رقم (١٢٣٤) .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي الدرداء في افتتاح الكتاب باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (٤/١) رقم (٥) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن العرباض بن سارية (١٢٦/٤) رقم (١٧١٨٢) ، والحاكم في المستدرك (١٧٥/١) رقم (٣٣١) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة وسكت عنه الذهبي (٢٧/١) رقم (٤٨) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : بإسناد حسن (٤٧/١) ، والطبراني في الكبير (٢٤٧/١٨) رقم (٦١٩) .

ولا تَمُوتُ أُمَّتي حَتَّى تَفْتَرِقَ عَلَى مِثْلِهَا » [١] . وقال : [٢٥٤] « تَفْتَرِقُ أُمَّتي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » [٢] ، وقال : [٢٥٥] « يَخْرُجُ في آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلامِ [٣] ، يقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيرِ البريَّةِ ، لا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُم حَنَاجِرَهُم » [٤] ، وقال : [٢٥٦] « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ [٥] كَانَ قَبْلَكُم شِبْرًا بِشِبْرٍ وذِرَاعًا [٦] بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لاتَّبَعْتُمُوهُم » . قَالُوا : يَا [٦٥/ب] رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ ؟ اليَهُودُ والنَّصَارَى ؟ قَالَ : « فَمَنِ النَّاسُ إِلا اليَهُودُ والنَّصَارَى ؟ » حدثنا به عبد العزيز بن محمد ح عبد اللَّه بن حماد ح يحيى بن بكير ح يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ يحدث عن النبي ﷺ قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم » وذكره [٧] . فهذا - إن شاء اللَّه - معنى قوله : « أتاهم ما يوعدون » ،

---

(١) الحديث أخرجه الدورقي في مسند سعد بن أبي وقاص عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة ولا تذهب الليالي ولا الأيام حتى تفترق أمتي على مثلها ، أو قال : على مثل ذلك كل فرقة في النار إلا واحدة وهي الجماعة » ، (ص ١٤٨) رقم (٨٦) ، وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : رواه البزار وفيه موسى بن عبيدة الرَّبَذِيُّ وهو ضعيف (٢٥٩/٧) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب السنة باب شرح السنة (١٩٧/٤) رقم (٤٥٩٦) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وقال : حسن صحيح (٢٥/٥) رقم (٢٦٤٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم (١٣٢٢/٢) رقم (٣٩٩٢) ، والدارمي في سننه بلفظ مقارب عن معاوية بن أبي سفيان (٣١٤/٢) رقم (٢٥١٨) ، والحاكم في المستدرك بلفظه عن أبي هريرة (٤٧/١) رقم (١٠) .

(٣) الأحلام : الألباب والعقول واحدها حِلْم ، النهاية مادة (حلم) ، (٤٢٨/١) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري بألفاظ مختلفة عن علي ﷺ في كتاب فضائل القرآن باب أثم من راءى بقراءة القرآن (١٩٢٧/٤) رقم (٤٧٧٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج (٧٤٦/٢) رقم (١٠٦٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب في قتال الخوارج (٢٤٤/٤) رقم (٤٧٦٧) ، والترمِذِيُّ في جامعه عن ابن مسعود في كتاب الفتن باب في صفة المارقة ، وقال : حسن صحيح (٤٨١/٤) رقم (٢١٨٨) ، والنسائي في المجتبى بلفظ مقارب عن علي في كتاب تحريم الدم باب من قاتل دون مظلمته (١٢٠/٧) رقم (٤١٠٢) ، وأحمد في مسنده بلفظه (١١٣/١) رقم (٩١٢) .

(٥) في (س) : ما . (٦) في (س) : ذراع .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، (٢٦٦٩/٦) رقم (٦٨٨٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٠٥٤/٤) رقم (٢٦٦٩) ، وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة في كتاب الفتن باب افتراق الأمم (١٣٢٢/٢) رقم (٣٩٩٤) ، وأحمد في مسنده (٨٩/٣) رقم (١١٨٦١) .

فالذي وعد أهل السماء هو تفطرها وصعقهم ، ولا يكون ذلك إلا إذا تناثرت النجوم ، والنجوم أمنة ما دامت قائمة ثابتة منيرة ، والذي وعد أصحابه الاختلاف بينهم والتنازع ، وقتال بعضهم بعضًا ، فقد قال النبي ﷺ للزبير : [٢٥٧] « **لَتُقَاتِلَنَّه وأَنْتَ لَه ظَالِمٌ** » [(١)] يعنى عليًا رضي الله عنهما وقال لعائشة رضي الله عنها : [٢٥٨] « **كَيْفَ بِكِ إِذَا نَبَحَتْ عَلَيْكِ كِلابُ حَوْأَبَ** » [(٢)] [(٣)] ، وقال لعمار : [٢٥٩] « **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ** » [(٤)] ، فهذا الوعد الذي أتاهم ، ولم يأتهم إلا بعد ذهاب النبي ﷺ من بينهم ، فكان ﷺ أمنة لهم من ذلك في [(٥)] حياته .

والذي وعد أمته ظهور الأهواء والبدع ، فقد قال ﷺ : [٢٦٠] « **صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لا تَنَالُهُم شَفَاعَتِي المرْجِئَةُ والقَدَرِيَّةُ** » [(٦)] ، وقد قال : [٢٦١] « **يخرُجُ في آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ**

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ مقارب عن أبي حرب بن أبي الأسود ، وقال : صحيح عن أبي حرب (٤١٣/٣) رقم (٥٥٧٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه مرسلًا عن عبد السلام رجل من بني حية (٥٤٥/٧) رقم (٣٧٨٢٧) ، والعقيلي في الضعفاء ، وقال : ولا يروى هذا المتن من وجه يثبت (٦٥/٣) ترجمة رقم (١٠٢٩) .

(٢) حوأب : موضع في طريق البصرة ، معجم البلدان (٣١٤/٢) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن قيس بن أبي حازم (٥٢/٦) رقم (٢٤٢٩٩) ، والحاكم في المستدرك (١٢٩/٣) رقم (٤٦١٣) ، وابن حبان في صحيحه (١٢٦/١٥) رقم (٦٧٣٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٢/٨) رقم (٤٨٦٨) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٨٩١/٣) رقم (١٥٦٩) ، ونعيم بن حماد في كتاب الفتن (٨٣/١) رقم (١٨٨) ، وقد ذكره ابن الجوزي ضمن الأحاديث الواهية ، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٨٤٩/٢) رقم (١٤٢٠) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن ابن عباس في كتاب الجهاد والسير باب فسح الغبار عن الناس في السبيل (١٠٣٥/٣) رقم (٣٦٥٧) ، ومسلم في صحيحه بلفظه عن أم سلمة رضي الله عنها في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٢٢٣٦/٤) رقم (٢٩١٦) ، والترمذيُّ في جامعه عن أبي هريرة في كتاب المناقب باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وقال : حسن صحيح غريب (٦٦٩/٥) رقم (٣٨٠٠) ، والنسائي في سننه الكبرى عن أم سلمة في كتاب المناقب باب عمار بن ياسر رضي الله عنه (٧٥/٥) رقم (٨٢٧٥) ، وأحمد في مسنده عن عبد الله ابن الحارث (١٦١/٢) رقم (٦٤٩٩) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بنحوه عن ابن عباس في كتاب القدر باب ما جاء في القدرية ، وقال : غريب حسن صحيح (٤٥٤/٤) رقم (٢١٤٩) ، وابن ماجه في سننه في افتتاح الكتاب باب في الإيمان (٢٤/١) رقم (٦٢) ، والبيهقي في الاعتقاد (٢٣٨/٢) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بلفظه عن أنس (٢٥٤/٩) ، والطبراني في الأوسط بلفظه عن جابر (٦٩/٦) رقم (٥٨١٧) ، قال الهيثمي في =

نَبَزُهُم [١] الرَّافِضَةُ » [٢] حدثنا علي بن محتاج ح علي بن عبد العزيز ح أحمد بن عبد الله ابن يونس ح عمران بن يزيد أخ الحجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [٢٦٢] « **يَكُونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ يَرْفُضُونَ الإِسْلامَ و** [٣] **يَلْفِظُونَه فَاقْتُلُوهُم** [٦٦/أ] **فَإِنَّهُم مُشْرِكُونَ** » [٤] وأمثاله كثيرة ، ولم تظهر هذه الأهواء إلا بعد ذهاب أصحاب النبي ﷺ فكانوا أمنة للأمة من ذلك حياتهم رضي الله عنهم (ن) .

٦٥
باب في طبقات أمتي خمس

حديث آخر : [٢٦٣] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو عبد الله محمد بن خلف المَرْوَزِيُّ ح كامل [٥] ح عباد [٦] بن عبد الصمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال : « **طَبَقَاتُ أُمَّتِي خَمْسُ طَبَقَاتٍ ، كُلُّ طَبَقَةٍ مِنْهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً ، فَطَبَقَتِي وطَبَقَةُ أَصْحَابِي أَهْلُ العِلْمِ والإيمانِ ، والطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ إلى الثَّمَانِينَ أَهْلُ البِرِّ والتَّقْوَى ، والطَّبَقَةُ**

= مجمع الزوائد : وفيه محمد بن محصن وهو متروك (٢٠٦/٧) ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية : هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ (١٦٢/١) رقم (٢٤٩) .

(١) نبزهم : النبز بالتحريك اللقب ويكثر فيما كان ذمًّا ، النهاية مادة (نبز) ، (٨/٥) .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد ذكره المصنف بتمامه بعد الإسناد التالي .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الحديث أخرج جزأه الأول إلى لفظة « الإسلام » أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٠٣/١) رقم (٨٠٨) ، والبزار في مسنده (١٣٩/٢) رقم (٤٩٩) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٢٧٩/١) رقم (٨٩٧) ، وأخرجه بتمامه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بلفظ مقارب عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤٧٥/٢) رقم (٩٨١) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٥٩/٤) رقم (٢٥٨٦) ، والهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٩٤٥/٢) رقم (١٠٤٣) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٢٣٢) رقم (٦٩٨) ، والطبراني في الكبير (٢٤٢/١٢) رقم (١٢٩٩٧) ، وفي الأوسط بنحوه عن أم سلمة (٣٥٥/٦) رقم (٥٥٠٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وهو ضعيف (٢٢/١٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، وقال : غريب تفرد به الحجاج عن ميمون ورواه يوسف بن عدي عن الحجاج نحوه (٩٥/٤) ، والحديث إسناده ضعيف فيه الحجاج بن تميم ضعيف ولا يتابع على حديثه ، الضعفاء للعقيلي (٢٨٤/١) ترجمة رقم (٣٤٥) .

(٥) زاد في (س) بعدها : ابن طلحة .

(٦) في هامش الأصل : حماد .

الأُخْرَى إِلَى العِشْرِينَ ومِائَة أَهْلُ التَّرَاحُمِ والتَّوَاصُلِ ، والطَّبَقَةُ الأُخْرَى إِلَى السِّتِّينَ [١] **ومِائَة أَهْلُ التَّقَاطُعِ والتَّدَابُرِ ، والطَّبَقَةُ الأُخْرَى إِلَى المائَتَيْنِ أَهْلُ الهرَجِ والهرَبِ ، ثُمَّ تَرْبِيَةُ جَرْوٍ في ذَلِكَ الزَّمَانِ خَيْرٌ مِنْ تَرْبِيَةِ وَلَدٍ »** [٢] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : العلم تبين الشيء كما هو ، والإيمان التيقن به ، وهو التصديق له ، فالعلم للقلب بمنزلة البصر للرأس ، فما أدركه البصر سمي رؤية ، وما أدركه القلب سمي علمًا ، واليقين للفؤاد بمنزلة العلم للقلب ، فما أدركه الفؤاد يسمى يقينًا ، والفؤاد داخل القلب وباطنه ، والقلب ظاهره ، والصبر [٣] ساحة القلب .

فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ : « **فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والإيمان** » أي هم أرباب القلوب ، وأصحاب المكاشفات [٤] والمشاهدات [٥] ؛ لأن العلم بالشيء لا يقع إلا بعد كشوف المعلوم وظهوره للقلب ، كما أن الرؤية بالبصر لا تقع بالبصر [٦] إلا بعد ارتفاع الموانع [٦٦/ب] والسواتر بينه وبين المرئي ، واليقين شهود الفؤاد للشيء المعلوم ، فقد يجوز أن يعلم الشيء ويعترضه فيه الشكوك والخواطر إذا بعد عن شهود الفؤاد له ، كما أن المرئي يعترض فيه الشكوك والخواطر لبعده عن البصر أو علة تحدث في البصر ، وكأن المرئي محدودًا له كيفية ، فإذا شهد الرائي المرئي شهود حضور ولم

(١) في (س) و (خ) : ستين .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن أنس بن مالك في كتاب الفتن باب الآيات (١٣٤٩/٢) رقم (٤٠٥٨) ، ونعيم بن حماد بنحوه عن أبي عامر الهوزني ، وضمرة بن حبيب (٧٠١/٢) رقم (١٩٧٨) ، والبوصيري في مصباح الزجاجة عن أنس ، وقال : إسناده ضعيف (١٩٧/٤) رقم (١٤٤١) ، وابن عدي في الكامل عن ابن عباس ، وقال : منكر (٢٥٤/٧) ترجمة رقم (٢١٥٥) ، والحديث إسناده ضعيف فيه عباد بن عبد الصمد ، قال ابن حبان في المجروحين : منكر الحديث جدًّا يروي عن أنس ما ليس من حديثه ما أراه سمع منه شيئًا فلا يجوز الاحتجاج به فيما وافق الثقات فكيف إذا انفرد بأوابد (١٧٠/٢) ترجمة رقم (٧٩٤) .

(٣) في (خ) : والصدر .

(٤) المكاشفات : المكاشفة مصدر (كاشف) والكشف كما ورد في لسان العرب : رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه ... وكشف الأمر يكشفه كشفًا : أظهره ، لسان العرب مادة (كشف) فالمادة ومشتقاتها تدور حول الإظهار وعدم الستر وفي اصطلاحات الصُّوفِيَّة تعني عندهم : شهود الأعيان وما فيها من الأحوال في عين الحق فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية ، معجم اصطلاحات الصُّوفِيَّة للكاشاني (ص ٣٤٦) .

(٥) المشاهدات : المشاهدة لغة : المعاينة ، لسان العرب مادة (شهد) ، وفي اصطلاحات الصُّوفِيَّة تعني عندهم : شهود الذات بارتفاع الحجاب مطلقًا ، السابق (ص ٣٤٧) .

(٦) من هامش الأصل .

يحدث في البصر علة رأى الشيء كما هو .

واليقين للعلم بمنزلة الشهود للبصر ، فإذا شهد القلب المعلوم وأبصره بعين الفؤاد الذي هو اليقين زالت عنه العوارض والشكوك فصدق به ، فالعلم صفة للقلب السليم ، والقلب السليم [١] الذي ليس له إلى الخلق نظر ، ولا للنفس عنده خطر [٢] ، ولا للدنيا فيه أثر . قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] ، [واليقين صفة للفؤاد الشاهد ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧]] [٣] قيل : شهيد الفؤاد [٤] ، أي راء له ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] . فوصف الفؤاد بالرؤية الحقيقية التي لا يشوبها خاطر شك ولا عارض ريب ، فالعلم والإيمان صفتان للقلوب السليمة والأفئدة الشاهدة ، يدل ذلك على أن قوله : « **أهل العلم والإيمان** » أنهم أرباب القلوب السليمة التي كشفت لها أستار الغيوب حتى صار الغيب لهم شهودًا ، وأنهم أصحاب الأفئدة الشاهدة الحاضرة لما كوشف لها الموقنة لها المصدقة لها كأنها بها حاضرة ، وهي لها شاهدة ، وقد قال حارثة : [٢٦٤] « عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى أَهْلِ الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ وإِلى أَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ » [٥] . وقال عبد الله بن عمر ﵄ : [روي أنه سلم رجل على ابن عمر وهو في الطواف فلم [٦٧/أ] يجبه إما أنه لم يشعر به ؛ لأنه كان حينئذ مشاهدًا لربه ، وخاصية الشهود فقد حس الأشياء ، أو أحس بسلامه ولم يطق جوابه لأنه قيل : (التنفس عند المشاهدة حرام) وقال :] [٦] [٢٦٥] « إِنَّا كُنَّا نَتَرَاءى اللَّهَ في ذَلِكَ المَكَانِ يَعْنِي في الطَّوَافِ » [٧] ، وقال علي بن أبي طالب في ابن عباس ﵁ [٢٦٦] « كَأَنَّه يَنْظُرُ إِلى الغَيْبِ مِنْ دُونِ سِتْرٍ رَقِيقٍ » [٨] ، هذه أوصاف أوساط أصحاب

(١) زاد في (س) بعدها : هو .

(٢) خطر : قدر ومنزلة ، لسان العرب مادة (خطر) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) روي نحوه عن الضحاك ومجاهد وقد نقله الطبري في تفسيره جامع البيان (١٧٨/٢٦) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٤/أ) . (٦) سقط من (س) و (خ) .

(٧) روى نحوه هذا القول ابن سعد في طبقاته عن نافع ولكن في سياق مختلف ، الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٧/٤) .

(٨) لم أقف عليه وقد ذكره ابن حجر في الإصابة بنحوه ، قال : وفي المجالسة من طريق المدائني قال علي في ابن عباس : إنا لننظر إلى الغيب من ستر رقيق ، الإصابة في تمييز الصحابة (١٤٦/٤) ، وذكر المناوي في فيض القدير أن الحديث محفوظ عند المحدثين ، فيض القدير (٤٤/١) .

النبي ﷺ ومن ليس من عليتهم ، فما ظنك بالصديق الأكبر والفاروق عمر وذي النورين الأنور والعلي الأزهر لسائر [١] العشرة المشهود لهم ، وأصحاب الشجرة المرضي عنهم .

روى [٢] أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد اللّٰه بن مسعود ﷺ قال : [٢٦٧] « إِنَّ اللّٰه تعَالى نَظَرَ في قُلوبِ العِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خيرَ قُلُوبِ العِبَادِ [٣] فَبَعَثَه نبيًّا واصْطَفَاهُ لنَفْسِهِ ، واسْتَخْلَصَهُ [٤] وابْتَعَثَهُ اللّٰه تعَالى بالرِّسَالَةِ ، ثُمَّ نَظَرَ في قُلوبِ الْعِبَادِ بعْدَ قَلْبِ محمَّدٍ ﷺ فوجَدَ قُلُوبَ [٥] أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ - [وفي رواية : « خَيْرَ قُلُوبِ المؤمِنِينَ »] [٦] - فَجَعَلَهُم وُزَرَاءَ لنَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ ، فَمَا رَآه المؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللّٰهِ حَسَنٌ ، ومَا رَآه المؤْمِنُونَ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللّٰهِ سَيِّئٌ » [٧] ، [قال : ح خلف بن محمد ح صالح بن محمد ح علي بن الجعد ح أبو بكر بن عياش بإسناده نحوه بمعناه] [٨] .

وقوله : « **أهل البر والتقوى** » أي أنهم أرباب النفوس والمجاهدات ، وأصحاب المعاملات والمكابدات ، فالبر هو صدق المعاملة للّٰه تعالى ، [يعني كثرة المجاهدة في النوافل دون الفرائض في أنواع من [٦٧/ب] ذلك] [٩] ، والتقوى حسن المجاهدة في اللّٰه تعالى ،

---

(١) في (خ) : إلى سائر .

(٢) في (خ) : حدثنا خلف بن محمد حدثنا صالح بن محمد حدثنا علي بن الجعد أخبرنا .

(٣) سقط من (س) . (٤) سقط من (خ) .

(٥) في (س) : قلب .

(٦) سقط من (خ) ، وهذه الرواية لم أقف عليها .

(٧) زاد في (س) بعدها : وفي بعض النسخ : « المسلمون سيئًا فهو عند اللّٰه سيئ » ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود موقوفًا (٣٧٩/١) رقم (٣٦٠٠) ، والحاكم في المستدرك من قوله : « ما رأى المسلمون حسنًا » ، وزاد عليه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد أصح منه إلا أن فيه إرسالًا ، وصححه الذهبي (٨٣/٣) رقم (٤٤٦٥) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (٣٣/٢) رقم (٢٤٦) ، والطبراني في الكبير (١١٢/٩) رقم (٨٥٨٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله موثقون (١٧٨/١) ، والبيهقي في الاعتقاد (٣٢٢/٢) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ بنحوه عن أنس بن مالك (١٦٥/٤) ترجمة رقم (١٨٤٣) ، قال ابن كثير في تحفة الطالب : هذا مأثور عن عبد اللّٰه بن مسعود بسند جيد (٤٥٥/٢) ، وتبعه ابن حجر فحسن إسناده في الدراية في تخريج أحاديث الهداية (١٨٧/٢) رقم (٨٦٣) ، وقد حكم العجلوني في كشف الخفاء على الحديث بالحسن تارة (٢٤٥/٢) رقم (٢٢١٤) ، وبالصحة أخرى (١٩٢/١) رقم (٥٠٤) .

(٨) سقط من (س) و (خ) . (٩) السابق .

قال اللَّه تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فأخبر أن البر هو صدق المعاملة للَّه [وما ذكر اللَّه تعالى في الآية] [١] ، فهذه أوصاف أرباب المعاملات ، وقد قال ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] فهذا حسن التقوى ، فكأنه عليه السلام أخبر عن الطبقة الثانية أنهم أرباب المعاملات وأصحاب المجاهدات ، ووصفه للطبقة الثالثة بالتواصل والتراحم دليل على أنهم عاملوا اللَّه تعالى بواسطة الدنيا في العزوف عنها والترك لها ، وواسطة الخلق بالشفقة عليهم والبذل لهم ، سخت [٢] الطبقة الثانية [٣] بالدنيا فبذلوها [٤] بتحمل أثقاله ، وأنصبوها في المثول بين يديه ، وأتعبوها بالخدمة له ، ولم يبلغوا درجة الطبقة الأولى في مشاهدات القلوب ، وسخت [٥] الطبقة الثالثة بالدنيا فبذلوها لخلق اللَّه تعالى شفقة عليهم ونظرًا لهم [٦] ، ولم يبلغوا درجة الطبقة الثانية في بذل النفوس ، فكانوا في سخاوة الدنيا على صنفين ، فصنف سخت عليها نفوسهم ، فتركوها لأربابها ، وصنف سخت بها أيديهم فبذلوا [٧] لطلابها .

فالصنف الأول : أهل التواصل ؛ لأنهم لما تركوها وأعرضوا عنها سلموا من التقاطع ؛ إذ كان سبب التقاطع مجاذبة الدنيا بينهم ومنازعتهم فيها ومقاتلتهم [٨] عليها ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : [٦٨/أ] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووقف على مزبلة فأخذ من كان معه بأنفهم فقال : [٢٦٨] « مَا لَكُم هَذِهِ دُنْيَاكُم التي تَتَنَابَحُونَ [٩] عَلَيْهَا » [١٠] ، فأخبر أن مجاذبتها بينهم سبب التقاطع ، فتركها لطلابها سبب التواصل .

والصنف الثاني : أهل التراحم ؛ لأن الدنيا لما خلصت [١١] في أيديهم بذلوها لخلق

---

(١) سقط من (س) و (خ) .
(٢) في (س) : سخطت .
(٣) في (س) : الثالثة .
(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : للَّه تعالى .
(٥) في (س) : سخطت .
(٦) في (خ) : إليهم .
(٧) في (س) و (خ) : فبذلوها .
(٨) في (خ) : وتقاتلهم .
(٩) في هامش (خ) : من النباح .
(١٠) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الزهد بلفظ مقارب عن الحسن (١١٨/٢) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٤٨/١) ، وليس في أي من ألفاظهم عبارة « تتنابحون » .
(١١) في (خ) : حصلت .

اللَّه (١) شفقة عليهم ورحمة لهم ، فهم أهل التراحم فيما بينهم ، فكأنه ﷺ وصف طبقته وطبقة أصحابه أنهم أرباب القلوب ، وأنهم أرباب المجاهدات والمعاملات [وأرباب القلوب وأصحاب المكاشفات والمشاهدات] (٢) ، ووصف الطبقة الثانية أنهم أرباب النفوس وأنهم أصحاب المعاملات والمجاهدات ، ووصف الطبقة الثالثة أنهم أهل بذل وسخاء وشفقة ووفاء ، والطبقة الرابعة أهل تنازع وتجاذب ، فصاروا أهل تقاطع وتدابر ؛ لأنهم لما أقبلوا على الدنيا قطعتهم عن الآخرة وانقطعت الأخوة التي أوجبها الإيمان بتنابحهم على الدنيا وتنافسهم فيها ، وأدبروا عن الآخرة بإقبالهم عليها . قال : ح عبد اللَّه بن محمد ح عبد الصمد بن الفضل وإسماعيل بن بشر قالا : ح مكي بن إبراهيم ح هشام بن سعد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة (٣) عن النبي ﷺ قال : [٢٦٩] « **واللَّهِ مَا الفَقْرُ أَخَافُ عَلَيْكُم ، ولكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُم الدُّنيَا كمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُم** » (٤) .

قال : ح محمد بن عبد اللَّه الفقيه قال : ح أبو يعلى بالموصل (٥) ح المؤمل ح أبو الربيع الزَّهْرَانِيُّ (٦) [٦٨/ب] ح حماد ح هشام والمعلى بن زياد عن الحسن قال : [٢٧٠] دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ على أَهْلِ الصُّفَّةِ ، فَقَالَ : « **السَّلامُ عَلَيْكُم** » . **فَقَالُوا** : وعَلَيْكَ السَّلامُ يا رَسُولَ اللَّه . قَالَ : « **كَيْفَ أَنْتُم إِذَا غُدِيَ عَلَى أَحَدِكُم بِقَصْعَةٍ وَرِيحَ بِأُخْرَى ، وغَدَا في حُلَّةٍ وَرَاحَ في أُخْرَى ، وكَيْفَ أَنْتُم إِذَا نَجَّدْتُم بُيُوتَكُم كَمَا تُنَجَّدُ الكَعْبَةُ ؟** » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ونحنُ عَلَى الإِسْلامِ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » قَالُوا : نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ نُعْطَى وَنَشْكُرُ . قَالَ : « **بَلْ أَنْتُم - يَعْنِي اليَوْمَ - خَيْرٌ . إِنَّكُم إِذَا كَانَ كَذَلِكَ** (٧) **تَحَاسَدْتُم**

---

(١) سقط من (س) . (٢) السابق .

(٣) في (س) : مخرم .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة بلفظ مقارب في كتاب الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٢٣٦١/٥) رقم (٦٠٦١) ، ومسلم في صحيحه في أول كتاب الزهد والرقائق (٢٢٧٣/٤) رقم (٢٩٦١) ، والترمذِيُّ في جامعه في كتاب صفة القيامة باب منه (٦٤٠/٤) رقم (٢٤٦٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب فتنة المال (١٣٢٤/٢) رقم (٣٩٩٧) .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) الزَّهْرَانِيُّ : بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى بني زهران ... وأبو الربيع من أهل البصرة ، الأنساب (٣٨٤/٢) .

(٧) في (خ) : ذلك .

وتَدَابَرْتُم وتَبَاغَضْتُم وتَنَافَسْتُم » [١] . أخبر ﷺ أن التدابر والتقاطع سببه الدنيا ومنافستهم فيها .

والطبقة الخامسة يصير التقاطع والتدابر من أجلها تهارجًا وتقاتلًا حتى يقتل عليها بعضهم بعضًا ، ويتهاربون ضنًّا بها ، ويتذابحون حرصًا عليها ، فتربية جرو خير من تربية ولد ؛ لأن الجرو يألف من يربيه ويحرس صاحبه ويذب عنه ، والولد إذا أدرك ينفر من أبيه ويقطعه ويجفوه ويخاصمه بل يقاتله . إذًا فتربية جرو يحرسك خير من تربية ولد ينهسك [٢] ، وتربية من يذب عنك خير من تربية من يثب عليك [٣] .

٦٦
باب في فرح الله بتوبة عبده

حديث آخر : قال : [٢٧١] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيّ ح أبو الأحوص وأبي عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد قال : سمعت عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ بِدَوِيَّةٍ** [٤] **مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتَهُ فَأَضَلَّ رَاحِلَتَهُ** [٦٩/أ] ، **فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ** [**المَوْتُ والعَطَشُ** [٥]] [٦] **فَقَالَ : أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِ رَحْلِي فَأَمُوتُ فِيهِ ، فَرَجَعَ فَاسْتَيْقَظَ ، فَإِذَا** [٧] **رَاحِلَتُهُ فَوْقَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ** » [٨] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بنحوه عن علي بن أبي طالب في كتاب صفة القيامة باب منه ، وقال : حسن (٦٤٧/٤) رقم (٢٤٧٦) ، وفي إسناده رجل لم يسم ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد بألفاظ مختلفة عن الحسن (٣٩١/٢) رقم (٧٦١) ، وأبو يعلى المَوْصِلِيُّ في مسنده بنحوه عن علي (٣٨٧/١) رقم (٥٠٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه رجل لم يسم وبقية رجاله ثقات (٣١٤/١٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن الحسن ، وقال : كذا رواه أبو معاوية مرسلًا (٣٤٠/١) يعني بذلك سقوط الصحابي فيما بين الحسن وبين الرسول ﷺ هذا وقد أخرج الحديث البخاري في التاريخ الكبير عن محمد بن كعب القرظي (١٢/٥) ترجمة رقم (٢١) .

(٢) ينهسك : النَّهْسُ : القبض على اللحم ونتره ... ونهسته الحية : عضته ، لسان العرب مادة (نهس) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٤) بدوية : الدَّو الصحراء التي لا نبات بها والدوية منسوبة إليها ، النهاية مادة (دوا) ، (١٤٢/٢) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) في هامش (خ) : كل أسباب الموت .

(٧) في هامش (خ) : إذا هنا للمفاجأة .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود في كتاب الدعوات باب التوبة =

قال الشيخ رحمه الله : الفرح سرور يكون عقيب حزن وكآبة وغم ، وأكثر ما ترد لفظة الفرح إنما ترد عقيب اهتمام وحزن ، ولذلك قالوا : (ما من ترحة [١] إلا وبعدها فرحة) [٢] وذكر في الحديث أن الله تعالى يفرح بتوبة العبد ، ودل الحديث على الذي قلنا ؛ لأن الذي أضل راحلته في دوية مهلكة ، وأضل طعامه وشرابه يكون في غاية من الحزن والأسف والغم ، فإذا وجدها سر بذلك غاية السرور ، فعبر عن عظم الشعور الذي هو بعد عظم الحزن والكآبة والغم بالفرح ، ثم كان السرور عبارة عن بسط الوجه وسعة الصدر واستنارة الوجه ، وإنما قيل سرور ؛ لأن المسرور بالشيء يستنير وجهه وتبرق أسارير وجهه وهي عروقه ، والفرح معظم السرور وغايته . والنبي عليه السلام [وصف الله تعالى] [٣] بالفرح ، فهو صفة لله - جل وعز - على ما يستحقه ويليق به بخلاف ما يعرف من الخلق ، وبخلاف ما يقع تحت أوهامنا وتدركه عقولنا .

ويجوز أن يكون ذلك عبارة عن بسط الرحمة من الله تعالى وإفاضتها على العبد ، وحسن القبول من الله - جل وعز - لعبده ، وإقباله عليه وإكرامه له وبره إياه إذا أقبل عليه العبد ورجع إليه .

فمعنى الحديث - إن شاء الله - إخبار عن كرم الله وفضله ومحبته لعبده المؤمن وكرامته عليه ، وعظم منزلته عنده وجليل قدره ومحله منه حتى [٦٩/ب] يكره له إعراضه وذهابه عنه ، ويحب منه إقباله عليه ودنوه منه وإيثاره إياه ؛ لأن من أضل راحلته وطعامه وشرابه ثم أصابها أقبل عليها وألزمها قربه وجعلها نصب عينيه ، وأوجب على

= (٢٣٢٤/٥) رقم (٥٩٤٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢١٠٣/٤) رقم (٢٧٤٤) ، والترمذيُّ في صحيحه في كتاب صفة القيامة باب منه ، وقال : حسن صحيح (٦٥٨/٤) رقم (٢٤٩٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير باب قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] ، (٤١٥/٤) رقم (٧٧٤١) ، وابن ماجه في سننه بنحوه عن أبي سعيد في كتاب الزهد باب ذكر التوبة (١٤١٩/٢) رقم (٤٢٤٩) .

(١) في هامش (خ) : الترحة الحزن .

(٢) وجدته بلفظ : رب فرحة تعود ترحة في مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني (٣٠٤/١) ، وقد ورد هذا المعنى في قول الشريف المرتضي :

وما الدهر إلا فرحة ثم ترحة ... وما الناس إلا مطلق وأيسر

مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي لأحمد قبّش الباب السادس باب الحاء رقم (٢٤) .

(٣) من هامش الأصل .

نفسه حفظها ، وحماها عما ينفرها عنه .

فأخبر النبي ﷺ أن الله ﷻ لمحبته لعبده المؤمن يكره ذهاب عبده منه وإعراضه عنه مع غنى عنه ، وحاجة عبده إليه وأنه لا يتركه في عصيانه وإعراضه وذهابه [١] عنه ، بل يرده إليه ويقبل به عليه ، وهذا معنى قوله : « **فطلبها** » - إن شاء الله - ، وأنه إذا رجع إليه وأعرض عما سواه وأقبل عليه قبله الله مكرمًا له ، ومعظمًا قدره ، ومقبلًا عليه ، ومرحبًا له ، وجعله في حفظه وكنفه ورعايته وعصمته [٢] عما ينفره عنه ، وعما يريد الذهاب به من غرور الدنيا ومكائد العدو وخدع النفس وفتنة الخلق ، ويجعله من خواصه ، ويحول بينه وبين ما يرديه ، ومن محبته لعبده المؤمن يريد منه إقباله عليه ومواجهته إياه ونظره إليه ولا يتعاظمه ذنبه وإن كثر ، وعصيانه له وإن عظم إذا رجع إليه وأقبل عليه أن يغفره له ، وقد أخبر النبي ﷺ بهذا المعنى حيث قال : « **إِنَّ اللَّه تَعَالى يحِبُّ الْـمُفْتَنَ التَّوَّابَ** » قال : ح به بكر بن محمد بن حمدان [٣] ح محمد بن الفرج الأزرق ح الوَاقِدِيُّ [٤] ح إبراهيم بن إسماعيل عن عبد الله بن أبي سفيان عن يزيد بن ركانة عن محمد ابن الحنفية عن أبيه عن النبي ﷺ قال : [٢٧٢] « **إِنَّ اللَّه تَعَالى يحِبُّ الْـمُفْتَنَ التَّوَّابَ** » [٥] .

فالمفتن التواب [٧٠/أ] مقبل على الله مواجه له راجع في كل وقت لديه [٦] كلما صرفته عنه فتنة ردته إليه توبة ، والتوبة هي الرجوع إلى الله ﷻ ، وكذلك الأوبة والإنابة ، غير أن التوبة تقال عند الرجوع من المناهي والمعاصي بالاستغفار ، والتوبة [٧] أكثر ما تقال عند الرجوع في [٨] حال الطاعة إلى الله تعالى بالشكر والحمد .

والعبد بين حالتين : حالة الطاعة وحالة المعصية ، وهما صفتان للعبد لا يكاد ينفك

---

(١) من هامش الأصل . (٢) وعصمه .

(٣) في (س) : أحمدان .

(٤) الوَاقِدِيُّ : بفتح الواو ، وكسر القاف ، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى واقد وهو اسم لجد المنتسب إليه ، الأنساب (٤/٤٦٧) .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن محمد ابن الحنفية عن أبيه (١/٨٠) رقم (٦٠٥) ، وفي فضائل الصحابة بلفظه (٢/٦٩٧) رقم (١١٩١) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظ مناسب (١/٣٧٦) رقم (٤٨٣) ، والحارث في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بلفظه (٢/٩٧٢) رقم (١٠٧٦) .

(٦) في (خ) : إليه . (٧) في (خ) : والأوبة .

(٨) في (خ) : من .

منهما ، والعبد مأمور بالرجوع إلى الله تعالى في كل وقت وعن كل حال ، قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] ، فمن رجع إلى الله تعالى من صفته التي هي المعصية فهو تواب ، ومن رجع إلى الله تعالى من صفته التي هي الطاعة فهو أواب ، قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] فالموصوف بالمعصية مأمور بالرجوع إلى الله تعالى بقوله : [أستغفر الله] (١) ، والموصوف بالطاعة مأمور بالرجوع إلى الله تعالى بقوله : الحمد لله ؛ وذلك أن من أقام على صفته التي هي المعصية ولم يرجع منها إلى الله فهو مُصِرٌّ ، ومن سكن إلى صفته التي هي الطاعة ، ولم يرجع منها إلى الله تعالى فهو إما مراءٍ أو معجب أو مشرك ، فمن نظر إلى الخلق في حال الطاعة فهو مراءٍ ، ومن نظر إلى نفسه فهو معجب ، ومن أراد بها عوضًا غير الله تعالى فهو مشرك (٢) [في المعاملة] (٣) ، ومن نظر من حال المعصية إلى الله بالخوف والرهبة والحياء فرجع إلى الله بالندم والاستغفار فهو حبيب الله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ومن نظر إليه في حال الطاعة برؤية المنة وشهود التوفيق [٧٠/ب] بالشكر له والثناء عليه فهو حبيب الله ومحسن ، قال الله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

وفي هذا دليل على أن محبة الله للمؤمن ؛ لأن المحب يحب إقبال محبوبه عليه ونظره إليه ، ويكره إعراضه عنه ، واشتغاله بدونه ونظره إلى غيره ، فالله تعالى من محبته لعبده المؤمن يكره له النظر إلى غيره واشتغاله بسواه وإن كان فيما أمر وندب إليه ، ويحب له رجوعه إليه وإقباله عليه وإن كان فيما نهى عنه وزجر منه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن الله عز وجل : [٢٧٣] « **عَبْدِي إِنْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ (٤) الأَرْضِ خَطِيئَةً لَقِيتُكَ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً** » (٥) ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر : ٥٣، ٥٤] .

---

(١) في (خ) : ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح : ١٠] .

(٢) في هامش (خ) : يعني الشرك الخفي . (٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) قراب الأرض خطيئة : أي بما يقارب ملأها وهو مصدر قارب يقارب ، النهاية مادة (قرب) ، (٣٢/٤) .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله (٢٠٦٨/٤) رقم (٢٦٨٧) ، والترمذيُّ في جامعه عن أنس بن مالك في كتاب الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٥٤٨/٥) رقم (٣٥٤٠) ، وابن ماجه في سننه عن أبي ذر في كتاب الأدب باب فضل العمل (١٢٥٥/٢) رقم (٣٨٢١) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب (١٥٤/٥) رقم (٢١٤٠٦) .

وحدثنا حاتم بن عقيل [ح يحيى] [١] ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح معلى بن منصور عن ليث بن سعيد عن محمد بن قيس [٢] عن أبي صرمة عن أبي أيوب [٣] قال : سمعت النبي ﷺ يقول : [٢٧٤] « **لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لجَاءَ اللَّه بِقَوْمٍ أَوْ بِخَلْقٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُم** » [٤] .

دل هذا الحديث على ما قلناه من محبة اللَّه للمؤمن ؛ لأنه إذا أذنب اعتذر إليه وتاب وأقبل عليه وتضرع واستكان وتملق له ، فاللَّه تعالى يحب هذا من العبد ، وجنايته لا تقدح [٥] في محبته له ؛ لأن الجناية من العبد ، والمحبة من اللَّه تعالى ، ولا تقدح أوصاف العبد المحدث الضعيف الحقير في أوصاف القديم اللطيف الخبير - واللَّه أعلم - .



٦٧ باب في ذم الدنيا

حديث آخر : [٢٧٥] حدثنا بكر بن حمدان [٧١/أ] المَرْوَزِيُّ ح أحيد بن الحسين البامِيَانيُّ [٦] الشيخ الصالح ح عبد اللَّه بن الجراح ح عبد الملك بن عمرو عن سفيان بن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد اللَّه ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **الدُّنيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلا مَا كَانَ مِنْهَا** [٧] **لِلَّهِ تعالى** » [٨] .

---

(١) سقط من (س) .
(٢) في (س) : قبيس .
(٣) زاد في (س) بعدها : الأَنْصَارِيّ .
(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة ﷺ في كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة (٢١٠٦/٤) رقم (٢٧٤٩) ، والترمِذِيُّ في جامعه بنحوه عن أبي أيوب في كتاب الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار ، وقال : حسن غريب (٥٤٨/٥) رقم (٣٥٣٩) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب عن ابن عباس (٢٨٩/١) رقم (٢٦٢٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب بلفظه عن ابن عمر وزاد في آخره : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [محمد: ٦] ، (٣٢٠/٢) رقم (١٤٤٦) ، وابن أبي الدنيا في حسن الظن باللَّه بلفظه عن أبي هريرة (ص ٣٣) رقم (٢٢) ، والطبراني في الكبير بلفظه عن ابن عباس (١٧٢/١٢) رقم (١٢٧٩٤) ، وبلفظ مقارب عن أبي أيوب (١٥٦/٤) رقم (٣٩٩٢) .
(٥) في هامش (خ) : أي لا تنقص .
(٦) باميان : بالباء المنقوطة من تحتها بنقطة ، وكسر الميم بعدها الياء المنقوطة من تحتها بنقطتين والنون في آخرها ، بلدة بين بلخ وغزنة ، الأنساب (١٨٩/١) .
(٧) من هامش الأصل .
(٨) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الزهد في باب منه ، وقال : =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون معنى الدنيا في هذا الحديث ملاذ النفوس وشهواتها ، وجميع حطامها وزهراتها وما ذكر اللَّه تعالى في قوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ وَٱلْحَرْثِۗ ﴾ [آل عمران : ١٤] وحب البقاء فيها ، فتكون هذه الأشياء هي الملعونة إذا كانت للنفوس وشهواتها ولذة الطبع والتلهي بها والشغل فيها والحب لها ، ولم تكن للَّه تعالى ولا فيه ؛ لأن الدنيا في الحقيقة هي الحياة الأولى التي يليها الموت والفناء ، والآخرة هي الحياة الباقية التي ليس لها زوال ولا فناء .

فيجوز أن يكون معنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « **الدنيا ملعونة** » أي متروكة مرفوضة و « **ما فيها** » أي ما في الحياة الأولى من هذه الشهوات والملاذ والحطام . وما ذكر في الحديث (٢) : « **ملعون** » أي متروك يجب تركها ورفضها والإعراض عنها ، فإن اللَّه تعالى على هذا حث وإليه ندب وفيه رغب وعنها زهد ، فقال : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الآية [يونس : ٢٤] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌۚ ﴾ [محمد : ٣٦] ، وقال : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [لقمان : ٣٣] ، وقال : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ ﴾ [هود : ٧] ، روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٢٧٦] : « أَيُّكم أَحْسَنُ للدُّنْيَا تَرْكًا وعَنْهَا إِعْرَاضًا ؟ » (٣) ، واللعن عند العرب الترك ، والملعون المتروك ، كذا قال بعض أهل اللغة وأنشد (٤) :

غـوريـة نجـديـة تـصـعـيـدة تصوبيه متشابه ملعون (ن)

يصف طريقًا ترك سلوكه حتى اشتبه وصار ما ارتفع منه وانخفض شيئًا واحدًا ، فيكون [٧١/ب] معنى قوله : « **الدنيا ملعونة** » أي متروكة يجب تركها إلا ما كان منها للَّه تعالى ، وهو ما كان عدة للطاعة وعونًا على إقامة ما أمر اللَّه .

= حسن غريب (٥٦١/٤) رقم (٢٣٢٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب مثل الدنيا (١٣٧٧/٢) رقم (٤١١٢) ، والدارمي في سننه عن عبد اللَّه (١٠٦/١) رقم (٣٢٢) ، والطبراني في مسند الشاميين (١٠٧/١) رقم (١٦٣) ، وبلفظ مقارب عن أبي الدرداء (٣٥٣/١) رقم (٦١٢) .

(١) زاد في (خ) بعدها : س النساء الآية ا.هـ . ولا يخفى خطأ الإحالة .

(٢) في (خ) : الآية .

(٣) لم أقف عليه من رواية ابن عباس ولكن ذكر هذا القول بمعناه الطبري في تفسيره جامع البيان منسوبًا إلى أبي عاصم العسقلاني (١٩٦/١٥) ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن بمعناه أيضًا عن الحسن وسفيان الثَّوْرِيِّ قالا : أيكم أزهد في الدنيا ؟ (٩/٩) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : يصف المفازة .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « متروكة » (١) أي هي متروكة الأنبياء والأولياء والأفاضل من الناس ، فإنهم تركوها ورفضوها وأعرضوا عنها ، فقد قال النبي ﷺ :
[٢٧٧] « إِنَّ لَهُم الدُّنْيَا ولَنَا الآخِرَةَ ، ومَا أَنَا و (٢) الدُّنيا ، ومَا مَثَلِي ومَثَلُ الدُّنيا إلا كَمَثَلِ رَاكِبٍ نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ سَارَ وتَرَكَهَا » حدثناه محمد بن حيان ح الحسن (٣) بن سفيان ح أبو سعيد يحيى بن سليمان الجُعْفِيُّ ح عمرو بن عثمان [بن سعيد] (٤) الجُعْفِيُّ ح (٥) أبو مسلم عبيد اللّٰه بن سعيد بن مسلم الجُعْفِيُّ عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيُّ (٦) عن عبد اللّٰه بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ بذلك (٧) .

٦٨
باب في الإعجاب بالعمل

حديث آخر : [٢٧٨] حدثناه حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح أبو معاوية عن الأعمش عن أبي يحيى مولى جعدة بن هبيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّٰهِ ، فُلانَةُ تَصُومُ النَّهَارَ وتَقُومُ اللَّيْلَ وتُؤْذِي جِيرَانَهَا ، قَالَ : « هِيَ فِي النَّارِ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّٰهِ ، فُلانَةُ تُصَلِّي المكْتُوبَاتِ وتَتَصَدَّقُ (٨) بِالأَثْوَارِ (٩) مِن

---

(١) كذا في الأصل وفي (س) : والصواب ما ورد في الحديث (ملعونة) وإلا فيحتمل أن يكون هذا تعليقًا من الناسخ أدرجه في صلب الكتاب .

(٢) في (خ) : في .

(٣) في (خ) : الحسين .

(٤) في (س) : بن عثمان بن أبي سعيد .

(٥) زاد في (س) و (خ) بعدها : عمي .

(٦) السُّلَمِيُّ : هذه النسبة بضم السين المهملة ، وفتح اللام ، إلى سليم بن منصور بن عكرمة ، تفرقت في البلاد ، وجماعة كثيرة منهم نزلت حمص ، الأنساب (٣/٤٥) .

(٧) الحديث أخرجه الترمذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن عبد اللّٰه في كتاب الزهد في باب منه ، وقال : حسن صحيح (٤/٥٨٨) رقم (٢٣٧٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب مثل الدنيا (٢/١٣٧٦) رقم (٤١٠٩) ، وأحمد في مسنده (١/٣٩١) رقم (٣٧٠٩) ، والحاكم في المستدرك عن ابن عباس ، وقال : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وشاهده حديث عبد اللّٰه بن مسعود قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم (٤/٣٤٤) رقم (٧٨٥٨) ، والطبراني في الكبير بلفظه عن ابن مسعود (١٠/١٦٢) رقم (١٠٣٢٧) .

(٨) في (خ) : تصدق .

(٩) الأثوار من الأقط : الأثوار جمع ثور وهي قطعة من الأقط وهو لبن جامد مستحجر ، النهاية مادة (ثور) ، (١/٢٢٨) .

الأَقِطِ، ولا تُؤْذِي جِيرَانَهَا . قَالَ : « هِيَ في الجنَّةِ » [(١)] .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح عيسى [(٢)] بن يونس عن الأعمش عن أبي صالح - فيما نعلم - عن أبي هريرة قال : [٢٧٩] قِيلَ للنَّبيِّ ﷺ إِنَّ فُلانًا يُصَلِّي اللَّيلَ كُلَّهُ فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ . قَالَ : « سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ » [(٣)] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون النبي ﷺ علم من التي تؤذي جيرانها [٧٢/أ] إعجابًا بعملها من صوم نهارها وقيام ليلها ، وأنها إنما كانت تؤذي جيرانها إزراء بهم وتصغيرًا لهم وتحقيرًا إياهم برؤية الفضل لها عليهم فاستوجبت النار بذلك ، والذي كان يقوم الليل ويسرق إذا أصبح ينظر إلى نفسه بعين التحقير [(٤)] ، ويعلم أن ما يأتيه من السرقة معصية يجب عليه التوبة منها والرجوع عنها ، وأن قيامه بالليل لرؤية افتقاره إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ، وطلبًا للخلاص مما يرى أنه يستوجب بسرقته ؛ فهذا من الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ، وقد أوجب اللَّه تعالى التوبة عليهم بقوله : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة : ١٠٢] ، و « عسى » من اللَّه واجب ، وأما التي تؤذي جيرانها فإنها لا ترى أذاها منها لهم معصية ، فترى عليها توبة منها ؛ لأنها إنما أذاها كان لجيرانها على معنى استدعائها منهم تعظيمها ورفع قدرها وتحمل مؤنها لرؤية الفضل لهم عليهم فيأتيها موتها وهي مصرَّة فتستوجب النار .

ويجوز أن تكون المؤذية جيرانها لما أعجبت بصومها وصلاتها أحبط أعمالها إعجابها ، فلم يحصل لها عمل تعود بركته عليها ، فنهاها عن إيذاء جيرانها ، والذي

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة رضي الله عنه (٤٤٠/٢) رقم (٩٦٧٣) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١٨٣/٤) رقم (٧٣٠٤) ، وهناد بن السَّرِيّ في الزهد بلفظه (٥٠٥/٢) رقم (١٠٣٩) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بألفاظ مختلفة (٣١١/١) رقم (٢٩٣) .

(٢) في (خ) : علي .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٤٤٧/٢) رقم (٩٧٧٧) ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش قال : أرى أن أبا صالح عن أبي هريرة ، مجمع الزوائد (٨٩/٧) ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة (٣٠٠/٦) رقم (٢٥٦٠) ، وأخرجه وكيع في نسخته عن الأعمش بلفظ مقارب (ص ٨٩) رقم (٣١) ، وابن الجعد في مسنده بنحوه عن جابر (ص ٣٠٦) رقم (٢٠٦٩) .

(٤) في هامش الأصل : التقصير .

يسرق إذا أصبح حصل له عمله [افتقاره إلى اللَّه وإشفاقه على نفسه فعادت بركة ما حصل له من صالح عمله] [١] الذي خلطه بسيئه فنهاه صالح عمله عن سيئه .

٦٩
باب في خصالِ من جوامع الكلم

حديث آخر : [٢٨٠] حدثنا محمد بن عمر المعدل ح أحمد بن عبد اللَّه بن مالك ح إسحاق بن إبراهيم الشامي أخ عليّ بن حرب المَوْصِلِيّ ح موسى بن داود الهَاشِمِيّ [٢] أخ ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عامر بن عبد اللَّه بن الزبير عن علي ﷺ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ [٧٢/ب] يقول : « **الصَّلاةُ قُرْبَانُ [٣] كُلِّ تَقِيٍّ ، والحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وجِهَادُ المَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ ، الدَّاعِي بِلا عَمَلٍ كالرَّامِي بِلا وَتَرٍ ، ومَنْ أَيْقَنَ بِالخُلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ ، حَصِّنُوا أَمْوَالَكُم بِالزَّكَاةِ ، مَا عَالَ امْرُؤٌ اقْتَصَدَ ، التَّقْدِيرُ نِصْفُ العَيْشِ [٤] ، والتَّوَدُّدُ نِصْفُ العَقْلِ ، والهمُّ نِصْفُ الهرَمِ ، وقِلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارَيْنِ ، مَنْ أَحْزَنَ وَالِدَيْهِ عَقَّهُمَا ، مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عِنْدَ المصِيبَةِ حَبِطَ عَمَلُهُ ، لا تَكُونُ الصَّنِيعَةُ إلا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ ودِينٍ كَمَا لا تَظْهَرُ الرِّيَاضَةُ إلا في النَّجِيبِ ، يَنْـزِلُ الرِّزْقُ عَلَى قَدْرِ المؤْنَةِ ، ويَنْـزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ المصِيبَةِ ، ومَنْ قَدِرَ رَزَقَهُ اللَّه ، ومَنْ بَذَّرَ حَرَمَهُ اللَّه ، الأَمَانَةُ تجرُّ الرِّزْقَ ، والخِيَانَةُ تجرُّ الفقْرَ ، ولَوْ أَرَادَ اللَّه تَعَالى بالنَّمْلَةِ [٥] صَلاحًا مَا أَنْبَتَ لها جَنَاحًا** » [٦] .

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) الهاشِميّ : بفتح الهاء بعدها الألف وفي آخرها الشين المعجمة بعدها الميم هذه النسبة إلى هاشم بن عبد مناف ، الأنساب (٤/٤٩٨) .

(٣) قربان كل تقي : أي أن الأتقياء من الناس يتقربون بها إلى اللَّه ، النهاية مادة (قرب) ، (٤/٣٢) .

(٤) زاد في (س) بعدها ، وفي رواية : « نصف المعيشة » . ا.هـ .

(٥) سقط من (س) .

(٦) زاد في (س) بعدها : فهذه أحد وعشرون خصلة وهي من جوامع الكلم . ا.هـ . ولعله تعليق من الناسخ ضمنه الكلام ويؤكد ذلك خلو الأصل منه فضلًا عن الخطأ النحوي الواضح (أحد) الواجب تأنيثها تبعًا للتمييز ، والحديث لم أقف عليه بهذه الألفاظ وقد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة مرسلًا عن جعفر بن محمد (٣/١٩٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب مختصرًا بنفس إسناد المصنف (١/١٨١) رقم (٢٩٥) ، وإسناد هذا الحديث لا يرقى عن درجة الحسن ففيه إسحاق بن إبراهيم الشامي : صدوق ، تقريب التهذيب (١/٩٩) ترجمة رقم (٣٣٤) ، وعلي بن حرب المَوْصِلِيّ : =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : قوله ﷺ : « **الصلاة قربان كل تقي** » الصلاة [(١)] من أفضل الأعمال المقربة إلى الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] ، وعن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٢٨١] « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ إِلى اللهِ إِذَا قَالَ فِي سُجُودِهِ** [(٢)] ، **ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** » [(٣)] .

والتقي تقيان : تقي على الإطلاق ، وتقي على التقييد ، فمن اتقى الله في سره وعلانيته ، وبذل مجهوده في أداء فروضه ، واجتناب مناهيه فهو متقٍ [(٤)] على الإطلاق ، ومن لم يستكمل هذه الخصال واتقى الشرك فهو تقي على التقييد ، فالتقي [٧٣/أ] المطلق مقبول عمله على الإطلاق ، لقوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] ، ومن قبل عمله فعمله قربة له ، فصلاة هذا التقي له قربان من غير شرط ؛ لأنه وعد من الله تعالى ، والله تعالى لا يخلف الميعاد .

والتقي المقيد : هو الذي يقال له : اتقي الشرك ، يقيد له قبول عمله بالمشيئة ، فإن قبلت صلاته كانت صلاته قربانًا له ، وإن ردت عليه لم تكن ، فالصلاة قربان كل تقي مطلق على الإطلاق لا محالة وعدًا من الله صدقًا ، ويجوز أن يكون قربان من اتقى الشرك أن قبل الله صلاته فضلًا من الله ورحمة .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **الصلاة قربان كل تقي** » أي أن الصلاة من التقي المعدم تقوم مقام الضحايا والنسائك ؛ لأن التقي إذا وجد تقرب إلى الله بكل وجه فهو يتقرب [(٥)] بالضحايا والنسائك والصدقات ، وإن لم يجد كانت تلك نيته إن وجد ،

= صدوق فاضل ، تقريب التهذيب (٣٩٩/١) رقم (٤٧٠١) ، وموسى بن داود الهَاشِمِيُّ : صدوق له أوهام ، تقريب التهذيب (٥٥٠/١) رقم (٦٩٥٩) ، وابن لهيعة : وهو عبد الله صدوق خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما ، تقريب التهذيب (٣١٩/١) رقم (٣٥٦٣) .

(١) سقط من (س) .

(٢) زاد في (س) بعدها : رب .

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن ورد عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (٣٥٠/١) رقم (٤٨٢) ، والجزء الثاني في الحديث ورد عند البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال : « **قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم** » في كتاب صفة الصلاة باب الدعاء قبل السلام (٢٨٦/١) رقم (٧٩٩) .

(٤) في الأصل : متقي . وفي (خ) : تقي .

(٥) زاد في (خ) بعدها : إليه .

وقال النبي ﷺ : [٢٨٢] « **إِنَّ العَبْدَ لَيَهُمُّ بِالحسَنَةِ فَتُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةً وإِنْ لم يَعْمَلْهَا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا** » [١] فهذا صلاته تقوم له مقام القربان ؛ لأنه بذل مجهوده في التقرب إلى اللّه تعالى .

وقوله : « **الحج جهاد كل ضعيف** » الجهاد تحمل الآلام بالبدن والمال دون بلوغ أقصى الغاية فيه وهو بذل الروح ، وببذله بذل المال ، والحج تحمل الآلام بالبدن والمال دون بلوغ أقصى الغاية فيه ؛ إذ ليس فيه بذل الروح وكل المال ، فهو جهاد أضعف من جهاد المجاهد في سبيل اللّه تعالى ، فمن قوي جاهد ببذل الروح وكل المال قال [٧٣/ب] اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ [٢] وَيُقْتَلُونَ ﴾ الآية [التوبة : ١١١] . ومن ضعف عن هذا الجهاد لزمانةٍ[٣] أو عذر ؛ فالحج له جهاد إذ فيه تحمل بعض الآلام وبذل بعض المال ، وحسن التبعل من المرأة تحمل آلام فيما تكرهه ويشق عليها ، فهو منها جهاد ؛ إذ لا جهاد عليها جهاد قتال .

وقوله ﷺ : « **الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر** » الرامي بلا وتر متمنٍّ [٤] للرمي وليس برامٍ [٥] ؛ إذ لا يمكنه الرمي من غير وتر ، فكأنه يتمنى أن يرميها فإن عزم على الرمي وأراده أعد الوتر ثم رمى ، فكذلك الداعي من غير عمل متمنٍّ بلوغ ما يدعو فيه ، وليس بمريد لما يدعو فيه ، ولا عازم على الطلب له ، فإن صحت إرادته لما يدعو فيه عزم على الطلب له ، وعزيمته عليه عمل صالح يقدمه بين يدي دعوته .

وقوله : « **من أيقن بالخلف جاد بالعطية** » الخلف خلفان : ثواب في الآجل ، وثواب في العاجل ، واللّه تعالى وعدهما جميعًا ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ وهو معنى حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت (١١٨/١) رقم (١٣٠) ، والنسائي في سننه الكبرى عن ابن عباس في كتاب التعبير في ذكر أسماء اللّه تعالى وتبارك (الرحيم) ، (٣٩٦/٤) رقم (٧٦٧٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أنس (٣٣٣/٧) رقم (٣٦٥٧٠) ، وأبو يعلى في مسنده (١٧٠/٦) رقم (٣٤٥١) ، وعبد بن حميد في المنتخب عن ابن عباس (ص ٢٣٦) رقم (٧١٦) ، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة (٢٦٠/٤) رقم (٤١٤٠) .

(٢) في (س) : ويقتلو .

(٣) الزَّمَانَةُ : العاهة ، لسان العرب مادة (زمن) .

(٤) في الأصل : متمني ا.هـ . أما في (س) و (خ) : متمن . وهو الصواب نحويًّا .

(٥) في الأصل : برامي ا.هـ . أما في (س) و (خ) : برام ا.هـ . وهو الصواب نحويًّا .

﴿يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ، فهذا في عوض العاجل ، وقال – جل وعز – : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] فهذا في ثواب الآجل (١) .

وعوض العاجل أن يخلف عليه عشرة بواحدة ؛ لقوله تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، أو يبارك له في الباقي ، فيقوم الواحد مقام العشرة وينوب الواحد مناب [٧٤/أ] العشرة ، فمن شاهد هذين الخلفين ببصر قلبه أسرع إلى العطية ؛ لأن اليقين بصر القلب .

وقوله : « **حصنوا أموالكم بالزكاة** » للمال مستحقان : المساكين والحوادث ، فالطالب بحق المساكين هو الله ﷻ ، والحوادث تأتي بها الأقدار وهي بيد الله تعالى ، فالمؤدي حق المساكين مُرضٍ (٢) لله تعالى .

فيجوز أن يجري الله المقادير على ما يمنع الحوادث فيها ، فقد قال الله تعالى : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] أو يجريها على وقوع الأحداث فيها فيحصلها عنده ، وقد قال ﷻ : ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] ، ويخلف منها ويلهم الصبر عليها ، ويعظم الثواب فيها ، فالزكاة حصن لها ، إن بقيت عنده وهي لها أحصن إن حصلت عند الله تعالى .

وقوله : « **ما عال امرؤ اقتصد** » . يجوز أن يكون معنى قوله : « **اقتصد** » أي قصد ، فيكون معناه من قصد الله بالثقة والتوكل عليه لم يحوجه إلى غيره ، بل قام بكفايته وسد خلته ، فقد قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ، وقال : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] يجوز أن يكون معناه : ومن يتق الله في الإقبال عليه والإعراض عمن سواه يجعل له متسعًا ويرزقه من عنده ، وقال النبي ﷺ : [٢٨٣] « **لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُم** (٣) **كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ** » (٤) الحديث . فمن قصد الله بالتوكل عليه والثقة به لم يصبه عيلة ، والعيلة اختلال الحال والحاجة إلى الناس .

وقوله : « **التقدير نصف العيش** » . كمال العيش شيئان : مدة الأجل [٧٤/ب] وحسن الحال في هذه المدة ، والتقدير هو التوسط بين التقتير والتبذير ، قال الله ﷻ :

---

(١) في (س) : الآخرة .

(٢) في الأصل : مرضي .

(٣) في (خ) : لرزقكم .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٣٧/أ) .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾ [الفرقان : ٦٧] . وحسن الحال مهنأ العيش ، والمقتر يحرم [١] مهنأ ما يملكه في عاجله ، والمسرف يحرم ثواب نفقته في آجله ، والبركة في عاجله ، وبفوات البركة والمهنأ فوات حسن الحال ، وبحصولهما حصول حسن الحال ، وحسن الحال أحد نصفي العيش ، وكماله استكمال مدة الأجل .

وقوله : « **التودد نصف العقل** » . [كمال العقل] [٢] إقامة العبودية للَّه تعالى ، وحسن المعاملة مع خلق اللَّه تعالى ، فإقامة العبودية شيئان : [الوفاء والرضا] [٣] ، الوفاء في الأمر بالأداء والرضا في الحكم والقضاء وحسن المعاملة كف الأذى وبذل الندى ، فمن كف أذاه وبذل نداه ودَّه الناس ، فكأنه قال [٤] : من أحسن معاملة خلق اللَّه فقد حاز نصف العقل ، فإن أقام العبودية للَّه استكمل جميعه .

وقوله : « **الهم نصف الهرم** » . الهرم [٥] ضعف ليس وراءه قوة ؛ لأنه انحلال القوى ، وهي إذا انحلت لم تنعقد ، والهم يضعف ضعفًا يجوز أن يكون وراءه قوة ما لم تحل القوى ، فإن حل الهم القوي فهو الضعف الذي ليس وراءه قوة ، وإن لم يحلها وزال الهم عادت القوة .فالهم إذًا نصف الضعف الذي جميعه انحلال القوى وفسادها .

وقوله : « **قلة العيال أحد اليسارين** » . اليسار : خفض العيش واليسر فيه ، وهو زيادة الدخل على الخرج أو وفاء الدخل بالخرج ، فمن كثر دخله وقل عياله فضل له من دخله أو وفى [٧٥/أ] دخله بخرجه ، ومن قل دخله وعياله وفى دخله بخرجه أو فضل من دخله فخفض عيشه ويسره [٦] .

وقوله : « **من أحزن والديه فقد عقهما** » . العقوق قصد الجفاء للأبوين ، والجفاء لهما إدخال الألم عليهما ، والحزن ألم فمن أحزنهما من غير قصد الجفاء فقد آلمهما ، والألم عقوق .

وقوله : « **من ضرب يده عند المصيبة حبط عمله** » . ثمرة العمل ثوابه ، وثواب المصيبة في الصبر عليها . قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] وضرب اليد عند المصيبة جزع ، ومن جزع لم يستحق الأجر ، فالجازع مبطل ثواب المصيبة ، ومن فاته الثواب على عمل فقد حبط عمله .

وقوله : « **لا تكون الصنيعة إلا عند ذي حسب ودين كما لا تظهر الرياضة إلا في**

---

(١) سقط من (س) .

(٢ - ٥) السابق .

(٦) في (خ) : ويسْرَ .

النجيب » [1] [الغرض من الرياضة الوصول إلى ما في المروض من النفع من غير أذى وتعب والنفع] [2] [3] في النجيب من الدواب وما ليس بنجيب فلا نفع فيه فرياضته لا تفيد معنى ، وتتعب الرائض ، والغرض من الصنيعة ثواب الآجل وشكر العاجل ، فمن قصد بصنيعته ثواب الآجل اصطنع إلى ذي الدين فصان به دينه فيعظم ثوابه ، ومن قصد شكر العاجل اصطنع إلى ذي حسب فصان به عرضه ، فحسن شكره ، ومن اصطنع إلى غير هذين فكأنه لم يقصد العرض في الصنيعة ؛ إذ لم يصن بها دينًا ولا عرضًا ومن لم يصن بالصنيعة دينه ولا عرضه فكأنه لم يصطنع إليه [4] .

وقوله : « **ينـزل الرزق على قدر المؤنة** » إن اللّه تعالى جعل لكل ذي روح رزقًا [٧٥/ب] من غذاء أو ملك أو جميعهما ، فمن حصل عنده ذوو الأرواح حصل له أرزاقهم .

وقوله : « **ينـزل الصبر على قدر المصيبة** » صفة الإنسان الجزع قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩- ٢١] فمن جوهره [5] وصفته الجزع ، وأما الصبر فباللّه يكون ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧] فمن عظمت مصيبته نـزل الصبر على قدرها [ولولا ذلك لظهر الجزع من جوهره وصفته ، وفيه معنيان ، تشجيع للمصاب أن مصيبته إن عظمت نـزل من اللّه صبر على قدرها] [6] ، وتنبيه للصابر أن صبره على عظم مصيبته باللّه يكون [7] .

وقوله : « **من قدر رزقه** [8] **ومن بذر حرمه اللّه** » قليل النفقة في المعصية تبذير ، وكثيرها في الطاعة تقدير ، فمن أطاع اللّه فوضع النفقة في حقها اتقاه ؛ ومن اتقاه رزقه من حيث لا يحتسب ، ومن لم يطع اللّه تعالى فأنفقه [9] في غير حقه فقد عصاه ، ومن عصاه فلم يخلف عليه في الدنيا ، ولا استحق الثواب في العقبى ؛ فقد حرم المبذر ثواب الآجل وخلف العاجل ، ورزق المقدر الخلف في العاجل والثواب في الآجل .

---

(١) في هامش الأصل هذا التعليق : النجيب المختار من الإبل .ا. هـ. قال في النهاية النجيب من الإبل : القوي علي الأحمال والأسفار . النهاية مادة (أبل) ، (١/ ١٦) .

(٢) في (خ) : فالنفع .

(٣) سقط من (س) .

(٤) السابق .

(٥) في هامش الأصل التعليق الآتي : أصله .

(٦) سقط من (س) .

(٧) زاد في الأصل و (س) بعدها : الآية ا.هـ . ولا يوجد في أيهما أية إشارة لها .

(٨) زاد في (خ) بعدها : اللّه .

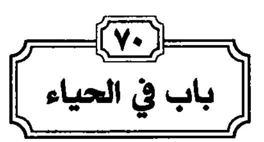
(٩) في (خ) : أنفقه .

وقوله : « **الأمانة تجر الرزق** » الأمانة زم الجوارح ، وكف النفس عن الشهوات وهو التقى ، والتقي مرزوق ؛ لأن الأمانة تستجلب القلوب إلى هيبته (١) والخيانة تنفرها والخيانة تجر الفقر ، والخيانة تضييع الجوارح [٧٦/أ] والانهماك (٢) في الشهوات ، والفقر هو الحاجة إلى غير الله ، وتضييع الجوارح ومتابعة الشهوات إعراض عن الله تعالى ، ومن أعرض عن الله أقبل على غير الله ، ومن أقبل على غيره افتقر ؛ لأن من دون الله فقير ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ١٥] .

وقوله : « **لو أراد الله بالنملة صلاحًا ما أنبت لها جناحًا** » النمل مسكنها تحت الأرض واحترازها من الآفات في لزوم مساكنها فإذا ظهرت على وجه الأرض تعرضت للآفات ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ [النمل : ١٨] فإذا نبت لها جناح نهضت للطيران على ضعف فسقطت في ماء فغرقت أو نار فاحترقت أو في فم طائر فابتلعها أو بعدت عن مساكنها فلم تهتد إليها وفي هذا فسادها وهلاكها .

ويجوز أن يكون ذلك مثلًا لكل متعدٍّ (٣) طوره ، ومجاوز قدره بنظره إلى نفسه بقوة يحدثها الله له من عمر أو آلة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ﴾ [آل عمران : ١٧٨] ، وقال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥، ٥٦] .

و (٤) قوله : « **لو أراد الله بالنملة صلاحًا ما أنبت لها جناحًا** » دليل على بطلان القول بالأصلح ، ودليل على أن الله تعالى يفعل بمن يشاء ما شاء من صلاح أو غيره : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .



٧٠ باب في الحياء

حديث آخر : [٢٨٤] حدثنا محمد بن محمد الأَزْهَرِيُّ (٥) ح محمد بن يونس (٦)

---

(١) في (س) : نفسه .

(٢) في هامش (خ) : الانهماك : التمادي في الباطل ، وانهمك في الشيء : دخل فيه .

(٣) في الأصل : متعدي ا.هـ .

(٤) زاد في (خ) بعدها : في .

(٥) الأَزْهَرِيُّ : بفتح الألف ، وسكون الزاي ، وفتح الهاء وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى الأزهر ، وهو اسم لجد المنتسب إليه ، الأنساب (٨٨/١) .

(٦) في (س) : يوسف .

[ح يونس] [١] ح سهل بن حماد ح [٢] أبو عتاب ح المختار بن نافع ح أبو حيان التَّيْمِيُّ عن أبيه عن [٧٦/ب] علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ تَسْتَحْيِيهِ الملائِكَةُ** » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : كان عثمان ﷺ مقامه مقام الحياء ، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ، وتعظيم قدره ، ونقص يشاهده من نفسه ، فكأنه ﷺ يغلب عليه إجلال الحق - جل وعز - ، وتعظيمه إزراء بنفسه ونظره إليها بعين النقص والتقصير ، وهما من جليل خصال العباد الذين هم خصيصاه [٤] ، ومن قربه الحق - جل ذكره - إلى نفسه وأدنى منزلته منه . فجل قدر عثمان ﷺ وعلت رتبته فاستحيا منه خالصة اللَّه تعالى من خلقه وخصائصه من عباده ، كما أن من أحب اللَّه أحبه أولياؤه ، ومن خاف اللَّه خافه كل شيء ، فقد جاء في الحديث : [٢٨٥] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبَّ فُلانًا** [٥] **فَأَحِبُّوه** » [٦] فمن أحبَّ اللهَ ؛ أحبه اللهُ ، ومن أحبه اللهُ أحبه خاصته وأولياؤه . فكذلك قيل : « من خاف اللَّه خافته المخاوف » [٧]

---

(١) سقط من (س) و (خ) .

(٢) سقط من (س) و (خ) وهو الصواب ، تهذيب التهذيب (٢١٩/٤) ترجمة رقم (٤٣٧) .

(٣) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن علي في كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ ، وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والمختار بن نافع شيخ بَصْرِيٌّ كثير الغرائب وأبو حيان التَّيْمِيُّ اسمه يحيى بن سعيد بن حيان التَّيْمِيُّ كوفي وهو ثقة (٦٣٣/٥) رقم (٣٧١٤) ، والبزار في مسنده البحر الزخار (٥٢/٣) رقم (٨٠٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٤١٨/١) رقم (٥٥٠) ، وابن عساكر في الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين وأغرب حينما حكم على الحديث قائلًا : حسن صحيح (ص ٨٦) رقم (٣٨) وقد ضمن ابن الجوزي الحديث ضمن الأحاديث الواهية في العلل المتناهية ، وقال : هذا يعرف بمختار [يعني ابن نافع] قال البخاري : هو منكر الحديث ، وقال ابن حبان : كان يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك ا.هـ . العلل المتناهية (٢٥٦/١) رقم (٤١٠) .

(٤) في هامش (خ) : أي مخصوصون بكرامته ، واللفظ مصدر كالرديدا فأريد به المفعول .

(٥) من هامش الأصل .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل (٢٧٢١/٦) رقم (٧٠٤٧) ، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب اللَّه عبدًا حببه إلى عباده (٢٠٣٠/٤) رقم (٢٦٣٧) ، وأحمد في مسنده (٢٦٧/٢) رقم (٧٦١٤) .

(٧) لم أقف عليه .

وفي الحديث : [٢٨٦] « **إِنَّ النَّارَ تَقُولُ : جُزْ يَا مُؤْمِنُ ، [فَإِنَّ نُورَكَ أَطْفَأَ]** [١] **لَهَبِي** » [٢] فكذلك من استحيا من اللّه استحيا منه خاصته وخالصته من خلقه ، ألا ترى أن النبي ﷺ لما دخل عليه عثمان [وبعض رجله] [٣] وفخذه مكشوفة غطاها حياء من عثمان [٤] ، وقال : [٢٨٧] « **أَلا أَسْتَحِي مِمَّنْ تَسْتَحِي مِنْهُ الملائِكَةُ** » [٥] .

والحياء حياءان : حياء من اللّه ، وحياء من الناس ؛ فالحياء من اللّه ما قاله النبي ﷺ ووصفه فيما حدثنا حاتم بن عقيل ح [٧٧/أ] يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح مروان بن معاوية ويعلى بن عبيد عن أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة عن عبد اللّه [٦] ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : [٢٨٨] « **اسْتَحْيُوا مِنَ اللّهِ حَقَّ الحيَاءِ** » . **قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللّهِ إنَّا لَنَسْتَحْيِي** [٧] . **قَالَ : « لَيْسَ كَذَلِكَ** [٨] **ولَكِنْ مَن اسْتَحْيَا مِنَ اللّهِ حَقَّ الحيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ ومَا حَوَى ولْيَحْفَظِ البَطْنَ ومَا وَعَى ولْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلَى ، ومَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ فَلْيَتْرُكْ زِينَةَ الدُّنْيا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللّهِ حَقَّ الحيَاءِ** » [٩] .

---

(١) في (خ) : فقد أطفأ نورك .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ مقارب عن يعلى بن منبه (٢٥٨/٢٢) رقم (٦٦٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه سليم بن منصور وهو ضعيف (٣٦٠/١٠) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد عن يعلى بن أمية (٢٣٢/٩) ترجمة رقم (٤٨٠٥) ، وابن عدي في الكامل (٣٩٤/٦) ترجمة رقم (١٨٨١) ، وذكره الحكيم الترمِذِيُّ بلفظه في نوادر الأصول (١٢٨/١) ، وقد ضمنه ابن الجوزي الأحاديث الواهية فذكره في العلل المتناهية بإسناده عن يعلى بن أمية (٩١٧/٢) رقم (١٥٣٢) ، قال العجلوني في كشف الخفاء : رواه الطبراني في الكبير عن يعلى بن أمية رفعه ، وفي سنده منصور بن عمل الواعظ ليس بالقوي ورواه ابن عدي عن يعلى ، وقال : منكر ، ورواه الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول له (٣٧٣/١) رقم (١٠١٠) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) في هامش (خ) : عن أحمد بن حنبل روايتان في كون الفخذ عورة ، وعن داود الأصفهاني رواية أنها ليست بعورة .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن عائشة في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ (١٨٦٦/٤) رقم (٢٤٠١) ، وأحمد في مسنده (١٥٥/٦) رقم (٢٥٢٥٧) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٦/١٥) رقم (٦٩٠٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٤٠/٨) رقم (٤٨١٥) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٥٦٥/٢) رقم (١١٤٠) ، وعبد بن حميد بلفظه عن حفصة (ص ٤٤٦) رقم (١٥٤٧) ، والطبراني في الأوسط (٣٧٩/٨) رقم (٨٩٣٢) .

(٦) زاد في (خ) بعدها : ابن مسعود .

(٧) في (س) : نستحيي .

(٨) في هامش الأصل وفي (س) : ذلك .

(٩) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن عبد اللّه بن مسعود في كتاب صفة القيامة في =

قال : فهذا الحياء من الله ﷻ ، وسنفسره [١] فيما بعد إن شاء الله ﷻ ، وحياء من الناس وهو أن يتحصن عن إتيان ما يشينه ، وهو يجمع الأخلاق الحسنة ويحجز عن مساويها ، فقد قال النبي ﷺ : [٢٨٩] « **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى إِذَا لم تَسْتَحِي** [٢] **فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** » [٣] ، وقال : [٢٩٠] « **لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ ، وَإِنَّ خُلُقَ الإِسْلامِ الحَيَاءُ** » [٤] وذلك أن حقيقة الإسلام حسن الخلق ، قال النبي ﷺ : [٢٩١] « **أَكْمَلُ المؤمِنِينَ إِيمانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا** » [٥] إذًا فالحياء ترك القبائح والسيئات وإتيان المحاسن

= باب منه ، وقال : إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد (٤/٦٣٧) رقم (٢٤٥٨) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٤/٣٥٩) رقم (٧٩١٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة (٧/٧٧) رقم (٣٤٣٢٠) ، وابن أبي الدنيا في الورع بألفاظ مختلفة (ص ٦١) رقم (٥٩) ، وفي مكارم الأخلاق (ص ٣٩) رقم (٩٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٨/٤٦١) رقم (٥٠٤٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٣٥٤) رقم (١٠٥٦١) ، والطبراني في الصغير (١/٢٩٨) رقم (٤٩٤) ، والحديث في إسناده (الصباح بن محمد) ، قال ابن حبان في المجروحين من المحدثين : كان ممن يروي عن الثقات الموضوعات (١/٣٧٧) ترجمة رقم (٥٠٦) .

(١) في هامش (خ) : أي الشيخ .

(٢) كذا في الأصل و (س) . والصواب نحويًا : تستح .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه إلا أنه قال : « تستح » عن أبي مسعود في كتاب الأدب باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت (٥/٢٢٦٨) رقم (٥٧٦٩) ، وأخرجه بلفظة « تستحي » دون ذكره لفظة « الأولى » عن أبي مسعود عقبة في كتاب الأنبياء باب ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف : ٩] (٣/١٢٨٤) رقم (٣٢٩٦) ، وأخرجه بلفظه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الحياء (٢/١٤٠٠) رقم (٤١٨٣) .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب الزهد باب الحياء (٢/١٣٩٩) رقم (٤١٨١) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد عن يزيد بن ركانة (٢/٦٢٥) رقم (١٣٤٧) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق بلفظ مقارب عن أنس (ص ٤١) رقم (٩٨) ، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١٠/٣٢٠) رقم (١٠٧٨٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن أنس (٦/١٣٦) رقم (٧٧١٤) ، وابن عدي في الكامل (٤/٥٢) ترجمة رقم (٩٠٨) .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن أبي هريرة في أول كتاب السنة باب في رد الإرجاء (٤/٢٢٠) رقم (٤٦٨٢) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الرضاع باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، وقال : حسن صحيح (٣/٤٦٦) رقم (١١٦٢) ، والنسائي في سننه الكبرى عن عائشة في كتاب عشرة النساء باب لطف الرجل أهله (٥/٣٦٤) رقم (٩١٥٤) ، والدارمي في سننه عن أبي هريرة (٢/٤١٥) رقم (٢٧٩٢) ، وأحمد في مسنده (٢/٢٥٠) رقم (٧٣٩٦) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح ولم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج ، ووافقه الذهبي (١/٤٣) رقم (٢) .

والخيرات ، وهذا خلق الإيمان والإسلام ؛ ولهذا قال : [٢٩٢] « **الحياءُ خَيرٌ كُلُّهُ** » (١) .

٧١
باب في مكافأة من أتى إليكم معروفًا

حديث آخر : قال : [٢٩٣] حدثنا (٢) عبد اللَّه بن محمد بن يعقوب ح محمد بن منصور البَلْخِيُّ والفضل بن عمير المَرْوَزِيُّ قالا (٣) ح أبو الوليد الطَّيَالِسِيُّ ح أبو عوانة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر ﵄ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **مَنْ أَتَى إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لم تجدُوا فَادْعُوا لَه [حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُم قَدْ كَافَأْتُمُوهُ]** (٤) **وَمَنْ سَأَلَكُم بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ اسْتَعَاذَكُم** [٧٧/ب] **بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُم فَأَجِيبُوهُ** » (٥) .

قال الشيخ ﵀ : أمر النبي ﷺ بمكافأة من أتى إليك معروفًا ، والمكافأة مقابلته بمثل ما أتى به إليك ؛ لأن المكافأة هي المساواة ، ومن أتى إليك من الناس معروفًا واصطنع إليك صنيعة فإنه محتاج إلى مثل ما أعطي إليك كحاجتك إلى ما اصطنع عندك ؛ لأن اصطناعه إليك في نفع يجره إليك أو ضر يدفعه عنك أو خلة يسدها لك ، وهو ذو خلة مثلك ، [ومحتاج إلى نفع ودفع كان] (٦) ، فإن قابلته بمثله وأتيت إليه بمثل ما أتى إليك فقد ساويته ، والنعمة للَّه عليك في الإذن له باصطناع المعروف إليك ، فالمنعم عليك بها هو اللَّه - جل وعز - ، والشكر للَّه عليك فرض واجب ، والشكر رؤية

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن عمران بن حصين في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان (٦٤/١) رقم (٣٧) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في الحياء (٢٥٢/٤) رقم (٤٧٩٦) ، وأحمد في مسنده (٤٢٦/٢) رقم (١٩٨٣٠) .

(٢) في (س) : جاء .

(٣) في (س) : قال .

(٤) سقط من (س) و (خ) .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه مع اختلاف في الترتيب بين جمله وذلك عن ابن عمر في كتاب الأدب باب في الرجل يستعيذ من الرجل (٣٢٨/٤) رقم (٥١٠٩) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة في كتاب الزكاة باب من يسأل فلا يعطي (٤٣/٢) رقم (٢٣٤٨) ، وأحمد في مسنده (٦٨/٢) رقم (٥٣٦٥) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين (٥٧٢/١) رقم (١٥٠٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٩٩/٤) رقم (٧٦٧٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٩٩/٨) رقم (٣٤٠٨) ، والطبراني في الكبير (٣٩٧/١٢) رقم (١٣٤٦٥) .

(٦) كذا في الأصل و (س) و (خ) ولعل الصواب : ويحتاج إلى أي نفع ودفع كان .

النعمة من المنعم والتزام العبودية للَّه بالطاعة فيما أمر ونهى ، والحمد للَّه بالثناء عليه والاعتراف برؤية التقصير في شكره[(١)] ؛ لأن شكرك للَّه نعمة من اللَّه عليك يجب عليك شكرها ، وهذه ليست لها غاية ولا حد ، فالاعتراف بالتقصير لازم فيه ، فحق اللَّه تعالى فيه الشكر على هذه الشريطة ، وحق المصطنع مكافأته بمثله ، فإذا عجز عن مكافأته فالإحالة على اللَّه ﷻ وهو الدعاء له فكأنك تقول : أنا عاجز عن مكافأته وأنت عليه قادر فكافئه[(٢)] عني وجازه[(٣)] به ، وهو معنى قول النبي ﷺ : [٢٩٤] « **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ جَزَاكَ اللَّه خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ**[(٤)] **فِي الثَّنَاءِ** » حدثناه محمد بن عمر البُجَيْرِيُّ ح أبو مسلم الكَجِّيُّ[(٥)] ح سعيد بن سليمان القطان[(٦)] ح موسى بن عبيدة الرَّبَذِيُّ[(٧)] عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة ﷺ قال : [٧٨/أ] قال رسول اللَّه ﷺ : « **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ جَزَاكَ اللَّه خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ**[(٨)] **فِي الثَّنَاءِ** »[(٩)] .

---

(١) في هامش (خ) : رؤية التقصير من نفسه وإظهار عجزه عن شكر نعمة اللَّه .

(٢) في (خ) : فكافه ا.هـ . وفي هامشها : أصله فكافئه .

(٣) في (س) : وجاوزه .   (٤) في (س) : بلغ .

(٥) قال السمعاني : الكَجِّيُّ : بفتح الكاف والجيم المشددة هذه النسبة إلى الكج وهو الجص واشتهر بهذه النسبة أبو مسلم إبراهيم بن عبد اللَّه بن مسلم بن ماعز بن كش البصري الكجي الكشي من أهل البصرة ، وكان من ثقات المحدثين وكبارهم عمر حتى حدث بالكثير ، وقيل له : الكجي . قيل : إنما لقب بالكشي ؛ لأنه كان يبني دارًا بالبصرة ، فكان يقول : هاتوا الكج ، وأكثر من ذكره ، فلقب بالكجي ، ويقال : الكشي ، والكج بالفارسية الجص ، وظني أن الكشي منسوب إلى جده الأعلى واللَّه أعلم ، الأنساب (١٢٧/٤) .

(٦) في هامش الأصل وفي (خ) : العطار .

(٧) في (س) : بالرندي ا.هـ . والرَّبَذِيُّ : بفتح الراء والباء المعجمة بواحدة ، وفي آخرها ذال منقوطة ، هذه النسبة إلى الربذة ، وهي من قرى المدينة على طريق الحجاز ، الأنساب (٢٩٢/٢) .

(٨) في (س) : بلغ .

(٩) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بنحوه عن أسامة بن زيد في كتاب البر والصلة باب ما جاء في التجارب ، وقال : حسن جيد غريب لا نعرفه من حديث أسامة بن زيد إلا من هذا الوجه وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثله (٣٨٠/٤) رقم (٢٠٣٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول لمن صنع إليه معروف (٥٣/٦) رقم (١٠٠٠٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢١/٦) رقم (٩١٣٧) ، وعبد بن حميد في المنتخب بلفظه عن أبي هريرة ﷺ (ص ٤١٥) رقم (١٤١٨) ، والطبراني في الصغير (٢٩١/٢) رقم (١١٨٤) ، وابن عدي في الكامل بلفظه عن أم سلمة (٣١٩/٣) ترجمة رقم (٧٧٧) ، وعن أبي هريرة (٣٣٥/٦) ترجمة رقم (١٨١٣) ، والحديث إسناده ضعيف فيه موسى بن عبيدة الرَّبَذِيُّ ضعيف ، تقريب التهذيب (ص ٤٨٤) ترجمة رقم (٦٩٨٩) .

وقوله : « **من سألكم بالله فأعطوه** » إجلالًا لله وتعظيمًا له وإيجابًا لحقه .

ويجوز أن يحمل معناه على معنى : من سألكم في الله فأعطوه . فتكون الباء بمعنى في ، أي من سألكم في طاعة الله - جل وعز - وفي إقامة أمره وفي إظهار منار الدين وسبل الخير فأعطوه ؛ إذ ليس يجب إعطاء السائل إذا كان في معصية أو فضول ، فمن سأل بالله فيما ليس له [1] عليه ولا عليك فرضه ، فإعطاؤك إياه لإجلال حق الله تعالى وتعظيمه ليس عليك بفرض ولا حتم ، ومن سأل فيما وجب عليك أو على السائل فرضه فإعطاؤك إياه فرض عليك ولازم لك لا يجوز منعه .

و [2] « **من استعاذكم بالله** » عند ضرورة حلت به أو ظلم لحقه ، فأعيذوه ، فإن إغاثة الملهوف فرض واجب ، والإعانة وإعطاء السائل [3] من فروض الكفاية الذي يسقط عنك [4] إذا قام به غيرك .

و « **من دعاكم فأجيبوه** » قال : ويجوز أن يكون [5] : من دعاكم للاستعانة فيما يجوز إعانته فأجيبوه كما قال الله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة : ٢] ويجوز أن يكون معناه : من دعاكم إلى طعام فأجيبوه حدثناه حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح حفص عن [6] هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة ﷺ رفعه قال : [٢٩٥] « **إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُم إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَأْكُلْ ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَدْعُ** » [7] [وفي رواية : [٢٩٦] « **فَلْيُصَلِّ** » [8]] [9] وهذا يتجه إلى وجهين : أحدهما : أن من دعي إلى [٧٨/ب] طعام تكلف له الداعي ، وكان

---

(١) سقط من (س) و (خ) .
(٢) زاد في (خ) بعدها : قوله .
(٣) من هامش الأصل .
(٤) في (س) : عليك .
(٥) زاد في (س) بعدها : معناه .
(٦) في (س) : قال ح .
(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن جابر في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب (١٠٥٤/٢) رقم (١٤٣٠) ، وابن ماجه في سننه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الصيام باب من دعي إلى طعام وهو صائم (٥٥٦/١) رقم (١٧٥٠) .
(٨) هذه الرواية أخرجها مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش (١٠٥٤/٢) رقم (١٤٣١) ، وأبو داود في سننه في كتاب الصوم باب في الصائم يدعى إلى وليمة ، وقال : قال هشام (أحد الرواة) والصلاة الدعاء (٣٣١/٢) رقم (٢٤٦٠) ، والترمِذِيُّ في سننه في كتاب الصوم باب ما جاء في إجابة الصائم الدعوة ، وقال : حسن صحيح (١٥٠/٣) رقم (٧٨٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصيام باب في الصائم إذا دعي (٢٤٣/٢) رقم (٣٢٧٠) .
(٩) سقط من (خ) .

المقصود فيه المدعو فعليه إجابته ولا يسعه التخلف عليه (١) ؛ لأن فيه إضرارًا بالداعي ، وربما أحزنه ، ولا يجوز إضرار المؤمنين (٢) ولا تحزينه ، وإن كان المقصود غيره والتكلف لسواه وسعه (٣) التخلف عنه .

٧٢ باب في شكر الناس

حديث آخر : [٢٩٧] حدثنا محمد بن أحمد بن معروف ح أبو عبد الله بن أبي حفص ح مسلم بن إبراهيم ح الربيع بن مسلم (٤) و ح الرشادي ح محمد بن ضوء (٥) ح محمد بن كثير أخ الربيع بن مسلم ح محمد بن زياد عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ** » (٦) .

قال الشيخ رحمه الله : نعم الله على عباده لا تحصى ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] فمن نعمه ما تفرد بها ، ومنها ما جعل (٧) بينه وبين المنعم عليه وسائط وأسبابًا وأوجب - جل وعز - حق الوسائط وتعظيم الأسباب ، فأول ذلك الرسل والأنبياء ، أوجب - جل وعز - الإيمان بهم والطاعة لهم [فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩] ، قال : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ] (٨) وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] فهم الوسائط فيما بين الله تعالى وبين خلقه في الدعاء إليه (٩) ، والسفراء بينه وبينهم في البلاغ عنه وإيجاب الأوامر والنواهي والهداية إلى الله

---

(١) في (س) و (خ) : عنه .
(٢) في (س) و (خ) : المؤمن .
(٣) في (س) : وسع .
(٤) زاد في (خ) بعدها : قال .
(٥) في (س) و (خ) : الضوء .
(٦) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظه عن أبي هريرة ﷺ في باب من لم يشكر الناس (ص ٨٥) رقم (٢١٨) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في شكر المعروف (٢٥٥/٤) رقم (٤٨١١) ، وأحمد في مسنده (٢٩٥/٢) رقم (٧٩٢٦) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: . رجال أحمد ثقات (١٨٠/٨) ، وأخرجه أيضًا البيهقي في سننه الكبرى (١٨٢/٦) رقم (١١٨١٢) ، وابن حبان في صحيحه (١٩٨/٨) رقم (٣٤٠٧) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد عن الأشعث بن قيس (٤٠١/٢) رقم (٧٨١) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن أبي هريرة (٣٥/٢) رقم (٨٢٩) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (٣٢٦/٢) رقم (٢٤٩١) ، والطبراني في الكبير عن أسامة (١٩٥/١) رقم (٥١٩) .
(٧) زاد في (س) بعدها : الله .
(٨) سقط من (س) .
(٩) زاد في (س) بعدها : والدلالة عليه .

وليس إلى الرسل غير البلاغ والبيان ، قال الله تعالى : ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة : ٩٩] ، وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ، ثم قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] أي إنك لتدعو إلى صراط مستقيم . وأوجب حق الوالدين بقوله : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى [٧٩/أ] وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان : ١٤] ؛ إذ جعلهما سبب الإيجاد [1] للولد ، وأوجب حق العلماء ؛ إذ جعلهم سببًا لما علمهم ، والمعلم في الحقيقة هو الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١] وقال : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّآ ﴾ [العلق : ٥، ٦] ، وقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن : ١، ٢] وأوجب حق السلطان [2] ؛ إذ جعلهم سببًا للأمن في بلاده والحكام بين عباده ، قال الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، قيل : هم العلماء [3] ، وقيل : هم الأمراء [4] . ولكل حق واجب وفرض لازم فكذلك إذا أنعم عليك بواسطة عبد من عباده في نفع لك أو دفع عنك أوجب عليك شكره ، والمنعم في الحقيقة هو الله . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ٥٣] فوجب عليك الشكر لله فيما أنعم به عليك ووجب عليك شكر من جعله سببًا لنعمه النفع والدفع [5] فالشكر لله أوله رؤية النعمة بالقلب من الله . قال محمد بن علي الترمذي : (الشكر انكشاف الغطاء عن القلب لشهود النعمة) ، والكشر [6] انكشاف الشفتين عن الأسنان لوجود الفرح ، فالشكر رؤية القلب النعمة من الله والثناء عليه باللسان والطاعة له بالأركان ، ثم الاعتراف برؤية التقصير عن بلوغ شكره ؛ لأن الشكر له نعمة من منه يجب الشكر عليها ، وحقيقة ذلك الحيرة منك ، وشهود حاصل الشكر عليك . قال بعض الكبار :

سأشكر لا أني أجازيك [7] منعمًا ... بشكري لكن كي يقال له شكر

---

(١) في (س) : الإيجاب و .
(٢) في (خ) : السلاطين .
(٣) روي هذا القول عن الحسن فيما أخرجه الطبري بسنده إليه قال في قوله تعالى : ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] هم العلماء ، جامع البيان (١٤٩/٥) .
(٤) روي هذا القول عن أبي هريرة ﷺ فيما أخرجه الطبري في تفسيره بسنده إليه ، قال في قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] هم الأمراء ، جامع البيان (١٤٧/٥) .
(٥) في هامش الأصل التوضيح الآتي : نعمة الدفع النعماء ونعمة الدفع الآلاء .
(٦) في (خ) : والشكر .
(٧) في (س) : مجازيك .

وأذكر أيامًا لدي اصطنعتها [(١)] وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر[٧٩/ب]

وكان بعض الكبار يقول في مناجاته : (اللَّهم إنك تعلم عجزي عن شكرك ، فاشكر نفسك عني) فغاية الشكر رؤية العجز عن القيام بالشكر بعد بذل المجهود في أسباب الشهود والقيام بالوفاء والاستهتار بالثناء ، وشكر من جرت النعمة على يديه المكافأة له والثناء عليه . ومعنى الثناء : نشر الجميل عنه وحسن الدعاء له فمن قدر كافأ ، ومن عجز دعا والمكافأة مع القدرة والدعاء عند العجز أيسر الشكرين ، شكر اللَّه وشكر العباد ، فمن ضيع شكر العباد الذي هو أيسر الشكرين كان لشكر اللَّه ﷻ الذي هو أعظمهما قدرًا وأعسرهما مرامًا أضيع فكأنه قال : لا يكون قائمًا بشكر اللَّه تعالى مع عظم شأنه من لم يقم بشكر الناس مع خفة محمله .

ويجوز أن يكون معناه على التنبيه على رؤية العجز عن القيام بشكر اللَّه فيما أنعم لمعانٍ [(٢)] أحدها : أن المعروف الذي يصطنعه الناس وإن كثر فمعدود متناه [(٣)] ونعم اللَّه لا تحصى عدًّا ولا تتناهى حدًّا ، والإنسان وإن كافأ المصطنع إليه فللمصطنع فضيلة السبق ولن [(٤)] يدركه المكافئ أبدًا ، فكأنه قال : لا يشكر اللَّه أي لا يقدر على شكر اللَّه في نعمه التي لا تحصى من لا يقدر على شكر الناس في المعروف المحدود [(٥)] المحصى .

وحدثنا محمد بن عبد اللَّه بن يوسف العماني ح أبو إسحاق إبراهيم بن هاشم البَغَوِيُّ [(٦)] ح الأزرق بن علي ح حسان ح عبد المنعم بن نعيم أبو سعيد ح الجريري [(٧)] عن أبي عثمان النَّهْدِيُّ [(٨)] عن أسامة بن زيد ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ [٨٠/أ] : [٢٩٨] « **أَشْكَرُ النَّاسِ للَّهِ أَشْكَرُهُم للنَّاسِ** » [(٩)] ، ومعناه : أن من القيام بشكر اللَّه على

---

(١) في (س) : اصنعتها .

(٢) كذا في (س) و (خ) وهو الصواب نحويًّا ، أما في الأصل : لمعاني .

(٣) كذا في (س) و (خ) وهو الصواب نحويًّا ، أما في الأصل : متناهي .

(٤) في (س) : ولم .

(٥) زاد في (س) بعدها : والمعدود .

(٦) البَغَوِيُّ : هذه النسبة إلى بلدة من بلاد خراسان بين مرو وهراة ، يقال لها : بغ وبغشور ، الأنساب (٢٦٦/١) .

(٧) في (خ) : الجويري .

(٨) النَّهْدِيُّ : بفتح النون وسكون الهاء وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى بني نَهْد ... ومنهم باليمن والشام ، الأنساب (٤٥١/٤) .

(٩) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن الأشعث بن قيس (٢١٢/٥) رقم (٢١٨٩٥) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٣/٢) رقم (٩٩٦) ، والبيهقي في سننه بلفظه عن الأشعب (١٨٢/٦) رقم (١١٨١٣) ، وفي شعب الإيمان بلفظه عن أسامة بن زيد (٥١٦/٦) رقم (٩١١٨) ، والعقيلي في =

قدر الوسع والطاقة و [١] بذل مجهوده فيه والجد بمطالبة الشكر للّٰه من نفسه في هم [٢] مرضاته والوفاء فيما أمر ونهى ، حتى يفضي به الأمر إلى بذل المجهود في شكر الناس لإيجاب اللّٰه تعالى ذلك له ، فمن كان [٣] للناس أشكر كان في إيفاء حق الشكر للّٰه من نفسه أسعى .



٧٣ باب في فضل قريش

حديث آخر : [٢٩٩] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح أبو إسحاق - هو خازم بن الحسين الحُمَيْسِيّ عن يزيد - يعني الرَّقَاشِيّ - عن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ يوم فتح مكة : « **أَمَّا قُرَيْشٌ فَاسْتَبْقُوهُم فَإِنَّ للّٰه تعالى فِيهِم حَاجَةً ، وأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ فَجُذُّوهُم** [٤] **جَذًّا** » [٥] [٦] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **للّٰه فيهم حاجة** » أي خصائص ونجباء ، وفيهم كرائم وفضائل فيما علمه منهم ، وغرزه فيهم ، وأودعه إياهم ، وأنهم لم يهونوا عليه ، [وذلك أن النبي ﷺ قال] [٧] فلما كانت قريش خيرة الناس وقد [٨]

= الضعفاء في سياق ترجمة عبد المنعم بن نعيم ، وقال : منكر الحديث ، ثم قال بعد سياقه الحديث بإسناده إلى أسامة بن زيد (لا يتابع عليه) ، وقال أيضًا عن هذا الحديث : روى بإسناد صالح عن أبي هريرة والأشعث بن قيس وغيرهما ، الضعفاء للعقيلي (١١١/٣) ترجمة رقم (١٠٨٣) ، وقد أخرج الحديث أيضًا الخرائطي في فضيلة الشكر عن الأشعث (ص ٦١) رقم (٧٩) ، والطبراني في الكبير عن أسامة (١٧١/١) رقم (٤٢٥) .

(١) سقط من (خ) .

(٢) سقط من (س) . وفي (خ) : طلب .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) جذوهم : الجذ القطع أي استأصلوهم قتلًا ، النهاية مادة (جذذ) ، (٢٥٠/١) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بلفظ مقارب عن أنس في سياق ترجمته لأبي إسحاق الحُمَيْسِيّ ، وقال : هذه الأحاديث عن يزيد الرَّقَاشِيّ عن أنس وإن كان يزيد فيه كلام فإنها ليست بمحفوظة وما أظنه يرويها عنه غير أبي إسحاق الحُمَيْسِيّ ... وقال في أبي إسحاق الحُمَيْسِيّ عن يحيى بن معين (ليس بشيء) ، الكامل (٧٣/٣) ترجمة رقم (٦٢١) .

(٧) سقط من (س) .

(٨) في (س) : فقد .

أخرج اللَّه تعالى منها كل خبيث [كان فيها وكل خبيث] [١] كان منهم في المواطن التي أهلك اللَّه منهم فيها خبيثهم ، كانت البقية هم الذين للَّه فيهم حاجة على ما قال النبي ﷺ أي هم صفوة من بقي ، ومن أراد اللَّه بهم الخير ممن هداهم للإيمان وطهر قلوبهم وصفى أسرارهم وأدناهم منه ، وقربهم إليه وإن أبطأ بهم الوقت وتأخرت بهم المدة . ألا ترى أنه لم يكن منهم في حياة النبي ﷺ منافق ولا بعد موته منهم مرتد ، وقد توفي النبي ﷺ وارتدت العرب أو أكثرها ولم ترتد قريش ولا أحد منهم على كراهتهم في الدخول في الإسلام [٨٠/ب] وتأبيهم عنه المدة الطويلة وتربصهم بعد الفتح حتى جعل لهم مدة أربعة أشهر ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [التوبة : ٢] ، وكان صفوان بن أمية منهم ، ثم أسلم فحسن إسلامه ، وعكرمة بن أبي جهل ذهب على وجهه فرارًا من الإسلام وكراهة له حتى بلغ البحر ، وله قصة ، ثم بلغ من حسن إسلامه أنه كان إذا نشر المصحف يقول : « هذا كلام ربي » فيغشى عليه ، وسهيل بن عمرو وهو الذي كان منه يوم الحديبية ما كان بلغ من حسن إسلامه أن هاجر إلى أرض الشام وقتل شهيدًا ، وحث يوم اليرموك وخطب خطبة بليغة بلغت من الناس مبلغًا كان سبب الفتح ، وكذلك صفوان بن أمية كان يسأل اللَّه الشهادة في إعزاز الدين ، وحكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين ألفًا ، فقالوا : [٣٠٠] « غَبَنَكَ واللَّهِ مُعَاوِيَةُ ، فَقَالَ : واللَّهِ مَا أَخَذْتُهَا في الجاهِلِيَّةِ إلا بِزِقٍّ [٢] خَمْرٍ وأُشْهِدُكُم أَنَّهَا في سَبِيلِ اللَّهِ والمَسَاكِينِ والرِّقَابِ ، فَأَيُّنَا [٣] المَغْبُونُ ؟ » [٤] ، وهاشم بن عتبة ، والمسور بن مخرمة ، وجميع مسلمة الفتح وإن أبطأت بهم المدة وتأخر دخولهم في الإسلام ، فقد بلغ من حسن إسلامهم المبلغ العلي ، فهم الذين قال النبي ﷺ : « **فيهم حاجة للَّه** » أي للَّه فيهم إرادة خير ومشيئة فضل وودائع يودعها اللَّه تعالى أسرارهم وأنوارًا يجعلها في [بطونهم و] [٥] صدورهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) في (س) : برزق من ا.هـ . وزاد في (خ) بعدها : من ا.هـ . والزِّقُّ : السقاء ، والزق من الأهب كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه ، لسان العرب مادة (زقق) .

(٣) في (خ) : وأينا .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ مقارب عن حكيم بن حزام (١٨٧/٣) رقم (٣٠٧٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن (٣٨٤/٩) .

(٥) سقط من (س) .

نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٢٢] ، وأما سائر الناس فأخذ الله منهم صفوتهم ، وجاء الله بهم (١) إلى الإسلام راغبين كما [٨١/أ] قال : ﴿ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر: ٢] وبقيت حثالة لا يعبأ الله بهم ، فقال : « **اقطعوهم قطعًا** » ألا ترى أن أكثرهم (٢) انفلت ودخل في الإسلام كرهًا كما قال : ﴿ قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤] ، فلما قبض الله النبي ﷺ ارتدوا حتى جذّهم أبو بكر رضي الله عنه جذًّا .

٧٤
باب في غيرة الله تعالى

حديث آخر : [٣٠١] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانيُّ ح أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن وراد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : بَلَغَ النَّبيَّ ﷺ أنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ يَقُولُ : لَوْ وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَتَعْجَبُونَ مِنْ غِيرَةِ سَعْدٍ ، فَوَاللَّهِ لأنَا** (٣) **أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ ، واللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي ، ومِنْ غَيْرَةِ اللَّهِ تعالى أَنْ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ ، ولا شَخْصَ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ ، ولا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المرسَلينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ ، ولا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيهِ المدْحُ مِنَ اللَّهِ ولِذَلِكَ وَعَدَ الجَنَّةَ** » (٤) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **لا شخص أغير من الله** » أي لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله ، معناه : ألا يكون العباد الذين هم أشخاص أغير من الله الذي ليس بشخص ؛ لأن الله تعالى لا يوصف بالشخص تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

---

(١) سقط من (س) .

(٢) في (س) : أكثر من .

(٣) في (س) : لا أنا .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن المغيرة بن شعبة في كتاب التوحيد باب قول النبي ﷺ : لا شخص أغير من الله ، وليس في متن الحديث ذكر لفظة « شخص » (٢٦٩٨/٦) رقم (٦٩٨٠) ، ومسلم في صحيحه وقد ذكر عنده لفظة « شخص » في أوائل كتاب اللعان (١١٣٦/٢) رقم (١٤٩٩) ، وأحمد في مسنده (٢٤٨/٤) رقم (١٨١٩٣) ، والحاكم في المستدرك (٣٩٨/٤) رقم (٨٠٦١) ، وابن حبان في صحيحه (٨٨/١٣) رقم (٥٧٧٣) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ١٥١) رقم (٣٩٢) ، وأبو عوانة الإسفراييني في مسنده (٢١٥/٣) رقم (٤٧٢٠) ، والطبراني في الكبير (٣٨٩/٢٠) رقم (٩٢١) .

ويجوز أن يكون معناه كأنه يقول : ليس من حق من يترفع ويعظم قدره وتشرف مرتبته أن يكون لشرفه في الرتبة وعظم قدره وترفعه على غيره [١] أن يكون أغير من الله ، والله تعالى جليل عظيم رفيع المكان وهو على جلالته وكبريائه وشدة غيرته يمهل عباده في [٨١/ب] مواقعتهم الفواحش ولا يعاجلهم بالعقوبة عليها ، فلا ينبغي لعبد أن يترفع [٢] عن الإمهال وترك معاجلة العقوبة لغيرته فيقتل من يواقع الفاحشة ويأتيها ، ولكن يمهل إلى أن يطلق له الأمر من الله تعالى في قتله ، فإن أطلق له الأمر وإلا أمهل وتربص ، وإن كان شديد الغيرة ؛ وذلك أن سعدًا كان سيد قومه ، وشريف قبيلته الخزرج ، وسيدها ، ورفيع القدر فيها ، وجليل الخطر عندها ، ومن كان كذلك فهو أقدر على معاجلة العقوبة ؛ إذ لا [٣] يكاد يخاف تبعتها .

والشخص ما ارتفع ونما وتزايد ، فكأنه يقول : من كانت رفعته وشرفه وجلالة قدره بالنمو والتزايد والارتفاع من حالة الانخفاض فلا ينبغي أن يجاوز الحد الذي حد له والوقت الذي يجوز له أن يواقع بالعقوبة مواقع الفاحشة ، فإن الله أجل وأعظم وأعلى ، وجلالته وعظمته وعلوه لم تزل ولا تزال وغيرته أشد ، وهو مع هذا يمهل مواقع الفاحشة ولا يعاجله ، فالشخص أولى بترك معاجلة العقوبة . الدليل على هذا التأويل رواية أبي هريرة ﷺ وهو ما حدثنا [٤] حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانيُّ ح سليمان يعني - ابن بلال - عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : [٣٠٢] قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا لم أَمَسَّهُ حَتَّى آتِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ؟!! . فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **نَعَمْ** » . قَالَ : كَلا ، والذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ إِنْ كُنْتُ لمعَاجِلُهُ بالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُم ، إِنَّهُ لَغَيُورٌ ولأَنَا [٥] أَغْيَرُ مِنْهُ** [٨٢/أ] **واللَّه أَغْيَرُ مِنِّي** » [٦] .

قال : فهذا الحديث يدل على أنه أراد معاجلة العقوبة قبل وقتها لغيرته ، ولم يخف التبعة فيها لشرفه في قومه ، فكان النبي ﷺ أخبر أنه أغير من سعد وأشرف وأبلغ سؤددًا منه ، وهو ينتهي إلى الحد في الغيرة فلا يعاجل بالعقوبة مواقع الفاحشة قبل وقته ، والله

---

(١) كذا في (س) و (خ) ، أما في الأصل : قدره .

(٢) في (س) : يرتفع .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (س) : حدثناه .

(٥) في (س) : ولا أنا .

(٦) هذه رواية مسلم في صحيحه التي أخرجها بلفظ مقارب عن أبي هريرة في أوائل كتاب اللعان (١١٣٥/٢) رقم (١٤٩٨) .

أغير مني وأعلى وأجل ، وهو لا يعاجل بالعقوبة ، فالشخص الذي شرفه وسؤدده من جهة الشخصية بالنمو والازدياد لا لذاته أولى وأحق ثم الأشخاص وهم المترفعون [١] الأشراف ، ومن عظم قدره منهم بعلة من قوة سلطان أو شرف بمال [٢] وأتباع ، ويكون لشرفهم نموًّا أو تزايدًا ، وبالعلل والأسباب ، فإنهم يحبون أن يعذروا في أفعالهم التي يجوز أن يلاموا عليها ويلزمهم التعبير فيها [والنكير ممن هو فوقهم أو [٣] هم تحت قدرة غيرهم وفوقهم آمر زاجر ولهم حدود] [٤] لا يجوز لهم مجاوزتها ، وأقدار ليس لهم تعديها ، فربما يفعلون الفعل الذي يلزمهم اللوم عليها لهذه العلل ، فهم يحبون أن يعذروا إلى الناس في أفعالهم لإزالة اللوم عنهم والتعيير لهم والنكير ممن فوقهم عليهم واللّٰه ﷻ في جلالته وعظمته وكبريائه وقهره لخلقه يبلي العذر فيما يفعل بخلقه من عدو يهلكه أو ولي يبتليه [٥] ، فقال في أعدائه [٦] : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [هود: ١٠١] [٧] ، وقال : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الزخرف: ٧٦] ، وقال : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] وأشباهه كثيرة [٨] ، وقال تعالى في أوليائه : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ، ﴿ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا [٨٢/ب] بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] ، وقال : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٦] . وقوله : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ الآية [النور: ١١] ، فهو - جل وعز - يبلي هذه الأعذار في فعله ، وقد بعث الأنبياء مبشرين ومنذرين ؛ لئلا يكون للناس على اللّٰه حجة بعد الرسل ، ولئلا يقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا لو أنا [٩] أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ، وأمثالها كثيرة [١٠] . فأبلى هذه الأعذار إلى خلقه وأحب إبلاء العذر في فعله مع غناء [١١] عن ذلك إذ لا يلزمه - جل

---

(١) في هامش الأصل : المرتفعون .
(٢) في (س) : بحال .
(٣) في (خ) : إذ .
(٤) سقط من (س) .
(٥) في (خ) : يبليه .
(٦) زاد في (س) بعدها : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣] ا.هـ .
(٧) وهي سقط من (س) .
(٨) في (خ) : كثير .
(٩) سقط من (س) .
(١٠) في (خ) : كثير .
(١١) في (خ) : غناه .

وعز - في فعله لوم ولا يلحقه تعيير [١] ولا من غيره عليه نكير ولا حد له فيجاوزه ، وهو يفعل ما يفعل في ملكه وهو حكيم عالم قادر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فهو يحب العذر فضلًا منه وكرمًا وإجلالًا لقدر أوليائه وبرًّا بهم ولطفًا بهم أكثر من محبة الأجلة والأشراف الذين هم أشخاص معلولون وعباد مربوبون وهو الجليل العظيم الرب الكريم .

ويجوز أن يكون معناه : أنه يحب العذر من عباده إليه ، وهو أن يعتذروا إليه من جناياتهم وتقصيرهم فيغفرها لهم ، وبعث المرسلين ليحثوا على ذلك عباده ، وليبلوا أعذار عباده ويشفعوا لهم ، كما قال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ ﴾ [غافر : ٧] .

وقوله ﷺ : « **ولا شخص أحب إليه المدح من اللَّه** » الأشخاص وهم [٢] المترفعون المتزايدون يحبون [٨٣/أ] أن يمدحوا ويثنى عليهم في أوصافهم في أنفسهم وأفعالهم بمكان غيرهم ، وأوصافهم فعل غيرهم بهم ، وأفعالهم بقوة يحدثها فيهم من له القوة والقدرة ، ويستحق عليهم الثواب منهم في المدح لهم والثناء عليهم ، وربما لم يثيبوا [٣] الرؤية فضل يرونه فيهم وهم عنه عوارٍ [٤] ، واللَّه - جل وعز - للمدح أحب ، وللثناء عليه أشكر ؛ إذ هو المستحق للمدح ، إذ هو - جل وعز - رفيع الأوصاف ، جميل الأفعال ، وهو المنعم المفضل [٥] ذو الجمال والجلال ، فهو يحب المدح من عباده [٦] له والثناء منهم [٧] عليه ، والحمد والشكر له ليثيبهم عليه أفضل الثواب ، وينعم عليهم بأفضل النعيم ؛ ولذلك وعد الجنة ليمدح بالفضل واللطف والبر ؛ لأنه لا يستحق عليه شيء ولا يجب عليه فعل ، فهو متفضل فيما وعد من الجنة ونعيمها ، فأحب أن يمدح بما يمدح المتفضل الحسن الفعال الجميل الأوصاف ، ووعد أيضًا على المدح له والثناء عليه [٨] والشكر له الجنة وثوابها ونعيمها ، وما أعد فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فهو للمدح أشد حبًّا من الأشخاص المعلولين ، وهو بالمدح أولى وله أحق ، تبارك اللَّه الممدوح في أوصافه المحمود على أفعاله المنعم على عباده المتفضل البر الرؤوف .

---

(١) في (س) : تغير .
(٢) في (خ) : هم .
(٣) في هامش الأصل : يثنوا .
(٤) في الأصل : عواري .
(٥) في هامش الأصل وفي (خ) : المفضال ا.هـ . وفي (س) المضل .
(٦) في (س) : عباد .
(٧) زاد في (خ) بعدها : له .
(٨) في (س) : له .

٧٥
باب في بركة السحور

حديث آخر : [٣٠٣] حدثنا أبو الليث نصر بن الفتح ح [(١)] أبو عيسى ح قتيبة ح أبو عوانة عن قتادة [(٢)] وعبد العزيز بن صهيب عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ [(٣)] بَرَكَةً** » [(٤)] .

قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون معنى البركة الزيادة ، ومعنى الزيادة في السحور يرجع وينصرف على وجوه ، فمنها : أن تكون زيادة في القوة على صوم النهار ، ومثله ما جاء في بعض [٨٣/ب] الروايات أنه قوة على صوم النهار . وهو ما حدثنا [(٥)] أبو الفضل محمد بن أحمد المَزْدَكِيُّ ح يعقوب بن أبي خيران ح الحارث بن مسلم عن عبد الحكم عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٣٠٤] « **تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً وَقُوَّةً** » [(٦)] .

ويجوز أن تكون الزيادة في إباحة الطعام والشراب لمن أراد الصيام ، وذلك أنه كان في بدء الأمر أن الصائم إذا نام حرم عليه الطعام ، ثم أباح الله الأكل والشرب إلى طلوع

---

(١) في (س) : قال . (٢) سقط من (س) .

(٣) في (س) : السحرة ا.هـ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الصوم باب بركة السحور من غير إيجاب (٦٧٨/٢) رقم (١٨٢٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه (٧٧٠/٢) رقم (١٠٩٥) ، والترمذِيُّ في جامعه بنفس الإسناد في كتاب الصوم باب ما جاء في فضل السحور ، وقال : حسن صحيح (٨٨/٣) رقم (٧٠٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصيام في ذكر الاختلاف على عبد الملك بن أبي سليمان في هذا الحديث (٧٦/٢) رقم (٢٤٥٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام باب ما جاء في السحور (٥٤٠/١) رقم (١٦٩٢) ، والدارمي في سننه عن أنس (١١/٢) رقم (١٦٩٦) .

(٥) زاد في (س) بعدها : به .

(٦) الحديث أخرجه بدون لفظ « وقوة » البخاري في صحيحه عن أنس في كتاب الصوم باب بركة السحور من غير إيجاب (٦٧٨/٢) رقم (١٨٢٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه (٧٧٠/٢) رقم (١٠٩٥) ، والترمذِيُّ في جامعه في كتاب الصوم باب ما جاء في فضل السحور (٨٨/٣) رقم (٧٠٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصيام في ذكر الاختلاف على يحيى بن أبي كثير (٥٦/٢) رقم (٢٤٥٦) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام باب ما جاء في السحور (٥٤٠/١) رقم (١٦٩٢) .

الفجر [١] بقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ الآية [البقرة: ١٨٧] ، فإباحة الأكل والشرب في ليلة الصيام بعد النوم وهو السحور زيادة على إباحة الأكل والشرب عند الإفطار وهو رخصة من الله تعالى لقوله : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٧] . وقد قال النبي ﷺ : [٣٠٥] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى بِرُخَصِهِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى بِعَزَائِمِهِ** » [٢] ، فيكون معنى الترغيب في السحور ترغيبًا في قبول الرخصة التي يحب الله إتيانها ، ومعنى البركة فيه الزيادة على الإباحة ، ويجوز أن تكون زيادة في العمر ؛ لأن العمر الحياة [٣] إلى الأجل المؤقت الذي إذا جاء لا يستأخرون [٤] ساعة ولا يستقدمون ، وهذه المدة فيها نوم ويقظة ، والنوم موت واليقظة حياة ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] ثم قال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] فجعل [٥] الوفاة التي هي النوم موتًا ، واليقظة حياة ونشورًا ، لقوله : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] وفي مدة الحياة معنيان : اكتساب الطاعة للمعاد واقتناء المرافق للمعاش ، ومن المرافق [٨٤/أ] الأكل والشرب ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١] ، وفي السحور يقظة وهي الحياة ، فهو زيادة في الحياة وأكل وشرب وهو زيادة في مرافق الحياة ، وفيه زيادة في اكتساب الطاقة ؛ لأن من أراد السحور ربما تطهر وصلى ، فإن قصر سمى الله ودعًا ، فإن غفل عن الذكر وكسل عن الصلاة فإن الأكل والشرب بنية الصوم طاعة ، ففيه زيادة الحياة وزيادة الرفق وزيادة الطاعة ، وهذا هو العمر في السحور زيادة الرفق في العمر ، ويكون في السحور زيادة وقت السحور على الأوقات الفاضلة المرغوب فيها وهي أوقات الصلوات الخمس ، فإنها

---

(١) زاد في (خ) بعدها : الثاني .

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بلفظ مقارب عن ابن عمر (١٤٠/٣) رقم (٥١٩٩) ، وفي شعب الإيمان (٤٠٣/٣) رقم (٣٨٨٩) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٣/٨) رقم (٣٥٦٨) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن عائشة (١٥١/٢) رقم (١٠٧٩) ، والطبراني في الأوسط (٨٢/٨) رقم (٨٠٣٢) ، وابن عدي في الكامل عن عائشة ، وفي إسناده عمر بن عبيد بياع الخمر (٦٣/٥) ترجمة رقم (١٢٤٠) . كلهم بلفظ : « إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » ، وقد ورد عند الطبراني في الأوسط قريبًا من لفظ المصنف عن عائشة إلا أنه قال : « يؤخذ برخصه » ، وقال : « يؤخذ بعزائمه » ، (٢٣٦/٦) رقم (٦٢٨٢) ، وفيه أيضًا عمر بن عبيد صاحب الخمر .

(٣) زاد في (س) بعدها : فيها نوم .

(٤) زاد في (خ) بعدها : عنه .

(٥) في (س) : فسمى .

أفضل أوقات الزمان في اليوم والليلة وتفتح فيها أبواب السماء وتنزل الرحمة ويستجاب فيها الدعاء ، وفي وقت السحور ، كذلك قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] ، وقال : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٨] ، وقال النبي ﷺ [٣٠٦] : « **إِذَا كَانَ الثُّلُثُ الأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ اللَّهُ تعَالى : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، هَل مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ** » [1] . وسئل النبي ﷺ : [٣٠٧] أَيُّ اللَّيْلِ أَسْمَعُ ؟ فَقَالَ : « **الثُّلُثُ الأخِيرُ** » [2] ، وقد قال ﷺ : [٣٠٨] : « **مِنَ الفِطْرَةِ تأْخِيرُ السَّحُورِ** » [3] [4] .

قال الشيخ رحمه الله : أراد - إن شاء الله - أن يقع في الثلث الأخير من الليل ليكون فيه دعوة واستغفار فيجاب ، وسؤال حاجة فيقضى ، فوقت السحور زيادة على الأوقات المرغوب فيها التي هي أوقات الصلوات الخمس .

إذن فالسحور زيادة في القوة وزيادة في إباحة الأكل والشرب ، وزيادة في الرخص [5] التي يحب الله إتيانها ، وزيادة في الحياة ، وزيادة [٨٤/ب] في الرفق فيها ، وزيادة في اكتساب الطاعة ، وزيادة على الأوقات التي [6] يستجاب فيها الدعاء ، وقد ورد في الحديث أن الرخصة بركة ، وهو أنه لما نزلت آية التيمم ، وكان السبب فيه أن فقدت عائشة رضي الله عنها قلادة لها في بعض الغزوات فأقام رسول الله ﷺ على طلبها والناس على

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة ﷺ في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (٥٢٢/١) رقم (٧٥٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة باب الوقت الذي يستحب فيه الاستغفار (١٢٣/٦) رقم (١٠٣١٢) ، والدارمي في سننه عن مطعم بن عدي (٤١٣/١) رقم (١٤٨٠) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٤٣/٣) رقم (١١٤٠٤) .

(٢) زاد في (س) بعدها : من الليل ، والحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن عمرو بن عنبسة السلمي في كتاب التطوع باب من رخص فيهما إذا كانت الشمس مرتفعة (٢٥/٢) رقم (١٢٧٧) ، والنسائي في سننه الكبرى عن كعب بن مرة البهزي في كتاب النذور باب فضل العتق (١٦٩/٣) رقم (٤٨٨٠) ، والحاكم في المستدرك عن عمرو بن عنبسة (٢٧٠/١) رقم (٥٨٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٢٩/١) رقم (٢٦٠) .

(٣) السحور : اسم ما يتسحر به من الطعام والشراب ، النهاية مادة (سحر) ، (٣٤٦/٢) .

(٤) الحديث أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه قال : حدثنا وكيع وعمر بن هارون بن أبي العنبس قال : سمعت إبراهيم يقول : من السنة تأخير السحور ، وبإسناده إلى مجاهد قال : من أخلاق الأنبياء تأخير السحور ، مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٦/٢) رقم (٨٩٣٤ ، ٨٩٣٨) .

(٥) في (خ) : الرخصة.

(٦) زاد في هامش الأصل بعدها : ذكرناها أنها .

غير ماء [١] فنزلت آية التيمم فقيل لعائشة رضي الله عنها : [٣٠٩] « مَا هَذَا بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُم يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ » [٢] ، فجعل الرخصة في هذا الحديث بركة ، ويجوز أن يكون بركة ؛ لأنه لا حساب فيه ، قال عليه السلام : [٣١٠] : « **أَرْبَعُ نَفَقَاتٍ لا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ فِيهِنَّ : نَفَقَةٌ عَلَى عِيَالِهِ ، ونَفَقَةٌ عَلَى وَالِدِهِ ، وعَلَى إِفْطَارِهِ ، وعَلَى سَحُورِهِ** » [٣] ، ثم في هذا السحور فوائد قيل : فيه حصول النية للصوم من الليل فيزول الاختلاف [٤] وفيه مخالفة أهل الكتاب . [قال عليه السلام : [٣١١] « **فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ** [٥] » [٦]] [٧] ، وقال بعض شيوخنا : (إن السحر وقت النجاة ، قال الله تعالى : ﴿ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ [القمر : ٣٤، ٣٥]) . كأنه جعل وقت السحر وقتًا لزيادة نعمه ونجاة من نقمه ، والسحور يكون في هذا الوقت فيتعظ المتسحر في ذلك الوقت بهلاك من هلك ، وبنجاة من نجا [٨] . والله أعلم .

وقيل فيه : قال النبي عليه السلام : [٣١٢] : « **اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا** » [٩] . فأجيب

---

(١) في (س) : مال .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا » (١٣٤٢/٣) رقم (٣٤٦٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحيض باب التيمم (٢٧٩/١) رقم (٣٦٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطهارة باب بدء التيمم (١٣٢/١) رقم (٢٩٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٧/٤) رقم (١٣٠٠) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٤١٠/٢) رقم (٩٦٦) .
(٣) الحديث أخرجه أبو شجاع الْهَمَذَانِيّ في الفردوس بمأثور الخطاب بألفاظ متقاربة عن أنس بن مالك (٣٧٦/١) رقم (١٥١٥) .
(٤) زاد في (س) بعدها : في جواز صومه .
(٥) في (س) : السحور .
(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن عمرو بن العاص في كتاب الصيام باب فضل السحور وتأكيد استحبابه (٧٧٠/٢) رقم (١٠٩٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب الصوم باب في توكيد السحور (٣٠٢/٢) رقم (٢٣٤٣) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الصوم باب ما جاء في فضل السحور (٨٨/٣) رقم (٧٠٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصيام باب فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب (٨٠/٢) رقم (٢٤٧٦) ، والدارمي في سننه (١١/٢) رقم (١٦٩٧) .
(٧) من هامش الأصل .
(٨) زاد في (خ) بعدها : وقيل فيه قال النبي ﷺ : « اللّٰهم بارك لأمتي في بكورها » ، فأجيب إلى ذلك ، وقال : « تسحروا فإن في السحور بركة » ، معناه فيه بركة التبكير واللّٰه أعلم .
(٩) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن صخر الغامدي في كتاب الجهاد باب في الابتكار في السفر (٣٥/٣) رقم (٢٦٠٦) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب البيوع باب ما جاء في التبكير بالتجارة ، وقال : =

إلى ذلك فقال : « **تسحروا فإن في السحور بركة** » معناه في بركة البكور .

٧٦
باب في حرمان الرزق بالمعصية

حديث آخر : [٣١٣] حدثنا [١] حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح وكيع ، وابن المبارك عن سفيان عن عبد اللَّه بن عيسى عن عبد اللَّه بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ولا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلا** [٨٥/أ] **الدُّعَاءُ ولا يَزِيدُ في العُمُرِ إِلا البِرُّ** » [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : إن للَّه تعالى لطائف يحدثها لعبده [٣] المؤمن ليصرف بها وجهه إليه ويقبل بقلبه [٤] عليه إذا شغل عنه باتباع شهوة واشتغال بنهمة ؛ لأن اللَّه - جل وعز - يحب عبده المؤمن ، والمحب يحب إقبال محبوبه عليه ومواجهته له ، وانصرافه إليه ، ويكره شغله عنه بغيره وإعراضه عنه ، فالمؤمن إذا شغل بنهمته ورجع إلى شهوته وأقبل على غير مولاه حرمه مولاه رزقه الذي إليه ضرورته وبه حاجته مما به قوامه في معاشه وعونه على أمر معاده ، فيكون ذلك زجرًا منه له وجذبًا إليه مما أقبل عليه وصرفًا له عما شغل به إلى من شغل عنه وتأديبًا ألا يعود إلى مثله ، كالطفل الذي تدعوه أمه

= حديث حسن (٥١٧/٣) رقم (١٢١٢) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب السير باب الوقت الذي يستحب فيه توجيه السَّرِيَّة (٢٥٨/٥) رقم (٨٨٣٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب التجارات باب ما يرجى من البركة في البكور (٧٥٢/٢) رقم (٢٢٣٦) .

(١) في (س) : ح .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه عن ثوبان مع تقديم وتأخير في كتاب الفتن باب العقوبات (١٣٣٤/٢) رقم (٤٢٢) ، وأخرجه أحمد في مسنده بلفظه وبنفس الترتيب عن ثوبان أيضًا (٢٧٧/٥) رقم (٢٢٤٤٠) ، والحاكم في المستدرك مع تقديم وتأخير ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٦٧٠/١) رقم (١٨١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٨/٧) رقم (١٠٢٣٣) ، وابن حبان في صحيحه بترتيبه (١٥٣/٣) رقم (٨٧٢) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد بلفظ مقارب مع تقديم وتأخير (٤٩١/٢) رقم (١٠٠٩) ، والروياني في مسنده (٤٠٨/١) رقم (٦٢٦) ، والطبراني في الكبير (١٠٠/٢) رقم (١٤٤٢) ، وقد صحح إسناد الحديث من سفيان إلى منتهاه ابن أبي حاتم في علل الحديث (١٦٥/٢) رقم (١٩٨٨) .

(٣) في (س) : بعبده .

(٤) زيادة من (س) .

فيعرض عنها ويعدو إلى لهو فيعثر [(١)] فيقع فيقوم يعدو إلى أمه باكيًا ويلتجئ إليها شاكيًا [(٢)] ، كذلك المؤمن يصيب الذنب بشهوة تغلبه ونهمة لا يقاومها ، فيحرمه ربه رفقه ويمنعه رزقه فينتبه فيعرض عن شهوته ويرفض نهمته ويقبل على مولاه ، والذي يبغضه الله تعالى ممن كفر به وأشرك معه غيره وأعرض بقلبه عنه ، فإنه يزيده مما يشغله به ويصرفه عنه بغضًا له ومقتًا ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ﴾ [آل عمران : ١٧٨] ، وقال : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ﴾ [الزخرف : ٣٣- ٣٥] ليشغلهم بها عنه ويباعدهم منه ، فمن أقبل إليه ، كفاه حوائجه وسهل له مرافقه ورزقه من حيث لا يحتسب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [٨٥/ب] وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٢، ٣] ومن يتق الله [(٣)] في الاشتغال بما دونه [يكفيه مؤنه ويخرجه مما يصرفه عنه ويقوم بكفايته لئلا يشغله] [(٤)] عنه شاغل بل يكون شغله به ووجهه إليه ، ومن شغل بشيء دونه أدبه فحرمه رزقه ومنعه رفقه ؛ فيقبل عليه ويرجع عما شغل به إليه . والرزق الذي [يحرم به] [(٥)] الرفق مما يملكه أو زوال ملكه عنه وأن يلتوي عليه أسباب رزقه فيقتر [(٦)] عليه ويعسر عليه مطلبه .

وقد يجوز أن يكون معنى الرزق الشكر ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [(٧)] [الواقعة : ٨٢] قيل في التفسير : (شكركم أنكم تكذبون) [(٨)] . فيكون [حرمان الرزق] [(٩)] حرمان الشكر على النعمة فيحرم الزيادة بحرمان الشكر ، ومن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان .

---

(١) زاد في الأصل بعدها : عليه . ا.هـ . وهذه الزيادة ليست في (س) فضلًا عن أن السياق لا يحتملها .

(٢) من هامش الأصل.

(٣) سقط من (س) .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) في (س) : يحرمه .

(٦) في (س) : فقدر .

(٧) في هامش (خ) : وتجعلون التكذيب شكركم .

(٨) روي هذا القول عن علي - كرم الله وجهه - فيما أخرجه الطبري بسنده إليه قال : عن علي عن النبي ﷺ قال : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ، قال : « شكركم أنكم تكذبون ، قال : يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا » ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠٨/٢٧) .

(٩) سقط من (خ) .

وقوله ﷺ : « **لا يرد القدر إلا الدعاء** » يجوز أن يكون القدر يسبق بالدعاء كما يسبق بالقدر ، فيصرف المكروه المقدور بالدعاء المقدور ، كما قال النبي ﷺ وسئل : [٣١٤] أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا ودَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ هَلْ يَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « **إِنَّهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالى** » [١] .

هذا إذا كان القدر سبق بأن يرد المكروه من القدر بالدعاء ، وإن كان المكروه مقدورًا أن يصيبه ويقع به فإن الدعاء يزيل تسخط ذلك المكروه المقدور ، ويكون الرضا به مقدورًا كما كان المكروه مقدورًا ، والمقدور إنما كان مكروهًا ؛ لأنه مسخوط مؤلم شديد المحتمل [٢] ، فإذا زال السخط صار المكروه محبوبًا وكان [٣] كأن المقدور المكروه المؤلم قد صرف عنه وجرى عليه مقدور ملذ محبوب كالإنسان يسقى دواء فيكرهه [٤] لمرارته وبشاعته فيذوقه فلا يجد له مرارة ولا بشاعة فيتلذذه ، وإنما [٨٦/أ] يصير المكروه محبوبًا بالدعاء ؛ لأن الدعاء يقرب إلى اللَّه تعالى ، وإنما يتقرب إلى اللَّه تعالى من قربه اللَّه إليه ، قال النبي ﷺ : [٣١٥] : « **مَنْ أُذِنَ لَهُ بِالدُّعَاءِ لم [٥] يُحْرَمْ الإِجَابَةَ** » [٦] ، فالداعي مقرب و [٧] المقرب مشاهد ، إما أن يشهد عاقبة المكروه بالثواب الموعود فيه في الآجل والمصروف عنه به من المكروه ما هو أشد منه في العاجل أو بشهود المقدر به [٨] .

وقوله : « **ولا يزيد في العمر إلا البر** » قال : ويكون البر مقدورًا للعبد أن يأتيه ، وتكون زيادة العمر مقدورًا بالبر المقدور ولو لم يكن البر مقدورًا لم تكن زيادة العمر مقدورًا .

ويجوز أن تكون زيادة العمر حسن الحال في مدة الحياة ، والأجل المؤقت الذي لا يتأخر ولا يتقدم ، وطيب الحياة في مدة الأجل ، كما قال اللَّه ﷻ : ﴿ [مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا] [٩]

---

(١) الحديث أخرجه الترمذِيُّ في جامعه بألفاظ متقاربة عن أبي خزامة عن أبيه في كتاب الطب باب ما جاء في الرقى والأدوية ، وقال : حسن صحيح (٣٩٩/٤) رقم (٢٠٦٥) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤٢١/٣) رقم (١٥٥١٠) ، والحاكم في المستدرك عن الحارث بن سعد عن أبيه وسكت عنه الذهبي (٢٢١/٤) رقم (٧٤٣٢) ، والبيهقي في الاعتقاد عن أبي خزامة عن أبيه وصححه (١٤١/٢) ، والطبراني في الكبير عن أبي خزامة عن الحارث بن سعد عن أبيه (٤٧/٦) رقم (٥٤٦٨) .

(٢) في (خ) : المتحمل .

(٣) في (س) : فكان .

(٤) في (خ) : فيتكرهه .

(٥) في (س) : لا .

(٦) سبق في اللوحة رقم (٨/أ) .

(٧) زيادة من (خ) يقتضيها السياق .

(٨) في (س) : له .

(٩) في الأصل و (س) : ومن يعمل من الصالحات .

مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] وطيبة [١] الحياة بالارتفاق [٢] في معاشه واكتساب الطاعة لمعاده والبر هو الطاعة لله ﷻ فيما أمر والانتهاء عما زجر، والرضا بما حكم وقدر، قال الله ﷻ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] فالقصير [٣] من العمر واليسير من المدة إذا حصلا مع الطاعة لله في أمر الدين والرفق في المعاش من الكفاية في المؤونة وصون الوجه فكان العبد محمولًا في المكاره ميسرًا له اليسرى، مصروفًا عنه العسرى، صار القصير [٤] من العمر طويلًا، قال: ويجوز أن يكون المراد بالبر بر الولد لوالده [٥]، وبر الرجل ولده وقرابته وجيرانه ومن يعاشرهم، فمن حسنت عشرته مع خلق الله [٨٦/ب] طابت حياته، وفائدة العمر طيب الحياة.

٧٧
باب في حلم الله تعالى على خلقه

حديث آخر: [٣١٦] حدثنا حاتم بن عقيل [٦] حدثنا يحيى أخ أبو معاوية عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **« مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ أَنَّه يُشْرَكُ بِهِ ويُجْعَلُ لَهُ وَلَدٌ [٧] وَهُوَ يَرْزُقُهُم ويُعَافِيهِم »** [٨].

---

(١) في (خ) : طيب .

(٢) هذا اللفظ مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦]، والمرفق من الأمر - كما جاء في لسان العرب - هو ما ارتفقت وانتفعت به، لسان العرب مادة (رفق) .

(٣) في (س) : فالتقصير .

(٤) في (س) : التقصير .

(٥) في (س) و (خ) : بوالديه .

(٦) زاد في (س) بعدها : حدثنا يحيى بن إسماعيل قال . ا.هـ . وزاد في (خ) بعدها : حدثنا يحيى .

(٧) سقط من (س) .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي موسى الأشْعَرِيّ في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] (٢٦٨٧/٦) رقم (٦٩٤٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ (٢١٦٠/٤) رقم (٢٨٠٤)، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [الزمر: ٨]، (٤٤٤/٦) رقم (١١٤٤٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٨/٢) رقم (٦٤٢)، والحميدي في مسنده (٣٤١/٢) رقم (٧٧٤)، والطبراني في الأوسط (٧/٤) رقم (٣٤٧٠) .

قال الشيخ رحمه الله : قال بعض العلماء : معنى الحليم والصبور واحد وهو من الصفات [١] المتشابهة التي لولا ورود السمع [٢] لما جاز وصف الله بهما ، وقد سمى الله [٣] نفسه حليمًا في غير آية من كتابه ، ولم يسم نفسه صبورًا . فقالوا : يجوز أن يسمى الله حليمًا [٤] ويوصف بالحلم ، ولا يجوز أن يسمى صبورًا ؛ لأنه لم يرد السمع به [٥] ، وقال بعضهم : يجوز أن يسمى صبورًا ويوصف بالصبر ورووا [٦] خبرًا في الصبور .

وفرق بين الحلم والصبر بعضهم ، فقالوا : الحلم ينبئ عن [٧] التجاوز والعفو مع القدرة على الانتقام كرمًا وفضلًا ، والصبر ينبئ عن [٨] تحمل المكروه وتجرع الغصص ضرورة تكلفًا وتجلدًا ، والعفو والتجاوز والقدرة من صفات الله تعالى ، وليس التكلف والتجرع والضرورة من أوصافه ، تعالى عن ذلك ، فجوزوا وصفه بالحلم ومنعوا الصبر ، فالصبر من الخلق حبس النفس ومنعها عن شهواتها المحظورة فرضًا حتمًا ، وعن شهواتها المباحة تظرفًا [٩] وأدبًا ورياضة ، وقد قال الحكيم : لا ينبغي أن يفعل قليل الشهوة ولا كثيرها ، فإن كثيرها تلف ، وقليلها دناءة ، وحبس النفوس على تحمل المكاره وتجرع الغصص عند منازعة النفس إلى الاسترواح بالانتقام ، والجزع إما خوفًا مما هو أشد في المكروه منه من العقوبة عليه أو حاجة إلى الثواب [٨٧/أ] الموعود فيه ، والأذى كل ما يكره أو يسخط من قول ويؤلم ويغم من فعل .

فمعنى الصبر من الله عز وجل يجوز أن يكون حبس العقوبة عن المؤذي له بما يكره ويسخط ويبغض من الإشراك به وجعل الأولاد له ، وهو - جل وعز - قادر على الانتقام منهم والأخذ لهم والتدمير عليهم ؛ فهو يحبس عنهم عقوبته ويؤخر عنهم عذابه والأخذ ولا يعاجلهم بالعقوبة التي استحقوها على شركهم به وافترائهم عليه وهو مع تأخير العقوبة يرزقهم ويعافيهم ، فهو أصبر على الأذى من الخلق ؛ لأن الخلق يؤذون بما قد يجوز أن يكون ذلك لهم وفيهم ، وما يؤذى اللهُ به لا يجوز عليه بوجه من الوجوه حقيقة [١٠] ولا مجازًا ولا إضافة . وهم إن صبروا صبروا ضرورة وتكلفًا ورقًّا وعبودة ،

---

(١) سقط من (س) .
(٢) زاد في (س) بعدها : به .
(٣) سقط من (س) .
(٤ ، ٥) السابق .
(٦) في (س) : وروى .
(٧) في (س) : على .
(٨) السابق .
(٩) في هامش (خ) : الظرافة الكياسة .
(١٠) في (خ) : لا حقيقة .

ثم لا يحسنون إلى من يؤذيهم ، ففي الحديث إبانة عن كرم الله وفضله في ترك معاجلة العقوبة وتأخير العذاب وإدرار الرزق على المؤذي له ، وعافيته إياه ، فهذا كرمه في معاملة من يؤذيه ويكذب عليه ، وهو بغيضه وعدوه ، فما ظنك بمعاملته من يتحمل الأذى فيه ويثني عليه وهو وليه وحبيبه ، قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، وقال : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] سبحان الكريم الرحيم الرؤوف الحليم .

وفي الحديث أيضًا حثٌّ على الصبر وتحمل الأذى فيما يصيب العبد ؛ مما يكرهه ويغمه ويؤلمه ويشق عليه ، كأنه ﷺ يقول : إن الله تعالى يؤذي بالغاية من الأذى وهو قادر على الانتقام منهم ، وهو يؤخر عنهم عقوبته ويحبس عنهم عذابه مع تعاليه عن جر منفعةٍ فيه أو دفع مضرة عنه ؛ فالعبد المضطر المحتاج إلى الثواب الموعود على [الصبر والخوف] [١] من العقوبة المتوعد [٨٧/ب] على الجزع على أدنى أذى يلحقه ؛ ثم يعتاض[٢] عليه ما هو خير منه أولى وأحق أن يصبر (ن) .

٧٨

باب في غذاء الأبدان والأرواح

حديث آخر : [٣١٧] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى ح هشام [٣] ح عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال [٤] : « **أَيَّامُ التَّشْرِيقِ** [٥] **أَيَّامُ أَكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ – أَوْ** [٦] **– ذِكْرٍ للهِ تَعَالى** » [٧] .

---

(١) في الأصل : الخوف والصبر ا.هـ . وهذا الترتيب غير متسق وباقي الجملة .

(٢) في هامش (خ) : من العوض .

(٣) في هامش الأصل وفي (س) و (خ) : هشيم . ا.هـ . وهو الصواب ، تهذيب الكمال للمزي (٣٧٥/٢١) ترجمة رقم (٤٢٤٧) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : إن .

(٥) أيام التشريق : ثلاثة أيام تلي عيد النحر ، سميت بذلك من تشريق اللحم وهو تقديده وبسطه في الشمس ليجف ؛ لأن لحوم الأضاحي كانت تشرق فيها بمنى ، وقيل : سميت به ؛ لأن الهدي والضحايا لا تنحر حتى تشرق الشمس أي تطلع ، النهاية مادة (شرق) ، (٤٦٤/٢) .

(٦) في هامش (خ) : هذا شك الراوي .

(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن نبيشة الهذلي في كتاب الصيام باب تحريم صوم أيام التشريق (٨٠٠/٢) رقم (١١٤١) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الحج باب النهي عن صيام أيام =

قال الشيخ رحمه الله : إن الله تعالى أمر [١] خليله – صلوات الله عليه – ببناء بيته ، فلما فرغ من بنائه أمره بأن يدعو إليه عباده فقال : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [الحج : ٢٧، ٢٨] ، فدعاهم فأجابوه ، فهم يأتونه في كل وقت وحين ، متوجهين نحوه قاصدين إليه ، يقولون : لبيك اللَّهم لبيك ، فإذا حلوا بفنائه وأناخوا ببابه طافوا حول بيته فقربهم وأدناهم وصافحهم بيده التي هي الحجر فقبّلوها ، قال النبي ﷺ في الحَجَرِ : « **هُوَ يَمِينُ اللَّهِ التي يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ** » .

أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عبد الله الصائغ النَّيْسَابُورِيُّ ، قال : ح [أبو بكر] [٢] محمد بن إسحاق بن خزيمة ، قال : ح الحسن بن محمد الزَّعْفَرَانِيُّ [٣] ، قال : ح سعيد بن سليمان ، قال : ح عبد الله بن المؤمل ، قال : سمعت عطاء يحدث عن عبد الله بن عمرو [٤] أن النبي ﷺ قال : [٣١٨] « **يَأْتِي الرُّكْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ** [٥] **لَهُ لِسَانٌ وشَفَتَانِ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَنْ اسْتَلَمَهُ بِالنِّيَّةِ ، وَهُوَ يَمِينُ اللَّهِ تَعَالى التي يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ** » [٦] .

قال الشيخ رحمه الله : ثم خرجوا إليه يتعرضون لما عنده ويطلبون ما وعدهم بقوله : ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج : ٢٨] ، فأعطاهم ما سألوه وبلغهم ما أملوه وزادهم من فضله إنه لذو فضل عظيم ، وكل قد [٨٨/أ] أهدى على قدر وسعه ، ومبلغ طاقته

= منى (٤٦٣/٢) رقم (٤١٨٢) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن نبيشة الهذلي (٧٥/٥) رقم (٢٠٧٤١) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظ مقارب (٣١٢/٣) رقم (٦٠٦٠) ، والطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٨٨/٧) رقم (٧٢٣٦) ، وابن عدي في الكامل عن أبي هريرة (٤٠/٥) ترجمة رقم (١٢٠٩) .

(١) زاد في (س) بعدها : إبراهيم . (٢) سقط من (خ) .

(٣) الزَّعْفَرَانِيُّ : بفتح الزاي المنقوطة وسكون العين المهملة ، وفتح الفاء والراء المهملة ، والمشهور بها أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني البزاز ، وانتسابه إلى الزعفرانة ، وهي قرية من قرى سواد بغداد تحت كلوذا ، وليس إلى بيع الزعفران ، وهو أحد الأئمة المعروفين ، الأنساب (٣٦٧/٢) .

(٤) في (س) : عمر .

(٥) أبي قبيس : أبو قبيس جبل بمكة ، النهاية مادة (خشب) ، (٣٢/٢) .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده حتى قوله : (وشفتان) بلفظه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٢١١/٢) رقم (٦٩٧٨) ، والحاكم في مستدركه كاملًا بلفظه (٦٢٧/١) رقم (١٦٨١) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٢١/٤) رقم (٢٧٣٧) ، والطبراني في الأوسط بلفظ مقارب (٣٣٧/١) رقم (٥٦٧) .

توسلًا إليه وقربة منه مفتقرين أشعروا قلوبهم التقوى فذبحوا النسائك وأهدوا الهدايا فتقبلها منهم بتقوى قلوبهم ، فقال : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] ، فكانت التقوى هي الرافعة لتلك الهدايا إليه كما كان الكلم صاعدًا بالعمل الصالح إليه ، فلما قبلها منهم وحازها لديه وصارت له وحصلت عنده اتخذ لهم ضيافة ونصب لهم مائدة جمعهم عليها فأطعمهم مما عنده ، وهو ما تقربوا به إليه وقبله عنهم ، فصارت لهم مقبولة مطهرة وأذهب عنها وخامة [1] تصرفهم فيها ووباء مساكنتهم إليها ما طعمها إياهم وجاد بها عليهم فهم في ضيافته أيام منى التي هي أيام التشريق وهي ثلاثة أيام تمام الضيافة .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ أخ ابن المبارك عن عبد الحميد بن جعفر بن [2] سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيِّ ، عن أبي شريح الكَعْبِيِّ [3] ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٣١٩] « **للضَّيْفِ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ** » [4] ، والضيافة ثلاثة أيام ، فالله تعالى يوسع زواره ، وأهل ضيافته طعامًا وشرابًا ثلاثة أيام ثم هم بعد ذلك في عياله يجري عليهم مدة حياتهم ، ومن سنة الملوك أنهم إذا اتخذوا ضيافة أطعموا من على الباب كما يطعمون من في الدار ، فالكعبة البيت والحرم الدار ، وسائر أقطار الأرض باب الدار ، فعم الله تعالى الجميع بضيافته فقال [5] : ﴿ فَكُلُوا [6] مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ [الحج : ٢٨] ،

---

(١) الوخيم : الثقيل ، لسان العرب مادة (وخم) .

(٢) في (خ) : عن .

(٣) الكَعْبِيُّ : بفتح الكاف وسكون العين المهملة وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة ، هذه النسبة إلى أربعة الأول : منسوب إلى كعب بن ربيعة ، والثاني : منسوب إلى كعب بن عوف ، والثالث : منسوب إلى كعب خزاعة ، والرابع : منسوب إلى جده الأعلى ، الأنساب (١٥٦/٤) .

(٤) الحديث لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن أخرجه بلفظ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته** » قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : « **يوم وليلة** » البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٢٢٤٠/٥) رقم (٥٦٧٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب القطة باب الضيافة ونحوها (١٣٥٢/٣) رقم (٤٨) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في الضيافة (٣٤٢/٣) رقم (٣٧٤٨) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الضيافة وقال : حسن صحيح (٣٤٥/٤) رقم (١٩٦٧) ، والدارمي في سننه (١٣٤/٢) رقم (٢٠٣٥) ، وأحمد في مسنده (٣١/٤) رقم (١٦٤٢١) .

(٥) في (خ) : فقالوا .

(٦) في الأصل : كلوا .

وقال : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ [٨٨/ب] وَالْمُعْتَرَّ ﴾ [الحج : ٣٦] ، ثم الناس أبدان وأرواح ، فأطعم الله تعالى ضيفه ومن على بابه بقوله ﷻ : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ ، فهذا غذاء الأبدان ، وأوسع أرواحهم من غذائها بقوله : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ، وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا [١] اللَّهَ [٢] فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] ، فالطعام والشراب غذاء الأبدان ، وذكر الله تعالى غذاء الأرواح ؛ لذلك أمرهم بالأذكار ليكون غذاء لأرواحهم كما أمرهم بالأكل والإطعام ليكون غذاء لأبدانهم ، لذلك قال النبي ﷺ : « **أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذِكْرٍ للَّهِ تَعَالى** » .

٧٩
باب في الشح والإيمان

حديث آخر : [٣٢٠] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ أخ خالد ، عن سهيل ، عن صفوان يعني ابن أبي يزيد ، عن القعقاع ، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّهِ ودُخَانُ جَهَنَّم في جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا ، وَلا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ [٣] وَالإيمانُ في قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا** » [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : الشح أشد البخل ، فإن البخل أكثر ما يقال إنما يقال في النفقة وإمساكها ، قال الله تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ﴾ [محمد : ٣٨] ، وقال في الشح :

---

(١) في الأصل : فاذكروا .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) الشح : أشد البخل وهو أبلغ في المنع من البخل ، وقيل : هو البخل مع الحرص ، وقيل : البخل في أفراد الأمور وآحادها والشح عام ، وقيل : البخل بالمال والشح بالمال والمعروف ، النهاية مادة (شحح) ، (٤٤٨/٢) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظه عن أبي هريرة في باب الشح (ص ١٠٦) رقم (٢٨١) ، وأخرج الترمذيُّ جزأه الأول حتى (جهنم) في كتاب الزهد باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله وقال : حسن صحيح (٥٥٥/٤) رقم (٢٣١١) ، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى كاملًا بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الجهاد باب فضل من عمل في سبيل الله على قدميه (١٠/٣) رقم (٤٣١٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجهاد باب فضل غزو البحر (٩٢٧/٢) رقم (٢٧٧٤) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٢٥٦/٢) رقم (٧٤٧٤) ، والحاكم في المستدرك بلفظه (٨٢/٢) رقم (٢٣٩٥ ، ٢٣٩٤) .

﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ [الأحزاب : ١٩] ، وقال : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] ، فالشح ينبئ عن الكزازة (١) والامتناع والتأبي وقلة المؤاتاة (٢) ، فهو يكون في المال خاصة وفي جميع منافع البدن عامة ، فالإيمان هو التصديق ، ومن التصديق تصديق الله ﷻ فيما تكفل به من الأرزاق وفيما وعد من الخلف على الإنفاق والثواب في العقبى .

والبخل يكون من سوء الظن بالله ؛ لأنه يخاف [٨٩/أ] أن لا يخلف عليه ولم يتمكن تحقيق الثواب من قلبه فالبخل بالمال من سوء الظن (٣) [وسوء الظن] (٤) يوهن التصديق ، والامتناع وقلة المؤاتاة والتأبي قد يكون فيما بين العبد وأوامر الله تعالى وفروضه وأقضيته (٥) وأحكامه وفيما بينه وبين خلق الله تعالى في ترك المعاونة لهم والشفقة عليهم والنصح لهم ، فالامتناع والتأبي عند الأوامر يوهن التصديق بقبولها وصعوبة الانقياد وقلة المواتاة يوهن التصديق بالقدر [وقد قال ﷺ : [٣٢١] « **لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ** - ثَلاثَ مَرَّاتٍ (٦) - **حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ** » (٧)] (٨) فمن صدق بالقدر انقاد للأحكام ومن كان ممتنعًا قليل المعاونة تاركًا للنصح للمؤمنين غير مشفق عليهم فكأنه ليس منهم ، وقال النبي ﷺ : [٣٢٢] « **المؤْمِنُونَ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا** » (٩) ، وقال ﷺ :

---

(١) الكزازة : اليبس والانقباض ، لسان العرب مادة (كزز) .

(٢) في هامش (خ) : الموافقة .

(٣) زاد في (س) بعدها : بالله .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) في هامش (خ) : أي قال ﷺ هذه الكلمة ثلاث مرات .

(٧) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن جابر بن عبد الله في كتاب القدر باب ما جاء أن الإيمان بالقدر خيره وشره ، وقال : (هذا حديث غريب من حديث جابر لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وعبد الله بن ميمون منكر الحديث ، (٤٥١/٤) رقم (٢١٤٤) ، وابن ماجه في سننه بنحوه عن علي في افتتاح الكتاب باب في القدر (٣٢/١) رقم (٨١) ، وأحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو (٢١٢/٢) رقم (٦٩٨٥) ، والطبراني في الكبير عن سهل بن سعد (١٧٢/٦) رقم (٥٩٠٠) ، وابن عدي في الكامل عن جابر (١٨٨/٤) ترجمة رقم (١٠٠٢) .

(٨) سقط من (س) .

(٩) هذا معنى حديث لفظه : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** » وهو حديث متفق عليه أخرجه البخاري عن أبي موسى في كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (١٨٢/١) رقم (٤٦٧) ، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (١٩٩٩/٤) رقم (٢٥٨٥) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم وقال : صحيح (٣٢٥/٤) رقم (١٩٢٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الزكاة باب أجر الخادم إذا تصدق بإذن مولاه (٤١/٢) رقم (٢٣٤١) .

[٣٢٣] « **والله لا تؤمنون حتى تحابوا** » (١) ؛ فالشح من جميع وجوهه يخالف الإيمان وحقيقته ، فلذلك قال النبي ﷺ : « **لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا** » .

والمعنى في الإيمان حقيقة الإيمان الذي هو حقه وموجبه كما أخبر حارثة عن نفسه من حقيقة الإيمان وتمكن التصديق من قلبه بما أخبر اللّٰه عنه حتى صار كأنه يشاهده شهود عيان ، فمن تحقق في إيمانه وصدق بإيقانه سهل عليه ترك الدنيا والعزوف عنها كما قال النبي ﷺ في قوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، فقال النبي ﷺ : [٣٢٤] « **إِذَا دَخَلَ النُّورُ فِي الْقَلْبِ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ** » . قِيلَ : فمَا (٢) عَلامَةُ ذَلِكَ ؟ (٣) ، قَالَ : « **التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ والإنَابَةُ إِلى دَارِ الخلُودِ** (٤) » (٥) . فأخبر أن من نور الإيمان قلبه وشرح اللّٰه للإسلام صدره سهل [٨٩/ب] عليه الإعراض عن الدنيا ، فمن عكف عليها وبخل بها وسكن إليها وشح عليها لم يتخامر (٦) حقيقة الإيمان قلبه شهودًا وإن أقر بلسانه ، ولم ينطق على تكذيبه عقدًا فهذا مؤمن ضعيف الإيمان ، قال النبي ﷺ : [٣٢٥] « **وذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمانِ** » (٧) ؛ فوصف

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظ مقارب عن أبي هريرة (ص ٣٤٠) رقم (٩٨٠) ، ومسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٧٤/١) رقم (٥٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في إفشاء السلام (٣٥٠/٤) رقم (٥١٩٣) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الاستئذان باب ما جاء في إفشاء السلام ، وقال : حسن صحيح (٥٢/٥) رقم (٢٦٨٨) ، وابن ماجه في سننه في افتتاح الكتاب باب في الإيمان (٢٦/١) رقم (٦٨) .

(٢) في (خ) : وما .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) زاد في (خ) بعدها : « والاستعداد للموت قبل نزوله » .

(٥) زاد في (س) بعدها : والاستعداد للموت قبل نزوله ا.هـ . والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود ، وقال الذهبي : عدي بن الفضل ساقط (٣٤٦/٤) رقم (٧٨٦٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٢/٧) رقم (١٠٥٥٢) ، وابن المبارك في الزهد عن محمد بن علي (ص ١٠٦) رقم (٣١٥) ، وقد أعله الدارقطني في العلل الواردة في الأحاديث النبوية (١٨٩/٥) رقم (٨١٢) ، ونقل ذلك عنه ابن الجوزي في العلل المتناهية قال : (وروي من طرق كلها وهم) وتبعه قائلًا : (وهو الصواب) (٨٠٣/٢) رقم (١٣٤٢) .

(٦) في هامش (خ) : أي لم يخالط .

(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أبي بكر في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٦٩/١) رقم (٤٩) ، وأبو داود في سننه عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في أول كتاب الملاحم باب الأمر والنهي (١٢٣/٤) رقم (٤٣٤٠) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر =

الإيمان بالضعف ولم ينفه ، كذلك - إن شاء الله - قوله : « **لا يجتمع الشح والإيمان** [١] **في قلب عبدٍ أبدًا** » [٢] .

٨٠
باب في النهي عن قتل النمل

حديث آخر : [٣٢٦] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى ح حاتم بن إسماعيل ، عن أبي بكر بن يحيى ، عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « **نَـزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِياءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ ، فَرَجَعَ فَأَمَرَ بجهَازِهِ فَأُخرِجَ مِنْ تحتِهَا ، وأَمَرَ بِقَرْيَتِهَا فَأُحْرِقَتْ بِالنَّارِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالى** [٣] **: فَهَلا نَمْلَةً وَاحِدَةً ؟** » [٤] .

وروى في حديث آخر : [٣٢٧] « **أَنَّه مَرَّ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ بِقَرْيَةٍ أَوْ مَدِينَةٍ أَهْلَكَهَا اللَّهُ وَأَهْلَهَا فَقَالَ : يَا رَبِّ قَدْ كَانَ فِيهِم صِبْيَانٌ ودَوَابٌّ ومَنْ لم يَقْتَرِفْ الذَّنْبَ فَهُوَ الذي نَـزَلَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَلَدَغَتْهُ النَّمْلَةُ** » [٥] [٦] .

قال الشيخ رحمه الله : إن كان هذا النبي الذي أحرق قرية النمل هو هذا القائل ، فقد

= باليد أو باللسان أو بالقلب وقال : حسن صحيح (٤/٤٦٩) رقم (٢١٧٢) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الإيمان وشرائعه باب تفاضل أهل الإيمان (٦/٥٣٢) رقم (١١٧٣٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في صلاة العيدين (١/٤٠٦) رقم (١٢٧٥) .

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : أي لا يجتمع الشح وقوة الإيمان .

(٢) في هامش (خ) : ولم يفسر الشارح قوله ﷺ : « **لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبدٍ أبدًا** » .

(٣) زاد في (س) بعدها : إليه .

(٤) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (٣/١٢٠٦) رقم (٣١٤١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب النهي عن قتل النمل (٤/١٧٥٩) رقم (٢٢٤١) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب ، باب في قتل الذر (٤/٣٦٧) رقم (٥٢٦٥) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن الحسن في كتاب ما قذفه البحر باب قتل النمل (٣/١٦٧) رقم (٤٨٧١) ، وأحمد في مسنده (٢/٣١٣) رقم (٨١١٥) .

(٥) في (س) : نملة .

(٦) لم أقف عليه وقد ذكر هذه الرواية المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٨٥) ، وابن حجر في الفتح (٦/٣٥٨) ، والمناوي في فيض القدير (٤/٥١٥) ، وإبراهيم الحسيني في البيان والتعريف (٢/١٣٠) ولم يعزها أحد منهم إلى راويها .

يجوز أن يكون الذي جرى عليه من إحراق قرية النمل تنبيهًا له على اعتراضه على اللَّه ﷻ وذلك أن للَّه ﷻ أن يفعل بعباده ما يشاء من رحمة وعذاب ؛ لأن الخلق خلقه ، والملك ملكه وليس فوقه آمر ولا له زاجر ، فلا يكون له أن يخالف أمره أو يحدث في ملكه بغير إذن ، بل هو اللَّه[1] الذي لا إله غيره خلق الخلق حين شاء لما يشاء ، فإن رحمهم ونعمهم فهو المتفضل في ذلك ، وإن هو عذبهم وآلمهم فهو العدل [٩٠/أ] الذي لا يجور ، وله أن يفعل ما يشاء ، قال النبي ﷺ : [٣٢٨] « **لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالى عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَعَذَّبَهُم وَهُوَ لَهُم غَيْرُ ظَالِمٍ** »[2] ، فهو لا يسأل عما يفعل [وهم يسألون][3] ، وإنما يسأل من هو تحت قدرة غيره وفوقه آمرٌ وله سانٌّ سنَّ له سنة وبين له طريقة وأمره ونهاه وحدَّ له حدودًا ، فإن جاوزها أو عدل عما بين له من السنة ويخالف الأمر ويرتكب النهي وقع عليه السؤال ، وكان في ذلك جائرًا ظالمًا ، قال اللَّه تعالى : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، فيجوز أن يكون هذا النبي لما قال ما قال في الأمة التي أهلكها اللَّه كان منه ذلك شبه الاعتراض على ربه ، ولم يكن له ذلك . وسأل عما لا ينبغي له السؤال عنه ابتلاه اللَّه بالنملة التي عضته فأحرق قريتها ، فقال اللَّه له : « **فهلا نملة واحدة ؟** » ، كأنه قال له : إنك عبدٌ مأمور منهيٌّ جنت عليك نملة واحدة فأحرقت أمة منها ، فكيف تعترض على مالكٍ يفعل في ملكه ما يشاء ؛ ليكون ذلك زجرًا له عن مثل ما أتى به من الاعتراض وتأدبًا فيما تعدى من[4] طور العبودية ، ولم يستسلم للَّه الملك القادر الجبار القاهر ، ويكون إحراقه إياها نوعًا من الإفناء والقتل مع جواز ذلك في شريعته ، فلا يكون ذلك منه[5] ارتكاب ذنب وجناية على أمة لا ذنب لها ، كما كان نتف الريش والتعذيب بالشمس للطير الذي ليس عليه أمرٌ ولا نهيٌ جائزًا لسليمان ﷺ حين توعد الهدهد فقال : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ

---

(١) في (خ) : القادر .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي بن كعب في أول كتاب السنة باب في القدر (٢٢٥/٤) رقم (٤٦٩٩) ، وابن ماجه في سننه في افتتاح الكتاب باب في القدر (٢٩/١) رقم (٧٧) ، وأحمد في مسنده (١٨٢/٥) رقم (٢١٦٢٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٠٤/١٠) رقم (٢٠٦٦٣) ، وابن حبان في صحيحه (٥٠٦/٢) رقم (٧٢٧) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة عن زيد بن ثابت (١٠٩/١) رقم (٢٤٥) ، والطبراني في الكبير (٢٢٣/١٨) رقم (٥٥٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني بإسنادين ورجال هذه الطريق ثقات (١٩٩/٧) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (س) : عن .

(٥) من هامش الأصل .

لَأَاذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل : ٢١] وكما كان (١) في شريعته إتلاف الخيل الجياد التي ضرب أعناقها [٩٠/ب] وسوقها لا للقربان ولا ذبحًا كما يذبح البهائم للانتفاع بها ، وقد أمر النبي ﷺ بقتل خمس في الحرم من غير جناية وهي الحية والفأرة والعقرب والغراب والكلب العقور (٢) ، وفي خبر آخر : الحدأة (٣) . وقال : [٣٢٩] « **مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَلَهُ كَذَا** » (٤) ونهى عن استحيائها .

حدثنا حاتم ح يحيى ح زيد بن حباب أخبرني داود بن أبي الفرات عن محمد بن زيد العَبْدِيُّ قاضي خراسان عن أبي الأعين عن أبي الأحوص الجُشَمِيِّ (٥) أنه سمع ابن مسعود ﷺ قال : سمعت رسول الله يقول : [٣٣٠] « **مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَكَأَنَّمَا قَتَلَ كَافِرًا** » (٦) .

حدثنا محمد بن الحسن الأَزْرَكْيَانيُّ (٧) ح أبو مسلم الكَجِّيُّ ح أبو عاصم عن محمد

---

(١) في (س) و (خ) : جاز .

(٢) يشير بذلك إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن جبير في كتاب الحج باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب (٨٥٨/٢) رقم (١٢٠٠) ، والنسائي في سننه الكبرى عن ابن عمر في كتاب مناسك الحج باب ما يقتل المحرم من الدواب (٣٧٣/٢) رقم (٣٨١١) ، ومالك في الموطأ عن هشام ابن عروة عن أبيه (٣٥٧/١) رقم (٧٩١) ، والدارمي في سننه عن عائشة (٥٦/٢) رقم (١٨١٧) ، وأحمد في مسنده عن ابن عمر (٥٢/٢) رقم (٥١٣٢) .

(٣) من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة في كتاب الحج ، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم (٨٥٦/٢) رقم (١١٩٨) ، والدارمي في سننه (٥٦/٢) رقم (١٨١٧) .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن ابن مسعود مرفوعًا ولفظه : « **من قتل حية فله سبع حسنات** » (٤٢٠/١) رقم (٣٩٨٤) ، وابن حبان في صحيحه (٤٤٦/١٢) رقم (٥٦٣٠) ، والطبراني في الكبير (٢٠٩/١٠) رقم (١٠٤٩٢) ، وقد صحح الدارقطني في العلل الواردة من الأحاديث النبوية حديث ابن مسعود المرفوع (٢٧٤/٥) رقم (٨٧٧) .

(٥) الجُشَمِيُّ : بضم الجيم ، وفتح الشين ، وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى قبائل منها جشم بن الخزرج ، الأنساب (٤١٣/١) .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن ابن مسعود (٣٩٤/١) رقم (٣٧٤٦) ، والأَزْدِيُّ في جامعه بلفظه (٤٣٦/٢) رقم (١٩٦٢١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب (٢٦٢/٤) رقم (١٩٩١٥) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٢١/٩) رقم (٥٣٢٠) ، والشاشي في مسنده (٤٢١/٢) رقم (٤٣٨) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (٤٢/٢) رقم (٣١٥) ، والطبراني في الكبير (٣٥١/٩) رقم (٩٧٤٥) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد بلفظه (٢٣٤/٢) ترجمة رقم (٦٩٠) .

(٧) الأَزْرَكْيَانيُّ : بفتح الألف وسكون الزاي وفتح الراء وسكون الكاف وفتح الياء آخر الحروف ثم الألف =

ابن عجلان [(١)] عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ في الحيات : [٣٣١] « **مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ ، فَمَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ خِيفَةً فَلَيْسَ مِنَّا** » [(٢)] وأَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلابِ [(٣)] .

فكذلك يجوز أن يكون قتل النمل كان [(٤)] غير منهي عنه أو مأمورًا به في شريعة ذلك النبي ، وكذلك الإحراق ؛ إذ ليس في الإحراق إلا الإهلاك والإفناء بالآلام ، وقد أمر النبي ﷺ بإحراق بعض الكفار ثم نهى عنه [(٥)] فكان أمره به سائغًا جائزًا ، ولولا ذلك ما أمر به ، ثم نسخ ذلك بالنهي عنه ، وسمل [(٦)] أعين قوم وقطع أيديهم وأرجلهم وتركهم في الشمس يستسقون ولا يسقون حتى ماتوا ثم نهى [(٧)] عن المثلة [(٨)] .

= وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى أزركيان ، وهو اسم مجوسي من أهل بخارى كان تاجرًا خرج من بخارى في التجارة إلى الصين ، ثم خرج من الصين إلى البصرة ، ثم ذهب إلى علي بن أبي طالب ﷺ فأسلم على يديه ، ومن أولاده : أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن الحسن بن باباج بن الأزركيان من أهل بخارى ، الأنساب (٨٧/١) .

(١) زاد في (س) بعدها : عن أبيه .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب في قتل الحيات (٣٦٣/٤) رقم (٥٢٤٨) ، وأحمد في مسنده (٥٢٠/٢) رقم (١٠٧٥٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤٦١/١٢) رقم (٥٦٤٤) ، والحميدي في مسنده (٤٨٩/٢) رقم (١١٥٦) .

(٣) يشير بذلك إلى ما أخرجه أبو داود وغيره عن عبد الله بن مغفل رفعه قال : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم » كتاب الصيد باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره (١٠٨/٣) رقم (٢٨٤٥) ، والترمذِيُّ في جامعه في كتاب الصيد باب ما جاء في قتل الكلاب وقال : حديث عبد الله ابن مغفل حديث حسن صحيح (٧٨/٤) رقم (١٤٨٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصيد والذبائح باب صفة الكلاب التي أمر بقتلها (١٤٨/٣) رقم (٤٧٩١) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصيد باب النهي عن اقتناء الكلب إلا كلب صيد أو حرث أو ماشية (١٠٦٩/٢) رقم (٣٢٠٥) .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب لا يعذب بعذاب الله عن أبي هريرة ﷺ قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال : « **إن وجدتم فلانًا وفلانًا فاحرقوهما بالنار** » ، ثم قال حين أردنا الخروج : « **إني أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلانًا وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما** » ، (١٠٩٨/٣) رقم (٢٨٥٣) ، وقد أخرجه أيضًا أحمد وأبو داود والترمذِيُّ وصححه .

(٦) سمل أعين القوم : أي فقأها بحديدة محماة أو غيرها . وقيل : هو فقؤها بالشوك . وإنما فعل بهم ذلك ؛ لأنهم فعلوا بالرعاة مثله وقتلوهم فجازاهم على صنيعهم بمثله ، النهاية مادة (سمل) ، (٤٠٣/٢) .

(٧) زاد في (س) و (خ) بعدها : بعد ذلك .

(٨) المثلة : يقال : مثلت بالحيوان أمثل به مثلًا إذا قطعت أطرافه وشوهت به ومثلت بالقتيل إذا جدعت أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئًا من أطرافه ، النهاية مادة (مثل) ، (٢٩٤/٤) ، والنهي عن المثلة ورد في أحاديث =

فكذلك يجوز أن يكون كان مباحًا إهلاك هذه الأمة التي هي النمل - كما هو [(١)] مباح قتل أمم خمس وإهلاكهم ، فكذلك يجوز أن يكون كان مباحًا إحراق ما جاز إهلاكه ، فيكون ذلك النبي عليه السلام أهلك وأفنى ما يجوز [(٢)] إهلاكه [٩١/أ] وإفناؤه بألم النار كما جاز إهلاك هذه الأمم بألم القتل .

ومما يدل على ذلك قوله ﷻ : « **إلا** [(٣)] **نملة واحدة** » إنما نبه على أنه فعل ذلك بأمة لم تجن عليه منها إلا واحدة ، فقوله : « **إلا نملة واحدة** » دليل على أنه لو أحرق واحدة منها لم يعاتب عليه وإنما عوتب - إن شاء الله - على أنه فعل ذلك للانتقام لنفسه والتشفي منها لا لأمر سبق وكان الفعل مباحًا غير منهي عنه .

٨١
باب في النهي عن اليمين الكاذبة في البيع

حديث آخر : [٣٣٢] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى ح عبد العزيز عن العلاء [(٤)] عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اليَمِينُ الكَاذِبَةُ مُنْفِقَةٌ** [(٥)] **للسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ** [(٦)] **لِلكَسْبِ** » [(٧)] .

قال الشيخ رحمه الله : معناه - إن شاء الله - أن اليمين الكاذبة في البيع أنه أعطى

= كثيرة منها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن يزيد الأَنْصَارِيِّ قال : « نهى النبي عن النهبى والمثلة » كتاب المظالم باب النهبى بغير إذن صاحبه (٢/٨٧٥) رقم (٢٣٤٢) .

(١) في (س) و (خ) : أنه .

(٢) زاد في (س) بعدها : له .

(٣) كذا في الأصل و (س) أما في (خ) : « هلا » وهو ما ورد في الحديث .

(٤) زاد في (خ) بعدها : ابن عبد الرحمن .

(٥) منفقة : يقال : نفقت السلعة فهي نافقة ، النهاية مادة (نفق) ، (٥/٩٨) .

(٦) ممحقة : المحق النقص والمحو والإبطال ، النهاية مادة (محق) ، (٤/٣٠٣) .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب البيوع باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع (٢/٧٣٥) رقم (١٩٨١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب النهي عن الحلف في البيع (٣/١٢٢٨) رقم (١٦٠٦) ، وأبو داود في سننه بألفاظ مختلفة في كتاب البيوع باب في كراهية اليمين في البيع (٣/٢٤٥) رقم (٣٣٣٥) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظ مقارب في كتاب البيوع باب المنفق سلعته بالحلف الكاذب (٤/٦) رقم (٦٠٥٢) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢/٢٣٥) رقم (٧٢٠٦) .

بالسلعة كذا وكذا ينفق السلعة في حسبان الحالف وظنه كأنه [يقدر في نفسه] [١] ، ويظن أنه إذا حلف على ذلك صدقه المشتري وأعطاه ما أراد ، فإن كان القدر من الله قد سبق له بذلك ، وكان الله تعالى جعل ذلك رزقًا له نفقت سلعته ، وأما إن لم يكن سبق القضاء والقدر به لم تكن اليمين منفقة للسلعة ، وكذلك إذا حلف على [٢] أنه اشتراها بكذا [٣] وهو كاذب فإنه يقدر أن يربح عليها ويحسب أنه يصدق عليه ويظن أن يمينه على ذلك مما يطيب نفس المشتري فربما كان كما قدر وربما خالف تقدير الله تقدير الحالف في نفسه ، فإن وافق تقدير الله ظنه وتقديره في نفسه فباع السلعة بما حلف عليه محق ذلك كسبه وأذهب بركة تجارته [٤] وكسبه إما بتلف يلحقه في ماله أو نفقه في غير ما يعود نفعه عليه في العاجل أو يرجى ثوابه في الآجل وإن بقيت عنده حرم [٩١/ب] نفعه وورثه من لا يحمده [٥] ويقدم على من [٦] لا يعذره ، فأي محق لكسب أكثر من ذلك أو أشد [٧] .

٨٢
باب في الكرم والعفو والتواضع

حديث آخر : [٣٣٣] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى أخ عبد العزيز عن العلاء [٨] عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَا نَقَصَتْ أَحَدًا صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ رَجُلًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا** [٩] » [١٠] .

قال الشيخ رحمه الله : هذا تشجيع من النبي عليه السلام للعبد فيما يهوله ، وتسهيل منه فيما

---

(١) في (س) : قدر .
(٢) سقط من (س) .
(٣) من هامش الأصل .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) في (س) : يحمد .
(٦) سقط من (س) .
(٧) زاد في (خ) بعدها : نعوذ بالله من الخذلان . (٨) زاد في (س) و (خ) بعدها : عن أبيه .
(٩) في هامش (خ) : أي بهذه الخصلة .
(١٠) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع (٢٠٠١/٤) رقم (٢٥٨٨) ، والترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب في كتاب البر والصلة باب ما جاء في التواضع وقال : حسن صحيح (٣٧٦/٤) رقم (٢٠٢٩) ، ومالك في الموطأ بألفاظ مختلفة مرسلًا (١٠٠٠/٢) رقم (١٨١٧) ، والدارمي في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة (٤٨٦/١) رقم (١٦٧٦) ، وأحمد في مسنده (٣٨٦/٢) رقم (٨٩٩٦) ، ولم أقف في أي من روايات الحديث على لفظة « بها » .

يعسر عليه ، وإزالة ظن [١] السوء بالله ﷻ عن العبد ، وتكذيب للشيطان فيما يعد العبد من الفقر في الإنفاق والصدقة ، فقوله : « **ما نقصت أحدًا صدقة من مال** » يجوز أن يكون معناه أن يراد بالصدقة الزكاة المفروضة ، فإخراج الزكاة لا ينقص من مال العبد شيئًا [لأنه إذا حال الحول على مائتي درهم في يده وجب حق المساكين في خمسة منه] [٢] فكأن ماله الذي يجوز له التصرف فيه ويطيب له إمساكه عنده مائة وخمسة وتسعون درهمًا ؛ لأن الخمسة منها حق المساكين ، فإخراج الخمسة لم [٣] ينقص من المال الذي هو نصيبه من المائتين وهو المائة والخمسة والتسعون ، والذي أخرج كأنه لم يكن ماله ، وإنما كان مال المساكين في يده فإخراجه إليهم ورده عليهم لم يكن ناقصًا [٤] من ماله شيئًا .

ويجوز أن يكون معناه أن الله تعالى يخلف عليه مما أنفق [منه أو] [٥] تصدق عنه بما هو خير منه وأكثر وأطيب ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [سبأ: ٣٩] ، ويجوز أن يبارك له في الباقي فينوب الباقي عنده منابه ومناب ما أنفق به وتصدق به [٦] وأضعافه ، فإن خرج عن هذه [٩٢/أ] الوجوه فقد حصل له عند الله ما أنفقه فهو له عنده مدخر ، فكأنه أحرزه واستوثق منه في الحفظ له والصون مما يفنيه ويذهبه ، فقد قال الله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] .

إذن فالناقص ما ينفد ويفنى لا ما يصان فيبقى ، والعفو هو التجاوز عن المسيء إليك والجاني عليك فيسبق إلى وهم الإنسان أن ترك الانتقام ممن أساء إليه ، وعقوبة من جنى عليهم ذل وعجز وهوان يلحقه ، وليس كذلك بل الله تعالى يزيده بذلك عزًّا بأن ينتقم له من المسيء إليه وينتصر له من الجاني عليه ، ومن كان الله منتقمًا له ، ومنتصرًا ممن [٧] جنى عليه فهو العزيز الذي لا أعز منه ، فإن فعل الله ذلك به في الدنيا فقد زاده عزًّا هو أعز من اعتزازه في نفسه بالانتقام والعقوبة ، وإن أخر ذلك إلى الآخرة ، فاقتص له من حسنات الظالم له وطرح سيئاته على الجاني عليه ذل الظالم ذلًا لا ذل مثله فيكون [٨]

---

(١) في (س) : خلق .
(٢) من هامش الأصل .
(٣) في (س) : لا .
(٤) زاد في (خ) بعدها : له .
(٥) سقط من (س) .
(٦) زاد في (س) و (خ) بعدها : فهو يخلفه .
(٧) في (س) : مما .
(٨) زاد في الأصل بعدها : الذي . ا.هـ . وهي ليست في (س) وغير ملائمة للسياق .

مثل الذي [1] يطؤه أهل المحشر ، ويطرح الظالم بدله في النار أو يستوهب اللَّه منه جناية الجاني عليه وظلم الظالم له ، فأي عز يبلغ عز من يستوهب منه مالك الملوك وسيد السادات والحي القيوم ، ثم يعوضه على ما جني عليه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن تواضع للَّه في الدنيا رقًّا وعبودة في ائتمار أمره وانتهاء نهيه والاستسلام لحكمه رفعه اللَّه في الآخرة على سرير خلد لا يفنى ، ومنبر ملك لا يبلى ، ومن تواضع للَّه في احتمال مؤن خلقه كفاه اللَّه كل مؤنة وتولى أمره وتوكل له ، فأية رفعة تبلغ هذا ؟ وأية مرتبة تكون فوق مرتبة من يكون اللَّه وكيله ومتولي أموره ؟ ومن تواضع للَّه في قبول الحق [٩٢/ب] ممن دونه قبل اللَّه منه مدخول طاعاته ، وجازاه بقليل حسناته رفيع درجاته ، ومن تواضع للَّه في حفظ عباده والذب عنهم رفعه اللَّه بمعقبات يجعلهم من بين أيديه ومن خلفه يحفظونه بأمره ويحرسونه من أعدائه ، ويتولى إذلال عدوه له بقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] . فمن أرفع منزلة وأجل قدرًا ممن يكون اللَّه متولي الذب عنه والناصر له ؟ سبحانه ما ألطفه بعباده المؤمنين ، وأجزل ثوابه للمحسنين ، وأحسن تجاوزه عن المسيئين ! .

٨٣
باب في ضحك اللَّه تعالى

حديث آخر : [٣٣٤] حدثنا أحمد بن عبد اللَّه بن محمد ح عبد اللَّه بن محمد البَغَوِيُّ حدثني [2] أحمد بن منصور الرَّمَادِيُّ [3] ومحمد بن إبراهيم البزاز قالا ح أحمد ابن عتابٍ حدثني عيسى بن يونس حدثني سعيد بن عثمان البَلَوِيُّ [4] عن عروة بن سعيد الأَنْصَارِيِّ عن أبيه عن الحصين بن وحوح أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ مَرِضَ فَأَتَاهُ [5]

---

(١) في (س) : الذر .

(٢) في (س) : قال .

(٣) الرَّمَادِيُّ : بفتح الراء والميم وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى موضعين أحدهما إلى رمادة اليمن ، قرية بها ، والثاني منسوب إلى رمادة فلسطين ، ومن رمادة اليمن أبو بكر أحمد بن منصور بن سيار بن معارك الرمادي ، وكان ثقة صدوقًا مكثرًا ، صنف « المسند » ، الأنساب (٣٢٢/٢) .

(٤) البلوي : بفتح الباء المنقوطة بواحدة واللام ، وفي آخرها الواو ، هذه النسبة إلى « بلى » وهي قبيلة من قضاعة ، الأنساب (٢٨٦/١) . وجاء في حاشية الأنساب أن « بلى » قرية ببلخ .

(٥) السابق .

النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لأَهْلِهِ : « إِنِّي لأَرَى طَلْحَةَ قَدْ حَدَثَ فِيهِ الْمَوْتُ ، [فَإِذَا تُوفِّيَ] [١] فَآذِنُونِي بِهِ حَتَّى أَشْهَدَهُ وأُصَلِّيَ عَلَيْهِ » ، فَلَمْ يَبْلُغِ النَّبِيُّ ﷺ بَنِي سَالِم بْنِ عَوْفٍ حَتَّى تُوفِّيَ ، وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ طَلْحَةُ : ادْفِنُونِي وأَلْحِقُونِي بِرَبِّي وَلا تَدْعُوا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ الْيَهُودَ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ ، فَصَفَّ النَّاسَ مَعَهُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وقَالَ : « اللَّهُمَّ الْقَ [٢] طَلْحَةَ يَضْحَكُ إِلَيْكَ وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : الضحك شيء يختص به الإنسان من بين سائر الحيوان ، ومعناه : استفادة سرور يلحقه ، فينبسط له عروق قلبه ، فيجري الدم فيها فيفيض إلى سائر عروق بدنه [٩٣/أ] فتثور فيه حرارة ، فينبسط لها وجهه ، وتملأ الحرارة فاه ، فيضيق عنها فتتفتح شفتاه ، وتبدو له أسنانه ، فإن تزايد ذلك السرور ولم يكن في الإنسان ما يضبط نفسه استخفها الفرح فضحك حتى قهقه ؛ ولذلك قيل في صفة النبي ﷺ : [٣٣٥] « وَضَحِكُهُ تَبَسُّمٌ » [٤] [٥] ؛ لأنه ﷺ كان لا يستخفه السرور فيغلبه فيقهقه ، وهذه الصفة عن الله ﷻ منفية ، وجميع أوصاف الحدث ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وقد وردت الأخبار عن رسول الله ﷺ بوصف الله ﷻ بالضحك ، من ذلك : ما حدثنا حاتم ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانيُّ ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) في (س) : الحق .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه مختصرًا عن الحصين بن وحوح في كتاب الجنائز باب التعجيل بالجنازة وكراهة حبسها (٣/٢٠٠) رقم (٣١٥٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣/٣٨٦) رقم (٦٤١٢) ، وابن سعد في طبقاته (٤/٣٥٤) ، وابن عمرو الشَّيْبانيُّ في الآحاد والمثاني (٤/٥٥) رقم (٢١٣٩) ، والطبراني في الكبير عن طلحة بن البراء مطولًا (٨/٣١١) رقم (٨١٦٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني مرسلًا (٩/٣٦٥) ، ورجح ابن حجر في الإصابة إرسال الحديث بهذا الإسناد ، الإصابة (٢/٩٢) ترجمة رقم (١٧٥١) وقد ذكر صاحب عون المعبود تحسين ابن عبد البر للحديث ضمن تسعة أحاديث في الصلاة على الميت عند القبر ، عون المعبود شرح سنن أبي داود (٩/٣) .

(٤) في (خ) : وضحكه كان تبسمًا .

(٥) أخرجه الترمِذِيُّ في الشمائل المحمدية عن الحسن بن علي بلفظ : « جل ضحكه التبسم » (٢/١٨٥) رقم (٢٢٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٥٤) رقم (١٤٣٠) ، والطبراني في الكبير (٢٢/١٥٥) رقم (٤١٤) ، وأخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ : « ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسمًا » في كتاب المناقب باب في بشاشة النبي ﷺ وقال : صحيح غريب (٥/٦٠١) رقم (٣٦٤٢) .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٣٣٦] « **يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ كِلاهُمَا دَاخِلٌ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلَ وَيُسْتَشْهَدَ ثُمَّ يَتُوبُ** [١] **اللَّهُ عَلَى هَذَا فَيُسْلِمَ ، فَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُقْتَلَ** [٢] **وَيُسْتَشْهَدَ** [٣] » [٤] .

وحدثنا أبو محمد [أحمد بن] [٥] عبد الله المُزَنِيّ [٦] ح يوسف بن موسى ح أبو هارون إسماعيل بن محمد ح حبيب كاتب مالك بن أنس ح مالك بن أنس عن مصعب بن محمد بن شرحبيل عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن سليمان بن بشار [٧] أن عوف بن الحارث وهو أحد بني عفراء قال لرسول الله ﷺ : [٣٣٧] مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ قَالَ : « **غَمْسُهُ يَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَاسِرًا** » . قَالَ : فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ شَدَّ عَلَى القَوْمِ فَقَتَلَ بَشَرًا كَثِيرًا ثُمَّ قُتِلَ [٨] .

فإذا وردت الأخبار عن رسول الله ﷺ بهذه الصفة وجب علينا الإيمان به [٩٣/ب] والتسليم له ، ونفي أوصاف الحدث عن الله ﷻ ، والتشبيه له بخلقه - جل وعز - ووجب حمل معنى هذه الصفة على ما يليق به ، فيجوز أن يحمل معناه على الرضا من عبده واختصاصه له ؛ لأن الضحك إنما يكون من السرور ، ومن سره شيء رضي به واختصه لنفسه وآثره ، يدل على ذلك قوله : « ما يضحك الرب من عبده » ، أي :

---

(١) في (س) : يموت . (٢) سقط من (س) .
(٣) في (خ) : فيستشهد .
(٤) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الجهاد والسير باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم (١٠٤٠/٣) رقم (٢٦٧١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (١٥٠٤/٣) رقم (١٨٩٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير باب المعافاة والعقوبة (٤٢٠/٤) رقم (٧٧٦٧) ، وابن ماجه في سننه في افتتاح الكتاب باب فيما أنكرت الجهمية (٦٨/١) رقم (١٩١) ، ومالك في الموطأ (٤٦٠/٢) رقم (٩٨٣) ، وأحمد في مسنده (٤٦٤/٢) رقم (٩٩٧٧) .
(٥) سقط من (س) .
(٦) المُزَنِيّ : بضم الميم وفتح الزاي ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى مزينة ومنها أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني الذي يقال له : الشيخ الجليل ببخارى ، من أهل هراة ، الأنساب (٢٨٦/٤) .
(٧) في (س) : يسار .
(٨) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن عاصم بن عمر بن قتادة (٩٩/٩) رقم (١٧٩٧٧) ، والطبري في تاريخه (٣٣/٢) ، ونسبه ابن هشام في السيرة النبوية إلى ابن إسحاق في المغازي ، السيرة النبوية لابن هشام (١٧٥/٣) وكذا ابن حجر في تلخيص الحبير (١٠٥/٤) رقم (١٨٧١) .

ما يرضيه منه ويجعله [أثيرًا من] [١] [٢] عنده ، فدله ﷺ على [٣] ما يرضى به الله من أفعال عباده ، ويجعلهم من خصائصه ، والمؤثرين له ، وهو الجهاد في سبيل الله وقتال أعدائه معرضًا عن نفسه مستخفًا بها ، وهو معنى قوله : « حاسرًا » ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] [٤] أنهم عنده وأنه اختصهم بما لم يختص به غيرهم ، كما قال ﷻ : ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٥] ، وكما قال : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الكهف: ٦٥] ، وقال : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ [ص: ٤٠] كل هذا إشارة على الاختصاص والإيثار ، فيكون معنى قوله : « يضحك إليك » أي : يسر بقدومه عليك ، ويحب لقاءك ، ويرضى ثوابك ، وتضحك إليه [أي] [٥] ترضى عنه وتلقاه بالقبول وتحب لقاءه كما قال ﷺ : [٣٣٨] « **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءهُ** » [٦] .

ويجوز أن يكون معنى الضحك من الله ﷻ التجلي لعبده وكشف الحجب عنه فيراه رؤية عيان ، كما وردت الأخبار به ، وكما قال ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ [٧] ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فيكون معنى الضحك إليه التجلي له ، وذلك أن الضحك يعبر به عن الظهور ، فيقال : ضحك الفجر إذا [٨] ظهر ، وضحك السحاب إذا [٩٤/أ] انكشف فأبدى عن السماء ، وضحك الشيب برأسه ، أي [٩] : ظهر وبدا ، قال دِعبِل بن عَليٍّ [١٠] :

لا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ بِرأْسِهِ فَبَكَى (ن)

فيكون معنى قوله : (يضحك إليك) ، أي : يقدم عليك [١١] فرحًا بلقائك مسرورًا بقدومه عليك ، وتضحك إليه ، أي : تجلى له وتكشف الحجب عنه ، فيراك وينظر إليك ،

---

(١) سقط من (خ) .
(٢) في (س) : أثرًا .
(٣) سقط من (س) .
(٤) وقد زاد في (س) بعدها : فأخبر .
(٥) زيادة توضيحية يقتضيها السياق .
(٦) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .
(٧) في (س) : ناظرة .
(٨) في (خ) : أي .
(٩) في (خ) : إذا .
(١٠) دعبل بن علي هو الخُزَاعِيُّ الشاعر المفلق ، رافضي بغيض سباب ، هرب من المتوكل ، وعاش نحوًا من تسعين سنة ، وله عن مالك مناكير ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤٤/٣) رقم (٢٦٧٦) وبيت الشعر المذكور ذكره الذهبي في الترجمة التالية ، وهي لنفس الشاعر .
(١١) زاد في (خ) بعدها : قدومًا .

كما قال في حديث عمرو بن حزام حيث قال لجابر بن عبد اللَّه ﷺ : [٣٣٩] « **مَا كَلَّمَ اللَّهُ تعالى أَحَدًا إِلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وأَنَّه أَحْيَا أَبَاكَ وكَلَّمَهُ [١] كِفَاحًا [٢]** » [٣] .

قال : ويجوز أن يكون معنى الضحك من اللَّه إدرار الرحمة على عبده ، كما تدر السماء المطر على وجه الأرض ، فقد يقال : ضحك السحاب ، إذا صب ماءه وأمطر ؛ لأن الماء في السحاب كامن ، فإذا صبه ظهر وبدا . وقد يقال للسحاب إذا أمطر : بكت السماء ، فقد يقال : ضحك وبكى إذا أمطر ، قال الشاعر :

سحابة صادقة الأنواء [٤] تعقب بين الضحك والبكاء (ن)

وحدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم أبو الفضل النبيرة ح أبو ثابت محمد بن [عبيد اللَّه] [٥] المَدِينيُّ ح إبراهيم هو ابن سعد [٦] عن أبيه قال : [٣٤٠] بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ مَعَ حَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذْ عَرَضَ شَيْخٌ جَلِيلٌ في مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في بَصَرِهِ بَعْضُ الضَّعْفِ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ حَمِيدٌ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ [٧] قَالَ لي : يَا ابْنَ أَخِي أَوْسِعْ لَه بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَأَجْلَسَهُ بَيْنِي وبَيْنَهُ ثُمَّ قَالَ الحدِيثَ الذي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في السَّحَابِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى يُنْشِئُ السَّحَابَ [٩٤/ب] فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ ويَنْطِقُ أَحْسَنَ المَنْطِقِ** » [٨] .

قال الشيخ رحمه الله : فضحك السحاب صبه الماء ، فقد عبر عن صب الماء بالضحك

---

(١) في (خ) : فكلمه .
(٢) كفاحًا : أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول ، النهاية مادة (كفح) ، (١٨٥/٤) .
(٣) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن جابر في كتاب تفسير القرآن باب سورة آل عمران وقال : حسن غريب (٢٣٠/٥) رقم (٣٠١٠) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل اللَّه (٩٣٦/٢) رقم (٢٨٠٠) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٢٢٤/٣) رقم (٤٩١٤) ، وابن حبان في صحيحه عن طلحة بن خراش (٤٩٠/١٥) رقم (٧٠٢٢) ، وأبو بكر الضحاك في كتاب الجهاد (٥١٢/٢) رقم (١٩٦) .
(٤) في هامش (خ) : النوء من الأضداد وهو النهوض والسقوط .
(٥) في هامش الأصل : عبد اللَّه . (٦) في (س) : سعيد .
(٧) سقط من (س) .
(٨) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن شيخ من بني غفار (٤٣٥/٥) ، والعقيلي في الضعفاء (٣٥/١) ترجمة رقم (١٨) .

وعن استبشار العبد وسروره برحمة الله وإدرارها عليه وفرحه بها بالضحك [١] [فيجوز أن يعبر عن صب الرحمة وإدرارها وسحها [٢] على العبد من الله - جل وعز - بالضحك منه] [٣] وإن كان الضحك المفهوم فيما بيننا صفة للعبد ، وليس ذلك بصفة لله جل الله ، تعالى الله عن صفات المحدثين .

ويجوز أن يكون معنى الضحك من الله تعالى قبوله عمل عبده ورضاه به ، وضحك العبد [٤] ففرحه بثواب ربه وسروره به ، كما قال : ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ [الفجر : ٢٨] ، أي : راضية بثواب الله ، مرضية أفعالك عند الله [٥] .

وقال : ويجوز أن يكون معنى الضحك الحسن والبهاء والنضرة ، كما يقال : ضحك [٦] الشمس [إذا أشرق ضوؤها ، وضحك النهار إذا أضاء ، وضحكت] [٧] الأرض إذا اهتزت بالنور والنبات ، قال الأعشى :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل (ن)

فيكون المعنى فيه حسن الثواب من الله ونضرته ، كأنه يضحك إلى العبد ، وحسن عمل العبد وإخلاصه وطهارته عما يدنسه ، كأنه يضحك إلى الله تعالى ، ثم الله أعلم بما أراد به رسوله ، آمنًا بما قال ﷺ على ما أراده ، والله - جل وعز - يتعالى عن شبه المخلوقين وأوصاف المحدثين علوًّا كبيرًا .

قال : وقد يكون الضحك بين المحبين إذا طال العهد [٨] بينهما وتقادم ، وأضمر المحب لمحبوبه ، وكتم محبته له وشوقه إليه ، وصبابته له ، لم يبث حزنه ، ولا أفشى سره إلى غيره ومحبوبه يعلم ذلك منه ، ويجل لذلك قدره عنده ويعظم [٩٥/أ] موقعه منه ، وقد كان يحدث إلى حبيبه ما يزيده شوقًا إليه وصبابة به ومحبة له ، فإذا التقيا نظر المحبوب إليه ، وقد عرف له ما كان يضمره له ويجن [٩] ضلوعه عليه فيضحك إليه قبولًا

---

(١) من هامش الأصل ، وقد زاد في (س) بعدها : به .

(٢) بهامش الأصل التعليق الآتي : السح أقوى من الصب .

(٣) سقط من (س) .

(٤) زاد في (س) بعدها : إليه .

(٥) قال هذا التأويل ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥١٤/٨) .

(٦) في (خ) : ضحكت .

(٧) من هامش الأصل .

(٨) في (خ) : العبد .

(٩) في هامش (خ) : يجن أي يخفي .

له وتعظيمًا لقدره ، ولا يزيده على ذلك ويضحك المحب سرورًا برؤية محبوبه فيغشى بذلك سره الذي كان بينهما ، ويظهر الشوق الذي كان يجن عليه ضلوعه ، وقد بدا له سرور محبوبه به كسروره به ، وقبوله له ورضاه عنه فلا يزيد على الضحك إلى محبوبه إجلالًا وهيبة منه وتعظيمًا له ، فيكون معنى قول النبي ﷺ : « **اللَّهم الق طلحة يضحك إليك** » ، أي : يظهر لك ما كان يجنه من المحبة لك والشوق إليك و « **تضحك إليه** » تعلمه قبولك له ورضاك به وعظم موقع ما قاسى فيك وكتمه من الشوق إليك والمحبة لك في خفاء وستر عن الأغيار غيرة على الحال كما قال - جل وعز - : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] ، قال : فيجوز أن يكون هذا مما أخفي لهم عن الأعين [١] الناظرة والأشخاص الشاهدة [٢] .

٨٤
باب في أن الله تعالى لا يملُّ

حديث آخر : [٣٤١] حدثنا محمد بن أحمد القاضي ح أبو عاصم محمد بن حميد الرَّازيُّ ح يعقوب العَمِّيُّ [٣] [وفي رواية : القُمِّيُّ [٤]] [٥] عن عيسى عن جابر ابن عبد الله ﷺ [٦] قال : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ [عَلَى رَجُلٍ] [٧] يُصَلِّي عَلَى صَخْرَةٍ بِمَكَّةَ ، فَأَتَى نَاحِيَةَ مَكَّةَ ، فَمَكَثَ مَلِيًّا ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَوَجَدَ الرَّجُلَ يُصَلِّي عَلَى حَالِهِ ، فَجَمَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُم بِالقَصْدِ** [٨] - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - **فَإِنَّ اللَّهَ تعالى لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا** » .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى أخ يعقوب عن عيسى بن حارثة عن جابر عن

---

(١) في (س) : الأغيار .

(٢) في (س) : المشاهدة ا.هـ . وزاد في (خ) بعدها : والله أعلم .

(٣) في (س) و (خ) : القُمِّيُّ .

(٤) القُمِّي : بضم القاف ، وتشديد الميم المكسورة ، هذه النسبة إلى بلدة قم ، وهي بلدة بين أصبهان وساوة كبيرة ، غير أن أكثر أهلها الشيعة ، ومنها أبو الحسن يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك بن هانئ بن عامر الأشعري القمي ، الأنساب (٨٢/٤) .

(٥) من هامش الأصل وهو سقط من (س) و (خ) .

(٦) زاد في (س) بعدها : الأَنْصَارِيُّ .

(٧) في (خ) : برجل .

(٨) القصد : القصد من الأمور المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط ، النهاية مادة (قصد) ، (٦٧/٤) .

النبي ﷺ نحوه [١] .

قال الشيخ رحمه الله : الملال تكره يعرض على الإنسان من عمل يعمله وأذى [٩٥/ب] يلحقه منه وتعب يصيبه فيصبر عليه ، ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم ، فيترك ذلك العمل استثقالاً له ، ويرفضه تضجرًا منه وسآمة له ، وهو شيء يعرض للطبع بعد إيثاره للشيء ورغبته فيه ، وهذه صفة الإنسان المطبوع على طبائع مختلفة وأوصاف [متباينة وأخلاق متغايرة ، والله عز وجل يجل عن هذه الأوصاف] [٢] ، ويتعالى عنها علوًّا كبيرًا ، فالملال ليس بصفة له ، ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من أوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه ، وهو صفة الإنسان المطبوع الذي يضعف عن تحمل ما يعرض له ويثقل عليه ويؤوده الشيء ويؤذيه ، فمعنى قول النبي ﷺ : « **إن الله لا يمل حتى تملوا** » ليس على الغاية والتوقيت فيوصف هو - تعالى - بهذه الصفة في وقت أو عند أمر بل هو على النفي عنه والتنزيه له منه .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « **حتى تملوا** » وتملوا ، بل تملوا . أي لا [يمل و] [٣] تملون ، ولا يمل بل تملون . كأنه يقول : الملال لكم صفة ، وهذه الصفة لاحقة بكم إذا تكلفتم الأعمال وأكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم ما يلحقكم من التعب فيه ، وصبرتم عليه ، فيوشك أن تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالاً لها واستعراضًا منها وزهدًا فيها ورغبة عنها وبغضًا لها ، فلا تعودوا إليها ، والله تعالى جده لا تصيبه هذه الآفات ولا تعترض له [٤] العوارض فلا يصرفكم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ، ولا يحول بينكم وبينها كراهة [٥] واستثقالاً منه إياها وبغضًا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون [٦] عبادة ربكم وتستثقلون خدمة [٩٦/أ] مولاكم ، وتبغضون طاعة ربكم كما قال النبي ﷺ : [٣٤٢] « **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ** [٧] **فِيهِ بِرِفْقٍ** ،

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه عن جابر بن عبد الله في كتاب الزهد باب المداومة على العمل (١٤١٧/٢) رقم (٤٢٤١) ، وابن حبان في صحيحه (٧٢/٢) رقم (٣٥٧) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ مختلفة (٣٣٣/٣) رقم (١٧٩٦) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) السابق .

(٤) زاد في (س) بعدها : هذه .

(٥) زاد في (خ) بعدها : لها .

(٦) في (س) : فتتركوا .

(٧) أوغل : الإيغال السير الشديد ، النهاية مادة (وغل) ، (٢٠٩/٥) .

ولا تُبغِّضْ إلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ ، فَإِنَّ المُنْبَتَّ [1] **لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى** » حدثناه الحسن [2] بن علي [3] العطار ح ابن [4] أبي مسيرة ح خلاد بن يحيى بن [5] المتوكل عن محمد بن سوقة عن المنكدر عن جابر ﷺ : قال رسول اللَّه ﷺ [6] .

فقول النبي ﷺ : « **عليكم بالقصد** » كره التعمق والغلو في الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف ، وما في طباعهم من الملال والسآمة ؛ خوفًا عليهم أن يبغضوا عبادة اللَّه ويستثقلوا طاعته ويملوا خدمته ، فأمرهم بالاستجمام والاستراحة لاسترجاع القوى وزوال الضجر ، وليكون ذلك لهم [7] أدعى لهم إلى حسن الطاعة للَّه تعالى ، ومحبة الخدمة له ، وإلف عبادته كما قال النبي ﷺ : [٣٤٣] « **لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَآتِي النِّسَاءَ أَلا فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ** [8] **مِنِّي** » [9] .

[وقال] [10] : [٣٤٤] « **أَلا وَكُلُّ قَلِيلٍ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ** » [11] ، وقال ﷺ

---

(١) في هامش الأصل : المنبت المنقطع في السفر ا.هـ . وفي النهاية : يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته : قد انبت من البت وهو القطع ، النهاية مادة (بت) ، (٩٢/١) .

(٢) في (س) و (خ) : الحسين . (٣) زاد في (س) بعدها : ابن .

(٤) سقط من (س) .

(٥) في (س) : قال : ح يحيى ا.هـ . وما في (س) موافق لما عند البيهقي .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده مختصرًا بلفظ مقارب عن أنس بن مالك (١٩٨/٣) رقم (١٣٠٧٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان كاملًا عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص (٤٠٢/٣) رقم (٣٨٨٦) ، وأخرجه في السنن الكبرى عن جابر بلفظه (١٨/٣) رقم (٤٥٢٠) ، وابن المبارك في الزهد مرسلًا (ص ٤١٥) رقم (١١٧٨) ، والقضاعي في مسند الشهاب بلفظه عن جابر (١٨٤/٢) رقم (١١٤٧) .

(٧) كذا في الأصل و (س) وهي زائدة . (٨) سقط من (س) .

(٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أنس بن مالك في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح (١٩٤٩/٥) رقم (٤٧٧٦) ، وأحمد في مسنده (٢٤١/٣) رقم (١٣٥٥٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٧/٧) رقم (١٣٢٢٦) ، وابن حبان في صحيحه (٢٠/٢) رقم (٣١٧) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٣٩٢) رقم (١٣١٨) ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة بألفاظ مختلفة (٢٢٢/٨) رقم (٧٨٨٣) .

(١٠) زيادة يقتضيها السياق ؛ إذ بدونها يتوهم اتصال الحديثين وهو غير صحيح ؛ إذ لم يرد ذلك فيما اطلعت عليه .

(١١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب عن الحسن موقوفًا (٧٢/٧) رقم (٩٥٢٣) ، والأَزْدِيُّ في كتاب الجامع عن الحسن مرفوعًا (٢٩١/١١) رقم (٢٠٥٦٨) ، والمروزي في السنة (٣٠/٢) رقم (٨٨) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٣٩/٢) رقم (١٢٧٠) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية =

لعبد اللّٰه بن عمرو [(١)] : [٣٤٥] « **إِنَّ لِلّٰهِ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** » [(٢)] .

وكتب سلمان إلى أبي الدرداء : [٣٤٦] « إِنِّي أَنَامُ وَأَقُومُ فَأَحْتَسِبُ [(٣)] نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي » [(٤)] فعدَّ واحتسب نومه طاعة للّٰه [وخدمة له كما احتسب قيامه وصلاته ؛ لأن النوم حق البدن ، وقد أوجب اللّٰه تعالى] [(٥)] هذا الحق ، فإيفاؤه إياه طاعة للّٰه تعالى ؛ لأن في نومته استجلاب القوة لقومته ، وتشحيذًا لطباعه ، وحثًّا منه لنفسه على طاعة ربه وتحبيب عبادة اللّٰه إلى نفسه ؛ لأن اللّٰه تعالى أحب من عباده أن يحبوه ويؤثروه ، ويقبلوا بها عليه ؛ ولذلك كلفهم الأعمال [٩٦/ب] ليشتغلوا بها عما دونه ويقبلوا بها عليه ، ويتوجهوا بأدائها إليه ، فإذا تحملوا منها فوق طاقتهم ملوا فتركوها ، وفي تركها ترك الإقبال عليه والتوجه إليه ﷻ ، وهو تعالى غني عن أفعال عباده لا يزيده طاعتهم ولا ينقصه معصيتهم ، وإنما أراد منهم إظهار فقرهم إليه ورؤية اضطرارهم وعجزهم ليعينهم ويقويهم ، ويجعلهم ملوكًا خالدين ، وأغنياء لا يفتقرون ، وأقوياء لا يضعفون ، سبحان اللطيف بعباده والرؤوف بهم .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **إن اللّٰه لا يمل حتى تملوا** » أي : لا يترك ثوابكم والإقبال عليكم وقبولًا لأعمالكم المدخولة [(٦)] فيها ما لم تملوا طاعته ، وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته ، كأنه يقول : إنه - جل وعز - يقبل عليكم ، وإن قصرتم في عبادته ، ويقبل يسير أعمالكم ويثيبكم عليها الجزيل ما دمتم فيها راغبين ولها مريدين وبنياتكم إليها قاصدين ، وإن لم تبلغوا إرادتكم فيها ومقاصدكم ، وإنما يترك ثوابكم والإقبال

= الأولياء مرسلًا (٧٦/٣) .

(١) في (خ) : عمر .

(٢) حديث عبد اللّٰه بن عمرو لم أقف عليه إلا عند عبد بن حميد في مسنده وبلفظ مقارب (ص ١٣١) رقم (٣٢١) ، وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه الطبراني من رواية عبد الملك بن قدامة الجمحي عن عمرو بن شعيب وعبد الملك وثَّقه ابن معين وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره (٢٣٩/٧) .

(٣) في (س) : وأحتسب .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي بردة في كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع (١٥٧٨/٤) رقم (٤٠٨٦) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٥٧/٣) رقم (٥٩٥٩) ، وأبو يعلى في معجمه (ص ٨١) رقم (٦٧) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٢٥/٧) ، وليس هذا من كتاب سلمان إلى أبي الدرداء كما ذكر المصنف .

(٥) سقط من (س) .

(٦) في (س) : المدخول .

[عليكم والقبول] [١] لكم إذا أعرضتم عنها ومللتموها .

٨٥

باب في عَجَب الله تعالى

حديث آخر : [٣٤٧] حدثنا الشيخ الإمام عبد الله بن محمد الحَارِثِيُّ ح خلف بن عامر بن سعيد الْهَمَذَانِيُّ ومبارك بن زيد المؤدب والليث بن جبرويه البخاريون قالوا : ح يحيى بن جعفر ح المُحَارِبِيُّ ح الفضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة ﷺ قال : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ [٢] . فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ : والذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدَنَا إلا المَاءُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذَا [٣] اللَّيْلَةَ » رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : [٩٧/أ] فَدَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ [وَقَالَ لَهَا [٤]] [٥] : أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا إِلا قُوتُ الصِّبْيَةِ . قَالَ : فَإِذَا أَرَادُوا العِشَاءَ فَنَوِّمِيهِم وَلا تَذْكُرِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ بِشَيءٍ ثم مُرِّي عَلَى السِّرَاجِ فَأَطْفِئِيهِ وتَعَالَيْ فَلْنَطْوِ بُطُونَنَا لِضَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَعَلَتْ ؟ قَالَ : فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فُلانٍ وفُلانَةَ » قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] [٦] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : العجب استعظام الشيء واستكباره لخروجه من العرف وبعده من العادة [٧] . قال الله - جل وعز حكاية عن الجن : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى

(١) سقط من (س) .
(٢) الجهد : الجهد بالفتح المشقة ، النهاية مادة (جهد) ، (٣١٩/١) .
(٣) في (خ) : هذه .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) في (س) : فقال .
(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب التفسير باب ويؤثرون على أنفسهم (١٨٥٤/٤) رقم (٤٦٠٧) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (١٦٢٥/٣) رقم (٢٠٥٤) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١٤٥/٤) رقم (٧١٧٦) ، وابن حبان في صحيحه (٢٥٤/١٦) رقم (٧٢٦٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٥٦/١١) رقم (٦١٩٤) ، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة وقال : إن الرجل المذكور صاحب هذه المنقبة الشريفة قيل : هو أبو طلحة زيد بن سهل ، وقيل : هو ثابت بن قيس بن شماس ، وقيل : هو عبد الله بن رواحة ، غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث (٤٥٥/١) .
(٧) في (س) : العبادة .

ٱلرُّشْدِ ﴾ [الجن: ١، ٢] ، قيل : بديعًا لم يسمع مثله (١) ، وذلك أنه لما كان خارجًا عن أوصاف كلام الناس والمعهود المعتاد منه وصفوه بالعجب . فكل ما خرج من عادة الناس وبعد عن عرفهم استعظم ذلك ، والله ﷻ قد عظم أشياء في كتابه ، فقال في ذكر القيامة : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين: ٤، ٥] ، وقال : ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩] ، وقال : ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦] فالاستعظام من الله ﷻ أن يسمي الشيء عظيمًا ، ولما كان العجب استعظام الشيء واستكباره ، وكان التعظيم للشيء جائزًا على الله جاز (٢) أن يوصف الله بالعجب كما وصفه به رسول الله ﷺ .

وقد وصف الله نفسه بصفة العجب بقوله : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢] قرأها الأعمش وحمزة والكسائي وجماعة من القراء برفع التاء (٣) ، والقراءة سنة وكل ما قرأه القراء المشهورون [٩٧/ب] فأكثرها (٤) مأثورة عن النبي ﷺ ، إذًا فقراءة هذا الحرف برفع التاء يجوز (٥) أن تكون قراءة النبي ﷺ وقراءته تنزيل الله ﷻ : [٣٤٨] « أُنزِلَ القُرْآنُ عَلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » (٦) فالعجب إذًا من الصفات التي ورد بها السمع بالكتاب (٧) والسنة ، وقد قال [حين أتي بأقوام مقيدين بالسلاسل فآمنوا فتبسم رسول

---

(١) قاله البيضاوي في تفسيره (٣٩٧/٥) ، وأبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٤٢/٩) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) قراءة قوله تعالى : ﴿ عَجِبْتَ ﴾ [الصافات: ١٢] بتاء المتكلم المضمومة ثابتة عن النبي وهي قراءة حمزة والكسائي أما الباقون فقد قرؤوها بتاء المخاطب المفتوحة ، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية (٣٩٢) .

(٤) في (س) : فهي .

(٥) في (س) : يجب ا.هـ . والصواب ما في (س) لثبوت هذه القراءة عن النبي ﷺ .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن عمر بن الخطاب في كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٩٠٩/٤) رقم (٤٧٠٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٧٥/٢) رقم (١٤٧٥) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب القراءات باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف وقال : حسن صحيح (١٩٣/٥) رقم (٢٩٤٣) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه عن أبي بن كعب في كتاب افتتاح الصلاة في جامع ما جاء في القرآن (٣٢٦/١) رقم (١٠١٢) .

(٧) في (خ) : من الكتاب .

الله ﷺ فقال] (١) : [٣٤٩] « **عَجِبَ اللَّهُ مِنْ أَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلى الجَنَّةِ بِالسَّلاسِلِ** » (٢) .

فمعنى قول النبي ﷺ : « **لقد عجب الله من فلان وفلانة** » فيجوز أن يكون قد عظم الله ذلك منهما وعظمهما بهذا الفعل وعظم مقدارهما وأجلَّ قدرهما بما فعلاه من بديع الأمر وهو إيثارهما ضيف نبيه ﷺ على أنفسهما وهو الفعل الخارج عن عادات الناس .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **عجب الله** » أي : قبل الله منهما ما أتياه ورضي [ما] (٣) عملاه وعظم ثوابهما على ما فعلاه .

ويجوز أن يكون على معنى التعجب منهما للمؤمنين كأنه يقول : أخبر الله تعالى أنهما أتيا من الأمر العجيب البديع [البعيد عن أوصاف أكثر الناس ، وقد يكون التعجب من الأمر البديع] (٤) الذي لم تجر العادة (٥) فيستعظمه ذلك على جهة المدح لمن جاء به ، والرضا به ، والاستحسان له ، وقد يستعظم الشيء على جهة الذم لمن أتى به ، واستقباح ذلك الفعل منه والإنكار على من فعله ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ [أَءِذَا] (٦) كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد : ٥] .

أنكر الله ذلك القول ورسوله منهم ، وهو أنهم أنكروا ما أقروا بما هو أعظم منه ، واستعظموا على جهة الإنكار ما جوزوا ما هو أعظم منه وهو ابتداء الخلق [٩٨/أ] من الماء المهين ، وإخراج الشيء من العدم إلى الوجود وخلق الشيء لا من الشيء ، ثم أنكروا إعادته بعد إفنائه ، فاستعظم الله إنكارهم ذلك وعجب رسوله من جحودهم قدرة الله تعالى ، وإنكارهم ما هو موجود في فطن العقول .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **عجب الله من أقوام يقادون إلى الجنة بالسلاسل** » ، أي : أظهر عجب هذا الأمر لخلقه ، وبديع هذا الشأن وهو أن الجنة التي أخبر الله بما فيها من النعيم المقيم ، والعيش الدائم فيه ، والخلود في النعيم المقيم الذي من حكم من

---

(١) سقط من (س) ، ولم أقف على ما يفيد هذا السبب من أسباب ورود الحديث .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الجهاد والسير باب الأسارى في السلاسل (١٠٩٦/٣) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤٥٧/٢) رقم (٩٨٩٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٧/٧) رقم (٣٤١١٣) ، والطبراني في الكبير بنحوه عن أبي أمامة (٢٨٣/٨) رقم (٨٠٨٧) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) السابق .

(٥) زاد في (س) بعدها : به .

(٦) في (س) : إنا .

سمع به من ذوي العقول أن يتسارع [١] إليها ويبذل مجهوده في الوصول إليها ، ويتحمل المكاره والمشقات لينالها ، وهؤلاء يمتنعون عن ذلك ويرغبون عنها ، ويزهدون فيها حتى يقادوا [٢] إليها بالسلاسل ، كما يقاد إلى المكروه العظيم الذي ينفر منه الطباع وتألم منه الأبدان وتكرهه النفوس .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **عجب الله من أقوام** » ، أي : رضي عن أقوام وقبل ناسًا ورفع أقدار عباده وعظم مرتبة من صفتهم أنهم يقادون إلى نعيم أنفسهم وقرات أعينهم بالسلاسل تأبيًا منهم على الله وامتناعًا منه ، ونفرة عنه ، يخبر ﷺ أن الله ﷻ يختار من خلقه من يشاء ، ويقبل من يريد ويصطفي بعلمه من غير فعل يكون منهم ، ولا سابقة تقدمت منهم فيقود إلى الجنة من يمتنع منها ، وينقذ من النار من هو على شفا جرف منها ، بل هو من يتهافت فيها تهافت الفراش في النار . قال النبي ﷺ : [٣٥٠] « **مَثَلِي وَمَثَلُكُم كَرَجُلٍ اسْتَوقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْفَرَاشُ يَتَهَافَتُونَ في النَّارِ ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُم [٣] وَأَنْتُم تَهَافَتُونَ [٤] في النَّارِ** » [٥] [٩٨/ب] .

ويجوز أن يكون فيه إخبار عن عظيم فضل الله وجليل كرمه ، أنه [٦] بنى دارًا وجعل فيها أنواع النعيم وملاذ النفوس وقرات الأعين ، ودعا إليها بألطف دعاء وبذلها بأيسر مؤنة ، فأعرض عنها أقوام وأبوها ونفروا عنها فقادهم إليها بالسلاسل ، فكان هذا فضله وكرمه مع أمثال هؤلاء ، فكيف يكون فضله وكرمه [٧] وإحسانه بأقوام رغبوا في خدمته ، وتحملوا المشقات والمكاره في طلب مرضاته وسألوه ما أعده لهم بألسنة الافتقار ، ومدوا إليه طلبًا لها أيدي الاضطرار واستعاذوا بوجهه الكريم من عذابه الأليم وناره التي تهافت فيها أقوام ، فيردهم عنها رحمة عليهم ونظرًا لهم ، فكيف يطرح فيها من يهرب منها ويستعيذ به من الوقوع فيها أو كيف يحرم من يسأله بألطف السؤال ويطلب إليه

---

(١) في (خ) : يسارع . (٢) في الأصل : يقادون .

(٣) حجزكم : أصل الحُجْزَة موضع شد الإزار ، ثم قيل للإزار : حُجْزَة ، النهاية مادة (حجز) ، (٣٤٤/١) .

(٤) تهافتون : أي تساقطون من الهَفْت وهو السقوط قطعة قطعة ، النهاية مادة (هفت) ، (٢٦٦/٥) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي (٢٣٧٩/٥) رقم (٦١١٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته (١٧٨٩/٤) رقم (٢٢٨٤) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الأمثال باب ما جاء مثل ابن آدم وأجله وأمله وقال : حسن صحيح (١٥٤/٥) رقم (٢٨٧٤) ، وأحمد في مسنده (٢٤٤/٢) رقم (٧٣١٨) .

(٦) سقط من (س) .

(٧) زاد في (س) و (خ) بعدها : وبره .

بيذل المجهود منه دارًا يقود إليها بالسلاسل من يهرب منها ويعرض عنها ، إن ذلك لا يليق بكرمه وفضله إنه ذو فضل عظيم .

٨٦
باب في حال الرسول ﷺ مع ربه

حديث آخر : [٣٥١] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانيُّ أخ حماد بن زيد عن ثابت عن أبي بردة عن الأغر المُزَنِيِّ - رجل من أصحاب النبي ﷺ وكانت له صحبة - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إِنَّه لَيُغَانُ** [١] **عَلَى قَلْبِي فَأَسْتَغْفِرَ اللَّهَ** [٢] **كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ** » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : الغين شيء يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية ، ولا يحجبه عما يشاهده ، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يكاد يحجب عين الشمس ولا يمنع ضوءها ، والنبي ﷺ ذكر أنه يغشى [٩٩/أ] قلبه ما هذه صفته [٤] ، فتكلم شيوخ الصُّوفِيَّة وكبارهم في معنى هذا الحديث ، فمنهم من جعل هذه الحالة حالة تغميض وخفض ، وأشار إلى بعض الحجبة ووري بشيء منها ، ومنهم من أجلَّ قدر المصطفى ﷺ عن الحجبة ، وأشار إلى أنه كان ينقل من حال إلى ما هو أرفع منه ، فإذا رفع إلى درجة رأى ما نقل عنها تقصيرًا في واجب حق اللَّه تعالى فرأى ذلك غينًا يجب له الاستغفار منه ، وتكلموا بما هو أدق من هذا وأكثر وأوفى [٥] وأولى ولا تخرج - إن شاء اللَّه - إشاراتهم فيه ورموزهم عن الصواب .

والجملة أن النبي ﷺ أرفع الخلق منزلة عند اللَّه ، وأعلاهم درجة ، وأقربهم زلفى ، وقد قال ﷺ فيما حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى أخ قيس عن الأعمش عن عباية بن

---

(١) يغان : الغين الغيم وأراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر ، النهاية مادة (غين) ، (٤٠٣/٣) .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : « في » ا.هـ . ولم أقف عليها في أي من روايات الحديث .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن الأغر المُزَنِيِّ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار فيه (٢٠٧٥/٤) رقم (٢٧٠٢) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر باب في الاستغفار (٨٤/٢) رقم (١٥١٥) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب عمل اليوم والليلة باب كم يتوب في اليوم (١١٦/٦) رقم (١٠٢٧٧) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب (٢٦٠/٤) رقم (١٨٣١٧) .

(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : وذكر أنه يستغفر اللَّه تعالى في كل يوم مائة مرة .

(٥) سقط من (س) و (خ) .

ربعي عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٣٥٢] « **إِنَّ اللَّهَ تَعالى قَسَّمَ**[١] **الخَلْقَ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَنِي في خَيْرِهِمَا قِسْمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى :** ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٢٧] ، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الواقعة : ٤١] **فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ اليَمِينِ ، ثُمَّ جَعَلَ القِسْمَيْنِ أَثْلاثًا فَجَعَلَنِي في خَيْرِهَا [ثُلُثًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :** ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة : ٨] ، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [الواقعة : ٩] ، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] **فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ ، وَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ ، ثُمَّ جَعَلَ الأَثْلاثَ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي في خَيْرِهَا]**[٢] **قَبِيلَةً ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى :** ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾ [الحجرات : ١٣] الآية ، **فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُم عَلَى اللَّهِ ولا فَخْرَ ، ثُمَّ جَعَلَ القَبَائِلَ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي في خَيْرِهَا بَيْتًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى :** ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] »[٣] .

فأخبر أنه خير الخلق كلهم .

وروينا عن ابن عباس [٩٩/ب] ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعالى فَضَّلَ مُحَمَّدًا عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَعَلَى الأَنْبِيَاءِ » وهو ما حدثنا بكر بن حمدان ح عبد الصمد بن الفضل ح حفص[٤] بن عمر [أبو عمر][٥] العدني بمكة ح الحكم بن أبان عن عكرمة قال : سمعت ابن عباس ﷺ يقول : [٣٥٣] « إِنَّ اللَّهَ تَعالى فَضَّلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَعَلَى الأَنْبِيَاءِ . فَقَالُوا : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَمَا فَضْلُهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعالى قَالَ لأَهْلِ السَّمَاءِ : ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩] ، وَقَالَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ١، ٢] ، قَالُوا : [يَا ابْنَ عَبَّاسٍ][٦] ، فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعالى قَالَ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] ، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] وَأَرْسَلَهُ[٧] إِلَى الجِنِّ والإِنْسِ »[٨] . وفيما

---

(١) في (س) : خلق . (٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن ابن عباس ﷺ (٥٦/٣) رقم (٢٦٧٤) ، قال ابن أبي حاتم في علل الحديث : قال أبي : هذا حديث باطل (٣٩٥/٢) رقم (٢٦٩٣) .

(٤) في (س) : جعفر . (٥) سقط من (س) .

(٦) في (خ) : يا أبا العباس . (٧) في (خ) : فأرسله الله .

(٨) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة عن ابن عباس وقال : صحيح الإسناد فإن الحكم بن =

سماه الله ﷻ دليل على فضله وهو قوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] فسماه محمدًا ، وهو المبالغة في صفة الحمد ، وسماه أحمد ، قال الله تعالى يحكي عن روحه وكلمته : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] ، فهو ﷺ أحد المحمودين ، فمن استحق من المخلوقين اسم الحمد فهو عليه السلام أحمدهم ، ومن استوجب المدح من المربوبين فهو عليه السلام أولاهم بالمدح ، فمن كانت هذه صفته فجميع أوصافه بصفة المدح أولى ، ونعوته بالحمد أحرى ، ودرجته كل يوم وساعة أعلى ورتبته في كل حال أسنى ، وهو عليه السلام يرقى به في [(١)] كل وقت وساعة غضاضة [(٢)] [١٠٠/أ] [بل عند كل نفس] [(٣)] وفي كل طرفة عين [(٤)] .

إذًا فالغين الذي يغشى قلبه ، ويغطي سره صفة مدح ونعت شرف وليس فيه غضاضة ، ولا خفض بل فيه رفعة مرتبة وعلو حال [(٥)] ، وحال النبي عليه السلام أعلى من أن يشرف عليها إلا الله - جل وعز - ، ويعرف كنهها غيره - جل وعز - فالله أعلم بحقيقة ما أغان على قلبه ﷺ وإنما يتكلم كل على قدر ما يكشف له ، وعلى مقدار حظه منه وشربه [وسبرته فيه] [(٦)] .

فيجوز أن يكون ما يغان على قلبه فكرة تغمه وخاطر [(٧)] يهمه من أمر أمته مما أخبر عن الأحداث الكائنة فيهم ، والفتن الواقعة بينهم ، فيصير ذلك غينًا على قلبه لشفقته عليهم ورأفته بهم ورحمته إياهم ، فقد كان عليه السلام حفيًا عليهم رؤوفًا بهم عزيزًا عليه عنتهم ، أخبر ﷺ عما يهمه من أمرهم فقال : [٣٥٤] « **اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي** » [(٨)] ، وقال مخبرًا عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى - صلوات الله

= أبان قد احتج به جماعة من أئمة الإسلام ولم يخرجه الشيخان ، ووافقه الذهبي (٣٨١/٢) رقم (٣٣٣٥) ، والطبراني في الكبير (٢٣٩/١١) رقم (١١٦١٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان وهو ثقة ، ورواه أبو يعلى باختصار (٢٥٥/٨) ، قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم : وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت في الصحيحين (٥٤٠/٣) ، ويعني بذلك كما صرح في نفس الموضع حديث : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي** » .

(١) سقط من (س) .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) في الأصل : بل كل عند .

(٤) سقط من (س) .

(٥) في (خ) : درجة .

(٦) سقط من (س) و (خ) .

(٧) في (خ) : وخاطرًا .

(٨) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الدعوات باب =

عليهم - أنهم يقولون : [٣٥٥] « نَفْسِي نَفْسِي » ، ويقول ﷺ : « أُمَّتِي أُمَّتِي » [(١)] .
فكان ﷺ إذا عرض سره أحوالهم اغتم لذلك فغشى عليه ذلك الغم قلبه ، فيستغفر لهم الله ، وفي كل يوم مائة مرة .

ويجوز أن يكون الذي يغان على قلبه هي السكينة التي أخبر الله - جل وعز - أنه أنزلها عليه بقوله : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، وقال : ﴿ فَأَنزَلَ [(٢)] ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٦] ، فالذي ينزل به على المؤمنين الطمأنينة إلى موعود الله في النصر لهم والظفر على عدوهم ، والثبات عند اللقاء [(٣)] ، والصبر عند البأس [(٤)] والذي ينزل على قلبه على ما يليق بحاله وما [١٠٠/ب] يحدث الله فيه من اللطائف التي يحلها على قلبه ويودعها صدره ، فقد قال - جل وعز - : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] ، وقال : ﴿ لَقَدۡ [(٥)] رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٨] أخرجها عن الأوهام بقوله : ﴿ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ ، وقد وصف النبي ﷺ السكينة بالغطاء فيما حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى أخ أبو بكر عن عاصم عن زر عن أسيد بن حضير أنه أتى النبي ﷺ فقال : [٣٥٦] يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ [(٦)] الْبَارِحَةَ مِنْ [(٧)] سُورَةِ الْكَهْفِ فَجَاءَ شَيْءٌ حَتَّى [(٨)] غَطَّى فَمِي ، فَقَالَ

= لكل نبي دعوة مستجابة (٢٣٢٣/٥) رقم (٥٩٤٥) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١٨٨/١) رقم (١٩٨) ، والترمذيُّ في سننه في كتاب الدعوات باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقال : حسن صحيح (٥٨٠/٥) رقم (٣٦٠٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة (١٤٤٠/٢) رقم (٤٣٠٧) .

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ [نوح : ١] ، (١٢١٥/٣) رقم (٣١٦٢) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٥/١) رقم (١٩٤) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في الشفاعة وقال : حسن صحيح (٦٢٤/٤) رقم (٢٤٣٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ ﴾ [الإسراء : ٣] ، (٣٧٨/٦) رقم (١١٢٨٦) .

(٢) في (س) : وأنزل .

(٣) في هامش (س) : التوضيح الآتي : أي لقاء العدو .ا. هـ .

(٤) في (س) : البلاء .

(٥) في (س) : ولقد .

(٦) في (س) : قرأت .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) سقط من (س) .

رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام : « **تِلْكَ السَّكِينَةُ** [1] **تَسمَعُ الْقُرْآنَ** » [2] .

فوصف ﷺ السكينة بأنها تغطي الفم ، وأخبر أنه يغان على قلبه [يغطى قلبه] [3] ، والغين مثل الغطاء ، وأخبر اللَّه تعالى أنه أنزل على قلبه السكينة ، فجاز أن يكون الذي يغطي قلبه السكينة ، وتكون السكينة هي ما أودعها اللَّه قلبه من اللطائف التي يحدثها في قلبه وينزلها على سره لا يعلمها إلا منزلها عليه ، فقد قال ﷺ : [٣٥٧] « **لي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ لا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُهُ** » [4] . فأخبر أن أوقاته خارجة عن أوهام الخلق .

وكانت السكينة في بني إسرائيل في التابوت ، وكانت إذا هرت هرير الهرة بشرت [5] بالظفر والنصر والفتح والعلو ، والذي ينزل على قلوب المؤمنين يكون معها الطمأنينة والثبات وموعد الحسنى من اللَّه ﷻ ، والذي نزلت على أسيد بن حضير استمعت القرآن ، فكذلك الذي ينزل على قلب النبي عليه السلام يكون معها من اللطائف التي تحير الأوهام عن إدراكها ، وتعجز العقول عن كنه معرفتها وتخنس [6] الأفهام والفطن عن [١٠١/أ] الوقوف عليها ، ويكون الاستغفار منه عليه السلام عقبها إظهار العبودية ، ورؤية الافتقار ، وإشارة إلى الافتخار بالعبودية للَّه الغفار ، ولأن من أحب أوصاف العباد إلى اللَّه تعالى إظهار الفقر ورؤية الاضطرار إلى اللَّه تعالى [وهما] [7] سمتا العبودية ؛ فكان استغفاره إظهار فقره والافتخار بالعبودية لسيده لا أن يمحو به ذنبًا

---

(١) زاد في (س) بعدها : جاءت ا.هـ . ويوجد في هامش الأصل التعليق الآتي : (قال : السكينة نور يغشى قلوب الخواص من الأولياء ، يجد القلب بها حياة جديدة من اللَّه تعالى يشاهد القلب بها ربه تعالى ، كأنه يراه ولا يرى سواه ، لو تحرك العبد عند ذلك أو تنفس انقطع ذلك كما لا يتحرك الذي جلس على رأسه الطير ، وجاء في صفة الصحابة في مجلسه : « كأن على رؤوسهم الطير » إشارة إلى أن السكينة تنزل على قلوبهم عند ذلك وأثر تلك السكينة سكون الخواطر وهدوء القلب عند رؤية الرب ، ولتلك السكينة علم وخبر بأحوال العبد وما هو فيه ، فلذلك وصف النبي عليه السلام السكينة باستماع القرآن) ا.هـ .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ مقارب عن أسيد بن حضير (٢٠٨/١) رقم (٥٦٤) ، وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن عن البراء نحو هذا الحديث ، إلا أنهم يسموا الرجل الذي كان يقرأ سورة الكهف وقد أشار الترمِذيُّ إلى هذا الحديث تعقيبًا على حديث البراء بقوله : وفي الباب عن أسيد بن حضير ، (١٦١/٥) رقم (٢٨٨٥) .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٤٢/أ) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) تخنس الأفهام : الخنوس الانقباض والاستخفاء ، ويقال : خنست فلانًا ، أي : أخرته ، لسان العرب مادة (خنس) .

(٧) زيادة من (س) .

أذنبه أو خطيئة اكتسبها .

ألا ترى أن اللّٰه تعالى لما خاطبه بأجل المخاطبة وأمره بأعلى الأوامر وهو العلم باللّٰه تعالى أتبعه الأمر بالاستغفار فقال : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد : ١٩] ، فالعلم بأن لا إله إلا اللّٰه أجلُّ أحواله وأعلى مراتبه وأرفع درجاته ، وهو فضل اللّٰه تفضل اللّٰه به عليه ، فكان علمه بلا إله إلا اللّٰه باللّٰه [١] لا [٢] به كما كان صبره باللّٰه لا بذاته ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] فأتبع جليل هذا العطاء وكريم هذا الحياء [٣] هو العلم باللّٰه الاستغفار ليكون إظهار العبودية عند ظهور الربوبية .

ألا ترى إلى ما روي في الحديث أنه قال في ذكر القيامة : [٣٥٨] « **فَيَسْتَقْبِلُنِي الجَبَّارُ فَأَخِرُّ سَاجِدًا فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْ تَسْمَعْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ وَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيَقُولُ لِي : اذْهَبْ فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنْ إِيمَانٍ** – [يعني من نور عمل الإيمان] [٤] – **فَأَدْخِلْه الجَنَّةَ ، فَأَذْهَبُ وَأُمَيِّزُ ، وَأُدْخِلُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ثُمَّ أَذْهَبُ فَآخُذُ بِحَلَقَةِ الجَنَّةِ ، فَيَسْتَقْبِلُنِي الجَبَّارُ فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا** » ذكر في الحديث مرة بعد أخرى : حدثنا به عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم [١٠١/ب] ح محمد بن إسماعيل بن جعفر حدثني عبد العزيز بن أبي حازم عن سهيل [بن أبي] [٥] صالح عن زياد النُّمَيرِيِّ [٦] عن أنس ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ في حديث طويل نسوقه فيما بعد عند الإخبار عن معناه إن شاء اللّٰه [٧] .

قال : فأخبر ﷺ أنه كلما أحدث اللّٰه تعالى إليه [٨] كرامة أحدث عندها خضوعًا فكذلك إذا أحدث اللّٰه تعالى له من [٩] لطائفه في [١٠] إنزال السكينة على قلبه أحدث عندها خضوعًا بإظهار الافتقار بصفة الاستغفار .

---

(١) سقط من (س) .
(٢) زيادة يقتضيها السياق .
(٣) وزاد في (س) بعدها : الذي .
(٤) سقط من (س) و (خ) .
(٥) في (س) : عن .
(٦) النُّمَيْرِيُّ : بضم النون وفتح الميم وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها راء هذه النسبة إلى بني نمير ... ومن المشهورين بهذه النسبة زياد بن عبد اللّٰه النميري ، شيخ من أهل البصرة ، يروي عن أنس بن مالك ﷺ روى عنه أهل البصرة ، منكر الحديث ، يروي عن أنس ﷺ أشياء لا تشبه حديث الثقات ، لا يجوز الاحتجاج به ، تركه يحيى بن معين ، الأنساب (٤٤٢/٤) .
(٧) يأتي تخريجه في اللوحة رقم (١٥٧/ب) .
(٨) في هامش الأصل : له ا.هـ . وفي (خ) : به .
(٩) في (س) : في .
(١٠) في هامش (س) وفي (خ) : من .

وفي الاستغفار معنى آخر لطيف ، وهو استدعاء المحبة من اللّٰه تعالى ؛ لأنه - جل وعز - قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] فكان ﷺ يحدث في كل حال توبة ليستوجب من ربه المحبة ، فكان استغفاره إظهار توبته وتوبته استدعاء محبته .

ويجوز أن يكون معنى تغشي السكينة قلبه ﷺ لسماع ما يناجي به الحبيب حبيبه كما كان تغشيها فم أسيد بن حضير لسماع القرآن ، فإن القرآن كان يسمع من أسيد وغيره ، وما يناجي به النبي ﷺ [١] لا يسمع من غيره فاستماع السكينة لمناجاة قلب النبي ﷺ أولى من استماعها لقراءة أسيد .

ومما يجوز أن تكون مناجاة القلب منه [٢] مسموعة ، ما روي أنه كان إذا قام إلى الصلاة سمع له أزيز [٣] كأزيز المرجل [٤] ، فإذا جاز أن يسمع الناس من قلبه ﷺ جاز أن تسمع السكينة من قلبه ، فيكون تغشيها قلبه لسماع مناجاة حبيب اللّٰه كما كان تغشيها فم أسيد لسماع قراءة كلام اللّٰه تعالى [٥] .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : ربه . (٢) زاد في (خ) بعدها : ﷺ .

(٣) أزيز : أزيز المرجل هو الغليان ، النهاية مادة (أزز) ، (١/ ٤٥) . والمرجل هو الإناء الذي يغلي فيه الماء وسواء كان من حديد أو صفر أو حجارة أو خزف ، النهاية مادة (مرجل) ، (٤/ ٣١٥) .

(٤) من ذلك ما أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب صفة الصلاة باب البكاء في الصلاة عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل (١/ ٣٦٠) رقم (١١٣٥) ، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٥) رقم (١٦٣٥٥) ، وغيرهما .

(٥) زاد في (خ) بعدها : حديث آخر : حدثنا المحمود بن محمد بن محمد حدثنا محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى الذهلي حدثنا أبو صالح الحكم بن موسى حدثنا هقل سمعت الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة حدثني ربيعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت مع رسول اللّٰه ﷺ فأتيته بوضوء وحاجته فقال لي : « **سل** » . فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، فقال : « **أو غير ذلك** » ، قال : قلت : هو ذاك . قال : « **فأعني على نفسك بكثرة السجود** » قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **أو غير ذلك** » أنه ﷺ علم من ربيعة أنه يريد بمرافقته في الجنة درجته فيها وعلو مرتبته منها فيكون رفيقه في الجنة في الدرجة ، فقال له : « **أو غير ذلك** » من الحال والدرجة فإن مرافقتي في الرفعة والدرجة لا تنال فأساوي مع من دوني في الدرجة ، أي ليس لك ذلك فسل غيره ، فلما قال : « هو ذاك » أي أريد ذلك رغبة فيما يقربه إلى اللّٰه تعالى من كثرة السجود له فيدخل الجنة برحمة اللّٰه تعالى وشفاعة النبي ﷺ وتعلو درجته فيها بكثرة سجوده وتقربًا إلى اللّٰه تعالى فيقربه اللّٰه تعالى منه بكثرة السجود فإنه تعالى قال : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] ، وقال ﷺ : « **أقرب ما يكون العبد إلى اللّٰه إذا قال في سجوده : رب ظلمت نفسي فاغفر لي** » فكأنه قال ﷺ : تقرب إلى اللّٰه بكثرة السجود فتعلو درجتك في الجنة فتكون رفيقي فيها وإن لم تكن رفيقي في علو الدرجة ورفعة المنزلة ، يدل على ذلك ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول : « اللّٰهم إني أسألك إيمانًا =

٨٧
باب في حسن الصوت بالقرآن

حديث آخر : [٣٥٩] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى ح يحيى [١٠٢/أ] أخ [١] [عبد العزيز] [٢] بن محمد عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي قال : سمعته يقول : « **مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ** » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : إن الإنسان إذا أصابه غم فأحب أن يتسلى بشيء أو ضاق صدره من أمر فأراد أن يتفرج [٤] أو أصابته وحشة فأحب إزالتها عنه ربما تغنى ، وهو أن [٥] يرجع صوته بشيء من الشعر والرجز والمنظوم من الكلام يطلب بذلك راحة وفرجة مما هو فيه من الوحشة أو الكرب والغم .

والأنبياء والرسل عليهم السلام وأفاضل الأولياء والصديقون همومهم هم المعاد ، وكربهم كرب الدين ووحشتهم مما دون الله ، وضيق صدورهم عن ما يشغلهم عن الله - جل وعز - فهم لا يتفرجون من كربهم إلا بذكر ربهم ولا يتسلون من غمومهم وهمومهم إلا بمولاهم فيرجعون أصواتهم بقراءة القرآن الذي من محبوبهم بدأ ، وإليه يعود ، بخشية من قلوبهم ، ورقة من أفئدتهم ، ونيران محبته بين ضلوعهم ، وماء الاشتياق يجري على خدودهم ، فيحسن لذلك أصواتهم ؛ لأن حسن الصوت بالقرآن هو قراءته على خشية من الله [٦] .

= لا يرتد ونعيمًا لا ينفد ومرافقة النبي محمد في أعلى جنة الخلد » معناه مرافقة النبي في جنة لا أن يكون رفيقه في درجته فيها ؛ إذ ليس لأحد مساواة النبي ﷺ في درجته وعلوه فيها والله أعلم .

(١) في (س) : عن ا.هـ . وفي (خ) : حدثنا . (٢) في (س) : العبد العزيزة .

(٣) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب فضائل القرآن باب من لم يتغن بالقرآن (١٩١٨/٤) رقم (٤٧٣٥) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٥٤٥/١) رقم (٧٩٢) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر في جماع أبواب فضائل القرآن (٧٥/٢) رقم (١٤٧٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الافتتاح في تزيين القرآن بالصوت (٣٤٨/١) رقم (١٠٩٠) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٤٥٠/٢) رقم (٩٨٠٤) ، وعبد الرزاق في مصنفه بألفاظ مختلفة (٤٨٢/٢) رقم (٤١٦٧) .

(٤) في (س) : يفرح . (٥) زاد في (س) و (خ) بعدها : ينغم و .

(٦) زاد في (خ) بعدها : وحده و .

سئل النبي ﷺ فقال [1] : [٣٦٠] يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ : « مَنْ إِذَا قَرَأَ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى » [2] فأخبر أن حسن الصوت [يتغنى [3] بالقرآن] [4] ، قراءته على خشية من اللّٰه تعالى .

فقوله ﷺ : « مَا أذن [5] لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » يريد به – إن شاء اللّٰه – قراءته على خشيته من اللّٰه تعالى وخشوع [١٠٢/ب] في نفسه ورقّة من فؤاده وهي قراءة الأنبياء وأفاضل الأولياء ليس ترجيع الصوت وتكبير الألحان وتحريك الحنك كفعل من يتلهى بكلام المحدث الذي يريد به إثارة الشهوات الخفية بقلوب لاهية وأفئدة ساهية ، يتزين للناس ، ولا يطرد الخناس ، ويزيد في الوسواس ، فمن رزق حسن النعمة وخشية القلب ورقة الفؤاد فقرأ القرآن مرتلًا له مؤديًا حق حروفه فذاك الكامل الذي أوتي مزمارًا من مزامير آل داود كما قال النبي ﷺ حين سمع قراءة أبي موسى فقال : [٣٦١] « لَقَدْ أُوتِيَ أَبُو مُوسَى مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ [6] دَاوُدَ » [7] . وقال أبو موسى وقد قال له النبي ﷺ : [٣٦٢] « سَمِعْتُ قِرَاءَتَكَ » . فَقَالَ : أَمَا لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ قِرَاءَتِي لَحَبَّرْتُهَا [8] لَكَ [9] تَحْبِيرًا » [10] .

ومن لم يرزق حسن النعمة وأتى بما سواها من الشرائط لم يخرج – إن شاء اللّٰه –

---

(١) سقط من (س) .
(٢) سبق في اللوحة رقم (٢٠/أ) .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) سقط من (س) .
(٥) سقط من (س) و (خ) .
(٦) سقط من (س) .
(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي موسى في كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (١٩٢٥/٤) رقم (٤٧٦١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٥٤٦/١) رقم (٧٩٣) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب المناقب باب مناقب أبي موسى الأَشْعَرِيُّ وقال : غريب حسن صحيح (٦٩٣/٥) رقم (٣٨٥٥) ، والنسائي في المجتبى عن عائشة في كتاب الافتتاح باب تزيين القرآن بالصوت (١٨١/٢) رقم (١٠٢١) ، وقد أخرجه بلفظه الدارمي في سننه عن ابن بريدة عن أبيه (٥٦٥/٢) رقم (٣٤٩٨) .
(٨) حبرتها : يقال : حبرت الشيء تحبيرًا إذا حسنته ، النهاية مادة (حبر) ، (٣٢٧/١) .
(٩) سقط من (خ) .
(١٠) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي بردة بن أبي موسى بألفاظ مختلفة وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٥٢٩/٣) رقم (٥٩٦٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن أبي موسى (١٢/٣) رقم (٤٤٨٤) ، وابن حبان في صحيحه (١٧٠/١٦) رقم (٧١٩٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٧/١٣) رقم (٧٢٧٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى وفيه خالد بن نافع الأَشْعَرِيُّ وهو ضعيف (١٧١/٧) .

من صفة من يأذن الله - جل وعز - له بحسن صوته .

وقوله ﷺ : « **ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي** » ، أي : ما رضي [(١)] من المسموعات شيئًا هو أرضى عنده ولا أحب إليه ولا آثر لديه من قراءة القرآن على خشية من الله تعالى ، والله - جل وعز - موصوف بالسمع والبصر والرؤية والإدراك وهو السميع البصير ، والسمع صفة له على الحقيقة في ذاته بخلاف ما [(٢)] يعقل من أسماع المحدثين [(٣)] ، تعالى عن صفات الحدث علوًّا كبيرًا ، فهو سامع للمسموعات على الحقيقة بسمع هو صفة له ، وليست بجارحة ، فأذن الله سماعه لقراءة القرآن وهو - تعالى جده - لا يوصف بأنه أسمع لشيء منه لغيره ولا يوصف بالاستماع الذي هو جمع بالفكر وإحضار السر وإلقاء السمع فلذلك [١٠٣/أ] حمل معنى تخصيص سماع القرآن منه على الرضا والمحبة والإيثار ، وقال ﷺ [(٤)] : [٣٦٣] « **مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا** » [(٥)] يجوز أن يكون معناه من لم يتفرج من غمومه ولم يكشف [(٦)] مما يلهيه عن كربه ويسليه عن همومه ويطرد وحشاته بقراءة القرآن والتفكر فيه ، والتدبر له « **فليس منَّا** » ، أي : ليس ذلك من أوصافنا ولا تشبه بنا حلية وصفة ، وإن كان منَّا نحلة وملة .

ففي قوله : « **من لم يتغن بالقرآن فليس منَّا** » معنيان :

أحدهما : أنه من لم تكن همومه هم المعاد ، ووحشته من أوصاف المحدثين فليس منَّا ؛ لأن التسلي بكلام الله ﷻ إنما يكون من كرب الدين والهموم التي تكون في الله ﷻ فيكون التسلي منها بما منَّ الله ، فأما هموم الدنيا من جهة فواتها ، ونيلها ووحشة الخلوة [(٧)] من الأقران والأخدان ، فإنما يطلب لها الملاهي وترجيع الأصوات بالأغاني .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : لشيء . (٢) سقط من (خ) .

(٣) زاد في (س) بعدها لفظ الجلالة : الله . (٤) في (خ) : وقول النبي .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه إلا أنه قدم : « ليس منَّا » عن أبي هريرة وذلك في كتاب التوحيد باب قوله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ ﴾ [الملك : ١٣] ، (٢٧٣٧/٦) رقم (٧٠٨٩) ، وأبو داود في سننه عن سعيد بن أبي سعيد في كتاب الوتر باب استحباب الترتيل في القراءة (٧٤/٢) رقم (١٤٦٩) ، والدارمي في سننه عن سعد بن أبي وقاص (٥٦٣/٢) رقم (٣٤٨٨) ، وأحمد في مسنده (١٧٢/١) رقم (١٤٧٦) ، والحاكم في المستدرك عن سعد بن مالك (٧٥٩/١) رقم (٢٠٩٣) ، وقد أخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظه عن عائشة (١٩٥/٨) رقم (٤٧٥٥) .

(٦) في (خ) : يكتف . (٧) في (س) : الخلق .

والمعنى الآخر : أن من لم يستأنس بالله وأذكاره ولم يرجع إلى الله تعالى عند ضروراته ولم تكن صفاته - جل وعز - حاملة له عن وحشة صفاته ، فليس منَّا خلقًا وسيرة وإن كان منَّا نطقًا وسريرة (ن) .

٨٨
باب فيمن تخافه المخوفات لغلبة خوف الله عليه

حديث آخر : [٣٦٤] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى ح إبراهيم بن سعد عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن محمد بن [١] سعد عن أبيه قال : اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ تَبَادَرْنَ [٢] الْحِجَابَ ، فَدَخَلَ عُمَرُ ﷺ والنَّبِيُّ ﷺ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ [١٠٣/ب] يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي [٣] ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ ؟ فَقَالَ : « **عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاءِ** [٤] **اللاتي كُنَّ عِنْدِي ، لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ** » ، فَقَالَ عُمَرُ : [فَأَنْتَ بِأَبِي] [٥] وَأُمِّي كُنْتَ أَحَقَّ بِهِنَّ [٦] أَنْ يَهَبْنَ وَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَيْهِنَّ ، فَقَالَ : أَيْ [٧] عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ تَهَبْنَنِي وَلا [٨] تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقُلْنَ لِعُمَرَ : أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا** [**قَطُّ إِلا سَلَكَ فَجًّا**] [٩] **غَيْرَ فَجِّكَ** » [١٠] .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : محمد .
(٢) تبادرن : أي أسرعن إلى الاحتجاب منه ، قال في لسان العرب في مادة (بدر) : تبادر القوم : أسرعوا .
(٣) في هامش (خ) : أي أنت مفدي بأبي وأمي .
(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : النسوة .
(٥) في (س) : بأبي أنت .
(٦) سقط من (س) و (خ) .
(٧) في هامش (خ) : أي من حروف النداء أي : يا .
(٨) السابق .
(٩) من هامش الأصل .
(١٠) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن سعد بن أبي وقاص في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ (١٣٤٧/٣) رقم (٣٤٨٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر ﷺ (١٨٦٣/٤) رقم (٢٣٩٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب فضل أبي بكر وعمر ﷺ (٤١/٥) رقم (٨١٣٠) ، وأحمد في مسنده (١٧١/١) رقم (١٤٧٢) ، وابن حبان في صحيحه (٣١٦/١٥) رقم (٦٨٩٣) ، وأبو يعلى في مسنده (١٣٢/٢) رقم (٨١٠) .

قال الشيخ رحمه الله : فإن (١) قال قائل : ظاهر هذا الحديث يرى أن الشيطان كان يهاب عمر ولا يهاب رسول الله ﷺ ، وإن الشيطان حضر (٢) بحضور النسوة ، فلما ذهب الشيطان بدخول عمر تبادرت النساء الحجاب ، والنبي ﷺ شاهد وهو أرفع درجة وأعلى رتبة من عمر ، وكيف لم يهبه الشيطان وهاب عمر ؟ والجواب : إنه ليس في الحديث ما يدل على حضور الشيطان حضرة النبي ﷺ وإنما أخبر النبي ﷺ عمر (٣) بعذرهن في هيبتهن إياه ، فقال : كيف لا يهبنك والشيطان يهابك ، ولو كان الحال توجب حضور الشيطان لكانت الحال حال معصية ولو كان كذلك لكان النبي ﷺ ينهى عن ذلك وينكر عليهن ، فلما لم يفعل دل على أنها لم تكن حال عصيان لله ، فيحضر الشيطان ، ومعنى قوله : « عالية أصواتهن [على صوت النبي ﷺ » : يجوز أن يكون على معنى كثرة ما يسمع من أصواتهن لكثرة عددهن لا أن تكون أصواتهن] (٤) أرفع .

ويجوز أن يكون ذلك قبل نزول النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ [١٠٤/أ] ويجوز أن يكون الشيطان كان يخاف عمر ، ولا يخاف النبي ﷺ ؛ لأنه لو خاف النبي لم يخل خوفه منه وهيبته إياه من أحد وجهين : إما خوف إجلال وتعظيم ، وهو فضيلة والشيطان أبعد شيء من الفضائل ، أو يكون خوف عقوبة يحلها به ، والنبي ﷺ لم يكن يعاجله بالعقوبة استخفافًا به وقلة مبالاته (٥) ؛ إذ لم يكن ﷺ يخاف فتنته ولا يهاب وسوسته ، وقد أيس الشيطان من ذلك فلا يوسوس إليه ولا يقرب منه وأمن عقوبته فلم يهبه اغترارًا به ، وأمنًا من مكر الله ، وهما من صفاته - أعني الاغترار بالله والأمن من مكره - وأما عمر رضي الله عنه فإنه كان يخاف الشيطان أن يفتنه ويوسوس إليه ؛ فكان يناصبه ويستعد له وينصر عليه فكان الشيطان يخافه لاستعداده له ، ومناصبته إياه فكان يترك فجه وسبيله حذرًا منه ، وأما النبي ﷺ فكان لا يباليه (٦) ولا يفكر فيه استخفافًا به ، واستصغارًا له ، كأنه ليس بشيء ، وقد قال أبو حازم (٧) :

(١) سقط من (س) .
(٢) في (س) : خطر .
(٣) في (خ) : لعمر .
(٤) سقط من (س) .
(٥) في (س) : مبالاة .
(٦) في (س) و (خ) : يبالي .
(٧) هو سلمة بن دينار يكنى بأبي حازم من أئمة التابعين وقد أخرج أبو نعيم الأصبهاني بسنده إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : ما رأيت أحدًا الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم ، ومن أقواله : (ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظًا للسانه منه لموضع قدميه وقد أسند عن سهل بن سعد الساعدي وسمع منه ومن ابن عمر وأنس بن مالك ، وقيل : إنه رأى أبا هريرة وسمع من سعيد بن المسيب وغيرهم ، وحدث =

(وما الشيطان حتى يهاب منه ، فواللّه لقد أطيع فما نفع وقد عصي فما ضر) . وعامر بن عبد اللّه (١) كان الشيطان يتمثل له في صورة حية في موضع سجوده ، فكان إذا أراد أن يسجد نحاه بيده ويقول : (واللّه لولا نتنك لم أزل أسجد عليك) . [وروى أبو حنيفة عن حماد عن مجاهد وسعيد بن جبير أنهما قالا : [٣٦٥] « إِنَّ الشَّيْطَانَ أَشَدُّ فِرَارًا مِنْ أَحَدِكُم مِنْهُ فَإِذَا عَرَضَ لأَحَدِكُم فَلا تَهْرَبُوا مِنْهُ فَيَرْكَبَكُم وَلَكِنْ شُدُّوا عَلَيْهِ فَيَهْرَبَ » (٢) (٣)] (٤) . وقال بعض الكبار : (لولا أن اللّه تعالى أمر بالاستعاذة من الشيطان [١٠٤/ب] ما استعذت منه) (٥) ، ولو ناصبوه واستعدوا له لأتعبوه تعبًا لا يقرب منهم .

ألا ترى إلى ما روي في الحديث [٣٦٦] : « **إِذَا أَذَّنَ المؤَذِّنُ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ حُصَاصٌ** » (٦) (٧) . هذا فيمن لم يقصده فكيف بمن يقصد له ذاكرًا للّه تعالى مستعيذًا به منه غير أن الأنبياء والأكابر ممن دونهم لا يبالونه ولا يفكرون فيه ، فهو يأمنهم اغترارًا

= عنه من الأئمة والأعلام مالك والثَّوْرِيُّ والحمادان وابن عيينة ومعمر وسليمان بن بلال وأخرج له مسلم في صحيحه ، حلية الأولياء (٢٤٩/٣) ووثَّقه ابن حجر ، تقريب التهذيب (٢٤٧/١) .

(١) هو عامر بن عبد اللّه بن عبد قيس من الزهاد أخرج أبو نعيم الأصبهاني بسنده إلى علقمة مرثد قال : (انتهى الزهد إلى ثمانية عامر بن عبد اللّه بن عبد قيس و ...) وذكر آخرين ومن أقواله : لذات الدنيا أربعة : المال والنساء والنوم والطعام ، فأما المال والنساء فلا حاجة لي فيهما ، وأما النوم والطعام فلا بد لي منهما فواللّه لأضرن بهما جهدي) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨٧/٢) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه أبو يوسف الأَنْصَارِيُّ في كتاب الآثار بألفاظ مختلفة عن مجاهد (١٢٨/١) رقم (٥٨٥) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) قاله أبو سليمان الداراني واسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العَنْسِيُّ الداراني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢٧٧/٩) .

(٦) حصاص : الحصاص شدة العدو وحدته ، وقيل : هو أن يمصع بذنبه ويصر بأذنيه ويعدو . وقيل : هو الضراط ، النهاية مادة (حصص) ، (٣٩٦/١) .

(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه (٢٩١/١) رقم (٣٨٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه (٤٣٢/١) رقم (١٨٧٧) ، وأبو عوانة الإِسْفَرَايِينِيُّ في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٢٧٩/١) رقم (٩٧٦) ، والطبراني في الأوسط بلفظ مقارب (٢٥٦/٧) رقم (٧٤٣٦) وفي إسناده عدي بن الفضل وهو متروك ، مجمع الزوائد (١٣٤/١٠) .

بالله ﷻ ، فيدنوا منهم ويروم منهم ما يروم من غيرهم ، فلا يضرهم ويضر نفسه كمثل الفراش يأمن النار فيدنو منها فيحرق نفسه .

ألا ترى إلى ما روي في حديث عيسى بن مريم - صلوات الله عليه - وهو ما حدثنا محمد بن محمد بن محمود ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسن ح سلمة بن الفضل عن [1] محمد بن إسحاق قال : [٣٦٧] « كَانَ إِبْلِيسُ - فيما ذُكر لي - قَدْ اعْتَرَضَ عِيسَى [2] ابْنَ مَرْيَمَ وَهُوَ في ثَنِيَّةِ أَفِيقِ فَسَدَّ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ المسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ لَهُ عِيسَى : نَعَمْ ، أَنَا المسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ مِنْ أَسْمَائِي أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وابْنُ أَمَتِهِ . فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ : أَنْتَ إِلَهُ الأَرْضِ . بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنْتَ [3] تَخْلُقُ الطَّيْرَ مِنْ الطِّينِ وتَشْفِي المرْضَى وتُحْيِي الموْتَى . فَقَالَ : بَلْ العَظَمَةُ للذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَ مَا سَخَّرَ لِي وَبِإِذْنِهِ شَفَيْتُهُم ، وَلَو شَاءَ أَمْرَضَنِي » ساق الحديث إلى أن قال له : « هَلُمَّ أُعَبِّدْ لَكَ الشَّيْطَانَ [4] وَآمُرُهُم بِالاعْتِرَافِ والسُّجُودِ لَكَ ، فَيَرَاهُمْ بَنُو آدَمَ فيَعْتَرِفُونَ لَكَ بِالسُّجُودِ فَتَكُونَ إِلَهَ الأَرْضِ . فَأَعْظَمَ ذَلِكَ عِيسَى مِنْ قَوْلِهِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا تَقُولُ وبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ مِلءَ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ وَعَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ [١٠٥/أ] وَمَبْلَغَ عِلْمِهِ وَمُنْتَهَى كَلِمَاتِهِ وَوَزْنَ عَرْشِهِ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ نَزَلَ جِبْرِيلُ وميكَائِيلُ وإِسْرَافِيلُ فَثَبَتَ [5] جِبْرِيلُ مَعَ عِيسَى ، وَنَفَخَ مِيكَائِيلُ إِبْلِيسَ نَفْخَةً ذَهَبَ يَطم مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ نَحْوَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ لا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا حَتَّى صَدَمَ عَيْنَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا ، فَخَرَّ حَصِيدًا مُحْتَرِقًا ، وَأَتْبَعَهُ إِسْرَافِيلُ حَثِيثًا ، فَصَدَمَه صَدْمَةً أُخْرَى نَحْوَ مَغْرِبِهَا فَذَهَبَ يَطم [6] [عَلَى وَجْهِهِ] [7] لا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أمر [8] بِحِيَالِ عِيسَى حَيْثُ فَارَقَهُ . قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكَ يَا ابْنَ مَرْيَمَ تَعَبًا [9] لم تَكُنْ لَهُ نَاهِيَةٌ ، حَتَّى وَقَعَ في الْعَيْنِ الْحَمِئَةِ التي تَغْرُبُ فِيهَا الشَّمْسُ ، فَغَرِقَ فِيهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ لا يَقْدِرُ [10] أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا ، كُلَّمَا أُطْلِعَ مِنْهُ شَيءٌ غَمَسَته الملائِكَةُ حتَىَّ تَخَلَّصَ بَعْدَ سَبْعٍ وَمَا كَانَ ، فَمَا رَامَ عِيسَى عليه السلام بَعْدَ ذَلِكَ وَلا زَالَ لَهُ هَائِبًا » [11] .

---

(١) في (خ) : حدثنا .
(٢) في (س) : لعيسى .
(٣) في (خ) : أنك .
(٤) في (خ) : الشياطين .
(٥) في هامش (خ) : أي قام .
(٦) زاد في (خ) بعدها : بها .
(٧) سقط من (س) .
(٨) في (س) و (خ) : مر .
(٩) زاد بعدها في (س) بعدها : ثم .
(١٠) زاد في (س) بعدها : على .
(١١) لم أقف عليه ، والحديث إسناده ضعيف فيه نصر بن زكريا البخاري (روى خبرًا باطلًا عن يحيى بن =

فدل على أن دنوه من عيسى عليه السلام كان اغترارًا منه [1] ، وأمنًا من عذاب [2] الله تعالى ومكره لقلة التفات عيسى إليه واكتراثه له واشتغاله به ، فأمنه فدنا منه فأهلك نفسه ، وكل من أمن شيئًا ثقة بالله وخوفًا منه وتوكلًا عليه فلم يلتفت إلى المخوف ولم يشتغل به أمنه ذلك المخوف . إما ثقة به واستئناسًا كما تأنس الطير والوحوش إلي من [3] يتعرض لها والسباع والأسد ، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : [٣٦٨] أَنَّه خَرَجَ في سَفَرٍ فَإِذَا بِجَمَاعَةٍ عَلى ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : أَسَدٌ قَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى النَّاسِ . فَنَزَلَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فَمَشَى حَتَّى أَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ نَفَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا كَذَبَ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : « **لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لم** [١٠٥/ب] **يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ مَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَيْرَهُ ، وَإِنَّمَا وكُل ابْن آدَمَ بما رَجَا ابْن آدَمَ ، وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لم يَرْجُ** [4] **غَيْرَ اللَّهِ لم يَكِلْهُ اللَّهُ إِلى غَيْرِهِ** » حدثناه عبد الله بن محمد الحَارِثِيّ ح محمد بن صالح أبو بكر البَلْخِيُّ ح عمرو بن عثمان ح بقية حدثني ابن خزيم [عن أبان بن وهب] [5] القرشي عن عبد الله بن عمر « أنه خرج في سفر ... » [6] فدل هذا الحديث أنه أمن من الأسد ثقة بالله فأخذ بأذنه أمنه الأسد فلم يهرب منه ، سئل أبو عبد الله بن الجلاء [7] قال : (من الخائف ؟ فقال : الذي تأمنه المخوفات) ؛ لأن من لم يطرق المخاوف [8] أذكاره غيبة عنها لخوف الله تعالى غابت الأشياء عنه . وسئل بعض الكبار : (من الخائف ؟ فقال : الذي يخافه المخوفات) . وهو الذي غلب عليه خوف الله تعالى فصار

= أكثم . قال الذهبي : هو آفته) كذا في الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث لإبراهيم بن محمد بن سبط الطرابلسي (ص ٢٦٦) رقم (٨٠٣) ، وتهذيب التهذيب لابن حجر (١٥٢/٦) رقم (٥٣٥) .

(١) زاد في (س) بعدها : به .

(٢) سقط من (س) . وفي (خ) : مكر .

(٣) زاد في (س) بعدها : لا .

(٤) في (س) : يخرج .

(٥) في (س) : حدثني ابن أبي وهب .

(٦) الحديث ذكره الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول بألفاظ مختلفة عن ابن عمر (١٧٦/١) ، والحديث إسناده ضعيف فيه ابن خزيم ، وأبان بن وهب القرشي كلاهما مجهولان ، وبقية هو ابن الوليد الحمصي مدلس ، تذكرة الحفاظ للقيسراني (٢٨٩/١) رقم (٢٦٩) ، وهو ثقة ما روي عن المعروفين وما روي عن المجهولين فليس بشيء ، معرفة الثقات لأبي الحسن العجلي (٢٥٠/١) رقم (١٦٨) .

(٧) اسمه أحمد بن يحيى ، ويقال : محمد بن يحيى ، كان أصله من بغداد ، أقام بالرملة ودمشق ، وكان من جلة مشايخ الشام ، عالمًا ورعًا ، من أئمة الصُّوفِيَّة ، طبقات الصُّوفِيَّة لأبي عبد الرحمن الأَزْدِيِّ (١٤٤/١) واختار ابن الجوزي أن اسمه أحمد ، صفة الصفوة (٤٤٣/٢) وتوفي سنة ست وثلاثمائة ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لمحمد بن عبد الله الربعي (٦٣٧/٢) .

(٨) سقط من (س) .

خوفًا كله فيخافه كل شيء ، كما روي في الحديث [٣٦٩] : « **أَنَّ النَّارَ تَقُولُ : جُزْ يَا مُؤْمِنُ [فَإِنَّ نُورَكَ أَطْفَأَ]** [1] **لَهَبِي** » [2] .

أنشدني بعض المشايخ :

يحرق بالنار من يحس بها فمن هو النار كيف يحترق (ن)

فكان عمر ﷺ بصفة من تخافه المخوفات لغلبة خوف اللَّه عليه . والنبي ﷺ بصفة من أمنته المخاوف غيبة عنها بشهود مولاه .

فإن قيل : فقد قال اللَّه تعالى في قصة آدم ﷺ وحواء : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ الآية [الأعراف : ٢٠] . وقوله : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ [3] قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه : ١٢٠] فقد نال الشيطان من آدم ﷺ [١٠٦/ب] بوسوسته له ، فأخرجه من الجنة ، قيل : إن آدم ﷺ لم يلتفت إلى وسوسة إبليس ، ولم يأكل من الشجرة بوسوسته إليه ، وإنما أكل منها متأولًا أنه نهى عن تلك الشجرة ، أو [4] عن جنسها [5] فأخطأ في تأويله وأخرج إلى الأرض ؛ لأنه خلق خليفة لها ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] لكن لما وافق أكله تزيين إبليس له وسوسته إياه نسب إخراجهما من الجنة إليه ، فقال : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة : ٣٦] ولم يقصد إبليس إخراجه منها ، وإنما قاصدًا إسقاطه من مرتبته [6] وإبعاده كما بعد [7] هو فلم يبلغ مقصده ولا أدرك مراده ، بل ازداد سخنة عين وغيظ نفس وخيبة ظن ، قال اللَّه تعالى : ﴿ [ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ] [8] رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢٢] فصار آدم خليفة اللَّه في أرضه بعد أن كان جارًا له في داره ، فكم بين الخليفة والجار ؟! .

٨٩
باب في ترك الاعتراض على الله ورسوله

حديث آخر : [٣٧٠] حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد اللَّه المُزَنِيُّ ح القاسم بن زكريا

---

(١) في (س) و (خ) : فقد أطفأ نورك . (٢) سبق في اللوحة رقم (٧٧/أ) .
(٣) في هامش (خ) : أي أخذ حظه من آدم بوسوسته .
(٤) في (س) و (خ) : لا . (٥) زاد في (خ) بعدها : فأكل من غير تلك العين .
(٦) في (س) : رتبته . (٧) كذا والصواب : أبعد ، بالبناء للمفعول .
(٨) في الأصل : فاجتباه .

الْمُقْرِئ ح محمد بن الصباح ح الوليد بن مسلم عن الأَوْزَاعِيِّ عن الزُّهْرِيِّ عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ** » (١) .

قال أبو محمد : وزادني في هذا الخبر أحمد بن عبد الله بن نصير (٢) بن بجير القاضي أن (٣) محمد بن أحمد بن عصمة الرَّمْلِيَّ (٤) حدثه قال : ح سوار بن عمارة حدثني هقل عن الأَوْزَاعِيِّ حدثني الزُّهْرِيُّ حدثني سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٣٧١] : « **لا يزني الزَّانِي وهُوَ حِينَ [١٠٦/ب] يَزْنِي وَهُوَ (٥) مُؤْمِنٌ ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ وهُوَ حِينَ يسرِقُ مُؤْمِنٌ ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ وهُوَ حِينَ يَشْرَبُهَا مُؤْمِنٌ ، وَلا ينتَهِبُ نُهْبَةً (٦) ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ المؤْمِنُونَ إِلَيهِ فِيهَا أَبْصَارَهُم وهُوَ حِينَ يَنْتَهِبُهَا مُؤْمِنٌ** » . قَالَ : فَقُلْتُ للزُّهْرِيِّ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا فَمَهْ ؟ (٧) قَالَ : فَنَفَرَ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : أَمِرُّوا الأَحَادِيثَ كَمَا أَمَرَّهَا مَنْ قَبْلَكُم فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرُّوهَا (٨) .

---

(١) الحديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب المظالم باب النهبى بغير إذن صاحبه (٨٧٥/٢) رقم (٢٣٤٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي (٧٦/١) رقم (٥٧) ، وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٢١٩/٤) رقم (٤٦٨٩) ، والترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب في كتاب الإيمان باب لا يزني الزاني وهو مؤمن (١٥/٥) رقم (٢٦٢٥) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب قطع السارق باب القطع في السرقة (٣٢٦/٤) رقم (٧٣٥٤) وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب النهي عن النهبة (١٢٩٨/٢) رقم (٣٩٣٦) .

(٢) في (س) : نصر .

(٣) في (س) : بن .

(٤) الرَّمْلِيُّ : بفتح الراء وسكون الميم وفي آخرها اللام ، هذه النسبة إلى بلدة من بلاد فلسطين ، وهي قصبتها ، يقال لها : الرملة ، الأنساب (٣٢٥/٢) .

(٥) سقط من (س) و (خ) .

(٦) نهبة : النهب : الغارة والسلب : أي لا يختلس شيئًا له قيمة عالية ، النهاية مادة (نهب) ، (٤٦١/٢) .

(٧) فمه : أي فماذا للاستفهام فأبدل الألف هاء للوقف والسكت ، النهاية مادة (مهم) ، (٣٧٥/٣) . وفي هامش (خ) : أي فما هو والهاء للسكت .

(٨) نفس المواضع السابقة ولكن بألفاظ مختلفة وليس فيها (قال : فقلت للزهري) إلى آخره ، وقد أخرج نحو هذا القول أبو داود في المراسيل بإسناده إلى أحمد بن نصر وقد سأل سفيان بن عيينة عن الأحاديث التي روت نحو : « القلوب بين إصبعين » و « إن الله يضحك » أو « يعجب » ممن يذكره في الأسواق ، فقال : أمروها كما جاءت بلا كيف . المراسيل (ص ١١٢) رقم (٧٥) ، وكذا البيهقي في سننه الكبرى بإسناده إلى الوليد بن مسلم قال : سئل الأَوْزَاعِيُّ ومالك وسفيان الثَّوْرِيُّ والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي =

قال الشيخ رحمه الله : قول الزُّهْرِيِّ : (أمروا الأحاديث كما أمرها من قبلكم) تسليم لأمر اللَّه وانقياد لرسول اللَّه ﷺ وتصديق له ، وإيمان به فيما علم وجهل ، وترك الاعتراض على اللَّه ورسوله والتحكم عليهما بالعقول الضعيفة والأفهام (١) السخيفة ، إيمانًا باللَّه ورسوله ، وتصديقًا لهما ، وتوكيلًا لعلم تأويل ما جهلناه إلى اللَّه ورسوله ، والقدوة فيه أبو بكر وعمر وعبد اللَّه بن مسعود ومعاذ بن جبل وسلمان رضي الله عنهم ، وكثير من العلماء كالزُّهْرِيِّ والأَوْزَاعِيِّ ومالك بن أنس وسفيان الثَّوْرِيِّ ، وكذلك قولهم في الأخبار المتشابهة ، لا يردونها رد منكر جاحد ، ولا يتأولونها تأويل متحكم (٢) ، بل يؤمنون بها إيمان مصدق مسلم ، ويروونها رواية فقيه مستسلم .

وقد تأولها قوم من الفقهاء من الصحابة والتابعين وسائر فقهاء المسلمين وعلماء الدين [وحكماء المؤمنين] (٣) على ما يليق باللَّه ورسوله ، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكذيب بتحريف تأويل ، طلبًا للحكمة فيها على [١٠٧/أ] قدر أفهامهم ومبلغ عقولهم ونور أسرارهم وشرح صدورهم بانتزاع التأويل من الكتاب والسنة ، وأقاويل فقهاء الأمة على قدر الحكمة التي يهب اللَّه منها من يشاء ويؤتيها من يريد ، ومن أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا .

فيجوز أن يكون تأويل قوله : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** » ، أي : لا يزني وهو في حين يزني مكاشف في إيمانه مشاهد لما آمن به بإيقانه ، بل هو في وقت فعله ذلك عن تحقيق إيمانه محجوب ، وبغلبة شهوته عن شهود إيقانه مسلوب ، فإيمانه في قلبه من جهة العقد ثابت ، ونور إيمانه من جهة اليقين مطموس ؛ لأن الموصوفين بالإيمان على ثلاث طبقات :

فمنهم ناطق بكلمة الإخلاص محجوب القلب فيه عن صدق الإخلاص ، فهو مؤمن العلانية كافر السريرة ، قال اللَّه تعالى : [﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨]] (٤) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء : ١٣٦] .

= جاءت في التشبيه فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيفية (٣/٢) رقم (٤٤٢٩) ، واللالكائي عن الوليد بن مسلم أيضًا قال : سألت الأَوْزَاعِيَّ وسفيان الثَّوْرِيَّ ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية ، فقال : أمروها كما جاءت بلا كيف ، اعتقاد أهل السنة (٥٢٧/٣) رقم (٩٣٠) .

(١) في (خ) : والأوهام .

(٢) زاد في (خ) بعدها : متكلف .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) من هامش الأصل ، وهي سقط من (خ) .

وناطق بكلمة التقوى منطوٍ [١] في سره على صدق الدعوى ، أقرَّ بلسانه وأخلص بجنانه ، مضطرب الحال فيما يوجبه إيمانه ، فمرة بالحجبة موصوف ، وأخرى بالكشوف معروف ، لم يلبس إيمانه بظلم [٢] ، ولم يجرده بيقين شهود وحقيقة علم ، فهو مؤمن العلانية مؤمن السريرة مخلط الفعل ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة : ١٠٢] ، وقال اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة : ١] طولب هؤلاء بوفاء ما صحت به عقيدتهم ، وصدقت قولهم سريرتهم ، فدل أنه [٣] [١٠٧/ب] في حجبة عما نطقوا به واعتقدوه .

ومقر بلا إله إلا اللّه ، قد أسقط عن سره ما دون اللّه ، وأقبل بكليته على اللّه ، وأسرع بسيره إلى اللّه تعالى لكشوف إيمانه وصدق إيقانه ، حجبه إيمانه عن كثير من لذاته ، وصرفه إيقانه عن شهواته ، فهو يشاهد ما آمن به كأنه رائي عيان ، ويرى ما غاب عن بصره بعين الإيقان [٤] كما قال حارثة : [٣٧٢] كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ وإِلَى أَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **عَبْدٌ نَوَّرَ اللّهُ قَلْبَهُ** » [٥] ، وفي رواية أخرى : [٣٧٣] « **عَبْدٌ نَوَّرَ اللّهُ الإيمَانَ في قَلْبِهِ** » [٦] .

فهذا المكاشف بالإيمان شهودًا لما آمن به ، قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية [الأنفال : ٢] ، فمن كان بهذه الصفة فهو محجوب بإيمانه عن الزنى والسرقة وشرب الخمر وانتهاب نهبة ذات شرف ، ومن حجب عن إيمانه بظلمة غفلته ودخان شهوته ربما واقع هذه الأعمال ، ووصف بهذه الخصال ، بلغ [٧] من حق إيمانه أن أسقط إباحتها من سره ، و [٨] لم يبلغ حقيقة حقه أن يجانبها بفعله ، فهو في وقت مواقعتها والإتيان بها غير موصوف [بحقيقة حق الإيمان ، وإن كان موصوفًا] [٩] بصدق الإيمان ، فهو مؤمن إيمان عقود ، وليس بمؤمن إيمان شهود .

---

(١) في الأصل : منطوي .

(٢) في هامش (خ) : أي بشرك . (٣) في (س) : أنهم .

(٤) سقط من (س) . (٥) سبق في اللوحة رقم (٤/أ) .

(٦) ذكره في كنز العمال (جـ١٣) وعزاه إلى العسكري في الأمثال رقم (٣٦٩٩٠) ، وإلى ابن النجار رقم (٣٦٩٩١) ، وقال : فيه يوسف بن عطية ا.هـ . ويوسف بن عطية البَصْرِيُّ الصفار مجمع على ضعفه ، لسان الميزان (٤٤٧/٧) ترجمة رقم (٥٣٤٢) . (٧) في (س) : ما بلغ .

(٨) سقط من (س) . (٩) من هامش الأصل .

ففي قوله : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** » معنيان :

أحدهما : كالعذر له كأنه يقول : لم يزن الزاني حين يزني جحودًا واستكبارًا ، ولكنه فعل ذلك حجبة واستتارًا .

والمعنى الآخر : كالتحذير [١٠٨/أ] عن متابعة الهوى والانهماك في الشهوات والمنى ، كأنه يقول : غفلة ساعة واتباع شهوة حجبته عن حقيقة إيقانه ، فغير مأمون إن دامت غفلته واستحكمت فيه شهوته أن يزيله شؤم فعله عن حق [١] إيمانه .

قال : فالزنى عبارة عن جميع شهوات النفس المحظورة المحرمة ، والسرقة عبارة عن الرغبة في الدنيا فيما حرم اللَّه ، وشرب الخمر عبارة عن الغفلة عن اللَّه ، والانتهاب عبارة عن الخوض فيما حرم اللَّه ، ففيه تحذير عن متابعة الشهوات والرغبة في الملذات والغفلة عن اللَّه والحرص فيما حرم اللَّه تعالى ، والاستخفاف بأولياء اللَّه ؛ لأن المنتهب نهبة رفع المؤمنون إليها أبصارهم مستخف بهم غير موقر لهم ولا معظم حقوقهم .



٩٠ باب في الحياة بعد الموت

حديث آخر : [٣٧٤] حدثنا [أبو محمد] [٢] أحمد بن عبد اللَّه [بن محمد] [٣] الهَرَوِيُّ ح أبو يعلى المَوْصِلِيُّ ح هدبة بن خالد ح حماد بن سلمة ح ثابت البُنَانِيُّ وسليمان التَّيْمِيُّ عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **مَرَرْتُ بِمُوسَى ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي** [٤] **وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ** » . قالَ سَالِمُ [٥] ابْنُ هَانِئٍ : سَأَلْتُ وَكِيعًا عَنْ هَذَا الحدِيثِ ، فقَالَ : ياخُرَاسَانِيُّ أَخْبَارٌ رُوِيَتْ فَأَمِرُّوهَا كَمَا نُقِلَتْ » [٦] (ن) .

---

(١) في (س) : حقيقة . (٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في (س) : به . وزاد في (خ) بعدها : إلى السماء .

(٥) كذا في الأصل و (س) ، وفي هامش الأصل سلمان ا.هـ . وما في الهامش خطأ . واسمه سالم بن أبي سالم سفيان بن هانئ الجيشاني مصري مقبول من الرابعة ، تقريب التهذيب لابن حجر (٢٢٦/١) رقم (٢١٧٣) والرابعة عند ابن حجر تعني الطبقة التي تلي الوسطى من التابعين وجل روايتهم عن كبار التابعين (السابق / المقدمة) وقد وثقه الذهبي في الكاشف (٤٢٢/١) رقم (١٧٧٠) وهو أيضًا من رجال مسلم ، رجال مسلم للأصبهاني (٢٥٩/١) رقم (٥٦٢) .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أنس بن مالك دون قوله : (قال سالم .... إلخ) =

قال الشيخ رحمه الله : هذا مذهب وكيع وجماعة من علماء الأثر ، وكثير من فقهاء النظر في الأخبار المتشابهة يرون روايتها ولا يرون البحث عنها [١] ، وبحث عنها غيرهم من العلماء وأجازوا طلب تأويلها ، فأولوها على الأوجه والأبعد من الشبه والأشبه بالأصول .

فيجوز أن يكون معنى قول النبي عليه السلام : « **مررت بموسى وهو قائم يصلي** [١٠٨/ب] **في قبره** » ، أي : يدعو الله ويثني عليه ويذكره ، وهو حي أحياه الله بعد موته كما أحيا الشهداء ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩ فَرِحِينَ ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٩، ١٧٠] .

فإذا كانت الشهداء أحياء يرزقون فكيف الأنبياء [٢] والرسل ؟ وقد قال ﷺ لجابر ابن عبد الله رضي الله عنه : [٣٧٥] « **أَلا أُبَشِّرُكَ يا جَابِرُ ؟** » ، قَالَ : فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **إِنَّ أَبَاكَ** [٣] **أُصِيبَ بِأُحُدٍ أَحْيَاهُ اللَّه ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ يَا عَبْدَ اللَّه بْنَ عَمْرٍو** [٤] **أَنْ أَفْعَلَ بِكَ ؟ قَالَ : أَيْ رَبِّ أُحِبُّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فِيكَ فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى** » حدثناه محمد بن محمد بن محمود ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسن ح سلمة بن الفضل عن [٥] محمد بن إسحاق قال : وحدثني بعض أصحابي عن عبد الله بن محمد ابن عقيل بن أبي طالب قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنْصَارِيَّ يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « **أَلا أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ ؟** » ... الخبر [٦] .

= وذلك في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام (١٨٤٥/٤) رقم (٢٣٧٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب ذكر صلاة نبي الله موسى عليه السلام بالليل (٤١٩/١) رقم (١٣٢٨) ، وأحمد في مسنده (١٤٨/٣) رقم (١٢٥٢٦) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه (٢٤٢/١) رقم (٥٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب (٣٣٥/٧) رقم (٣٦٥٧٥) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظه (٧١/٦) رقم (٣٣٢٥) ، والطبراني في الأوسط بلفظه ، ولكن مع تقديم وتأخير عن أبي سعيد (١٣/٨) رقم (٧٨٠٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه جبلة بن سليمان وهو متروك (٢٠٥/٨) .

(١) سقط من (س) .

(٢) في (س) و (خ) : بالأنبياء .

(٣) زاد في (خ) بعدها : لما .

(٤) في (س) : عمر .

(٥) في (س) و (خ) : حدثني .

(٦) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بنحوه عن جابر في كتاب تفسير القرآن في تفسير سورة آل عمران وقال : حسن غريب .. وقد روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر شيئًا من هذا (٢٣٠/٥) رقم (٣٠١٠) ، وابن ماجه في سننه في افتتاح الكتاب باب فيما أنكرت الجهمية (٦٨/١) رقم (١٩٠) ، وأحمد في مسنده (٣٦١/٣) رقم (١٤٩٢٤) ، والحاكم في المستدرك بنحوه عن عائشة وقال : صحيح =

وحدثنا محمد بن محمد ح نصر ح عمار ح سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن الحارث بن الفضل [١] الأَنْصَارِيِّ عن محمود بن لبيد [٢] الأَنْصَارِيِّ عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٣٧٦] « [**الشُّهَداءُ** [٣] **علَى بَارِقٍ**] [٤] **نهرٍ ببَابِ الجَنَّةِ في قُبَّةٍ خضْرَاءَ يخرُجُ عَلَيْهِم رِزْقُهُم مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وعَشِيًّا** » [٥] ، فأخبر أنهم أحياء يرزقون ، فإذا كان الشهداء أحياء فالأنبياء أولى وأحق .

وتأويل من قال : إن هذا في القيامة وأنه خبر عن المستقبل وإن كان جاء على لفظ الماضي كما قال ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ [٦] قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ١١٦] [١٠٩/أ] معناه [٧] : يقول اللَّه ، فليس يصح هذا التأويل ؛ لأن النبي ﷺ قال : « **ما تحب يا عبد اللَّه أن أفعل بك ؟ . قال : أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك** » ويوم القيامة لا دنيا ، وقد بادت الدنيا قبل ذلك وزال الاختبار والابتلاء والأمر والنهي والقتال والجهاد ، فكيف يجوز أن يقول : ردني إلى الدنيا فأقاتل فيك ، وهو يعلم أنها قد ذهبت وأن القتال قد رفع ؟ فصح أن هذا إنما كان والدنيا باقية والقتال واجب والجهاد قائم ، فإذا جاز حياة الشهداء بالكتاب والسنة جاز حياة الأنبياء والرسل عليهم السلام والحي يذكر اللَّه ويثني عليه ويدعوه .

= الإسناد ولم يخرجاه (٢٢٣/٣) رقم (٤٩١١) ، وابن حبان في صحيحه عن جابر (٤٩٠/١٥) رقم (٧٠٢٢) وقد ذكره البخاري معلقًا في خلق أفعال العباد من حديث جابر أيضًا (٢/١) .

(١) في هامش (خ) : الفضيل .

(٢) في (س) : سيد وهو خطأ .

(٣) زاد في (خ) بعدها : أحياء .

(٤) سقط من (س) ويوجد مكانها : بئر و .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن ابن عباس (٢٦٦/١) رقم (٢٣٩٠) ، والحاكم والمستدرك بدون عبارة : « من الجنة » وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٨٤/٢) رقم (٢٤٠٣) ، وابن حبان في صحيحه بلفظ مقارب (٥١٥/١٠) رقم (٤٦٥٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٠٣/٤) رقم (١٩٣٢١) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد (١٢٧/١) رقم (١٦٦) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ٢٣٧) رقم (٧٢١) ، والطبراني في الأوسط بلفظه وقال : لا يروى هذا الحديث عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد تفرد به محمد بن إسحاق (٤٥/١) رقم (١٢٣) ، وفي الكبير (٣٣٣/١٠) رقم (١٠٨٢٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وإسناده رجاله ثقات (٢٩٤/٥) .

(٦) في الأصل و (س) : أنت .

(٧) من هنا سقط من الأصل والتكملة من النسخة (س) ، وأرقام اللوحات الجانبية تشير من هنا إلى مواضعها في النسخة (س) .

ويجوز أن يكون قوله : « **يصلي** » على حقيقة الصلاة التي هي القيام والركوع والسجود ؛ لأنه بعد في الدنيا ، والدنيا دار تعبد ؛ لأن السموات والأرض من الدنيا ، وإنما ترتفع العبادات في الجنة التي هي دار الثواب . وفي الدار الآخرة التي لا زال [1] لها ولا انتقال لأهلها ، ألا ترى أن السموات مكان العبادات للملائكة .

فيجوز أن يكون موسى مر به - عليهما الصلاة والسلام - وهو حي قائم يصلي على الحقيقة في قبره ، وقد فسح له [2] قبره كما قال النبي ﷺ : [٣٧٧] « **إِنَّمَا هِيَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ [أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ]** [3] » [4] . فكان قبر موسى روضة من رياض الجنة وهو قائم يصلي فيها ، وإن كان القبر في الأرض عند الكثيب الأحمر كما أن ما بين منبر رسول اللَّه ﷺ وقبره روضة من رياض الجنة [٨١/أ(س)] وإن كان [5] في المدينة .

فإن قيل : قد جاء في حديث المعراج أنه رأى موسى في بعض السموات وسلم عليه والحديث مشهور . قيل : يجوز أن يكون رآه حين مرَّ به يصلي في قبره ، ثم رفع قبله إلى السماء السادسة فرآه فيها وراجعه في أمر الصلاة حين فرضت عليه خمسون صلاة ، فما زال موسى يراجعه فيها حتى جعلت خمس صلوات ، وقد كان النبي ﷺ بمكة في أول الليل عند أهله ، فرفع إلى السماء أو [6] إلى سدرة المنتهى وردَّ قبل الصبح إلى بيته . فكذلك موسى كان في الأرض يصلي في قبره حين مر به ثم رفع إلى السماء السادسة فراجعه فيها .

ويجوز أن يكون موسى عليه السلام لم يمت على الحقيقة ، بل يكون صعقة كصعقته في الطور ، فقد قال ﷺ : [٣٧٨] « **أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عِنْدَ سَاقِ العَرْشِ**

---

(١) كذا في (س) أما في (خ) : لا زوال .

(٢) زاد في (خ) بعدها : له .

(٣) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه ولفظه : (إنما القبر .... إلخ) عن أبي سعيد في كتاب صفة القيامة وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٦٣٩/٤) رقم (٢٤٦٠) ، والطبراني في الأوسط بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٢٧٣/٨) رقم (٨٦١٣) ، قال العجلوني في كشف الخفاء : رواه الترمذيُّ والطبراني عن أبي سعيد ورواه الطبراني أيضًا عن أبي هريرة وكلاهما به مرفوعًا بسند ضعيف (١١٨/٢) رقم (١٨٥٣) وسبب ضعف إسناد الترمذيُّ كما ذكر الحافظ العراقي في مغني الأسفار أن فيه عبيد اللَّه بن الوليد الوصافي ضعيف ، مغني الأسفار مع الإحياء (٣٥٨/١) وسبب ضعف إسناد الطبراني في الأوسط محمد بن أيوب بن سويد وهو ضعيف ، مجمع الزوائد للهيثمي (٤٦/٣) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) في (خ) : كانت .

(٦) في (خ) : و .

فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَوْ جُوزِيَ بِصَعْقَتِهِ فِي الطُّورِ أَوْ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ »[1] هذا معنى الحديث والله أعلم بلفظه . فيجوز أن يكون لم يمت موسى عليه السلام وأخبر بجوازه من وجهين :

أحدهما : أنه جوزي بصعقته في الطور ، فيكون قد دخل في جملة قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] وقد ذاقها .

والآخر : من جهة الاستثناء[2] الله بقوله : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] فيجوز أن يكون موسى عليه السلام ممن شاء ألا يصعق والله أعلم .

فيكون معنى صلاته في قبره إذا حمل على الصلاة التي هي القيام والركوع والسجود في قبره وهو في الدنيا على أنه لم يمت وجوزي بالصعقة ، فإن حمل على الموت ويفيق في الآخرة قبل النبي ﷺ فهو إذًا ليس في الدنيا حكمًا وإن كان فيها كونًا من جهة أنه ﷺ في قبره ، وقبره في الدنيا كما أن أهل القبور في الدنيا من جهة كونهم بأجسادهم فيما بيننا ، وهم في الآخرة حكمًا على معنى أنه قد ارتفعت عنهم أحكام أهل الدنيا وظهرت لهم الآخرة وأحكامهم . والله تعالى أعلم .

فيكون صلاته ثناءً ودعاءً وذكرًا دون الركوع والسجود التي هي العبادة ؛ لأنه إن مات فقد صار في حكم الآخرة ، وليست الآخرة بدار عبادة ولكنها دار الثواب والعقاب وهي دار الذكر والثناء والدعاء ، قال الله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ [٨١/ب (س)] ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [يونس : ١٠][3] ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَقَالُواْ

---

(١) الحديث أخرج الترمذي جزأه الأول : « **أنا أول من تنشق عنه الأرض** » بلفظه عن ابن عمر في كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : حديث غريب (٥/٦٢٢) رقم (٣٦٩٢) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي (٢/٥٠٥) رقم (٣٧٣٢) ، وابن حبان في صحيحه (١٥/٣٢٥) رقم (٦٨٩٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس (٧/٢٧٢) رقم (٣٦٠١٣) ، وعبد بن حميد في المنتخب عن ابن عباس (ص ٢٣١) رقم (٦٩٥) ، والطبراني في الكبير (١٢/١٦٦) رقم (١٢٧٧٧) ، وابن عدي في الكامل وحسنه (٥/٢٢٩) رقم (١٣٨٢) .

أما الجزء الثاني من الحديث فقد أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه في كتاب التفسير باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، ولفظه : « **لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي ، أم جوزي بصعقة الطور** » ، (٤/١٧٠٠) رقم (٤٣٦٢) ، وأخرج نحوه أحمد في مسنده (٣/٣٣) رقم (١١٣٠٤) .

(٢) في (خ) : استثناء .

(٣) وهذه الآية سقط من (خ) ويوجد مكانها : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ الآية [فاطر: ٣٤] والله أعلم .



٩١ باب في الفتنة

حديث آخر : [٣٧٩] ح نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح هارون بن إسحاق الْهَمْذَاني ح عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله يدعو بهؤلاء الكلمات : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وعَذَابِ القَبْرِ وفِتْنَةِ القَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى ومِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ ومِنْ سُوءِ [(١)] المسيحِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ وأَنْقِ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا أَنْقَيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وبَاعِدْ بيْنِي وبينَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بينَ المَشْرِقِ والمغرِبِ ، اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ والهِرَمِ [(٢)] والمأْثَمِ [(٣)] والمغْرَمِ » [(٤)] [(٥)] .

قال الشيخ رحمه الله : قوله ﷺ : « أعوذ بك من فتنة النار » فالفتنة تنصرف على وجوه أحدها - وهو الأليق في هذا المكان - هي التصفية والتهذيب ، يقال : هذا ذهب مفتون إذا أدخل النار فنفي عنه الخبث ، ويقال للصائغ : الفاتن ؛ لأنه يفتن الذهب والفضة ، أي : يصفيهما بالنار ويزيل الخبث عنها ، كذا قال أهل اللغة ، ومن ذلك قول الله تعالى :

---

(١) في (خ) : شر ا.هـ والعبارة كما أوردها المصنف فيها تصحيف ؛ ذلك لأن هذا الحديث أخرجه المصنف بإسناد الترمذيّ وقد وقعت عند الترمذيّ : « شر فتنة » .

(٢) الهرم : الكبر ، النهاية مادة (هرم) ، (٥/٢٦١) .

(٣) المأثم : الأمر الذي يأثم به الإنسان ، أو هو الإثم نفسه وضعًا للمصدر موضع الاسم ، النهاية مادة (أثم) ، (١/٢٤) .

(٤) المغرم : مصدر وضع موضع الاسم ويريد به مغرم الذنوب والمعاصي ، وقيل : المغرم كالغُرم وهو الدَّيْن ويريد به ما استدين فيما يكرهه الله أو فيما يجوز ، ثم عجز عن أدائه فأما دين احتاج إليه وهو قادر على أدائه فلا يستعاذ منه ، النهاية مادة (غرم) ، (٣/٣٦٣) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب الدعوات باب التعوذ من فتنة الفقر (٥/٢٣٤٤) رقم (٦٠١٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر الفتن (٤/٢٠٧٨) رقم (٥٨٩) ، والترمذيّ في جامعه بلفظ مقارب ، وقال : حسن صحيح في كتاب الدعوات باب منه (٥/٥٢٥) رقم (٣٤٩٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من شر فتنة القبر (٤/٤٥٢) رقم (٧٩٠٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الدعاء باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ (٢/١٢٦٢) رقم (٣٨٣٨) .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ [ص: ٣٤] ، معناه هذبناه وصفيناه من الأوصاف الذميمة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ ﴾ [ص: ٢٤] ، أي : علم أنا هذبناه وأدبناه ونبهناه .

فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ : « **أعوذ بك من فتنة النار** » ، أي : أن يكون تصفيتي وتهذيبي بالنار وتأديبي بها ؛ وذلك أن الخطايا والذنوب يكفرها اللّٰه بالمحن والبلايا في الدنيا وبالمصائب والأمراض ، قال النبي ﷺ : [٣٨٠] « **لا يَزَالُ البَلاءُ بِالمُؤْمِنِ حَتَّى يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ** » [1] ، وتكون الكفارة والتمحيص بعد الموت في القبر ، وفي أهوال القيامة ويكون بالعفو والتجاوز فضلًا من اللّٰه ، ويكون بشفاعة الأنبياء والأولياء ، فإن لم يكن بهذه الأسباب فبإدخال النار فكأنه قال : أعوذ بك أن تكون فتنتي وتمحيصي من خطاياي ، وكفارة ذنوبي تصفيتي منها بالنار ، ولكن بعفوك وفضلك [٨٢/أ(س)] وكرمك إما توفيقًا للتوبة منها في الدنيا أو التجاوز عنها في الآخرة ، يدل على ذلك ما جاء في حديث آخر : [٣٨١] « **أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ** » [2] .

ومعنى قوله ﷺ : « **وعذاب النار** » ، أي : أعوذ بك من أن تعاقبني بها وتعذبني بالنار كأنه يقول : لا تجعلني من أهل النار الذين هم أهلها من الكفار الملحدين [3] ، فإنهم هم المعذبون بها ، فأما الموحدون فهم مؤدبون بها لا معذبون فيها ، الدليل على

---

(١) الحديث أخرجه الترمِذِيّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء وقال : حسن صحيح (٦٠٢/٤) رقم (٢٣٩٩) ، وأحمد في مسنده (٢٨٧/٢) رقم (٧٨٤٦) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٤٩٧/١) رقم (٢٨١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٧٤/٣) رقم (٦٣٣٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٧٦/٧) رقم (٢٩١٣) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٧٤) رقم (٤٩٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٤١/٢) رقم (١٠٨١١) ، وهناد بن السَّرِيّ في الزهد (٢٣٨/١) رقم (٤٠٢) ، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (ص ٤٨) رقم (٤٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء بلفظ : (فأذقنا برد عفوك) من قول إبراهيم بن أدهم (ص ٣٦) رقم (٨٥) ، وفي الهواتف عن علي بن أبي طالب وقد سمعه من رجل متعلق بأستار الكعبة بلفظ : (أذقني برد عفوك) ، (٥٢/٢) رقم (٦٢) ، قال العجلوني في كشف الخفاء : أخرجه الخطيب وابن عساكر عن علي ابن أبي طالب (٥٣٧/٢) رقم (٥٣٦) ، قال ابن كثير في البداية والنهاية وروى الحافظ ابن عساكر عن .... وساقه ثم عقب قائلًا : وهذا ضعيف .... ومثل هذا لا يصح ، ثم قال : وقد رواه أبو إسماعيل الترمِذِيّ .... إلخ ، ثم قال : وهذا أيضًا منقطع وفي إسناده مَن لا يعرف (٣٣٢/١) .

(٣) في (خ) : المخلدين .

ذلك ما روي : [٣٨٢] « أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ إِذَا أُدْخِلُوا النَّارَ قَالُوا بِسْمِ اللَّهِ فَتَنْزَوِي النَّارُ عَنْهُم وتهربُ وتَقُولُ مَا لي وأَهْلُ بِسْمِ اللَّهِ » [١] أو كلامًا هذا معناه .

قال الشيخ الإمام الزاهد رَحِمَهُ اللهُ : فائدة الدعاء هو الاضطرار وإظهار العبودية ؛ لأنه أمر بذلك وندب إليه ، فمن دعا شيئًا من اللّٰه فلا يخلو إما أن يكون قدر اللّٰه تعالى له أو لم يقدر ، فإن قدر فقد أمر بالدعاء ، فإذا كان ذلك اضطرارًا منه فهو واجب ، وإن لم يقدر فلم يمنع عن الدعاء فيما لم يقدر .

قال : وليست حاله في الطاعات أشرف من حال الدعاء ؛ لأن الإنسان ربما يشغل قلبه في جميع العبادات في الصلاة والصوم وغيرهما ، فأما في حالة الدعاء يزم جوارحه ويضطر إليه ، فأي حالة أحسن من هذا ؟ قال : فكان دعاء رسول اللّٰه ﷺ لأجل الاضطرار وإظهار العبودية ، وإن علم أنه كان مغفورًا له كل ذنب .

وفي حديث آخر قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [٣٨٣] « **أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُم لا يموتَونَ فِيهَا ، وأَمَّا قَوْمٌ يُرِيدُ اللَّهُ [بِهِم]** [٢] **الرَّحْمَةَ فَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا أَمَاتَهُم حَتَّى يَأْذَنَ بِإِخْرَاجِهِم فَيُدْخِلَهُم الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُم** » [٣] . وقد تكلمنا فيه قبل وذكرنا إسناده . ومن ذلك أيضًا ما حدثنا القاضي أبو الفضل الشهيد ح أبو سعيد الحسن بن علي العَدَوِيُّ ح الحسن بن علي بن راشد ح يزيد بن هارون أخ محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [٣٨٤] « **إِذَا أَدْخَلَ** [٤] **المَوَحِّدِينَ النَّارَ أَمَاتَهُم فِيهَا ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجَهُم مِنْهَا أَمَسَّهُم أَلَمَ العَذَابِ تِلْكَ السَّاعَةَ** » [٥] .

ففي هذه الأخبار دلالة أن اللّٰه تعالى إنما يدخل النار للتأديب والتهذيب ليس للعقوبة والتعذيب ، فالعذاب [٨٢/ب(س)] لأهل النار الذين أعدت النار لهم وهم الكافرون

---

(١) لم أقف عليه . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٤/أ) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : اللّٰه ا.هـ ووجود لفظ الجلالة هو الصواب ويؤكده الرواية التي ذكرها المتقي الهندي في كنز العمال وعزاها للديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة ولفظها : « **إذا أدخل اللّٰه الموحدين النار أماتهم فيها** » (جـ١) رقم (٢٤٠) .

(٥) الحديث أخرجه أبو شجاع الْهَمَذَانِيّ في الفردوس بمأثور الخطاب بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٢٥٢/١) رقم (٩٧٦) وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ، وعزاه للديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة (جـ ١) رقم (٢٤٠) .

والجاحدون .

فمعنى قوله ﷺ : « **أعوذ بك من فتنة النار** » لهم ، وعذاب القبر ، كأنه يقول : أعوذ بك أن أكون من أهل النار الذين أعدت لهم النار ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١] ، وأعوذ بك من أن يكون تهذيبي وكفارة خطاياي بالنار ، كأنه يقول : أعوذ بك من النار من كل وجه كثيرها وقليلها وصغيرها وجليلها وليست النار بصغيرة ولا قليلة .

وقوله ﷺ : « **ومن عذاب القبر وفتنة القبر** » وعذاب القبر للكافرين وأهل الكبائر من الموحدين ، وفتنته للأماثل وصالح المؤمنين بجنايات تكون منهم ، أما عذاب القبر فقد قال اللَّه تعالى في آل فرعون : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا ﴾ الآية [غافر: ٤٦] ، وقال النبي ومر [١] بقبرين فقال : [٣٨٥] « **إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهمَا فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ [٢] مِنَ البَوْلِ ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ** » [٣] .

ومعنى قوله ﷺ : « **وما يعذبان من [٤] كبير** » [٥] ، أي : في كبير [٦] عند أنفسهما ، أي : لم يكن ذلك عندهما كبيرًا ، فأخبر أن العذاب لهؤلاء ، وأما فتنة القبر فيجوز أن تغليظ السؤال من الملكين ، وقد سمى النبي الملكين فتاني القبر ، وحدثنا محمد بن محمد ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسن ح سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحاق عن معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد اللَّه الأَنْصَارِيِّ ﷺ قال : [٣٨٦] لَمَّا دُفِنَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ﷺ ونحنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ فَسَبَّحَ النَّاسُ مَعَهُ طَوِيلًا ، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ

---

(١) في هامش (خ) : الواو للحال .

(٢) يستنزه : أي يستبرئ ويتطهر ، النهاية مادة (نزه) ، (٥/٤٣) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (١/٨٨) رقم (٢١٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول (١/٢٤٠) رقم (٢٩٢) ، وأبو داود في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الطهارة باب الاستبراء من البول (١/٦) رقم (٢٠) ، والترمِذِيّ في جامعه في كتاب الطهارة باب ما جاء في التشديد في البول (١/١٠٣) رقم (٧٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطهارة باب التنزه من البول (١/٦٩) رقم (٢٧) ، وابن ماجه في سننه بلفظه في كتاب الطهارة وسننها باب التشديد في البول (١/١٢٥) رقم (٣٤٧) .

(٤) كذا في (س) أما في (خ) : « في » ا.هـ وهو ما ورد في الحديث .

(٥) في (خ) : كثير .

(٦) السابق .

اللهِ ممَّ سَبَّحتَ ؟ فقَالَ : « لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الصَّالحِ قَبْرِهِ حَتَّى فَرَّجَهُ اللهُ عَنْهُ »[1] .

فيجوز أن يكون هذا من فتنة القبر الذي استعاذ منه رسول الله ﷺ وليس هذا من عذاب القبر ؛ لأن سعدًا رضي الله عنه من أفاضل أصحاب النبي ﷺ ، وقد قال رسول الله ﷺ : [٣٨٧] « لَقَدْ اسْتَبْشَرَتِ الملائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ واهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ »[2] [3] قال النضر ابن شميل[4] : الاهتزاز الفرح .

وقوله ﷺ : « ومن شر فتنة الغنى ، ومن شر فتنة الفقر » ، ذكر الفتنة في هذين وقرنها بالشر ، وذلك أن الفتنة حينًا[5] [٨٣/أ(س)] هاهنا الابتلاء والاختبار ، وقال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [الفرقان : ٢٠] ، وقال تعالى في شأن موسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [طه : ٤٠] ، أي : اختبرناك وابتليناك ، والاختبار والابتلاء للمؤمنين والأولياء والأنبياء لإصلاحهم وإرادة الخير بهم ، كما قال في شأن موسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ، وفي داود وسليمان عليهما السلام : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ [ص : ٢٤] ؛ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ [ص : ٣٤] اختبرهم وابتلاهم ليهذبهم ويصفيهم ، والاختبار والابتلاء للكافرين والجاحدين إرادة الشر بهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن جابر بن عبد الله (٣/٣٧٧) رقم (١٥٠٧١) ، والطبراني في الكبير (٦/١٣) رقم (٥٣٤٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه محمود بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح قال الحسيني فيه : نظر قلت : ولم أجد من ذكره غيره ا.هـ (٣/٤٦) وإسناد المصنف فيه أيضًا محمود بن عبد الرحمن .

(٢) في هامش (خ) : أي أهل العرش .

(٣) الحديث ذكره بلفظه ابن هشام في السيرة النبوية نقلًا عن ابن إسحاق بلا سند عن الحسن البَصْرِيّ مرسلًا (٤/٢١٣) . واهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ ثابت بما أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر في كتاب المناقب باب مناقب سعد بن معاذ (٣/١٣٨٤) رقم (٣٥٩٢) ، ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل سعد بن معاذ (٤/١٩١٥) رقم (٢٤٦٦) .

(٤) النضر بن شميل : من أهل البصرة من بني مازن صاحب حديث ورواية للشعر ومعرفته بالنحو وبأيام الناس ، وتوفي بخراسان سنة ثلاث ومائتين في خلافة المأمون ، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٣٧٣) ، وقيل : برز من أصحاب الخليل بن أحمد أربعة منهم النضر بن شميل ، وكان النضر أعلم الأربعة باللغة والحديث ، تاريخ بغداد (١٢/١٩٦) ، وهو ثقة ، الثقات لابن حبان (٩/٢١٢) ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٨/٤٧٧) .

(٥) سقط من (خ) .

فِرْعَوْنَ ﴾ [الدخان: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾ [طه: ٨٥]، أي: ضللناهم [(١)]، فدل أن الاختبار يكون لإرادة الخير والشر، فمن أراد الله تعالى به الخير كان الغنى فتنة له، : أي: اختبارًا له وابتلاءً ؛ ليظهر مكنون ما علم الله من طهارة سره وصفاء قلبه وقلة نظره إلى الدنيا، فلا يفتنه عن دينه، ولا يشغله عن الله، قال الله تعالى خبرًا عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ [(٢)] أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠].

ومن أراد الله تعالى به الشر فتنه بالفتن [(٣)] فافتتن، قال الله تعالى يحكي عن قارون: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨]، وقال عز وجل: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ [الأنعام: ٤٤] إذًا فالغناء فتنة، أي: اختبار وابتلاء للخير من الشر، فكأنه قال: أعوذ بك من أن تفتني بالغناء، أي: تبتليني بها من إرادة الشر بي وكذلك الفقر، فلما كان في الغناء والفقر [شرٌّ وخيرٌ] [(٤)]، وهو بلوى واختبار استعاذ من شرهما، ولم يستعذ من عينهما ؛ لأن عينهما قد يكونان خيرًا.

وكذلك قوله ﷺ: « ومن شر المسيح الدجال »، فتنة واختبار ليزداد إيمان المؤمن بالله. قال رسول الله ﷺ: [٣٨٨] « إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُم لَيسَ بِأَعْوَرَ » [(٥)] وقال: [٣٨٩] « مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيهِ كَافِرٌ » [(٦)]. وفي رواية: [٣٩٠] « كَ فَ رَ يَقْرَأُ [(٧)] كُلُّ

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان (٢٨٢/١). (٢) في (س): أشكر.

(٣) في (خ): بالغنى. (٤) في الأصل: شرًّا وخيرًا.

(٥) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس رضي الله عنه في كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٢٦٠٨/٦) رقم (٦٧١٢)، ومسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته (٢٢٤٨/٤) رقم (٢٩٣٣)، وأبو داود في سننه بلفظ مقارب عن سالم عن أبيه في كتاب السنة باب في الدجال (٢٤١/٤) رقم (٤٧٥٧)، والترمِذِيّ بلفظه في كتاب الفتن باب ما جاء في قتل عيسى وقال: حسن صحيح (٥١٦/٤) رقم (٢٢٤٥)، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب فتنة الدجال (١٣٦٠/٢) رقم (٤٠٧٧)، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب عن سعد بن مالك عن أبيه (١٧٦/١) رقم (١٥٢٦).

(٦) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن ابن عباس في كتاب الحج باب التلبية إذا انحدر في الوادي (٥٦٣/٢) رقم (١٤٨٠)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ (١٥٣/١) رقم (١٦٦)، والترمِذِيّ في جامعه عن أنس في كتاب الفتن باب ما جاء في قتل عيسى، وقال: حسن صحيح (٥١٦/٤) رقم (٢٢٤٥)، وابن ماجه في سننه عن أبي أمامة البَاهِلِيّ في كتاب الفتن باب فتنة الدجال (١٣٦٠/٢) رقم (٤٠٧٧).

(٧) هكذا أيضًا في (س) وفي (خ): « يقرؤه » ا.هـ وهو الموافق لروايات الحديث.

مُؤْمِنٍ » [١] ، فأخبر أن المؤمن يقرؤه والكافر لا يعلمه فيفتتن به ، قال النبي ﷺ : [٣٩١] « **تَبِعَهُ** [٢] **سَبعُونَ أَلْفًا مِنْ يَهُودِ أَصْفَهَانَ عَلَيْهِم الطَّيَالِسَةُ** » [٣] [٤] ، فاستعاذ ﷺ من شره ، وذكر المسيح وعرفه بقوله « **الدجال** » ؛ لأنهما مسيحان : مسيح هو روح اللَّه وكلمته وحبيبه ، ومسيح [٨٣/ب(س)] هو عدو اللَّه وبغيضه ولعينه . وأهل الحديث يفرقون بينهما فيقولون للدجال : المسيح بكسر الميم وتشديد السين ، وأهل اللغة لا يرون ذلك شيئًا ، ويؤيد قولهم تقييد النبي ﷺ المسيح بذكر الدجال .

وقوله ﷺ : « **اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد** » . العرب تعبر عن الراحة والروح وطيب العيش بالبرد ، وعن ضده بالحر ؛ ولذلك قالوا للروح والروحة : قرة العين ، وللغم والحزن : سخنة العين [٥] ، وفي الحديث : « **وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد عفوك وبرد العيش** » .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح حماد بن زيد عن عطاء السائب عن أبيه عن عمار عن النبي ﷺ في دعاء طويل فيه : [٣٩٢] « **وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ . وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ** » [٦] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه عن شعبة في كتاب الملاحم باب خروج الدَّجال (١١٥/٤) رقم (٤٣١٧) ، والترمِذيّ في جامعه عن بعض أصحاب النبي في كتاب الفتن باب ما جاء في الدجال وقال : حسن صحيح (٥٠٨/٤) رقم (٢٢٣٥) ، والحاكم في المستدرك عن جابر وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قال الذهبي على شرط مسلم (٥٧٥/٤) رقم (٨٦١٣) ، وابن حبان في صحيحه عن أنس (٢٠٥/١٥) رقم (٦٧٩٤) .

(٢) في (خ) : يتبعه .

(٣) في هامش (خ) : الطيالسة علامة التكبر والتجبر .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٢٦٦/٤) رقم (٢٩٤٤) ، وابن حبان في صحيحه (٢١٠/١٥) رقم (٦٧٩٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه عن أبي هريرة (٤٩٤/٧) رقم (٣٧٥٠١) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن أنس (٧٧/٦) .

(٥) سُخنة العين : بالضم : نقيض قرتها ، لسان العرب مادة (سخن) .

(٦) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بلفظ عن عمار بن ياسر في كتاب صفة الصلاة في نوع آخر (٣٨٧/١) ، والحاكم في المستدرك عن عمار بن ياسر وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٧٠٥/١) رقم (١٩٢٣) ، وابن حبان في صحيحه عن عمار بن ياسر (٣٠٥/٥) رقم (١٩٧١) ، والطبراني في الدعاء (ص ٢٠٠) رقم (٦٢٤) ، والدارقطني في (رؤية اللَّه) (١٣٣/١) رقم (١٧٣) .

وغسل الخطايا ، وتمحيصها ، وكفارتها ، ويكون ذلك بالمحن والبلايا في الدنيا ، ويكون بالشدائد والأهوال في الآخرة ، وقد يكون بالنار ويكون بالعفو والتجاوز ، فكأنه قال : كفر خطاياي بالعفو والتجاوز ، فعبر عن ذلك بالثلج والبرد وهو كقوله : « **أذقني برد عفوك** » فعبر عن العفو بالثلج والبرد ، والبرد هو الروح والمحبوب وتكفير الخطايا بالعفو روح ، وراحة ومحبوب كما قال ﷺ : « **أعوذ بك من فتنة النار** » فكل واحد من الكلمين تؤيد صاحبتها ، والتأويل الذي ذهبنا إليه فيها . فيكون قوله : « **أعوذ بك من فتنة النار** » أنه استعاذ من أن يكون الكفارة بها .

وقوله ﷺ : « **اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد** » ، أنه أراد تكفيرها بالعفو والفضل والتجاوز من غير ألم وشدة من حزازة [1] محن المكان في الدنيا ووهج النار في العقبى .

وقوله ﷺ : « **وأنق قلبي من الخطايا كما أنقيت الثوب الأبيض من الدنس** » الثوب الأبيض يظهر فيه أثر الدنس ، وإذا كان الثوب مصبوغًا بلون آخر دون البياض فلا يكاد يظهر فيه الأثر ، فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ : « **أنق قلبي من الخطايا** » ، أي : أذهب أثرها ومرادها وشهواتها عن قلبي بعد تكفيرها فلا يبقى لها في قلبي أثر من لذة تلك الخطايا وشهواتها وإن كانت الخطايا مكفورة [2] بالعفو [٨٤/أ(س)] والتجاوز ، فإنها إذا ذهبت شهوة المعصية ولذته من القلب كان قمنًا [3] لا يعود [4] إليها فيقول : أذهب لذة الذنوب وشهوة الخطايا المكفورة من قلبي كما أذهب آثار الدنس من الثوب الأبيض إذا غسل فلا أعود إليها آخر الأبد .

[وفيه دليل على أن ما يتولد من أفعال العباد فعل الله تعالى ؛ لأن الفعل للثبوت أفعالنا ، وذهاب الدنس الذي يتولد من الغسل نسبه النبي ﷺ إلى الله تعالى بقوله : « **كما أنقيت الثوب الأبيض من الدنس** »] [5] ، وقوله ﷺ : « **باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب** » يؤيد هذا التأويل ، أي : كما لا يلتقي المشرق والمغرب ولا يجتمعان كذلك لا أجتمع مع خطاياي ولا يكون لي معها التقاء بمعنى العود إليها أبدًا .

---

(١) في هامش (خ) : أي الحرقة .اهـ . والحزازة : وجع في القلب من خوف ، لسان العرب مادة (حزز) .

(٢) أي : مستورة ومغطاة ، لسان العرب مادة (كفر) .

(٣) قمنًا : أي : خليقًا وجديرًا ، لسان العرب مادة (قمن) .

(٤) في (خ) : ألا يعود .

(٥) سقط من (خ) .

وقوله ﷺ : « **اللَّهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم** » ، الكسل فتور في الإنسان عن الواجبات ، فإن الفتور إذا كان في الفضول وما لا ينبغي فليس بكسل ، بل هو عصمة ، وإذا كان في الواجبات فهو كسل وهو الثقل ، والفتور عن القيام بالواجب وهو الخذلان ، قال اللَّه ﷻ : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾ [التوبة : ٤٦] ، وعاتب اللَّه المؤمنين في التثاقل عن الواجب والفتور فيه ، فقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ (١) إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى (٢) ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ الآية [التوبة : ٣٨] .

والهرم فتور من ضعف يحل بالإنسان فلا يكون به نهوض ، ففتور الهرم فتور عجز وفتور الكسل فتور تثبيط وتأخير ، فاستعاذ النبي ﷺ من الفتور في أداء الحقوق والقيام بواجب الحق من الوجهين جميعًا من جهة عجز عنها ضرورة وحرمان منها مع الإمكان ، والمآثم تضييع حقوق اللَّه ، والمغرم تضييع حقوق العباد ، فاستعاذ ﷺ من تضييع حق اللَّه وحق عباده .

ويجوز أن يكون المأثم إتيان المناهي ، والمغرم ترك الأوامر ، فإن الغرامة إنما تلزم العبد في تضييع ما استرعى ، فكأنه ﷺ استعاذ من أن يكون مرتكبًا لنواهيه مضيعًا لأمره واللَّه أعلم .

٩٢
باب في الندم

حديث آخر : قال : [٣٩٣] ح محمد (٣) بكر بن محمد بن حمدان قال : ح أبو قلابة - هو عبد الملك بن محمد - قال : ح أبو عاصم قال : [٨٤/ب(س)] ح سفيان الثَّوْرِيُّ عن عبد الكريم وزياد عن معقل عن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **النَّدَمُ تَوْبَةٌ** » (٤) .

---

(١) سقط من (س) .　　(٢) في (س) : في .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه عن ابن مسعود في كتاب الزهد باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢) رقم (٤٢٥٢) ، وأحمد في مسنده (٣٧٦/١) رقم (٣٥٦٨) ، والحاكم في المستدرك عن أنس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي (٢٧٢/٤) رقم (٧٦١٤) ، وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود (٣٧٨/٢) رقم (٦١٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٦/٥) رقم (٧٠٢٩) ، =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : معنى التوبة الرجوع ، وكذلك الأوبة والإنابة ، فتاب وآب وأناب بمعنى واحد وهو الرجوع ، قال النبي ﷺ : [٣٩٤] « آيبُونَ تَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » (١) ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور : ٣١] غير أن تحت كل لفظ خاصية وزيادة فائدة فأكثر ما جاء ذكر التوبة في كتاب اللَّه تعالى وإنما (٢) جاءت في الرجوع عن المعاصي ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [التوبة : ٥] ، أي : رجعوا من الشرك إلى التوحيد ومن الكفر إلى الإيمان ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا (٣) ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ١٧] ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إلى قوله : [﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٨] إلى قوله] (٤) : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ [الفرقان : ٧٠] [ومثلها كثيرة] (٥) .

والأوبة فأكثر ما جاء في حال الطاعة والفعل المرضي ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] ، وقال : ﴿ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٥] ، والإنابة رجوع القلب ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق : ٣٣] ، قال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر : ٥٤] مجازه : ارجعوا إلى ربكم ببواطنكم ونياتكم واستسلموا لأحكامه وأوامره بظواهركم وأفعالكم ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا (٦) دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص : ٢٤] استغفر بلسانه وخضع بأركانه وأناب بجنانه ، فالراجع إلى

= وابن المبارك في الزهد (ص ٤٣) رقم (١٦٨) ، والحميدي في المسند (٥٨/١) رقم (١٠٥) ، وابن الجعد في مسنده (ص ٢٦٤) رقم (١٧٣٨) ، والطبراني في الأوسط عن جابر (٣٨/١) رقم (١٠١) ، وفي الكبير عن وائل بن حجر (٤١/٢٢) رقم (١٠١) .

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن ابن عمر في كتاب العمرة باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو (٦٣٧/٢) رقم (١٧٠٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره (٩٨٠/٢) رقم (١٣٤٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب ما يقول الرجل إذا سافر (٣٣/٣) رقم (٢٥٩٩) ، والترمذيّ في جامعه في كتاب الحج باب ما يقول عند القفول من الحج والعمرة وقال : حسن صحيح (٢٨٥/٣) رقم (٩٥٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا أقبل من السفر (١٤١/٦) رقم (١٠٣٨٢) ، وأحمد في مسنده (٥/٢) رقم (٤٤٩٦) .

(٢) في (خ) : فإنما .

(٣) في (خ) : وإنما .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) في (س) : عبدك .

الله من أوصافه الذميمة وأفعاله المشينة تواب ، والراجع إلى الله في أوصافه الحميدة وأفعاله المرضية أواب ، والراجع بقلبه في الأحوال كلها إلى ربه منيب ، فهِجِّيرَى [(١)] التواب أستغفر الله ، وهجيرى الأواب الحمد لله ، وهجيرى المنيب لا إله إلَّا الله ، فالتوبة هي الرجوع عن حال المعصية [(٢)] إلى حال الطاعة ، ومن المخالفة إلى الموافقة ، والمعاصي والمخالفات فيها [(٣)] ما بينَ العبد وبين الله تعالى ، ومنها ما بينه وبين خلق الله تعالى ، فما بينه وبين الله تعالى تضييع أوامره وارتكاب مناهيه ، وما بينه وبين خلق الله [٨٥/أ(س)] تعالى فأخذ أموالهم وخرق أعراضهم ، والندم هو التلهف على ما فعل وتمنى أن يكون تركه والحسرة على ما ترك وتمنى أن يكون فعله ، فمن عصى في ارتكاب ما نهى الله ﷻ وشتم أعراض خلق الله تعالى وتناول ما حرم الله ، ثم رجع عن ذلك تاركًا لما نهى الله عنه نادمًا على ما كان منه في ذلك ، فليس عليه إلا الاستغفار لنفسه فيما ارتكب من نهي ربه ، والاستغفار لإخوانه فيما استحل من أعراضهم ، فقد قال النبي ﷺ فيما حدثناه عصمة بن محمود قال : ح إبراهيم بن إسماعيل قال : ح أبو الفضل العباس المدني بالبصرة قال : ح عمرو بن الأزهر عن أبان عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٣٩٥] « **إِذَا اغْتَابَ أَحَدُكُم أَخَاهُ فَيَسْتَغْفِر** [(٤)] **لَهُ فَإِنَّهُ كفَّارَتُهُ** » [(٥)] ، هذا إن شاء الله فيما لم يبلغ المغتاب عنه ، فأما إذ بلغه فعليه أن يسترضيه ، فمن فعل ذلك فهو تائب صادق مخلص ، والله يحب التوابين وهو غفور رحيم ، ومن عصى الله في تضييع أوامره وترك فرائضه وظلم عباده من أخذ أموالهم وضرب أبشارهم [(٦)] ، ثم رجع إلى الله نادمًا على ما فطر [(٧)] منه مستقبلًا أداء

---

(١) في (س) مهجيرى .اهـ . وهي خطأ ، وكلمة هجيرى معناها : الدأب والعادة والديدن ، لسان العرب مادة (هجر) .

(٢) زاد في (س) بعدها : إلى حال المعصية . (٣) في (خ) : منها .

(٤) كذا في (س) وهي خطأ والصواب ما ورد في رواية ابن عدي في الكامل « فليستغفر » .

(٥) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة عن سهل بن سعد وحكم عليه بالوضع قال : هذه الأحاديث عن أبي حازم كلها مما وضعه سليمان بن عمرو عليه (٢٤٧/٣) ترجمة رقم (٧٣٣) وفي إسناد المصنف عمرو بن الأزهر كذاب يضع الحديث ، تاريخ بغداد (٩٣/١٢) رقم (٦٦٥٦) وهو متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٨١) رقم (٤٥٤) .

(٦) أبشارهم : جمع بشرة وبشر وهو ظاهر جلد الإنسان ، لسان العرب مادة (بشر) .

(٧) في (خ) : فرط ا.هـ وفطر : كلمة فطر تأتي على معانٍ منها الابتداء والاختراع ، لسان العرب مادة (فطر) وهو أنسبها للسياق .

فروضه وإقامة أموره باذلًا مجهوده في قضاء ما فطر (١) فيه من فرائض اللَّه وإرضاء عباد اللَّه ، فهو تائب مخلص صادق ، ومن استقبل فروض اللَّه وإقامة أموره وترك ظلم عباده ولم يسع في قضاء فوائته وإرضاء خصومه وهو ممكن من ذلك ، فليس بتائب عند عامة من يقول بالإحباط والوعيد (٢) ، ولا ينفعه ما استقبل مما سلف وهو تائب فيما استقبل عاصٍ فيما بقي عليه من إرضاء الخصوم وقضاء الفروض عند جماعة الراجين ، ومن يقول بالمشيئة وهو من الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا يرجى له أن يغفر اللَّه له في العقبى ويتوب عليه في الدنيا ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] ، فرجاء (٣) التوبة عليهم والمغفرة لهم ورحمته إيَّاهم ، وقال النبي ﷺ وقيل له : [٣٩٦] : إِنَّ فُلانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فَإِذَا [٨٥/ب(س)] أَصْبَحَ سَرَقَ ، فَقَالَ ﷺ : « **سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ** » (٤) .

فرجا ﷺ التوبة عليه ، وهو معنى قوله : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [التوبة : ١٠٢] ومن لم يمكن في قضاء ما فاته من فرائض اللَّه ، فإرضاء (٥) عباد اللَّه لزمانة (٦) أو ضيق وقت أو عدم (٧) ، فإن الندم له بمجرده توبة عند عامة أهل القبلة إلا طائفة يسيرة ، قال النبي ﷺ : [٣٩٧] : « **مَنْ تَابَ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِالمَوْتِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ** » (٨) .

ومعلوم أن هذا الوقت ليس بوقت لتلافي ما فات فليس له توبة في هذا الوقت

---

(١) في (خ) : فرط .

(٢) في هامش (خ) : أي المعتزلة .

(٣) في (خ) : فرجا .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٤٤٧/٢) رقم (٩٧٧٧) ، وابن حبان في صحيحه (٣٠٠/٦) رقم (٢٥٦٠) ، وابن الجعد في مسنده بنحوه عن جابر (ص ٣٠٦) رقم (٢٠٦٩) ، ووكيع بن الجراح في نسخته بلفظ مقارب عن أبي هريرة (ص ٨٩) رقم (٣١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح ، وقال في حديث جابر : رواه البزار ورجاله ثقات (٢٥٨/٢) .

(٥) في (خ) : وإرضاء .

(٦) الزمانة : آفة تمنعه ، لسان العرب مادة (زمن) .

(٧) في هامش (خ) : العدم الفقر .

(٨) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن البيلماني عن رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ بلفظ : « **من تاب إلى اللَّه قبل أن يغرغر قَبِل اللَّه منه** » ، (٢٨٦/٤) رقم (٧٦٦١) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب للفظ الحاكم (٣٩٩/٥) رقم (٧٠٦٩) ، وأخرجه الخطيب البَغْدَادِيّ في تاريخه بلفظ : « من تاب قبل أن يغرغر تاب اللَّه عليه » (٣١٧/٨) ترجمة رقم (٤٤١٣) .

إلا الندم بالقلب والرجوع إلى الله مستسلمًا يستغفر الله بلسانه ، ويقبل على الله بقلبه ، فأخبر النبي ﷺ أن من تاب في مثل هذا الوقت تاب الله عليه ، ومن تاب الله عليه لم يعذبه قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ إلى أن قال : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [الفرقان : ٧٠] فاستثنى الله تعالى التائب مما أوعد ، ويبدل الله سيئاته حسنات ، قال الله تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠] ، ومن بدل الله سيئاته حسنات قبلها منه ، والحسنات إذا قبلت ضوعف الثواب عليها ، ومن لقي الله بالمعاصي والآثام لم يتب منها فإنه في مشيئة الله يرجى له ويخاف عليه ، أما الرجاء فلقول النبي ﷺ : [٣٩٨] « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » (١) .

فيجوز أن يتجاوز الله عنه بشفاعة النبي ﷺ أو يعفو عنه بفضله فإنه ذو فضلٍ عظيم ، وقد شرط مشيئته في غفران ما دون الشرك ، فقال : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] . وقال النبي ﷺ فيما حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ قال : ح إسماعيل بن إسحاق القاضي قال : ح هدبة - [يعني ابن خالد] (٢) - قال : ح سهيل ابن أبي حزم عن ثابت البُنَانِي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : [٣٩٩] « **مَنْ وَعَدَهُ اللَّه عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مُنجِزُهُ لَهُ ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ اللَّه عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَهُوَ فِيهِ بِالخِيَارِ** » (٣) .

وأما الخوف عليه فلما ورد في الأخبار أن قومًا يدخلهم الله النار ، ثم يخرجهم بشفاعة النبي ﷺ حتى يخرج منها من قال : لا إله إلَّا الله ولم يعمل خيرًا غيرها ، [وإن قومًا يتهافتون فيها حتى يأذن الله تعالى بإخراجهم منها بإيمانهم] (٤) ، والأخبار فيه كثيرة جمَّة . وحدثنا محمود (٥) بن إسحاق الخُزَاعِيُّ (٦) قال : ح [[أحمد بن حاتم

(١) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) . (٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بلفظه إلا « أوعده » قال « وعده » عن أنس (٤٦٦/٢) رقم (٩٦٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٦٦/٦) رقم (٣٣١٦) ، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال وضعفه (جـ٤) رقم (١٠٤١٦) وعزاه لأبي يعلى والخرائطي في مكارم الأخلاق ، والبيهقي في البعث وابن عساكر عن أنس . ووجه ضعفه من جهة سهيل بن أبي حزم قال الرَّازِيّ في الجرح والتعديل : قال أحمد بن حنبل سهيل بن أبي حزم أخو حزم روى عن ثابت أحاديث منكرة . (٢٤٧/٤) رقم (١٠٦٤) ، قال ابن حبان : ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات . ونقل عن يحيى بن معين قوله فيه : ضعيف ، المجروحين (٣٥٣/١) رقم (٤٥٧) .

(٤) سقط من (خ) . (٥) في (خ) : محمد .

(٦) في (س) : الزخاعي . وهي سقط من (خ) .

ابن داود [المكي أبو] [(١)] جعفر السُّلَمِيّ قال : ح]] [(٢)] حسان [(٣)] البَصْرِيّ أبو [٨٦/أ(س)] علي قال : أخ أبو هلال الرَّاسِبِيّ قال : ح معاوية بن قرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : [٤٠٠] « خَمْسُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الدُّنْيَا جمِيعًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ الآية [النساء: ٤٠] ، وقوله : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ، [النساء: ٣١] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الآية [النساء: ٦٤] ، وقوله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١١٦] إلى آخرها » [(٤)] والله أعلم .

٩٣
باب في الاستخفاف بالمعصية

حديث آخر : قال : [٤٠١] ح محمود بن إسحاق الخُزَاعِيّ قال : ح أحمد بن حاتم السُّلَمِيّ [(٥)] قال : ح القَعْنَبِيّ قال : أخ عبد العزيز عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِم يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ شَيْخٌ زَانٍ ، وإِمَامٌ كَذَّابٌ ، وعَائِلٌ [(٦)] مَزْهُوٌّ** » [(٧)] [(٨)] .

---

(١) كذا والصواب أن بينها صيغة تحديث فمن كنيتهم (أبو جعفر السُّلَمِيّ) ليس من أسمائهم أحمد بن حاتم .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : ابن أبي حسان .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود (٤٦٨/٢) رقم (٢٤٢٥) ، والطبراني في الكبير (٢٢٠/٩) رقم (٩٠٦٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (١٢/٧) ، وإسناد المصنف فيه من لم أتعرف عليه .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) عائل : هو الفقير ، النهاية مادة (عول) ، (٣٢١/٣) .

(٧) مزهو : الزهو الكبر والفخر ، النهاية مادة (زها) ، (٣٢٣/٢) .

(٨) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار (١٠٢/١) رقم (١٠٧) ، وأحمد في مسنده (٤٨٠/٢) رقم (١٠٢٣٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٠/٣) رقم (٥٤٠٤) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٤٣/١) رقم (٢٠١) ، وأبو عوانة الإِسْفَرَايِينِيّ في مسنده (٤٠/١) ، والطبراني في الكبير عن عصمة (١٨٤/١٧) رقم (٤٩٢) .

قال الشيخ رحمه الله : خص رسول الله ﷺ [يوم القيامة] [١] هؤلاء الثلاثة من بين كثير من الناس من مرتكبي [٢] المعاصي ومواقعي المناهي بإعراض الله عنهم وحرمانه إياهم رحمته التي وسعت كل شيء .

فيجوز أن يكون ذلك ؛ لقلة إصرارهم [٣] في ارتكاب ما ارتكبوه وإتيان ما أتوه ، وإن ذلك كان منهم شرية [٤] فيهم وقلة مبالاة ورداءة طبع ؛ لأن [٥] الزنا إنما يكون من غلبة الشهوة على الإنسان ومنازعتها إياه وضعفه عن مقاومتها في الصبر عليها ؛ وذلك إنما يكون في حال الشباب وحداثة السن وقوة الطبع وضعف العقل ورقة الحال ، وقلة العلم فتكون أسباب المعصية قوية ، وأسباب العصمة دونها فيغلب العبد فيواقع المنهي ، وأما الشيخ فيكون بخلاف هذه الأحوال ، ولا يكون له هذه الأعذار ، وقد تم عقله وقويت حاله وبلغ علمه وحلمه [٦] وسكنت حدة شهوته وضعفت قوة طباعه ، وقويت فيه دواعي العقل وآلات الامتناع ، وضعفت آلات الهوى ودواعي الشهوات ، فارتكابه في هذه الحال ما نهى عنه من الزنا ليس إلا سبب الاستخفاف وقلة المبالاة ورداءة الطبع وقسوة القلب وانطماس نور الهدى وإعراضًا عن رعاية حق المولى [٨٦/ب(س)] فيجازيه في القيامة إن لم يكن له منه الحسنى فيعرض عنه في الآخرة كإعراضه الذي كان عنه في الدنيا .

والكذب إنما يكون من الإنسان لدفع مضرة أو لجلب منفعة فيما يخيل إليه ، يخاف شيئًا مما يحبه أن يفوته أو يرجوه أو يصيبه ، ويخيل إليه أن أحدًا من الناس يحجزه عنه أو يمنعه منه فيكون ذلك منه - أعني الكذب - رهبة من إنسان أو رغبة فيه ، فيكذب له .

والإمام ليس فوقه من الناس أحد يرجوه أو يخافه فلا عذر له في كذبه ، فكذبه لسوء طبعه ورداءة حاله واستخفافًا بحق الله في الوقوف على حدوده ، فيجازيه ربه يوم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا على سوء سيرته حين ملكه اللّٰه ومكّنه من دفع كثير من المضار عن نفسه ، وجلب المنافع إليها بما خوله من نعمه وآتاه من سلطانه .

---

(١) سقط من (خ) .
(٢) في (س) : كربتي .
(٣) في (خ) : أعذارهم .
(٤) شرية : الشَّرْي : شجر الحنظل واحدتها شرية ، لسان العرب مادة (شرى) ولعله أراد بذلك ما ذكره من سوء الطبع .
(٥) في الأصل : إن .
(٦) سقط من (خ) .

والزهو هو الترفع والتكبر والإزراء بمن دونه والاستخفاف بعباد اللَّه ، ودواعي هذه الأسباب الاستغناء وقلة الحاجة والإمكان من بلوغ ما يتمناه ونيل ما يشتهيه ، وحاجة الناس إليه ورغبتهم فيه وخدمتهم إياه واستكانتهم له ، فتدعوه هذه الأسباب إلى نظره إلى نفسه وإعجابه بها فيزهو ، والعائل وهو الفقير ليست له هذه الدواعي ولا معه هذه الآلات ، فلا عذر له في زهوه ، فزهوه وترفعه في غير ذات اللَّه رداءة فيه وقلة معرفة باللَّه ومنازعة منه لربه فيما هو له دون خلقه ، فيعرض اللَّه عنه إن لم يرحمه إهانة له جزاء على إعراضه عن عباده المؤمنين واستهانته بحقوقهم .

ففي الحديث دلالة على كرم اللَّه في قبول أعذار العباد فيما يكون منهم من المخالفات من ارتكاب مناهيه ، وإتيان معاصيه إذا رجعوا إليه تائبين ، أو وردوا على اللَّه على إيمانهم ثابتين أو يعفو ويغفر لهم ما كان منهم عند غلبة الشهوة المركبة فيهم إياهم ، وتزيين العدو لهم وبسط الأمل في الرجوع إلى اللَّه رجاء المدة في ذلك ، ودلالة على كرمه في قبول أعذارهم عند ضروراتهم وحاجاتهم في نيل ما إليه حاجاتهم والخوف من لحوق الضرر بهم لضعف البشرية وعجز الإنسانية ، وفي النظر إلى أنفسهم واغترارهم بالأسباب الحاملة لهم عن الحاجة فكأنه ﷺ بسط عذرهم ودلهم على موضع الملق [1] [٨٧/أ(س)] له وطلب العذر إليه كما يقال لمن أتى ما نهي عنه : ما الذي حملك على ذلك فيقول : خدعني فلان ، وغرني كذا ، وظننت كذا ، ورجوت كذا أو خفت كذا ، فيقال له : قد عذرناك وقبلناك وتجاوزنا عنك ، وروى عن بعض الصحابة أو من دونه من الكبار أنه قرأ : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٦] قال : [٤٠٢] « غَرَّنِي عَفْوَكَ يَا سَيِّدِي » [وقال آخر : « غَرَّتْنِي نَفْسِي الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ وخَدَعَنِي بِالأَمَلِ العَدُوُّ »] [2] ، وقال آخر : « غرني حلمك عني » [3] .

فكل هذه أعذار للمؤمنين [4] فيما كان منه من زلاته ودلالة على اللَّه تعالى يقيله [5]

---

(١) في (خ) : التملق .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) نقل نحوًا من هذه الأقوال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٤٦/١٩) ، وقد اعترض عليها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بقوله : هذا تهديد - يعني بذلك قوله تعالى : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٦] - لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال : ﴿ ٱلْكَرِيمِ ﴾ ، (٤٨٢/٤) .

(٤) في (خ) : للمؤمن .

(٥) في هامش (خ) : أي يرفعه .

عثراته ، وينعشه عند سقطاته إذا تملق له واعتذر إليه وأنه لا يهلك على [ربه] [(١)] الكريم إلا [لسفلة اللئيم] [(٢)] .

وفي الحديث دلالة على [أنه الشاب الدنيء] [(٣)] يغلبه قوة شهوته وغرته [(٤)] شبابه وسلطان الهوى عليه ، وكل من أتى محظورًا أو ارتكب نهيًا في حال غلبة الدواعي له إليه ، وسلطان الهوى عليه أعذر وإلى الرجوع إلى اللّه إذا سكنت حدته وضعفت قوته أجدر ، واللّه تعالى يتجاوز له ويعفو له [(٥)] ما لا يفعل ذلك بمن تمت حجة اللّه عليه في المدة التي جعلها له في رجوعه إليه . قال النبي ﷺ : « **مَنْ عَمَّرَ** [(٦)] **اللّه سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ** » حدثنا عبد العزيز بن محمد قال : ح محمد بن عبد اللّه بن حماد الآمُلِيّ قال : ح يحيى بن بكير حدثني يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سعيد المَقْبُرِيّ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال : [٤٠٣] « **مَنْ عَمَّرَه اللّه سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ** [(٧)] **إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ** » [(٨)] . ففيه دلالة أن من دون ذلك في العمر يتجاوز له ما لا يتجاوز لمن أعذر إليه ؛ لأن الإنسان يرجو الحياة ويضمر التوبة فإذا بلغ العمر منتهاه فلا عذر له .

ومما يدل على أن اللّه تعالى يسهل على العبد في حداثة سنه وشرخ شبابه ما حدثنا

---

(١) من (خ) لأنها غير واضحة في (س) .

(٢) في (خ) : سفلة لئيم . اهـ . وسَفِلة الناس : أسافلهم وغوغاؤهم ... والعامة تقول رجل سَفِلة من قوم سَفِلٍ ، قال ابن الأثير : وليس بعربي ، لسان العرب مادة (سفل) .

(٣) في (خ) : أن الشاب الذي .

(٤) كذا في (س) : والصواب : غرّه .

(٥) في (خ) : عنه .

(٦) في (خ) : عمره .

(٧) أعذر إليه : أي لم يبق فيه موضعًا للاعتذار ؛ حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر ، يقال : أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية من العذر وقد يكون أعذر بمعنى عذر ، النهاية مادة (عذر) ، (٣/١٩٦) .

(٨) الحديث بوب له البخاري في صحيحه ، ولم يذكره ، وذلك في كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر اللّه إليه في العمر (٥/٢٣٥٩) رقم (٦٠٥٥) ، وقد أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٢/٤١٧) رقم (٩٣٨٣) ، والحاكم في المستدرك بلفظ مقارب . وقال : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٢/٤٦٣) رقم (٣٥٩٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظه (٣/ ٣٧٠) رقم (٦٣١٠) ، والروياني في مسنده عن سهل بن سعد (٢/٢١٧) رقم (١٠٦٨) ، وقد ذكره الدارقطني في العلل الواردة في الأحاديث النبوية (٨/١٣٣) رقم (١٤٥٥) ، وتعقبه ابن حجر بقوله : رواه الحاكم في المستدرك من طريقه وصححه على شرط الشيخين وهو كما : قال لأن علته غير قادحة ، تغليق التعليق على صحيح البخاري (٥/١٦١) .

عبد اللَّه (١) بن يعقوب قال : ح عبد اللَّه بن عبد ربه النَّسَفِي قال : ح عبد اللَّه بن عبد الغفار المَوْصِلِي قال : ح المعافى بن عمران الحَارِثي رَحِمَهُ اللَّهُ قال : ح عمرو بن قيس عن أبي سنان عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم :
[٤٠٤] « **يَأْمُرُ اللَّه تَعَالى الملكَ أَنْ ازفُقْ بِعَبْدِي في حَدَاثَتِهِ فَإِذَا بَلَغَ الأَرْبَعِينَ تَحَقَّقَا** (٢) **وتَحَفَّظَا** » (٣) .

[دل ذلك] (٤) بأن قوة [٨٧/ب(س)] الشباب وغلبة الشهوات وسلطان الهوى أغلب على العبد قبل الأربعين فإذا بلغ الأربعين سكنت حدة شبابه وفترت شهوته وتم عقله وجاءه النذير الذي هو الشيب ، فإن خلع عذاره (٥) ورفض إنذاره ، فليس له أن يدلي بحجة أو يتنصل (٦) بعذر وباللَّه العصمة مما يكره ومنه التوفيق لما يحب ولا حول ولا قوة إلا باللَّه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وللَّه الحجة البالغة على جميع خلقه وله المشيئة في غفران الكبائر والتجاوز عن المعذرين إليه في العمر فضلًا منه وكرمًا ، والعقوبة على الصغائر لمن اغتر بشبابه وتبع شهوته في حداثته عدلًا منه سبحانه عن ظلم عباده وتعالى علوًّا كبيرًا .

٩٤
باب في الكبر والترفع

حديث آخر : قال : [٤٠٥] ح عبد العزيز بن محمد المَرْزُبَاني (٧) قال : ح محمد بن

---

(١) زاد في (خ) بعدها : ابن محمد . (٢) في (خ) : فحققا .
(٣) قال السيوطي في الدر المنثور : أخرجه ابن الجوزي في كتاب الحدائق بسند ضعيف عن عبادة بن الصامت (٤٤٢/٧) والحديث إسناده ضعيف فيه شهر بن حوشب ، قال ابن عدي : شهر هذا ليس بالقوي في الحديث وهو ممن لا يحتج بحديثه ولا يتدين به ، الكامل في ضعفاء الرجال (٣٦/٤) رقم (٨٩٨) ، وقال ابن حبان : كان ممن يروى عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات ، المجروحين (٣٦١/١) رقم (٤٧٦) ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، الضعفاء والمتروكين (ص ٥٦) رقم (٢٩٤) ، وفي إسناد الحديث غير شهرٍ من لم أتعرف عليه .
(٤) في (خ) : وذلك .
(٥) خلع عذاره : أي خرج عن الطاعة وانهمك في الغي ، لسان العرب مادة (عذر) .
(٦) في هامش (خ) : التنصل التبرؤ من الذنب .
(٧) الـمَرزُبَاني : بفتح الميم ، وسكون الراء ، وضم الزاي ، وفتح الباء المنقوطة بواحدة ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى المرزبان ، وهو اسم لجد المنتسب إليه ، الأنساب (٢٧١/٤) .

إبراهيم البَكْرِيُّ قال : ح محمد بن إسماعيل بن جعفر الجَعْفَرِيُّ (١) قال : حدثني الدَّرَاوِرْدِيُّ عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي الإِنَاءِ فَاغْمِسُوهُ كُلَّهُ ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وفي الآخَرِ دَوَاءً (٢) وَإِنَّه يَبْدَأُ بِالذِي فِيهِ الدَّاءُ** » (٣) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى هذا الداء والشفاء على معنى الطب الروحاني ، وقد يتكلم في مثل ذلك الأطباء ، ومعناه إصلاح الأخلاق ، وتقويم الطباع ، وتهذيب العادات والسجيات باستخراج الفاسدة منها (٤) وتربية (٥) الصالحة منها ، وإصلاح ما يمكن إصلاحها ؛ إذ داء الأخلاق وسقم العادات يضر (٦) بالأديان وداء الأجسام يضر بالأديان (٧) ، وسقم الأبدان تكفير الخطيئات ، وسقم الأخلاق يورث البليات .

فيجوز أن يكون معنى الداء في أحد جناحيه الكبر والترفع من استباحة ما أباحته الشريعة وأحلته السنة ، فإن السنة قد أباحت ما مات فيه من الهوام مما ليس له دم سائل ووردت الرخصة فيه ، وقال النبي ﷺ : [٤٠٦] « **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخَصِهِ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِعَزَائِمِهِ** » (٨) ، فكان الإنسان إذا استقذر ما أباحته الشريعة من جهة الترفع عنها والتكبر فيها كان في ذلك فسادًا لدينه عظيمًا وتعززًا لنفسه ، وربما رمي

---

(١) الجَعْفَرِيُّ : بفتح الجيم ، وسكون العين المهملة ، وفتح الفاء ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى الجعفرية وهم طائفة من المعتزلة ينتمون إلى جعفر بن مبشر ، وإلى جعفر بن حرب ، الأنساب (٤١٧/١) .

(٢) في (خ) : داء ا.هـ وهو الصواب .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الطب باب إذا وقع الذباب في الإناء (٢١٨٠/٥) رقم (٥٤٤٥) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأطعمة باب في الذباب يقع في الطعام (٣٦٥/٣) رقم (٣٨٤٤) ، والنسائي في سننه الكبرى عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب الفرع والعتيرة باب الذباب يقع في الإناء (٨٨/٣) رقم (٤٥٨٨) ، وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة في كتاب الطب باب يقع الذباب في الإناء (١١٥٩/٢) رقم (٣٥٠٥) .

(٤) إلى هنا ينتهي النسخ من (س) .

(٥) يبدأ من هنا النسخ من الأصل . وما مضى كان سقطًا منه وإتمامًا من (س) .

(٦) سقط من (س) .

(٧) في هامش الأصل و (س) و (خ) : بالأبدان ا.هـ . وهو المتسق والنص .

(٨) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظه عن عائشة (٢٣٦/٦) رقم (٦٢٨٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عبيد صاحب الخمر وهو ضعيف ، (١٦٣/٣) .

بذلك الطعام أو إهراق ذلك الشراب الذي وقع فيه الذباب ؛ فيؤدي ذلك إلى تحريم ما أحل الله والترفع عن سنة رسول الله ﷺ وإضاعة نعمة الله ، فأمر النبي ﷺ أن يغمس الذباب إذا وقع في الإناء ليذهب عن نفسه ترفعها ، ويقتل فيها كبرها ، فيكون في أول وقوعها تقذر النفس لها والتكره لها من جهة الطبع والكبر لا من جهة السنة والشريعة ، فهذا هو الداء الذي يولد في الإنسان ما ذكرناه من تحريم ما أحل الله ، والترفع عن سنة رسول الله ﷺ ، وإضاعة نعمة الله ، فإذا غمسه أكره [النفس على] (١) استباحة ما أباحته الشريعة واستطابة ما أذنت فيه السنة ، فكان ذلك قهرًا للنفس الأمارة بالسوء وحفظًا (٢) للدين من لواحق ما (٣) يكاد يدنسه [١٠٩/ب] من تعزز النفس والكبر الذي هو منازعة الله ﷻ في صفته ، والتعظم عن الانقياد والاستسلام لرسول الله ﷺ في سننه . كما يكون بعض الأدوية المسهلة نفضًا للأبدان عما يجتمع فيها من فضول الأغذية الفاسدة التي تورث سقم الأبدان . وما من شيء خلقه الله تعالى إلا وفيه حكمة كثيرة منها ما يعلم ومنها ما يجهل ، وقد ضرب الله تعالى بالذباب والبعوض مثلًا ، والعنكبوت والنمل ، فقال فيه المشركون ما قالوا استخفافًا بهذه الأشياء من خلق الله وجهلًا بما فيها من الحكمة لله تعالى حتى قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦] ، ويقال : إن بعض الحكماء دخل على بعض الملوك ، وقيل : إنه ابن السماك (٤) دخل على هارون ، فقال له هارون : ما الفائدة في هذا الذباب ؟ ولم خلقه الله تعالى ؟ فقال ابن (٥) السماك : خلقه ليذل به الجبابرة (٦) .

ويجوز أن يكون النبي ﷺ أراد لا يفسدوا الطعام ولا يضيعوه ولا يرموا به تنجسًا له

---

(١) سقط من (س) .

(٢) في (خ) : ونفضًا .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) هو محمد صبيح بن السماك يكنى بأبي العباس ويعرف بابن السماك وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها أسند عن عدد من التابعين منهم الأعمش مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ، تاريخ بغداد (٣٧٢/٥) رقم (٢٨٩٥) .

(٥) سقط مَن (س) .

(٦) أورد هذه القصة أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بإسناده عن أحمد بن عمرو بن المقدم الرَّازِيِّ في سياق ترجمته لجعفر بن محمد الصادق وفيها أنها وقعت بين أبي جعفر المنصور وجعفر بن محمد الصادق لا كما ذكر المصنف (١٩٨/٣) ترجمة (٢٤٢) ، وقد أوردها بعد أبي نعيم المزي في تهذيب الكمال (٩٣/٥) رقم (٩٥٠) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٦) رقم (١١٧) .

واستقذارًا للذباب الواقع فيه ، فضرب لهم مثلًا طيِّب به نفوسهم من تقذر ما ليس بنجس في الشريعة ، وعلم أن النفوس تأباه والطبائع تعافه فقيده بما يطيِّب به نفوسهم من رجاء السلامة وخوف العطب فخوفهم الداء في أبدانهم أن يرموا به قبل الغمس ، ورجا لهم الشفاء في غمسه ولو أمر برميه قبل الغمس عسى لم ينقد له بعض من فيه عزة نفس وترفع وكبر [١١٠/أ] فكان يرمي بالطعام ، فأمر بغمسه ورجا فيه الشفاء ليصان الطعام وتقام شريعة الإسلام .

ويجوز : أن يكون فيه داء يضر بالأبدان وشفاء للداء الذي فيه ، علمه النبي ﷺ وأعلمنا وإن لم يبين لنا ماهية ذلك الداء ، واللَّه أعلم .



٩٥ باب في مخالطة المؤمنين

حديث آخر : [٤٠٧] حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح سويد بن نصر أخ ابن المبارك عن حيوة بن شريح حدثني سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التُّجِيبِيَّ [(١)] أخبره أنه سمع أبا سعيد . قال سالم : أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « **لا تُصَاحِبْ إِلا مُؤْمِنًا ، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلا تَقِيٌّ** » [(٢)] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون المراد بقوله : « **لا يأكل طعامك إلا تقي** » يريد به المؤاكلة التي توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة ، فإن المؤاكلة أوكد أسباب الألفة وأحكم دواعي الخلطة وأوثق عرى المداخلة والاستئناس ، ومخالطة من ليس بتقي والاستئناس به والألفة معه تفسد الإنسان وتخل بالدين وتذهب المروءة وتوقع في الشبهات وتؤدي إلى تناول المحرمات .

---

(١) التُّجِيبِيّ : بضم التاء المعجمة بنقطتين من فوق ، وكسر الجيم ، وسكون المنقوطة باثنتين من تحتها ، في آخرها باء منقوطة بواحدة ، هذه النسبة إلى تُجيب ، وهي قبيلة نزلت مصر وبالفسطاط محلة تنسب إليهم ، الأنساب (٣٢٦/١) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بلفظه عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب الزهد باب ما جاء في صحبة المؤمن ، وقال : حديث حسن (٦٠٠/٤) رقم (٢٣٩٥) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس (٢٥٩/٤) رقم (٤٨٢٩) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب (٨٣/٣) رقم (١١٣٥٥) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١٤٣/٤) رقم (٧١٦٩) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه (٣١٤/٢) رقم (٥٥٤) ، وابن المبارك في الزهد (ص ١٢٤) رقم (٣٦٤) .

فكأنه ﷺ حذَّر من مخالطة الأشرار ، ونهى عن مصاحبة الفجار ؛ لأن مخالطة الفاجر لا تخلو من فساد يلحقك منه ، إما [١] متابعة له فيما يأتيه فيذهب الدين ، وإما مسامحة في الإغضاء عما يوجبه حق الله من أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، وإما استخفاف بفجوره ، فإن من رأى الشيء كثيرًا سهل ذلك في عينه وصغر [١١٠/ب] عند نفسه ، فإن سلم الإنسان من هذه الأسباب ولا يكاد يسلم إلا من عصمة الله فلا تخطئه فتنة الغير به .

الدليل على هذا التأويل قوله : « **لا تصاحب إلا مؤمنًا** » ، أي : لا يكون من ليس بمؤمن عقدًا وقولًا لك بصاحب بوجه من الوجوه ، ولا من ترك آداب الإيمان وشرائطه صاحبًا لك في وقت من الأوقات إلا عشرة تعاشره على شرط النصيحة التي أوجبتها عقدة الإيمان في تحرز من آفة تلحق الدين أو تقدح في المروءة .

وليس قوله ﷺ : « **لا يأكل طعامك إلا تقي** » - إن شاء الله - على معنى حرمان ذلك إطعامًا ومناولة من ليس بتقي ، فقد أطعم النبي ﷺ المشركين وأعطى المؤلفة قلوبهم المئين من الإبل والألوف من الشاء وغيره ، وكان يصطنع المعروف إلى البر والفاجر ويأمر به . حدثنا حاتم بن عقيل [ح يحيى] [٢] ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح سعيد [٣] بن مسلمة بن عبد الملك [٤] عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ : [٤٠٨] « **اصْطَنِعْ [٥] المعْرُوفَ إلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وإِلَى مَنْ لَيسَ هُوَ بِأَهْلِهِ ، وَإِنْ [٦] لم يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ** » [٧] .

فهذا يدل على أنه لم يرد بقوله : « **لا يأكل طعامك إلا تقي** » [أي لا تطعم إلا تقيًا] [٨] ، وإنما أراد المؤاكلة التي توجب الخلطة [٩] والخلة .

---

(١) في (س) : إلا .
(٢) سقط من (خ) .
(٣) في (خ) : سويد .
(٤) في (خ) : الله .
(٥) في (س) و (خ) : اصنع .
(٦) في (س) و (خ) : فإن .
(٧) الحديث أخرجه القضاعي في مسند الشهاب بألفاظ مختلفة عن علي بن الحسين مرسلًا (٤٣٦/١) رقم (٧٤٧) ، ومحمد بن إبراهيم المُقْرِئ في جزء فيه أحاديث نافع بن أبي نعيم (ص ٤٥) رقم (١٤) ، قال الحافظ العراقي : ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلًا بسند ضعيف ، مغني الأسفار مع الإحياء (٢١٣/٢) ، والحديث إسناده ضعيف لكونه مرسلًا ، قال ابن حجر في لسان الميزان : خبر باطل أطلق الدارقطني على روايته الضعف والجهالة (٤٠٨/٣) رقم (١٦٠٧) .
(٨) سقط من (س) .
(٩) في (س) و (خ) : الألفة .

وكيف ينهى عن إطعام من ليس بتقي والله تعالى يقول : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] فالأسير في دار الإسلام مشرك ، فأثنى الله تعالى على من أطعم المشركين ، فكيف بمن أطعم [١١١/أ] من كان في جملة المسلمين [١] .

ويجوز أن يكون المعنى فيه التحري والقصد ، كأنه يقول : لا تتحرين بإطعامك إلا التقي ولا تقصدن به إلا البر الذي يتقوى به على طاعة الله تعالى ، والعبادة له ، والشكر له ، فتكون معاونًا على البر والتقوى ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] ، فيقول : لا تقصدن بإطعامك الفاجر الذي يتقوى به على فجوره وآثامه فتكون معاونًا على الإثم والعدوان ، فمن تحرى بطعامه وطلب له واختار فليقصد أهل البر والتقوى ومن بذل وتسخى في إطعامه فليدع التخيير وليطعمه من قصده ولا يحرمه من أتاه .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : سمعت بعض مشايخنا يقول : كان الحسن [٢] بن واصل [٣] يبني رباطه بشاواب من ثغر أسبيجاب [٤] ، وكان العدو يقاتله و [٥] يقاتلهم نهاره أجمع فإذا كان الليل بسط سفرته للإطعام لم يمنع من يقاتله من المشركين ، وكان يطعمهم ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن سئلت عن ذلك قلت : منك أخذت ، منك تعلمت ، وبأمرك ائتمرت ، أطعمت من أطعمت ، وقاتلت من أمرت . وقيل لأبي القاسم الحكيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦] : تخير من يصلح للإجراء من طلبة العلم وأسقط من لا يصلح منهم ، فأجرى لكل من في الرباط ، فقيل له في ذلك ، فقال : لم أجد فيه من لا يسوي من خبز هذا عند البذل

---

(١) في (س) : المساكين .

(٢) في (خ) : الحسين .

(٣) هو الحسن بن دينار بن واصل يقال : إن أبا داود الطَّيَالِسِيَّ نسبه إلى جده لكي لا يفطن إليه ويكنى بأبي سعيد التَّمِيمِيّ البَصْرِيّ روى عن الحسن ومحمد بن سيرين ... وقال أحمد بن حنبل : لا يكتب حديث الحسن بن دينار ، الجرح والتعديل لأبي حاتم الرَّازِيّ (١١/٣) رقم (٣٧) ، وهو متروك الحديث ، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٤٠/٢) رقم (٥٠٢) .

(٤) أسبيجاب : من بلاد ما وراء النهر ويراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان ، معجم البلدان (٤٥/٥) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : هو .

(٦) أبو القاسم الحكيم هو أبو القاسم بن إسحاق بن محمد الحكيم السمرقندي من كبار مشايخ خراسان له تصانيف مشهورة في علوم الأوائل والرياضات والمجاهدات . من هامش التعرف لمذهب أهل التصوف للمصنف (ص ٤٤) تحقيق محمود أمين النواوي .

والسخاء ، وذلك عند التحري والدعاء [١] ، والله يعلم المفسد من المصلح ولكل امرئ ما نوى والله يجزي المحسنين .

٩٦
باب فيمن تولى قومًا بغير إذن مواليه

حديث آخر : [٤٠٩] حدثنا عبد العزيز بن محمد ح عبد الله [١١١/ب] بن حماد ح يحيى بن بكير حدثني يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ والملائِكَةِ** [٢] **لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ ولا عَدْلٌ** » [٣] [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : المتولي بغير [إذن] [٥] مواليه رغبة عن مواليه ومن أنعم الله به عليه كافر للنعمة جاحد للحق ظالم ؛ لأنه وضع الولاء في غير موضعه ، وستر نعمة منعمه ، ومن كفر نعمة عباد الله فهو لكفران نعم الله أجدر ، وكافر النعمة ومولي الشكر غير منعمه ظالم ، وقد قال الله ﷻ : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] .

فيجوز أن تكون اللعنة هاهنا العذاب والهوان والخزي في الكفار ، وللمؤمنين دخول النار للتأديب ودون اللعنة التي هي من [٦] الطرد والإياس من رحمة الله تعالى ، وإذا كانت الآية في الكفار فهو الطرد ولعنة الملائكة إبعادهم إياه من الدعاء والاستغفار له ، وأنهم يتركونه من استغفار الله لهم ، فإن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض ، قال

---

(١) من هامش الأصل . (٢) زاد في (س) بعدها : و .

(٣) صرف ولا عدل : الصرف : التوبة ، وقيل : النافلة . والعدل : الفدية ، وقيل : الفريضة ، النهاية مادة (صرف) ، (٣/٢٤) .

(٤) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن علي في كتاب فضائل المدينة باب حرم المدينة (٢/٦٦١) رقم (١٧٧١) ، ومسلم في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب العتق باب تحريم تولي العتيق غير مواليه (٢/١١٤٦) رقم (١٥٠٨) ، وأبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن علي في كتاب المناسك باب في تحريم المدينة (٢/٢١٦) رقم (٢٠٣٤) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب الولاء والهبة باب ما جاء في من تولى غير مواليه أو ادعى إلى غير أبيه وقال : حسن صحيح (٤/٤٣٨) رقم (٢١٢٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الحج باب منع الدجال من المدينة (٢/٤٨٦) رقم (٤٢٧٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الوصايا باب لا وصية لوارث (٢/٩٠٥) رقم (٢٧١٢) .

(٥) زيادة من (س) .

(٦) سقط من (س) .

الله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٥] وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين التائبين ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ [وَمَنْ حَوْلَهُ] (١) يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾ [غافر : ٧] ، فيجوز أن تكون لعنة الملائكة لهؤلاء وإن كانوا في جملة المسلمين تركهم الاستغفار لهم .

وأما الصرف والعدل فقد اختلف الناس في [١١٢/أ] تفسيرهما ؛ قال بعضهم : الصرف الفريضة ، والعدل التطوع ، وقال بعضهم : الصرف التطوع ، والعدل الفريضة ، وقال بعضهم : الصرف التوبة ، والعدل الفدية ، فمن حمله على التوبة والفدية فيكون معناهما في الآخرة ، أي : لا يقبل منه توبة في الآخرة ولا فدية ، أي : لا يكون له فدية ، ولا يجد فدية يفدي بها نفسه ولا تقبل توبته ، ويكون ذلك كقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة : ١٢٣] ، أي : لا يشفع لها شافع [وليس على معنى أن يشفع لها شافع] (٢) ثم لا تنفعها شفاعته . كذلك قوله : « **لا يقبل منه فدية** » أي ليس ما يفدي به نفسه ، وتوبته في الآخرة لا تقبل ، فأما التوبة فإنها تقبل في الدنيا ويمحو الله بها السيئات بالحسنات [ويكتب له الحسنات] (٣) ، ومن قبلت حسنته فداه الله يوم القيامة بأهل الأديان من اليهود والنصارى ، وبه جاء الخبر عن النبي ﷺ .

ومما يدل على أنه أراد بالتوبة والفدية في الآخرة ما جاء في رواية علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ : [٤١٠] « **مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ (٤) وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ** » (٥) .

ومن حمل معنى الصرف والعدل على الفريضة والتطوع ، فإن معناه (٦) لا يقبل فريضته قبول رضا وتزكية ونماء (٧) وإن كان يقبل قبول (٨) جزاء وثواب ؛ لأن الله تعالى لا يظلم عباده مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، فكيف لا يقبل فريضة من أداها بشرائطها على قدر وسعه ، بل يجوز أن يعاقبه على معصيته إن شاء [١١٢/ب] ويثيبه على أداء [طاعته الفريضة] (٩) لا محالة ، ولو عاقبه على معصيته ولم يثبه على طاعته لكان مستوفيًا حق نفسه من عبده غير موفيه حقه من نفسه ، وهذا غير لائق بالله

---

(١) من هامش الأصل .
(٢) سقط من (س) .
(٣ ، ٤) السابق .
(٥) سبق تخريجه في اللوحة رقم (١١٢/أ) .
(٦) زاد في (س) بعدها : أن .
(٧) سقط من (س) .
(٨) السابق .
(٩) في (خ) : فريضته .

وكرمه، ولو كان الأمر كما يدعيه من يقول بالإحباط من المعتزلة لم يكن لقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢] معنى ؛ لأن أعماله الصالحة إذا أحبطتها السيئات فلم تبق إلا السيئات ، وإن أولوا بالسيئات الصغائر عندهم لم يستقم ؛ لأن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر ، والمغفورة لا يجب أن تكون مثبتة ، إذًا فصاحب الكبائر لا طاعة له عندهم ؛ لأن الكبائر تحبط طاعاتهم ، ومجتنب الكبائر [لا معصية له ولا ذنب ؛ لأن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر فمن هذا] (١) الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا ، وقولهم بالإحباط ينفي الكاتبين وينفي الوزن يوم القيامة وينفي الحساب وآيات من القرآن كثيرة يبطلها قولهم؛ لأن الكاتبين أحدهما يكتب الحسنات والآخر السيئات ، والأخبار بهذا جاءت ، والوزن إنما هو للحسنات والسيئات فمن ثقلت موازينه بالحسنات نجا ، ومن ثقلت بالسيئات وخفت بالحسنات هلك ، فإذا لم يجتمع للعبد حسنات وسيئات فما معنى الوزن وما الذي يوزن ، ومن (٢) الذي استوت حسناته وسيئاته فصار من أصحاب الأعراف ، والأخبار في الوزن وأنه ميزان له كفتان توضع في إحداهما الحسنات ، وفي الأخرى [١١٣/أ] السيئات كثيرة صحيحة .

وكل هذه الأشياء يبطلها ويدفعها (٣) القول بالإحباط ، ومعنى قوله ﷻ : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ الآية [الحجرات: ٢] ، معناه (٤) أي لا تثابون على مجاورة النبي ومساءلته والاسترشاد منه ، والأخذ عنه ، والتعلم منه بالمخاطبة له إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته ، ولو أنهم خفضوا أصواتهم عند المسائلة له والاسترشاد منه لأثيبوا على ذلك ثوابًا كثيرًا وأعطوا عليه أجرًا عظيمًا ، فكأنهم أحبطوا أجورهم وخسروا ثوابهم وأبطلوا أعمالهم برفعهم أصواتهم فوق صوته ، وإن لم يبطل ذلك سائر أعمالهم ، وكذلك قوله : ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ، أي : لا تفوتوا أنفسكم ثوابها ، ولا تذهبوا بأجوركم على الصدقات بالمن بها والأذى فيها ، والله أعلم .

وأما غفران السيئات باجتناب الكبائر ، فيجوز أن يكون المراد بالكبائر الشرك فيكون ما دون الشرك يجوز غفرانها ويجوز العقوبة عليها مدة معلومة ، ثم يثابون بحسناتهم

---

(١) زيادة من (س) .
(٢) في (س) : وما .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) زاد في (س) بعدها : عندنا .

وإيمانهم ثوابًا دائمًا ، وقد قرأ بعضهم : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبِيرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٣١] (١) ، فيكون معناه الكفر والشرك كما قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ، فيكون ما دون الشرك مغفورًا إما بالمشيئة وإما بالشفاعة ، وإما بدخول النار إلى مدة ؛ ثم الجنة من وراء ذلك بالإيمان والثواب بسائر الأعمال على قدرها . وأما على قراءة العامة (٢) ، فيكون معنى الكبائر [١١٣/ب] على معنى أن الشرك والكفر أنواع : اليهودية ، والنصرانية ، والمجوسية ، والقول بالدهر ، والتثنية (٣) ، والتخميس (٤) ، وسائر أنواع الكفر والشرك فكلها كبائر وكلها شرك .

ويجوز أن يكون معنى [قوله : ﴿ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٣١] الشرك ويكون معنى الجميع بمعنى] (٥) وفاق الخطاب ؛ لأن الخطاب ورد على الجمع لقوله : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ ﴾ وقوله : ﴿ تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ ، فيجوز أن يكون جمع الكبائر لذلك ؛ لأن كبيرة كل واحد إذا جمعت إلى كبيرة صاحبه صارت كبائر ، وإن كان الشرك كله عملًا واحدًا ، فإذا كان كذلك فلا يكون معنى قوله : « **لا يقبل الله منه فريضة ولا نافلة** » بتة بل يقبل فرائضه ونوافله قبول ثواب عليها . وإن لم يقبل قبول ثناء عليه بها .

ويجوز أن يكون معناه : أي لا يقبل فرائضه قبولًا يكفر بها هذه السيئة التي هي

---

(١) لم أقف على هذه القراءة على الرغم من ذكر بعض المفسرين لها دون نسبتها لقارئها كالبيضاوي في تفسيره (١٧٨/٢) ، وأبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٧١/٢) ، والشوكاني في تفسيره فتح القدير (٤٥٧/١) ، والألوسي في تفسيره روح المعاني (١٧/٥) ، وقد نسبها النَّسَفِيُّ في تفسيره المسمى بمدارك التنزيل لعبد الله (٢١٨/١) والثابت في هذا الباب قراءة حمزة والكسائي لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الشورى: ٣٧] قرآها (كبير الإثم) على الواحد وفي النجم مثله : (كذا في حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (٦٤٣/١) .

(٢) يعني بها قوله : ﴿ كَبَٰٓئِرَ ﴾ .

(٣) التثنية عقيدة المجوس ، قال الشهرستاني في الملل والنحل : التثنية اختصت بالمجوس حتى أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قائمين يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، والصلاح والفساد يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة . الملل والنحل (٢٣٢/١) .

(٤) في هامش (خ) : أما الكلام على من يقول بخمسة وهو ابن زكرياء الطبيب الخبيث ، زعم قدم ... بخمسة أشياء المبدع والهيول والنفس والمكان ، فالهيول هو الأصغر الذي منه التركيب والمبدع هو الذي فلك والنفس هو ...

(٥) زيادة من (س) .

التولي [١] بغير مواليه ، وإن كانت صلواته مكفرة لغيرها من السيئات ؛ لأن النبي ﷺ قال : [٤١١] « **الصَّلَوَاتُ الخمْسُ كَفَّارَةٌ لما [٢] بَيْنَهُمَا** » [٣] .

وقال رسول الله ﷺ : [٤١٢] « **أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ مُعْتَمَلٌ [٤] ، بَيْنَ مَنْزِلِهِ وَمُعْتَمَلِهِ خَمْسَةُ أَنْهَارٍ ، فَإِذَا انْطَلَقَ [٥] إِلَى مُعْتَمَلِهِ عَمِلَ مَا شَاءَ اللَّه ، فَأَصَابَه الوَسَخُ أَوْ العَرَقُ ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِنَهرٍ [٦] اغتَسَلَ ، مَا يُبْقِي ذَلِكَ مِنْ دَرَنِهِ ؟ فَكَذَلِكَ الصَّلَوَاتُ كُلَّمَا [٧] عَمِلَ خَطِيئَةً أَوْ مَا شَاءَ اللَّه ثُمَّ صَلَّى صَلاةً فَدَعَا وَاسْتَغْفَرَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا** » حدثناه أبو عمرو [عامر بن محمد] [٨] ح يحيى بن أيوب أبو زكريا العلاف بمصر ح سعيد بن أبي مريم ح يحيى بن أيوب حدثني عبد اللَّه بن قريظ أن عطاء بن يسار حدثه أنه سمع أبا سعيد الخُدْرِيَّ ﷺ يحدث أنه سمع رسول اللَّه ﷺ [١١٤/أ] يقول ذلك [٩] .

وقد قال ﷺ : [٤١٣] « **الجمُعَةُ إِلَى الجمُعَةِ كَفَّارَةٌ لما بَيْنَهُمَا** » [١٠] ، فيكون معنى قوله : « **لا يقبل اللَّه منه فريضة** » ، أي : لا يقبلها قبولًا يكفر بها هذا الذنب ، كأنه يقول :

---

(١) في (س) : التوالي .
(٢) في (خ) : لما .
(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ مقارب عن أبي أيوب الأنصاريِّ في كتاب الطهارة باب تحت كل شعرة جنابة (١٩٦/١) رقم (٥٩٨) ، والبزار في مسنده بنحوه عن عثمان (٧٨/٢) رقم (٤٢٧) ، وعبد بن حميد في المنتخب بألفاظ متقاربة عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ (ص ٢٨٣) رقم (٩٠١) ، والطبراني في الأوسط بنحوه (٣١٢/٢) رقم (٢٠٧٨) .
(٤) في هامش (خ) : موضع عمل .
(٥) في (س) : أطلق .
(٦) في (س) : نهرًا .
(٧) في (س) : كلها .
(٨) في (س) : عاصم بن محمد بن يعقوب .
(٩) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ (٧١/١) رقم (٢٠٠) ، وفي الكبير (٣٧/٦) رقم (٥٤٤٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وفيه عبد اللَّه بن قريظ ذكره ابن حبان في الثقات وبقية رجاله رجال الصحيح (٢٩٨/١) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب : إسناده لا بأس به وشواهده كثيرة (١٤٣/١) رقم (٥٢٥) .
(١٠) الحديث أخرجه أبو داود بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الصلاة باب فضل الجمعة (٢٧٦/١) رقم (١٠٥٠) ، وابن ماجه في سننه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب إقامة الصلاة باب في فضل الجمعة (٣٤٥/١) رقم (١٠٨٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى بنحوه (٢٢٣/٣) رقم (٥٦٤٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٨/٧) رقم (٢٧٧٩) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٥٢/٣) رقم (١٨٠٣) ، والطبراني في مسند الشاميين عن أبي أمامة (٤٠/٢) رقم (٨٨١) ، وفي الأوسط (١٩٩/١) رقم (٧٧٤٠) ، وفي الكبير (١٧٨/٨) رقم (٧٧٤٠) .

صلواته وفرائضه لا يكفر اللّه بها هذه الخطيئة وإن كان يكفر بها ما شاء اللّه [١] من الخطايا ، وفي بعض الروايات : [٤١٤] « **الصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٌ لما بَيْنَها [مَا اجْتُنِبَتْ]** [٢] **الْكَبَائِرُ** » [٣] أو كلامًا هذا معناه . فيجوز أن يكون هذا من الكبائر التي لا يكفرها الصلاة ، فكأنها لم يقبل منه في كفارة هذا الذنب ؛ لأنه لم يوجد فيه المعنى الذي يراد منه القبول في هذا الذنب ، وإن وجد ذلك في سائر الذنوب .ومعنى الكبائر عندنا أن من الذنوب ذنبًا هو أكبر من غيره عند الإضافة إليه ، كما أن البزاق في المسجد خطيئة و [٤] هو ذنب ، وليس كشتم مسلم ، وشتم المسلم خطيئة وليس كأخذ ماله ، وأخذ ماله ذنب وليس كسفك دمه ، فكل ذنب من هذه الذنوب أكبر من [صاحبتها وصاحبتها] [٥] أصغر منها ، وإن كانت الذنوب كلها كبائر من جهة النهي عنها ، وكلها ما دون الشرك صغائر في جواز غفرانها . فيجوز أن يكون هذا الذنب من الذنوب الكبائر التي لا تكفرها الصلوات وما سواها من الفرائض ولا يمحوها فيبدل بها حسنات ، بل لا يكفرها ولا يمحوها من ديوانه [٦] إلا التوبة منها في الدنيا ، فإن مات غير تائب وافى القيامة وهي مثبتة في ديوانه ، فإما أن يغفرها اللّه له بفضله ؛ لأنها مضمون مشيئته بقوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن [١١٤/ب] يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] أو يغفرها بشفاعة النبي ﷺ بقوله : [٤١٥] « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » [٧] ، أو يدخله النار فيطهره بها ثم يخرجه إلى رحمته فيدخله جنته بفضل رحمته وإيمانه ، وللّه الحجة البالغة وهو ذو الفضل العظيم .

٩٧
باب في حقيقة الذكر

حديث آخر : [٤١٦] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح صفوان بن أبي الصهباء [٨] التَّيْمِيُّ عن بكير بن عتيق [٩] عن سالم عن ابن [١٠] عمر عن عمر رضي الله عنهما

---

(١) لفظ الجلالة سقط من (س) .
(٢) في (س) و (خ) : ما اجتنب .
(٣) الحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بلفظه عن عبد اللّه بن مسعود (٤٨/١) رقم (١٤٧) ، والطبراني في الكبير (١٤٨/٩) رقم (٨٧٤١) .
(٤) سقط من (س) .
(٥) في (خ) : صاحبها وصاحبها .
(٦) زاد في (س) بعدها : الفرائض .
(٧) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .
(٨) في (س) : الهباء ، وهو خطأ .
(٩) في (خ) : عقيق .
(١٠) في (س) : أبي .

قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِذَا شَغَلَ عَبْدِي ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ** »[١] .

قال الشيخ ؒ : يجوز أن يكون معنى قوله : إذا شغل عبدي ذكره لي وثناؤه علي وتنزيهه لي عن أن يسألني حوائجه التذاذًا بذكري وأنسًا بي[٢] حتى ينسيه ما يترائى له في ذكره لي من توفيقي إياه على ذكره لي ، وتيسيري له الذكر لي ، وإطلاقي لسانه بالثناء علي ، وشرحي صدره بنور الإسلام ، وطمأنينة قلبه بالذكر ، وإشهادي فؤاده حتى كأنه يراني - نسي العبد عند ذلك نفسه ودنياه فأعرض عن نفسه ، ورفض دنياه وشغل عنمّن سوى الله [بالذكر له][٣] ؛ فإن حقيقة الذكر أن ينسى الذاكر ما سوى المذكور . قال الله ﷻ : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤] قيل : إذا نسيت ما سوى الله ﷻ بعد ذكرك الله[٤] . كأنه يقول : إذا نسيت ما سوى الله فقد ذكرت الله تعالى . قال النبي ﷺ : « **سَبَقَ المفْرِدُونَ** » حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن الأزهر الأَشْعَرِيُّ[٥] حدثني جعفر بن محمد الفاريابي ببغداد ح[٦] أمية [١١٥/أ] بن

---

(١) الحديث أخرج نحوه الترمِذِيُّ في جامعه عن أبي سعيد في كتاب ثواب القرآن باب منه ، وقال : حسن غريب (١٨٤/٥) رقم (٢٩٢٦) ، والدارمي في سننه (٥٣٣/٢) رقم (٣٣٥٦) ، وقد أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد بلفظ مقارب عن عمر بن الخطاب ؓ (١٠٩/١) ، وفي التاريخ الكبير (١١٥/٢) رقم (١٨٧٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه موقوفًا عن مالك بن الحارث (٣٤/٦) رقم (٢٩٢٧١) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٩٨/٢) ، والبزار في مسنده بلفظه عن عمر (٢٤٧/١) رقم (١٣٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب عن عمر (٤١٣/١) رقم (٥٧٢) ، وابن حبان في طبقات المحدثين بأصبهان عن حكيم بن حزام (٣٨٤/٢) ، قال ابن حبان في كتاب المجروحين في سياق ترجمته لصفوان بن أبي الصهباء : منكر الحديث يروي عن الأثبات ما لا أصل له من حديث الثقات لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من الروايات . وساق الحديث وقال : هذا موضوع ، (٣٧٦/١) رقم (٥٠٣) ، وقد حكم عليه الفتني بالوضع ، ثم نقل عن ابن حجر قوله : (بل هو حديث حسن) يعني لشواهده ، تذكرة الموضوعات كتاب العلم باب فضل الذكر .

(٢) في (س) : في .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) لم أقف عليه إلا عند القرطبي ذكره ولم ينسبه ، الجامع لأحكام القرآن (٣٨٦/١٠) .

(٥) الأَشْعَرِيُّ : بفتح الألف وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وكسر الراء ، هذه النسبة إلى أشعر ، وهي قبيلة مشهورة من اليمن ، الأنساب (١١٥/١) .

(٦) في (س) : و .

بسطام [١] ح يزيد بن ربيع [٢] ح روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : [٤١٧] كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَه : جُنْدَان [٣] قَالَ : « سِيرُوا ، سَبَقَ المفرِدُونَ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ومَا المفرِدُونَ ؟ قَالَ : « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتُ » [٤] .

فأخبر النبي ﷺ أن الذاكر هو المفرد ، والمفرد [٥] الذي ليس معه غيره ، فذاكر اللَّه على الحقيقة من لا يذكر مع اللَّه غير اللَّه وحوائجه غير اللَّه . قال أبو سعيد الخزاز [٦] : (بينا أنا عشية عرفة قطعني قرب اللَّه عن سؤال اللَّه ، ثم نازعتني نفسي بأن أسأل اللَّه [٧] ، فسمعت هاتفًا يقول : أبعد وجود اللَّه تسأل اللَّه غير اللَّه) ، فمن شغل عن نفسه بشهود اللَّه أعطاه اللَّه عند ذلك في الدنيا حق معرفته وصرفه عمن سواه وأدناه منه فكان جليسه ، فقد قال اللَّه : [٤١٨] « أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي » [٨] . ورفع الحجب بينه وبينه فكان كأنه يراه ، وأعطاه في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأحله في مقعد صدق عند مليك مقتدر يقبل عليه بوجه ناضر وينظر إليه ببصر

---

(١) في هامش (خ) : بَسطام بفتح الباء الموحدة اسم موضع ، ومنه أبو يزيد البسطامي ، وبِسطام بكسر الباء الموحدة اسم رجل .

(٢) في (خ) : زريع .

(٣) في (س) : جمدان ا.هـ . وهو الصواب . قال في النهاية : جُمْدان بضم الجيم وسكون الميم في آخره نون جبل على ليلة من المدينة مرَّ عليه رسول اللَّه ﷺ ، فقال : « سيروا هذا جمدان سبق المفردون » ، النهاية مادة (جمد) ، (٢٩٢/١) وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن اسمه بُجْدان ، ونقل عن الأَزْهَرِيّ قوله : وأكثر الناس يرويه جمدان (٣٤٠/١) ، (١٦١/٢) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر اللَّه تعالى (٢٠٦٢/٤) رقم (٢٦٧٦) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤١١/٢) رقم (٩٣٢١) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب (٣٨٩/١) رقم (٥٠٤) ، وابن حبان في صحيحه بلفظ مقارب (١٤٠/٣) رقم (٨٥٨) ، وأبو بكر السامري في فضيلة الشكر بألفاظ مختلفة (ص ٤٠) رقم (٢٣) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) أبو سعيد الخزاز اسمه أحمد بن عيسى وهو من أهل بغداد صحب ذا النون المصري وأبا عبد اللَّه النباجي وأبا عبيد البسري وصحب أيضًا سريا السقطي وبشر بن الحارث وغيرهم وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم ، قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين وأسند الحديث ، طبقات الصُّوفِيَّة لأبي عبد الرحمن الأَزْدِيّ (١٨٣/١) .

(٧) سقط من (س) . (٨) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .

ناظر يسلم عليه قولًا من رب رحيم ، ويجيبه إله بر كريم .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **من شغله ذكري** » ، أي : من شغله ذكر اللّٰه معناه من شغله شهوده ذكر اللّٰه تعالى له قبل إيجاده إياه وخلقه له فجعله في [1] الموحدين له المؤمنين به والمثنين عليه ، نقله من صلب إلى رحم حتى أخرجه في أمة هي خير أمة أخرجت للناس فيمن باهى [١١٥/ب] به أنبياءه ورسله ، ثم [2] ألهمه ذكره وعلمه الثناء عليه ، وألزمه كلمة التقوى وجعله من أولي النهى ، فكان مذكوره بالاجتباء حين لم يكن شيئًا مذكورًا فقام له بحوائجه قبل حاجته إليها وأعطاه مصالحه قبل هدايته لها ، أعطاه قبل سؤاله أجزل العطايا ووهب له أنفس الرغائب وأحسن الهدايا ، وتكفل له ما يصلحه للدين والدنيا ، فمن عرف ذلك من ربه به وسيده إليه استغرق في بحر منته فشغل عن سؤاله معرفة منه بعلمه بحاله ، فتوكل عليه وفوض أمره إليه ثقة به ومعرفة بنظره له فيعطيه اللّٰه أفضل ما يعطي السائلين ، ويختار له في حين وجوده ما هو أصلح له كما اختار له في عدمه ما هو أرفع له ، وأزين به فهو يعطيه على قدر الربوبية والسائلون يسألون على قدر العبودية وهمم العبد لا يجاوز قدره ، وما عند اللّٰه خير وأبقى واللّٰه جواد كريم .

فالذاكرون على طبقات ثلاث :

فذاكر بلسانه تسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا وتمجيدًا يدعوه بأسمائه الحسنى ويثني عليه بصفاته العليا ، انشرح صدره بنوره واطمأن قلبه بذكره وشهد مذكوره بسره ، فذكره له أنيس وربه له جليس ، تلذذ بذكره والثناء عليه فشغل عن سؤاله والطلب له ، قال اللّٰه جل ذكره - : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، يجوز أن يكون معناه . ذكر اللّٰه أكبر قدرًا في قلب الذاكر من أن يرجع إلى حظوظ نفسه وسؤال حاجاته ، فيعطيه اللّٰه أفضل ما يعطي السائلين [بسؤالهم وهو [١١٦/أ] ما وعد في كتابه فقال : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢] فمتى يبلغ سؤال السائلين] [3] إلى ما وعدهم ؛ إذ السائلون يسألون محدثًا مخلوقًا ، واللّٰه وعد الذاكرين له ما ليس بمخلوق ولا محدث وهو ذكره ؛ لأن ذكره صفته ، - واللّٰه جل وعز - بصفاته قديم يباهي بهم ملائكته ، ويرفع أقدارهم بين خليقته ، وينوه بأسمائهم في ملكوته .

---

(١) في (خ) : من .
(٢) زيادة من (س) .
(٣) سقط من (س) .

وذاكر بقلبه ، معظم لربه مشاهد لقربه لم يذكره عن نسيان حين جرى بذكره اللسان ، فكان كما قال :

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكر ولكن نسيم القرب يبدو فيبهر (ن)

أسكنته هيبته وأخرسته خشيته أجل الحق أن يذكره بلسانه ، ولم يغب لحظة عن ذكره بجنانه ، يرى ذكره له من حيث هو غفلة وثناءه عليه بصفة نفسه زلة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ، قال بعض الكبراء : ذكر الله أكبر من أن تجري به الألسن على ما يستحقه أو تبلغه الأوهام على ما يليق به أو تحويه العقول على قدر قدره ، قال النبي ﷺ : [٤١٩] « **لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ** » [١] .

فهؤلاء أخفوا ذكره عن الأغيار والرسوم [٢] ، فأخفى ثوابهم عن المعارف والفهوم ، قال [٣] : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ [٤] لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] ، وقال النبي ﷺ رواية عن الله تعالى : [٤٢٠] « **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** » [٥] ، وقال ﷺ رواية أيضًا [عن الله تعالى] [٦] :

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن عائشة في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (٣٥٢/١) رقم (٤٨٦) ، وأبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب في كتاب الوتر باب القنوت في الوتر (٦٤/٢) رقم (١٤٢٧) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الدعوات باب في دعاء الوتر ، وقال : حسن غريب (٥٦١/٥) رقم (٣٥٦٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الوتر باب ما يقال في آخر وتره (٤٥٢/١) رقم (١٤٤٤) ، وابن ماجه في سننه عن عائشة في كتاب الدعاء باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ (١٢٦٢/٢) رقم (٣٨٤١) .

(٢) في هامش (خ) : أي لم يذكروه على وجه الرسم ا.هـ . والرسم عند الصوفية هو الخلق وصفاته ؛ لأن الرسوم هي الآثار ، وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من أفعاله ، معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (١٦٧) .

(٣) في (خ) : فقال .

(٤) في هامش (خ) : قرأ حمزة ﴿ أخفي ﴾ بسكون الياء .

(٥) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة ﷺ في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة (١١٨٥/٣) رقم (٣٠٧٢) ، ومسلم في صحيحه في أول كتاب الجنة وصفة نعيمها (٢١٧٤/٤) رقم (٢٨٢٤) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة السجدة وقال : حسن صحيح (٣٤٦/٥) رقم (٣١٩٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، (٣١٧/٦) رقم (١١٠٨٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب صفة الجنة (١٤٤٧/٢) رقم (٤٣٢٨) .

(٦) سقط من (س) و (خ) .

[٤٢١] « **مَنْ ذَكَرَنِي [١١٦/ب] فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي** » [(١)] ، غاروا على أذكاره فغار على أوصافهم فهم خباياه في غيبه وأسراره في خلقه .

وآخر شاهد ذكر ربه له في أزله حيث لا رسوم ولا فهوم ولا علم ولا معلوم كانوا موجودين له علمًا ؛ إذ كانوا معدومين رسمًا ، فكانوا مذكورين ولا ذكر لهم ومعلومين ولا علم لهم ومرادين ولا إرادة لهم ومطلوبين ولا طلب لهم ومختارين ولا اختيار لهم ، لما شاهدوا هذه الأحوال أسقطوا عن الطلب والسؤال فكانوا في حين وجودهم كما كانوا في عدمهم تسليمًا لأمره وتركًا للاعتراض عليه ، فالطبقة الأولى متذكرون [(٢)] ، والثانية ذاكرون ، والثالثة مذكورون ، والله من ورائهم محيط ، والله أعلم .



٩٨ باب في الغيبة

حديث آخر : [٤٢٢] حدثنا بكر بن مسعود بن رواد ح أبو سليمان محمد بن منصور البَلْخِيُّ ح كثير بن شيبان العباداني أبو شيبان الرَّاسِبِيُّ ح الربيع بن بدر العَرْجِيُّ [(٣)] ح أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الحيَاءِ فَلا غِيبَةَ لَهُ** » [(٤)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **لا غيبة له** » ، أي : لا غيبة عنه ؛ في الفعل الذي أظهره من نفسه وألقى جلباب الحياء فيه .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٢٧/ب) .

(٢) في هامش (خ) : أي متكلفون في الذكر .

(٣) العَرْجِيُّ : بفتح العين المهملة ، وسكون الراء ، وفي آخرها الجيم ، هذه النسبة إلى العَرْج ، وهو موضع بمكة ، الأنساب (٣٣٣/٣) .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بلفظه عن أنس ، وقال : ليس بالقوي (٢١٠/١٠) رقم (٢٠٧٠٤) ، وفي شعب الإيمان وقال : إن صح ففي الفاسق المعلن بفسقه (١٠٨/٧) رقم (٩٦٦٤) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (ص ٤٢) رقم (١٠٢) ، والمؤمل بن إيهاب في جزئه وقال : منكر (ص ١٠٠) رقم (٢٧) ، وابن عدي في الكامل بلفظ مقارب في سياق ترجمته لأبان بن أبي عياش وقال فيه : متروك الحديث (٣٨١/١) رقم (٢٠٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٦٣/١) رقم (٤٢٥) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد (٤٣٨/٨) رقم (٤٥٤٦) ، وقد نقل العجلوني في كشف الخفاء عن العقيلي قوله في الحديث : ليس له أصل (٢٢٤/٢) رقم (٢١٥١) ، وقد ضعف الحديث الفتني في تذكرة الموضوعات ، تذكرة الموضوعات كتاب العلم باب آفة الذنب .

وقد يجوز أن تكون الغيبة عنه فيما سوى ذلك من غيب هو فيه يسره [١] على نفسه إذا ذكرته به ، فإن ذلك غيبة عنه ؛ لأنه إنما لم يكن ذكره بما ألقى جلباب الحياء فيه غيبة ؛ لأن الغيبة إنما نهى عنها إن شاء [١١٧/أ] الله من جهة الأذى الذي يلحق المغتاب عنه والملام [٢] الذي يصيبه فيه ؛ لأنه يشينه عند الناس عيبه فهو يسره [٣] على نفسه كراهة أن يفتضح وينتهك ستره ، أو يكره ذلك العيب من نفسه ولا يقاوم نفسه في إزالته عنها ، فأما إذا أظهره للناس وألقى ستر الحياء عنه فقد ظهر عنه [٤] أنه ليس يبالي بأن يعرف ذلك منه أو يذكر به ، فإن ذكرته به لم يلحقه ألم ولا أذى ، فكأنك لم تذكره بسوء ، وعلم أيضًا أنه ليس يكره ذلك العيب من نفسه ، وأنه ليس بملوم [٥] فيه ولكنه متبجح به ، فلما لم يكن فيه أذى ولا كراهة لم يكن ذاكره بما أظهر من نفسه مغتابًا ويكون في إظهار ذلك منه وذكره به فائدة ونفع ، أو [٦] هو أن يعرفه من لا يعرفه به فيجتنبه ويتجافى عنه ولا يداخله فيتأذى به .

حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف العماني ح أبو شجاع أحمد بن مخلد النَّيْسَابُورِيُّ أخ الجارود بن يزيد ح بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٤٢٣] « **أَتَرعونَ [٧] مِنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ ؟ فَاذْكُرُوه [٨] بما فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ النَّاسُ يحذَرْه النَّاسُ** » [٩] ، فهذه فائدة ذكره ، فأما ما لم يظهره من نفسه فإنه يتأذى به ،

---

(١) في (خ) : يستره.

(٢) في هامش الأصل وفي (س) و (خ) : الألم .

(٣) في (خ) : يستره .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) في (س) و (خ) : بمغلوب .

(٦) في (س) و (خ) : و .

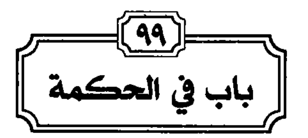
(٧) أترعون : بفتح همزة الاستفهام والمثناة فوق وكسر الراء ، أي : أتتحرجون وتكفون وتتورعون ، فيض القدير (١١٥/١) .

(٨) في (خ) : اذكروه .

(٩) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ، وقال : هذا حديث يعرف بالجارود بن يزيد النَّيْسَابُورِيُّ وأنكره عليه أهل العلم بالحديث ، ثم قال : وقد سرقه عنه جماعة من الضعفاء فرووه عن بهز بن حكيم ولم يصح فيه شيء (٢١٠/١٠) رقم (٢٠٧٠٣) ، والعقيلي في الضعفاء بألفاظ مختلفة وقال : لا أصل له (٢٠٢/١) رقم (٢٤٨) ، والجُرْجَانِيُّ في تاريخ جرجان (١١٥/١) رقم (٩٨) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد (٢٦٢/٧) رقم (٣٧٤٥) ، وأبو يعلى القَزْوِينِيُّ في كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، وقال في الجارود : ضعفوه ونقم عليه يعني لهذا الحديث (٨٠٧/٢) رقم (٧٠٧) ، وقد أخرج الحديث أيضًا الطبراني في الكبير (٤١٨/١٩) رقم (١٠١٠) ، وفي الصغير (٣٥٧/١) رقم (٥٩٨) .

ولعله يكره ذلك [١] من نفسه ، ويحب إخراجه من نفسه فلا يقاوم هواه ، فهو كالمكره [٢] فإذا ذكرت ذلك منه [٣] هتكته وآذيته ، [و] [٤] أذى المؤمن من غير فائدة ذنب كبير ، فلذلك [٥] يكون ذاكره بما يسره على نفسه مغتابًا والله أعلم .

والغيبة إنما تكون إذا ذكرت ما فيه [١١٧/ب] من عيب أو سوء لا يحب أن يطلع عليه ، فأما ذكره بما ليس فيه فهو بهتان عليه ، والبهتان من الكبائر ، قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] ، وحدثنا أحمد بن عبد الله الهَرَوِيُّ ح محمد ابن حيان ح [٦] محمد بن المنهال ح يزيد - هو ابن زريع - عن روح عن العلاء [٧] عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة ، فقال : [٤٢٤] « **أَنْ تَذْكُرَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : « **فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لم يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ** [٨] » [٩] .



٩٩ باب في الحكمة

حديث آخر : [٤٢٥] حدثنا أبو حاتم أحمد بن حيان التَّمِيمِيُّ [١٠] ح الحسن [١١] ابن عبد الله القطان بالرقة [١٢] وإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل ببست [١٣] والفضل بن

---

(١) سقط من (س) .
(٢) في (س) : كالمكروه .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) زيادة من (س) .
(٥) في (س) : فكذلك .
(٦) في (س) : عن .
(٧) في (س) : العماء .
(٨) بهته : أي كذبت وافتريت عليه ، النهاية مادة (بهت) ، (١٦٥/١) .
(٩) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة باب تحريم الغيبة (٢٠٠١/٤) رقم (٢٥٨٩) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في الغيبة (٢٦٩/٤) رقم (٤٨٧٤) ، والترمذِيُّ في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الغيبة ، وقال : حسن صحيح (٣٢٩/٤) رقم (١٩٣٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢] ، (٤٦٧/٦) رقم (١١٥١٨) ، والدارمي في سننه (٣٨٧/٢) رقم (٢٧١٤) ، وأحمد في مسنده (٣٨٤/٢) رقم (٨٩٧٣) .
(١٠) في (خ) : التيمي .
(١١) في (خ) : الحسين .
(١٢) الرقة : بستان مقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد وينسب لها جماعة من أهل العلم ، معجم البلدان (٦٠/٣) .
(١٣) بست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة ، قال ياقوت الحموي : وأظنها من أعمال كابل ، قال : =

محمد البَاهِلِيُّ بأنطاكية [(١)] في آخرين قالوا : حدثنا هشام بن عمار ح الحكم بن هشام ح يحيى بن سعيد بن [(٢)] أبان القرشي [(٣)] عن أبي فروة عن أبي خلاد - وكانت له صحبة [(٤)] - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ المؤْمِنَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا في الدُّنْيَا وقِلَّةَ المنْطِقِ ، فَاقْبَلُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُلَقَّى [(٥)] الحِكْمَةَ** » [(٦)] .

قال الشيخ رحمه الله : الحكمة : الإصابة بالقول وإتقان العمل ، والزهد : فراغ القلب من الدنيا ، و [(٧)] من زهد في الدنيا فهو منور القلب مشروح الصدر ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، يجوز أن يكون الإسلام [ها هنا] [(٨)] إسلام النفس إلى الله عز وجل ، ومن أسلم نفسه إلى الله لم يشتغل بالدنيا ، فإن الدنيا إنما تراد للنفس فمن أسلم نفسه إلى مالكها [١١٨/أ] لم يحتج إلى الدنيا ، وقال النبي عليه السلام : [٤٢٦] « **إِذَا دَخَلَ النُّورُ في القَلْبِ انْشَرَحَ وانْفَسَحَ** » . قِيلَ : فَمَا [(٩)] عَلامَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « **التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ والإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُودِ** [(١٠)]

= خرج منها جماعة من أعيان الفضلاء منهم أحمد بن محمد البستي صاحب معالم السنن وغريب الحديث ، وإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل أبو محمد القاضي البستي سمع هشام بن عمار وغيرهم مات سنة (٣٠٧ هـ) ، معجم البلدان (٤١٤/١) ، وإسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل من رواة هذا الحديث .

(١) أنطاكية : قال ياقوت الحموي فيها : (قصبة العواصم من الثغور الشامية) وذكر عن ابن بطلان قوله : (بينها وبين حلب يوم وليلة) وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم منهم هشام بن عمار ، معجم البلدان (٢٦٧/١) وهشام بن عمار من رواة هذا الحديث .

(٢) سقط من (س) .

(٣) في (س) : القريشي .

(٤) في (س) : الصحيفة .

(٥) في هامش (خ) : أي يلهم .

(٦) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي خلاد في كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا (١٣٧٣/٢) رقم (٤١٠١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٦/٧) رقم (١٠٥٢٩) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٤٠٥/١٠) ، والطبراني في الكبير (٣٩٢/٢٢) رقم (٩٧٥) ، قال ابن أبي حاتم في كتاب المراسيل : (سمعت أبي يقول : أبو خلاد الذي يروي عن النبي [وساق الحديث] ليس له صحبة) كتاب المراسيل لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرَّازِيُّ (٢٥٤/٢) رقم (٩٤٤) ، ونقل ابن حجر في كتاب الإصابة عن البزار قوله : (إنما أدخلناه في المسند لقوله : وكانت له صحبة ، مع أنه لم يقل : رأيت ولا سمعت) ، (١٠٨/٧) رقم (٩٨٣٥) ، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : (أبو خلاد رجل من الصحابة لا أقف له على اسم ولا نسب) ، (١٦٤٠/٨) رقم (٢٩٣٢) .

(٧) سقط من (س) .

(٨) سقط من (خ) .

(٩) في (س) : وما .

(١٠) في (س) : السرور .

والاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ الموْتِ » [(١)] .

فأخبر ﷺ أن التجافي عن الدنيا والزهد فيها دليل على نور القلب ، ومن استنار قلبه أصاب في منطقه ولم يخطئ في قوله ، وتكون أعماله متقنة وأفعاله محكمة ؛ لأنه يرى الأشياء كما هي فلا يلتبس عليه الأمور ، ولا تتشابه له الأحوال لأنه ينظر بنور الله ، ومن نظر بنور الله أبصر الشيء كما هو فأصاب في منطقه وأدرك الرشد في إشارته ، فمن قبل منه أصاب و [(٢)] رشد .

وقلة المنطق دليل على إصابة صاحبه ؛ لأن من تحرى الصواب في عمله والصدق في قوله قل منطقه ؛ لذلك أمر - إن شاء الله تعالى - رسول الله ﷺ بالقبول ممن أعطى زهدًا في الدنيا وقلة المنطق لإصابة الحق والصواب ممن هذا نعته ، ومن قبل الصواب والحق رشد ، والله الموفق .

(١٠٠) باب في فضل حسن الخلق

حديث آخر : [٤٢٧] حدثنا عبد العزيز بن محمد المَرْزُبَانيُّ ح عبد الله بن حماد الآمُلِيُّ ح يحيى بن بكير حدثني يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو مولى المطلب عن المطلب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إِنَّ المؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ** » [(٣)] .

قال الشيخ رحمه الله : الصائم والقائم [يجاهدان أنفسهما] [(٤)] ؛ لأن الصيام والقيام مخالفة النفس ؛ إذ النفس حظها واستمتاعها المطاعم والمشارب والنكاح [١١٨/ب] ،

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٤٠/ب) . (٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن عائشة في كتاب الأدب باب في حسن الخلق (٢٥٢/٤) رقم (٤٧٩٨) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب (١٣٣/٦) رقم (٢٥٠٥٧) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن عائشة وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه وشاهده صحيح على شرط مسلم (١٢٨/١) رقم (١٩٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه (٢٣٦/٦) رقم (٧٩٩٧) ، وابن حبان في صحيحه بلفظ مقارب (٢٢٩/٢) رقم (٤٨٠) ، والبرجلاني في كتاب الكرم والجود بألفاظ مختلفة عن ابن عمر (ص ٣٦) رقم (١٥) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد بنحوه عن أبي الدرداء (٥٩٤/٢) رقم (١٢٥٨) ، وتمام الرَّازِيُّ في الفوائد بلفظه عن عائشة (٣٧٢/١) رقم (٩٤٩) ، وابن عدي في الكامل بلفظ مقارب عن أبي هريرة (١١/٤) رقم (٨٨٨) ، وابن حبان في طبقات المحدثين بأصبهان عن ابن عمر (٤٢٤/٣) رقم (٤٣٦) .

(٤) من هامش الأصل .

والصيام يمنع عن هذه الأشياء ، والنفس أمارة بالسوء تدعو إلى هذه الأشياء [وبهذه الأشياء] (١) تتقوى هذه النفس ، وبالنوم [تربو وتنمو] (٢) والقيام يمنع النوم ، فالصائم والقائم يجاهد كل واحد منهما نفسه ، ومن جمعهما فإنما يجاهد نفسًا واحدة فيعظم قدره وتعلو رتبته لمجاهدته نفسه ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠، ٤١] ومن حسن خلقه فإنما يجاهد في تحمل أثقال مساوئ أخلاق الناس ؛ لأن حسن الخلق هو الذي لا يحمل غيره ثقله ويتحمل أثقال غيره ، وهو جهاد كبير ، فأدرك هذا بحسن خلقه درجة الصائم ؛ لأنه يجاهد نفسه كما يجاهدها الصائم القائم فاستويا في الرتبة لاستوائهما في الفعل الذي هو مجاهدة النفس .

حدثنا أحمد بن ماجد عن (٣) عمرويه ح عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف ح الصلت بن مسعود الجَحْدَرِيُّ (٤) ح جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ (٥) وحدثنا محمد بن إسحاق الرَّشَادِيُّ ح محمد بن نصر ح يحيى بن يحيى أخ جعفر بن سليمان عن عبد اللّٰه بن أبي الحسن (٦) المكي عن [الحارث بن جميلة] (٧) عن أم الدرداء عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : [٤٢٨] « **إِنَّ أَثْقَلَ مَا يُوضَعُ (٨) في الميزَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ الـخُلُقُ الحسَنُ** » (٩) .

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) رسمت الكلمتان في (س) : هكذا : تربوا وتنموا .

(٣) في (س) و (خ) : ابن .

(٤) الْجَحْدَرِيُّ : بفتح الجيم وسكون الحاء وفتح الدال المهملتين ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى جحدر ، وهو اسم رجل ، الأنساب (٣٨٩/١) .

(٥) الضُّبَعِيُّ : بضم الضاد المعجمة ، وفتح الباء المنقوطة بواحدة ، وفي آخره العين المهملة ، هذه النسبة إلى ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة .. نزل أكثرهم البصرة ، وكانت بها محلة ينسب إليهم يقال لهم : بنو ضُبيعة ، الأنساب (٢٣١/٣) .

(٦) في (س) و (خ) : الحسين ا.هـ . وهو الصواب . الثقات لابن حبان (١٣٢/٤) .

(٧) في (س) : الحارث جميلة . ا.هـ ، وما في الأصل و (س) خطأ ، والصواب : الحارث بن أبي جميلة . (الثقات لابن حبان (١٣٢/٤) .

(٨) من هامش الأصل .

(٩) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي الدرداء في كتاب الأدب باب في حسن الخلق (٢٥٣/٤) رقم (٤٧٩٩) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق وقال : (غريب من هذا الوجه) (٣٦٣/٤) رقم (٢٠٠٣) ، وأحمد في مسنده (٤٤٢/٦) رقم (٢٧٥٣٦) ، =

قال : هذا الحديث رفع ذا الخلق الحسن فوق درجة الصائم القائم ؛ لأن [الصيام والقيام] [١] يوضعان [في الميزان فهو إذًا في الميزان] [٢] يوم القيامة وأخبر النبي ﷺ أن الخلق الحسن أثقل شيء يوضع في الميزان [٣] أثقل من [الصيام والقيام] [٤] ، وذلك إن شاء الله تعالى [لما ذكرناه] [٥] [١١٩/أ] من مجاهدة النفس ، والصائم والقائم يجاهد نفسًا واحدة وهي نفسه ، وذو الخلق الحسن يجاهد نفسه وأنفسًا كثيرة ممن يعاشرهم ويعاشرونه ، فيتحمل أثقال نفسه وأثقال غيره ، فلذلك إن شاء الله ثقل ميزانه .

١٠١
باب فيما يرضاه الله أو يسخطه

حديث آخر : [٤٢٩] حدثنا عبد العزيز بن محمد الدِّهْقَان ح محمد بن إبراهيم البَكْرِيُّ ح [٦] أبو الفضل ح محمد بن إسماعيل بن جعفر حدثني عبد الله بن سلمة عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ اللَّه تَعَالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا ويَسْخَطُ لَكُم ثَلاثًا ، يَرْضَى لَكُم أَنْ تَعْبُدوا اللَّه وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحبْلِ اللَّهِ جميعًا ، وأَنْ تَنَاصِحُوا مَنْ وَلَّى [٧] اللَّه أَمْرَكُم ، ويَسْخَطُ لَكُم ثَلاثًا [٨] [قِيلَ وقَالَ] [٩] ، وَإِضَاعَةَ المالِ ، وكَثْرَةَ السُّؤَالِ** » [١٠] .

والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣٨/٦) رقم (٨٠٠٣) ، وابن حبان في صحيحه (٢٣٠/٢) رقم (٤٨١) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٠٣) رقم (٢٧٠) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد (٥٩٤/٢) رقم (١٢٥٨) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة بألفاظ متقاربة (٣٦٣/٢) رقم (٧٨٢) ، وقد صحح الحديث ابن أبي حاتم في علل الحديث (٢٧٥/٢) رقم (٢٣٢٣) ، وقال العجلوني في كشف الخفاء بعد ذكره لطرق الحديث : (وبهذه الطرق يتبين أنه حسن أو صحيح) (٤٧/١) رقم (١٠٠) .

(١) في (س) : الصائم والقائم .
(٢) سقط من (س) أما في (خ) فقد أسقط عبارة (فهو إذًا في الميزان) .
(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : فهو إذًا في الميزان .
(٤) في (س) : الصائم والقائم .
(٥) سقط من (س) .
(٦) سقط من (س) و (خ) .
(٧) في (س) : وفي .
(٨) سقط من (س) .
(٩) في هامش الأصل وفي (خ) : القيل والقال .
(١٠) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (١٣٤٠/٣) رقم (١٧١٥) ، ومالك في الموطأ (٩٩٠/٢) رقم (١٧٩٦) ، وأحمد في مسنده (٣٦٧/٢) رقم (٨٧٨٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٦٣/٨) رقم (١٦٤٣٣) ، وابن حبان في صحيحه (١٨٢/٨) رقم (٣٣٨٨) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٥٨) رقم (٤٤٢) .

قال الشيخ رحمه الله : العبادة لله من غير إشراك صفاء توحيد الله وإخلاص العمل لله تعالى ، والاعتصام بحبل الله تعالى الاستقامة في دين الله ، وتصحيح العمل لله تعالى ، ومناصحة ولاة الأمر الشفقة على خلق الله وحسن المعونة لعباد الله ، والقيل والقال التكلف في دين الله ، وإضاعة المال وضعه في غير حق الله ، وكثرة السؤال الاعتراض على الله .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « يرضى لكم » ، أي : يرضى منكم هذه الأفعال ، ويرضى لكم أن تكونوا بهذه الأوصاف [فتكلفوها واسعوا في طلبها وابذلوا مجهودكم في نيلها تدركوا رضا الله فيها .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « يرضى لكم » أن تكونوا بهذه الأوصاف] [١] فيوجدها فيكم ويوفقكم لها ويستعملكم بها ؛ لأنه محبكم [٢] ، والمحب يحب لحبيبه أرفع المنازل [١١٩/ب] ، وأعلى الدرجات ، وأحسن الأوصاف ، ولن تطيقوه أنتم فيوجدها فيكم ويضعها منكم ويحليكم بها فضلًا وكرمًا ، ويسخط لكم الثلاث الأخر فيحول بينكم وبينها ، [ويعصمكم منها] [٣] ولا يحدثها فيكم عصمة لكم ، ويسخط منكم هذه الأوصاف الذميمة ، فتكلفوا إزالتها عنكم ومجانبتها إن لم تكن فيكم فلا يسخط الله عليكم ، والله ولي التوفيق والعصمة (ن) .

١٠٢
باب في درجات الإيمان

حديث آخر : [٤٣٠] حدثنا بكر بن محمد بن حمدان ح أبو الأحوص محمد [٤] ابن الهيثم ح نعيم بن حماد ح عثمان بن كثير بن دينار الحمصي عن محمد بن المهاجر عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أَفْضَلُ إِيمَانِ المرءِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّه تَعَالى مَعَهُ حَيْثُ كَانَ** » [٥] .

قال الشيخ رحمه الله : الإيمان بالله شهود القلب لله - جل وعز - ، وهو التصديق

---

(١) سقط من (س) .
(٢) في (س) و (خ) : يحبكم .
(٣) سقط من (س) .
(٤) في (خ) : حمد .
(٥) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب عن عبادة بن الصامت (١/٤٧٠) رقم (٧٤١) ، وفي الأربعون الصغرى - له أيضًا - وقال بعده : يعني أن الله معه بعلمه (٢/٦٢) رقم (٢٤) .

باللسان بقوله : لا إله إلا الله ، فإذا نطق اللسان بلا إله إلا الله صدقه القلب لشهوده [١] لله من غير شريك ، ومن قال : لا إله إلا الله ولم يشهد بقلبه بمعنى الإيقان بالله وحده لم يصدق قلبه لسانه ؛ لذلك قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] أكذبهم في قولهم ؛ لأنهم لم يشاهدوه بقلوبهم وإن كانت الكلمة كلمة صدق ، فصح أن الإيمان شهود القلب إنه حي قائم موجود وإله معبود [١٢٠/أ] فهذا هو الإيمان العام الذي من ليست له هذه الصفة فليس بمؤمن ، ثم لشهود القلب مراتب ودرجات فأفضل درجاته وأعلى مراتبه شهوده الله تعالى في كل مكان يكون العبد فيه ، وعلى أي حال كان العبد عليها من سراء وضراء وخلاء وملأ ، في الضرورة والاختيار والغنى والافتقار ، وفي البؤس والنعيم والطاعة والمعصية ، فيشهده في حال السراء بالحمد لله ، وفي حالة الضراء بالرضا به ، وفي الخلاء بالحياء منه ، وفي الملأ بالتوكل عليه ، وفي الضرورة بالاستعانة به ، وفي الاختبار برؤية التوفيق منه ، وفي الغنى بالإفضال ، وبالصبر في الإقلال ، وفي البؤس بسعة الصدر ، وفي النعيم بالازدياد منه بالشكر ، وفي الطاعة بالإخلاص ، وفي المعصية بطلب الخلاص ، فهذا أفضل الإيمان ، والله المستعان ذو الطول والإحسان .

١٠٣
باب في خضوع الأشياء لله

حديث آخر : [٤٣١] حدثنا أبو علي محمد بن [٢] الحسين الحافظ ح أحمد بن علي ابن الحسين بن شعيب المدائني ح أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرْقِيّ ح دحيم بن إبراهيم ح مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن النعمان بن بشير وقبيصة بن المخارق ﷺ قالا [٣] : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الشَّمْسَ والْقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ بِمَوْتِ [٤] أَحَدٍ ، وَلَكِنَّ اللهَ إِذَا تَجَلَّى لِشَيءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعَ لَهُ [٥] ، فَإِذَا انْكَسَفَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَصَلُّوا [٦] كَأَتَمِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ صَلَّيْتُمُوهَا** » [٧] .

---

(١) في (خ) : بشهوده .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : علي بن .

(٣) في (س) : قال .

(٤) في هامش الأصل : لموت .

(٥) سقط من (س) و (خ) .

(٦) السابق .

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد أخرج نحوه البخاري في صحيحه عن أبي بكرة في كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف الشمس (٣٥٣/١) رقم (٩٩٣) ، ومسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة في كتاب =

قال الشيخ رحمه الله : إن الله تعالى لما خلق الأشياء وأوجدها وأخرجها من العدم إلى الوجود ظهر في كل شيء من ذلك [١٢٠/ب] علو وشموخ ورفعة ، لمعرفتها بأنها له وأنه أوجدها وأنها منسوبة إليه ، وجعل في كل شيء خاصية معنى ، فارتفعت به ، قالت الملائكة عليهم السلام : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ [1] وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة: ٣٠] وتحاجت الجنة والنار ، فافتخر كل واحدة منهما بما خصت به من نعيم أوليائه ، والانتقام من أعدائه ، وافتخرت الجبال على الأرض لما مادت [2] الأرض فأرساها بالجبال ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : [٤٣٢] « فَإِنَّهَا لَتَفْتَخِرُ عَلَى الأَرْضِ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » [3] . وقال إبليس : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] ، فكل شيء كان افتخاره بالله - جل وعز - نجا ، ومن افتخر بجوهره ونظره [4] إلى ذاته هلك ، كإبليس لعنة الله عليه ، وحق لشيء عرف أنه [5] مقصود رب ليس كمثله شيء أن يفتخر به ويعلو قدره ، وقد قصده الحق بالإيجاد وخاطبه بكن وخصه بمعنى ، فلولا أن الله - جل وعز - وسم كل شيء بسمة من سمات العبودية وذل الخلق وعجز البنية ، وما خص كل شيء مما خلق بشيء لشمخت بأنفها واستكبرت وتجبرت فسقطت من عين الله وهلك كما استكبر إبليس فلعن ، فوسم الله - جل وعز - [الملائكة بالخشية والخشوع والخوف قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ] [6] وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠] ، ووضع على بني آدم البلوى والاختبار ، فقال عز وجل : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ، وقال تعالى [7] : ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢] ، ووضع على الجن الصغار والذل فلم يجعل منهم [١٢١/أ] رسولًا ولا حكيمًا كليمًا ولا نبيًا ولا بعيثًا ،

= الكسوف باب ذكر النداء بصلاة الكسوف (٦٣٠/٢) رقم (٩١٥) ، وأبو داود في سننه عن عائشة في كتاب صلاة الاستسقاء باب صلاة الكسوف (٣٠٥/١) رقم (١١٧٧) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن النعمان بن بشير في كتاب كسوف الشمس والقمر باب نوع آخر من صلاة الكسوف (٥٧٦/١) رقم (١٨٧٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في صلاة الكسوف (٤٠١/١) رقم (١٢٦٢) .

(١) في (س) : بك .

(٢) في الأصل : حالت .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) في (خ) :

(٥) زاد في (خ) بعدها : موجود .

(٦) سقط من (س) .

(٧) زاد في (س) و (خ) بعدها : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ [البقرة: ١٥٥] ا.هـ .

ولم يخاطبها على الانفراد ولعن إبليس والشياطين فأبعدها وأقصاها وجعلها رجيمًا ، وخص سائر الأشياء بالتسخير ، فقال : ﴿ وَسَخَّرَ [لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ] (١) وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [النحل : ١٢] ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ [إبراهيم : ٣٣] ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] ، فلما وسم الله تعالى هذه الأشياء بهذه السمات ، استكانت الأشياء كلها وخضعت وانقادت واستقامت على ما أراد منها ، سبحان الحكيم العليم ، ثم إنه تعالى حجب جميع خلقه عن كنه جلاله وقدر سلطانه وقهر ربوبيته وعظيم هيبته ، ولولا ذلك لتلاشت الأشياء واضمحلت وفنيت وبادت ، قال النبي ﷺ : [٤٣٣] « **حِجَابُهُ النَّارُ لَوْ كشفَ عَنْهَا لأحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ** » (٢) . وفي رواية : [٤٣٤] « **حِجَابُهُ النَّهَارُ** » (٣) . وفي رواية أخرى : [٤٣٥] « **حِجَابُهُ النُّورُ** » (٤) .

وحدثنا خلف بن محمد ح نصر بن زكريا ح عباس بن عبد العظيم العَنْبَرِيُّ (٥) ح مكي بن إبراهيم ح موسى عن [عمرو (٦) بن الحكيم] (٧) عن عبد الله بن عمرو (٨) . وعن (٩) أبي حازم عن سهل بن سعد قالا : قال رسول الله ﷺ : [٤٣٦] « **دُونَ اللهِ سَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ وظُلْمَةٍ ، ومَا مِنْ نَفْسٍ تَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الحجُبِ إلا زَهَقَتْ نَفْسُهَا** » (١٠) .

فأخبر النبي ﷺ أن بقاء الأشياء كلها ، وقيامها بأوصافها وثبوتها على ما هي عليه

---

(١) سقط من الأصل و (س) . (٢) سبق في اللوحة رقم (٤٥/أ) .

(٣) لم أقف عليها .

(٤) أخرجها مسلم في صحيحه بلفظه عن أبي موسى في كتاب الإيمان باب قوله ﷺ : « إن الله لا ينام » ، (١٦١/١) رقم (١٧٩) ، وابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب فيما أنكرت الجهمية (٧٠/١) رقم (١٩٥) ، وأحمد في مسنده (٤٠٥/٤) رقم (١٩٦٤٩) ، والنسائي في جزء فيه مجلسان من إملاء النسائي (ص ٤٥) رقم (١٣) .

(٥) العَنْبَرِيُّ : بفتح العين المهملة ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة والراء ، هذه النسبة إلى بني العنبر ويخفف فيقال لهم : بَلْعنبر ، وهم جماعة من بني تميم ... وأبو الفضل العباس بن عبد العظيم من أهل البصرة وكان ثقة مأمونًا ومات سنة ست وأربعين ومائتين ، الأنساب (٣٧٢/٣) .

(٦) في (خ) : عمر .

(٧) في (س) : عمر بن الحكم ا.هـ . والصواب ما في (س) ، تهذيب التهذيب (٣٨٢/٧) رقم (٧١٦) .

(٨) في (خ) : عمر . (٩) في (خ) : عن .

(١٠) الحديث أخرجه أبو يعلى المَوْصِلِيُّ في مسنده بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو وسهل بن سعد

بحجبتها عن عظيم سلطان الله ﷻ وقهر ربوبيته ، والأنبياء عليهم السلام والملائكة وأفاضل الأولياء في كنف لطف الله – جل وعز – فيه بقاؤهم ، والشياطين في حجاب [١٢١/ب] اللعنة والطرد والإقصاء والبعد وسائر المؤمنين في ستر الرحمة ، والأعداء في حجاب الظلمة ، وسائر الأشياء في حجاب الغفلة ، والتجلي كشف الحجاب وإظهار القدرة وإبداء الهيبة والجلال ، فإذا كشف الله تعالى الحجاب عن شيء من الأشياء زال ذلك الشيء وذهب وتلاشى ، ومنها ما يتغير عن أوصافها وتزول عن بنيتها على قدر الكشوف وظهور أوصاف الجلال ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] استحال عن صفته ، وتغير عن بنيته فصار ترابًا هباء بعد أن كان شامخًا حجرًا صلبًا ، وقال النبي ﷺ : [٤٣٧] « **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُم كَثِيرًا** »(١) [وفي بعض الألفاظ : [٤٣٨] « **وَمَا تَلَذَّذْتُم بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشَاتِ**](٢) **وَخَرَجْتُم إِلَى الصُّعُدَاتِ**(٣) **تَجْأَرُونَ**(٤) »(٥) ، وفي بعض الأخبار [٤٣٩] : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ دُرَّةً فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَذَابَتْ فَصَارَتْ مَاءً يَجْرِي لا قَرَارَ لَهُ وَلا سُكُونَ مِنْ هَيْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى** »(٦) .

= كليهما (٥٢٠/١٣) رقم (٧٥٢٥) ، وفي كتاب المعجم له أيضًا (ص ٩٠) رقم (٨٢) ، والروياني في مسنده عن سهل بن سعد (٢١٢/٢) رقم (١٠٥٥) ، والعقيلي في الضعفاء عن كليهما ، ونقل عن البخاري قوله في عمر بن الحكم : ذاهب الحديث (١٥٢/٣) رقم (١١٣٨) ، والطبراني في الكبير (١٤٨/٦) رقم (٥٨٠٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : أخرجه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة لا يحتج به (٧٩/١) .

(١) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عائشة في كتاب الكسوف باب الصدقة في الكسوف (٣٥٤/١) رقم (٩٩٧) ، ومسلم في صحيحه عن أنس في كتاب الفضائل باب توقيره ﷺ (١٨٣٢/٤) رقم (٢٣٥٩) ، والترمذيُّ في جامعه عن أبي ذر في كتاب الزهد باب في قول النبي ﷺ : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا** » ، وقال : حسن غريب (٥٥٦/٤) رقم (٢٣١٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الحزن والبكاء (١٤٠٢/٢) رقم (٤١٩٠) .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) الصعدات : الطرق ، النهاية مادة (صعد) ، (٢٩/٣) .

(٤) تجأرون : الجؤار رفع الصوت والاستغاثة ، النهاية مادة (جأر) ، (٢٣٢/١) .

(٥) هذه الزيادة عند الترمذيِّ ، وابن ماجه (في المواضع السابقة) .

(٦) لم أقف عليه ، وهو خبر ذكر في كتب التفاسير بألفاظ مختلفة في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود : ٧] وقد نسبه بعضهم إلى ابن عباس ، روح المعاني (١٩٣/١٨) ، والنَّسفيُّ (١٤٦/٢) ، والبغويُّ في معالم التنزيل (٣٧٤/٢) ، والقرطبي في الجامع =

فإذا أبدى - جل وعز - من سلطانه ما شاء ، ومن صفات قهره وجلاله ما أراد تلاشت واضمحلت وفنيت ، فتصير السماء كالمهل والجبال كالعهن المنفوش وسيرت [١] فكانت سرابًا ، وخسف القمر وتناثرت النجوم وتفطرت السموات ، وحالت الأشياء وزالت . ذلك بأن الله شديد البطش ، عظيم السلطان ، جليل القدر لا يقدر قدره أحد ، ولا يطاق قهره ، ولا يدرك جبروته ، ولا يحاط به علمًا جل وتعالى علوًا كبيرًا .

قال : فقول النبي ﷺ : « **إذا تجلى لشيء [١٢١/ب] من خلقه خشع له** » [٢] يجوز أن يكون معناه إظهار آثار القدرة ، وعز السلطان وقهر الربوبية ، فيخشع من الأشياء ما تجلى له وكشف الحجاب عنه ، وتطامن وتواضع وتغير عن أوصافها وتتحول نعوتها وبنيتها تخويفًا للعباد وتحذيرًا لهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩] ، فكسوف الشمس والقمر لتجلي أوصاف القدرة لهما ، وظهور أعلام [٣] السلطان عليهما تنبيهًا للعباد ، وتحذيرًا لهم أن الذي ظهر لهما أو [٤] كشف عنهما من ستر اللطف ، وحجاب الرحمة غيَّرهما عن حالهما ، وأذهب نورهما وضياءهما على عظيم بنيتهما ورفيع مكانهما ، وفي الحديث : [٤٤٠] « **إِنَّ الشَّمْسَ تُشْرِقُ مِنَ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، ظَهْرُهَا** [٥] **إِلى الدُّنْيَا وَوَجْهُهَا** [٦] **لأَهْلِ السَّمَاءِ** [٧] ، **[تُشْرِقُ وتُضِيءُ]** [٨] **وَعِظَمُهَا مِثْلُ الدُّنْيَا ثَلاثُمِائَة مَرَّةٍ أَوْ مَا شَاءَ اللَّه ، وفي الْقَمَرِ ثماني مِائَة فَرْسَخٍ في مِثْلِهِ وَصِفَتِهِ مَا شَاءَ اللَّه** » [٩] .

فإذا حل [١٠] مع أقدارهما من ظهور سلطان الله لهما ما حل ، فكيف بابن آدم الضعيف البنية الصغير القدر القليل التماسك تصرعه اللحظة [١١] وتؤذيه النملة ، لا يصبر لآثار اللطف ، ولا يقاوم صفات الرحمة من ريح تهب أو رعد يرعد أو برق يلمع . فأمر النبي ﷺ إذا ظهر لهم من كسوفهما ، أو كسوف أحدهما شيء أن يفزعوا إلى الخشوع لله تعالى والخضوع له والالتجاء إليه والتوجه نحوه والإقبال عليه ،

= لأحكام القرآن (٩/٨) .

(١) أي : الجبال .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : عز .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) في (خ) : وظهرها .

(٦) زاد في (خ) بعدها : تشرق .

(٧) في (خ) : السموات .

(٨) سقط من (خ) .

(٩) لم أقف عليه .

(١٠) زاد في (خ) بعدها : بهما .

(١١) أي : العين .

فقال ﷺ : « **فإذا انكسف واحد منهما فصلوا كأتم صلاة مكتوبة** » ؛ إذ الصلاة خشوع وخضوع والتجاء وتوجه وإقبال .

وورد في صلاة الكسوف [١٢٢/ب] أخبار كثيرة على وجوه مختلفة منها أربع ركعات في أربع سجدات في ركعتين ، ومنها ست ركعات [في أربع] [١] سجدات ، ومنها جماعة و [٢] فرادى ، وفي هذا الحديث : « كأتم صلاة مكتوبة » وهي أربع ركعات و [٣] ثماني سجدات في أربع ركعات على صفة صلاة الظهر والعصر والعشاء الأخيرة ، فإن هذه الصلوات أتمها في معنى العدد وإن كانت صلاة الفجر والمغرب تامتين بأنفسهما ، فإن صلاها ركعتين كصلاة الفجر فهي تامة ، وإن صلاها أربعًا فهي أتم في معنى العدد ؛ إذ لا عدد للمكتوبة أكثر من ذلك إظهارًا للخشوع لتجلي صفة القدرة وظهور السلطان ، بتجلي الله - جل وعز - للشمس [٤] بما شاء ، ويتجلى لعباده بواسطة الشمس والقمر لطفًا منه بهم ورحمة عليهم ونظرًا لهم ؛ إذ لو تجلى لهم من غير واسطة لحل بهم ما حل بالجبل بل تلاشوا وفنوا ، فلطف بهم [٥] ورؤف عليهم ذلك بأن الله رؤوف بعباده وجميل النظر لهم لطيف بهم .

١٠٤
باب فيما أدرك الناس من كلام النبوة

حديث آخر : [٤٤١] حدثنا بكر بن مسعود ح أبو سليمان محمد بن منصور [٦] القَعْنَبِيُّ ح سعيد [٧] عن منصور عن ربعي بن خراش عن ابن [٨] مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ [٩] إِذَا لم تَسْتَحِي [١٠] فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** » [١١] .

---

(١) في (خ) : وأربع .
(٢) سقط من (س) .
(٣) في (خ) : في .
(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : والقمر .
(٥) زاد في (س) و (خ) بعدها : الله .
(٦) زاد في (س) و (خ) بعدها : ح .
(٧) في (خ) : شعبة .
(٨) كذا في الأصل و (س) وهو خطأ وصوابه : (أبي) ، العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني (١٩٧/٣) .
(٩) زاد في (س) و (خ) بعدها : الأولى ا.هـ . وهي رواية ثابتة عند البخاري (٢٢٦٨/٥) رقم (٥٧٦٩) .
(١٠) كذا بإثبات الياء .
(١١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي مسعود في كتاب الأنبياء باب أم حسبت أن =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : رفع النبي عليه السلام قدر هذه الكلمة وأجلها وعظم شأنها ، فذكر أنها من كلام الأنبياء عليهم السلام ليس مما قالتها العرب بحكمها وفصاحتها .

ويجوز أن يكون قوله : « **مما أدرك الناس من كلام النبوة** » [١٢٣/أ] ، أي : أنها مما أوحى الله ﷻ إلى الأنبياء أول ما أوحى ، فلم يزل ذلك يجري في النبوات حتى أدركها العرب ، فهي على أفواهها مما أوحى الله تعالى إلى الأنبياء عليهم السلام يدل على ذلك رواية مفضل بن مهلهل عن منصور عن ربعي عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٤٤٢] : « **إِنَّ مِمَّا بَقِيَ مِنَ النُّبُوَّةِ الأُولَى** » (١) (٢) .

كأنه يقول : هي مما أوحى الله إلى الأنبياء وليست من اختراع الحكماء وكلام الفصحاء (٣) رفعًا من قدرها ، وتعظيمًا لشأنها ؛ لأنها كلمة جامعة لخير الدنيا والآخرة ، وذلك أن الحياء فزع يتولد من إجلال قدر من يستحي منه وتقصير يراه في نفسه وإزرائها ، فيستصغر نفسه وأوصافها عند شهود من يجل قدره عنده ، فينحصر ، فيمنعه حصره عن كثير مما يحسن من أفعاله ، فكيف بما يقبح من أحواله ! فالعبد بمرأى من الله وهو أجل ناظر إليه لا يخفيه منه شيء ، ولا يخفى عليه شيء ، حقه أعظم الحقوق ، وقدره أجل الأقدار ، فهو يراه في كل أحواله ، وعلى كل أفعاله ، وهو أيضًا يراه خلق الله في كثير من أحواله ممن يجل أقدارهم عنده من ملائكة كرام ، وخاص من الناس وعام ، فهو مترقب متحفظ في جميع حركاته في أكثر أوقاته من أن يرى منه خلق ذميم أو فعل سقيم ، فيحكم أفعاله خوفًا (٤) أن يلحقه لوم فيما يرتكبه من فعل مشنيٍّ أو فيما يقصر من حق ما يلزمه في (٥) فعل مرضيٍّ ، ثم يكون حافظًا لخواطره ، مراعيًا لهواجسه ، مراقبًا لأنفاسه أن يجري في سره ويخطر بباله ما يسقطه من عين من [هو [١٢٣/ب]

= أصحاب الكهف (١٢٨٤/٣) رقم (٣٢٩٦) وأبو داود في سننه بلفظ مقارب في كتاب الأدب باب في الحياء (٢٥٢/٤ رقم ٤٧٩٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الحياء (١٤٠٠/٢) رقم (١٨٣) وأحمد في مسنده (١٢١/٤) رقم (١٧١٣١) ، والحديث صحيح وإسناده ضعيف حيث رواه الأئمة عن أبي مسعود البدري وخولفوا فأخرجه المصنف عن ابن مسعود .

(١) كشط في (س) .

(٢) هذه الرواية أخرجها البيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب بنفس الإسناد إلا أنه قال عن أبي مسعود الأَنْصَارِيِّ ، شعب الإيمان (١٤٤/٦) رقم (٧٧٣٦) .

(٣) كشط في (س) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : من .

(٥) في (خ) : من .

إليه] [١] ناظر أو يمقته فيه من هو عليه قادر ، فيستقيم ظاهره ، ويصفو باطنه ، فهذه صفة من وصفه الحياء . قال النبي ﷺ : « الحيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » حدثناه محمد بن نعيم بن ناعم ح أبو حاتم الرَّازِيُّ [٢] الأَنْصَارِيُّ حدثني خالد بن رباح عن أبي سوار عن عمران بن حصين ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : [٤٤٣] « الحيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » [٣] .

ومن كان بضد هذه الصفة التي هي الحياء ، فإنه لا يجل عنده قدر ناظر من قديم [٤] ومحدث [٥] ولا يبالي أن يلحقه شين أو يوصف بذميم ، ولا يخاف من فوقه ولا يبالي بمن معه ، فهو خارج عن أوصاف الناس ، فإنما يفعل ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء ، ويأتي ما يزينه في عينه من قبيح أفعاله العدو فكأنه يقول : إذا لم يكن لك ناهي مروءة أو دين لم يحجزك حاجز ولا يمنعك مانع صنعت ما شئت ذممت عليه وفيه أم زكيت [٦] .

ويجوز : أن يكون معناه إذا لم تكن بأوصاف الحياء ، فاعمل ما شئت من عمل فلا قيمة لعملك ولا خير فيه ؛ لأن من لم يجل ربه ولم يكرم عباده فليس معه من أوصاف الإيمان شيء ، فقد قال النبي ﷺ : « الحيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ » حدثناه محمد بن مهرويه [٧] الرَّازِيُّ بالري ح سليمان بن صدقة حدثني سعيد بن سليمان [٨] سعدويه ح هشيم [٩] عن منصور بن [١٠] زاذان عن الحسن عن أبي بكرة [١١] قال : قال رسول اللّه ﷺ : [٤٤٤] « الحيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ » [١٢] .

---

(١) سقط من (س) .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : حدثنا .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن عمران في مقدمة الصحيح باب بيان عدد شعب الإيمان (٦٤/١) رقم (٣٧) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في الحياء (٢٥٢/٤) رقم (٤٧٩٦) ، وأحمد في مسنده (٤٢٦/٤) رقم (١٩٨٣٠) ، والبزار في مسنده (٢٩/٩) رقم (٣٥٣٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمر المقدمي وهو ثقة (٢٦/٨) ، والطبراني في الصغير (١٥١/١) رقم (٢٣١) ، وفي الكبير (١٧١/١٨) رقم (٣٨٧) .

(٤) يعني بالقديم : اللّه ﷻ .

(٥) يعني بالمحدث : العبد .

(٦) كشط في (س) .

(٧) في (س) : بهرويه .

(٨) زاد في (خ) بعدها : ابن .

(٩) في (خ) : هشام .

(١٠) كذا في الأصل و (س) وهو تصحيف وصوابه كما في الروايات المختلفة : عن .

(١١) في (س) : بكر .

(١٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن سالم بن عبد اللّه عن أبيه في كتاب الإيمان باب الحياء =

فمن لم تكن أعماله على أوصاف الحياء ، فكأنه يجل قدر نفسه ويستخف [١٢٤/أ] بقدر سيده ، فيعظم في عينه قليل عمله ، ويصفو عنده كدره ، فيمن على الله تعالى بطاعته ويصغر عنده عظيم معصيته ، ويزري [١] بعباد الله إجلالًا لقدر نفسه واستصغارًا لقدر من سواه ؛ لأن الحياء إجلال قدر [٢] الناظر إليك واستصغار نفسك ، فما كان بخلاف الحياء فهو إجلال قدر نفسه واستصغار قدر من سواه ، وهذه صفة عدو الله إبليس قال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف : ١٢] نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله الغفران ، فإنه المنان على عباده ، له الحمد وإليه المصير (ن) .

١٠٥
باب في الرياء والسمعة

حديث آخر : [٤٤٥] حدثنا [أبو بكر] [٣] محمد بن مهرويه [٤] الرَّازيُّ حدثنا الحسن بن علويه ببغداد ح عليٌّ - يعني ابن أبي [٥] الجعد - ح شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت رجلًا في بيت أبي عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث [٦] ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ يُسَمِّعْ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سَائِرَ خَلْقِهِ وحَقَّرَهُ وصَغَّرَهُ** » ، **قَالَ : فَذَرَفَتْ عَيْنَا ابْنِ عُمَرَ** ﷺ [٧] .

= من الإيمان (١/١٧) رقم (٢٤) ، ومسلم في صحيحه في مقدمة الصحيح باب بيان عدد شعب الإيمان (١/٦٣) رقم (٣٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في الحياء (٤/٢٥٢) رقم (٤٧٩٥) ، والترمِذِيُّ في جامعه عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الحياء ، وقال : حسن صحيح (٤٠/٣٦٥) رقم (٢٠٠٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الإيمان وشرائعه (٦/٥٣٧) رقم (١١٧٦٤) ، وابن ماجه في سننه عن الحسن بن أبي بكرة في كتاب الزهد باب الحياء (٢/١٤٠٠) رقم (٤١٨٤) .

(١) في (خ) : ويزدري .
(٢) زاد في (خ) بعدها : نفسه و .
(٣) سقط من (س) .
(٤) في (س) : هرويه .
(٥) سقط من (س) .
(٦) زاد في (خ) بعدها : عن .
(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن جندب في كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة (٥/٢٣٨٣) رقم (٦١٣٤) ، ومسلم في صحيحه عن ابن عباس في كتاب الأدب باب من أشرك في عمله (٤/٢٢٨٩) رقم (٢٩٨٦) ، والترمِذِيُّ في جامعه عن ابن مسعود في كتاب النكاح باب ما جاء في الوليمة (٣/٤٠٣) رقم (١٠٩٧) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن ابن عمر (٢/١٦٢) رقم (٦٥٠٩) ، وابن المبارك في الزهد بألفاظ متقاربة (١/٤٦) رقم (١٤١) ، وابن الجعد في مسنده بألفاظه مختلفة (١/٣٧) رقم (١٣٥) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد (٢/٤٤١) رقم (٨٧٢) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١/٢٩٣)

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : المسمع بعمله المرائي به يظهر للناس [صالح ما فيه من قول أو عمل هو به عامل ، وهو له فاعل ، وهو يريد بذلك قدرًا عند الناس] [١] وجاهًا فيهم ورتبة عندهم يريهم أنه للَّه تعالى عابد وله طائع إرادة رفعة فيهم ، فهو إنما يرائي به الصالحين من عباد اللَّه الذين يعظم في أعينهم من يطيع اللَّه - جل وعز - ، ويريدون أن يكونوا [٢] متعبدين له ، واللَّه - جل وعز - إنما أراد من عباده إخلاص العمل له وأن لا يريدوا بأعمالهم إلا اللَّه وحده [١٢٤/ب] ولا تكون أغراضهم في أفعالهم إلا رضاء اللَّه تعالى والدار الآخرة ، فإذا صرفوا إرادتهم بأعمالهم إلى غير اللَّه تعالى [بإظهار صالحها لهم] [٣] ، ومراءاتهم بها ليعظموا بها في أعينهم ويجل عندهم أقدارهم قلب اللَّه عليهم فأظهر للخلق مساوئ أعمالهم التي يخفونها عنهم ويستروونها منهم مما علم اللَّه تعالى منهم وسترها عليهم ، فيبديها لسائر خلقه من آدمي وملك وسائر خلق اللَّه تعالى ، فيبغضونهم عليها وتزدريهم أعينهم وتصغر أقدارهم عندهم ويحقرونهم ويمقتونهم [على أعمالهم ويفتضحوا عندهم وينهتكون فيما بينهم فيفوتهم ما قصدوه] [٤] ويقلب عليهم ما أرادوه فكأنه قال : من راءى الناس بمحاسنه وأظهر لهم صالح أعماله أظهر اللَّه لهم مساوئها منه فيفوته ما يريد ويبطل محاسنها فلا يثاب عليها ولا يدرك ما يريد بل يفتضح ويصغر ويحقر ، نعوذ باللَّه من الخذلان .

١٠٦
باب في استخفاف الشيطان بالإنسان

حديث آخر : [٤٤٦] حدثنا أبو عبد اللَّه محمد بن علي بن الحسين البَلْخِيُّ ح محمد بن حبال [٥] بن حماد السُّلَمِيُّ ح خالد بن يزيد عن سفيان عن منصور عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قِيلَ للنَّبيِّ عليه السلام : « **إِنَّ فُلانًا بَاتَ اللَّيْلَةَ ولم يَذْكُرِ اللَّهَ حَتَّى أَصْبَحَ** » . قَالَ : « **ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنِهِ** » . أَوْ قَالَ : « **في**

= رقم (٤٨٢) ، وفيها أن الرجل المبهم هو أبو يزيد ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : سمى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمن فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح (٢٢٢/١٠) .

(١) سقط من (س) .
(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : مطيعين للَّه .
(٣ ، ٤) من هامش الأصل .
(٥) في (س) : جيال . والصواب ما في الأصل ، تاريخ بغداد (٢١٨/٣) ، تاريخ جرجان (٤٠٤/١) .

أُذُنَيْهِ » [(١)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى : « **بال الشيطان في أذنه** » ، أي : استخف به واستحقره ، واستولى عليه ، فقد قال الله تعالى في صفة المنافقين : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة : ١٩] أي : استعلى عليهم وأحاط بهم فنسوا ذكر الله .

وقد يقال لمن استخف بإنسان [١٢٥/أ] وأزرى به ، واستخف عقله فغرَّه وخدعه : بال فلان في أذنه ، ويقال ذلك أيضًا لمن استغفل إنسانًا وأتاه على غرة به [(٢)] .

ويقال : إن دابة فوق الهر ودون الكلب [(٣)] أذنان سوداوان يخاف منه الأسد [فإذا رآها الأسد] [(٤)] استخذى لها وتناوم خوفًا منه فتجيء هذه الدابة فتبول في أذنه فيموت الأسد .

فكان من غفل عن الله وأنسى ذكر الله تعالى غلب عليه الشيطان واستضعفه [وخدعه فزين له النوم ومهد له المضجع وطول عليه الليل فيما يوسوس إليه] [(٥)] ، فقد جاء في الحديث : [٤٤٧] « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ لِلْعَبْدِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ اللَّيْلِ : نَمْ** [(٦)] ، **فَإِنَّ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا** » [(٧)] .

قال الشيخ رحمه الله : ويجوز أن يكون معنى قوله : « **بال في أذنيه** » ، أي : أنساه ذكر الله ، وأخذ بسمعه عن نداء الملك الذي جاء في الحديث أنه : [٤٤٨] « **إِذَا كَانَ ثُلُثُ**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (١١٩٣/٣) رقم (٣٠٩٧) ، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافر وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (٥٣٧/١) رقم (٧٧٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب قيام الليل باب التشديد فيمن نام ولم يقم (٤١١/١) رقم (١٣٠٢) ، وأحمد في مسنده (٤٢٧/١) رقم (٤٠٥٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٥/٣) رقم (٤٥٠٢) ، وابن حبان في صحيحه (٣٠٢/٦) رقم (٢٥٦٢) .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : له .

(٤) سقط من (س) .

(٥ ، ٦) السابق .

(٧) هذا معنى حديث أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد العبد الصلاة من الليل أتاه الملك ، فقال له : قم قد أصبحت فصل واذكر ربك فيأتيه الشيطان فيقول : عليك ليل وسوف تقوم فنم ساعة فإن هو قام فصلى صح نشيطًا خفيف الجسم قرير العين وإن هو أطاع الشيطان حتى يصبح بال الشيطان في أذنه » ، (١٦٧/٨) رقم (٨٢٩٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه عمرو بن الحصين وهو ضعيف (٢٦٢/٢) ، وقد أورد الحديث أبو شجاع الْهَمَذَانِيُّ في الفردوس بمأثور الخطاب (٢٩١/١) رقم (١١٤٤) .

اللَّيلِ الأخِيرِ نَادَى مُنَادِي [١] مِنَ السَّمَاءِ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى سُؤْلَهُ ؟ [٢] هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ [فَيُغْفَرَ لَهُ] ؟ » [٣] [٤] .

فالذاكرون للَّه والقائمون له [بالليل سمعوا ذلك بآذان قلوبهم وأسماع أفهامهم ، فأجابوا الداعي فقاموا للَّه] [٥] ذاكرين ، وبالأسحار مستغفرين ، وله سائلين ، وإليه راغبين ، قيامًا قانتين [وركعًا خاضعين ، وسجدًا متقربين ، فكان من غفل عن ذلك ، واستطاب النوم] [٦] ، واستثقل القيام كان في سمع فهمه وقرًا ، وفي أذن قلبه صممًا من تزيين الشيطان له وأخذه عن نداء الملك بسمعه بوسوسته [١٢٥/ب] إليه ؛ لأن الوسوسة كلام خفي وإكثار منه ، فكأنه يشغله بحديثه عن سماع نداء الملك ، وهو اللعين قذر نجس ، فأفعاله نجسة ، وأعماله رجسة قذرة منتنة فهو إذا شغل سمع عبد عن الداعي بشهوة نفسه ، وبوسوسته إليه أتى خبيثًا من الأمر ورجسًا من الصفة ، فكان كأنه بال في أذنيه نسأل اللَّه العون عليه والعصمة منه ، فإنه لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم .



١٠٧ باب في الولاية

حديث آخر : [٤٤٩] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح العباس بن محمد بن الفضل ح شريح بن النعمان [٧] الجَوْهَرِيُّ [٨] ح حشرج [٩] بن نباتة عن هشام بن [١٠] حبيب عن بشر بن عاصم عن أبيه أَنَّه بَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ لِيَسْتَعْمِلَهُ عَلَى

---

(١) في (س) و (خ) : منادٍ . ا.هـ . وهو الصحيح .

(٢) في (س) : سؤاله . ا.هـ .

(٣) كشط في (س) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٥٢١/١) رقم (٧٥٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة فيما يقول من كان ذرب اللسان (١٢٤/٦) رقم (١٠٣١٦) ، والدارمي في سننه (٤١٣/١) رقم (١٤٨٤) ، وأحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص (٢٢/٤) رقم (١٦٣٢٣) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) السابق .

(٧) زاد في (س) بعدها : أبو الحسين .

(٨) الْجَوْهَرِيُّ : بفتح الجيم والهاء ، وبينهما الواو الساكنة ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى بيع الجواهر ، الأنساب (٤٦٢/١) .

(٩) في (س) : شرح .

(١٠) في (س) : عن .

بَعْضِ الصَّدَقَةِ ، فَأَبَى أَنْ يَعْمَلَ لَهُ . قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُتِيَ بِالْوَالِي فَيُقْذَفُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا [1] فَتَنْتَفِضُ [2] انْتِفَاضَةً يَزُولُ كُلُّ عَظْمٍ مِنْ [3] مَكَانِهِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ الْعِظَامَ ، فَتَرْجِعُ إِلَى أَمَاكِنِهَا ثُمَّ يُسَائِلُهُ [4] ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا أَخَذَ بِيَدِهِ وَأَعْطَاهُ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا خُرِقَ بِهِ الْجِسْرُ فَهَوَى فِي جَهَنَّمَ مِقْدَارَ سَبْعِينَ خَرِيفًا » . فَقَالَ عُمَرُ ﷺ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَم أَسْمَعْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَكَانَ هُنَاكَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ [5] . قَالَ سَلْمَانُ : إِي وَاللَّهِ يَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَمَعَ السَّبْعِينَ سَبْعِينَ [6] خَرِيفًا فِي وَادِي [7] مِن نَارٍ تَلْتَهِبُ الْتِهَابًا ، فَقَالَ عُمَرُ [8] بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ : إِنَّا لِلَّهِ [١٢٦/أ] وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ : مَنْ سَلَتَ [9] اللَّهُ أَنْفَهُ بِالتُّرَابِ وَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ [10] » [11] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « سلت اللّٰه أنفه » أي : قبحه وشوه خلقه ؛ لأن من نزع أنفه من وجهه شوه خلقه ؛ لأن معنى السلت المسخ والإذهاب . ومعنى « ألصق خده بالأرض » أي : أذله وأقمأه أي يكون آخر أمره ذلك وإلى تلك

---

(١) في (س) : فقال .

(٢) زاد في (س) بعدها : به . (٣) سقط من (خ) .

(٤) في (س) : يسأله .

(٥) الغِفَارِيُّ : بكسر الغين المعجمة ، وفتح الفاء ، وفي آخرها الراء المهملة . هذه النسبة إلى غِفار ، الأنساب (٤٠٦/٣) . (٦) سقط من (س) .

(٧) كذا وهو خطأ وصوابه : وادٍ بتنوين العوض عن حرف محذوف .

(٨) سقط من (س) .

(٩) سلت اللّٰه أنفه : أي : جدعه وقطعه ، النهاية مادة (سلت) ، (٣٨٧/٢) .

(١٠) في (س) : بالتراب .

(١١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه عن بشر بن عاصم (٤٢٠/٦) رقم (٣٢٥٤٦) ، وأبو بكر الشَّيْبَانيُّ في الآحاد والمثاني (٢٣١/٣) رقم (١٥٩١) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء عن عبد الرحمن بن أبي عمرة (١٣٨/٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن بشر بن عاصم عن أبيه (٢٠/٦) رقم (٧٣٨٣) ، وأبو الحسين في معجم الصحابة مختصرًا (٢٩٧/٢) رقم (٨٣١) ، والطبراني في الكبير عن أبي وائل (٣٩/٢) رقم (١٢١٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه (٢٠٦/٥) .

الحال تكون عاقبته ، فقد قال النبي ﷺ : [٤٥٠] « **يُحْشَرُ المتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ** [١] **يَطَؤُهُم النَّاسُ بِأَقْدَامِهِم** » [٢] .

فكان معنى قول سلمان : لا يأخذها عنك [٣] وأنت حي إلا من يرغب فيها طلبًا للعلو ، وإرادة الرفعة والتسلط على عباد الله ، ومن أراد علوًا في الأرض وفسادًا ، ومن كان كذلك كانت عاقبة أمره في الآخرة ، وانتهاء حاله في القيامة إلى ما أوعد الله تعالى المستكبرين على لسان نبيه أنهم يحشرون أمثال الذر ويشوه خلقهم ويقبح صورهم [٤] ؛ لأنه لا يقبلها مع ما فيها من غير ضرورة إليها إلا من كان طالبًا للعلو في الأرض والفساد في البلاد والترفع على العباد ، ألا ترى أنه لم يرغب فيها من الخلفاء الراشدين أحدٌ حتى أتاه عفوًا وحتى لم يجد منه بدًا ، فإن أبا بكر ﷺ كان يدفعها عن نفسه حتى لم يجد فيه بدًا ، وخاف الفتنة ، وعمر ﷺ استخلفه أبو بكر ﷺ ، وعثمان ﷺ اجتمعت عليه أهل [١٢٦/ب] الشورى ، وعلي بايعوه طوعًا وهو ممتنع حتى جاءت عزمة [٥] .

حدثنا محمد بن يعقوب بن يوسف البِيْكَنْديُّ ح الكُدَيْمِيُّ ح هارون بن إسماعيل ح قرة بن خالد السَّدُوسِيّ [٦] عن الحسن عن قيس بن عبادة [٧] قال : [٤٥١] « سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ يَوْمَ الجَمَلِ يَقُولُ : لَمَّا دُفِنَ [٨] عُثْمَانُ ﷺ رَجَعَ النَّاسُ يَسْأَلُونِي البَيْعَةَ . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي مُشْفِقٌ مِمَّا أُقْدِمُ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَتْ عَزْمَةٌ فَبَايَعْتُ فَلَمَّا قَالُوا لي : يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ ،

---

(١) الذر : النمل الأحمر الصغير واحدتها ذرّة ... وقيل : الذر ليس لها وزن ويراد بها ما يرى من شعاع الشمس الداخل في النافذة ، النهاية مادة (ذرر) ، (١٥٧/٢) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في كتاب صفة القيامة والرقائق باب منه ، وقال : حسن صحيح (٦٥٥/٤) رقم (٢٤٩٢) ، وأحمد في مسنده (١٧٩/٢) رقم (٦٦٧٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٩٦/١) رقم (٥٥٧) ، والحميدي في مسنده (٢٧٢/٢) رقم (٥٩٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان موقوفًا على كعب (٢٨٨/٦) رقم (٨١٨٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه القاسم بن عبد الله العمري وهو متروك (٣٣٤/١٠) .

(٣) في (س) : عندك .

(٤) في (س) : صدورهم .

(٥) في هامش (خ) : أي : لم يجد بدًا . ا.هـ وعزمة : من مصادر عزم والعزم الجد ، لسان العرب مادة (عزم) .

(٦) السَّدُوسِيُّ : بضم الدال المهملة ، والواو بين السينين المهملتين أولاهما مفتوحة . هذه النسبة إلى جماعة قبائل ... وأبو خالد قرة بن خالد من أهل البصرة ، الأنساب (٢٥/٣) .

(٧) في (س) : عباد .

(٨) زاد في (س) بعدها : يعني .

فَكَأَنَّمَا صُدِعَ [١] قَلْبِي ، وَأَمْسَكْتُ بِعَبْرَتِي . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِعُثْمَانَ حَتَّى يَرْضَى » [٢] .

فهؤلاء الخلفاء الراشدون لم يتقلدوها إلا عن ضرورة حين لم يجدوا بدًّا من ذلك خوفًا من الفتنة ، وشفقة على خلق [٣] الله ، وحدبًا [٤] على عباد الله ، لا رغبة في الدنيا ولا طلبًا للعلو [٥] في الأرض ولا فسادًا بجمع المال ، فقول سلمان ﷺ : « من سلت الله أنفه » أي إنما يأخذه اختيارًا من غير ضرورة ، من سلت الله أنفه ؛ لأنه لم يكن يأخذها في حياة عمر ﷺ وعمر مستقل [أي رافع] [٦] بها ، وأفضل الناس يومئذ عمر [٧] إلا من رغب في الدنيا ، وطلب العلو فيها ، ومن كان كذلك فهو من المستكبرين الذين تشوه وجوههم [٨] في الآخرة [٩] ويطؤه الناس ذلًّا وهوانًا .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « من سلت الله أنفه » ، أي : يأخذها عند الضرورة أي بعدك من نزع الله الكبر والعلو ، وطلب الرفعة والتسلط على عباد الله منه ، وألزمه التواضع في دين الله والشفقة على [١٢٧/أ] عباد الله ، فقد يقال لمن تكبر وترفع واستطال على الناس : شمخ بأنفه ، فيجوز أن يكون : « سلت الله أنفه » ، أي : نزع الكبر عنه ، ونفاه عنه ، فيكون الأنف عبارة عن الكبر والتعظم ، ووضع الخد بالأرض ، وإلصاقه بها عبارة عن التواضع لله تعالى ، والتذلل لعباد الله ، كما قال الله ﷻ : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [المائدة: ٥٤] ، فكأنه قال : يأخذها عنك [١٠] بعدك يا عمر من لا يريد بها علوًّا في الأرض ولا فسادًا ، بل يريد بها تواضعًا لله وشفقة على عباد الله ضرورة مخافة الفتنة في الدين وتشتيت كلمة المسلمين ، فكان كما قال [١١] : أخذها

---

(١) في (س) : صعد .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن قيس بن عباد ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٠١/٣) رقم (٤٥٢٧) .

(٣) في الأصل : دين . وما في (س) أنسب للسياق .

(٤) حدبًا : الحدب خروج الظهر ودخول البطن ، لسان العرب مادة (حدب) ، (٣٠٠/١) وهذا من باب الاستعارة .

(٥) كشط في (س) .

(٦) سقط من (س) و (خ) .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) السابق .

(٩) زاد في (خ) بعدها : صورته .

(١٠) سقط من (خ) .

(١١) سقط من (س) .

بعد عمر عثمان ﷺ متواضعًا متذللًا غير متكبر ولا متجبرٍ إمامًا عادلًا وخليفة صادقًا تستحييه الملائكة ، وبعده الهادي المهديُّ أخو رسول الله ﷺ يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ﷺ أجمعين ، وألحقنا بهم آمين رب العالمين .



١٠٨ باب من آداب الدعاء

حديث آخر : [٤٥٢] حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله الهَرَوِيُّ حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن مهرويه القَزْوِينِيُّ (١) بالكوفة قدمها حاجًا ح داود بن سليمان بن وهب أبو أحمد العزي (٢) القرشي (٣) حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبو (٤) موسى بن جعفر عن أبيه [[جعفر بن محمد (٥) عن أبيه محمد بن علي عن أبيه [علي بن الحسن عن أبيه] (٦)]] (٧) الحسين بن علي عن (٨) علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ سَأَلَ رَبَّهُ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : يَا رَبِّ أَبَعِيدٌ أَنْتَ فَأُنَادِيكَ أَمْ قَرِيبٌ فَأُنَاجِيكَ** [١٢٧/ب] **فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالى إِلَيْهِ : يَا مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ : أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي** » (٩) .

قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون معنى قوله : « **أبعيد أنت فأناديك** » على معنى الاسترشاد في الدعاء والذكر على [وجه الإخفاء بالجهر] (١٠) ليس على معنى البعد الذي هو الغيبة أو طول المسافة ، ولا على القرب الذي هو الحضور والشهود بمعنى الحلول بمكان (١١) ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، وحاشا كليمه المعلى في رتبته المصطفى من بريته أن يخطر بباله ما لا يجوز على الله تعالى أو أن يصفه بصفات المحدثين ، فكأنه ﷺ يقول : أدعوك إذا دعوتك رافعًا صوتي بالنداء جاهرًا بالدعاء كما يخاطب من هو بعيد وينادي من هو غائب ، أو أدعوك خافضًا صوتي مخافتًا في دعائي

---

(١) القَزْوِينِيُّ : بفتح القاف ، وسكون الزاي ، والياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى قَزْوين ، وهي إحدى المدائن المعروفة بأصبهان ، الأنساب (٤/ ٥٠) .

(٢) في (خ) : الفراء .

(٣) في (س) : القريشي .

(٤) في (خ) : أبي .

(٥) زاد في (س) بعدها : بن علي .

(٦) سقط من (س) .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) زاد في (خ) بعدها : أبيه .

(٩) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .

(١٠) في (خ) : جهة الجهر والإخفاء .

(١١) سقط من (س) و (خ) .

كما يخاطب القريب ويدعى المناجى ، قال الله تعالى له عليه السلام : « **أنا جليس من ذكرني** » كأنه يقول له : ادعني دعاء المرء جليسه ، والجليس لا ينادى جهرًا ولا يخافت سرًّا كأنه يقول له : اجعل دعاءك لي بين المخافتة والجهر ، وقد قال عز وجل لمحمد عليه السلام : [﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠] ، وقال عليه السلام :] (١) « **أيُّهَا (٢) النَّاسُ ارْبَعُوا (٣) عَلَى أَنْفُسِكُم فَإِنَّكُم لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا ولَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا** » حدثناه خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل ح سليمان بن حرب ح حماد (٤) عن أيوب عن أبي عثمان عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال :

[٤٥٣] كُنَّا مَعَ رَسُولِ [١٢٨/أ] اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ عليه السلام: « **أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم** » (٥) .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **أبعيد أنت فأناديك** » (٦) ، أي : أنا في صفة البعد عنك والإقصاء أو بصفة القرب والإدناء ، كأنه يقول : باعدتني عنك [وأقصيتني] (٧) عن بابك سخطًا عليَّ فأناديك صارخًا وأدعوك جاهرًا مستغيثًا من بعدك ، والفراق منك ، أو أدنيتني منك وقربتني إليك قبولًا لي ورضًا عني فأناجيك نجوى المقربين وأدعوك دعاء المستأنسين ، فكأنه أراد بعده عن الله وقربه منه وإن كان لفظ الخبر على لفظ بُعد الله عنه وقربه منه ؛ لأن من بعدت عنه (٨) فقد بعد عنك ، ومن قربت منه فقد قرب منك فكأنه قال : أبعدتني عنك أم أدنيتني منك ، فأوحى الله تعالى إليه : « **أنا جليس من ذكرني** » كأنه يقول له : إن علامة من قربته مني وأدنيته إلي أن يكون ذاكرًا

---

(١) سقط من (س) . (٢) في (خ) : يا أيها .

(٣) اربعوا : قال النووي في شرحه على صحيح مسلم : اربَعوا بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم (٢٦/١٧) .

(٤) في (خ) : حمادين .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ في كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبة (٢٣٤٦/٥) رقم (٦٠٢١) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة في كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٠٧٦/٤) رقم (٢٧٠٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر باب في الاستغفار (٨٧/٢) رقم (١٥٢٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير باب قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف: ١٨٠] (٣٩٨/٤) رقم (٧٦٧٩) ، وأحمد في مسنده (٣٩٤/٤) رقم (١٩٥٣٨) .

(٦) في (س) : أقريب أنت فأناجيك . (٧) في (س) : وأقصيتك .

(٨) في (خ) : منه .

لي فمن وجد نفسه لي ذاكرًا فليعلم أني قربته مني حتى كأني جليسه ، فكأنه ﷻ تلطف له ورؤف به وتعطف عليه ، فأخبره (١) أوصاف القرب ؛ إذ (٢) كان ﷺ مقربه ومصطفاه وكليمه ومجتباه ، وزوى (٣) عنه أوصاف البعد ، فلم يخبره بعلامات من باعده عنه ، كما أخبره بعلامة من قربه منه عطفًا عليه ولطفًا به لكي لا يوحشه ؛ إذ كان ﷺ عسى (٤) لا يطيق أن يسمع بأوصاف البعد وعلامات الإقصاء وأمارات الطرد ؛ ولأنه ﷺ لم يكن بعيدًا منه ولا كان [١٢٨/ب] عليه أوصاف من باعده الحق من نفسه ﷻ .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **أنا جليس من ذكرني** » أخبره بقربه منه وتقريبه إياه كأنه يقول : كيف تكون بأوصاف البعد مني وأنت لي ذاكر ، ومن كان لي ذاكرًا كنت له جليسًا ، أخبره بأنه بلغ غايات القرب وأقصى نهايات الدنو إليه كأنه يقول له : أنت مني بالقرب والدنو بمنزلة المرء مع (٥) جليسه ، ولم يقل في الحديث : « إن من ذكرني جليسي » ؛ لأنه لو كان كذلك لكانت الحالة مكتسبة ولم يكن فيه دلالة الخصوص والإفضال على من آثره اللَّه تعالى ؛ لأن اللَّه تعالى أجل من أن يرام مجالسته والدنو إليه من حيث العبد ، وإنما ذكره أنه هو الجليس إظهارًا لفضله وتقربًا إلى عبده ، ولطفًا بذاكره كما قال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] ، وكما قال اللَّه تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] جل اللَّه البر الرؤوف بعباده اللطيف الخبير .

١٠٩
باب في الخُلَّة

حديث آخر : [٤٥٤] حدثنا (٦) محمد بن إسحاق الرَّشَادِيُّ ح علي بن عبد العزيز ح مسلم ح شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا** » (٧) .

---

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : عن . (٢) في (س) : إذا .
(٣) في هامش (خ) : أي : صرف . (٤) سقط من (س) .
(٥) في (خ) : من .
(٦) زاد في (س) بعدها : أبو النضر .
(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب الصلاة باب الخوخة =

وفي حديث آخر : [٤٥٥] « **لَوْ كُنتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا** »[١] . حدثناه خلف [بن إبراهيم][٢] بن محمد[٣] حدثني عبد الله بن محمد ح أبو عامر ح فليح حدثني سالم أبو النضر عن قيس[٤] بن[٥] سعيد عن أبي[٦] سعيد الخُدْرِيِّ ﷺ عن [١٢٩/أ] النبي ﷺ[٧] .

وفي حديث آخر : [٤٥٦] « **وَإِنَّ صَاحِبَكُم خَلِيلُ اللهِ** »[٨] .

سمعت محمد بن عبد الله بن يوسف العماني يقول[٩] : سمعت كهمس[١٠] [يقول : سمعت محمد][١١] بن الحسن يقول : سمعت عبد الله بن شقيق رحمه الله يقول :

= والمر في المسجد (١/١٧٧) رقم (٤٥٤) ، ومسلم في صحيحه عن جندب في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/٣٧٧) رقم (٥٣٢) ، والترمِذِيُّ في جامعه عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق ، وقال : حسن صحيح (٥/٦٠٨) رقم (٣٦٦٠) ، وابن ماجه في سننه عن عبد الله في أول كتابه باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، (١/٣٦) رقم (٩٣) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : « **سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر** » ، (٣/١٣٣٧) رقم (٣٤٥٤) ، وأحمد في مسنده (٣/١٨) رقم (١١١٥٠) .

(٢) من هامش الأصل ، وهي سقط من (س) .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل .

(٤) في هامش الأصل وفي (س) : بشر . ا.هـ . أما في (خ) : بسر ا.هـ . وهو في إسناد البخاري وأحمد (بسر) بالسين المهملة أما قيس فهو تصحيف .

(٥) سقط من (س) .

(٦) السابق .

(٧) من هنا سقط من الأصل وبداية إتمام النقص من النسخة (س) .

(٨) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن عبد الله في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق (٤/١٨٥٥) رقم (٢٣٨٣) ، والترمِذِيُّ في جامعه بلفظه في كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر الصديق ، وقال : حسن صحيح (٥/٦٠٦) رقم (٣٦٥٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب مناقب أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار والنساء فضل أبي بكر الصديق (٥/٣٦) رقم (٨١٠٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفضائل باب في فضائل أصحاب رسول الله فضل أبي بكر الصديق (١/٣٦) رقم (٩٣) .

(٩) زاد في (خ) بعدها : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : سمعت محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال .

(١٠) في هامش (خ) : الكهمس : الرجل الخير .

(١١) سقط من (خ) .

[٤٥٧] « قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : مَنْ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : أَبُو بَكْرٍ . [قُلْتُ] [١] : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَتْ : ثُمَّ عُمَرُ . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَتْ : ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ » [٢] [١٠٢/أ(س)] .

قال الشيخ رحمه الله : أخبر في هذا الحديث أن أبا بكر كان [حبيب] [٣] رسول اللَّه ، وأخبر في الحديث الأول أنه ليس له خليل غير اللَّه ، وفي حديث آخر : [٤٥٨] « إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةُ » [٤] ، وقال في حديث آخر في الحسن والحسين : [٤٥٩/١٠٩] « **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا** » [٥] ، وكان أسامة يقال له : حب رسول اللَّه ﷺ [٦] ، فوردت الأخبار أنه أحب أقوامًا ولم يتخذ أحدًا من الناس خليلًا ،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق وقد وردت في رواية الترمِذِيِّ المشار إلى تخريجها لاحقًا .

(٢) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن عبد اللَّه بن شقيق في كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر ، وقال : حسن صحيح (٦٠٧/٥) رقم (٣٦٥٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب فضل أبي بكر (٥٧/٥) رقم (٨٢٠١) ، وأحمد في مسنده (٢١٨/٦) رقم (٢٥٨٧١) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٧٧/٣) رقم (٤٤٤٦) ، وأبو يعلى المَوْصِلِيُّ في مسنده (١٧٨/٨) رقم (٤٧٣٢) .

(٣) زيادة من (خ) يقتضيها السياق .

(٤) وجدت عند الحاكم في المستدرك نحوًا من هذا عن جميع بن عمير قال : « دخلت مع أمي على عائشة فسمعتها من وراء الحجاب وهي تسألها عن علي . فقالت : تسألني عن رجل واللَّه ما أعلم رجلًا كان أحب إلى رسول اللَّه ﷺ من علي ولا في الأرض امرأة كانت أحب إلى رسول اللَّه من امرأته » وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي قال : جميع بن عمير متهم (١٦٧/٣) رقم (٤٧٣١) ، وعند الطبراني في المعجم الكبير عن جميع أيضًا وفيه : « فقلت : يا أم المؤمنين أي الناس كان أحب إلى رسول اللَّه ، قال : فاطمة » (٤٠٣/٢٢) رقم (١٠٠٨) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أسامة بن زيد في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين (١٣٦٩/٣) رقم (٣٥٣٧) ، وفيه أن النبي ﷺ كان يدعو لأسامة والحسن ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين ، وقال : حسن غريب (٦٥٦/٥) رقم (٣٧٦٩) ، وفيه أن المدعو لهما الحسن والحسين ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب أسامة بن زيد (٥٣/٥) رقم (٨١٨٣) ، وفيه أن المدعو لهما أسامة والحسن ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٩/٦) رقم (٣٢١٨٣) ، ومعمر بن راشد الأَزْدِيُّ في الجامع عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم (١٤٠/١١) رقم (٢٠١٤٣) ، وأبو القاسم في مسند أسامة (٥٦/١) رقم (٨) ، والبزار في مسنده (٢١٧/٥) رقم (١٨٢٠) .

(٦) من ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب ذكر أسامة بن زيد (١٣٦٦/٣) رقم (٣٥٢٦) ، ومسلم في كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره (١٣١٥/٣) رقم (١٦٨٨) .

وقد تكلم شيوخ الصُّوفِيَّة في الخلة [(١)] والمحبة [(٢)] ، فشرف بعضهم الخلة وشرف الأكثرون [(٣)] المحبة ، وقالوا : كان إبراهيم عليه السلام خليل الله ومحمد ﷺ حبيب الله ، وتكلموا فيه بكلام بكثير ، وقد ورد الخبر بذلك ، والخلة [(٤)] بمعنى والمحبة بمعنى آخر ، والمحبة هي الإيثار والموافقة والإقبال على المحبوب ، وخاصيته الوجد بالمحبوب والرقة له بعد الميل إليه والإقبال عليه والإيثار له ، والخلة هي الاختصاص والمداخلة . يقال : خلل أصابعه إذا أدخل بعضها في بعض ، وخلل لحيته إذا أدخل أصابعه [(٥)] .

حدثنا محمد بن حامد القَوَارِيرِيّ ح أحمد [(٦)] بن سهل ح علي بن نصر بن علي الحُلْوَانِيّ [(٧)] قالا : حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد قال : ح رفعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [٤٦٠] « جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُم سَمِعَهُم يَتَذَاكَرُونَ فَتَسَمَّعَ [(٨)] حَدِيثَهُم . فَقَالَ بَعْضُهُم : عَجَبًا ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ! وَقَالَ آخَرٌ : مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ أَنْ كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى تَكْلِيمًا ؟ وَقَالَ آخَرٌ : فَعِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ . وَقَالَ آخَرٌ : آدَمُ اصفاه [(٩)] اللَّهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللَّهِ فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : **قَدْ سَمِعْتُ كَلامَكُم وَعَجَبَكُم ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَعِيسَى كَلِمَتُهُ وَرُوحُه وَهُوَ كَذَلكَ ، وَآدَمُ اصفاه [(١٠)] اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَلا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ ولا فَخرَ ، وأَنَا حَامِلٌ لِوَاءَ الحَمْدِ [(١١)] يَوْمَ القِيَامَةِ ولا فَخرَ ، وأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ**

---

(١) الخلة : عند الصُّوفِيَّة تحقق العبد بصفات الحق بحيث يتخلَّله الحق ولا يخلي منه ما يظهر عليه شيء من صفاته فيكون العبد مرآة للحق ، معجم اصطلاحات الصُّوفِيَّة للكاشاني (١٧٩) ، وقال المناوي في التعاريف : الخلة بالضم : المودة لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها أو لأنها تتخللها فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية ، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٣٢٥/١) .

(٢) المحبة عند الصُّوفِيَّة : الابتهاج بشهود الحق وتعلق القلب به معرضًا عن الخلق معتكفًا على المحبوب بجوامع هواه غير ملتفت إلى ما سواه ، معجم اصطلاحات الصُّوفِيَّة للكاشاني (٣٠٧) .

(٣) في (خ) : الآخرون .

(٤) زاد في (خ) بعدها : تختص .

(٥) زاد في (خ) بعدها : فيها .

(٦) في (خ) : حامد .

(٧) في (خ) : والحلواني .

(٨) في (خ) : فسمع .

(٩) كذا في (س) أما في (خ) : اصطفاه ا.هـ . وهو الموافق لروايات الحديث التي وقفت عليها .

(١٠) السابق .

(١١) لواء الحمد : اللواء الراية ولا يمسكها إلا صاحب الجيش ومنه الحديث : « لكل غادر لواء يوم القيامة » ، أي : علامة يشتهر بها في الناس ، النهاية مادة (لوا) ، (٢٧٩/٤) .

حِلَقَ الجنَّةِ ويَفْتَحُ البَابَ لي فَيُدْخِلْنِيهَا ومَعِي فُقَرَاءَ المؤْمِنينَ ولا فَخْرَ ، وأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ القِيَامَةِ ولا فَخْرَ ، وأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ عَلَى اللَّهِ وَلا فَخْرَ » [(١)] ، أي : لستُ أفتخر بذي عليكم فخر تعظم وترفع وتكبر ، ولكن كان فخره بالله ، [وتكلموا فيه بكلام [١٠٢/ب(س)] كثير ، فالخلة تختص بمعنى والمحبة تختص بمعنى آخر ، فالمحبة هي الإيثار والموافقة والإقبال على المحبوب ، وخاصة الوجد بالمحبوب والرقة له بعد الميل إليه والإقبال عليه والإيثار له ، والخلة هي الاختصاص والمداخلة ، يقال : خلل أصابعه إذا أدخل بعضها في بعض ، وخلل لحيته إذا أدخل أصابعه فيها] [(٢)] فكأن المتخاللان [(٣)] يتداخلان بينهما في وقوف كل واحد منهما على ما يستر [(٤)] خليله ، ويطلع على مغيب خليله ، وخاصة أمره مما سره عن غيره ولا يُطلع عليه أحدًا من الناس ، وهذا خاصية الخلة . قال الشاعر :

قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا [(٥)] سمي الخليل خليلا

فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنت الغليلا

فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ : « **لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا** » ، أي : لو كنت مطلعًا أحدًا من أمتي على سري ومعرفًا [(٦)] أحدًا بمغيب أمري وما أجنه في ضميري لأطلعت عليه أبا بكر ﷺ ولكن لا يطلع على سري إلا الله وحده ولا أظهر ما أسره ولا أكشف ما أضمره إلا لله وحده لأني خليله ، وإنما يقف على سر المرء خليله دون غيره ، قال النبي ﷺ : [٤٦١] « **إنَّ** [(٧)] **لي مَعَ اللَّهِ وَقتًا** [(٨)] **لا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُه** » [(٩)] ، أي : لا يتخلل بيني وبين ربي دخيل ، وقد أبى الله ﷻ أن يطلع أحدًا من خلقه على ما أسره إلى خليله وحبيبه محمد ، فقال الله ﷻ : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] ستر على العالمين ما أسره إليه وأورده عليه ، فقال ﷻ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ

---

(١) الحديث أخرجه الترمذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة في كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ ، وقال : غريب (٥/٥٨٧) رقم (٣٦١٥) ، والدارمي في سننه (١/٣٩) رقم (٤٧) ، وابن عدي في الكامل وقال في سلمة بن وهرام أحد رواة الحديث : روى عنه زمعة أحاديث مناكير أخشى أن يكون حديثه حديث ضعيف (٣/٣٣٩) ترجمة رقم (٧٨٩) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) في (خ) : المتخالين .

(٤) في (خ) : يسره .

(٥) في (خ) : وبذا .

(٦) في (خ) : وموقفًا .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) في (خ) : وقتٌ .

(٩) سبق في اللوحة رقم (٤٢/أ) .

أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩] أخرج عن الأوهام دنوه إليه وطوى عن الأفهام سره إليه ، وأمره بأن يبلغ ما أنزل إليه دون ما تعرف بسره إليه ، فقال : ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] ولم يقل : بلغ ما تعرفنا به إليك . روي ذلك عن جعفر بن محمد ﷺ(١) وروي عنه أيضًا في قوله : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة: ٤٤] ، قال : لو أظهر لغيرنا ما أسررنا إليه لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ؛ إذ لا يجوز أن يدخل بين الخليلين ثالث ، أو يقف على سر المحبين أحد(٢) . ألا يرى إلى ما أضمر في سره معنى لغيره وأخفى في نفسه سرًّا لجنسه [١٠٣/أ(س)] ، غار الله عليه أن يكون له سرًّا سواه ، فقال ﷻ : ﴿ وَتُخْفِي(٣) فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أظهر للناس ما أخفاه في نفسه غيرة عليه أن يكون في سره غيره ، وستر عن الخلق كلهم ما وراءه من عظيم آياته ولطائف كراماته ، فقال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨] انحسرت أوهام الخلائق في الوقوف على معنى قوله : ﴿ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ فطوى الله ﷻ عن الخلق ما كان بينه وبين خليله محمد ﷺ ، فأخبر ﷺ أنه لا يجوز له أن يطلع على سره إلا الخليل الذي هو الجليل ، فقال : لو جاز لي أن أتخذ خليلًا فيقف على سري لاتخذت أبا بكر ؛ إذ كان ﷺ أقرب الخلق سرًّا من سر رسول الله ﷺ ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : [٤٦٢] « **إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لم يَفْضُلْكُم بِصَوْمٍ وَلا صَلاةٍ ، ولكِنْ بِشَيءٍ وَقَرَ في قَلْبِهِ** »(٤) طوى عن الناس سر أبي بكر كما طوى عن أبي بكر سر نفسه ، وبذل المحبة منه للناس فقال : [٤٦٣] « **إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبُّهُمَا** » يعني الحسن والحسين وأسامة .

حدثناه محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح إسحاق بن إسماعيل(٥) حدثني مسدد حدثني معتمر قال : سمعت أبي ح أبو عثمان عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول : [٤٦٤] « **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبُّهُمَا** » أو كما قال(٦) . وأخبر أنه

---

(١) ذكره بنحوه الألوسي في روح المعاني ونسبه للسادة الصُّوفيَّة (٦/٧) .

(٢) لم أقف عليه وهو مخالف لما عليه جمهرة المفسرين ، إذ قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة: ٤٤] : المراد لو ادعى علينا شيئًا لم نقله . يراجع على سبيل المثال : روح المعاني للألوسي (٥٤/٢٩) .

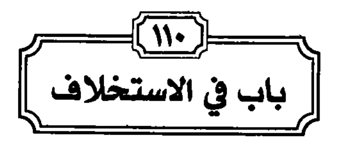
(٣) في (س) : ولا تخفي .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١١/ب) .

(٥) في (خ) : القاضي .

(٦) الحديث أخرجه البخاري بلفظه عن أسامة بن زيد في كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين (١٣٦٩/٣) رقم (٣٥٣٧) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين ، وقال : =

يحب أُحد [1] فقال : [٤٦٥] « **هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ** » [2] فأحب الأغيار ولم يتخذ خليلًا غير الجبار ، فكان حبه الأغيار إيثارًا لمن أحب على غيره وإقبالًا عليه وميلًا إليه [3] بمعنى الرقة والرحمة إليه ، وحبيبه الذي وجده به وشوقه إليه وسره معه هو الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .



١١٠ باب في الاستخلاف

حديث آخر : [٤٦٦] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح شريك عن أبي اليقظان عن أبي وائل عن حذيفة ﷺ قال : **قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَخْلِف عَلَيْنَا ، فَقَالَ : « إِنْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُم خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِي ثُمَّ عَصَيْتُم خَلِيفَتي نَزَلَ العَذَابُ » . ثُمَّ قَالَ : « إِنْ تَوَلُّوا هَذَا الأمرَ أَبَا بَكْرٍ تَجِدُوه قَوِيًّا في أَمْرِ اللَّهِ ضَعِيفًا في بَدنِه ، وإِنْ تُولُّوهَا عُمَرَ تَجِدُوه قَوِيًّا في أَمْرِ اللَّهِ قَوِيًّا في بَدَنِهِ** [١٠٣/ب(س)] **، وإِنْ تُوَلُّوا** [4] **عَلِيًّا – ولَنْ تَفْعَلُوا – تَجِدُوه هَادِيًا مَهْدِيًّا يَسْلُكُ بِكُم الطَّرِيقَ المسْتَقِيمَ »** [5] .

= حسن غريب (٦٥٦/٥) رقم (٣٧٦٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب مناقب أصحاب رسول الله ﷺ (٥٣/٥) رقم (٨١٨٣) ، ومعمر بن راشد الأَزْدِيُّ في جامعه عن عبد الله بن عثمان بن خثيم (١٤٠/١١) رقم (٢٠١٤٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أسامة (٣٧٩/٦) رقم (٣٢١٨٣) رقم (٣٢١٨٧) ، والشَّيْبَانِيُّ في الآحاد والمثاني (٣٢٦/١) رقم (٤٤٩) ، والبزار في مسنده (٥٠/٧) رقم (٢٥٩٥) ، والطبراني في الكبير (٤٧/٣) رقم (٢٦٤٢) ، وأحمد بن حنبل في العلل من كلام أحمد بن حنبل في علل الحديث ومعرفة الرجال (٨١/٣) رقم (٤٢٧٥) ، وابن عدي في الكامل (١٨٧/٣) ترجمة رقم (٦٨٨) .

(١) كذا في (س) أما في (خ) : أحدًا ا.هـ . على صرف الكلمة وهو الصواب .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٦/أ) . (٣) سقط من (خ) .

(٤) في (خ) : تولوها .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بنحوه عن علي (١٠٨/١) رقم (٨٥٩) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وشاهده حديث حذيفة بن اليمان . وتعقبه الذهبي قال : ضعيف (٧٣/٣) رقم (٤٤٣٤) ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٥٤١/٢) رقم (١٢٥٧) ، والبزار في مسنده عن حذيفة ، وقال : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن حذيفة إلا بهذا الإسناد وأبو اليقظان اسمه عثمان بن عمير (٢٩٩/٧) رقم (٢٨٩٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف (١٧٦/٥) ، وقد جود ابن حجر في الإصابة إسناد حديث علي عند أحمد في مسنده ، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٦٩/٤) .

قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله : النبي ﷺ أفطن الخلق كلهم وأبعدهم عما يخل بأفعاله ، سمع الله يقول حكاية عن كليمه حين قال لأخيه هارون : ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى ﴾ [الأعراف : ١٤٢] فكان منهم ما كان من عبادتهم العجل وكانت توبتهم أغلظ توبة قال الله تعالى : ﴿ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم ﴾ [النساء : ٦٦] فحذر النبي ﷺ من الاستخلاف عليهم ما نزل بقوم موسى فاستخلف الله عليهم ، فقال : « **الله خليفتي فيكم** » ، فخار الله ﷻ لهم ، فاستخلف الله أبا بكر ، فهو خليفة رسول الله ﷺ إشارة ، وخليفة الله بيانًا ، وأخبر النبي ﷺ أن أبا بكر ضعيف في بدنه قوي في أمر الله ، وأن عمر قوي في بدنه قوي في أمر الله ، وأجمع أهل السنة والجماعة أن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبا [1] بكر ، ثم عمر . وقال ابن عمر : [٤٦٧] « كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَتَخَيَّرُ أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ » حدثنا به خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل ح عبد العزيز بن عبد الله ح سليمان عن يحيى ابن سعيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذلك [2] .

وحدثنا خلف ح إبراهيم [3] ح محمد بن كثير أخ سفيان ح جامع بن أبي راشد ح أبو يعلى عن محمد ابن الحنفية قال : [٤٦٨] « قُلْتُ لأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : عُمَرُ . وخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ . قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا إِلا رَجُلٌ مِنَ المسْلِمِينَ » [4] .

فكان أبو بكر خيرًا من عمر ، وهو أضعف بدنًا من عمر ، وعمر أقوى بدنًا منه ، وكلاهما قويان في أمر الله ، فدل ذلك على أن الفضل ليس من جهة قوة الأبدان ولا بكثرة الأعمال ؛ لأن من كان أقوى بدنًا مع قوته في أمر الله يجب أن يكون أكثر

---

(١) في (خ) : أبو .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن ابن عمر في كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ (١٣٣٧/٣) رقم (٣٤٥٥) ، وأبو داود في سننه بنحوه في كتاب السنة باب في التفضيل (٢٠٦/٤) رقم (٤٦٢٧) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة بلفظه (٥٦٧/٢) رقم (١١٩٢) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : حدثنا محمد .

(٤) الحديث أخرجه البخاري بلفظه عن محمد ابن الحنفية في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : « **لو كنت متخذًا خليلًا** » (١٣٤٢/٣) رقم (٣٤٦٨) ، وأبو داود في سننه بألفاظ مختلفة في كتاب السنة باب في التفضيل (٢٠٦/٤) رقم (٤٦٢٩) ، والبيهقي في الاعتقاد (٣٦٧/١) ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (٥٧٨/٢) رقم (١٣٦٣) ، والطبراني في الأوسط (٢٤٧/١) رقم (٨١٠) .

عملًا . فدل ذلك أن كثرة العمل لا يوجب الفضل وإنما يوجب الفضل صحة العمل ، ومعنى في السر بل إنما يكون الفضل لمن فضله الله تعالى ، والله تعالى لا يفعل شيئًا لعلة ، وإنما يفعل ما يفعل بالمشيئة . فيختار من يشاء ويفضل من يريد وهو الحكيم الخبير ، ثم يجعل في قلب من فضله واختاره معنى يكون ذلك علمًا لفضله [١٠٤/أ(س)] ودليلًا على اختيار الله له . كما قال النبي ﷺ : [٤٦٩] « **إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لم يَفْضُلْكُم بِكَثْرَةِ صَلاةٍ وَلا صِيَامٍ وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ في قَلْبِهِ** »[١] ، فأخبر أن قوة القلب هي التي تقدم ليس قوة البدن ، وإنما يقوى القلب ؛ لأنه موضع نظر الله ، قال النبي ﷺ : [٤٧٠] « **إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُم ولا إِلى أَمْوَالِكُم ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُم وأَعْمَالِكُم** »[٢] ، والله تعالى إنما ينظر إلى ما يحب ويختار ولا ينظر إلى ما يبغض ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

قال النبي ﷺ : [٤٧١] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى لم يَنْظُرْ إِلى الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقَهَا بُغْضًا لَهَا** »[٣] . فأخبر أنه إنما ينظر إلى ما يحب ، ومن يحب فأحب الله تعالى من شاء لا لعلة ثم نظر إلى ما أحب منهم ، وهو القلب ؛ فقويت القلوب بنظر الله إليها وأشرقت واستنارت وتزينت فطارت في الملكوت شوقًا إلى من نظر إليها ؛ لأنه تعالى لما نظر إليها نظرت إليه فولهت به وشغلت عما سواه ، فطارت في الملكوت شوقًا إليه فوقفت أمام العرش ، فأذن لها فسلمت وكلمها فوعت وأراها فأبصرت وألبسها السكينة فسكنت وردها بألوان الفوائد وأنوار الزوائد ولولا ما ألبسها من السكينة لطارت شوقًا وتلاشت في متاهات توحيد الله وفنيت تحت أنوار هيبته ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١١/ب) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله (١٩٨٧/٤) رقم (٢٥٦٤) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب القناعة (١٣٨٨/٢) رقم (٤١٤٣) ، وأحمد في مسنده (٢٨٤/٢) رقم (٧٨١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٨/٧) رقم (١٠٤٧٧) ، وابن حبان في صحيحه (١١٩/٢) رقم (٣٩٤) ، وابن المبارك في الزهد بلفظه عن يحيى بن أبي كثير (٥٤٠/١) رقم (١٥٤٤) ، وهناد بن السَّرِيّ في الزهد بلفظ مقارب عن الحسن (٤١٧/٢) رقم (٨١٦) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٣٦٩/١) رقم (٣٧٩) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٤/٧) ، والطبراني في مسند الشاميين (٤٤٨/٢) رقم (١٦٧٨) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن موسى بن يسار (٣٣٨/٧) رقم (١٠٥٠٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء من كلام أبي سليمان (٢٦٧/٩) .

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] فبذلك قويت الأسرار وصفت القلوب، ففي الحديث دلالة على أن الله تعالى يختار ما يشاء، قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨] وهو تعالى فضل من أراد في سابق علمه لمشيئته وإرادته لا بقوة بدن ولا بكثرة عمل، والقلب إنما يقوى بما يحدثه فيه ويودعه إياه بعد اختياره له ونظره إليه، والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويصطفي من يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة تعالى الله عما يشركون.

وقوله ﷺ: « **وإن تولوها عليًا - ولن تفعلوا -** » يجوز أن يكون معناه: إن تولوها عليًا حين تفضي الخلافة إليه [١٠٤/ب(س)] وتصير له، ولن تفعلوا - أخبر عن الغيب الذي أطلعه عليه أنهم لا يفعلون فكان كما أخبر، افترقوا فيه فرقًا واختلفوا عليه أممًا فلم يهتدوا ولم يسلكوا الطريق المستقيم، بل تشتتوا فصاروا شيعًا فنكثت طائفة وقسطت أخرى ومرقت ثالثة [١] وعصت رابعة، ولو ولوها إياه واجتمعوا عليه لوجدوه هاديًا لهم إلى الطريق الواضح والهدى البين مهديًا في نفسه لا يسلك من الطريق إلا أهداها، ومن المناهج إلا أولاها ويسلك بهم الطريق المستقيم الذي كان علي رضي الله عنه يسلكه ويهدي إليه ويستقيم فيه ويقيم عليه.

حدثنا المَحْمُودِيُّ [٢] ح حامد بن سهل ح إسماعيل بن موسى ح خلف بن خليفة عن الحجاج بن دينار عن معاوية بن قرة قال: [٤٧٢] « ذَكَرَ الحَسَنُ البَصْرِيّ رحمه الله عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَرَاهُم السَّبِيلَ وَأَقَامَ لَهُم الدِّينَ إِذْ تَعَوَّجَ » [٣]، فكأنه قال: إذا أفضت الخلافة به وانتهت الإمرة إليه وليتموه أمركم عند ذلك يسلك بكم الطريق المستقيم، ولكنكم لا تفعلون، ولم يرد إن شاء الله تعالى أن تولوها إياه بعدي وعلى أثري فيكون أول قائم بعدي؛ لأنه ﷺ دلهم على الخليفة بعد وفاته بالأمر له بالإمامة لهم في حياته، فقال: [٤٧٣] « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » [٤]، وقال النبي ﷺ

---

(١) سقط من (خ).

(٢) المَحْمُودِيُّ: بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وضم الميم الأخرى، وفي آخرها الدال المهملة، هذه النسبة إلى محمود وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، وبيت المحمودية بمرو، الأنساب (٢٤٥/٤).

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب عن معاوية بن قرة (٣٧٤/٦) رقم (٣٢١٢٩).

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي موسى في كتاب الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٢٤٠/١) رقم (٦٤٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر (٣١٦/١) رقم (٤٢٠)، والترمذيُّ في جامعه عن عائشة في كتاب المناقب باب في مناقب =

حين دعاه بلال إلى الصلاة فقال : [٤٧٤] « مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ [رَبِيعَةَ] [١] بْنِ الأَسْوَدِ . فَقُلْتُ : قُمْ يَا عُمَرُ فَصَلِّ بِالنَّاسِ . قَالَ : فَقَامَ ، فَلَمَّا كَبَّرَ عُمَرُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَوْتَهُ وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا مُجْهِرًا [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ] [٢] : « فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟! يَأْبَى اللَّهُ ذَاكَ [٣] والمسْلِمُونَ ، يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ والمسْلِمُونَ » حدثنا به محمد بن محمد ح نصر بن زكريا ح عمار ح سلمة حدثني محمد بن إسحاق وعن الزُّهْرِيِّ عن عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن هشام عن أبيه عن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : « لَمَّا اسْتُعِزَّ [٤] بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عِنْدَهُ ... » وذكر حديثًا طويلًا [٥] فدل ذلك على أنه لم يرد بقوله ﷺ : « إن تولوها عليًا » ، أي : تولوها بعد وفاتي وعلى أثري فيكون أول من يقوم بالخلافة [١٠٥/أ(س)] بعد رسول الله ﷺ وإنما أراد أن تولوا عليًا حين تفضي إليه الخلافة وتصير له الإمرة وتنتهي إليه الولاية ، والله أعلم بالصواب .

١١١
باب في فضل عمر بن الخطاب ﷺ

حديث آخر : [٤٧٥] حدثنا أبو محمد بكر بن مسعود بن رواد التاجر قال : ح عبد الصمد بن الفضل قال : ح المُقْرِئُ عن حيوة عن بكير [٦] بن عمرو المَعَافِرِيِّ [٧]

= أبي بكر وعمر ، وقال : حسن صحيح (٦١٣/٥) رقم (٣٦٧٢) ، النسائي في المجتبى في كتاب الإمامة باب الائتمام بالإمام يصلي قاعدًا (٩٩/٢) رقم (٨٣٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في صلاة رسول الله ﷺ في مرضه (٣٨٩/١) رقم (١٢٣٢) .

(١) كذا في (س) و (خ) وقد ورد اسمه في إسناد أبي داود وأحمد والحاكم (زمعة) .

(٢) زيادة من (خ) . (٣) في (خ) : ذلك .

(٤) استعز : استعز برسول الله ﷺ أي اشتد به المرض وأشرف على الموت ، النهاية مادة (عزز) ، (٢٢٨/٣) .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن عبد الله بن زمعة في كتاب السنة باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ (٢١٥/٤) رقم (٤٦٦٠) ، وأحمد في مسنده (٣٢٢/٤) رقم (١٨٩٢٦) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي (٧٤٣/٣) رقم (٦٧٠٣) ، وعبد الكريم القَزْوِينِيُّ في التدوين في أخبار قزوين (٢٨٦/٣) .

(٦) في (خ) : بكر .

(٧) المَعَافِرِيُّ : بفتح الميم والعين المهملة وكسر الفاء والراء ، هذه النسبة إلى المعافر ، الأنساب (٣٢٢/٤) وفي الحاشية أن كثير عامتهم بمصر .

عن مشرح ح (١) هاعان المَعَافِرِيِّ عن عقبة بن عامر الجُهَنِيِّ ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ** » (٢) .

قال الشيخ الإمام الزاهد ﷺ : أخبر النبي عما لم يكن أن لو كان كيف كان (٣) ، كما أخبر الله تعالى عما لا يكون أن لو كان كيف كان (٤) بقولهم : ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨] وهم لا يردون أبدًا ، ولو ردوا لعادوا إلى كفرهم وإنهم لكاذبون بقوله : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] ، ففيه إثبات كذبهم وعتوهم على الله ﷻ ، وإن كفرهم وتركهم الإيمان بالله ورسوله كان عنادًا وجحودًا (٥) بصيرة بمواضع الحق وبينات من الهدى لا لشبهة عرضت فكذلك قول النبي ﷺ : « **لو كان بعدي نبي لكان عمر ﷺ** » فيه إبانة على الفضل الذي جعل الله في عمر ﷺ والأوصاف التي تكون في الأنبياء والنعوت التي تكون في المرسلين ، فأخبر أن في عمر ﷺ أوصافًا من أوصاف الأنبياء ، وخصالًا من الخصال التي تكون في المرسلين فقرب حاله من حال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كما وصف النبي ﷺ ركبًا أتوه ، فقال : [٤٧٦] « **حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كادُوا يَكونُوا (٦) مِنَ الفِقْهِ أَنْبِيَاءَ** » (٧) .

---

(١) كذا وهو خطأ والصواب (بن) ؛ إذ إن اسمه مشرح بن هاعان ، موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البَغْدَادِيِّ (٤٧٨/٢) رقم (٤٧٣) .

(٢) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن عقبة بن عامر في كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب ، وقال : حسن غريب (٦١٩/٥) رقم (٣٦٨٦) ، وأحمد في مسنده (١٥٤/٤) رقم (١٧٤٤١) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٩٢/٣) رقم (٤٤٩٥) ، والروياني في مسنده (١٧١/١) رقم (٢١٤) ، والطبراني في الكبير عن عصمة (١٨٠/١٧) رقم (٤٧٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه الفضل بن مختار وهو ضعيف (٦٨/٩) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : يكون . (٤) السابق .

(٥) زاد في (خ) بعدها : على .

(٦) كذا والصواب نحويًا : يكونون .

(٧) لم أقف عليه وغاية ما وقفت عليه فيه أنه كلام منسوب لكعب يصف هذه الأمة كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره (٣٥٤/١٣) ، أما الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول فقد أحال هذا الكلام للإنجيل ، فقال : وفي الإنجيل ..... وذكره (١٤٢/١) ، وتبعه في ذلك المناوي في فيض القدير (٤٩١/٤) ، وقد نسبه أبو شجاع الْهَمَدَانِيُّ لابن عباس في كتابه الفردوس بمأثور الخطاب من كلام الله تعالى إجابة لعيسى ﷺ الذي طلب من الله ﷻ إخباره عن هذه الأمة فذكره ، الفردوس بمأثور الخطاب (٢٢٨/١) ، أما عبد الرحمن بن محمد العمادي فقد شارك المصنف في نسبة هذا القول للرسول ﷺ دونما سند ، الروضة الريا فيمن دفن بداريا (٩٧/١) .

ويجوز أن يكون فيه معنى آخر وهو إخبار أن النبوة ليست باستحقاق ولا بعلة تكون في العبد يستحق بها النبوة ويستوجب الرسالة ، بل هو اختيار من الله تعالى واصطفاء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف : ٣١، ٣٢] فكأنه ﷺ أشار إلى أوصاف الرسل والأنبياء عليهم السلام وأن عمر ﷺ جمع منها كثيرًا لو كانت [١٠٥/ب(س)] الأوصاف موجبة للرسل لكان عمر بعدي رسولًا . ومما يدل على ذلك أن خاصة الأوصاف التي كان [١] في عمر التي تفرد بها من غيره : قوته في دينه وبدنه وسره وقيامه بإظهار دين الله وإعراضه عن الدنيا ، وأنه كان سببًا لظهور الحق وإعزاز الدين وفرقان الحق والباطل ، وبذلك سمي الفاروق . وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : [٤٧٧] « كَانَ إِسْلامُ عُمَرَ فَتْحًا ، وكَانَتْ إِمَارَتُه رَحْمَةً ، وكَانَتْ هِجْرَتُهُ نُصْرَةً ، واللهِ مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّي بِالبَيْتِ ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ ﷺ فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُم حَتَّى صَلَّيْنَا » حدثناه محمد بن إسحاق الرَّشَادِيُّ قال : ح عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : ح أبي قال : ح وكيع عن مسعود [٢] المَسْعُودِيُّ [٣] عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : قال عبد الله : وذكره [٤] .

فالخواص التي تظهر للخلق من أوصاف الأنبياء والصدق لله والثقة بالله والإعراض عما دون الله ، وذلك في صدق القول وشجاعة القلب وسخاوة النفس . قال رسول الله ﷺ : [٤٧٨] « **وَاللهِ لَوْ كَانَتْ لي بِعَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةَ كَذَا نَعَمًا لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُم**

---

(١) في (خ) : كانت .

(٢) في (خ) : مِسْعَرٍ و .

(٣) الْمَسْعُودِيُّ : بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم العين المهملة وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى مسعود والد عبد الله بن مسعود ﷺ ، الأنساب (٢٩٥/٤) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن عبد الله بن مسعود في كتاب مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب (١٤٠٣/٣) رقم (٣٦٥٠) ، والحاكم في المستدرك ولكن بعضه بلفظ مقارب ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٩٠/٣) رقم (٤٤٨٧) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى بألفاظ مختلفة (٢٧٠/٣) ، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة بنحوه (٣٣٥/١) رقم (٤٨٢) ، والطبراني في الكبير (١٦٢/٩) رقم (٨٨٠٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن القاسم لم يدرك جده ابن مسعود (٦٣/٩) .

ثُمَّ لا تَجِدُوني جَبَانًا ولا كَذُوبًا [١] **ولا بَخِيلًا »** [٢] هذا معنى الحديث .

فدلَّ هذا على أن هذه الخصال من أخص الأوصاف التي تظهر للناس من الأنبياء وما بينهم وبين اللّٰه لا يطلع عليه إلا اللّٰه وحده ثم وجدت أكثر هذه الأوصاف في أبي بكر وفي علي أكثر مما وجدت [٣] في عمر رضي اللّٰه عنهم أجمعين . قال أبو بكر : [٤٧٩] « وَاللّٰهِ لَوْ خَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَنِي السِّبَاعُ في هَذِهِ القَرْيَةِ - يَعْنِي المدِينَةَ - لأنفَذْتُ جَيْشَ أُسَامَةَ » [٤] ، وبه بان الحق من الباطل بعد النبي بقتاله أهل الردة وبذل جميع ماله حتى قال له النبي ﷺ : [٤٨٠] « **مَاذَا خَلَّفْتَ لِعِيَالِكَ ؟** » ، **قَالَ : اللّٰهَ وَرَسُولَهُ** [٥] ، والصدق من أخص أوصافه وسائر خصاله التي لا خفاء بها [٦] ، ثم لم يخبر النبي ﷺ أن لو كان بعده نبي لكان أبو بكر أو علي ، ولكن قال ذلك لعمر ليعلم أن النبوة بالمشيئة والاصطفاء لا بالأسباب .

وقوله : « **لو كان بعدي نبي لكان عمر** » لا يوجب أن يكون عمر أفضل من غيره ؛ لأنه لم يكن نبيًّا ، ولو كان نبيًّا كان أفضل ممن ليس بنبي ، فأما إذا لم يكن نبيًّا جاز أن يكون غيره أفضل منه ، وهو أبو بكر ﷺ ، واللّٰه أعلم .

---

(١) في الأصل : (ذكويًّا) وما أثبته من (خ) وهو الصواب الوارد في روايات الحديث الآتي بيانها .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن جبير بن مطعم في كتاب الجهاد والسير باب الشجاعة في الحرب والجبن (١٠٣٨/٣) رقم (٢٦٦٦) ، والنسائي في سننه الكبرى عن النعمان بن بشير في كتاب النحل في ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير في النحل (١١٩/٤) رقم (٦٥١٤) ، وأحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (١٨٤/٢) رقم (٦٧٢٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٣٦/٦) رقم (١٢٧١٢) ، وابن الجارود في المنتقى (٢٧١/١) رقم (١٠٨٠) ، والطبراني في الأوسط (٢٣/٧) رقم (٧٣٧٦) ، وفي الكبير عن ابن عباس (٢٢٠/١١) رقم (١١٥٥١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عثمان بن مخلد وهو ثقة وفيه ضعف ٣٣٩/٥ ، وفي موضع آخر : رواه أحمد ورجال أحد إسناديه ثقات (١٨٨/٦) .

(٣) في (خ) : وجد .

(٤) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (جـ١٠) رقم (٣٠٢٦٦) وعزاه لابن سعد في الطبقات الكبرى عن أسامة بن زيد .

(٥) الحديث أخرجه عبد اللّٰه بن أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة بألفاظ متقاربة عن عمر بن الخطاب ﷺ (٣٦٠/١) رقم (٥٢٧) .

(٦) زاد في (خ) بعدها : وعلي ﷺ أوصافه بالبأس والعزة والإعراض عن الدنيا ما لا خفاء به .

١١٢
باب في فضل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)

حديث آخر : قال : [١٠٦/أ(س)] [٤٨١] ح [(١)] أبو بكر محمد بن عيسى الطَّرَسُوسِيُّ قال : ح عبيد الله بن محمد قال : ح حماد عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن سلمة بن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزًا فِي الجَنَّةِ وإِنَّكَ ذُو قَرْنَتَيْهَا** [(٢)] ، **فَلا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا الأُولى لَكَ وَلَيْسَ** [(٣)] **لَكَ الثَّانِيَةُ** » [(٤)] .

قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **إنك ذو قرنتيها** » ، أي : أنت ملكها المخصوص بالملك الأكبر ، وإن لك ملكًا في الجنة كلها كما كان ذو القرنين مخصوصًا بملك الأرض كلها يضرب من مشرقها إلى مغربها ، قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ الآية [الكهف : ٨٦] ، وقال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ الآية [الكهف : ٩٠] ، [فأخبر الله تعالى أنه بلغ مغربها ومطلعها ، وقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف : ٨٤]] [(٥)] ، فأخبر أنه ملك الأرض كلها يضرب من أولها إلى آخرها ، فكذلك علي ﷺ له في الجنة ملك هو مخصوص به من بين سائر الملوك ، فإن في الجنة ملوكًا

---

(١) زاد في (خ) بعدها : محمد بن أحمد بن معروف حدثنا .

(٢) في (خ) : « ذو قرنيها » . قال في النهاية : « ذو قرنيها » ، أي : طرفي الجنة وجانبيها ، النهاية مادة (قرن) ، (٥١/٤) .

(٣) في (خ) : وليست .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن علي (١٥٩/١) رقم (١٣٧٣) وبعضه رقم (١٣٦٩) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٣٣/٣) رقم (٤٦٢٣) ، وابن حبان في صحيحه (٣٨١/١٢) رقم (٥٥٧٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٤) رقم (١٧٢٢٧) ، والبزار في مسنده بألفاظ متقاربة (١٢١/٣) رقم (٩٠٧) ، والطبراني في الأوسط ، وقال : لا يروى عن علي إلا بهذا الإسناد تفرد به حماد (٢٠٩/١) رقم (٦٧٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار والطبراني في الأوسط ... ورجال الطبراني ثقات (٢٧٧/٤) ، وقال في موضع آخر : رواه أحمد وفيه إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات (٦٣/٨) ، وربما يعني محمد ابن إسحاق ؛ إذ ليس في إسناد أحمد من يسمى بإسحاق .

(٥) سقط من (خ) .

كما أن في الدنيا ملوكًا ، قال النبي ﷺ : [٤٨٢] « **أَلا أُنَبِّئُكُم بِمُلُوكِ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟** » **قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : « كُلُّ أَشْعَثَ** [١] **أَغْبَرَ ذِي طِمْرَينِ** [٢] **لا يُؤْبَهُ بِهِ** [٣] **لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لأَبَرَّه »** [٤] .

وقال النبي ﷺ : [٤٨٣] « **إِنَّ مِنْ** [٥] **أَهْلِ الجَنَّةِ كُلَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ بِهِ الذينَ إِذَا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الأُمَرَاءِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُم ، حَوَائِجُ أَحَدِهِم تَلَجْلَجُ** [٦] **في صَدْرِهِ لَوْ قُسِّمَ نُورُه يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ** [٧] **لَوَسِعَهُم** » حدثناه الشيخ الإمام عبد الله بن محمد الحَارِثِيُّ [٨] قال : ح محمد بن عبد الله بن خالد البَلْخِيُّ قال : قتيبة بن سعيد قال : ح جعفر بن سليمان الضُّبَعِيّ عن عوف الأعرابي عن الحسن البَصْرِيِّ رحمه الله قال : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ ذلك [٩] .

أخبر ﷺ أن في الجنة ملوكًا وعليٌّ من أكبرهم ملوكًا [١٠] وأنه ممن له ملك في الجنة كلها ، كما كان لذي القرنين ملك في الأرض كلها قال الله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا [١١] ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ [الزمر : ٧٤] أخبر أن من أهل الجنة من ينزل فيها حيث يشاء ، وسائر أهل الجنة لهم درجات معلومة ومساكن معروفة ، وقال النبي ﷺ : [٤٨٤] « **إِنَّ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْ** [١٠٦/ب(س)] **لَهُ كَذَا وَمَنْ لَهُ كَذَا** » [١٢] . فأخبر أن ملك علي منها وفيها ليس بملك

---

(١) أشعث : متفرق الشعر ، النهاية مادة (شعث) ، (٤٧٨/٢) .

(٢) ذي طمرين : الطمر الثوب الخلق ، النهاية مادة (طمر) ، (١٣٨/٣) .

(٣) في (خ) : له ا.هـ . وفي النهاية : لا يؤبه له : أي : لا يحتفل به لحقارته . النهاية مادة (أبه) ، (١٨/١) .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن معاذ بن جبل في كتاب الزهد باب من لا يؤبه له (١٣٧٨/٢) رقم (٤١١٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة (٣٣٣/٧) رقم (١٠٤٨٨) ، والطبراني في مسند الشاميين (٢٠٥/٢) رقم (١١٩٢) ، وفي الكبير (٨٤/٢٠) رقم (١٥٩) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : ملوك .

(٦) في (خ) : تتلجلج .

(٧) زاد في (خ) بعدها : الناس .

(٨) زاد في (خ) بعدها : السبذموني .

(٩) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣٣٢/٧) رقم (١٠٤٨٦) .

(١٠) في (خ) : ملكًا .

(١١) في (س) : وقال .

(١٢) من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ، عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا ، رجل يخرج من النار حبوًا فيقول الله : اذهب فادخل الجنة . فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى . فيقول : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا - فيقول : أتسخر مني - أو تضحك مني - وأنت الملك ؟ » . فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه =

محدود منتهي [١] ، ولكن ملكه في جميع الجنة يتبوأ منها حيث يشاء .

وقوله : « **إن لك كنزًا في الجنة** » يجوز أن يكون معناه أنك متبرئ من حولك وقوتك متوكل على اللّه تعالى في أمورك مستظهر باللّه دون حولك وقوتك ؛ لأنه ﷺ أخبر أن كنز الجنة « لا حول ولا قوة إلا باللّه » [٢] حدثنا أحمد بن سباع الخطيب قال : ح محمد ابن الضوء قال : ح عمرو بن عون قال : ح أبو معاوية عن أبي بشر عن طلق ابن حبيب عن بشير بن كعب العَدَوِيِّ ، قال : قال أبو الدرداء ﷺ : قال لي رسول اللّه ﷺ : [٤٨٥] « **هَلْ لَكَ** [٣] **في كَنزٍ مِن كُنوزِ الجنَّةِ ؟** » قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « **لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللّهِ** » [٤] ففيه معنيان : أحدهما : أن من تبرأ من حوله وقوته فقد اتخذ كنزًا في الجنة كما قال في حديث آخر : [٤٨٦] « **أَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللّهِ** » [٥] يعني قولوا ذلك على تحقيق من قلوبكم وصدق من نفوسكم ، أي : تبرؤوا من حولكم وقوتكم فيكون لكم في الجنة كنوز ، وعليٌّ ﷺ ممن تبرأ من حوله وقوته ، فله في الجنة كنز .

ومعنى آخر : أن التبري من الحول والقوة والاستظهار باللّه تعالى على الأشياء من كنز في الجنة ، أي : لا يكون بهذه الصفة إلا من كان له في الجنة كنز ، وعليٌّ ﷺ بهذه الصفة ، فله في الجنة كنز ، كما قال ﷺ : [٤٨٧] « **أُوتِيتُ خَواتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كَنزٍ تَحْتَ العَرْشِ** » [٦] .

= وكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة (٥/٢٤٠٢) رقم (٦٢٠٢) .

(١) في (خ) : منتهٍ .

(٢) زاد في (خ) بعدها : العلي العظيم .

(٣) في هامش (خ) : أي هل ترغب .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ في كتاب المغازي باب غزوة خيبر (٤/١٥٤١) رقم (٣٩٦٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤/٢٠٧٦) رقم (٢٧٠٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر باب في الاستغفار (٢/٨٧) رقم (١٥٢٦) ، والنسائي في سننه الكبرى عن أبي ذر في كتاب عمل اليوم والليلة باب منه (٦/٧) رقم (٩٨٤٢) ، وابن ماجه في سننه عن أبي موسى في كتاب الأدب باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا باللّه (٢/١٢٥٦) رقم (٣٨٢٤) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن أبي ذر (٥/١٥٢) رقم (٢١٣٨٧) .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي أيوب الأَنْصَارِيِّ (٥/٤١٨) رقم (٢٣٥٩٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤٤٣) رقم (٦٥٧) ، وابن حبان في صحيحه (٣/١٠٣) رقم (٨٢١) ، والحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي في أمالي المحاملي (١/٢٦٧) رقم (٢٦٣) ، وقد حسن المنذري إسناد أحمد ، الترغيب والترهيب (٢/٢٩١) رقم (٢٤٤٣) .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي ذر (٥/١٨٠) رقم (٢١٦٠٤) ، والطبراني =

وقوله ﷺ : « **لا تتبع النظرة النظرة فإنما الأولى لك وليست لك الثانية** » هذا إن شاء الله فيمن لا يتعمد النظر إلى ما نهي عنه ؛ لأن من كانت النظرة الأولى على قصد وتعمد إلى ما نهي عنه فليست هي له بل هي عليه فإن [1] كانت هي الأولى ، فأما التي هي له وليست عليه هي التي [2] نهي عنه من [3] قصد منه فذلك معفوٌّ عنه ؛ لأنه خطأ وقد قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقال النبي ﷺ : [٤٨٨] « **رُفِعَ الخَطَأُ والنِّسيانُ عَنْ أُمَّتِي** » [4] ، فالنظرة الأولى فهي نظرة خطأ معفوٌّ عنه متروك له لا يؤاخذ بها ولا تكتب عليه سيئة ، فإذا أتبعها أخرى كانت الثانية نظرة تعمد [١٠٧/أ(س)] وقصد ، ومن تعمد الخطيئة وقصد ارتكاب ما نهي عنه كتبت عليه سيئة لا يمحوها إلا بشرائطها من توبة أو كفارة أو تأديب ، ولله فيها المشيئة في العقوبة عليها والتجاوز ، وهو - جل وعز - غفور رحيم عفو حليم ، والله أعلم .

١١٣
باب في المحبة والعزة

حديث آخر : [٤٨٩] حدثنا حاتم بن عقيل قال : ح يحيى بن إسماعيل قال : ح يحيى الحِمَّانِيُّ قال : ح ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن أبيه أنه سمع رجلًا من أهل

= في الأوسط عن حذيفة (٢٦٢/٤) رقم (٤١٤٥) .

(١) كذا والصواب : وإن .

(٢) زاد في (خ) بعدها : لم يتعمد ، وإنما قصد النظر إلى ما أبيح له ، فوقعت نظرته إلى ما .

(٣) زاد في (خ) بعدها : غير .

(٤) وقع الحديث في (خ) : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » ا.هـ . والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي (٦٥٩/١) رقم (٢٠٤٣) ، والحاكم في المستدرك عن ابن عباس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢١٦/٢) رقم (٢٨٠١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٥٦/٧) رقم (١٤٨٧١) ، وابن حبان في صحيحه (٢٠٢/١٦) رقم (٧٢١٩) ، والدارقطني في سننه (١٧٠/٤) رقم (٣٣) ، والطبراني في الأوسط (١٦١/٨) رقم (٨٢٧٣) ، قال ابن حجر في تلخيص الحبير : تكرر هذا الحديث في كتب الفقهاء والأصوليين بلفظ : « رفع عن أمتي » ولم نره بها في الأحاديث المتقدمة عند جميع من أخرجه (٢٨٣/١) رقم (٤٥٠) ثم ساق رواية ابن عدي له وضعفها ، وقال العجلوني في كشف الخفاء : قال في اللآلئ : لايوجد بهذا اللفظ وأقرب ما وجد ما رواه ابن عدي في الكامل عن أبي بكرة بلفظ : « رفع الله عن هذه الأمة ثلاثًا : الخطأ والنسيان والأمر يكرهون عليه » قال : وعده ابن عدي من منكرات جعفر بن جسر

الكوفة يقول : « سَمِعْتُ عَلِيًّا ﷺ عَلَى مِنْبَرِ الكُوفَةِ يَقُولُ [(١)] : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ هِيَ - يَعْنِي فَاطِمَةَ ﵂ - ؟ قَالَ : « **هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْهَا** » [(٢)] .

قال الشيخ ﵀ : المحبة صفة المحب تنشأ من المحب للمحبوب ، والعز صفة العزيز يبدو فيه على من يعز عليه .

وقوله ﷺ : « **هي أحب إلي منك** » إخبار بصفة يجدها في نفسه لفاطمة ﵂ وهي رقة يجدها فيها وميل إليها وحدب [(٣)] عليها ليس لها في شيء من ذلك فعل ولا لها في محبته ﷺ لها صفة ، وللطبع في المحبة أثر وللنفس فيها نسبة ؛ لأنها تكون لعلة في المحب إما نسب أو بر أو استحسان طبع أو شهوة نفس أو ما أشبهه ، وكلها تبدو من المحب للمحبوب ، وكل ما كان للنفس فيه طريق وللطبع فيه أثر فمعلول .

فقوله : « **هي أحب إلي منك** » يعني : أنا عليها أحدب ولها أرق وبها أشد وجدًا .

« **وأنت أعز عليَّ منها** » أي : أنت أعظم خطرًا عندي وأجل قدرًا ، وأنا بك أضن بصفة هي لك ، ومعنى هو فيك لا يوجد ذلك المعنى فيها ، وليست تلك الصفة لها ، والعزة على من يعز عليه العزيز ليس للطبع فيه أثر ولا للنفس فيه نسبة بل هي تنشأ من العزيز فتقهر نفس من يعز عليه ويغلب طبعه ، فهي أبعد من العلة ، والصفتان جميعًا - أعني المحبة والعزة - فعل اللَّه تعالى في المحب والعزيز غير أن أحدهما قد يكون معلولًا وهي المحبة ، والمحب فيه معلول والعزة أبعدهما من العلة وأعلاهما من القدح فيها ، فكأنه أخبر أن فاطمة ﵂ أحب إليه ، واللَّه تعالى حببها [١٠٧/ب(س)] إليه وللطبع فيه أثر ، ألا يرى أنه لما قبل أحد ابنيها الحسن والحسين ﵄ قال له قائل : [٤٩٠] أَتُحِبُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **لا ولَكِنِّي أَرْحَمُهُ** » [(٤)] ، أي أرق عليه وأحدب عليه .

(٥٢٢/١) رقم (١٣٩٣) .

(١) زاد في (خ) بعدها : قلت .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بلفظه عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجل في كتاب الخصائص في ذكر قول النبي الحسن والحسين أبنائي (١٥٠/٥) رقم (٨٥٣١) ، والحميدي في مسنده (٢٢/١) رقم (٣٨) ، وأبو بكر الشَّيْبَانيُّ في الآحاد والمثاني بلفظ مقارب (٣٦٠/٥) رقم (٢٩٥١) ، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة (٣٤٣/٧) رقم (٧٦٧٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلمى بن عقبة ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات (١٧٣/٩) .

(٣) في هامش (خ) : شفقة .

(٤) لم أقف عليه بهذا السياق وقد ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس قال : كان الحسين جالسًا =

وأخبر أن عليًا ﷺ أعز عليه منها ، والله تعالى جعله عزيزًا عنده بمعنى أحدثه في علي ﷺ ووضعه فيه فجل بذلك قدره عنده وعظم موقعه منه ، وضن به وليس للطبع فيه أثر وهو من العلة أبعد .

١١٤
باب من أوصاف الكرام

حديث آخر : [٤٩١] حدثنا محمد بن نعيم بن ناعم قال : ح أبو حاتم محمد بن إدريس الرَّازِيُّ قال : ح الأَنْصَارِيُّ قال : ح أبو المعلى قال : ح أبو عثمان النَّهْدِيُّ قال : سمعت سلمان الفارسي ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا حَتَّى يَضَعَ فِيهِمَا خَيْرًا** » (١) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : الحياء من أوصاف الكرام ، واللئيم لا يكاد يستحي ، والحياء يجمع معاني كثيرة فمنه الامتناع من الفعل الذميم والوصف القبيح ، ومنه الترفع مما يسفهه ويذم عليه ، ومنه الخشية من أن يوصف بالقبيح من الوصف أو ينسب إلى الذميم من الفعل . وكل هذه الأوصاف من أوصاف الكرام ، والحيي أيضًا لا يكاد يستحي إلا ممن له قدر وخطر ، ومن لا قدر له ولا خطر فقلما يستحي منه ، والكريم المتحقق بأوصاف الكرام يدع ما يدعه تكرمًا في نفسه ، ويفعل ما يفعل فضلًا من عنده ، ولا ينظر إلى ما (٢) يستحي منه ، فيعطي من لا يستحق ويدع عقوبة من مستوجبها ؛ لأنه يترفع من صفة الحرمان .

= في حجر النبي ﷺ ، فقال جبريل عليه السلام : « أتحبه ؟ فقال : وكيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي ؟! » وقال : رواه البزار ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف (٩/١٩٢) ، وقد أخرجه أحمد عن أنس (١/٢٣٠) رقم (١٣٨٢٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب عن أم سلمة (١/٤٤٢) رقم (١٥٣٣) ، وأبو يعلى في مسنده عن أنس (٦/١٢٩) رقم (٣٤٠٢) ، والطبراني في الكبير عن عائشة (٣/١٠٧) رقم (٢٨١٤) .

(١) الحديث أخرجه أبو داود بألفاظ مختلفة عن سلمان في كتاب الوتر باب الدعاء (٢/٧٨) رقم (١٤٨٨) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الدعوات باب منه ، وقال : حسن غريب (٥/٥٥٦) رقم (٣٥٥٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢/٢١١) رقم (٢٩٦٥) ، وابن حبان في صحيحه (٣/١٦٠) رقم (٨٧٦) ، وعبد الرزاق في مصنفه عن أنس (٢/٢٥١) رقم (٣٢٥٠) ، والمحاملي في أماليه بلفظه عن سلمان (١/٣٨٠) رقم (٤٣٣) ، والطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة (٦/٢٥٦) رقم (٦١٤٨) .

(٢) في (خ) : من .

قال الشاعر (١) يمدح بعض الملوك (٢) بالكرم (٣) :

يغضي حياء ويغضى من مهابته   فما يكلم إلا حين يبتسم

فوصفه بالحياء في ترك عقوبة من يستوجب وإعطاء من لا يستوجب ؛ لأنه يترفع من صفة الحرمان لمن يسأله ويتكرم من عقوبة من يتعرض للعفو منه ، ولما كان الحياء من الكريم جاز أن يوصف اللّه به ؛ لأن اللّه تعالى كريم متفضل عفو غفور جواد شكور ، فإذا رفع إليه العبد سائلًا منه وطالبًا فضله [١٠٨/أ(س)] يتكرم عن أن يحرمه ويتعالى عن أن يرده ، وإن كان العبد لا يستوجب العطاء ولا يستأهل [العفو ، وكان - جل وعز - ساخطًا عليه غير راض منه ، فهو تعالى يتفضل من عنده فيعطي من يستوجب الحرمان ، ويعفو عمَّن] (٤) [يستوجب] (٥) العقوبة ، كرمًا منه وفضلًا ؛ لأنه جل وعز لا يرضى حرمان عبده وقد مد إليه يده سائلًا منه مفتقرًا إليه متعرضًا لفضله مما لا ينقصه ولا يؤوده ، ويعفو عمن يستوجب العقوبة وهو غير راض عنه ولا قابل منه ، وهو يفعل ذلك بمن يجل عنده قدره ويعظم لديه خطره وهو المؤمن به المصدق له المقر له بالوحدانية المذعن له بالعبودية ، وإن كان يأتي من العصيان ما يستوجب به العقوبة ومن الفعل ما يستحق به الحرمان ، فهو - جل وعز - يجل قدر عبده المؤمن أن يرد يديه صفرًا خائبتين وقد رفعهما إليه ، وهو - جل وعز - قد (٦) يعطي الكافر به والجاحد له والمشرك معه غيره بعض ما يسأله كرمًا منه وفضلًا ، ويؤخر عقوبته ولا يعاجله بها إذا رفع إليه يديه وهو ساخط عليه مبغض له معرض عنه استدراجًا له (٧) وإرادة السوء به لا لإجلاله ولا لقدره عنده وكرامته عليه ؛ بل لأنه جواد كريم متفضل حليم ، قال اللّه تعالى : ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ (٨) ٱلضُّرَّ

---

(١) في هامش (خ) : أي : الفرزدق .   (٢) في هامش (خ) : زين العابدين .

(٣) قاله الفرزدق مادحًا به علي بن الحسين بعدما رآه هشام بن عبد الملك في الحج ولم يكن يعرفه وتساءل عنه فأجابه الفرزدق بأبيات منها هذا البيت كذا في رواية أبي الفرج الأصفهاني في الأغاني بتصرف (٣٧٨/١٠) ، وقد نسبها أبو تمام في ديوان الحماسة للحزين الكناني (٢٨٤/٢) ، وقد خطأ المحقق نسبة البيت للفرزدق كذا خطأ قول من قال : إنه قيل في علي بن الحسين ، وصوب قول من قال : إنه في هشام بن عبد الملك ، المرجع السابق .

(٤) سقط من (خ) .   (٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) سقط من (خ) .   (٧) زاد في (خ) بعدها : لا كرامة .

(٨) سقط من (س) .

عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤] ومثله كثير، فإذا كان اللَّه تعالى لا يرد يد من يرفعها إليه صفرًا وهو له عاص ولأمره تارك وعن أداء حقوقه معرض فما ظنك بمن يرفع إليه يديه مفتقرًا إليه، متذللًا له، معتذرًا إليه، مقبلًا عليه، يسأله سؤال المضطرين، ويدعوه دعاء الغريق، ويتعرض لعفوه تعرض من لا يستأهل لنفسه حالًا، ولا يرى لنفسه [عملًا] [١]، لا يرجو إلا فضله، ولا يعتمد إلا على كرمه، سبحان الكريم ذي الفضل العظيم.

فمعنى الحياء من اللَّه تعالى: [التكثر في الإعطاء] [٢] من يستوجب الحرمان عند سؤاله منه، ورفع يديه نحوه وترفعه، [وتعاليه - تعالى -] [٣] عن حرمانه مما لا ينقصه، [وتجاوزه] [٤] عن عقوبة من يستوجبها وقد تعرض لعفوه، وامتناعه عن العقوبة والحرمان، واللَّه أعلم.

١١٥
باب في سعة رحمة اللَّه تعالى

حديث آخر [١٠٨/ب(س)]: [٤٩٢] ح الشيخ الإمام عبد اللَّه بن محمد بن يعقوب الحَارِثِيّ قال: ح أحمد بن محمد بن نعيم قال: ح يزيد بن هارون قال: أخ [عبد الأعلى بن المشاور] [٥] عن حماد عن إبراهيم قال: ح صلة بن زفر عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ** [٦] **لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ الفَاجِرُ في دِينِهِ الأَحْمَقُ في مَعِيشَتِهِ** » [٧].

---

(١) زيادة من (خ). (٢) في (خ): التكرم في إعطاء.

(٣) سقط من (خ). (٤) زيادة من (خ).

(٥) في (خ): عبد الأعلى بن أبي المساور ا.هـ. وهو الصواب، التاريخ الكبير (٧٤/٦) ترجمة رقم (١٧٥٣). (٦) زاد في (خ) بعدها: بيده.

(٧) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط بألفاظ متقاربة عن حذيفة (٢٥٠/٥) رقم (٥٢٢٧) وفي الكبير (١٦٨/٣) رقم (٣٠٢٢)، وابن عدي في الكامل (٣١٧/٥) رقم (١٤٦٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي إسناد الكبير أبو غيلان وثَّقه أبو زرعة وابن حبان وفيه ضعف وبقية رجال الكبير ثقات (٢١٦/١٠)، والحديث إسناده ضعيف فيه عبد الأعلى بن أبي المساور، قال البخاري: منكر الحديث، التاريخ الكبير (٧٤/٦) رقم (١٧٥٣)، وقال النسائي في الضعفاء والمتروكين: متروك الحديث (٦٩/١) رقم (٣٨٠)، قال ابن عدي في الكامل: عامة أحاديثه مما لا يتابعه عليه الثقات (٣١٧/٥) رقم (١٤٦٥).

قال الشيخ الإمام رحمه الله : هذا يحتمل معنيين :

أحدها : إخبار عن سعة رحمة الله تعالى وعظم مغفرته ، أي يبلغ من رحمة الله حتى يغفر لمن كان فاجرًا في دينه أي منخلعًا منهمكًا في المعاصي مرتكبًا للكبائر مضيعًا للحقوق متعديًا جائر [1] ؛ لأن هذه الأوصاف كلها تدخل في معنى الفجور ؛ لأن الفجور ميل عن الاستقامة وانحراف عن سنن الحق ، والفجور الكذب أيضًا يقال : يمين فاجرة ، أي : كاذبة ، قال بشر بن أبي حازم : (جعلتم [2] حارثة بن لأم إلهًا تحلفون به فجورًا) ، أي : كذبًا وميلًا عن الحق ، وقال أعرابي في عمر رضي الله عنه واستحمله فلم يحمله [3] : [٤٩٣] « اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجَرَ » [4] (ن) ، أي : جار ومال .

فيكون معنى الحديث - إن شاء الله تعالى - : أن الله تعالى يغفر للجائر المائل عن طريق الاستقامة المرتكب للكبائر قولًا وفعلًا ، والأحمق في المعيشة هو الذي لا يضع الشيء في موضعه ولا يوفر الحقوق على أهلها المبذر ما في يديه المنفق له في غير وجهه إذا كان صادقًا في إيمانه بالله موحدًا له غير مشرك به ولا جاحد له ، ويدخله الجنة إما بالعفو والتجاوز والمغفرة التي هي مضمون مشيئته بقوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦] أو بشفاعة النبي عليه السلام كما قال : [٤٩٤] « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » ، وقال عليه السلام وقيل له : [٤٩٥] مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّه** » [5] . وقيل لرسول الله : [٤٩٦] لِمَنْ تَشْفَعُ ؟ قَالَ : « **لأَصْحَابِ الدِّمَاءِ والعَظَائِم** » حدثناه حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح نوح بن قيس الحُدَّانِيُّ [6] عن يزيد الرَّقَاشِيِّ عن أنس رضي الله عنه قال : قِيلَ :

---

(١) كذا بمنع صرفها وهو خطأ وصوابها : جائرًا . (٢) زاد في (خ) بعدها : قبر .

(٣) إلى هنا نهاية تكملة السقط من (س) ويبدأ بعدها النسخ من الأصل .

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه بلفظه عن الشعبي (٢/٥٦٦) ، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال وعزاه للحارث عن محمد بن سيرين (جـ١٢) رقم (٣٥٩٧٤) ، وفي سياق آخر عزاه للحاكم في الكنى عن أبي كبشة رقم (٣٥٩٨٠) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب العلم باب الحرص على الحديث (١/٤٩) رقم (٩٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب العلم باب فضل العلم (٣/٤٢٦) رقم (٥٨٤٢) ، وأحمد في مسنده (٢/٣٧٣) رقم (٨٨٤٥) ، وابن منده في كتاب الإيمان (٢/٨٦٣) رقم (٩٠٦) .

(٦) في هامش الأصل : الحَرَّانِيُّ .

يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ تَشْفَعُ ؟ قَالَ : « **لأَصْحَابِ الدِّمَاءِ والعَظَائِم** » [١] .

[قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ] [٢] : أو يدخله الجنة بعدما طهره من أدناس الذنوب ، وأقذار الخطايا [٣] كما قال : [٤٩٧] « **يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ** [٤] **في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّة** [٥] **خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ** » [٦] فكأنه قال : يدخل اللَّه الجنة أصحاب الجنايات من جهة الدين والدنيا فضلًا منه ورحمة .

والمعنى الآخر : تنبيه للخلق وإخبار أن اللَّه تعالى يدخل الجنة من يشاء بفضله ورحمته لا بالأعمال كما قال : [٤٩٨] : « **هَؤُلاءِ في الجنَّةِ ولا أُبَالي** » [٧] [١٢٩/ب] .

يجوز أن يكون معناه : لا أبالي بما أتوه من صغائر وكبائر وما ضيعوه من الحقوق بعد الإيمان بي والتوحيد لي ، كما قال النبي ﷺ : [٤٩٩] « **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُم عَمَلُه الجَنَّةَ** » . قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **ولا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي** [٨] **اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ** » حدثناه عبد العزيز المَرْزُبَانِيُّ ح محمد بن إبراهيم البَكْرِيُّ ح أبو ثابت ح إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن أبي عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُم عَمَلُه الجَنَّةَ ...** » الحديث [٩] .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) زاد في (س) بعدها : بالنار .

(٤) سقط من (س) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : من .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ (٥٦/٣) رقم (١١٥٥٠) .

(٧) أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن عبد الرحمن بن قتادة السُّلَمِيِّ (١٨٦/٤) رقم (١٧٦٩٦) ، وابن حبان في صحيحه (٥٠/٢) رقم (٣٣٨) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٠/١) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٠٦/٤) رقم (١٠٨١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله ثقات (١٨٦/٧) .

(٨) يتغمدني اللَّه برحمته : أي : يلبينيها ويسترني بها مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه ، النهاية مادة (غمد) ، (٣٨٣/٣) .

(٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة في كتاب المرضى باب نهي تمني المريض الموت (٢١٤٧/٥) رقم (٥٣٤٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة اللَّه تعالى (٢١٦٩/٤) رقم (٢٨١٦) ، والدارمي في سننه عن جابر (٣٩٥/٢) رقم (٢٧٣٣) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٢٦٤/٢) رقم (٧٥٧٧) ، وابن حبان في صحيحه (٦٠/٢) رقم (٣٤٨) ، وابن المبارك في الزهد (٥٠٧/١) رقم (١٤٤٥) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (٣٠٥/١) رقم (٢٣٢٢) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٣٩٨/١) ، والطبراني في الأوسط (٣٠٥/٤) رقم (٤٢٧٢) ، وفي مسند الشاميين عن أسد بن كرز (٣٩٦/١) رقم (٦٨٦) ، وفي الكبير (٣٣٤/١) رقم (١٠٠١) .

قال الشيخ رحمه الله : ففيه إبانة أن اللّٰه تعالى يدخل الجنة من شاء رحمة منه وفضلًا لا بعمل صالح ويدخل النار [من شاء] (١) عدلًا منه لا بعمل سيئ إلا بما حكم وأخبر وهو الصادق في خبره ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ الآية [النساء : ٤٨] . وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٠] ، فهو لا يدخل الجنة كافرًا ولا يغفر لمشرك ، وهو لما دون ذلك غافر لمن شاء ويدخل الجنة من أراد فضلًا منه ورحمة .

وفيه معنى آخر : وهو أن اللّٰه تعالى يدخل الجنة الفاجر في دينه المستخف بدنياه الباذل لها من غير تمييز المنفق منها في كل وجه ، الذي لا يحزنه فواتها كبير حزن ولا يفرحه فيها (٢) كبير فرح ، الذي لا تقع الدنيا في قلبه كبير موقع فهو أحمق (٣) فيها ؛ لأنه (٤) لا يبالي بها قلّت عنده أو كثرت . يدل عليه قوله عليه السلام في حديث آخر : [٥٠٠] « **رُبَّ فَاجِرٍ فِي دِينِهِ أَخْرَقَ فِي مَعِيشَتِهِ يَدْخُلُ بِسَمَاحَتِهِ** [١٣٠/أ] **الجَنَّةَ** » (٥) أخبر أن الاستهانة بالدنيا والاستخفاف بها يبلغ بالعبد ما لا يبلغه كثير من الأعمال ، وأنه يتجاوز عنها ما لا يتجاوز من الذنوب مع إيثارها والحب لها ؛ لأن المستخف بها قد وافق اللّٰه تعالى في استهانة ما هان عند اللّٰه تعالى وصغر ، قال عليه السلام : [٥٠١] « **لَوْ وزنَتْ الدُّنْيَا عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالَى جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ أَبَدًا** » (٦) (٧) .

١١٦
باب في إشراف اللّٰه تعالى على أهل الجنة

حديث آخر : [٥٠٢] حدثنا أبو حامد أحمد بن ماجد بن عمرويه ح

---

(١) سقط من (س) .

(٢) في (خ) : نيلها .

(٣) سقط من (س) .

(٤) سقط من (س) و (خ) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) سقط من (س) .

(٧) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بألفاظ متقاربة عن سهل بن سعد في كتاب الزهد باب ما في هوان الدنيا على اللّٰه ﷻ وقال : صحيح غريب من هذا الوجه (٥٦٠/٤) رقم (٢٣٢٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب مثل الدنيا (١٣٧٦/٢) رقم (٤١١٠) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي قال زكريا بن منظور : ضعفوه (٣٤١/٤) رقم (٧٨٤٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٥/٧) رقم (١٠٤٦٥) ، وأحمد بن حنبل في الزهد (٦٣/١) رقم (١٢٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن رجل من بني سالم (٧٨/٧) رقم (٣٤٣٢٤) ، وهناد بن السَّرِيّ في الزهد عن عمرو ابن قرة (٤١١/٢) رقم (٨٠٠) ، والطبراني في الكبير عن سهل بن سعد (١٥٧/٦) رقم (٥٨٤٠) .

أبو عبد الرحيم(١) عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف ح أحمد بن عيسى المصري ح أبو عاصِم العبَّادَانيُّ (٢) عن الفضل الرَّقَاشِيِّ عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأَنْصَارِيِّ ﷺ (٣) أن النبي ﷺ قال : « **بَيْنَا أَهْلِ الجنَّةِ في نَعِيمِهِم إِذْ سَطَعَ لَهُم نُورٌ مِنْ فَوْقِهِم ، فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِم ، فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكُم يَا أَهْلَ الجنَّةِ ، وذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى** : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] **قَالَ : فَإِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِ نَسُوا نَعِيمَ الجنَّةِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُم ، فَإِذَا احْتَجَبَ عَنْهُم بَقِيَ نُورُه وبَرَكَتُهُ عَلَيْهِم في دِيَارِهِم** »(٤) .

قال الشيخ رحمه الله : الإشراف صفة من ينظر إلى الشيء من مكان رفيع أو حال رفيعة ، يقال : فلان مشرف على أحوالك ، أي : عرفها وأبصرها من جهة الرفعة وعلو الدرجة كما يقال : هو مشرف عليك ، أي : مطلع من مكان عال (٥) ، والله عز وجل لا يوصف بالمكان من جهة الحلول والتمكن وهو على عرشه من جهة العلو والرفعة ، عبر عنه بالإشراف وليس معنى الإشراف تحديد ولا مكان من جهة الحلول (٦) [١٣٠/ب] تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، والله عز وجل قائل متكلم ، والكلام له صفة في ذاته لم يزل ولا يزال فهو يسلم عليهم سلامًا وهو قول منه كما قال : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] ، وأكد النبي عليه السلام ذلك بالآية المنزلة عليه تلاوة ليزيل الشبهة في السلام منه ، وأنه قول يقوله وكلام يكلمهم به على ما يليق به جل وعز .

---

(١) زاد في (س) بعدها : ابن .

(٢) العَبَّادَانيُّ : بفتح العين المهملة وتشديد الباء المنقوطة بواحدة والدال المهملة بين الألفين وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى عبَّادان وهي بليدة بنواحي البصرة ، الأنساب (٢٩٩/٣) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن جابر في أول الكتاب باب فيما أنكرت الجهمية (٩٨/٧) رقم (١٨٤) ، وابن عدي في الكامل (١٣/٦) رقم (١٥٥٩) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٨٢/٣) رقم (٨٣٦) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠٩/٦) ، والحديث إسناده ضعيف فيه الفضل الرَّقَاشِيُّ قال فيه أبو نعيم في الحلية : أسند الكثير وأكثر روايته عن محمد بن المنكدر أحاديث لم يتابع عليها (السابق) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرَّقَاشِيُّ وهو ضعيف (٩٨/٧) ، قال ابن عدي في الكامل : الضعف بين على ما يرويه (١٣/٦) رقم (١٥٥٩) ويعني بذلك الفضل .

(٥) كذا في (س) و (خ) : وفي الأصل : عالي .

(٦) في (س) : العلو .

وقوله : « **فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة** » أي [تركوا و] [(١)] شغلوا [(٢)] وحجبوا منها بلذة النظر إلى وجهه ، وذلك أن ما دون الله لا يقاوم تجليه - جل وعز - ولولا أنه تعالى يثبتهم ويبقيهم وإلا يحل بهم ما حل بالجبل حين تجلَّى له ، ولكنه قوي قادر إله قاهر لا يؤوده شيء ولا يمتنع عليه شيء ، فهو تعالى يبقيهم ويثبتهم ويقويهم للنظر إليه ، وتستولي لذة النظر عليهم فينسيهم كل نعيم كانوا فيه ؛ لأنهم لذلك [(٣)] كانوا منتظرين وإلى ذلك [(٤)] متطلعين وإليه كانوا مشتاقين وللجنة لأجله طالبين ؛ لأنهم بذلك كانوا مبشرين ولذلك كانوا موعودين لقوله ﷻ : ﴿ [(٥)] وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ [(٦)] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ [(٧)] ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١] ، وقوله تعالى [(٨)] : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] ، وقوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ، فإذا كان ذلك بغيتهم وكانت تلك طلبتهم وذلك كان من الجنة مرادهم فإذا أعطوا ذلك لهوا عما سواه معرضين نسوا ذلك كله أجمعين ، وشغلوا بما تلذ [١٣١/أ] أعينهم مما تشتهي نفوسهم محجوبين ولا صفة لهم عند ذلك غير أنهم إليه ناظرون وله شاهدون ولكلامه سامعون ولديه مقربون ، سبحان من تفضل على عباده المؤمنين وأوليائه المنتجبين بما لم يكن تبلغه هممهم ، ولا تصل إليه أوهامهم فأكرمهم بما لا يخطر على القلوب ولا تدركه العقول فضلاً منه ورحمة ، إنه ذو فضل عظيم .

ومعنى قوله : « **حتى يحتجب عنهم** » يجوز أن يكون معناه حتى يردهم إلى نعيم الجنة الذي نسوه إلى حظوظ أنفسهم وشهواتها التي سهوا عنها ، فانتفعوا بنعيم الجنة الذي وعدوه ، وتنعموا بشهوات النفوس التي أعدت لهم ، وليس ذلك إن شاء الله على معنى الاحتجاب عنهم ؛ لأنه تعالى لا يحجبه شيء وإنما يحجبهم عن نفسه برده إياهم إلى نعيم الأبدان وشهوة النفوس ، وليس معنى يحجبهم عنه : أن يكونوا له ناسين ، وعن شهوده محجوبين وإلى نعيم الجنة ساكنين ، وكيف يحجبهم عنه وهم بنعت المزيد

---

(١) سقط من (س) و (خ) .
(٢) زاد في (خ) بعدها : عنها .
(٣) سقط من (س) : أما في (خ) : كذلك .
(٤) زاد في (خ) بعدها : كانوا .
(٥) زاد في الأصل بعدها : لكم .
(٦) كذا في الأصل و (خ) وقد قرأها نافع وابن عامر وحفص بزيادة هاء الضمير مذكرًا بعد الياء ، والباقون بحذفها ، الإرشادات الجلية (٢٢٤) .
(٧) زاد في (س) بعدها : به .
(٨) زاد في (خ) بعدها : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت : ٣١] وقال .

ودار الكرامة ومحل القرب ، والحجبة بعد الشهود سلب النعيم ، وهو تعالى لا يسلبهم نعيمًا تفضل به عليهم ، ولكنه تعالى يردهم إلى ما نسوه ولا يحجبهم عما شاهدوه حجبة غيبة واستتار ، يدل على ذلك قوله : « **بقي نوره وبركته عليهم في ديارهم** » ، والنظر إذا صح والحجبة إذا ارتفعت والوصلة إذا تمت لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق ، ولا كان في حال الشهود والغيبة بون [فيكون محجوبًا في حال الغيبة] [1] [١٣١/ب] بل تتفق الأوقات وتتساوى الأحوال ، فيكون في كل حال شاهدًا وبكل جارحة ناظرًا ولا يكون في حال محجوبًا ولا بالغيبة موصوفًا . حكي عن قيس المجنون أنه قيل له : ندعو لك ليلى ؟ فقال : وهل غابت عني فتدعى ؟!! . فقيل له : أتحب ليلى ؟ فقال : المحبة ذريعة الوصلة ، وقد وقعت الوصلة [وانقطعت الذريعة] [2] فأنا ليلى وليلى أنا . وأنشدني بعض الصُّوفِيَّة :

شغلت قلبي بما لديك فما ... تنفك طول الحياة من فكري
وحيث ما كنت يا مدى ... هممي فأنت مني بموضع النظر

وأنشدونا لبعض الكبار :

جحدت الهوى إن كنت مذ جعل الهوى ... عيونك لي عينًا تغض وتبصر
نظرت إلى شيء سواك وإنما ... أرى غيركم أحلام نوم تقدر
أفتش سري عن سواك فلا أرى ... سواك وإني أنت [3] والكنه [4] أكبر

وروي عن أبي يزيد البسطامي [5] أنه قال : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالى عِبَادًا لَوْ حَجَبَهُم في الجَنَّةِ عَنْ الرُّؤْيَةِ سَاعَةً لاسْتَغَاثُوا مِنَ الجَنَّةِ ونَعِيمِهَا كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ النَّارِ وعَذَابِهَا » .

حدثنا خلف بن محمد ح صالح بن محمد ح عبيد اللّٰه بن عمر ح مضر القارئ أخ عبد الواحد بن زيد قال : سمعت الحسن يقول : [٥٠٣] « لَوْ يَعْلَمُ العَابِدُونَ أَنَّهُم لا يَرَوْنَ رَبَّهُم في الآخِرَةِ لَذَابَتْ قُلُوبُهُم في الدُّنْيَا غَمًّا » [6] ، يشهد لذلك حديث

(١) سقط من (س) و (خ) . (٢) السابق .
(٣) في هامش (خ) : بالغت في بيان وصف الاتحاد ، ولكن نهايته أعظم من أن يدخل تحت الوصف .
(٤) في هامش (خ) : واللّٰه .
(٥) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان كان زاهدًا من أهل بسطام أسند الحديث ومات سنة إحدى وستين ومائتين (بتصرف من طبقات الصُّوفِيَّة لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأَزْدِيِّ (٦٨/١) رقم (٨) .
(٦) الحديث أخرجه عبد اللّٰه بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة بلفظ مقارب عن الحسن (٤٧١/٢) رقم (١٠٧٢) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة (١٥٩/٢) .

النبي ﷺ ما حدثنا نصر بن الفتح [١٣٢/أ] ح أبو عيسى ح عبد بن حميد أخبرني شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال : سمعت ابن عمر ﷺ يقول : قال رسول الله : [٥٠٤] « **إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنزِلَةً لَمَنْ يَنظُرُ إِلَى جِنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ ونِعَمِهِ وخَدَمِهِ وسُرُرِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَـنَـةٍ ، وأَكْرَمُهُم عَلَى اللهِ تَعَالى مَنْ يَنظُرُ إِلَى وَجْهِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً** » ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] » (١) .

أخبر ﷺ عن الدوام بالغدوة والعشي ولم يرد إن شاء الله تعالى التوقيت ؛ لأنه لا غدوة هناك (٢) ولا عشي [والله أعلم بما أراد] (٣) .

١١٧
باب في الزجر عن سوء القول في الأموات

حديث آخر : [٥٠٥] حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البَغْدَادِيُّ ح يحيى بن عثمان بن صالح ح [حسان بن غالب ح] (٤) ابن لهيعة عن بكير بن الأشج عن القاسم ابن محمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « **الْمَيِّتُ يُؤْذِيهِ في قَبْرِهِ مَا يُؤْذِيهِ في بَيْتِهِ** » (٥) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون الميت يبلغ من أفعال الأحياء وأقوالهم بلطيفة يحدثها الله تعالى لهم من ملك يبلغ أو علامة أو دليل أو ما شاء الله وهو القادر على

(١) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن ابن عمر في كتاب صفة الجنة باب منه (٦٨٨/٤) رقم (٢٥٥٣) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٦٤/٢) رقم (٥٣١٧) ، وابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة عن مجاهد (١٢٧/١) رقم (٤٢١) ، وعبد بن حميد في المنتخب بلفظه عن ابن عمر (٢٦٠/١) رقم (٨١٩) ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة بنحوه عن سعيد بن جبير (٥١٢/٢) رقم (١٢٠١) ، وأبو يعلى المَوْصِلِيُّ في مسنده بألفاظ مختلفة عن ابن عمر (٧٦/١٠) رقم (٥٧١٢) وأبو محمد الأصبهاني في العظمة (١١١١/٣) رقم (٦٠٤) .

(٢) من هامش الأصل .

(٣) سقط من (س) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) الحديث أخرجه أبو شجاع الْهَمَذَانِيُّ في الفردوس بمأثور الخطاب عن عائشة (١٩٩/١) رقم (٧٥٤) وذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وقال : رواه الدَّيْلَمِيُّ بلا سند عن عائشة مرفوعًا ويشهد له ما أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما عنها رفعته : « كسر عظم الميت ككسر عظمه حيًا » ، (٢٩٩/١) رقم (٧٨٩) ، قال ابن أبي حاتم في علل الحديث : قال أبي : هذا حديث منكر (٣٧٢/١) رقم (١١٠٤) .

ما يشاء ، وقد صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ في عذاب القبر وروحه ، ولا يكون التعذيب والترويح إلا بوصول الألم والراحة إلى المعذب والمروح ، فكذلك يبلغه أذى من يؤذيه من قول سوء فيه أو فعل يسوءه ذلك ممن يفعله .

حدثنا محمد بن أحمد المَزْدَكِيُّ حدثنا محمد بن عيسى الطَّرَسُوسِيُّ ح محمد بن معاوية ح ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة قال : [٥٠٦] « وَقَعَ رَجُلٌ فِي عَلِيٍّ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنهما [١٣٢/ب] فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا لَكَ [١] قَبَّحَكَ اللَّهُ لَقَدْ آذَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام فِي قَبْرِهِ » [٢] .

ففي الحديث زجر عن سوء القول في الأموات ، وفي الحديث أنه نهى عن سب الأموات وزجر عن فعل ما كان يسوؤهم في حياتهم ، وفيه أيضًا زجر عن عقوق الآباء والأمهات بعد موتهما بما يسوؤهما من فعل الحي ، فقد روي في الحديث : [٥٠٧] « أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام كَانَ يُهْدِي لِصَدَائِقِ خَدِيجَة » [٣] صلة منه لها وبرًا ، وإذا كان الفعل صلة وبرًا كان ضده قطيعة وعقوقًا ، فأخبر النبي عليه السلام أن الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته فنعلم ذلك يقينًا ، كما نعلم تعذيب من يعذب في القبر وإن كنا لا ندري كيفية ذلك ، ولا نرد أخبار رسول الله عليه السلام ورواية الأئمة من جهة عجزنا عن علم كيفية ذلك ، فعلينا التصديق والتسليم بما جاء عن رسول الله ﷺ وتحقيقه ، ونكل علم كيفيته إلى الله

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) لم أقف عليه بهذا السياق ولكن أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبيد الله بن أبي مليكة عن أبيه وفيه «أن رجلًا من أهل الشام جاء فسب عليًا عند ابن عباس فحصبه ابن عباس ، فقال : يا عدو الله ، آذيت رسول الله ﷺ » وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٣١/٣) رقم (٤٦١٨) ، والحديث إسناده ضعيف فيه ابن لهيعة قال الجوزجاني في أحوال الرجال : ابن لهيعة لا يوقف على حديثه ولا ينبغي أن يحتج به ولا يغتر بروايته (١٥٥/١) ترجمة رقم (٢٧٤) ، وقد ضعفه النسائي في الضعفاء والمتروكين (٦٤/١) رقم (٣٤٦) ، ونقل الذهبي في ميزان الاعتدال عن ابن معين قوله فيه ضعيف لا يحتج به (١٦٧/٤) ترجمة رقم (٤٥٣٥) .

(٣) هذا معنى حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة في كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها (١٣٨٩/٣) رقم (٣٦٠٧) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في حسن العهد ، وقال : حسن غريب صحيح (٣٦٩/٤) رقم (٢٠١٧) ، وأحمد في مسنده (٢٧٩/٦) رقم (٢٦٤٢٢) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (١٩٤/٤) رقم (٧٣٤٠) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢١٢/٢) رقم (٧٢٠) ، والطبراني في الكبير (١١/٢٣) رقم (١٥) .

تعالى ؛ إذ اللّٰه تعالى لا يعجزه شيء لشيء [1] يريده ولا يمتنع عليه شيء يشاؤه ؛ وهو الحكيم القدير .

ويجوز أن يكون فيه معنى آخر يشهد له الأصول إن طابق لفظ الخبر معناه من جهة اللغة ، وهو أن يكون معنى قوله : « **يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته** » أي يؤذيه في قبره ما [2] كان يؤذي الميت في حياته [إذ كان حيًا] [3] ، فتكون ما [4] بمعنى الاسم ، ويكون كان مضمرًا في الكلام كأنه يقول : يؤذي الميت في قبره من كان يؤذي [5] الميت في بيته ، فقد ورد الخبر عن رسول اللّٰه ﷺ : [٥٠٨] : « **إِنَّ المَلَكَ يَتَبَاعَدُ مِنَ الرَّجُلِ عِنْدَ الكَذْبَةِ يَكْذِبُهَا مِيلَيْنِ مِنْ نَتَنِ مَا جَاءَ بِهِ** » [6] [١٣٣/أ] فهذا من الأذى الذي يلحقه يتباعد عنه ، وكذلك كل معصية للّٰه تعالى تؤذي الملك الموكل به .

فيجوز أن يموت العبد وهو مصر على معاصي اللّٰه غير تائب منها ، ولا مكفر عنه خطاياه ، فيكون تمحيصه وتطهيره فيما يلحقه من الأذى من تغليظ الملك إياه أو تقريعه له أو تفزيعه إياه ، فقد جاء في الحديث : [٥٠٩] « **إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ يَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالذي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الذي يَجِيءُ بِالخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ . والكَافِرُ يَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ . قَالَ : فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالذي يَسُوؤُكَ هَذَا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ . قَالَ : فَيَقُولُ : وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الذي [7] يَجِيءُ بِالشَّرِّ . قَالَ : فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ** » حدثنا به حاتم بن عقيل ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح أبي ح الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي عمر زاذان قال : سمعت البراء يقول ذلك عن رسول اللّٰه ﷺ في حديث طويل [8] .

---

(١) سقط من (س) و (خ) .
(٢) في (س) و (خ) : من .
(٣) سقط من (س) .
(٤) السابق .
(٥) في (خ) : يؤذيه .
(٦) سبق في اللوحة رقم (١٧/أ) .
(٧) سقط من (س) .
(٨) الحديث أخرجه أحمد في مسنده مطولًا بألفاظ مختلفة عن البراء (٢٨٧/٤) رقم (١٨٥٥٦) ، والحاكم في المستدرك (٩٣/١) رقم (١٠٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد (٣٥٦/١) رقم (٣٩٥) ، وابن المبارك في الزهد (٤٣٢/١) رقم (١٢١٩) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (١٠٢/١) رقم (٧٥٣) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٨١/٣) رقم (٦٧٣٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤/٣) رقم (١٢٠٥٩) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد (٢٠٦/١) رقم (٣٣٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : قلت : هو في الصحيح وغيره باختصار رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٥٠/٣) .

ففي هذا الحديث دلالة أنه يؤذيه في قبره ما كان يؤذى به الملك في بيته ، ويؤذيه في قبره ما كان يؤذى به الله تعالى في بيته فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب : ٥٧] .

ففي الحديث : تحذير عن ارتكاب مناهي الله ﷻ وإتيان معاصيه ، فكأنه قال : لا تؤذوا الله تعالى في حياتكم وأولياءه فتؤذون به في قبوركم .

١١٨

باب في ظواهر الأنبياء وبواطنهم

حديث آخر [١٣٣/ب] : [٥١٠] حدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل ح عبد الله بن مسلمة (١) عن مالك عن سعيد المَقْبُرِيِّ عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها : كَيْفَ كَانَتْ صَلاةُ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام في رَمَضَانَ ؟ فَقَالَتْ : مَا (٢) كَانَ يَزِيدُ في رَمَضَانَ وَلا غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ ؟ قَالَ : **« تَنَامُ عَيْنَايَ وَلا يَنَامُ قَلْبِي »** (٣) .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه يحدث عن ليلة المسرى فقال : [٥١١] « والنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ ولا يَنَامُ قَلْبُهُ ، وكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُم وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُم » (٤) .

---

(١) في (س) : سلمة .　　(٢) سقط من (س) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن عائشة في كتاب المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه (١٣٠٨/٣) رقم (٣٣٧٦) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل (٥٠٩/١) رقم (٧٣٨) ، وأبو داود في سننه في كتاب التطوع باب في صلاة الليل (٤٠/٢) رقم (١٣٤١) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ ، وقال : حسن صحيح (٣٠٢/٢) رقم (٤٣٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصلاة الأول في الصلاة بعد العشاء وذكر الاختلاف فيه (١٥٩/١) رقم (٣٩٣) ، وأحمد في مسنده (٣٦/٦) رقم (٢٤١١٩) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه (١٣٠٨/٣) رقم (٣٣٧٦) ، وأبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم (٢٢٩/١) رقم (٤١٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٢٢/١) رقم (٥٩٧) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وسائط بين الله تعالى وعباده يبلغونهم عن الله أوامره ونواهيه [فظواهرهم بأوصاف البشرية] [١] ، قال الله تعالى لرسوله [٢] : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف : ١١٠] ، وبواطنهم محمولة [٣] بأوصاف الحق عن أوصاف البشر [٤] ؛ إذ لو كانت ظواهرهم بخلاف أوصاف البشر لم يطق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ، ألا ترى أنه لما قال المشركون : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ [الفرقان : ٢١] قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان : ٢٢] ، أي : أنهم إن رأوهم [٥] ماتوا على شركهم ، فلا بشرى لهم يومئذ . وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٥] فأخبر أن البشر [٦] لا تطيق مقاومة الملك ، فكيف تطيق أوصاف [١٣٤/أ] الحق وتجليه ؟! وكيف يطيقون كلامه ؟! قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ، فلو كانت أسرار الأنبياء كظواهرهم لتلاشت وانحلت قواها عند تجلي أوصاف الحق لها ، ولو كانت ظواهرهم كبواطنهم لم يقاوم البشر أوصافها ولم يطق القبول عنها ، فجعل الله تعالى ظواهرهم بشرية جنسية ليطيق البشر القبول عنهم لمشاكلة الجنس ، وبواطنهم حقية ملكية عرشية علوية تطيق حمل ما يرد عليها ، ويكاشف لها ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم : ١١] ، وقال تعالى ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] ، فوصف جل وعز باطن نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفة القوة لرؤية ما عجز البصر عنه محجوبًا فكانت ظواهر الأنبياء بشرية تطرقها الآفات وتحلها العاهات ويجري عليها التلوين من ضعف وقوة وآفة وسلامة ، كسرت رباعية النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وشج وجهه وقال : [٥١٢] « **إِنِّي قَدْ بَدُنْتُ [٧] فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ** » [٨] ، أي : كبرت وتورمت قدماه لطول القيام ، وكل هذه آفات

---

(١) في (س) و (خ) : فظواهرهم موافقة لأوصاف البشر .

(٢) من هامش الأصل وهي سقط من (س) . (٣) في هامش الأصل التعليق الآتي : أي مرفوعة .

(٤) في (خ) : البشرية . (٥) زاد في (س) بعدها : ما ماتوا وإذا .

(٦) في (س) : البشرى . (٧) في هامش (خ) : أي : كبرت في السن .

(٨) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن معاوية بن أبي سفيان في كتاب الصلاة باب ما يؤمر به المأموم من اتباع الإمام (١٦٨/١) رقم (٦١٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة باب النهي أن يسبق الإمام بالركوع والسجود (٣٠٩/١) رقم (٩٦٣) ، والدارمي في سننه بألفاظ متقاربة (٣٤٥/١) =

لحقت ظواهره ، ثم أخبر عن باطنه بخلاف هذه الصفة ، وأخبر أنه لا تطرقه الآفات و[لا] (١) تحله العاهات ، ولا يجري عليه ما يجري على ظاهره فقال : « تنام عيناي ولا ينام قلبي » وقال : [٥١٣] « **إِنِّي لأَرَاكُم وَرَاءَ ظَهْرِي** » حدثنا أحمد بن سهل ح قيس بن أبي قيس ح قتيبة بن (٢) سعيد ح مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن [١٣٤/ب] أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : [٥١٤] « **هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَذِهِ فَوَاللَّهِ لا (٣) يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُم وَلا سُجُودُكُم إِنِّي لأَرَاكُم (٤) وَرَاءَ ظَهْرِي** » (٥) .

ونهى عن الوصال ، فقيل له : إنك لتواصل فقال : [٥١٥] « **إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُم إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي** » (٦) . وقال ﷺ : [٥١٦] « **لَسْتُ أَنْسَى وَلَكِنِّي أُنَسَّى لِيُسْتَنَّ بِي** » (٧) .

فأخبر عليه السلام بهذه الأوصاف عن سره وأنه بخلاف ظاهره ، وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف عند الجوع وورم عند القيام وسهو في صلاة ، ونوم عن صلاة لا يحل

= رقم (١٣١٥) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٩٢/٤) رقم (١٦٨٨٤) ، والبيهقي في سننه بلفظه عن أبي هريرة (٩٣/٢) رقم (٢٤٢٩) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن معاوية (٦٠٨/٥) رقم (٢٢٢٩) ، وابن خزيمة في صحيحه بألفاظ متقاربة (٤٤/٣) رقم (١٥٩٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن جبير بن مطعم (١١٧/٢) رقم (٧١٦٠) .

(١) سقط من (س) . (٢) زاد في (خ) بعدها : أبي .

(٣) في (س) : ما .

(٤) رسمت في (س) هكذا : لا أراكم ا.هـ . وهو خطأ يحيل المعنى وتكرر في النسخة (س) مثله .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب صفة الصلاة باب الخشوع في الصلاة (٢٥٩/١) رقم (٧٠٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها (٣١٩/١) رقم (٤٢٤) ، وأحمد في مسنده (٣٠٣/٢) رقم (٨٠١١) ، والحميدي في مسنده (٤٢٧/٢) رقم (٩٦١) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٢٠/١١) رقم (٦٣٣٥) ، وأبو عوانة في مسنده (٤٦٢/١) رقم (١٧١٧) .

(٦) سبق في اللوحة رقم (٢٢/ب) .

(٧) وقفت عليه بلفظ : « إني لأنسى أو أنسى لأسن » وهو عند مالك من بلاغاته ، الموطأ (١٠٠/١) رقم (٢٢٥) ، قال الزرقاني في شرحه نقلًا عن ابن عبد البر : لا أعلم هذا الحديث روي عن رسول الله ﷺ مسندًا ولا مقطوعًا من غير هذا الوجه وهو أحد الأحاديث الأربعة التي في الموطأ التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ومعناه صحيح في الأصول ا.هـ . وما وقع في فتح الباري أنه لا أصل له فمعناه يحتج به ؛ لأن البلاغ من أقسام الضعيف وليس معناه أنه موضوع معاذ الله ؛ إذ ليس البلاغ بموضوع عند أهل الفن لاسيما من مالك ، كيف وقد قال سفيان : إذا قال مالك بلغني فهو إسناد صحيح ؟ شرح الزرقاني (٢٩٤/١) .

شيء منها باطنه وسره ، فقال : « **تنام عيناي ولا ينام قلبي** » ؛ لأن النوم آفة ، ولو حلت الآفة قلبه لجاز أن تحله سائر الآفات من نسيان وحي وتوهم فيه وغفلة عنه وسآمة منه وفزع يمنعه عن واجب ، فعصم الله مواضع الخاطر من الناس عن لحوق هذه الآفات سره بقوله : « **تنام عيناي ولا ينام قلبي** » ونام ﷺ عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس [(١)] ، وذلك أن الله تعالى أراد أن يعلم الناس ماذا عليهم إذا ناموا عن الصلاة فأمسك عينيه وأنامها ليصير ذلك سنة فيمن فاتته الصلاة عن وقتها ، وليعلم [(٢)] أن النوم ليس بتفريط ، [فقد قال النبي ﷺ : [٥١٧] : « **لَيسَ في النَّوْمِ تَفْرِيطٌ**] [(٣)] **إِنَّمَا التَّفْرِيطُ في اليَقَظَةِ** » [(٤)] ولم يقل رسول الله : « إني لا أنام » [١٣٥/أ] ولكن قال : « **تنام عيناي ولا ينام قلبي** » ، وإنما فاتته الصلاة لنوم عينيه ، ألا ترى أنه قال : [٥١٨] « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَامَ غَطَّ » [(٥)] [(٦)] و [٥١٩] « كَانَ ﷺ يَتَوَضَّأُ إِذَا انْتَبَهَ مِنْ مَنَامِهِ » [(٧)] فكان ﷺ ينام ظاهره ولم يكن ينام قلبه عن مقامه ؛ لأنه كان عند من لا تأخذه سنة ولا نوم ، وفي حيث [(٨)] لا نوم هناك ألا تراه يقول : [٥٢٠] « **إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي** » [(٩)] وقال :

---

(١) من ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده بإسناده عن عبد الله بن مسعود (٣٩١/١) رقم (٣٧١٠) ، وابن حبان في صحيحه عن عمران بن حصين (٣١٩/٤) رقم (١٤٦١) ، وابن خزيمة في صحيحه (٩٧/٢) رقم (٩٩٤) .

(٢) سقط من (س) . (٣) سقط من (خ) .

(٤) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بلفظه عن أبي قتادة في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في النوم عن الصلاة وقال : حديث أبي قتادة حسن صحيح (٣٣٤/١) رقم (١٧٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب مواقيت الصلاة في فضل الصلاة لوقتها (٤٩٣/١) رقم (١٥٨٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصلاة باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٢٢٨/١) رقم (٦٩٨) ، وأحمد في مسنده (٢٩٨/٥) رقم (٢٢٥٩٩) .

(٥) غط : غطيط النائم والمخنوق نخيره ، لسان العرب مادة (غطط) ، (٣٦٢/٧) .

(٦) ورد ذلك في حديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه عن ابن عباس في كتاب أبواب الطهارة باب ما جاء في الوضوء من النوم (١١١/١) رقم (٧٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٢١/١) رقم (٥٩٢) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٢٠/١) رقم (٦٥٩) وأبو يعلى في مسنده (٤٧٧/٤) رقم (٢٦١٠) ، والطبراني في الكبير (١٥٧/١٢) رقم (١٢٧٤٨) .

(٧) ورد ذلك في حديث أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة (٨/٩) رقم (٨٩٥٩) ، قال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام (٢٧٥/٢) .

(٨) في (س) : حديث .

(٩) يأتي تخريجه في اللوحة رقم (١٥٤/ب) .

« أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي » إنما أراد بقلبه ؛ لأن قلبه تحت العرش عند مليك مقتدر هناك مجاله وثم [١] مسكنه وقراره ، وليس ثم [٢] نوم وبدنه في الأرض بين أصحابه وعند أزواجه في حيث يكون فيه النوم وسائر الآفات ، فنامت عينه عن الصلاة ولم ينم قلبه عما في الصلاة ؛ لأن الصلاة حركات البدن ، والنوم حل في البدن ، وليس الصلاة مقام القلب ، ولكن في الصلاة مقامه كما قال ﷺ : [٥٢١] « جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ » [٣] ولم يقل : جعلت قرة عيني الصلاة ، فكان في الصلاة مقام لقلبه كما [٤] كانت قرة عينه فيه ، فلم ينم القلب عن ذلك المقام ، ونامت العين عن حركات الصلاة ، كما لم ينس ولكن نسي .

ومعنى « أنسى » أي يجري على ظاهره أحوال النسيان ، والنسيان لا يجري عليه لقوله : « لست أنسى » ؛ لأن النسيان غفلة والغفلة آفة ، وقد بان أن الآفة تجري على ظاهره دون باطنه فكان يسهو ولا ينسى ؛ لأن النسيان غفلة وليس السهو بغفلة فكان يسهو في صلاته [١٣٥/ب] ولم يكن يغفل عنها والسهو شغل [٥] فربما كان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة ، فيقدم أو يؤخر شغلًا فيها لا غفلة عنها ، فكذلك كان ينام عنها ليكون علمًا للناس وسنة للأمة ولا ينام عما فيها فيكون غفلة منه وآفة فيه [٦] .

١١٩
باب في فضل معرفة آل محمد

حديث آخر : [٥٢٢] حدثنا عبد الله بن محمد ح محمد بن عبيد بن خالد ح محمد بن عثمان البَصْرِيُّ ح [محمد بن الفضل ح محمد بن الفضل] [٧] عن [محمد ابن سعد أبي طيبة] [٨] عن المقداد بن الأسود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَعْرِفَةُ

(١) في (س) : ثمة .
(٢) السابق
(٣) سبق في اللوحة رقم (٤/أ) .
(٤) سقط من (س) و (خ) .
(٥) زاد في (س) بعدها : فيها .
(٦) سقط من (س) ومكانه : والله أعلم .
(٧) في (س) و (خ) : محمد بن الفضيل ا.هـ . وهو محمد بن فضل بن غزوان ثقة شيعي ، الكاشف للذهبي (٢١١/٢) رقم (٥١١٥) .
(٨) كذا في الأصل و (س) وهو تصحيف فمحمد بن سعد وهو الأَنْصَارِيُّ الشامي يروي عن أبي ظبية الكلاعي عن المقداد بن الأسود ، تهذيب الكمال (٢٦٠/٢٥) رقم (٥٢٣٩) ويكون الصواب في الإسناد محمد بن سعد عن أبي ظبية .

آلِ مُحَمَّدٍ بَرَاءةٌ [مِنَ النَّارِ] (١) **وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ ، والوَلَايَةُ لآلِ مُحَمَّدٍ أَمَانٌ مِنَ العَذَابِ »** (٢) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : اختلف الناس في آل محمد ، فقال قوم : هم أهل البيت ، وقال آخرون : هم قوم الرجل ، وقال قائلون : آل فرعون أهل ملته ، وقال قوم : هم ولد الرجل ونسله . حدثنا البَغْدَادِيُّ ح أبو العباس الكُدَيْمِيُّ ح محمد بن الطفيل ح شريك عن الأعمش عن يزيد ابن حيان قال : [٥٢٣] « سَأَلْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ مَنْ آلُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : آلُ العَبَّاسِ وآلُ عَلِيٍّ وآلُ جَعْفَرٍ [وآلُ عَقِيلٍ »] رضي الله عنه (٣) .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى ح وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٥٢٤] « **أَنْشُدُكُم اللَّهَ** (٤) **وَأَهْلَ بَيْتِي ، أَنْشُدُكم اللَّهَ وَأَهْلَ بَيْتِي [ثلاثًا] ، فَقُلْنَا لِزَيْدِ بنِ أَرْقَمَ : مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ ؟ قَالَ : آلُ عَلِيٍّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ عَبَّاسٍ** (٥) » (٦) . [١٣٦/أ]

وقال قائلون : آل الرجل ولده ونسله (٧) ، وأنشد بعضهم للنابغة :

قعود على آل الوجيه (٨) ولاحق (٩) يقيمون حولياتها بالمقارع (ن) .

[فآل النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قاله زيد بن أرقم ؛ لأنه جمع أهل بيته وولده ؛ لأن آل علي رضي الله عنه

---

(١) سقط من (س) .

(٢) لم أقف عليه ، وفي إسناده محمد بن عبيد بن خالد ومحمد بن عثمان البَصْرِيُّ ، لم أتعرف عليهما .

(٣) سقط من (س) والحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بلفظ مقارب عن يزيد بن حيان التَّمِيمِيِّ (٥٢/٤) رقم (٦٩٤٣) ، والطبراني في الكبير (١٨٢/٥) رقم (٥٠٢٣) ، وبلفظه مع اختلاف الترتيب (١٨٤/٥) رقم (٥٠٢٩) .

(٤) لفظ الجلالة سقط من (س) .

(٥) في (س) و (خ) : العباس .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن يزيد بن حيان في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب (١٨٧٣/٤) رقم (٢٤٠٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب في فضائل علي (٥١/٥) رقم (٨١٧٥) ، وأحمد في مسنده (٣٦٦/٤) رقم (١٩٢٨٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٤٨/٢) رقم (٢٦٧٩) ، وابن خزيمة في صحيحه (٦٢/٤) رقم (٢٣٥٧) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١١٤/١) رقم (٢٦٥) .

(٧) قاله الشافعي في أحكام القرآن (٧٥/١) .

(٨) في هامش (خ) : الوجيه اسم فرس .

(٩) في هامش (خ) : اللاحق اسم فرس لمعاوية بن أبي سفيان .

ولده] (١) .

قال الشيخ رحمه الله : فقوله ﷺ : « معرفة آل محمد براءة من النار » يجوز أن يكون معناه معرفة حق آل محمد ﷺ ، ومعرفة آل محمد عليهم السلام بإيجاب حقهم ؛ لأن المعرفة حكمها أن يعلم الشيء بالدليل والعلامة .

قال : سمعت أبا القاسم (٢) الحكيم رحمه الله (٣) يقول : (المعرفة معرفة الأشياء بصورها وسماتها والعلم علم الأشياء بحقائقها) ، فإذا كانت المعرفة علم الشيء بصورته وسمته كان معرفة آل محمد بصورتهم وسمتهم أنهم آل علي والعباس وجعفر وعقيل وأنهم آل النبي ﷺ فكأن من عرفهم ، وإنما (٤) عرفهم بالنبي ﷺ (٥) وجب أن يعرف النبي ﷺ بالنبوة والرسالة والفضل على جميع الخلق ، فإذا عرفه بذلك عرف وجوب حقه وأن الله أوجب حقه وألزم حرمته وفرض طاعته ، فإذا عرف ذلك (٦) وعرف آله به عرف حرمتهم وأوجب حقهم لحق النبي ، ومن عرف (٧) النبي بما خصه الله به وعرف ما أوجب الله عليه له من عظيم حرمته ، وواجب حقه وفرض طاعته أداه ذلك إلى القيام بما أوجبه عليه النبي ﷺ من فرائض الله تعالى وسنته ﷺ ، ومن كان كذلك كانت [١٣٦/ب] له براءة من النار ومن قصر [في القيام] (٨) بواجبه فعلًا وصدق به عقدًا وإقرارًا كانت له براءة من الخلود في النار ، فكأنه يقول : معرفة حق آلي معرفة حقي ، ومن عرف حقي عرف حق الله تعالى كما قال النبي ﷺ في الحسن والحسين : [٥٢٥] « **مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالى ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ** » (٩) . فكما كان حب آله حبه ، وحبه حب الله

---

(١) سقط من (خ) .
(٢) في (خ) : العباس .
(٣) سبق التعريف به .
(٤) في (س) : كأنما ا.هـ . وفي (خ) : فإنما .
(٥) زاد في (س) و (خ) بعدها : ومن عرفهم بالنبي .
(٦) زاد في (س) بعدها : عرف النبي ﷺ .
(٧) زاد في (س) بعدها : حق .
(٨) سقط من (س) .
(٩) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب المناقب باب فضائل الحسن والحسين (٤٩/٥) رقم (٨١٦٨) ، وأحمد في مسنده (٢٨٨/٢) رقم (٧٨٦٣) ، والحاكم في مسنده ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٨٢/٣) رقم (٤٧٧٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٨/٤) رقم (٦٦٨٥) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧١/٣) رقم (٦٣٦٩) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢٤٨/١) رقم (٢١١) ، والبزار في مسنده عن عبد الله (٢١٧/٥) ، والطبراني في الكبير عن أبي هريرة (٤٨/٣) رقم (٢٦٤٦) .

تعالى فكذلك معرفة حق آله معرفة حقه ، ومعرفة حقه معرفة حق اللَّه تعالى ، ومعرفة حق اللَّه تعالى براءة من النار .

وقوله : « **حب آل محمد جواز على الصراط** » ؛ لأن النبي ﷺ عند الصراط . حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح عبد اللَّه بن الصباح الهَاشِمِيُّ ح بدل بن المحبر ح حارث[1] بن ميمون الأَنْصَارِيُّ أبو الخطاب ح النضر بن أنس بن مالك عن أبيه رضي الله عنه قال : [٥٢٦] سَأَلْتُ النَّبِيَّ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَقَالَ : « **أَنَا فَاعِلٌ** » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ ؟ قَالَ : « **اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ** » . قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ ؟ قَالَ : « **فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ** » ، قُلْتُ : فَإِنْ لَم أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ ؟ قَالَ : « **فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لا أُخطِئُ هَذِه الثَّلاثَ[2] المَوَاطِنَ** »[3] .

فإذا كان النبي ﷺ على الصراط أجاز آله ومن أحب آله فهو من آله ومع آله قال ﷺ : [٥٢٧] « **المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** »[4] فمن أحب آل محمد كان معهم وهو ﷺ على الصراط فهو لا يؤثر عليهم بل يؤثرهم [١٣٧/أ] .

حدثنا أحمد بن عبد اللَّه الهَرَوِيُّ ح إبراهيم بن محمد بن الهيثم ح داود بن رشيد ح عبد اللَّه بن جعفر عن حميد الأعرج عن مجاهد عن ابن عباس قال : [٥٢٨] أَتَى فِتْيَانٌ مِنْ بَنِي الحارِثِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالُوا : اسْتَعْمِلْنَا عَلَى الصَّدَقَةِ نُصِبْ[5] مَا يُصِيبُ النَّاسَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ الصَّدَقَةَ لا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلا لآلِ مُحَمَّدٍ ، وَلَكِن انْظُرُوا إِذَا أَخَذْتُ بِحَلقَةِ بَابِ الجَنَّةِ هَلْ أُوثِرُ عَلَيْكُم** »[6] .

---

(١) كذا في الأصل و (س) وهذا الحديث بإسناد الترمِذِيِّ وقد وقع عند الترمِذِيِّ [حرب] وهو الصواب ، الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج (٢٨٦/١) رقم (١٠١١) .

(٢) في (س) و (خ) : الثلاثة .

(٣) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصراط ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٦٢١/٤) رقم (٢٤٣٣) ، وأحمد في مسنده (١٧٨/٣) رقم (١٢٨٤٨) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .

(٥) في (س) و (خ) : « نصيب » وهو خطأ نحوي .

(٦) الحديث أخرج نحوه النسائي في سننه الكبرى عن عبد المطلب بن ربيعة في كتاب الزكاة في استعمال آل النبي على الصدقة (٥٨/٢) رقم (٢٣٩١) ، وقد أخرجه الطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٦٩/١١) رقم (١١٠٧٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد اللَّه بن جعفر والد المَدِينِيِّ وهو ضعيف (٩١/٣) ، وعبد اللَّه بن جعفر من رجال إسناد المصنف .

في هذا الحديث إفصاح من النبي ﷺ بأن آل محمد بنو هاشم ، وقد أخبر أنه لا يؤثر عليهم عند باب الجنة أي بإدخالهم الجنة ، فكذلك عند الصراط لا يؤثر عليهم بإجازته وهو مطاع ثم أمين .

وقوله ﷺ : « **الولاية لآل محمد أمان من العذاب** » الولاية هي الموالاة ، والموالاة ضد المعاداة ؛ وقال النبي ﷺ [في علي رضي الله عنه] (١) : [٥٢٩] « **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاه وعَادِ مَنْ عَادَاه** » (٢) ، يعني عليًا رضي الله عنه ، والولاية الصداقة ، والولاية المحالفة ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٣٣] ، قالوا (٣) : الحلفاء ، والولاية النصرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١١] ، أي : لا ناصر لهم ، فالولاية الاختصاص ؛ لأن النصرة والحلف والصداقة اختصاص ، والاختصاص بآل محمد ومصادقتهم ونصرتهم نصرة النبي ﷺ وموالاة النبي ﷺ توجب ولاية الله تعالى ، وولاية الله تعالى توجب الأمان من العذاب ، والعذاب يكون في القبر ، ويكون في عرصة القيامة ، ويكون بالنار فمن أمن [١٣٧/ب] العذاب أمنه من كل وجه .

ويجوز : أن يكون معنى آل محمد ما جاء في الحديث ، قيل : آل محمد كل تقي . حدثنا محمد بن عمر المعدل ح قال : عبد الله بن محمد البَغَوِيُّ ح شيبان بن فروخ ح نافع أبو هرمز عن أنس رضي الله عنه قال : [٥٣٠] قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : « **لَقَدْ سَأَلْتُمُوني عَنْ شَيءٍ مَا سَأَلَني عَنْه المسْلِمُونَ قَبْلَكُم آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ تَقِيٍّ** » (٤) قَالَ

---

(١) سقط من (س) .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بلفظه عن زيد بن أرقم في كتاب المناقب باب فضائل علي (٤٥/٥) رقم (٨١٤٨) ، وابن ماجه في سننه عن البراء بن عازب بلفظ مقارب عن البراء بن عازب في أول كتابه باب فضل علي بن أبي طالب (٤٣/١) رقم (١١٦) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن زيد بن بثيع (١١٨/١) رقم (٩٥٠) والحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله وسكت عنه الذهبي (١١٨/٣) رقم (٤٥٧٦) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي الطفيل (٣٧٦/١٥) رقم (٦٩٣١) ، والبزار في مسنده (١٣٣/٢) رقم (٤٩٢) ، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة (٢٤/٢) رقم (١١١١) ، وفي الكبير عن جرير (٣٥٧/٢) رقم (٢٥٠٥) .

(٣) في (س) : قال .

(٤) الحديث أخرجه الطبراني في الصغير بألفاظ مختلفة مختصرًا عن أنس (١٩٩/١) رقم (٣١٨) ، وقال : تفرد به نعيم بن حماد ، وفي الأوسط (٣٣٨/٣) رقم (٣٣٣٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه نوح بن أبي مريم وهو ضعيف ، وقال ابن حجر في فتح الباري : أخرجه الطبراني ولكن سنده واه جدًا (١٦١/١١) ، والحديث إسناده ضعيف فيه نافع أبو هرمز ، قال =

الحنَفِيُّ : يَا أَبَا حَمْزَةَ كُلُّ تَقِيٍّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : كُلُّ تَقِيٍّ مِنْ آلِ [1] مُحَمَّدٍ ﷺ [وفي رواية] [2] : [٥٣١] قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَنْ آلُكَ ؟ قَالَ : « **كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ نَقِيٍّ مَخْمُومِ** [3] **القَلْبِ** » [4] ، فإذا كان كذلك فمعرفة الأتقياء مخالطتهم ومداخلتهم ، ومن خالط قومًا تخلق بأخلاقهم واقتدى [بأفعالهم وتشبه بأحوالهم ومن تشبه بقوم فهو منهم ، فكأنه قال : من خالط الأتقياء واقتدى بأفعالهم] [5] كان له براءة من النار .

وقوله ﷺ : « **حب آل محمد جواز على الصراط** » . فآل محمد كل تقي ، فمن أحب الأتقياء كان معهم بقوله : [٥٣٢] « **المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ** » . وأخرى أن المحبة توجب محبة أوصاف المحبوب ، وكل من أحب أحدًا أحب أوصافه وأخلاقه ، ومن أحب شيئًا اقتناه وحازه وسعى في تحصيله عنده فكان من أحب الأتقياء أحب أفعالهم ، وإذا أحب أفعالهم سعى في تحصيلها ، وأفعالهم التقوى ، فمن حصل التقوى فهو متقٍ [6] ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [مريم : ٧٢] فصح جوازهم على الصراط والولاية للأتقياء الاختصاص بهم والمصادقة معهم والمصافاة [١٣٨/أ] لهم ، وهذه الأوصاف توجب الاتصاف بصفتهم ومن اتصف بأوصاف الأتقياء فهو متقٍ [7] ، والمتقون آمنون من العذاب ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥] [8] ، ومن كفرت سيئاته وأعظم [9] له [10] أجر حسناته أمن من العذاب لا محالة .

= الذهبي في ميزان الاعتدال : ضعفه أحمد وجماعة وكذبه ابن معين مرة ، وقال أبو حاتم : متروك ذاهب الحديث ، وقال النسائي : ليس بثقة (٨/٧) رقم (٩٠٠٧) .

(١) في (خ) : أمة . (٢) سقط من (س) .

(٣) في (س) و (خ) : مخموم بالخاء المعجمة . قال الحسن بن عبد اللّه العسكري : (ومما يصحف قوله ﷺ وسئل : أي الناس خير ؟ فقال : « كل صادق مخموم القلب » بالخاء معجمة ومن لا يضبط يرويه محموم القلب) ، تصحيفات المحدثين (٢٤٤/١) ، قال ابن منظور في لسان العرب : قلب مخموم ، أي : نقي من الغل والحسد ، مادة (خمم) ، (١٩٠/١٢) .

(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء بألفاظ مختلفة عن أنس (٢٨٦/٤) رقم (١٨٧٩) ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية : هذا حديث لا يصح عن رسول اللّه ﷺ (٢٦٦/١) رقم (٤٢٩) .

(٥) سقط من (س) . (٦) في الأصل : متقي .

(٧) في الأصل : متقي .

(٨) زاد في (س) بعدها : وباللّه التوفيق ومن يتولى الأتقياء تولاه اللّه واللّه تعالى الهادي .

(٩) في هامش (خ) : عظم . (١٠) سقط من (خ) .

١٢٠

باب في فضل العفو

حديث آخر : [٥٣٣] حدثنا أبو سعيد ح [١] حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ أخ أبو الأحوص عن أبي حمزة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ دَعَا عَلَى ظَالِمِهِ** [٢] **فَقَدِ انْتَصَرَ** » [٣] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : كان رسول الله مشفقًا على أمته عطوفًا عليهم رحيمًا بهم ، كما ذكره الله تعالى في كتابه [٤] : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، فمن شفقته عليهم ورأفته بهم كان يحب العفو من المظلوم عن الظالم له ويحب التجاوز ويكره الانتصار والانتقام للنفس والخصومة لها ويحب الستر على المسلمين . قال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٥٣٤] « **مَنْ سَتَرَ عَلَى [أَخِيهِ المسْلِمِ]** [٥] **سَتَرَه** [٦] **اللَّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ** » [٧] ، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٥٣٥]

---

(١) كذا في الأصل و (س) وقد ورد في غير حديث في هذا الكتاب أن أبا سعيد كنية لحاتم بن عقيل شيخ المصنف .

(٢) في هامش الأصل وفي (س) : من ظلمه .

(٣) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن عائشة باب في دعاء النبي ﷺ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي حمزة وقد تكلم أهل العلم في أبي حمزة وهو ميمون الأعور (٥٥٤/٥) رقم (٣٥٥٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٤/٦) رقم (٢٩٥٧٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٣٣/٧) رقم (٤٤٥٤) ، وابن عدي في الكامل (٤١٢/٦) رقم (١٨٩٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٤٢/١) رقم (٣٨٦) ، وقد حكم العجلوني في كشف الخفاء على الحديث بالضعف (٣٢٥/٢) رقم (٢٤٧٣) .

(٤) زاد في (س) بعدها : بقوله .

(٥) في (س) : مسلم .

(٦) في (س) : ستر .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمر في كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٨٦٢/٢) رقم (٢٣١٠) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٠٧٤/٤) رقم (٢٦٩٩) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الحدود باب ما جاء في الستر على المسلم (٣٤/٤) رقم (١٤٢٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الرجم في الستر على الزاني (٣٠٨/٤) رقم (٧٢٨٤) ، وابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨٢/١) رقم (٢٢٥) .

« **مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ** [(١)] **إلا زَادَه اللَّهُ بها عِزًّا** » [(٢)] ، وقال ﷺ : [٥٣٦] « **يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لا تُؤْذُوا المسْلِمِينَ وَ [لا]** [(٣)] **تُعَيِّرُوهُم ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِم فَإِنَّه مَنْ يَتَّبِعْ** [(٤)] **عَوْرَةَ أَخِيهِ المسْلِمِ يَتَّبِع اللَّهُ عَوْرَتَه وَمَنْ يَتَّبِع اللَّه عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ** » حدثناه نصر بن الفتح [١٣٨/ب] ح أبو عيسى ح يحيى بن أكثم والجارود بن معاذ قالا [(٥)] : ح الفضل بن موسى ح الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ [(٦)] .

كل ذلك من النبي شفقة على المؤمنين ورأفة بهم ، فكان يحب العفو عنهم وترك الانتصار من الظالم للمظلوم ، وربما ترك المظلوم الانتصار من جهة الاستعداء على ظالمه ويدعه ولا يطالبه بمظلمته [(٧)] ولكن يدعو عليه ويريد أن يذوق [(٨)] وبال أمره ، وهو مع هذا يرى أنه قد عفا عن ظالمه حين ترك الاستعداء عليه والانتقام منه لنفسه ، فأخبر ﷺ أن الداعي على ظالمه منتصر وليس بعافٍ [(٩)] عنه ولا متجاوز ، ومن عفا وجب أجره

---

(١) في (س) : ظلمة .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٢٣٥/٢) رقم (٧٢٠٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧٤/٦) رقم (٨١٣٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (٩٧/٤) رقم (٢٤٣٨) ، وابن عدي في الكامل (١٣١/٥) رقم (١٢٩٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١١/٢) رقم (٧٨٣) ، والطبراني في الصغير عن أم سلمة (١٠٢/١) رقم (١٤٢) ، وفي الأوسط (٣٧٤/٢) رقم (٢٢٧٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه زكريا بن دويد وهو ضعيف جدًا (١٠٥/٣) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (س) : تتبع ا.هـ . وهو الموافق لرواية الترمِذِيِّ وأحمد ، أما « يتبع » فهو الموافق لرواية الطبراني وقد تكررت في الحديث .

(٥) في (س) : قال .

(٦) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن ابن عمر في كتاب البر والصلة باب ما جاء في تعظيم المؤمن ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد (٣٧٨/٤) رقم (٢٠٣٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي برزة الأسلمي (٤٢٠/٤) رقم (١٩٧٩١) ، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١٨٦/١١) رقم (١١٤٤٤) ، قال ابن أبي حاتم في العلل : سألت أبي عن حديث رواه الفضل بن موسى السيناني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أنه ..... [وساقه] قال أبي : لا يعرف أوفى عن نافع ولا أدري ما هو (٣٠٦/٢) رقم (٢٤٢٩) .

(٧) في هامش (خ) : المظلمة ما تطلبه عند الظالم .

(٨) زاد في (س) بعدها : الظالم .

(٩) في الأصل : بعافي ا.هـ . وهو خطأ نحوي .

على اللَّه فكأنه أخبر أن المنتصر بيده ولسانه ، والمستعدي عليه قد استوفى حقه من ظالمه فلا سبيل عليه في انتصاره ولكن لم يجب أجره على اللَّه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى : ٤١] ، وقال : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى : ٤٠] ، وقال (١) : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور : ٢٢] ، فقوله ﷺ : « **من دعا على ظالمه فقد انتصر** » تعريض منه لكراهة الانتصار وإشارة إلى العفو الذي ندب اللَّه إليه ، ولذلك قال لعائشة وسمعها تدعو على سارق سرقها : [٥٣٧] « **لا تُسَبِّخِي** (٢) **عَنه بِدُعَائِكِ عَلَيهِ** » رواه أبو عبيد عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء [١٣٩/أ] عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ (٣) ، وفسر أبو عبيد قوله : « **لا تسبخي عنه** » لا تخففي عنه .

فقول النبي ﷺ لعائشة : « **لا تسبخي عنه** » زجر لها عن الانتقام والانتصار من السارق غير أنه أتاها من ألطف الوجوه ؛ لأنها كانت في أول ما أصابها فقلقت (٤) لذلك (٥) وأرمضت (٦) ، فخشي النبي ﷺ أنه إن صرح لها ألا تدعو على سارقها وتعفو عنه لم تسخ نفسها لذلك ولم تطاوعها فأخبرها أنها تخفف عنه بدعائها عليه ، وهي ترى أنها تثقل عليه وتريد الانتقام منه بأغلظ العقوبة وأشد العذاب ، فقال لها : تريدين التغليظ عليه (٧) وأنت تخففين بدعائك عليه عنه ؛ لتطيب نفسها بترك الدعاء عليه فلا تدعو عليه ، وهي إذا تركت الدعاء عليه والتتبع له وأخذ الظلامة منه فقد عفت عنه فوجب أجرها على اللَّه ، وأشفق ﷺ عليها وأحب لها أن لا تحرم أجرها على اللَّه تعالى وأشفق على سارقها أن يؤاخذ بجنايته عليها بدعائها عليه ، فصرفها عن الانتقام

---

(١) زاد في (خ) بعدها : ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

(٢) لا تسبخي : أي : لا تخففي عنه الإثم الذي استحقه بالسرقة ، النهاية مادة (سبخ) ، (٣٣٢/٢) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه دون قوله : « بدعائك عليه » عن عائشة في كتاب الوتر باب الدعاء (٨٠/٢) رقم (١٤٩٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب قطع السارق باب لعن السارق (٣٢٧/٤) رقم (٧٣٥٩) ، وأحمد في مسنده (٤٥/٦) رقم (٢٤٢٢٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٤/٦) رقم (٢٩٥٧٧) ، والطبراني في الأوسط (١٨٤/٤) رقم (٣٩٢٥) .

(٤) في هامش الأصل : اضطربت .

(٥) في (خ) : بذلك .

(٦) أرمضت : الرمض حرقة الغيظ ، لسان العرب مادة (رمض) ، (١٦١/٧) .

(٧) سقط من (س) .

والانتصار بألطف الوجوه ودعا إلى العفو الذي أحبه الله ورسوله . وليس قوله ﷺ : « **لا تسبخي عنه** » كراهة أن يخفف عنه ، بل فيه إشارة إلى العفو وندب إلى التجاوز ، وكيف يكره التخفيف عن الظالم وهو إلى ذلك يدعو وعليه يحث بقوله : [٥٣٨] « **مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إلا زَادَه اللَّهُ تَعَالى بِهَا عِزًّا** » [١] ويتلو عليها ما أنزل الله عليه من قوله : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ ﴾ الآية [النور: ٢٢] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا [١٣٩/ب] مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧] ، وقوله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣] ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها : [٥٣٩] « **مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ قَطُّ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا انْتُهِكَ شَيءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالى كَانَ أَشَدَّهُم في ذَلِكَ** » حدثناه حاتم [٢] ح يحيى الحِمَّانِيُّ أخ قيس وحماد بن شعيب عن منصور عن الزُّهْرِيُّ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها [٣] .

١٢١
باب في امتناع الخلق عن إدراك ذات الله

حديث آخر : [٥٤٠] حدثنا أبو بكر محمد بن مهرويه بن العباس الرَّازِيُّ ح الحسن ابن [٤] داود [٥] بن سيار بن دينار النجار بهمذان ح ابن طريف ح المُحَارِبِيُّ ح عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « **قَالَ اللَّهُ تَعَالى : الكِبْرِيَاءُ** [٦] **رِدَائِي والعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيتُه في النَّارِ** » [٧] .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٣٨/ب) .
(٢) زاد في (س) بعدها : ح يحيى قال .
(٣) الحديث أخرجه الحميدي في مسنده بألفاظ مختلفة عن عائشة (١٢٥/١) رقم (٢٥٨) ، وأسلم بن سهل الوَاسِطِيُّ في تاريخ واسط (٢٥٣/١) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢٦/٨) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٤٩/٨) .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) في (س) و (خ) : يزداد .
(٦) في هامش (س) التوضيح الآتي : الكبرياء : هو الترفع عن الانقياد ، والعظمة هو : الامتناع عن أن يحيط به غيره ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فهذا معنى القيومية ؛ إذ هو القائم بذاته القيم لغيره فهاتان الصفتان مختصتان لا يشاركه غيره في شيء فيهما لا لفظًا ولا معنى ولا حقيقة ولا مجازًا (شرح) . ا.هـ .
(٧) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللّٰهُ : يجوز أن يكون الرداء - إن شاء اللّٰه - عبارة عن الجمال والكمال [١] والبهاء ، والإزار عبارة عن الجلال والستر والحجاب [٢] فكأنه تعالى يقول : لا يجمل الكبرياء ولا يحسن بأحد إلا بي ؛ لأن من دون اللّٰه فصغار [٣] الحدث له لازم ، وسمة العجز عليه ظاهر ، والافتقار والاضطرار عليه بين فكيف يجمل الكبرياء بمن لا ينفك عن الحدث والاضطرار والعجز والافتقار ، بل يجمل [٤] ذلك بالقادر القهار القوي الجبار الغني العلي الواهب الوفي سبحانه ليس كمثله شيء .

والإزار عبارة عن الحجاب والستر ، والامتناع عن الإدراك ، والإحاطة به علمًا ، والكيفية لذاته [١٤٠/أ] وصفاته كأن معناه : حجبت خلقي عن إدراك ذاتي وكيفية صفاتي بالعظمة والجلال [والإحاطة به علمًا والكيفية لذاته وصفته] [٥] ، فقد خرست الألسن عن كنه صفاته وخنست العقول عن كيفية ذاته وحسرت الأوهام عن حقائق نعوته [٦] ؛ إذ هو اللّٰه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ومعنى المنازعة : الدعوى قولًا وعبارة ، والإضمار [٧] فعلًا وإشارة ، واللّٰه أعلم بحقيقة المعنى [٨] فيه والمراد منه .

= (٥٩/٤) رقم (٤٠٩٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب البراءة من الكبر والتواضع (١٣٩٧/٢) رقم (٤١٧٤) ، وأحمد في مسنده (٣٧٦/٢) رقم (٨٨٨١) ، والحاكم في المستدرك بنحوه ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، وتعقبه الذهبي ، قال : أخرجه مسلم (١٢٩/١) رقم (٢٠٣) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (٣٥/٢) رقم (٣٢٨) ، والحميدي في مسنده بلفظه (٤٨٦/٢) رقم (١١٤٩) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بألفاظ مختلفة (٣٠٥/١) رقم (٢٨٥) ، وهناد بن السَّرِيّ في الزهد (٤٢١/٢) رقم (٨٢٥) ، وابن عدي في الكامل عن ابن عباس (٣٦٣/٥) رقم (١٥٢٢) ، وقد ذكره الدارقطني في العلل ، وقال : والصحيح حديث الأغر عن أبي هريرة (٢٩٠/٨) .

(١) سقط من (س) و (خ) .

(٢) في هامش الأصل التعليق الآتي : وقيل فيه معنى آخر ، كما أن الإنسان لا يشركه في إزاره وردائه غيره فكذلك ليس للّٰه تعالى في هاتين الصفتين شريك ا.هـ .

(٣) في (خ) : فصفات .

(٤) في هامش الأصل التعليق الآتي : معنى الجمال في صفات اللّٰه تعالى كونه بصفات حميدة ، من عرفه بها فقد أحبه لا محالة ا.هـ .

(٥) سقط من (س) و (خ) .

(٦) في (خ) : صنعه .

(٧) سقط من (س) .

(٨) في (خ) : الحال .

(١٢٢)

باب في النهي عن الأهواء المضلة

حديث آخر : [٥٤١] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ أخ خالد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تَبَاغَضُوا ولا تَنَافَسُوا ولا تَدَابَرُوا وكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** » [١] .

قال الشيخ ﷺ : في قوله : « **لا تباغضوا** » إشارة إلى [النهي عن] [٢] الأهواء المضلة والآراء المختلفة ، ونهي عن النحل التي تخالف ما عليه السواد الأعظم ، وتخرج عن السنة الناطقة [٣] ، والكتاب المحكم ؛ لأن المخالفة في الدين هي العلة الموجبة للتباغض وليس ما دونه من سائر المخالفات ، وأنواع المنازعات في خصومات الأنفس ، ومظالم الأموال ، ومطالبات الحظوظ والولايات سبب التباغض بين المؤمنين ؛ لأن المؤمنين المتحققين بإيمانهم لا تبلغ مطالبات حظوظ أنفسهم وخصومات الأموال والجنايات بينهم مبلغًا يوجب التباغض بينهم ، ألا ترى إلى ما كان بين الصحابة من المنازعات في الخلافة والمخالفات في الولاية لم يبلغ بهم مبلغ البغضاء بينهم ، قال علي ﷺ [٥٤٢] : « **إِخْوَانُنَا بَغَوْا [١٤٠/ب] عَلَيْنَا** » [٤] ، وقال أيضًا وتلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ، فقال : [٥٤٣] « **أَنَا مِنْهُم وأَبُو بَكْرٍ مِنْهُم وعُمَرُ مِنْهُم والزُّبَيْرُ مِنْهُم وطَلْحَةُ مِنْهُم وعُثْمَانُ مِنْهُم**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٢٢٥٣/٥) رقم (٥٧١٧) ، ومسلم في صحيحه بلفظه مع اختلاف في الترتيب في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (١٩٨٦/٤) رقم (٢٥٦٣) ، وأبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن أنس بن مالك في كتاب الأدب باب فيمن يهجر أخاه المسلم (٢٧٨/٤) رقم (٤٩١٠) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الحسد ، وقال : حسن صحيح (٣٢٩/٤) رقم (١٩٣٥) ، ومالك في الموطأ (٩٠٧/٢) رقم (١٦١٥) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٢٨٧/٢) رقم (٧٨٤٥) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) في (س) : المناطقة .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه عن أبي البَخْتَرِيِّ قال : سئل علي عن أهل الجمل ، قال : قيل : أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا ، قيل : أمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا . قيل : إخواننا بغوا علينا (٥٣٥/٧) رقم (٣٧٧٦٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٧٣/٨) رقم (١٦٤٩٠) .

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِنْهُم - أَوْ قَالَ : سَعْدٌ مِنْهُم - وأُقِيمَتْ الصَّلاةُ فَقَامَ وهُوَ يَقْرَأُ [١] : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] » حدثناه أبو رجاء أحمد بن داود ح نصر بن أحمد ح الحسن بن عرفة حدثني محمد بن الحسن عن ليث [٢] بن أبي سليم [٣] عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير قال : « سَمُرْتُ مَعَ عَلِيٍّ ﷺ فَتَلا هَذِه الآيَةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ » [٤] .

وقال معاوية في علي ﷺ : ما حدثنا محمد بن عبد الله بن يوسف العماني [٥] ومحمد بن محمد بن الأَزْهَرِيُّ [٦] [قال : ح الكُدَيْمِيُّ قال : العماني ح] [٧] عمرو [٨] ابن عثمان النَّمَرِيُّ [٩] بَصْرِيٌّ وقال الأَزْهَرِيُّ : حدثنا وهب بن عمرو [١٠] بن عثمان - وهو الصواب - ح أبي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس [بن حازم] [١١] قال : [٥٤٤] جَاءَ رَجُلٌ إِلى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَه عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَقَالَ : سَلْ عَنْهَا عَلِيًّا ﷺ هُوَ أَعْلَمُ . فَقَالَ : إِنِّي [١٢] أُرِيدُ جَوَابَكَ فِيهَا [١٣] يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فِيهَا . فَقَالَ : وَيْحَكَ لَقَدْ كَرِهْتَ رَجُلًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [يَغرّه بِالعِلْم غرًّا] [١٤] وَلَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَنْتَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى** » ، وَلَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ يَسْأَلُهُ فَيَأْخُذُ عَنْه ، وَكَانَ إِذَا أُشْكِلَ عَلَى عُمَرَ شَيْءٌ ، قَالَ : هَا هُنَا عَلِيٌّ . قُمْ لا أَقَامَ اللَّهُ رِجْلَيْكَ ، وَمَحَا اسْمَه مِنْ الدِّيوَانِ » [١٥] .

---

(١) في (خ) : يقول . (٢) في (خ) : ثابت .
(٣) في (س) : مسلم .
(٤) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل عن النعمان بن بشير وكان ممن يسمر مع علي أن عليًّا خرج فتلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ، قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير فما زال يتلو حتى دخل الصلاة (١٢٢/٣) رقم (٦٥٠) .
(٥) في (س) : النعماني . (٦) في (س) و (خ) : الأزهر الأَشْعَرِيُّ .
(٧) سقط من (س) . (٨) في (خ) : محمد .
(٩) النَّمَرِيُّ : بفتح النون والميم وفي آخرها الراء . هذه النسبة إلى النمر ، الأنساب (٤٤٠/٤) .
(١٠) في (خ) : عمر .
(١١) في (س) و (خ) : بن أبي حازم ا.هـ . وهو الصواب ، طبقات الحفاظ للسيوطي (٢٩/١) رقم (٤٧) .
(١٢) سقط من (س) و (خ) . (١٣) سقط من (س) .
(١٤) يغره بالعلم غرًّا : أي يلمه : إياه ، يقال : غرَّ الطائر فرخه إذا زقه ، النهاية مادة (غرر) ، (٣٥٧/٣) .
(١٥) الحديث أخرجه بتمامه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة بألفاظ مختلفة عن قيس بن أبي حازم (٦٧٥/٢) رقم (١١٥٣) ، وقد أخرج مسلم قوله ﷺ : « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى** » في صحيحه =

هذا إلى كثير من الأخبار التي تدل على أن منازعتهم الخلافة ومجاذبتهم الولاية [١٤١/أ] لم يؤد بهم إلى التباغض فدل قوله ﷺ : « **لا تباغضوا** » ، أي : لا تختلفوا في النحل والآراء ولا تباينوا في المذاهب والأهواء فتباغضوا لها ؛ لأن البدعة في الدين والضلال عن الطريق المستقيم يوجب البغض عليه وترك الموالاة فيه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [النساء: ١١٥] ، وقال تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] .

وقوله : « **ولا تنافسوا** » ، أي : لا ترغبوا في الدنيا ولا تحرصوا عليها ولا تضنوا بها ؛ لأن المنافسة إذا كانت في العلم باللَّه والعبادة للَّه والفهم عن اللَّه كانت واجبة مدعوًّا إليها ، وإنما تكون مرفوضة مدعوًّا عنها إذا كانت في الدنيا ، وقد ورد الخبر بقوله : [٥٤٥] « **مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالاً مُكَاثِرًا مُفَاخِرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ** » [(١)] ، فالمنافسة المنهي عنها هي المنافسة في الدنيا وحطامها ، والمنافسة فيها تؤدي إلى الحرص عليها والجمع لها والاستكثار منها والضن بها ، فقوله : « **لا تنافسوا** » نهي عن هذه الأسباب وزجر عن هذه الأوصاف .

وقوله : « **لا تدابروا** » ، أي : لا تخاذلوا ولا تغتابوا ولا يبغي بعضكم لبعض غائلة ، بل تعاونوا كما أمر اللَّه تعالى بقوله [(٢)] : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] ، وبقوله : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وقوله : « **وكونوا عباد اللَّه إخوانًا** » ، أي : لا تترافعوا ولا تتعالوا فإنكم كلكم عباد اللَّه .

وقوله : « **إخوانًا** » يدل على ما قلنا في التدابر ؛ لأن التخاذل هو إعراض كل واحد منهما عن صاحبه وهو التدابر [١٤١/أ] ؛ لأن كل واحد إذا أعرض عن صاحبه كان دبره إلى صاحبه وليست هذه صفة الأخوة ، بل صفة الأخوة التقابل وأن يكون وجه كل واحد منهما إلى صاحبه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]

= بلفظه عن سعد بن أبي وقاص في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب (١٨٧٠/٤) رقم (٢٤٠٤) ، والترمذيُّ في جامعه في كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب (٤٦١/٥) رقم (٣٧٣١) ، وابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب فضل علي بن أبي طالب (٤٥/١) رقم (١٢١) ، وأحمد في مسنده عن سعيد بن المسيب (١٧٩/١) رقم (١٥٤٧) ، وقد ذكر ابن حجر حديث قيس بن أبي حازم ولم يعلق عليه ، فتح الباري (٣٤٣/١٣) .

(١) سبق في اللوحة رقم (٥٥/أ) .

(٢) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

فوصف الإخوان بالتقابل وهو ألا يعرض كل واحد منهما عن صاحبه فهو (١) أن لا يخذله ولا يجعله عن دبر منه ، ولا يدبره بسوء قولًا فيكون غيبة أو فعلًا فيكون بغيًا (٢) .

(١٢٣) باب في اختلاف الأنفس في منازعة الدنيا

حديث آخر : [٥٤٦] حدثنا أحمد بن [عبد اللَّه الهَرَوِيُّ] (٣) ح أبو الفضل أحمد ابن نجدة بن العريان ح يحيى بن عبد الحميد ح حماد عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد اللَّه ﷺ قال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ . قَالَ : فَنَزَلَتْ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] ، فَقَالَ : هَذَا أَهْوَنُ (٤) .

قال الشيخ رحمه الله : قوله ﷻ : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] ، فقال (٥) : معناه يجعلكم متفرقين مختلفين .

قال : فيجوز أن تكون الفرقة والاختلاف التي توعد اللَّه هذه الأمة أن يلقيه فيها وبينها في المنازعات ، ومطالبة حظوظ الأنفس من الولاية والخلافة وأسباب الدنيا ، فتكون الفرقة بينهم فرقة الأبدان ، واختلاف الأنفس في منازعة الدنيا ، ومجاذبة الملك

---

(١) في (خ) : و .

(٢) زاد في (س) بعدها : واللَّه أعلم بمعنى الخبر ، لا تباغضوا : أي لا تختلفوا في الآراء ، ولا تباينوا في المذاهب والأهواء فتباغضوا لها ؛ لأن البدعة توجب البغض وترك الموالاة ا.هـ .

(٣) في (س) : عبد اللَّه بن الهَرَوِيِّ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن جابر في كتاب التفسير باب : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾ [الأنعام: ٦٥] ، (١٦٩٤/٤) رقم (٤٣٥٢) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنعام ، وقال : حسن صحيح (٢٦١/٥) رقم (٣٠٦٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب سورة الأنعام قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ [الأنعام: ٥٢] ، (٣٤١/٦) رقم (١١١٦٥) ، وأحمد في مسنده (٣٠٩/٣) رقم (١٤٣٥٥) ، والحميدي في مسنده (٥٣٠/٢) رقم (١٢٥٩) ، وسعيد بن منصور في سننه (٢٣/٥) رقم (٨٨٢) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٧٦/١) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٢٩/١) رقم (٣٠٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٧٠/٣) رقم (١٩٨٢) ، والطبراني في الأوسط (٣٦/٩) رقم (٩٠٦٨) .

(٥) في (س) : قيل .

فيها وطلب الرفعة والعلو فيها وجمع حطامها والاستيلاء على الأمر فيها دون الفرقة ، [١٤٢/أ] والاختلاف في الدين والتباين في الأهواء المضلة والآراء المغوية التي تخرج إلى نفي ذاته أو [١] تعطيل صفاته الذي يرجع أكثرها إلى الخروج عن الملة ، فقد روي أن رجلًا جاء إلى معاوية فقال له : [٥٤٧] « جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَكْذَبِ النَّاسِ وَأَجْبَنِ النَّاسِ وأَبْخَلِ النَّاسِ - يَعْنِي عَلِيًّا ﷺ - فَأَعْطَاه مُعَاوِيَةُ [٢] وَأَكْثَرَ لَهُ ثُمَّ خَلا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ كَيْفَ قُلْتَ : أَكْذَبُ النَّاسِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ رَسُولَ اللَّهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَهُوَ الصِّدِّيقُ الأكْبَرُ ؟ وَكَيْفَ قُلْتَ : أَجْبَنُ النَّاسِ وقَدْ عَلِمَتِ العَرَبُ أَنَّه لَيْسَ فِيهَا أَشْجَعُ مِنْهُ ؟ وكَيْفَ قُلْتَ : أَبْخَلُ النَّاسِ ومَا جَمَعَ قَطُّ صَفْرَاءَ ولا بَيْضَاءَ - أو كلامًا هذا معناه - ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إنْ [٣] كَانَ كَمَا تَقُولُ فَعَلامَ تُقَاتِلُهُ ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : عَلَى أَنْ [تَحُوزَ طِينَة] [٤] هَذَا الخَاتَمِ في الأَرْضِ » [٥] .

فأخبر أن قتاله إياه واختلافه عليه ومفارقته إياه لم يكن للدين ، وإنما كان للدنيا ، فافترقوا للدنيا واجتمعوا في الدين فكل من ملك نصر الدين وأهله وقمع الشرك وأهله فتحوا الأمصار وأسلموا الكفار وقمعوا الفجار ودعوا إلى كلمة التقوى ومن الضلالة إلى الهدى ، جمعهم الدين وفرقتهم الدنيا فأذاقهم اللّٰه بأسهم وقتلهم بأيديهم ، وأفناهم على سلامة من اعتقاداتهم ، واجتماعهم على صلواتهم ، وإقامة شهاداتهم فكان بأسهم الذي أذيقوه كفارة لما اجترحوه وتمحيصًا فيما اكتسبوه [١٤٢/ب] .

قال النبي ﷺ : [٥٤٨] « **إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ مَغْفُورَةٌ [٦] لَهَا ، جَعَلَ اللّٰهُ تَعَالى عَذَابَهَا بِأَيْدِيهَا في الدُّنْيَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أعْطَى اللّٰهُ تَعَالى كُلَّ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الأَدْيَانِ فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ** » حدثناه عبد اللّٰه بن محمد بن يعقوب ح عبد الصمد بن الفضل ح عبد اللّٰه بن يزيد المُقْرِئُ عن سعيد بن أبي أيوب ، حدثني أبو القاسم - رجل من أهل حمص - عن عمرو بن قيس السَّكُونِيِّ [٧] عن أبي بردة

---

(١) في (س) : و .
(٢) سقط من (س) .
(٣) في (خ) : فإن .
(٤) في (خ) : تجوز طبينة ا.هـ . وفي هامشها : عبارة عن نفاذ الأمر في الأرض .
(٥) لم أقف عليه .
(٦) في (س) و (خ) : مغفور .
(٧) السَّكُونيّ : بفتح السين ، وضم الكاف ، وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى السَّكُون ، وهو بطن من كندة ، الأنساب (٤١/٣) .

عن[(١)] أبي موسى الأَشْعَرِيِّ عن أبيه عن النبي ﷺ [(٢)] .

وحدثنا محمد بن نعيم السمرقندي ح أبو [(٣)] نعيم بن ناعم ح عثمان بن أبي شيبة ح الحسن بن موسى ح سعيد بن زيد ح ليث بن أبي سليم عن أبي بردة عن أبي موسى ﷺ قال : قال النبي ﷺ : [٥٤٩] « **إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، إِنَّمَا جُعِلَ عَذَابُهَا فِي القَتْلِ والزَّلازِلِ والفِتَنِ** » [(٤)] .

فلما كان اختلافهم فيما دون التوحيد من الشرائع التي يجوز الاختلاف فيها والاختلاف فيها رحمة للمسلمين وتوسعة من الله تعالى ؛ لئلا يضيق بهم الأمر ولا يحملوا ما لا يطيقون من إصابة الحق الذي هو محض الحق ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فلم يكلفوا ما لا يستطيعون ، لم يبق إلا أن يحمل قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ٦٥] على الاختلاف في طلب الدنيا ، وتكون المقاتلة لأجلها وهو عقوبة اختلافهم ، وذلك هو العذاب الذي قال : كان [(٥)] عذابها بأيديها ؛ لذلك قال النبي ﷺ : « **هذا أهون** » ولو كان تفرقهم واختلافهم في أصل الدين وعقدة [١٤٣/أ] التوحيد ، لكان ذلك أشد من الصاعقة التي تأتيهم من فوقهم والحجارة التي يرمون بها من السماء والخسف الذي يغتالون به من تحت أرجلهم ؛ إذ قد يجوز أن يكون الخسف والقذف يصيب من تكون عاقبته إلى

---

(١) في (س) و (خ) : ابن ا.هـ . وهو الصواب وما في الأصل تصحيف ؛ إذ راوي الحديث كما ورد أبو موسى الأَشْعَرِيُّ لا أبوه .

(٢) الحديث أخرجه عبد بن حميد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ (١٩٠/١) رقم (٥٣٧) ، وأبو بكر الإسماعيلي في المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي (٥٣٠/٢) ، وأبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة (١٥٥/١) ، والطبراني في الصغير (٢٥/١) رقم (٥) ، وفي الأوسط (٥/١) رقم (١) ، وفي مسند الشاميين (٢٦٧/١) رقم (٤٦٥) .

(٣) في (س) : أبي .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي موسى في كتاب الفتن والملاحم باب ما يرجى في القتل (١٠٥/٤) رقم (٤٢٧٨) ، وأحمد في مسنده (٤١٨/٤) رقم (١٩٧٦٧) ، والحاكم في المستدرك ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٩١/٤) رقم (٨٣٧٢) ، ونعيم بن حماد في الفتن (٦١٤/٢) رقم (١٧٠٧) ، والبزار في مسنده (١٠١/٨) رقم (٣٠٩٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦١/١٣) رقم (٧٢٧٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨/٧) رقم (٩٧٩٩) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٠/٢) رقم (٩٦٨) ، والطبراني في مسند الشاميين (٢٦٨/١) رقم (٤٦٦) .

(٥) سقط من (خ) .

رحمة اللَّه من الأطفال الصغار ومن لم يقترف الذنوب من الكبائر ، ولا يجوز أن يرحم اللَّه الكفار والمشركين الفجار .

حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح أبو بكر بن عياش بن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد اللَّه بن القبطية (١) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : [٥٥٠] « يَعُوذُ عَائِذٌ بِاليَثْرِبِ (٢) فَيَبْعَثُ اللَّهُ بَعْثًا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِم » . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا ؟ قَالَ : « يُخْسَفُ بِهِم مَعَهُم ، وَلَكِنَّه يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ » ، قَالَ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : « بِبَيْدَاءِ المَدِينَةِ » (٣) .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح (٤) ابن عيينة عن جامع بن أبي راشد عن منذر عن الحسن بن محمد عن امرأة عن عائشة رضي الله عنها [أن النبي ﷺ] (٥) قال : [٥٥١] « إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الأَرْضِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَهْلِ الأَرْضِ بَأْسَه » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ [وفِيهِم طَاعَةَ اللَّهِ] ؟ (٦) قَالَ : « نَعَم ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ » (٧) .

فأخبر بأنه يخسف بمن يفضي إلى رحمة اللَّه ، فقد ظهر بأن الاختلاف في الدين

---

(١) في (س) : القيطبية . وهو خطأ ، معرفة الثقات للعجلي (١١٣/٢) رقم (١١٦٩) .

(٢) في (س) و (خ) : بالبيت ا.هـ . وهو الموافق لروايات ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه والطبراني الآتي بيان تخريجها .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أم سلمة في كتاب الفتن باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٢٢٠٨/٤) رقم (٢٨٨٢) ، وأبو داود في سننه في أول كتاب المهدي (١٠٨/٤) رقم (٤٢٨٩) ، وأحمد في مسنده (٢٩٠/٦) رقم (٢٦٥٣٠) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٤٧٥/٤) رقم (٨٣٢١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٦٠/٧) رقم (٣٧٢١٩) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١٢٢/١) رقم (٧٤) ، والطبراني في الكبير (٤٠٩/٢٣) رقم (٩٨٤) .

(٤) في (س) : أخ .

(٥) سقط من (س) .

(٦) كذا وفي العبارة سقط وتمامه كما ورد بكل روايات الحديث الآتي تخريجها : « وفيهم أهل طاعة اللَّه » .

(٧) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن عائشة (٤١/٦) رقم (٢٤١٧٩) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة وسكت عنه الذهبي (٥٦٨/٤) رقم (٨٥٩٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ مقارب (٤٥٩/٧) رقم (٣٧٢١٥) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٥٢٧/٢) رقم (١١٠٨) ، ونعيم بن حماد في الفتن بألفاظ مختلفة (٦٢١/٢) رقم (١٧٣٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة (٩٨/٦) رقم (٧٥٩٩) ، والجُرجَانِيُّ في تاريخ جرجان (٣١٨/١) رقم (٥٦٣) .

والفرقة في أهل التوحيد الذي يؤدي إلى الكفر والشرك أشد من الخسف والقذف .

ويجوز أن يكون رجوع [١٤٣/ب] قوله : « **هذا أهون** » إلى قوله : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ دون قوله : ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام : ٦٥] .

١٢٤

باب في قبض الله سمواته وأرضه بيده

حديث آخر : [٥٥٢] حدثنا عبد العزيز بن محمد الْمَرْزُبَانِيُّ (١) ح عبد الله بن حماد الآمُلِيُّ ح يحيى بن بكير حدثني يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهْرِيُّ عن أبي حازم عن عبد(٢) الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر ﷺ كيف صنع حين أخذ يحكي رسول الله ، قال رسول الله : « **يَأْخُذُ اللَّه سَمَوَاتِهِ وَأَرْضه بِيَدِهِ ويَقُولُ : أَنَا اللَّهُ ، ويَقْبِضُ أَصَابِعَهُ ويَبْسُطُهَا ، أَنَا الرَّحْمَنُ أَنَا الملِكُ أَنَا المليكُ** » حَتَّى نَظَرْتُ إِلى المنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ؟ (٣) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **يقبض الله سمواته وأرضه بيده** » ، أي : يجمعها ويضمها ويرفعها ، فإن السموات مبسوطة والأرض (٤) مدحوة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات : ٣٠] ، أي : بسطها ، وقال في السماء : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ (٥) ﴾ الآية [الأنبياء : ١٠٤] ، وقال : ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] فالمقبوض والمأخوذ والمطوي بمعنى واحد

---

(١) في (س) : الْمَرْزُبَان .

(٢) في (س) و (خ) : عبيد . وهو الصواب ، الثقات لابن حبان (٧٣/٥) رقم (٣٩١٩) وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني (١٥٩/٢) رقم (٧٤٦) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمر في أول كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢١٤٨/٤) رقم (٢٧٨٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير في قول الله ﷻ هو الرزاق (٤٠٦/٤) رقم (٧٧٠٩) ، وابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب فيما أنكرت الجهمية (٧١/١) رقم (١٩٨١) ، وابن حبان في صحيحه (٣١٦/١٦) رقم (٧٣٢٤) ، وأبو القاسم الكناني في جزء البطاقة (٣٢/١) رقم (١) ، والطبراني في الكبير (٣٥٥/١٢) رقم (١٣٣٢٧) .

(٤) في (س) : والأرضين .

(٥) كذا في الأصل و (خ) ، أما في (س) : للكتب ا.هـ . وقد قرأها حفص وحمزة والكسائي ﴿ لِلْكُتُبِ ﴾ بضم الكاف والتاء وحذف الألف على الجمع والباقون بكسر الكاف وفتح التاء وإثبات ألف بعدها على الإفراد ، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية (٣٠٩) .

وهو المجموع للرفع ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأخبر أنها تجمع وترفع ويبدل بها غيرها ، فمعنى القبض الضم والجمع للرفع . وقبض النبي ﷺ أصابعه وبسطها عبارة عن الضم والجمع كالإنسان إذا حكى إنسانًا بالجود بسط أصابعه ونشر كفه ، وإذا عبر عن البخل [١٤٤/أ] والإمساك جمع كفه وضم أصابعه ، وإنما يريد به القبض والبسط ولا يريد به صفة الجود والبخل ، كذلك قبض النبي ﷺ [أصابعه] [١] وبسطها عبارة عن قبض السموات وجمعها ، فهو إشارة إلى المقبوض والمجموع [التي هي السموات] [٢] لا حكاية عن يد الله التي هي صفته ؛ إذ يد الله ليست بجارحة ولا عضو ولا جزء ولا كيفية لها فتوصف بالقبض والبسط المفهوم عندنا كأيدي المحدثين ، تعالى عن أوصاف الحدث علوًّا كبيرًا .

ويجوز أن يكون بسط أصابعه وقبضها إشارة إلى الجمع الذي هو الكل كأنه يقول : يجمع الله تعالى السموات والأرض ويقبضها كلها فيبسط أصابعه للاستيعاب والجمع ويقبضها كذلك ، كما يدير [٣] الإنسان يده فيبسطها ثم يضمها إلى نفسه يحكي بذلك الجمع [٤] .

وحركة المنبر من تحته يجوز أن تكون لحركة رسول الله [وحركة النبي ﷺ تكون منه] [٥] كالتواجد الذي يكون من الإنسان بالإمالة والتثني وتحريك الرأس عند استعظام الشيء [٦] والقلق عند ما يجده في قلبه من حزن ، أو هيبة أو إجلال لشيء واستعظام له فيتحرك المنبر لحركته ﷺ .

ويجوز أن تكون حركة المنبر من معجزات النبي ﷺ وعلامات نبوته وآيات رسالته فكان المنبر يتحرك تحت النبي ﷺ هيبة لله وإجلالًا لما يسمعه من صفة رسول الله ﷺ [٧] ، كما كان الجذع يحن لفقدان الذكر من رسول الله ﷺ والله أعلم بما أراد رسوله . آمنًا بالله وحده وأيقنًا [٨] أنه [١٤٤/ب] لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء وأنه منزه عن أوصاف الحدث سبحانه ليس كمثله شيء [٩] وصدقنا رسوله فيما قال وفيما بلغ وأنه لا يقول على الله إلا الحق ، [قال ﷺ : [٥٥٣] « **أَنَا أَعْلَمُكُم بِاللهِ ﷻ وَأَخْشَاكُم**

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) سقط من (س) .
(٣) في (س) : يريد .
(٤) في (س) : الجميع .
(٥) سقط من (س) .
(٦) في (خ) : الرأي .
(٧) زاد في (خ) بعدها : لا من حركة رسول الله ﷺ .
(٨) السابق .
(٩) زاد في (س) بعدها : وهو السميع البصير ا.هـ .

لِلَّهِ »(١) تعالى جده](٢) .

١٢٥
باب في أنواع من الكذب

حديث آخر : [٥٥٤] حدثنا أبو جعفر محمد بن محمد البَغْدَادِيُّ بسمرقند ح يحيى بن عثمان بن صالح السَّهْمِيُّ بمصر ح عبد الغفار بن داود ح عبد الرزاق هو ابن عمر الدِّمَشْقِيُّ عن الزُّهْرِيِّ عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ قال : « **ثَلاثَةٌ لا يَرِيحُونَ**(٣) **رِيحَ الجَنَّةِ ، رَجُلٌ ادُّعِيَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَرَجُلٌ كَذَبَ عَلَيَّ ، وَرَجُلٌ كَذَبَ عَلَى عَيْنَيْهِ** »(٤) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى : « **كذب على عينيه** » ، أي : زعم أنه رأى في المنام كذا وكذا ولم يره ، يدل عليه حديث آخر [٥٥٥] : « **مَنْ تَحَلَّمَ كَاذِبًا كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ** » .

و [يجوز أن يكون](٥) إنما عظمت عقوبة من كذب على عينيه في الرؤيا ؛ لعظم جرمه وكبير(٦) ذنبه ؛ وذلك أنه كذب على اللّٰه أو على ملك الرؤيا ، والكذب على الملك كذب على اللّٰه ؛ لأن الإنسان إنما يدعي ويتكذب بالرؤيا الصالحة التي هي بشرى من اللّٰه ولا يكاد يتخرص بالرؤيا التي هي حلم من الشيطان ، أو حديث النفس التي هي أضغاث أحلام ، فقد قال ﷺ : [٥٥٦] « **الرُّؤْيَا ثَلاثَةٌ : رُؤْيَا بُشْرَى مِنَ اللَّهِ ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ** [١٤٥/أ] **مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَرُؤْيَا مِنْ حَدِيثِ الرَّجُلِ نَفْسِهِ فِي نَهَارِهِ يَرَاه**(٧) **فِي لَيْلِهِ** »

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٥٠/أ) .

(٢) سقط من (س) و (خ) .

(٣) في هامش الأصل : يجدون ا.هـ . ومعنى : « **لا يرحون ريح الجنة** » : يقال : راح يريح وأراح يريح إذا وجد رائحة الشيء ، النهاية مادة (روح) ، (٢٧١/٢) .

(٤) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٧٥/٤) ترجمة رقم (٩٢٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه عبد الرزاق بن عمر ضعيف لم يوثقه أحد (١٤٨/١) وعبد الرزاق بن عمر من رجال إسناد المصنف .

(٥) سقط من (س) و (خ) .

(٦) في (خ) : وكبر .

(٧) سقط من (س) .

حدثناه الحسن [١] بن علي العطار أبو عمرو ح عبد الله بن أبي ميسرة ح العلاء بن عبد الجبار ح مهدي بن ميمون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ بذلك [٢] .

والرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٦٤] فسرها رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة . حدثناه نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح محمد بن بشار ح أبو داود ح حرب بن شداد و [عمران القطان] [٣] [أبي ح] [٤] عن يحيى بن [٥] كثير عن أبي سلمة قال : نبئت عن عبادة بن الصامت ﷺ قال : [٥٥٧] سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، قَالَ : « هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا المسْلِمُ [٦] أَوْ تُرَى لَهُ » قال حرب في حديثه : حدثني يحيى [٧] .

فأخبر النبي ﷺ أن الرؤيا الصالحة بشرى من الله ، فكان من يكذب [٨] في الرؤيا إنما يتكذب في الصالحة منها ، والرؤيا الصالحة من الله ، تعالى بشرى لعبده المؤمن ،

---

(١) في (س) و (خ) : الحسين .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٣٩٥/٢) رقم (٩١١٨) ، وابن حبان في صحيحه بنحوه عن عوف بن مالك (٤٠٧/١٣) رقم (٦٠٤٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة (١٨١/٦) رقم (٣٠٥٠٨) ، والطبراني في الكبير بنحوه عن عوف بن مالك (٦٣/١٨) رقم (١١٨) .

(٣) في (س) : عمران بن القطان .

(٤) في (س) : عن ا.هـ . وهي سقط من (خ) .

(٥) زاد في (س) و (خ) بعدها : أبي .   (٦) في (خ) : المؤمن .

(٧) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بلفظه عن عبادة بن الصامت في كتاب الرؤيا باب قوله : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ، وقال : حديث حسن (٥٣٤/٤) رقم (٢٢٧٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب تعبير الرؤيا باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له (١٢٨٣/٢) رقم (٣٨٩٨) ، ومالك في الموطأ بألفاظ مختلفة موقوفًا عن هشام بن عروة عن أبيه (٩٥٨/٢) رقم (١٧١٧) ، والدارمي في سننه عن عبادة بن الصامت مرفوعًا (١٦٥/٢) رقم (٢١٣٦) ، وأحمد في مسنده (٣١٥/٥) رقم (٢٢٧٤٠) ، والحاكم في المستدرك بلفظه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٣٧٠/٢) رقم (٣٣٠٢) ، وسعيد بن منصور في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي الدرداء (٣١٨/٥) رقم (١٠٦٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه (١٧٣/٦) رقم (٣٠٤٥٤) وعبد بن حميد في المنتخب بلفظه عن جابر بن عبد الله (٣٣٢/١) رقم (١١٠٥) .

(٨) في (خ) : تكذَّب .

فكأنه يزعم أن اللّٰه بشَّره بكذا وليس كذلك فهو كاذب على اللّٰه ، والكاذب على اللّٰه يستحق كل عقوبة .

ومعنى آخر : أن النبي ﷺ قال : [٥٥٨] « **رُؤْيَا المؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ** » حدثناه أبو سعيد جعفر بن محمد المكتب ح محمد بن أيوب الرَّازِيُّ ح محمد بن سعيد بن سابق ح أبو جعفر هو الرَّازِيُّ عن حميد الطويل عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ بذلك [1] . فكان الكاذب في الرؤيا [١٤٥/ب] متنبئ يدعي جزءًا من أجزاء النبوة ، ومن ادَّعى جزءًا من شيء ليس هو له كان كمن ادَّعى جميعه .

وقوله : « **كلف أن يعقد بين شعيرتين** » . وهو ما حدثنا نصر ح أبو عيسى ح بندار ح عبد الوهاب ح أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال : [٥٥٩] « **مَنْ تَحَلَّمَ** [2] **كَاذِبًا كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ** [3] **وَلَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا** » [4] فهو يكلف ما لا يستطيعه فيعذب عليه كأنه يقال له : إن عقدت بينهما وإلا عذبت بكذا وهو لا يستطيع عقدهما فيعذب .

والمدعي إلى غير أبيه كاذب على اللّٰه أيضًا ، فإنه يقول : خلقني اللّٰه من ماء فلان ، وإنما أخرجه من صلب غيره فهو كاذب عليه .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس بن مالك عن عبادة بن الصامت في كتاب التعبير باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة (٢٥٦٣/٦) رقم (٦٥٨٦) ، ومسلم في صحيحه في أول كتاب الرؤيا (١٧٧٤/٤) رقم (٢٢٦٣) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الرؤيا باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ، وقال : حديث صحيح (٥٣٢/٤) رقم (٢٢٧١) ، وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة في كتاب تعبير الرؤيا باب الرؤيا يراها المسلم أو ترى له (١٢٨٢/٢) رقم (٣٨٩٤) ، ومالك في الموطأ بلفظ مقارب عن أنس (٩٥٦/٢) رقم (١٧١٣) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٢٣٣/٢) رقم (٧١٨٣) .

(٢) تحلم : أي قال : إنه رأى في النوم ما لم يره ، النهاية مادة (حلم) ، (٤٣٤/١) .

(٣) شعيرتين : قال المناوي في فيض القدير : شعيرتين بكسر العين تثنية شعيرة ولن يقدر أن يعقد بينهما ؛ لأن اتصال أحدهما ممكن عادة ، فيض القدير (٩٩/٦) .

(٤) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن ابن عباس في كتاب الرؤيا باب في الذي يكذب في حلمه وقال : حسن صحيح (٥٣٨/٤) رقم (٢٢٨٣) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٥٠٤/٢) رقم (١٠٥٥٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظ مقارب عن ابن عباس (٢٦٩/٧) رقم (١٤٣٤٩) ، والحميدي في مسنده (٢٢٣/١) رقم (٥٣١) ، والطبراني في الأوسط (١٠٣/٤) رقم (٣٧١٤) ، والطبراني في الكبير (٣٢٤/١١) رقم (١١٨٨٤) .

١٢٦
باب في النظر إلى الله تعالى

حديث آخر : [٥٦٠] حدثناه عبد الله بن محمد بن يعقوب ح محمد بن علي بن طراخان [١] ح الحسن بن يزيد ح حفص بن غياث عن ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطأة عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَا أُوتِيَ [٢] عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي رَكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا** » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : إن أفضل ما يؤتى العبد في الجنة النظر إلى الله بالبصر ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] ، وقال : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] فقيل يا رسول الله ، ما الزيادة ؟ قال : « **النظر إلى وجه الله تعالى** » .

و [٤] حدثنا محمد بن عبد الله بن يوسف ح أبو إسحاق إبراهيم بن هاشم البَغَوِيُّ ح الأزرق بن علي ح حسان بن إبراهيم ح عباد بن كثير عن ثابت البُنَانِيِّ عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : [٥٦١] قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [١٤٦/أ] هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ و [٥] مَا الزِّيَادَةُ ؟ قَالَ : « **النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى** » [٦] .

---

(١) في (خ) : طرخان .
(٢) في (خ) : ما أتى .

(٣) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي أمامة في كتاب ثواب القرآن باب منه وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .... وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسلًا (١٧٦/٥) رقم (٢٩١١) ، وأحمد في مسنده (٢٦٨/٥) رقم (٢٢٣٦٠) ، ومحمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِيُّ في تعظيم قدر الصلاة (٢٠٨/١) رقم (١٧٨) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد (٨٨/٧) ترجمة رقم (٣٥٢٥) ، والطبراني في الكبير بلفظ مقارب (١٥١/٨) رقم (٧٦٥٦) ، والحديث في إسناده زيد بن أرطأة يرسل عن أبي أمامة ، الجرح والتعديل للرازي (٥٥٦/٣) رقم (٢٥١٤) ، وتهذيب التهذيب (٣٤٠/٣) رقم (٧٢٦) ، وجامع التحصيل لأبي سعيد العلائي (١٧٨/١) رقم (٢١٠) .

(٤) سقط من (س) .
(٥) السابق .

(٦) الحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة عن عامر بن سعد (١٢٧/١) رقم (٤٢٠) ، وسعيد بن منصور في سننه عن عبد الرحمن بن سابط (٣١١/٥) رقم (١٠٥٩) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده عن أبي بكر الصديق (٧٩٣/٣) رقم (١٤٢٤) ، وأحمد بن حنبل في الرد على الزنادقة والجهمية =

وقال ﷺ : [٥٦٢] « إِذَا نَظَرُوا إِلَى اللَّهِ نَسُوا نَعِيمَ الجَنَّةِ » [(١)] .

قال الشيخ رحمه الله : فالنظر إلى الله في الجنة أفضل ما أوتوا فيها ، والمصلي مناجٍ [(٢)] لربه مسار له ، مأذون له في الدخول على الملك والمثول بين يديه ، مقرب بالسجود له ، قال الله تعالى : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] وهي أقرب حالة إلى النظر إلى الله ، فقد قال ﷺ : [٥٦٣] « اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاه » [(٣)] ، فالمصلي كأنه يراه ، وإذا كان أفضل ما أوتي العبد في الجنة التي هي دار السلام ودار الخلد والنعيم وجوار الله الرب الكريم النظر إلى الله فكيف لا تكون المناجاة له والمثول بين يديه [بالسجود له] [(٤)] والمواجهة له أفضل شيء أوتيه في الدنيا التي هي دار البلوى ودار الفناء والانتقال وجوار الشيطان ؟! ولولا أن الله تعالى أعطى أولياءه في الجنة أفضل مما أعطاهم في الصلاة في الدنيا وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] وإلا كانت صلاة ركعتين في الدنيا أفضل من نعيم الجنة ؛ لأن نعيم الجنة حظ النفوس ، وفي الصلاة قرة الأعين والقربة إلى الله غير أن الذي في الصلاة في الدنيا على التقريب من الذي في العقبى وليس هو بعينه وهو رؤية الله تعالى ، فإن المصلي كأنه يراه والرائي له في الآخرة راء له على التحقيق ناظر إليه نظر عيان ، رزقنا الله لذة النظر إلى وجهه بمنه وفضله [١٤٦/ب] .



١٢٧ باب في زكاة الجسد

حديث آخر : [٥٦٤] حدثنا أحمد بن عبد الله ح أحمد بن نجده ح يحيى بن عبد الحميد أخ ابن المبارك عن موسى بن عبيدة عن جمهان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لِكُلِّ شَيءٍ [(٥)] زَكَاةٌ وَإِنَّ زَكَاةَ الجَسَدِ الصَّوْمُ » [(٦)] .

= عن عامر بن سعد (٣٤/١) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة عن أبي بكر الصديق (٢٠٦/١) رقم (٤٧٣) ، عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٢٥٦/١) رقم (٤٧٠) ، والشاشي في مسنده عن صهيب مرفوعًا (٣٨٩/٢) رقم (٩٩٠) ، والبيهقي في الاعتقاد عن أبي بكر الصديق (١٢٥/١) .

(١) لم أقف عليه .

(٢) في الأصل : مناجي .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .

(٤) سقط من (س) و (خ) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الصيام باب في الصوم زكاة =

قال الشيخ رحمه الله : الزكاة طهارة المال ، قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] فالزكاة طهارة وتزكية ، والتزكية التطهير أيضًا ، وقد تكون التزكية بركة ونموًّا وزيادة وتكون ثناء حسنًا فالزكاة طهارة المال كذا قال ﷺ : [٥٦٥] « **إِنَّ هَذَا البَيْعَ يَحْضُرُه اللَّغْوُ والكَذِبُ فَشَوِّبُوه بِالصَّدَقَةِ** » [١] أراد - إن شاء الله تعالى - أن تطهره الصدقة ، ثم الصدقة [٢] تنقص من عدد المال وتزيد فيه بمعنى البركة فيه ، والصوم ينقص الجسد ويزيد فيه بمعنى الثواب ، فنقصان الجسد من فضول ما يولد من فضول الطعام والشراب فيه ، ألا ترى إلى قوله ﷺ : [٥٦٦] « **يَا مَعْشَرَ الشُّبَّانِ عَلَيْكُم بِالبَاءةِ** [٣] **فَإِنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ فَمَنْ لم يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّه لَهُ وِجَاء** [٤] » [٥] .

= الجسد (١/٥٥٥) رقم (١٧٤٥) ، وعبد بن حميد في المنتخب بلفظه (١/٤٢٣) رقم (١٤٤٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظ مقارب (٣/٢٩٢) رقم (٣٥٧٨) ، وابن عدي في الكامل عن سهل بن سعد (٢/٢٤٠) رقم (٤١٦) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد (٨/١٥٣) رقم (٤٢٥٤) ، والطبراني في الكبير (٦/١٩٣) رقم (٥٩٧٣) .

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب عن قيس بن أبي غرزة في كتاب البيوع باب في التجارة يخالطها الحلف واللغو (٣/٢٤٢) رقم (٣٣٢٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الإيمان والكفارات باب في اللغو والكذب (٣/١٣٢) رقم (٤٧٤٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب التجارات باب التوقي في التجارة (٢/٧٢٦) رقم (٢١٤٥) ، وأحمد في مسنده (٤/٦) رقم (١٦١٨٠) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢/٥) رقم (٢١٣٨) ، والحميدي في مسنده (١/٢٠٨) رقم (٤٣٨) ، والطبراني في الكبير (١٨/٣٥٥) رقم (٩٠٨) .

(٢) في (س) و (خ) : الزكاة .

(٣) الباءة : النكاح والتزوج . النهاية مادة (بوأ) ، (١/١٥٩) .

(٤) وجاء : أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء وهو رض أنثيا الفحل رضًا شديدًا يذهب شهوة الجماع وقيل غير ذلك . النهاية بتصرف مادة (وجأ) ، (٥/١٥٢) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن مسعود في كتاب الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة (٢/٦٧٣) رقم (١٨٠٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (٢/١٠١٨) رقم (١٤٠٠) ، وأبو داود في سننه في كتاب النكاح باب التحريض على النكاح (٢/٢١٩) رقم (٢٠٤٦) والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب النكاح باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه وقال : حسن صحيح (٣/٣٩٢) رقم (١٠٨١) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصيام باب فضل الصيام (٢/٩٥) رقم (٢٥٤٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب النكاح باب ما جاء في فضل النكاح (١/٥٩٢) رقم (١٨٤٥) .

فأخبر أن الصوم ينقص من فضول الشهوة التي تولدها الأغذية في الجسد فالصوم ينقص من فضول البدن كما تنقص الزكاة من فضول المال ، ويزيد في قوة النفس والقلب حتى [يزيد في] [١] كرم الأخلاق ؛ لأنه يمنع من السفه والمشاتمة والانتصار ، قال عليه السلام : [٥٦٧] « **إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُم فَلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ** » حدثناه حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح ابن [١٤٧/أ] فضيل عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ذلك [٢] .

فأخبر أنه يمنع من الرفث والجهل والمقابلة به وهذا من كرم الأخلاق ، فالصوم ينقص من فضول الجسد ويزيد في [٣] كرم الأخلاق والزكاة تنقص من فضول المال ويزيد في بركته فلذلك [٤] كان الصوم - إن شاء اللّه - زكاة الجسد .

١٢٨
باب في عقوبة من سابق الإمام في الصلاة

حديث آخر : [٥٦٨] حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح حماد بن زيد ح محمد بن زياد ح أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **أَلا يَخْشَى الذي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ الحمَارِ** [٥] » [٦] .

---

(١) في (خ) : رزق .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الصوم باب فضل الصوم (٦٧٠/٢) رقم (١٧٩٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب حفظ اللسان للصائم (٨٠٦/٢) رقم (١١٥١) ، وأبو داود في سننه في كتاب الصوم باب الغيبة للصائم (٣٠٧/٢) رقم (٢٣٦٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصيام في ذكر الاختلاف على أبي صالح في هذا الحديث (٢٤٠/٢) رقم (٣٢٥٤) ، وابن ماجه في سننه بلفظه في كتاب الصيام باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم (٥٣٩/١) رقم (١٦٩١) .

(٣) في (خ) : فيه من

(٤) في (س) : فكذلك .

(٥) في (خ) : حمار .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الصلاة باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود (٣٢٠/١) رقم (٤٢٧) ، وأبو داود في سننه بألفاظ مختلفة في كتاب الصلاة باب التشديد فيمن يرفع قبل الإمام أو يضع قبله (١٦٩/١) رقم (٦٢٣) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب الإمامة باب الرخصة للإمام في التطويل (٢٩١/١) رقم (٩٠٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الإقامة باب النهي أن يسبق الإمام بالركوع والسجود (٣٠٨/١) رقم (٩٦١) .

قال الشيخ رحمه الله : قد بين الله في كتابه عقوبة كثير من الذنوب والمعاصي كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء: ٩٣] الآية ، وقال في مانعي الزكاة : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ [التوبة: ٣٤] إلى قوله : ﴿ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ ﴾ [التوبة: ٣٥] الآية ، وفي آكلي الربا : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقال تعالى في آكلي مال اليتيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ الْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء: ١٠] وقال ﷺ : [٥٦٩] « **اليَمِينُ الغَمُوسُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ** [(١)] » [(٢)] وقال : [٥٧٠] « **الزِّنَى يُورِثُ الْفَقْرَ** » [(٣)] . وأمثالها كثيرة مما يستحقه مرتكبوا المعاصي في الدنيا والآخرة مما توعد الله تعالى به ، فكذلك الذي يرفع رأسه قبل الإمام يستحق [(٤)] من العقوبة في الدنيا أن يحول الله تعالى رأسه رأس حمار لذلك قال : « **ألا يخشى** » أي إن هذا جزاؤه في الدنيا ، فإن لم يفعل الله تعالى [١٤٧/ب] به ذلك فهو فضل منه ورحمة ، وله أن يتفضل على من شاء ويعاقب من شاء ويرحم من شاء ويعذب من شاء ، فلا يخشى هذا

---

(١) بلاقع : جمع بلقع وبلقعة وهي الأرض القفر التي لا شيء بها ، يريد أن الحالف بها يفتقر ويذهب ما في بيته من الرزق ، وقيل : هو أن يفرق الله شمله ويغير عليه ما أولاه من نعمه . النهاية مادة (بلقع) ، (١٥٣/١) .

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٣٥/١٠) رقم (١٩٦٥٥) وإسحاق بن إبراهيم المَرْوَزِيُّ في مسند إسحاق بن راهويه بألفاظ مختلفة عن مكحول مرسلًا (٢٧٠/١) رقم (٦) ، وخيثمة بن سليمان القرشي في (من حديث خيثمة) بلفظه عن واثلة بن الأسقع (٧٠/١) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه (٢٢٦/٦) رقم (٧٩٧١) ، وأبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٢٤٣/١) ، والطبراني في الأوسط (١٩/٢) رقم (١٠٩٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو الدهماء الأصعب وثقه النفيدي وضعفه ابن حبان (١٨٠/٤) .

(٣) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بلفظه عن ابن عمر وفي إسناده ماضي بن محمد أبو مسعود الغافقي وهو منكر الحديث (٤٣٢/٦) ترجمة رقم (١٩١١) وابن حبان في المجروحين وفي إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف جدًّا (٢٣١/٢) رقم (٩٠٦) والقضاعي في مسند الشهاب (٧٣/١) رقم (٦٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٣/٤) رقم (٥٤١٧ ، ٥٤١٨) ، وقد أخرجه عبد الكريم بن محمد القَزْوِينِيُّ في التدوين في أخبار قزوين في سياق مختلف عن حذيفة مرفوعًا وأوله « يا معشر المسلمين اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال وذكر الفقر منها (٤٤/٢) قال العجلوني : في كشف الخفاء : (قال في المقاصد : رواه الدَّيْلَمِيُّ والقضاعي وابن ماجه عن ابن عمر رفعه (٥٣٢/١) رقم (١٤٢٧) ولم أقف عليه عند الدَّيْلَمِيِّ ولا عند ابن ماجه .

(٤) زاد في (خ) بعدها : به .

أن يكون من الذين شاء اللّٰه تعالى أن يعاقبه بهذه العقوبة ويأخذه بهذا الجرم .

ويجوز أن يكون هذا من العقوبات المدخرة لمن شاء اللّٰه تعالى أن يعاقبهم بها في الآخرة فيقول : ألا يخشى أن يفعل اللّٰه به ذلك في الآخرة فيترك هذا الفعل .

١٢٩
باب في عقوبة من لم يشكر العطاء

حديث آخر : [٥٧١] حدثنا حاتم [١] ح يحيى الحِمَّانِيُّ أخ ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده ممطور عن عبد الرحمن بن شبل ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **إِنَّ الفُسَّاقَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ** » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّٰهِ ، ومَا الفُسَّاقُ ؟ قَالَ : « **النِّسَاءُ** » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَلَسْنَ [٢] النِّسَاءُ [٣] أُمَّهَاتِنَا وَأَخَوَاتِنَا وبَنَاتِنَا ؟ قَالَ : « **بَلَى ، وَلَكِنَّهُنَّ إِذَا أُعْطِينَ لم يَشْكُرْنَ وَإِذَا ابْتُلِينَ لم يَصْبِرْنَ** » [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : [فسّق النبي ﷺ] [٥] في هذا الحديث من لم يشكر العطاء ولم يصبر عند البلاء ، وقد قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] فأخبر أن الشكور في العباد قليل .

فيجوز أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] أي الشكور من الناس قليل ؛ لأن المؤمنين [في الناس] [٦] قليل ، قال النبي ﷺ : [٥٧٢] « **يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالَى لآدَمَ** [٧] : **يَا آدمُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ . فَيَقُولُ** [٨] : **يَا رَبِّ ، ومَا بَعْثُ النَّارِ ؟ فَيَقُولُ : مِنْ**

---

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : ح يحيى .

(٢) في (خ) : أولسن .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن عبد الرحمن بن شبل (٤٤٤/٣) رقم (١٥٧٠٤) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٠٧/٢) رقم (٢٧٧٣) ، ومعمر بن راشد في الجامع (٣٨٧/١٠) ، و (عبد بن حميد في المنتخب (١٢٩/١) رقم (٣١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٠/٧) رقم (٩٨٠٣) .

(٥) سقط من (س) .

(٦) سقط من (خ) .

(٧) السابق .

(٨) في (س) : ويقول .

كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمَائَةٌ وتِسعةٌ وتِسْعُونَ فِي النَّارِ ووَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ » [١] فالواحد من الألف قليل ، وقال ﷺ : [٥٧٣] « **مَا أَنْتُم فِي النَّاسِ إِلا** [١٤٨/أ] **كالشَّامَةِ** [٢] **البَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ** » [٣] فعلى هذا يكون الشكور المؤمنون [٤] كلهم والمؤمنون [٥] بأجمعهم .

ويجوز أن يكون الشكور من المؤمنين قليلًا وذلك أن الشكور هو المبالغة في صفة الشكر فيكون شاكرًا وشكار وشكور ، فالشكور الذي يشكر في كل حال ولا يكاد يكفر نعمة ما ومثل هذا في المؤمنين قليل ، وكلهم شاكرون والشاكر [٦] فيهم كثير والشكور قليل ، فيكون عامة المؤمنين شاكرين والشكور منهم قليل ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] بياء الإضافة ، وهذا تخصيص من الله تعالى كأنه خص من العباد من أضافه إلى نفسه فكلهم عباده من جهة الملك .

ومعنى تفسيره ﷺ « **الفساق** » النساء [٧] على الإطلاق وهو أن صفة كفران العطاء وترك الصبر عند البلاء فهن أكثر ؛ لأنهن في نقصان من آلة الشكر والصبر وعلتهما وذلك هو الدين [٨] والعقل ، فقد قال ﷺ : [٥٧٤] « **مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب التفسير باب تفسير سورة الحج (١٧٦٧/٤) رقم (٤٤٦٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب قوله : يقول الله لآدم : أخرج بعث النار (٢٠١/١) رقم (٢٢٢) ، والترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن عمران بن حصين في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الحج وقال : حسن صحيح (٣٢٢/٥) رقم (٣١٦٨) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب التفسير في سورة الحج (٤١٠/٦) رقم (١١٣٤٠) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤٣٢/٤) رقم (١٩٨٩٧) ، والحاكم في المستدرك بلفظه وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٤١٧/٢) رقم (٣٤٥٠) ، ووافقه الذهبي ، وعبد بن حميد في المنتخب عن أبي سعيد (٢٨٧/١) رقم (٩١٧) ، والروياني في مسنده عن عمران بن حصين بلفظ مقارب (٩٩/١) رقم (٦٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد (٣٢٢/١) رقم (٣٦١) ، والطبراني في الكبير بلفظ مقارب عن عمران بن حصين (١٤٤/١٨) رقم (٣٠٦) .

(٢) في (س) و (خ) : كالشعرة .

(٣) المواضع السابقة دون البيهقي ولكن بألفاظ مختلفة .

(٤) في (س) و (خ) : المؤمنين .

(٥) في (خ) : والموحدين .

(٦) في (س) و (خ) : والشكار .

(٧) في (خ) : بالنساء .

(٨) سقط من (س) .

أَسْلَبَ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ مِنْهُنَّ » [(١)] وفسر نقصان [(٢)] دينهن بالحيض ونقصان عقلهن بالشهادة ، فالشكر والصبر من أوصاف أهل الدين والعقل ، فمن رق دينه وسخف عقله قل شكره ، وصبره ، ومن ترك الشكر في أكثر الأحوال والصبر في أكثر البلوى فقد خرج من أوصاف أهل الدين والعقل ، والنار مأوى من لا دين لهم ولا عقل ، قال الله تعالى في صفة أهل النار : ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤] فهذا من باب الدين : ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر: ٤٥، ٤٦] فهذا من باب العقل ، فكأنه قال : اللاتي لا يشكرن العطاء [١٤٨/ب] ولا يصبرن على البلاء في عامة أوقاتهن وأكثر حالاتهن من النساء فساق ، والفساق في النار ، وقد قال ﷺ : **« قُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا النِّسَاءُ »**

حدثناه محمد بن نعيم بن ناعم ح أبو حاتم الرَّازِيُّ ح الأَنْصَارِيُّ وهوذة بن خليفة قالا : ح سليمان التَّيْمِيُّ واللفظ للأنصاري أن أبا عثمان النَّهْدِيَّ حدثهم عن أسامة بن زيد أن النبي قال : [٥٧٥] **« قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا المَسَاكِينُ [المكبَّة على اللهِ]** [(٣)] **، وقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا النِّسَاءُ »** [(٤)] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم (١/١١٦) رقم (٢٩٨) ، ومسلم في صحيحه بنحوه عن عبد الله بن عمر في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (١/٨٦) رقم (٧٩) ، وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤/٢١٩) رقم (٤٦٧٩) ، والترمِذِيُّ في جامعه عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه وقال : (صحيح غريب حسن من هذا الوجه) (٥/١٠) رقم (٢٦١٣) ، وابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمر في كتاب الفتن باب فتنة النساء (٢/١٣٢٦) رقم (٤٠٠٣) ، وأحمد في مسنده (٢/٦٦) رقم (٥٣٤٢) ، والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن مسعود وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٤/٦٤٥) رقم (٨٧٨٣) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) في هامش الأصل : أي الواقعة . ا.هـ. والعبارة سقط من (س) و (خ) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أسامة بن زيد في كتاب النكاح باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه (٥/١٩٩٤) رقم (٤٩٠٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب أكثر أهل الجنة الفقراء (٤/٢٠٩٦) رقم (٢٧٣٦) ، والنسائي في سننه الكبرى بنحوه في كتاب عشرة النساء فيما ذكر من النساء (٥/٣٩٩) رقم (٩٢٦٥) ، وأحمد في مسنده (٥/٢٠٩) رقم (٢١٨٧٤) ، وابن حبان في صحيحه (٢/٤٥٠) رقم (٦٧٥) ، وعبد بن حميد في المنتخب بنحوه عن =

١٣٠
باب في رأس الحكمة

حديث آخر : [٥٧٦] حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد بن العباس بن عبد اللَّه بن طاهر [١] الطَّاهِرِيُّ [٢] ح أبو بكر أحمد بن داود السُّمَنَانيُّ ح محمد بن المصفى ح بقية ابن الوليد ح عثمان بن زفر الجُهَنِيُّ عن أبي عمار الأسدِيِّ عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ » [٣] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : الحكمة إحكام الأمور ، وهو أن يعمل أعمالًا بحيث لا تدخلها آفة وإحكام الأمور الأخذ بالأحوط والأوثق ، [ومن أراد الأخذ بالأوثق والأحوط] [٤] عمل على المخافة أكثر مما يعمل على الرجاء ، فكأنه يحاسب نفسه على كل خطرة [٥] ونظرة ويطالبها بحق اللَّه تعالى ، فإن اللَّه تعالى يقول : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] فشرط المشيئة لغفران ما دون الشرك ، فإن وافى القيامة وهو من أهل المشيئة فيكون مغفورًا له ما أتى ازداد بتوقيه ومخافته درجة وثوابًا ، وإن كان من الذين هم يحاسبون ويطالبون بالواجب عليهم لم يكن فرط في عمره بل كان معه من الأعمال الصالحة [١٤٩/أ] ما تقاص بها سيئاته .

والحكمة أيضًا منع النفس عن شهواتها ، يقال للحديدة التي تكون في فم الدابة في اللجام : حَكَمَة [٦] ؛ لأنها هي الواقفة بالدابة والممسكة لها فسميت الحكمة حكمة

= ابن عباس (٢٣٠/١) رقم (٦٩١) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن أسامة بن زيد (٣٠٢/٧) رقم (١٠٣٨٧) .

(١) من هامش الأصل .

(٢) سقط من (خ) . والطَّاهِرِيُّ : بفتح الطاء المهملة ، وفي آخرها الراء . هذه النسبة إلى طاهر بن الحسين أحد القواد المعروفين الأنساب (٢٤٥/٣) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن ابن مسعود وضعفه (٤٧٠/١) رقم (٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن أنس بن مالك (١٠٠/١) رقم (١١٥) ، وقد ذكره الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول بلفظه عن ابن مسعود (٨٤/٣) ، وعزاه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم إلى ابن مردويه (٣٢٣/١) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) في (خ) : خطوة .

(٦) في (س) : محكمة . ا.هـ . والصواب ما في الأصل ، قال ابن سلام في الغريب : نرى أن حكمة الدابة سميت بهذا المعنى ؛ لأنها تمنع الدابة من كثير من الجهل مادة (حكم) ، (٤٢٧/٤) .

لمنع[١] النفس والاستيلاء عليها ، والقدرة على ضبطها والوقفة [٢] بها عند شبهات الأمور ومشكلات الأحوال ، وعند [٣] الانهماك [في المعاصي] [٤] والتوسع في الشهوات ، ومخافة [٥] الله أوكد أسباب المنع للنفس والكف لها عن الشهوات والوقوف بها على مراشد الأمور فلذلك كانت مخافة [٦] الله رأس الحكمة .

١٣١
باب في فضل طلب العلم

حديث آخر : [٥٧٧] حدثنا أحمد بن محمد [٧] الطَّاهِرِيُّ ح أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكَجِّيُّ ح إبراهيم بن يسار [٨] الرَّمَادِيُّ ح معدي [٩] ح زياد بن ميمون عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله : « **طَلَبُ العِلمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** » [١٠] .

وقال [٥٧٨] : « **إِنَّ الملائِكَةَ لتَضَعُ** [١١] **أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ** » [١٢] .

---

(١) في (س) و (خ) : لملك .
(٢) في (س) : الموافقة . ا.هـ. و في (خ) : الواقفة .
(٣) في (س) : وعن .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) في (س) : ومخالفة .
(٦) السابق .
(٧) زاد في (س) بعدها : ابن العباس .
(٨) في (س) و (خ) : بشار .
(٩) في هامش الأصل وفي (س) : صفدي . ا.هـ. أما في (خ) : صغدي .
(١٠) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه عن أنس بن مالك في أول الكتاب باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨١/١) رقم (٢٢٤) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٥٧/٤) رقم (٣١٣٥) ، والبزار في مسنده (١٧٢/١) رقم (٩٤) ، وأسلم بن سهل الوَاسِطِيُّ في تاريخ واسط (٦٥/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٢٣/٥) رقم (٢٨٣٧) ، والعقيلي في الضعفاء عن ابن عمر وقال : والرواية في هذا الباب فيها لين (٥٨/٢) رقم (٤٩٥) ، والجُرْجَانِيُّ في تاريخ جرجان عن أنس (٣١٦/١) رقم (٥٥٥) ، وابن عدي في الكامل عن ابن عمر (١٧٩/١) رقم (١٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس (٢٥٣/٢) رقم (١٦٦٣) .
(١١) في (خ) : تضع .
(١٢) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن زر بن حبيش في كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار وقال : حسن صحيح (٥٤٥/٥) رقم (٣٥٣٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطهارة في المسح على الجوربين والنعلين (٩٢/١) رقم (١٣٢) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة في أول الكتاب باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨٢/١) رقم (٢٢٦) ، والدارمي في سننه بلفظه (١١٣/١) رقم (٣٥٧) ، وأحمد في مسنده (٢٣٩/٤) رقم (١٨١١٤) ، والحاكم في المستدرك =

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « تضع أجنحتها » أي تخضع وتتواضع للعلم وأهله ، يقال للرجل المتواضع المتذلل للحق : خافض [1] الجناح ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] فوضع الجناح عبارة عن التواضع والخضوع وإنما تفعل ذلك لأهل العلم خاصة من بين سائر عمال الله تعالى ؛ لأن الله تعالى ألزمها ذلك في آدم عليه السلام وذلك لما أخبر الله الملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] استخبرت وسألت الله تعالى على جهة الاستفهام وفي بعض الروايات الكتبية من الكلام ما يدل على أن سؤالها [١٤٩/ب] كان على جهة الاستعظام أن خلقًا يكون منهم الفساد وسفك الدماء ثم يكون خليفة في الأرض فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] وعلم الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء ثم قال للملائكة : ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [البقرة: ٣١] فقالوا : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة: ٣٢] فقال لآدم : ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٣] فلما أنبأهم بأسمائهم عزت [2] الملائكة في أنفسها ورأت فضل آدم عليها وألزمها الله الخضوع له والسجود فسجدت له خضعًا [3] متواضعين فتأدبت الملائكة بذلك الأدب فكلما [4] ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت إعظامًا للعلم وأهله ورضًا [5] بالطلب له والشغل به فهذا في الطلاب منهم ، فكيف بالأحبار [6] فيهم [7] الربانيين منهم ، جعلنا الله منهم وفيهم بطوله ومَنِّه ، إنه ذو فضل عظيم وإله رحيم .

١٣٢
باب في شروط طلب الدنيا

حديث آخر : [٥٧٩] حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب رحمه الله ح محمد بن حاتم ابن المظفر الكنْدِيُّ ح سليمان بن داود المِنْقَرِيُّ [8] ح إسماعيل بن إبراهيم عن الحجاج

= (١٨١/١) رقم (٣٤٣) .

(١) في (س) : حافظ .

(٢) في هامش الأصل وفي (س) و (خ) : تصاغرت .

(٣) في (خ) : خضعانا .

(٤) في (س) : فلما .

(٥) زاد في (س) بعدها : منهم .

(٦) في (س) و (خ) : بالأخيار .

(٧) زاد في (خ) بعدها : و .

(٨) المِنقَرِيُّ : بكسر الميم وجزم النون وفتح القاف والراء . هذه النسبة إلى بني منقر ، الأنساب (٣٦٣/٤) .

ابن فرافصة عن مكحول عن أبي هريرة ﷺ قال : جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وعَلَيْهِ عَبَاءَةٌ شَامِيَّةٌ ، فَصَعِدَ المنْبَرَ وَهُوَ (١) يَوْمَئِذٍ ثَلاثُ عَتَبَاتٍ ، قَالَ : فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : **« أَمَّا بَعْدُ ؛ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالاً اسْتِعْفَافًا عَنْ المسْأَلَةِ وسَعْيًا عَلَى العِيَالِ وتَعَطُّفًا عَلَى الجارِ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالى وَوَجْهُه كَالقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلالاً مُفَاخِرًا [مُكَاثِرًا مُرَائِيًا] (٢) لَقِيَ اللَّهَ تَعَالى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ »** (٣) .

قال الشيخ رحمه الله : في هذا الحديث دلالة [١٥٠/أ] بينة على أن طلب الدنيا وأخذها لا ينبغي إلا للضرورة ويكون تناولها كما يتناول المضطر الميتة ؛ لأن النبي عليه السلام شرط لأخذها من وجهها شروطًا ثلاثة ، كلها ضرورة وهو الاستعفاف عن المسألة والسعي على العيال والعود على الجار ، فالمضطر إلى الميتة هو الذي بلغ الجهد به غاية يخشى على نفسه التلف فهو بين أمرين التلف والهلاك ، أو الأخذ من الميتة فهو يأخذ منها قدر ما يمسك رمقه على تكره فإن أكلها على وجه الشهوة والاستلذاذ لم يجز ، فكذلك المستعف بين أمرين عند ضعف يحل به (٤) يخل بدينه [ضر فهو] (٥) بين (٦) مسألة أوساخ الناس الذي هو يوم القيامة كدوح (٧) وخموش ، وطلب الدنيا التي هي بغيضة اللَّه تعالى والغدارة (٨) لأهلها وهي سم قاتل جاء ذلك في بعض الروايات ، فهو يطلب الدنيا قدر ما يستقل به ويصون وجهه ودينه على تكره لا للاختيار والمحبة لها ، واللذة بها وعلى توقٍّ من سمها وحذر من غرورها ، فكأنه يشرب السم مخافةً . وكذلك الساعي على العيال بين أمرين : إما [أن يضيع من فرضه عليه أو يطلب لهم ، وقد قال

---

(١) في (س) : وهي . (٢) في (س) و (خ) : مرائيًا مكاثرًا .

(٣) الحديث أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٣٥٣/١) رقم (٣٥٢) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (١١٠/٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٨/٧) رقم (١٠٣٧٥) ، والحديث إسناده ضعيف فيه سليمان بن داود المِنْقَرِيُّ الشاذكوني قال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال : حافظ ماجن عندي ممن يسرق الحديث . ونقل عن البخاري قوله فيه : فيه نظر وقال : وتكلم فيه يحيى بن معين وأبو بكر بن أبي شيبة (٢٩٥/٣) رقم (٧٦٥) ، وقد نقل ابن حجر تضعيفه في لسان الميزان (٨٤/٣) رقم (٢٩٨) ، والذهبي في ميزان الاعتدال (٢٩١/٣) رقم (٣٤٥٤) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : و . (٥) سقط من (س) و (خ) .

(٦) في (خ) : من .

(٧) الكدوح : الخدوش وكل أثر من خدش أو عض فهو كدح والكدح في غير هذا السعي والحرص والعمل النهاية مادة (كدح) ، (١٥٥/٤) .

(٨) في (س) : الغرارة .

النبي ﷺ : [٥٨٠] « **كَفَى بِالمرْءِ إِثْمًا** [(١) **أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ** » (٢) (٣) فهو إذا خاف أن يأثم بتضييع العيال اضطر إلى الطلب لهم والقيام بحقهم قدر الكفاية لهم ، وكذلك المتعطف على الجار ، وهو من يرى لنفسه من القوة والإمكان ما عجز عنه جاره من العود على نفسه فيلزمه قوت جاره كما لزمه فرض عياله فقد اضطر إلى أن يسعى بقدر [١٥٠/ب] ما يعود على الجار العاجز عما قوي عليه الساعي ، فهو يسعى بفضل قوته ويعود على جاره بفضل ما عنده فإن (٤) لم يكن له عيال ولا جار يعجز عن القيام بحاله وكان فيه من الصبر والقناعة ما يستعف به عن السؤال فيكون كما قال الله تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

ثم طالب الدنيا لم يخل طلبه لها من إحدى الخصال الثلاث التي أخبر النبي ﷺ أن من طلب الدنيا لها لقي الله وهو عليه غضبان ؛ لأنه إذا خرج طلبه لها عن هذه الضرورات إما أن يكون طلبه لها للمفاخرة بها ، والمفاخرة بها هي المنافسة التي خافها النبي ﷺ على أمته وأصحابه حتى قال : [٥٨١] « **واللهِ مَا الفَقْرُ أَخَافُ عَلَيْكُم ولَكِنْ أَخَافُ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُم الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُم فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُم كَمَا أَهْلَكَتْهُم** » . حدثناه عبد الله بن محمد ح عبد الصمد بن الفضل وإسماعيل بن بشر قالا : ح مكي بن إبراهيم حدثنا هشام بن سعد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة عن النبي ﷺ (٥) .

---

(١) سقط من (س) .

(٢) في (س) : يقوته .ا.هـ. وقوله : « يضيع من يقوت » : أراد من تلزمه نفقته من أهله وعياله وعبيده . النهاية مادة (قوت) ، (١١٩/٤) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن عبد الله بن عمرو في كتاب الزكاة باب في صلة الرحم (١٣٢/٢) رقم (١٦٩٢) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عشرة النساء في مسألة كل راع عما استرعى (٣٧٤/٥) رقم (٩١٧٧) ، وأحمد في مسنده (١٦٠/٢) رقم (٦٤٩٥) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٥٧٥/١) رقم (١٥١٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤٦٧/٧) رقم ، وابن حبان في صحيحه (٥١/١٠) رقم (٤٢٤٠) ، والبزار في مسنده (٣٩٣/٦) رقم (٢٤١٥) ، والطبراني في الأوسط (٢٢٦/٥) رقم (٥١٥٥) ، وفي الكبير عن ابن عمر (٣٨٢/١٢) رقم (١٣٤١٤) .

(٤) في (س) و (خ) : فمن .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن المسور بن مخرمة في كتاب المغازي باب شهود =

أو يريد بطلبها المراءاة وهو التزين بها وما هي تزين ولكنها تشين (١) . حدثناه محمد ابن حيان التَّمِيمِيُّ ح محمد بن خالد ح عبد الله بن عبيد ح محمد بن يوسف الأَدَمِيُّ (٢) عن إبراهيم بن عبد الله بن أبي الأسود عن الحسن رحمه الله : [٥٨٢] « أنَّه كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ رحمه الله أَنَّ صَاحِبَ الدُّنْيَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ كَأَنَّه (٣) أَشْخَصَه [١٥١/أ] إِلَى مَكْرُوهٍ ، اليَسَارُ فِيهَا لأَهْلِهَا عَارٌ ، والنَّافِعُ فِيهَا غَدًا ضَارٌّ » (٤) .

فالدنيا عار ، والطلب لها شين ، والقلة منها زين . حدثنا محمد بن حامد ح محمد ابن رجاز ح حبان أخ عبد الله ح عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن سعد بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [٥٨٣] « **لَلفَقْرُ (٥) أَحْسَنُ وَأَزْيَنُ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ (٦) العِذَارِ الجيدِ عَلَى خَدِّ الفَرَسِ** » (٧) ، فالمراءاة بها شين .

أو يريد بطلبها الاستكثار منها ؛ والمكثر هالك إلا القليل . حدثنا محمد بن أحمد بن معروف ح سعيد بن مسعود ح محمد بن عبيد الطَّنَافِسِيُّ (٨) ح الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال : [٥٨٤] أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ جَالِسٌ ، فَلَمَّا رَآنِي أَقْبَلْتُ قَالَ : « **هَلَكَ الأَكْثَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، هَلَكَ الأَكْثَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ (٩)** » .

= الملائكة بدرًا (٤/١٤٧٣) رقم (١٧٩١) ، ومسلم في صحيحه في أول كتاب الزهد والرقائق (٤/٢٢٧٣) رقم (٢٩٦١) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب صفة القيامة باب منه وقال حسن صحيح (٤/٦٤٠) رقم (٢٤٦٢) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب السير باب أخذ الجزية من المجوس (٥/٢٣٤) رقم (٨٧٦٧) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الفتن باب فتنة المال (٢/١٣٢٤) رقم (٣٩٩٧) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤/١٣٧) رقم (١٧٢٧٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٩/١٩٠) رقم (١٨٤٣٨) .

(١) تشين : الشين العيب النهاية مادة : (شين) ، (٢/٥٢١) .

(٢) الأَدَمِيُّ : بفتح الألف والدال المهملة وفي آخرها الميم . هذه النسبة إلى من يبيع الأدم ، الأنساب (١/٧٠) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بلفظ مقارب عن الحسن مطولًا (٦/٣١٣) ، وقد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من كلام علي بن أبي طالب (٧/٣٧٢) رقم (١٠٦٢٦) .

(٥) في (خ) : الفقر .

(٦) سقط من (س) .

(٧) سبق في اللوحة رقم (١٩/أ) .

(٨) الطَّنَافِسِيُّ : بفتح الطاء المهملة والنون ، وكسر الفاء والسين المهملة . هذه النسبة إلى الطُّنْفِسَة ، الأنساب (٣/٢٦٩) .

(٩) زاد في (خ) بعدها : هلك الأكثرون ورب الكعبة ، قال .

فَأَخَذَنِي غَمٌّ (١) وجَعَلْتُ (٢) أَتَنَفَّسُ فَقُلْتُ : هَذَا شَيءٌ حَدَثَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هُمْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قَالَ : « الأَكْثَرُونَ إِلا مَنْ قَالَ فِي عِبَادِ اللَّهِ تعَالى هَكَذَا وهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ وخَلْفِهِ وقَلِيلٌ مَا هُم ، ومَا مِنْ رَجُلٍ يَمُوتُ فَيَتْرُكُ إِبِلًا أَوْ غَنَمًا لم يُؤَدِّ زَكَاتَهَا إِلا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ حَتَّى تَطَأَه بِأَظْلافِهَا وتَنْطَحهُ بِقُرُونِهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ ثُمَّ يَعُودُ أُولاهَا عَلَى أُخرَاهَا » (٣) ، فإن طلبها ليطلب بها البر وفعل الصنائع واكتساب المعروف كان على خطر وتركه لها أبلغ في البر فقد قيل : (يا طالب الدنيا لتبر ، تركك لها أبر (٤)) .

فقد تبين في هذه الأخبار أن الطلب لها من وجهها للضرورة لا غير ، فإنه قد شرط في الحالين جميعًا الحلال ، وما من شيء أعز اليوم من درهم [١٥١/ب] حلال ، قال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ [٥٨٥] : « مَا شَيءٌ أَعَزُّ (٥) اليَوْمَ مِنْ دِرْهَمٍ حَلالٍ (٦) وأَخٍ فِي اللَّهِ » (٧) .

ففي الحديث دلالة بينة على شرف الفقر وضعة الغنى وقصوره عن رتبة الفقر ، وذلك أن الغنى الذي هو فضول المال ، ليس إلا كثرة العرض وحطام الدنيا ولا يكاد الكثرة منها يكون إلا بالطلب لها (٨) ، والجمع إياها والطلب للاستكثار متوعد بغضب الله عليه ، ومن حصلت عنده من غير طلب فهو مكثر والمكثر هالك إلا من أعطى يمينًا

---

(١) في (خ) : غمي . (٢) في (س) : فجعلت .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب الزكاة باب زكاة البقر (٥٣٠/٢) رقم (١٣٩١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة (٦٨٦/٢) رقم (٩٩٠) ، وأبو داود في سننه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الزكاة باب في حقوق المال (١٢٤/٢) رقم (١٦٥٨) ، والترمذيُّ في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب الزكاة باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في منع الزكاة من التشديد وقال : حسن صحيح (١٢/٣) رقم (٦١٧) ، والنسائي في سننه في كتاب الزكاة باب التغليظ في حبس الزكاة (٦/٢) رقم (٢٢٢٠) ، وأحمد في مسنده (١٦٩/٥) رقم (٢١٥٢٩) .

(٤) في (س) : بر .

(٥) زاد في (س) بعدها : اللَّه . (٦) سقط من (س) .

(٧) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن حذيفة وقال : غريب من حديث الثَّوْرِيِّ تفرد به روح بن صلاح (٣٧٠/٤) ، والطبراني في الأوسط (٣٥/١) رقم (٨٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه روح بن صالح ضعفه ابن عدي وقال الحاكم : ثقة مأمون وذكره ابن حبان في الثقات وبقية رجاله موثقون (١٧٢/١) .

(٨) زيادة من (س) .

وشمالًا ووراء ولا يكاد يبقى المال مع الإعطاء بهذه الصفة ، وقد قال بعض الفلاسفة لرجل افتخر بالغنى بالمال فقال : ما افتخارك بشيء يتلفه الجود ويمسكه البخل . وقال آخر ورأى رجلًا يفتخر على آخر بماله فقال : ما افتخارك بشيء يعطيه البخت ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : أنشدني أبو القاسم الحكيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

ملأت يدي من الدنيا مرارًا ... فما طمع العواذل في اقتصادي [١]

ولا وجبت علي زكاة مال ... وهل تجب الزكاة على الجواد (ن)

قال : وكفاك بفضل ما بينهما أن ذا المال يحتاج إلى التطهير ولولا التدنس [٢] لم تطهره الزكاة قال اللَّه تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال ﷺ [٥٨٦] « **إِنَّ هَذَا البَيْعَ يَحْضُرُه اللَّغْوُ والكَذِبُ فَشَوِّبُوه [٣] بِالصَّدَقَةِ** » ؛ ولذلك لم تجب الزكاة على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ لأنهم لم يتدنسوا بها ؛ لأنهم كانوا خزان اللَّه لا متملكين للأموال جامعين لها ، وكذلك الأطفال لم [١٥٢/أ] تجب عليهم الزكاة ؛ لأنهم لم يتدنسوا بها ، وسائر المكثرين منها محتاجون إلى التطهير من أدناسها والغسل من أقذارها ، والمتخلي منها طاهر من أدناسها طيب من أقذارها غني عن التطهير بالزكاة منها آمن من الوعيد بالكي على الجباه والجنوب والظهور بها والعذاب على الحرام منها والحساب على الحلال فيها .

وقد أفردنا لشرف الفقر وأهله كتابًا جامعًا يشتمل على الأخبار والآثار المروية فيه والحجج الكثيرة من جهة الخبر والنظر ومعاني الأخبار التي وردت في الغنى ما أغنى عن الإعادة ها هنا وباللَّه التوفيق (ن) .

١٣٣
باب في إدراك الفقير بنيته ما يدركه الغني بماله

حديث آخر : [٥٨٧] حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى محمد بن عيسى ح الحسين بن الحسن المَرْوَزِيُّ ح ابن أبي عدي ح حميد عن أنس رضي الله عنه قال : « لما قَدِمَ

---

(١) في (خ) : اقتصاد .
(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : به .
(٣) شوبوه بالصدقة : أصل الشوب الخلط ، أمرهم بالصدقة لما يجري بينهم من الكذب والربا والزيادة والنقصان في القول لتكون كفارة لذلك النهاية مادة (شوب) ، (٥٠٧/٢) .

النَّبيُّ ﷺ المدِينَةَ أَتَاه المهَاجِرُونَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ [عَلَيْكَ السَّلامُ] [(١)] ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ ولا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِم لَقَدْ كَفَوْنَا المؤُونَة [(٢)] وأَشْرَكُونَا في المهْنَأ حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ . فَقَالَ النَّبيُّ : « **لا مَا دَعَوْتُم اللَّهَ لهم وأَثْنَيْتُم عَلَيْهِم** » [(٣)] .

قال الشيخ رحمه الله : في هذا الحديث دلالة على أن الفقير يدرك بقوله ونيته ما يدرك الغني بفضول ماله ، فإن الأنصار بذلوا أموالهم للفقراء من المهاجرين وقاسموهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم قال اللّه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر: ٩] فهم بذلوا أموالهم وقاسموهم إياها حتى خاف المهاجرون أن يفضلوهم [١٥٢/ب] ويفوقوهم [(٤)] ويفوتهم ما يعطي الأنصار على نفقاتهم وبذل أموالهم ، وهذا معنى قولهم : « أن [(٥)] يذهبوا بالأجر كله » ؛ لأن الأجر هو الثواب ، واللّه تعالى واسع غني لا تفنى خزائنه ولا ينقص أجره ، وإنما معناه ما قلنا : إنهم يفضلوننا بأجور نفقاتهم فيكون [(٦)] لهم دوننا ، فقال لهم النبي عليه السلام : « لا » أي ليس [(٧)] كما تظنون أي لا يفضلونكم ولا يفوتكم ما يعطون من أجور نفقاتهم ؛ فإن دعاءكم اللّه لهم وثناءكم عليهم يقوم منكم مقام نفقاتهم وبذل أموالهم فتعطون على الدعاء والثناء من الأجر ما يعطون على النفقة والعطاء .

وفيه أيضًا وجوب مكافأة المعطي ومجازاة المحسن ومعرفة الفضل للمنعم ، أعني فضل الأفضال لا فضل الشرف [(٨)] وإن كان المنفق والمعطي والمحسن لا ينبغي له أن يقصد

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) المؤونة : القوت ، لسان العرب مادة (مأن) ، (١٣/٣٩٦) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب صفة القيامة باب منه وقال : (صحيح حسن غريب من هذا الوجه (٤/٦٥٣) رقم (٢٤٨٧) ، وأحمد في مسنده (٣/٢٠٠) رقم (١٣٠٩٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٦/٤١٠) رقم (٣٧٧٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٥١٣) رقم (٩١٠٦) ، والطبراني في الأوسط (٧/٢٠٩) رقم (٧٢٩٢) .

(٤) سقط من (س) و (خ) .

(٥) زاد في (خ) قبلها : خفنا .

(٦) زاد في (س) و (خ) بعدها : ذلك .

(٧) السابق .

(٨) زاد في (س) و (خ) بعدها : بالمال .

بإحسانه [مجازاة من أحسن إليه ومكافأة من تفضل عليه والله أعلم] [(١)] .

١٣٤
باب في الترغيب في الزهد في الدنيا

حديث آخر : [٥٨٨] حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح هناد ح وكيع عن الربيع ابن صبيح عن يزيد بن أبان وهو الرَّقَاشِيُّ عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّه جَعَلَ اللَّهُ غِنَاه في قَلْبِهِ وجَمَعَ له شَمْلَه وأَتَتْه الدُّنْيَا وهِيَ رَاغِمَةٌ ومَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّه جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَه بَيْنَ عَيْنَيْه وفَرَّقَ عَلَيْه شَمْلَه ولم يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلا مَا قُدِّرَ لَه** » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : في هذا الحديث معنيان أحدهما : الترغيب [١٥٣/أ] في الزهد في الدنيا ، والإعراض عنها ، والرغبة في الآخرة ، والإقبال عليها ، والتشجيع في ترك الدنيا ، بمعنى الإنفاق ممن هي في يديه ، والإعراض عنها ممن ليست عنده ، كأنه عليه السلام يقول : من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة رزق الفراغ والتنعم وجمع الشمل ، وأتته الدنيا : أي الرفق فيها والمهنأ منها ، فيكون له المهنأ دون الشغل ، والرفق من غير تعب ، فهو غني وإن عَدِمَ القوت ، ومن أقبل على الدنيا وأعرض عن الآخرة شغل بما لا يجدي عليه ، وتعب فيما [(٣)] لا يغني عنه ، فتزداد الدنيا عنه بعدًا ؛ لأنه لا يصيب منها إلا المقدور ، والمقدور لا يغنيه ، وإن كثر لغلبة الحرص عليه ، والتأسف على فوت ما لم يقدر له ، مع تعب الطلب والخيبة في التعب ، فهو فقير وإن ملك الدنيا .

[والمعنى الآخر] [(٤)] تنبيه وإرشاد في الرجوع إلى الله تعالى ، والإقبال على الله

---

(١) زيادة من (س) و (خ) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذيُّ في جامعه بلفظه عن أنس بن مالك في كتاب صفة القيامة باب منه (٦٤٢/٤) رقم (٢٤٦٥) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن أبان بن عثمان في كتاب الزهد باب الهم بالدنيا (١٣٧٥/٢) رقم (٤١٠٥) ، والدارمي في سننه بنحوه عن الحسن (١٠٨/١) رقم (٣٣١) ، وأحمد في مسنده عن أبان بن عثمان بألفاظ مختلفة (١٨٣/٥) رقم (٢١٦٣٠) وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد بلفظه عن أنس (٣٥٥/٢) رقم (٦٦٩) والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن زيد بن ثابت (٢٨٨/٧) رقم (١٠٣٣٨) ، والطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٢٦٦/١١) رقم (١١٦٩٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف (٢٤٨/١٠) .

(٣) في (خ) : بما .

(٤) زيادة من (س) و (خ) .

تعالى ، وأنه أسير القدرة ، سليب القبضة ، وأن أفعاله تبع لفعل الله [١] ، وأنه إنما يكون بالله ، فيكون العبد مأخوذًا عن أوصافه ، مصروفًا عن نظره إلى أفعاله ، معترفًا بعجزه ، مقرًا باضطراره ، عالمًا بضرورته وافتقاره ، كأنه يقول : إنما تكون الآخرة همة من جعل الله الغنى في قلبه وجمع له شمله ؛ لأنه لا يقبل على الآخرة إلا من استغنى عن الدنيا ، فإن الدنيا حجاب الآخرة ، فإذا رفع الحجاب عن بصر القلب رأى الآخرة بعين إيقانه ، ومن نظر إلى الآخرة شغل عن الدنيا ، [وإذا شغل عنها] [٢] صارت مرفوضة منه متروكة عنه .

قال حارثة : [٥٨٩] « عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ ... » [٣] الحديث ، فمن [١٥٣/ب] أغناه الله عن الدنيا بالزهد فيها والرغبة عنها صارت الآخرة همه ؛ لأن الإنسان حريص والنفس راغبة إما أن ترغب إلى الدنيا أو إلى الآخرة ، فإذا حجبت عن الدنيا بالعزوف عنها والاستغناء منها افتقرت إلى الآخرة ورغبت فيها .

قيل لعمر [٤] بن عبد العزيز لما أفضت الخلافة إليه : [٥٩٠] « قَدْ زَهَدْتَ فِي الدُّنْيَا يَا [٥] أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : إِنَّ [لِي نَفْسًا] [٦] تَوَّاقَةً تَاقَتْ [٧] إِلَى الدُّنْيَا فَلَمَّا أَصَابَتْهَا تَاقَتْ إِلَى الآخِرَةِ » [٨] .

فمن جعل الله الغنى في قلبه وجمع له سره بالاستغناء عن الدنيا وحطامها صارت همته الآخرة ، وما قدر له من الدنيا ، والرفق فيها يأتيه في راحة من بدنه وفراغ من سره ، وهذا معنى قوله ﷺ : « راغمة » أي تأتيه من غير طلب لها ؛ لأنها قل ما تواتي طلابها إلا بجهد في [٩] طلب لها حثيث ، فإذا جاءت من غير طلب فكأنها جاءت راغمة صاغرة ذليلة ، ومن جعل الله فقره إلى الدنيا وحجبه عن الآخرة بميله إلى الدنيا صارت الدنيا نصب عينيه ، والدنيا فقر كلها ؛ لأن حاجة الراغب فيها لا تنقضي ، فهي

---

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : به .

(٢) سقط من (س) . (٣) سبق في اللوحة رقم (٤/أ) .

(٤) في (س) : أحمد . وهو خطأ والصواب ما في الأصل ، حلية الأولياء (٣٣١/٥) .

(٥) سقط من (س) . (٦) في (س) : أنفسنا .

(٧) في هامش (خ) : أي اشتاقت ، التوقان شدة الشوق .

(٨) الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى بألفاظ مختلفة عن جويرية بن أسماء (٤٠١/٥) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء عن سفيان (٣٣١/٥) .

(٩) في (س) و (خ) : و .

كداء [(١)] العطاش كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا ، فمن كانت الدنيا نصب عينيه صار الفقر بين عينيه ، وتخلف [(٢)] سره ، واختلفت [طرقه] [(٣)] وتشتتت همته ، وتعب بدنه ، وشرهت نفسه ، وازدادت الدنيا عنه بعدًا ؛ لأنه لا يأتيه [(٤)] إلا المقدور ، والمقدور منها لا يغنيه ، كأنه يقول : من كانت الآخرة همه هو الذي جعل اللّٰه غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، ومن كانت الدنيا همه هو الذي جعل اللّٰه فقره بين عينيه [١٥٤/أ] وفرق شمله ، وكل لا يفوته مقدوره من الدنيا .

نبه ﷺ على محض العبودية كأنه يقول : من أهمته الآخرة فلير فضل اللّٰه عليه في وضع الغنى في قلبه ، حتى رفض الدنيا وأقبل على الآخرة ، ومن أهمته الدنيا فليفتقر إلى اللّٰه بالدعاء [والابتهال والرجوع إليه والتوبة والإقبال عليه ، ويستغيث إلى اللّٰه بالدعاء [(٥)] في] [(٦)] إزالة الفقر من بين عينيه ، والحرص من قلبه ، والتعب من بدنه ، والشغل من قلبه ، فكأنه ﷺ دل على الافتقار إلى اللّٰه تعالى في الأحوال كلها ، فيما يرضى بالحمد له ، ورؤية الفضل من عنده ، والرغبة إليه في الثبات عليه ، فقد قال تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] وقال : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] وفيما يكره بالاستغفار له والاستغاثة به في نقله مما يكره إلى ما يحب ، فقد قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ [(٧)] ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح : ١٠] الآية ، وقال تعالى في الاستغاثة به : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

١٣٥
باب في ظواهر الأنبياء وبواطنهم

حديث آخر : [٥٩١] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيّ ح أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : وَاصَلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّاسَ فَوَاصَلُوا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَهَاهُم ، وقَالَ : « **إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُم ، إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي** » [(٨)] .

---

(١) سقط من (س) .
(٢) في (س) : فقر .أهـ أما في (خ) : تفرق .
(٣) زيادة من (س) و (خ) .
(٤) زاد في (خ) بعدها : منها .
(٥) سقط من (خ) .
(٦) سقط من (س) .
(٧) في (س) : و .
(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد اللّٰه بن عمر في كتاب الصوم باب الوصال =

وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة قال : سمعت أبا هريرة ﷺ يقول : قال رسول اللّه ﷺ : [٥٩٢] « **إِيَّاكُم والوِصَالَ** - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - » . قَالُوا : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللّهِ . قَالَ : **لَسْتُم فِي ذَلِكَ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي** [١٥٤/ب] **يُطعِمُني ربِّي وَيَسْقِينِي ، فَتَكَلَّفُوا** [١] **مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ** » [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : الظلول والبيتوتة يعبران عن الزمان كله ، ويخبران بالدوام ، وقد أخبر ﷺ أنه عند ربه جميع نهاره وكل ليله ، فكأنه يقول : أنا أبدًا عند ربي [٣] : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠] وقال ﷺ : [٥٩٣] « **لِي مَعَ اللّهِ وَقْتٌ لا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُه** » [٤] ، معناه وقتي كله مع اللّه ؛ لأنه قال : « **أظل عند ربي** » و « **أبيت** » ومن كان معه لم يكن للأغيار إليه طريق ولا للخلق بمعنى الإشراف نظر وتحديق فإنما ربط الخلق بظاهره ليأخذوا عنه آداب الشريعة وأوصاف العبودية بموافقة الجنس ولولا ذلك لم يمكن للخلق الأخذ عن الوسائط الذين هم الأنبياء عليهم السلام قال اللّه تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ

= (٦٩٣/٢) رقم (١٨٦١) ، ومسلم في صحيحه عن أنس في كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم (٧٧٦/٢) رقم (١١٠٤) ، والنسائي في سننه الكبرى عن ابن عمر في كتاب الصيام باب ما يفعل الصائم إذا سب (٢٤١/٢) رقم (٣٢٦٣) ، والدارمي في سننه عن أبي هريرة (١٤/٢) رقم (١٧٠٣) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٢٥٣/٢) رقم (٧٤٣١) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن ابن عمر (٢٨٢/٤) رقم (٨١٥٧) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٣٤١/٨) رقم (٣٥٧٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه (٣٣٠/٢) رقم (٩٥٨٦) .

(١) في (خ) : تكلفوا .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال (٦٩٤/٢) رقم (١٨٦٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب النهي عن الوصال (٧٧٤/٢) رقم (١١٠٣) ، ومالك في الموطأ (٣٠١/١) رقم (٦٦٨) ، والدارمي في سننه (١٤/٢) رقم (١٧٠٣) ، وأحمد في مسنده (٢٣١/٢) رقم (٧١٦٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٨٢/٤) رقم (٨١٥٨) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢١٢/١) رقم (١٦٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٧٥/١٠) رقم (٦٠٨٨) .

(٣) زاد في (س) بعدها : ومن كان عنده لا يستحسر ولا يفتر قال اللّه تعالى ا.هـ . وهذه الزيادة في هامش (خ) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٤٢/أ) .

إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠] وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠] أخبر أن ظواهر الأنبياء بأوصاف البشرية، وبنيتهم بنية البشرية تعتريها [1] حوادث نعوت الإنسانية وتطرقها آفات الحدث، وحقائقهم التي هي بواطنهم محمولة باستظهار الربوبية وأوصاف الحقية فلا يقدح فيها عجز البشرية وضعف الإنسانية؛ فهي محمولة بما يرد عليها من الحق جل اسمه عن طروق [2] الآفة عليها مصونة عن تأثير أوصاف الحدث فيها من ضعف جوع وعطش أو فتور سهر أو حجبة ورياء ألا تراه يقول: [٥٩٤] « **لا يَنَامُ قَلْبِي** » [3] و « **إِنِّي أَرَاكُم مِنْ وَرَائِي** [4] [5] [١٥٥/أ] » ذلك ليعلم أن حقيقته قائمة بأوصاف الحق للحق وظاهره على صفة البشرية للخلق فكل صفة ظهرت في بنيته وظاهر نعته وآفة جرت على إنسانيته من قوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] وقوله ﷺ: [٥٩٥] « **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ** »، وربطه الحجر على بطنه وسهوه في صلاته وسائر أحواله التي تشبه ذلك [6] حظ الأغيار منه، ونصيب الخلق فيه لأنه ﷺ أقيم مقام التأديب قولًا وفعلًا، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤] وقال: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] فأضاف ﷻ أفعاله وأقواله إلى نفسه وجعل أخلاقه ﷺ أوصافه - جل وعز - فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] قالت عائشة رضي الله عنها: [٥٩٦] « **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ يَرْضَى بِرِضَاه وَيَسْخَطُ بِسُخْطِهِ** » [7]، يؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ

---

(١) في (خ): تغيرها. (٢) في (س): طرد.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عائشة في كتاب التهجد باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره (٣٨٥/١) رقم (١٠٩٦)، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل (٥٠٩/١) رقم (٧٣٨).

(٤) في (س): وراء.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب الصلاة باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة (١٦٢/١) رقم (٤٠٩)، وأحمد في مسنده (٢٢٨/٣) رقم (١٣٤٠٦).

(٦) زاد في (س) بعدها: منه.

(٧) أخرج مسلم الجزء الأول من الحديث في صحيحه بلفظ مقارب عن عائشة في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل (٥١٣/١) رقم (٧٤٦)، وأبو داود في سننه في كتاب التطوع باب في صلاة الليل (٤٠/٢) رقم (١٣٤٢)، وأحمد في مسنده بلفظه (٩١/٦) رقم (٢٤٦٤٥)، والبخاري =

مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآية أخبر أن ما جرى عليه نصيب الخلق وقدوة الأمة ، قال ﷺ لحذيفة حين شكا إليه ذرب لسانه قال : « **فأين أنت من الاستغفار ؟ فإني أستغفر اللّه في كل يوم مائة مرة** » وحدثنا أحمد [١] بن سباع بن الوضاح ح محمد بن الضوء ح عمرو - يعني ابن عون الوَاسِطِيّ - ح أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي المغيرة عن حذيفة ﷺ قال : [٥٩٧] شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَرَبَ لِسَانِي [٢] ، قَالَ : « **فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي [كُلِّ يَوْمٍ] [٣] مِائَةَ مَرَّةٍ** » [٤] .

فظاهر الأنبياء مرآة للخلق يبصرون فيهم ما يجب عليهم ، وبواطنهم في حجب الغيب عند ربهم ؛ لذلك [١٥٥/ب] قال ﷺ : « **لست كمثلكم** [٥] » .

١٣٦
باب في الكذب الحلال

حديث آخر : [٥٩٨] حدثنا [٦] محمد بن موسى ح الحارث بن أبي أسامة [٧] ح عبد اللّه بن بكر السَّهْمِيّ ح هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ﷺ قال : « **لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ غَيْرَ ثَلاثٍ ، قَوْلُه : إِنِّي سَقِيمٌ ، وقَوْلُه : بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُم هَذَا** [٨] ، **وبَيْنَمَا هُوَ** [٩] **يَسِيرُ إِذْ نَــزَلَ فِي أَرْضِ جَبَّارٍ فَأُتِيَ بِالجبَّارِ** [١٠] **فَقِيلَ لَه** [١١] : **قَدْ نَـزَلَ هَاهُنَا رَجُلٌ**

= في الأدب المفرد (١/١١٥) رقم (٣٠٨) ، وفي خلق أفعال العباد (١/٨٧) ، وأخرجه بتمامه بألفاظ متقاربة البيهقي في شعب الإيمان (٢/١٥٤) رقم (١٤٢٨) .

(١) في (خ) : إسماعيل .

(٢) ذرب لساني : يقال : ذرب لسانه إذا كان حاد اللسان لا يبالي ما قال النهاية مادة (ذرب) ، (٢/١٥٦) .

(٣) في (خ) : اليوم .

(٤) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن حذيفة في كتاب عمل اليوم والليلة فيما يقول من كان ذرب اللسان (٦/١١٨) رقم (١٠٢٨٤) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة في كتاب الأدب باب الاستغفار (٢/١٢٥٤) رقم (٣٨١٧) ، والدارمي في سننه (٢/٣٩١) رقم (٢٧٢٣) ، وأحمد في مسنده (٥/٣٩٧) رقم (٢٣٤١٩) ، والحاكم في المستدرك (١/٦٩١) رقم (١٨٨١) ، والبزار في مسنده (٧/٣٧٣) رقم (٢٩٧١) ، والطبراني في الأوسط (٣/٢٨٨) رقم (٣١٧٣) .

(٥) في (س) : مثلكم .

(٦) في (س) : ح أبو عبد اللّه .

(٧) في (خ) : أمامة .

(٨) سقط من (خ) .

(٩) السابق .

(١٠) في (خ) : الجبار .

(١١) سقط من (س) و (خ) .

رَجُلٌ مَعَ [١] **امْرَأَةٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ** [٢] ، **فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَتَاه [فَقِيلَ لَهُ :]** [٣] **[مَا هَذِهِ المَرْأَةُ]** [٤] **مِنْكَ ؟ قَالَ : أُخْتِي** » وذكر الحديث [٥] .

وحدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل حدثني سعيد بن تليد الرُّعَيْنِيُّ [٦] [أخ ني] [٧] ابن وهب أخ ني جرير بن حازم عن أيوب عن محمد [٨] عن أبي هريرة ﷺ قال [٥٩٩] : قال رسول الله ﷺ : « **لَم يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إلا ثَلاثًا** » [٩] .

قال الشيخ رحمه الله : حد الكذب ما كان مخبره بخلاف خبره ، وقول إبراهيم : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] يحتمل أن يكون عبارة عن حاله قبل بيان ما ظهر له في الشمس والقمر والكوكب ، فإنه نظر إليه مستدلًا والمستدل بين أمرين حتى يقع استدلاله على ما استدل به عليه ، فكان في تلك الحال يتردد بين ما يدعيه قومه وبين ما عرفه بفطرته ، فكان يتبين تحقيق ما عرفه بالفطرة من جهة دليل العقل ولم يكن في شك من معرفة الله تعالى

---

(١) في (س) و (خ) : معه .
(٢) في هامش الأصل : النساء .
(٣) في (س) و (خ) : فقال .
(٤) من هامش الأصل .
(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] (٣/١٢٢٥) رقم (٣١٧٩) ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ (٤/١٨٤٠) رقم (٢٣٧١) ، وأبو داود في سننه في كتاب الطلاق باب في الرجل يقول لامرأته يا أختي (٢/٢٦٤) رقم (٢٢١٢) ، والترمِذِيُّ في سننه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام (٥/٣٢١) رقم (٣١٦٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب مناقب فاطمة (٥/٩٨) رقم (٨٣٧٤) ، وأحمد في مسنده (٢/٤٠٣) رقم (٩٢٣٠) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/٣٦٦) رقم (١٤٩٢١) .
(٦) الرُّعَيْنِيُّ : بضم الراء وفتح العين المهملة وبعدها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى رعين من اليمن ، الأنساب (٢/٣١٦) .
(٧) في (س) و (خ) : أخبرني .
(٨) زاد في (س) بعدها : ابن إبراهيم .
(٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] (٣/١٢٢٥) رقم (٣١٧٩) ومسلم في صحيحه بلفظ مقارب في كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ (٤/١٨٤٠) رقم (٢٣٧١) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام (٥/٣٢١) رقم (٣١٦٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب مناقب فاطمة (٥/٩٨) رقم (٨٣٧٤) ، وأحمد في مسنده (٢/٤٠٣) رقم (٩٢٣٠) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/٣٦٦) رقم (١٤٩٢١) .

أي [١] بالوحدانية ، وأنه لا شريك له وإنما كان يطلب دليل المحاجة لقومه [٢] وإزالة عوارض الشكوك التي تهجس في الخواطر ولم يكن وقع له ذلك فعبر عن ضعفه في استدلاله بالسقم وقد يقال للعلة إذا لم تطرد في معلولاتها : هذه علة سقيمة [١٥٦/أ] أي ضعيفة ، وقد قال اللّه تعالى في صفة قوم [٣] شكوا فيما آتاهم به النبي ﷺ : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة : ١٠] قيل : شك [٤] ، والشك ضعف ، فكان ضعف هؤلاء من جهة الشك وضعف إبراهيم من طريق المحاجة فآتاه [٥] اللّه دلائل المحاجة بالكوكب والشمس والقمر بما قص اللّه من قوله : ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] وقوله : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الأنعام : ٧٧] فتمت له الحجة في أفول الشمس وآثار الحدث [٦] واستحكمت الدلالة على حدث [٧] ما دون اللّه تعالى وعلى قِدَم الباري ﷻ وتعاليه عن أوصاف الحدث بقوله : ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ ﴾ الآية [الأنعام : ٧٨، ٧٩] ، ناداهم بالخلاف لهم لما استحكمت له دلائل العقل وآلة الحجاج فعندها قال : ﴿ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ [الأنعام : ٨٠] وقال : ﴿ فَإِنَّ [٨] ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] فحاجوه في اللّه فحجهم فهذا قوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] ، وقوله تعالى : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] علق فعل كبيرهم بكون النطق منه كأنه يقول : إن كان كبيرهم ينطق وهذه الأصنام ينطقون فهو فعل كبيرهم فهذا على التبكيت لقومه [٩] إن الذي لا امتناع له ممن كسره ولا نطق فيه بالإخبار عمن فعل به كيف يكون إلهًا يعبد وربًّا يرجى ؟ فقال : ﴿ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦٣] فهو فعل كبيرهم ، وهذا صدق من إبراهيم ؑ ؛ لأن مخبره لم يكن بخلاف خبره ؛ لأن الأصنام لم يكونوا ينطقون .

وقوله ؑ لسارة : « أختي » يعني في الإسلام وهو في هذا الحديث مفسر ؛ لأنه لما قال له : ما هذه المرأة منك ؟ قال أختي . قال : اذهب [١٥٦/ب] فأرسل بها ، فأتى

---

(١) سقط من (س) و (خ) . (٢) في (خ) : لقوله .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) قاله ابن عباس فيما نقله عنه الطبري بإسناده عنه في تفسيره جامع البيان (١٢١/١) .

(٥) في (خ) : فأراه . (٦) زاد في (س) و (خ) بعدها : فيها .

(٧) في (س) : حدوث . (٨) في الأصل و (س) و (خ) : إن .

(٩) في (س) : لقوله .

سارة فقال : « إن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني [١] عنده فإنك أختي في كتاب اللّٰه وليس في الأرض مسلم غيرك وغيري » هذا كله لفظ حديث أبو هريرة ﷺ الذي ذكرنا إسناده أولًا . فأخبر أنها أخته في الدين ، وصدق ﷺ ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

فقول النبي ﷺ : « **لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثًا** » أي لم يتكلم على صورة الكذب إلا هذه الثلاث فإنه على التوهم من السامع أنها كذبات وإن لم تكن في الحقيقة كذلك .

ويجوز أن تكون كذبات ولكنها لما كانت في الدفع عن الدين لا يكون ذلك معصية ولكن كانت مباحة ، وقد قال ﷺ : [٦٠٠] « **لا يَحِلُّ الكَذِبُ إلا في ثَلاثٍ ، يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَه لِيُرْضِيَهَا ، والْكَذِبُ في الحرْبِ** [من جهة الدفع عن الدين] [٢] ، **والكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ** » حدثناه نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح محمود بن غيلان ح بشر بن السَّرِيِّ وأبو أحمد قالا [٣] : ح سفيان عن ابن أبي خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **لا يَحِلُّ الكَذِبُ إلا في ثَلاثٍ** » وذكر الحديث [٤] .

فأخبر النبي ﷺ أن الكذب يحل في الحرب وإصلاح ذات البين وبين المرأة وزوجها والدفع عن الدين أكبر من ذلك والكذب في الحرب من جهة الدفع عن الدين .

وفي بعض الروايات : [٦٠١] « **لَم يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إلا ثَلاثَ كَذبَاتٍ** » [٥] كل ذلك

---

(١) في (س) : تكذبوني .

(٢) سقط من (س) و (خ) . وهذه العبارة مدرجة في الحديث فهي ليست عند الترمذِيِّ والحديث بإسناده .

(٣) في (س) : قال .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الكذب وبيان المباح منه (٢٠١١/٤) رقم (٢٦٠٥) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في إصلاح ذات البين (٢٨١/٤) رقم (٤٩٢١) ، والترمذِيُّ في جامعه بلفظه عن أسماء بنت يزيد دون ما بين المعكوفين في كتاب البر والصلة باب ما جاء في إصلاح ذات البين (٣٣١/٤) رقم (١٩٣٨) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أم كلثوم ابنة عقبة في كتاب السير في الرخصة في الكذب في الحرب (١٩٣/٥) رقم (٨٦٤٢) ، وأحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد (٤٦٠/٦) رقم (٢٧٦٤٩) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب قول اللّٰه تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١٢٢٥/٣) رقم (٣١٧٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب من فضائل =

يماحل [١] بها عن دين الله تعالى ، فهذا الحديث [٢] حلال .

[حدثنا نصر] [٣] ح أبو [٤] عيسى ح [٥] ابن أبي عمر ح سفيان عن ابن [٦] جدعان عن أبي نضرة [١٥٧/أ] عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﷺ عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة : [٦٠٢] « **اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُول : إِنِّي كَذَبْتُ ثَلاثَ** [٧] **كَذِبَاتٍ** » ثم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « **مَا مِنْهَا كَذْبَةٌ إِلا مَاحَلَ بها عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالى** » [٨] [فهذا كذب حلال] [٩] .

١٣٧
باب في فضل النبي ﷺ

حديث آخر : [٦٠٣] أخبرنا أبو أحمد عبد العزيز بن محمد بن المَرْزُبَانِيِّ [١٠] ح أبو الفضل محمد بن إبراهيم البَكْرِيُّ ح أبو عبد الله محمد بن إسماعيل [١١] [ح ني] [١٢] عبد العزيز بن أبي حازم عن سهيل بن أبي صالح عن زياد النُّمَيرِيِّ عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنفَلِقُ الأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِهِ [يَوْمَ القِيَامَةِ]** [١٣] **ولا فَخْرَ ، وأَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ ولا فَخْرَ ، ومَعِي لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَ**

= إبراهيم الخليل ﷺ (١٨٤٠/٤) رقم (٢٣٧١) ، وأحمد في مسنده (٤٠٣/٢) رقم (٩٢٣٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٦/١٠) رقم (٦٠٣٩) .

(١) يماحل : أي يدافع ويجادل من المحال بالكسر وهو الكيد وقيل : المكر وقيل : القوة والشدة . (النهاية مادة (محل) ، (٣٠٣/٤) .

(٢) في (س) و (خ) : كذب .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في (س) : بن وهو خطأ .

(٥) في (س) : ح عن .

(٦) في (خ) : أبي .

(٧) سقط من (س) .

(٨) الحديث أخرجه الترمذيُّ بلفظه عن أبي سعيد في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل وقال : حسن صحيح (٣٠٨/٥) رقم (٣١٤٨) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ مختلفة (٣١٠/٢) رقم (١٠٤٠) .

(٩) زيادة من (س) و (خ) .

(١٠) في (خ) : المرزبان .

(١١) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ﷺ قال .

(١٢) في (س) و (خ) : حدثني .

(١٣) سقط من (س) .

القِيَامَةِ (١) وأَنَا أَوَّلُ (٢) مَنْ يُفْتَحُ لَه بَابُ (٣) الجنَّةِ ولا فَخْرَ فَآتِي فَآخُذُ بِحلقَةِ الجنَّةِ ، فَيَقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ فَيَفْتَح لي فَيَسْتَقْبِلُنِي الجبَّارُ ﷻ فَأَخِرُّ لَه سَاجِدًا فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ قُلْ (٤) تُسْمَعْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعْطَهْ . فَأَقُولُ : يَارَبِّ (٥) ، أُمَّتِي أُمَّتِي . فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَمَنْ وَجَدْتَ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَدْخِلْه الجنَّةَ ، فَأَذْهَبُ فَأُمَيِّزُ فَأُدْخِلُ (٦) مَنْ شَاءَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ثُمَّ أَرْجِعُ فَآخُذُ بِحلَقَةِ الجنَّةِ فَيَسْتَقْبِلُنِي [الجبَّارُ ﷻ فَأَخِرُّ لَه سَاجِدًا ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْ تُسْمَعْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعْطَهْ . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي . فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَمَنْ وَجَدْتَ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَدْخِلْه الجنَّةَ] (٧) فَأَذْهَبُ فَأُمَيِّزُ ، وأُدْخِلُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالى بِرَحْمَتِهِ ، ثم أَذْهَبُ فَآخُذُ (٨) بِحلَقَةِ [١٥٧/ب] الجنَّةِ فَيَسْتَقْبِلُنِي الجبَّارُ فَأَخِرُّ لَه سَاجِدًا ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْ تُسْمَعْ ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ وسَلْ تُعْطَهْ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ، أُمَّتِي أُمَّتِي . فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَمَنْ وَجَدْتَ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ إِيمَانًا فَأَدْخِلْـه الجنَّةَ . فَأَذْهَبُ فَأُمَيِّزُ وأُدْخِلُ (٩) مَنْ شَاءَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، ثم يَبْقَى قَوْمٌ لم يَكُونُوا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، فَيَقُولُ لَهُم نَاسٌ مِنَ المشْرِكِينَ : مَا أَغْنَى عَنْكُم إِيمَانُكُم وأَنْتُم مَعَنَا في النَّارِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : وَعِزَّتِي وجَبَرُوتِي وعُلُوِّ مَكَانِي لا أَدَعُ أَحَدًا كَان لا يُشْرِكُ بي شَيْئًا إِلا أَخرَجْتُه مِنَ النَّارِ ، فَيُخْرِجُهُم فَيَجْعَلُهُم في نُهَير (١٠) يُسَمَّى نَهَرَ الحيَاةِ (١١) فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ (١٢) في حَمِيلِ السَّيْلِ (١٣) . هَلْ تَرَوْنَ مَا يَلِي الظِّلَّ مِنْهَا أَصْفَرُ ، ومَا يَلِي الشَّمْسَ مِنْهَا أَخْضَرُ ؟ قَالُوا : كَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ بِالبَادِيَةِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ بِالبَادِيَةِ (١٤) ثم يُدْخِلُهُم الجنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الجنَّةِ : هَؤُلاءِ الجهَنَّمِيُّونَ ، فَيَقُولُ : لا تَقُولُوا : الجهَنَّمِيُّونَ ولَكِنْ قُولُوا : هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ » (١٥) .

---

(١) زاد في (س) بعدها : ولا فخر .
(٢) سقط من (س) .
(٣ - ٥) السابق .
(٦) في (س) و (خ) : وأدخل .
(٧) سقط من (س) .
(٨) في (س) : وآخذ .
(٩) في (س) : فأدخل .
(١٠) في (س) و (خ) : نهر .
(١١) في (خ) : الحيوان .
(١٢) الحبة : الحبة بالكسر بذور البقول وحب الرياحين وقيل : هو نبت صغير ينبت في الحشيش ، فأما الحَبة بالفتح فهي الحنطة والشعير ونحوهما . النهاية مادة (حبب) ، (٣٢٦/١) .
(١٣) حميل السيل : هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره . النهاية مادة (حمل) ، (٤٤٢/١) .
(١٤) في (خ) : في البادية .
(١٥) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن أنس بن مالك (٤١/١) رقم (٥٢) ، وأحمد =

قال الشيخ رحمه الله : قوله عليه السلام : « **أنا سيد الناس يوم القيامة** » : هو سيد الناس في الدنيا والآخرة ، ومعنى تخصيص يوم القيامة ، كقول الله تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] ولله الملك في الأيام كلها غير أنه قد ادعى قوم الملك في الدنيا ويومئذ لا مدعي كل قد أذعن وانقاد وزال ملك كل ذي [(١)] ملك ، فلا أحد يقول : أنا ملك . كذلك قوله : « **أنا سيد الناس يوم القيامة** » لا سؤدد لأحد يومئذ غيره ؛ لأن السيد هو الذي يفزع إليه القوم إذا أصابتهم نائبة أو حل بهم [١٥٨/أ] أمر لا يقومون به ؛ فيتحمل عنهم ويقوم بأسبابهم ويتحمل الحمالة عنهم ويذب عنهم ، ولذلك قال النبي عليه السلام [٦٠٤] : « **سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُم** » [(٢)] ؛ لأنه يكفيهم مؤنهم [(٣)] ويتحمل عنهم ما [(٤)] يطيقونه وقد قال [٦٠٥] : « **أَنَا خَطِيبُهُم إِذَا وَفَدُوا وأَنَا شَفِيعُهُم إِذَا حُبِسُوا وأَنَا مُبَشِّرُهُم إِذَا أُبْلِسُوا** [(٥)] **ولا فَخْرَ** » حدثناه حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح عبد السلام بن [(٦)] ليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ [(٧)] .

وحدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم [(٨)] ح محمد بن إسماعيل ح مسدد ح أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [٦٠٦] « **يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ**

= في مسنده (١٤٤/٣) رقم (١٢٤٩١) ، ومحمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِيُّ في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨/١) رقم (٢٦٩) ، وابن منده في الإيمان (٨٤٦/٢) رقم (٨٧٧) ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك مختصرًا بألفاظ مختلفة عن عبادة بن الصامت وقال : (هذا حديث كبير صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٨٣/١) رقم (٨٢) .

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه الخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد بلفظه عن جرير بن عبد الله (١٨٧/١٠) رقم (٥٣٣٠) . قال العجلوني في كشف الخفاء ، رواه أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ في آداب الصحبة له عن يحيى ابن أكثم عن المأمون عن أبيه عن جده عن عقبة بن عامر رفعه وفيه قصة ليحيى بن أكثم مع المأمون وفي سنده ضعف وانقطاع (٥٦١/١) رقم (١٥١٥) .

(٣) من هامش الأصل.

(٤) زاد في (خ) بعدها : لا .

(٥) أبلسوا : أي أسكتوا والمبلس الساكت من الحزن أو الخوف والإبلاس الحيرة . النهاية مادة (بلس) ، (١٥١/١) .

(٦) في (خ) : عن .

(٧) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ وقال : حسن غريب (٥٨٥/٥) رقم (٣٦١٠) ، والدرامي في سننه (٣٩/١) رقم (٤٨) وأبو يعلى في معجمه (١٤٧/١) رقم (١٦٠) ، وأبو بكر أحمد بن محمد الخلال في السنة (٢٠٨/١) رقم (٢٣٥) .

(٨) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن معقل .

القِيامَةِ فيَقولُونَ : لَوْ استَشْفَعْنَا عَلى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحنَا مِنْ مَكَانِنَا فيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فيَقُولُونَ : أَنْتَ الذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ونَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وأَمَرَ الملائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُم ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، ائْتُوا نُوحًا عليه السلام أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَه اللَّهُ تَعَالى فَيَأْتُونَه فيقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُم فَيَذْكُرُ [(١)] خَطِيئَتَه ، ائتُوا إِبْرَاهِيمَ الذي اتَّخَذَه اللَّهُ خَلِيلًا ، فَيَأْتُونَه فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُم ويَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، ائتُوا مُوسَى الذي كَلَّمَه اللَّهُ تَعَالى فَيَأْتُونَه فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُم [(٢)] فيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ، ائتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَه فيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُم ائتُوا مُحَمَّدًا فَقَدْ غُفِرَ لَه مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي [(٣)] ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَإِذَا رَأَيْتُه وَقَعْتُ [(٤)] سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثم يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وقُلْ تُسْمَعْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي [١٥٨/ب] فَأَحْمَدُ رَبي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي ثم أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا ثم أُخْرِجُهُم مِنَ النَّارِ فَأُدْخِلُهُم الجَنَّةَ ثم أَعُودُ [(٥)] فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَه في الثَّالِثَةِ أو [(٦)] الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ في النَّارِ إِلا مَنْ حَبَسَه القُرْآنُ . فَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ : عِنْدَ هَذَا ، أَيْ وَجَبَتْ [(٧)] عَلَيْه الخُلُودُ » [(٨)] . فهكذا السؤدد وهذا السيد .

وقوله : « ومعي لواء الحمد » يجوز أن يكون معنى لواء الحمد ، أي لواء الثناء ، كأنه يقول : لوائي لواء يعلم الخلائق أنه لواء الحمد والثناء والمدح والرضا ؛ لأن يوم القيامة للناس ألوية ، قال النبي عليه السلام : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ إِسْتِهِ يُعْرَفُ بِغَدْرَتِهِ » . حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح قيس عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد اللَّه رضي الله عنه قال : قال

---

(١) في (س) و (خ) : ويذكر . وهو الموافق لرواية البخاري التي يرويها المصنف بإسناده .

(٢) سقط من (س) .

(٣) في (خ) : فيأتوني .

(٤) سقط من (س) .

(٥) في (س) : أدعو .

(٦) في (خ) : و .

(٧) في (س) : وجب .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أنس في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٥/٢٤٠١) رقم (٦١٩٧) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/١٨٠) رقم (١٩٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير في سورة هود قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود : ٧] (٦/٣٦٤) رقم (١١٢٤٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة (٢/١٤٤٢) رقم (٤٣١٢) ، وأحمد في مسنده (٣/١١٦) رقم (١٢١٧٤) ، وابن حبان في صحيحه (١٤/٣٧٨) رقم (٦٤٦٤) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (١/٢٦٨) رقم (٢٠١٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١/٣٥٧) رقم (١١٨٦) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢/٣٧٤) رقم (٨٠٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٥/٢٧٩) رقم (٢٨٩٩) ، وأبو عوانة الإِسْفَرَايِينِيُّ في مسنده (١/١٥٤) رقم (٤٤٤) .

رسول الله ﷺ : [٦٠٧] « **لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِلِوَائِهِ عِنْدَ بَابِ إِسْتِهِ** [١] » [٢] .

وقال ﷺ عند ذكر امرئ القيس : « **بِيَدِهِ لِوَاءُ الشِّعْرِ يَقْدُمُهُم إِلَى النَّارِ** » حدثنا أبو العباس محمد بن محمد بن الحسن العباسي من ولد الرشيد ح محمد بن عبد الله بن ثابت الأُشْنَانِيُّ [٣] ح أحمد بن محمد بن حنبل ح هشيم [٤] عن أبي الجهم عن الزُّهْرِيِّ عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [٦٠٨] « **امْرُؤُ الْقَيْسِ صَاحِبُ لِوَاءِ الشُّعَرَاءِ إِلَى النَّارِ** » [٥] .

فيوم القيامة للناس ألوية هي ألوية خزي وفضيحة ، ألا تراه يقول : « **عند إسته** » ليكون أفضح له وأشين ، ولواء النبي ﷺ لواء الحمد أي لواء الثناء والزين إذ [٦] كانت هناك ألوية خزي وشين فهو ﷺ المبالغ [٧] في صفة الحمد وهو ﷺ أحمد كل محمود من الخلق ولواؤه لواء الحمد [١٥٩/أ] ليكون كمال الحمد له ، ويفتح له من الحمد والثناء على الله ما لم يفتح لأحد ﷺ .

وقوله : « **ولا فخر** » كأنه يقول : لا فخر لي بالعطاء بل الفخر لي بالمعطي .

وقوله : « **فيستقبلني الجبار** » يعني بالبر والإكرام والرضا والقبول ، يقال : دخلت على الأمير فاستقبلني بكل جميل إذا أكرمه وأدناه وسمع منه ، فكذلك « **فيستقبلني**

---

(١) إسته : السه حلقة الدبر ، النهاية مادة (سه) ، (٤٢٩/٢) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي سعيد في كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر (١٣٦١/٣) رقم (١٧٣٧) ، وأحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر (٤٩/٢) رقم (٥٠٩٦) ، وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ (٤٤١/٢) رقم (١٢٤٥) ، وأبو عوانة الإسفراييني في مسنده (٢٠٩/٤) رقم (٦٥٢٣) .

(٣) الأُشْنَانِيُّ : بضم الألف وسكون الشين المنقوطة وفتح النون الأولى وكسر الثانية ، هذه النسبة إلى بيع الأشنان وشرائه ، والمشهور بهذه النسبة أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن ثابت الأُشْنَانِيُّ ، حدث عن علي بن الجعد وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وهشام بن عمار وغيرهم أحاديث باطلة ، كان يضع الأحاديث ولم يكن يحسن الوضع ، الأنساب (١١٨/١) .

(٤) في (س) : هشام . والصواب ما في الأصل . ميزان الاعتدال للذهبي (٣٥٢/٧) رقم (١٠٠٨٦) .

(٥) أحمد في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٢٢٨/٢) رقم (٧١٢٧) ، والبخاري في الكنى (٢٠/١) رقم (١٥٤) ، وأسلم بن سهل الوَاسِطِيُّ في تاريخ واسط (١٢٢/١) وابن حبان في المجروحين (١٥٨/١) ترجمة رقم (٩٠) ، وابن عدي في الكامل وقال : منكر بهذا الإسناد (٨٥/٤) رقم (٩٣٥) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد بنحوه عن قرن بن سعيد عن أبيه عن جده (٣٧٣/٢) رقم (٨٨٢) .

(٦) في (س) و (خ) : إذا .

(٧) في (س) : المبلغ .

الجبار » يعني يكرمني ويدنيني ويسمع مني ويجيب دعائي ويعطيني سؤلي ، يدل عليه قوله : « **قل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه** » ويجوز أن يكون الاستقبال بمعنى القبول ، فقد يجيء في الكلام استفعل بمعنى فعل كما يقال : استقدم بمعنى تقدم ، يقال في المثل : (استقدمت راحلتك [1] واستعجل) بمعنى عجل ، قال الشاعر :

قد يدرك المتأني بعض حاجته [2] وقد يكون من المستعجل الزلل [3] (ن)

فيجوز أن يكون قوله ﷺ : « **فيستقبلني الجبار** » أي يقبلني الجبار إيجابًا وقضاء لحاجتي وإشفاعًا لي .

وقوله : « **مثقال حبة من شعير من إيمان** » أي من عمل الإيمان ، وفي هذا دلالة على أن الأعمال الصالحة من الإيمان . ويجوز أن يكون قوله : « **في قلبه** » كأنه يقول : عمل عملًا نيته [4] من قلبه لقوله : « **الأعمال بالنيات** » . ويجوز أن يريد به رحمة على مسلم ، رقة [5] على يتيم ، خوفًا من اللَّه تعالى ، رجاء له وتوكلًا عليه وثقة به . هذه وأمثالها مما هي أفعال القلب دون الجوارح ، والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلنا ولم يرد تجزئة الإيمان الذي هو التوحيد له ونفي الشركاء عنه والإخلاص له بقول : « لا إله إلا اللَّه » أنه قال : « و [6] **يبقى قوم لم** [١٥٩/ب] **يكونوا يشركون باللَّه شيئًا** » أي هم موحدون وليس معهم من الخير شيء غير الإيمان باللَّه والتوحيد له .

يدل على ما تأولناه ما حدثنا أبو النضر محمد بن إسحاق الرَّشَادِيُّ ح أبو بكر محمد [7] بن عيسى بن يزيد الطَّرَسُوسِيُّ ح نعيم بن حماد ح إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن أبي قلابة [8] : [٦٠٩] « كانَ لي ابنُ أخٍ يتعَاطى الشَّرابَ فمرِضَ فبعَثَ إليَّ [9] لَيلًا أَنْ الحَقْ بي فأَتَيتُه فرأيتُ أَسْوَدينِ قدْ دَنَيَا من ابنِ أخِي فقلتُ : إنَّا للَّهِ هلكَ ابنُ أخِي ، فاطَّلعَ أبيضَانِ من الكوَّةِ التي في البيتِ فقالَ أحدُهما لصاحبِه : انزِلْ [إليه فنـزلَ إليه] [10] فلمَّا نـزَلَ تنحَّى الأسوَدَانِ فجاءَ فشمَّ فَاه فقالَ : ما أَرَى فيه ذِكرًا ، ثم شمَّ بطنَه فقالَ : ما أَرَى فيه صَومًا ، ثم شمَّ رجْلَيه فقالَ ما أرَى فِيهِما صلاةً . فقالَ له

---

(١) في (خ) : رحالتك .
(٢) سقط من (س) .
(٣) نسبه الأصفهاني في كتاب الأغاني للقطامي (٤٩/٢٤) .
(٤) في (خ) : بنية .
(٥) في (س) : رأفة . ا.هـ . وفي (خ) : ورقة .
(٦) في (خ) : قد .
(٧) سقط من (س) .
(٨) زاد في (خ) بعدها : قال .
(٩) في (خ) : عليَّ .
(١٠) من هامش الأصل .

صاحِبُه : إنَّا للّه [1] ، رجلٌ من أمَّةِ محمَّدٍ ليسَ معه من الخيرِ شيءٌ ؟ [فقالَ لصَاحِبِه] [2] ويحكَ عُدْ فانظُر . فعادَ فشمَّ فَاه فقالَ : ما أرَى فيهِ ذِكرًا ثم عادَ فشمَّ بطنَه فقالَ : ما أرَى فيهِ صَومًا ثم عادَ فشمَّ رجلَيهِ فقالَ : ما أرَى فيهما صلاةً . قال : ويحكَ رجلٌ من أُمةِ محمدٍ ليسَ معه منَ الخيرِ شيءٌ [3] . اصعدْ حتَّى أنزلَ أنا ، فنزَلَ الآخرُ فشمَّ فاه فقَال [4] : ما أَرَى فيهِ ذِكرًا ثمَّ شمَّ بطنَه فقالَ : ما أَرَى فيهِ صَومًا ثمَّ عادَ [5] فشمَّ رجليه فقالَ : ما أرى فيهما صلاةً قالَ : ثمَّ عادَ فأخرجَ لِسَانَه فشمَّه . فقال : اللَّهُ أكبرُ أُرَاهُ قَدْ كبرَ تكبيرةً في سبيلِ اللَّهِ يريدُ بها وجهَ اللَّهِ بأنتاكيةَ . قالَ : ثمَّ فاضتْ نفسُه [6] وشُمَّتْ في البيتِ رائِحَةُ المسكِ ، فلمَّا صليتُ الغداةَ [١٦٠/أ] قلتُ لأهلِ المسجدِ : هلْ لكُم في رجلٍ من أهلِ الجنَّةِ ؟ وحدثتُهم حديثَ ابنِ أخِي فلمَّا بلغتُ بذكرِ أنتاكيةَ قالُوا : ليستْ هِيَ بأنتاكيةَ هِيَ إنطاكيةُ . قلتُ : لا واللَّهِ لا أسمِّيهَا إلا كمَا سمَّاهَا الملَك » [7] .

هذا [8] ما نجته تكبيرة أراد بها وجه اللَّه ، وهذه التكبيرة كانت سوى الشهادة التي هي شهادة الحق التي هي الإيمان باللَّه تعالى فدل أنه أريد بالحديث - إن شاء اللَّه - بمثقال حبة من شعير من خير بعد الإيمان باللَّه تعالى فشفاعة رسول اللَّه لأهل الكبائر من المؤمنين ومن كان معه مع [9] الإيمان [شيء من الخير ، والذي ليس معه مع الإيمان خير] [10] فهم الذين يتفضل اللَّه تعالى عليهم فيخرجهم من النار فضلًا وكرمًا وعدًا منه حقًّا وكلمة صدقًا ، جل اللَّه الرؤوف بعباده الموفي بوعده وتعالى علوًّا كبيرًا واللَّه أعلم .

---

(١) سقط من (س) .
(٢) سقط من (س) و (خ) .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) سقط من (س) .
(٥) سقط من (س) و (خ) .
(٦) في هامش (خ) : أي خرجت روحه .
(٧) لم أقف عليه وفي إسناده محمد بن عيسى الطَّرَسُوسِيُّ قال ابن عدي في الكامل : عامة ما يرويه لا يتابعونه عليه وهو في عداد من يسرق الحديث (٢٨٣/٦) رقم (١٧٦٩) ، قال ابن حجر في لسان الميزان : ورأيت له أثرًا منكرًا أخرجه الكلاباذي في بحر الفوائد له من روايته عن نعيم بن حماد عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن أبي قلابة قال : [وذكره مختصرًا ثم قال :] وفي السند أيضًا إبراهيم وفيه مقال وكذا ابن نعيم ، لسان الميزان (٣٣٥/٥) رقم (١١٠٨) .
(٨) سقط من (س) و (خ) .
(٩) في (س) : من .
(١٠) سقط من (س) .

١٣٨

باب فيما يرجى من رحمة الله تعالى يوم القيامة

حديث آخر : [٦١٠] حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب رحمه الله ح عبد الصمد بن الفضل ومحمد بن أبي رجاء قالا : ح عبد الله بن يزيد [المُقْرِئ عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد] (١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يُؤتَى بالرَّجُلِ يومَ القِيَامَةِ ثمَّ يُؤتَى بِتِسْعَةٍ وتِسْعِينَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البَصَرِ ، فِيهَا خَطَايَاه وذُنُوبُه ، ثمَّ يُؤتَى بِالميزَانِ فَيوضَعُ في كِفَّةٍ ثمَّ يخرَجُ له بِقِرطَاسٍ مِثلِ هَذَا** – وأَشَارَ أَبُو عَبْدِ الرَّحمنِ المُقْرِئُ بِأُصْبَعِهِ وأمْسَكَ بِإبْهَامِهِ عَلَى نِصْفِ أُصْبعِهِ – **الدُّعَاءُ فِيهِ شَهَادَةُ ألا إِله إِلا اللهُ وأنَّ محمَّدًا** [١٦٠/ب] **رَسُولُ اللهِ ووضعَ** (٢) **في الكِفَّةِ الأُخْرَى فيرْجح** (٣) **بِخَطَايَاه وذُنُوبِهِ** » (٤) .

قال الشيخ رحمه الله : هذا إن شاء الله يكون في الشهادة التي هي سوى الشهادة التي تخرجه من الكفر إلى الإيمان وهو يكون قولًا ممن سبق الإيمان منه ثم يكون منه هذا القول بعد الإيمان (٥) على معنى الذكر لله تعالى والتعظيم له ، فيكون ذلك طاعة منه أراد بها وجه الله تعالى وحده ، وهو قبل ذلك مؤمن ؛ لأنها لو وضعت على الشهادة التي هي الإيمان بالله وحده لكان هذا في كل مؤمن ، ولو كان هذا في كل مؤمن لم يدخل النار مؤمن بتة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٨] ومن أفلح يومئذ لم يدخل النار ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ

---

(١) سقط من (س) .

(٢) في (س) : فيضع . ا.هـ . وفي (خ) : فيوضع .

(٣) زاد في (س) : بعدها : لسجه . ا.هـ. ولعلها سجله .

(٤) الحديث أخرجه الترمذيُّ بنحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب الإيمان باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله وقال : حسن غريب (٢٤/٥) رقم (٢٦٣٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (١٤٣٧/٢) رقم (٤٣٠٠) ، وأحمد في مسنده (٢١٣/٢) رقم (٦٩٩٤) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٧١٠/١) رقم (١٩٣٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٤/١) رقم (٢٨٣) ، وابن حبان في صحيحه (٤٦١/١) رقم (٢٢٥) ، وابن المبارك في الزهد (١١٠/١) رقم (٣٧١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١٣٦/١) رقم (٣٣٩) ، والطبراني في الأوسط (٧٩/٥) رقم (٤٧٢٥) .

(٥) زاد في (س) بعدها : بالله .

مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [القارعة: ٦، ٧] وقد وردت الأخبار بورود كثير من المؤمنين النار وأنهم يخرجون منها بإيمانهم ولا يخرجون منها إلا بعد الدخول فيها [(١)] وقال : « **يخرجون من النار وقد امتحشوا** [(٢)] » وقال : « **فيجعلهم في نهر يسمى نهر الحياة فينبتون** » والأخبار في ورود أهل الإيمان النار وخروجهم منها كثيرة لا ينكرها إلا جاحد ولا يردها إلا معاند ؛ فلهذا يجب أن يكون هذا القرطاس الذي فيه شهادة « ألا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه » شهادة مؤمن سبق إيمانه قبل هذا القول [(٣)] منه زيادة ذكر على حسن نية فيه ويكون طاعة مقبولة قالها على خلوة وخفية من المخلوقين ؛ فيكون له [(٤)] عند اللّٰه تعالى وديعة يردها [١٦١/أ] عليه في ذلك اليوم فيعظم قدرها ويجل موقعها فيرجح بخطاياه وإن كثرت وذنوبه وإن عظمت ، وللّٰه الفضل على عباده يتفضل على من يشاء بما يشاء .

ويجوز : أن تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا فقد حدثنا أبو رجاء أحمد ابن [(٥)] داود ح إسحاق بن أحمد الشرماري ح أبو عاصم ح عبد الحميد بن جعفر ح ني صالح بن أبي غريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [٦١١] « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إله إلا اللّٰه وَجَبَتْ لَه الجَنَّةُ** » [(٦)] .

وقيل في تفسير أصحاب الأعراف : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم [(٧)] ، فلو كانت هذه الشهادة هي شهادة الإيمان باللّٰه لم يجز أن يكون مؤمن يستوي حسناته بسيئاته ؛ لأنه لا يوازي الإيمان شيء من السيئات ولا يرجح له [(٨)] فيكون هذا من استوت حسناته سوى الإيمان بسيئاته ثم [(٩)] يدخله الجنة بعد الوقوف الطويل والحبس

---

(١) سقط من (س) .
(٢) في هامش (خ) : أي احترقوا .
(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : فيكون هذا القول .
(٤) سقط من (س) و (خ) .
(٥) زاد في (س) بعدها : أبو .
(٦) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب عن معاذ بن جبل في كتاب الجنائز باب في التلقين (١٩٠/٣) رقم (٣١١٦) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢٣٣/٥) رقم (٢٢٠٨٧) ، والحاكم في المستدرك بلفظ مقارب وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٥٠٣/١) رقم (١٢٩٩) ، والبزار في مسنده (٧٧/٧) رقم (٢٦٢٦) ، والبيهقي في الاعتقاد بلفظه (٣٧/١) ، والطبراني في الكبير بلفظ مقارب (١١٢/٢٠) رقم (٢٢١) .
(٧) هذا القول منسوب إلى حذيفة فيما رواه الطبري في جامع البيان بإسناده إليه (١٩٠/٨) .
(٨) في (خ) : به .
(٩) سقط من (س) .

عن الجنة والخوف الذي يلحقه في مدة حبسه فيكون ذلك تمحيصًا لذنوبه فتخف ذنوبه ويثقل ميزانه فيدخل الجنة ، وإن حمل هذا على الشهادة [1] هي الإيمان فإنه يجوز أن يكون هذا فيمن كان من أهل المشيئة التي ذكر اللّٰه تعالى بقوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] فمن شاء اللّٰه أن يغفر ذنوبه و [2] رجح ميزان حسناته بهذه الصفة ومن شاء أن يعذبه عذبه بذنوبه وينجيه بإيمانه ؛ لأنه شرط المشيئة ، وقال في آية أخرى : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٤٠] وهذه الشريطة التي هي المشيئة في المؤمنين دون الكافرين ؛ لأن اللّٰه تعالى [١٦١/ب] يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨] فإذا خرج المشركون والكافرون من المشيئة لم تكن المشيئة إلا في المؤمنين فيغفر لمن يشاء منهم فلا يعذبه ويطهر من يشاء منهم بما شاء وله الحكم وإليه المصير .

ويجوز أن يحمل هذا على الشهادة التي هي الإيمان ويكون ذلك في كل مؤمن ، وكل مؤمن ترجح حسناته ويوزن إيمانه كما توزن سائر حسناته ، وإيمانه يرجح بحسناته كما جاء في هذا الحديث ويدخله النار بعد ذلك فيطهره من ذنوبه فيدخله الجنة بعد ذلك ، وهذا مذهب قوم يقولون : إن [3] كل مؤمن يعطى كتابه بيمينه ، وكل مؤمن يثقل ميزانه ، ويتأولون قوله تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨] أي الناجون من الخلود ، وفي قوله : ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢١] يومًا ما ، وكذلك يقولون في قوله : « **من كان آخر كلامه لا إله إلا اللّٰه وجبت له الجنة** » : إنه صائر إليها لا محالة أصابه قبل ذلك ما أصابه ، ويفعل اللّٰه ما يشاء ويحكم ما يريد له الخلق والأمر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

١٣٩
باب في ذكر السبعين وغيرها من الأعداد في الأخبار

حديث آخر : [٦١٢] حدثنا نصر بن [4] الفتح ح أبو عيسى ح قتيبة ح رشد [5] بن

---

(١) زاد في (خ) بعدها : التي .
(٢) سقط من (س) .
(٣) سقط من (س) .
(٤) زاد في (خ) بعدها : أبي .
(٥) في (خ) : رشدين .

سعد عن ابن (١) هاني الخَوْلانِيِّ (٢) عن عباس الحَجْرِيِّ (٣) عن عبد اللَّه بن عمر ﷺ قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَمْ أَعْفُو عَنْ الخَادِمِ ؟ فَصَمَتَ (٤) عَنْه رَسُولُ اللَّهِ ، ثمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَمْ أَعْفُو عَنْ الخَادِمِ ؟ قَالَ : « في (٥) كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً » (٦) .

قال الشيخ رحمه الله : قوله ﷺ : « سبعين مرة » عبارة - إن شاء اللَّه - عن الكثرة وليس على التحديد فيكون (٧) وراء السبعين [١٦٢/أ] غير معفو (٨) ، كأنه يقول : اعف (٩) عن الخادم أبدًا ، هذا فيما يجوز العفو عنه من سوء يأتيه إليك وجناية يجنيها عليك ، فأما إذا كان ذلك في هتك حرمة في الدين أو جناية على أحد من المسلمين أو معصية للَّه فإنه لا يجوز العفو عنه ، بل يجب التأديب عليه والأخذ به ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : [٦١٣] « مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُنْتَصِرًا (١٠) مِنْ مَظْلَمَةٍ قَطُّ غير أَنَّه كَانَ إِذَا انْتُهِكَ شَيءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالى كَانَ أَشَدَّهُم في ذَلِكَ » (١١) .

وقد وردت الأخبار بذكر السبعين في مواضع كثيرة كلها تدل على الكثرة لا على

(١) كذا في الأصل و (س) أما في (خ) : (أبي) .ا.هـ. وهو الصواب ، واسمه حميد بن هاني يكنى بأبي هاني الخَوْلانِيِّ ، تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم للحاكم (٩٩/١) رقم (٣٤٠) .

(٢) الخَوْلانِيُّ : بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى خولان ، وعبس وخولان قبيلتان نزل أكثرهما بالشام ، الأنساب (١٩٣/٢) .

(٣) الحَجْرِيُّ : بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى ثلاث قبائل كل واحدة حجر... وعباس بن جليد الحجري من حجر رُعين ، الأنساب (٢٩/٢) .

(٤) في هامش (خ) : الصمت يحتمل انتظار الوحي .

(٥) سقط من (س) .

(٦) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بنحوه عن عبد اللَّه بن عمر في كتاب الأدب باب في حق المملوك (٣٤١/٤) رقم (٥١٦٤) ، والترمذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب في كتاب البر والصلة باب ما جاء في العفو عن الخادم وقال : حسن غريب (٣٣٦/٤) رقم (١٩٤٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى بنحوه (١٠/٨) رقم (١٥٥٧٦) ، والطبراني في الأوسط (٢١٢/٢) رقم (١٧٦٥) ، وفي مسند الشاميين (١٥٣/١) رقم (٢٤٧) .

(٧) زاد في (س) و (خ) بعدها : ما .

(٨) زاد في (خ) بعدها : عنه .

(٩) سقط من (س) .

(١٠) في (خ) : مستنصرًا .

(١١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن عائشة في كتاب الحدود باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات اللَّه (٢٤٩١/٦) رقم (٦٤٠٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه للَّه عند انتهاك حرماته (١٨١٣/٤) رقم (٢٣٢٧) ، وأبو داود في =

التحديد والغاية وكذلك في كتاب اللَّه تعالى ، منها قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ [إِن تَسْتَغْفِرْ (١) لَهُمْ] (٢) سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] ليس هذا على التحديد والغاية ؛ لأنه لو استغفر لهم مدة حياته لم يغفر اللَّه لهم ، أعني المنافقين الذين نزلت الآية فيهم ؛ لأنهم كافرون واللَّه لا يغفر لمن كفر به ، وقد قال ﷺ حين عاتبه عمر في الصلاة على (٣) عبد اللَّه بن أبي : [٦١٤] : « **أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ ، قَدْ قِيلَ لِي** (٤) : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ - الآية - **لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَه لَزِدْتُ** » حدثناه محمد بن محمد ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسن ح سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ عن عبيد اللَّه عن (٥) عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود عن عبد اللَّه بن عباس عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال (٦) .

فأخبر [أنه ليس قوله : « سبعين مرة » على] (٧) الغاية والتحديد ، ولكن على الكثرة ، وكذلك في قوله ﷻ : ﴿ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة : ٣٢] فهو عبارة عن الطول وليس هو على الغاية - إن شاء اللَّه - ألا يكون [١٦٢/ب] أطول منه ؛ لأنه من العذاب وعذاب اللَّه للكافرين لا غاية له ولا نهاية طولًا وألمًا ، كما أن ثوابه للمؤمنين لا غاية له ولا نهاية مدة ولذة لقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾

= سننه في كتاب الأدب باب في التجاوز في الأمر (٢٥٠/٤) رقم (٤٧٨٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عشرة النساء في ضرب الرجل زوجته (٣٧٠/٥) رقم (٩١٦٣) ، وأحمد في مسنده (١٨١/٦) رقم (٢٥٥٢٤) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي (٦٧٠/٢) رقم (٤٢٢٣) .

(١) في (س) : استغفر .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : جنازة .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) في (خ) : بن .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الجنائز باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين (٤٥٩/١) رقم (١٣٠٠) والترمذِيُّ في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ، وقال : حسن غريب صحيح (٢٧٩/٥) رقم (٣٠٩٧) والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الجنائز باب الصلاة على المنافقين (٦٣٨/١) رقم (٢٠٩٣) وأحمد في مسنده بلفظه (١٦/١) رقم (٩٥) والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة (١٩٩/٨) رقم (١٦٦٢٠) وعبد ابن حميد في المنتخب بلفظه (٣٥/١) رقم (١٨) .

(٧) في (خ) : أن قوله : « سبعين مرة » ليس على .

[السجدة: ١٧] وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥] .

حدثنا محمد بن حامد ح السُّرِّيُّ بن عصام (١) ح إبراهيم بن [عبد اللّٰه ح] (٢) عبد اللّٰه بن المبارك ح سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصُّوفِيّ (٣) عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [٦١٥] « **لَوْ أَنَّ رَضَاضَةً (٤) مِثْلَ هَذِهِ - وأَشَارَ إِلى مِثْلِ جُمْجُمَةٍ - أَنَّها (٥) أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وهِيَ مَسِيرةُ خَمْسمائة سنةٍ [لَبَلَغَتْ إِلَى (٦)] (٧) الأَرْضِ قَبْلَ اللَّيْلِ ، ولَوْ أَنَّها أُرْسِلَتْ مِنْ رَأْسِ السِّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبعِينَ خَرِيفًا اللَّيْلَ والنَّهارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ أَصْلَهَا - أَوْ قَالَ : قَعْرَهَا -** » (٨) .

حدثنا (٩) محمد بن حامد ح أحمد بن رضوان ح سويد أخ عبد اللّٰه أخ سفيان عن نسير بن دعلوق (١٠) أنه سمع نوفًا (١١) يقول في قوله تعالى : ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة: ٣٢] قال : [٦١٦] « **كُلُّ ذِرَاعٍ سَبْعُونَ بَاعًا ، كُلُّ بَاعٍ أَبْعَدُ مِمَّا (١٢) بَيْنَكَ وبَيْنَ مَكَّةَ ، وهُوَ يَوْمَئِذٍ في مَسْجِدِ الكُوفَةِ** » (١٣) .

وقال كعب (١٤) : [٦١٧] (إِنَّ حلقةً مِنَ السلسلةِ التي قالَ اللّٰهُ تعَالى : ﴿ ذَرْعُهَا

---

(١) في (خ) : عاصم .
(٢) سقط من (س) .
(٣) في (خ) : الصدفي .
(٤) في (خ) : رصاصة .
(٥) السابق .
(٦) سقط من (خ) .
(٧) في (س) : بلغت .
(٨) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص في كتاب صفة جهنم . باب منه وقال : حسن صحيح (٧٠٩/٤) رقم (٢٥٨٨) ، الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص (١٩٧/٢) رقم (٦٨٥٦) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٧٦/٢) رقم (٣٦٤٠) ، وابن المبارك في الزهد (٨٤/١) رقم (٢٩٠) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٢٠/١) ، والطبري في تفسيره جامع البيان (٦٤/٢٩) ، قال : ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار : غريب وفي رفعه نظر (٩٤/١) .
(٩) في (خ) : وحدثنا .
(١٠) في (خ) : ذعلوق .
(١١) في (س) : نوحًا .
(١٢) في (خ) : ما .
(١٣) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره بلفظه عن نسير بن دعلوق (٦٣/٢٩) ، وابن المبارك في الزهد (٨٣/١) رقم (٢٨٨) .
(١٤) هو كعب الأحبار وهو ممن لم يسم ، المقتنى في سرد الكنى للذهبي (٦٣/١) رقم (١٤٠) .

سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ إنَّ حلقةً منهَا مثلُ جميعِ (١) حديدِ الدُّنيا) (٢) .

وقد ورد في الأخبار مثل ذلك منها قوله ﷺ : [٦١٨] « **إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً** » (٣) وجاء في حديث آخر : « **أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً** » حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح (٤) أبو ثابت محمد بن عبيد اللَّه ح ني عبد اللَّه بن وهب أخ ني يونس عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول : قال [١٦٣/أ] رسول اللَّه ﷺ : [٦١٩] « **واللَّهِ إِنِّي أَسْتَغفِرُ (٥) اللَّهَ وأَتُوبُ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً** » (٦) .

وحدثنا أبو العباس أحمد بن سباع ح محمد بن الضوء ح عمرو - يعني ابن عون - الوَاسِطِيُّ ح أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي المغيرة عن حذيفة ﷺ قال [٦٢٠] : « شَكَوْتُ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَرَبَ لِسَانِي فَقَالَ (٧) : « **فَأَيْنَ (٨) أَنْتَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ ؟ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ** » (٩) .

فقد قال : « **سبعين مرة** » ، وقال : « **أكثر من سبعين مرة** » ، وقال : « **مائة مرة** » ، فدل أنه لم يرد بالسبعين الحد والغاية الذي ينتهي إليها ولكنه قال : أستغفر اللَّه في اليوم كثيرًا وقال في حديث آخر : [٦٢١] « **فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا هَوَى فِي النَّارِ سَبْعِينَ**

---

(١) سقط من (س) .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن بلا سند (٢٧٢/١٨) وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٤١٧/٤) .

(٣) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب تفسير القرآن باب سورة محمد ﷺ وقال : حسن صحيح (٣٨٣/٥) رقم (٣٢٥٩) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن جده في كتاب الأدب باب الاستغفار (١٢٥٤/٢) رقم (٣٨١٦) ، والطبراني في الأوسط بلفظ مقارب عن أنس (٣٧/٣) رقم (٢٣٩٧) .

(٤) في (س) : قال .

(٥) في (س) و (خ) : لأستغفر .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الدعوات باب استغفار النبي ﷺ (٢٣٢٤/٥) رقم (٥٩٤٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة باب كم يتوب في اليوم (١١٤/٦) رقم (١٠٢٦٧) ، وأحمد في مسنده (٢٨٢/٢) رقم (٧٧٨٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٠/٥) رقم (٧٠٢٣) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٨٨/٤) ، والطبراني في الأوسط (٣٢٩/٨) رقم (٨٧٧٠) .

(٧) سقط من (س) .

(٨) في (خ) : أين .

(٩) سبق في اللوحة رقم (١٥٥/ب) .

خَرِيفًا » . وقَالَ فِيهِ سَلْمَانُ لِعُمَرَ - واسْتَعْظَمَ ذَلِكَ عُمَرُ - فَقَالَ : إِي واللَّهِ يَا عُمَرُ ومَعَ السَّبْعِينَ سَبْعِينَ خَرِيفًا [١] .

والأخبار في ذكر السبعين كثيرة أكثرها عبارة عن الكثرة [٢] إن شاء اللَّه تعالى ؛ لأن العدد قليل وكثير والقليل ما دون الثلاثة والكثير الثلاثة فما فوقها وأدنى الكثير الثلاثة وليس لأقصاه غاية .

ثم العدد أيضًا نوعان : شفع ووتر ، والشفع أول النوعين ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ [الفجر : ٣] وأول الأشفاع اثنان ، وأول الأوتار الثلاثة والواحد ليس بعدد ، ألا ترى أنك إذا ضربت واحدًا في واحد لم يخرج هناك عدد ؟! وقال محمد بن موسى [٣] في كتاب الجبر والمقابلة : (الواحد ليس بعدد وإنما العدد جماعة مركبة) .

ويجوز : أن يكون العدد مأخوذًا من العود ، كأن العدد إعادة الحساب مرات ، فيعاد الواحد مرات فيصير عددًا ، فالشفع إعادة الواحد مرتين ، والوتر إعادته ثلاث مرات هذا أول الأشفاع وأول الأوتار [١٦٣/ب] ، والواحد وتر وليس من جهة العدد ولكن من جهة أنه غير مزدوج لذلك قال النبي ﷺ : [٦٢٢] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ** » [٤] ؛ لأن اللَّه تعالى ليس بوتر من جهة العدد ولكن من جهة أنه فرد لا يزدوج بشيء كما أنه واحد ليس من جهة العدد ولكن من جهة أنه ليس كمثله شيء ، فالسبعة أول جمع

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن بشر بن عاصم عن أبيه (٢٠/٦) رقم (٧٣٨٣) ، وأبو الحسين عبد الباقي بن قانع في معجم الصحابة (٢٩٧/٢) رقم (٨٣١) .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : لا إخبار عن نهاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد عند العبارة عن الكثرة . ا.هـ .

(٣) هو محمد بن موسى الخوارزمي وأصله من خوارزم كان منقطعًا إلى خزانة الحكمة للمأمون وهو من أصحاب علوم الهيئة . (الفهرست لابن النديم (٣٨٣/١) وهو أول من صنف في علم الجبر والمقابلة ، كشف الظنون (٥٧٨/١) و (١٤٠٧/٢) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب في أسماء اللَّه تعالى وفضل من أحصاها (٢٠٦٢/٤) رقم (٢٦٧٧) ، وأبو داود في سننه عن علي في كتاب الوتر باب استحباب الوتر (٦١/٢) رقم (١٤١٦) ، والترمذيُّ في سننه عن علي في كتاب الوتر باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم وقال : حسن (٣١٦/٢) رقم (٤٥٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الصلاة الأول باب الأمر بالوتر (١٧١/١) رقم (٤٤٠) ، وابن ماجه في سننه عن عبد اللَّه بن مسعود في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في الوتر (٣٧٠/١) رقم (١١٧٠) ، والدارمي في سننه عن أبي هريرة (٤٤٨/١) رقم (١٥٨٠) ، وأحمد في مسنده عن علي (١٤٨/١) رقم (١٢٦١) .

للكثير من النوعين ؛ لأن فيها أوتارًا [١] وأشفاعًا ثلاثة فأول أشفاعها الاثنان ثم الأربعة ثم الستة وأول أوتارها الثلاثة ثم الخمسة ثم السبعة ؛ لأن الواحد ليس بوتر من جهة العدد كما قلنا ، فالسبعة جمعت كثرة العدد ، وكثرة النوعين اللذين هما نوعا العدد ثم العشرة كمال الحساب ؛ لأن الآحاد منفرد كل عدد منها بنفسه إلى العشرة كقولهم : اثنان وثلاثة وأربعة إلى العشرة ، فإذا جاوز العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة كقولهم : اثنا [٢] عشر وثلاثة عشر إلى العشرين ، والعشرون تكرير العشرة مرتين وثلاثون تكريرها ثلاث مرات إلى مائة ، والقول في المائة والعشرات كالقول في الآحاد والعشرة ، كذلك الألف وليس وراءه اسم للحساب بل هو إعادة الألف مرات وتكريره . فالسبعون يجمع من الكثرة والنوع ، والكثرة منه وكمال الحساب ، والكثرة منه ، والنوعين من الكمال و الكثرة منهما ؛ لأنه عشر مرات سبعة وهو في كمال الحساب الذي هو العشرة كالسبعة في الآحاد ، فالسبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ، والأقصى لا غاية له فعبر عن الكثير الذي جاوز [٣] العدد بالسبعين [١٦٤/أ] لهذه العلة إن شاء الله . وإذا بولغ في الكثرة قالوا : سبعمائة ، قال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة: ٢٦١] ثم قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦١] فأخرجه عن الغاية والنهاية . وقال : [٦٢٣] « **لِلْحَاجِّ الماشِي بِكُلِّ [٤] خُطْوَةٍ كَذَا وكَذَا حَسَنَةً مِنْ حَسَنَاتِ الحَرَمِ** » قِيلَ : ومَا حَسَنَاتُ الحَرَمِ ؟ قَالَ : « **كُلُّ حَسَنَةٍ سَبْعَمائة** » [٥] [٦] . كأنه

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : ثلاثة . (٢) في (س) : اثنى .
(٣) في (خ) : يجاوز . (٤) في (خ) : لكل .
(٥) في (خ) : بسبعمائة .
(٦) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن ابن عباس وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفيه أن ابن عباس مرض مرضًا شديدًا فدعا ولده فجمعهم فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حج من مكة ماشيًا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبع مائة حسنة كل حسنة مثل حسنات الحرم قيل : وما حسنات الحرم قال : بكل حسنة مائة ألف حسنة . ا.هـ. (٦٣١/١) رقم (١٦٩٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى وقال : تفرد به عيسى بن سوادة وهو مجهول (٣٣١/٤) رقم (٨٤٢٨) وابن خزيمة في صحيحه وقال : إن صح الخبر فإن في القلب من عيسى بن سوادة هذا (٢٤٤/٤) رقم (٢٧٩١) ، والطبراني في الأوسط (١٢٢/٣) رقم (٢٦٧٥) ، وفي الكبير (١٠٥/١٢) رقم (١٢٦٠٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار ، والطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وفيه قصة وله عند البزار إسنادان أحدهما فيه كذاب والآخر فيه إسماعيل بن إبراهيم عن سعيد بن جبير ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات (٢٠٩/٢) . قال الذهبي في ميزان الاعتدال بعد سياقه الحديث : هذا ليس بصحيح (٣٧٧/٥) ترجمة رقم (٦٥٧٦) .

أراد المبالغة في الكثرة فعبر [١] ذلك بالسبعمائة والله أعلم ، وما سوى ذلك من الأعداد التي جاءت في القرآن والحديث فإنها محدودة متناهية وذلك العدد محصور على ما ذكر مثل قوله : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ [الحاقة : ٧] وقوله : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٦] وقوله : ﴿ فَتَمَّ [٢] مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف : ١٤٢] وقوله : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى [٣] ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى [٤] يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥] ؛ لأن بعد ما بين السماء والأرض متناه [٥] محدود ، فأخبر الله تعالى أن هذه مسافة ما بينهما نزولًا وصعودًا ، لما ورد في الأخبار أن [٦٢٤] « **بُعْدُ مَا بَيْنَ الأَرْضِ إلى السَّمَاءِ مَسِيرَةَ خَمْسَمائة عَامٍ** » [٦] وقوله : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] فهو مقصود [٧] طول ذلك اليوم على هذا العدد ؛ لأنه يوم متناه [٨] آخره دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار والخلود فيهما لا نهاية له [٩] .

١٤٠
باب في موقف العلماء من الأخبار المتشابهة

حديث آخر : [٦٢٥] حدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل حدثني يحيى بن موسى حدثني عبد الرزاق أخ معمر عن ابن [١٠] طاوس عن أبيه عن [١٦٤/ب] أبي هريرة ﷺ قال : « **أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إلى مُوسَى عليه السلام فَلَمَّا جَاءه صَكَّه** [١١] ، **فَرَجَعَ إلى رَبِّه فَقَالَ : أَرْسَلْتَنِي إلى عَبْدٍ لا يُرِيدُ الموتَ . قالَ : ارْجِعْ إِلَيْه**

---

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : عن . (٢) في (س) : وتم .
(٣) في (س) : و . (٤) في (س) : من .
(٥) في الأصل : متناهي .
(٦) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بلفظ مقارب عن مجاهد (٩١/٢١) و (٧١/٢٩) ، وأبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني في العظمة عن ابن عباس (١٤٨٤/٤) رقم (٩٧٨١) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في موضح أوهام الجمع والتفريق عن ابن مسعود (١٨/٢) رقم (١٣٨) .
(٧) في (خ) : مقصور . (٨) في الأصل : متناهي .
(٩) زاد في (خ) بعدها : والله أعلم بالصواب . (١٠) في (س) : أبي .
(١١) صكه : الصك : الضرب ، النهاية مادة (صكك) ، (٤٢/٣) قيل : أراد أنه أغلظ له في القول ، يقال : أتيته فلطم وجهي بكلام غليظ ، وقيل : هذا الحديث مما يؤمن به وبأمثاله ولا يدخل في كيفيته ، النهاية مادة (عين) ، (٣٣١/٣) .

فقُلْ لَه : يَضَع يَدَه عَلَى مَتنِ ثَوْرٍ فله بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ ، قَالَ : أَيْ رَبِّ ثم مَاذَا ؟ قَالَ : ثمَّ المَوْتُ . قَالَ : فَالآنَ قَالَ : فَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالى أَنْ يُدْنِيَه مِنَ الأَرْضِ المقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ » . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّةَ لأَرَيْتُكُم قَبْرَه إِلى جَانِبِ الطُّورِ [(١)] تَحْتَ الكَثِيبِ [(٢)] الأَحْمَرِ » قَالَ : وَأَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنَ النَّبِيِّ ﷺ نحوه [(٣)] .

وقال أبو عبد اللَّه بن أبي حفص [(٤)] رحمه الله : ح أبي رحمه الله أخ محمد بن الفضيل عن محمد بن سعد عن حبيب بن سالم الأَنْصَارِيِّ [(٥)] قال : ح أبو هريرة ﷺ قال : قال أبو القاسم ﷺ : [٦٢٦] **« أَتَى مَلَكُ المَوْتِ مُوسَى ز لِيَقْبِضَ نَفْسه فَلَطَمَه لَطْمَةً فَفَقَأَ عَيْنَه فَرَجَعَ مَلَكُ المَوْتِ إِلى رَبِّه وَهُوَ تَعَالى أَعْلَمُ بِمَا صَنَعَ ، قَالَ : يَا [(٦)] رَبِّ أَتَيْتُ عَبْدًا مِن عَبِيدِكَ لا يُرِيدُ المَوْتَ فَصَنَعَ [(٧)] هَذَا بِعَيْنِي قَالَ : فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَه وقَالَ : ائْتِ عَبْدِي فَخَيِّرْهُ أَنْ يَضْرِبَ بِيَدِهِ عَلَى جِلْدِ ثَوْرٍ فَمَا وَارَتْ يَدُهُ مِنْ شَعْرٍ فَهُوَ يَعِيشُ بِهَا سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ . قَالَ مُوسَى : لا بَلْ الآنَ يَا رَبِّ ، إِنْ كَانَ لابُدَّ ولَكِنْ بِالأَرْضِ المقَدَّسَةِ » ، قَالَ : « فَدُفِنَ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ ، ولَوْ أَنِّي كُنْتُ عِنْدَه لأَرَيْتُكُم مَكَانَ قَبْرِهِ » [(٨)] .**

وقال أيضًا : حدثنا أبو سلمة أخ حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار قال : سمعت أبا هريرة ﷺ يقول : قال رسول اللَّه ﷺ : [٦٢٧] **« إِنَّ مَلَكَ المَوْتِ [١٦٥/أ] كَانَ يَأْتِي**

---

(١) في (س) و (خ) : الطريق . وهو الموافق لرواية البخاري والتي يرويها المصنف بإسناده إليه .

(٢) الكثيب : تلال الرمل المحدودبة ، لسان العرب مادة (كثب) بتصرف ، (٧٠٢/١) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعد (١٢٥٠/٣) رقم (٣٢٢٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى (١٨٤٢/٤) رقم (٢٣٧٢) ، والنسائي في المجتبى في كتاب الجنائز في نوع آخر (١١٨/٤) رقم (٢٠٨٩) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٢٦٩/٢) رقم (٧٦٣٤) ، ومعمر بن راشد في الجامع (٢٧٤/١١) رقم (٢٠٥٣٠) .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) في الأصل : الأنصراني . أهـ وما أثبته من (س) و (خ) وهو الصواب ، تهذيب التهذيب (١٦١/٢) .

(٦) سقط من (س) و (خ) .

(٧) في (س) : وصنع .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الجنائز باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها (٤٤٩/١) رقم (١٢٧٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى (١٨٤٢/٤) رقم (٢٣٧٢) ، وأحمد في مسنده (٣١٥/٢) رقم (٨١٥٧) ، وابن حبان في صحيحه (١١٦/١٤) رقم (٦٢٢٤) ،وابن أبي عاصم في السنة (٢٦٦/١) رقم (٥٩٩) .

النَّاسَ عَيَانًا فَأَتَى مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ فَلَطَمَه مُوسَى فَفَقَأَ عَيْنَه » فذكر نحو الذي قبله [(١)] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : روت الأئمة هذا الحديث من وجوه كثيرة ووضعوه في كتبهم وصححوه وعدلوا رواته ، واستعظم [(٢)] قوم فجحدوه وأنكروه فردوه لضيق صدرهم [(٣)] وقصور علمهم وقلة معرفتهم بالحديث . وهذا حديث أدخلوه في الصحاح ، ورضي إسناده أهل العلم بالحديث وأهل المعرفة بالرجال . والحديث إذا صح من جهة النقل فإنه يجب قبوله ، فإن كان من باب المتواتر فإنه يوجب العلم [(٤)] ، وهذا الحديث وإن كان مما لا يوجب العلم عند بعض الناس فإنه مما يوجب العمل لو كان من باب العمل لشهرته في نفسه وعدالة رواته وصحة إسناده وما كان هذا سبيله فإنه [(٥)] وإن كان لا يوجب العلم فإنه لا يجب رده وإنكاره ودفعه ؛ لأن في رده تكذيب الأئمة وجرح عدول الأمة [(٦)] .

قال : وسمعت أبا محمد [(٧)] أحمد بن عبد الله المُزَنِيَّ [(٨)] يقول : لعلماء الأثر في تلقي الأخبار المتشابهة مذهبان :

أحدهما : أن الإيمان بها فرض كالإيمان بمتشابه القرآن حين يقول : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] أي كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا ، وقد استأثر الله بعلم المتشابه [(٩)] في هذا القول فلا يعلمه إلا الله ، قالوا : فمثله المتشابه من أخبار الرسول إذا حجب عنا علم تأويله آمنا وصدقنا بما قال الله تعالى

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب عن أبي هريرة (٥٣٣/٢) رقم (١٠٩١٧) ، والحاكم في المستدرك بلفظه وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٦٣٢/٢) رقم (٤١٠٧) ، والطبري في تاريخ الأمم والملوك (٢٥٦/١) ، وذكره الحكيم الترمذِيُّ في نوادر الأصول (١٧٨/١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح (٢٠٥/٨) .

(٢) في (س) و (خ) : واستفظعه . (٣) في (خ) : صدورهم .

(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : والعمل وإن كان من باب الآحاد فإنه يوجب العمل ولا يوجب العلم .

(٥) سقط من (س) . (٦) في (س) : الأئمة .

(٧) زاد في (س) بعدها : ابن .

(٨) لم أقف على ترجمة له غير أنني قد وجدته من شيوخ الحاكم روى عنه حديثين في المستدرك (٥٤٢/٣) رقم (٦٠١٦) ، (٣٤٤/٤) رقم (٧٨٥٦) ، وفي الجواهر المضية ذكره المصنف في ترجمة إبراهيم بن مسلم أبي إسحاق الشكاني الفقيه الفاضل على أنه قد روى الحديث عن أحمد بن عبد الله المُزَنِيِّ ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣٨/١) ترجمة رقم (٢٠) .

(٩) في (س) : المشابهة .

ووكلنا علم تأويله إلى اللّه تعالى .

حدثنا أحمد بن عبد اللّه ح القاسم بن زكريا المُقْرِئ ح محمد بن الصباح ح الوليد ابن [١٦٥/ب] مسلم عن الأَوْزَاعِيّ أنه سأل الزُّهْرِيَّ عن بعض الأخبار المتشابهة فقال : [٦٢٨] « مِنَ اللَّهِ العِلْمُ ، وعَلَى رَسُولِ اللَّهِ البَلاغُ ، وعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ ، أَمِرُّوا أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا جَاءَتْ » (١) .

وقال عبد اللّه بن نافع : [٦٢٩] « سُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ قَوْلِه تَعَالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] كَيْفَ اسْتَوَى ؟ فَقَالَ : الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، والإيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ ، والسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ ، ومَا أَرَاكَ إِلا ضَالًّا » (٢) ، هذا مذهب كثير من العلماء .

قال : **والمذهب الثاني** : أن الإيمان بما قاله الرسول ﷺ فرض ، والبحث عن متشابه التنزيل وأخبار الرسول واجب في الأصول والعقول فرارًا من تعطيل الصفات وآفة التشبيهات قال : والقدوة في هذا المذهب عليٌّ (٣) وابن عباس رضي الله عنهما ومن تابعهما من فقهاء أهل الأثر .

قال (٤) : وبمعرفة المحكم والمتشابه يتميز الفاضل من المفضول والعالم من المتعلم والحكيم من المتعجرف ، ومن أمرَّ الأحاديث على ما جاءت حين التبس عليه كنه معرفتها لم يردها رد منكر جاحد بل آمن واستسلم وانقاد ووكل علمه إلى اللّه تعالى وإلى من علمه اللّه ، وفوق كل ذي علم عليم .

وردُّ الأخبار والمتشابه من القرآن طريق سهل يستوي فيه العالم والجاهل والسفيه والعاقل وإنما يتبين فضل علم العلماء (٥) وعقول العقلاء بالبحث والتفتيش واستخراج الحكمة من الآية والسنة وحمل الأخبار على ما يوافق الأصول ويصححه العقول [١٦٦/أ] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظه عن الزُّهْرِيّ وفيه أن الزُّهْرِيَّ سئل عن حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن (٣٦٩/٣) .

(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة بلفظ مقارب عن جعفر بن عبد اللّه (٣٩٨/٣) رقم (٦٦٤) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٣٢٥/٦) ، والبيهقي في الاعتقاد عن يحيى بن يحيى (١١٦/١) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد بنحوه عن بشر في سياق آخر (٧٦/١٣) .

(٣) في (خ) : بعليّ .

(٤) في (خ) : قلنا .

(٥) في (خ) : الرجال .

وهذا الحديث له في كتاب الله نصًا نظيره ، قال الله ﷻ في خبر موسى وهارون عليهما السلام : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] الآية وقال هارون (١) : ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ [طه : ٩٤] وليس الجر إليك بالخشونة والغلظة بأقل من الدفع عنك بالخشونة والغلظة وهو الصك واللطم ، فإن اللطم دفع عنك بغلظة وخشونة فهما سواء ، وليس هارون عليه السلام بأدون منزلة من ملك الموت ، بل هو أجل قدرًا (٢) وأعلى مرتبة وأبين فضلًا عند أكثر علماء الأمة من أهل النظر والأثر ؛ لأنه عليه السلام نبي مرسل ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ [المؤمنون : ٤٥، ٤٦] وهو مع جليل قدره في نبوته وعلو درجته في رسالته أخو موسى لأبيه وأمه وأكبر سنًا منه ، وقال النبي عليه السلام [٦٣٠] : « **حَقُّ كَبِيرِ الإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِم كَحَقِّ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ** » (٣) ، فإذا أخبر الله تعالى عن موسى أنه أخذ برأس أخيه ولحيته وجره إليه بعنف وغلظة حتى استعطفه عليه واعتذر إليه فقال : ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ (٤) إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه : ٩٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ [الأعراف : ١٥٠] ولولا ذلك عسى كان يكون منه إليه (٥) ما هو أعظم مما صنع به ثم لم نجد في الكتاب ما يدل على عتاب الله إياه ولا على توبته منه ولو كان ذلك منه صغيرة أو زلة لظهر ذلك نصًا في الكتاب [١٦٦/ب] أو دلالة كما ذكر الله زلات الأنبياء ومعاتبته إياهم عليها وتوبتهم منها إلى الله ورجوعهم إليه واستغفارهم إياه واعترافهم على أنفسهم بالظلم لها كما قال في قصة آدم عليه السلام : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] وهذا عتابه لهما في أمثالها من الآيات ، وقال في اعترافهما في (٦) توبتهما : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف : ٢٣] الآية وقال في قصة نوح عليه السلام : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [هود : ٤٦] الآية ، وقال في اعترافه وتوبته : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ [أَنْ أَسْـَٔلَكَ] (٧)

---

(١) سقط من (س) .
(٢) زاد في (س) بعدها : منه .
(٣) الحديث أخرجه أبو داود في المراسيل بلفظ مقارب عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاصي (٣٣٦/١) رقم (٤٨٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده (٢١٠/٦) رقم (٧٩٢٩) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد مرسلًا عن سعيد (١١٨/٥) .
(٤) سقط من (س) .
(٥) زاد في (س) بعدها : قال .
(٦) في (س) : و .
(٧) من هامش الأصل .

مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [هود: ٤٧] الآية ، وقال في قصة داود ﷺ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ [ص: ٢٤، ٢٥] وقال في موسى وقتله القبطي : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [القصص: ١٥] وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ [القصص: ١٦] ولو كان جره أخاه إليه وأخذه بلحيته ورأسه زلة منه لظهر اعترافه على نفسه وتوبته إلى ربه أو معاتبة اللَّه إياه ، فلما لم يكن دل أنها لم تكن منه معصية ولا زلة ، كذلك صكه ملك الموت ولطمه إياه ؛ لأنهما عنفان : أحدهما بالدفع عنك ، والآخر بالجر إليك إلى كريمين على [(١)] اللَّه تعالى : أحدهما رسول نبي ، والآخر ملك زكي ، وكما لم يرد في الكتاب عتاب ولا ذكر [(٢)] توبة واعتراف في قصة [هارون كذلك لم يرد في الخبر عتاب ولا توبة واعتراف في قصة] [(٣)] الملك فما جاز في الكتاب من التأويل يساغ ذلك في الخبر إن شاء اللَّه . وإنما لم يكن فعله ﷺ بهارون مع عظم حرمته لنبوته ورسالته وأخوته وقرابته وحق [١٦٧/أ] سنه زلة منه [(٤)] ؛ لأنه ﷺ غضب للَّه تعالى لا لنفسه ، وكانت فيه حمية وغضب وعجلة وحدة كلها في اللَّه وللَّه ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٣، ٨٤] أخبر أن عجلته كان طلبًا لرضاه ، كذلك حدته وغضبه على أخيه وصنيعه به ، ألا تراه يقول : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ [(٥)] رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه: ٩٢، ٩٣] . وكانت تلك الحدة منه والغضب فيه صفة مدح لا ذم ؛ لأنها كانت للَّه وفي اللَّه كما كانت رأفة النبي ﷺ ورحمته [صفة مدح إذ كانت] [(٦)] للَّه وفي اللَّه ثم كان يغضب حتى يحمر وجهه وتدر عروقه للَّه وفي اللَّه ، وبذلك وصف اللَّه المؤمنين بقوله : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٢] فلما [(٧)] كانت الغلظة والشدة للَّه وفي اللَّه كذلك الغضب والحدة من موسى للَّه وفي اللَّه ، والجميع صفة مدح ونعت ثناء ، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ في مدحه أبا بكر في رأفته ورحمته وتشبيهه إياه بإبراهيم ﷺ ، إذ يقول : ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ [هود: ٧٤، ٧٥] وقال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي [(٨)]

---

(١) في (س) : إلى .
(٢) سقط من (س) .
(٣) السابق .
(٤) سقط من (س) و (خ) .
(٥) في (س) : إذا .
(٦) سقط من (س) .
(٧) في (س) : فلو .
(٨) في (س) : عصاك .

﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وبعيسى عليه السلام حين قال: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية، وقوله في عمر ومدحه له في غلظته وشدته لله وفي الله وتشبيهه إياه بنوح عليه السلام حين قال: ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] فأوصاف الأنبياء والرسل عليهم السلام [١٦٧/ب] أوصاف مدح ونعوتهم نعوت [١] ثناء.

فيجوز: أن يكون صكه لملك الموت ولطمه إياه لم يكن زلة؛ لأنها لم تكن لنصيب نفسه وإنما كان غضبًا لله وشدة في أمر الله وحمية لدين الله، وذلك أن الملك أتاه في صورة إنسان، فيجوز أن يكون موسى عليه السلام لم يعرفه أنه ملك رسول الله كما لم يعرف النبي ﷺ جبريل حين جاءه في صورة إنسان يسأله عن الإيمان والإسلام حتى قال ﷺ: [٦٣١] **« هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُم لِيُعَلِّمَكُم مَعَالِمَ دِينِكُم، واللهِ مَا أَتَاني في صُورَةٍ [٢] إلا وَقَدْ عَرَفْتُه فِيهَا إلا في هَذِهِ الصُّورَةِ »** [٣].

فكذلك موسى عليه السلام يجوز أن يكون أتاه في صورة لم يأته فيها قبله فلم يعرفه ثم أراد قبض روحه، أنكر أن يكون إنسان يريد قبض روح كليم الله ورسوله فصكه ولطمه إنكارًا له وردًّا عليه أنه ملك وأنه لله رسول أنه [٤] أنكر عليه ادعاءه ما ليس للبشر من قبض أرواح الأنبياء، ومن ادعى ذلك من البشر فهو كاذب على الله فغضب لله تعالى فصكه ولطمه، ألا ترى أنه [٥] لما عاد إليه فخيَّره بين أن يضرب يده على جنب ثور وأن يموت اختار الموت استسلامًا لله ورضًا بحكمه وتصديقًا لرسوله عليه السلام. وأما فقء عينه فإنه لم يكن فعلًا لموسى عليه السلام وإن كان على أثر لطمه إياه وصكه له وإنما كان ذلك فعل الله تعالى أحدثه في الصورة التي أتاه [٦] الملك فيها، وذلك أن الإنسان عندنا لا يفعل في غيره فعلًا [٧] وإنما يفعل في [٨] محل قدرته وما يحدث بعد ذلك [١٦٨/أ] من ألم

---

(١) في (خ) : نعت.
(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : قط.
(٣) الحديث أخرجه أبو محمد الأَنْصَارِيُّ في طبقات المحدثين بأصبهان بألفاظ مختلفة عن جرير بن عبد الله (٢٥٩/٤) رقم (٦٥٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة عن عبد الله بن عمر (١٥٢/١)، وفي حلية الأولياء (٢٠٢/٨)، والجزء الأول من الحديث: « هذا جبريل أتاكم ليعلمكم معالم دينكم » متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب بدء الوحي باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان (٢٧/١) رقم (٥٠) ومسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٣٧/١) رقم (٨).
(٤) سقط من (س). وفي (خ) : و.
(٥) في (س) : منه.
(٦) في (س) : أتى.
(٧) سقط من (س) و (خ).
(٨) زاد في (س) بعدها : نفسه. و زاد في (خ) بعدها : نفسه وفي.

عند الضرب وموت عند قطع الأوداج وذهاب السهم بعد الرمي و [غير ذلك مما يظهر بعد حركات المحدث في نفسه فإنها كلها أفعال اللّٰه تعالى أحدثها واخترعها ، وكذلك] (١) الإحراق عند اشتعال النار في الحطب والجمع بينهما ، والبرد و (٢) الثلج وغير ذلك كلها أفعال اللّٰه تعالى يحدثها ويخترعها إذا شاء وحين يريد ، وإن كان ذلك على (٣) إثر حركات المحدث في نفسه ، والفقء إنما حل في الصورة لا في الملك ؛ لأن بنية الملائكة وخلقتهم ليست من الأشباح (٤) والطبائع المختلفة التي تقبل الكسور (٥) والفساد ، وتحلها الآفات وتؤثر فيها أفعال المحدث ؛ لأنهم لا ينمون ولا يتوالدون ولا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون (٦) ولا يسأمون ولا يستحسرون ولا يفترون ، وكل هذه آفات ، والفقء آفة وهم لا تحلهم الآفات ، فالآفة التي هي الفقء إنما حل في الصورة التي جاء الملك فيها لا في عين الملك وليس الملائكة كالناس فإن الإنسان (٧) إنسان بصورته وخواصه ولا يكون الإنسان إنسانًا بخواصه دون صورته التي هي صورة الناس ، فإنه إن وجدت خواصه في نوع من أنواع الحيوان ولم توجد صورة الإنسان فليس ذلك النوع إنسانًا حتى يوجد بنية (٨) الإنسان وصورته وخواصه ، والملك ملك بخواصه دون صورته ؛ لأن صورهم مختلفة وخواصهم واحدة ، فمنهم من هو على صورة الإنسان ، ومنهم على صورة الطير ، ومنهم على صورة السباع ، ومنهم على صورة الأنعام ، وكلهم ملائكة [١٦٨/ب] ولهم أجنحة على أعداد متفاوتة قال اللّٰه تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [فاطر: ١] ثم قال : ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر: ١] وقيل في حملة العرش : إنهم أربعة أملاك : **أحدهم** : على صورة الإنسان يشفع إلى اللّٰه في أرزاقهم ، **والثاني** : على صورة النسر يشفع إلى اللّٰه في أرزاق الطير [ودفع الأذى عنهم] (٩) ، **والثالث** : على صورة الأسد يشفع إلى اللّٰه في أرزاق السباع (١٠) ودفع الأذى عنهم ، **والرابع** : على صورة الثور يشفع إلى اللّٰه في أرزاق البهائم ودفع الأذى عنهم . يصدق ذلك ما حدثنا محمد بن

---

(١) سقط من (س) .
(٢) في (س) و (خ) : في .
(٣) سقط من (س) .
(٤) في هامش الأصل وفي (س) : الأمشاج .
(٥) في هامش الأصل وفي (س) و (خ) : الكون .
(٦) سقط من (س) و (خ) .
(٧) في (س) : الناس .
(٨) في (س) : ثلاثة .
(٩) سقط من (س) .
(١٠) في (س) : البهائم .

حامد القَوَارِيرِيُّ ح حامد بن سهل ح هناد بن السُّرِّيُّ ح عبدة عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : [٦٣٢] صَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ فِي بَيْتَيْنِ مِنْ شِعْرِهِ قَالَ :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد (ن)

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ » . قَالَ : وقَالَ :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد (ن)

تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد (ن)

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « صَدَقَ » [١] . فلما كانت الصورة صورة أسد وثور ونسر [٢] وهو ملك بان أن الملك لم يكن ملكًا للصورة وإنما هو ملك بخاصيته الذي [٣] هو خاصيته ، والإنسان إنسان بخاصيته [١٦٩/أ] وصورته ، ألا ترى [٤] أن جبريل ﵇ كان يأتي رسول اللَّه ﷺ على صورة دحية الكَلْبِيِّ [٥] وهي [٦] بصورته التي هي صورته كما شاء اللَّه من عظم خلقه وعجب صورته ، حدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم ابن معقل ح محمد بن إسماعيل ح أبو النعمان ح عبد الواحد ح الشَّيْبَانِيُّ قال : سمعت زِرًّا عن [عبد اللَّه عن] [٧] [عبد اللَّه بن مسعود في قوله تعالى] [٨] : ﴿ فَكَانَ قَابَ

---

(١) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بلفظ مقارب عن ابن عباس (٣٨٣/٢) رقم (٢٧٠٣) ، وأحمد في مسنده (٢٥٦/١) رقم (٢٣١٤) ، وعبد اللَّه بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٥٠٤/٢) رقم (١١٦٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٢/٥) رقم (٢٦٠١٣) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢٥٥/١) رقم (٥٧٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٥/٤) رقم (٢٤٨٢) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار بألفاظ مختلفة (٢٩٩/٤) ، والطبراني في الكبير (٢٣٣/١١) رقم (١١٥٩١) ، وأورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بإسناد ابن أبي شيبة وقال : هذا إسناده جيد (٧٢/٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : (رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس (١٢٧/٨) .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : وإنسان .

(٣) في (خ) : التي .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) من ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة (١٤١/٦) رقم (٢٥١٤٠) ، وابن حبان في صحيحه (٥٠٠/١٥) رقم (٧٠٢٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٤/٧) رقم (٣٦٧٩٦) . والْكَلْبِيُّ : هذه النسبة إلى قبائل ، منها كلْب اليمن ، ومنها دحية الكلبي ، الأنساب (١٥٩/٤) .

(٦) في (س) و (خ) : وهو ﷺ .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) سقط من (س) ، وما بين المعكوفين في الأصل غير موافق لرواية البخاري التي يرويها المصنف بإسناده .

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ٩، ١٠] قال: ح (١) ابن مسعود: [٦٣٣] « أَنَّه رَأَى جِبْرِيلَ ولَهُ سِتُّ مائَة جَنَاحٍ » (٢) .

وحدثنا محمد بن محمد ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسن ح سلمة بن الفضل ح ني محمد بن إسحاق عن الفضل (٣) بن عيسى عن عمه يزيد بن أبان الرَّقَاشِيّ عن أنس ﷺ قال: [٦٣٤] قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ هَؤُلاءِ الذينَ اسْتَثْنَى اللَّهُ ﷻ؟ قَالَ: « جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ ومَلَكُ المَوْتِ عليهم السلام فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالى: [لِمَلَكِ المَوْتِ] (٤) : يَا مَلَكَ المَوْتِ [مَنْ بَقِيَ ؟ - وهُوَ أَعْلَمُ - فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ بَقِيَ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ ومَلَكُ المَوْتِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالى لِمَلَكِ المَوْتِ: يَا مَلَكَ المَوْتِ] (٥) خُذْ نَفْسَ مِيكَائِيلَ فَيَأْخُذُ فَيَقَعُ في صُورَتِهِ التي خَلَقَه اللَّهُ تَعَالى (٦) مِثْلَ الطَّوْدِ العَظِيمِ ، ثم يَقُولُ اللَّهُ تَعَالى - وهُوَ أَعْلَمُ - : يَا مَلَكَ المَوْتِ مَنْ بَقِيَ » ؟ قَالَ: « فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ بَقِيَ جِبْرِيلُ ومَلَكُ المَوْتِ » . قَالَ: « يَقُولُ: يَا مَلَكَ المَوْتِ مُتْ » . قَالَ: « فَيَمُوتُ ، فَيَبْقَى جِبْرِيلُ وَهُوَ مِنَ اللَّهِ بِالمَكَانِ (٧) الذي ذُكِرَ لَكُم ، فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ إِنَّه لابُدَّ مِنْ أَنْ تَمُوتَ ، فَيَقَعُ سَاجِدًا يَخْفِقُ بِجَنَاحَيْهِ يَقُولُ (٨) سُبْحَانَكَ رَبِّي وبِحَمْدِكَ أَنْتَ البَاقِي الدَّائِمُ وجِبْرِيلُ الفَانِي الهَالِكُ المَيِّتُ » قَالَ: « فَيَأْخُذُ اللَّهُ رُوحَه ، فَيَقَعُ عَلَى مِيكَائِيلَ ، إِنَّ (٩) [١٦٩/ب] فَضْلَ خَلْقِهِ عَلَى خَلْقِ مِيكَائِيلَ كَفَضْلِ الطَّوْدِ (١٠) عَلَى

(١) سقط من (خ) .
(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن ابن مسعود في كتاب التفسير باب فكان قاب قوسين أو أدنى (١٨٤٠/٤) رقم (٤٥٧٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى (١٥٨/١) رقم (١٧٤) ، والترمذِيُّ في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة النجم وقال: حسن غريب صحيح (٣٩٤/٥) رقم (٣٢٧٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩] (٤٧٢/٦) رقم (١١٥٣٤) ، وأحمد في مسنده (٣٩٨/١) رقم (٣٧٨٠) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ مختلفة (٢٣٠/٩) رقم (٥٣٣٧) ، والشاشي في مسنده (١٢٦/٢) رقم (٦٦٣) .
(٣) في (خ) : الفضيل .
(٤) من هامش الأصل .
(٥) سقط من (س) .
(٦) زاد في (س) و (خ) بعدها : فيها .
(٧) في هامش (خ) : أي المكانة والمنزلة .
(٨) سقط من (س) .
(٩) في (خ) : وإن .
(١٠) زاد في (س) و (خ) بعدها : العظيم .

[« الظَرِب من الظِرَاب »] [١] ثم يمكث اللّه تعالى كما كان ليس معه شيء من الخلق ما شاء اللّه ليس لأحد من العباد علم بما هو ماكث .

وفي حديث آخر : « أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته قد سد الأفق » ، حدثنا المَحْمُودِيُّ ح محمد بن يحيى بن سليمان ح سعيد بن سليمان ح سعيد عن قتادة عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول اللّه ﷺ : [٦٣٥] « رَأَيْتُ جبريلَ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عُظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ » [٢] فهذه صورته التي هو عليها عليه السلام ثم يأتي النبي ﷺ على صورة دحية وهو إذ ذاك جبريل على الحقيقة ، يقول اللّه تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وقال عز وجل : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠] فالنازل بالقرآن والوحي هو جبريل على الحقيقة والصورة صورة دحية .

قال : وسمعت بعض شيوخ المتكلمين يقول : (إنه كان خلقه اللّه تعالى في ذلك الوقت إنسانًا وبشرًا) وهذا لا يستقيم وهو وهم منه ، وذلك أنه لو كان كما قاله لكان قول المشركين صدقًا حيث قالوا : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾ [النحل: ١٠٣] واللّه تعالى يقول : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٥] وقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] فجبريل عليه السلام جبريل [٣] وإن كانت الصورة صورة إنسان إذًا فالصورة [ليس الملك] [٤] وإن كان الملك في تلك الصورة وقد جاء في الحديث عن النبي فيما حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو معاوية عن عبد الرحمن

---

(١) الظرب : الظراب الجبال الصغار واحدهما ظَرِب بوزن كَتِف . النهاية مادة (ظرب) ، (١٥٦/٣) . وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان : هي الروابي الصغار (٥٩/٤) ، والحديث أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بألفاظ مختلفة عن أنس بن مالك (٢٩/٢٤) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم : آمين (١١٨١/٣) رقم (٣٠٦٢) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب الإيمان باب معنى قول اللّه : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ (١٥٩/١) رقم (١٧٧) ، والترمذِيُّ في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنعام ، وقال : حسن صحيح (٢٦٢/٥) رقم (٣٠٦٨) ، وأحمد في مسنده (٢٣٦/٦) رقم (٢٦٠٣٥) ، والطبري في تفسيره جامع البيان (٥٠/٢٧) ، وأبو عوانة الإِسْفَرَايِينِيُّ في مسنده (١٣٤/١) رقم (٤٠٥) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (خ) : ليست بملك .

ابن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي ﷺ قال : [٦٣٦] « إِنَّ في الجنَّةِ لَسُوقًا مَا فِيهَا شِرَاءٌ ولا بَيْعٌ إلا [١٧٠/أ] صُوَرُ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ مَنْ اشْتَهَى صُورَةً دَخَلَ فِيهَا » (١) (٢) .

فأخبر أن الصورة غير الذي يدخل فيها ، وكذلك الصورة التي أتى ملك الموت فيها موسى ﷺ صورة أدخل اللَّه الملك فيها . فالفقء إنما حل في الصورة دون الملك ، وهو أن يكون اللَّه تعالى أذهب عين الصورة عند لطم موسى فكأنه في ذلك الوقت في صورة رجل أعور كما كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة رجل ليست له أجنحة ولا ذلك العظم الذي له : مرة على صورة دحية فهو يعرفه فيها ، ومرة على صورة غيره فلم يعرفه فيها ، كذلك ملك الموت أتى موسى حين أتاه على صورة إنسان صحيح العينين ، ثم نقله اللَّه عند لطم موسى على صورة إنسان فقئت عينه وهو ملك كما هو قبل انتقاله إلى إحدى الصورتين لم ينتقل من الملكية إلى الإنسانية والبشرية ، واللَّه تعالى فعل ذلك بها ، أعني الصورة دون موسى ، واللَّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو تعالى مصيب في أفعاله وأفعاله كلها حكمة ؛ لأنه تعالى لا يفعل عبثًا ولا سفهًا ، تعالى اللَّه عن السفه والعبث علوًّا كبيرًا ، فأفعاله كلها حكمة وصواب (٣) جُهِل وَجه الحكمة فيها أو عُلِم .

١٤١
باب فيمن يكون زوجها في الآخرة

حديث آخر : [٦٣٧] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح سنان بن هارون عن حميد (٤) عن أنس أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ أَوْ غَيْرَهَا [سَأَلَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَتْ] (٥) : يَا رَسُولَ اللَّهِ المَرْأَةُ يَمُوتُ زَوْجُهَا فَتَتَزَوَّجُ بَعْدَهُ زَوْجًا آخَرَ ثُمَّ يَمُوتُ (٦) لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : « **لأَحْسَنِهِمَا**

---

(١) في (خ) : عليها .

(٢) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بألفاظ متقاربة عن علي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في سوق الجنة وقال : حديث غريب (٦٨٦/٤) رقم (٢٥٥٠) ، وأحمد في مسنده (١٥٦/١) رقم (١٣٤٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠/٧) رقم (٣٣٩٧١) ، وهناد بن السَّرِيِّ في الزهد (٥٢/١) رقم (٩) ، والبزار في مسنده (٢٨٢/٢) رقم (٧٠٣) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : وإن .

(٤) زاد في (س) بعدها : الطويل .

(٥) في (خ) : قالت للنبي ﷺ .

(٦) في (خ) : تموت .

خُلُقًا كَانَ مَعَهَا » [١] .

وفي حديث آخر : « **هِيَ** [٢] **لآخِرِ أَزْوَاجِهَا** » حدثنا خلف ح نصر [٣] ح هشام [٤] ح الوليد بن مسلم عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس أن معاوية بن أبي سفيان خطب أم الدرداء بعد وفاة [١٧٠/ب] أبي الدرداء فقالت : سمعت أبا [٥] الدرداء يقول : [٦٣٨] سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **المَرْأَةُ لآخِرِ أَزْوَاجِهَا** [٦] **في الجَنَّةِ وَمَا كُنتُ لأَخْتَارَ عَلَى** [٧] **أَبِي الدَّرْدَاءِ** » [٨] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون النبي ﷺ عرف من السائلة له أنها تريد أن تعرف أنها تكون في الآخرة لرسول الله ﷺ كما كانت هي له في الدنيا ، فإن هذا الحديث عن أم حبيبة أنها هي السائلة ، والحديث الآخر أراه عن أم سلمة وكلتاهما كانتا تحت رجل من المسلمين ثم تزوجهما [رسول الله] [٩] ، فعسى خطر ببال السائلة أن زوجها لو لم يمت لكانت تحته آخر دهرها ، وإنما فرق بينهما الموت فصارت لرسول الله ﷺ فعساها أشفقت أن تكون لزوجها الأول الذي [١٠] لولا الموت لكانا على نكاحهما

(١) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة عن أم حبيبة وفي إسناده عنده عبيد بن إسحاق قال فيه : عامة ما يرويه إما أن يكون منكر الإسناد أو منكر المتن (٣٤٧/٥) ترجمة رقم (١٥٠٥) ، وأبو محمد الأَنْصَارِيُّ في طبقات المحدثين بأصبهان عن أنس (٢٩١/٤) ترجمة رقم (٦٧٥) ، قال الحافظ العراقي : أخرجه البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف ، المغني عن حمل الأسفار مع الإحياء (٥٦/٣) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن زكريا .

(٤) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن عمار .

(٥) في (س) : أبي .

(٦) في (س) : زوجها .

(٧) سقط من (س) .

(٨) الحديث أخرجه أبو محمد الأَنْصَارِيُّ في طبقات المحدثين بأصبهان بألفاظ مختلفة عن أم الدرداء (٣٦/٤) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد بنحوه عن عائشة (٣٩٢/٣) رقم (٢٧٠٧) ، والطبراني في الأوسط (٢٧٥/٣) رقم (٣١٣٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو بكر ابن أبي مريم وقد اختلط (٢٧٠/٤) ، وأبو بكر هذا من رجال إسناد المصنف . وقال العجلوني في كشف الخفاء : رواه الطبراني عن أبي الدرداء ورواه الخطيب عن عائشة وهذا هو الصحيح (٣٩٢/٢) رقم (٢٧٠٧) .

(٩) سقط من (س) .

(١٠) في (س) : أعني .

فاستخبرت النبي ﷺ ليتقرر عندها أنها تكون له في الآخرة كما صارت له في الدنيا ، فأخبرها رسول الله ﷺ إشارة أدركت المراد فيه بقوله : « لأحسنهما خلقًا » وأحسن زوجيهما خلقًا معهما النبي ﷺ ؛ لأنه لا [1] أحد أحسن خلقًا منه ﷺ لقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : [٦٣٩] « كَانَ خُلُقُه الْقُرْآن » [2] فقوله ﷺ للسائلة : « **لأحسنهما خلقًا** » أي أنت لي في الآخرة كما أنت لي في الدنيا ، وللأخرى هي لآخر أزواجها [هم كذلك] [3] ، كأنه يقول لها : أنت لي ؛ إذ النبي ﷺ آخر أزواج نسائه ؛ لأنه لا يجوز أن يكون لإحدى نساء النبي ﷺ [١٧١/أ] زوجًا [4] سواه بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] وقوله : ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] فإذا كانت لآخر أزواجها ، وآخر أزواجها النبي ﷺ كانت له .

ويجوز أن يكون قوله : « **المرأة لآخر أزواجها** » فيمن فرق بينهما الطلاق لا الموت ؛ لأن الطلاق إذا لم يكن من بأس فهو لسوء الخلق لقول النبي ﷺ [٦٤٠] : « **إِنَّ أَبْغَضَ الحلالِ إلى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلاقُ** » [5] .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح إسماعيل بن عياش عن حميد بن مالك اللَّخْمِيِّ عن مكحول عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [٦٤١] « **ما خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ العِتَاقِ ، ولا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالى شَيْئًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ** [6]

---

(١) سقط من (س) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٥٥/ب) .

(٣) في هامش الأصل : وفي نسخة أخرى هي كذلك .

(٤) في (خ) : زوجٌ .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن ابن عمر في كتاب الطلاق باب في كراهية الطلاق (٢/٢٥٥) رقم (٢١٧٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطلاق باب حدثنا سويد بن سعيد (١/٦٥٠) رقم (٢٠١٨) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٢/٢١٤) رقم (٢٧٩٤) والبيهقي في سننه الكبرى بلفظه (٧/٣٢٢) رقم (١٤٦٧١) ، وأبو أمية الطَّرَسُوسِيُّ في مسند عبد الله بن عمر (١/٢٤) رقم (١٤) ، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٤/٣٢٣) ترجمة رقم (١١٥٦) ، وقد ضمنه ابن الجوزي كتابه العلل المتناهية في الأحاديث الواهية وقال : هذا حديث لا يصح (٢/٦٣٨) رقم (١٠٥٦) .

(٦) سقط من (س) .

مِنَ الطَّلاقِ » [1] .

فإذا كان الطلاق ما يبغضه اللَّه ، فإن المؤمن لا يكاد يفعله إلا من بأس ، فإذا كان للمرأة زوج وفرق بينهما الطلاق من غير بأس كان ذلك لسوء خلق يكون في الرجل وقلة مداراة ، فإذا كان الرجل حسن الخلق كانت فيه مداراة مع امرأته فيستمتع بها ويتحمل سوء خلقها فلا يفرق بينهما الطلاق ، يدل على ذلك ما حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح عبد اللَّه بن أبي زياد ح يعقوب بن إبراهيم بن سعد [2] ح ابن أخي ابن [3] شهاب عن [4] عمه عن [5] سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٦٤٢] : « **إِنَّ المرْأَةَ كالضِّلْعِ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وإِنْ تَرَكْتَهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا عَلَى عِوَجٍ** » [6] .

فأخبر أن الرجل إنما يستمتع بالمرأة بتحمل ما يكون منها من الاعوجاج ويكون ذلك بالمداراة وحسن الخلق ، فإذا حسن خلق الرجل لا يكاد يفرق [١٧١/ب] بينه وبين امرأته إلا الموت أن يموت عنها ، فيكون آخر أزواجها أحسنهم خلقًا معها فيتفق الخبران واللَّه أعلم .

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بلفظه مع اختلاف من الترتيب عن معاذ بن جبل (٣٦١/٧) رقم (١٤٨٩٧) ، والدارقطني في سننه بلفظه (٣٥/٤) رقم (٩٤) ، قال ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية : أخرجه الدارقطني وفيه ضعف وانقطاع (٧٣/٢) رقم (٥٧٤) وضعفه من جهة حميد ابن مالك ، وانقطاعه من جهة مكحول عن معاذ ، نصب الراية للزيلعي (٢٣٥/٣) .

(٢) في (س) : سعيد .

(٣) في (س) : أبي . ا.هـ. والصواب ما في الأصل لموافقته لإسناد الترمِذِيِّ الذي يرويه المصنف بإسناده إليه .

(٤) سقط من (س) .

(٥) السابق .

(٦) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب خلق آدم صلوات اللَّه عليه وذريته (١٢١٢/٣) رقم (٣١٥٣) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء (١٠٩٠/٢) رقم (١٤٦٨) ، والترمِذِيُّ في جامعه بلفظه في كتاب الطلاق واللعان باب ما جاء في مداراة النساء وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه (٤٩٣/٣) رقم (١١٨٨) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب عشرة النساء باب الوصية بالنساء (٣٦١/٥) رقم (٩١٤٠) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤٢٨/٢) رقم (٩٥٢٠) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي (١٩٢/٤) رقم (٧٣٣٤) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٩٥/٧) رقم (١٤٤٩٩) ، وابن حبان في صحيحه (٤٨٦/٩) رقم (٤١٧٩) .



فهرس موضوعات المجلد الأول

القسم الثاني (متن الكتاب)

* * *



بحر الفوائد

المشهور بمعاني الأخبار

للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري
المتوفى سنة ٣٨٠ هجرية

دراسة وتحقيق
وجيه كمال الدين زكي
رسالة ماجستير

المجلد الثاني

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

أصل هذا الكتاب

رسالة علمية حصل بها مؤلفها على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة بتقدير امتياز

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

الكلاباذي ، محمد إبراهيم بن يعقوب ، ٩٣٥ - ١٠٠٨ .

بحر الفوائد ، المشهور بمعاني الأخبار / لأبي بكر محمد ابن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري ؛ دراسة وتحقيق وجيه كمال الدين زكي . - ط١ . - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٧ .

٢مج ؛ ٢٤سم .

تدمك ٦ ٥٨٨ ٣٤٢ ٩٧٧

١ - الحديث - شرح . ٢ - الأخلاق الإسلامية .

٣ - القرآن - تلاوة .

أ - زكي ، وجيه كمال الدين (دارس ، محقق) .

ب - العنوان .

٢٣٧,٣

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

(١٤٢)

باب في تقوى اللَّه ما استطعت

حديث آخر : [٦٤٣] حدثنا أحمد بن عبد اللَّه الهَرَوِيُّ ح أحمد بن نجدة ح يحيى ابن عبد الحميد ح عبد العزيز عن شريك بن عبد اللَّه بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَه إِلى اليَمَنِ فَقَالَ مُعَاذٌ : أَوْصِني يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « **عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ واذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ وحَجَرٍ وإِذَا عَمِلْتَ**[١] **شَرًّا فَأَحْدِثْ للَّهِ تَوْبَةً ، السِّرُّ بالسِّرِّ والعَلانِيَةُ بالعَلانِيَةِ** »[٢] .

قال الشيخ رحمه الله : قوله ﷺ : « **عليك بتقوى اللَّه ما استطعت** » قول أديب متأدب بأدب اللَّه تعالى موافق للَّه قولًا وفعلًا وخلقًا ، لا يتقدم بين يدي اللَّه تعالى ولا يتأبى عليه ، سمع اللَّه تعالى يقول[٣] منزلًا عليه موحيًا إليه : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] قال ﷺ كما قال اللَّه ﷻ .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « **ما استطعت** » أي على مقدار طاقتك ومبلغ قدرتك فإنك لن تطيق قدره ولا تتقيه حق تقاته ؛ لأنه تعالى لا يعبد حق عبادته ولا يطاق إقامة حقه على قدر ما يستحقه ، لكن على قدر القوة ومبلغ الطاقة .

ويجوز : أن يكون قوله : « **ما استطعت** » أي بجميع استطاعتك واستفراغ طاقتك وببذل مجهودك حتى لا يبقى مما تستطيع ولا تستبقي ما تطيق شيئًا إلا بذلته في تقواه طلبًا لمرضاته ووفاء بعهده مستعينًا باللَّه مفتقرًا إليه كما قال : ﴿ إِيَّاكَ [١٧٢/أ] نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

وقوله : « **واذكر اللَّه عند كل شجر وحجر** » أي حيثما كنت من سفر أو حضر ،

---

(١) في (س) : علمت .

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة عن معاذ (٧٨/٧) رقم (٣٤٣٢٥) ، وهناد ابن السَّرِيِّ في الزهد (٥٢٠/٢) رقم (١٠٧٢) ، وابن أبي عاصم في كتاب الزهد بلفظ مقارب عن عطاء ابن يسار (٢٦/١) والبيهقي بنحوه عن محمد بن جبير في كتاب الزهد الكبير (٣٤٨/٢) رقم (٩٥٧) ، والطبراني في الكبير عن معاذ (١٥٩/٢٠) رقم (٣٣١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وإسناده حسن (٧٤/١٠) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه الطبراني بإسناد حسن إلا أن عطاء لم يدرك معاذًا) (٤٨/٤) رقم (٤٧٥٥) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : منذرًا .

فيكون الشجر إشارة إلى الحضر ، والحجر عبارة عن السفر .

ويجوز أن يكون معناه في الرخاء والشدة والخصب والجدب والسراء والضراء ، فيكون الشجر عبارة عن الخصب وهو حال الرخاء والسراء ، والحجر عبارة عن الجدب وهو حال الشدة والضراء ، قال الله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] وهو الذكر الكثير الذي قال الله تعالى : ﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤١] .

وقوله : « **وإذا عملت شرًا فأحدث لله توبة** » أشار إلى ضعف البشرية وعجز الإنسانية ، كأنه يقول : إنك وإن توقيت بجميع استطاعتك فغير سليم من شر تعمله وسوء تأتيه ، فعليك بالرجوع إلى الله والتوبة إليه ثم لم يقل ﷺ : إياك أن تعمل شرًا أو احذر أن تأتي شرًا ؛ علمًا منه بأن العبد مجرى قدر الله تعالى فلا يمكنه التحرز عما قدر الله عليه .

حدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل قال : وقال [1] أصبغ : أخبرني ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال : [٦٤٤] قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ وإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي العَنَتَ [2] ولا أَجِدُ مما [3] أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ . فَسَكَتَ عَنِّي . ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ ، [فَسَكَتَ عَنِّي ، ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ] [4] فَقَالَ ﷺ : « **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ القَلَمُ بما أَنْتَ لاقٍ [١٧٢/ب] فَاخْتَصِرْ [5] عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ** » [6] .

---

(١) في (س) : ح .

(٢) العنت : المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والخطأ والزنا ، النهاية مادة (عنت) ، (٣٠٦/٣) .

(٣) في (س) و (خ) : ما . ا.هـ. وهو الموافق لرواية البخاري التي يرويها المصنف بإسناده له .

(٤) سقط من (س) .

(٥) فاختصر : وجدتها في كل الروايات التي اطلعت عليها - التالي بيانها - « فاختص » ومعناها كما ذكر ابن حجر في الفتح عن الطيبي : (اقتصر على الذي أمرتك به أو اتركه وافعل ما ذكرت من الخصاء) فتح الباري (١١٩/٩) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء (١٩٥٣/٥) رقم (٤٧٨٨) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب النكاح باب النهي عن التبتل (٢٦٤/٣) رقم (٥٣٢٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٩/٧) رقم (١٣٢٤٣) ، =

وحدثنا خلف بن [1] إبراهيم ح محمد حدثني محمود بن غيلان ح عبد الرزاق أخ معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس ﷺ قال : [٦٤٥] مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ [2] مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ « **أَنَّ اللَّهَ تَعَالى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّه مِنَ الزِّنى أَدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ ، فَزِنَى العَيْنَيْنِ [3] النَّظَرُ ، وزِنَى اللِّسَانِ المَنْطِقُ ، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي ، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ [4] يُكَذِّبُهُ** » [5] .

فأمر ﷺ معاذًا بالتوبة وأوصاه بها ؛ إذ علم ﷺ أنه لاق ما كتب عليه وآت ما سبق القدر به فقال : « **إذا عملت شرًا** » كأنه يقول : لا بد لك من شر تعمله ؛ لأن ذلك مكتوب عليك ، فأحدث [6] توبة ، وإنه لا يؤتى العبد من الخطأ والمعصية وإن عظمت أو كثرت وإنما يؤتى من ترك التوبة فإن الله تعالى يحب المفتن التواب .

حدثنا نصر بن الفتح ح محمد بن عيسى ح أحمد بن منيع ح زيد بن حباب ح علي ابن مسعدة البَاهِلِيُّ ح قتادة عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : [٦٤٦] « **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** » [7] .

= وعبد الله بن وهب القرشي في كتاب القدر (٩٩/١) رقم (١٦) ، وابن أبي عاصم في كتاب السنة مختصرًا (٥١/١) رقم (١١٠) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٥٣/١) رقم (٦٠٣) ، والطبراني في الأوسط (٤٨/٧) رقم (٦٨١٤) .

(١) في (س) و (خ) : حدثنا .

(٢) اللمم : صغار الذنوب . النهاية مادة (لمم) ، (٢٧٣/٤) .

(٣) في (خ) : العين .

(٤) في (س) و (خ) : و .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن ابن عباس في كتاب الاستئذان باب زنى الجوارح دون الفرج (٢٣٠٤/٥) رقم (٥٨٨٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (٢٠٤٦/٤) رقم (٢٦٥٧) ، وأبو داود في سننه عن أبي هريرة في كتاب النكاح باب فيما يؤمر به من غض البصر (٢٤٦/٢) رقم (٢١٥٢) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ (٤٧٣/٦) رقم (١١٥٤٤) ، وأحمد في مسنده (٢٧٦/٢) رقم (٧٧٠٥) .

(٦) زاد في (س) بعدها : لله .

(٧) الحديث أخرجه الترمذِيُّ في جامعه بلفظه عن أنس في كتاب صفة القيامة باب منه وقال : غريب لا نعرفه إلى من حديث علي بن مسعدة عن قتادة (٦٥٩/٤) رقم (٢٤٩٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢) رقم (٤٢٥١) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب (١٩٨/٣) رقم (١٣٠٧٢) ، والحاكم في المستدرك بلفظه وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي قال : علي =

وأخبرنا أحمد بن عبد الله ح ابن نجدة ح الحِمَّانيُّ ح معلى بن منصور عن ليث بن سعد عن محمد بن قيس عن أبي صرمة عن أبي أيوب قال : سمعت النبي ﷺ يقول : [٦٤٧] « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ - أَوْ يَخْلُقُ قَوْمًا [١] - يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُم » [٢] كأنه يقول : خير بني آدم التوابون ، والله أعلم .

وقال [١٧٣/أ] بعض الكبراء : إن الله تعالى خلق الإنسان وفيه شموخ وعلو وترفع وهو ينظر إلى نفسه أبدًا ، والله تعالى خلق العبد المؤمن لنفسه وخلق سائر الأشياء له فأحب الله تعالى من المؤمن نظره إلى ربه ﷻ وإعراضه عمن سواه ؛ لذلك سخر له ما في السموات وما في الأرض [قال الله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ] [٣] جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣] ليرجع عن مصالح نفسه والشغل بها إلى ربه [٤] ؛ لأنه أقام لمصالحه أقوامًا هم أشد قوة منه ، وأهدى لمصالحه ، وأعلم بمرافقه من العبد ، وجعل له حفظة من بين يديه ، ومن خلفه معقبات ، فكفاه ربه كل مؤنة دينية ودنيوية ؛ بعث رسلًا ، وأنزل كتبًا ، وأقام شريعة ، ونصب له دعاة ، وجعل له شفعاء من حملة عرشه وكرام ملائكته ؛ ليتفرغ العبد لربه ، إقبالًا عليه ونظرًا إليه ، وعلم - جل وعز - أنه مع هذا كله ينظر إلى نفسه ويقبل عليها إعجابًا بها وعكوفًا عليها ، فكتب عليه ما يصرفه إليه وقدر له ما يشغله به إذا شغل عنه وصرف منه من شر يعمله وسوء يأتيه ومعصية يرتكبها وكبيرة يواقعها وصغيرة لا يمتنع منها لينبهه لنظره إليه ويبعثه على إقباله عليه فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقال : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ

= ابن مسعدة لين (٢٧٢/٤) رقم (٧٦١٧) . وعلي بن مسعدة من رجال إسناد المصنف . وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦٢/٧) رقم (٣٤٢١٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٠١/٥) رقم (٢٩٢٢) ، وابن عدي في الكامل (٢٠٧/٥) ترجمة رقم (١٣٥٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٠/٥) رقم (٧١٢٧) .

(١) شك من المصنف يؤكده خلو رواية ابن أبي شيبة من هذه المعترضة مع أن المصنف يروي الحديث بنفس إسناد ابن أبي شيبة .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار (٢١٠٦/٤) رقم (٢٧٤٩) ، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب عن ابن عباس (٢٨٩/١) رقم (٢٦٢٣) ، ومعمر بن راشد في الجامع بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (١٨١/١١) رقم (٢٠٢٧١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه عن أبي أيوب (٦٠/٧) رقم (٣٤٢٠١) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٣١/٣) رقم (٢٣٧٦) ، وفي الكبير بلفظ مقارب عن أبي صرمة (١٥٦/٤) رقم (٣٩٩٢) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) زاد في (س) بعدها : بالإقبال عليه والخدمة له .

﴿ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور : ٣١] وقال : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر : ٥٤] وقال ﷺ : [٦٤٨] « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم بضالته يجدها بأرض فلاة » [(١)] وقال : [٦٤٩] « إن الله يحب المفتن التواب » [(٢)] .

وقوله : « السر بالسر والعلانية بالعلانية » [١٧٣/ب] أخبر أن الشر الذي يعمله على ضربين وفي حالين سرًّا وجهرًا ، فالسر أفعال القلب والعلانية أفعال الجوارح ، فكأنه ﷺ يقول : إذا عملت شرًّا بسرك فأحدث توبة بسرك ، وإذا عملت شرًّا بجوارحك فأحدث توبة بجوارحك ، فأفعال السر من الذنوب فيما بينه وبين الله تعالى طمع إلى غير الله ومخافة ورجاء إليه ومعاداة أوليائه وموالاة أعدائه قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة : ١] [وقال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١١٨]] [(٣)] الآية وفيما بينه وبين عباد الله حسد لمؤمن وتهمة لبريء ، وبغي على مسلم ، وحقد يضمره ، وسوء يريده به ، وما سوى ذلك مما هو من أفعال القلب فعليه أن يحدث توبة منها بسره باكتساب ما يزيلها ويثبت أضدادها ؛ لأن سائر أعمال الجوارح من صوم وصلاة وزكاة [(٤)] وحج وغزو وأمثالها لا يجدي عليه كبير نفع منها مع فساد السر ونجاسة القلب ؛ فإن القلب لا يكاد يطهر بأفعال الجوارح .

أنشدني أبو القاسم إسحاق بن محمد الحكيم [(٥)] لأبي بكر الوراق الترمذي [(٦)] - رحمهما الله تعالى - :

إن الجرائم أقفلت باب الهدى   فالعلم ليس بفاتح أقفالها

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٦٩/أ) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٦٩/ب) .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) السابق .

(٥) هو إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن زيد أبو القاسم القاضي الحكيم السمرقندي . تولى قضاء سمرقند أيامًا طويلة وحمدت سيرته ولقب بالحكيم لكثرة حكمته ومواعظه مات في المحرم يوم عاشوراء سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة بسمرقند ودفن بمقبرة جاكردنر ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١٣٩/١) رقم (٣٠٢) وهو من الزهاد وليس له رواية الحديث . الإرشاد لأبي يعلى القزويني (٩٨٢/٣) رقم (٩٠٩) .

(٦) هو محمد بن عمر الحكيم أصله من ترمذ وأقام ببلخ ، له الكتب المشهورة في أنواع الرياضات والمعاملات والآداب ، وأسند الحديث . طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن الأزدي (١٧٨/١) رقم (٣٣) وقد أسند الحديث عن موسى بن حزام الترمذي ، صفة الصفوة لابن الجوزي (١٦٦/٤) رقم (٧٧) .

إن القلوب تنجست ببطالة فالسعي غير مطهر أفعالها

وذنوب العلانية فيما بين الله تعالى والعبد : ترك ما أمر به وارتكاب ما نهى عنه من تضييع فرض وإضاعة حق ومجاوزة حد وقصور عنه [١٧٤/أ] ، وفيما بينه وبين خلق الله تعالى : المظالم والجنايات قولًا وفعلًا ؛ فتوبة العبد منها علانية من رد المظالم والاستحلال من أربابها والخروج إليهم مما لهم عليه ، وقضاء ما فات من فرائض الله من صلاة وصيام وزكاة وحج ، والانتهاء عما نهى عنه وإخراج ما حصل عنده من مال أو متاع ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] وقال ﷺ : [٦٥٠] « **أَدُّوا الخَيْطَ والمَخِيطَ** » [١] ؛ لأنه لا ينفع العبد ندامته بسره على ما مضى مع إقامته على مثله في الوقت وتوبته من ارتكاب المظالم بسره مع تمسكه بما في يديه . روي في الحديث : [٦٥١] « **إِذَا قَالَ المُلَبِّي لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ وعِنْدَه مَالٌ حَرَامٌ . قِيلَ لَه : لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْكَ حَتَّى تَرُدَّ مَا في يَدَيْكَ** » [٢] ؛ لذلك قال ﷺ : « **السر بالسر والعلانية بالعلانية** » .

[١٤٣] باب في الأدب مع رسول الله ﷺ

حديث آخر : [٦٥٢] حدثنا حاتم ح يحيى [ح الحِمَّانِيُّ] [٣] ح مروان بن معاوية عن حميد عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **تَسَمُّوا بِاسمِي ولا تَكَنُّوا بِكُنْيَتِي** » [٤] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه عن عبادة بن الصامت في كتاب الجهاد باب الغلول (٩٥٠/٢) رقم (٢٨٥٠) ، وأحمد في مسنده (٣١٨/٥) رقم (٢٢٧٦٦) ، والحاكم في المستدرك (٥١/٣) رقم (٤٣٧٠) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠٣/٩) رقم (١٧٩٩٨) وابن حبان في صحيحه (١٩٣/١١) رقم (٤٨٥٥) ، والبزار في مسنده (١٥٣/٧) رقم (٢٧١٢) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٤١/٣) ، والطبراني في مسند الشاميين (٣٦٣/٢) رقم (١٥٠٢) .

(٢) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة عن عمر بن الخطاب (١٠٦/٣) رقم (٦٤١) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بلفظ مقارب من بلاغات أبي سليمان (٢٦٣/٩) ، والطبراني في الأوسط بنحوه عن أبي هريرة (٢٥١/٥) رقم (٥٢٢٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن داود اليماني وهو ضعيف (٢٩٢/١٠) ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في حديث عمر : وهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ) (٥٦٦/٢) رقم (٩٣٠) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب العلم باب إثم من كذب =

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معناه : أي لا تجمعوا بين اسمي [1] وكنيتي ، كأنه يقول : تسموا باسمي ، فإذا تسميتم باسمي فلا تكنوا بكنيتي [2] .

ويجوز أن يكون معناه إباحة الاسم وحظر الكنية فيكون الاسم محمدًا جائزًا مأذونًا به ويكون التكني بأبي القاسم محظورًا ، وإن كان الاسم غير محمد ، وهذا في عصره ﷺ وحياته ؛ لئلا يشتبه فيقال : يا أبا القاسم ، فيظن النبي عليه السلام أنه هو المدعو فيلتفت أو يجيب فيتأذى به النبي عليه السلام وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] يصدق ذلك حديثه الآخر أنه عليه السلام : « مر ببعض الطريق فنادى رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت [١٧٤/ب] رسول الله فقال الرجل : لم أعنك يا رسول الله ؛ فقال عليه السلام [3] : « **لا تكنوا بكنيتي** » .

حدثنا محمد بن نعيم ح أبو حاتم الرَّازِيُّ ح الأَنْصَارِيُّ ح ني حميد عن أنس رضي الله عنه قال : [٦٥٣] [نَادَى رَجُلٌ : يَا أَبَا القَاسِمِ فَالْتَفَتَ إِلَيْه النَّبِيُّ عليه السلام فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لم أَعْنِكَ إِنَّمَا دَعَوْتُ فُلانًا ، فَقَال النَّبِيُّ عليه السلام : « **تَسَمُّوا بِاسمِي ولا تَكَنَّوا بِكُنْيَتِي** » [4]] [5] الحديث . وإنما نهى عن الكنية في حياته ولم ينه عن الاسم ؛ لأنه لم

= على النبي (٥٢/١) رقم (١١٠) ، ومسلم في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم (١٦٨٢/٣) رقم (٢١٣١) ، وأبو داود في سننه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب في الرجل يتكنى بأبي القاسم (٢٩١/٤) رقم (٤٩٦٥) ، وابن ماجه في سننه عن أنس في كتاب الأدب باب الجمع بين اسم النبي وكنيته (١٢٣١/٢) رقم (٣٧٣٧) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٤٧٨/٢) رقم (١٠١٩٤) ، ومعمر بن راشد في الجامع (٤٤/١١) رقم (١٩٨٦٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٤/٥) رقم (٢٥٩٢٤) ، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (٧٣/١٢) رقم (١٢٥١٣) .

(١) زيادة من (س) .

(٢) زاد في (س) و (خ) بعدها : فتجمعون بين اسمي وكنيتي .

(٣) زاد في (س) و (خ) بعدها : تسموا باسمي و .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق (٧٤٦/٢) رقم (٢٠١٥) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب الآداب باب النهي عن التكني بأبي القاسم (١٦٨٢/٣) رقم (٢١٣١) ، والترمذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب في كتاب الأدب باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته (١٣٦/٥) رقم (٢٨٤١) ، وابن ماجه في سننه بلفظه في كتاب الأدب باب الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته (١٢٣١/٢) رقم (٣٧٣٧) ، وأحمد في مسنده (١١٤/٣) رقم (١٢١٥١) والبيهقي في سننه الكبرى بلفظ مقارب (٣٠٨/٩) رقم (١٩١٠٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه (٢٦٤/٥) رقم (٢٥٩٢٦) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظ مقارب (٤٣٤/٦) رقم (٣٨١١) .

(٥) سقط من (خ) .

يكن يقع الاشتباه بالاسم ؛ لأن الله تعالى نهى أن يدعى رسول الله ﷺ باسمه فيقال : يا محمد ، قال الله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ [1] كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور : ٦٣] فكان المسلمون لا يسمونه باسمه داعيًا فإذا سمع من ينادي : يا محمد ؛ يعلم ﷺ أن المدعو غيره فلا يلتفت ولا يجيب لعلمه بأنه ليس هو المدعوّ ولم يرد النهي عن الكنية فكان يجوز أن يقال : يا أبا القاسم فإذا سمع من ينادي : يا أبا القاسم التفت ولم يكن هو المدعو فيكون فيه أذاه فإنه كان ﷺ لا يلتفت إذا مشى ، فإذا التفت لا لمعنى كان في ذلك أذاه وليس للمؤمنين أن يؤذوه ؛ فعلى هذا يجوز التكني بأبي القاسم بعده .

قال : ولا يجوز جمع اسمه وكنيته ؛ لأن فيه نقصًا في توقيره وإجلاله ، وقد أمر الله تعالى بتوقيره وإجلاله فقال : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح : ٩] ومما يدل على ذلك أنه كان في حياته ﷺ من يسمى محمدًا منهم محمد بن مسلمة [2] ومحمد بن أبي بكر [3] يقال : إنه ولد [4] في حياته وغيرهما ، ولم يعلم في حياته من كني بأبي القاسم .

١٤٤

باب في شهادة هذه الأمة على الأمم كلها

حديث آخر [١٧٥/أ] : [٦٥٤] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس ﷺ قال : مَاتَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَجَبَتْ » ثمَّ مَاتَ آخَرُ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ شَرًّا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَجَبَتْ » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ فُلانٌ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيرًا فَقُلْتَ : « وَجَبَتْ » ثم

---

(١) سقط من (س) .

(٢) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة وهو ممن سمي في الجاهلية محمدًا وقيل : يكنى أبا عبد الله وأبا سعيد والأول أكثر وروى عن النبي ﷺ أحاديث ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر بتصرف (٣٣/٦) ترجمة رقم (٧٨١١) .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عثمان بن عامر ، أبوه الصديق أبو بكر بن أبي قحافة خليفة رسول الله ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٦٩/٤) رقم (٤٨٢٠) ولم أقف على ما يفيد ولادته في حياته ﷺ .

(٤) سقط من (خ) .

مَاتَ فُلانٌ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ شَرًّا فَقُلْتَ « وَجَبَتْ » ، فَقَالَ : « إِنَّكُم شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأَرْضِ »[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : إن اللَّه تعالى جعل هذه الأمة شهداء على الأمم كلها يوم القيامة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، وقال النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما حدثناه نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح عبد بن حميد ح جعفر بن عون أخ الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٦٥٥] « يُدْعَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ[(٢)] : نَعَم ، فَيُدْعَى قَوْمُه فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَكُم ، فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ ، فَيُقَالُ : مَنْ شُهُودُكَ ؟ فَيَقُولُ محمَّدٌ وأُمَّتُه » . قَالَ : « فَيُؤْتَى بِكُم فَتَشْهَدُونَ أَنَّه قَدْ بَلَّغَ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] والوَسَطُ العَدْلُ »[(٣)] .

فإذا جعل اللَّه هذه الأمة شهداء على الناس يوم القيامة وعدلهم اللَّه بقوله : ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدلًا قسطًا[(٤)] ، فشهادة العدل مقبولة [في الحكم به][(٥)] لا ترد ، والحكم به واجب في القضاء ، فإذا شهدوا على إنسان بصلاح

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت (٤٦٠/١) رقم (١٣٠١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى (٦٥٥/٢) رقم (٩٤٩) ، والترمِذِيُّ في جامعه في كتاب الجنائز باب ما جاء في الثناء الحسن على الميت وقال : حديث أنس حسن صحيح (٣٧٣/٣) رقم (١٠٥٨) ، والنسائي في المجتبى في كتاب الجنائز باب الثناء (٩٤/٤) رقم (١٩٣٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز باب ما جاء في الثناء (٤٧٨/١) رقم (١٤٩١) ، وأحمد في مسنده (١٧٩/٣) رقم (١٢٨٦٠) .

(٢) في (س) : فيقوم .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد في كتاب الأنبياء باب قول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [نوح: ١] (١٢١٥/٣) رقم (٣١٦١) ، والترمِذِيُّ في جامعه بلفظ مقارب في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة وقال : حسن صحيح (٢٠٧/٥) رقم (٢٩٦١) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ (٢٩٢/٦) رقم (١١٠٠٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ (١٤٣٢/٢) رقم (٤٢٨٤) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٣٢/٣) رقم (١١٣٠١) ، وعبد بن حميد في المنتخب بلفظ مقارب (٢٨٦/١) رقم (٩١٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة (٣١٠/٦) رقم (٣١٦٨٤) .

(٤) سقط من (س) و (خ) . (٥) سقط من (س) و (خ) .

قبلت شهادتهم ، وإن كان الأمر في المغيب غير ذلك ، فإذا شهدوا على إنسان بفساد قبلت شهادتهم ، وإن كان الأمر في المغيب غير ذلك [١٧٥/ب] ؛ لأن على الحاكم القضاء بشهادة العدول ، فهذه الأمة شهود والله تعالى عدلهم ، ورسوله زكاهم بقوله : ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقد قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] فوصفهم الله تعالى بهذه الصفة وقال في غيرهم : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] فغيرهم كانوا يأمرون الناس بالبر وهو الإيمان بالله تعالى ورسوله (١) ، ثم [لا يؤمنون هم] (٢) ، وهم اليهود وبعض مشركي قريش . والمؤمنون بخلاف ذلك فهم يأمرون بالمعروف ويأتونه وينهون عن المنكر ويجتنبونه فهم عدول صادقون بتعديل الله لهم وهم أزكياء صديقون بتزكية رسول الله ﷺ لهم فوجبت القضية بشهادتهم ، فقال النبي ﷺ : « **وجبت ، وجبت ، أنتم شهداء الله في الأرض** » .

ومعنى قوله : « [**أنتم شهداء الله**] (٣) **في الأرض** » أنه أوجب على الحكام القضاء بشهادتهم في الدماء والفروج والأموال على ما يعلم (٤) الله منهم فهو ﷻ يحكم بشهادتهم على ما علم منهم .

وقوله : « **وجبت** » في الثناء الحسن فهو ستر من الله تعالى وتجاوز عما علم من المثنى عليه ، وهذا فضل من الله تعالى وكرم في قبول شهادة أوليائه ؛ لئلا يقع في شهادتهم جرح وتجاوز عن المشهود له وستر عليه ، وهذا يليق بالله وفضله وكرمه .

حدثنا أحمد بن محمد العِجْلِيُّ ح أبو أحمد بن ياسين بن النضر ح الحسين بن بشر ابن القاسم ح أبي ح أبو الأحوص ح خالد بن أعين عن أبي العلاء قال : [٦٥٦] « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةٍ [١٧٦/أ] فَأَحْسَنَ النَّاسُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ فَجَاءَ جِبريلُ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ صَاحِبَكُم لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ، إِنَّه كَانَ يُسِرُّ كَذا

---

(١) قاله ابن عباس بنحوه فيما أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان بإسناده إليه (٢٥٨/١) .

(٢) في (خ) : لم يؤمنونهم .

(٣) سقط من (س) و (خ) .

(٤) في (س) : يعرف . ا.هـ . وهو خطأ تكرر ؛ إذ لا يصح وصف الله تعالى بالمعرفة وإنما يوصف سبحانه بالعلم ؛ لأن (المعرفة مسبوقة بجهل بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف) كذا كما في التعريفات للجرجاني (٢٨٣/١) والتعاريف للمناوي (٦٦٦/١) .

ويُعْلِنُ كَذَا ، ولَكِنَّ اللَّهَ تَعَالى صَدَّقَكُم بما تقُولُونَ وغَفَرَ له مَا لا تَعْلَمُونَ » (١) .

وأما قوله : « وجبت » في الثناء السيئ [فإنه لا يجوز] (٢) أن يعلم اللَّه تعالى من المشهود عليه بالشر خلاف ما شهدوا عليه ؛ لأنهم [لا يشهد] (٣) إلا على (٤) ما ظهر من المشهود عليه ، وما ظهر من سيئ عمله فهو معصية للَّه وهو بها مجروح عاصٍ سواء وافق باطنه ظاهره ، أو خالفه ؛ لأن ذلك الذي ظهر منه سيئ لا محالة ، فاللَّه تعالى إذا عذبه وحكم بشهادتهم فقد عذبه على ما يستحقه ؛ لأنه فعل الذي نهى عنه ووجب وعيد اللَّه له فإن حكم عليه بما أوعده به لم يكن معذبًا له وهو لا يستحقه بل يكون معذبًا من يستحق العذاب ، وإذا تجاوز عمن يستحق العذاب على ما علمه منه ثم حكم بشهادة الشهود له كان ذلك مغفرة وتجاوزًا وهما من صفات اللَّه تعالى ، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة ؛ لأنه يجوز أن يتجاوز اللَّه عن المسيء ولا يعاقبه على إساءته ، ولا يجوز أن يعذبه أو يعاقبه من غير جرم كان منه بشهادة غيره عليه .

١٤٥
باب في خيرية هذه الأمة

حديث آخر : [٦٥٧] حدثنا نصر ح أبو عيسى ح قتيبة ح حماد بن يحيى الأبج عن ثابت البُنَانِيِّ عن أنس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ المطَرِ لا يُدْرَى أَوَّلُه خَيرٌ أَمْ آخِرُه** » (٥) .

وحدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل حدثني أبو ضمرة [١٧٦/ب] عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ : [٦٥٨] « أَنَّهُم سأَلُوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ مَنْ خَيرُ النَّاسِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **أَنَا ومَنْ مَعِي** » . قَالُوا ثمَّ مَنْ

(١) لم أقف عليه وخالد بن أعين لم أجد له ترجمة .

(٢) في (س) : فلأنه يجوز ا.هـ. أم في (خ) : فلأنه لا يجوز .

(٣) في (س) و (خ) : لا يشهدون .

(٤) سقط من (س) .

(٥) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن أنس في كتاب الأمثال باب منه وقال : حسن غريب من هذا الوجه (١٥٢/٥) رقم (٢٨٦٩) ، وأحمد في مسنده (١٤٣/٣) رقم (١٢٤٨٣) ، وابن حبان في صحيحه عن عمار بن ياسر (٢١٠/١٦) رقم (٧٢٢٦) ، والطَّيَالِسِيُّ في مسنده (٩٠/١) رقم (٦٤٧) ، والبزار في مسنده (٢٤٤/٤) رقم (١٤١٢) ، وأبو يعلى في مسنده (١٩٠/٦) رقم (٣٤٧٥) .

يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « ثُمَّ الذينَ عَلَى الأَثَرِ » . قَالُوا : ثمَّ مَنْ يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « ثُمَّ الذينَ عَلَى الأَثَرِ » . قَالُوا ثمَّ مَنْ ؟ قَالَ : فَرَفَضَهُم [١] » [٢] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون معنى قوله : « لا يدرى أوله خير أم آخره » لتقارب أوصافهم وتشابه أفعالهم وقرب نعوت بعضهم من بعض [في الظاهر] [٣] فلا يكاد يتبين للناظر فيهم والمعتبر حالهم والباحث عن أحوالهم فيحكم بالخير لأولهم وآخرهم ، وإذا تشابهت الأحوال وتقاربت الأوصاف فإنما يعلم الخيرية من جهة الخبر والسمع والتوقيف [٤] ثم ورد الخبر بقوله : من خير الناس ؟ فقال : « أنا ومن معي » وجب [٥] الحكم به .

ويجوز أن يكون قوله : « لا يدرى أوله خير أم آخره » حكمًا ، فيستوي آخر هذه الأمة بأولها في الخيرية ، وذلك أن القرن الذي بعث فيهم رسول اللَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما كانوا خيارًا ؛ لأنهم آمنوا بالنبي عَلَيْهِ السَّلَامُ حين كفر به الناس وصدقوه حين كذبه الناس ونصروه حين خذله الناس وهاجروا وآووا ونصروا ، وكل هذه الأفعال وجدت في آخر هذه الأمة حين يكثر الهرج وحين لا يقال في الأرض : اللَّه اللَّه ، وذلك كائن [٦] .

حدثنا نصر ح أبو عيسى ح محمد بن بشار ح ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [٦٥٩] « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُقَال في الأَرْضِ : [١٧٧/أ] اللَّه اللَّه » [٧] وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٦٦٠] « بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبى

(١) في هامش (خ) : أي سكت وترك البيان .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٢٩٧/٢) رقم (٧٩٤٤) و (٣٤٠/٢) رقم (٨٤٦٤) ، وأبو بكر الخلال في كتاب السنة (٤٣٦/٢) رقم (٦٦٥) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٧٨/٢) .

(٣) سقط من (س) ، أم في (خ) : في ظواهرهم .

(٤) في (س) : والتوفيق .

(٥) في (س) : فوجب .

(٦) سقط من (س) .

(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (١٣١/١) رقم (١٤٨) ، والترمذِيُّ في جامعه في كتاب الفتن باب منه وقال : حديث حسن (٤٩٢/٤) رقم (٢٢٠٧) ، وأحمد في مسنده (١٠٧/٣) رقم (١٢٠٦٢) ، والحاكم في المستدرك وقال : هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي (٥٤٠/٤) رقم (٨٥١٣) ، وابن حبان في صحيحه (٢٦٣/١٥) رقم (٦٨٤٩) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٤١٤/١) رقم (١٤١٢) ، =

لِلغُرَبَاءِ » . قِيلَ : وَمَن [(١)] الغُرَبَاءُ ؟ قَالَ : « **النُّـزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ** » [(٢)] .

فإذا صار الأمر إلى هذا كان المؤمن فيهم كالمؤمن في وقت النبي ﷺ ؛ فإن النازع من القبيلة مهاجر مفارق أهله وماله ووطنه ، مؤمن بالله مصدق به وبرسوله ، والله ﷻ مدح المؤمنين بإيمانهم بالغيب فقال : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] وكان إيمان أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم غيبًا وشهودًا فإنهم آمنوا بالله واليوم الآخر غيبًا وآمنوا بالنبي ﷺ شهودًا وعيانًا ينـزل عليهم الوحي ويرون الآيات ويشاهدون المعجزات ، وآخر هذه الأمة يؤمنون بما آمن به أوائلهم غيبًا ويؤمنون غيبًا بما آمن به أوائلهم شهودًا وهو إيمانهم بالنبي ﷺ فإنهم لا يشاهدون النبي ﷺ عيانًا ؛ ولذلك صاروا أعجب الناس إيمانًا ، كما حدثنا القَوَارِيرِيُّ ح حامد بن سهل ح قتيبة ح خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب عمَّن حدثه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال [(٣)] : [٦٦١] « **مَنْ أَعْجَبُ الخلقِ إيمانًا ؟** » قَالُوا : الملائِكَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **وكَيفَ لا تُؤْمِنُ الملائِكَةُ وهُم يُعَايِنُونَ الأمْرَ ؟!** » . قَالُوا : فَالنَّبِيُّونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **وكَيفَ لا يُؤْمِنُ النَّبِيُّونَ** [(٤)] **والرُّوحُ يَنـزِلُ عَلَيهِم بِالأمْرِ مِنَ السَّمَاءِ ؟!** » . قَالُوا : فَأَصْحَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **وكَيفَ لا يُؤْمِنُ** [(٥)] **أَصْحَابي وهُم يَرَوْنَ مَا يَرَوْنَ ؟! ، ولَكِنْ أَعْجَبُ النَّاسِ إِيمَانًا قَوْمٌ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بي وَلَم** [١٧٧/ب] **يَرَوْنِي ويُصَدِّقُونَنِي ولم يَرَوْنِي**

= وأبو يعلى في مسنده (٢٣٤/٦) رقم (٣٥٢٦) .

(١) في (س) : ما .

(٢) الحديث أخرجه جزأه الأول حتى « فطوبى للغرباء » مسلم في صحيحه بلفظ مقارب عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا (١٣٠/١) رقم (١٤٥) ، والترمِذِيُّ في جامعه بلفظه عن عبد الله في كتاب الإيمان باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وقال : حسن صحيح غريب من حديث عبد الله (١٨/٥) رقم (٢٦٢٩) ، وأخرجه بتمامه ابن ماجه في سننه بلفظ مقارب عن عبد الله في كتاب الفتن باب بدأ الإسلام غريبًا (١٣٢٠/٢) رقم (٣٩٨٨) ، والدارمي في سننه (٢٠٢/٢) رقم (٢٧٥٥) ، وأحمد في مسنده (٣٩٨/١) رقم (٣٧٨٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٣/٧) رقم (٣٢٣٦٦) والبزار في مسنده (٤٣٣/٥) رقم (٢٠٦٩) ، والشاشي في مسنده (١٧٠/٢) رقم (٧٢٩) .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (س) : الملائكة .

(٥) في (س) : يؤمنون .

فَأُولَئِكَ إِخْوَانِي » (١) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : ثم كان المتمسك بالدين في آخر الزمان كما قال عليه السلام : [٦٦٢] « المتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ اخْتِلافِ أُمَّتِي كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ » حدثناه خلف بن محمد ح حامد بن سهل ح حميد بن علي البَخْتَرِيُّ (٢) ح جعفر بن محمد ح أبو إسحاق الفَزَارِيُّ (٣) عن مغيرة عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (٤) .

فالمؤمن في آخر الزمان يصيبه من الأذى على إيمانه ما كان يصيب أوائلهم بدلالة هذا الخبر فإذا وجدت فيهم هذه الخصال التي وجدت في أوائلهم جاز أن يساووهم في الخيرية فيكونوا في الخيرية كهم ويكون معنى قوله عليه السلام : « خير الناس قرني » خاصًا في قوم منهم دون جميعهم كما قال ابن عمر : [٦٦٣] « كُنَّا نَقُولُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ : الأَفْضَلُ (٥) أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمَانُ ثُمَّ لا نُفَضِّلُ أَحَدًا » (٦) أو كلامًا هذا معناه ، فأخبر

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه عن عمر وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي قال : بل محمد بن أبي حميد ضعفوه (٩٦/٤) رقم (٦٩٩٣) ، والطبراني في الكبير بألفاظ متقاربة عن ابن عباس (٨٧/١٢) رقم (١٢٥٦٠) ، وفي إسناده أن عطاء حدث عن الشعبي عن ابن عباس وبهذا تتبين جهالة العين في إسناد المصنف .قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط (٣٠٠/٨) وأبو بكر الإسماعيلي في المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي عن أبي هريرة (٥٣٢/٢) ، وأبو القاسم الجُرْجَانِيُّ في تاريخ جرجان (٤٠٤/١) رقم (٦٨٧) .

(٢) البَخْتَرِيُّ : بالباء المنقوطة من تحتها ، والخاء المنقوطة الساكنة ، وبعدها التاء المفتوحة المنقوطة من فوقها بنقطتين بعدها راء مهملة ، وهذا اسم يشبه النسبة ، الأنساب (٢٠٥/١) .

(٣) الفَزَارِيُّ : بفتح الفاء والزاي ، والراء في آخرها بعد الألف ، هذه النسبة إلى فزارة ، وهي قبيلة كان منها جماعة من العلماء والأئمة ، الأنساب (٤٥٤/٣) .

(٤) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه بنحوه عن أنس بن مالك في كتاب الفتن باب منه وقال : غريب من هذا الوجه ، ولفظه : « يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر » (٥٢٦/٤) رقم (٢٢٦٠) وذكره الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول بلفظه عن ابن مسعود (٣٢٧/٢) ، والوَاسِطِيُّ في تاريخ واسط بلفظ مقارب عن أبي هريرة (١٣٢/١) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد من لفظ أبي عبيد القاسم بن سلام (٤١٠/١٢) ترجمة رقم (٦٨٦٨) .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) هذا معنى حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر في كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ولفظه : « كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه » (١٣٣٧/٣) رقم (٣٤٥٥) ، وعنه أيضًا في باب مناقب عثمان بن عفان بلفظ « كنا في زمن =

أنهم كانوا يسوون بين أصحابه دون المسمين ، ومعلوم أن قرنه ﷺ كلهم لم يكونوا خير الناس ، فقد كان فيهم أبو جهل وأمية [(١)] وأبيٌ وسائر المشركين ، ومسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي المتنبيان الكذابان ، وإنما كان خير الناس بعض القرن لا كلهم ، فصار كأنه قال : خير الناس في قرني ، وإذا كان ذلك في بعض دون بعض جاز أن يكون خير الناس أبو بكر [(٢)] وعمر وعثمان على ما قال ابن عمر ، أو هم وعليٌّ على ما عليه أكثر أهل الأثر والنظر من الفريقين وغيرهم فيكون من سواهم .

ويجوز أن يساوي بهم آخر هذه الأمة وهم الذين يقاتلون الدجال وينصرون عيسى عليه السلام فهم أنصار [١٧٨/أ] النبي عليه السلام وإخوانه . قال عوف بن مالك الأشجعي : قال عليه السلام لنا يومًا [٦٦٤] : « **لَيْتَني لَقِيتُ إِخْوَاني** » . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ لَسْنَا بِإِخْوَانِكَ ؟! آمَنَّا بِكَ وهَاجَرْنَا مَعَكَ واتَّبَعْنَاكَ ونَصَرْنَاكَ وصَدَّقْنَاكَ . قَالَ : « **بَلَى** » . وعَادَ فَعُدْنَا ، ثُمَّ عَادَ فَعُدْنَا . قَالَ : « **بَلَى ، ولَكِنْ إِخْوَاني الذينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بي كَإِيمَانِكُم [ويُحِبُّونَني كَحُبِّكُم]** [(٣)] **ويَنْصُرُونَني كَنُصْرَتِكُم ويُصَدِّقُونَني كَتَصْدِيقِكُم فيَا لَيْتَني لَقِيتُ إِخْوَاني** » [(٤)] ، وفي حديث آخر [٦٦٥] : قُلْنَا : أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ ؟ قَالَ : « **لا ، أَنْتُم أَصْحَابي وإِخْواني قَوْمٌ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِي** » [(٥)] .

وقال أبو ثعلبة الخشنيُّ : « قال لي رسول اللَّه ﷺ : [٦٦٦] « **ائتَمِرُوا بالمعْرُوفِ وتَنَاهَوْا عَنِ المنكَرِ ، فَإِذَا رَأَيْتَ دُنْيَا مُؤْثَرَةً وشُحًّا مُطَاعًا وإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ ، المتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بمثْلِ الذي أَنْتُم عَلَيْهِ لَهُ كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلًا** » . قَالُوا :

= النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم » (١٣٥٢/٣) رقم (٣٤٩٤) .

(١) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن خلف .

(٢) سقط من (س) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن أخرجه الطبراني في الكبير بنحوه عن أبي جمعة (٢٣/٤) رقم (٣٥٣٩) .

(٥) الحديث أخرجه النسائي في المجتبى بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الطهارة باب حلية الوضوء (٩٤/١) رقم (١٥٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الحوض (١٤٣٩/٢) رقم (٤٣٠٦) ، وأحمد في مسنده عن أنس (١٥٥/٣) رقم (١٢٦٠١) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٣٢١/٣) رقم (١٠٤٦) ، والربيع بن حبيب في الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع عن أبي هريرة (٣٧/١) رقم (٤٣) ، وأبو يعلى في مسنده عن أنس (١١٨/٦) رقم (٣٣٩٠) ، وابن عدي في الكامل (١٨٨/٤) ترجمة رقم (١٩٤٨) .

يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَجْرِ خَمْسِينَ عَامِلًا مِنْهُم قَالَ : لا [١] بَلْ مِنْكُم » [٢] .

فأخبر أن في آخر [٣] هذه الأمة من يفوق أولها بالثواب والأجر ، فإذا جاز أن يكون في آخر هذه الأمة أكثر أجرًا من بعض أوائلها جاز أن يكون أواخرها توازي أوائلها [في [٤] الخير] [٥] .

حدثنا خلف بن محمد ح محمد بن الفضل المفسر ح حامد بن إسماعيل ح عيسى . وحدثنا خلف [٦] ح الحسين بن الوضاح والحسن بن الضحاك قالا : ح عجيف بن آدم ح محمد بن سلام ح عيسى عن نوح بن أبي مريم عن أبي المهلب مطرح بن يزيد عن عبيد اللَّه بن زحر [٧] الكنانيّ عن علي بن يزيد عن أبي [٨] القاسم عن أبي أمامة ﷺ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : [٦٦٧] « **إِنَّ لِكُلِّ شَيءٍ** [١٧٨/ب] **إِقْبَالًا وإِدْبَارًا وإِنَّ لهذَا الدِّينِ إِقْبَالًا وإِدْبَارًا** » وساق حديثًا في [٩] آخر الزمان إلى أن قال : « **فَمَنْ تمسَّكَ بِالأَمرِ يَوْمَئِذٍ كُتِبَ لَه كَأَجْرِ خَمْسِينَ ممَّنْ رَآني وسَمِعَ مَوْعِظَتِي وآمَنَ بي وصَدَّقَنِي** » [١٠] .

وقال محمد بن علي الترمِذِيُّ رحمه الله : حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق البَصْرِيُّ ح سليمان بن طريف عن مكحول عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٦٦٨] « **خَيرُ أُمَّتِي أَوَّلُهَا وآخِرُهَا ، وفي وَسَطِهَا الكَدَرُ** » [١١] .

---

(١) سقط من (س) .

(٢) الحديث ذكره بلفظه الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول عن أبي ثعلبة الخشني (١١٩/١) ، وقد أخرجه بنحوه أبو عبد اللَّه المَرْوَزِيُّ في السنة عن عتبة بن غزوان (١٤/١) رقم (٣٢) ، والطبراني في الأوسط (٢٧٢/٣) رقم (٣١٢١) وفي الكبير (٢٨٢/٧) رقم (٢٨٩) ، وقد وثق الهيثمي رجاله في كليهما غير شيخيه بكر ابن سهل وعبد اللَّه بن يوسف قال : كلاهما قد وثق وفيهما خلاف . مجمع الزوائد (٢٨٢/٧) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : الأجر و .

(٥) سقط من (س) .

(٦) زاد في (س) بعدها : هذا .

(٧) في (خ) : زجر .

(٨) سقط من (س) و (خ) . وهو الموافق لما في إسناد الطبراني حيث أخرجه عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة .

(٩) زاد في (س) و (خ) بعدها : وصف .

(١٠) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن أبي أمامة (١٩٨/٨) رقم (٧٨٠٧) وفي (٢١٤/٨) رقم (٧٨٦٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه علي بن يزيد وهو متروك (٢٦٢/٧) وعلي بن يزيد من رجال إسناد المصنف .

(١١) الحديث ذكره الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول بلفظه عن أبي الدرداء (٩٢/٢) .

وحدثنا عبد اللَّه بن محمد ح محمد بن خالد بن حماد الأَزْدِيُّ ح عيسى بن يونس الرَّمْلِيُّ ح ضمرة بن ربيعة عن مرزوق بن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جمعة قال : [٦٦٩] **قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ أَحَدٌ خَيرًا** (١) **مِنَّا ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، قَوْمٌ يَجِيئُونَ بَعْدِي يَجِدُونَ كِتَابًا بَيْنَ لَوْحَيْنِ فَيُؤْمِنُونَ** (٢) **بِهِ ويُصَدِّقُونَ بِهِ ، فَهُم خَيرٌ مِنْكُم »** (٣) . فأخبر النبي ﷺ أن في آخر أمته من هو خير من بعض أصحابه . وأما حديثه الآخر الذي حدثنا أبو عمرو الحسين بن علي بن الحسن العطار ح إبراهيم بن عبد اللَّه بن عمر العَبْسِيُّ ح وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٦٧٠] **« لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فوالذي نَفْسِي بِيَدِه لَوْ أَنَّ أَحَدَكُم** (٤) **أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِم** (٥) **ولا نَصِيفَه »** (٦) .

فيجوز أن يكون هذا في فضيلة السبق كما قال اللَّه تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ ﴾ [الحديد : ١٠] فأخبر اللَّه تعالى أن الذين لهم السبق بالإنفاق والإيمان أعظم درجة من غيرهم ، والسبق سبقان [١٧٩/أ] : سبق في العمل وسبق في الدهر ، فمن كان في عصر النبي ﷺ لهم سبق الدهر على من بعدهم ، ولهم في ذلك فضل وليس ذلك باكتساب العباد وإنما هو

---

(١) في (خ) : خيرٌ . (٢) في (خ) : ويؤمنون .

(٣) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي جمعة (٣٩٨/٢) رقم (٢٧٤٤) ، وأحمد في مسنده (١٠٦/٤) رقم (١٧٠١٧) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٩٥/٤) رقم (٦٩٩٢) ، وابن سعد في الطبقات (٥٠٨/٧) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٣١٠/٢) رقم (٢٥٨٥) ، والشَّيْبَانيُّ في الآحاد والمثاني (١٥١/٤) رقم (٢١٣٤) ، وأبو يعلى في مسنده (١٢٨/٣) رقم (١٥٥٩) ، والطبراني في الكبير (٢٢/٤) رقم (٣٥٣٧) ، وابن قانع في معجم الصحابة (١٨٨/١) .

(٤) في (س) : أحدًا . (٥) في (س) : أحد .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلًا » (١٣٤٣/٣) رقم (٣٤٧٠) ، ومسلم في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة (١٩٦٧/٤) رقم (٢٥٤٠) ، وأبو داود في سننه بلفظ مقارب عن أبي سعيد في كتاب السنة باب في النهي عن سب أصحاب رسول اللَّه ﷺ (٢١٤/٤) رقم (٤٦٥٨) ، والترمذِيُّ في جامعه بلفظه في كتاب المناقب باب منه وقال : حديث حسن (٦٩٥/٥) رقم (٣٨٦١) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب المناقب باب مناقب أصحاب النبي ﷺ والنهي عن سبهم (٨٤/٥) رقم (٨٣٠٨) ، وابن ماجه في سننه بلفظه عن أبي هريرة في أول الكتاب باب فضل أهل بدر (٥٧/١) رقم (١٦١) .

فضل الله آتاه من شاء ، وسبق العمل هو باكتساب فالذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا كانوا أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا من وجهين ، فمن كان سبقه من قبل الزمان وهو أن يقدم زمان إنفاقه وقتاله فله فضيلة سبق الزمان الذي لا يلام من تأخر زمانه على تأخره ومن كان قتاله وإنفاقه متأخرًا عن الفتح من قبل فعله فإنه ملوم من نفسه ؛ لأنه كان له إمكان الإنفاق والقتال قبل الفتح فلم يفعل ، فأما تأخر آخر هذه الأمة فمن قبل الزمان ليس من قبل الفعل [(١)] فمن أنفق في حياة النبي ﷺ وقاتل معه فاز بفضيلة السبق الذي ليس هو من فعله ولا اكتسابه ، وأما الإنفاق والقتال اللذان هما من باب الاكتساب فيجوز فيه [(٢)] استواء آخر الأمة بأولها [غير المخصوصين [(٣)]] [(٤)] فيكون معنى قوله : « **لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه** » من جهة السبق الذي هو سبق الزمان ويكون تساويه بالخيرية من جهة الاكتساب ، فيكون معنى قوله ﷺ : « **مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره** » من جهة أفعالهم وأقوالهم وبذلهم وإنفاقهم وما هو ممَّا يكتسبونه ، فإن آخرهم يفعل ذلك كما فعل أولهم فتساووا فيه .

وقوله : « **خير الناس قرني** » وسائر ما جاء في ذلك فهو [١٧٩/ب] من فعل [(٥)] الله بأولئك ، فأولئك لهم فضيلة السبق ، فهم خير الناس من قبل سبق الزمان والمعدودون خير الناس من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ، [فيجوز أن يكون معنى قوله : « **لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه** » في المعدودين] [(٦)] ومن سواهم [(٧)] فأولهم وآخرهم سواء في الخير الذي هو أفعالهم واكتسابهم والله أعلم .

١٤٦
باب في عناية الله بأوليائه

حديث آخر : [٦٧١] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو يعقوب إسحاق بن الحسن أخ الهيثم بن خارجة ح الحسن بن يحيى الخُشْنِيُّ عن صدقة الدِّمَشْقِيِّ عن هشام [(٨)] الكِنَانِيِّ عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله ﷻ قال :

---

(١) من هامش الأصل .
(٢) سقط من (س) .
(٣) زاد في (س) بعدها : منهم .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) في هامش الأصل : فضل .
(٦) سقط من (خ) .
(٧) زاد في (س) بعدها : يجوز فيه تساوي أولهم وآخرهم تفضيلًا واكتسابًا ومن سواهم .
(٨) في (خ) : هاشم .

« مَنْ آذَى لي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَني بِالمحَارَبَةِ ، مَا تَرَدَّدْتُ في شَيءٍ أَنَا فَاعِلُه مَا تَرَدَّدْتُ في مُسَاءَةِ المؤْمِنِ يَكْرَه الموْتَ ولا بُدَّ له مِنْهُ ، مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِمِثْلِ أَدَاءِ [١] مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْه ، ولا يَزَالُ العَبْدُ [٢] يَتقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه ، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ لَه سَمْعًا وبَصَرًا ويَدًا ومُؤَيِّدًا ، يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبُ لَه ، ويَسْتَنْصِحُني فَأَنْصَحُ لَه ، وإِنَّ مِنْ عِبَادِي لمن يُرِيدُ البَابَ مِنَ العِبَادَةِ فَأَصْرِفُه عَنه كَرَاهَةَ أَنْ يَدْخُلَه عُجْبٌ فَيُفسِدُه ذَلِكَ ، وإِنَّ مِنْ عِبَادِي المؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَه [إِلا الغِنَى لَوْ أَفْقَرْتُه] [٣] لأَفْسَدَه ذَلِكَ [٤] ، وإِنَّ مِنْ عِبَادِي المؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَه إِلا الفَقْرُ ، ولَوْ أَغْنَيْتُه لأَفْسَدَهُ [١٨٠/أ] ذَلِكَ ، وإِنَّ مِنْ عِبَادِي المؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَه [إِلا الصِّحَةُ ولَوْ أَسْقَمْتُه لأَفْسَدَه ذَلِكَ ، وإِنَّ مِنْ عِبَادِي المؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَه] [٥] إِلا السُّقْمُ ولَوْ أَصْحَحْتُه لأَفْسَدَه ذَلِكَ ، إِنِّي أُدبِّرُ أَمْرَ عِبَادِي بِعِلْمِي بِقُلُوبِهِم ، إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ » [٦] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : أولياء الله تعالى خصائصه الذين اصطفاهم في أزله قبل أن يوجدهم وانتخبهم [قبل أن يخلقهم] [٧] واستخلصهم واصطنعهم لنفسه قبل أن يحدثهم ، جذبهم حين أوجدهم عن الأشياء إليه وصرف الأغيار عنهم ضنًّا بهم وغيرة عليهم ، زينهم بأوصافه وحلاهم بنعوته فهم علماء حلماء كرام صادقون رحماء حكماء عدول مؤمنون فهم بكثير من أوصافه موصوفون وبأسمائه ونعوته موسومون ، قلب بصفاته أحوالهم وأضاف إلى نفسه أفعالهم فقال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [الأنفال : ١٧] الآية ، قاتل بهم أعداءه وانتصر بهم ممن عاداه [٨] فهم أنصار الله

---

(١) سقط من (س) .
(٢) سقط من (خ) .
(٣) سقط من (س) .
(٤) السابق .
(٥) السابق .
(٦) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء بألفاظ مختلفة عن أنس (٩/١) رقم (١) ، وذكره الحكيم الترمِذِيُّ في نوادر الأصول (٢٣٢/٢) ، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وقال : غريب من حديث أنس لم يروه عنه بهذا السياق إلا هشام الكناني وعنه صدقة بن عبد الله أبو معاوية الدِّمَشْقِيُّ تفرد به الحسن بن يحيى الخشني (٣١٩/٨) ، والطبراني في الأوسط مختصرًا (١٩٢/١) رقم (٦٠٩) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه عمرو بن سعيد أبو حفص الدِّمَشْقِيُّ وهو ضعيف (٢٧٠/١٠) ، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية : هذا حديث لا يصح ... فيه الخشني ، قال يحيى بن معين : ليس بشيء ، قال الدارقطني : متروك وصدقه فمجروح ، العلل المتناهية (٤٥/١) رقم (٢٧) .
(٧) سقط من (خ) .
(٨) في (س) : دعاه .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الحشر : ٨] وقال تعالى : ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٥٢] فلما كانوا أنصار الله يقاتلون من ألحد في أسمائه ويناصبون ممن[١] أشرك به ويذبون عن دينه ويقاتلون مع رسله جعل أذاهم مبارزته وإهانتهم مناصبته فقال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المائدة : ٣٣] ، سماهم محاربين[٢] لما آذوا أولياءه في سلب أموالهم وسفك دمائهم وإخافة سبلهم ؛ وذلك أنهم لما كانوا خصائصه فمن آذاهم فقد بارز أي أظهر مخالفة [١٨٠/ب] الله تعالى ؛ لأنه فعل بهم خلاف ما فعل الله بهم وأرادهم بغير ما أرادهم الله به وأكرمهم الله تعالى فأهانهم المؤذي لهم ووالاهم الله تعالى فعاداهم المهين لهم فصاروا لله محاربين وله بالعداوة بارزين ولحكمه فيهم مخالفين .

وقوله : « **ما ترددت في شيء أنا فاعله** » أي ما رددت شيئًا بعد شيء فيما فعلته بخلقي كما رددت مختلف الأحوال على عبدي المؤمن في إزالة كراهة الموت عنه بلطائف يحدثها له ويظهرها عليه حتى يحب الموت ويسأم الحياة كما فعل بإبراهيم عليه السلام [٦٧٢] « حِينَ جَاءه مَلَكُ المَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحه فَبَكَى إِبْرَاهِيمُ فَذَهَبَ مَلَكُ المَوْتِ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فِي صُورَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ فَجَعَلَ يَأْكُلُ العِنَبَ عِنْدَه[٣] وَمَاءُ العِنَبِ يَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَجَعَل إِبْرَاهِيمُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ كَمْ أَتَى لَكَ ؟ فَذَكَر مِثْلَ سِنِّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَاشْتَهَى إِبْرَاهِيمُ المَوْتَ فَقَبَضَ رُوحَهُ » ذكر ذلك حماد عن أبي عمران الجُونِيِّ عن عبد الله بن رباح عن كعب[٤] .

فهذه لطيفة أحدثها الله تعالى لخليله في إزالة كراهة الموت عنه ، [وكما فعل بسحرة فرعون حين قال لهم : ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ [الأعراف : ١٢٤ ، الشعراء : ٤٩] فكشف لهم عمَّا أعده لهم فقالوا : ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ﴾ [الشعراء : ٥٠]][٥] وقد ذكرنا لها نظائر قبل .

وقوله : « **ولا بد له منه** » وذلك أن الله تعالى خلق المؤمن لنفسه وخلق سائر الأشياء له ، فقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] فأراد –

---

(١) في (س) و (خ) : من .
(٢) زاد في (س) بعدها : له .
(٣) سقط من (س) .
(٤) الحديث أخرجه أبو محمد الأصبهاني في العظمة بألفاظ مختلفة عن كعب (٩١٢/٣) رقم (٤٤٧) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٢٧/٦) .
(٥) سقط من (س) و (خ) .

جل وعز - [١٨١/أ] أن يحل المؤمن في جواره وينزله دار كرامته ويهب له من ملكه ويجعله باقيًا ببقائه ملكًا لا يفنى ملكه حيًا لا يموت أبدًا ولا (١) يزول [عنه ملكه] (٢) يحل عليه كرامته ويلذذه برؤيته ويكرمه بالنظر إليه وحكم ﷻ بهذه الكرامة [له] (٣) في دار الآخرة بعد الموت وهو ﷻ لا يبدل القول لديه ولا يجوز البداء عليه ؛ فلذلك لم يكن له بد من الموت ليصل إلى هذه الكرامة الجليلة والرتبة السنية والدرجة الرفيعة ثم مع ذلك كره الله تعالى مساءته في ذلك فأزالها عنه بلطائف يحدثها له وفيه ، سبحان اللطيف بعباده المؤمنين .

وقوله : « **ما تقرب إلي عبد بمثل أداء ما افترضت عليه** » ليس من قدر العبد أن يتقرب إلى الله تعالى وسمة العبودية عليه ظاهرة ، ونقص الحدث فيه بين ، وحقارة البنية له لازمة ، فبأي صفة يتقرب إلى من ليس كمثله شيء ؟ وكيف يتوسل (٤) إلى غني لا (٥) يحتاج وملك لا يطاق ؟ فليس له (٦) أن يتقرب إليه من حيث هو وإنما يقربه الله تعالى ويتقرب بلطفه إليه فأمره بأداء ما افترض عليه وجعلها علامة لمن (٧) في سابق علمه يتقرب إليه ، فمن أقام أوامره وأدى فرائضه فهو الذي قربه الله منه ، فصار أداء فرائضه تقربًا إليه وإقامة أوامره توسلًا إليه .

وأخرى أن العبد وإن توقى فلا يخلو من أن يتدنس بالخطايا ويتلطخ بالمعاصي ، والله قدوس طاهر ، وفي الحديث : [٦٧٣] « **إِنَّ القُدُّوسَ الأَعْلَى لا يَقْرَبُه إِلا قِدِّيسٌ طَاهِرٌ** » (٨) فأمر الله تعالى [١٨١/ب] عباده المؤمنين بأداء ما افترض عليهم ليتطهروا بها من أدناس الذنوب ويتنظفوا من أرجاس العيوب ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤] وقال : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فإذا أتوا بهذه الفرائض تطهروا (٩) وصلحوا لدار الطهارة وقربة القدوس .

وقوله : « **لا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه** » لما علم المؤمن الوجه الذي جعله الله سببًا لطهارته والعمل الذي هو علامة من قربه الله منه وهو أداء فرائضه أدى فرائضه باذلًا

(١) سقط من (س) و (خ) .
(٢) السابق .
(٣) سقط من (س) .
(٤) في (س) : يتوصل .
(٥) سقط من (س) .
(٦) زاد في (س) بعدها : إليه .
(٧) زاد في (س) بعدها : له .
(٨) لم أقف عليه .
(٩) زيادة من (س) .

فيها مجهوده ، وكانت الفرائض في أوقات معدودة تسارع بعد الفراغ منها إلى أمثالها من الأعمال وأشباهها من الأفعال طلبًا للازدياد من السبب المقرب إليه والسمة الدالة عليه ، فزاده اللَّه تعالى محبة إلى تقريبه منه كما ازداد العبد تعبدًا في حال الحرية من رق العبودية في أداء ما لزمه ، فإن مثل العبد في أداء الفرائض مثل المكاتب كاتبه مولاه على مال يؤديه إلى [١] نحو ما ، فإذا أدى ما عليه عتق فكذلك العبد المؤمن أوجب اللَّه عليه فروضًا محدودة وألزمه أمورًا معدودة [٢] مؤقتة ، فإذا أداها خرج من رقها ، فهو إلى أن يأتيه وقت آخر عتيق [٣] عمله [٤] وإلى أن يستقبله فرض ثاني [٥] حر ، فمن تعبد في حال الحرية شوقًا إلى مولاه استحق المحبة كما أن من تعبد في حال الرق استوجب القربة [٦] .

وقوله : « **فإذا أحببته كنت له سمعًا** [٧] **ويدًا ومؤيدًا** » قال : إذا أحب اللَّه [١٨٢/أ] عبدًا أحدث فيه حبًّا للَّه ، فيحب اللَّه تعالى كما أحبه [٨] قال اللَّه تعالى [٩] : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] فالمحبوب محب ، والمحب منخلع من جميع شهواته خارج من جميع صفاته ؛ لأن المحبة إذا استولت على المحب أفنته عنه وسلبته عن صفاته واختطفته من نعوته فأصمه وأعماه وعن جميع الأشياء به إليه أبلاه ، قال ﷺ : [٦٧٤] « **مِنْ حُبِّكَ الشَّيءَ مَا يُعْمِي ويُصِم** » حدثناه حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح ابن المبارك [عن أبي بكر] [١٠] بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثَّقَفِيِّ عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ [١١] .

---

(١) في (خ) : إليه .
(٢) في (س) : محدودة .
(٣) زاد في (س) بعدها : في .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) في (خ) : ثانٍ .
(٦) في (خ) : الرقية .
(٧) زاد في (س) و (خ) بعدها : وبصرًا .
(٨) زاد في (س) بعدها : اللَّه .
(٩) زاد في (س) بعدها : ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] وقال .
(١٠) سقط من (س) .
(١١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظ مقارب عن أبي الدرداء في كتاب الأدب باب في الهوى (٣٣٤/٤) رقم (٥١٣٠) ، وأحمد في مسنده (١٩٤/٥) رقم (٢١٧٤٠) ، والبخاري في التاريخ الكبير (١٠٧/٢) رقم (١٨٥٣) ، والطبراني في مسند الشاميين (٣٤٠/٢) رقم (١٤٥٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٥٧/١) رقم (٢١٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٨/١) رقم (٤١١) ، والحديث قد ضمنه الفتني كتابه تذكرة الموضوعات في كتاب العلم باب الحب والعشق ، وقد نقل ذلك أبو الطيب العظيم آبادي في عون المعبود ورد عليه من كلام ابن حجر قال : أما بلال فهو ثقة من كبار التابعين وأما خالد فوثقه أبو حاتم الرَّازِيُّ وأما أبو بكر فهو ضعيف عندهم من قبل حفظه . . . وقال الحافظ العلائي : =

فالحب يصم عن الأغيار ويعمي عما سوى المحبوب الأبصار . وقال في ذلك بعض الكبار :

أصمني الحب إلا عن تساوده فمن رأى حبَّ حبٍّ يورث الصمما

وكف طرفي إلا عن رعايته والحب يعمي وفيه القتل إن كتما (ن)

وقيل لقيس المجنون : أتحب ليلى ؟ فقال : لا . قيل : فلم ؟ قال : لأن المحبة ذريعة الوصلة وإذا وقعت الوصلة سقطت الذريعة ، فأنا ليلى وليلى أنا .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : وأنا أحكي لك عني عجبًا في رؤيا رأيتها ، رأيت فيما يرى النائم امرأة دقيقة ممشوقة عليها ملاحة ، ولها شعر ما رأيت على امرأة مثله طولًا وغلظًا وسوادًا فخيل إلي أنها ليلى وهي تنشد أشعارًا ، فكنت حفظت منها أبياتًا ثم أنسيتها ، فقلت لها وعزمت عليها : أخبريني عن قيس . فقالت : كان عنوان حبي وكنت معناه الذي قام به فلم تكن له [١٨٢/أ] حال توصف ولا كانت له صفة تعرف . في كلام كثير حفظت منه هذا ، فإذا كانت هذه أحوال المحب ، فمن أحبه الله صرفه عن الأشياء إليه ، وأقبل به عليه ، فأحب الله كما أحب [1] الله ، قال الله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] والمحدث لا يطيق تحمل أعباء المحبة ؛ لأنها تفنيه ، فإذا أفنته محبة الله ﷻ عن نفسه أنشأه الله تعالى لمحبته له خلقًا جديدًا ؛ فأفاده سمعًا بدل سمعه وبصرًا بدل بصره ويدًا بدل يده وأيدًا أقوى من أيده ، فلا يبصر إلا ربه ، ولا يسمع إلا منه ولا يبطش إلا له ولا يقوى إلا فيه ، ألا تراه يقول : « **يدعوني فأستجيب له ويستنصحني فأنصح له** » ؛ لأنه لا يعرف له مولى ولا وليًا إلا هو ولا يرى في الدارين له غيره ، فمن يدعو سواه ، ومن يجيبه إلا هو ؛ إذ ليس عنده مجيبًا له إلا ربه ولا مدعوًّا إلا محبوبه .

وقوله : « **فيستنصحني فأنصح له** » ؛ لأنه سقطت عنه اختياراته وماتت فيه شهواته وبطلت منه إرادته قد ذهل عن أوصافه وشغل في محبة محبوبه عن نعوته ، فهو لا يهتدي إلى مصالح نفسه ولا يتخير في أحكام مولاه فوض أمره إليه ، وألقى نفسه بين يديه ، وأقبل بكليته عليه كما قال ﷺ : [٦٧٥] « **اكْلأني كَلاءةَ الوَلِيدِ** » [2] فهذا استنصاحه

= هذا الحديث ضعيف لا ينتهي إلى درجة الحسن أصلًا ولا يقال فيه : موضوع ا.هـ. (٢٧/١٤) وقد سكت عنه أبو داود مما يفيد تحسينه عنده .

(١) في (خ) : أحبه .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الزهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يقول في دعائه : « اللهم واقية كواقية الوليد » (١/ ١٠) ، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٠٠) ترجمة رقم (١٢٧) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣٣٩) رقم (١٤٨٤) .

له فهو تعالى يصرفه في مشيئته ويجعله في قبضته ويحوطه بعصمته ويصرفه في محابه فهذا نصحه له .

وقوله : « **إن من عبادي [١٨٣/أ] لمن يريد الباب من العبادة فأصرفه عنه كراهة أن يدخله عجب فيفسده ذلك** » هذا من نصيحته له ؛ وذلك أنه لا يتصرف في شهوات نفسه ولا يشتغل بحظوظها ، وإنما شغله بمولاه وتصرفه فيما يرضاه ، فهو يريد الباب من العبادة تقربًا إلى الله عند غلبة الاشتياق عليه وهو حبيب الله ومحبوبه ، والله محبه والمحب يغار على محبوبه أن ينظر إلى غيره ويضن به أن يرده إلى سواه ، فالعبد لغلبة الاشتياق عليه يقصد الباب من العبادة باختياره وإرادته فيصرفه الله عما اختاره إلى ما اختار له ؛ لئلا يكون راجعًا إلى غيره ولا ناظرًا إلى نفسه [فمن غيرته عليه ومحبته مثوله بين يديه لا يدعه أن ينظر إلى نفسه] [١] أو يرجع إلى اختياره وإن كان ذلك في طلب مرضاته واجتهادًا في عبادته ؛ لأن العجب هو النظر إلى نفسه بعين الاستحسان ومن استحسن شيئًا شغل به وسكن إليه فهو تعالى يصرفه عما يسكن إليه ويشغله عنه ليكون شغله به وسكونه إليه .

وقوله : « **إن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى لو أفقرته لأفسده ذلك** » هذا أيضًا من نصيحته له ، وذلك أن الله تعالى إنما أحب المؤمن لإيمانه ؛ لأنه لما أحبه كتب في قلبه الإيمان وحببه إليه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو ﷻ يصرفه عما يخل بإيمانه ؛ لئلا يجرح في حبه إياه شيء وقد خلق الله عباده على طبائع مختلفة وأوصاف متفاوتة فمنهم القوي ومنهم الضعيف ومنهم الرقيق ومنهم الكثيف وفيهم [١٨٣/ب] الوضيع وفيهم الشريف ، فمن علم الله من قلبه ضعفًا لا يحتمل الفقر أغناه ؛ إذ لو أفقره [لأنساه فقره إياه] [٢] فالله ﷻ يغنيه فيقربه بذلك منه ويدنيه فيصونه بغناه من أن ينصرف بحاجته إلى سواه ، قال ﷺ : [٦٧٦] « **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ خَمْسًا ، غِنًى مُطْغِيًا ، وفَقْرًا مُنْسِيًا ، وهَرَمًا مُفْنِدًا** [٣] **، ومَرَضًا مُفْسِدًا ، ومَوْتًا مُجْهِزًا** [٤] » [٥] فإذا

---

(١) سقط من (س) . (٢) السابق .

(٣) هرمًا : الهرم الكبر ، النهاية مادة (هرم) ، (٢٦١/٥) .

(٤) موتًا مجهزًا : أي سريعًا يقال : أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله ، النهاية مادة (جهز) ، (٣٢١/١) .

(٥) الحديث أخرجه الترمِذِيُّ في جامعه عن أبي هريرة بلفظ « بادروا بالأعمال سبعًا » وزاد على ما ذكره المصنف : « أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » وذلك في كتاب الزهد باب ما جاء في المبادرة بالعمل وقال : حسن غريب (٥٥٢/٤) رقم (٢٣٠٦) ، والعقيلي في الضعفاء وقال : روي هذا =

كان الفقر لبعض الناس منسيًا صرف الحق ﷻ عمن علم ذلك منه الفقر ؛ لأنه لا يحب أن ينساه حبيبه كما يكره أن ينظر إلى غيره قريبه ، وكذلك من علم ألا يصلح إيمانه إلا الفقر أفقره ؛ لأنه تعالى يعلم أن الغنى يطغيه وأن الفقر لا ينسيه بل يشغل لسانه بذكره والثناء عليه ، وقلبه بالتوكل عليه والالتجاء إليه ، قال ﷺ : [٦٧٧] « **إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالى عَبْدًا صَبَّ عَلَيْه البَلاءَ صَبًّا وسَحَّه سَحًّا ، فَإِذَا دَعَاه قَالَت الملائِكَةُ : صَوْتٌ مَعْرُوفٌ ، وقَالَ جِبرِيلُ** ﷺ **: يَا رَبِّ عَبْدُكَ فُلانٌ اقْضِ لَه حَاجَتَه ، فَيَقُولُ تَعَالى : دَعُوا عَبْدِي وإِنِّي** (١) **أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَه ، فَإِذَا قَالَ : يَا رَبِّ . قَالَ اللَّهُ تَعَالى : لَبَّيْكَ عَبْدِي وسَعْدَيْكَ لا تَدْعُونِي بِشَيءٍ إِلا اسْتَجَبْتُ لَكَ ولا تَسْأَلُنِي شَيئًا إِلا أَعْطَيْتُكَ ، إِمَّا أَنْ أُعَجِّلَ لَكَ مَا سَأَلْتَ ، وإِمَّا أَنْ أَدَّخِرَ لَكَ عِنْدِي أَفْضَلَ مِنْه ، وإِمَّا أَنْ أَدْفَعَ عَنْكَ مِنَ البَلاءِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ** » (٢) .

والفقر أشد البلاء وأعظم المحن ، فإنما يفعل الله ذلك بعبده الذي أحبه ليدعوه فيسمع صوته داعيًا له ويسأله فيراه مفتقرًا إليه ، وكذلك السقم هو من البلايا والمحن فيسقم الله حبيبه [١٨٤/أ] ليدعوه في الدنيا فيجيبه ويسأله فيعطيه ويشغله به عما يشغله عنه ويصب عليه في الآخرة الأجر صبًّا كما سح عليه في الدنيا البلاء سحًّا ، قال ﷺ : [٦٧٨] « **تُنْصَبُ المَوَازِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِأَهْلِ الصَّلاةِ فَيُوَفَّوْنَ أُجُورَهُم بِالمَوَازِينِ ، ويُؤْتَى بِأَهْلِ البَلاءِ فَلا** (٣) **يُنْصَبُ لهم مِيزَانٌ ولا يُنْشَرُ لهم دِيوَانٌ ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِم الأَجْرُ صَبًّا بِغَيرِ حِسَابٍ حَتَّى يَتَمَنَّى أَهْلُ** (٤) **العَافِيَةِ أَنَّه كَانَتْ تُقْرَضُ بِالمَقَارِيضِ أَجْسَادُهُم مما بِهِ أَهْلُ البَلايَا** (٥) **مِنَ الفَضْلِ** » حدثنا عبد الله بن محمد الفقيه ح عبد الرحيم بن عبد الله ح إسماعيل بن توبة ح عفيف بن سائل (٦) عن بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرَّقَاشِيِّ عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ (٧) .

= الحديث بغير هذا الإسناد من طريق أصلح من هذا (٢٣٠/٤) ترجمة رقم (١٨٢٢) ، وابن عدي في الكامل (٤٤٢/٦) رقم (١٩١٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٧/٧) رقم (١٠٥٧٢) .

(١) في (س) و (خ) : فإني .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٨/ب) .

(٣) في (س) : ولا .

(٤) زاد في (س) بعدها : الطاعة .

(٥) في (خ) : البلاء .

(٦) في هامش الأصل وفي (س) : سالم .

(٧) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (١٨٢/١٢) رقم (١٢٨٢٩) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وقال : غريب (٩١/٣) ، وقد أخرجه مختصرًا الترمذِيُّ في جامعه عن =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : فهو عَزَّ وَجَلَّ إنما يسقم عبده الذي يحبه لذلك وكذلك الصحة ، من علم الله تعالى منه ضعفًا لا يحتمل السقم صححه ؛ ليكون له عائدًا وبين يديه راكعًا وساجدًا وبفضل قوته فيه جاهدًا فيكون ماثلًا بين يديه ومقبلًا بكليته عليه ؛ لأن الله تعالى أحبه فجعله نصب عينيه في جميع أحواله إن كان فقيرًا يسأله ، وإن كان غنيًّا أقرضه ، وإن أسقمه تضرع إليه وإن صححه مثل بين يديه يصلح إيمانه ليصلح له يدبره بعلمه ، إنه عليم خبير ، وعلى ما يشاء قدير فهو تعالى لحبه له يفعل به ما يصرف بوجهه إليه ويقبل عليه وليكون في كل حال بين يديه ماثلًا ، وعن جميع الأشياء له مائلًا ، وفي الأحوال كلها إليه ناظرًا وفي كل وقت له ذاكرًا ؛ وذلك أن الله له محب [١٨٤/ب] وعليه مقبل وله مؤثر ، وإليه ناظر وله ذاكر ، فيحب أن يكون حبيبه له كما هو لحبيبه ، والعبد لا يطيق ذلك ولا يهتدي إليه ، فهو تعالى يفعل به ما يريد منه أن يفعله تعالى الله البر الكريم اللطيف العليم الخبير .

١٤٧
باب في منع رد الخبر لعدم موافقته العقل

حديث آخر : [٦٧٩] حدثنا أحمد بن عبد الله الهَرَوِيُّ ح إبراهيم بن هاشم البَغَوِيُّ ح أمية بن بسطام ح يزيد بن زريع ح روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : « **هَلْ تَدْرُونَ مَن (١) المفلِسُ ؟** » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ المفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَه ولا مَتَاعَ . قَالَ : « **إنَّ المفْلِسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصِيام وصَلاةٍ وصَدَقَةٍ ويَأْتي قَدْ ظَلَمَ هَذَا (٢) وأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وضَرَبَ هَذَا ، وشَتَمَ هَذَا ، فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ (٣) ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُه قَبْلَ أَنْ يُقْضَى الذي عَلَيْهِ مِنَ الخَطَأ (٤) أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُم فَطُرِحْنَ (٥) عَلَيْهِ ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ** » (٦) .

= جابر في كتاب الزهد في باب منه وقال : غريب (٦٠٣/٤) رقم (٢٤٠٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن جابر (٣٧٥/٣) رقم (٦٣٤٥) ، والخطيب البَغْدَادِيُّ في تاريخ بغداد (٤٠٠/٤) رقم (٢٢٩٧) ، والطبراني في الصغير (١٥٦/١) رقم (٢٤١) ، وفي الكبير عن ابن مسعود (١٥٥/٩) رقم (٨٧٧٧) ، وأبو يعلى القَزْوِينِيُّ في الإرشاد عن جابر (٦٦٦/٢) .

(١) في (س) : ما .
(٢) سقط من (س) .
(٣) زاد في (خ) بعدها : وهذا من حسناته .
(٤) في (خ) : الخطايا .
(٥) في (س) : وطرحن ا.هـ. أما في (خ) : فطرحت .
(٦) سبق في اللوحة رقم (٥٩/ب) .

قال الشيخ رحمه الله : أنكر هذا الحديث طائفة من المتعقلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله إعجابًا برأيهم وتحكمًا على كتاب الله وسنة رسوله بعقول ضعيفة وأفهام سخيفة فقالوا : لا يجوز في حكمة الله وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتسبها وتؤخذ حسنات من عملها فتعطى لمن لم يعملها وهذا جور - زعموا - وأولوا قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: ١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١١٧] ، وأمثالها من الآيات على ما قالوه فقالوا : قد أخبر الله أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، فكيف يصح هذا الحديث وهو يخالف ظاهر [١٨٥/أ] الكتاب ويستحيل في العقل ؟!

قال أبو بكر [١] رضي الله عنه : وإن الله تعالى لم يبن أمور الدين على عقول العباد ولم يعد ولم يوعد [٢] ما يحتمله عقولهم ويدركونه بأفهامهم ويقيسونه بآرائهم بل واعد [٣] وأوعد بمشيئته وإرادته ، وأمر ونهى بحكمته وعلمه ولو كان كل ما لا يدركه العقول مردودًا لكان أكثر الشرائع مستحيلًا على موضوع عقول العباد ؛ وذلك [٤] أن الله عز وجل أوجب الغسل لخروج المني الذي هو طاهر عند بعض [٥] الصحابة وكثير من فقهاء الأمة ، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذي لا خلاف بين الأمة وسائر من يقول بالعقل من غيرها على نجاسته وقذارته ونتنه ، وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجبه بخروج الغائط الكثير الفاحش فبأي عقل يستقيم هذا ؟ وبأي رأي يجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه ويزيد على الريح نتنًا وقذارة ؟ وقد أوجب الله تعالى قطع يمين مؤمن بعشرة دراهم ، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك ، ثم تسوى [٦] بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار فيكون القطع فيهما سواء ؟ وأعطى الله تعالى للأم من تركة [٧] ولدها الثلث ، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن يرث الإخوة من ذلك شيئًا ، فبأي عقل يدرك هذا إلا تسليمًا وانقيادًا ؟

ولو تتبعنا كثيرًا من الأحكام كان سبيلها سبيل ما ذكرنا ثم الوعد والوعيد وعد الله

---

(١) في هامش الأصل : وهو الشيخ . ا.هـ. أما في (خ) : قال الشيخ رحمه الله .

(٢) زاد في (س) بعدها : وما وعد بمشيئته وإرادته .

(٣) في (س) : وعد .

(٤) في (خ) : وكذلك .

(٥) زاد في (س) بعدها : الناس وبعض .ا.هـ .

(٦) في (س) : سوى .

(٧) سقط من (خ) .

ما لا عين رأت ولا أذن [١٨٥/ب] سمعت ولا خطر على قلب بشر من الثواب الجزيل والنعيم المقيم على ما أحدث في العبد وخلقه فيه وأوجده منه عندنا وأعان عليه بالإجماع فضلًا منه وكرمًا وهو ذو فضل عظيم ، وأوعد على ما أوجده من العبد وخلقه فيه وأحدث استطاعته له عندنا ولم يعصم منه بإجماع بجرمٍ منقطع لا يضره ولا يؤثر[١] هناك[٢] عقابًا لا يحتمله[٣] العقول فكرة فيه وإدراكًا له من شدة ألمه وفظيع أمره .

وعند المعتزلة إحباط عمل سبعين سنة وأكثر وطاعة مائة سنة وأكثر بسرقة خمسة دراهم أو عشرة دراهم ، أو قذف محصن أو محصنة وذلك لم يضر المقذوف ولا قدح فيه ، والتأبيد في النار والعذاب الشديد على شرب جرعة من خمر مع الإيمان بالله والخوف منه والطاعة له في مدة سبعين سنة مع فرعون الذي بارز الله تعالى وادعى الربوبية لنفسه وقتل أنبياءه وأفسد[٤] في الأرض أربع مائة سنة ، فبأي عقل يستقيم هذا ؟! وأي حكمة من أوصاف العبد يوجب هذا ؟! وقد استسلم[٥] المتعقل لذلك كله إن كان معتقدًا للإيمان وانقاد له وجوز ذلك في حكمة الله ولم يحكم فيه عقله ، فكيف لا يجوز طرح السيئات على من لم يكتسبها وسلب الحسنات ممن عملها ودفعها إلى من لم يعملها ؟! وهذا أهون مما جوزه وأيسر مما[٦] استسلم له ، على أنا نرى جواز ذلك في عقل هذا المتعقل فنقول : إن الله ﷻ أوعد على كثير مما نهى عنه بأنواع من الوعيد في الآخرة وألوان من العقوبات في الدنيا كالرجم في الزنى بعد [١٨٦/أ] الإحصان وجلد مائة لمن لم يحصن ، والقطع للسارق وتعزير المختلس والمنتهب وغير ذلك من الأحكام والحدود التي أوجبها الله تعالى في الدنيا وما أوعد عليه في الآخرة وكقوله ﷻ في أكل مال اليتامى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ ﴾ [النساء : ١٠] وفي أكل الربا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ[٧] لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] وقال تعالى في مانعي الزكاة : ﴿ وَٱلَّذِينَ[٨] يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة : ٣٤] .

---

(١) في (س) و (خ) : يؤثره .
(٢) سقط من (س) و (خ) .
(٣) في (س) : ويحتمل .
(٤) من هامش الأصل .
(٥) في (خ) : يستسلم .
(٦) في (خ) : ممن .
(٧) في (س) : و .
(٨) سقط من (س) .

فكما أخبر اللّٰه تعالى بعقوبات هذه الجنايات كذلك أخبر النبي ﷺ بعقوبة الظالم للمسلمين بأخذ أموالهم وضرب أبشارهم وشتم أعراضهم أنهم يعاقبون بالعقوبات التي أوعد اللّٰه واعده (١) للخطايا التي اكتسبها المظلوم فيعاقب الظالم بتلك العقوبات فتكون ذلك (٢) العقوبات بما اكتسب من الظلم الذي نهى اللّٰه عنه فيكون ذلك عقابًا لفعل اكتسبه كان قد نهي عنه فلم ينته فيعاقبه اللّٰه بتلك العقوبات به ، وأحبط حسناته بمعنى أن لم يثب عليها ؛ لأن ثوابها استحقت عليه فيكون كمن اكتسب مالًا في الدنيا فجمع منه وكانت عليه ديون فأخذ ما جمع أرباب الديون فلم يبق في يديه من ذلك شيء ، كذلك ما اكتسب هذا الظالم من صلاة وصيام وصدقة فاستحق ثوابها على اللّٰه تعالى فكانت تحصل له لولا ما جنى من تلك المظالم فلما قوبلت حسناته بسيئات مظالمه [زادت سيئاته فاستوجب [١٨٦/ب] العقوبة على ما زاد من سيئاته ، واستحقت حسناته بتلك المظالم] (٣) ولولا حسناته من صيام وصلاة وصدقة لكان يعاقب على مظالمه بما أعد اللّٰه تعالى للظالمين على ظلمهم ، فتكون هذه الحال وهذا الفعل من اللّٰه به نوعًا من العقوبة التي أعدها اللّٰه للظالمين على ظلمهم ، ولا يكون ذلك كما زعم هذا الزاعم أنه يعاقب بما لم يكتسب من الذنب بل عوقب بذنب اكتسبه ومعصية عملها ، وكان ثواب حسنات الظالم جزاء للمظلوم فيما أعد اللّٰه له وثوابًا على صبره [عنده ما] (٤) ظلم كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] فيكون ذلك الثواب ثوابًا على ما اكتسبه من صبره وفضلًا زاده اللّٰه تعالى من عنده ؛ فهذا قد أثيب على ما قد (٥) عمله ، والظالم عوقب على فعله .

ومعنى أخذ الحسنات وطرح السيئات نوع من العقوبة التي أعدها اللّٰه للظالمين فقد وزر هذا الوازر وزره لا وزر غيره ، وقد قال اللّٰه تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] . وقال النبي ﷺ : [٦٨٠] « **لا تُقتَلُ نفسٌ إلا كانَ على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفلٌ مِنهَا** » حدثناه خلف ح إبراهيم (٦) ح محمد (٧) ح قبيصة ح سفيان عن

---

(١) في (س) و (خ) : واعدها .

(٢) في (س) و (خ) : تلك .

(٣) سقط من (س) .

(٤) في (س) و (خ) : عندما .

(٥) سقط من (س) و (خ) .

(٦) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن معقل .

(٧) زاد في (س) و (خ) بعدها : ابن إسماعيل .

الأعمش عن عبد اللَّه بن مرة عن مسروق عن عبد اللَّه عن النبي ﷺ [(١)] .

فإذا جاز أن يكون على من مات من آلاف سنين إثم من عمل بعده بأعمار [(٢)] كذلك يجوز أن يطرح سيئات [١٨٧/أ] من عملها على من لم يعملها ، فابن آدم إنما قتل نفسًا [(٣)] ويطرح عليه آثام كل من قتل نفسًا بغير حق إلى يوم القيامة ؛ وذلك جزاء فعله ، كأن اللَّه تعالى جعل عقوبة ابن آدم في النار إثمه وآثام القاتلين لا أن يكون يؤاخذ بذنب غيره ويعاقب على معصية لم يعملها كذلك الظالم جعل اللَّه عقوبته أن يعاقب بآثام من ظلمه ويكون ذلك عقوبة له على من [(٤)] ظلمه وعلى ما اكتسبه لا أن يكون مؤاخذًا بذنب غيره أو معاقبًا بما لم يجنه ، فحصل آخر الأمر أن يجازى المظلوم على ظلمه ثواب حسنات ظالمه وذلك جزاؤه الذي جازاه اللَّه به وعوض ما أخذ منه أو جني عليه وثواب صبره على ما أصابه فقد قال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] ، ويعاقب الظالم بذهاب حسناته وعقوبة ما جنى المظلوم ؛ وذلك جزاء ظلمه وعقوبة ما جنته يده ولسانه ، وليس في ذلك ظلم ولا جور ولا القول بالإحباط كما تقوله المعتزلة ، فإنهم يقولون بأن من أتى كبيرة ومات عليها حبطت حسناته التي اكتسبها مدة عمره ولم ينفعه إيمانه باللَّه في مدة سبعين سنة ولا طاعاته التي عملها بل هو في النار خالدًا مخلدًا مع فرعون وهامان وقارون .

وأما الذي قلناه فإن هذا الظالم لم تحبط أعماله بل أسقطت عنه حسناته عقوبات كثيرة ، ألا ترى أنه إن اقتص منه فوفى حسناته بجناياته أو نقصت جناياته [١٨٧/ب] وزادت حسناته دخل الجنة ، وإن زادت جناياته فإنما يعاقب في النار بقدر ما زاد من جناياته فتكون عقوبته أخف ومدة لبثه في النار أقل ، ولولا حسناته لطال لبثه في النار واشتدت عقوبته فيها واللَّه تعالى لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عبد اللَّه في كتاب الديات باب قول اللَّه تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ [المائدة : ٣٢] (٢٥١٨/٦) رقم (٦٤٧٣) ، ومسلم في صحيحه بلفظ مقارب في كتاب القسامة والمحاربين باب بيان إثم من سن القتل (١٣٠٣/٣) رقم (١٦٧٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب العلم باب ما جاء أن الدال على الخير كفاعله وقال : حسن صحيح (٤٢/٥) رقم (٢٦٧٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المحاربة (٢٨٤/٢) رقم (٣٤٤٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الديات باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا (٨٧٣/٢) رقم (٢٦١٦) ، وأحمد في مسنده (٣٨٣/١) رقم (٣٦٣٠) .

(٢) سقط من (س) .

(٣) زاد في (س) بعدها : واحدة .

(٤) سقط من (خ) .

لدنه أجرًا عظيمًا [١] .

١٤٨

باب في استعاذة النبي ﷺ

حديث آخر : [٦٨١] حدثنا [محمد بن] [٢] عمر المعدل ح [أبو إسحاق] [٣] إبراهيم ابن معقل ح قتيبة بن سعيد ح يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن أنس ﷺ قال : **كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والحزنِ ، [والكَسَلِ والعَجْزِ ،] [٤] والبُخْلِ والجبنِ ، وضَلَعِ [٥] الدَّيْنِ ، وغَلَبَةِ الرِّجَالِ »** [٦] .

قال الشيخ رحمه الله : الهم والحزن هما الكآبة والغم والكرب غير أن الهم في المستقبل والحزن في الماضي ، فالهم هو الغم للفكرة تكون للإنسان فيما يخافه أو يرجوه قال عليه السلام : [٦٨٢] **« مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّه الدُّنْيَا شَتَّتَ اللَّهُ تعالى عَلَيْه شَمْلَهُ »** [٧] فأخبر أن الهم في

---

(١) انتهت لوحات النسخة (س) هنا وقد زاد في (س) بعدها هذه العبارة : تم الكتاب الشريف والله يقول الحق ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والأمر كله لله ، واتفق الفراغ من كتابة شرح الأحاديث الشريفة لبيان أحكام الإمكان والوجوب في أول وقت الظهر في أواخر شهر صفر المظفر من شهور سنة إحدى عشر وألف على يد عبده الضعيف النحيف المحتاج إلى رحمة الله الفقير مرتضى بن يوسف بن محمد بن علي البَلَوِيِّ المدرس أحسن الله تعالى خاتمته حامدًا الله تعالى ومصليًا على نبيه محمد وآله أجمعين والله المستعان وعليه التكلان (م) . من كتب عبد الله الراجي عفو الله محمد بن محمد الكتبي عفا الله عنهما . ا.هـ .

(٢) من هامش الأصل . (٣) سقط من (خ) .

(٤) في (خ) : والعجز والكسل .

(٥) ضلع الدين : ثقله . النهاية مادة (ضلع) ، (٩٦/٣) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب الدعوات باب الاستعاذة من الجبن (٢٣٤٢/٥) رقم (٦٠٠٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من العجز والكسل (٢٠٧٩/٤) رقم (٢٧٠٦) ، وأبو داوود في سننه في كتاب الوتر باب في الاستعاذة (٩٠/٢) رقم (١٥٤١) ، والترمذي في جامعه في كتاب الدعوات في باب منه (٥٢٠/٥) رقم (٣٤٨٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من المغرم والمأثم (٤٤٩/٤) رقم (٧٨٩٠) ، وأحمد في مسنده (٢٢٠/٣) رقم (١٣٣٢٨) .

(٧) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن أبان بن عثمان (٨٦/١) رقم (٢٢٩) ، وأحمد في مسنده (١٨٣/٥) رقم (٢١٦٣٠) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٣٣/١) ، والطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت (١٤٣/٥) رقم (٤٨٩١) .

المستقبل ، وقال ﷻ : ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] وقال تعالى : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ [فصلت : ٣٠] قيل في التفسير : لا تخافوا ما بين أيديكم ولا تحزنوا على ما خلفتم [١] . فأخبر أن الحزن في الماضي .

قال الشيخ رحمه الله : فيجوز أن تكون استعاذته ﷺ من الهم هم الدنيا ومصالح النفس الذي جرى المقدور بما هو كائن ؛ فعلى العبد [١٨٨/أ] أن يتوكل على الله ويفوض أمره إلى الله ولا يهتم لغد فيما تكفل الله له به ولا تكون فكرته وهمه وقصده وشغل قلبه في مصالح نفسه وجمع دنياه وخوف الفقر فيكون فزعًا من تخويف الشيطان له قال الله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] الآية فكأنه استعاذ من استيلاء تخويف الشيطان على قلبه باستعاذته من الهم ومن تفرق شمله وأن يكون الفقر نصب [٢] عينيه فقد قال النبي عليه السلام : [٦٨٣] « **مَنْ كَانَت الآخِرَةُ هَمَّه جَعَلَ اللَّهُ غِنَاه في قَلْبِهِ وجَمَعَ لَه شَمْلَه وأَتَتْه الدُّنْيَا وهِيَ رَاغِمَةٌ ومَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمَّه جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَه بَيْنَ عَيْنَيْه وفَرَّقَ عَلَيْه شَمْلَه ولم يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلا مَا قُدِّرَ لَه** » [٣] .

في استعاذته من الحزن استعاذة مما نهى الله عنه في قوله : ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] فكأنه استعاذ من الشغل [من الدنيا] [٤] في الماضي والمستقبل وأشار إلى الاستهانة بها .

ويجوز أن يكون الهم والحزن في باب الدين وأمر الآخرة وهو أن يهمه فوت ما يطلبه من الآخرة وما يريده ويقصده من طاعة الله تعالى فيكون همه في امتناع أسباب الطاعة منه وأن يعسر إدراك طاعة الله عليه فقد قال النبي عليه السلام : « **إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تعالى عَبدًا استَعْمَلَه** » [٥] حدثنا محمد بن نعيم ح أبو حاتم الرَّازِيُّ ح الأنصارِيُّ حدثني حميد عن أنس بن مالك رضي الله عنه [٦] قال : [٦٨٤] مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيرًا استَعْمَلَهُ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا اسْتِعْمَالُه ؟ قَالَ : « **يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ** » [٧] [١٨٨/ب] .

---

(١) أخرج نحوه الطبري عن مجاهد ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١١٦/٢٤) .

(٢) في (خ) : بين .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٥٣/أ) .

(٤) في (خ) : بالدنيا .

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ .

(٦) زاد في (خ) بعدها : رفعه .

(٧) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظ مقارب عن أنس في كتاب القدر باب ما جاء أن الله كتب كتابًا وقال : حسن صحيح (٤٤٩/٤) رقم (٢١٤٢) ، وابن حبان في صحيحه (٥٣/٢) رقم (٣٤١) ، =

فكأنه ﷺ استعاذ من فوت استعمال اللّٰه له وفوت توفيق اللّٰه إياه ومعونته له وتيسيره للطاعة ويستعيذ من الحالة التي تحزن عليه ، كأنه استعاذ من أن تمر عليه أوقاته خالية عن ذكر اللّٰه تعالى وعن طاعته له ، فيجب عليه الحزن والغم فيما سلف والهم فيما يستقبل ، فكأنه ﷺ يسأل اللّٰه عمارة أوقاته بمحابه وطاعاته ويستعيذه من أضدادها (١) التي توجب الحزن عليها والهم بها (٢) .

والعجز سلب القوة وتخلف التوفيق عن العبد ؛ لأن صفة المحدث العجز ، وإنما يقوى بقوة يحدثها اللّٰه تعالى (٣) فيه ، واستطاعة يؤتيها إياه فكأنه ﷺ استعاذ من أن يرد إلى أوصافه ، فإن العبد إذا رد إلى صفته (٤) فقد خذل ، وإذا أوكل إلى نفسه ذل ، يستعيذ (٥) من أن يذل أو يضل .

والكسل فتور وتثاقل ، فهو قريب من العجز ، غير أن العجز لا يكون معه إمكان الفعل ، والكسل يكون مع (٦) الإمكان من الفعل ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ [التوبة : ٥٤] أي ثقال ، فدل أنه ثقل مع الإمكان ؛ لأنهم أتوها ولو كانوا عاجزين عنها لم يكن يمكنهم إتيانها ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٦] ولو أعجزهم عنها بالمنع منها لكانوا معذورين كما كان البكاؤون إذا جاؤوا رسول اللّٰه ﷺ يستحملونه فلم يجدوا عنده ما يحملهم فرجعوا باكين فعذرهم اللّٰه تعالى فقال : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى [١٨٩/أ] ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ [التوبة : ٩١] وقال : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا ﴾ [التوبة : ٩٢] الآية ، فقد عذرهم اللّٰه تعالى لما كانوا عاجزين لا يمكنهم الخروج معه ، فكأنه ﷺ استعاذ مما يفعل اللّٰه تعالى

= وأحمد في مسنده بلفظه (٢٣٠/٣) رقم (١٣٤٣٢) ، والحاكم في مستدركه بلفظ مقارب وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح ، وسكت عنه الذهبي (٤٩٠/١) رقم (١٢٥٧) ، و ابن المبارك في الزهد (٣٤٥/١) رقم (٩٧٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٧٥/١) رقم (٣٩٧) ، و البيهقي في كتاب الزهد الكبير (٣٠٧/٢) رقم (٨١٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٠٢/٦) رقم (٣٧٥٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن عمرو بن الحمق (٢٩٤/٢) رقم (١٣٩٠) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦١٠/٤) رقم (١٠٨٩) .

(١) في (خ) : آفاتها .

(٢) في (خ) : فيها .

(٣) زاد في (خ) بعدها : له و .

(٤) في (خ) : أوصافه .

(٥) زاد في (خ) قبلها : وكان .

(٦) في (خ) : معه .

بالمنافقين وهو التلبث [١] والتثبيط والثقل والكراهة لفعل الخير واكتساب الطاعة .

والبخل هو الضن بالمال عن الإنفاق فيما أمر اللَّه به وندب إليه وإمساكه عن البذل فيما حث اللَّه به عليه حبًّا له وضنًّا به وخوفًا من فوت الخلف عليه ، وقد قال ابن مسعود ﷺ : « بِئْسَ الشَّيْءُ الْبُخْلُ » حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ أخ [٢] جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ ح عاصم بن علي قال : ح المَسْعُودِيُّ عن جامع بن شداد عن أبي الشعثاء قال : [٦٨٥] « قَالَ رَجُلٌ لابنِ مَسْعُودٍ ﷺ : يا أبَا عَبْدِ الرَّحمنِ إِنِّي أخَافُ أنْ أكونَ قدْ هَلَكْتُ . قَالَ : ومَا ذَاكَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ اللَّهَ تعَالى يقُولُ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦] وَأنَا رَجُلٌ شَحِيحٌ لا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ يَدِي شَيْءٌ . قَالَ : لَيسَ ذَاكَ [٣] الشُّحَّ الذِي ذَكَرَه [٤] اللَّهُ في القُرْآنِ ، ولكنَّ الشُّحَّ أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا ، ولكِنَّ ذَلِكَ [٥] البُخْلُ ، وبِئْسَ الشَّيْءُ البُخْلَ » [٦] .

فاستعاذ ﷺ من البخل ؛ إذ كان بئس الشيء وهو سبب كيِّ الجباه والجنوب ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ ﴾ [التوبة : ٣٥] الآية ، وهو من سوء الظن باللَّه تعالى ، وسوء الظن باللَّه كفر ، وذلك أن اللَّه تعالى [١٨٩/ب] وعد على الإنفاق خلفًا في الدنيا وثوابًا في العقبى ، فقال في الخلف : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [سبأ : ٣٩] ، وقال في الثواب : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٦١] الآية ، وقال النبي ﷺ : [٦٨٦] « أَنْفِقْ يا بِلالُ ، وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالًا » حدثناه محمد بن عمر ح إبراهيم بن محمود بن حمزة ح محمد بن إسحاق الصَّغَانِيُّ [٧] ح

(١) سقط من (خ) .

(٢) في (خ) : حدثنا .

(٣) في (خ) : ذلك .

(٤) في (خ) : ذكر .

(٥) في (خ) : ذاك .

(٦) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بلفظه عن ابن مسعود (٤٣/٢٨) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٥٣٢/٢) رقم (٣٨١٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٦/٧) رقم (١٠٨٤١) ، والطبراني في الكبير (٢١٨/٩) رقم (٩٠٦٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني عن شيخه عبد اللَّه بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف (١٢٣/٧) .

(٧) الصَّغَانِيُّ : بفتح الصاد المهملة ، والغين المعجمة ، وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى بلاد مجتمعة وراء نهر جيحون ، يقال لها : (جغانيان) وتعرب فيقال لها : (الصَّغَانيان) وهي كورة عظيمة واسعة ، والنسبة =

موسى بن داود ح المبارك بن فضالة عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ [(١)] .

فمن أمسك عن الإنفاق خشية الفقر والإقلال فكأنه لم يصدق الله ورسوله في قولهما ، ولذلك قال ﷺ : « **وأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِن البُخْلِ** » حدثنا أبو إسحاق محمود بن إسحاق الخُزَاعِيُّ ح أبو عبد الرحمن عبد الله بن حماد بن أيوب الآملي ح إبراهيم بن عبد الله أخ إسماعيل بن إبراهيم بن علية ح الحجاج بن أبي عثمان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : [٦٨٧] « **مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ ؟** » ، قَالُوا : جَدُّ بنُ قَيْسٍ وإِنَّا لَنُبَخِّلُه . قَالَ : « **فَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِن البُخْلِ ، بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو ابنُ الجَمُوحِ** » [(٢)] .

وكان عمرو على أصنامهم في الجاهلية ، وكان يولم على رسول الله إذا تزوج ، فلما كان البخل يحرم العبد الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة ويسيء ظنه بالله ويدنيه من الكفر استعاذ منه رسول الله ﷺ ، وكذلك الجبن ؛ وذلك أن الجبن إمساك النفس والضن بها عن واجب الحق ، والبخل إمساك [١٩٠/أ] المال والضن بها [(٣)] عن واجب الحق ، فكل آفة تدخل في البخيل ؛ فتلك الآفة داخلة في الجبان ، والجبن يزيد البخل بمعنى ؛ لأن الجبان إذا تم جبنه وقوي فزع الفقر والحاجة ، وهاله الإنفاق مخافة الفقر ، كما يخاف الإقدام مخافة الهلاك والموت ، والجبن يحرم ما وعد الله في الدنيا من السلامة والغنيمة ، وما وعد الله في الآخرة مما وعد الشهداء ، والجبان يحرم خيرات النفس [وخيرات البدن وخيرات الدنيا] [(٤)] وخيرات الدين ، وأما خيرات النفس فهي

= إليها الصغاني والصاغاني والمشهور بهذه النسبة أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر الصاغاني ... كان أحد الأثبات المتقنين مع صلابة في الدين واشتهار بالسنة واتساع في الرواية ، الأنساب (٢٠٦/٣) .

(١) سبق في اللوحة رقم (٥٥/ب) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد بألفاظ متقاربة عن جابر (١١١/١) رقم (٢٩٦) ، والحاكم في مستدركه بنحوه عن أبي هريرة وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٤٢/٣) رقم (٤٩٦٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن جابر (٤٣١/٧) رقم (١٠٨٥٩) والطبراني في الأوسط (٣٧٣/٨) رقم (٨٩١٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني (٣١٥/٩) . وعبارة « وأي داء أدوى من البخل » أوردها البخاري في صحيحه في سياق مختلف عن جابر في كتاب المغازي باب قصة عمان والبحرين (١٥٩٣/٤) رقم (٤١٢٢) .

(٣) في (خ) : به .

(٤) سقط من (خ) .

العفة والجرأة والحكمة .

والعفة منع النفس عن شهواتها المردية لها فهو لجبنه لا يقوى على منازعة نفسه إياه في شهواتها فتغلبه نفسه فيتبع هواها ، والجرأة هي الإقدام على مخالفة النفس ، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ وَأَمَّا [١] مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠] الآية ، فالجبان [يحرم هذه] [٢] ، والجرأة أيضًا إقدام النفس على موافقة الأولياء فيما ساء ومخالفة الأعداء فيما سر ومن لم يوال أولياء اللَّه ولم يخالف أعداءه فليس للَّه بولي ، والجبان لا يفعل ذلك فتفوته الجرأة ، وأما الحكمة وهي الصواب في القول والفعل والحكمة لا تنال إلا بقمع النفس والهوى ، ولا يكون ذلك إلا بالعفة والجرأة ، والجبان لا عفة له ولا جرأة فتفوته الحكمة ، فهذه خيرات النفس مجملًا دون التفسير ، والتفسير يطول ، والجملة أن خيرات النفس مكارم الأخلاق كلها ، وقد قال ﷺ : [٦٨٨] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى يحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ ويُبْغِضُ** [١٩٠/ب] **سَفْسَافَهَا** [٣] » [٤] إذًا فالجبان بغيض اللَّه تعالى ، وأما خيرات البدن ، فالجمال والهيئة والشدة فالجمال في حسن الحال [وحسن الحال] [٥] في الكسب الطيب والإنفاق المحمود ولا يطاق ذلك إلا بخيرات النفس ، فالجبان لا يطيق ذلك ، فلا جمال له والهيئة حسن السيرة في حسن العشرة ، وحسن العشرة في احتمال المؤنة وبذل المعونة ، والجبان لا يقوم به ، فلا هيئة له ، والشدة موافقة الأولياء ومخالفة الأعداء [ومن الأعداء النفس والهوى ، قال

---

(١) في (خ) : فأما . (٢) في (خ) : لا يقاوم نفسه فيخالفها .

(٣) في هامش (خ) : السفساف الأمر الردي ، والسفاسف جمع ا.هـ. وجاء في النهاية : السفساف : الأمرُ الحقيرُ والرديءُ من كل شيءٍ وهو ضدُّ المعالي والمكارِم ، وأصله ما يطير من غُبار الدقيق إذا نُخِل والترابِ إذا أثير . النهاية مادة (سفسف) ، (٣٧٣/٢) .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة عن سهل بن سعد وقال : صحيح الإسنادين جميعًا ولم يخرجاه (١١٢/١) رقم (١٥٢) ، والبيهقي في سننه عن طلحة بن كريز الخزاعي وقال : هذا مرسل (١٩١/١٠) رقم (٢٠٥٦٩) ، ومعمر بن راشد في الجامع عن طلحة بن كريز الخزاعي (١٤٣/١١) رقم (٢٠١٥٠) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق بلفظه عن جابر بن عبد اللَّه (٢٠/١) رقم (١٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عبيد اللَّه بن كريز (٣٣٢/٥) رقم (٢٦٦١٧) ، وهناد بن السري في الزهد بألفاظ مختلفة عن عبيد اللَّه بن كريز (٤٢٣/٢) رقم (٨٢٨) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء عن سهل بن سعد (٢٥٥/٣) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ متقاربة عن أبي حازم (٢١٠/٣) رقم (٢٩٤٠) ، وفي الكبير بألفاظ مختلفة عن سهل بن سعد (١٨١/٦) رقم (٥٩٢٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه (١٨٨/٨) .

(٥) من هامش الأصل .

النبي ﷺ :] [1] [٦٨٩] « **وَأَعْدَى عَدُوٌّ المرْءِ نَفْسُه التي بَين جَنْبَيْه** » قاله النبي ﷺ [2] .

[ومن الأعداء النفس] [3] والهوى الذي يهوي به ، والجبان لا يقوم على هذا فلا شدة له ، وأما خيرات الدنيا فالتهني بالحياة إلى مدة الأجل وذلك في الأمن والصحة والرفق ، والجبان خائف فلا أمن له ، والخائف سقيم فلا صحة له ، والسقيم لا يرتفق بما خول فلا رفق له .

وأما خيرات الدين فالطاعة لله والتوكل على الله والرضا بما قضى الله ، والجبان لا يقاوم نفسه فهو يطيعها ، ومن أطاع النفس فليس بمطيع لله تعالى ، والمتوكل آمن والجبان خائف فليس هو بمتوكل على الله ، والراضي بما قضى الله له جلد شجاع لا يبالي بمر القضاء وحلوه والجبان ضعيف سخيف فليس هو براض بما قضى الله ، نعوذ بالله من الجبن ؛ لذلك قال ﷺ : [٦٩٠] « **مَا لَقِيتُمُوني بَخِيلًا ولا جَبانًا ولا كَذُوبًا** » [4] برأه الله عن كل وصف دنيء [١٩١/أ] وكل خلق رديء فذكر ﷺ هذه الخصال الثلاثة ؛ إذ كانت أقبح خصال الناس وأسمج أوصاف الخلق ، فكانت استعاذته من هذه الأوصاف إبانة عن قبحها وإخبارًا عن دناءتها وزجرًا عنها بألطف الوجوه وأمرًا باجتنابها وإيقافًا منه على التحرز منها بأمنع الحصون وأوثق الأحراز وهو الالتجاء إلى الله والأوي إليه والعصمة عنها به .

قال : وضلع الدين ثقل الدين ، وأصل الضلع الميل والاعوجاج يقال : ضلع فلان مع فلان أي ميله إليه قال ﷺ : [٦٩١] « **المرْأَةُ خُلِقَتْ مِنْ ضلعٍ فإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا ، وإِن تَرَكْتَهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا عَلَى عِوَجٍ** » [5] .

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في كتاب الزهد الكبير بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (١٥٦/٢) رقم (٣٤٣) ، قال العجلوني في كشف الخفاء : رواه البيهقي في الزهد بإسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس (١٦٠/١) رقم (٤١٢) ، وعزاه المتقي الهندي في كنز العمال للديلمي عن أبي مالك الأشعري حديث رقم (١١٢٦٤) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٠٦/أ) (س) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب النكاح باب المداراة مع النساء (١٩٨٧/٥) رقم (٤٨٨٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء (١٠٩١/٢) رقم (١٤٦٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عشرة النساء أبواب حقوق الزوج =

فالمثقل يتعوج في مشيته ويتلوى فيها فعبر عن الثقل بالضلع وهو الاعوجاج فاستعاذ ﷺ عن الدين الثقيل الذي لا يقوم به ولا يفي ما عنده بما عليه فيتلف عليه حقوق الناس ويذهب عنده أموالهم ، وكان ﷺ يتعوذ من الكفر والدين فقيل له : [٦٩٢] أَتَعْدِلُ الْكُفْرَ بِالدَّيْنِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » (١) وقد ذكرناه وإسناده فيما مضى .

فأخبر بعظم أمر الدين ، وكان ﷺ لا يصلي على من ترك دَيْنًا ولم يترك وفاء مدة من عمره ثم لما فتح اللّه عليه تكفل بالدين وصلى عليهم وقال ﷺ : [٦٩٣] « **مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا فَإِلَيَّ ، أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم** » (٢) .

وقال ﷺ : [٦٩٤] « **نَفْسُ الْمؤمِنِ (٣) مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْه دَيْنُه** » حدثناه عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح أبو ثابت ح إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عمر ابن أبي سلمة [١٩١/ب] عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ الحديث (٤) .

= (٣٦١/٥) رقم (٩١٤٠) ، وأحمد في مسنده (٤٩٧/٢) رقم (١٠٤٥٢) ، والطبراني في الأوسط (٩٣/١) رقم (٢٨٣) وغيرهم .

(١) سبق في اللوحة رقم (١٩/أ) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الكفالة باب الدين (٨٠٥/٢) رقم (٢١٧٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفرائض باب من ترك مالًا فلورثته (١٢٣٧/٣) رقم (١٦١٩) ، وأبو داود في سننه عن جابر بن عبد اللّه في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أرزاق الذرية (١٣٧/٣) رقم (٢٩٥٤) ، والترمذي في جامعه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الفرائض باب ما جاء من ترك مالًا فلورثته وقال : حسن صحيح (٤١٣/٤) رقم (٢٠٩٠) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن جابر في كتاب الصدقات باب من ترك دينًا (٨٠٧/٢) رقم (٢٤١٦) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٢٩٠/٢) رقم (٧٨٨٦) .

(٣) في (خ) : المؤمنين .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الجنائز باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال « نفس المؤمن ... » وقال : هذا حديث حسن (٣٨٩/٣) رقم (١٠٧٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصدقات باب التشديد في الدين (٨٠٦/٢) رقم (٢٤١٣) ، والدارمي في سننه بألفاظ مختلفة (٣٤٠/٢) رقم (٢٥٦١) ، وأحمد في مسنده (٤٧٥/٢) رقم (١٠١٥٩) ، والحاكم في مستدركه بألفاظ متقاربة وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٢/٢) رقم (٢٢١٩) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (٣٣١/٧) رقم (٣٠٦١) ، والشافعي في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٦١/١) ، والطيالسي في مسنده بألفاظ مختلفة (٣١٥/١) رقم (٢٣٩٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٤١٦/١٠) رقم (٦٠٢٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة (٦١/٤) رقم (٦٨٩١) ، والطبراني في الصغير بألفاظ مختلفة (٢٦٧/٢) رقم (١١٤٤) .

فاستعاذ (١) يجوز أن يكون معناه : سر المؤمن معلق مستوفز مضطرب بدينه حتى يقضي الله عنه أنه مشغول بدينه لا يطمئن ولا يكون فارغ السر لما ينبغي له وهو مديون (٢) والفراغ نعمة كبيرة غبن فيها كثير من الناس .

ويجوز أن يكون معناه أن روح المؤمن بعد وفاته معلقة عن مكانها الذي أعد لها حتى يقضي عنه أي أن الروح روح المؤمن لا يستقر قراره في عليين حتى يقضى عنه دينه ، فاستعاذ ﷺ من الدين لذلك .

ويجوز أن يكون قوله : « **وضلع الدين** » يريد به دينًا ادانه لغير وجهه في فضول لا يحتاج إليه فقد قال ﷺ : [٦٩٥] « **ثَلاثَةٌ يَقْضِي اللَّهُ عَنهُم** » (٣) فذكر الذي يخاف على نفسه العزوبة ولا يجد ما يتزوج به فيدان فيتزوج ، والذي يموت عنده مسلم فيدان لكفنه ، والذي يدان للجهاد ، فأخبر أن من ادان لوجهه وضرورة تلحقه فالله تعالى يقضي عنه ، إما في الدنيا وإما في الآخرة فدل أن الدين الذي يدان للفضول هو الذي يعدل الكفر إذا لم يترك وفاء ؛ لأن الكفر جحود حق الله ، وإتلاف أموال المسلمين جحود حق عباد الله ، فلذلك عادله فالذي يدان لوجهه ويريد أداءه ويعلم الله ذلك من قلبه فهو على الاستقامة والله يؤدي عنه إما في الدنيا وإما في الآخرة والذي لا يريد أداءه ويعلم الله ذلك من قلبه فليس ذلك على الاستقامة بل هو معوج مائل عن طريق الحق فيأخذ الله [١٩٢/أ] منه .

حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم البَكْرِيُّ ح أحمد (٤) بن إبراهيم بن حمزة ح عبد العزيز بن محمد عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [٦٩٦] « **مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَه اللَّهُ تَعَالَى** » (٥) .

---

(١) سقط من (خ) . والصواب أن تكون : فاستعاذته .

(٢) الصواب نحويًا : مدين .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو في كتاب الصدقات باب ثلاث من ادان منهن قضى الله عنه (٨١٤/٢) رقم (٢٤٣٥) ، وعبد بن حميد في مسنده (١٣٨/١) رقم (٣٤٩) .

(٤) في (خ) : محمد .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الاستقراض باب من أخذ أموال الناس (٨٤١/٢) رقم (٢٢٥٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصدقات باب من ادان دينًا لم ينو قضاءه (٨٠٦/٢) رقم (٢٤١١) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٣٦١/٢) رقم (٨٧١٨) .

فكأنه ﷺ أشار بقوله : « **ضلع الدين** » إلى قصد إتلاف أموال الناس فاستعاذ من الدين الذي هو إتلاف أموال الناس ، ففيه إشارة إلى تعظيم حق عباد الله وعظيم [١] الذنب في إتلاف حقوقهم فحذر ذلك بألطف التحذير والله أعلم .

« **وغلبة الرجال** » يجوز أن يكون في باب الدين كأنك تريد أمرًا من أمور الدين فيغلبك الناس فيصرفونك عن ذلك وفي حديث آخر : [٦٩٧] « **وَقَهْرِ الرِّجَالِ** » [٢] وهو أن يقهر فلا يستطيع إقامة الحق وإظهار الدين ومنار الإسلام .

ويجوز أن يريد بغلبة الرجال أن يكون هو الغالب لهم في غير حق خصومة وجدلًا واستضعافًا للمسلمين وتكبرًا فيهم وتعظمًا عليهم ، فإن من أوصاف المؤمنين التواضع للحق وتوقير الكبير ورحمة الضعيف والعطف على الجار وخفض الجانب والتذلل للمؤمنين قال الله ﷻ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية ، وقال النبي ﷺ : [٦٩٨] « **أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ تعالى الأَلَدُّ** [٣] **الخصيم** » [٤] حدثناه إسحاق بن إسماعيل بن عبيد ح سعيد بن مسعود ح الحجاج بن محمد ح ابن جريج أخ ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال ذلك [٥] .

فاستعاذ النبي ﷺ [١٩٢/ب] من هذه الصفة التي توجب البغض من الله تعالى ، ففي الحديث [دليل أن] [٦] استعاذة النبي ﷺ من هذه الأشياء إبانة عن قبح هذه الأوصاف وزجر عنها ونهى عن الاتصاف بها وأمر بالتحرز عنها بالاستعاذة بالله تعالى

---

(١) في (خ) : وتعظيم .

(٢) هذه الرواية أخرجها أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري في كتاب الوتر باب في الاستعاذة (٩٣/٢) رقم (١٥٥٥) ، و النسائي في سننه الكبرى عن أنس في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من البخل (٤٤٨/٤) رقم (٧٨٨٤) .

(٣) الأَلَدُّ الخَصِم : أي الشديد الخُصومة واللَّدَدُ الخصومة الشديدة . النهاية مادة (لدد) ، (٢٤٤/٤)

(٤) في (خ) : الخصم .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن عائشة في كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ (٨٦٧/٢) رقم (٢٣٢٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب العلم باب في الألد الخصم (٢٠٥٤/٤) رقم (٢٦٦٨) ، و الترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة وقال : هذا حديث حسن (٢١٤/٥) رقم (٢٩٧٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب القضاء باب الألد الخصم (٤٨٢/٣) رقم (٥٩٨٦) ، وأحمد في مسنده (٢٠٥/٦) رقم (٢٥٧٤٥) ، والحميدي في مسنده (١٣٢/١) رقم (٢٧٣) ، وإسحاق بن راهويه (٦٥٣/٣) رقم (١٢٤٢) .

(٦) زيادة من (خ) .

منها [إلى الله] (١) وإشارة إلى الالتجاء إلى الله من الخذلان وأن يكل العبد إلى أوصافه فإن هذه الأشياء التي استعاذه منها كلها صفات الإنسان فإذا وكل العبد إلى نفسه كان بهذه الأوصاف ، قال الله تعالى : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] ، فهذا هو العجز ، وقال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة: ٣٨] فهذا هو الكسل ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩، ٢٠] ، فهذا هو الجبن : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ٢١] ، وهذا هو البخل وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ١٥] ، هذا هو جحود الحق والاعوجاج في الدين ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] وهذا هو الغلبة ، وقال في الهم والحزن : ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ [وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] وقال :] (٢) ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٣] ، فكل هذه الأوصاف أوصاف الإنسان ، فاستعاذ ﷺ بالله من أن يكله إلى نفسه وأوصافها ، وسأل الله العصمة من نفسه وأن يجعله بأوصافه ﷻ منقلبًا ؛ فيكون بدل العجز قوة ، وبدل البخل جودًا ، وبدل الاعوجاج عدلًا ، وبدل الكفران شكرًا ، وكل ذلك إنما يكون بالله لا بالعبد ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧] ، وقال ﷺ : [٦٩٩] « اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا » (٣) ، أي لن تطيقوا من حيث أنتم وبالله تكون [١٩٣/أ] استقامتكم والله أعلم .

١٤٩
باب في معنى قوله « لا تمنع يد لامس »

حديث آخر : [٧٠٠] حدثنا محمد بن حامد بن (٤) القَوَارِيرِيُّ ح حامد بن سهل ح يحيى بن أكثم القاضي ح الفضل بن موسى السِّينَانِيُّ (٥) أخ الحسن بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ

---

(١) سقط من (خ) . (٢) في الأصل : وقال : وما أصابكم .
(٣) سبق في اللوحة رقم (٣٩/ب) . (٤) زاد في (خ) بعدها : مج .
(٥) السِّينَانِيُّ : بكسر السين المهملة وسكون الياء المنقوطة باثنتين ، وفتح النون ، وفي آخرها نون أخرى . هذه النسبة إلى سينان ، وهي إحدى قرى مرو منها على فرسخ من قرية سنج ، الأنساب (٨٨/٣) .

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِيَ امْرَأَةً لا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « طَلِّقْهَا ، غَرِّبْهَا [١] ، طَلِّقْهَا » . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخْشَى [٢] أَنْ تَتْبَعَهَا نَفْسِي . قَالَ : « فَاسْتَمْتِعْ بِهَا [وَدَعْ تُهْمَتَهَا] [٣] » [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « لا تمنع يد لامس » يعني أنها متبرجة لا تستتر من الرجال متكشفة لهم تناولهم مصافحة ومسًّا ، وكانت هذه عادة نساء العرب قبل الإسلام ، ألا ترى أن نساء النبي عليه السلام كن لا يحتجبن من الرجال قبل أن يضرب عليهن الحجاب حتى رأى عيينة بن حصين عائشة رضي الله عنها فقال : [٧٠١] « مَنْ هَذِهِ الحمرَاء ؟ » [٥] [٦] وفيه قصة ، ثم أنزل الله تعالى آية الحجاب فاحتجبن .

فيجوز أن يكون هذا الرجل شكا إلى رسول الله عليه السلام بقوله : « لا ترد يد لامس » أنها متبرجة متكشفة فاتهمها لانكشافها فأمره عليه السلام بطلاقها ليزول عنه تهمة امرأة من المسلمين ، ولو كان ذلك من الرجل دعوى عليها بأنها لا تمتنع من الرجال في الملامسة التي هي النكاح [٧] لكان [٨] معرضًا لها بالقذف وكان رسول الله ينهاه عن ذلك .

---

(١) غرِّبها : أي أبْعِدْها ؛ يريدُ الطلاق ، لسان العرب مادة (غرب) ، (٦٣٩/١) .

(٢) في (خ) : لأخشى .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب النكاح باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء (٢٢٠/٢) رقم (٢٠٤٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب النكاح باب تزويج الزانية (٢٧٠/٣) رقم (٥٣٣٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٥٤/٧) رقم (١٣٦٤٨) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٨/٧) رقم (١٢٣٦٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩٠/٣) رقم (١٦٤٣٩) ، وابن عدي في الكامل عن جابر (٤٥٣/٦) ترجمة رقم (١٩٣٤) . قال ابن حجر : رواه الشافعي من طريق عبد الله بن عبيد بن عمير قال : « جاء رجل ... » فذكره مرسلًا ، وأسنده النسائي من رواية عبد الله المذكور عن ابن عباس فذكره بمعناه ، واختلف في إسناده وإرساله ، قال النسائي : المرسل أولى بالصواب ، وقال في الموصول : إنه ليس بثابت . لكن رواه هو أيضًا ، وأبو داود من رواية عكرمة عن ابن عباس نحوه ، وإسناده أصح ، وأطلق النووي عليه الصحة ، ولكن نقل ابن الجوزي عن أحمد بن حنبل أنه قال : لا يثبت عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء وليس له أصل . وتمسك بهذا ابن الجوزي فأورد الحديث في الموضوعات مع أنه أورده بإسناد صحيح وله طريق أخرى ، تلخيص الحبير (٢٢٥/٣) .

(٥) في (خ) : الحميراء .

(٦) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه البزار وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك ، مجمع الزوائد (٩٢/٧) .

(٧) زاد في (خ) بعدها : أي الوطء .

(٨) زاد في (خ) بعدها : قاذفًا لها أو .

ويجوز أن يكون أراد استرسالها وأنها لا تمتنع من الرجال إن روودت لذلك أو طلبها طالب لم يكن منها امتناع ، فأمره بطلاقها ؛ لأنها لو حملت لكان في نفس زوجها منها في الولد شيء ، فأمره بطلاقها لذلك [١٩٣/ب] ، فلما أخبره أنه يخشى تتبع نفسه إياها قال له : « **استمتع بها ودع تهمتها** » .

ويجوز أن يحمل ذلك على أنه أراد النكاح أعني نكاح زنًى - فأمره بطلاقها ؛ لأنها إذا كانت كذلك كانت زانية ، وقد قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ ﴾ [النور: ٣] معنى الآية - إن شاء اللّٰه تعالى - لا ينكحها نكاح زنًى إلا زان لأنه [١] مثلها ، وقد حرم اللّٰه الزنى على المؤمنين ، ونكاح الزانية إذا لم يكن سفاحًا جاز [٢] وكان بنكاح وإن كان جائزًا في الحكم فليس ذلك من صفات المؤمنين وأخلاقهم فكره رسول اللّٰه ﷺ له أن يمسك زانية من جهة الأدب ، فلما أخبر من نفسه أن تتبعها قال له : « **استمتع بها** » كأنه يقول : خذ حظك منها وكل أمرها إلى اللّٰه تعالى وليس عليك من وبال ما تأتي شيء إذا كنت لذلك كارهًا ولها عن ذلك ناهيًا وعليها بالحفظ لها رقيبًا ، فأمره بإمساكها شفقة عليه أن يقع في مثل ما يشكوها إذا تبعتها نفسه ولم يطق مقاومتها .

ويجوز : أن يكون قوله : « **استمتع بها** » أي استمتع بنفسك بالكف لها عن تتبعها لها وكفها عنها وترفق وإن كان ذلك عليك شديدًا وكانت نفسك لفراقها كارهة فأكرهها على ذلك برفق ، كأنه يقول : استبدل بها غيرها وفارقها ، فهذا رفقه بها أنه يكرهها على فراقها ويرفق بها بنكاح غيرها واللّٰه أعلم .

ألا ترى أنه أمره بطلاقها ثلاث مرات فقال : « **طلقها غربها طلقها** » فأمره بطلاقها والاستمتاع [١٩٤/أ] بنفسه رفقًا بها ، وصرفًا لها عنه .

وقد يجوز أن يحمل قوله : « لا ترد يد لامس » أي من مالي كأنه يشكو خرقها وقلة حفظها لمال زوجها فأمره بطلاقها ؛ إذ علم أنه يكره ذلك وأن إخباره رسول اللّٰه بذلك استئذان منه إياه بطلاقها فقال : « **طلقها** » على جهة الإذن له بطلاقها ؛ لأنه عليه السلام كان يكره الطلاق وقال عليه السلام : [٧٠٢] « **أَبْغَضُ الحلالِ إلى اللّٰهِ تَعَالَى الطَّلاقُ** » [٣] فأذن له بطلاقها ولم يكره له ذلك ؛ لأنه إنما كان يكره الطلاق إذا لم يكن من بأس وهذه عاصية للّٰه .

---

(١) سقط من (خ) . (٢) سقط من (خ) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٧١/ب) .

قال النبي ﷺ : [٧٠٣] « **المرأةُ رَاعِيَةٌ في مَالِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْهُ** » (١) فإذا تركت ذلك فهي عاصية لله ولا يكره طلاق عاصية ، فلما أخبره بأنه يخشى تتبع نفسه إياها أمره (٢) بإمساكها وتحمل ما يشكو منها وقال : « **استمتع بها** » خذ حظك منها وتحمل مؤنة خرقها ، والله أعلم ، وإذا رضي زوجها خرقها وإضاعته لماله لم تكن عاصية إذا كان الخرق والإضاعة في غير معصية ، والله أعلم .

١٥٠
باب في صفة الدجال

حديث آخر : [٧٠٤] حدثنا محمد بن حامد القَوَارِيرِيُّ ح حامد بن سهل ح إبراهيم بن عبد الله ح (٣) محمد بن أبي شيبة ح معاوية بن عمرو ح زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إنَّ الدَّجَّال إِنسَانٌ (٤) أَعْوَرُ جَعْدٌ هجان (٥) أَقْمَرُ ، كَأَنَّ رَأْسَه غُصْنَةُ شَجَرَةٍ أَشْبَه النَّاسِ بِهِ عَبْدُ العُزَّى بنُ قَطن ممن هَلَكَ ، فَإِنَّه أَعْوَرُ واللهُ تعَالى لَيْسَ بِأَعْوَرَ** » (٦) .

قال الشيخ رحمه الله : قد وردت أخبار كثيرة بروايات مختلفة عن النبي ﷺ في الدجال وصفته وما يدعيه ، وأنذر النبي ﷺ (٧) وأخبر أنه ما من نبي إلا [١٩٤/ب] وقد أنذر قومه الدجال .

حدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل أخ عبد العزيز بن عبد الله ح إبراهيم عن صالح عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر ﷺ قال : [٧٠٥] قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بما هُوَ أَهْلُه ثمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ ، فَقَالَ : « **إنِّي لأُنْذِرُكُمُوه ومَا مِنْ نَبِيٍّ إلا وقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَه ، ولَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُم فِيهِ قَولاً لم**

---

(١) الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني بألفاظ متقاربة عن ابن عمر ، حلية الأولياء (٢٨١/٨) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) في (خ) : ابن .

(٤) من هامش الأصل ، وهي سقط من (خ) .

(٥) في هامش (خ) : الهجان البيض . ا.هـ. وفي النهاية : هِجَانٌ أَقْمرُ هو الشديد البياض والأنثى قَمْراءُ ، النهاية مادة (قمر) ، (١٠٧/٤) .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٢٤٠/١) رقم (٢١٤٨) وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩٠/٧) رقم (٣٧٤٧٠) ، والطبراني في الكبير (٢٧٣/١١) رقم (١١٧١٢) .

(٧) زاد في (خ) بعدها : الناس .

يَقُله نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ : إِنَّه أَعْوَرُ ، [وإِنَّ اللَّهَ] [(١)] لَيسَ بِأَعْوَرَ » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : فإنذار النبي ﷺ إياه لعظيم فتنته وفظيع بليته ، وليست بليته وفتنته إن شاء اللَّه وخوف النبي ﷺ على أمته منه من قبل شبهة تلحق المؤمنين الموقنين [(٣)] العارفين باللَّه وصفاته فإنهم عرفوا اللَّه معرفة لا تتخالجهم فيها الظنون ولا تعترضهم الشبه في أنه تعالى لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء وأنه ليس كمثله [شيء] [(٤)] وأن أوصاف الحدث عنه منفية سبحانه عن ذلك وتعالى وجل ، وإنما أنذر أمته أن يكون خروجه في شدة من الزمان وعسر من الحال وأن الناس تصيبهم شدة ، وأنه يستولي على أموالهم ومواشيهم فيجوز أن يتبعه أقوام بأبدانهم ويصدقوه بألسنتهم وإن عرفوا بقلوبهم كذبه وإن اللَّه ليس كمثله شيء ويكون تصديقهم إياه واتباعهم له [(٥)] على حسبان تأويل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] ويجوز ألا يكون في تصديقه تقية رخصته كما جاز في غيره فمن تبعه صرف اللَّه قلبه أو [(٦)] لم يقبل منه إيمان قلبه باللَّه ولم [١٩٥/أ] يعذره في تقيته ، فإنه لم يأت في شيء من الأخبار نعلمه رخصة في اتباعه تقية .

[ويجوز أن يكون شأن الدجال واتباعهم له في المناهي التي شدد اللَّه فيها ولم يجعل فيها رخصة وأن من اتبعه لم ينفعه إيمانه في اتباعه تقية] [(٧)] فأنذر النبي ﷺ قومه ، وخاف عليهم فتنته لذلك ، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ ﴾ [الصف : ٥] ، وقال في صفة المنافقين : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ الآية [التوبة : ٧٥] ، ثم قال : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾ [التوبة : ٧٧] أخبر أنهم لما فعلوا ما نهوا عنه صرف اللَّه قلوبهم عن

---

(١) في (خ) : واللَّه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن ابن عمر في كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٢٦٠٧/٦) رقم (٦٧٠٨) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته (٢٢٤٨/٤) رقم (٢٩٣٣) ، وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر (١٨٣/١٥) رقم (٦٧٨٠) ، وأبو يعلى في مسنده عن أنس (٤١١/٥) رقم (٣٠٩٢) ، وعبد اللَّه بن أحمد في السنة عن ابن عمر (٤٥١/٢) رقم (١٠١٢) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : تقية . ا.هـ. وفسرها في الهامش بقوله : أي خوفًا .

(٦) في (خ) : و .

(٧) زيادة من (خ) .

الإيمان ، فكذلك يجوز أن يكون من اتبع الدجال تقية رغبة فيما عنده ورهبة منه [متقيًا عنه مغلظًا فيه لا تكون في التقية فيه رخصة فمن ترخص فيه واتبعه] (١) صرف الله قلبه عن الإيمان به فيكفره .

[فيجوز أن يكون شأن الدجال واتباعهم من المناهي التي شدد الله فيها ولم يجعل فيها رخصة وأن من اتبعه لم ينفعه إيمانه] (٢) كما جعل طلوع الشمس من مغربها فتنة لا يقبل بعدها إيمان من لم يكن آمن من قبل ، وإن كان ذلك في حال القوة والصحة والإمكان من الفعل ، ومما يدل على ما قلنا أنه ﷺ لما استعظم الناس أمر الدجال حين ذكره النبي ﷺ قال : [٧٠٦] « **غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ لي عليكُم إِنْ يَخْرُجْ وأَنَا فِيكُم فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُم وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُم فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ واللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** » حدثناه نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح علي بن حجر أخ الوليد بن مسلم وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر [دخل حديث أحدهما في الحديث الآخر] (٣) [عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر] (٤) عن يحيى بن جابر الطَّائِيِّ عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه جبير بن نفير عن النواس بن سمعان الكلابي عن النبي ﷺ في حديث [١٩٥/ب] طويل (٥) .

وكيف يلحق المؤمنين الموقنين بالله شبهة في أمره وهم عرفوا الله معرفة نفوا عنه أوصاف الحدث والتشبيه بكل وجه ؟ والدجال إنسان ، صورته وبنيته تدل على كذبه ، وهو بشر مثلهم ضعيف خلق من ماء مهين نقل من نطفة إلى علقة ومن علقة إلى مضغة وسائر أحواله ثم كان طفلًا إلى أن بلغ حده الذي هو فيه فإنهم شاهدوا هذه الأوصاف في جميع البشر وبنية الدجال بنيتهم فحكمه حكمهم فهم لا يفتتنون به من جهة الشك

---

(١) سقط من (خ) . (٢) سقط من (خ) .
(٣) من هامش الأصل ، وهذه الزيادة عند الترمذي والحديث بإسناد المصنف إليه .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن النواس بن سمعان في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته (٢٢٥١/٤) رقم (٢٩٣٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب الفتن باب ما جاء في فتنة الدجال (٥١٠/٤) رقم (٢٢٤٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة الثالث باب ما يجير من الدجال (٢٣٥/٦) رقم (١٠٧٨٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب فتنة الدجال (١٣٥٦/٢) رقم (٤٠٧٥) ، وأحمد في مسنده (١٨١/٤) رقم (١٧٦٦٦) ، والطبراني في مسند الشاميين (٣٥٥/١) رقم (٦١٤) .

أو ظن أنه صادق فيما يدعيه ويقوله إذا ثبتوا على إيمانهم بالله ، ولم يترخصوا في اتباعه على تأويل التقية ، فإنهم إذا تركوا اتباعه ولم يترخصوا برخصة التقية فيه ووطنوا أنفسهم على الصبر في الشدة والجوع وما يفعله بهم من التعذيب وما سلط عليهم فيه ثبتهم الله وصغره في أعينهم ، ألا ترى إلى ما روي عن النبي ﷺ فيما ح نصر ح أبو عيسى ح عبد الله بن معاوية الجُمَحِيُّ [1] ح حماد بن سلمة عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن سراقة عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [٧٠٧] « **إنَّه لم يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إلا أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَه وإنِّي أَنْذَرْتُكُمُوه** » [2] .

فوصفه لنا رسول ﷺ فقال : لعله سيدركه بعض من رآني أو سمع كلامي فقالوا : يا رسول الله ، فكيف قلوبنا يومئذ ؟ قال : فمثلها ، يعني اليوم أو خير فهم إنما قالوا : كيف قلوبنا يومئذ ؟ لمعرفتهم بالله وزوال الشبه عنها ، وخوفهم أن الله تعالى [١٩٦/أ] يقلب قلوبهم عما هي عليه فيفتتنوا به ؛ لأنه ﷻ قال : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [الأنعام : ١١٠] قال ﷺ : [٧٠٨] « **يَا مُقَلِّبَ القُلُوبَ** » [3] [4] فكأنهم قالوا : إن كانت قلوبنا يومئذ كهي اليوم لم نفتتن به ولم تتخالجنا الظنون يومئذ ، كما لا يتخالجنا اليوم ، وأما وصف النبي ﷺ الدجال بما وصفه به من شبهه بعبد العزى وأنه أقمر جسيم وأنه أعور ، وهذه الأوصاف وغيرها زيادة في علامات الحدث ، وتأكيد في أوصاف آثار الصنعة فيه وإن كانت بنيته كافية في الدلالة على حدثه وأن له محدثًا قديمًا ليس كمثله شيء ، قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية [فصلت : ٥٣] ، قال : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٠، ٢١] فأخبر

---

(١) الجُمَحِيُّ : بضم الجيم وفتح الميم ، وفي آخرها الحاء المهملة ، هذه النسبة إلى بني جمح [ذكر في الحاشية أنهم بطن من قريش] . الأنساب (٤٣٠/١) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عمر في كتاب الأنبياء باب قول الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [العنكبوت : ١٤] (١٢١٤/٣) رقم (٣١٥٩) ، ومسلم في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته (٢٢٥٠/٤) رقم (٢٩٣٦) ، و أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي عبيدة بن الجراح في كتاب السنة باب في الدجال (٢٤١/٤) رقم (٤٧٥٦) ، والترمذي في جامعه في كتاب الفتن باب ما جاء في الدجال (٥٠٧/٤) رقم (٢٢٣٤) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (١٨١/١٥) رقم (٦٧٧٨) ، وأحمد في مسنده (١٩٥/١) رقم (١٦٩٣) ، والبزار في مسنده بألفاظ متقاربة (١٠٧/٤) رقم (١٢٨٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩٠/٧) رقم (٣٧٤٧٦) ، وأبو يعلى في مسنده (١٧٨/٢) رقم (٨٧٥) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : والأبصار .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٥٠/أ) .

أن في بنية الإنسان ما يدل على حدثه وأن له محدثًا لا يشبهه ، وذلك كما ظاهر الله تعالى بالحجج في كتابه على ربوبيته وقدمه ووحدانيته بقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [النمل : ٥٩، ٦٠] .

فإن هذه الدلالة وهذه الحجة كافية في معنى نفي الشركاء عنه وليس فيها شبهة ولا عليها اعتراض ولا عنها جواب ، فلم يكتف الله بها حتى أخبر بعدها بأخواتها من الدلالات فقال : ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ الآية [النمل : ٦١] ، ثم قال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ الآية [النمل : ٦٢] ، ثم قال : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [النمل : ٦٣] ، ثم قال [١٩٦/ب] : ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [النمل : ٦٤] ، وقال أيضًا في إظهار ربوبيته ودلائل ألوهيته : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ الآية [الروم : ٢٠] ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [الروم : ٢١] ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [الروم : ٢٢] ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الآية [الروم : ٢٣] ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الروم : ٢٤] ، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم : ٢٥] ، وقال في إظهار قدرته وعجز الخلق وتبكيت المشركين : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ الآية [الواقعة : ٥٨] ، ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ الآية [الواقعة : ٦٣] ، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴾ الآية [الواقعة : ٦٨] ، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾ [الواقعة : ٧١] ، وأمثالها في القرآن كثيرة ، وكما قال في تبكيتهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور : ٣٠] ، ثم قال : ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ ﴾ [الطور : ٣١] ، ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ﴾ [الطور : ٣٢] الآيات إلى آخرها .

كل هذا تأكيدًا للحجة عليهم وتبكيتًا لهم وإن كانت إحداها كافية في نفسها مقنعة في معناها مزيلة للشبهة فيها ، فكذلك النبي ﷺ ظاهر بين الآيات الدالة على حدث الدجال بقوله : « **أقمر** » يعني أبيض شديد البياض و « **الهجان** » الأبيض أيضًا وقوله : « **جعد** » وأنه أشبه الناس بعبد العزى ، كل هذه زيادات في الآثار والأعلام الدالة على الحدث وأنه على بنية الناس وأنه من جنسهم وإن كانت بنيته كافية في الدلالة على حدثه وأنه إنسان وليس بإله ، ولا يجوز أن يكون لله تعالى شبيه فيشتبه على العاقل وكذلك قوله : « **إنه أعور وإن الله ليس بأعور** » ، ولو لم يكن أعور وكان صحيح

العينين لم يكن يوجب شبهة وإنما أراد ﷺ أنه إنسان وليس [١٩٧/أ] بحيوان آخر ولا شيطان وليس له فضل قوة ولا زيادة حال يخاف منه أكثر مما يخاف من متسلط ظالم عاتٍ جبار من الناس وأنه إنسان بنيته بنيتهم يؤذيه ما يؤذيهم ويحتاج إلى ما يحتاج إليه الناس ، وأنه موؤوف بآفة العور لا يقدر على إزالتها عن نفسه إن سلط اللّٰه عليه بعوضة صرفته عن جميع ما يدعيه وإن حرك منه عرقًا ساكنًا أو سكن متحركًا زالت عنه قوته وأقلقه حاله .

فهذا من النبي ﷺ تشجيع لمن ابتلي بأيامه وأدركه سلطانه ؛ لئلا يكون خوفه منه أكبر من خوفه من أحد من الناس له عليه سلطان ، يدل على ذلك ما حدثنا به خلف بن محمد ح إبراهيم ح [1] محمد ح مسدد ح يحيى ح إسماعيل حدثني قيس قال لي المغيرة بن شعبة : [٧٠٩] مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ مَا سَأَلْتُه ، وَإِنَّه قَالَ لِي : « **مَا يَضُرُّكَ مِنْه ؟** » قُلْتُ : إِنَّهُم يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ ونَهر مَاءٍ . قَالَ : « **هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللّٰهِ تعَالى مِنْ ذَلِكَ** » [2] فأخبر النبي ﷺ بتصغيره وتصغير شأنه في نفسه وأنه لا يضر المؤمن الموقن في إيمانه العارف للّٰه تعالى بصفاته وإنما يهلك فيه الهالك .

ألا ترى إلى ما حدثنا محمد [3] بن سباع ح سليمان [4] بن الأحوص [5] ح عبد الرحمن بن إبراهيم ح الوليد ح الأَوْزَاعِيُّ عن إسحاق هو ابن عبد اللّٰه بن أبي طلحة الأنصَارِيُّ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [٧١٠] « **يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ** » [6] ، وفي حديث آخر [٧١١] « **يَتْبَعُه سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ** » [7] [8] يَعْنِي الطَّيَالِسَةَ ، وقال في حديث آخر :

(١) في (خ) : ابن .
(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن المغيرة بن شعبة في كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٢٦٠٦/٦) رقم (٦٧٠٥) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في نفس الكتاب والباب (٢٢٥٨/٤) رقم (٢٩٣٩) ، والطبراني في الكبير (٤٠١/٢٠) رقم (٩٥٤) .
(٣) في (خ) : أحمد . (٤) في (خ) : سليم .
(٥) زاد في (خ) بعدها : أبو عبد اللّٰه .
(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٢٦٦/٤) رقم (٢٩٤٤) ، وابن حبان في صحيحه (٢٠٩/١٥) رقم (٦٧٩٨) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٧٧/٦) .
(٧) السِّيجان : جمع ساجٍ وهو الطَّيْلَسَان الأخضَرُ ، النهاية مادة (سيج) ، (٤٣٢/٢) .
(٨) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بألفاظ متقاربة عن ابن عباس (٥٠٤/٤٧) .

« **يَتْبَعُه** [١٩٧/ب] **أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُم الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَة** » حدثناه نصر ح أبو عيسى ح بندار وأحمد بن منيع ح روح بن عبادة ح سعيد بن أبي عروبة عن أبي التياح عن المغيرة بن سبيع عن عمرو بن حريث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [٧١٢] « **الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بالمشْرِقِ يُقَالُ لهَا : خُرَاسَانُ ، يَتْبَعُه أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُم الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَة** (١) » (٢) يعني الترك ، فأخبر أن أتباعه الهالكون اليهود الذين هم مشبهة مشركة كافرة بالله ضالة مضلة ، والترك الذين لا دين لهم ولا كتاب فيهم ولا شريعة لهم مشركون كافرون .

وقوله : « **ممن هلك** » يعني اتبعه مخافة شره وعذابه مع جهله بالله وصفاته فاغتر به وشك في الله ربه لما يريه الدجال من تخييلاته التي ورد الخبر بها ، وهو في حديث النواس بن سمعان الذي ذكرنا إسناده قبل هذا قال : [٧١٣] « **فيأتي القومَ فيدعُوهُم فيكذِّبونَهُ ويردُّونَ عليهِ قولهُ ، فينصرفُ عنهُمْ ، فتتبعُهُ أموالهُم ، ويُصبحُونَ ليسَ بأيديهِم شيءٌ** » . قال : « **ثُمَّ يأتي القومَ فيدعُوهُمْ ؛ فيستجيبُونَ لهُ ويُصدِّقونَهُ . فيأمُرُ السَّماءَ أنْ تُمطرَ فتُمطرَ ، ويأمرُ الأرضَ أن تُنبتَ فتُنبتُ** (٣) **، فتروحُ عليهِمْ سارِحتُهُم** (٤) **كأطولِ ما كانتْ ذُرًى** (٥) **، وأَمَدِّهِ خواصِرَ** (٦) **، وأدرِّهِ ضُروعًا** (٧) **. ثُمَّ يأتي الخَرِبَةَ فيقولُ لها :**

---

(١) كأنَّ وجُوهَهم المجَانُّ المُطْرقة : أي التِّراس الَّتي أُلْبِسَت العَقَب شيئًا فوقَ شيء ، النهاية مادة (طرق) ، (١٢٢/٣) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي بكر الصديق في كتاب الفتن باب من أين يخرج الدجال ؟ وقال : حسن غريب (٥٠٩/٤) رقم (٢٢٣٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب فتنة الدجال (١٣٥٣/٢) رقم (٤٠٧٢) ، وأحمد في مسنده (٤/١) رقم (١٢) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٥٧٣/٤) رقم (٨٦٠٨) ، والبزار في مسنده (١١٣/١) رقم (٤٧) ، وعبد بن حميد في مسنده (٣٠/١) رقم (٤) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظ مقارب (٣٨/١) رقم (٣٣) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) فتروح عليهم سارحتهم : أي فترجع بعد زوال الشمس إليهم ماشيتهم التي تذهب بالغدوة إلى مراعيها ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٤١٦/٦) .

(٥) كأطول ما كانت : أي السارحة من الإبل . ذرى : بضم الذال المعجمة وحكي كسرها وفتح الراء منونًا جمع ذروة مثلثة وهي أعلى السنام وذروة كل شيء أعلاه وهو كناية عن كثرة السمن . السابق .

(٦) أمدُّها خَواصِرَ : أي أوْسَعها وأتَمُّها . النهاية مادة (مدد) ، (٣٠٩/٤) . وقال في تحفة الأحوذي : وأمده : أي وأمد ما كانت ، وهو اسم تفضيل من المد . خواصر : جمع خاصرة وهي ما تحت الجنب ، ومدها كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل ، تحفة الأحوذي (٤١٦/٦) .

(٧) وأدره : أفعل التفضيل من الدر وهو اللبن . ضروعًا : بضم أوله جمع ضرع ، وهو الثدي كناية عن كثرة =

أخرجي كُنوزكِ . فينصرفُ مِنها فتَتبَعُهُ كيعَاسِيبِ النَّحلِ [١] ، **ثُمَّ يَدعو رجلًا شابًّا فيضربُهُ بالسَّيفِ فيقطعُهُ جِزلَتَينِ ، ثُمَّ يدعوهُ فيُقبلُ و** [٢] **يتهلَّلُ وجهُهُ يَضحَكُ** » [٣] وساق الحديث ، قال أبو عيسى : هذا [١٩٨/أ] حديث حسن صحيح .

فقال النبي ﷺ : « **فمن هلك** » فاتبعه تصديقًا له وإيمانًا به لما يرى مما يظهر من فتنته وما مكن له منه اختبارًا وابتلاء فليعلم أنه أعور ممسوح العين اليمنى أو اليسرى كأنها عنبة طافية ، وهو لا يقدر على تغيير صورته وإحداث عين لنفسه ، كيف يطيق إحياء الأموات وإنبات النبات وسائر ما ذكرنا في الحديث ؟ وإنما ذلك كله على التخييل كما يفعله المشعبذون والسحرة ، وليس لشيء من ذلك حقيقة فكأنه قال ﷺ : لا يخافنه [مؤمن] [٤] من أنه يفعل به شيئًا لم يرد الله ذلك به ؛ لأنه لا قدرة له على شيء ، وإن من كذبه وتمسك بالدين وصبر على ما يصيبه في أيامه فلا [٥] ، فإنه لا يضره شيئًا ولا يطيق به أمرًا ولا يسلط عليه ، ومن رماه في ناره التي تخيل أنها نار جعل الله ذلك عليه ماء باردًا .

حدثنا خلف ح إبراهيم ح محمد ح عبدان أخ أبي عن شعبة عن عبد الملك عن ربعي عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال في الدجال : [٧١٤] « **إِنَّ مَعَه مَاءً ونَارًا فَنَارُه مَاءٌ بَارِدٌ ومَاؤُه نَارٌ** » [٦] .

وحدثنا خلف ح إبراهيم ح محمد ح أبو اليمان أخ شعيب عن الزُّهْرِيِّ أخ عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة أن أبا سعيد قال : [٧١٥] حَدَّثَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَن الدَّجَّالِ فَكَانَ فِيمَا يحدِّثُنَا بِهِ أَنَّه قَالَ : « **يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ**

= اللبن . السابق .

(١) يَعاسِيب النَّحْل : جمع يَعْسُوب أي تَظْهر له كنُوزُها وتجتمع عنده كما تَجْتَمع النحل على يَعاسِيبها . النهاية مادة (عسب) ، (٢٣٥/٣) . وفي لسان العرب : اليَعْسُوب : أَمير النَّحْلِ وذكَرُها ، ثم كَثُر ذلك حتى سَمَّوْا كل رَئِيسٍ يَعْسُوبًا ، لسان العرب مادة (عسب) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) هو من تتمة الحديث الذي سبق في اللوحة رقم (١٩٥/ب) .

(٤) زيادة من (خ) . (٥) سقط من (خ) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن حذيفة في كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٢٦٠٨/٦) رقم (٦٧١١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته (٢٢٤٩/٤) رقم (٢٩٣٤) ، وأحمد في مسنده (٣٩٩/٥) رقم (٢٣٤٣١) ، والبزار في مسنده (٢٤٥/٧) رقم (٢٨٢٣) .

المدِينَةِ ، يَأْتي بَعْضَ السِّبَاخَ التي تَلِي المدِينَةَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ [١٩٨/ب] خِيَارِ النَّاسِ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّال الذي حَدَّثَنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَه ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَرَأَيْتُم إِنْ [١] قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُه هَلْ تَشُكُّونَ في الأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ : لا ، فَيَقْتُله ثُمَّ يُحْيِيه ، فَيَقُولُ : واللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرةً مِنِّي اليَوْمَ ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَه فَلا يُسَلَّطُ عَلَيْه » [٢] .

فدل هذا الحديث على أنه لا يقدر على ما يريده ، وإنما يفعل اللَّه ﷻ عند حركة الدجال في نفسه ومحل قدرته ما شاء اللَّه أن يفعله اختبارًا للخلق وابتلاءً لهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ، ويضل اللَّه الظالمين ويفعل اللَّه ما يشاء فيرى من أراد اللَّه إضلاله أنه أمطرت السماء بأمره وأنبتت الأرض بأمره فيصدقه ، والمؤمن الموقن الذي أراد اللَّه هدايته يثبته على إيمانه فيكذبه ويستخف بفعله ويعلم أن السماء أمطرت وأن الأرض أنبتت بإذن اللَّه وأن الدجال أهون على اللَّه من أن يقدر [٣] على ذلك ، فإن سلط عليه حتى قتله أحياه اللَّه تعالى فيكذبه ويقول : ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم ، فيتشجع المؤمن ويهلك الكافر الضال الذي أراد اللَّه تعالى أن يضله فيصدقه بقوله أنه قتله وأحياه ثم يريد أن يقتله ولا يسلط عليه فإن كان ما يفعله على التخييل مثل السحر الذي قال اللَّه تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] ، وهي في الحقيقة ليست بساعية فجائز ، ويصدق ذلك قول النبي ﷺ: « **وهو أهون على اللَّه من ذلك** » أي أنه لا خبز معه ولا ماء [١٩٩/أ] وإنما يريهم ذلك سحرًا وشعبذة وإن كان ذلك على الحقيقة فغير بعيد أن يفعل اللَّه هذه الأفاعيل ذلك كلها ويحدث هذه الأحداث عند حركات يتحرك بها الدجال في نفسه ومحل قدرته كما فعل الخوار في العجل الذي صاغه السامري فتنة لمن أراد اللَّه فتنته وإيقانًا لمن أراد اللَّه هدايته كما قال كليمه ﷺ : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] الآية ، وقد أقدر اللَّه تعالى إبليس على أن يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وأن يأتي

---

(١) في (خ) : لو .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي سعيد في كتاب الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة (٢٦٠٨/٦) رقم (٦٧١٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفتن باب في صفة الدجال (٢٢٥٦/٤) رقم (٢٩٣٨) ، و ابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (٢١٢/١٥) رقم (٦٨٠١) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٧١/١) رقم (٣٩٠) .

(٣) في (خ) : يُقدِره .

الناس من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ويراهم من حيث لا يرونه ثم لا يضر ولا ينفع بل اللّٰه الضار النافع ، ولا يقدر على إضلال أحد وإغوائه إلا من أراد اللّٰه إضلاله وإغواءه وأنه لا سبيل له على من استخلصه اللّٰه لنفسه وانتجبه لعبادته كما قال ﷻ : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] الآية ، ويسلط على هذا المؤمن [١] فيقتله ثم يحييه اللّٰه فيظن الهالك أن الدجال أحياه ويعلم المؤمن الموقن أن اللّٰه هو المحيي والمميت ويؤكد ذلك من قول هذا الرجل الذي يحييه اللّٰه تعالى فيقول له : « واللّٰه ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم » فيزيد المؤمن قوله إيمانًا باللّٰه وتصديقًا له وتكذيبًا للدجال وتحقيرًا له ، لا يسمع ذلك من قوله المفتتن به كما أنه كتب اللّٰه بين عينيه « كافر » يقرؤه المؤمن ويعمى عنه الكافر .

حدثنا محمد بن الحسن بن علي الأَزْرَكْيَانِيُّ ح يوسف بن يعقوب ح عمرو [٢] بن مرزوق أخ شعبة عن قتادة عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : [٧١٦] « **مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَه** [١٩٩/ب] **الأَعْوَرَ الكَذَّابَ ، وإِنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُه كُلُّ مُؤْمِنٍ** » [٣] .

قال : ويجوز هذا في الدجال ولا يجوز في المتنبي ؛ لأنه لو ادعى كافر باللّٰه أنه نبي لم يفعل اللّٰه به ما يفعله بالدجال ؛ لأن المتنبي لو فعل اللّٰه عند فعله ما يخرج من العادة لأوجب ذلك شبهة ولم يتبين النبي من المتنبي ؛ لأنهما يتفقان في الصورة والتركيب ويشتبهان في المنظر ، وإنما يتبين الصادق منهما بما يحدث اللّٰه على يديه من المعجزات ، فلو أحدث مثلها على أيدي الكذابين لم يجز أن يوصف اللّٰه تعالى بالقدرة على إظهار الكاذب من الصادق وهذا لا يجوز ، فاللّٰه تعالى يعطي الأنبياء عليهم السلام معجزات يتبين بها صدقهم ولا يعطيها الكذابين فيتبين كذبهم ، وأما الدجال فإنه يدعي ما لا يوجب شبهة ؛ لأنه يدعي الربوبية وآثار الحدث فيه ظاهرة وأعلام الصنعة فيه بينة واللّٰه تعالى لا يشبه

---

(١) زاد في (خ) بعدها : الموقن . (٢) في (خ) : عمر .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الفتن باب ذكر الدجال (٢٦٠٨/٦) رقم (٦٧١٢) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته (٢٢٤٨/٤) رقم (٢٩٣٣) ، والترمذي في جامعه في كتاب الفتن باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال وقال : حسن صحيح (٥١٦/٤) رقم (٢٢٤٥) ، وأحمد في مسنده (١٠٣/٣) رقم (١٢٠٢٣) ، وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر (١٨٣/١٥) رقم (٦٧٨٠) ، وأبو يعلى في مسنده عن أنس (٢٧/٦) رقم (٣٢٦٥) .

شيئًا من الأشياء ، فلو أقدره الله على إحداث عالم فأحدثه لم يوجب ذلك شبهة للمؤمن ، والله ﷻ لا يقدره على إحداث بعوضة فما دونها وهو أهون على الله من ذلك ، فجاز فيه ما لا يجوز في المتنبي عند بعض الناس وليس ذلك ببعيد إن شاء الله تعالى ، وتسليط الله إياه على هذا الرجل الذي يقتله مرة ثم يحييه الله تعالى ابتلاء للخلق واختبارًا لهم كما جاء في مسترق السمع من الشياطين أن يسمع الكلمة فيلقيها إلى الكاهن فيخلط معها مائة كذبة فيقول الناس : ألم يقل يوم كذا كذا [٢٠٠/أ] فكان كما قال ؟ فيكون استراقه تلك الكلمة الواحدة للبلاء والاختبار ليهلك فيه الهالك ، فكذلك يجوز أن يسلط الدجال على واحد فيقتله فيحييه الله ثم لا يسلط بعد ذلك [عليه] (١) ولا على غيره أو أن يسلط على غيره فقتله لم يحيه الله إلا في الآخرة فيكون ذلك الواحد بلية وفتنة على الهالكين وبيانًا وزيادة يقين للمؤمنين ، ولولا الخبر الصحيح الذي ورد في فعله بهذا الرجل الذي يحييه الله وما جاء في حديث النواس بن سمعان من قول النبي ﷺ أنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت لم يجز حمل ما جاء عليه (٢) إلا على التخييل والسحر ، وإنما جوز من جوز ذلك من المتكلمين ؛ لأنه لم يورث شبهة كما بينا والله أعلم ، ويفعل الله بعباده ما يشاء من إضلال وإرشاد فقد قال الله تعالى : ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [النحل: ٩٣] وقال : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآية ، فقول النبي ﷺ : « **إنه أعور والله ليس بأعور** » تشجيع للمؤمنين كما قلنا ، كأنه قال : كيف يفعل بكم ما لا يريده الله وهو لا يقدر أن يفعل في نفسه ما يزيل تشويه خلقته وأنه مشوه الخلقة ممسوح العين ؟! أي أن موضع الحدقة منه ممسوح فله عين واحدة في أحد شقيه والشق الآخر موضع العين منه مثل جبهته ليس فيها أثر العين كما يكون المعور (٣) من الناس هذا في بعض تفسير من فسر قوله : « **ممسوح العين اليمنى** » وهذا غاية التشويه وقبح المنظر .

وفي الحديث الآخر : [٧١٧] « **كَأَنَّ عَيْنَه عِنَبَةٌ** [٢٠٠/ب] **طَافِيَةٌ** » (٤) كأنها خارجة

---

(١) زيادة من (خ) . (٢) في (خ) : عنه .

(٣) في هامش الأصل : للعَور .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن ابن عمر في كتاب الأنبياء باب واذكر في الكتاب مريم (١٢٦٩/٣) رقم (٣٢٥٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١٥٦/١) رقم (١٧١) ، والترمذي في جامعه وقال : صحيح غريب من حديث عبد الله بن عمر =

ناتئة وهذا أيضًا قبح وتشويه فمن لم يقدر على إزالة التشويه من نفسه وإحداث العين لها كيف يقدر على غيره فيحدث منه فعلًا ، والنبي ﷺ [قد علم الناس] [١] ما يحترزون به من شره في حديث النواس بن سمعان فقال : [٧١٨] « **فَمَنْ رَآه مِنْكُم فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ [٢] الْكَهْفِ** » [٣] .

وفي هذا الحديث : [٧١٩] **قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ومَا لُبْثُه في الأَرْضِ ؟ قَالَ : « أَرْبَعِينَ يومًا ، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ويَوْمٌ كَشَهْرٍ ويَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُم » . قَالَ : قُلنا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ اليوْمَ الذي كَسَنَةٍ يَكْفِينَا فِيهِ كَصَلاةِ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « لا ولَكِنْ اقْدُرُوا لَه » . قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا سُرْعَتُه في الأَرْضِ ؟ قَالَ : « كالغَيْثِ اسْتَدبَرَتْه الرِّيحُ »** [٤] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : انظر إلى لطف اللَّه بالمؤمنين إنه ييسر عليهم هذه المحنة التي تلحقهم ويكشف عليهم هذه البلية العظيمة في مدة سنة وشهرين [٥] وأيام فيصبر المؤمنون في هذه المدة اليسيرة ويكشف اللَّه تعالى بليته ، ولم يجعل اللَّه لهذا اللعين مقامًا بل يمر مر الريح ؛ لئلا يطيق فتنته من تخلف عنه ، وإنما يتبعه من أضله اللَّه تعالى في أول وهلة من غير روية ؛ لأنه لم يؤمن باللَّه تصديقًا له ومعرفة به والمؤمن يراه روية فيتصبر ساعة بل لمحة واللَّه يثبته كما قال : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ الآية [إبراهيم : ٢٧] ، فإذا صبر المؤمن هذه الساعة اللطيفة ولم يتبعه مر اللعين وبقي المؤمن على إيمانه ونجا من فتنته ولو كان له لبث فكان يقف على المؤمن ويراوده ويعذبه [٢٠١/أ] كان أشد عليه وكان المفتتن به يدلي عسى بحجة ويقوم عند نفسه بعذر فقطع اللَّه عذر من يتبعه وأبطل حجة من عسى يحتج بشدة الأمر عليه وفتنته له ولطف بالمؤمن ، وهون الأمر عليه بأن لم يجعل له لبثًا بل طرده في الأرض طردًا وساقه إلى مهلكه سوقًا فينزل اللَّه تعالى روحه الأمين عيسى ابن مريم - صلوات اللَّه عليه - بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، وهذا أيضًا في حديث النواس عن النبي ﷺ وهو حديث صحيح .

= في كتاب الفتن باب ما جاء في صفة الدجال (٥١٤/٤) رقم (٢٢٤١) ، وأحمد في مسنده (٣٧/٢) رقم (٤٩٤٨) ، وابن حبان في صحيحه (١٢٢/١٤) رقم (٦٢٣١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨٨/٧) رقم (٣٧٤٥٦) ، والطبراني في الكبير عن عروة بن الزبير (٢٦٨/٢٣) رقم (٥٦٩) .

(١) زيادة من (خ) . (٢) سقط من (خ) .

(٣) هذا الجزء من تتمة الحديث الذي سبق تخريجه في اللوحة رقم (١٩٥/ب) .

(٤) السابق . (٥) في (خ) : وشهر .

[وعن أبي أمامة الأنصاريِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال : [٧٢٠] خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا - فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِي شَأْنِ الدَّجَّالِ فَقَالَ فِيهِ : « مَنْ لَقِيَه مِنْكُم فَلْيَتْفُلْ فِي وَجْهِهِ ولْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ » (١) . وعن النبي ﷺ قال : [٧٢١] « مَنْ قَرَأَ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُوفِيَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ » (٢) والحمد لله رب العالمين ونعوذ بالله من فتنة هذا اللعين ومن جميع الفتن كلها في الدنيا والدين آمين رب العالمين] (٣) .

١٥١

باب في معنى قوله ﷺ : « ريح الولد من ريح الجنة »

حديث آخر : [٧٢٢] حدثنا أبو علي محمد بن محمد ح أبو جعفر أحمد بن هارون بن جنش البُخَارِيُّ حدثني إبراهيم بن محمد بن الحسين حدثني أبي ح عيسى بن موسى ح خارجة أبو الحجاج بن المصعب عن أبي عبد الرحمن عن عبد المجيد هو ابن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف عن محمد بن عباد القُرَشِيِّ عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « رِيحُ الْوَلَدِ مِنْ رِيحِ الجَنَّةِ » (٤) .

(١) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بلفظه عن أبي أمامة وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي (٥٨٠/٤) رقم (٨٦٢٠) ، وأحمد بن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني بألفاظ مختلفة (٤٤٧/٢) رقم (١٢٤٩) ، والطبراني في الكبير (١٤٦/٨) رقم (٧٦٤٤) ، وفي مسند الشاميين (٢٨/٢) رقم (٨٦١) .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن ثوبان في كتاب عمل اليوم والليلة باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال (٢٣٥/٦) رقم (١٠٧٨٤) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي الدرداء (٤٤٦/٦) رقم (٢٧٥٥٦) ، والحاكم في مستدركه بنحوه عن أبي سعيد الخدري وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧٥٢/١) رقم (٢٠٧٢) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي الدرداء (٦٦/٣) رقم (٧٨٦) ، والروياني في مسنده بألفاظ متقاربة عن ثوبان (٤٠٤/١) رقم (٦١٣) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٩٠/١) ترجمة رقم (١٤٥) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن ابن عباس (٤٧٩/٧) رقم (١١٠٦١) ، والطبراني في الأوسط (٨٢/٦) رقم (٥٨٦٠) ، وفي الصغير وقال : لم يروه عن عبيد الله إلا عبد المجيد تفرد به مندل (٨٣/٢) رقم (٨٢٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن عثمان بن سعيد وهو ضعيف . كما أخرجه ابن عدي في الكامل بلفظه عن عائشة (١٦٠/٦) ترجمة رقم (١٦٤٩) ، وابن حبان في المجروحين بلفظه عن ابن عباس (٢٥/٣) ترجمة رقم =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : يجوز أن يكون قال ذلك في ولده وهي فاطمة وابناها ﷺ [وذلك أنه روي عن [٢٠١/ب] النبي ﷺ] (١) حدثنا محمد (٢) بن عن (٣) الحسن عن صالح ابن منصور بن نصر ح عبد الله بن بشر المَدِينِيُّ ح أحمد بن محمد الهَاشِمِيُّ عن هشام (٤) ابن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : [٧٢٣] قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ إِذَا قَبَّلْتَ فَاطِمَةَ أَدْخَلْتَ لِسَانَكَ فِي فِيهَا كَأَنَّكَ تُلْعِقُهَا (٥) الْعَسَلَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **« يَا عَائِشَةُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ فَأَدْخَلَنِي جِبْرِيلُ الجَنَّةَ نَاوَلَنِي (٦) تفَّاحَةً فَأَخَذْتُهَا (٧) وَأَكَلْتُهَا فَصَارَتْ نُطْفَةً وَنُورًا فِي صُلْبِي فَنَزَلْتُ فَوَاقَعْتُ خَدِيجَةَ ، فَفَاطِمَةُ مِنْهَا ، وَكُلَّمَا اشْتَقْتُ إِلَى الجَنَّةِ قَبَّلْتُهَا ، يَا عَائِشَةُ فَهِيَ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ »** (٨) .

ومما يدل على صحة ذلك ما جاء عن النبي ﷺ أنه كان يمص لعاب الحسين ، حدثناه عبد الله بن محمد بن يعقوب ح علي بن محمد بن عبد الله (٩) ح يحيى بن محمد بن فياض ح يحيى بن يعلى عن سفيان عن أبي موسى عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [٧٢٤] **« رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمُصُّ لُعَابَ (١٠) الْحُسَيْنِ كَمَا يَمُصُّ الرَّجُلُ التَّمْرَةَ »** (١١) .

= (١٠٦٤) . والحديث إسناده ضعيف فيه أبو الحجاج خارجة بن مصعب الخراساني ، قال فيه البخاري : تركه وكيع ، وكان يدلس عن غياث بن إبراهيم ولا يعرف صحيح حديثه من غيره ، التاريخ الكبير (٢٠٥/٣) ترجمة رقم (٧٠٢) وقال ابن سعد : اتقى الناس حديثه فتركوه . الطبقات الكبرى (٤٧١/٧) . وقال ابن حجر : خارجة بن مصعب الخراساني ضعفه الجمهور ، وقال ابن معين : ضعيف مشهور بالتدليس وصفه به أحمد وأبو حاتم والدارقطني وغيرهم . طبقات المدلسين (ص ٥٤) .

(١) في (خ) : وهو ما .

(٢) في هامش (خ) : محمد بن علي الحسن .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في (خ) : هاشم .

(٥) في (خ) : تلعق .

(٦) في (خ) : فناولني .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٤١١/١) ، والذهبي في ترتيب الموضوعات (٣٧٨/١) ، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٣٩٣/١) ، وابن حجر في لسان الميزان (١٣٤/١) ترجمة رقم (٤١٨) . وصالح بن منصور بن نصر وعبد الله بن بشر المَدِينِيُّ وأحمد بن محمد الهَاشِمِيُّ لم أتعرف عليهم .

(٩) زاد في (خ) بعدها : بن السمسار البلخي .

(١٠) زاد في (خ) بعدها : الحسن و .

(١١) الحديث ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال بألفاظ متقاربة وقال : هذا حديث غريب جدًّا . (٣٦٥/١) ترجمة رقم (٨٢٠) .

فهذا يدل على صحة ما روي من قوله : « **كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها** » ؛ لأنه كان يجد من فيها وفي ولديها طعم ثمار الجنة فلذلك كان يجد من ولده ريح الجنة .

ومما يدل على ذلك أيضًا قوله : [٧٢٥] « **الْوَلَدُ الصَّالِحُ رَيْحَانَةٌ** [١] **مِنْ رَيَاحِينِ الجَنَّةِ** » [٢] ثم قال لعلي ﷺ : « **أَبَا الرَّيْحَانَتَيْنِ** » .

حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب البِيْكَنْدِي ح الكُدَيْمِيُّ ح حماد بن عيسى عن أبي الجحيفة [٣] ح جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ﷺ قال : [٧٢٦] سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاثٍ : « **سَلامٌ عَلَيْكَ أَبَا الرَّيْحانَتَيْنِ** [٢٠٢/أ] **أُوصِيكَ بِرَيْحَانَتَيَّ مِن الدُّنْيَا فَعَنْ قَلِيلٍ يَنهَدُّ رُكْنَاكَ واللَّهُ تَعَالَى خَلِيفَتِي عَلَيْكَ** » قَالَ : فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : هَذَا أَحَدُ رُكْنَيَّ الذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ ﷺ قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : هَذَا الرُّكْنُ الثَّانِي الذِي قَالَه لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [٤] .

فقوله : « **الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة** » يجوز أن يكون إشارة منه ﷺ إلى ولده ويكون معنى قوله : « **أوصيك بريحانتي من الدنيا** » أي في الدنيا فتكون مِنْ بمعنى فِي ، فيكونان ريحانتي الجنة له في الدنيا .

ويجوز : أن يكون معنى قوله : « **ريح الولد من ريح الجنة** » لكل مؤمن ويكون كل ولد صالح ريحانة من رياحين الجنة لكل عبد صالح ؛ وذلك أن اللَّه تعالى خلق حواء من ضلع آدم في الجنة وفي الحديث : [٧٢٧] « **أَنَّه غَشِيَ حَوَّاءَ في الجَنَّةِ وولدَ لَه قَيْنًا وتَوْأَمَتَه**

(١) الرَّيحانُ : يُطلقُ على الرَحمة والرِّزق والرَّاحة ، وبالرِّزق سُمِّي الولدُ رَيْحانًا ، النهاية مادة (ريح) ، (٢٨٨/٢) .

(٢) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة عن عائشة وقال : غير محفوظ (١٤٩/٤) ترجمة رقم (٩٧٧) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بنحوه (٢٠/٢) ، وأبو شجاع الهمذاني في الفردوس بمأثور الخطاب بألفاظ متقاربة عن علي (٤٣١/٤) رقم (٧٢٥٤) .

(٣) في هامش الأصل و (خ) : غريق الجحيفة ، مطرت السماء بجحفة وهي اسم موضع حتى غرق حماد ابن عيسى ، فسمي غريق الجحفة .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في فضائل الصحابة بألفاظ متقاربة عن جابر (٦٢٣/٢) رقم (١٠٦٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠١/٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٦/١٤) . والحديث إسناده ضعيف ، فيه حماد بن عيسى الجهني قال فيه أبو نعيم الأصبهاني : حماد بن عيسى الجهني يعرف بغريق الجحفة روى عن ابن جريج وجعفر بن محمد بالمناكير لا شيء حدثونا عن الكديمي عنه ، الضعفاء (٧٤/١) رقم (٥١) وقال فيه الذهبي : ضعفوه ، المغني في الضعفاء (١٩٠/١) .

في الجنَّةِ » ولذلك قالوا : « قَتَلَ قَينًا هَابِيلَ وذَلِكَ أنَّه أَمَرَ آدَمُ ابْنَه [١] أَنْ ينْكِحَ أُخْتَه تَوْأَمَه هَابِيلَ وأَمَرَ هَابيلَ أَنْ ينْكِحَ أُخْتَه تَوْأَمَه قَيْنًا فَسَلَّمَ لِذَلِكَ هَابِيلُ ورَضِيَ ، وأَبَى ذَلِكَ قَيْنًا وكَرِهَ تكرمًا عن أخْتِ هَابِيلَ ورَغِبَ بِأُخْتِهِ عَنْ هَابِيلَ وقَالَ : نحنُ وِلادَةُ الجنَّةِ وهُمَا مِنْ وِلادَةِ الأرْضِ وأَنَـا أَحَـقُّ بِأُخْتِي » . [قال ذلك محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم] [٢] ، حدثناه المحْمُودِيُّ ح نصر بن بكر ح عمار بن الحسين ح سلمة بن الفضل ح ني محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم [٣] .

فاللّٰه تعالى خلق آدم وحواء في الجنة فبنو آدم من نسل الجنة ، حدثنا الشريف أبو الحسن محمد بن علي [٤] الحسين [٢٠٢/ب] حدثني جعفر بن محمد بن نصير ح أحمد بن محمد بن مسروق أخبرني إبراهيم بن شقيق عن أبيه عن إبراهيم بن أدهم قال : (إنما نحن نسل من نسل الجنة سبانا إبليس لعنه اللّٰه بالخطيئة فهل للأسير من راحة إلى أن يرجع إلى الدار التي أسر منها) .

إذًا فالولد للمؤمن من الجنة ؛ لأن المؤمن من الجنة جاء وإليها يعود فولده له ريحانة من الجنة وريحه ريح الجنة ، وإنما كان ذلك في الولد وإن كان الوالد من نسل الجنة كالولد ؛ لأن الوالد استفاد الولد فهو أحدث عهدًا في الجنة ولم يتدنس بأوضار أهل الأرض ولم يتنجس بالخطايا وإن بلغ واكتسب خطايا فإنه أقل جناية من أبيه ؛ لأنه صالح فالصالح يكون قليل الجناية في عمره وعمره أقل من عمر أبيه فجنايته أقل وهذا لما جاء عن النبي ﷺ أنه كان يتجرد للمطر . حدثنا به حاتم بن عقيل ح يحيى ح الحِمَّانيُّ ح جعفر بن سليمان [عن ثابت عن أنس ﷺ قال : [٧٢٨] مُطِرْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ] [٥] فَحَسَرَ ثَوْبَه عَنْ ظَهْرِهِ فَقِيلَ لَه : لم صَنَعْتَ هَذَا يَا رَسُولَ اللّٰهِ ؟ قَالَ : « إِنَّه حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ » [٦] .

---

(١) في (خ) : قينا . (٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه الطبري في تاريخ الأمم والملوك بنحوه عن محمد بن إسحاق (٨٩/١) . والحديث إسناده ضعيف فيه سلمة بن الفضل الأبرش أبو عبد اللّٰه ضعفه النسائي . الضعفاء والمتروكين (٤٧/١) رقم (٢٤١) وابن الجوزي الضعفاء والمتروكين (١١/٢) رقم (١٤٨٧) والذهبي ، ونقل عن أبي حاتم قوله فيه : منكر الحديث . ميزان الاعتدال (٢٧٣/٣) رقم (٣٤١٢) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : ابن . (٥) زيادة من (خ) .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء (٦١٥/٢) رقم (٨٩٨) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب ما جاء في المطر (٣٢٦/٤) =

فأخبر ﷺ أن المطر الذي ينزل أحدث عهدًا بربه من الماء الذي في الأرض وإن كان الذي في الأرض مما نزل من السماء أقدم منه ، فكذلك أحدث عهدًا بالجنة التي هو نسلها من أبيه وإن كان أبوه من نسلها وهو أقدم منه ، قيل للحسن البَصْرِيِّ : « مَا بَالُ الصَّبِيِّ في صِغَرِه أَمْلَح ؟ قَالَ : لِقُرْبِه بِعَهْدِ رَبِّه وبُعْدِه مِنْ خُبْثِ فِعْلِه » .

فقوله : « ريح الولد من ريح الجنة » أي قد استفاد ريحًا من الجنة في الولد الذي هو من نسل الجنة وهو ريحانة منها فريحها ريح الجنة .

ويجوز : أن يكون ريح الولد من ريح الجنة ؛ لأن الولد من [1] [٢٠٣/ب] كسب الرجل قاله النبي ﷺ .

والكسب الطيب والعمل الصالح مقدمة المؤمن إلى الجنة والولد الصالح أطيب كسبه وأصلح عمله وصالح عمله وطيب كسبه زاده إلى الجنة وبه ينال درجاتها وثمارها ونعيمها فيكون ريح هذا الولد الذي مصيره إلى الجنة ريح الجنة التي يصير إليها ، [وقال ﷺ : [٧٢٩] « **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشُمَّ رَائِحَتِي فَلْيَشُمَّ الوَرْدَ الأَحْمَرَ** » [2] .] [3] .

١٥٢

باب في أنه ليس لأحد مساواة النبي ﷺ في درجته في الجنة

حديث آخر [4] : [٧٣٠] حدثنا المَحْمُودِيُّ محمد بن محمد ح محمد بن نصر ح محمد بن يحيى الذُّهْلِيُّ [5] ح أبو صالح الحكم بن موسى ح هقل قال : سمعت

= رقم (٥١٠٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الاستسقاء باب كراهية الاستمطار بالأنواء (٥٦٣/١) رقم (١٨٣٧) ، وأحمد في مسنده (١٣٣/٣) رقم (١٢٣٨٨) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣١٧/٤) رقم (٧٧٦٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٥٩/٣) رقم (٦٢٤٨) ، وابن حبان في صحيحه (٥٠٥/١٣) رقم (٦١٣٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٨٩/٥) رقم (٢٦١٧٩) .

(١) التكملة من اللوحة (٢٠٤/ب) .

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء وقال : رواه أبو الفرج النهرواني في كتابه الجليس الصالح عن أنس ورفعه (٣٠٢/١) رقم (٧٩٨) ، وقد عده السيوطي من الموضوعات ، اللآلئ المصنوعة (٢٧٦/٢) ، وكذلك الشوكاني ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (٥٦٣/١) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) هذا الحديث وشرحه سقط من (خ) .

(٥) الذُّهْلِيُّ : بضم الذال المعجمة ، وسكون الهاء ، وفي آخرها اللام ، هذه النسبة إلى قبيلة معروفة وهو ذهل ابن ثعلبة ، وإلى ذهل بن شيبان ، كان منها جماعة كثيرة من العلماء والكبراء ، الأنساب (٢٧٦/٢) .

الأَوْزَاعِيَّ يقول : حدثني يحيى بن أبي كثير ح ني أبو سلمة ح ني ربيعة بن كعب الأَسْلَمِيُّ [(١)] ﷺ قال : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَآتِيه بِوَضُوئِهِ وحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي : « **سَلْ** » . فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ . فَقَالَ : « **أَوَغَيْرَ ذَلِكَ ؟** » . قَالَ : قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ : « **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ** » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **أوغير ذلك ؟** » أنه عليه السلام علم من ربيعة أنه يريد بمرافقته في الجنة رفعة ودرجة فيها ، وعلو مرتبته منها ، فيكون رفيقه في الجنة ، فقال له : « **أوغير ذلك ؟** » من الحال والرفعة والدرجة فإن مرافقتي في الرفعة والدرجة في الجنة لا تنال فأساوى مع من دوني في الدرجة ، أي ليس لك ذلك فسل غيره ، فلما قال : « هو ذاك » أي أريد ذلك ، رغبه فيما يقربه إلى اللّه تعالى من كثرة السجود له فيدخل الجنة برحمة اللّه تعالى وبشفاعة النبي عليه السلام وتعلو درجته فيها بكثرة سجوده تقربًا إلى اللّه فيقربه اللّه بكثرة السجود ، فإن قال اللّه تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] وقال النبي عليه السلام : [٧٣١] « **أَقْرَبُ [٢٠٣/أ] مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا قَالَ فِي سُجُودِهِ : رَبِّ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** » [(٣)] فكأنه قال له : تقرب إلى اللّه بكثرة السجود فتعلو درجتك في الجنة فتكون رفيقي في الجنة وإن لم تكن رفيقي فيها في علو الدرجة ورفعة المنزلة .

يدل على ذلك ما جاء عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يدعو فيقول : [٧٣٢] « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لا يَرْتَدُّ ونَعِيمًا لا يَنْفَدُ ومُرَافَقَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عليه السلام فِي أَعْلَى جَنَّةِ**

---

(١) الأَسْلَمِيُّ : بفتح الألف ، وسكون السين المهملة ، وفتح اللام ، وكسر الميم ، هذه النسبة إلى أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو ، وهما أخوان خزاعة وأسلم ، ومنها أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي ، له صحبة ، الأنساب (١٠٥/١) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن ربيعة بن كعب الأسلمي في كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه (٣٥٣/١) رقم (٤٨٩) ، وأبو داود في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب التطوع باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل (٣٥/٢) رقم (١٣٢٠) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب التطبيق باب أقرب ما يكون العبد (٢٤٢/١) رقم (٧٢٤) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤٨٦/٢) رقم (٤٣٤٤) ، والطبراني في الكبير (٥٦/٥) رقم (٤٥٧٠) .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة موقوفًا عن علي (٢٩/٦) رقم (٢٩٢٣٢) ، وعن ابن عمر (٢٩/٦) رقم (٢٩٢٣٦) .

الخلْدِ »[١] معناه مرافقة النبي في جنة الخلد لا أن يكون رفيقه في درجته فيها ؛ إذ ليس لأحد مساواة النبي ﷺ في درجته وعلوه فيها .



١٥٣ باب في اليقين

حديث آخر : [٧٣٣] حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم حدثني محمد بن إسماعيل [بن جعفر] [٢] ح محمد بن الحسن بن أبي الحسن المَخْزُومِيُّ حدثني أبو عبد العزيز عبد الله بن عبد العزيز عن إسماعيل - رجل من آل أبي رافع - عن أبيه قال : وَاللَّهِ إِنَّا لَجُلُوسٌ نَنْتَظِرُ السُّبْحَةَ [٣] إِذْ طَلَعَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ فَصَلَّى إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المسْجِدِ ، فَقُلْتُ لأَصْحَابِي : هَلْ لَكُم أَنْ نَقُومَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ إِذَا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ فَنَسْأَلُه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَاه حِينَ فَرَغَ فَجَلَسْنَا يَمِينًا وشِمَالًا ، وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ ، فَقُلْنَا : أَخْبِرْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : عَنْ حِبِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّه قَالَ : « **لا يُصَلِّي أَحَدٌ المكْتُوبَةَ ويَصُومُ رَمَضَانَ ويُقِيمُ الصَّلاةَ ويُؤْتِي الزَّكَاةَ إلا وَجَبَتْ لَه الجَنَّةُ** » . فَقَالَ فَتًى مَعَنَا مِنْ جُهَيْنَةَ : أَيْ عَمِّي فكَيْفَ بِالْهَنَاتِ [٤] ؟ فَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتَ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ : فَتًى مِنْ جُهَيْنَةَ . فَقَالَ : مَا أَغْفَلَ عَمُّكَ كَمَا لَمْ تُغْفِلْ ، سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَمَّا سَأَلْتَ فَقَالَ : « **اليَقِينُ يُذْهِبُهُنَّ** » [٥] .

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن أبي عبيدة في كتاب اليوم والليلة باب أفضل الذكر وأفضل الدعاء (٢١٧/٦) رقم (١٠٧٠٥) ، وأحمد في مسنده (٤٠٠/١) رقم (٣٧٩٧) ، والحاكم في مستدركه عن علي وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٥٨/٣) رقم (٥٣٨٦) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه عن زر بن حبيش (٣٠٣/٥) رقم (١٩٧٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة عن أبي عبيدة (٦٨/٦) رقم (٢٩٥٣١) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظه عن عبد الله (٢٦/١) رقم (١٦) ، والطبراني في الكبير بألفاظ متقاربة عن أبي عبيدة (٦٨/٩) رقم (٨٤١٦) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) في هامش (خ) : أي النافلة أي صلاة الضحى . ا.هـ. وفي النهاية أن السبحة تأتي بمعنى النافلة وبمعنى الضحى . النهاية مادة (سبح) ، (٣٣١/٢) .

(٤) الهنات : يقال : في فلان هَنَات أي خِصَال شَرٍّ ولا يقال في الخير ، النهاية مادة (هنا) ، (٢٧٨/٥) .

(٥) لم أقف عليه والحديث ضعيف ، ففي إسناده محمد بن الحسن بن أبي الحسن المخزومي قال فيه ابن حبان : كان ممن يسرق الحديث ويروي عن الثقات ما لم يسمع منهم من غير تدليس عنهم ، المجروحين من المحدثين (٢٧٤/٢) رقم (٩٦٥) وقال فيه الذهبي : متروك ، الكاشف (١٦٤/٢) رقم (٤٧٩٤) ، وقال فيه ابن حجر : كذبوه ، تقريب التهذيب (٤٧٤/١) رقم (٥٨١٥) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى اليقين [٢٠٤/أ] تصديق [1] القلب بالإيمان بالله تعالى إقرارًا باللسان أي أن صدق الإيمان يذهب الهنات وهي الصغائر التي تكفرها الصلوات المكتوبات ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود: ١١٤] ، وأما اجتناب الكبائر قال الله تعالى : ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [النساء: ٣١] فيقول : يتجاوز عن [2] من صدق في إيمانه ، وأدى فرائض الله واجتنب الكبائر عما يأتي به من الذنوب و [3] الصغائر ؛ لأن الصغائر إنما تكفر عمن صدق في إيمانه [وأدى فرائض الله ﷻ واجتنب الكبائر] [4] دون من كان في قلبه مرض ، فالموقن بإيمانه المؤدي لفرائضه المجتنب للكبائر يكفر عن سيئاته .

ويجوز أن يكون صدق الإيمان وأداء الفرائض يذهب جميع الذنوب كبيرها وصغيرها إما في الدنيا بالمكاره والمصائب وتضعيف الحسنات وإما في الآخرة بالشفاعة أو المشيئة أو التطهير بالنار ثم يدخل الجنة .

فيكون قوله : « **وجبت له الجنة** » بعد التطهير ، وإنما تطهر هذه الأشياء في الدنيا والآخرة أهل اليقين أي المخلصين في إيمانهم دون من سواهم ممن لم يصدق قلبه لسانه لقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ الآية [النساء: ٤٨] .

ويجوز أن يريد باليقين شهود القلب وعد الله ووعيده وما أخبر الله عنه فيكون ما أخبر الله عنه كأنه يشاهده رأي العين كما أخبر حارثة عن نفسه وكما قال ﷺ : [٧٣٤] « **اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاه** » [5] هذا يقين الخصوص ، وقوله ﷺ : [٧٣٥] « **فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاه فَإِنَّه يَرَاكَ** » [6] هذا يقين العموم الذي يوجبه الإيمان ، فيقين العموم الذي هو خلوص الإيمان يذهب الهنات على ما قلنا [٢٠٤/ب] ، ويقين الخصوص يذهب الهنات على معنيين :

أحدهما : أن الذي يبلغ من يقينه ما تنكشف له الحجب فيشاهد الغيب كأنه رأي عيان فإن سيئاته مكفورة وهناته ذاهبة بيقينه .

والمعنى الآخر : أن المكاشف بما ورد به الخبر من الوعد والوعيد [يذهب عنه بقيته

---

(١) التكملة من لوحة (٢٠٣/ب) .
(٢) من هامش الأصل .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .
(٦) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .

اكتساب الهنات واجتراح السيئات ؛ لأن مشاهدة الوعد والوعيد] [(١)] يحول بينه وبينها ويمنعه عن مواقعتها ؛ لأن من كان بهذه الصفة كانت شهواته ميتة فيه لاستيلاء الخوف والرجاء عليه وكانت نفسه مرحومة فلا تأمره بالسوء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ [يوسف : ٥٣] ومن ماتت فيه شهواته ولم تأمره نفسه بالسوء لا يكاد يقع منه الهنات ولا تكون منه السيئات .

حدثنا خلف بن محمد ح محمد بن الفضل المفسر ح أحمد بن الفضل أبو حفص أخ عيسى بن موسى عن عبد الله بن كيسان عن ثابت عن أنس [٧٣٦] أَنَّ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي ، فَقَالَ لَهُ : « **كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مُعَاذُ ؟** » قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا باللَّهِ . قَالَ ﷺ : « **إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ مِصْدَاقًا وَلِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً فَمَا مِصْدَاقُ مَا تَقُولُ ؟** » قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ إِلا ظَنَنْتُ ألا أُمْسِي وَمَا أَمْسَيْتُ مَسَاءً قَطُّ إِلا ظَنَنْتُ ألا أُصْبِحَ ، ولا خَطَوْتُ خطْوَةً قَطُّ إِلا ظَنَنْتُ ألا أُتْبِعَهَا أُخْرَى ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً تُدْعَى إِلى كِتَابِهَا مَعَهَا نَبِيُّهَا وأَوْثَانُهَا التي [(٢)] كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى عُقُوبَةِ أَهْلِ النَّارِ وثَوَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، قَالَ ﷺ : « **عَرَفْتَ فَالْزَمْ** » [(٣)] شاهد [٢٠٥/أ] معاذ [(٤)] بعيني قلبه الذي هو اليقين كما أخبر الله عنه من قوله تعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات : ٢٢] الآية ، وقوله : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء/ ٩٠] الآية ، وسمع بأذن قلبه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] وقوله : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان : ٣٤] الآية ، فمن كان بهذه الصفة كيف يرجع إلى شهوات نفسه فيواقعها وإلى هواه فيتبعه ، ومن سلم من هذين سلم من الهنات والله يوفق للخيرات ويعصم من السيئات ، والله أعلم .

---

(١) زيادة من (خ) . (٢) من هامش الأصل .

(٣) الحديث أخرجه عبد الله بن محمد الأنصاري في طبقات المحدثين بأصبهان بألفاظ متقاربة عن أنس (١٨٢/٤) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٢/١) ، والقضاعي في مسند الشهاب بلفظه مختصرًا (١٢٧/٢) رقم (١٠٢٨) ، وقد ذكره العقيلي في الضعفاء في سياق ترجمة عبد الله بن كيسان - أحد رجال إسناد حديث المصنف - وقال فيه : في حديثه وهم كثير . وقال في الحديث : ليس له من حديث ثابت أصل ، الضعفاء الكبير (٢٩١/٢) رقم (٨٦٤) .

(٤) التكملة من لوحة (٢٠٥/ب) .

١٥٤
باب في الغفلة

حديث آخر : [٧٣٧] حدثنا أحمد بن سهل ح إبراهيم بن علي الترمذيُّ ح يوسف ابن محمد الكوفيُّ ح عبد الرحمن بن محمد المُحَارِبيُّ عن الأفْرِيقِيِّ (١) عن خديج الحِمْيَرِيِّ (٢) عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **الغَفْلَةُ في ثَلاثٍ : الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، والغَفْلَةُ مَا بَيْن طُلُوعِ الفَجْرِ (٣) إِلى صَلاةِ الفَجْرِ وغَفْلَةُ الرَّجُلِ عَنْ نَفْسِهِ في الدِّينِ** » (٤) .

قال الشيخ رحمه الله : الغفلة نوم القلب والنائم لا يذكر (٥) ، وذكر الله أن تشهده حافظًا لك رقيبًا عليك ، قائمًا بمصالحك ؛ فمن غفل عن هذه الأحوال فليس بذاكر لله وإن سبح بلسانه وهلل وكبر ، ومن كان متيقظًا في هذه الأوصاف فهو ذاكر وإن سكت فهذه هي الغفلة عن ذكر الله .

والغفلة ما بين طلوع الفجر إلى صلاة الفجر هو نوم القلب في هذه الساعة ، وذلك أن هذه ساعة انتباه الأبدان وسهر العيون ويقظة النفوس من منامها ، فمن نام قلبه في وقت انتباه جميع أجزائه فهو أقبح النوم فمن [٢٠٥/ب] انتبه قلبه في ذلك الوقت كما

---

(١) الأَفْرِيقِيُّ : بفتح الألف ، وسكون الفاء ، وكسر الراء ، وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وكسر القاف ، هذه النسبة إلى إفريقية ، وهي بلدة كبيرة معروفة من بلاد المغرب عند الأندلس . الأنساب (١٣٥/١) .

(٢) الحِمْيَرِيُّ : بكسر الحاء المهملة ، وسكون الميم ، وفتح الياء المنقوطة من تحتها ، وكسر الراء المهملة ، هذه النسبة إلى حمير ، وهي من أصول القبائل ، نزلت أقصى اليمن . الأنساب (٩٣/٢) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) الحديث أخرجه عبد بن حميد في مسنده بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو (١٣٨/١) رقم (٣٥١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٣/١) رقم (٥٧١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير وفيه حديج بن صومي وهو مستور وبقية رجاله ثقات (١٢٨/٤) . وحديج هذا مختلف فيه فقد وثقه ابن حبان في الثقات (١٨٨/٤) رقم (٢٤١٩) ، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣١٠/٣) رقم (١٣٨٠) ، والحديث فيه أيضًا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، وصفه العقيلي بالتدليس . الضعفاء الكبير (٣٤٧/٢) رقم (٩٤٨) طبقات المدلسين لابن حجر (ص ٤٠) رقم (٨٠) وقال فيه ابن أبي حاتم : صدوق إذا حدث عن الثقات ، ويروي عن المجهولين أحاديث منكرة فيفسد حديثه بروايته عن المجهولين . الجرح والتعديل (٢٨٢/٥) رقم (١٣٤٢) وقد روى عنه هنا مجهول ، هو الأفريقي .

(٥) زاد في (خ) بعدها : الله .

انتبهت نفسه ذاكرًا لله بلسانه وزم جوارحه بالمثول بين يدي ربه وشهد بقلبه منة الله عليه في رد روحه إلى بدنه .

ومن نام في ذلك الوقت قلبه تفرقت أجزاؤه فأهجر لسانه وتشتت هممه وذبلت نفسه ، فهو في حال يقظته نائم وفي نومه ميت كما قيل : (جيفة بالليل بطال بالنهار) .

وحدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ح إسماعيل بن بشر ح مقاتل بن إبراهيم ح نوح بن أبي مريم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٧٣٨] « **مَا عَجَّتِ** [1] **الأَرْضُ إِلى رَبِّهَا مِنْ شَيْءٍ كَعَجَّتِهَا مِنْ ثَلاثٍ ؛ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ سُفِكَ عَلَيْهَا ، أَوْ غُسْلٍ مِنْ زِنًى أَوْ نَوْمٍ عَلَيْهَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ** » [2] فمن نام في ذلك الوقت فقد نامت نفسه ونام قلبه فهو والميت سواء ، ومن انتبهت نفسه دون قلبه فهو غافل ، ومن انتبه قلبه وسائر أجزائه فهو الحي المنتبه اليقظان الغانم القائم ، ومن غفل قلبه عن دينه فقد خسر الدارين وذلك هو الخسران المبين .

والغفلة في الدين على نوعين : عن الجهل بأمر دينه فلا يعرف ما يأتي ولا يعلم ما يذر ، والسهو عما يعلم ذهابًا عن إتيان ما يجب مما أمر به وركوبًا لما نهى عنه لسكرة النفس عن شهواتها وغرور الدنيا بزخارفها وهو أقبح النوعين ، ونعوذ بالله منهما جميعًا .

حدثنا محمد بن موسى الرَّازِيُّ ح الحارث بن أبي أسامة ح الحكم بن موسى ح الوليد عن شيخ من كليب يكنى بأبي محمد أنه سمع مكحولًا يحدث عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال لي رسول الله ﷺ : [٧٣٩] « **كَيْفَ أَنْتَ يَا عُوَيْمِرُ إِذَا قِيلَ لَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعَلِمْتَ أَمْ جَهِلْتَ ؟ فَإِنْ قُلْتَ : عَلِمْتُ ، قِيلَ لَكَ : فَمَاذَا** [٢٠٦/أ] **عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ وَإِنْ قُلْتَ : جَهِلْتُ ، قِيلَ لَكَ : فَمَا كَانَ عُذْرُكَ فِيمَا جَهِلْتَ أَلا تَعَلَّمْتَ ؟** » [3] .

---

(١) قال ابن منظور : عَجَّ يَعِجُّ ويَعَجُّ عَجًّا وعجيجًا ، وضجَّ يَضِجُّ : رفع صوته وصاحَ ، وقيَّده في التهذيب فقال : بالدعاء والاستغاثة . لسان العرب مادة (عجج) .

(٢) الحديث ذكره العجلوني في كشف الخفاء بألفاظ مختلفة وقال : عند الديلمي بسند ضعيف عن علي مرفوعًا . (٢٧/٢) رقم (١٥٨٨) . وضعف إسناده أيضًا الفتني في تذكرة الموضوعات (١٤٠/١) ، وعده الشوكاني من الموضوعات . الفوائد المجموعة (٤٤٨/١) .

(٣) الحديث أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بلفظه عن أبي الدرداء ، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (١٠٠٤/٢) رقم (١١٢٤) . والحديث إسناده ضعيف فيه الوليد ، وهو الوليد بن محمد الموقري قال فيه ابن حبان : كان ممن لا يبالي ما دفع إليه قراءة روى عن الزهري أشياء موضوعة لم يحدث بها الزهري قط =

١٥٥

باب في معنى حجاب النور والظلمة

حديث آخر : [٧٤٠] حدثنا أبو صالح خلف بن محمد ح نصر بن زكريا ح عباس ابن عبد العظيم الْعَنْبَرِيُّ ح مَكِّيُّ بن إبراهيم ح موسى عن عمر بن الحكم عن عبد الله بن عمرو عن أبي حازم قالا [١] عن سهل بن سعد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **« دُونَ اللهِ سَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ وظُلْمَةٍ ، ومَا مِنْ نَفْسٍ تَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الحُجُبِ إِلا زَهَقَتْ نَفْسُهَا »** [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : ذكر السبعين - إن شاء الله - من النبي ﷺ ليس على معنى التحديد والنهاية والغاية التي لا يجوز أكثر منه بل هو عبارة عن الكثرة ؛ لأن الحجب إن كانت أشياء حاجزة وحجبًا ساترة للخلق فالواحد منها يحجبهم ، والله تعالى لا يحجبه شيء والقدرة لا غاية لها ولا نهاية ولا يقع عليها الأعداد ولا تدخل تحت الإحصاء ، وإن كانت الحجب عبارة عن الهيبة والجلال والرحمة واللطف التي هي من صفات الله - جل وعز - فالأعداد دونها منقطعة والغايات عنها مرتفعة ، إذًا فذكر السبعين ليس على الغاية والعدد ولكنه عبارة عن الكثرة [وقد ذكرنا معنى تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد عند العبارة عن الكثرة] [٣] قبل هذا ، ومما يدل على أن ذكر السبعين ليس على الغاية والعدد ولكنه عبارة عن الكثرة ما [روينا في حديث آخر وهو ما] [٤] حدثنا عبد العزيز بن محمد [٥] بن إبراهيم ح إبراهيم بن حمزة الزُّبَيْرِيُّ [٦] ح عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن عمر بن الحكم بن ثوبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه قال : [٧٤١] « والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دُونَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لسَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ إِنَّ مِنْهَا

= كما روي عنه وكان يرفع المراسيل ويسند الموقوف ، لا يجوز الاحتجاج به ، المجروحين من المحدثين (٧٦/٣) رقم (١١٣٢) ونقل العقيلي عن البخاري قوله فيه : في أحاديثه مناكير ، الضعفاء الكبير (٣١٨/٤) رقم (١٩١٩) وقال فيه ابن حجر : متروك ، تقريب التهذيب (٥٨٣/١) رقم (٧٤٥٣) .

(١) سقط من (خ) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٢١/ب) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : حدثنا محمد .

(٦) سقط من (خ) . والزُّبَيْرِيُّ : بضم الزاي ، وفتح الباء ، وسكون الياء المنقوطة من تحتها بنقطتين ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى الزبير بن العوام ، ابن عمة النبي ﷺ ، الأنساب (٣٥٦/٢) .

لحجَابًا مِنْ ظُلْمَةٍ لا (١) يَنْفَذُ مِنْهَا [٢٠٦/ب] مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّ مِنْهَا لحجَابًا مِنْ نُورٍ ومَا يَسْتَطِيعُهَا شَيْءٌ ، وإِنَّ مِنْهَا لحجَابًا مِنْ مَاءٍ مَا يَسْمَعُ حِسَّ ذَلِكَ الماءَ أَحَدٌ لا يَرْبِطُ اللَّهُ تَعَالى عَلَى قَلْبِهِ إلا خَلَعَ أَفْئِدَتَه » (٢) فأخبر في هذه الرواية بسبعين ألفًا وذلك أن الراوي لما عرف المراد لم يبال أن يعبر بسبعين أو سبعين ألفًا أو سبعمائة ألف وما فوق ذلك ؛ لأن القدرة تحتمل هذا وأضعافه أبدًا ، والخلق يحجبهم الواحد منها .

وأما ذكر النور والظلمة فجائز أن يكون ذلك عبارة عن الأجسام الحاجزة والأجرام الساترة ؛ لأن النور والظلمة جسمان وإن كانا أرق من كثير من الأجسام ، وإن كان أحدهما أرق من الآخر ، ففيه إبانة عن الحجب أنها أجسام وأنها لا تحجب بذواتها وإنما تحجب القدرة والمشيئة ؛ لأن النور والظلمة تتضادان فإن حجب أحدهما جاز أن يكشف ضده والنور مع صفائه ورقته وضيائه وأنه سبب إدراك الأشياء ورؤيتها يحجب الأشياء كما تحجب الظلمة مع كثافتها ومنعها عن إدراك الأشياء ورؤيتها ، وكذلك الماء مع جريانه وأنه غير مستمسك ولا ساكن فهو مع اضطرابه وحركاته حاجب مانع وحاجز قاطع ؛ ذلك ليعلم أنه إنما حجب الخلق القدرة والمشيئة ليس الأجسام الكثيفة ولا الأجرام اللطيفة ، وأنه تعالى إنما حجب خلقه عن تجلي كنه عظمته لهم وظهور كبريائه لهم وكشوف هيبته وجلاله وقهره وعظيم سلطانه ؛ لأن الخلق لا تقوم لهيبته وجلاله وقهره وكبريائه فحجبهم بما شاء ليكون لهم بقاء إلى الآجال المضروبة والأوقات [٢٠٧/أ] المعلومة ولولا حجبتهم لتلاشوا وفنوا وبادوا ، ألا ترى أنه تعالى لما تجلى بصفة من صفاته للجبل جعله دكًا ، وقد قال ﷺ : [٧٤٢] « **حِجَابُهُ النَّارُ ، لَوْ كَشَفَ عَنْهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكَه بَصَرُهُ** » (٣) ، فأخبر أنه حجبهم بالشيء وضده لنفاذ المشيئة وكمال القدرة .

---

(١) في (خ) : ما .

(٢) الحديث أخرجه أبو محمد الأصبهاني في العظمة بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٨١/٢) رقم (١١) . وإسناد هذا الحديث حسن ، ففيه إبراهيم بن حمزة الزبيري صدوق . تقريب التهذيب (٨٩/١) رقم (١٦٨) وعبد العزيز بن أبي حازم صدوق . تقريب التهذيب (٣٥٦/١) رقم (٤٠٨٨) ، وعمر بن الحكم بن ثوبان صدوق .تقريب التهذيب (٤١١/١) رقم (٤٨٨٢) وبقية رجاله ثقات .

ويجوز أن يكون [النار أو] [١] النور عبارة عن صفات اللّه ، والظلمة عبارة عن صفة الخلق وأنه إنما حجب خلقه عن إدراك ذاته ، وتحصيل صفات جلاله وكبريائه وهيبته وسلطانه ، وقهره وحجبهم عمى الخلقة وضعف البنية وعجز الحدث ، فأوصاف الخلق ظلمة .

ألا ترى إلى قول النبي ﷺ : [٧٤٣] « **إنَّ اللّه تعالى خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ ثمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ** » [٢] الخبر ، فصفات الخلق ظلمة وصفات اللّه نور وضياء ؛ إذ به استنارت الأشياء وأضاءت .

فالنور عبارة عن الكبرياء والقهر والعظمة والسلطان ألا ترى إلى قوله : « **حجابه النار** » يدل على ذلك قوله : « **ما يستطيعها شيء** » كأنه يقول : ما يستطيع مقاومة قهره وعظمة سلطانه شيء .

والظلمة عبارة عن أوصاف الخلق التي هي العجز والحدث والطينة وذل الخلقة وظلمة البنية ، ألا ترى إلى قوله : « **ما ينفذها شيء** » أي لا يجاوز الحدث قدره والخلقة طورها ، فكأنه قال : حجبهم عن إدراكه والنظر إليه والإحاطة به والوقوف عليه ضعفهم وعجزهم وقلتهم وحدثهم وجلال اللّه وكبرياؤه وعظمته سبحانه ما أعظم سلطانه وأنور برهانه .

ويجوز أن يكون النور حجابًا للعارفين به والموحدين له عن [٢٠٧/ب] التوهم له والفكرة فيه والتشبيه لذاته والكيفية لصفاته وهو النور الذي انشرح به صدورهم واستنار به قلوبهم كما قال اللّه تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فهو على نور من ربه وقال : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور: ٣٥] ، فمن حجبه نوره الذي شرح اللّه به صدره عن تشبيه ذاته وكيفية صفاته آمن به إيمان موقن وأيقن إيقان مؤمن بأنه إله واحد ليس كمثله شيء وأنه عالم قادر حكيم قديم سميع بصير له الأسماء الحسنى والصفات العلى لا يلحد في صفاته ولا يشك في ذاته ، وتكون الظلمة حجابًا للجاحدين له والمشركين به والملحدين في أسمائه والمكذبين لأنبيائه ، وهي الظلمة التي ضاقت لها صدورهم وعميت بها قلوبهم ؛ فهم عن معرفته في أكنة وعن الإيمان به والتوحيد له في حجبة قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٣٨/ب) .

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ﴾ [النور: ٤٠] الآية ، فمن حجبته ظلمته التي جعل الله تعالى بها صدره ضيقًا حرجًا جحد ذاته وشبهه بخلقه وأشرك به غيره وأثبت معه في الأزل سواه ، فوصفه بما لا يليق به ونفى عنه ما يستحقه ، فشك في ذاته وألحد في صفاته ؛ فحجب هؤلاء بظلمة الضلال عن معرفته والإيمان به ، وحجب أولئك بنور الهدى عن التوهم له والفكرة فيه ، سبحانه يفعل ما يشاء [٢٠٨/أ] ويفعل ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **دون الله سبعون** » أي أن الله إنما يعرف من وراء الحجب ؛ لأنه تعالى لا يدرك بالحواس ولا يشاهد بالأبصار وإنما يعرف بتعرفه [1] إلى من يشاء من عباده وبما نصب من الآيات والدلائل على وحدانيته فكل شيء نظر العاقل إليه فآثار الحدث فيه بينة ودلائل الخلقة فيه ظاهرة وأعلام الربوبية فيه قائمة قال الله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] ، وقال : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ الآية [الغاشية: ١٧] الآية ، فكل الأجسام والأعراض وجميع الخلق فيه دلائل الربوبية قائمة وشواهد الوحدانية فيه بينة ، وكل هذه الأشياء منها منيرة مضيئة مشرقة كالسموات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم ، ومنها مظلمة ساترة كالأرض وسائر الأجسام التي عليها من الجبال وغيرها ، ومن الأعراض ما هو نورانية مثل إيمان المؤمنين وتوحيد الموحدين ودلائل عقول العاقلين وشواهد قلوب العارفين ، ومنها ظلمانية مثل كفر الكافرين وجحود الجاحدين وشرك المشركين فإن الكفر قبيح متناقض فاسدٌ يدل تناقضه وفساده على حدثه وأن له محدثًا أحدثه وأظهر فيه فساده ووضع فيه عقول العقلاء قبحه وتناقضه فهو دال على الله كإيمان المؤمن قال الله تعالى : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧] فأخبر أنه هو الفاعل لذلك ، فدل هذا المفعول على أن [٢٠٨/ب] له فاعلًا ليس كمثله شيء .

فيجوز أن يكون النور والظلمة عبارة عن هذه الأجسام والأغراض التي ذكرنا وأعدادها لا يعرفه [2] إلا الله ولا يحصيها غيره وإنما يعرف الله من وراء هذه الحجب ؛

---

(١) في هامش الأصل : بتعريفه .

(٢) في (خ) : يعرفها .

إذ هو أجل من أن يدرك بالحواس أو يشاهد بالعيان تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، فأخبر أن حس بعض هذه الحجب لا يطيق سمعها خلق ولا يقاومه نفس من أي خلق كان إلا خرجت نفسه أو يربط الله على قلبه ويثبت فؤاده والله على ما يشاء قدير ، فمن لا يقاوم حس محدث مخلوق مصنوع ذليل آفل مثله كيف يطيق معرفة جبار متكبر قهار لا شبيه ولا نظير ولا زوال له ولا تغيير ؟! فلا سبيل إلى معرفته إلا به ولا طريق إلى الإيمان به إلا بتوفيقه ، له الحمد وله الشكر وهو الولي الحميد .

١٥٦
باب في رؤية الله تعالى في الآخرة

حديث آخر : [٧٤٤] حدثنا أبو إسحاق محمود بن إسحاق [١] الخُزَاعِيُّ ح أبو عبد الرحمن عبد الله بن حماد الآملي ح عبد الرحمن بن المبارك ح قريش بن حيان العجلي عن بكر بن وائل عن الزُّهْرِيِّ عن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة ﷺ قال : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا ؟ قَالَ : « **نَعَمْ ، هَلْ تُضَارُّونَ [٢] في الشَّمْسِ لَيسَ دُونَهَا سَحَابٌ** ؟ » قُلْنَا : لا ، قَالَ : « **فَهَلْ تُضَارُّونَ في القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ [٣]** ؟ » قُلْنَا : لا . قَالَ : « **فَإِنَّكُم تَرَوْنَه كَذَلِكَ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جُمِعَ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ ، نَادَى مُنَادٍ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَلْزَمْه ، فَتُرْفَعُ لَهُم آلِهَتُهُم التي كَانُوا يَعْبُدون ، فَتَمْضِي وَيَتْبَعُونَ حَتَّى يُقْذَفُوا في النَّارِ ، وتَبْقَى هَذِه الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيُقَالُ لَهُم : مَا لَكُم ذَهَبَ النَّاسُ** [٢٠٩/أ] **وبَقِيتُم ؟ فَيَقُولُونَ : لَنَا رَبٌّ لَمْ نَرَه بَعْدُ** » ، قَالَ : « **يَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَه ؟ فَيَقُولُونَ [٤] : بَيْنَنَا وبَيْنَه آيَةٌ إِذَا رَأَيْنَاه عَرَفْنَاه** » . قَالَ : « **فَيُكْشَفُ لَهُم عَنْ سَاقٍ [٥] فَيَخِرُّونَ لَه سُجَّدًا مَنْ كَانَ لِظَهْرِه طباقٌ وَيَبْقَى أَقْوَامٌ ظُهُورُهُم كَصَيَاصِيِّ [٦] الْبَقَرِ يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ثُمَّ يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيـنَ ظَهْرَانَي جَهَنَّمَ وَهُوَ كَحَدٌ**

(١) زاد في (خ) بعدها : ابن محمود .

(٢) تُضارُّون : يُروى بالتشديد والتخفيف فالتشديدُ بمعنى لا تَتخالَفون ولا تَتجادَلُون في صحَّة النَّظر إليه لوُضُوحه وظُهُوره ، النهاية مادة (ضرر) ، (٨٢/٣) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) زاد في (خ) بعدها : إن .

(٥) في هامش الأصل : قيل : يعني أدنى التجلي من الله تعالى لعباده المؤمنين ؛ لأن الساق بإضافة البدن كله شيء قليل .

(٦) في هامش (خ) : قرون . ا.هـ. وهو كذلك في النهاية مادة (صيص) (٦٧/٣) .

السَّيْفِ بِحَافَّتَيْهِ حَسَكُ [(١)] السَّعْدَانِ . هَلْ رَأَيْتُم السَّعْدَانَ ؟ » قُلْنَا : نَعَم يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَإِنَّه كَذَلِكَ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُ عِظَمَه إِلا اللَّهُ ، ومَلائِكَتُه قِيَامٌ عَلَى ذُؤَابَةِ [(٢)] الصِّرَاطِ الأَعْلَى يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : انْجُوا انْجُوا بِقَدْرِ أَعْمَالِكُم ، فَمِنْهُمْ كَالطَّرْفِ ، وَمِنْهُمْ كَالبَرْقِ ، ومِنْهُمْ كالرِّيحِ ، ومِنْهُمْ كالطَّيْرِ ، ومِنْهُمْ كَالخَيْلِ ، ومِنْهُمْ كالسَّاعِي ، وآخِرُ مَنْ يَمُرُّ مَنْ يَجُرُّ يَدَاه وتَعْلَقُ رِجْلاه ويَجُرُّ رِجْلاه وتَعْلَقُ يَدَاه وتُصِيبُ النَّارُ مِنه حَتَّى إِذَا جَازَ أَقْبَلَ [(٣)] بِوَجْهِهِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ : تَبَارَكَ الذِي أَنْجَانِي مِنْكِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ مِنْكِ مَا رَأَيْتُ ، فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ : اصْرِفْ بِوَجْهِي عَنْهَا فَقَدْ قَشَبَ [(٤)] لي رِيحُهَا أَوْ قَشَبَنِي [(٥)] وَأَحْرَقَنِي دُخَانُهَا فَيَقُولُ لَه رَبُّه : أَتَسْأَلُنِي شَيْئًا بَعْدَمَا أَنْجَيْتُكَ مِمَّا رَأَيْتَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَه . فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ تَسْأَلُ غَيْرَه ، فَيُعْطِي رَبَّه عُهُودًا ومَوَاثِيقَ . فَيَصْرِفُ اللَّهُ تَعَالى وَجْهَه عَنْهَا وتُرْفَعُ لَه شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، بَلِّغْنِي هَذِه الشَّجَرَةَ فَأَسْتَظِلَّ فِي ظِلِّهَا فَيَقُولُ : أَيْنَ مَا أَقْسَمْتَ يَا ابْنَ آدَمَ ؟! وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ هَذَا ولا أَسْأَلُكَ غَيْرَه . فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالى لَه : لَعَلَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ هَذَا تَسْأَلُ غَيْرَه . فَيَقُولُ : لا وَعِزَّتِكَ . فَيُعْطِي [٢٠٩/ب] رَبَّه مِنه عُهُودًا وَمَوَاثِيقَ . فَيُبَلِّغُه اللَّهُ إِيَّاهَا . فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهَا انفهقت [(٦)] لَه الجَنَّةُ ومَا فِيهَا فَتَتَشَوَّفُ نَفْسُه إِلَيْهَا فَيَقُولُ : يَا رَبِّ فَأَدْخِلْنِي الجَنَّةَ . فَيَقُولُ : وَأَيْنَ مَا أَقْسَمْتَ ؟! وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَتُعْطَى . فَيَقُولُ : هَذَا لا أَسْأَلُكَ غَيْرَه ثمّ يُعْطِي رَبَّه مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ . فَيَقُولُ : فَأَدْخِلْنِي الجَنَّةَ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِيهَا ؛ إِذْ قَامَ مُنْبَهِرًا . فَيُقَالُ لَه : مَا لَكَ لا تَسْأَلُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ قَدْ سَأَلْتُ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَأَقْسَمْتُ لَكَ ، فَيَقُولُ لَه رَبُّه : فَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا يَوْمَ خَلَقْتُهَا إِلَى يَوْمِ أَفْنَيْتُهَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا » . قَالَ : وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ إِلى جَنْبِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا » . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ مَا حَفِظْتُ إِلا مِثْلَهَا

---

(١) الحسَك : جمع حَسَكة ، وهي شَوكة صُلْبة معروفة ، النهاية مادة (حسك) ، (٣٨٦/١) . وحسك السعدان نبت جيد المرعى له شعب محددة تدخل في الرجل إذا ديس ، معجم البلدان (٢٦١/٢) .

(٢) في هامش (خ) : أول .

(٣) زاد في (خ) بعدها : اللّه .

(٤) قَشَبَني ريحُها : أي سَمَّني ، النهاية مادة (قشب) ، (٦٤/٤) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : ريحها .

(٦) في هامش الأصل : انفتحت وتزينت .

مَعَهَا . « فَيقُولُ : يَا رَبُّ أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! » - فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَيقُولُ الرَّبُّ ﷻ : « إِنِّي لا أَهْزَأُ بِكَ وَلكِنِّي قَادِرٌ أَنْ أُعْطِيَكَ ذَلِكَ .فَيقُولُ : يَا رَبُّ فَأَلحِقْنِي بِالنَّاسِ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْضِي إِذْ رَأَى ضَوْءًا ، فَيَخِرُّ سَاجِدًا . فَيُقَالُ لَه : مَا لَكَ ؟ فَيقُولُ : أَلَيْسَ هَذَا رَبِّي تَجَلَّى لِي ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ [1] . فَيقُولُ : لا ، هَذَا مَنزِلٌ مِنْ مَنَازِلِكَ وَأَنَا قَهْرَمَانٌ [2] مِنْ قَهَارِمَتِكَ ، وَلَكَ مِثْلِي أَلْفُ قَهْرَمَانٍ ثُمَّ يَمْشِي أَمَامَه فَيَدْخُلُ أَدْنَى قُصُورِهِ لا يُشْرِفُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا إِلا أَنْفَذَ بَصَرَه أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ ، وَمَمْلَكَتُهُ مَسِيرَةَ سَنَةٍ » . وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ إِذَا ذَكَرَ قَوْلَ الْعَبْدِ : « أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ » يَضْحَكُ حَتَّى تَبْدُو أَضْرَاسه [٢١٠/أ] . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَدْ حَدَّثْتَنَا هَذَا الْحَدِيثَ مِرَارًا كُلَّمَا انْتَهَيْتَ إِلَى قَوْلِ الرَّجُلِ لِرَبِّهِ : « أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ » ضَحِكْتَ ؟! فَقَالَ : أَلا أَضْحَكُ إِذْ ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟! لم يُحَدِّثْنَا إِلا ضَحِكَ إِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْلِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ : « أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ » [3] .

قال الشيخ رحمه الله : رؤية اللَّه تعالى في الآخرة بالأبصار جائزة من جهة العقول وباب القياس ، وواجبة من جهة الخبر من طريق الكتاب والسنة قال اللَّه تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢، ٢٣] وقوله : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] فإذا كان الكفار محجوبين كان المؤمنون مكاشفين ، وقال ﷻ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] فسر النبي عليه السلام هذه الزيادة بالنظر إلى وجه اللَّه تعالى بروايات صحيحة عن غير واحد من الصحابة رووا عن رسول اللَّه في إثبات رؤية اللَّه تعالى بضعة عشر نفسًا ، دخل أكثرها في الصحاح ، وأجمع أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا إلى يومنا هذا على أن اللَّه تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار وضللوا كل من نفاها من الفرق ، فالنافي لها راد على اللَّه وعلى رسوله وعلى علماء الأمة والسلف

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) القَهْرَمان : هو المُسَيْطِرُ الحَفِيظ على من تحت يديه ، لسان العرب مادة (قهرم) .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بنحوه عن عبد اللَّه بن مسعود وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٠٨/٢) رقم (٣٤٢٤) ، وأحمد بن حنبل في السنة (٥٤١/٢) رقم (١٢٠٣) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٩٧/١) رقم (٢٧٨) ، والجرجاني في تاريخ جرجان (٣٥١/١) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٨٥/٣) رقم (٨٤٢) ، والطبراني في الكبير (٣٥٧/٩) رقم (٩٧٦٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني كله من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة (٣٤٣/١٠) .

الصالح ، ودافع للعقول السليمة التي هي حجة اللَّه تعالى ضال مضل غاوٍ هالك أعاذنا اللَّه من هذه الصفة وعصمنا من الأهواء المضلة والآراء الفاسدة بمنه وفضله ، ولولا رؤية اللَّه تعالى في الجنة وإلا ما طابت الجنة لأولياء اللَّه وأهل المعرفة ؛ لأن أولياء اللَّه تعالى وخالصته من خلقه في الدنيا راضون عند اللَّه [٢١٠/ب] متلذذون بمجاري أقضية اللَّه سليمة صدورهم من الغل نقية قلوبهم عن الفساد لا يتحاسدون ولا يتباغضون ولا يتنافسون ، وهذه الخصال أكبر نعيم أهل الجنة ؛ لأن المطاعم والمشارب وسائر حظوظ النفس قلما ينظر إليها أهل المعرفة باللَّه فلولا رؤية اللَّه تعالى في الجنة وإلا لم يكن بينها وبين الدنيا عند هؤلاء فرق ؛ لأن اللَّه تعالى قد أخبر كثيرًا من أوليائه برضاه عنهم فقال : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] فهم إذا نالوا رضا اللَّه عنهم ورضوا عن اللَّه فهم في الجنة .

حدثنا محمد بن أسلم ح جعفر بن محمد ح [١] أبو علي الحسن بن علي بن شبيب ح أحمد بن أبي الحَوَارِيِّ ح زهير بن عباد الرُّومِيُّ [٢] ح ني السَّرِيُّ بن حيان عن عبد الواحد بن زيد قال : (الرضا عن اللَّه باب اللَّه الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين العارفين العاملين) [٣] .

فالراضون عن اللَّه في الجنة وهم في الدنيا ، فلولا رؤية اللَّه في الآخرة لم يكن بينها وبين الدنيا فرق عندهم .

ولقد حدثنا خلف بن محمد ح صالح بن محمد ح عبيد اللَّه بن عمر ح مضر القارئ أخ عبد الواحد بن زيد قال : سمعت الحسن يقول : (لو يعلم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت قلوبهم في الدنيا غمًّا) .

وقوله ﷺ : « **هل تضارون في الشمس ؟! هل تضارون في القمر ؟!** » إلى قوله : « **فإنكم ترونه كذلك** » في قوله : « **كذلك** » تشبيه الرؤية بالرؤية ليس تشبيه المرئي بالمرئي يقول كما ترون الشمس والقمر من غير شك يدخلكم في رؤيتكم [٢١١/أ] لهما وضرر يلحقكم فيه ، ولا تحتاجون إلى انضمام بعض إلى بعض فكذلك تكون رؤيتكم

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) في (خ) : الرؤاسي . والرُّومِيُّ : بضم الراء المهملة والميم بعد الواو ، هذه النسبة إلى بلاد الروم ، لجماعة من أهلها أسلموا إما بطريق السبي أو اختيارًا ، الأنساب (٣٣٣/٢) .

(٣) سقط من (خ) .

له - جل وعز - لا تشكون أنكم له راؤون وبأعينكم له مبصرون .

وقوله : « **وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها** » فإنما يبقى المنافقون فيهم ؛ لأنهم كانوا في الدنيا معهم ويرونهم أنهم منهم وأنهم يعبدون معبودهم الذي هو الله تعالى ، فإذا كان يوم القيامة رأوا أنوار المؤمنين وأيقنوا بأنهم الفائزون فيلزمونهم ويرون أنهم يعدون فيهم ومنهم كما كانوا في الدنيا يعدون فيهم ومنهم وذلك لجهلهم بالله لا يعلمون أن الله لا يخادع ولا تخفى عليه خافية كما أن المشركين لجهلهم بالله يحلفون أنهم لم يكونوا مشركين . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] ، فلجهلهم بالله تعالى يرون أنهم يصدقون ولو علموا أن الله تعالى يعلم سرهم ونجواهم وما في صدورهم لم يحلفوا به كاذبين ، فكذلك المنافقون يرون أنهم يخادعون الله كما خادعوا المؤمنين في الدنيا فيتبعونهم بأنوارهم حتى يضرب بينهم وبين المؤمنين : ﴿ بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ الآية [الحديد : ١٣] .

وقوله : « **فيقولون : لنا رب لم نره بعد** » في قوله : « **بعد** » دليل على أنهم منتظرون وذلك أنهم علموا أن ربهم وعدهم فيما أنزل عليهم من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيما أخبرهم الرسول الصادق الذي : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ (١) إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣، ٤] ، أنهم يرونه في الدار الآخرة بأبصارهم فصدقوا الله ورسوله فعلموا أنه منجز لهم ما وعدهم الله وأنهم يريهم نفسه لذلك يقولون : لنا رب لم نره بعد .

وقوله ﷺ : « **فيقولون** : [٢١١/ب] **إن بيننا وبينه آية** » يجوز أن تكون الآية هي معرفتهم أنه لا كيفية لمعبودهم ولا ماهية له ، وأنه ليس بمحدود ولا في مكان ولا يجوز عليه الزوال ولا الحركة ولا الانتقال وأنه ليس كمثله شيء ، فيقولون : إذا رأينا من هذه صفته عرفنا أنه ربنا ومعبودنا وإلهنا ؛ لأنهم كذلك كانوا عرفوه وهم في الدنيا بقلوبهم فإذا رأوا بأبصارهم من عرفوه بقلوبهم عرفوه .

الدليل على هذا التأويل ما حدثنا المحْمُودِيُّ ح محمد بن نصر ح هدبة بن خالد ح حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القُرَشِيِّ عن أبي بردة قال : حدثني أبي (٢) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [٧٤٥] « **إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مُثِّلَ لِكُلِ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَيَذْهَبُ كُلُّ قَوْمٍ إِلى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا ،**

---

(١) في الأصل : هي .

(٢) زيادة من (خ) .

وَيَبْقَى أَهْلُ التَّوْحِيدِ ، فَيُقَالُ لَهُم : مَا تَنْتَظِرُونَ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ؟ فَيَقُولُونَ : إِنَّ لَنَا رَبًّا كُنَّا نَعْبُدُه فِي الدُّنْيَا فَمَا نَرَاه . قَالَ : وَهَلْ تَعْرِفُونَه إِذَا رَأَيْتُمُوه ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُقَالُ لَهُم : كَيْفَ تَعْرِفُونَه وَلَمْ تَرَوْه ؟ قَالُوا : إِنَّه لا شِبْهَ لَهُ . فَيُكْشَفُ لَهُمْ عَنِ الحِجَابِ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ ، فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجَّدًا » (١) .

ويجوز أن يكون معنى الآية أنهم لما عرفوا اللَّه بقلوبهم في الدنيا من غير كيفية ولا تشبيه بتعريفه إياهم نفسه ، لا أنهم عرفوه بصفاتهم من حيث هم ، ولكنهم عرفوه بأنه أحدث فيهم لطائف عرفهم بها نفسه فعرفوه ، فتلك آيتهم فيقولون : بيننا وبينه آية وهي أنه تعالى هو الذي عرفنا نفسه في الدنيا ، فكذلك هو الذي يرينا نفسه اليوم ، فالآية التي بيننا وبينه أنه هو [٢١٢/أ] المحدث فينا رؤيته فضلًا منه وطولًا بإحداثه وإنجازًا لوعده الصادق الذي لا خلف كما أنه لما عرفنا نفسه فضلًا منه وطولًا بإحداثه فينا معرفة منا منة وفضلًا فإذا أرانا نفسه عرفناه كما أنه لما عرفنا نفسه عرفناه .

يدل على هذا التأويل ما حدثنا محمد بن حامد ح السَّرِّيُّ بن عصام ح إبراهيم بن عبد اللَّه ح عبد اللَّه بن المبارك أخ سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود ﷺ قال : [٧٤٦] « فَيُقَالُ لَهُمْ : مَنْ تَعْبُدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعْبُدُ اللَّهَ وَلا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . فَيَقُولُونَ : هَلْ تَعْرِفُونَ رَبَّكُم ؟ فَيَقُولُونَ : سُبْحَانَه وَتَعَالَى إِذَا اعْتَرَفَ (٢) لَنَا عَرَفْنَاه » (٣) .

وقوله : « **فيكشف لهم عن ساق** » يجوز أن يكون معناه يزيل عنهم الخوف والرعب الذي كان غلب عليهم والهول الذي كان غيبهم عن كثير من أحوالهم وصفاتهم كما غابوا عن رؤيتهم عوراتهم إذ هم عراة ، فإذا كشف عنهم ذلك الهول والخوف فتطمئن

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة بألفاظ مختلفة عن أبي بردة عن أبيه (٢٨٠/١) رقم (٦٣٠) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٣١٠/١) رقم (٢٨٥) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٨٠/٣) رقم (٨٣٢) . والحديث إسناده ضعيف ، فيه عمارة القرشي ، نقل ابن حجر عن الأزدي قوله فيه : ضعيف جدًا ، لسان الميزان (٢٧٩/٤) رقم (٨٠٠) .

(٢) في هامش الأصل : عرف .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٥٤٢/٤) رقم (٨٥١٩) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٤٧٨/١٦) رقم (٧٤٤٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة عن عبد اللَّه (٥١٢/٧) رقم (٣٧٦٣٧) ، والطبري في تفسيره جامع البيان بألفاظ مختلفة (٤٠/٢٩) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣١٤/٢) رقم (٩٠٠) ، والطبراني في الكبير (٣٥٦/٩) رقم (٩٧٦١) .

قلوبهم ، عند ذلك يتجلى لهم فيخرون له سجدًا .

ويجوز أن يكون كشف الساق على ما قلناه هي الآية التي بينهم وبينه كأنهم يقولون : إذا ظهرت لنا هذه الآية وهي الطمأنينة والأمن علمنا عند ذلك أنه تعالى لنا متجلٍ فإذا تجلى لنا عرفناه .

ويجوز أن يكون معنى كشف الساق عبارة عن التجلي كما يقال : كشفت الحرب عن ساقها ، أي : ظهرت وبدت من غير أن يكون هناك ساق هي صورة أو جسم ولكن يعبر عن الظهور بكشف الساق ، وقال الشاعر يصف الحرب :

قد شمرت عن ساقها فشمري (ن) [٢١٢/ب]

حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل ح ني نوفل ابن عمارة النَّوْفَلِيُّ قال : سمعت هشام بن عروة قال : [٧٤٧] « كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ يَتَمَثَّلُ في كُلِّ جُمْلَةٍ ، فَمِنْهَا مَا كَانَ يَتَمَثَّلُ :

قَدْ سَنَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الأَعْنَاقِ (ن)   وقَامَتِ الحرْبُ بِنَا عَلى السَّاق [(١)] (ن) » [(٢)]

وقوله : « **ويبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقر** » هم المنافقون يريدون السجود بسجود [(٣)] المؤمنين فلا يستطيعون فيتميزون عند ذلك من المخلصين لله تعالى بشهادتهم له ، فيقال لهم : ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] .

وقوله : « **ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم** » يجوز أن يحدث الله الصراط وهو الجسر الذي يمد فوق جهنم يحدثه الله يوم القيامة .

ويجوز أن يكون قد خلقه الله تعالى حين خلق جهنم فيكون قوله ، « **ويضرب الصراط** » أي يؤذن بالمرور عليه ، كما يقال : ضرب الأمير بعثًا في وجه كذا . أي أذن بالخروج إلى ذلك الوجه وأمر به ، والله أعلم .

وقوله : « **وملائكته قيام يقولون : اللهم سلم سلم** » هذه كرامة من الله وفضل للمؤمنين به الموحدين له ، خلق الله تعالى ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون كرامًا بررة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وخلق دارًا جعل معاد المؤمنين إليها فيها من ألوان النعيم لهم فيها ما تشتهي أنفسهم ، ولهم فيها ما يدعون لا تعلم

---

(١) في (خ) : ساق .

(٢) الحديث ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة عن عروة (١/ ٧٧٠) .

(٣) في (خ) : كسجود .

نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ودعا إليها عباده المؤمنين به الموحدين له ، وبين منيتهم إلى هذه الدار التي دعاهم إليها [٢١٣/أ] مهالك ومفاوز وبحار وأخطار وأهوال ؛ منها في الدار التي خلقهم فيها لهم فيها أعداء يريدونهم من شياطين الجن والإنس وسائر المعاطب التي فيها مما يضر بأبدانهم ونفوسهم وأديانهم ، ومنها في البرزخ الذي بين الدارين ، ومنها في العرصة التي فيها الدار التي دعاهم إليها ؛ فجعل هؤلاء الملائكة الكرام البررة قوامًا لهم وأعوانًا على أسباب النجاة من تلك المهالك وحفظة من تلك المعاطب وأعوانًا على الأعداء ؛ فمنهم حفظة لهم من بين أيديهم ومن خلفهم قال الله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد : ١١] ، ومنهم كتابًا لهم يحفظون عليهم ما لا يسعون لحفظه ليجزيهم بها أحسن الجزاء ويزيدهم من فضله ، ومنهم مستغفرين لهم حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ، ومنهم مبشرين لهم عند الموت بـ : ﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٩] ، الآية ، ومنهم مثبتين لهم عند سؤال فتاني القبر ، ومنهم من يكتب لهم بعد وفاتهم بمثل ما كانوا يعملون في حياتهم ويستغفرون لهم على رأس قبورهم إلى أن يبعثهم ، ومنهم مشيعين لهم من مبعثهم إلى محل قرارهم ، ومنهم مثبتين لهم على الصراط عند تزلزل الأقدام يقولون : اللهم سلم سلم وهم مطاعون أمناء حتى إذا حلوا في جوار ربهم وقروا في مستقرهم ونزلوا منازلهم يدخلون عليهم من كل باب مسلمين : سلام عليكم بما صبرتم ، سبحان من لا يحصى نعمه ولا ينال شكره أحب وحبب ودعا فهدى وهدى فثبت ، سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

وقوله ﷺ : « **فيقال لهم : انجوا [٢١٣/ب] بقدر أعمالكم** » إنما ينجون منها برحمة ربهم ، ولكن بقدر أعمالهم تكون سرعة مرورهم عليها وبطؤه ، كما أنهم برحمة الله يدخلون جنة ربهم وبقدر أعمالهم يقتسمون درجاتها ؛ فمن كان أحسن فعلًا وأصفى عملًا وأنقى قلبًا كان أسرع مرورًا كالطرف والبرق ، وما ذكر في الحديث وبنور إيمانهم يسيرون ؛ فمن كان إيمانه في قلبه لم ينقطع نوره حتى يدخل الجنة ، ومن كان إيمانه بلسان انقطع نوره عند الموت ، فإذا بعث استضاء بنور من سلم في دنياه من سيفه فإذا ميز الخبيث من الطيب بقي في ظلمة كفره فيقول : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ [الحديد : ١٣] فيقال لهم : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا ، وأنى لهم ذلك ؟ والذي أنجاه الله برحمته وبتقواه في إيمانه من الشرك بربه يثني على ربه فيقول : « تبارك الذي أنجاني منك بعدما رأيت منك ما رأيت » يرى أنه أعطي أفضل ما أعطي غيره ولا يرى له عند

ربه وجهًا يسأله فيرفع له ما يصرف به وجهه عن النار ، ويلقي في قلبه سؤاله من ربه فيسأله ويعطيه عهودًا ومواثيق لا يسأله غيرها حشمة وحياء وإزراء بنفسه والله تعالى يحبه ويجب منه سؤاله إياه فيريه ما لا طاقة له به فيترك مواثيقه وينقض عهوده فيسأله فيقول له : « **فأين مواثيقك وعهودك ؟! إن أعطيت هذا تسأل غيره** » فيقول : « **لا يا رب** » فهو يمسك عن السؤال حياء من ربه ووفاء بعهده والله يحب سؤاله منه ؛ لأنه يحب صوته فيباسطه بقوله : « **إن أعطيت** [٢١٤/أ] **هذا تسأل غيره** » انظر إلى هذا اللطف وهذا البسط وهذا الإدلال وهذا التقريب كما يفعل الوالد الشفيق بالولد العزيز عليه الأثير لديه والمحب الغني لحبيبه الفقير إلى بره يريه الشيء ثم يقول : لا أعطيك هذا وهو يريه ويزينه عنده ويريه مرة ويخبؤه أخرى ، والولد والحبيب ينبسط ويعلم أنه يريد أن يعطيه ويبذل له ما يريه فيسأل مرة ويسكت أخرى ويدنو منه ربوة ويقف ساعة وكلما كان ألحف في سؤاله فهو أحب إليه كذلك الحال بين هذا العبد وبين ربه ﷻ ، هذا لطفه لمن اتبع شهوته وقصر في أمر ربه وضيع حقوقه ، فكيف يكون لطفه بمن رفض شهواته وآثر حقوق ربه وسارع إلى أداء أمره ؟! وليس نقض هذا العبد عهوده وتركه أقسامه وطرحه مواثيقه جهلًا منه ولا قلة مبالاة بل علمًا منه بأن نقض ذلك العهد أولى من الوفاء به والحنث في تلك اليمين أفضل من إبرارها ؛ لأن سؤاله ربه أفضل من إبراره قسمه ، فقد علم حكم ربه على لسان نبيه : [٧٤٨] « **مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنهَا فَلْيَأْتِ الذِي هُوَ خَيْرٌ مِنه** » (١) فهذا العبد قد علم أن سؤاله ربه خير من السكوت عنه فيحنث في يمينه وينقض عهده ويأت الذي هو خير منه .

وقول الله تعالى : « **أين عهودك ؟** » إيناس منه له وبسط منه إياه إن شاء الله .

وقول العبد : « أتهزأ بي وأنت رب العالمين ؟! » نفى الاستهزاء الذي لا يجوز على الله [٢١٤/ب] كأنه يقول : أعلم أنك لا تهزأ ؛ لأنك رب العالمين .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن زهدم في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] (٢٧٤٦/٦) رقم (٧١١٦) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا (١٢٧٢/٣) رقم (١٦٥٠) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة في كتاب النذور والأيمان باب ما جاء في الكفارة قبل الحنث (١٠٧/٤) رقم (١٥٣٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الأيمان والكفارات باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها (٢٦/٣) رقم (٤٧٢٢) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن عدي بن حاتم في كتاب الكفارات باب من حلف على يمين (٦٨١/١) رقم (٢١٠٨) ، والدارمي في سننه (٢٤٣/٢) رقم (٢٣٤٥) .

وقوله : « **لك مثل الدنيا أو مثلها معها وعشرة أمثالها معها** » حق ولكن العجب من فضلك وبرك حيث أنجيتني وقد كدت أهلك وأعطيتني ولم أستأهل وحكمتني ولم أستحق ثم تزيدني هذا ! ولكن تفعل هذا ؛ لأنك رب العالمين ، فالألف في قوله : « **أتهزأ بي** » ألف نفي على هذا التأويل كقوله : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] يعني لا تهلكنا بفعل سفهائنا بنا وهذه الكلمة - أعني أتهزأ بي - كلام منبسط متدلل قد علم مكانه من ربه ومحله من قربه .

وقوله : « **فبينما هو يمضي ؛ إذ رأى ضوءًا فيخر ساجدًا فيقال له : مالك . فيقول : أليس هذا ربي تجلى لي ؟ فإذا هو برجل قائم** » ليس سجوده للرجل القائم الذي هو قهرمانه ولا قوله : « **أليس هذا ربي ؟** » إشارة منه إليه وكيف يكون ذلك وهو لله موحد وبه عارف يعلم أن ربه ليس كمثله شيء ، ولولا ذلك لم ينج من النار ولا جاز الصراط قال الله تعالى : ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] ، ولا دخل الجنة التي قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف : ٤٠] ، وإنما يسجد لله الذي ليس كمثله شيء .

وقوله : « **أليس هذا ربي تجلى لي ؟** » يجوز أن يكون معناه أليس هذا الضوء علامة تجليه لي كأنه يقول : أليس عند هذا النور والضياء يكون تجلى لي ؟ أليس وراء هذا يتخيل[١] ؟ لأنه قد علم حين دخل الجنة أن الله تعالى يتجلى له وأنه يسطع نور من قبل أن يتجلى له ألا ترى إلى قوله ﷺ في [٢١٥/أ] حديث محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ : [٧٤٩] « **بَيْنَا أَهْلُ الجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِم ؛ إِذْ يَسْطَعُ لَهُم نُورٌ مِنْ فَوْقِهِم فَإِذَا الرَّبُّ تَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِم** »[٢] .

فسجود العبد يجوز أن يكون استدعاء منه رؤية الله تعالى ، وذلك أنه سمع الله يقول : ﴿ وَفِيهَا[٣] مَا تَشْتَهِيهِ[٤] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١] ، وقال :

---

(١) في (خ) : يتجلى .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن جابر بن عبد الله في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية (٦٥/١) رقم (١٨٤) والعقيلي في الضعفاء الكبير بألفاظ مختلفة وضعفه (٢٧٤/٢) رقم (٨٣٧) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٨٢/٣) رقم (٨٣٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف (٩٨/٧) .

(٣) في الأصل : لكم .

(٤) كذا بحذف الياء ، قال محمد سالم محيسن : ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ ﴾ قرأ نافع ، وابن عامر ، وحفص بزيادة هاء =

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ، وقد أصاب الحسنى ، وهي الجنة ، وطلب الزيادة ، وهو النظر ، وانتهت شهوة نفسه ، ألا تراه يقول : « **منبهرًا** » لانقطاع أمانيه ، وكانت هي عدة لذة الأعين بعد عدة شهوة الأنفس ، وعدة الفضل وهي الزيادة عقب عدة الجزاء وهي الحسنى ، فلما أنجز أولى العدتين استنجز الثانية ، غير أنه استنجز العدة الأولى تصريحًا وسؤالًا حثيثًا ؛ لأنها كانت عدة جزاء الإيمان ، واستنجز الثانية تعريضًا ؛ لأنها عدة فضل ، والجزاء يطلب والفضل يتوقع ويتعرض له ، فتعرض للرؤية بالسجود وبقوله : « أليس هذا ربي تجلى لي ؟ » لم يشر بقوله هذا إلى عين قائمة بل أراد به ذاتًا موجودة ، طلب الجنة التي هي شهوة نفسه تصريحًا غير محتشم ؛ لأنها محدثة مخلوقة كهو ، وجزاء عمل أتى به وهو الإيمان ، وطلب الرؤية لله القديم الخالق الذي ليس كمثله شيء وهو زيادة وفضل تعريضًا وحشمة ؛ لأنها لم تكن جزاء بل فضلًا ، فهذا العبد من محبته لربه وشوقه إلى لقاء ربه إذا سطع له نور ولاح له ضوء يهيج شوقه فيرى أن وراءه يكون تجلي ربه له فيخر ساجدًا [٢١٥/ب] شكرًا لإنجازه وعده ، ومسارعة إلى استنجاز الموعود ؛ لأنه لما سكنت نفسه وأمن روعه انبعثت المحبة التي جعلها الله له في قلبه ، إذ يقول : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] ، فهو يسهو عن نعيم الجنة ويكون كالغائب عنها ، وإنما يتطلع إلى ما تلذ به عينه ؛ لأنه قد نال ما اشتهته نفسه فهذه صفة من يجوز الصراط يجر رجلًا ويعلق يدًا ، فكيف بصفة من يجوز الصراط كالطرف وهذا نعت آخر من يدخل الجنة ، فما ظنك بالسابق إليها الداخل فيها بغير حساب .

وقول الرجل له : « هذا منزل من منازلك وأنا قهرمان من قهارمتك ولك مثلي ألف قهرمان » إنما هو – إن شاء الله تعالى – على سبيل إيفاء النفس حقها وإتيانها حظها وإنالتها ما تشتهيه ثم يعطى بعد ذلك لذة العين [1] ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١] ، فبدأ بحظ النفوس ؛ لأنه لو أعطى ما تلذ به عينه وهو النظر إلى الله قبل شهوة نفسه سها عن نعيم الجنة وخف عنه جميع نعيمها ولم تلتذ بشهوة نفسه فيها ، ألا ترى إلى قوله ﷺ : « **فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم** » .

= الضمير بعد الياء ، والباقون بحذفها ، الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية (٢٢٤) .

(١) في هامش الأصل : الأعين

فهو ﷻ يعطيهم شهوات أنفسهم ؛ ليلتذوا بها ولأنها ثواب لأعمالهم ، ويعطيهم ما تلذ به أعينهم زيادة من عنده فضلًا منه كما قال : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] للذين آمنوا الجنة ثوابًا لعملهم الإيمان وزيادة من عنده النظر إلى اللّٰه ، سبحان المتفضل على عباده بدعائهم إلى دار السلام اللطيف [٢١٦/أ] بهم بهدايته لهم المحسن إليهم في قبول مدخول أعمالهم الجواد بالجزاء الحسن لهم الصادق وعده لهم البر بهم بالزيادة من فضله لهم وتعالى علوًّا كبيرًا .

وقوله : « **وبملكته مسيرة سنة** » وقال في أوله : « **أعطيك مثل الدنيا ومثلها معها** » ، وقال أبو سعيد : « عشرة أمثالها » فمملكته مثل الدنيا وذلك أكثر من مسيرة سنة ، يجوز أن يكون معناه : مسيرة سنة من سني الآخرة وذلك كألف سنة من سني الدنيا .

ويجوز أن يكون أقصى مملكته التي هي تحت قهرمان واحد مسيرة سنة وله ألف قهرمان فيكون تحت كل قهرمان من المملكة مسيرة سنة فيكون جميع مملكته مسيرة ألف سنة .

ومعنى ضحك النبي ﷺ عند قول العبد لربه : « أتهزأ بي وأنت رب العالمين ؟! » يجوز أن يكون على التعجب من انبساط العبد بربه بعدما كان من حاله ما وصف في الحديث من جوازه على الصراط وعلى وقوفه في تلك المواقف بين الجنة والنار ثم يبلغ من انبساطه ما يخاطب ربه بهذا الخطاب ؛ ففيه معنى قوة إيمان هذا العبد المخلط في دنياه المرتكب لشهواته المضيع لحقوق ربه ، ليعلم أن الإيمان والمعرفة باللّٰه لا يوهنها هنات العبد وسيئاته ؛ لأن اللّٰه تعالى كتب الإيمان في قلوب المؤمنين ، وما كتبه اللّٰه فلا يمحوه شيء .

ومعنى آخر : أن هذه بسطة مؤمن مخلط ، فما ظنك بمؤمن مشتاق إليه محب له لم يعرف في الدنيا غيره ولا نظر إلى سواه .

١٥٧
باب في كتمان الخصاصة

حديث آخر : [٧٥٠] حدثنا خلف بن محمد ح أحمد بن محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن مهدي الآملي (١) ح علي بن الحسن بن عبد الرحمن ح الْمُحَارِبِيُّ ح سفيان

(١) في (خ) : الأبلي . ا.هـ . و في هامش (خ) : الأبلة بلدة بالعراق . ا.هـ. وفي معجم البلدان أن هذه النسبة إلى الأُبُلَّة ، وهي بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، الأنساب (٥٥/١) .

ابن سعيد عن عمرو بن دينار [٢١٦/ب] عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَصَابَتْه خَصَاصَةٌ** [(١)] **فَلْيَكْتُم خَصَاصَتَه فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْتُم خَصَاصَتَه فَلْيَشْكُ مَا بِهِ إِلى حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ، فَإِنْ لَمْ يَرَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَحَدًا فَلْيَشْكُ مَا بِهِ إِلى ذَوِي الأَحْسَابِ ، فَإِنَّ فِيهِم شُعْبَةٌ تَدُلُّ عَلَى الإِيمَانِ** » [(٢)] .

قال الشيخ ﵀ : كتمان الخصاصة من الناس رفعها إلى الله تعالى وسؤال منه إياه كشفها بألطف سؤال ، فإن الإنسان خلق ضعيفًا لا يطيق تحمل الخصاصة ، ورفعها إلى الناس شكوى إلى ذي خصاصة مثله ، فهو كمثقل استعان بذقنه ، فإذا كتمها الناس تصبرًا وسكونًا إلى علم الله به ومعرفة بقدرته على كشفها منه وإزالتها عنه كان ذلك تعرضًا لإزالتها وكشفها فهو كالمعتر الذي يتعرض ولا يسأل ، وقد أمر الله تعالى بإعطاء المعتر فقال : ﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ [الحج : ٣٦] فالله تعالى أولى أن يعطي من يتعرض له وقد قال ﵇ : [٧٥١] « **مَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاه اللَّهُ ، وَمَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّه اللَّهُ ، [وَمَنْ تَصَبَّرَ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ تَعَالى]** [(٣)] » [(٤)] .

وفي قصة إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه قيل : [٧٥٢] « لَمَّا وُضِعَ في المنْجَنيقِ ورُمِيَ بِهِ أَتَاه جِبْرِيلُ ﵇ فَقَالَ لَه : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ ؟ فَقَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلا . فَقَال لَه جِبْرِيل : أَلا تَسْأَلُ اللَّهَ ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : حَسْبِي سُؤَالي عِلْمُه بِحَالي » [(٥)] .

فقوله : « أما إليك فلا » كتمان الخصاصة وسؤال الله بألطف الوجوه أي لا حاجة

---

(١) خصاصة : أصل الخصاصة الفقر والحاجة إلى الشيء ، النهاية مادة (خصص) ، (٣٧/٢) .

(٢) لم أقف عليه ، وفي إسناده إبراهيم بن مهدي الأبلي نقل الخطيب البغدادي والحافظ المزي عن الأزدي قوله فيه : يضع الحديث مشهور بذاك لا ينبغي أن يخرج عنه حديث ولا ذكر ، تاريخ بغداد (٧٨/٦) رقم (٣٢٣٣) ، تهذيب الكمال (٢١٦/٢) رقم (٢٥٢) وقال ابن حجر : كذبوه ، تقريب التهذيب (٩/١) رقم (٢٥٧) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخدري في كتاب الزكاة باب حدثنا الغنى ما هو (٥٢/٢) رقم (٢٣٧٦) ، وأحمد في مسنده (٣/٣) رقم (١١٠٠٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٥٥/٢) رقم (١٢٦٧) ، والدارقطني في مسنده (١١٨/٢) رقم (١) ، والربيع بن حبيب في مسنده (١٤٤/١) رقم (٣٥٧) ، والطبراني في الأوسط (١٨٦/٣) رقم (٢٨٧٥) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٧٧/٣) .

(٥) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن مقاتل وسعيد (٢٠/١) ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء وقال : ذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء (٤٢٧/١٠) .

لي إليك ولكن حاجتي إلى الله .

وقوله : « حسبي سؤالي علمه بحالي » سؤال أيضًا بلطف كأنه يقول : [٢١٧/أ] يعلم الله حاجتي ولا أستطيع تحمل ما دفعت إليه وهو بحالي عالم ، فإن أزالها عني فقد رفق بي وإن صبرني لتحملها فهو أرفق بي .

فمن كتم خصاصته فهو بين إحدى الحسنتين إما أن يزيلها عنه ويكشفها منه أو يحدث فيه قوة لتحملها فكأنها زالت عنه ، ويعوضه عليها أفضل منها وإن أعطي رضًا بحاله فقد أدخله الله جنته في حياته ، فقد قيل : (الرضا جنة الدنيا ومستراح العابدين) .

وقوله : « فإن لم يستطع أن يكتم » ؛ لأن الناس على طبائع مختلفة وقوى متفاوتة ففيهم قوي وضعيف ، فمن قوي كتم ، ومن ضعف عن كتمانه فأراد أن يشكو فليشك إلى حملة القرآن ، أمر ﷺ بشكاية الخصاصة إلى منزل القرآن في كتمانها من الناس ، فإن عجز فإلى من يحمل القرآن ؛ لأن حامل القرآن يتخلق بأخلاق [الله تعالى وأخلاق] [1] النبي وأخلاقه أخلاق القرآن ؛ وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : [٧٥٣] « كَانَ خُلُقُه القُرْآنَ يَرْضَى بِرِضَاه وَيَسْخَطُ بِسُخْطِهِ » [2] .

فالله تعالى كريم بر رحيم فهو لا يدع عبده في خصاصة لا يطيق حملها فهو يزيلها عنه إما بكشفها عنه أو يصبره على تحملها أو يرضيه بها ثم يثيبه عليها أفضل منها وحامل القرآن متصف بصفات منزل القرآن فهو يتكرم ويبر ويرحم .

وقوله : « **فإن لم ير من حملة القرآن أحدًا فليشك ما به إلى ذوي الأحساب** » دل قوله : **إن لم ير من حملة القرآن أحدًا** » على ما قلناه من معنى حامل القرآن أنه المتخلق بأخلاق القرآن ليس القارئ له فقط ؛ لأن القراء للقرآن [٢١٧/ب] كثير لا يكاد يعز حتى لا يكاد يرى منهم أحد ، ولكن المتخلق بأخلاقه أعز من الكبريت الأحمر .

وقوله : « **فإن فيهم شعبة تدل على الإيمان** » يجوز أن تكون هذه الشعبة هي الحياء ، وقد قال ﷺ : [٧٥٤] « **الحيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** » [3] والحياء يمنع من الرد فالحيي

---

(١) من هامش الأصل . (٢) سبق في اللوحة رقم (١٥٥/ب) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان (١٢/١) رقم (٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان (٦٣/١) رقم (٣٥) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة في كتاب البر والصلة باب ما جاء في الحياء وقال : حسن صحيح =

لا يكاد يرد سائلًا وهو يقدر على قضاء حاجته ، والحياء يمنع من ترك تغيير خصاصة يراها بأخيه ، وهو يقدر على إزالتها عنه ؛ لأن الحياء انزواء النفس عن الخلق الذميم والفعل القبيح ، وأقبح شيء في الحر الكريم رؤية الخصاصة بأخيه مع القدرة على كشفها عنه وهو لا يفعل .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : أنشدني عبد اللَّه بن محمد بن صاحب الأديب يقول : سمعت الخليل ابن أحمد [(١)] يقول : أنشدني أبو علي التمار قال : قلت لأبي علي الحَزَّازِيِّ [(٢)] - وكان أديب عمان وشامتها - : أريد أن أنشدك بيتين من حكمهما [(٣)] أن تكتب بالخناجر في النواظر . فقال : نعم فأنشدته :

أحسن من نور كل زهر ومن وصال بعقب هجر (ن)

حر رأى خلة بحر فسدها في خفى ستر (ن) .

فقال لي : أحسنت وقام يرقص .

فإذا كان حسنها هذا الحسن فقبيح ضدها على قدر ذلك وإنما يعرف قدر الشيء بضده ، ثم الحياء من صفة الكرام فإن اللئيم لا يكاد يستحيي قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٧٥٥] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى حَيِيٌّ كَرِيمٌ** » [(٤)] فقرن الحياء بالكرم .

= (٣٦٥/٤) رقم (٢٠٠٩) ، وأبو داود في سننه بلفظه في كتاب السنة باب رد الإرجاء (٢١٦/٤) رقم (٤٦٧٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب ذكر شعب الإيمان (٥٣٢/٦) رقم (١١٧٣٥) ، وابن ماجه في سننه في المقدمة باب في الإيمان (٢٢/١) رقم (٥٧) ، و أحمد في مسنده (٤١٤/٢) رقم (٩٣٥٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١/١) رقم (١) .

(١) زاد في (خ) بعدها : القاضي .

(٢) في (خ) : الخُزَاعِيُّ . والحَزَّازِيُّ : بفتح الحاء المهملة والألف بين الزايين أولاهما مشددة ، هذه النسبة إلى حزاز ، وهو بطن من عذرة ، الأنساب (٥٣/٢) . (٣) في هامش (خ) : حقهما .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن سلمان الفارسي في كتاب الوتر باب الدعاء (٧٨/٢) رقم (١٤٨٨) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الدعوات باب منه وقال : حسن غريب (٥٥٦/٥) رقم (٣٥٥٦) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء (١٢٧١/٢) رقم (٣٨٦٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظه (٢١١/٢) رقم (٢٩٦٥) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (١٦٠/٣) رقم (٨٧٦) ، ومعمر بن راشد في الجامع بألفاظ متقاربة عن أنس (٤٤٣/١٠) رقم (١٩٦٤٨) ، وعبد الرزاق في مصنفه بلفظه عن ابن عباس (٢٧٧/٦) رقم (١٠٨٢٦) ، وهناد بن السري في الزهد عن سلمان ، وأبو يعلى في مسنده عن جابر (٣٩١/٣) رقم (١٨٦٧) ، والطبراني في الكبير عن يعلى (٢٥٩/٢٢) رقم (٦٧٠) .

وأنشدنا أحمد بن عبد الله المُزَنِيُّ عن محمود بن محمد الرَّافِعِيِّ (١) قال : أنشدني أحمد بن الأسود الحَنَفِيُّ للفرزدق : [٢١٨/أ]

وقد رزى الأقوام قبلي بنيهم وإخوتهم فاقني حياء الأكارم (ن)

فأخبر أن الحياء من صفة الأكارم من الناس ولا يكاد يخطئ الحسيب الكرم .

وقد يجوز أن يريد بذوي الأحساب أحساب الدين لا أحساب الآباء والأجداد ، فإن أحساب الدين خصاله ، قال الله تعالى : ﴿ التَّٰئِبُونَ الْعَٰبِدُونَ ﴾ الآية [التوبة : ١١٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَٰتِ ﴾ إلى آخر الآية [الأحزاب : ٣٥] ، وقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية [المؤمنون : ١] ، وقال : ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ الآية [المعارج : ٢٢، ٢٣] وأمثالها ، فهذه أحساب الدين وأنساب الإيمان ، فمن كانت له نسبة من هذه الأنساب وخلق من هذه الأخلاق فهو حسيب وإن لم يكن له في الإسلام أب ، ومن انتمى إلى هذه الأحساب فهو كريم ، والكريم حيي وذو الحياء لا يرد سائلًا ولا يدع إشكاء شاكٍ ، والله أعلم .

١٥٨
باب في معنى الأمة

حديث آخر : [٧٥٦] حدثنا أحمد بن سهل ح علي بن موسى القُمِّيُّ ح الحسن بن عرفة ح محمد بن مصعب القَرْقَسَانِيُّ (٢) ح الحكم بن عطية عن أبي سنان عن عبد العزيز اليَمَانِيِّ (٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : فَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَاتَّبَعْتُه فَإِذَا هُوَ فِي مَشْرُبَةٍ (٤) يُصَلِّي ، فَرَأَيْتُ عَلَى رَأْسِهِ أَنْوَارًا ثَلَاثَةً ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَه قَالَ : « **مَهْيَمْ** (٥) **مَنْ هَذِهِ ؟** » قُلْتُ : أَنَا عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **هَلْ رَأَيْتِ الأَنْوَارَ الثَّلَاثَةَ ؟** » فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : « **إِنَّ آتِيًا أَتَانِي مِنْ رَبِّي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الجَنَّةَ مِنْ**

---

(١) الرَّافِعِيُّ : بفتح الراء ، وكسر الفاء بعد الألف ، وفي آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى أبي رافع وهو جد إبراهيم بن علي بن حسن بن علي بن أبي رافع الرافعي المديني ، من أهل المدينة ، الأنساب (٢٨٢/٢) .

(٢) في (خ) : القرقيسائي .

(٣) اليَمَانِيُّ : بفتح الياء آخر الحروف ، والميم بعدهما الألف ، وفي آخرها النون . هذه النسبة إلى اليمن ، والنسبة إليها يمنيٌّ ويمانيٌّ ، الأنساب (٥٣٧/٤) .

(٤) المَشْرُبة بالضم والفتح الغُرْفة ، النهاية مادة (شرب) ، (٤٥٤/٢) .

(٥) مَهْيَمْ : أي ما أمْرُكم وشأنُكم وهي كلمةٌ يمانيّةٌ ، النهاية مادة (مهيم) ، (٣٧٨/٤) .

أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ ، ثُمَّ أَتَانِي فِي النُّورِ الثَّانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدْخِلُ الجَنَّةَ مِنْ [٢١٨/ب] أُمَّتِي مَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ ، ثُمَّ أَتَانِي فِي النُّورِ الثَّالِثِ آتٍ مِنْ رَبِّي فَبَشَّرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدْخِلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي مَكَانَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا المضَاعَفَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ . فَقُلْتُ : يَا رَبِّ لا تَبْلُغُ هَذَا أُمَّتِي . قَالَ : يُكَمَّلُونَ لَكَ مِنَ الأَعْرَابِ مَنْ لا يُصَلِّي وَلا يَصُومُ » [١] .

قال الشيخ رحمه الله : اختلف الناس في الأمة من هم ؟ فقال قوم : الأمة أهل الملة ، وقال آخرون : الأمة كل مبعوث إليه ، وكل من لزمته الحجة بالدعوة .

وقد يجوز أن تكون الأمة كل مبعوث إليه ولكن تختلف أحوالهم ، فمنهم من بعث إليه ودعي فلم يجب كأهل الأديان من أهل الكتاب وسائر المشركين ؛ فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، ومنهم من دعي فأجاب الدعوة ولم يتبع من جهة استعمال ما لزمه بالإجابة ؛ فهو مؤمن بإجابته إلى ما دعي إليه من توحيد اللّه ورسالة النبي عليه السلام وبما جاء به أنه حق ، فإن لم يستعمل ما أمر به تشاغلًا عنه وخلاعة وفجورًا فهم من أمة الدعوة والإجابة وليسوا من أمة الاتباع ، ومنهم من أجاب إلى ما دعي واستعمل ما أمر به فهذا من أمة الدعوة والإجابة والاتباع .

فيجوز أن يكون هؤلاء الأعراب من أمة النبي عليه السلام من طريق الإجابة له إيمانًا باللّه ورسوله وبما جاء به ولم يستعملوا ما جاء به فليس هؤلاء من أمته على معنى الاتباع ؛ لأنهم لم يتبعوه ولم يأتسوا [٢] به ولم يسلكوا [٢١٩/أ] طريقه ، فمعنى « **يكملون لك من الأعراب** » أي ممن آمن بك ولم يتبعك استعمالًا لما جئت به ؛ لأن قوله : « **لا تبلغ هذا أمتي** » .

وقوله : « **يكملون لك من الأعراب** » يشير إلى أن هؤلاء الأعراب ليسوا من أمته ،

---

(١) الحديث ذكره ابن حجر في فتح الباري نقلًا عن هذا الكتاب المحقق عن عائشة وضعف إسناده دون بيان سبب الضعف (٤١١/١١) ، وإسناده ضعيف ففيه محمد بن مصعب القرقساني ، قال فيه يحيى بن معين نقلًا عن ابن أبي حاتم : لم يكن محمد بن مصعب من أصحاب الحديث ، كان مغفلًا . الجرح والتعديل (١٠٢/٨) رقم (٤٤١) ، وقال فيه ابن حبان : كان ممن ساء حفظه حتى كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد . المجروحين من المحدثين (٢٩٣/٢) رقم (٩٩٦) ، وقال فيه ابن عدي : ليس حديثه بشيء . الكامل في الضعفاء (٢٦٥/٦) رقم (١٧٤٧) .

(٢) في هامش الأصل : أي لم يقتدوا .

فيجوز أن يكون ذلك على ما قلنا .

ومعنى قوله ﷺ لا يبلغ هذا العدد من اتبعني استعمالًا لما جئت به ، فقيل له : فيكملون لك من الأعراب الذين لم يتبعوك استعمالًا لما جئت به واتبعوك إجابة إلى ما دعوت إليه ، يدل عليه : « **من لا يصلي ولا يصوم** » وهذا كالحديث الآخر الذي حدثنا الحسين بن علي العطار ح إبراهيم بن عبد الله العَبْسِيُّ ح وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ أو عن أبي سعيد ﷺ شك الأعمش ، قال : قال رسول الله ﷺ : [٧٥٧] « **اشْهَدُوا ألا إِلَهَ إلا اللّه وَأنّي رَسُولُ اللّهِ ، مَنْ لَقِيَ اللّهَ بِهَا غَيْرَ شَاكٍّ لم يُحْجَبْ عَنْ الجَنَّةِ** » [١] . والله الموفق .



١٥٩ باب في الضجر

حديث آخر : [٧٥٨] حدثنا [٢] أبو عبد الله محمد بن صالح ح [٣] ابن سهل ح وهب بن بقية ح أبو اسماعيل قرة بن عيسى [٤] ح سوار بن مصعب عن سلمة بن مسلم الشَّامِيِّ عن أبي مسلم الخَوْلانِيِّ رحمه الله عن النبي ﷺ قال : « **يَقُولُ اللّهُ تعالى للملائكتِهِ : لا تَكْتُبوا عَلَى عَبْدِي عِنْدَ ضَجَرِهِ [٥] شَيْئًا** » [٦] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٢/٤٢١) رقم (٩٤٤٧) ، وأبو عوانة في مسنده (١/٢٠) رقم (١٩) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/٤٦٧) رقم (٤٥٨٥) ، والأصبهاني في دلائل النبوة (١/٣٥) رقم (٩) ، ورجال إسناد هذا الحديث ثقات ، غير أن الأعمش رمي بالتدليس ، طبقات المدلسين لابن حجر (ص ٣٣) رقم (٥٥) ، والحسين بن علي العطار لم أتعرف عليه .

(٢) زاد في (خ) بعدها : أحمد بن سهل حدثنا .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) الضَّجَر : القلق من الغم . . . وفلان ضَجِرٌ معناه ضيِّق النفس ، لسان العرب مادة (ضجر) .

(٦) الحديث ذكره المتقي الهندي في كنز العمال بألفاظ مختلفة وعزاه للديلمي عن علي . مجلد (٤) رقم (١٠٣٢٠) ، وأبو شجاع الهمذاني في الفردوس بمأثور الخطاب عن الحسين بن علي بن أبي طالب (٥/٢٦٢) رقم (٨١٢٩) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه سوار بن مصعب ، قال في شأنه البخاري : منكر الحديث ، التاريخ الكبير (٤/١٦٩) رقم (٢٣٥٩) ، وقال النسائي : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٥١) رقم (٢٥٨) ، وقال ابن حبان : كان ممن يأتي بالمناكير عن المشاهير حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها ، المجروحين من المحدثين (١/٣٥٦) رقم (٤٦٦) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون هذا الضجر الذي لا يكتب على العبد عنده شيء ضجره من صبره على تحمل بلاء يحل به أو سقم يضنيه أو جوع يضعفه أو غم يكربه وما أشبه ذلك مما يحل بالعبد من غير كسب ولكنه قضاء يقضيه اللّٰه تعالى عليه فهو يتصبر فيه ويتحمل شدته ويتجرع غصته حتى [٢١٩/ب] يضجره التصبر ويضعفه البلاء [1] ويعجزه القدر ؛ فيقول شيئًا أو يفعل فعلًا لولا ما أصابه من الضيق في تحمل البلاء لم يقله ولم يفعله .

فيجوز ألا يكتب اللّٰه ذلك عليه تجاوزًا عنه وعلمًا بضعفه ومعرفة بحاله في تصبره فإن الإنسان خلق ضعيفًا لا يطيق تحمل المكاره ولا يقدر على الصبر على الآلام ، فهو يتكلف حملها والصبر عليها فيضجره الصبر فيقول أو يفعل ، فهذا إنما يضجره الصبر ليس البلاء فهذا عبد صابر ، والصابر يوفى أجره بغير حساب فاللّٰه يتجاوز به [2] عن زلة لسانه وفعله ويشكر له صبره ألا ترى إلى ما روي في حديث أيوب النبي عليه السلام حين قال لامرأته : [٧٥٩] « لَئِنْ شَفَانِي اللَّهُ لأَضْرِبَنَّكِ مِائَةَ ضَرْبَةٍ » [3] وأقسم على ذلك حتى قيل له : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص : ٤٤] ولم يجرح ذلك في صبره . وقال وهب بن منبه : [٧٦٠] « لَمَّا أُصِيبَ أَيُّوبُ عليه السلام بِوَلَدِهِ أَخَذَ تُرَابًا فَوَضَعَه عَلَى رَأسِهِ وَقَالَ : لَيتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَأَنِّي لَمْ أَكُ شَيْئًا فَسُرَّ بِهَا عَدُوُّ اللَّهِ وَأُصْعِدَ [4] إلى السَّمَاءِ فَإِذَا تَوْبَتُه قَدْ سَبَقَتْه » [5] ، ولم يكن ذلك جزعًا منه من البلاء وإنما كان ذلك ضجرًا من طول الصبر ؛ لأنه كلما أتاه من الخبر فيما أصيب من ماله وعبيده ومواشيه حمد اللّٰه تعالى وقال : للّٰه ما أعطى وله ما أخذ ، فلم يزل كذلك صابرًا في كل ما يصيبه حتى أدركه الضجر ؛ فقال ما قال وفعل ما فعل ، فتجاوز اللّٰه عنه ذلك ولم يأخذه عليه بل أثنى عليه أحسن الثناء فقال عز وجل : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ [٢٢٠/أ] نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] فهذا عبد قد أضجره الصبر على البلاء فهو صابر وليس بجازع ، فأما من أضجره البلاء فضاق له صدره وتسخط القضاء فيه فجزع من البلاء ولم يتحمله ولم يصبر عليه فقال فأساء القول أو فعل فأساء الفعل فإنه محبط بجزعه ثواب مصيبته ومكتوب عليه قوله وفعله فيجازيه أو يعفو عنه واللّٰه غفور رحيم .

---

(١) من هامش الأصل . (٢) في (خ) : عنه .

(٣) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان بألفاظ مختلفة عن الحسن (٦٩/١٧) .

(٤) في (خ) : فصعد .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بألفاظ مختلفة عن وهب بن منبه (٦٦/١٧) .

١٦٠
باب في طلب المعافاة

حديث آخر : [٧٦١] حدثنا خلف بن محمد ح [صالح بن محمد ح] [(١)] هشام ابن عمار [(٢)] الدِّمَشْقِيُّ ح صدقة بن خالد ح ابن جابر سمعت سليم بن عامر سمعت أوسط البجلي على منبر حمص يقول : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ يَقُولُ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الأَوَّلِ ، فَبِأَبِي وَأُمِّي هُوَ ، ثُمَّ خَنَقَتْه العَبْرَةُ ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الأَوَّلِ ، فَبِأَبِي وَأُمِّي هُوَ ، فَقَالَ : « **سَلُوا اللَّهَ المعَافَاةَ فَإِنَّه مَا أُوتِيَ عَبْدٌ بَعْدَ يَقِينٍ خَيرًا مِنْ مُعَافَاةٍ** » [(٣)] .

قال الشيخ رحمه الله : إن اللَّه تعالى جعل الدنيا دار المحن والبلوى ودار الغم والهم واللأواء ، وأمر عباده بالصبر على البلاء والشكر على النعماء والرضا بمر القضاء ، وذلك شديد تحمله صعب مرامه [(٤)] ، والعبد ضعيف عاجز لا يتمالك ؛ فوعده اللَّه على صبره ورضاه وشكره لنعماه ثوابًا جزيلًا ونعيمًا طويلًا وأوعد على أضدادها وعيدًا مؤلمًا شديدًا بخبر صادق وكتاب ناطق وجعل لهم آذانًا واعية وأبصارًا ناظرة ولم يجعل الخبر في القوة كالنظر قال عليه السلام : [٧٦٢] « **لَيْسَ الخبَرُ كَالمعَايَنَةِ** » [(٥)] وجعل للقلوب أسماعًا وأبصارًا كما جعل في الرأس ، فما أدركه [٢٢٠/ب] الإنسان ببصر رأسه قوي علمه به ، وما أدركه ببصر قلبه كان ذلك أقوى عنده وأوثق لديه فبصر القلب هو اليقين ، فمن أوتي يقينًا فيما أخبر اللَّه عنه شاهد المخبر عيانًا فقرَّ وسكن ولم يضطرب فيما سمع بأذن

---

(١) من هامش الأصل . (٢) في (خ) : عامر .

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أوسط البجلي في كتاب عمل اليوم والليلة باب مسألة المعافاة (٢٢٠/٦) رقم (١٠٧١٥) ، وأحمد في مسنده (٨/١) رقم (٤٤) ، وابن أبي عاصم في الزهد (١٠٨/١) ، والطبراني في مسند الشاميين (٤٠٦/٢) رقم (١٥٩٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أوسط وهو ثقة (١٧١/١٠) .

(٤) في (خ) : مراره .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن ابن عباس (٢١٥/١) رقم (١٨٤٢) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٥١/٢) رقم (٣٢٥٠) ، وابن حبان في صحيحه (٩٦/٤) رقم (٦٢١٣) ، وعبد اللَّه بن أحمد بن حنبل في السنة (٤٨٣/٢) رقم (١١١٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٠١/٢) رقم (١١٨٢) ، والطبراني في الأوسط (١٢/١) رقم (٢٥) .

رأسه من خبر الله تعالى عنه أبصره بعين قلبه ، فلما سمع الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] ، وقال : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل : ١٢٦] ، شاهد بيقينه الذي هو بصر قلبه ذلك الأجر ؛ فسهل عليه تحمل ما لقي من ضراء فصبر وأبصر الموعود في الشكر على السراء فنال الثواب الذي هو بغير حساب ورضي عن الله فيما قضى له ورضي الله عنه فكان كما أخبر حارثة عن نفسه : [٧٦٣] « فكأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا (١) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ وَإِلى أَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ » (٢) وكما قال معاذ : [٧٦٤] « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلى كِتَابِهَا ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى عُقُوبَةِ أَهْلِ النَّارِ وثَوَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ » (٣) .

كما حدثنا أحمد بن عبد الله ح إسحاق بن إبراهيم الأَنْمَاطِيُّ (٤) ح أحمد بن أبي (٥) الحَوَارِيُّ ح سليمان ، قال : [٧٦٥] « دَعَا أَخٌ لابْنِ ثَوْبَانَ ابْنَ ثَوْبَانَ فَقَالَ : تَعَشَّ عِنْدِي . فَقَالَ ابْنُ ثَوْبَانَ : [نعم] (٦) . فَمَا زَالَ يَنْتَظِرُه حَتَّى أَصْبَحَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ لَقِيَه فَقَالَ لَه ابْنُ ثَوْبَانَ : لَوْلا مِيعَادُكَ مَا أَخْبَرْتُكَ بِالذِي عَرَضَ لي إِنِّي لَمَّا صَلَّيْتُ العَتَمَةَ قُلْتُ : أُوتِرُ قَبْلَ أَنْ أَجِيئَكَ ، فَلَمَّا كُنْتُ فِي الوِتْرِ عَرَضَتْ لِي رَوْضَةٌ خَضْرَاءُ مِنَ الجَنَّةِ فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا حَتَّى أَصْبَحْتُ » (٧) .

فهكذا صفة من أوتي يقينًا فمن نظر إلى رياض الجنة غاب عن آلام الدنيا [٢٢١/أ] وملاذها فإن ابتلي فشهد ثواب الصابرين فيتلذذ بالبلاء وإن أصابه مكروه شاهد القضاء من ربه وتنعم بمكروه القضاء ، فمن فاتته هذه الحالة لم يكد يصبر على مؤلم (٨) ولا رضي بمكروه ومن سخط القضاء وجزع عند البلاء حبط عمله ، قال علي ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : [٧٦٦] « مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عِنْدَ المصِيبَةِ حَبِطَ عَمَلُهُ » (٩) ، وفيما أوحى الله تعالى : [٧٦٧] « مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلائِي وَلَمْ يَشْكُرْ (١٠)

---

(١) زاد في (خ) بعدها : « وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى إلى كتابها » .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٤/أ) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٢٠٤/أ) .

(٤) الأَنْمَاطِيُّ : بفتح الألف ، وسكون النون ، وفتح الميم ، وكسر الطاء المهملة ، هذه النسبة إلى بيع الأنماط ، وهي الفرش التي تبسط . الأنساب (١/١٥٤) .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) زيادة من (خ) .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) في (خ) : بلاء .

(٩) سبق في اللوحة رقم (٧٣/أ) .

(١٠) زاد في (خ) بعدها : على .

نَعْمَائِي فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوَايَ » (١) فمن لم يرزق اليقين الذي يدرك به ثواب الصابرين وينال درجات الراضين فلا شيء خير له من المعافاة ليسلم بها من عقاب الجازعين وينجو من وعيد الساخطين ، قال النبي ﷺ عن جبريل عن اللّه تعالى : [٧٦٨] « **إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَه إِلا الغِنَى لَوْ أَفْقَرْتُه لأَفْسَدَه ذَلِكَ ، وإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُصْلِحُ إِيمَانَه إِلا الصِّحَةُ لَوْ أَسْقَمْتُه لأَفْسَدَه ذَلِكَ** » (٢) . والغنى والصحة إذا حفظ العبد فيهما من المعافاة فما أوتي من حرم اليقين خير له من أن يعافى فلا يهلك المسكين . نسأل اللّه اليقين (٣) والمعافاة في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم ، فمن شهد ضعفه وعجزه وعلم أنه لا يقاوم ألمًا يتحمله ولا يصبر على عضة بعوضة ويعجز عن قرصة برغوثة هو المسكين معذور ؛ لأنه خلق ضعيفًا إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعًا فكيف يتحمل العبد الضعيف ما يحمله الجبار الملك القهار إلا أن يطوقه ويقويه فقد قال اللّه تعالى لأكرم خلقه عليه وأعلمهم به : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل: ١٢٧] فمن علم من نفسه عجز البشرية وضعف البنية فليستعذ باللّه من أن يحمله ما لا يطيق كما علمه ربه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وليسأله المعافاة كما أمره النبي ﷺ وليقل : اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، فإن حل به مكروه وأصابه ألم فليقل : لا حول ولا قوة إلا باللّه ، وليستعن باللّه على قضاء اللّه فنعم المولى ونعم النصير .

١٦١
باب في ضعف اليقين

حديث آخر : [٧٦٩] حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح أبو ثابت (٤) ح ابن وهب أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عبد الرحمن بن روح (٥) قال :

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن أنس (٢١٨/١) رقم (٢٠٠) ، والطبراني في الكبير عن أبي هند الداري (٣٢٠/٢٢) رقم (٨٠٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه سعيد بن زياد وهو متروك (٢٠٧/٧) ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان وقال : أخرجه السمعاني في الأنساب عن زهر عن البيهقي إجازة عن الحاكم وقال : هذا إسناد مظلم لا أصل له (١٦٧/٤) رقم (٤١٠) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٨٠/أ) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) زاد في (خ) بعدها : المدني .

(٥) في (خ) : بزرج .

سمعت أبا هريرة ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ : « **مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلا ضَعْفَ الْيَقِينِ** » [(١)] .

قال الشيخ ﷺ : اليقين عين القلب وإدراك الفؤاد ، والله تعالى وصف المؤمنين بالإيمان بالغيب ، فقال : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] والإيمان التصديق وإنما يصدق الإنسان بالشيء الذي يتقرر عنده والإنسان لا يصدق بالخبر حتى يتقرر عنده فيصير كالمشاهدة والمشاهدة بالقلب هو اليقين قال ﷺ : [٧٧٠] « **لَيْسَ الخَبَرُ كَالمعَايَنَةِ** » [(٢)] فإذا ضعف البصر لم يعاين الشيء كما هو فإذا ضعف عين الفؤاد لم يبصر الغيب الذي يجب الإيمان به من توحيد الله وإجلاله وهيبته وتعظيمه فلا تكون عبادته له كأنه يراه ولم يبصر الدار الآخرة التي هي المنقلب ، ولم يبصر الثواب والعقاب اللذين يبعثان على الطاعة لله تعالى في أداء أمره واجتناب نهيه ، فإذا لم يبصر العبد هذا كله بقلبه [٢٢٢/أ] لم يتيقن به وإن أقر بلسانه وصدق من جهة الخبر ، فهو في غبرة وغشاء كما جاء في الحديث : [٧٧١] « **إِنَّ الملكَ يَقُولُ لِلْعَبْدِ إِذَا وُضِعَ في لَحْدِهِ : مَا تَقُولُ في هَذَا الرَّجُلِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - فَيَقُولُ : لا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُه . فَيَقَالُ** [(٣)] **: لا دَرَيْتَ** » [(٤)] فهذا من ظلمة في عيني قلبه وغشاء في بصر فؤاده ، فإذا ضعف اليقين الذي هو عين القلب ضعف الإيمان ؛ فلذلك قال ﷺ : [٧٧٢] « **مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلا ضَعْفَ الْيَقِينِ** » [(٥)] ، وإنما اختلفت الديانات والنحل وتفرقت الأهواء والسبل لضعف

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظه عن أبي هريرة (٣٥٩/٨) رقم (٨٨٦٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٣/١) رقم (٣٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (١٠٧/١) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٢٢٠/ب) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : له .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن أنس في كتاب الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال (٤٤٨/١) رقم (١٢٧٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٢٢٠٠/٤) رقم (٢٨٧٠) ، وأبو داود في سننه بألفاظ مختلفة كتاب السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٢٣٨/٤) رقم (٤٧٥١) ، والترمذي في جامعه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر وقال : حديث أبي هريرة حسن غريب (٣٨٣/٣) رقم (١٠٧١) ، والنسائي في المجتبى بنحوه عن أنس (٩٧/٤) رقم (٢٠٥٠) ، وأحمد في مسنده (١٢٦/٣) رقم (١٢٢٩٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٨٠/٤) رقم (٧٠٠٩) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ مختلفة عن جابر (٣٩/٩) رقم (٩٠٧٦) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٢٢٢/أ) .

اليقين ؛ وذلك أنهم كانوا في الإقرار [(١)] بوحدانية اللَّه من طريق الخبر ولم يبلغ بهم الحال إلى يقين المخبر به وهو معاينته ؛ فترددوا فيه واضطربوا فرجعوا إلى عقول لهم مسلوبة وأفهام محجوبة سلبت عقولهم أهواؤهم وحجبت شهواتهم أفهامهم فتحيروا في ظلمة نفوسهم وضعفت أبصار قلوبهم ، فلم يبصروا ما أخبر اللَّه عنه ورسوله ؛ فتشككوا فحكموا عقولهم ، وعقولهم وراء حجب النفوس والنظر إليها والإعجاب بالأفهام والاعتماد عليها ، وقلوبهم في أكنة الخذلان وعليها رين الذنوب ولم يهتدوا إلى اللَّه فضلوا عن سبيله ، فمن قوي يقينه أبصر بقلبه ما أخبر اللَّه ورسوله عنه فاطمأن إليه قال اللَّه تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] فانهتكت عن بصر قلبه أستار الغيوب فشهد الخبر [(٢)] عيانًا فسكن إليه واطمأن به فلم تتخالجه [٢٢٢/ب] شكوك الظنون فاستقام على طريق الكتاب والسنة ولم يمل عنه يمينًا وشمالًا ولم يلتبس عليه المنهاج الواضح والسبيل البين لقوة بصر قلبه الذي هو اليقين ففاز واهتدى بتوفيق اللَّه تعالى وتسديده (ن) .

١٦٢
باب في بناء العبودية على شيئين

حديث آخر : [٧٧٣] حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح هناد ح أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن جُرَيٍّ [(٣)] النَّهْدِيِّ [(٤)] عن رجل من بني سليم قال : « عَدَّهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في يَدِي - أَوْ في يَدِهِ - التَّسْبِيح نِصْف المِيزَانِ ، والحَمْدُ للَّهِ يَمْلأه ، والتَّكْبِيرُ يَمْلأ مَا بَين السَّمَاءِ والأَرْضِ ، والصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ ، والطُّهُورُ [(٥)] نِصْفُ الإِيمَانِ » [(٦)] .

---

(١) من هامش الأصل.
(٢) في (خ) : الغيب .
(٣) في هامش (خ) : بالجيم والراء المهملة . والجُرَيُّ : بضم الجيم ، وفي آخرها الراء المشددة ، هذه النسبة إلى جرة ، وهو بطن من بني بهثة بن سليم ، الأنساب (٤١٠/١) .
(٤) في (خ) : الهندي . والنَّهْدِيُّ : بفتح النون ، وسكون الهاء ، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى بني نهد ... ومنهم باليمن والشام كلهم من ولد خزيمة بن نهد ، الأنساب (٤٥١/٤) .
(٥) الطهور : الطُّهُور بالضَّم : التَّطَهُّر ، وبالفَتح الماءُ الذي يُتَطهرُ به ، النهاية مادة (طهر) ، (١٤٧/٣) .
(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن رجل من بني سليم في كتاب الدعوات باب منه ، وقال : هذا حديث حسن (٥٣٦/٥) رقم (٣٥١٩) ، و الدارمي في سننه بألفاظ مختلفة (١٧٤/١) رقم (٦٥٤) ، و أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٦٣/٥) رقم (٢٣١٢٣) ، ومعمر بن راشد في الجامع =

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : بناء العبودية للَّه على شيئين : المعرفة للَّه ، والافتقار إلى اللَّه ؛ فصفاء معرفة اللَّه تعالى تنزيهه عما يهجس في الخواطر وعما تقع عليه النواظر ، وكمال الافتقار إلى اللَّه أن ترى نفسك في قبضة اللَّه يصرفك كيف شاء ، فترى أقوالك وأفعالك باللَّه وتصرفها إلى اللَّه ، فغاية التنزيه « سبحان اللَّه » ، فمن قال : سبحان اللَّه على يقين من قلبه فقد صفت معرفته للَّه . ومن قال : الحمد للَّه على بصيرة منه ، فقد صح افتقاره إلى اللَّه ؛ لأنه رأى أقواله وأفعاله باللَّه ولم يرها من نفسه ؛ لأن قوله : الحمد للَّه أي باللَّه كان ، فله الحمد على التوفيق [1] والعصمة براءة من حوله وقوته وإلى اللَّه صرفها ؛ لأنه قال : للَّه فقد برئ من الرياء والعجب فهي من اللَّه بدءًا وإلى اللَّه عودًا .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « التسبيح نصف الميزان » ؛ لأنه نصف العبودية ، والحمد [٢٣٣/أ] للَّه يملؤه ؛ لأنه كمال العبودية ، وقوله : « التكبير يملأ ما بين السماء والأرض » والعبد نظره في مصالح نفسه إلى السماء والأرض ؛ لأن رزقه في السماء ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، وفي الأرض قوته وعليها قراره ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ جَعَلَ [2] ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [النمل : ٦١] ، وكل ما يدخل عليه مما يخل بعبوديته للَّه من نظر إلى غير اللَّه بمعنى الضر والنفع ومن خوف ما سواه ورجاء لغيره وسكون إلى من دونه فذلك المنظور إليه والمخوف منه والمعكوف عليه وهو بين السماء والأرض فإذا قال العبد : اللَّه أكبر على صحة يقين أنه تعالى أكبر من أن يرد قضاؤه أو تخالف مشيئته أو يضر معه ضار أو ينفع دونه نافع ؛ فكأنه لم ير بين السماء والأرض ولا فيهما شيئًا إلا اللَّه وحده ، فإذا رفع الوسائط بينه وبين ربه بتصغير ما دون اللَّه ملأ اللَّه له ما بين سمائه وأرضه نورًا لكلامه وجعل ما بينهما قوامًا له وخدامًا له وسخره له ، أخلى العبد مما بين الطبقتين لربه سره فملأ اللَّه ما بين الكونين لعبده بره .

وقوله : « الصوم نصف الصبر » الصبر حبس النفس عما حرم اللَّه أن يواقعه وحبسها على ما أمر اللَّه أن يؤديه ، والصوم حبسها عن شهواتها ، وشهواتها مناهي اللَّه تعالى ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] ،

= بألفاظ مختلفة (٢٩٦/١١) رقم (٢٠٥٨٢) ، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٣٤٧/٥) رقم (٢٩٢٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه (٤٣٦/١) رقم (٦٣١) .

(١) من هنا سقط من (خ) حتى أول الحديث التالي المعنون بـ (حديث آخر) .

(٢) في الأصل : وجعل .

فالصائم قد أتى بنصف الصبر الذي هو حبس النفس عن شهواتها التي هي مناهي الله ، فإن [٢٢٣/ب] صبر على إقامة أوامر الله فقد أتى بجميع الصبر .

وقوله : « الطهور نصف الإيمان » الإيمان تطهير السر عن أنجاس الشرك ، وتطهير الجوارح عن عبادة ما دون الله ، والعبد نصفان ظاهر وباطن ، فمن تطهر لله فقد طهر ظاهره ومن طهر ظاهره أتى بنصف الإيمان ، فإن طهر باطنه فقد استكمل الإيمان في الطهور للصلاة تطهير البدن من الحدث والأنجاس للوقوف بين يدي الله .

وفيه إشارة إلى تطهير السر من الخواطر والأهجاس للمناجاة مع الله والإيمان ظاهر وباطن ؛ فظاهره إقرار وتسليم ، وباطنه إخلاص وتصديق . فالإقرار والتسليم طهارة الظاهر ؛ لأن الإقرار بلا إله إلا الله البراءة مما دون الله وفي التسليم لأمر الله ترك الاستكبار على الله ، فمن أقر بالله ، واستسلم لله ، فقد تطهر من أنجاس الشرك ظاهرًا ومن صدق بالله ، وأخلص لله تطهر من أنجاس الشك باطنًا ، فنصف الإيمان تطهير الظاهر وكماله تطهير الباطن ، وبالله العصمة والتوفيق ومنه المعونة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١٦٣
باب فيمن لم يأت من الفرائض غير الإيمان

حديث آخر : [٧٧٤] حدثنا عبد العزيز بن محمد السمرقندي ح محمد بن إبراهيم أبو الفضل [(١)] السمرقندي ح إسحاق بن محمد الفَرْوِيُّ ح ابن أبي الزناد عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لا يَقْطَعُهَا** » [(٢)] .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : النبيرة .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب التفسير باب قوله : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] (١٨٥١/٤) رقم (٤٥٩٩) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب الجنة باب إن في الجنة شجرة (٢١٧٥/٤) رقم (٢٨٢٦) ، والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الواقعة وقال : حسن صحيح (/٤٠٠) رقم (٣٢٩٢) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] (٤٧٩/٦) رقم (١١٥٦٤) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب صفة الجنة (١٤٥٠/٢) رقم (٤٣٣٥) ، والدارمي في سننه بلفظه (٤٣٠/٢) رقم (٢٨٣٨) ، وأحمد في مسنده (٤٦٩/٢) رقم (١٠٠٦٧) ، وابن حبان في صحيحه (٤٢٨/١٦) رقم (٧٤١٢) .

وقال رسول الله ﷺ : [٧٧٥] « **كَانَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ قَالَ لأَهْلِهِ : إِذَا أَنَا مِتُّ [٢٢٤/أ] فَأَحْرِقُونِي فَأَذْرُوا نِصْفَه في البَرِّ وَنِصْفَه في البَحْرِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ**[١] **لَيُعَذِّبَنَّه عَذَابًا لا يُعَذِّبُه أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ فَلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ وَأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ لَه : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ لَهُ** »[٢] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : يجوز أن يكون قوله : « لئن قدر الله علي » أي إن قدَّر وحكم أن يعذبني فإنه يعذبني أشد العذاب كأنه علم أن لله فيه مشيئة ؛ لأنه كان لله موحدًا وبه مؤمنًا وبصفاته عارفًا إلا أنه كان مسرفًا على نفسه مضيعًا لأوامر الله تعالى مفرطًا في فرائضه لم يأت منها غير الإيمان بشيء ، فإن أخذه بتفريطه وترك أوامره عذبه أشد العذاب عدلًا منه وإن غفر له بإيمانه فذلك فضله ، فشرط القدر على تقدير العذاب والعفو وليس على القدرة ؛ لأنه كان ممن لا يعرف لله قدرة على بعثه وإن ذري رماده لم يكن لله عارفًا ولا به مؤمنًا وقدَّر وقدَر معنى واحد وقرأ القراء : ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَرْنَا ﴾ [الحجر : ٦٠] بالتخفيف و﴿ قَدَّرْنَآ ﴾ بالتشديد[٣] وكذلك قرؤوا : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، و﴿ لَّن نُّقَدِّرَ ﴾ وهما جميعًا من التقدير دون القدرة فكذلك قوله : « لئن قدر الله علي » معناه لئن قدَّر الله عليَّ العذاب يكون عذابه أشد عذاب عذبه أحدًا لعظم جرمه ، فعلم الله ذلك منه وأنه إنما فعل ذلك خوفًا من ربه ورجاء له ، فغفر له ؛ لصحة إيمانه وخوفه من الله ورجائه له ، فإنه خافه من جهة أنه لم يعمل خيرًا ورجاه بإيمانه [٢٢٤/ب] وغضبه لله على نفسه ومقته لها حتى أمر بإحراقها وتذرية رمادها .

ويجوز أن يكون عرف أن الله تعالى يبعث الخلق ويحييهم بعد الموت ويجمعهم للحشر فيثيب المحسن ويعاقب المسيء ، وظن أنه يجوز ألا يحيي من شاء فظن أنه يجوز

---

(١) من هامش الأصل ، و في (خ) : عليه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب المناقب باب أم حسبت أن أصحاب الكهف (١٢٨٣/٣) رقم (٣٢٩٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى (٢١٠٩/٤) رقم (٢٧٥٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين (٦٦٦/١) رقم (٢٢٠٦) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر التوبة (١٤٢١٠/٢) رقم (٤٢٥٥) ، ومالك في الموطأ (٢٤٠/١) رقم (٥٧٠) ، وأحمد في مسنده بنحوه عن حذيفة (٤٠٧/٥) رقم (٢٣٥٠٤) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري (٤١٨/٢) رقم (٦٤٩) .

(٣) قراءة ﴿ قَدَرْنَا ﴾ بالتخفيف هي قراءة شعبة ، وقراءتها بالتشديد قراءة الباقين ، الإرشادات الجلية (ص ٢٥١) .

ألا يحييه الله إذا فعل ذلك بنفسه ، وكان يخاف على نفسه الخوف التام ورجا لها ألا يعذب بإيمانه ولم يرها أهلًا أن يثاب ويدخل الجنة إذا لم يكن عمل خيرًا قط يستوجب ثوابًا ، فظن أنه يجوز أن يفعل الله به كما يفعل بالبهائم وما شاء الله من خلقه أن يجعلهم ترابًا ، يدل على ذلك ما جاء في رواية أخرى : [٧٧٦] « **لَعَلِّي أُضِلُّ رَبِّي** »(١) يعني أفوته كأنه يقول : إن تركني فلم يبعثني فقد ضللت أي فت (٢) وتلاشيت كقوله : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة : ١٠] أي تلاشينا وذهبنا فيه فكأنه قال : إن قدر الله عليه العذاب عذبه بأشد العذاب وإن غفر له يتركه ترابًا فلا يحشر ؛ فأمر بإحراقه خشية من الله ومقتًا لنفسه فعلم الله ذلك منه فقدره فقال : « **لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟** » قَالَ : « **مِنْ خَشْيَتِكَ** » ، فغفر له بإيمانه به وخشيته منه ، وهذا مما جاء فيه الحديث الذي حدثنا محمد بن أحمد القاضي ح أحمد بن نصر الخفاف ح عمرو بن علي ح حماد بن مسعدة ح عمران العمِّيُّ عن الحسن عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : [٧٧٧] « **مَا زِلْتُ أَشْفَعُ إِلى رَبِّي وَيُشَفِّعُنِي ، وَأَشْفَعُ فَيُشَفِّعُنِي ، حَتَّى أَقُولَ : أَيْ رَبِّ ؛ شَفِّعْنِي فِيمَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا [٢٢٥/أ] اللَّهُ . فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ ولا لأَحَدٍ ، هَذِهِ لِي ، فَوَعِزَّتِي وَحِلْمِي وَرَحْمَتِي لا أَدَعُ فِي النَّارِ عَبْدًا قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ** » (٣) .

فهذا عبد قال : لا إله إلا الله ولم يعمل خيرًا قط فغفر الله له بإيمانه ولم يدخله النار لخشيته وحسبانه وظنه إجازة ألا يحشره الله لا يخرجه من الإيمان ، وإن كان ذلك

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (٥/٤) رقم (٢٠٠٥١) ، والروياني في مسنده (١١٩/٢) رقم (٩٣٤) ، و الطبراني في الكبير (٤٢٣/١٩) رقم (١٠٢٦) ، وفي مسند الشاميين عن أبي سعيد الخدري (٢٥٦/٢) رقم (١٢٩٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني بنحوه في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات (١٩٥/١٠) ، وقال يوسف بن موسى الحنفي في معتصر المختصر : وأما ما روي في بعض الآثار مكان « لا يقدر الله علي » : « لعلي أضل الله » فإنه حديث لم يروه عن رسول الله ﷺ إلا رجل واحد وهو معاوية بن حيدة جد بهز بن حكيم وخالفه في ذلك أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو مسعود وأبو سعيد الخدري وسلمان وأبو هريرة ﷺ وستة أولى بالحفظ من واحد (١٢٣/١) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : وفنيت .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة بألفاظ مختلفة عن أنس ، وقال الألباني في هامش التحقيق : حديث صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم غير عمران ، وهو ابن داور القطان العمي ، وهو صدوق يهم ، لكنه قد توبع (٣٩٥/٢) رقم (٨٢٨) ، وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده (١٧٢/٥) رقم (٢٧٨٦) .

جهلًا منه ؛ لأنه عرف وأقر بالإعادة والبعث والثواب والعقاب ألا تراه يقول : « إن قدر اللَّه عليه ليعذبنه » فهذا يدل على أنه كان يعلم الإعادة والثواب والعقاب ولكنه ظن أن يجوز ألا يحشره اللَّه من بين الناس كلهم لقلة علمه وجهله ولجهله ما أمر بإحراقه بعد الموت وترك سنة الموتى فيه فظن أن ذلك نافعه ومنجيه من عذاب اللَّه فأنجاه اللَّه من عذابه لخشيته منه لا بإحراقه نفسه ، والذي يدل على أن جهله لجواز تركه من بين جميع الخلق لا يخرجه من الإيمان أن الإعادة إنما وجب الإيمان به بالخبر ولولا الخبر لكان من باب الجواز لا من باب الواجب ، وإنما صار من باب الواجب بإخبار اللَّه أنه يعيدهم كما بدأهم وأخبار اللَّه لا يجوز الشك فيها ، فهذا العبد لم يشك في الإعادة التي أخبر اللَّه عنها ولكنه كان رجلًا جاهلًا فظن أنه يجوز ألا يبعثه اللَّه من بين جميع الخلق إذا أحرق تركًا لبعثه لا عجزًا عنه .

١٦٤
باب في ترك الصلاة على من أثني عليه شرًا

حديث آخر : [٧٧٨] حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن محمد بن [(١)] المرزبان ح أبو الفضل محمد بن إبراهيم البَكْرِيُّ ح أبو ثابت محمد بن عبد اللَّه المَدِينِيُّ ح إبراهيم ابن سعد عن أبيه [٢٢٥/ب] عن عبد اللَّه بن أبي قتادة قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دُعِيَ لِجَنَازَةٍ سَأَلَ عَنْهَا ؛ فَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا خيرًا قَامَ فَصَلَّى عَلَيْهَا ، وَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا غَيْرَ ذَلِكَ قَالَ لأَهْلِهَا : « شَأْنَكُم بِهَا » وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهَا » [(٢)] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون معنى ترك النبي ﷺ الصلاة على من أثني عليه شرًا على جهة التأديب للأحياء والزجر عن مثل ما أثني [عليه شرًا] [(٣)] على الميت وتبكيت من يعمل مثل عمله والوعيد له لينتهي من يعمل بمثل ما أثني على الميت عما

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن عبد اللَّه بن أبي قتادة عن أبيه (٢٩٩/٥) رقم (٢٢٦٠٨) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٥١٨/١) رقم (١٣٤٨) ، و ابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (٣٢٨/٧) رقم (٣٠٥٧) ، وعبد بن حميد في مسنده بلفظه (٩٧/١) رقم (١٩٦) ، والحارث بن أبي أسامة في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٧٤/١) رقم (٢٧٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورواته رواة الصحيح (٤/٣) .

(٣) زيادة من (خ) .

يعمله ويتوقى غيره ممن لم يعمل عن إتيان ما أثني على الميت الذي ترك الصلاة عليه ، وليس ذلك على معنى أنه محبط عمله محكوم عليه بالخلود ، ولو كان ذلك كذلك لم يكن يدع من يصلي عليها حتى يصلوا عليها ولنهى عنها ؛ لأن اللَّه تعالى نهى نبيه ﷺ والمؤمنين معه أن يستغفروا للمشركين وأصحاب الجحيم فقال : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] فنهى اللَّه تعالى النبي ﷺ والمؤمنين جميعًا عن الصلاة على أصحاب الجحيم ، والفاسق وإن لم يكن مشركًا فهو من أصحاب الجحيم عند من يقول بالوعيد والإحباط ، فلو كان الذي ترك النبي ﷺ الصلاة عليه بما أثني عليه شرًا (١) من أصحاب الجحيم لنهى النبي ﷺ عن الصلاة عليه كما ترك هو الصلاة عليه ، فلما لم ينه عن الصلاة عليه علم أن ذلك لم يكن من أصحاب الجحيم ؛ ولكن كان ذلك [٢٢٦/أ] منه على الزجر والتأديب والتبكيت كما قلنا .

ويجوز أن يكون تركه الصلاة على من أثني عليه بالمكروه لعلمه ﷺ بأن من حكم اللَّه تعالى على هذا الميت أن يطهره بالنار ويدخله إياها وأن يكون كأن اللَّه تعالى أمر نبيه ﷺ بألا يصلي على من حكم بأن يدخله النار وألا يغفر له إلا بعدما يطهره بالنار إجلالًا لقدره ﷺ وتعظيمًا له ؛ لأنه ﷺ إذا صلى عليه واستغفر له وسأله ألا يدخله النار ، وحكم اللَّه قد سبق بإدخاله النار فنهاه عن الصلاة عليه والاستغفار له ؛ لئلا يكون تركه مغفرته مع استغفار النبي له ، فيكون فيه ترك الإجابة له والإسعاف له في قضاء حاجته ، ولم ينه غيره من المؤمنين عن الصلاة عليه والاستغفار له من أهل القبلة وممن وجبت الصلاة عليه بإيمانه وأنه ليس ممن يخلده اللَّه النار فيكون من أصحاب الجحيم ؛ لأن من أدخله اللَّه النار من المؤمنين فإنه ليس من أصحاب الجحيم على الإطلاق والحقيقة بل هو من أهل الجنة ؛ لأن لبثه في النار مدة يسيرة ومقامه في الجنة أبد الآبدين فهو من أصحاب الجنة لذلك قال ﷺ : [٧٧٩] « **أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الذينَ هُمْ أَهْلُهَا ، فَإِنَّهُم لا يموتُونَ فِيهَا ، وأَمَّا قَوْمٌ يُرِيدُ اللَّه تَعَالَى بِهِمْ الرَّحْمَةَ ، فَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا أَمَاتَهُم** » (٢) فسمى أهل النار المخلدين فيها دون من يخرج منها وإن كان فيها .

ويجوز أن يكون معنى « أثني عليها خيرًا » أي أثني عليها أوصاف المؤمنين وإن أثني عليها غير ذلك يعني أوصاف المنافقين ويكون قبل أن أعلمه اللَّه [٢٢٦/ب] المنافقين فإنه ﷺ

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٤/أ) .

لم يكن يعلمهم من قبل، قال الله تعالى: ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١]، ثم أعلمه الله تعالى بعد ذلك بقوله: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠]، وبقوله: ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [التوبة: ٧٣]، وكان إذا أثني عليها بأوصاف المنافقين فعلم أنه منافق ترك الصلاة عليه ويكون معنى قوله: « **شأنكم بها** » أي واروه وادفنوه، لا أن يكون أمرًا بالصلاة عليها كما قال لعلي ﷺ حين قال له: [٧٨٠] **إِنَّ عَمَّكَ الضَّالَّ قَدْ مَاتَ - يَعْنِي أَبَا طَالِبٍ - فَقَالَ: « اذْهَبْ فَوَارِهِ »** [1] فكذلك معنى قوله: « **شأنكم بها** » أي واروه.

ويجوز أن يكون كان النبي ﷺ منهيًا عن الصلاة على المنافقين دون غيره من المؤمنين بقوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤]، ويكون غيره ممن لم يعلم بنفاقهم غير منهي عن الصلاة عليهم، ولم يكن على النبي ﷺ أن يعلم أمته المنافقين ألا ترى أنه أعلم حذيفة وسماهم له دون غيره من الصحابة، وأمره ألا يخبر بهم أحدًا فكان حذيفة لا يصلي على أحد مات منهم ولا ينهى غيره عن الصلاة عليهم فدل ذلك أن ترك الصلاة على المنافقين إنما كان على من علمهم دون من لم يعلمهم، ولم يكن من علمهم مأخوذًا عليه نهي غيره عن الصلاة عليهم فلذلك كان النبي ﷺ يترك الصلاة على من أخبر منهم بأوصاف المنافقين ولا ينهى غيره عن الصلاة عليه، والله أعلم (ن).

١٦٥

باب في أخذ الذرية من ظهر آدم ﷺ

حديث آخر: [٧٨١] حدثنا عبد العزيز ح محمد بن إبراهيم ح أبو ثابت ح ني عبد الله بن وهب عن هشام بن سعد عن زيد عن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي [٢٢٧/أ] هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لَمَّا أَنْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَه فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ** [2] **تَكُونُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ فَعَرَضَهُم عَلَى آدَمَ فَرَأَى فِي وَجْهِ كُل**

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن علي في كتاب الطهارة باب غسل الكافر إذا أسلم (١٠٧/١) رقم (١٩٥)، وأحمد في مسنده (١٢٩/١) رقم (١٠٧٤)، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٠٤/١) رقم (١٣٤٨)، وعبد الرزاق في مصنفه بنحوه (٣٩/٦) رقم (٩٩٣٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه (٣٢/٣) رقم (١١٨٤٠)، وسعيد بن منصور في سننه بألفاظ متقاربة (٢٨١/٥) رقم (١٠٤١)، والطبراني في الأوسط (٣٤٠/٥) رقم (٥٤٩٠)، وصححه ابن حجر في الإصابة (٢٣٩/٧).

(٢) النَّسَمة: النَّفْس والروح، النهاية مادة (نسم)، (٤٨/٥).

رَجُلٍ مِنهُم وَبِيصًا [١] مِنْ نُورٍ فَرَأَى رَجُلًا مِنهُم لَه وَبِيصٌ أَعْجَبَه فَقَالَ : مَنْ هَذَا يَا رَبِّ ؟ قَالَ : هَذَا مِنْ وَلَدِكَ اسْمُهُ دَاوِدُ . قَالَ : كَمْ عُمْرُه [٢] ؟ قَالَ : سِتِّينَ [٣] سَنَةً . قَالَ : زِدْه مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً . قَالَ : إِذًا يُكْتَبُ وِيُخْتَمُ وَلا يُبَدَّلُ . قَالَ : فَلَمَّا نَفَدَ عُمْرُ آدَمَ إلا أَرْبَعِينَ سَنَةً التي وَهَبَهَا لِدَاودَ أَتَاه مَلَكُ المَوْتِ فَقَالَ آدَمُ : إِنَّه قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً . قَالَ : أَلَمْ تُعْطِهَا ابنَكَ دَاودَ ؟ » قَالَ : « فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُه وخَطِئَ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُه ونَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُه فَرَأَى مِنهُم القَوِيَّ والضَّعِيفَ والغَنِيَّ والفَقِيرَ والصَّحِيحَ والمبْتَلَى ، فَقَالَ : يَا رَبِّ أَلا سَوَّيْتَ ؟ بَيْنَهُم قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أُشْكَرَ » [٤] .

قال الشيخ رحمه الله : إخراج الذرية من ظهر آدم أصله في كتاب اللّٰه تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وتفسيره من النبي ﷺ في غير حديث وروايات مختلفة ، روى كثير من الأئمة هذا الحديث في تفسير قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ الآية ، وتلقته الأمة بالقبول إلا شرذمة قليلون لا يعبأ بهم وعليه عامة أهل الحديث وأكثر المثبتة أقروا بأخذ الذرية من ظهر آدم كما جاء في الحديث أنه أخرجهم من صلبه مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فأجابوه بـ : ﴿ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

قالوا : وهي الفطرة التي [٢٢٧/ب] فطر اللّٰه الناس عليها قال ﷺ : [٧٨٢] **« كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاه يُهَوِّدَانِهِ ويُنَصِّرَانِهِ ويُمَجِّسَانِهِ »** [٥] وهي التي جاء في حديث

---

(١) الوَبِيص البَرِيق ، النهاية مادة (وبص) ، (١٤٥/٥) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : يارب .

(٣) كذا في الأصل و (خ) ، وما ورد في رواية ابن وهب القرشي في كتاب القدر والتي يروي المصنف حديثه بإسناده إليه « ستون » .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأعراف وقال : حسن صحيح (٢٦٧/٥) رقم (٣٠٧٦) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٥٥/٢) رقم (٣٢٥٧) ، وعبد اللّٰه بن وهب بن مسلم القرشي في القدر (٦٧/١) رقم (٨) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٧/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٣/١١) رقم (٦٣٧٧) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب القدر باب اللّٰه أعلم بما كانوا عاملين (٢٤٣٤/٦) رقم (٦٢٢٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٢٠٤٧/٤) رقم (٢٦٥٨) ، وأبو داود في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب السنة باب في ذراري المشركين (٢٢٩/٤) رقم (٤٧١٤) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة في كتاب القدر باب =

آخر عن النبي ﷺ رواية عن الله تعالى : « **خَلَقْتُ النَّاسَ حُنَفَاءَ فَأَضَلَّتْهُم الشَّيَاطِينُ** » .
أو كما قال ، حدثنا المحْمُودِيُّ ح نصر بن زكريا ح عمار ح سلمة حدثني محمد [(١)] بن إسحاق ح ني الحسن [(٢)] بن دينار عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشِعِيِّ [(٣)] وكان يقال لعياض [(٤)] حرمي [(٥)] النبي ﷺ وذلك أنه كان ينزل على رسول الله ﷺ بمكة إذ قدمها في الجاهلية قال : [٧٨٣] سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ بِمِنًى يَقُولُ : « **إِنَّ اللَّهَ تعالى أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَا جَهِلْتُم مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا أَلا إِنَّ كُلَّ مَالٍ نَحَلْتُه عَبْدِي فَهُوَ حَلالٌ ، أَلا وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ [(٦)] كُلَّهُم ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ أَتَتْهُم فَاجْتَالَتْهُم [(٧)] عَنْ دِينِهِم وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِم مَا أَحْلَلْتُ لَهُم وَأَمَرَتْهُم أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لم أُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا** » [(٨)] .

= ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (٤٤٧/٤) رقم (٢١٣٨) ، ومالك في الموطأ بألفاظ متقاربة (٢٤١/١) رقم (٥٧١) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢٧٥/٢) رقم (٧٦٩٨) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٦/١) رقم (١٢٨) .

(١) في (خ) : محمود .

(٢) في هامش (خ) : الحسين .

(٣) المجُاشِعِيُّ : بضم الميم ، وفتح الجيم ، وكسر الشين المعجمة ، وفي آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى مجاشع ، وهي قبيلة من تميم بن دارم ، الأنساب (٢٣١/٤) .

(٤) في (خ) : لنبي عياض .

(٥) قال الخطابي : روى بعض أهل اللغة حديثًا أن فلانًا كان حرمي رسول الله ، وفسره فقال : إن أشراف العرب الذين كانوا يتحمسون في دينهم إذا حج أحدهم لم يأكل إلا طعام رجل من الحرم ولم يطف إلا في ثيابه فكان لكل شريف من أشراف العرب رجل من قريش فكل واحد منهما حرمي صاحبه ، الغريب للخطابي (٧٢٢/١) .

(٦) معنى خَلَقْتُ عبادي حُنفاءَ : أي طاهِري الأعْضاء من المعاصي ، لاَ أنَّه خَلَقهم كُلَّهم مُسْلِمين ، النهاية مادة (حنف) ، (٤٥١/١) .

(٧) في هامش (خ) : وفي رواية « فاختالتهم » . ا.هـ. ومعنى فاجْتَالَتْهُم الشياطين : أي استَخَفَّتْهم فجَالُوا معَهم في الضَّلال ، النهاية مادة (جول) ، (٣١٧/١) .

(٨) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عياض بن حمار في كتاب الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢١٩٧/٤) رقم (٢٨٦٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب فضائل القرآن باب قراءة القرآن على كل الأحوال (٢٦/٥) رقم (٨٠٧٠) ، وأحمد في مسنده (١٦٢/٤) رقم (١٧٥١٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٠/٩) رقم (١٧٥٧٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤٢٢/٢) رقم (٦٥٣) ، ومعمر بن راشد في الجامع (١٢٠/١١) رقم (٢٠٠٨٨) ، والبزار في مسنده (٤١٩/٨) رقم (٣٤٩١) ، والطبراني في الكبير (٣٥٨/١٧) رقم (٩٨٧) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : فالله تعالى أخذ الذرية من ظهر آدم وقررهم بربوبيته وأخذ الميثاق عليهم بالحقيقة وردهم في صلبه كيف شاء وكما شاء والله على ما يشاء قدير .

ومعنى قوله : « **إني خلقت عبادي حنفاء** » يجوز أن يكون حين خلقهم من نطفة وعلقة ومضغة أي خلقهم على ذلك الإقرار الذي سبق منهم حين قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قالوا : ﴿ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فهم بذلك الإقرار حنفاء وعلى ذلك خلقهم في أرحام أمهاتهم .

وقوله : « **إن الشياطين أتتهم** » يجوز أن يكون بعد [٢٢٨/أ] البلوغ فاجتالتهم عن دينهم الذي هو الإسلام الذي خلقوا عليه فدعتهم إلى الشرك بالله وجعل الأولاد له والإلحاد في صفاته بما زينت لهم من اتباع الآباء فقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وحرمت عليهم مثل ما أحل الله لهم يجوز أن يكون ما جعلوه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

وقوله ﷺ : « **فرأى آدم أنوار الأنبياء وعامة المؤمنين** » على مراتبهم ورأى سائر أحوالهم ومختلف صفاتهم من الضعف والقوة والآفة والسلامة والفاقة والغنى وسائر أوصافهم على ما قسم الله لهم وشاءه لهم ، فرأى نور داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فأعجبه وعلم أن ذلك نور عمله الخالص وذكره الصافي وقلبه السليم ونفسه الزكية ، فسأل عن عمره فأخبر أن عمره ستون سنة ، فأحب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يطول عمره ليكثر عمله وتزداد طاعته لله وعبادته له تعظيمًا لقدر الله وإجلاله ومحبة أن يطاع طاعة يرضاها ويعبد الله عبادة يتقبلها ويذكر ذكرًا يحبه الله فقال : « زده من عمري أربعين سنة » ليزداد فيه طاعة وعبادة وذكرًا ، ومعنى تخصيص ذكر داود من بين سائر الأنبياء بالنور يجوز أن يكون لعمل اختص به من بين سائر الأنبياء لم يشركه في ذلك العمل غيره كما خص بما علم من صنعته لبوس تحصن من البأس ، أو يكون خص بقوة على عمل من الأعمال الصالحة التي شاركه فيها غيره إلا أنه كان أكثر استعمالًا لذلك وأدوم (١) عليه وأشد اجتهادًا فيه وأكثر شغلًا به كما كان [٢٢٨/ب] النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ اختص بقتال المشركين وإن كان غيره من الأنبياء يقاتلون أعداءهم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٧٨٤] « **بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ** » (٢) وقال : [٧٨٥] « **أَنَا نَبِيُّ**

---

(١) زاد في (خ) بعدها : جهدًا .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن ابن عمر (٥٠/٢) رقم (٥١١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة (٧٥/٢) رقم (١١٩٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١٢/٤) رقم (١٩٤٠١) ، =

الْمَلْحَمَةِ [١] » [٢] .

ويجوز أن يكون العمل الذي خص به بكاؤه من خشية الله تعالى ، فقد روي : [٧٨٦] « **لَوْ وُزِنَ بُكَاءُ دَاوُدَ بِبُكَاءِ سَائِرِ النَّاسِ لَرَجَحَ بِهَا** » [٣] .

ويجوز أن يكون ما يسر عليه من الذكر ، فقد روي عن النبي ﷺ : [٧٨٧] « **أَنَّ دَاوُدَ كَانَ يَأْمُرُ بِالدَّابَّةِ أَنْ تُسْرَجَ فَيَقْرَأُ الزَّبُورَ قَبْلَ أَنْ يفرَغَ مِنْه** » [٤] أو كلامًا هذا معناه .

ويجوز أن يكون ذلك نور قراءته وحسنها ، حدثنا عبد الله بن محمد ح عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يونس السِّمَنَاني ح العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي عن الأَوْزَاعِيِّ عن عبد الله بن عامر قال : [٧٨٨] « **أُعْطِيَ دَاوُدُ عليه السلام مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ** [٥] **قَطُّ ، إِنْ كَانَتِ الطَّيْرُ والْوَحْشُ لَتَعْتَكِفُ حَوْلَه حَتَّى تَمُوتُ عَطَشًا وجُوعًا ، وَإِنَّ الأَنْهَارَ لَتَقِفُ** » [٦] .

ومعنى قوله : « **إذًا يكتب ويختم ولا يبدل** » أي الآجال مضروبة والأحكام مقدورة لا تتغير ولا تتبدل ، وقد مضى عمره وحكم به وختم عليه فلا يبدل ولو كان يجوز هذا

= والطبراني في مسند الشاميين (١٣٥/١) رقم (٢١٦) .

(١) في هامش (خ) : الملحمة الحرب .

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة عن أبي موسى (٣١١/٦) رقم (٣١٦٩٣) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠٥/١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق عن جبير بن مطعم عن أبيه (٢٥/٣) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بلفظه (١٥٢/٣) .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة عن ابن بريدة (٢٢٥/٧) رقم (٣٥٥٣٥) ، وابن عدي في الكامل (١٦٦/١) رقم (١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١٦/٧) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤٧/٤) رقم (١٦٥٣) ، والطبراني في الأوسط (٥١/١) رقم (١٤٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (١٩٨/٨) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب التفسير باب : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥] (١٧٤٧/٤) رقم (٤٤٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (١١٧/١٤) رقم (٦٢٢٥) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (١١٦/١) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٨/١٧) .

(٥) في الأصل : أحدًا .

(٦) الحديث أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عامر (١٤٢/١٠) رقم (٥٢٨٦) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٩/١٧) ، والحديث إسناده ضعيف ، ففيه عبد الله بن محمد شيخ المصنف ، وهو عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري الفقيه متهم بوضع الحديث ، كان يضع هذا الإسناد على هذا المتن ، وهذا المتن على هذا الإسناد ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) .

لكان عمر داود مائة سنة وكان ذلك مكتوبًا مختومًا عليه ، وعمره ستون سنة فلا يبدل .

ويجوز أن يكون معناه إن أجبت إلى ذلك صار مكتوبًا عليك لا يكون لك فيها رجعى ، فلما استوفى آدم عمره إلا أربعين سنة أتاه ملك الموت فقال : « قد بقي من عمري كذا كذا » فقيل له : « ألم تهبها لابنك داود ؟ قال : فجحد » .

يجوز أن يكون معنى الجحد منه أن الهبة [1] [٢٢٩/أ] لم تمض ؛ لأنه لما علم أن الأجل المضروب مختوم عليه ومكتوب لا يبدل ؛ علم أن هبته لم تمض ، وأنه لا ينقص من عمره ولا يزاد في عمر داود ، فأخبر أن الهبة لم تكن على معنى أنها لم تمض ولم تنفذ ، ليس على معنى أنه لم يفعل ولم يهب ، كأنه قال : وهبت ، فلم تصح الهبة ، وكأنها لم تكن ؛ لأنه ﷺ علم أن هبته لا تنقص من عمره ، وأن عمر داود لا يزاد فيه ؛ لأنه مكتوب مختوم عليه ، لا يبدل ، فإن كان عاش آدم ألف سنة إلا أربعين سنة وتوفي فلأن أجله المكتوب المختوم عليه كان ذلك ، لا أنه انتقص بهبته ، وإن كان عاش داود مائة سنة فلأن عمره المكتوب المختوم عليه كان ذلك ، لا لأنه وهب منه .

حدثنا محمد بن عمر المعدل حدثنا أحمد بن حامد بن قحطبة الطَّالْقَانِيّ [2] حدثنا عبد الرحيم بن حميد حدثنا بقية بن الوليد عن عيسى بن إبراهيم القُرَشِيّ عن سلمان بن عمر عن مسلمة بن عبد الله الجُهَنِيّ عن عمه عن أبي الدرداء ﷺ قال : [٧٨٩] ذَكَرْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ زِيَادَةَ الْعُمرِ في الدُّنْيَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « **لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَلَكِن زِيَادَةُ العُمرِ ذُرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ يَرْزُقُهَا اللَّهُ العَبْدَ ، يَدْعُونَ لَه بَعْدَ مَوْتِهِ ، يَلْحَقُهُم دُعَاؤُهُم في قَبْرِهِ** » [3] . وذلك تأويل زيادة العمر ، فأخبر أن العمر لا يزاد على

---

(١) من هنا سقط من الأصل ، والتكملة من (خ) .

(٢) الطَّالْقَانِيّ : بفتح الطاء المهملة ، وسكون اللام ، بعدها القاف المفتوحة ، وفي آخرها النون ، وطالقان بلدة بين مرو الرُّوذ وبلخ مما يلي الجبال ، وطالقان ولاية أيضًا عند قزوين ، ويقال للأولى : طالقان خراسان ، والثانية : طالقان قزوين ، الأنساب (٢٤٣/٣)

(٣) الحديث أخرجه ابن حبان في المجروحين بألفاظ مختلفة عن أبي الدرداء (٣٣١/١) رقم (٤١٢) ، وابن عدي في الكامل (٢٨٥/٣) رقم (٧٥٣) والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٢٧/٣) ، وأبو شجاع الهمذاني في الفردوس بمأثور الخطاب (٤٤٥/٣) رقم (٥٣٦٥) ، والحديث إسناده ضعيف ، ففيه عيسى بن إبراهيم القرشي الهاشمي ، قال فيه ابن أبي حاتم : متروك الحديث ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٧١/٦) رقم (١٥٠٥) وقال فيه النسائي : منكر الحديث ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٧٧) رقم (٤٢٦) .

الأجل المضروب والوقت المكتوب ، وما روي في حديث آخر : [٧٩٠] « أَنَّه يَكُونُ عُمْرُ الرَّجُلِ ثَلاثَ سِنِينَ فَيَجْعَله اللَّهُ ثَلاثِينَ سَنَةً بِبِرِّ أَبَوَيْهِ أَوْ صِلَتِهِ رَحِمَه ، ويَكُونُ عُمْرُ الرَّجُلِ ثَلاثِينَ سَنَةً فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ثَلاثَ سِنِينَ بِقَطْعِ رَحِمِه »(١) أو كلاما هذا معناه ، فإن ذلك إن صح كان معناه أن يقدر لعبد أجلًا ثلاثين سنة ، ويقدر له برًّا وصلة رحم ، ولو لم يقدر بره وصلته لم يقدر عمره إلا ثلاث سنين .

فيجوز أن يكون معنى الجحد من آدم إنكار أن يكون عمره منقوصًا بهبته لا أنه جحد الهبة ، ومعنى الجحود من آدم وإثبات أختيه من الخطيئة والنسيان هو أن إثبات الجحود [١٦٨/أ(خ)] يجرح فيه ويقدح في حاله ، والخطيئة والنسيان لا يجرحان فيه ، ولا يقدحان في النبوة والحال ، وذلك أن النسيان ليس من فعل الإنسان ، ولكنه من فعل اللَّه به ، فهو لا يؤاخذ بما لم يكتسبه فأما الخطيئة فإنها لا تسقط العبد من عين اللَّه ، ولا تخرجه من موالاة اللَّه إياه ، وإنما يسقط العبد بالإصرار وترك التوبة والإعراض عن اللَّه ، والإقبال على نفسه وشهواتها ، وليست الخطيئة كذلك ، بل الخطيئة ذلة ونكبة ينكب بها العبد ، وآفة تلحقه ، وصدمة ، يصدمه عدوه وشهوته ونفسه فينتعش من صرعته وينجبر من نكبته بتوبة يحدثها ، وندم يلحقه ، وإقرار يقر به على نفسه ، وهي سبب الوصلة للأنبياء والأولياء ، والقربة إلى اللَّه تعالى ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ ﴾ [ص: ٢٤] ، ثم قال : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٢٥] ، فأخبر أن زلته كانت سبب قربته ، وقال أبو سليمان الدَّارَانِيُّ(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ : (ما عمل داود عليه السلام عملًا أنفع له من الخطيئة ما زال يهرب منها إلى ربه حتى وصل إليه) فالخطيئة للعبد سبب الفرار إلى اللَّه من نفسه ودنياه ، والاستعاذة به والالتجاء إليه من عدوه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، وقال عليه السلام : [٧٩١] « **كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** »(٣) ، وقال عليه السلام : [٧٩٢] « **لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لجَاءَ اللَّهُ بِقوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُم** »(٤) ، وقال : [٧٩٣] « **إِنَّ اللَّه تعَالى يحِبُّ المُفْتَن**

---

(١) هذا معنى حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عبد الصمد بن علي عن أبيه عن جده (٢٤٣/٣٦) .

(٢) الدَّارَانِيُّ : هذه النسبة إلى داريا ، وهي قرية كبيرة حسنة من قرى غوطة ، دمشق ... وأبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني كان من أفاضل أهل زمانه وعبادهم ، وخيار أهل الشام وزهادهم ، روى الحديث اليسير عن الربيع بن صبيح وأهل العراق ، الأنساب (٢٠٦/٢) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٧٣/أ) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٧١/أ) .

التَّوَّابَ »[١] وقال : [٧٩٤] « **إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّه مِنَ الزِّنَى أَدْرَكَه ذَلِكَ لا مَحَالَةَ ، فَزِنَى العَيْنِ النَّظَرُ ، وزِنَى اللِّسَانِ المنطِقُ ، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي ، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ ويُكَذِّبُهُ** »[٢] وقال لأبي هريرة : [٧٩٥] « **جَفَّ القَلَمُ بما أَنْتَ لاقٍ فَاخْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ** »[٣] فهذه الأخبار كلها تدل على أن العبد لا يبعد عن الله بالخطيئة والزلة ، وإنما يبعد بالإصرار على المعاصي والمبارزة لله ، فلذلك جاز إثبات الخطيئة والنسيان على الأنبياء ، على أن زلات الأنبياء على جهة الغلبة والنسيان والتأويل ، ليس على القصد والعمد وسوء النفوس ، قال الله تعالى : ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ، وأما الجحود فإنه [١٦٨/ب(خ)] مكابرة وإصرار وقصد وعزيمة وتعمد وكذب وافتراء ، وهذه الأوصاف تبعد عن[٤] هذه أوساط المؤمنين ، فكيف بالعلية منهم ، وأما الأنبياء والرسل فتوهم ذلك عليهم خطر عظيم .

ومعنى « **أردت أن أشكر** » - إن شاء الله - هو أن بين الخلق تفاوتًا ، وطبائعهم مختلفة ، ومراتبهم متباينة ، وأوصافهم شتى ، ففيهم الفطن الحكيم ، والمغفل السليم ، والعارف والجاهل ، والغبي والعاقل ، فأما أهل المعرفة بالله والعقل عنه والعلم به فإنهم يشكرون الله لأنه أهل أن يشكر ، وهو أهل الحمد والثناء ، وأما العارف فهو متيقظ فطن يشكر الله على كل حال ، وأما المغفل السليم الغبي فإنه ينسى ويذهب عليه ولا يفطن مواضع الشكر حتى ينبه عليه ويوقف لديه ، ويحرك فيه ، فجعل الله بين عباده تفاوتًا ، وبين خلقه تباينًا في الصحة والسقم والآفة والسلامة والغنى والفقر ؛ ليتنبه الغافل ، ويتذكر الناسي ، ويفطن الغبي ، فلا يخرج عن أوصاف الشاكرين ، ولا يعد من الكافرين ، ليستوجبوا الزيادة بما أنعم الله به عليهم ، ولا يستحقوا العذاب الأليم ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غني كريم .

١٦٦
باب في أي خصال الدين أحب إلى الله تعالى ؟

حديث آخر : [٧٩٦] حدثنا محمد بن حامد القَوَارِيرِيُّ حدثنا حامد بن سهل

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٦٩/ب) .
(٢) سبق في اللوحة رقم (١٧٣/أ) .
(٣) سبق في اللوحة رقم (١٧٢/ب) .
(٤) في هامش (خ) : عنها .

حدثنا الحسن بن علي الْحُلْوَانِيُّ حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَيُّ الأَدْيَانُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تعَالَى ؟ قَالَ : « الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ [١] » [٢] .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يجوز أن يكون معنى قوله : « أي الأديان » أي خصال الدين أحب إلى الله ؟ وأي أوصاف الدين أحب إلى الله ؟ ؛ لأنه لا دين يحبه الله غير الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، فليس مع الإسلام دين يرتضيه الله ويحبه ، فيكون الإسلام أحب إليه من المحبوب الآخر ، فكأن السائل سأل عن أوصاف أهل الدين الذي يحبه الله ، وكل أوصاف أهل الدين يحبها الله ، وكل خصلة من خصال الدين الذي يحبه الله [١٦٩/أ(خ)] هو الإسلام يحبها الله ، وأحبها إليه الحنيفية السمحة ، فمعنى الحنيفية التي تميل بالعبد إلى الله من الأشياء كلها ، والحنيفية أخذت من الأحنف ، وهو الذي تميل أصابع إحدى رجليه إلى الأخرى ، فالأحنف الأميل ، والحنيف المائل ، أحب أوصاف الدين إلى الله أن يميل العبد بقلبه في الأحوال كلها إلى الله ، وبجوارحه كلها إلى عبادة الله ، وهو معنى قوله : لا إله إلا الله ؛ لأن كلمة الإخلاص هو الإعراض عما سوى الله ، والإقبال بالكلية على الله ، فمعنى الكلمة المدعو إليها معنى الحنيفة ، ومعنى السمحة السهلة يجوز أن يكون معناها التساهل مع الله ، والانقياد والاستسلام له ، وهو أن يكون سهل القياد لله فيما أمر ونهى ، سمحًا بنفسه فيما قدر وقضى ، ينقاد إلى الأمر طوعًا فيأتمر ، وينقاد إلى النهي طوعًا فينزجر ، ويسمح بمر القضاء فيصبر ، ويسمح بحلوه فيشكر ، فهذه أحب أوصاف أهل الدين إلى الله تعالى ، وهو كما جاء في حديث آخر وهو ما حدثنا عبد العزيز بن محمد حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن جعفر حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الْمُزَنِيُّ ثم الأَوْسِيُّ [٣]

---

(١) الحَنِيفِيَّة السَّمْحة : ليس فيها ضيق ولا شدة ، لسان العرب مادة (سمح) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن ابن عباس (٢٣٦/١) رقم (٢١٠٧) ، وعبد بن حميد في مسنده (١٩٩/١) رقم (٥٦٩) ، والبخاري في الأدب المفرد (ص ١٠٨) رقم (٢٨٧) ، والطبراني في الكبير (٢٢٧/١١) رقم (١١٥٧٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع (٦٠/١) ، وقال ابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري : وله شاهد مرسل صحيح (٤١/٢) .

(٣) الأَوْسِيُّ : بفتح الألف ، وسكون الواو ، وفي آخرها سين مهملة ، هذه النسبة إلى الأوس ، وهو بطن من =

حدثنا ابن شهاب عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير عن أبيه عبيد الله بن عمير : [٧٩٧] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قِيلَ لَهُ : مَا الإِسْلامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَطِيبُ الْكَلامِ** » . فَقِيلَ لَه : مَا الإِيمَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **السَّمَاحُ والصَّبْرُ** » [١] فالسماح ما ذكرنا ، والصبر حبس النفس ، أي : حبسها عن الميل إلى غير الله ، وإذا حبس نفسه عما سوى الله فقد مال إلى الله ، وهذا الحديث يدل على ما تأولنا عليه الحديث الأول من قوله : « أي الأديان أحب ؟ » أن معناه أي أوصاف الدين أحب إلى الله تعالى ؛ لأنه ﷺ لما سئل عن الإسلام أجاب عن أفضل خصاله وأحب أوصافه إلى الله ، وهو إطعام الطعام ، وطيب الكلام ، ولم يجب عن الإسلام الذي أجاب به جبريل حين قال له : [٧٩٨] مَا الإِسْلامُ ؟ [١٦٩/ب(خ)] فَقَالَ : « **تُقِيمُ الصَّلاةَ وتُؤْتِي الزَّكَاةَ** » [٢] وكذلك أجاب حين سئل عن الإيمان بأحب أوصاف أهله إلى الله ، وبأفضل خصاله ، وهو السماح والصبر ، ولم يقل : أن تؤمن بالله وملائكته ، كما قال في سؤال جبريل ، فكذلك قوله : « أي الأديان أحب إلى الله ؟ » أجاب عن أفضل خصال الإسلام ، وأحب خصال أهله إلى الله ، ولو كان السؤال عن عين الدين لكان الجواب أن يقول : الإسلام ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

= الأنصار ، الأنساب (١٥٨/١) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بنحوه عن عمرو بن عبسة (٣٨٥/٤) رقم (١٩٤٥٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٢/٦) رقم (٧٠١٥) ، وعبد بن حميد في مسنده (١٢٤/١) رقم (٣٠٠) ، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٠٤/٢) رقم (٦٤٤) ، والطبراني في الكبير عن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤٩/١٧) رقم (١٠٥) ، وذكره ابن أبي حاتم في علله بألفاظ مختلفة عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن أبيه ، وقال : قال أبي قد صح الحديث عن عبيد بن عمير عن النبي ﷺ مرسلًا (١٤٩/٢) رقم (١٩٤١) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٤٠/١) رقم (١٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام (٢٧/١) رقم (٥٠) ، وأبو داود في سننه عن عمر بن الخطاب ﷺ في كتاب السنة باب في القدر (٢٢٣/٤) رقم (٤٦٩٥) ، والترمذي في جامعه في كتاب الإيمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام وقال : حسن صحيح (٦/٥) رقم (٢٦١) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الإيمان وشرائعه باب أي الإسلام أفضل (٥٢٨/٦) رقم (١١٧٢١) ، وابن ماجه في سننه في المقدمة باب في الإيمان (٢٤/١) رقم (٦٣) .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « أي الأديان أحب إلى الله ؟ » سؤالًا عن أخص أوصاف الإيمان وأرفع خصال الإسلام ؛ لأن الإعراض عما سوى الله والإقبال على الله أخص أوصاف الإيمان ، وهو التصديق بلا إله إلا الله قولًا ونيةً وإيقانًا أنه لا دافع ولا نافع ولا معطي ولا مانع إلا الله وحده ، فإذا صدق العبد بذلك وأيقن به فقد أعرض عما دون الله ، وأقبل على الله وهو معنى الحنيف ، وأخص أوصاف الإسلام الاستسلام والانقياد عند الأمر والنهي والقضاء والقدر ، وهو معنى السمحة والسماح ، فمن انقاد عند الأمر والنهي واستسلم للقضاء والقدر فقد سمح ، وهو معنى قوله ﵇ حين سئل عن الإسلام فقال : « **إطعام الطعام وطيب الكلام** » يقرب من معنى السماح ؛ لأن في إطعام الطعام إشارة إلى البذل ، وطيب الكلام كذلك ، فطيب الكلام السماح بالنفس ، وهو أن يقول : لا إله إلا الله إعراضًا عما سوى الله ، وأن يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا قوة على أداء ما أمر ، ولا حول على انتهاء ما زجر إلا بالله ، وأن تقول : الحمد لله شكرًا ، وإنا لله صبرًا ، فهذا طيب الكلام ، وإطعام الطعام السماح بالمال ؛ لأن الطعام أحب الأشياء إلى الحيوان من بني آدم وغيره ممن يتغذى ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان : ٨] ، وقال ﵇ : [٧٩٩] « **لا تُنْفِقُ امْرَأَةٌ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلا بِإِذْنِ زَوْجِهَا** » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلا الطَّعَامَ ؟ قَالَ : « **ذَاكَ أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا** » حدثناه محمد بن عبد الله الرَّازِيُّ حدثنا أبو القاسم المَنِيعِيُّ [1] حدثنا صالح الخَوَارِزْمِيُّ [2] حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا شرحبيل بن مسلم [١٧٠/أ(خ)] الخَوْلانِيُّ قال : سمعت أبا أمامة البَاهِلِيَّ قال : « خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ ذَلِكَ » [3] .

فمن سمح ببذل الطعام كان ببذل ما دونه أسمح ، وكل ما سوى النفس والمال تبع لهما ، فمن أعرض عنهما فقد أعرض عما سوى الله ، ومن أعرض عما سوى الله

---

(١) المَنِيعِيُّ : بفتح الميم ، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين ، وفي آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى منيع ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه ، منهم : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المعروف بالمنيعي ... وكان محدث بغداد في عصره ، الأنساب (٣٦٦/٤) .

(٢) الخَوَارِزْمِيُّ : هذه النسبة إلى بلدة خوارزم ، الأنساب (١٨٧/٢) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن أبي أمامة الباهلي في كتاب الزكاة باب في نفقة المرأة من بيت زوجها ، وقال : حديث حسن (٥٧/٣) رقم (٦٧٠) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٨/٩) رقم (١٦٣٠٨) .

فقد أقبل على الله ، ومن أقبل على الله فهو الحنيف السمح ، وإنما كان ما دون النفس والمال تبعًا لهما ؛ لأن ما عبد من دون الله فإنما عبد بهوى النفس ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم: ١٩- ٢٣] [فقد أخبر أنهم إنما عبدوا الأوثان بهوى النفس] (١) ، وقال الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤] ، وقال : ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨] فأخبر أن من كفر بالله وأشرك مع الله فإنما أتي من قبل النفس والمال ، أعاذنا الله من فتنتهما ، [ووقانا شرهما إنه سميع مجيب] (٢) ، فلذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ الآية [التوبة: ١١١] ، فالمؤمنون سلموها إلى مشتريهما طيبة بذلك نفوسهم ، فسلموا من فتنتهما ، جعلنا الله منهم وفيهم إنه سميع مجيب .

ومما يدل على أن المعنى في طيب الكلام وإطعام الطعام هو السماح بالنفس والمال ما حدثنا أبو جعفر الجمال حدثنا جعفر بن إلياس حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر قال : سمعت عمي محمد بن المنكدر يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [٨٠٠] « **قَالَ جِبْرِيلُ** عليه السلام **: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّ هَذَا دِينٌ ارْتَضَيْتُه لِنَفْسِي ، وَلَنْ يُصْلِحَه إِلا السَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ فَأَكْرِمُوه بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوه** » (٣) .

فالسخاء السماح بالملك ، وحسن الخلق السماح بالنفس ؛ لأن غاية حسن الخلق ألا يشكو سوء أخلاق الناس ولا يحملهم على الشكوى منه ، فهو يتحمل عنهم

(١ ، ٢) من هامش (خ) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن جابر بن عبد الله (٤٣٣/٧) رقم (١٠٨٦٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب بألفاظ متقاربة عن جوير (٣٢٩/٢) رقم (١٤٦٠) ، وعبد الكريم القزويني في التدوين في أخبار قزوين بلفظه عن أنس بن مالك وقال : قال أبو عبد الله الدقاق : هذا حسن من هذا الطريق وهو مما يدخل في المسلسلات (١١٤/٤) ، وأخرجه الطبراني في الأوسط بألفاظ مختلفة عن جابر (٣٧٥/٨) رقم (٨٩٢٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر وهو ضعيف وكذلك مقدام بن داود (٢٠/٨) ، وذكر ابن أبي حاتم في العلل بلفظه وقال : هو حديث موضوع ، وعبد الملك مضرب الحديث (٣٤٣/٢) رقم (٢٥٥٤) . وعبد الملك هذا هو عبد الملك بن مسلمة وهو من رجال إسناد المصنف .

ولا يحملهم بحسن عشرته معهم .

ويجوز أن يكون قوله : « أي الأديان أحب إلى الله ؟ » يريد به : أي الأديان يحبه الله ؟ فقال : « **الحنيفية السمحة** » يريد به دين الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] كأنه قال : لا يحب الله من الأديان إلا الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ [١٧٠/ب(خ)] ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٢] .

ومعنى « **الحنيفية** » أي : التي مالت عن اليهودية والنصرانية وعن سائر الأديان كلها فهي مستقيمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

ومعنى « **السمحة** » : السهلة الواضحة التي ليس فيها آصار سائر الأديان ومشقة سائر الملل ، بل هو دين سهل لا شدة فيه ولا مشقة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وقال ﷺ : [٨٠١] « **جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلاةُ صَلَّيْتُ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِقَوْمٍ سُودِ الرُّؤُوسِ قَبْلَكُم** » (١) .

وحدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد الطَّوَاوِيسِيُّ (٢) حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن المَدِينِيُّ حدثنا حسان بن إبراهيم الكِرْمَانِيُّ (٣) عن موسى

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ وقد أخرج الجزء الأول من الحديث البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن جابر في كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجدًا » (١٦٨/١) رقم (٤٢٧) ، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٣٧١/١) رقم (٥٢٣) ، والترمذي في جامعه في كتاب الجهاد باب ما جاء في الغنيمة ، وقال : حسن صحيح (١٢٣/٤) رقم (١٥٥٣) ، والدارمي في سننه عن أبي ذر بألفاظ مختلفة (٢٩٥/٢) رقم (٢٤٦٧) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٢/ ٥٠١) رقم (١٠٥٢٤) ، والحاكم في مستدركه عن أبي ذر ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي (٤٦٠/٢) رقم (٣٥٨٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن جابر بألفاظ مختلفة (٢١٢/١) رقم (٩٥٨) ، وأما الجزء الثاني من الحديث وأوله : « وأحلت لي » فقد أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنفال ، وقال : حسن صحيح (٢٧١/٥) رقم (٣٠٨٥) ، والطيالسي في مسنده (٣١٨/١) رقم (٢٤٢٩) .

(٢) الطَّوَاوِيسِيُّ : بفتح الطاء المهملة ، والألف بين الواوين : المفتوحة والمكسورة ، وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وفي آخرها السين ، هذه النسبة إلى طواويس ، وهي قرية من قرى بخارى ، الأنساب (٢٧٢/٣) .

(٣) الكِرْمَانِيُّ : بكسر الكاف ، وقيل بفتحها وسكون الراء ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى بلدان =

ابن كثير عن الربيع بن خيثم قال : قال ابن مسعود ﷺ : [٨٠٢] « ثَكِلَتْنَا أُمَّهَاتُنَا [١] ، وَيْحَنَا ، مَا لَنَا نُؤْفَكُ عَنِ الخيرِ ؟! فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ دُونَ الجَنَّةِ ونَعِيمِهَا بِحَارٌ مِنْ نِيرَانٍ تَأَجَّجُ فَقِيلَ لَنَا : إِنَّه لَنْ يَدْخُلَ هَذِه الجَنَّةَ إِلا مَنْ خَاضَ هَذِه النِّيرَانَ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ لَكَانَ لجميعِ الخلْقِ أَنْ يَـفْـعَـلُوه ، فَـكَيْفَ وَإِنَّمَا هُوَ دِينُ اللَّهِ وَالإِسْلامُ ، سُبُلُه الْوَاضِحَةُ ، وسُنَنُه الوَاسِعَةُ ، الدِّينُ المستَقِيمُ لا أَوَدَ [٢] فِيهِ وَلا عِوَجَ ، وَلا شِدَّةَ فِيهِ وَلا حَرَجَ ؟! فَيُنَجِّي اللَّهُ بِتَوْحِيدِهِ مِنَ النَّارِ غَدًا ، ويُدْخِلُ بِهِ الجَنَّةَ ، وَيَغْفِرُ فِيهِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ وبالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ ، وإِنْ كَانَتْ أَعْظَمَ مِنَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، ويَغْفِرُ بِاسْتِغْفَارِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ذُنُوبَ الْعُـمْـرِ كُلِّهِ ، وَإِنْ كَانَتْ بَلَغَتْ المشْرِقَ والمغْرِبَ » [٣] .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « أحب الأديان إلى اللَّه الحنيفية السمحة » أي الإسلام الذي هو دين اللَّه قديمًا وحديثًا حبيب اللَّه من الأديان ، وأحبه إلى اللَّه الذي أتيت به وهو السمح ، فإنه كان الدين في الأمم كلها الإسلام ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وكان حبيب اللَّه من الأديان والسمحة التي أتى بها محمد أحبها إلى اللَّه ، وهي التي ليس فيها إصر ولا كلفة ولا [١٧١/أ(خ)] مشقة كانت من قبل ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، فكان دين اللَّه الذي لا يقبل دينًا غيره ولا يرضى سواه في الأمم كلها هو الإسلام ، غير أنه كان فيه ومعه آصار وكلف ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٤] ، فكانت توبة بني إسرائيل في قتل بعضهم بعضًا وسائر ما كان فيهم من ثقل الشرائع وغلظ الأحكام فجاء النبي ﷺ بالدين الحنيف الذي جاءت به الرسل مع سهولة وسماحة ولين ورفق ، وكان ذلك أحب إلى اللَّه لهذه الأمة وأرضاه لها ؛ لأنها أحب الأمم إلى اللَّه ورسولها أحب الرسل وأكرمهم عليه فعاملهم اللَّه بالرفق والسهولة والسماح ؛ فقال : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] ،

= شتى ... يقال لجميعها : كرمان ، الأنساب (١٤١/٤) .

(١) ثَكِلَتْك أُمُّك : أي فَقَدَتْك . والثُّكْل : فَقْد الوَلَد ، النهاية مادة (ثكل) ، (٢١٧/١) .

(٢) أوِدَ الشيء : اعوج ، مختار الصحاح مادة (أود) .

(٣) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، فيه عبد اللَّه بن محمد بن يعقوب الحارثي - شيخ المصنف - متهم بالوضع ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) ، وفيه عبد اللَّه بن عبد الرحمن المديني ضعيف ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩٦/٥) رقم (٤٤٧) .

وقال : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ، وقال في غير آية : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ، وأرسل رسولًا وصفه بالرحمة واللين فقال : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، وقال : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ، وقال : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، والله أعلم .

١٦٧
باب في غيرة الله ﷻ على عباده المؤمنين

حديث آخر : [٨٠٣] حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن الحسن بن أبي عتاب الأعين حدثنا داود بن المحبر حدثنا الهيثم بن جماز عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ بَكَى عَلَى الجنَّةِ أَدْخَلَه اللَّهُ الجنَّةَ ، وَمَنْ بَكَى عَلَى الدُّنْيَا أَدْخَلَه اللَّهُ النَّارَ** » . قِيلَ : وَكَيْفَ يَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا ؟ قَالَ : « **يُرَى لِلنَّاسِ أَنَّه يَبْكِي عَلَى الآخِرَةِ وَيَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا بُغْضًا لَهَا** » (١) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : أبغض الخلق إلى الله تعالى من آذى أولياءه وشغل أحباءه وصرف بوجوه عباده عنه وشغلهم منه ، وحال بينهم وبين السير إليه والإقبال عليه ، وهذه أفعال عدو الله إبليس ، قال الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩] ، وقال : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ [١٧١/ب(خ)] وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] ، وقال ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ، وقال : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن موسى بن يسار (٣٣٨/٧) رقم (١٠٥٠٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء من كلام أبي سليمان (٢٦٧/٩) . والحديث إسناده ضعيف ، فيه الهيثم بن جماز ، قال فيه العقيلي : حديثه غير محفوظ ، ضعفاء العقيلي (٣٥٥/٤) رقم (١٩٦٤) ، وقال فيه ابن حبان : كان من العباد البكائين ممن غفل عن الحديث والحفظ واشتغل بالعبادة حتى كان يروي المعضلات عن الثقات توهمًا ، فلما ظهر ذلك فيه بطل الاحتجاج به ، المجروحين من المحدثين (٩١/٣) رقم (١١٥٩) ، وضعفه ابن عدي في الكامل (١٠١/٧) رقم (٢٠١٨) ، وابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين (١٧١/٣) رقم (٣٦١٨) ، والذهبي في ميزان الاعتدال (١٠٥/٧) رقم (٩٣٠٠) .

مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] ، ثم وصف الدنيا بأنها غرارة ، فقال : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [لقمان : ٣٣] ، وقال : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠] ، وقال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران : ١٤] فلما كانت الدنيا متعرضة لأوليائه ، داعية لهم ، شاغلة لهم ، مؤذية لهم ، بذلك صارت بغيضة الله ، وأبغض الأشياء إليه ؛ لأنها تؤذي أولياءه ، وتدعو المتقين ، وتشغل العباد المخلصين ، وتحول بين عامة المؤمنين وبين السير إلى الله ، وتصرف بوجوه كثير منهم عن الله ، فهي فتنة ومحنة لأولياء الله ، وللكبار مؤذية ، وللخواص داعية ، وللعارفين شاغلة ، وللمريدين حائلة ، ولعامة المؤمنين قاطعة ، وللأعداء قاتلة ، ولهم مهلكة ، والله تعالى لأوليائه ناصر ، وللمؤمنين ولي ، وعلى محبيه غيور ، وهو - جل وعز - يحول بينها وبين من أحبهم واصطفاهم واصطنعهم واجتباهم من أنبيائه المصطنعين ، ورسله المصطفين ، فليس لها إليهم طريق ، ولا لها عليهم سبيل ، وهو يحمي عنها أولياءه ، ويذهب عنها أصفياءه ، فلا يتدنسون بها ، ولا يتلطخون بقذارتها ، ولا يتشرقون بغصصها ، وإن كانوا يريدونها ، قال النبي ﷺ : [٨٠٤] « **إِنَّ اللَّهَ لَيَحْمِي عَبْدَه الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّه كَمَا تَحْمُونَ مَرْضَاكُم** » حدثناه محمد بن حيان أخبرنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن الإِسْكَنْدَرَانِيّ [١] عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد : « أن رسول الله ﷺ قال ذلك » [٢] .

ويبلي بها خواص المؤمنين ، ويضيقها عليهم ، ويجد بها لهم غيرة عليهم ، فهم فيها متثاقلون ، وإلى النجاة منها مشتاقون ، قال النبي ﷺ : [٨٠٥] « **الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وسنته** [٣] ، **فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ والسنة** » حدثناه محمد بن هاد [٤] حدثنا

---

(١) الإِسْكَنْدَرَانِيّ : بكسر الألف ، وسكون السين المهملة ، وفتح الكاف ، وسكون النون ، وفتح الدال والراء المهملتين ، في آخرها النون ، هذه النسبة إلى الإسكندرية ، وهي بلدة على طرف بحر المغرب من آخر حد ديار مصر ، بناها ذو القَرنين الإسكندر وإليه نسب البلدة ... والمشهور بهذه النسبة أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن كثر المناكير في روايته فلا يجوز الاحتجاج به بحال ، الأنساب (١/١٠٥) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن محمود بن لبيد (٥/٤٢٧) رقم (٢٣٦٧١) ، والحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري وقال : صحيح الإسناد وسكت عنه الذهبي (٤/٢٣١) رقم (٧٤٦٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن محمود بن لبيد (٧/٣٢١) رقم (١٠٤٥٠) ، وابن أبي عاصم في الزهد (١/١١) ، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣/١٣٧٩) رقم (٢٣٤٧) .

(٣) قال في كشف الخفاء : قال في اللآلئ : والمراد بالسنة الجدب (١/٤٩٤) .

(٤) غير واضحة في (خ) .

محمد بن رجاز (١) حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن يحيى بن أيوب حدثني قتادة بن جنادة الْمَعَافِرِيُّ أن أبا عبد الله [١٧٢/أ(خ)] عبد الرحمن الحُبُلِي حدثه عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ بذلك (٢) .

ويطهر من تدنس بها من عامة المؤمنين ، ويخلص من وقع في شبكتها من سائر المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] ، وقال : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقال : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] ، ويصرف بها وجوه أعدائه ، ويطردهم بها عن بابه ، ويعمي بها قلوبهم ، ويصم بها أسماعهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : ٤٤] ، وقال : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [المؤمنون : ٥٥، ٥٦] ، فهو تعالى أبغض الدنيا ؛ لأنها آذت محبيه ، ولعنها لما أرادت مريديه ، ومقتها حين شغلت طالبيه وأهانت إذ فتنت المؤمنين ، وأبعدها لخداعها المسلمين ، أعاذنا الله من فتنتها ، وعصمنا من شرها ، آمين رب العالمين .

١٦٨
باب في الزجر عن الاعتراض على الكبراء

حديث آخر : [٨٠٦] حدثنا عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر حدثني أبو ضمرة عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ : أَنَّ شَاةً ذُبِحَتْ وَطُبِخَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَعْطِنِي الذِّرَاعَ** » . فَنَاوَلَه إِيَّاه ، ثُمَّ قَالَ : « **أَعْطِنِي الذِّرَاعَ** » . فَنَاوَلَه إِيَّاه . ثُمَّ قَالَ : « **أَعْطِنِي الذِّرَاعَ** » . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا لِلشَّاةِ ذِرَاعَانِ . فَقَالَ : « **أَمَا إِنَّكَ لَوْ ابْتَغَيْتَهَا لَوَجَدْتَهَا** » (٣)

---

(١) في هامش (خ) : رجاء .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن عبد الله بن عمرو (١٩٧/٢) رقم (٦٨٥٥) ، والحاكم في مستدركه بألفاظ متقاربة وسكت عنه الذهبي (٣٥١/٤) رقم (٧٨٨٢) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١٣٧/١) رقم (٣٤٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني باختصار ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن جنادة وهو ثقة (٢٨٩/١٠) .

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الوليمة باب الكتف (١٥٤/٤) رقم (٦٦٥٩) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٥١٧/٢) رقم (١٠٧١٧) ، وابن حبان =

وحدثنا أحمد بن سهل حدثنا الحسن بن المثنى حدثنا عفان بن مسلم حدثنا أبان حدثنا قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي عبيدة ﷺ : [٨٠٧] أَنَّه طبخَ لِرَسُولِ اللَّهِ قِدْرًا فِيهَا لَحْمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **نَاوِلْنِي ذِرَاعَهَا** » . فَنَاوَلْتُه ذِرَاعَهَا . فَقَالَ : « **نَاوِلْنِي ذِرَاعَهَا** » . فَنَاوَلْتُه ذِرَاعَهَا . فَقَالَ : « **نَاوِلْنِي ذِرَاعَهَا** » . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَمْ لِلشَّاةِ مِنْ ذِرَاعٍ ؟! قَالَ : « **وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ سَكَتَّ لأُعْطِيتَ ذِرَاعًا مَا دَعَوْت** » [(١)] .

قال الشيخ رحمه الله : في هذا الحديث زجر عن الاعتراض على الكبراء ، وأمر بالتسليم لهم ، والانقياد والاسترسال معهم فيما علم أو جهل ، تعظيمًا لهم ، وإجلالًا لأقدارهم ، ورفعهم عن المقابلة لهم ؛ لأنهم بالله قائلون ، وبه متصرفون ، وعن أوصافهم مأخوذون ، وعن نعوتهم [١٧٢/ب(خ)] وعن أيامهم مصرفون ، فالمعترض عليهم معترض على مصرفهم ، والمقابل لهم مناوئ [(٢)] لمقلبهم والمستسلم لهم مستسلم لله ، والمنقاد لهم منقاد له ﷻ ؛ لأنه بتقليبه أيامهم يتقلبون ، وبتصريفه أيامهم يتصرفون ، وبأمره يفضون ، قال النبي ﷺ رواية : [٨٠٨] « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه ، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ رِجْلَه التِي يَمْشِي بِهَا ، وَيَدَه التي يَبْطِشُ بِهَا ، وَلِسَانَه الذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَقَلْبَه الذِي يَعْقِلُ بِهِ** » [(٣)] ، لذلك قال النبي عليه السلام : [٨٠٩] « **جَالِسِ الْكُبَرَاءَ** » [(٤)] فأمر بمجالستهم فقط ، وأما العلماء فأمر بمساءلتهم ، والحكماء بمخاللتهم ومخالطتهم ، فالمجالسة لهم إنما تكون للتوقير والتعظيم والإجلال ، والانقياد لهم ، والتسليم لأمرهم ، وترك الاعتراض عليهم فيما ساء وسر ، وفيما علم وجهل ، فمن جالسهم وجب عليه الاستسلام لهم والائتمار لأمرهم والانتهاء عما ينهون ، من غير اعتراض عليهم ولا سؤال منهم إلا فيما

= في صحيحه بألفاظ مختلفة (٤٠٣/١٤) رقم (٦٤٨٤) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي عبيدة (٤٨٤/٣) رقم (١٦٠١٠) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى عن أبي رافع (٣٩٣/١) ، والمحاملي في أماليه (٢٦٣/١) رقم (٢٥٧) ، والطبراني في الكبير (٣٢٥/١) رقم (٩٧٠) ، والأصبهاني في دلائل النبوة بألفاظ متقاربة عن أبي عبيدة (١٠٧/١) رقم (١٠٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني من طرق ... وأحد إسنادي أحمد حسن (٣١١/٨) .

(٢) في هامش (خ) : المناوأة المخالفة .

(٣) الحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة عن حسان بن عطية (٣٦٥/١) رقم (١٠٣٢) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة عن ميمونة (٥٢٠/١٢) رقم (٧٠٨٧) ، والبيهقي في الزهد الكبير بألفاظ مختلفة عن أبي أمامة (٢٧٣/٢) رقم (٧٠٢) ، والطبراني في الكبير (٢٠٦/٨) رقم (٧٨٣٣) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٤٠/أ) .

أذنوا فيه ، والسكوت عما يسكت عنه .

حدثنا أحمد بن خالد بن قيس المكتب حدثنا موسى بن واهب حدثنا سفيان بن عبد الحكيم حدثنا علي بن الحسن بن شقيق أخبرنا الحسين بن واقد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة ﷺ قال : [٨١٠] سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، كُتِبَ عَلَيْكُم الحَجُّ** » . فَقَامَ عُكَاشَةُ [١] بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ : الحَجُّ كُل عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « **لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُمُوهَا لَضَلِلْتُم ، اسْكُتُوا عَمَّا سَكَتُّ عَنْكُم ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِم واخْتِلافِهِم عَلَى أَنْبِيَائِهِم** » ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ الآية [المائدة : ١٠١] [٢] .

والاعتراض والتكلف قديمًا مشأم أهله ، وقطع البركة ، وحرم اليمن والزيادة صاحبه خاصة والناس عامة ، والأخبار في ترك التكلف والاعتراض على الحال وفي التسليم والانقياد وحرمان البركة في التكلف كثيرة ، من ذلك حديث زمزم ، وهو ما حدثنا خلف بن محمد حدثنا إبراهيم بن معقل حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني عبد الله ابن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب السَّخْتِيَانِيِّ [٣] وكثير بن كثير ابن المطلب بن أبي وداعة - يزيد أحدهما [١٧٣/أ(خ)] على الآخر - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال : [٨١١] « **يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ عَيْنًا مَعِينًا** - أَوْ قَالَ : **لَمْ تَغرِفْ مِنَ المَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا** » [٤] ،

---

(١) في هامش (خ) : بالتخفيف عند المحدثين ، وعند الفاريابي بالتشديد .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الحج باب وجوب الحج (٣١٩/٢) رقم (٣٥٩٨) ، والدارمي في سننه عن ابن عباس (٤٦/٢) رقم (١٧٨٨) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٥٠٨/٢) رقم (١٠٦١٥) ، والحاكم في مستدركه عن ابن عباس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٦٤٣/١) رقم (١٧٢٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٢٦/٤) رقم (٨٤٠٠) ، ومحمد بن إسحاق الفاكهي في أخبار مكة بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٣٧٠/١) رقم (٧٧٥) ، والطبري في جامع البيان (٨٢/٧) ، والدارقطني في سننه بألفاظ مختلفة (٢٨٢/٢) رقم (٢٠٦) ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة (٨١/٢) رقم (٩٥٥) .

(٣) السَّخْتِيَانِيِّ : بفتح السين المهملة ، وسكون الخاء المعجمة بواحدة ، وكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها ، وفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى عمل السَّختيان وبيعها ، وهي جلود الضأنية ليست بأدم ، والمشهور بهذه النسبة : أبو بكر أيوب بن أبي تيمية السختياني ... وكان ممن اشتهر بالفضل والعلم والفقه والنسك والحفظ والإتقان والصلابة في السنة ، والقمع لأهل البدع ، الأنساب (٢٤/٣) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الشرب والمساقاة باب من =

وذلك أنه لما ظهر زمزم حوضته أم إسماعيل .

وحدثنا أحمد بن عبد اللَّه الْهَرَوِيُّ حدثنا محمد بن نصر بن منصور الصائغ حدثنا إبراهيم بن حمزة الزُّبَيْرِيُّ حدثنا سفيان بن حمزة الأَسْلَمِيُّ عن كثير بن زيد عن محمد ابن حمزة الأَسْلَمِيِّ عن أبيه قال : [٨١٢] كُنَّا في سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يَدُورُ طَعَامُه على يَدَيْ أَصْحَابِهِ هَذَا لَيْلَةً وَهَذَا لَيْلَةً ، فَدَارَ طَعَامُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيَّ لَيْلَةً ، فَصَنَعْتُ طَعَامَه ، وَتَرَكْتُ النِّحْيَ [١] فَلَمْ أُوكِهِ ، فَأُهْرِيقَ ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ بِطَعَامِهِ ، فَقَالَ لي : « **ادْنُه** » . فَقُلْتُ : لا أَسْتَطِيعُ . فَرَجَعْتُ فَإِذَا النِّحْيُ يَقُولُ : قَبْ قَبْ . فَقُلْتُ : قَدْ أُهْرِيقَ طَعَامُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى يَدَيَّ فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ ، فَإِذَا النِّحْيُ قَدْ مُلِئَ إِلَى ثَدْيَيْهِ ، فَاجْتَذَبْتُه ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبَرْتُه ، فَقَالَ : « **أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَرَكْتَه لَمُلِئَ إِلى فِيهِ ، وَأَوْكِي** » [٢] .

وما قص اللَّه تعالى من قصة موسى ﷺ والعالم [٣] ، ونهي العالم إياه عن الاعتراض عليه فيما يفعله ، وألا يبادئه بالسؤال مستخبرًا حتى يكون هو الذي يخبره بقوله ﷻ : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ [الكهف : ٧٠] فرأى ﷺ من العالم ما أنكره من إتلاف أموال الناس ، والتعرض لإهلاك كثير منهم في خرقه السفينة ، وقتل نفس زكية قبل أن يبلغ الحلم فترك الشرط فحرم بركة صحبته وانقطعت الزيادة من علمه في قوله : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف : ٧٧، ٧٨] ، قال النبي ﷺ : [٨١٣] « **وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا** » [٤] ، وقال أيضًا : [٨١٤] « **يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى ، لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا** » حدثناه خلف حدثنا إبراهيم حدثنا محمد حدثنا علي بن عبد اللَّه حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار

= رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه (٨٣٤/٢) رقم (٢٢٣٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب هاجر ﵂ (١٠٠/٥) رقم (٨٣٧٩) ، وأحمد في مسنده (٣٤٧/١) رقم (٣٢٥٠) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٩٨/٥) رقم (٩١٥٣) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي بن كعب (٢٦/٩) رقم (٣٧١٣) ، وعبد الرزاق في مصنفه عن ابن عباس (١٠٧/٥) رقم (٩١٠٧) ، والطبري في جامع البيان (٢٢٩/١٣) ، وعبد الكريم القزويني في التدوين في أخبار قزوين (١٠٢/١) .

(١) النِّحْيُ : بالكسر زِقٌّ للسمن والجمع أَنْحاءٌ ، مختار الصحاح مادة (نحي) .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن حمزة بن عمرو الأسلمي (١٥٩/٣) رقم (٢٩٩٢) ، ووثق الهيثمي رجال إسناده ، مجمع الزوائد (٣١٠/٨) .

(٣) في هامش (خ) : أي الخضر .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي بن كعب في كتاب الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى ﵉ (١٢٤٧/٣) رقم (٣٢٢٠) ، والحميدي في مسنده (١٨٣/١) رقم (٣٧١) .

أخبرنا سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ بذلك (١) .

فموسى كليم الله ومحبه ورسوله ونبيه ، والعبد الصالح مختلف فيه أنبيًا كان أم عبدًا صالحًا ؟ [١٧٣/ب(خ)] ، ود النبي عليه السلام أنه لو صبر عليه ، ولم يسأله لقص الله من أمرهما ما ازددنا به علمًا ، فأخبر أنه إنما انقطعت بركة زيادة العلم بالاعتراض ، ومن الاعتراض وكراهة النبي عليه السلام بذلك ما حدثنا عبد الله بن محمد الحَارِثِيُّ حدثنا محمد ابن إبراهيم بن سعيد الحَنَفِيُّ (٢) حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن أبي إسحاق حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب عن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب ﷺ قال : [٨١٥] دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى فَاطِمَةَ مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَيْقَظَنَا لِلصَّلاةِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَصَلَّى هَوْنًا (٣) مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمْ يَسْمَعْ لَنَا حِسًّا ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا فَأَيْقَظَنَا . قَالَ : « **قُومَا فَصَلِّيَا** » . فَجَلَسْتُ وَأَنَا أَعْرُكُ عَيْنَيَّ (٤) ، وَأَقُولُ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُصَلِّي إِلا مَا كُتِبَ لَنَا ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا . قَالَ : فَوَلَّى رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : « **مَا نُصَلِّي إِلا مَا كُتِبَ لَنَا ، مَا نُصَلِّي إِلا مَا كُتِبَ لَنَا !** ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤] » (٥) .

كره عليه السلام ذلك من قول علي ، وإن كان كما قاله ؛ لأن فيه محاجة واعتراضًا ، والعبد محجوج وليس بمحج ، ثم من الاعتراض ما هو على الله ، ومنه ما هو على

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي بن كعب في كتاب الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (١٢٤٧/٣) رقم (٣٢٢٠) .

(٢) الحَنَفِيُّ : بفتح الحاء المهملة والنون ، وفي آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى بني حنيفة ، وهم قوم أكثرهم نزلوا اليمامة ، وكانوا قد تبعوا مسيلمة الكذاب المتنبي ، ثم أسلموا زمن أبي بكر ﷺ ، الأنساب (١٠١/٢) .

(٣) أي : يسيرًا ، جاء في النهاية : في صفته عليه الصلاة والسلام : يمشي هَونًا . الهَون : الرِفْق واللِّين والتَّثبت ، النهاية مادة (هون) ، (٢٨٣/٥) .

(٤) أعرك عيني : أحكهما ، قال ابن منظور : عَرَكَ بجنبه ما كان من صاحبه يَعْرُكه : كأنه حكه حتى عَفَّاه ، لسان العرب مادة (عرك) .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن علي بن أبي طالب (٩١/١) رقم (٧٠٥) ، والنسائي في المجتبى (٢٠٦/٣) رقم (١٦١٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٧٨/٢) رقم (١١٣٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٠١/١) رقم (٣٦٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : قلت : هو في الصحيح باختصار رواه أحمد وفيه حكيم بن حكيم بن عباد ضعفه ابن سعد ووثقه ابن حبان (٢٦٣/٢) ، وحكيم بن حكيم من رجال إسناد المصنف .

رسول اللَّه ، ومنه ما هو على أولياء اللَّه ، وظنه [١] ما هو في فعل اللَّه وما يحدثه في خلقه ، فمن اعترض على اللَّه تأبيًا وتحكمًا عليه ، ونظرًا إلى نفسه كان من الكافرين كإبليس - لعنه اللَّه - أمره اللَّه بالسجود لآدم ، فقال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [ص: ٧٦] ، وقال : ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٧١] ، قال اللَّه تعالى : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] ، ثم من اعترض متكلفًا ما ليس له سائلًا عما لا ينبغي له ابتلي وعذب كما ابتليت الملائكة حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ الآية [البقرة: ٣٠] ، قال اللَّه تعالى زاجرًا لهم : ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] ، قيل في بعض الروايات الكتبية [٢] : فأرسل اللَّه على طائفة منها نارًا فأحرقتهم ، وفي قصة هاروت وماروت وما أصابهما باعتراضهما في شأن بني آدم بيان شؤم الاعتراض ، والاعتراض على الأنبياء والتكلف في السؤال والتعمق أقله [١٧٤/أ(خ)] فيما قص اللَّه في قصة بني إسرائيل في شأن البقرة ، وفي الحديث : [٨١٦] « **لَوْ أَخَذُوا أَدْنَى بَقَرَةٍ لأَجْزَأَتْ عَنْهُم ، وَلَكِنَّهُم شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِم** » [٣] ، ومن ذلك ما حدثنا محمد بن نعيم أخبرنا أبو حاتم الرَّازِيُّ حدثنا الأنصَارِيُّ حدثني ابن جريج أخبرني يوسف بن الحكم عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن حنة أخبرناه عن عبد الرحمن بن عوف ورجال من الأنصار من أصحاب النبي من الأنصار : [٨١٧] أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلى النَّبِيِّ يَوْمَ الفَتْحِ والنَّبِيُّ في مَجْلِسٍ قَرِيبٍ مِنَ المَقَامِ وسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ إِن فَتَحَ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَنْ أُصَلِّيَ في بَيْتِ المَقْدِسِ وإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مِنْ أَهْلِي هَا هُنَا مِنْ قُرَيْشٍ خَفِيرًا [٤] مُقْبِلًا ومُدْبِرًا . فقال النبي عليه السلام : « **هَا هُنَا فَصَلِّ** » ، فَقَالَ في الرَّابِعَةِ مَقَالَتَه هَذِه . فَقَالَ لَه النَّبِيُّ عليه السلام : « **اذْهَبْ فَصَلِّ ، فَوَالذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالحَقِّ لَوْ صَلَّيْتَ هَا هُنَا لأَجْزَأَتْ عَنْكَ صَلاتُكَ في بَيْتِ المَقْدِسِ** » [٥] .

---

(١) في هامش (خ) : ومنه .

(٢) في هامش (خ) : أي لا من أفواه الثقات .

(٣) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان بألفاظ مختلفة عن ابن عباس ، وبلفظه دون قوله : « ولكنهم شددوا .. » عن عبيدة السلماني (١/٣٤٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي عبيدة السلماني (٦/٢٢٠) رقم (١٢٠٢٨) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي هريرة ، وقال : رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف وبقية رجاله ثقات (٦/٣١٤) .

(٤) خَفِيرًا : أي حَامِيًا وكفيلًا ، النهاية مادة (خفر) ، (٢/٥٢) .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف (٥/٣٧٣) رقم =

ومن الاعتراض في فعل اللّٰه وما يحدثه في خلقه ما ذكرنا في قصة زمزم وحديث المرأة التي كانت في بني إسرائيل أنها نصبت رحاها على حسن ظن باللّٰه ، فإذا هي تطحن ، فأخذت حاجتها ورفعت الحجر ، قال النبي ﷺ : [٨١٨] « **وَاللّٰهِ لَوْ تَرَكْتِهَا لَدَارَتْ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ** » [١] وحديث الذراع الذي ذكرناه ، ولذلك نظائر كثيرة كلها تدل على أن [٢] الاعتراض في أمر اللّٰه يقطع البركة ويحرم الخير ، وبالاعتراض على اللّٰه والتكلف في دين اللّٰه والتعمق في الخوض في صفات اللّٰه هلك الهالكون من أصحاب الأهواء وأصحاب الآراء ، تكلفوا الخوض فيما دفع عنهم الخوض فيه فوقعوا في الشبهات فضلوا وأضلوا ، ولو انقادوا لحكم اللّٰه واستسلموا لأمر اللّٰه ، ولم يتعمقوا في دين اللّٰه لسلموا ، فقد قال النبي ﷺ : [٨١٩] « **أَتَيْتُكُم بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ** » [٣] فالواجب على المتأدب بأدب اللّٰه أن يأتمر بأمر اللّٰه ، وينتهي عن مناهيه ، ويقف على ما وقف به عليه ، ولا يعدو طوره ، ولا يجاوز حده ، ويتابع رسول اللّٰه فيما أمر ونهى ، وينقاد لأمر اللّٰه فلا يعترض في الأحوال ، ولا يتحير فيها ؛ بل يرضى بقضاء اللّٰه [١٧٤/ب(خ)] ويستسلم لأمر اللّٰه ، ولا يتحكم على اللّٰه ، ولا يختار إلا ما أمر بالاختيار فيه ؛ وذلك أنه إذا اجتمع أمران في الدين أحدهما أيسر من الآخر فإنه يختار الأيسر ؛ معرفة بعجزه وضعفه وتذللًا للّٰه ، كما كان النبي ﷺ يفعله ، قالت عائشة رضي الله عنها : [٨٢٠] « ما خُيِّرَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بينَ أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ الذِي هُوَ أَيْسَرَ » [٤] ، أو يجتمع أمران أحدهما من أمر الآخرة والآخر من أمور الدنيا فإنه يختار أمر

= (٢٣٢١٧) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٥٥/٨) رقم (١٥٨٩٠) ، والفاكهي في أخبار مكة عن عبد اللّٰه بن طاوس عن أبيه (١٠٥/٢) رقم (١٢٩) ، وأبو سعيد الشاشي في مسنده عن عبد الرحمن ابن عوف (٢٨٦/١) رقم (٢٥٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه مختصرًا عن جابر (٩٦/٣) رقم (١٢٤٣٩) ، والطبراني في الكبير مختصرًا عن عطاء بن أبي رباح (٣٢٠/٧) رقم (٧٢٥٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير مرسلًا ورجاله ثقات (١٩٢/٤) .

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظه عن أبي هريرة (٣٧٠/٥) رقم (٥٥٨٨) .

(٢) من هامش (خ) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن أبي أمامة (٢٦٦/٥) رقم (٢٢٣٤٥) ، والروياني في مسنده (٣١٧/٢) رقم (١٢٧٩) ، والطبراني في الكبير (١٧٠/٨) رقم (٧٧١٥) ، قال العجلوني في كشف الخفاء : ورواه أحمد في مسنده بسند حسن عن عائشة (٥٢/١) رقم (١٢١) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٢/ب) .

الآخرة ؛ إيثارًا لحق اللَّه ، وتفويضًا لأمر اللَّه ، فأما فيما سوى ذلك فترك الاختيار للعبد أولى ، ومما جاء في تركه الاختيار والاستسلام ، وتركه الاعتراض في الحال حديث عمر ، وهو ما حدثنا حاتم حدثنا يحيى الحِمَّانِيُّ حدثنا ابن المبارك عن معمر عن الزُّهْرِيِّ عن السائب بن يزيد عن عبد اللَّه بن السَّعْدِيِّ قال : قال عمر ﷺ : [٨٢١] كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَعْطَانِي العَطَاءَ قُلْتُ : أُعْطِه مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنِّي . حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالًا ، فَقُلْتُ : أَعْطِه مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي . فَقَالَ : « **خُذْه ، فَإِمَّا أَنْ تَمَوَّلَه** (١) **وَإِمَّا أَنْ تَصَدَّقَ بِهِ ، وَمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُتَشَرِّفٍ** (٢) **وَلا سَائِلٍ فَخُذْه وَلا تُتْبِعْه نَفْسَك** » (٣) ، فأمره بألا يعترض على الحال فيريد خلاف ما يراد به ويختار على ما يختار له ، وإن كان ذلك في طلب الخير .

ومن ذلك حديث أبي الدرداء ﷺ : [٨٢٢] « يَا حَبَّذَا الْمَكْرُوهَانِ الموْتُ والْفَقْرُ » . فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : « مَا أُبَالي عَلَى أَيِّ الْحَالَيْنِ وَقَعْتُ مِنْ غِنًى أَوْ فَقْرٍ ، إِنْ كَانَ غِنًى فَإِنَّ فِيهِ الشُّكْرَ ، وَإِنْ كَانَ الْفَقْرُ فَإِنَّ فِيهِ الصَّبْرَ » (٤) ، وقال ابن علي : (أحبهما إلي أحبهما إلى ربي ﷻ ما للعبد والاختيار) ، وقال النبي ﷺ لعبد اللَّه بن سمرة ﷺ : [٨٢٣] « **لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ** (٥) **إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا [وَإِنْ أُعْطِيتَهَا**

---

(١) في هامش (خ) : أي تتموله ، فحذف إحدى التائين كقوله : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ا.هـ . ومعنى تموّله : أي اجعله لك مالًا ، لسان العرب مادة (مول) .

(٢) جاءت هذه الكلمة في رواية أحمد « مشرف » والمعنى كما جاء في النهاية : أنه أراد ما جاءك منه وأنتَ غيرُ متطلّع إليه ولا طامع فيه ، النهاية مادة (شرف) ، (٤٦٢/٢) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه بن السعدي في كتاب الأحكام باب رزق الحكام والعاملين عليها (٢٦٢٠/٦) رقم (٦٧٤٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف (٧٢٣/٢) رقم (١٠٤٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الزكاة باب من آتاه اللَّه مالًا من غير مسألة (٥٦/٢) رقم (٢٣٨٦) ، وأحمد في مسنده عن عبد اللَّه بن عمر (٢١/١) رقم (١٣٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٨٣/٦) رقم (١١١٨٢٠) ، وابن خزيمة في صحيحه (٦٧/٤) رقم (٢٣٦٦) ، والحميدي في مسنده عن عبد اللَّه بن السعدي (١٢/١) رقم (٢١) ، والطبراني في الأوسط (١٣٤/٢) رقم (١٤٩٢) .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن قيس بن حبتر (١٩٦/٧) رقم (٩٩٧٥) ، والطبراني في الكبير (٩٢/٩) رقم (٨٥٠٥) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء مختصرًا عن عبيد اللَّه ابن زحر (١٦٣/١) .

(٥) نهاية تكملة السقط من (خ) ومن بعدها التكملة من الأصل .

عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا] [١] » [٢] ، فأخبر ﷺ أن التكلف والاختيار ربما كان سبب الخذلان فإن العبد إذا وكل إلى نفسه واختياره فقد خذل ، فالاختيار من العبد تحكم على اللَّه تعالى ، وليس للعبد أن يتحكم ولكن عليه أن يرضى ويستسلم وليس له أن يختار ، ولكن عليه الانتظار بالذلة والافتقار ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص : ٦٨] ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] فهذا في الاختيار ، فكيف بالاعتراض ، وأما الاعتراض على الكبراء فإنه يذهب ببركة الصحبة ويحرم الخير الذي جعل اللَّه فيهم ومعهم ، ومن أدل الدلائل على ذلك شأن موسى ﷺ والعبد الصالح لما ضم إليه في الاقتباس منه لزمته حرمته ووجبت له قضيته ، فقال : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾ [الكهف : ٧٠] فكان عليه الاستسلام له وترك الاعتراض عليه وهو للَّه كليم وله رسول كريم ، والذي رآه منه ما لا يكاد يصبر عليه أدنى رجل من المسلمين من سفك الدماء وإتلاف الأموال والأنفس فكيف بمن دونه فيما هو أقل منه . [ومنه قول عمر ﷺ لأبي بكر ﷺ يوم الحديبية : [٨٢٤] « أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ » [٣] الحديث] [٤] ومنه

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن عبد الرحمن بن سمرة في كتاب الأيمان باب الكفارة قبل الحنث وبعده (٢٤٧٢/٦) رقم (٦٣٤٣) ، ومسلم في صحيحه بلفظه مع اختلاف الترتيب في كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها (١٢٧٣/٣) رقم (١٦٥٢) ، وأبو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب ما جاء في طلب الإمارة (١٣٠/٣) رقم (٢٩٢٨) ، والترمذي في جامعه في كتاب النذور والأيمان باب ما جاء فيمن حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها (١٠٦/٤) رقم (١٥٢٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب القضاء باب الحرص على الإمارة (٤٦٣/٣) رقم (٥٩٣٠) ، والدارمي في سننه (٢٤٤/٢) رقم (٢٣٤٦) ، وأحمد في مسنده (٦٣/٥) رقم (٢٠٦٤٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣١/١٠) رقم (١٩٦٢٦) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٣/١٠) رقم (٤٤٨٠) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن المسور بن مخرمة في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد (٩٧٨/٢) رقم (٢٥٨١) ، والنسائي في سننه الكبرى عن حبيب بن أبي ثابت في كتاب التفسير باب قوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] ، (٤٦٣/٦) رقم (١١٥٠٤) ، وأحمد في مسنده (٤٨٥/٣) رقم (١٦٠١٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن المسور بن مخرمة (٢٢٠/٩) رقم (١٨٥٨٧) ، وابن حبان في صحيحه (٢٢٤/١١) رقم (٤٨٧٢) ، والطبري في جامع البيان (١٠٠/٢٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عروة بن الزبير (٣٨٨/٧) رقم (٣٦٨٥٥) .

(٤) سقط من (خ) .

حديث أبي بكر ﷺ حين قال لعمر ﷺ : [٨٢٥] « إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَنْسَخَ الْقُرْآنَ . فَقَالَ : كَيْفَ تَعْمَلُ شَيْئًا لَمْ يَعْمَلْه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ عُمَرُ : ثُمَّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَه صَدْرَ أَبِي بَكرٍ فَعَلِمْتُ أَنَّه الْحَقُّ » (١) وله نظائر كثيرة وأشباه جمة . [٢٢٩/ب]

ثم كل من شهد له قلبك بصحة الحال ومقام في الدين ورتبة فيما بينه وبين الله وجب عليك تعظيمه وإجلاله والانقياد له والتسليم لأمره ، فإن رأيت منه ما يقصر عنه فهمك ولا يبلغه علمك حكمت على نفسك بالإزراء وعلى فهمك بالقصور ولا تعجل بالإنكار عليه وحمل ما تراه منه على جهل أو إباحة أو قلة مبالاة بل تصبر عليه وتحسن الظن به وترجع على نفسك بقصور فهمك ، فإنك إذا فعلت ذلك رزقت بركته ولم تحرم خيره إن كان كما شهد له قلبك ، ويفتح لك من أبواب الخير ونفحات البر بحسن ظنك وإزرائك بنفسك إن لم يكن كما شهد له قلبك ويكشف لك أخيرًا عن حاله إن صحت إرادتك وسلمت طويتك (٢) انظر إلى ما اطلع إخوة يوسف بعد ثمانين سنة ما اطلع يعقوب قبل ذلك ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف : ٩١] ، ومن شؤم الاعتراض على الكبراء ما كان من أمر الخوارج حين اعترضوا على علي ﷺ في أمر الحكمين ولم ينقادوا له ولم يستسلموا لأمره مع طواعيتهم له وكونهم معه وقتالهم أعداءه ، وقد عرفوا أنه المطاع فيهم وأنه على الحق ، ولولا ذلك ما قاتلوا معه من خالفه ولا اتبعوه على أمره ، فلما أمرهم بالحكمين ولم يدركوا ما فيه اعترضوا عليه بآرائهم ؛ فأداهم شؤم الاعتراض عليه إلى أن خرجوا عليه وشهدوا على أنفسهم وعليه وأصحابه بالكفر وقتلوا خيار الناس وفارقوا المسلمين [٢٣٠/أ] فمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وصاروا [٨٢٦] « كِلابَ النَّارِ وشَرَّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ » قاله أبو أمامة عن النبي ﷺ (٣) .

---

(١) الحديث ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بألفاظ مختلفة (١٧٣/١) ، والثابت في السنة أن الذي أشار بجمع القرآن هو عمر بن الخطاب ﷺ ، وأشار بذلك على أبي بكر الصديق ﷺ ، وأن الذي تهيب الأمر هو أبو بكر ﷺ ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت في كتاب التفسير باب قوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] (١٧٢٠/٤) رقم (٤٤٠٢) .

(٢) في هامش الأصل : أي ضميرك .

(٣) هذه العبارة جزء من حديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي أمامة في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران ، وقال : حسن (٢٢٦/٥) رقم (٣٠٠٠) ، وابن ماجه في سننه في المقدمة باب في ذكر الخوارج (٦٢/١) رقم (١٧٦) ، وأحمد في مسنده (٢٥٣/٥) رقم (٢٢٢٣٧) ، والحاكم في =

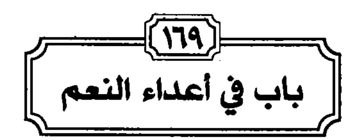
وأما الكبير الذي يجب الانقياد له والتسليم لأمره وترك الاعتراض عليه فهو الذي علم وعمل بما علم ؛ فألهم علم ما لم يتعلم من المعرفة بمكائد العدو وخدع النفس وغرور الدنيا وآفات العمل من العجب والرياء والشك والشرك الخفي الذي جاء فيه الحديث أنه : [٨٢٧] « **أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ** » (١) ، والمعرفة بعلم الآلاء والنعماء وعلم المواجيد التي بين العباد وبين الله من علوم الأحوال بعد تهذيب النفوس ورياضتها والملك لها ، وتهذيب الأخلاق فيما بينه وبين ربه من الرضا بمر القضاء والشكر على النعماء والصبر على البلاء والثقة بما وعد ، والتوكل على الله والاستسلام لأمر الله تعالى ، وفيما بينه وبين خلق الله من تحمل أذاهم وترك الأذى لهم والشفقة عليهم والرحمة لعامتهم والنصح لكافتهم والبذل لهم ورفع مؤنته عنهم . هذه أوصاف الكبراء في ظاهر أمورهم ، وما بينهم وبين الله من أسرار القلوب لا يطلع عليها إلا الله تعالى ، فمتى ظهرت لك بعض هذه الخصال في العبد مع الزهادة في الدنيا ؛ فهو الكبير الذي إن جالسته متأدبًا بأدبه مقتديًا بهديه متنسمًا روائح بركاته ، ثم رأيت منه في حال بعض ما تنكره أو أمرك بأمر لم تر فيه كثير نفع أو اتسع في حال فعليك التوقف فيه وترك الاعتراض عليه والرجوع إلى نفسك بقصور فهمك بما فيه من النفع والخير والبركة ، فإن أحوال أمثال [٢٣٠/ب] هؤلاء مختلفة وأوقاتهم متلونة ؛ لأن مصرفهم غيرهم ومقلبهم سواهم ، والله تعالى يخفي أولياءه ويضن بهم ويغار عليهم فيحجب الأغيار عنهم بلطائف يحدثها ما ينفر عنهم قلوب العامة ؛ لئلا يشغلوهم عنه وليكونوا خباياه في خلقه

= مستدركه بألفاظ مختلفة ، قال الذهبي : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي (١٦٣/٢) رقم (٢٦٥٤) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة (١٨٨/٨) رقم (١٦٥٦٠) ، وعبد الرزاق في مصنفه بلفظه (١٥٢/١٠) رقم (١٨٦٦٣) ، والحميدي في مسنده (٤٠٤/٢) رقم (٩٠٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة (٥٥٤/٧) رقم (٣٧٨٩٢) ، والطبراني في الكبير بلفظه (٢٦٦/٨) رقم (٨٠٣٣) .

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن أبي موسى الأشعري (٤٠٣/٤) رقم (١٩٦٢٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٠/٦) رقم (٢٩٥٤٧) ، وهناد بن السري في الزهد عن مجاهد (٤٣٤/٢) رقم (٨٤٩) ، والبخاري في الأدب المفرد عن معقل بن يسار (٢٥٠/١) رقم (٧١٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٦٠/١) رقم (٥٨) ، والعقيلي في الضعفاء عن عائشة (٦٠/٣) رقم (١٠٢٤) ، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء بألفاظ متقاربة عن أبي بكر (١١٢/٧) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول أيضًا عن أبي بكر (١٤٢/٤) ، وأخرجه الطبراني في الأوسط بلفظه عن أبي موسى الأشعري (١٠/٤) رقم (٣٤٧٩) ، والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن عائشة وضعف إسناده (٢٢٣/١٠) ، وعن أبي بكر ، وذكر أن في إسناده مدلس (٢٢٤/١٠) .

وضنائنه من عباده فلا يكاد يصبر عليهم إلا أديب أريب أراد به الخير ليبلغ به مبالغهم ويقرب درجته من منازلهم ويجعله من خصائصه (١) ، قال ﷺ : [٨٢٨] « **الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ (٢) تَنْفِي خَبَثَهَا وَتَنْصَعُ (٣) طِيبَهَا** » (٤) .

فإذا كانت البقعة التي تشرف بخصائص الله هكذا حكمها فما ظنك بمن تشرف البقعة بهم وإذا كانت هذه غيرة الله على موطن حبيبه ومُهَاجَر نجيه وإخوانه ومبوأ صفيه حتى ينفي الخبث عنها ، فكيف تكون غيرته على أحباء حبيبه وإخوانه ومن اشتاق إليهم فقال : [٨٢٩] « وَاشَوْقَاه إِلى لِقَاءِ إِخْوَانِي » (٥) ؟! والله إنه ليغار عليهم غيرة يكاد يخفيهم عن أجناسهم ويغيبهم عن إحساسهم ، فكيف يعرضهم للفتن ؟ ومتى يردهم إلى الأغيار ويكشفهم (٦) ويشهرهم في هذه الدار ؟! بل يطهرهم عن الأنجاس ويصونهم عن الأرجاس ويخفيهم عن الأشخاص ويضن بهم إلا عن الخواص ؛ لأنهم بين الخلق أسراره وعلى الأرض أنواره وللدين أوتاده وعلى العدو أجناده ، فهم لله ﷻ أولياء وللأنبياء خلفاء وفي الدين علماء وعلى الأسرار رقباء ﷺ ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .



١٦٩ باب في أعداء النعم

حديث آخر [١/٢٣١أ] : [٨٣٠] حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ح العباس بن

---

(١) في هامش الأصل : خصيصاه .

(٢) الكِير : الكِيرُ بالكسر كِير الحَدَّاد وهو المبْنِيُّ من الطِّين ، وقيل : الزِّق الذي يُنْفَخ به النَّار والمبْنِيُّ الكُورُ ، النهاية مادة (كير) ، (٢١٧/٤) .

(٣) في هامش (خ) : أي تصفيه ا.هـ .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن جابر بن عبد الله في كتاب فضائل المدينة باب المدينة تنفي الخبث (٦٥٥/٢) رقم (١٧٨٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج باب المدينة تنفي شرارها (١٠٠٦/٢) رقم (١٣٨٣) ، والترمذي في جامعه في كتاب المناقب باب في فضل المدينة وقال : حسن صحيح (٧٢٠/٥) رقم (٣٩٢٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب البيعة باب استقالة البيعة (٤٣٠/٤) رقم (٧٨٠٨) ، ومالك في الموطأ (٨٨٦/٢) رقم (١٥٧٠) ، وأحمد في مسنده (٣٠٧/٣) رقم (١٤٣٣٩) ، وابن حبان في صحيحه (٥٠/٩) رقم (٣٧٣٢) .

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد سبق نحوه بلفظ : « ليتني لقيت إخواني » في اللوحة رقم (١٧٨/ب) .

(٦) زاد في (خ) بعدها : للأبصار .

حمزة النَّيْسَابُورِيُّ ح العباس بن الوليد الخلال الدِّمَشْقِيُّ ح عامر بن سعد الهَاشِمِيُّ ح السُّدِّيُّ [١] عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لأَهْلِ النِّعَمِ أَعْدَاءً فَاحْذَرُوهُم » [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : أجل النعم وأعظم المواهب وأكبر العطايا على العبد نعمة الإسلام لله والإيمان بالله والتوحيد له ونفي الشركاء عنه ، وأعدى عدو لك على هذه النعمة إبليس ناصبك العداوة جهارًا وبذل فيه مجهوده وأقسم بعزة الله على إغوائك وأنه يأتيك من شمالك ومن يمينك وبين يديك وورائك ويراك من حيث لا تراه ، وقد تفرغ [٣] من كل شغل فشغله فيك فقط وله عليك من نفسك معين ومن دنياك آلة وأنت ضعيف سخيف غافل ساهٍ وقد حذرك الله تعالى عداوته بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] فإن ظفر بك لم يرض منك إلا بسلب هذه النعمة الجليلة [٤] التي بها شرفت في أولاك وعقباك وعظم بها قدرك عند مولاك فإياك أيها العبد ؛ ثم إياك احذر كل الحذر فإنك منه على أعظم الخطر وكيف لك بالاحتراز منه ومن لك بالتوقي عنه وهو لك بمرصد ، وقد علم الله تعالى ضعفك عن مقابلة عدوك فهداك إلى الاحتراز منه بأمنع الحصون وعلمك ما يمنعه منك ويصده عنك وهو الاستعاذة بالله تعالى منه ، والتوكل عليه فقال : ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ [٢٣١/ب] يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٩٨، ٩٩] فإذا استعذت بالله خزي عدو الله ، وإذا توكلت على الله نصرت على عدو الله ، وإذا أويت إلى الله تباعد عنك عدو الله ، وإذا سجدت لله دعا بالويل عدو الله ؛ فهذا حذرك منه وسلاحك عليه وحصنك الحصين وخفيرك الأمين .

---

(١) السُّدِّيُّ : بضم السين المهملة ، وتشديد الدال المهملة ، هذه النسبة إلى سدة الجامع . قال أبو عبيدة في غريب الحديث : إنما سمي السدي ؛ لأنه كان يبيع الخُمُرَ مع المقانع بسدة المسجد ، يعني باب المسجد . قال أبو الفضل الفلكي : إنما لقب بالسدي ؛ لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له : السُّدُّ ، الأنساب (٢٧/٣) .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط بألفاظ متقاربة عن ابن عباس (٢٠٤/٧) رقم (٧٢٧٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان (١٩٥/٨) والحديث إسناده ضعيف ، فيه عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي متهم بوضع الحديث ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : لك .

(٤) في هامش الأصل : الجلية .

قال النبي ﷺ : [٨٣١] « **إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ آيَةَ السَّجْدَةِ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ : أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ ، وأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ** » حدثناه أحمد بن عبد اللّٰه الْمُزَنِيُّ ح جعفر بن محمد الرَّمَادِيُّ [(١)] ح أبو حذيفة موسى ابن مسعود عن سفيان الثَّوْرِيِّ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ ...** » [(٢)] الحديث .

ثم أجل النعمة بعد التوحيد للّٰه والمعرفة به الخدمة له والمثول بين يديه والإذن لك في الدخول عليه والدعاء إياه والسؤال منه والتقرب إليه والتملق له وما أراك من محابه وهداك إلى ما يرضيه ويقربك منه ويزلفك لديه من أنواع الفرائض التي فرضها عليك والنوافل التي رضيها لك كالصلاة التي هي مناجاته والصوم الذي هو له وأمثالهما ، وأعدى عدو لك على هذه النعمة نفسك الأمارة بالسوء وهي بين جنبيك لا تفارقك ليلًا ولا نهارًا ولا سرًّا ولا جهارًا تطالبك بحظوظها وتجاذبك إلى شهواتها فتصدك عن طاعة اللّٰه بطلب شهواتها وتشغلك عن خدمة اللّٰه بخدمة ذاتها ، ومرافقك لها عليل ظهير ، وهواك إلى اتباع مرضاتها لك مشير ، وأنت شره قليل التماسك عند شهواتها مسترسل سريع الانقياد إلى لذاتها ، وهي لك بالسوء أمارة ومقامك معها في دنيا غدارة غرارة وقد حذرك اللّٰه منها [٢٣٢/أ] بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] ، وقال : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل : ١١١] ، وقال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم : ٢٣] ، وقال : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [فاطر : ٥] فهي لك بالسوء أمارة وهي خداعة سحارة ، فهي أسحر من هاروت وماروت ، وأعتى على اللّٰه في متابعة هواها من جالوت ، وأنت غر كريم سليم ضعيف سقيم ، فإن استولت عليك ذهبت بك كل مذهب ، وإن ركبتك فأنت إذًا شر مركب ، فالتوقي منها تسليمها إلى مولاها ، والإعراض عن مساخطها ومهواها ، فعندها يرحمك ربك فيحول بينها

---

(١) في هامش الأصل : الزيادي . و في (خ) : الرَّازِيُّ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٧/١) رقم (٨١) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الإقامة باب سجود القرآن (٣٣٤/١) رقم (١٠٥٢) ، وأحمد في مسنده (٤٤٣/٢) رقم (٩٧١١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣١٢/٢) رقم (٣٥١٦) ، وابن حبان في صحيحه (٤٦٥/٦) رقم (٢٧٥٩) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٦/١) رقم (٥٤٩) ، وابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة (٣٤٩/١) رقم (٩٨١) ، وأبو عوانة في مسنده بألفاظ متقاربة (٥٢١/١) رقم (١٩٤٥) .

وبينك ، قال اللّٰه تعالى يحكي عن صديقه يوسف عليه السلام : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ﴾ [يوسف : ٥٣] ، فأخبر أن من رحمه ربه لم تأمره بالسوء نفسه ، وقال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال : ٢٤] ، قيل : بين العبد وهواه (١) .

وأعظم نعمة بعد هاتين نعمة الأمن ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش : ٣، ٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ ﴾ [النور : ٥٥] . وعدوك على هذه النعمة من عبد غير اللّٰه وأشرك به سواه ، وقد حذرك اللّٰه منه ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ٧١] ، فظهيرك على هذا العدو إذا بعد عنك أخذ الأهبة له ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وإذا قرب منك فالصبر في اللّٰه والذكر للّٰه ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ [٢٣٢/ب] ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأنفال : ٤٥] ، فمعنى الثبات في شيئين : ثبات الإقدام ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال : ١٥] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] ، وثبات الأوهام قال اللّٰه تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وذكر اللّٰه تعالى على نوعين : ذكر اسمه باللسان باسم اللّٰه وباللّٰه ولا قوة إلا باللّٰه ، وذكر تقديره بالقلب إن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٦٦] ، وإذا خالطت عدوك وخالطك فالتحرز (٢) بضرب الأيدي والرؤوس ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

ثم بعد هذا نعمة الألفة والتحاب والأخوة ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقال : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ ﴾ [الأنفال : ٦٣] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، وقال النبي عليه السلام : [٨٣٢] « **قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى :**

---

(١) هذا معنى ما اختاره الطبري في جامع البيان في تأويل الآية (٢١٧/٩) .

(٢) في هامش الأصل . فالتحري .

وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ والْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ والْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ والْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ » حدثناه بكر بن مسعود ح محمد بن منصور ح الْقَعْنَبِيُّ ح مالك عن أبي حازم عن أبي إدريس الخَوْلانِيُّ عن معاذ ﷺ عن رسول الله ﷺ (١) .

فأية نعمة أجل من نعمة توجب محبة الله ؟! وقال : [٨٣٣] « **وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلا تُؤْمِنُونَ حَتى تَحَابُّوا أَوَ لا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوه تَحَابَبْتُم أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم** » حدثناه الحسين بن [٢٣٣/أ] علي بن الحسن ح إبراهيم بن عبد الله ابن بكير ح وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ (٢) .

أجلل بقدر نعمة في فواتها فوت صفة الإيمان ! ثم عدوك على هذه النعمة من يحلف لك أنه منك وأخبر الله أنه ليس منك وهو المنافق الذي قال الله تعالى : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ [التوبة : ٥٦] ، والمنافقون لا ألفة بينهم ، قال الله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ١٤] ، وقد أخبر الله بعداوة المنافق وحذر نبيه ﷺ فقال : ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ [المنافقون : ٤] ، وقال : ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد : ٢٠] ، وقال : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١١٩] ، أخبر ببغضهم للمؤمنين ، فهذه عداوته لك على نعمة الألفة والمحبة والأخوة فهو يود زوال هذه النعمة عنك ، قال الله تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ ﴾ الآية [النساء : ٨٩] ،

---

(١) الحديث أخرجه مالك في الموطأ عن معاذ بلفظه مع اختلاف الترتيب (٩٥٣/٢) رقم (١٧١) ، وأحمد في مسنده (٢٣٣/٥) رقم (٢٢٠٨٣) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٨٦/٤) رقم (٧٣١٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٣/٦) رقم (٨٩٩٢) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٥/٢) رقم (٥٧٥) ، والربيع في مسنده (٤٦/١) رقم (٦٩) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة (١٢٧/٥) ، وعبد بن حميد في المنتخب بلفظه (٧٢/١) رقم (١٢٥) ، والطبراني في الكبير بلفظه مع اختلاف الترتيب (٨٠/٢٠) رقم (١٥٠) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٧٤/١) رقم (٥٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في إفشاء السلام (٣٥٠/٤) رقم (٥١٩٣) والترمذِيُّ في جامعه عن الزبير بن العوام في كتاب صفة القيامة باب منه (٦٦٤/٤) رقم (٢٥١٠) ، وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب إفشاء السلام (١٢١٧/٢) رقم (٣٦٩٢) ، وأحمد في مسنده (٤٤٢/٢) رقم (٩٧٠٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة عن الزبير بن العوام (٢٦٧/٥) رقم (٦٦١٣) ، وعبد بن حميد في المنتخب بألفاظ مختلفة (٦٣/١) رقم (٩٧) .

فحصنك منه وسلاحك عليه اكتساب هذه الألفة واقتناء أسبابها والسعي لموجبها وهو الذي قال ﷺ : « **أفشوا السلام** » ثم التحاب بالتهادي فقد روي : [٨٣٤] « **تَهَادُوا تَحَابُّوا** » (١) ، ولذلك قال ﷺ : [٨٣٥] « **مَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّعْوَةَ فَلَيْسَ مِنَّا** » (٢) ؛ لأنها سبب الألفة والمحبة ، ومن أسبابها الزيارة قال النبي ﷺ : « **زر غبًا تزدد حبًا** » حدثناه محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أحمد بن محمد بن عيسى الْبَرْقِيُّ من حفظه ح أبو نعيم ح طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة ﷺ قال : [٨٣٦] قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **أَبَا هِرٍّ ، زُرْ غِبًّا** (٣) **تَزْدَدْ حُبًّا** » (٤) ، ومن أسبابه التباذل والتعاون وهو شكر هذه النعمة ،

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظه عن أبي هريرة (٢٠٨/١) رقم (٥٩٤) ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن علي (١١٠/١) رقم (٣٦١) ، وأبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة (٩/١١) رقم (٦١٤٨) ، وابن عدي في الكامل (١٠٤/٤) رقم (٩٥٣) ، الطبراني في الأوسط عن عائشة (١٩٠/٧) رقم (٧٢٤٠) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن عبد اللّٰه بن عمرو (٣٨١/١) رقم (٦٥٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن أبي هريرة (١٦٩/٦) رقم (١١٧٢٦) ، وفي شعب الإيمان (٤٧٩/٦) رقم (٨٩٧٦) .

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة بلفظ : « من لم يجب الدعوة فقد عصى اللّٰه ورسوله » (١٠٥٥/٢) رقم (١٤٣٢) ، وقد أخرجه بهذه الألفاظ غير مسلم أحمد في مسنده (٢٦٧/٢) رقم (٧٦١٣) ، والبخاري في التاريخ الصغير (٢٠٦/٢) رقم (٢٣٢٢) ، والحميدي في مسنده (٤٩٣/٢) رقم (١١٧١) ، وابن عدي في الكامل (٢٢٢/٧) رقم (٢١١٩) ، وأبو يعلى في مسنده (٦٢/٣) رقم (٤٢٠١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٦٢/٧) رقم (١٤٣٠٠) .

(٣) زُرْ غِبًا تزدَدْ حُبًا : الغِبُّ مِن أَوْرَاد الإبِل ، أَنْ تَرِدَ الماء يَومًا وتَدَعَه يومًا ، ثم تَعُودَ ، فَنقَله إلى الزِّيارة وإنْ جاء بعد أيام ، يقال : غَبَّ الرجُل ، إذا جاء زائرًا بعد أيام . وقال الحَسَن : في كل أسْبُوع ، النهاية مادة (غبب) ، (٣٣٦/٣) .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بلفظه عن حبيب بن مسلمة وسكت عنه الذهبي (٣٩٠/٣) رقم (٥٤٧٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة (٣٢٦/٦) رقم (٨٣٦٣) ، وابن حبان في صحيحه عن عائشة (٣٨٦/٤) رقم (٦٢٠) ، والبزار في مسنده عن أبي ذر (٣٨١/٩) رقم (٣٩٦٣) ، والهيثمي في بغية الباحث عن أبي هريرة (٨٦٢/٢) رقم (٩٢٠) ، وأبو نعيم في مسند أبي حنيفة (١٣٩/١) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٦٦/١) رقم (٦٢٩) ، والطبراني في الأوسط (٢١٠/٢) رقم (١٧٥٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وقال : لا نعلم في « زر غبًا تزدد حبًا » حديثًا صحيحًا ، وفيه طلحة بن عمرو ، وهو متروك (١٢٨/٨) ، وطلحة بن عمرو من رجال إسناد المصنف ، قال العقيلي في الضعفاء : وليس في هذين البابين عن النبي ﷺ شيء يثبت (١٣٨/٢) ترجمة رقم (٦٢٨) ويعني بالبابين حديث : « زر غبًا تزدد حبًا » وحديث : « اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه » .

وقد قال اللّٰه تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

ثم وراء هذه النعمة نعمة الرفق [٢٣٣/ب] والكفاية والسعة فيما خولك اللّٰه فقد قال في المرافق التي جعلها (١) : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [النحل : ٨٠] ، وقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ الآية [الزخرف : ١٢] ، الآيات في سورة النحل إلى قوله : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ الآية [النحل : ٧١] ، وقد قال عليه السلام : [٨٣٧] « **لَمَّا أَخَذَ اللَّهُ تعالى الذُّرِّيَّةَ مِنْ ظَهْرِ آدمَ رَأى عليه السلام فِيهِم الْغَنِيَّ والْفَقِيرَ والضَّعِيفَ والْقَوِيَّ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ أَلا (٢) سَوَّيْتَ بَيْنَهُم ؟ فَقَالَ** عز وجل **: أَرَدْتُ أَنْ أُشْكَرَ** » (٣) ، [وقال اللّٰه تعالى : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾] (٤) ، ويحسدك على النعمة أخوك في الدين وهو المؤمن باللّٰه الموحد له .

قال عليه السلام : [٨٣٨] « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ إلا وفيهِ حَسَدٌ وَطِيَرَةٌ وسُوءُ ظَنٍّ فَذَهَابُ حَسَدِهِ ألا يَبْغِي أَخَاهُ غَائِلَةً** » (٥) . فأخبر أن أخاك يحسدك وقال : [٨٣٩] « **كادَ الحَسَدُ يغْلِبُ القَدَرَ** » (٦) ، وقال اللّٰه تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ٥] ، فعظم قدر هذه النعمة التي كاد الحسد يزيلها عنك بالأمر الاستعاذة به من شر حاسد هالك ، وإنما يحسد ذو الفضل ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٥٤] ، سمعت أبا الفضل عبيد اللّٰه بن محمد الفقيه يقول : سمعت علي بن موسى القُمِّيَّ (٧) يقول : سمعت محمد بن شجاع (٨) وذكر عنده من ينتقص أبا حنيفة رحمه الله فقال :

محسدون وشر الناس منزلة من عاش في الناس يومًا غير محسود (ن)

---

(١) زاد في (خ) بعدها : لك .

(٢) في هامش (خ) : أي هلا .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٢٢٧/ب) .

(٤) من هامش (خ) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (١٠/أ) .

(٦) سبق في اللوحة رقم (١٩/أ) .

(٧) اسمه علي بن موسى بن يزداد – وقيل : يزيد – القمي ، صاحب « أحكام القرآن » ، إمام الحنفية في عصره ، وله كتب في الرد على أصحاب الشافعي ، توفي سنة خمس وثلاثمائة ، الجواهر المضية (٦١٨/٢) .

(٨) هو محمد بن شجاع الثَّلْجِيّ ، ويقال : ابن الثلجي ، فقيه أهل العراق في وقته ، والمقدم في الفقه ، والحديث ، وقراءة القرآن ، مع ورع ، وعبادة ، مات فجأة ، في سنة ست وستين ومائتين ، ساجدًا في صلاة العصر ، له كتاب تصحيح الآثار ، وكتاب النوادر ، وكتاب المضاربة ، وكتاب الرد على المشبهة ، وله ميل إلى مذهب المعتزلة ، الجواهر المضية (١٧٤/٣) .

وأنشدني بعض الأدباء لأبي نواس :

من رأى الناس له الفضل عليهم حسدوه مثلما قد حسد القائم بالملك أخوه (ن) [٢٣٤/أ]

فحصن نعمتك من عدوها وهو الحاسد لك على نعمة السعة الإفضال على الغير والإنفاق في سبل الخير ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، ﴿ كُلُواْ [(١)] مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة : ١٧٢] ، وقد حذر اللّٰه تعالى في ترك الإنفاق زوال النعمة وشدة العقوبة بذكر أصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين ، فقال : ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴾ [القلم : ٢٣، ٢٤] ، فقال تعالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ [القلم : ١٩، ٢٠] ، ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [القلم : ٣٣] وفي الحديث : [٨٤٠] « **مَنْ تَبَرَّمَ [(٢)] بِحَوَائِجِ النَّاسِ فَقَدْ عَرَّضَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ** » [(٣)] ، وروي عن علي ﷺ أنه قال في وصيته لجابر ﷺ : [٨٤١]

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع اللّٰه من نالها
من لم يواس الناس من فضله عرض للإدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل يا جابرٌ [(٤)] وأعط من الدنيا لمن سالها
فإن ذا العرش جزيل العطاء يخلف بالحبة أمثالها [(٥)]

وحدثنا عبد اللّٰه بن محمد ح الحسن بن سفيان ح معاذ بن شعبة ح عثمان بن مطر عن ثابت الْبُنَانِيِّ عن أنس ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [٨٤٢] « **أَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ اللّٰهِ تعالى لا تُنَفِّرُوهَا ، فَقَلَّمَا زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِم** » [(٦)] .

---

(١) في الأصل : أنفقوا . والآية في (خ) : ﴿ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .
(٢) يقال : أَبْرَمَهُ فلان إبرامًا ، أي : أَمَلَّه وأَضْجَره فَبَرِمَ وتَبَرَّم به تَبَرُّمًا ، لسان العرب مادة (برم) .
(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (١١٧/٦) رقم (٧٦٦٠) ، والطبراني في الأوسط عن ابن عباس (٢٩٢/٧) رقم (٧٥٢٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده جيد (١٩٢/٨) .
(٤) في الأصل : يا جابرًا .
(٥) لم أقف على هذه الرواية .
(٦) الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظه عن أنس (١٣١/٦) رقم (٣٤٥) ، وابن عدي في الكامل (١٦٣/٥) رقم (١٣٢٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه عثمان بن مطر وهو ضعيف (١٩٥/٨) ، وعثمان بن مطر من رجال إسناد المصنف .

وحدثنا محمد بن عبد الله الفقيه ح الدَّقِيقِيُّ [١] أبو محمد عبد الله بن يزيد ح محمد بن زيد بن سعيد ح محمد بن الحسن [٢] يعني السَّمْتِيَّ ح عبد الله بن يزيد أبو عثمان [٢٣٤/ب] الحِمصيُّ عن الأوْزَاعِيِّ عن عبدة بن أبي لبابة عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٨٤٣] « **إِنَّ لِلَّهِ تعالى أَقْوَامًا يَخْتَصُّهُم بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ يُقِرُّهَا فِيهِم مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا انْتَزَعَهَا مِنْهُم** » [٣] فهذه النعم التي عددناها الأمهات والأصول ، ونعم الله تعالى على عباده ظاهرة وباطنة لا تحصى عدًّا ولا تنال حدًّا ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

وهؤلاء الذين قد ذكرنا أعداؤك على هذه النعم وما ذكرنا وجوه الحذر الذي أمر ﷺ بالأخذ به بقوله : « **إِنَّ لأَهْلِ النِّعَمِ أَعْدَاءً فَاحْذَرُوهُم** » . يصدق ما قلنا ويحققه ما حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ح محمد بن إبراهيم بن زياد الرَّازِيُّ ح عمرو بن عثمان ح إسماعيل بن عياش عن أبان عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : [٨٤٤] « **الْمُؤْمِنُ بَين خَمْسِ شَدِيدَةٍ : مُؤْمِنٍ يَحْسُدُه ، ومُنَافِقٍ يبغضه ، وعَدُوٍّ يُقَاتِلُه ، وشَيْطَانٍ يُضِلُّه ، ونَفْسٍ تغْوِيه** » [٤] .

فالأربعة من هؤلاء أعداؤك على الحقيقة ؛ لأنهم يريدون دينك ، وفي ذهاب دينك

---

(١) الدَّقِيقِيُّ : بفتح الدال المهملة والياء الساكنة آخر الحروف بين القافين ، هذه النسبة إلى الدقيق وبيعه وطحنه ، الأنساب (٢٣٧/٢) .

(٢) كذا في النسخ المختلفة ، وهو بهذا الاسم لم أقف له على ترجمة ، وقد وجدته تحت اسم محمد بن حسان السمتي ، وهو ما ورد في روايتي البيهقي والطبراني للحديث ، وهو ما ورد أيضًا في كتب التراجم مثل الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٣٨/٧) رقم (١٣٠٦) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة عن ابن عمر (١١٧/٦) رقم (٧٦٦٢) ، والطبراني في الأوسط (٢٢٨/٥) رقم (٥١٦٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه محمد بن حسان السمتي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبو عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (١٩٢/٨) ، ومن تكلم فيهما الهيثمي من رجال إسناد المصنف ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط ، ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنًا (٢٦٣/٣) رقم (٣٩٦٨) .

(٤) الحديث ذكره المتقي الهندي في كنز العمال بألفاظ مختلفة وعزاه لابن لال عن أبان عن أنس مجلد (١) حديث رقم (٨٠٩) ، وذكره أيضًا أبو شجاع الهمذاني في الفردوس بمأثور الخطاب (١٧٦/٤) رقم (٦٥٤٨) ، وعده تاج الدين السبكي لا أصل له : التي لا أصل لها في الإحياء (٣٣٣/١) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه عبد الله بن محمد بن يعقوب - شيخ المصنف - متهم بالوضع ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) .

هلاكك في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١] ، فالشيطان يريد دينك ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠] ، وقال في حق الكافرين : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، وقال في المنافقين : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ [٢٣٥/أ] كَمَا كَفَرُوا۟ ﴾ [النساء : ٨٩] ، وقال في النفس : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] فهؤلاء أعداء ذاتك ؛ إذ كانوا يريدون دينك ، وأما المؤمن الذي يحسدك فليس بعدو ذاتك ؛ لأنه لا يريد دينك ولا يريد زواله عنك ، وإنما هو عدو نعمتك التي ليس في زوالها (١) تلفك ولا هلاكك بل إن زالت النعمة عنك وقارنك الصبر (٢) فأنت فائز بثواب الصابرين الذين أجرهم بغير حساب ، وإن بقيت عندك وصاحبك الشكر فأنت فائز بثواب الشاكرين ، فالمؤمن وإن كان يحسدك فإنه يواليك ولا يعاديك ، فعاد في الله من عاداك ، ووال فيه من والاك ، ودار من حسدك ، واستدم النعمة عليك بالشكر عليه ، بالإفضال منه والإحسان (٣) ، والعود على عباد الله ، واكتساب ما تفوز به في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى في قصة قارون : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ الآية [القصص : ٧٧] ، فهذه شرائط استدامة النعمة ، التي هي نعمة الإرفاق ، والله يوفق لذلك بمنّه .

ثم وراء هذه النعم نعمتان عظيمتان جليلتان ، غبن فيهما كثير من الناس ، وهو (٤) ما حدثنا الرَّشَادِيُّ ح محمد بن أيوب الرَّازِيُّ ح سهل بن عثمان أخ عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

[٨٤٥] « **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ والفَرَاغُ** » (٥) .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : عنك.

(٢) زاد في (خ) بعدها : وصاحبك الشكر .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) في (خ) : وهما .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن ابن عباس في كتاب الرقاق باب ما جاء في الصحة والفراغ (٢٣٥٧/٥) رقم (٦٠٤٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الزهد باب الصحة والفراغ ، وقال : حسن صحيح (٥٥٠/٤) رقم (٢٣٠٤) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الحكمة (١٣٩٦/٢) رقم (٤١٧٠) ، والدارمي في سننه بألفاظ مختلفة (٣٨٥/٢) رقم (٢٧٠٧) ، وأحمد في مسنده (٢٥٨/١) رقم (٢٣٤٠) ، والحاكم في مستدركه بلفظه ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الذهبي : ذا في البخاري (٣٤١/٤) رقم (٧٨٤٥) ، وأخرجه أيضًا البيهقي في سننه الكبرى (٣٧٠/٣) رقم (٦٣١٥) ، وابن المبارك في الزهد (١/١) رقم (١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٢٩/١) رقم (٦٨٤) ، والطبراني في الأوسط عن أنس (١٩٣/٦) رقم (٦١٦٣) .

ومن جلالة قدر هاتين النعمتين [قال ﷺ : [٨٤٦] « **اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ** » – فذكر منها هاتين] [١] ، فقال : – « **فَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وصِحَّتَكَ قَبْلَ سقمِكَ** » [٢] وهما نعمتان لا يعرف قدرهما إلا بزوالهما عنك ونعوذ بالله [٢٣٥/ب] من زوال النعم وفجاءة النقم ، وإنما غبن فيهما من غبن ؛ لأنهما تحت [مكروهتين بغيضتين] [٣] إلى الناس وهما القلة والجوع فالفراغ من القلة .

قال أبو الدرداء ﷺ : [٨٤٧] « **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ تَفْرِقَةِ الْقَلْبِ . قِيلَ : ومَا تَفْرِقَةُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ : أَنْ يَكُونَ لَكَ في كُلِّ وَادٍ [٤] مَالٌ** » حدثناه محمد بن حامد ح محمد بن رجاز ح حيان أخ عبد الله ح **الأَوْزَاعِيُّ** عن بلال بن سعد أن أبا الدرداء قال ذلك [٥] ، وروي هذا الحديث مرفوعًا [٦] .

فالشغل تفرقة القلب وهو في الكثرة فيجب أن يكون ضده وهو الفراغ في القلة التي هي ضد الكثرة ، وأما الجوع فقد قال ﷺ : [٨٤٨] « **بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ** » [٧] ، وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب [٨] : [٨٤٩] « **الدَّوَاءُ هُوَ الأَزْمُ** » [٩]

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بلفظه مع اختلاف الترتيب عن ابن عباس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٤١/٤) رقم (٧٨٤٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣/٧) رقم (١٠٢٤٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عمرو بن ميمون (٧٧/٧) رقم (٣٤٣١٩) ، وابن المبارك في الزهد (٢/١) رقم (٢) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٨/٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٤٢٥/١) رقم (٧٢٩) .

(٣) في (خ) : مكروهين بغيضين .

(٤) في الأصل : وادي .

(٥) الحديث أخرجه ابن المبارك بألفاظ متقاربة عن أبي الدرداء موقوفًا (٢٢٤/١) رقم (٦٣٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨١/٧) رقم (١٠٦٦٤) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢١٩/١) .

(٦) لم أقف عليه مرفوعًا .

(٧) سبق في اللوحة رقم (٩/ب) .

(٨) هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج ، واسمه عمير بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وكان طبيب العرب ، وكان النبي ﷺ يأمر من كانت به علة أن يأتيه فيسأله عن علته ، الطبقات الكبرى لابن سعد (٥٠٧/٥) مات في أول الإسلام ولم يصح إسلامه ، الاستيعاب لابن عبد البر (٢٨٣/١) .

(٩) ذكره ابن حجر في الإصابة ، وقال : حكاه الجوهري في الصحاح أن عمر سأل الحارث بن كلدة وكان طبيب العرب : « ما الدواء ؟ » قال : « الأزم » يعني الحمية ، ثم وجدته مرويًا في غريب الحديث لإبراهيم الحربي من طريق بن أبي نجيح ، قال : « سأل عمر .. » فذكره ، وفي كتاب الطب النبوي لعبد الملك بن حبيب من مرسل عروة بن الزبير عن عمر ، الإصابة لابن حجر (٥٩٥/١) .

يعني الحمية [١] ، فإذا كان الدواء الحمية كان الداء ضدها ، وقيل : (لما خلق الله الأرض وقدر [٢] فيها أقواتها وآفاتها ذهبت الصحة إلى البادية ، فقال الجوع : أنا معك) .

فعدو هاتين النعمتين اللتين هما الصحة والفراغ الشبع والغنى ، فالحذر منهما الحمية والقنوع .

قال أبو القاسم الحكيم رحمه الله : كمنت نعمة الصحة في طول الحمية [٣] فكفرت ، واستترت نعمة الفراغ في القلة فحذرت ؛ لذلك وسمت [٤] السنة ذويها بالغبن من بين أولي النعمة .

١٧٠
باب في تفويض الأمر لله

حديث آخر : [٨٥٠] حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الفقيه ح أبو بكر محمد بن إسماعيل بن علي ح أبو سفيان الغَنَوِيُّ [٥] ح أحمد بن الحارث حدثتني أمي أم الأزهر عن سدرة مولاة ابن عامر ، قالت : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : إِنَّ النَّبِيَّ عليه السلام كَانَ إِذَا اشْتَدَّ غَمُّه مَسَحَ بِيَدِهِ [٢٣٦/أ] عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وتَنَفَّسَ صُعَدَاءَ [٦] ، وَقَالَ : « حَسْبِيَ اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ » ، فَيُعْرَفُ بِذَلِكَ شِدَّةُ غَمِّهِ [٧] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى : مسح رأسه بيده تسليمًا إلى الله نفسه وتفويضًا لأمره إليه واستسلامًا لحكمه ورضًا بقضائه ، وذلك كما يبيع الإنسان عبدًا من

---

(١) كذا في النهاية مادة (أزم) (٤٦/١) .

(٢) زاد في الأصل بعدها : وقدر .

(٣) في (خ) : الصحبة . وفي هامش (خ) : أي الحمية .

(٤) في هامش (خ) : أي أعلمت .

(٥) الغَنَوِيُّ : بفتح الغين المعجمة ، والنون ، وكسر الواو ، هذه النسبة إلى غني ، وهو غنيُّ بن يعصر ، وقيل : أعصر ، الأنساب (٤١٣/٣) .

(٦) الصُّعَداءُ بالضم والمد : تنفس ممدود ، لسان العرب مادة (صعد) .

(٧) الحديث ذكره العجلوني في كشف الخفاء بألفاظ مختلفة وعزاه لابن أبي الدنيا في الذكر عن عائشة (٤٢٦/١) رقم (١١٣٤) ، والحديث إسناده ضعيف فيه أحمد بن الحارث الغساني ، قال البخاري في التاريخ الكبير : فيه بعض النظر (٢/٢) رقم (١٤٨٦) ، وقال العقيلي في الضعفاء الكبير : أحاديثه لا يتابع فيها على شيء مناكير (١٢٥/١) رقم (١٥٢) ، قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أبيه : متروك الحديث (٤٧/٢) رقم (٣٢) .

ملك من ملوك الدنيا فإذا أراد تسليمه إليه مسح برأسه وجسده ووضع بيده على ظهره كالمودع له ، فكذلك ﷺ كان إذا أصابه غم سلى نفسه وسلَّمها إلى مولاه ووجَّه بها إليه ، كأنه يقول : لست لي بل أنت للَّه يقضي فيك ما يشاء ويحكم فيك ما يريد ليس لي في حكمه اعتراض ولا في أمره تلوٌّ بل له الحكم وإليه المصير .

ومعنى تنفسه الصعداء : شكواه بثه وحزنه إلى مولاه ، كما قال يعقوب ﷺ : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] فكان يتنفس ولا يتكلم بإظهار ما علمه اللَّه منه ولا يعترض على حكمه سؤالًا بكشف غمه بل يتنفس شكوى إليه ؛ إذ كان حزنه وغمه منه وله وفيه ، فكان شكواه منه إليه كما كان حزنه فيه وله .

وقوله : « **حسبي اللَّه ونعم الوكيل** » جواب تسليمه نفسه وتفويض أمره يقول : سلمتك إلى اللَّه وهو حسبك ووكلتك إليه ونعم الوكيل هو .

ويجوز فيه معنى آخر وهو أن الغم إذا تمكن من القلب والحزن إذا كظمه العبد تولد منه بخار فثار إلى الرأس فربما أثر فيه من تغيير يصيب العقل إذا غشي البخار الدماغ وربما صار من ذلك البخار كيموسًا غليظًا يفسد [1] الحواس ، قال اللَّه تعالى يذكر يعقوب : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٨٤] أخبر أن كظمه حزنه أثر فيه حتى ابيضت له عيناه ، فيجوز أن يكون النبي ﷺ [٢٣٦/ب] إذا اشتد غمه وصعد البخار إلى رأسه استنزله بمسحه رأسه كأنه يفرقه ويستنزله ببرد يده ويمنها وبركتها كما كان النبي ﷺ [٨٥١] « إِذَا نَامَ نَفَثَ [2] في يَدِهِ وقَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] والمعَوِّذَتَيْنِ ومَسَحَ بِهِمَا وَجْهَه وسَائِرَ بَدَنِه » ، قالته عائشة رضي الله عنها [3] .

(١) زاد في (خ) بعدها : بعض .

(٢) نفث : النَّفث بالفم ، شبيه بالنَّفخ ، وهو أقل من التَّفل ؛ لأن التَّفل لا يكون إلا ومعه شيءٌ من الرِّيق ، النهاية مادة (نفث) ، (٥/٨٧)

(٣) هذا معنى حديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة في كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات (٤/١٩١٦) رقم (٤٧٢٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الدعوات باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام ، وقال : حسن صحيح (٥/٤٧٣) رقم (٣٤٠٢) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١/٤٦٢) رقم (٧٨٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الدعاء باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه (٢/١٢٧٥) رقم (٣٨٧٥) ، وأحمد في مسنده (٦/١١٦) رقم (٢٤٨٩٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٥١٤) رقم (٢٥٧٠) ، وابن حبان في صحيحه (١٢/٣٥٢) رقم (٥٥٤٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤٠) رقم (٢٩٣١٦) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢/٢٨١) رقم (٧٩٤) ، والطبراني في الأوسط (٣/٣٤٥) رقم (٣٣٥٤) .

وحدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل أخ محمد بن إسماعيل ح حيان أخ عبد الله أخ يونس عن ابن شهاب أخ ني عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته : [٨٥٢] «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ (١) إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى رَأْسِهِ بِالمعَوِّذَاتِ ومَسَحَ عَنْه (٢) بِيَدِهِ ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَه الذِي تُوفِّيَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهَا بِالمعَوِّذَاتِ التِي كَانَ يَنْفُثُ وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ عليه السلام عَنْه (٣) » (٤) .

فلما كان يتبرك بيده بمسحه جسده بها من شكوى يجدها كذلك كان يتبرك بها باستنزال ما يصعد إلى رأسه من الغم ويتسلى بها فيصير ذلك البخار ريحًا يخرج من فيه عليه السلام بتنفسه الصعداء ، فينكشف حزنه فيقول : « **حسبي الله ونعم الوكيل** » ، أي : بالله كان انكشاف غمي وبه يكون سلوتي فهو حسبي ونعم الوكيل ، كمن سلم نفسه إليه وهو حسب من فوض أمره إليه .

ويجوز أن يكون فيه معنى آخر وهو أنه ﷺ حبيب الله وأخص أحبائه به ، وأحب خلقه إليه وأقربهم منه وأخصهم له ، فهو عليه السلام حبيبه وخليله قال عليه السلام : [٨٥٣] « **لَوْ كُنتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا لَكِنَّ صَاحِبَكُم خَلِيلُ اللَّهِ** » (٥) وهو عليه السلام صفيه ونجيه ، والمحبة إذا تمت والخلة إذا استحكمت والخصيصا (٦) إذا [٢٣٧/أ] بلغت نهايتها صار حكم أحد الخليلين حكم صاحبه وأوصاف أحد الحبيبين صفة الآخر ، فيكون قيام أحد الحبيبين بصفات محبه لسقوط المباينة بينهما ووقوع الموافقة بينهما ، فكل فعل يفعله الحبيب كان ذلك فعل حبيبه ، وكل صفة وصف بها أحدهما كان ذلك صفة للآخر .

ألا ترى أن المشهور من شأن قيس المجنون أنه كان إذا أريد منه سكون وطمأنينة ذكر له ليلى وكان إذا (٧) ذكرها لم يختلط وكان يتكلم بأحسن كلام وإذا سئل عن غيرها

---

(١) زيادة من (خ) .
(٢) في (خ) : عينه . وفي هامش (خ) : عينيه .
(٣) في (خ) : عينه .
(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته (١٦١٤/٤) رقم (٤١٧٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب رقية المريض بالمعوذات والنفث (١٧٢٣/٤) رقم (٢١٩٢) ، وابن حبان في صحيحه (٥٥٥/١٤) رقم (٦٥٩٠) .
(٥) سبق في اللوحة رقم (١٢٩/أ) .
(٦) في هامش (خ) : من الخصوصية ا.هـ . ولم أقف عليها .
(٧) زيادة من (خ) .

اختلط ، وقيل له : أتحب ليلى ؟ قال : لا . فقيل : ولم ؟ قال : إن المحبة ذريعة الوصلة وقد وقعت الوصلة وسقطت الذريعة ؛ فأنا ليلى وليلى أنا .

قال : وأنشدني بعض العراقيين لقيس [1] :

ولقد هممت بقتلها من أجلها | كي ما تكون خصيمتي في المحشر
حتى يطول على الصراط وقوفنا | فتلذ عيني من فنون المنظر
ثم ارتجعت فقلت : روحي روحها | فإذا هممت بقتلها لم أقدر (ن)

وأنشدني بعض أصحابنا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا | نحن روح وحوانا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته | وإذا أبصرته كنت أنا
[نحن مذ كنا على عهد الصبا | نضرب الأمثال في الناس بنا
أيها السائل عن قصتنا | لو تر أنا لم تفرق بيننا (ن)] [2]

أراد بدنان فأسقط النون كما قال :

تبكي عليك نجوم الليل والقمرا (ن)

أراد والقمران فأسقط النون ، هذا في محدث آفل زائل تسلبه محبته أوصافه وتسقطه عن أوصاف نفسه أوصاف محبوبه ، فكيف بمن أحب الباقي الدائم [٢٣٧/ب] الذي ليس كمثله شيء وأحبه الله العلي العظيم ؟! وقد قال ﷺ عن جبريل عن الله تعالى : [٨٥٤] « **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها** » [3] .

هذا فيمن ليس خصوصه خصوص النبي ﷺ ولا محله محله ، فكيف بأخص الأحباء وأجل الأخلاء ؟! وقد جعل الله طاعته طاعة نفسه ، فقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] وجعل أمره ونهيه أمر نفسه ونهي نفسه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] ، وجعل خلقه

---

(١) من هامش الأصل . (٢) السابق .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الرقاق باب التواضع (٢٣٨٤/٥) رقم (٦١٣٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٤٦/٣) رقم (٦١٨٨) ، وابن حبان في صحيحه (٥٨/٢) رقم (٣٤٧) .

صفته ، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : [٨٥٥] « كَانَ خُلُقُه القُرْآنَ » (١) وأضاف فعله إلى نفسه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، كذلك أضاف إلى نفسه يده ونسبها إلى نفسه فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] فيده عليه السلام المصافحة لهم بالبيعة أضافها الله إلى نفسه فكانت يده عليه السلام يده عز وجل كما كان الحجر يمينه تعالى ، قال عليه السلام : « **هُوَ يَمِينُ اللَّهِ التي يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ** » ، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله ح محمد بن إسحاق بن خزيمة ح الحسن بن محمد الزَّعْفَرَانِيُّ ح سعيد بن سليمان ح عبد الله بن المؤمل قال : سمعت عطاء يحدث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [٨٥٦] « **يَأْتِي الرُّكْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ لَهُ لِسَانٌ وشَفَتَانِ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَن اسْتَلَمَهُ بِالنِّيَّةِ ، وَهُوَ يَمِينُ اللَّهِ تَعَالى التي يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ** » (٢) ولذلك كان رسول الله عليه السلام يقبله ، قال عمر رضي الله عنه : [٢٣٨/أ] [٨٥٧] « إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ (٣) لا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ ولَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ » (٤) . فكان رسول الله عليه السلام يقبّل الحجر الأسود كما يقبّل العبيد أيدي أربابهم والخدم أيدي ملكهم (٥) ؛ لأنه عليه السلام قال : [٨٥٨] « **هِيَ يَدُ اللَّهِ التي يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَه** » (٦) فإذا كان ذلك كذلك في حجر خصه الله تعالى من بين الحجارة فما ظنك بالنفس المطمئنة والروح الراضية المرضية واليد الطاهرة الزكية التي هي فوق أيدي الخلق وأعلاها وأطيبها وأزكاها ، فلما كانت يده عليه السلام يد مولاه كان إذا أصابه غم واشتد به حزن – ولله غمه وفي الله حزنه ، ألا تراه يقول لفاطمة لما قال عليه السلام : [٨٥٩] « **وَاكَرْبَاه** » .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٥٥/ب) . (٢) سبق في اللوحة رقم (٨٨/أ) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن عمر في كتاب الحج باب ما ذكر في الحجر الأسود (٥٧٩/٢) رقم (١٥٢٠) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة في كتاب الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (٩٢٥/٢) رقم (١٢٧٠) ، وأبو داود في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب المناسك باب في تقبيل الحجر (١٧٥/٢) رقم (١٨٧٣) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب الحج باب استلام الحجر (٤٠٠/٢) رقم (٣٩١٨) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب المناسك باب استلام الحجر (٩٨١/٢) رقم (٢٩٤٣) ، وأحمد في مسنده (٥٤/١) رقم (٣٨١) ، والحاكم في مستدركه وسكت عنه الذهبي (٦٢٨/١) رقم (١٦٨٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٤/٥) رقم (٩٠٠١) ، وابن حبان في صحيحه (١٣١/٩) رقم (٣٨٢٢) .

(٥) في (خ) : ملوكهم .

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد سبق بلفظ : « هو يمين الله التي يصافح بها خلقه » في اللوحة رقم (٨٨/أ) .

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : وَاكَرْبَاه لِكَرْبِكَ يَا أَبَتَاه . فَقَالَ ﷺ : « **لا كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوم** » (١) أخبر أن كربه وحزنه في اللَّه ولله فإذا صار إليه فلا كرب له ولا حزن ، فكان إذا اشتد حزنه سلاه اللَّه تعالى بتحريكه يده ومسح رأسه بها كما يفعل الإنسان بولده الذي يحبه ويشفق عليه ويشتد عليه حزنه وأسفه فيمسح برأسه رقة عليه ورحمة له وتعطفًا عليه ووعدًا بالجميل له يسكن بذلك حزنه ويسلي به غمه ، وقد قال ﷺ : [٨٦٠] « **اكْلأني كَلاءَةَ الوَلِيدِ** » (٢) ، فعطف الحق عليه ورأف له ورق له وسلاه حزنه بمسحه برأسه بيده التي أضافها إلى نفسه فيصير ذلك الغم والحزن ريحًا يخرج من فيه ويصعد إلى من كان هو فيه ويرجع إلى من جاء منه ويعود إلى من بدا منه ، ثم يقول له في سره : حسبك اللَّه فيقول هو بلسانه : « **حسبي اللَّه** » جوابًا لقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال : ٦٤] ، فيقول : حسبي اللَّه [٢٣٨/ب] الذي لم يزل حسبي ونعم الوكيل الذي ضمني إليه وقربني منه ووعدني الجميل من عنده والرجوع إليه تعالى اللَّه البر الرحيم وصلى اللَّه على المصطفى (٣) الكريم .

١٧١
باب في صفات أمة محمد ﷺ

حديث آخر : [٨٦١] حدثنا محمد بن عبد اللَّه (٤) [بن يزداد] (٥) ح جعفر بن ذريح العُكْبَرِيُّ (٦) بعكبر (٧) أخ أبو محمد الحِمَّانِيُّ بالكوفة ح الربيع بن النعمان عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إِنَّ مُوسَى ﷺ نَـزَلَ (٨) عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ ، فَقَرَأَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هَذِه الأُمَّةِ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُم الآخِرُونَ السَّابِقُونَ ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ . قَالَ : يَا رَبِّ ،**

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بنحوه عن أنس (١٤١/٣) رقم (١٢٤٥٧) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (٥٩٢/١٤) رقم (٦٦٢٢) ، وأبو يعلى في مسنده (١٥٦/٥) رقم (٢٧٦٩) ، والطيالسي في مسنده (٢٧٢/١) رقم (٢٤٥) ، وابن عدي في الكامل (١٧٥/٤) رقم (٩٩٤) ، والطبراني في الأوسط بنحوه (١٢٥/٩) رقم (٩٣١٣) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٨٣/أ) .

(٣) في (خ) : الصفي .

(٤) في هامش الأصل : الفقيه أبو بكر الرَّازِيُّ . وزاد في (خ) بعدها : ابن أبي بكر الرَّازِيِّ .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) زاد في (خ) بعدها : بفتح الباء بها .

(٧) سقط من (خ) .

(٨) في (خ) : نزلت .

إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً [١] هُم الشَّافِعُونَ المشْفُوعُ لَهُم ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ . قَالَ : يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً أَنَاجِيلُهُم [٢] فِي صُدُورِهِم ، يَقْرَؤُونَه ظَاهِرًا ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أحْمَدَ ، قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِم ويُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ . قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَأْكُلُونَ الفَيْءَ ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ . قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُم بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَه حَسَنَةً وَاحِدَةً ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَه عَشْرَ [٣] حَسَنَاتٍ ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ . قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُم بِسَيِّئَةٍ ثُمَّ لم يَعْمَلْهَا لم تُكْتَبْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ [٤] سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ . قَالَ : إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَرِثُونَ [العِلْمَ الأَوَّلَ والآخِرَ] [٥] ، فَيَقْتُلُونَ قُرُونَ الضَّلالَةِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ ، فَاجْعَلْهَا [٢٣٩/أ] أُمَّتِي . قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ . قَالَ : يَا رَبِّ فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ . فَأُعْطِيَ عِنْدَ ذَلِكَ خَصْلَتَيْنِ . فَقَالَ [اللَّه تَعَالَى] [٦] : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، فَقَالَ : قَدْ رَضِيتُ رَبِّي [٧] » [٨] .

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) أناجيلُهم : هي جمع إنْجيل ، وهو اسم كتاب اللّه المُنَزَّل على عيسى عليه السلام ، وهو اسم عِبْرَانيٌّ أو سُرْيَانيٌّ ، وقيل : هو عربيٌّ ، يريد أنهم يقرؤون كتاب اللّه عن ظَهر قلوبهم ويَجْمَعُونه في صدورِهم حِفظًا ، وكان أهل الكتاب إنما يَقرؤون كُتُبَهم من الصُّحُف ولا يَكاد أحدُهم يَجمَعُها حِفظًا إلا القليل ، وفي رواية : وأناجِيلهم في صدورِهم ، أي : أن كُتُبَهم محفوظةٌ فيها ، النهاية مادة (نجل) ، (٥/٢٢)

(٣) في (خ) : عشرة .

(٤) زاد في (خ) بعدها : له .

(٥) في (خ) : علم الأولين والآخرين .

(٦) زيادة من (خ) .

(٧) في (خ) : يا ربي .

(٨) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بألفاظ مختلفة عن قتادة (٩/٦٥) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي هريرة (٦١/١١٩) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لأبي نعيم في الدلائل عن أبي هريرة (٣/٥٥٦) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه أبو محمد الحماني ، واسمه جبارة بن المغلس ، قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : كوفي ضعيف الحديث (٢/٥٥٠) رقم (٢٢٨٤) ، وقال ابن حبان في المجروحين من المحدثين : كان يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل (١/٢٢١) رقم (١٩٦) ، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : ضعيف (١/١٣٧) رقم (٨٩٠) ، وفي الإسناد أيضًا الربيع بن النعمان ، قال ابن حجر في لسان الميزان : روى عن سهيل بن أبي صالح ، وتفرد عنه بغرائب ، وفيه لين (٢/٤٤٨) رقم (١٨٣١) .

قال الشيخ رحمه الله : إن الكليم المعلى قدره الجليل خطره الرفيع ذكره الجلي نوره ؛ فكان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة [1] فراسخ حدثناه الشريف أبو الحسن [2] محمد بن علي الحَسَنيُّ [3] ح محمد بن أحمد [4] بن سعيد بهمذان ح محمد بن أحمد بن سليمان ح محمد بن محمد بن مرزوق ح همام ح الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [٨٦٢] « **لَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِمُوسَى كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفَا** [5] **فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ مَسِيرَةَ عَشْرَةِ** [6] **فَرَاسِخَ** » [7] فهذا المكلم الكريم على ربه لما رأى صفات أمة أحمد المَحْمُودِين وأكرم المولودين وحبيب رب العالمين اغتبطهم على ما أوتوا بقوله : « هم الآخرون السابقون » اغتبطهم على ما في السبق لا على السبق والذي في السبق هو التقريب ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٢] فكان اغتباطه إياهم على تقريب الحق تعالى لهم لا على السبق الذي هو صفتهم اغتبطهم على قصد الحق تعالى لهم بتقريبهم منه وإدنائه إياهم فاغتبطهم على ما منه إليهم دون ما منهم إليه ؛ لأن الشرف فيما منه دون ما منهم كذلك قوله : « الشافعون المشفوع لهم » اغتبطهم على أنهم مشفوع لهم ؛ لأن الشفيع إنما يكون المختص المقرب الحبيب المحبب .

وقوله : « أناجيلهم في صدورهم » [٢٣٩/ب] اغتبطهم ؛ لأنه جلاهم بصفته فهم له

---

(١) في (خ) : عشر . (٢) في (خ) : الحسين .

(٣) الحَسَنيُّ : بفتح الحاء والسين المهملتين ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى رجلين وامرأة وقرية ، الأنساب (٥٨/٢) .

(٤) في (خ) : محمد .

(٥) الصَّفا : جمع صَفاة ، وهي الصَّخرةُ والحجر الأَملَسُ ، النهاية مادة (صفا) ، (٤١/٣) .

(٦) في (خ) : عشر .

(٧) الحديث ذكره ابن كثير بلفظه في تفسير القرآن العظيم وعزاه للقاضي عياض في أول كتابه الشفاء بسنده عن أبي هريرة (٢٤٧/٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور بألفاظ متقاربة وعزاه لأبي الشيخ عن أبي هريرة (٥٤٥/٣) ، والألوسي في تفسيره روح المعاني (٥٣/٩) ، وإسناد هذا الحديث فيه مقال ، ففيه أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين – شيخ المصنف – ، قال فيه ابن حجر في لسان الميزان : كان يجازف في الرواية في آخر أيامه (٢٩٩/٥) رقم (١٠١١) ، وفيه محمد بن محمد بن مرزوق ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ (١٢٥/٩) رقم (١٥٥٥٣) ، وضعفه ابن عدي في الكامل (٢٩١/٦) رقم (١٧٧٨) ، وقال فيه ابن حجر في تقريب التهذيب : صدوق له أوهام (٥٠٥/١) رقم (٦٢٧١) ، وفي الإسناد محمد ابن أحمد بن سعيد ، لم أتعرف عليه .

به ذاكرون ولكلامه بلا واسطة لوح أو صحيفة تالون ؛ لما تشرب عروقهم محبته امتزجت بقلوبهم صفته تشرب قلوب أولئك حب العجل ، وحبب إلى هؤلاء الإيمان وزينه في قلوبهم فهم له تعالى أشد حبًا ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وقوله : « يأكلون الفيء » الفيء هو النفل ، والنفل والأنفال للّه والرسول ، فأقامهم مقام نفسه في رجوع الفيء إليهم ، فكان أكلهم الفيء رجوعه إليه ، وجعل الصدقة في بطونهم قبولها منهم ؛ إذ كانت الصدقة والفيء ينزل اللّه تعالى عليه نارًا من عنده فتأكله ، وكانت النار يده التي يقبل بها صدقاتهم ، لأنه تعالى قال : ﴿ هُوَ (١) يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤] ، وقال ﷺ : [٨٦٣] « **إِنَّ اللّهَ تعالى يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ فَيأْخُذُ (٢) بِيَمِينِهِ فيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُم مُهْرَه أَوْ فَصِيلَه** » الخبر « **حَتَّى تَصِيرَ اللُّقْمَةُ مِثْلَ أُحُدٍ** » (٣) .

فأقام بطونهم مقام تلك النار التي هي القابلة عنه منهم فاغتبطهم على مكانهم من ربهم فأحب أن يكونوا منه وله .

وقوله : « **فإذا همَّ أحدهم بحسنة كتبت له** » ؛ لأنه جعل قلوبهم خزائنه فما حصل في خزانته حصل عنده وله ، فإذا عملوها بجوارحهم جعل فعل كل جارحة من جوارحهم فعل جميعها ، وعدد جوارحهم عشرة وهو : العينان والأذنان واليدان والرجلان والفم والأنف ، ثم أضعف لهم سبعمائة إلى ما لا غاية له ؛ ذلك لمكانهم منه وقدرهم عنده لم يجعل عليهم حرجًا ، [٢٤٠/أ] ولم يرد بهم عسرًا فما فعله بهم

---

(١) في الأصل و (خ) : وهو الذي .
(٢) كذا في الأصل .
(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٧٠٢/٢) رقم (١٠١٤) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة في كتاب الزكاة باب ما جاء في فضل الصدقة ، وقال : حسن صحيح (٥٠/٣) رقم (٦٦٢) ، والنسائي في سننه الكبرى بنحوه في كتاب التعبير باب قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩] ، (٤١٣/٤) رقم (٧٧٣٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزكاة باب فضل الصدقة (٥٩٠/١) رقم (١٨٤٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤٧١/٢) رقم (١٠٠٩٠) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه - يعني باللفظ الذي خرجه به - ووافقه الذهبي (٣٦٣/٢) رقم (٣٢٨٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٨/٣) رقم (٣٤٧٦) ، وابن حبان في صحيحه بنحوه (١٠٩/٨) رقم (٣٣١٦) ، وابن خزيمة في صحيحه (٩٢/٤) رقم (٢٤٢٥) .

من غير تكلف منهم جعله فعلهم وهو الهم الذي هو فعل القلب ، وإنما يجعل الله ذلك الهم في قلوبهم من غير تكلف منهم له وهو اليسر الذي أراد بهم فإذا تكلفوه وتحملوا فيه أدنى عسر شكر ذلك لهم فأقام الواحد مقام العشرة وأضعف ثواب الواحد بسبعمائة ويزيد الشاكرين من عنده فحق لهؤلاء أن يغبطوا على مكانهم من الله تعالى .

وإذا همَّ بسيئة لم تكتب عليه ؛ لأنه أشرب قلوبهم موافقته وحبه ، فلا تجامع مخالفته موافقته في مكان ولا يحل حبه وما يكرهه في محل والمحل محل [(١)] الحب ، والمكان مكان الموافقة فتلاشت المخالفة فيه وزال المكروه منه ، وإذا عملها بجارحة كتبت واحدة لسلامة سائرها منه وبراءة ما سواها عنه ثم يهبها منه ويكفرها له ويمحوها عنه ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧١] ، وقال فيما يلقنهم الله : ﴿ وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] ، فلو لم يرد تكفيرها لهم ما لقنهم ذلك ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ، فإذا دعوه أجابهم وإذا سألوه أعطاهم لأنه قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء : ٣٢] ، ومما يدل على ذلك قوله : « كتبت له سيئة واحدة » ولم يقل : « عليه » وإنما كانت له ؛ لأنه يبدله بها حسنة ، قال الله تعالى : ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

وقوله : « يرثون العلم الأول والآخر » علم الأول علم البدء ، وعلم الآخر ما يظهر في الوقت ، وقيل : علم الأول علم الميثاق حين خاطبهم وتعرف إليهم بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، فأجابوه بـ : ﴿ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] عن علم منهم به ومعرفة منهم له ؛ لأنه تعرف إليهم بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، ولم يقل : من أنا ؟ ولا من ربكم ؟ ولكنه ﷻ لقَّنهم فتلقنوا وعرفهم فعرفوا [٢٤٠/ب] وعلمهم فعلموا فثبتوا آخرًا على ذلك وأقروا ولم ينكروا ذلك ولا شكوا ؛ لأنهم عن علم شهدوا وبمعرفة أقروا فعلم الأول علم قوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وعلم الآخر : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ الآية [البقرة : ١٣٦] .

وقيل : علم الأول علم التوراة والإنجيل والزبور والصحف ، وعلم الآخر علم القرآن العظيم جوامع الكلم ، الشاهد على الكتب والمهيمن على الأمم فعلم سائر الأمم الماضية علم خاص وعلم هذه الأمة علم عام وعلم أهل الكتاب علم قليل ، قال الله تعالى :

---

(١) من هامش الأصل .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٨٥] قرأها بعض الصحابة أراه ابن عباس رضي الله عنه حبر الأمة : ﴿ وما أُوتُوا مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلًا ﴾ (١) وعلم هذه الأمة علم كثير قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣] الكتاب القرآن ، والحكمة فهمه ، فمغبوط قوم وصفوا بصفات الحق وكادوا يكونون (٢) أنبياء . وقال النبي عليه السلام : [٨٦٤] « **مَنْ حَفِظَ القُرْآنَ فَكَأَنَّمَا أُدْرِجَت النُّبُوَّةُ بَين جَنْبَيْهِ إلا أَنَّه لا يُوحَى إِلَيْه** » (٣) ، وقال عليه السلام : [٨٦٥] « **كادُوا يَكُونُونَ مِنَ الفِقْهِ أَنْبِيَاءَ** » (٤) .

وقوله : « يقتلون قرون الضلالة المسيح الدجال » لما صحت معرفتهم بالله زالت الشبهات عنهم فنفوها عن أوهامهم بقوة معارفهم ، فلما ظهرت الشبهات والفتن وافتتن بها من كانت معرفته نكرة وإقراره إنكارًا نفوها بقوة بطشهم وأيد أيديهم فيناديهم كل حجر وشجر : يا مؤمن هذا يهودي فاقتله . فهم يزيلون من يلقي الشبهة في العباد عن البلاد كما أزالوا [٢٤٠/أ] عن قلوبهم الشبهة التي وقعت في قلوب كثير من العباد فهم في الدين بالله علماء وعلى الأرض لله خلفاء .

وقوله : « يا رب [فاجعلها أمتي] (٥) » أحبهم عليه السلام ؛ لأنهم أحباء الله ، وآثرهم ؛ لأنهم آثرة الله فأحب أن يكونوا منه ويكون منهم ، فأعطي الإيمان منهم به والشفاعة منه لهم فيهم .

وقوله : « **فأعطي عند ذلك خصلتين** » فيه تنبيه له كأنه لما كثرت أمنياته بقوله : « اجعلهم أمتي ، اجعلها أمتي » كان ذلك استزادة منه فيما أوتي من النعم التي لا يقوم بشكرها على ما يستأهله الله آخر الأبد ، فقيل له : اصطفيتك برسالاتي وبكلامي

---

(١) ذكر هذه القراءة البغوي في تفسيره معالم التنزيل ، ونقل عن الأعمش قوله : هكذا في قراءتنا (١٣٤/٣) ، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، وعنده إنها قراءة ابن مسعود (٣٢٤/١٠) .

(٢) في الأصل : يكونوا .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧٣٨/١) رقم (٢٠٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢٢/٢) رقم (٢٥٩٠) ، وابن المبارك في الزهد (٢٧٥/١) رقم (٧٩٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠/٦) رقم (٢٩٩٥٣) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٠٥/ب) (س) .

(٥) في هامش الأصل وفي (خ) : فاجعلني من أمة أحمد .

فهل قمت بشكره فتستزيد من نعمه فقيل له : خذ ما آتيتك وقم بشكره فتستزيد من نعمه وإني لمن يروم شكر من لا يحصي نعمه ولا ينال كنه حقه فقال : « رضيت ربي » نبه ﷺ فانتبه وذكر فتذكر ووقف به على حد فوقف وأقيم مقامًا فرضي ﷺ .

ومعنى قوله : « اجعلني من أمة محمد » يجوز أن يكون معناه اجعلني فيهم كأنه ﷺ سأل الله أن يجمع بينهم وبينه ويجعله في عصرهم ليحوز فضيلة إلى فضيلة ، تمنى إحراز الفضيلتين كمن صلَّى إلى القبلتين ، وقيل : تمنى طول العمر ليكون شيخ الشيوخ وليس معناه أن ينقله من [١] الرسالة إلى ما دونها [من الحال] [٢] فإن فضل هذه الأمة وإن جل فإنه لا يبلغ فضل نبي من الأنبياء ولا يجوز أن يسأل الله رسول كريم ونبي كليم أن يجعله وليًا من أوليائه وهو نبي من أفاضل أنبيائه .

وأنكر هذا الحديث قوم من المتعقلة ومن يتبع أهواءها [٢٤١/ب] ويقول بآرائها لهذه العلة ، فقالوا : كيف يجوز أن يسأل نبيٌّ أن يكون وليًا ؟! ورسولٌ أن يكون مرسلًا إليه ؟! وبعيثٌ يتمنى أن يكون مبعوثًا إليه ؟! وليس ذلك على ما ذهبوا إليه ، وإنما سأل الله أن يكون فيهم ، وكونه فيهم لا يوجب زوال النبوة عنه ، ولا انتقاله عن الرسالة ، فقد يجوز أن يكون في عصر واحد نبيان ، وفي وقت واحد رسولان ، كما كان موسى وهارون وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الآية [المؤمنون : ٤٥] ، وكذلك إبراهيم ولوط [٣] كانا في عصر واحد ، وهما رسولان ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الآية [الصافات : ١٣٣] ، وكذلك يحيى وعيسى نبيان ، كانا في عصر واحد ، فإذا جاز أن يكون نبيان [٤] في عصر واحد كذلك كان جائزًا لو بقاه الله إلى عصر محمد ، فيكون في أمته وهو على نبوته ورسالته لم ينتقل عنها ، وتكون الشريعة شريعة محمد دون شريعة موسى ، كما كانت الشريعة في عصر إبراهيم لإبراهيم دون لوط ، وفي زمن عيسى لعيسى دون يحيى عليهما السلام .

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : [٨٦٦] « لَوْ كَانَ مُوسَى وعِيسَى في وَقْتِ مُحَمَّدٍ لَكَانَ عَلَيْهِمَا اتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ » [٥] أو كلامًا هذا معناه .

وروي مثل هذا مرفوعًا عن النبي ﷺ : [٨٦٧] « **لَوْ كَانَ مُوسَى في الأَحْيَاءِ**

---

(١) في (خ) : عن .

(٢) من هامش الأصل .

(٣) في الأصل : ولوطًا .

(٤) في الأصل : نبيين .

(٥) لم أقف عليه .

مَا وَسِعَه إلا اتِّبَاعِي » [(١)] وقد أجمع أهل الأثر وكثير من أهل النظر على أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء فيقتل الدجال ويكسر الصليب ، ولا يجوز أن يقال : إنه ليس عند ذلك بنبي أو نقل عن مرتبة الرسالة إلى ما دونها ، فكذلك موسى لو كان [٢٤٢/أ] في هذه الأمة لكان نبيًا رسولًا ، وإن كانت شريعته منسوخة ، ويكون نسخ شريعته بشريعة محمد عليه السلام كنسخ بعض ما نسخ من شريعة النبي عليه السلام بشريعة نفسه ، فإذا جاز أن تنسخ بعض الشرائع بشريعة أخرى فالنبي [(٢)] نبي والرسول رسول ، كذلك يجوز أن تنسخ شريعة موسى بشريعة محمد ، وموسى نبي رسول ، وقد صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ برواية العدول بنزول عيسى ابن مريم ، وكونه في هذه الأمة ، وهو نبي رسول يوحى إليه ، وهو ما حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى قال : ح علي بن حجر أخ الوليد بن مسلم وعبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر [دخل حديث أحدهما في حديث الآخر عن عبد الرحمن بن يزيد] [(٣)] بن جابر الطائي عن عبد الرحمن بن جبير [(٤)] بن نفير [(٥)] عن النواس بن سمعان الكلابي قال : [٨٦٨] **ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخفضَ فِيهِ ورَفعَ حَتَّى ظَنَنَّاه في طَائِفَةِ النَّخْلِ ، - وذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا إِلى أَنْ قَالَ - : « فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هَبَطَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِشَرْقِيِّ دِمَشْقَ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ بَين مَهْرُودَتَيْنِ** [(٦)] **وَاضِعًا يَدَيْه عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَه قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَه تَحَدَّرَ مِنه جُمَانٌ** [(٧)] **كَاللُّؤْلُؤِ »** . قَالَ : « **فَلا يَجِدُ رِيحَ نَفسِهِ - يَعْنِي أَحَدٌ - إلا مَاتَ ، وَرِيحُ نَفَسِه مُنْتَهَى بَصَرِهِ »** . قَالَ : « **فَيَطْلُبُه حَتَّى يُدْرِكَه بِبَابِ لُدٍّ** [(٨)] **فَيَقْتُلُه ، فَيَلْبَثُ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ »** . قَالَ : « **ثُمَّ يُوحِي اللَّهُ تعالى إِلَيْهِ أَنْ جَرِّزْ عِبَادِي إِلى الطُّورِ ،**

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن جابر (٣٣٨/٣) رقم (١٤٦٧٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة (٢٠٠/١) رقم (١٧٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عمر (٣١٢/٥) رقم (٢٦٤٢١) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ مختلفة عن جابر (١٠٢/٤) رقم (٢١٣٥) ، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ، وعزاه للبيهقي والديلمي وأبي بكر السجزي في الإبانة عن جابر مجلد (١) حديث رقم (١٠٠٧) .

(٢) في (خ) : والنبي .

(٣) سقط من (خ) ، ومكانها : عن يحيى .

(٤) زاد في (خ) بعدها : عن أبيه جبير .

(٥) في (خ) : نفيل .

(٦) مَهْرُودَتَين : أي في شُقَّتَين أو حُلَّتين ، وقِيل : الثَّوب المَهْرود الذي يُصْبغ بالوَرْسِ ، ثم بالزَّعْفَران فَيجيء لَوْنُه مثل لَوْن زَهْرة الحَوْذَانة ، النهاية مادة (هرد) ، (٢٥٧/٥) .

(٧) الجُمان : هو اللُّؤلؤ الصِّغار ، وقيل : حَبٌّ يُتَّخذ من الفِضَّة أمثال اللؤلؤ ، النهاية مادة (جمن) ، (٣٠١/١) .

(٨) موضع بالشام وقيل : بِفلَسْطين ، النهاية مادة (لدد) ، (٢٤٥/٤) .

فَإِنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي لا يَد لأَحَدٍ بِقِتَالِهِم » . قَالَ : « **وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ**[(١)] **كَمَا قَصَّ اللَّهُ تَعَالى** : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] » . قَالَ : « **وَيُحَاصِرُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وأَصْحَابَه حَتَّى تَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ يَوْمَئِذٍ خَيرًا لأَحَدِهِم مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ** [٢٤٢/ب] **لأَحَدِكُم الْيَوْمَ** » . قَالَ : « **فَيَرْغَبُ عِيسَى** عليه السلام **إِلَى اللَّهِ تَعالى وأَصْحَابُه** » . قَالَ : « **فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِم النَّغَفَ**[(٢)] **فِي رِقَابِهِم فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى**[(٣)] **مَوْتَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** » . قَالَ : « **وَيَهْبِطُ عِيسَى وَأَصْحَابُه فَلا يَجِدُ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلا قَدْ مَلأَتْه زُهْمَتُهُم**[(٤)] **وَنَتَنُهُم وَدِمَاؤُهُم** » . قَالَ : « **فَيَرْغَبُ عِيسَى إِلى اللَّهِ وأَصْحَابُه ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعالى عَلَيْهِم طَيرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ** »[(٥)] . قَالَ : « **فَتَحْمِلُهُم ، فَتَطْرَحُهُم بِالمَهِيلِ** »[(٦)] . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح حسن[(٧)] .

وحدثنا نصر ح أبو عيسى ح قتيبة ح الليث عن[(٨)] ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : [٨٦٩] « **والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الخنزِيرَ ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ المالُ حَتَّى لا يَقْبَلُه أَحَدٌ** » ، قال : وهذا حديث حسن صحيح[(٩)] ،

---

(١) في (خ) : فهم .

(٢) النَّغَف : بالتحريك دُودٌ يكون في أنُوف الإبِل والغنم ، واحدها نغفة ، النهاية مادة (نغف) ، (٨٦/٥) .

(٣) فَرْسى : أي قَتْلى ، الواحِد : فَرِيس ، من فَرس الذِّئبُ الشَّاة ، وافْتَرَسها إذا قَتَلها ، النهاية مادة (فرس) ، (٤٢٨/٣) .

(٤) الزهومة : ريح لحم سمين منتن ، أَراد أن الأَرض تُنْتِنُ من جِيَفِهِم ، لسان العرب مادة (زهم) .

(٥) البُخْت : الأنثى من الجِمال ، النهاية مادة (بخت) ، (١٠١/١) .

(٦) في (خ) : في المهيل .

(٧) سبق في اللوحة رقم (١٩٥/ب) .

(٨) في (خ) : حدثنا .

(٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب البيوع باب قتل الخنزير (٧٧٤/٢) رقم (٢١٠٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٣٥/١) رقم (١٥٥) ، والترمذي في جامعه في كتاب الفتن باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، وقال : حسن صحيح (٥٠٦/٤) رقم (٢٢٣٣) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم (١٣٦٣/٢) رقم (٤٠٧٨) ، وأحمد في مسنده (٥٣٨/٢) رقم (١٠٩٥٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظه (٢٤٤/١) رقم (١٠٨٧) ، وابن حبان في صحيحه (٢٣٠/١٥) رقم (٦٨١٨) ، ومعمر بن راشد في الجامع بألفاظ متقاربة (٣٩٩/١١) رقم (٢٠٨٤٠) ، =

وروي في نزول عيسى عليه السلام أحاديث كثيرة روته الأئمة العدول التي لا يردها إلا معاند .

وحدثنا محمد بن الحسن [بن محمد بن أحمد] (١) ح إسماعيل بن أبي أويس ح مالك ابن أنس ح محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [٨٧٠] « **مَنْ أَنْكَرَ خُرُوجَ المَهْدِي فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَمَنْ أَنْكَرَ بِنُزُولِ** (٢) **عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ خُرُوجَ الدَّجَّالِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَخْبَرَنِي بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** (٣) **فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا غَيْرِي** » (٤) .

فإذا جاز كون عيسى ابن مريم في أمة محمد وعيسى نبي رسول يوحى إليه ، كذلك كان يجوز لو بقى الله موسى عليه السلام [٢٣٤/أ] حتى يكون في أمة محمد عليه السلام وموسى نبي رسول والشريعة شريعة محمد .

فقوله : « اللَّهم اجعلني من أمة محمد » معناه أي : اجعلني في أمة أحمد ، ويجوز [أن يكون] (٥) من بمعنى في كما قال الله تعالى : ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] يعني في حيث أمركم الله ، أي : في الفرج ، وكقوله : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٠] ، أي : في الأرض ، والله أعلم .

١٧٢
باب في كراهة تسمية المسلم باسم فاسقٍ

حديث آخر : [٨٧١] حدثنا أبو علي محمد بن محمد بن محمود أخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن أبي شيبة ح محمد بن أبي سمينة ح معاذ بن هانئ

= وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩٤/٧) رقم (٣٧٤٩٥) .

(١) في (خ) : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد .

(٢) في (خ) : نزول .

(٣) زاد في (خ) بعدها : من الله .

(٤) ذكره ابن حجر في لسان الميزان بألفاظ متقاربة ، وحكم عليه بالوضع ، قال : ووجدت في كتاب معاني الأخبار للكلاباذي خبرًا موضوعًا ... وذكره (١٣٠/٥) رقم (٤٣٧) ، (٣٠٩/٥) ، (٣٣٥/٥) .

(٥) زيادة من (خ) .

السكري [١] حدثتني رائطة بنت مسلم عن أبيها أَنَّه شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ ، فَقَالَ : « **مَا اسْمُكَ ؟** » قَالَ : اسْمِي غُرَابٌ . قَالَ : « **بَلْ أَنْتَ مُسْلِمٌ** » [٢] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : إنما غير رسول اللَّه إن شاء اللَّه اسم هذا الرجل وإن كانت أسماء العرب أكثرها على أسامي الطير والوحش مثل : كلب وذئب وثعلبة وحمار وأمثالها ؛ لأن رسول اللَّه ﷺ قال : [٨٧٢] « **خَمسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَمِ : العَقْرَبُ والفَأْرَةُ والحِدَأَةُ والكَلْبُ العَقُورُ** [٣] **والغُرَابُ** » حدثنا به أحمد بن عبد اللَّه الْمُزَنِيّ ح أحمد بن الحسين أبو الحسن الصُّوفِيّ الشيخ الصالح ح الصلت بن مسعود الْجَحْدَرِيّ ح محمد بن ثابت عن عمرو بن دينار عن الزُّهْرِيّ عن سالم بن عبد اللَّه عن أبيه عن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ [٤] .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : عن عبد اللَّه بن الحارث بن أبزى المَكِّيّ .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة عن رائطة عن أبيها ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٠٧/٤) رقم (٧٧٢٧) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٧/١) رقم (٨٢٤) ، وفي التاريخ الكبير (٢٥٢/٧) رقم (١٠٧٥) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٦٢/٥) ، والروياني في مسنده (٤٧٢/٢) رقم (١٤٩٣) ، وابن حبان في الثقات (٣٨١/٣) رقم (١٢٥٦) ، والطبراني في الكبير (٤٣٣/١٩) رقم (١٠٥٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وأبو يعلى والبزار بنحوه ، ورائطة لم يضعفها أحد ولم يوثقها ، وبقية رجال أبي يعلى ثقات (٥٢/٨) ، ومتن هذا الحديث منكر بهذه الكيفية ؛ إذ الروايات المختلفة تفيد أن مسلم أبا رائطة كان مع الرسول ﷺ في حنين لا خيبر .

(٣) الكلبُ العَقُور : هو كل سبع يَعْقِر أي يجرح ويقتل ويفترس كالأَسد والنمر والذئب والفَهْد وما أَشبهها ، سمَّاها كلبًا لاشتراكها في السَّبُعِيَّة ، قال سفيان بن عيينة : هو كل سبع يَعْقِرُ ، ولم يخص به الكلب ، لسان العرب مادة (عقر) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن سالم بن عبد اللَّه عن أبيه في كتاب بدء الخلق باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (١٢٠٤/٣) رقم (٣١٣٦) ، ومسلم في صحيحه بلفظه عن عائشة في كتاب الحج باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم (٨٥٧/٢) رقم (١١٩٨) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة في كتاب الحج باب ما يقتل المحرم من الدواب ، وقال : حسن صحيح (١٩٧/٣) رقم (٨٣٧) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب الحج باب ما يقتل في الحرم من الدواب (٣٨٦/٢) رقم (٣٨٦٤) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب المناسك باب ما يقتل المحرم (١٠٣١/٢) رقم (٣٠٨٧) ، ومالك في الموطأ عن هشام بن عروة عن أبيه (٣٥٧/١) رقم (٧٩١) ، والدارمي في سننه عن عائشة (٥٦/٢) رقم (١٨١٧) ، وأحمد في مسنده (١٢٢/٦) رقم (٢٤٩٥٥) .

فلما كان الغراب فاسقًا بقول النبي ﷺ وقد أسلم هذا الرجل كره له اسم فاسق مع إسلامه فسماه بالاسم الذي هو صفته وهو الإسلام ، فقال : لا بل أنت مسلم كأنه يقول : لست بفاسق بل أنت مسلم وليس ذلك على معنى أن الفسق ينافي الإسلام [٢٤٣/ب] لكن على معنى [أنه صفة] (١) الذم والمسلم لا يوصف بصفة الذم على الإطلاق إلا في حال اكتسابه المذموم من العمل كذلك عمر بن الخطاب ﷺ غير اسم أبي مسروق بما حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو أسامة عن أبي حازم بن مجالد عن عامر عن مسروق قال : [٨٧٣] « قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقُلْتُ : مَسْرُوقُ بنُ الأَجْدَعِ . قَالَ : أَنْتَ مَسْرُوقُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الأَجْدَعَ شَيْطَانٌ . قَالَ عَامِرٌ : فَكَانَ اسْمُه فِي الدِّيوَانِ مَسْرُوقَ بنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » (٢) .

فعمر ﷺ إنما كره الأجدع ؛ لأنه شيطان ، لا لأنه المقطوع الأذن على التطير بل على أنه كره أن ينسب رجل مسلم إلى الشيطان ، فكذلك النبي ﷺ كره لرجل دخل في الإسلام وآمن بالله أن يسمى باسم فاسق ، لا لأنه تطير بالغراب كما كانت العرب تفعله ؛ فإنه ﷺ كان يكره الطيرة وينهى عنها .



١٧٣ باب في النهي عن الصورة والتماثيل

حديث آخر : [٨٧٤] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو محمد جعفر بن

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن مسروق في كتاب الأطعمة باب في تغيير الاسم القبيح (٢٨٩/٤) رقم (٤٩٥٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب باب ما يكره من الأسماء (١٢٢٩/٢) رقم (٣٧٣١) ، وأحمد في مسنده (٣١/١) رقم (٢١١) ، والحاكم في مستدركه (٣١١/٤) رقم (٧٧٤٢) ، والبزار في مسنده (٤٥١/١) رقم (٣١٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٢/٥) رقم (٢٥٩٠٢) ، وابن عدي في الكامل (٤٢٢/٦) رقم (١٩٠١) ، وذكره الدارقطني في العلل (٢٢٠/٢) رقم (٢٣٢) ، وأحمد بن حنبل في العلل ومعرفة الرجال (١٤٤/١) رقم (٣٣) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني ، ذكره البخاري في الضعفاء الصغير وقال : يتكلمون فيه (ص ١٢٠) رقم (٣٩٨) ، وابن عدي في الكامل ونقل عن النسائي قوله : كوفي ضعيف (٢٣٧/٧) رقم (٢١٣٨) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ونقل عن أحمد بن حنبل قوله : كان يكذب جهارًا (١٦٨/٩) رقم (٦٩٥) ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب : حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث (٥٩٣/١) رقم (٧٥٩١) .

محمد الصائغ ح [١] عفان ح شعبة أخبرني علي بن مردك [٢] ، قال : سمعت أبا زرعة ابن عمرو بن جرير يحدث عن عبد الله بن نجي [٣] عن أبيه عن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **لا تَدْخُلُ الملائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ ولا كَلْبٌ ولا جُنُبٌ** » [٤] .

قال الشيخ ﷺ : قد وردت الأخبار عن رسول الله ﷺ في النهي عن الصورة والتماثيل وجاء في المصورين وعيد شديد من ذلك ما حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح قتيبة بن سعيد ح حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٨٧٥] « **مَنْ صَوَّرَ صُورَةً عَذَّبَه اللَّهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا - يَعْنِي الرّوحَ - وَلَيْسَ بِنَافِخٍ ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَفِرونَ مِنْه صُبَّ فِي أُذُنِه الآنُكُ [٥] يَوْمَ القِيَامَةِ** » [٦] وروي عنه ﷺ [٢٤٤/أ] أنه قال : [٨٧٦] « **أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يُشَبِّه بِخَلْقِ اللَّهِ ، يُقَالُ لَهُم : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم** » [٧] ومن الصور الأصنام التي

---

(١) في (خ) : عن . (٢) في (خ) : مدرك .

(٣) في (خ) : يحيى . وفي هامش (خ) : نجي

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي طلحة في كتاب بدء الخلق باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم (١٢٠٦/٣) رقم (٣١٤٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة (١٦٦٥/٣) رقم (٢١٠٦) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأدب باب ما جاء أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة ولا كلب ، وقال : حسن صحيح (١١٤/٥) رقم (٢٨٠٤) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه عن علي في كتاب الطهارة باب الجنب إذا لم يتوضأ (١٢١/١) رقم (٢٥٧) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي طلحة في كتاب اللباس باب الصور في البيت (١٢٠٣/٢) رقم (٣٦٤٩) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن علي (٨٣/١) رقم (٦٣٢) .

(٥) الآنُكُ : هو الرّصاص الأبيض ، وقيل : الأسود . وقيل هو الخالص منه ، النهاية مادة (أنك) ، (٧٧/١) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الحيل باب من كذب في حلمه (٢٥٨١/٦) رقم (٦٦٣٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان (١٦٧١/٣) رقم (٢١١٠) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب ما جاء في الرؤيا (٣٠٦/٤) رقم (٥٠٢٤) ، والترمذي في جامعه في كتاب اللباس باب ما جاء في المصورين ، وقال : حسن صحيح (٢٣١/٤) رقم (١٧٥١) ، والنسائي في المجتبى من السنن (٢١٥/٨) رقم (٥٣٥٨) ، وأحمد في مسنده (٢١٦/١) رقم (١٨٦٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٦٩/٧) رقم (١٤٣٤٩) ، وابن حبان في صحيحه (٤٩٨/١٢) رقم (٥٦٨٥) .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب اللباس باب من كره القعود على الصور (٢٢٢١/٥) رقم (٥٦١٢) ، ومسلم في صحيحه في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان (١٦٦٧/٣) رقم (٢١٠٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الزينة (٥٠١/٥) رقم =

عبدت من دون الله .

قال الشيخ رحمه الله : وأبغض الأشياء إلى أولياء الله ما عصي الله به ، والصور منها فيجوز ألا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة لبغضها إياها وكراهتها لها ، ويجوز أن يكون إنما صارت أشد في الكراهة وأعظم في الإثم من بين سائر المعاصي ؛ لأن فيه مضاهاة الله في خلقه ؛ إذ الله هو الخالق المصور ، وأكثر المعاصي أفعال وحركات ، ومن جنسها ما هو مباح ، وليس من جنس التصوير (١) ما هو مباح وسائر المعاصي أفعال والأفعال أعراض (٢) لا تبقى وقتين ، فهي تنقضي مع وقتها ، والصورة أجسام (٣) تبقى مدة طويلة فهي أشد من سائر المعاصي التي لا تبقي آثارها وأكثر المعاصي الشهوات التي تنازع النفس العبد إليها فهو لا يقاومها فيفعلها غلبة شبه الضرورة ؛ فالمصور يضاهي الله بمثل ما خلق فهو كمن يدعي الربوبية ، فهو يدعيها فعلًا وإن كان لا يدعيها قولًا .

والأصنام التي تعبد من دون الله صور وما عبد من دون الله أبغض الأشياء إلى أولياء الله تعالى .

وأما الكلب فإنه نجس قذر ، وهو أشد نجاسة وقذارة من بين سائر السباع ألا ترى إلى ما روي من التغليظ في سؤره ، حدثنا نصر ح أبو عيسى ح سوار بن عبد الله الْعَنْبَرِيُّ ح المعتمر بن سليمان قال : سمعت أيوب يحدث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [٨٧٧] « **يُغْسَلُ الإِنَاءُ إِذَا وَلَغَ فِيهِ (٤) الْكَلْبُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاهُنَّ – أَوْ قَالَ : أَوَّلُهُنَّ – بِالتُّرَابِ ، وَإِذَا وَلَغَتْ فِيهِ الْهِرَّةُ [٢٤٤/ب] غَسْل مَرَّةٍ** » (٥) .

فشدد فيه لقذارته ونجاسته ، وأمر النبي عليه السلام بقتلها حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن

= (٩٧٧٨) ، وأحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر (٢٦/٢) رقم (٤٧٩٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٦٨/٧) رقم (١٤٣٤٣) ، وابن حبان في صحيحه عن عائشة (١٥٨/١٣) رقم (٥٨٤٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٠٠/٥) رقم (٢٥٢٠٨) ، والطبراني في الأوسط (٢١٢/٢) رقم (١٧٦٢) .

(١) في (خ) : الصور.

(٢) زاد في (خ) بعدها : لا بقاء لها و .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الطهارة باب الوضوء بسؤر الكلب (١٩/١) رقم (٧٢) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة الطهارة باب ما جاء في سؤر الكلب ، وقال : حسن صحيح (١٥١/١) رقم (٩١) ، والحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة وسكت عنه الذهبي (٢٦٥/١) رقم (٥٧٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٤٧/١) رقم (١١٠١) .

حمدين ح أبو سليمان محمد بن منصور ح أبو الربيع الزَّهْرَانِيُّ ح يعقوب القُمِّيُّ [١] ح عيسى بن حارثة [٢] عن جابر بن عبد اللَّه قال : [٨٧٨] « أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الكِلابِ ، فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لي مَنْزِلٌ شَاسِعٌ [٣] وَلِيَ كَلْبٌ . فَرَخَّصَ له أَيَّامًا ثُمَّ أَمَرَ بِقَتْلِهِ » [٤] .

ويجوز أن يكون الكلب من دواب الشيطان فإن لإبليس في كثير من الأشياء نصيبًا ، حدثنا أبو محمد بكر بن مسعود ح عبد اللَّه بن حماد الآملي [٥] ح سعيد بن أبي مريم أخ يحيى بن أيوب حدثني عبيد اللَّه بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال : [٨٧٩] « **إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا أُنْزِلَ إِلى الأَرْضِ قَالَ : يَا رَبِّ أَنْزَلْتَنِي الأَرْضَ وَجَعَلْتَنِي رَجِيمًا** - أَوْ كَمَا ذكرَ - **فَاجْعَلْ لِي بَيْتًا . قَالَ : الحَمَّامُ . قَالَ : فَاجْعَلْ لِي مَجْلِسًا : قَالَ : الأَسْوَاقُ وَمَجَامِعُ الطُّرُقِ . قَالَ : فَاجْعَلْ لِي طَعَامًا . قَالَ : مَا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ . قَالَ : اجْعَلْ لِي شَرَابًا . قَالَ : كُلُّ مُسْكِرٍ . قَالَ : اجْعَلْ لِي مُؤَذِّنًا . قَالَ : المَزَامِيرُ . قَالَ : اجْعَلْ لِي قُرْآنًا . قَالَ : الشِّعْرُ . قَالَ : اجْعَلْ لِي كِتَابًا . قَالَ : الوَشْمُ . قَالَ : اجْعَلْ لِي حَدِيثًا . قَالَ : الكَذِبُ . قَالَ : اجْعَلْ لِي رُسُلًا . قَالَ : الكَهَنَةُ . قَالَ : اجْعَلْ لِي مَصَائِدَ . قَالَ : النِّسَاءُ** » . قَالَ ابْنُ زحر : وَأَخْبَرَنِي لَيْثُ بنُ أَبِي سُلَيْمٍ بِذَلِكَ يَرْفَعُه [٦] .

فإذا أخبر النبي ﷺ أن له في هذه الأشياء نصيبًا جاز أن يكون له في الدواب نصيبًا

---

(١) في هامش الأصل : العَمِيُّ .

(٢) كذا في الأصل و (خ) ، والصواب : جارية ، الضعفاء للعقيلي (٣٨٣/٣) رقم (١٤٢١) .

(٣) في هامش (خ) : أي شاسع .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن جابر الأنصاري (٣٢٦/٣) رقم (١٤٥٣٤) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظه (٣٣٩/٣) رقم (١٨٠٤) ، وابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة (٢٤٨/٥) رقم (١٣٩٢) ، وأبو محمد الأنصاري في طبقات المحدثين بأصبهان بألفاظ متقاربة (٣٥/٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (٤٣/٤) . والحديث إسناده ضعيف ، فيه عيسى بن جارية ، منكر الحديث ، الضعفاء والمتروكين للنسائي (٧٦/١) رقم (٤٢٣) ، الكامل في الضعفاء لابن عدي (٢٤٨/٥) رقم (١٣٩٢) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : الرملي .

(٦) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن أبي أمامة (٢٠٧/٨) رقم (٧٨٣٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف (١١٩/٨) ، وعلي بن يزيد من رجال إسناد المصنف .

وتكون الكلاب من دوابه ولذلك أمر بقتلها ، فأما الأسود منه فقد جاء في الحديث أنه شيطان ، قال ﷺ : [٨٨٠] « **لَوْلا أَنَّ الكِلابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ** (١) **فَإِنَّه شَيْطَانٌ** » (٢) فيجوز أن [٢٤٥/أ] تجتنب الملائكة من بيت فيه شيطان .

وأما الجنب فإنه يجوز أن يكون فيمن أجنب من حرام ، فأما من أجنب من الحلال فإنه لا يجتنب الملك منه ، ولا من البيت الذي هو فيه ، فقد كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من غير احتلام ، حدثنا الْمَزْدَكِيُّ ح أبو عبد اللَّه بن أبي حفص ح مسلم بن إبراهيم ح أبان ح قتادة عن سعيد بن المسيب عن عامر أخي أبي سلمة عن أم سلمة : [٨٨١] « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ احْتِلامٍ فَيَصُومُ ذَلِكَ الْيَوْمَ » (٣) ، وقال أنس ﷺ : [٨٨٢] « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ » (٤) .

---

(١) الأسْوَد البَهِيم : أي الْمُصْمَت الذي لم يُخالطْ لونَه لونٌ غيرهُ ، النهاية مادة (بهم) ، (١٦٨/١) .

(٢) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه بن مغفل (١٢٥/٢) رقم (٢٠٠٨) ، وأحمد في مسنده بلفظه دون قوله : « فإنه شيطان » ، (٥٤/٥) رقم (٢٠٥٦٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى بنحوه عن جابر (١٠/٦) رقم (١٠٨١٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة (٢٦٣/٤) رقم (١٩٩٢٤) ، وابن الجعد في مسنده بلفظه دون قوله : « فإنه شيطان » ، (٤٦٢/١) رقم (٣١٨١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١٨١/١) رقم (٥٠٣) ، والروياني في مسنده (٨٧/٢) رقم (٨٦٨) ، وابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة (٣٣٢/٣) رقم (٧٨٥) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بلفظه دون قوله : « فإنه شيطان » ، (١١١/٧) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ متقاربة عن الحسن (١٦٢/١) رقم (٥٠٨) .

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن عائشة وأم سلمة في كتاب الصيام باب صيام من أصبح جنبًا (١٧٩/٢) رقم (٢٩٣٣) ، ومالك في الموطأ بألفاظ مختلفة (٢٩٠/١) رقم (٦٣٩) ، وأحمد في مسنده عن عائشة (٢١٣/١) رقم (١٨٢٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن عائشة وأم سلمة (٢١٤/٤) رقم (٧٧٨١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أم سلمة (٣٢٩/٢) رقم (٩٥٦٩) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده عن عائشة وأم سلمة بألفاظ متقاربة (٧٠/١) رقم (١٧) ، والطبراني في الأوسط عن عائشة (١٧٢/٥) رقم (٤٩٨٢) ، وإسناد هذا الحديث ثقات ، غير المزدكي وأبي عبد اللَّه ابن أبي حفص لم أتعرف عليهما .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الحيض باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له (٢٤٩/١) رقم (٣٠٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الطهارة باب ما جاء في الرجل يطوف على نسائه بغسل واحد ، وقال : حسن صحيح (٢٥٩/١) رقم (١٤٠) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة في كتاب الطهارة باب الجنب إذا لم يتوضأ (١٢١/١) رقم (٢٦٠) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢٢٥/٣) رقم (١٣٣٧٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٩١/٧) رقم (١٣٨٦٣) ، وابن =

وقال الله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ومن أتى ذلك أجنب ، فلا يجتنب الملك من أجنب في طاعة الله .

ويجوز أن يكون هذا فيمن أجنب من احتلام وأمكنه الغسل فلم يفعل فبات جنبًا من الاحتلام ، وذلك أن الحلم من الشيطان فقد روي في الحديث : [٨٨٣] « **مَا احْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ وَلا تَثَاءبَ نَبِيٌّ قَطُّ** » [(١)] ، وقال ﷺ [٨٨٤] « **التَّثَاؤبُ مِنَ الشَّيْطَانِ** » [(٢)] ، وفي الحديث أنه كان يأمر النائم أن يقول : [٨٨٥] « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الحِلْمِ والاحْتِلامِ ومِنْ تَلعُّبِ الشَّيْطَانِ بي في اليَقَظَةِ والمنَامِ** » [(٣)] فيجوز أن يكون الشيطان إذا تلعب به لم يزايله حتى يغتسل والملك لا يجامع الشيطان في مكان واحد ، فمن تلعب به الشيطان وأقام على ما تلعب به وهو يقدر على الاغتسال ولم يفعل كأنه رضي بتلعب الشيطان به فاجتنبه الملك الذي هو عدو الشيطان .

١٧٤
باب في رفعة الله تعالى أقدار المؤمنين

حديث آخر : [٨٨٦] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح يحيى بن أبي طالب أخ زيد بن الحباب أبو الحسن العطار أخ حماد بن سلمة عن ثابت الْبُنَانِيِّ [٢٤٥/ب] عن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ : ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي . قَالَ : رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ ؟! قَالَ : مَرِضَ فُلانٌ عَبْدِي فَلَوْ عُدْتَه** [(٤)] **لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي . وَاسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ : وكَيْفَ وَأَنْتَ رَبُّ**

= حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (٨/٤) رقم (١٢٠٧) ، وابن خزيمة في صحيحه بألفاظ متقاربة (١١٥/١) رقم (٢٢٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ مختلفة (١٣٦/١) رقم (١٥٦١) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٨١/٦) رقم (٣٧١٨) ، وأبو عوانة في مسنده بلفظه (٢٣٦/١) رقم (٧٩٨) ، والطبراني في الأوسط (٢٣/٢) رقم (١١٠٥) .

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عباس بلفظ « ما احتلم نبي قط ، إنما الاحتلام من الشيطان » ، المعجم الكبير (٢٢٥/١) رقم (١١٥٦٤) ، المعجم الأوسط (٩١/٨) رقم (٨٠٦٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عبد الكريم بن أبي ثابت وهو مجمع على ضعفه (٢٦٧/١) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٤٤/ب) .

(٣) الحديث ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال بألفاظ مختلفة عن ابن عمر ، وقال : منكر (٢٤٩/٥) رقم (٦١٥٣) .

(٤) في هامش (خ) : من العيادة .

العَالمينَ ؟! . قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَوْ سَقَيْتَه لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي . واسْتَطْعَمْتُك فَلَمْ تُطْعِمْني . قَالَ : وَكَيْفَ وأَنْتَ رَبُّ العَالمينَ ؟! قَالَ : اسْتَطْعَمَكَ فُلانٌ عَبْدِي فَلَمْ تُطْعِمْه ولَوْ أَطْعَمْتَه لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : إن الله تعالى رفع أقدار المؤمنين وأعلى مراتبهم وأجل أخطارهم فأحلهم في المحل الرفيع واختصهم لنفسه ، وجعلهم له وبه ومنه وإليه سماهم بأسمائه فقال هو : ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور : ٢٨] وسماهم أبرارًا ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٣] وتسمى بالرحيم فقال : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٣] وسماهم رحماء ، فقال : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] وتسمى بالصادق ، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٦] وسماهم به ، فقال : ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] وتسمى شاكرًا ، فقال : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا ﴾ [النساء : ١٤٧] وسماهم شاكرين ، فقال : ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] هذا إلى كثير من أسمائه التي تسمى بها عز وجل وسماهم بها ؛ إجلالًا وتعظيمًا لقدرهم ورفعًا لأخطارهم وحلاهم بنعوته ووصفهم بكثير من صفاته من العلم والحلم والكرم والصدق والشكر والعزة ، فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ [٢٤٦/أ] وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] ثم نسب إلى نفسه أوصافهم ، مع تعاليه عن أوصاف الحدث ، وارتفاعه عن نعوت الخلق ، وتنزيهه عن لواحق الآفات ، وحلول الحوادث فيه ، فقال : « **مرضت فلم تعدني** » ، وهو تعالى عن هذه الصفة منزه ، وعن حلول الآفة متعالٍ ، جل الله علوًا كبيرًا ؛ تخصيصًا لهم وتقريبًا منه إياهم ، كأنه تعالى أسقط البينونة فيما بينه وبينهم ، فجعل أفعاله أفعالهم ، وأكسبهم أفعاله ، فقال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، وقال لقائدهم وسيدهم ﷺ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، وجعل مخادعة الأجانب لهم مخادعته ، فقال : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة : ٩] ، ثم قال : ﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] ، ومحاربتهم إياهم محاربته فقال : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المائدة : ٣٣] وذب عنهم لما رموا وأجاب عنهم لما شتموا فقال عز وجل :

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض (١٩٩٠/٤) رقم (٢٥٦٩) ، وابن حبان في صحيحه (٥٠٣/١) رقم (٢٦٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣٤/٦) رقم (٩١٨٢) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١١٥/١) رقم (٢٨) .

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾ [البقرة: ١٣] فأجاب عنهم، فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة: ١٣] وتولى الذب عنهم لما قالوا: ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]، فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٥] ودفع عنهم فقال: ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾ [التوبة: ٧٩] أجلهم عن أوصاف الاستهزاء والسخرية فلم يكل إليهم جوابها ولا أمرهم بمجازاتهم عليها؛ لأنهم لو جازوهم بها لكانوا مستهزئين أصحاب سخرية والاستهزاء والسخرية من الناس سفه، وقد نفى اللَّه السفه عن المؤمنين بقوله تعالى للقائلين لهم سفهاء: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [البقرة: ١٣] والاستهزاء والسخرية أيضًا من العباد صفة نقص وسمة عيب، فأجل اللَّه [٢٤٦/ب] قدر المؤمنين أن يوصفوا بصفة نقص ويوسموا بسمة عيب فلم يكل إليهم [مجازاة الاستهزاء والسخرية؛ لئلا يكونوا بأوصاف المنافقين الذين هم أصحاب استهزاء وسخرية] (١) وتولى المجازاة لهم بها عنهم فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: ١٥] وسخر اللَّه منهم؛ لأن هاتين الصفتين إذا كانتا من اللَّه لم يكن سفهًا؛ لأنه حكيم، والحكيم لا يفعل السفه، ولا يلزمه بذلك نقص ولا عيب، بل يكون منه صوابًا وحكمة، تعالى اللَّه عن النقص والعيب علوًّا كبيرًا.

ومعنى آخر في جوابه عنهم في نفي السفه ومجازاة الاستهزاء والسخرية منهم، وهو أنه ﷻ نسبهم إلى نفسه، وأضاف أفعالهم إليه، فلو أمرهم بالجواب عنهم والذب عن أنفسهم لكانوا مدعين لأنفسهم أنهم لهم، واللَّه تعالى قد سلبهم أوصافهم، فجعلهم له لا لهم، فذب عن حريمه - جل وعز - وأجاب عن عبيده في حال وجودهم، كما أجاب عنهم في حال عدمهم، إذ قال عدوهم الأكبر: ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ الآية [الأعراف: ١٧]، ﴿ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ ﴾ [الحجر: ٣٩]، فقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] فأقر اللعين فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٤٠] ولذلك أمرهم بالتوكل عليه، والتسليم له، والرجوع إليه؛ لأنهم له لا لهم، ولا لأحد سواه، فقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] يحكي قولهم: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل، كأنه يقول: وعلى اللَّه فتوكلوا إن كنتم موقنين أنكم له لا لغيره، فقالوا: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ ﴾ [الأعراف: ٨٩] لأنا له، فهو حسبنا، يدفع عنا، ويقوم دوننا، وكيف لا يدفع عنهم ولا يقوم دونهم وقد سلبهم أوصافهم، ونفى عنهم أفعالهم؟! فقال: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ ﴾ [الأنفال: ١٧]، وأضافها إليه

(١) زيادة من (خ).

فقال [٢٤٧/أ] : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، وأقام أيديهم التي هي جوارحهم مقام يده التي هي صفته في قبول صدقاتهم ، وأخذها منهم ، فقال : ﴿ هُوَ (١) يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة : ١٠٤] ، وفي الحديث : [٨٨٧] « **إِنَّ اللَّهَ تعالى يَأْخُذُ الصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُم فِلْوَه (٢) أَوْ فَصِيلَه** » (٣) (٤) وفي الحديث أيضًا : [٨٨٨] « إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ بِيَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ بِيَدِ السَّائِلِ » (٥) فجعل قبول صدقة بعضهم من بعض وأخذها منهم قبوله وأخذه ، فلما وصفهم بصفاته وأضاف إليه أفعالهم وأقام أيديهم مقام يده وذب عنهم وقام دونهم أقامهم مقام الذب عنه والنصر له ، فقال : ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الحشر : ٨] ، وقال : ﴿ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف : ١٤] ، وقال : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد : ٧] فكذلك جعل أوصافهم صفته فقال : « **مرضت** » و « **استسقيتك** » و « **استطعمتك** » ؛ لأن الوصلة إذا استحكمت والمودة إذا خلصت والمحبة إذا صفت والموالاة إذا وقعت صار فعل كل واحد من المتواصلين فعل الآخر ، وصفة كل واحد من الوادين صفة الآخر ، ونعت أحد المحبين نعت الآخر ، وصفته صفته .

قال : أنشدني بعض شيوخ الصُّوفِيَّة :

---

(١) في الأصل : وهو الذي .

(٢) الفَلُوّ والفُلُوّ والفِلْوُ : الجحش والمُهر إذا فطم ، لسان العرب مادة (فلا) .

(٣) فصيله : الفصيل الولد المفصول عن أمه ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، وأكثر ما يطلق في الإبل ، وقد يقال في البقر ، النهاية مادة (فصل) ، (٤٥١/٣) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة والكسب وتربيتها (٧٠٢/٣) رقم (١٠١٤) ، والترمذي في جامعه في كتاب الزكاة باب ما جاء في فضل الصدقة ، وقال : حسن صحيح (٥٠/٣) رقم (٦٦٢) ، وأحمد في مسنده (٤٧١/٢) رقم (١٠٠٩٠) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٦٣/٢) رقم (٣٢٨٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٧٦/٤) رقم (٧٥٣٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٠٩/٨) رقم (٣٣٢٦) ، وابن خزيمة في صحيحه (٩٢/٤) رقم (٢٤٢٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة (٣٥١/٢) رقم (٩٨١٤) ، والطبري في جامع البيان (١٠٥/٣) .

(٥) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٢٧٣/٣) رقم (٣٥٢٥) ، والطبري في تفسيره جامع البيان عن ابن مسعود (١٩/١١) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ متقاربة عن فضالة بن عبيد (٨١/٤) ، وأبو إسماعيل الهروي في الأربعين في دلائل التوحيد عن ابن مسعود (ص ٧٤) رقم (٢٥) ، والطبراني في الكبير (١٠٩/٩) رقم (٨٥٧١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الله بن قتادة المحاربي ولم يضعفه أحد وبقية رجاله ثقات (١١١/٣) .

لوح لي من ذرى التمني لوائح الود بالتأني
أشرت فيها إلى قريب ظننت للقرب أنت أني

وأنشدني غيره :

إذا وقع الوصل ألفيتني وإياه روحًا حواه جسد
فلا الوصل يشهدني غيره ولا أنا أشهده منفرد [٢٤٧/ب]
جمعت وفرقت عني به ففرد التواصل مثنى العدد (ن)

ولما اختص اللّٰه تعالى بالمؤمن وخصه لنفسه وجعله له وقطع أنسابه من غيره وتفرد له وأفرده لنفسه سخر الملك له ، وأقام من في الملك قوامًا له وذابين عنه ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ الآية [غافر : ٧] ، ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ الآية [الشورى : ٥] ، وقال : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ الآية [الرعد : ١١] ، وقال ﷺ : [٨٨٩] « **وُكِّلَ بِالمؤْمِنِ سِتُّونَ ومِائَةُ مَلَكٍ ، يَذُبُّونَ عَنْه كمَا يُذَبُّ عَنْ صَحْفَةِ الشَّاءِ الذُّبَابُ في اليَوْمِ الصَّائِفِ ، ولَوْ بَدَوْا لَكُم لَرَأَيْتُمُوهُم عَلَى كُلِّ سَهْلٍ وَجَبَلٍ ، وَكُلُّهُم بَاسِطٌ يَدَه فَاغِرٌ فَاه ، لَوْ وُكِّلَ العَبْدُ إلى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاخْتَطَفَتْه الشَّيَاطِينُ** » حدثناه عبد اللّٰه بن محمد بن يعقوب رحمه الله ح محمد بن عيسى بن يزيد ح أبو اليمان ح عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ [١] .

١٧٥
باب في أن العجب أشد على المؤمن من الذنب

حديث آخر : [٨٩٠] حدثنا أبو بكر محمد بن عبد اللّٰه بن يزداد [ح الفقيه] [٢]

---

(١) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بنحوه عن كعب الأحبار (١١٩/١٣) ، وأبو محمد الأصبهاني في العظمة (٩٦٩/٣) رقم (٤٩٤) ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة مرفوعًا (١٦٧/٨) رقم (٧٧٠٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف (٢٠٩/٧) ، وعفير بن معدان من رجال إسناد المصنف .

(٢) في (خ) : الفقيه حدثنا .

أبو محمد عبد الله بن يزيد الدَّقِيقِيُّ ح محمد بن زيد بن سعيد ح أبي ح يحيى ابن ميمون بن عطاء ح سعيد بن الفضل القُرَشِيُّ عن محمد بن عكرمة عن بلال ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَوْلا أَنَّ الذَّنْبَ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ العُجْبِ مَا خَلَّى اللَّهُ تَعَالى بَيْن مُؤْمِنٍ وبَيْنَ ذَنْبٍ أَبَدًا** »(١) .

قال الشيخ رحمه الله : المؤمن حبيب الله وخالصته فهو يضن به ينصره ويصونه ويصرفه عما [٢٤٨/أ] يفسده إلى ما يصلحه ، والمؤمن ينصحه الله تعالى ، قال عليه السلام رواية عن الله تعالى : [٨٩١] « **فَيَسْتَنْصِحُني فَأَنْصَحُ لَه** »(٢) فهو عز وجل يصرفه فيما هو خير له ، ويصرفه عما هو شر له ، وخير الأشياء له ما يرده إلى الله ، وشرها له ما يصرفه عنه ، والعجب يصرف بوجه العبد عن الله ، والذنب يصرفه إليه ، والعجب يقبل به على نفسه ، والذنب يقبل به على ربه ؛ لأن العجب ينتج الاستكبار ، والذنب ينتج الاضطرار ، والعجب يؤدي إلى الاستغناء ، والذنب يؤدي إلى الافتقار ، وأحب أوصاف العباد إلى الله افتقار العبد إليه ، وأرجى الأحوال له حالة الاضطرار إليه ، قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢] ، وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ١٥] ، ففيه إشارة إلى أنكم إذا رأيتم فقركم إليه أغناكم به عمن سواه ، وحمد لكم ربكم ذلك ، فكنتم عنده محمودين ، إذا كنتم إليه بالفقر مردودين (٣) ، وأشرف أحوال العبد المؤمن ما يرده إليه ، ويقبل به عليه ، والذنب يرد المؤمن إلى الله ، قال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات: ٥٠] جميعًا ، ويضطره إليه ، قال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢] ، فالذنب للمؤمن سبب الوصلة ؛ لأنه يفر منه إليه فيؤويه ، ويقبل عليه ، فالله تعالى يخلي بينه وبين الذنب فيأتيه ، ثم ينبهه عليه فيتوب إليه ، فكلما وقع في ذنب عاد إلى التوبة ، وكلما شغل عنه انصرف إليه ، فلا يزال كذلك حتى يضمه إليه ، ويؤويه إلى كنفه ، ويقبل عليه فيعصمه ، ويشغله به(٤) عمن

---

(١) الحديث ذكره أبو شجاع الهمذاني في الفردوس بمأثور الخطاب بألفاظ مختلفة عن كليب (١٧٥/٣) رقم (٤٤٧١) ، وابن حجر في الإصابة (٦٢٤/٥) رقم (٧٤٦٦) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه سعيد ابن الفضل القرشي ، منكر الحديث ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥٥/٤) رقم (٢٤٢) ، ولم يثبت تحمله عن محمد بن عكرمة ، ومحمد بن عكرمة ثقة غير أنه ما روى عنه غير إبراهيم بن سعد ، المغني في الضعفاء للذهبي (٦١٥/٢) رقم (٥٨٣١) ولم تثبت رواية محمد بن عكرمة عن بلال ، فهو يروي عن جماعة من التابعين ، الثقات لابن حبان (٣٦٤/٧) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٨٠/أ) .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

سواه ، قال رسول الله ﷺ : [٢٤٨/ب] [٨٩٢] « **إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه ، ثُمَّ إِنْ عَادَ فَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه ، ثُمَّ إِنْ عَادَ فَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه ، قَالَ اللَّهُ تَعَالى لملائِكَتِه : إِنَّ عَبْدِي قَدْ عَرَفَ أَنَّ لَه رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ أُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَه** » حدثناه عبد اللَّه بن محمد بن محمد ح محمد بن الأشرس السُّلَمِيُّ ح الحكم بن المبارك ح عيسى ابن أبي عيسى عن محمد بن ثابت الْبُنَانِيِّ عن أبيه عن أنس ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ [1] .

وحدثنا نصر ح أبو عيسى ح هناد ح أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد ح عبد اللَّه بحديثين : أحدهما عن نفسه ، والآخر عن النبي ﷺ ، قال عبد اللَّه : [٨٩٣] « إِنَّ المؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَه كَأَنَّه في أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْه ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَه كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِه قَالَ بِه هَكَذَا فَطَارَ » [2] .

وقال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٨٩٤] « **لَلّه أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُم مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُه فَأَضَلَّها فَخرجَ في طَلَبِهَا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ المَوْتُ قَالَ : أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الذِي أَضْلَلْتُهَا فِيهِ فَأَمُوتُ فِيهِ ، فَرَجَعَ إِلى مَكَانِهِ فَغَلَبَتْه عَيْنُه** - [أَيْ غَلَبَ عَلَيْه النَّوْمُ] [3] - **فَاسْتَيْقَظَ ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُه** » [4] . فالمؤمن الذي يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه يكون في غاية الخوف والحذر والرهبة ، قد أيس من نفسه ، وانقطع من كل سبب ، لا يجد لنفسه حيلة ، ولا يرى لها طاقة [٢٤٩/أ] في دفع ما يخافه عن نفسه ، قد انقطعت عنه العلائق ، وانقطع قلبه عن الأسباب ، لا يرجو إلا اللَّه ، ولا يدعو سواه ، فهذا عبد مقبل على اللَّه ، منقطع إلى اللَّه ، [يرجع إلى اللَّه] [5] عما سوى اللَّه ، فأية حالة هي أتم من هذه ؟! وهل أراد اللَّه من عباده إلا أن يكونوا بهذه الصفة ؟!

---

(١) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان من أوله حتى « تاب اللَّه عليه » الثالثة بألفاظ مختلفة عن عطاء بن يسار (٧١/١٥) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه محمد بن ثابت البناني ، قال ابن حبان في المجروحين : يروي عن أبيه ما ليس من حديثه كأنه ثابت آخر ، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه على قلته (٢٥٢/٢) رقم (٩٢٨) ، قال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال : أحاديثه لا يتابع عليها ، ونقل عن يحيى بن معين قوله : ليس بشيء . وعن النسائي قوله : ضعيف (١٣٦/٦) رقم (١٦٣٨) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود في كتاب الدعوات باب التوبة (٢٣٢٤/٥) رقم (٥٩٤٩) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب صفة القيامة باب منه (٦٥٨/٤) رقم (٢٤٩٧) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة (١٠٨/٩) رقم (٥١٧٧) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٦٩/أ) .

(٥) سقط من (خ) .

ثم انظر إلى محل هذا العبد من الله ، وإقبال الله عليه ، ومحبته له ، وإيثاره إياه ، وحفظه له ، ومباهاته به في المثل الذي ضربه رسول الله ﷺ بقوله : « **لله أفرح بتوبة أحدكم** » ، فأي شيء أنفع للعبد من الذنب الذي يؤديه إلى هذه الصفة ، وإلى فرح الله به بتوبته إليه من ذنبه ؟! جلت هذه الحالة ، وصفت هذه الصفة - أعني التوبة - التي ساق العبد إليها ذنبه ، وقادته إليها خطيئته .

قال أبو سليمان الدَّارَانِيُّ : (ما عمل داود عملًا أنفع له من الخطيئة ، ما زال يهرب منها إلى الله حتى اتصل بالله) فيخلي الله بين المؤمن والذنب ، فيوصله إلى هذه الدرجة ، ويحله هذه المرتبة ، فيجذبه إلى نفسه ، ويؤويه إلى كنفه ، ويصونه عمن سواه ، ضنًّا به ، وحدبًا عليه ، وحبًّا له ، ولو لم يخل بين العبد وبين الذنب وسعي المؤمن في محاب الله واجتهاده في طاعة الله واكتسابه أوامر الله وهمته طلب مرضاة الله لكان يرجع إلى نفسه فيراها قائمة بوظائف الله ، ساعية في طاعة الله ، ويرى لسانه ذاكرًا لله ، مثنيًا على الله ، ويرى قلبه [٢٤٩/ب] منطويًا على طلب مرضاة الله ، ربما أعجب بنفسه ، واستحسن أعماله ، واستكثر أفعاله ، وقد سمع النبي ﷺ يقول : [٨٩٥] « **مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْه سَيِّئَتُـه فَهُوَ مُؤْمِنٌ** » (١) وكان يسر بما يرى من حسناته فيطمئن عسى إلى أفعاله ، ويرجع إلى نفسه فيساكنها ، وإلى طاعته فيلاحظها ، فيكون قد انصرف من الله إلى نفسه العاجزة الحقيرة القدر ، الضعيفة القوة ، الدنية الصفة ، الأمارة بالسوء ، اللوامة ، التي هي معدن الآفات ، وموضع الهلكات ، ويرجع من ملاحظة أوصاف الله من رحمته وعفوه وفضله وبره وهدايته ، وتيسيره إلى ملاحظة أفعاله المدخولة ، وأوصافه (٢) الذميمة ، وطاعاته التي هي بالمعاصي أشبه ، وموافقاته التي هي إلى المخالفات أقرب ، ورجع من كنف الله وحفظه وحياطته وصونه له إلى مضيعة لا تكن من حر الهوى ، ولا من برد الردى ، هذا لمن صحت عقيدته في إيمانه بالله وتسليمه لله ومعرفته بألا تتيسر طاعة إلا بتوفيق الله ، ولا يكون أمر إلا بمشيئة الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ لأنه يرى أفعاله بتوفيق الله ، وطاعاته بتيسير الله ، وأعماله بإحداث القوة فيه من الله ، فينظر إلى أفعاله بعين الاستحسان فيصيبها بعينه ، فيكون كمن أصابته عين فأتلفته ، فقد قال أبو القاسم الحكيم : (العجب إصابة العمل بالعين) ، وقد قال ﷺ ما حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح إبراهيم بن حمزة

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٦٢/أ) .

(٢) في الأصل : وأصافه

الزُّبَيْرِيُّ ح علي بن أبي علي المُهَلَّبِيُّ [(١)] عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٢٥٠/أ] [٨٩٦] « **وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ العَيْنَ لَتُدْخِلُ المَرْءَ القَبرَ والجَمَلَ القِدْرَ** » [(٢)] .

فأخبر أن العين تميت الإنسان ، فكذلك عين المرء تميت أفعاله ، وتبطل طاعاته . فأما من يقول بالتفويض ويزعم أن الأمر إليه ، وأنه يفعل ما يشاء ، ويرى طاعاته بحوله وقوته ، ولا يرى لله عليه منة في إحداث القوة فيه لها ، وخلق الاستطاعة له لاكتسابها ؛ فإن ما يدخل عليه في اعتقاده أعظم مما يدخل عليه في العجب بأفعاله ، فإذا كان العجب هذا سبيله ، وهو سبب الانصراف عن الله ، والإقبال على ما دون الله ، وسبب الاستغناء عن الله ، والركون إلى ما سوى الله ، والاعتماد على غير الله ، يصرف الله تعالى العبد المؤمن عنه ، ويحول بينه وبينه ، ويصرفه عما يرديه [(٣)] إلى هذه الحالة وإن كانت عبادته [(٤)] لله ، كما قال ﷺ عن جبريل عن الله ﷻ : [٨٩٧] « **وإنَّ مِنْ عِبَادِي لمن يُرِيدُ البَابَ مِنَ العِبَادَةِ فَأَصْرِفُه عَنه كَرَاهَةَ أَنْ يَدْخُلَه عُجْبٌ فَيُفْسِدَه ذَلِكَ** » [(٥)] .

إذًا فذنب يؤدي العبد إلى الله خير له من عبادة تصرفه عن الله ، وخطيئة تفقره إلى الله [خير له] [(٦)] من طاعة تغنيه عن الله ؛ لذلك قال : « **لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله بين مؤمن وبين ذنب أبدًا** » .

قال الشيخ القاضي الإمام الأجل جمال الدين [(٧)] : (لم يرد به إثبات الخيرية للذنب ؛ لأنه لا خير في الذنب ، ولكنه إذا قوبل بالعجب كان وبال الذنب دون وبال العجب ، هذا كما قال يوسف : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ [يوسف : ٣٣] فالسجن ليس بمحبوب طبعًا [٢٥٠/ب] ولكنه إذا قوبل بالفاحشة كان مشقة السجن دون مشقة [(٨)] الفاحشة) .

---

(١) في هامش الأصل : اللهبي . وفي (خ) : اللهبي ا.هـ . والـمُهَلَّبِيُّ : بضم الميم ، وفتح الهاء ، وتشديد اللام ، وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة ، هذه النسبة إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأَزْديّ أمير خراسان ، الأنساب (٣٧٧/٤) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٣٤/أ) .

(٣) في (خ) : يؤذيه .

(٤) في (خ) : عبادة .

(٥) سبق في اللوحة رقم (١٨٠/أ) .

(٦) من هامش الأصل .

(٧) زاد في (خ) بعدها : الريغدموني رحمه الله ا.هـ . والرِّيغْذَمُونيُّ : بكسر الراء وسكون الياء آخر الحروف والغين المعجمة الساكنة والدال المهملة المفتوحة والميم المضمومة بعد الواو وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى ريغدمون ، وهي قرية من قرى بخارى ، على أربعة فراسخ منها ، الأنساب (٣٤٠/٢) .

(٨) في (خ) : وبال .

١٧٦

باب في أقرب الأشياء من التوكل على الله تعالى

حديث آخر : [٨٩٨] حدثنا محمد بن عبد اللّه الفقيه ح أبو القاسم المَنِيعِيُّ ح مصعب بن عبد اللّه الزُّبَيْرِيُّ ح هشام بن عبد اللّه بن عكرمة المَخْزُومِيُّ عن هشام بن عـروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول اللّه ﷺ قال : « **الْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الأَرْضِ** » [١] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : معنى « **خبايا الأرض** » - إن شاء اللّه - الزرع والحرث ، فإن الحب إن يطرح في الأرض ويغطى بالتراب فهو خبيئة فيها ، كأنه خبأها حين دفنها ، فكأنه قال : التمسوا الرزق في الزراعة والحرث ، ووجه اختصاصه الحرث والزراعة من بين وجوه المكاسب يجوز أن يكون لأنه أقرب الأشياء من التوكل على اللّه ، وأدناها إلى الثقة باللّه، وأبعدها من رؤية الحول والقوة من غير اللّه ، فإن الزارع وإن كان يشق الأرض ويكربها ويسقيها ويقوم عليها ويحتاط في طرح الحب فيها وبذرها فإنه إذا دفن الحب وطرحه في الأرض تبرأ بعد ذلك من حوله وقوته ، وبعدت حيله وحركاته عنه ، فلا يرى لنفسه حيلة في إنبات الحب ، ولا يشاهد من نفسه سببًا فيه ، فينقطع عن حيله وأسبابه ، وعن شهود حركاته وأفعاله ، وإنما ينظر إلى القضاء والقدر ، ويرجو اللّه دون غيره في إرسال السماء عليها ، ودفع الآفات عنها ، وتصريف الهواء عليها ، وإشراق الشمس ، وستر الغمام ، وسائر الأسباب التي يكون به [٢٥١/أ] صلاح النبت ، ونبات الحب مما لا حيلة فيه ولا اكتساب منه ، ولا قوة له عليه .

والرزق إنما يلتمس بالتوكل على اللّه تعالى لا بالحيل والعلاج ، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٨٩٩] « **لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوحُ بِطَانًا** » [٢] فأخبر أن الرزق في التوكل ، وقال اللّه تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] ،

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن عائشة (٨٧/٢) رقم (١٢٣٤) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٤٧/٧) رقم (٤٣٨٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب بلفظه (٤٠٤/١) رقم (٦٩٤) ، والطبراني في الأوسط (٢٧٤/١) رقم (٨٩٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفيه هشام بن عبد اللّه بن عكرمة ضعفه ابن حبان (٦٣/٤) ، وهشام بن عبد اللّه بن عكرمة من رجال إسناد المصنف ، قال فيه ابن حبان : يروي عن هشام بن عروة ما لا أصل له من حديثه كأنه هشام آخر لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، المجروحين من المحدثين (٩١/٣) رقم (١١٥٨) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٣٧/أ) .

وإنما يطالع الرزق من موضعه ، وموضعه السماء ، فعين الزارع والحارث مادة إلى السماء ، وقلبه معلق بالله ، ولسانه سائل منه ، ويده مرفوعة إليه ، وهو آيس من غير الله ، قصد الإياس عما دون الله تعالى أو لم يقصد ، وعزم على التوكل أو لم يعزم ، فهو بأوصاف المتوكلين ، ونعوت الواثقين ، وحيلة الناظرين إلى الله ، السائلين من الله ، الراغبين إلى الله ، المطمئنين بالله ، فإن قصد ذلك فهو المتوكل على الله ، وهو الذي قال أبو سليمان : (كل الأحوال لها وجه وقفا غير التوكل فإنه وجه بلا قفا) يعني به أنه إقبال على الله ، ونظر إلى الله ، وثقة بالله لا غير .

١٧٧
باب في تعظيم أمر الله تعالى

حديث آخر : [٩٠٠] حدثنا خلف بن محمد ح نصر بن أحمد ح محمد بن يزيد الأَدَمِيُّ ح عبد المجيد عن جريج [١] عن الزُّهْرِيِّ عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « **عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتي ، حَتَّى القَذَاةِ [٢] يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ المسْجِدِ ، وعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتي ، فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ آيَةٍ أَوْ سُورَةٍ حَفِظَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا** » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا ، صغر ذلك في أعين الناس أو عظم ، عسر تحمله وشق على النفوس محمله أو سهل [٢٥١/ب] تحمله وخف على النفوس محمله ، فإن العبد إنما يجازى على قدر نيته ، وتعظيم حرمة أمر الله تعالى وشريف طاعته ، فقد قال عليه السلام : [٩٠١] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُم ولا إِلى أَمْوَالِكُم ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُم** » [٤] فإذا كان القلب فيه تعظيم أمر الله عظم الصغير من

---

(١) في (خ) : ابن جريج .

(٢) القذاة : هو ما يَقَع في العين والماء والشَّراب من تُراب أو تِبْن أو وَسَخ أو غير ذلك ، النهاية مادة (قذا) ، (٤/٣٠) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن أنس في كتاب الصلاة باب في كنس المسجد (١/١٢٦) رقم (٤٦١) ، والترمذي في جامعه في كتاب ثواب القرآن باب منه ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٥/١٧٨) رقم (٢٩١٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢/٤٤٠) رقم (٤١١٠) ، وعبد الرزاق في مصنفه بألفاظ مختلفة (٣/٣٦١) رقم (٥٩٧٧) ، ومحمد بن إسحاق في أخبار مكة بألفاظ متقاربة (٢/١٢٩) رقم (٢٨٩) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ مختلفة (٧/٢٥٤) رقم (٤٢٦٥) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ متقاربة (٦/٣٠٨) رقم (٦٤٨٩) .

(٤) سبق في اللوحة رقم ١٠٤/ب (س) .

العمل وجوزي عليه بالكثير من الأجر ، فالذي يخرج القذاة من المسجد إنما يخرجها تعظيمًا للّٰه ، وتشريفًا لبيت اللّٰه ، وحرمة للبقعة التي يذكر فيها [اللّٰه ، ويعبد اللّٰه فيها ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا] [1] ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور : ٣٦] ، فإنما أجر العبد في إخراج القذاة على نيته ، وإن صغر ذلك العمل في أعين الناس فهو عند اللّٰه عظيم ؛ لتعظيم فاعله أمر اللّٰه تعالى ، وصونه بيت اللّٰه .

وأما نسيان الآية أو السورة بعد حفظها فإنه يكون إن شاء اللّٰه لمن تشاغل عنها بفضول ، أو تلهى عنها بلهو ، كما قال ﷺ : [٩٠٢] « **لَئِنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُم قَيْحًا** [2] **حَتَّى يَرِيَه** [3] – [أَيْ يُفْسِدُ بَاطِنَه] [4] – **خَيْرٌ لَه مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا** » حدثناه نصر بن الفتح ومحمد بن سليمان بن الحارث ح خلاد بن يحيى ح سفيان الثَّوْرِيُّ عن إسماعيل بن أبي خالد عن عمرو بن حريث عن عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ [5] .

قال الشيخ رحمه الله : أو يتذاهب عنها استخفافًا وتسليًا عنها وقلة مبالاة بها ، فيعظم قدر هذا الذنب عند اللّٰه لاستهانة العبد بكلام اللّٰه ، وتشاغله بغيره ، وإعراضه عنه ، واستخفافه بعظيم قدره وجليل خطره ، وأي شيء أعظم من كلام تكلم اللّٰه به ، منه بدا ، وإليه يعود ، هو صفته في نفسه لم يزل ، قال ﷺ : [٩٠٣] « **مَنْ حَفِظَ** [٢٥٢/أ] **الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا أُدْرِجَت النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْه إلا أَنَّه لا يُوحَى إِلَيْه** » [6] . فمن لم

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) من هامش الأصل . والقَيْح : المِدَّة ، النهاية مادة (قيح) ، (١٣٠/٤) .

(٣) يريه : هو من الورى الدَّاء ، يقال : وَرَى يُورَى فَهُو مورى إذا أصاب جوفه الداء ، النهاية مادة (ورا) ، (١٧٧/٥) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن ابن عمر في كتاب الأدب باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر (٢٢٧٩/٥) رقم (٥٨٠٢) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الشعر (١٧٦٩/٤) رقم (٢٢٥٧) ، وأبو داود في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الأدب باب ما جاء في الشعر (٣٠٢/٤) رقم (٥٠٠٩) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه في كتاب الأدب باب ما جاء لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ، وقال : حسن صحيح (١٤١/٥) رقم (٢٨٥٢) ، وابن ماجه في سننه بلفظه عن سعد بن أبي وقاص في كتاب الأدب باب ما يكره من الشعر (١٢٣٧/٢) رقم (٣٧٦٠) ، والدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن سالم بن عمير (٣٨٤/٢) رقم (٢٧٠٥) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن أبي هريرة (٤٧٨/٢) رقم (١٠٢٠٠) . وعبارة : (أي يفسد باطنه) مدرجة في الحديث .

(٦) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بألفاظ متقاربة عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ، وقال : صحيح =

يعرف قدر هذه النعمة فسُلِبَها فحقيق أن يعظم ذلك من ذنب ، ويكبر ذلك من معصية ، وكفى بنسيانه عقوبة على ترك حقه والتشاغل عنه والاستخفاف به ؛ لأن النسيان ليس من فعل العبد وإنما هو فعل اللّٰه به ، روي عنه ﷺ أنه قال : [٩٠٤] « **لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وإِنَّمَا نُسِّيَ** » (١) .

فنسيان القرآن عقوبة وليس بذنب ؛ لأن الذنب ما يكتسبه الإنسان ويفعله اختيارًا دون ما يفعل به ، ويحمل عليه اضطرارًا ، وإنما سمى النبي ﷺ النسيان ذنبًا ؛ لأنه كان سبب النسيان منه ، وهو التذاهب عنه ، والتشاغل عنه بسواه ، والإعراض عنه ، فسمى العقوبة باسم الذنب الذي عوقب به عليه ، وعظمت عقوبة هي نسيان كلام اللّٰه تعالى ؛ لأن نسيان كلامه نسيانه ، ومن نسي اللّٰه تعالى خسر الدارين ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٩] ، فأما من نسي القرآن أو بعضه لعلة هي آفة تلحقه من كبر أو مرض أو سوء مزاج وهو على ذلك مقبل عليه تلاوة له ونظرًا فيه فإنه إن شاء اللّٰه غير آثم ولا وازر ، قال ﷺ : [٩٠٥] « **المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ والذِي يَتَلَوَّى فِيهِ وَهُوَ لا يَتْرُكه فَلَه أَجْرُه مَرَّتَيْنِ** » هذا معناه واللّٰه أعلم بلفظه (٢) .

= الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧٣٨/١) رقم (٢٠٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وقال : هكذا جاء موقوفًا (٥٢٢/٢) رقم (٢٥٩٠) ، وابن المبارك في الزهد (٢٧٥/١) رقم (٧٩٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠/٦) رقم (٢٩٩٥٣) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود في كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاهده (١٩٢١/٤) رقم (٤٧٤٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل القرآن وما يتعلق به (٥٤٤/١) رقم (٧٩٠) ، والترمذي في جامعه في كتاب القراءات باب منه ، وقال : حسن صحيح (١٩٣/٥) رقم (٢٩٤٢) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب اليوم والليلة باب الكراهية في أن يقول الإنسان : نسيت آية كذا وكذا (١٨٢/٦) رقم (١٠٥٦٠) ، والدارمي في سننه (٣٩٨/٢) رقم (٢٧٤٥) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧٣٩/١) رقم (٢٠٣٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٩٥/٢) رقم (٣٨٥٨) ، والبزار في مسنده بألفاظ متقاربة (٥١١/٥) رقم (١٦٩٦) . وعبد الرزاق في مصنفه (٣٥٩/٣) رقم (٥٩٦٧) ، وسعيد بن منصور في سننه (٧٦/١) رقم (١٦) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٨٤/١) رقم (٤٢٢) ، والشاشي في مسنده (٢٢/٢) رقم (٤٨٤) ، والطبراني في الكبير (١٩٤/١٠) رقم (١٠٤٣٧) .

(٢) هذا معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الماهر بالقرآن ، ولفظه : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له =

وحدثنا عبد العزيز بن المرزبان ح محمد بن إبراهيم البَكْرِيُّ ح أبو ثابت حدثني عمرو[١] بن طلحة عن الْمَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٩٠٦] « **مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ في شَبِيبَتِهِ** [٢٥٢/ب] **اخْتَلَطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ، وَمَنْ تَعَلَّمَه في كِبَرِهِ وَهُوَ يَنفَلِتُ مِنه وَلا يَتْرُكُه فَلَه أَجْرُه مَرَّتَيْنِ** » [٢] .



١٧٨ باب في البُله

حديث آخر : [٩٠٧] حدثنا أبو علي محمد بن علي بن الحسن [٣] ح عبد الله بن الحسين بن محمد بن جمعة الدِّمَشْقِيُّ ح أحمد بن عيسى ح عمرو بن أبي سلمة [٤] ح مصعب عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا البُلْهُ** [٥] » [٦] .

= أجران » ، (٥٤٩/١) رقم (٧٩٨) ، وأخرج الحديث بألفاظ مختلفة عن لفظ مسلم النسائي في سننه الكبرى في كتاب فضائل القرآن باب الماهر بالقرآن (٢٠/٥) رقم (٨٠٤٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب باب ثواب القرآن (١٢٤٢/٢) رقم (٣٧٧٩) ، وأحمد في مسنده (٩٨/٦) رقم (٢٤٧١١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٩٠/٢) رقم (٣٨٦١) ، وابن حبان في صحيحه (٤٤/٣) رقم (٧٦٧) ، وابن الجعد في مسنده (١٥٠/١) رقم (٩٥٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٨/٦) رقم (٣٠٠٣٦) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٧٣/١) .

(١) كذا والصواب : عمر ، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٤٦/٥) رقم (١٢١٦) ، ميزان الاعتدال للذهبي (٢٥١/٥) رقم (٦١٥٧) .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الصغرى بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة (٥٤٣/١) رقم (٩٨٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣٠/٢) رقم (١٩٥٢) ، والحديث في إسناده عمر بن طلحة الليثي ، قال ابن عدي في الكامل : أحاديثه عن سعيد المقبري بعضه مما لا يتابعه عليه أحد (٤٦/٥) رقم (١٢١٦) ، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال : لا يكاد يعرف . ونقل عن أبي زرعة قوله : ليس بقوي (٢٥١/٥) رقم (٦١٥٧) .

(٣) في (خ) : الحسين . (٤) زاد في (خ) بعدها : الإِسْفَرَايِينِيُّ .

(٥) البُلْهُ : هو جمع البله ، وهو الغَافِل عن الشَّر المطْبُوع على الخَيْر . وقيل : هم الذين غَلَبت عليهم سلامة الصُّدور وحُسْن الظن بالناس ؛ لأنهم أغْفَلوا أمْرَ دُنْياهم فَجهلوا حِذْق التَّصَرُّف فيها ، وأقْبلوا على آخِرَتِهم فشَغَلُوا أنفُسَهم بها ، فاسْتَحَقُّوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة . فأمَّا البله وهو الذي لا عَقْلَ له فغير مُرَادٍ في الحديث ، النهاية مادة (بله) ، (١٥٤/١) .

(٦) الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل بألفاظ متقاربة عن أنس في سياق ترجمة أحمد بن عيسى ، حيث =

قال محمد بن علي : المشهور بهذا المتن ما رواه عقيل عن الزُّهرِيِّ عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : [٩٠٨] « **إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الجنَّةِ البُلْهُ** » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : البله : الغفلة والذهاب عن الشيء ، والغفلة غفلتان : غفلة في أمر الدنيا ، وغفلة في أمر الآخرة ، فالبله الذي هو غفلة في أمر الدنيا على ثلاثة أنواع :

غفلة في أمر الدنيا وحطامها ، وذهاب عن التمييز فيها من خفتها على قلبه ، وهو أنها عنده فهو لا يضن بها إذا كانت عنده ، ولا يحرص عليها إذا كانت عند غيره ، ولا يتخير لها عند الإنفاق ، وهذا بله محمود ، يشرف العبد به إذا كان معه كيس في أمر الدين وإن لم يكن قويًا في العمل به ، روي عن النبي عليه السلام أنه قال : [٩٠٩] « **رُبَّ فَاجِرٍ فِي دِينِهِ أَخرَقَ فِي مَعِيشَتِهِ يَدْخُلُ بِسَمَاحَتِهِ الجنَّةَ** » (٢) وهذا في الاستهانة به ، وعن علي بن الحسين رواه عن النبي ﷺ : [٩١٠] « **اصْنَعِ المعْرُوفَ إِلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وإِلَى مَنْ لَيسَ هُوَ بِأَهْلِهِ ، فَإِنْ لم يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ** » (٣) .

وبله في النظر إلى الخلق وغفلة عنهم ، بمعنى الذهاب [٢٥٣/أ] عن النظر إليهم والتزين لهم ، فلا يبالي بهم في الضر والنفع والمدح والذم ، وهذا بله محمود ، وغفلة ترفع من أهلها ولا تضع منهم .

وبله في تصنع النفس والنظر إليها والإقبال عليها وذهاب عن مصالحها ومرافقها وما يلذها ويؤلمها ، فإن كانت هذه الأوصاف مع كيس في أمر الدين ومعرفة بسياسة الخلق وإعراض عن النفس في الله ولله فهي من أوصاف كبار الأولياء وأفاضل الصديقين

= ساق الحديث بإسناد المصنف من أحمد بن عيسى حتى آخر الإسناد ، وقال : هذا حديث باطل بهذا الإسناد مع أحاديث أخر يرويها - أي أحمد بن عيسى - عن عمرو بن أبي سلمة بواطيل (١٩١/١) رقم (٣١) .

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن أنس (١٢٦/٢) رقم (١٣٦٧) ، وعن جابر بألفاظ متقاربة ، وقال : منكر بهذا الإسناد (١٢٥/٢) رقم (١٣٦٦) ، وأخرجه ابن عدي في الكامل بلفظه عن أنس (٣١٣/٣) رقم (٧٧٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٠/٢) رقم (٩٨٩) ، وقد ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن بألفاظ متقاربة عن أنس ، وقال : حديث صحيح (١١٥/١٣) ، قال ابن عدي في الكامل : هذا الحديث بهذا الإسناد منكر ، لم يروه عن عقيل غير سلامة (٣١٣/٣) رقم (٧٧٣) ، وسلامة هذا هو : سلامة بن روح بن خالد بن عقيل ، نقل ابن حجر في تهذيب التهذيب عن أبي حاتم قوله : (ليس بالقوي ، محله عندي محل الغفلة) وعن أبي زرعة قوله : (ضعيف منكر الحديث يكتب حديثه على الاعتبار) ، (٢٥٣/٤) رقم (٥٠٧) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (١٣٠/أ) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١١١/أ) .

والشهداء ، وهي نعوت الأوتاد [(١)] والبدلاء [(٢)] ، فهؤلاء أصحاب الدرجات العلية في الجنة ، والمنازل الرفيعة فيها ، وإن كانت هذه الأوصاف على سلامة صدر وضعف فهم وقلة دراية في وجوه نيل الدنيا وفواتها ، وجهل بما يزيد فيها وينقص منها ، وعجز عن سياسة الخلق [(٣)] والنفس ، والفطنة فيما يرفق فيها ، وذهاب عن تمييز مصالحها ، وغفلة عن الخلق وآداب العشرة ، وخرق في معاملتهم مع سلامة الدين من الجهل بما يلزمه من الفروض ، وسلامة الصدر عن الأهواء المردية ، فهو من أهل الجنة الذين لهم عند الله المزيد .

فيجوز أن يكون معنى البله هم هؤلاء الذين هذه [(٤)] أوصافهم فقد جاء عن النبي ﷺ قال : [٩١١] « **رُبَّ أَشْعَثَ** [(٥)] **أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ** [(٦)] **لا يُؤْبَهُ بِهِ** [(٧)] **لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّه** » [(٨)] ، وجاء عنه ﷺ قال : [٩١٢] « **إِنَّ مِنْ مُلُوكِ أَهْلِ الجَنَّةِ كُلَّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ إِنْ غَابَ لا** [(٩)] **يُفْتَقَدُ ، وَإِنْ حَضَرَ لَمْ يُسْتَشْهَدْ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشفعْ وَإِنْ خَطَبَ لَمْ يُنْكَحْ** » [(١٠)] . وقال ﷺ : [٩١٣] « **المُؤمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ** [(١١)] **والمنَافِقُ** [٢٥٣/ب] **خَبٌّ**

---

(١) قال الكاشاني : الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم ، أي : الشرق والغرب والشمال والجنوب ، بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محال نظره تعالى . معجم اصطلاحات الصوفية (٥٨) .

(٢) قال الكاشاني : البدلاء هم سبعة رجال ، يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسدًا على صورته فيه ، بحيث لا يعرف أحد أنه فقد ، وذلك معنى البدل لا غير ، وهم على قلب إبراهيم ﷺ ، معجم اصطلاحات الصوفية (٦٢) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) أشعث : متفرق الشعر ، النهاية مادة (شعث) ، (٤٧٨/٢) .

(٦) ذي طمرين : الطمر الثوب الخلق ، النهاية مادة (طمر) ، (١٣٨/٣) .

(٧) لا يؤبه له : أي لا يحتفل به لحقارته ، النهاية مادة (أبه) ، (١٨/١) .

(٨) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الضعفاء والخاملين (٢٠٢٤/٤) رقم (٢٦٢٢) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (٣٦٤/٤) رقم (٧٩٣٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤٠٣/١٤) رقم (٦٤٨٣) ، وعبد بن حميد بألفاظ متقاربة عن أنس (٣٧٠/١) رقم (١٢٣٦) ، والطبراني في الأوسط (٢٦٤/١) رقم (٨٦١) .

(٩) في (خ) : لم .

(١٠) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بنحوه عن أبي هريرة (٣٣٢/٧) رقم (١٠٤٨٦) ، وابن أبي الدنيا في الأولياء عن الحسن (١٢) ، وعبد الكريم القزويني في التدوين في أخبار قزوين عن أبي هريرة (٩٢/١) .

(١١) غِرٌّ كريم : أي ليس بذي نُكْر ، فهو يَنْخَدِع لانقِيادِه وَلِينِه ، وهو ضِدُّ الخَبِّ . يقال : فَتى غِرٌّ وفَتاةٌ غِرٌّ =

لَئِيمٌ » [١] ، وقال : [٩١٤] : « **المؤمِنُ كَالجمَلِ الأَنِفِ** [٢] **حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ ، وَإِنْ أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ** » [٣] .

ويجوز أن يكون البله هم الأطفال والمجانين ، أما أطفال المسلمين فهم مع آبائهم في الجنة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١] ، وأما أطفال المشركين ففي باب الجواز ؛ لأن الأخبار قد اختلفت فيهم ، فمن ذلك ما حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن عن الأسود [هو ابن سريع] [٤] قال : [٩١٥] **غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَنَاوَلَ بَعْضُ الْقَوْمِ الذُّرِّيَّةَ ، فَقَالَ ﷺ : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ لَمْ يَزَلْ بِهِم الْقَتْلُ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ » ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُمْ أَوْلادُ المشْرِكِينَ . فَقَالَ : « إِنَّ خِيَارَكُم أَوْلادُ المشْرِكِينَ ، إِنَّ كُلَّ نَسَمَةٍ** [٥] **تُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا »** [٦] . وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح ابن عيينة عن الزُّهْرِيِّ عن

= وقد غَرِرْتَ تَغِرُّ غَرارَة . يُريد أنَّ المؤمنَ المحمودَ من طَبْعه الغَرارة ، وقِلةُ الفِطْنة للشَّرِّ ، وتركُ البحث عنه ، وليس ذلك منه جَهلًا ، ولكنه كَرَمٌ وحُسْن خلُق ، النهاية مادة (غرر) ، (٣٥٥/٣) .

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب في حسن العشرة (٢٥١/٤) رقم (٤٧٩٠) ، والترمذي في جامعه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في البخيل ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٣٤٤/٤) رقم (١٩٦٤) ، وأحمد في مسنده (٣٩٤/٢) رقم (٩١٠٧) ، والحاكم في مستدركه (١٠٣/١) رقم (١٢٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٩٥/١٠) رقم (٢٠٥٩٨) ، وابن المبارك في الزهد (٢٣٧/١) رقم (٦٧٩) ، والبخاري في الأدب المفرد (١٥١/١) رقم (٤١٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٠١/١٠) رقم (٦٠٠٧) ، والطبراني في الكبير عن كعب بن مالك عن أبيه (٨٢/١٩) رقم (١٦٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير وفيه يوسف بن السفر ، وهو كذاب (٨٢/١) .

(٢) الأنِفِ : أي المأنوف ، وهو الذي عقَرَ الخِشاشُ أنْفَه فهو لا يَمْتَنِع على قائدِه للْوَجَع الذي به . وقيل : الأنِفُ الذَّلول ، النهاية مادة (أنف) ، (٧٥/١) .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه عن العرباض بن سارية ، حتى قوله : « انقاد » في المقدمة (١٦/١) رقم (٤٣) ، والحاكم في مستدركه وسكت عنه الذهبي (١٧٥/١) رقم (٣٣١) ، وأحمد في مسنده (١٢٦/٤) رقم (١٧١٨٢) ، والطبراني في الكبير (٢٤٧/١٨) رقم (٦١٩) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان بتمامه بألفاظ متقاربة عن مكحول موقوفًا ، وقال : هذا مرسل (٢٧٢/٦) رقم (٨١٢٨) ، وابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة عن مكحول مرفوعًا (١٣٠/١) رقم (٣٨٧) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) النَّسَمة : النَّفْس والروح ، النهاية مادة (نسم) ، (٤٨/٥) .

(٦) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن الأسود بن سريع في كتاب السير باب النهي =

عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ﷺ حدثني الصعب قال : [٩١٦] **قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نُبَيِّتُ أَهْلَ الدَّارِ مِنَ المشْرِكِينَ فَنُصِيبُ مِنْ ذَرَارِيهِم . قَالَ : « فَهُم مِنْ آبَائِهِمْ »** (١) .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح وكيع عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٩١٧] **« الأَطْفَالُ هُمْ خَدَمُ أَهْلِ الجَنَّةِ »** (٢) .

فيجوز أن يكون البله هم الأطفال والمجانين ومن مات في الفترة ، فقد ورد الحديث عن النبي ﷺ قال : « **أربعة كلهم يدلي يوم القيامة على الله بحجة** » حدثناه محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح إسحاق [بن الحسن الحربي ح [٢٥٤/أ] الحسن بن موسى الأشيب ح حماد] (٣) بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٩١٨] **« أَرْبَعَةٌ كُلُّهُم يُدْلِي يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى اللَّهِ بِحُجَّةٍ وَعُذْرٍ : رَجُلٌ**

= عن قتل ذراري المشركين (١٨٤/٥) رقم (٨٦١٦) ، وأحمد في مسنده (٤٣٥/٣) رقم (١٥٦٢٦) ، وابن حبان في صحيحه (٣٤١/١) رقم (١٣٢) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٣/٨) ، والطبراني في الكبير (٢٨٣/١) رقم (٨٢٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : حديث الأسود مشهور ثابت (٢٦٣/٨) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن الصعب بن جثامة في كتاب الجهاد والسير باب أهل الدار يبيتون (١٠٩٧/٣) رقم (٢٨٥٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب جواز قتل النساء والصبيان من غير تعمد (١٣٦٤/٣) رقم (١٧٤٥) ، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب في قتل النساء (٥٤/٣) رقم (٢٦٧٢) ، والترمذي في جامعه في كتاب السير باب ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان ، وقال : حسن صحيح (١٣٧/٤) رقم (١٥٧٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب السير باب النهي عن قتل النساء (١٨٥/٥) رقم (٨٦٢٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجهاد باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان (٩٤٧/٢) رقم (٢٨٣٩) ، وأحمد في مسنده (٣٨/٤) رقم (١٦٤٧١) ، والحاكم في مستدركه وسكت عنه الذهبي (٧٢٤/٣) رقم (٦٦٢٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٨/٩) رقم (١٧٨٧٠) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده بألفاظ مختلفة عن أنس (٢٨٢/١) رقم (٢١١١) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة (١٣٠/٧) رقم (٤٠٩٠) ، والروياني في مسنده بألفاظ مختلفة عن سمرة بن جندب (٦٤/٢) رقم (٨٣٨) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء عن أنس (٣٠٨/٦) ، والطبراني في الأوسط (٢٢٠/٣) رقم (٢٩٧٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط إلا أنهما قالا : أطفال المشركين وفي إسناد أبي يعلى يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف ، وقال فيه ابن معين : رجل صدق ، ووثقه ابن عدي ، وبقية رجالهما رجال الصحيح (٢١٩/٧) ، ويزيد الرقاشي من رجال إسناد المصنف .

(٣) سقط من (خ) .

مَاتَ في الفَتْرَةِ (١) ، **ورَجُلٌ أَدْرَكَ الإِسْلامَ هَرِمًا ، ورَجُلٌ أَبْكَمُ ، وَرَجُلٌ مَعْتُوهٌ** (٢) . **فَيَبْعَثُ اللَّهُ تعَالى إِلَيْهِم رَسُولاً ، فَيَقُولُ : أَطِيعُوه . فَيَأْتِيهُم الرَّسُولُ فَيُؤَجِّجُ لَهُم نَارًا ، فَيَقُولُ : اقْتَحِمُوهَا . فَمَن اقْتَحَمَهَا كَانَتْ عَلَيْه بَرْدًا وَسَلامًا ، وَمَنْ لا حَقَّتْ عَلَيْه كَلِمَةُ العَذَابِ »** (٣) .

ويجوز أن يكون البله الذين هم أكثر أهل الجنة ما جاء في الحديث الذي حدثناه بكر ابن مسعود بن رواد ح عبد الصمد بن الفضل ح مَكِّيُّ بن إبراهيم عن عبيد اللَّه بن الوليد الرُّصَافي (٤) عن عطية (٥) عن أبي سعيد الْخُدرِيِّ ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٩١٩] « **إِذَا أَسْكَنَ اللَّهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ بَقِيَ في الجَنَّةِ مَكَانٌ فَسِيحٌ** (٦) ، **فَيسكِنُ اللَّهُ تعَالى سِتِّينَ وثلاثمائة عَالَم كُلُّ عَالَمٍ مِنهَا أَكْثَرُ مِنَ الدُّنْيَا مُنْذُ خُلِقَتْ إِلى يَوْمِ تَنْقَطِع** » (٧) فيسكنهم الجنة ، وهم أدنى أهل الجنة منزلًا ؛ لأنهم لم يبتلوا بشيء من الأعمال ، فهؤلاء العوالم

---

(١) الفَتْرَةُ : ما بين الرسولين من رُسل اللَّه ﷺ ، مختار الصحاح مادة (فتر) ، (٢٠٥/١) .

(٢) المَعْتُوه : هو المجنونُ المُصاب بِعَقله ، النهاية مادة (عته) ، (١٨١/٣) .

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة (١٧٦/١) رقم (٤٠٤) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه علي بن زيد هو ابن جدعان ، قال العجلي في معرفة الثقات : يكتب حديثه وليس بالقوي ، وكان يتشيع (١٥٤/٢) رقم (١٢٩٨) ، وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : ليس بقوي ، يكتب حديثه ولا يحتج به (١٨٦/٦) رقم (١٠٢١) ، وقال ابن حبان في المجروحين : كان يهم في الأخبار ، ويخطئ في الآثار ، حتى كثر ذلك في أخباره ، وتبين فيها المناكير التي يرويها عن المشاهير ، فاستحق ترك الاحتجاج به (١٠٣/٢) رقم (٦٧٣) ، وقد ضعفه ابن حجر في تقريب التهذيب (٤٠١/١) رقم (٤٧٣٤) .

(٤) في (خ) : الوصافي ا.هـ . والرُّصَافي : بضم الراء المهملة ، والصاد المهملة والفاء بعد الألف ، هذه النسبة إلى الرصافة ، وهي بلدة بالشام ، الأنساب (٣١٣/٢) . أما عبيد اللَّه بن الوليد فالصحيح في نسبه ما ورد بالنسخة (خ) : الوصافي . والوَصَّافِيُّ : بفتح الواو ، وتشديد الصاد المهملة ، وفي آخرها الفاء . هذه النسبة إلى وصَّاف ، وهو اسم جماعة ، وعبيد اللَّه بن الوليد الوصَّافي من أهل الكوفة من ولد الوصَّاف العجلي روى عنه أهلها ، منكر الحديث جدًّا ، يروي عن الثقات عطاء وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ، الأنساب (٤٨٩/٤) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : العوفي .

(٦) في (خ) : أفيح .

(٧) الحديث ذكره المتقي الهندي في كنز العمال بألفاظ متقاربة ، وعزاه للديلمي عن أبي سعيد . مجلد (١٤) حديث رقم (٣٩٢٦٩) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه عبيد اللَّه بن الوليد الوصَّافي ، قال السمعاني في الأنساب : عبيد اللَّه بن الوليد الوصَّافي من أهل الكوفة من ولد الوصَّاف العجلي روى عنه أهلها ، منكر الحديث جدًّا ، يروي عن الثقات عطاء وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ، الأنساب (٤٨٩/٤) .

بله ، أي غفلاء عما أريد بهم وأنهم لم يكلفوا عملًا ما فهم بله غفلاء .

ويجوز أن يكون البله هم الموحدون للَّه العارفون باللَّه العقلاء والعلماء باللَّه ؛ لأن أعلم الخلق باللَّه أشدهم حيرة في اللَّه تعالى وأعماهم عن حقيقة ما يستحقه ؛ إذ لا [يعبده حق عبادته] [1] ولا يصفه كنه صفته إلا هو ، ألا ترى إلى أشرف الخلق مرتبة وأعلاهم درجة وأعلمهم باللَّه وأخشاهم للَّه محمد بن عبد اللَّه رسول اللَّه ﷺ [٢٥٤/ب] يقول : [٩٢٠] « **لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ** » [2] ، وقال عليه السلام : « **كلكم في ذات اللَّه حمقى** » حدثنا عبد اللَّه بن محمد ح عبد الصمد بن الفضل ح شهاب بن معمر عن الفضيل بن عياض عن أبان عن واصل قال : [٩٢١] قَالَ رَجُلٌ [3] لأَبي ذَرٍّ : يَا أَحْمَقُ يَا أَحْمَقُ . قَالَ : فَحَوَّلَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ وَجْهَه وَقَالَ : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : لَمْ أَعْنِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ . قَالَ : لا بَأْسَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **كُلُّكُم في ذَاتِ اللَّهِ حَمْقَى** » [4] .

فالحمقى هم البله ، وإذا كان المخاطبون في عصر الرسول حمقى فما ظنك بمن دونهم ، فأهل الجنة العلماء باللَّه ، والعقلاء عن اللَّه ، وأهل المعرفة باللَّه ، قال عليه السلام : [٩٢٢] « **يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتي الجَنَّةَ سَبعُونَ أَلفًا بغيرِ حِسَابٍ** » [5] ، ثم وصفهم فقال : [٩٢٣] « **الذِينَ لا يَرْقُونَ ولا يَسْتَرقُونَ ولا يَكْوُونَ ولا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ** » [6] فهل صح توكلهم على اللَّه إلا بعد معرفتهم للَّه وعلمهم باللَّه ؟! .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **أكثر أهل الجنة البله** » الذين غرضهم في عبادتهم للَّه ، وخدمتهم له وغايتهم ، فما منَّ اللَّه عليهم من توحيده وهداهم لمعرفته هو الجنة ، فهم بله غفلاء ، أغفلوا في مرادهم من اللَّه ما هو أفضل من الجنة ، وهو رضا اللَّه تعالى ؛ لأن الجنة ونعيمها في جنب رضا اللَّه قليل صغير ، ألا ترى إلى ما حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل ح المنكدر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول اللَّه ﷺ قال : [٩٢٤] « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ [٢٥٥/أ] الجَنَّةَ وَرَأَوْا**

---

(١) في (خ) : يعرفه حق معرفته .
(٢) سبق في اللوحة رقم (١١٦/ب) .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) لم أقف عليه ، وفي إسناده عبد اللَّه بن محمد بن يعقوب الحارثي - شيخ المصنف - متهم بالوضع ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) .
(٥) سبق في اللوحة رقم (٢٢/أ) .
(٦) سبق في اللوحة رقم (٥٤/ب) .

مَا فِيهَا قَالَ اللَّهُ تعالى : لَكُم عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . قَالُوا : رَبَّنَا لَيسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الجَنَّةِ . قَالَ : بَلَى ، أُحِلُّ عَلَيكُم رِضْوَانِي » (١) ألا ترى إلى معرفة هؤلاء وغفلتهم وذهابهم عن أفضل ما يؤتي اللَّه عباده حين قالوا : « ليس شيء أفضل من الجنة » ؟! بلهوا وأغفلوا ما هو أفضل منها حتى قال لهم : « بلى » ثم أفضل من ذلك أيضًا ما وعدهم في كتابه من النظر إليه واللقاء له ورؤيته بأبصارهم بقوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ، قيل للنبي ﷺ : ما الزيادة ؟ قال : « **النظر إلى وجه اللَّه تعالى** » ، حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن يوسف [الْفِرْيَابِيُّ ح أبو إسحاق] (٢) العماني (٣) إبراهيم بن هاشم ح الأزرق بن علي ح حسان بن إبراهيم ح عباد بن كثيرٍ عن ثابت الْبُنَانِيِّ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بنِ عجرة قال : [٩٢٥] **قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِه الآيَةَ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾** [يونس: ٢٦] **فَقِيلَ : مَا الزِّيَادَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « النَّظَرُ إِلى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى »** (٤) .

وقال ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ، فما الجنة ونعيمها في جنب النظر إلى اللَّه والرؤية به بالبصر ؟! .

وحدثنا أبو علي الإِسْفَرَايِينِيُّ الحافظ ح أبو بكر أحمد بن الحسين الْحِمْيَرِيُّ (٥) ح أبو الحسين بن أحمد بن هشام ح أبو وائل يزيد بن محمد ح كهمس عن الحسن عن أنس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ عن اللَّه ﷻ : [٩٢٦] « **وَمَا جَزَاءُ عَبْدِي إِذَا سَلَبْتُه كَرِيمَتَيْهِ فَصَبَرَ إِلا الْـخُلُودُ فِي دَارِي والنَّظَرُ إِلى** [٢٥٥/ب] **وَجْهِي** » . **قَالَ كهمس : فَقُلْتُ لِلْحَسَنِ : بِأَيِّ شَيْءٍ يَنْظُرُ إِلى اللَّهِ ؟ قَالَ : بِالذِي سَلَبَه إِيَّاه** (٦) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخدري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٢٣٩٨/٥) رقم (٦١٨٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة باب إحلال الرضوان على أهل الجنة (٢١٧٦/٤) رقم (٢٨٢٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب صفة الجنة باب منه ، وقال : حسن صحيح (٦٨٩/٤) رقم (٢٥٥٥) ، وأحمد في مسنده (٨٨/٣) رقم (١١٨٥٣) ، وابن حبان في صحيحه (٤٧٠/١٦) رقم (٧٤٤٠) ، وابن المبارك في الزهد (١٢٩/١) رقم (٤٣٠) ، وأبو القاسم الجرجاني في تاريخ جرجان عن جابر (١١٥/١) ، وابن منده في الإيمان عن أبي سعيد الخدري (٨٠٥/٢) رقم (٨١٩) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٤٢/٦) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : حدثنا .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٤٦/ب) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : المقرئ .

(٦) الحديث أخرجه ابن حبان في الثقات بألفاظ مختلفة عن أنس ، دون قوله : « قال كهمس » إلى آخر الحديث (٤/٩) رقم (١٤٨٦١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٢/٧) رقم (٩٩٦٠) ، والحديث =

سمعت الحسين بن عبد الله الْهَمَذَانِيَّ يقول : سمعت جعفرًا يقول : رأى بعض الصالحين في منامه أنه أدخل الجنة فرأى رجلًا على مائدة وملك يطعمه وملك يسقيه والواحد يقول : كل يا من لم يأكل من أجله ، والآخر يقول : اشرب يا من لم يشرب من أجله . ورأيت رجلًا شاخصًا ببصره نحو العرش قد اشتغل عن حورها وولدانها ولذاتها وقصورها وأشجارها وثمارها وهو لا يطرف ، فسألت عن [١] رضوان : من الذي يطعمه ملك ويسقيه ملك ؟ . فقال : ذاك بشر الحافي مات جائعًا عطشان ، فوكل الله به ملكين يطعمانه ويسقيانه ، [كل يا من لم يأكل من أجله ، اشرب يا من لم يشرب من أجله] [٢] . قلت : فالرجل الشاخص ببصره نحو العرش قد اشتغل عن [حورها وقصورها ولذاتها وأنهارها وثمارها عن] [٣] النعيم وهو لا يطرف ؟ قال : ذاك معروف الكرخي ، مات مشتاقًا فأباحه الله النظر إليه وقد اشتغل به عما سواه .

فالذي أغفل هذا وأقبل على الجنة من حظوظ نفسه من الطعام والشراب والحور أبله .

قال عمر ﷺ : [٩٢٧] « نِعْمَ المرْءُ صُهَيْبٌ ، لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ تعالى لَمْ يَعْصِه » [٤] يعني

= إسناده ضعيف ، فيه الحسن ، وهو الحسن بن عمارة أبو محمد الفقيه المشهور ، روى عنه كهمس بن المنهال السدوسي ، تهذيب الكمال للمزي (٢٣٤/٢٤) رقم (٥٠٠٢) ، قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أحمد بن حنبل : متروك الحديث ، أحاديثه موضوعة ، لا يكتب حديثه (٢٧/٣) رقم (١١٦) ، وقال ابن حبان في المجروحين : قال أبو حاتم - رضي الله تعالى عنه - : كان بلية الحسن بن عمارة أنه كان يدلس عن الثقات ما وضع عليهم الضعفاء كان يسمع من موسى بن مطير وأبي العطوف وأبان بن أبي عياش وأضرابهم ثم يسقط أسماءهم ويرويها عن مشايخهم الثقات فلما رأى شعبة تلك الأحاديث الموضوعة التي يرويها عن أقوام ثقات أنكرها عليه وأطلق عليه الجرح ولم يعلم أن بينه وبينهم هؤلاء الكذابين فكان الحسن بن عمارة هو الجاني على نفسه بتدليسهم عن هؤلاء وإسقاطهم من الأخبار حتى التزق الموضوعات به (٢٢٩/١) رقم (٢٠٥) ، وقال ابن حجر في طبقات المدلسين : ضعفه الجمهور ، وقال ابن حبان :كان بليته التدليس (ص ٥٣) رقم (١٣٤) .

(١ ، ٢) سقط من (خ) . (٣) السابق .

(٤) قال علي بن سلطان القاري في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : لا أصل له كما صرح به الحفاظ (٢٠٢/١) رقم (٣٨٥) ، وقال العجلوني في كشف الخفاء : اشتهر في كلام الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية من حديث عمر ، وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ ، وذكر البهاء السبكي أنه لم يظفر به بعد البحث ، وكذا كثير من أهل اللغة ، لكن نقل في المقاصد عن الحافظ ابن حجر أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد ، وقال في اللآلئ : منهم من يجعله من كلام عمر ، وقد كثر السؤال عنه ولم أقف له على أصل ، وسئل بعض شيوخنا الحفاظ عنه فلم يعرفه ... قال الشيخ بهاء الدين السبكي : لم أر هذا الكلام في شيء من كتب الحديث لا مرفوعًا ولا موقوفًا لا عن عمر ولا عن غيره مع شدة التفحص عنه (٤٢٨/٢) =

أنه ترك المعصية لله تعالى اشتغالًا بالله وإجلالًا بحقه لا خوفًا من عقوبته فكان معنى الحديث أن أكثر من سأل الله الجنة فأعطي أبله ؛ لأنه أغفل ما هو أفضل منه .

ومعنى قوله : « **أكثر** » هو أن من كان [٢٥٦/أ] غرضه من الله رضا الله ولقاءه فإنه يسأل الله الجنة أيضًا إلا أنه يسأل الجنة موافقة لله ؛ لأن الله تعالى أحب أن يسأل ثوابه ويستعاذ من عقابه .

قال ﷺ : « **حولهما ندندن** » (١) حدثنا محمد بن حاتم البِيْكَنْدِيُّ ح إبراهيم بن إسماعيل ح [توبة بن] (٢) يوسف بن موسى ح جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ قال : [٩٢٨] **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ : « مَا تَقُولُ فِي الصَّلاةِ ؟ » قَالَ : أَتَشَهَّدُ : ثُمَّ أَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ . فَقَالَ : « أَمَا وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ » . فَقَالَ : « حَوْلَهُمَا نُدَنْدِنُ »** (٣) .

وقيل : معنى البله يعني أنهم غفلاء عما أعد الله لهم بقوله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] . وقيل أيضًا : معنى البله العقلاء على التضاد ، كما يقال للحبشي : أبو البيضاء ، وللأعمى : أبو البصر .

١٧٩
باب في الروح

حديث آخر : [٩٢٩] حدثنا محمد بن عمر بن محمد أبو الحسن الْبُجَيْرِيُّ ح أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البَصْرِيُّ ح محمد بن المنهال ح يزيد بن زريع ح روح بن القاسم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

= رقم (٢٨٣١) .

(١) في هامش الأصل : الدندنة أصوات النحل ا.هـ . وجاء في النهاية : الدَّنْدنةُ أن يتكلم الرجل بالكلام تُسمع نَغْمَته ولا يُفْهَم وهو أرفع من الهيْنَمَةِ ، النهاية مادة (دندن) ، (١٣٧/٢) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الصلاة باب في تخفيف الصلاة (٢١٠/١) رقم (٧٩٢) ، والنسائي في سننه الصغرى بلفظه (٢٨٢/١) رقم (٤٦٧) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الإقامة باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ﷺ (٢٩٤/١) رقم (٩١٠) ، وأحمد في مسنده (٤٧٤/٣) رقم (١٥٩٣٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٤٩/٣) رقم (٨٦٨) ، وابن خزيمة في صحيحه بلفظه (٣٥٨/١) رقم (٧٢٥) .

« **الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا [١] ائْتَلَفَ ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ [٢]** » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : اختلف الناس [في الروح] [٤] ، فقال قوم : هو والنفس شيء واحد ، وقالوا : هو الدم ؛ لأن الحي إذا مات لا يفقد من جسمه إلا الدم ، وقال قائلون : الروح ريح باردة والنفس ريح حارة ، قالوا : والنفخ من الروح ولذلك برد والنفس من النفس ولذلك [٢٥٦/ب] صارت حارة ، وقال قوم : خلق اللَّه تعالى الأرواح قبل الأجساد وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] ، يعني الأرواح : ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] يعني الأجساد [٥] ، وقال بعض الفلاسفة : إن اللَّه تعالى خلق الأرواح كهيئة الكرات مدورة ثم قطعها أنصافًا ، فجعل في كل جسد نصفًا ، فكل جسم لقي الجسم الذي فيه النصف الذي قطع من النصف الذي كان معه ألفه .

وقال جنيد بن محمد [٦] : الروح شيء استأثر اللَّه تعالى بعلمه ، ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه ، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود .

وقال بعضهم : أظهر اللَّه الروح من بين جلاله وجماله ، ولولا أنه ستره لسجد له كل كافر .

---

(١) في هامش (خ) : في الدنيا .   (٢) من هامش الأصل .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة (١٢١٣/٣) رقم (٣١٥٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة (٢٠٣١/٤) رقم (٢٦٣٨) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس (٢٦٠/٤) رقم (٤٨٣٤) ، وأحمد في مسنده (٢٩٥/٢) رقم (٧٩٢٢) ، والحاكم في مستدركه عن معاذ بن جبل ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٦٦/٤) رقم (٨٢٩٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة (٤٩٧/٦) رقم (٩٠٣٩) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٤٢/١٤) رقم (٦١٦٨) ، وأبو يعلى في مسنده عن عائشة (٣٤٤/٧) رقم (٤٣٨١) ، والطبراني في الكبير عن سلمان (٤٦٣/٦) رقم (٦١٦٩) .   (٤) سقط من (خ) .

(٥) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ، وعزاه للقاضي أبي يعلى في المعتمد (١٧٣/٣) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦٩/٧) .

(٦) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز القواريري ، كان أبوه يبيع الزجاج ، وكان هو خزازًا وأصله من نهاوند ، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد ، أسند الجنيد الحديث عن الحسن بن عرفة ، وقد لقي الجنيد خلقًا من العلماء ودرس الفقه على أبي ثور ، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة ، وصحب جماعة من العباد ، واشتهر بصحبة خاله سري والحارث المحاسبي ، وتوفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقيل : سبع وتسعين ، صفة الصفوة (٤١٦/٢) رقم (٢٩٦) .

وعن وهب بن منبه [(١)] أنه [قال : [٩٣٠] « وَجَدْتُ] [(٢)] في التَّوْرَاةِ في صِفَةِ آدَمَ عليه السلام أَنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ : جَعَلْتُ فِيهِ نَفَسًا ورُوحًا ، فَمِنَ النَّفَسِ حَرَارَتُه وَمِنَ الرُّوحِ بُرُودَتُه ، فَمِنَ النَّفَسِ حِدَّتُه وَخِفَّتُه وَشَهْوَتُهُ ولَهْوُه وضَحِكُه وَسَفَهُهُ ، وَمِنَ الرُّوحِ حِلْمُه وَوَقَارُه وعَفَافُه وحَيَاؤُه وفِقْهُهُ وَكَرَمُهُ وَصِدْقُهُ » [(٣)] .

وقال جنيد رحمه الله : خلق اللَّه تعالى جميع الأشياء بذل الافتقار ، فقال لها : كوني ، فكانت مستصغرة مستقصرة ، لقوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] وأظهر الروح بعين الافتخار بقوله : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] ، وقال : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] فهذا موضع الافتخار ، والكلام في الروح يطول ، وليس غرضنا ذلك .

وجملة الأمر ما قاله جنيد : أنه شيء استأثر اللَّه بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه ، فقال عز وجل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الآية [الإسراء : ٨٥] . [٢٥٧/أ] .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانيُّ ح وكيع وابن إدريس عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد اللَّه قال : [٩٣١] « كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ عليه السلام بِالمَدِينَةِ - قَالَ وَكِيعٌ : في حَرْبٍ . وَقَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ : في حَرْثٍ [(٤)] - وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ [(٥)] ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ اليَهُودِ ، فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ : سَلُوه عَنْ الرُّوحِ . وَقَالَ [بَعْضُهُم] [(٦)] : لا تَسْأَلُوه . فَسَأَلُوه فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ مَا الرُّوحُ ؟ قَال عَبْدُ اللَّهِ - وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى الْعَسِيبِ - فَظَنَنْتُ أَنَّه يُوحَى فَقَالَ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الآية [الإسراء : ٨٠] » [(٧)] .

---

(١) هو وهب بن منبه الحافظ أبو عبد اللَّه الصنعاني ، عالم أهل اليمن ، ولد سنة رابع وثلاثين ، روى عن أبي هريرة يسيرًا ، وعن عبد اللَّه بن عمر وابن عباس وأبي سعيد وجابر بن عبد اللَّه وغيرهم ، وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير ، فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ ، وحديثه في الصحيحين ... وكان ثقة واسع العلم ، توفي سنة أربع عشرة ومائة ، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ١٠٠) رقم (٩٣) .

(٢) في (خ) : وجد .

(٣) هذا الأثر ذكره ابن قتيبة بألفاظ مختلفة في تأويل مختلف الحديث ، ولم يسنده (ص ٢٩١) ، وابن عبد البر في التمهيد عن وهب بن منبه (٥/ ٢٤٣) .

(٤) في (خ) : خرب .

(٥) العَسِيب : أي جريدَة من النَّخْلِ ، وهي السَّعْفَة ممَّا لا يَنْبُتُ عليه الخُوصُ ، النهاية مادة (عسب) ، (٣/ ٢٣٤) .

(٦) زيادة يقتضيها السياق ، وهي وردت في روايات الحديث الآتي بيانها .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه في كتاب التوحيد باب : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ =

إذًا فليس لنا أن نبحث عما زوى اللَّه عنا علمه ، وستر علينا كيفيته ، وحجب عنا ماهيته ، وهو ﷻ يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وهو الحكيم العليم ، فأفعاله كلها حكمة ؛ إذ لا يجوز عليه العبث والسفه ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا ، واللَّه يؤتي الحكمة من يشاء : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] ، فيدرك الحكماء بقدر عقولهم ومبلغ أفهامهم حكمة في أشياء مما يفعل اللَّه على مقاديرهم ، وما عند اللَّه خير وأبقى .

فيجوز أن يكون من الحكمة في ستر اللَّه ﷻ عن خلقه ماهية الروح وكيفيته أنه تعالى خلق بني آدم على طبقات ، وركب فيهم العقول التي يدركون بها الأشياء ، ويبحثون بها عن غوامض الأمور ، وعلم أن منهم من لا يقف حيث وقف به ، ولا ينتهي إلى الحد الذي بين له ، بل يتعدى طوره ويجاوز حده في طلب إدراك ما ليس له من معرفة صفات اللَّه ونعوته ، والطلب والبحث عنها بعقولهم وأفهامهم ، فأظهر اللَّه لهم عجزهم وضعفهم [٢٥٧/ب] بإحداث الروح فيهم ، وستر ماهيته وكيفيته عنهم ، ينبههم بذلك أنهم يعجزون عن ماهية خلق محدث كان بعد أن لم يكن وضعه فيهم ومعهم ، وأظهر لهم أفعاله ، وبيَّن لهم آثاره ، وزوى عنهم ماهيته وكيفيته ، فلم يدركوه بعقولهم ، ولا عرفوه بأفهامهم ؛ لأنه تعالى لم يضع فيهم علم كيفيته وماهيته ، فكيف يبحثون عن إدراك من لا كيفية له بوجه من الوجوه ؟! وكيف يعرفون من لا يقع عليه النواظر ولا يدخل تحت الأوهام والخواطر ؟! وليعلموا أنهم لا يعرفونه حق معرفته ، يعني من حيث هم ، ولا يصفونه كنه صفته ، وإنما عرفوه بقدر ما تعرف إليهم من إثباته وتوحيده ، ووصفوه بما أبرز لهم من صفاته في كتابه الذي أنزل ، وعلى لسان نبيه الذي أرسل ، فعليهم أن يقفوا حيث وقف بهم ، وينتهوا إلى الحد الذي بين لهم ، معرفة منهم بعجز البشرية ، وضعف الخلقة ، وجلال كبرياء اللَّه ، وعظيم جبروته ، وقهر سلطانه .

= ﴿ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٧١] ، (٢٧١٣/٦) رقم (٧٠١٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح (٢١٥٢/٤) رقم (٢٧٩٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥] ، (٣٨٣/٦) رقم (١١٢٩٩) ، وأحمد في مسنده (٣٨٩/١) رقم (٣٦٨٨) ، وابن حبان في صحيحه (٢٩٩/١) رقم (٩٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٨/٩) رقم (٥٣٩٠) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٦٣/١) رقم (٥٩٢) ، والشاشي في مسنده (٣٧٥/١) رقم (٣٦٩) .

وقال أبو ذر ﷺ : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : [٩٣٢] « **كلكم في ذات اللَّه حمقى** » (١) ، وقال ﷺ : [٩٣٣] « **أَنَا أَعْلَمُكُم بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُم للَّهِ** » (٢) سبحان اللَّه تعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا .

وغرضنا من الحديث قوله ﷺ : « **فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** » ، وصف النبي ﷺ الأرواح بالتعارف والتناكر ، وذكر الائتلاف والاختلاف ، فمعنى التعارف يجوز أن يكون بما تعرف إليها [٢٥٨/أ] - جل وعز - حين جعلها جنودًا مجندة ، فتعرف إليها بصفاته ، فمنها ما تعرف إليه بالجلال والعظمة ، ومنها ما تعرف إليه بالهيبة والسطوة ، ومنها ما تعرف إليه باللطف والبر ، ومنها ما تعرف إليه بالمحبة والود ، ومنها ما تعرف إليه بالصبر والشكر ، إلى سائر صفاته التي أبرزها لخلقه وأظهرها لبريته ، ثم أودع اللَّه تعالى هذه الأرواح الأجساد إلى أجل مؤقت ومدة معلومة ، وائتلفت الأجساد التي تعرف إلى أرواحها بصفة من هذه الصفات ، فكل روح عرف من الآخر ما تعرف اللَّه به إليه من صفاته ألف جسده جسده ، وكل روح لم يعرف من الآخر ما تعرف اللَّه تعالى به إليه خالف جسده جسده .

ومن الأرواح ما لم يتعرف إليها إلا بالقهر لها والإجبار ، فلم تعرفه إلا معرفة قهر وغلبة ، كما قال ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف : ٨٧] ، وقال ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد : ١٥] ، فهذه الأرواح تتناكر ولا تتعارف فيما بينها وبين أجسادها ، لا ألفة بينها إلا ألفة طبع ، قال اللَّه تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ١٤] .

والتناكر والتعارف للأرواح ، والائتلاف والاختلاف للقلوب ، والاجتماع والافتراق بين الأجساد ، الدليل على ذلك ما حدثنا محمود بن إسحاق الخُزَاعِيُّ ح سعيد بن مسعود ح جعفر بن عون ح إبراهيم الْهَجَرِيُّ (٣) عن أبي الأحوص عن عبد اللَّه قال : [٩٣٤] « **الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَلاقَى مِنْهَا تَشَامٌّ كَمَا تَشَامُّ الخَيْلُ ، وَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا**

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٢٥٥/أ) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٥٠/أ) .

(٣) في (خ) : العجري ا.هـ . والْهَجَرِيُّ : بفتح الهاء والجيم ، وكسر الراء في آخرها ، هذه النسبة إلى هَجَر ، وهي بلدة من بلاد اليمن من أقصاها ... وأبو إسحاق إبراهيم بن مسلم الهجري العبدي من أهل الكوفة ... كان ممن يخطئ فيكثر ، الأنساب (٤/٤٩٩) .

ائْتَلَفَ [٢٥٨/ب] ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ، وَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا جَاءَ إِلَى مَسْجِدٍ فِيهِ مِائَةٌ لَيْسَ فِيهِ إِلا مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ مَعَه ، وَلَوْ أَنَّ مُنَافِقًا جَاءَ إِلَى مَسْجِدٍ فِيهِ مِائَةٌ لَيْسَ فِيهِ إِلا مُنَافِقٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ مَعَه » (١) .

فأخبر أن الائتلاف في الأجساد ؛ لذلك يجيء المؤمن إلى شكله والمنافق إلى خدنه ، فأرواح الأولياء تتعارف بالأوصاف التي تعرف الحق إليها بها ، فتأتلف قلوبهم ، وتجتمع أجسادهم ، وأرواح الأعداء تتناكر أرواح الأولياء ، فهي متحيرة إلى أن ترى متحيرًا مثله فتجتمع أبدانها ؛ لأنه لا ألفة بين قلوب الأعداء ، ولا تعارف بين أرواحها وإن اجتمعت أبدانهم ، ولا اختلاف بين قلوب الأولياء ولا تناكر بين أرواحها وإن اجتمعت أبدانهم أو افترقت ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] ، فكما أنه كتب الإيمان في قلوبهم كذلك ألف بينهم ، فكما لا يمحى مكتوبه كذلك لا تختلف مؤلفه ، وقال في الأعداء : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ ، وقال : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ١٤] ، فترى أبدانًا مجتمعة وقلوبًا متفارقة ، وترى أجسادًا متعارفة وأرواحًا متناكرة ، وترى أبدان الأولياء متفرقة وقلوبهم مجتمعة ، وأرواحهم متعارفة وأشباحهم مؤتلفة ، ولو أن مؤمنًا بالمشرق وصف له مؤمن بالمغرب لأحبه وألفه ، حتى إذا التقيا كأنهما أخوان متلاقيان متعاشران ، ألا ترى إلى قصة هرم بن حيان وأويس الْقَرَني (٢) فيما حدثنا عصمة بن محمود [٢٥٩/أ] ح إبراهيم بن إسماعيل ح سويد بن سعيد الْحَدَثَانِيُّ حدثني مسلم بن عبيد السُّلَمِيُّ أبو فراس عن إسماعيل بن أمية قال : [٩٣٥] « قَالَ هَرَمُ ابْنُ حَيَّانٍ : قَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَلَمْ يَكُنْ هَمِّي إِلا بِأُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ أَطْلُبُه وَأَسْأَلُ عَنْه حَتَّى

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه بن مسعود (٤٩٧/٦) رقم (٩٠٣٨) ، وابن عبد البر في التمهيد (٤٣٧/١٧) ، وعبد الكريم القزويني مختصرًا في التدوين في تاريخ قزوين عن عبد اللَّه جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده (٤٧٧/٢) ، وذكره العجلوني في كشف الخفاء ، وعزاه للعسكري عن ابن مسعود مرفوعًا (١٢١/١) رقم (٣١٥) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه إبراهيم الهجري ، واسمه إبراهيم بن مسلم الهجري ، ضعفه البخاري في الضعفاء الصغير (ص ١٤) رقم (١٠) ، والنسائي في الضعفاء والمتروكين (ص ١٢) رقم (٦) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٦٥/١) رقم (٦٤) ، وابن حبان في المجروحين من المحدثين (٩٩/١) رقم (٧) .

(٢) الْقَرَنِيُّ : هذه النسبة إلى قَرَن ، وهو بطن من مراد ، يقال له : قَرَن بن رَدْمان بن ناجية بن مراد ، نزل اليمن ، الأنساب (٤٣/٤) .

سَقَطْتُ عَلَيْه فَسَلَّمْتُ عَلَيْه فَرَدَّ عَلَيَّ وَنَظَرَ إِلَيَّ ، قُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أُوَيْسُ وَيَغْفِرُ لَكَ ، كَيْفَ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ ثُمَّ خَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ مِنْ حُبِّي إِيَّاه وَرِقَّتِي لَه حَتَّى بَكَيْتُ وبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : وَأَنْتَ فَحَيَّاكَ اللَّهُ يَا هَرِمُ بْنُ حَيَّانٍ ، كَيْفَ أَنْتَ يَا أَخِي ؟ مَنْ دَلَّكَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ . قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً . قَالَ : فَعَجِبْتُ حِينَ عَرَفَنِي وَسَمَّانِي ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُه قَبْلَ ذَلِكَ وَلا رَآنِي . قَالَ : قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ اسْمِي واسْمَ أَبِي وَمَا رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْيَوْمِ وَلا رَأَيْتَنِي ؟! قَالَ : نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ ، عَرَفَتْ رُوحِي رُوحَكَ حِينَ كَلَّمَتْ نَفْسِي نَفْسَكَ » [(١)] .

فإن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد ، وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضًا ، ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ، ويتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل ، وقال الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ الآية [الحشر : ٩] ، وقال ﷺ : [٩٣٦] « **الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُؤْمِنِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ** » [(٢)] .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو معاوية عن الأعمش عن الشَّعْبِيِّ [(٣)] عن النعمان بن بشير ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٩٣٧] « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى الرَّجُلُ رَأْسَه تَدَاعَى لَه سَائِرُ جَسَدِهِ** » [(٤)] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بألفاظ مختلفة عن هرم بن حيان (٤٢٧/٩) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٠/١٠) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١١٦/٢) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن سهل بن سعد (٣٤٠/٥) رقم (٢٢٩٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه (٥٠٥/٧) رقم (١١١٤٣) ، وابن المبارك في الزهد بألفاظ متقاربة عن سهل بن سعد (٢٤١/١) رقم (٦٩٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٩/٧) رقم (٣٤٤١٦) ، وابن أبي عاصم في الزهد بلفظه عن أبي هريرة (٣٦٧/١) ، والروياني في مسنده بألفاظ متقاربة عن سهل بن سعد (٢٠٦/٢) رقم (١٠٤٥) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٣/١) رقم (١٣٦) ، والطبراني في الأوسط (٦٩/٥) رقم (٤٦٩٦) ، وفي الكبير (١٣١/٦) رقم (٥٧٤٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق بألفاظ متقاربة عن بشير بن سعد (٢٨٤/١٠) ، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ، وقال : تفرد به أحمد ولا بأس بإسناده (٢١٣/٤) .

(٣) الشَّعْبِيُّ : بفتح الشين المعجمة ، وسكون العين المهملة ، وفي آخرها الباء المعجمة بنقطة واحدة ، هذه النسبة إلى شَعْب ، وهو بطن من همدان ، الأنساب (١٣١/٣) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن النعمان بن بشير في كتاب البر والصلة والآداب =

وأما سائر أمم الشرك فهم أعداء يغير بعضهم على بعض ، ويقتل بعضهم بعضًا ، ويسبي بعضهم بعضًا [٢٥٩/ب] من غير منازعة في ملك أو مطالبة بدخل ؛ بل لأن قلوبهم متنافرة ، وأهواءهم مختلفة ، فهم في الحقيقة أعداء ، والمسلمون وإن كان بينهم قتال ومحاربة فلعلة ما كان من تجاذب ملك أو منازعة سلطان ، فإذا استسلم أحدهما لصاحبه ارتفع القتال بينهم ، ورجعوا إلى الألفة التي في قلوبهم ، فهم في الحقيقة متآلفون ، قال النبي ﷺ : [٩٣٨] « **الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ** » حدثناه محمد بن عبد الله بن يوسف ح محمد ابن عبد الله بن سليمان الحضْرَمِيُّ ح علي بن بهرام [١] أبو حجية ح [٢] عبد الملك بن أبي كريمة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر عن رسول الله ﷺ [٣] .

١٨٠
باب في الشهادة والعشق

حديث آخر : [٩٣٩] حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف النَّيْسَابُورِيُّ ح أحمد بن الخليل البَغْدَادِيُّ ح سويد بن سعيد الأَنْبَارِيُّ [٤] ح علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات [٥] عن مجاهد عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ

= باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٠٠٠/٤) رقم (٢٥٨٦) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢٦٨/٤) رقم (١٨٣٨١) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة (١٠٢/٦) رقم (٧٦٠٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٩/٧) رقم (٣٤٤١٥) ، وهناد بن السري في الزهد (٤٩٩/٢) رقم (١٠٢٩) .

(١) زاد في (خ) بعدها : حدثنا .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن سهل بن سعد (٣٣٥/٥) رقم (٢٢٨٩١) ، والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ، ولم يخرجاه ، وأعله الذهبي بالانقطاع (٧٣/١) رقم (٥٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٣٦/١٠) رقم (٢٠٨٨٦) ، وفي شعب الإيمان عن جابر (١١٧/٦) رقم (٧٦٥٨) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد الله (١٠٥/٧) رقم (٣٤٥٤٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب بلفظه عن جابر (١٠٨/١) رقم (١٢٩) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ متقاربة (٥٨/٦) رقم (٥٧٨٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح (٨٧/٨) .

(٤) الأَنْبَارِيُّ : بفتح الألف ، وسكون النون بعده ، وفتح الباء المنقوطة بنقطة من تحتها ، والراء بعد الألف ، هذه النسبة إلى بلدة قديمة على الفرات ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، الأنساب (١٤٦/١) .

(٥) في هامش (خ) : أي البياع القت .

عَشِقَ فَعَفَّ وَكَتَمَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ شَهِيدًا » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : الشهادة هي الدرجة الثالثة من النبوة ، قال الله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [النساء : ٦٩] ، وقال عليه السلام : [٩٤٠] « اثْبُتْ حِرَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إلا (٢) نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ » (٣) ورفع الله تعالى من أقدار الشهداء حتى قال تعالى : ﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٦٩، ١٧٠] ، وقال عليه السلام : [٩٤١] « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ في حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ في الجَنَّةِ » (٤) [٢٦٠/أ] ، وقال عليه السلام : [٩٤٢] « مَا تَعُدُّونَ

---

(١) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بنحوه عن ابن عباس (١٩٥/٤٣) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بألفاظ متقاربة (٥٠/٦) رقم (٣٠٧٥) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية ، وعده من الأحاديث الواهية (٧٧١/٢) رقم (١٢٨٦) ، وقال ابن القيم في نقد المنقول : هو موضوع على رسول الله ﷺ (١٣٢/١) رقم (٢٢٤) ، وقد عده أبو سعيد العلائي في كتاب المختلطين من منكرات سويد بن سعيد الحدثاني (٥١/١) رقم (٢٢) ، وسويد بن سعيد قال فيه ابن حبان : يأتي عن الثقات في المعضلات ... ومن روى مثل هذا الخبر الواحد عن علي بن مسهر يجب مجانبة رواياته ، هذا إلى ما يخطئ في الآثار ويقلب الأخبار (٣٥٢/١) رقم (٤٥٦) ، هذا فضلًا عن أنه متهم بالتدليس وسرقة الحديث ، وهو إلى الضعف أقرب ، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٤١/٤) رقم (٤٨١) .

(٢) من هامش الأصل .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن سعيد بن زيد في كتاب السنة باب في الخلفاء (٢١١/٤) رقم (٤٦٤٨) ، والترمذي في جامعه في كتاب المناقب باب مناقب سعيد بن زيد ، وقال : حسن صحيح (٦٥١/٥) رقم (٣٧٥٧) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب المناقب باب فضائل علي (٤٧/٥) رقم (٨١٥٦) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في المقدمة باب فضائل العشرة (٤٨/١) رقم (١٣٤) ، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٢٢٩/١) رقم (٢٧٩) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي عبد الرحمن السلمي (٣٤٨/١٥) رقم (٦٩١٦) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده عن سعيد بن زيد (٣٢/١) رقم (٢٣٥) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦١٨/٢) رقم (١٤٢٦) ، والبزار في مسنده (٩١/٤) رقم (١٢٦٣) ، وأبو يعلى في مسنده عن ابن عباس (٣٣٣/٤) رقم (٢٤٤٥) ، والشاشي في مسنده عن سعيد بن زيد (٢٣٦/١) رقم (١٩٣) ، وابن عدي في الكامل عن ابن عباس (٢٠/٧) رقم (١٩٦٠) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن مسعود في كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة (١٥٠٢/٣) رقم (١٨٨٧) ، والترمذي في جامعه عن كعب بن مالك عن أبيه في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في ثواب الجهاد ، وقال : حسن صحيح (١٧٦/٤) رقم (١٦٤١) ، والدارمي في سننه بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود (٢٧١/٢) رقم (٢٤١٠) ، وأحمد في مسنده بنحوه عن كعب بن مالك مرفوعًا (٣٨٦/٦) رقم (٢٧٢١٠) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن ابن =

الشَّهَادَةَ فِيكُم ؟ » فَقَالُوا : الْقَتْلَ في سَبِيلِ اللَّهِ . فَقَالَ : « إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ ! » ثُمَّ عَدَّ سَبْعَةً غَيْرَ القَتِيلِ في سَبِيلِ اللَّهِ : « المبْطُونَ والمطْعُونَ والغَرِقَ والحَرِقَ [١] والهَدِمَ [٢] والمرْأَةَ تَمُوتُ بِجُمْعٍ [٣] وَفَرِيسَةَ السَّبعِ » [٤] إن شاء اللَّه تعالى [٥] ، فأخبر ﷺ أن هؤلاء شهداء كالمقتول في سبيل اللَّه ، ثم قال في هذا الحديث إن : **« من عشق فعف وكتم ثم مات مات شهيدًا »** فعد صاحب العشق في هؤلاء .

والعشق اسم شنيع ، ووصف عند بعض الناس فظيع ، وهو مع شناعة اسمه وبشاعة وصفه محل من مات فيه هذا المحل !! فليس ذلك إلا لحكمة فيه ، ومقاربة وصف هذا ، ونعته من أوصاف أولئك ونعوتهم ، فأول ذلك أن أوصاف هؤلاء الذين وصفهم الخبر وعدهم في الشهداء ليس من اكتسابهم ولا أفعالهم بأنفسهم ، وإنما هو فعل اللَّه تعالى بهم من غير سبب موجب لذلك يكون منهم ، وكذلك العشق هو فعل اللَّه تعالى بالعبد من غير سبب موجب لذلك ؛ لأنه وإن كان بدؤه النظر أو السماع فليس ذلك بموجب له ؛ لأن الإنسان قد ينظر إلى كثير من المستحسنات فلا يكون منه هذا الوصف ،

= مسعود (١٦٣/٩) رقم (١٨٢٩٩) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٨/١) رقم (٢٩١) ، وعبد الرزاق في مصنفه عن عبد اللَّه بن كعب بن مالك (٢٦٤/٥) رقم (٩٥٥٦) ، والحميدي في مسنده عن ابن مسعود (٦٦/١) رقم (١٢٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة عن إبراهيم التيمي (٢٢٣/٤) رقم (١٩٤٩٨) ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود (١٨٣/٩) رقم (٨٩٠٥) .

(١) في هامش (خ) : أي المصاب بالحرق .

(٢) في هامش (خ) : أي المهدوم .

(٣) في هامش الأصل : قيل بضم الجيم : ماتت ولدها في بطنها ، ويقال لها : ماتت بجمع أي لم يمسها زوجها . وفي هامش (خ) : قوله : « بجمع » أي لم تطمث ، وقيل : التي ماتت وفي بطنها ولدها ا.هـ . وقد مال ابن الأثير في النهاية إلى الرأي الثاني ، وهو التي ماتت وفي بطنها ولدها ، النهاية مادة (جمع) ، (٢٩٦/١) .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن جابر بن عتيك في كتاب الجنائز باب في فضل من مات في الطاعون (١٨٨/٣) رقم (٣١١١) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الجنائز (٦٠٦/١) رقم (١٩٧٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجهاد باب ما يرجى منه الشهادة (٩٣٧/٢) رقم (٢٨٠٣) ، ومالك في الموطأ (٢٣٣/١) رقم (٥٥٤) ، وأحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت (٣١٥/٥) رقم (٢٢٧٣٧) ، والحاكم في مستدركه عن جابر ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٥٠٣/١) رقم (١٣٠٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٠/٧) رقم (٩٨٨٠) ، وابن حبان في صحيحه (٤٦١/٧) رقم (٣١٨٩) ، وعبد الرزاق في مصنفه عن عمرو بن حفص (٢٧١/٥) رقم (٩٥٧٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عبادة بن الصامت (٢٢٠/٤) رقم (١٩٤٧٤) ، والطبراني في الكبير عن جابر (١٩١/٢) رقم (١٧٧٩) .

(٥) في هامش (خ) : قوله : (إن شاء اللَّه) احتياط من الشيخ ؛ لأن فريسة السبع لا تذكر في رواية أخرى .

ويسمع بالأذكار فلا يظهر فيه هذا النعت ، إذًا فالنظر والسماع ليسا بموجبين له ، فهو إذًا فعل اللّٰه به ، وقد قال أفلاطون الفيلسوف : (ما أعلم ما الهوى ، غير أني أعلم أنه جنون إلهي ، لا محمود صاحبه ولا مذموم) وقال يحيى بن معاذ رحمه الله [1] : (لو وليت خزائن العذاب [٢٦٠/ب] ما عذبت عاشقًا قط ؛ لأنه ذنب اضطرار لا ذنب اختيار) .

والعشق في الجملة إفراط المحبة ومجاوزة حدها ، وذلك أن المحبة لها بداية ونهاية ، فبدايتها الموافقة ونهايتها العشق .

وأول المحبة عندنا : الموافقة ، ثم الميل ، ثم الود ، ثم المحبة ، ثم الهوى ، ثم الوله ، ثم العشق .

والعشق درجات : فالموافقة للطبع ، والميل للنفس ، والود للقلب ، والمحبة للفؤاد ، وهو باطن القلب .

والهوى غلبة المحبة ، والوله زيادة الهوى ، والعشق فيض المحبة إلى سائر الجوارح ، وقال بعض العلماء : (العشق اسم لما زاد على المقدار الذي اسمه حب كما أن السرف اسم لما زاد على المقدار الذي اسمه الجود) .

قال الشاعر :

لـكـنـه أسـرف في صـدره إسراف داعي الحق والجود (ن)

وقال أحمد بن عيسى المِضرِيُّ [2] : (معنى المحبة الإقبال على الشيء والطاعة له والاستئناس به ، فإذا كمل في معانيه ينشأ من ذلك الود ، وهو إزالة الوسائط بينك وبين المحبوب من الوحشة والألفة ، فإذا كمل ذلك وتم في معانيه ينشأ من ذلك الهوى ، وهو فراغ القلب من كل شيء غير المحبوب ، فإذا كمل ذلك وتم في معانيه ينشأ منه الصبابة ، وهو امتلاء القلب وفيضه ، فإذا تحكم ذلك واستولى على القلب ينشأ منه

---

(١) هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، يكنى أبا زكريا ، نزيل الري ، ثم انتقل إلى نيسابور ، فسكنها وبها مات ، وكان زاهدًا ، توفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين ، صفة الصفوة (٤/ ٩٠ - ٩٨) .

(٢) أحمد بن عيسى المِضرِيُّ يكنى بأبي سعيد الخزاز ، سيد من تكلم في علم الفناء والبقاء ، أسند الحديث ، حلية الأولياء (٢٤٦/١٠) ، وصاحب بشر بن الحارث ، وسريا ، وذا النون ، وأبا عبد اللّٰه الساجي ، وأبا عبيد السري ، ونظراءهم ، وتوفي في سنة سبع وسبعين ، وقيل : ست وثمانين ومائتين ، صفة الصفوة (٤٣٨/٢) رقم (٣٠٣) .

العشق ، وهو تنسم روح رائحة قرب من يحبه ، فإذا جرى ذلك الروح في القلب وضاق القلب به ينشأ منه الشغف - قال : - وهو احتراق القلب ، وقد قرئ : (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا) [يوسف : ٣٠] بالعين و ﴿ شَغَفَهَا ﴾ بالغين وهي القراءة [1] [٢٦١/أ] .

وسمعت أحمد بن عبد اللّٰه الْمُزَنِيَّ يقول : (الشعف رأس القلب ، ورأس كل شيء شعفه ، والشغف وعاء القلب ، وقيل : غشاؤه ، وقيل : جلده ، وقيل : سويداء قلبه ، وقيل : وسطه) .

قال : وشاعرهم قد أبان عن هذا حين يقول :

علم اللّٰه أن حبك مني ... في سواد الفؤاد وسط الشغاف (ن)

قال : فإذا تغشاه الحب من رأس القلب فهو الشعف ، وإذا تغشاه من وسط القلب فهو الشغف .

وقال الحسن : (الشعاف : حجاب القلب ، والشغاف : سويداء القلب ، وهي العلقة السوداء في جوف القلب) .

قال : فلو وصل الحب إلى الشغاف يعني سويداء القلب لماتت .

قال : وقال قرة عن الحسن : الشعف أن تكون مشعوفًا بها ، والشغف بالغين : أن يكون قد بطنها حبه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : شغفها أي خرق حبه شغاف قلبها وهو حجاب القلب .

وقال بعض الأدباء : أول ما يتولد العشق عن النظر والسماع والاستحسان ، وقال الشاعر :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا (ن)

ثم يقوى فتصير مودة ، والمودة سبب الإرادة ، ومن ود إنسانًا ود أن يكون له خلًّا ، ومن ود عرضًا ود أن يكون له ملكًا ، ثم تقوى المودة فتصير محبة ، والمحبة سبب الطاعة ، وفي ذلك يقول :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع . (ن) [٢٦١/ب]

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع (ن)

---

(١) قال الطبري في جامع البيان : قرأته عامة قراءة الأمصار بالغين .. وقرأ ذلك أبو رجاء (قد شعفها) بالعين (١٢/٢٠٠) وأخرج بإسناده هذه القراءة عن أبي رجاء وعوف والأعرج ، السابق .

ثم تقوي المحبة فتصير خلة . قال : والخلة بين الأَدَمِيِّين أن تكون محبة أحدهما قد تمكنت من صاحبه حتى أسقطت حجاب السرائر بينه وبينه فصار متخللًا لسرائره مطلعًا على ضمائره . قال : وفي هذا يقول :

إذا كتم الصديق أخاه سرًّا فما فضل الصديق على العدو (ن) [١]

ويقال : إن الخلة أخذت من تخلل المودة بين العظم واللحم واختلاطها بالمخ والدم ، فإذا قويت الخلة أوجبت الهوى .

قال : والهوى اسم لانحطاط المحب في محاب المحبوب وفي التوصل إليه بغير تمالك ولا ترتيب ، ثم تقوى الخلة [٢] فتصير عشقًا .

وقال رجل من المتكلمين كبير فيهم : (العشق طمع يتولد في القلب ، ويجتمع إليه مواد من الحرص ، فكلما قوي ازداد صاحبه اهتياجًا وقلقًا وسهرًا ، فيلهب إليه الصفراء وطغيانه فتحرق الدم ، فيستحيل الدم والصفراء فتصير سوداء ، وغلبة السوداء وطغيانه يفسد الفكر ، فيرجو ما لا يكون ، ويتمنى ما لا يتم ، فيؤدي ذلك الجنون ، فربما قتل العاشق في حال طغيان السوداء عليه نفسه ، وربما مات كمدًا وغمًّا ، وربما أراد أن يتنفس فتختنق نفسه في تامور [٣] قلبه ، وينضم عليه القلب فلا ينفرج حتى يموت ، وربما ارتاح وتشوق إلى من يحب فجاءة فتخرج نفسه فجاءة) .

فأخبر علماء الأمة كالحسن وأبي عمرو بن العلاء وبعض الأدباء [٢٦٢/أ] وطائفة من المتكلمين وجماعة من الفلاسفة أن العشق يقتل بما أوردنا من أقاويلهم ، وأن سبب ذلك فساد الطبائع واختلاط الأمشاج وحركات القلب من الانضمام والانفراج ، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد ولا اكتسابهم ؛ لأن العبد لا يملك قلبه ، قال ﷺ لما نظر إلى امرأة زيد : [٩٤٣] « **يَا مُقَلِّبَ القُلُوبَ ثَبِّتْ قَلْبِي** [٤] » [٥] ؛ لأنه ﷺ وجد في قلبه حالًا

---

(١) زاد في (خ) بعدها ، وقال آخر :

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حر فإن الحر في الدنيا قليل

(٢) في هامش الأصل وفي (خ) : الهوى .

(٣) في هامش الأصل : التامور وسط القلب .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة عن عمرو بن عثمان الجحشي عن أبيه ، وسكت عنه الذهبي (٤/٢٥) رقم (٦٧٧٥) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى عن محمد بن يحيى بن حبان =

لم يكن يملكه ؛ لذلك قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : [٩٤٤] « لو كان النبي ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [الأحزاب : ٣٧] » ، حدثناه نصر ح أبو عيسى ح محمد بن أبان ح ابن أبي عدي عن داود ابن أبي هند عن الشَّعْبِيِّ عن مسروق عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (١) .

وحدثنا خلف ح إبراهيم ح محمد حدثني زكريا بن يحيى ح أبو أسامة ح هشام عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : [٩٤٥] « كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللاتي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقُولُ : أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا ؟! فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٥١] ، قُلْتُ : مَا أَرَى رَبَّكَ إلا يُسَارِعُ في هَوَاكَ » (٢) فلم تقل عائشة ذلك إلا وقد علمت أن هناك إرادة وهوى من النبي ﷺ والله فعل ذلك به ، وقد قال ﷺ : [٩٤٦] « إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تعَالى يُقَلِّبُهَا كَيفَ شَاءَ » (٣) .

= (١٠١/٨) ، والبخاري في التاريخ الكبير عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خثمة (٣٠٢/٥) رقم (٩٨٦) ، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٤٢٨/٥) رقم (٣٠٨٩) ، الطبري في تاريخه عن محمد بن يحيى ابن حبان (٨٩/٢) ، وابن عدي في الكامل عن الشعبي (٣١٦/٣) رقم (٧٧٥) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢٩/٣) ، وأخرجه الطبراني في الكبير عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خثمة (٤٤/٢٤) رقم (١٢١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني مرسلًا وبعضه عن أم سلمة كما تراه ورجاله وثقوا وفي بعضهم ضعف (٢٤٧/٩) .

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن عائشة في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأحزاب ، وقال : حسن صحيح (٣٥٣/٥) رقم (٣٢٠٨) ، والطبري في جامع البيان بألفاظ مختلفة عن قتادة (١٣/٢٢) ، والطبراني في الكبير (٤٢/٢٤) رقم (١١٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني من طرق رجال بعضها رجال الصحيح (٩١/٧) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عائشة في كتاب التفسير باب قوله : ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥١] ، (١٧٩٧/٤) رقم (٤٥١٠) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها (١٠٨٥/٢) رقم (١٤٦٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب النكاح باب ذكر أمر النبي ﷺ وأزواجه في النكاح (٢٥٩/٣) رقم (٥٣٠٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٥٥/٧) رقم (١٣١٣٢) ، وابن حبان في صحيحه (٢٨٢/١٤) رقم (٦٣٦٧) ، وأبو عوانة في مسنده (١٣٧/٣) رقم (٤٤٨٢) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أنس في كتاب القدر باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن ، وقال : حديث حسن (٤٤٨/٤) رقم (٢١٤٠) ، وابن أبي عاصم في السنة بألفاظ متقاربة (١٠١/١) رقم (٢٢٥) ، والطبري في تفسيره جامع البيان (١٨٨/٣) ، وابن عدي في الكامل =

فأفعال القلب كلها [(١)] ضرورات ، وإنما يؤاخذ العبد ويلام بما اكتسبه من أفعال الجوارح وإن كان الباعث [٢٦٢/ب] عليها خواطر القلوب ؛ لذلك قال ﷺ : [٩٤٧] « **مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ** » [(٢)] ؛ لأنه يشبه الضرورة ، ولذلك رفق العلماء ورق الأدباء لمن ابتلي بهذا البلاء حتى شفع منهم شافع وساعد فيما لا يأثم فيه مساعد ، ولم يخرجوا من العذر للقوم إلى التعيير واللوم ممن شفع فيه سيد المرسلين ورسول رب العالمين محمد ﷺ وآله أجمعين ، شفع للمغيث إلى بريرة فيما حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو جعفر محمد بن عبد الله الحَضْرَمِيُّ ح عثمان ومحمد بن العلاء قال : ح هشيم بن بشير أخ خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [٩٤٨] لَمَّا خُيِّرَتْ بَرِيرَةُ رَأَيْتُ زَوْجَهَا يَتْبَعُهَا فِي سِكَكِ المدِينَةِ وَدُمُوعُه تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ . قَالَ : فَكَلَّمَ العَبَّاسُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْهَا ، قَالَ : فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ** » . قَالَتْ : أَتَأْمُرُنِي بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ** » . قَالَتْ : فَإِنْ كُنْتَ شَافِعًا فَلا حَاجَةَ لي فِيهِ . قَالَ : فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا ، قَالَ : وَكَانَ يُقَالُ لَه : مُغِيثٌ ، وَكَانَ عَبْدًا لآلِ بَنِي المغِيرَةِ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِلْعَبَّاسِ : « **أَلا تَعْجَبُ مِنْ شِدَّةِ بُغْضِ بَرِيرَةَ لِزَوْجِهَا وَمِنْ شِدَّةِ حُبِّ زَوْجِهَا لَهَا ؟!** » [(٣)] فشفع النبي ﷺ ولم يلم ، وعذر ﷺ

= (١١٣/٤) رقم (٩٥٨) ، وابن عبد البر في التمهيد بلفظه (٤٠٥/٢٤) ، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ، وقال : صحيح غريب (٤٦٩/٣) رقم (٤٠١٧) .

(١) في (خ) : أكثرها .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب إذا همَّ بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب (١١٧/١) رقم (١٢٨) ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير باب ومن سورة الأعراف ، وقال : حسن صحيح (٢٦٥/٥) رقم (٣٠٧٣) ، وأحمد في مسنده (٢٣٤/٢) رقم (٧١٩٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٠٥/٢) رقم (٣٨٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد الله (٢٦٨/٣) رقم (١٤٠٩٣) ، والبزار في مسنده عن أبي ذر (٤٠٣/٩) رقم (٣٩٩) ، وأبو عوانة في مسنده عن أبي هريرة (٨١/١) رقم (٢٤١) ، والطبراني في الأوسط (٢٦٠/٤) رقم (٤١٤٠) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الطلاق باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة (٢٠٢٣/٥) رقم (٤٩٧٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب القضاء باب هل يشفع الحاكم على الخصوم قبل فصل الحكم (٤٨٠/٣) رقم (٥٩٧٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطلاق باب خيار الأمة إذا أعتقت (٦٧١/١) رقم (٢٠٧٥) ، والدارمي في سننه (٢٢٣/٢) رقم (٢٢٩٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٢٢/٧) رقم (١٤٠٤٥) ، وابن حبان في صحيحه (٩٦/١٠) رقم (٤٢٧٣) ، والدارقطني في سننه (١٥٤/٢) رقم (١) ، والطبراني في الكبير (٣٤٥/١١) رقم (١١٩٦٢) .

ولم يتهم .

وممن ساعد أبو السائب ، حدثنا محمد بن علي بن الحسين ح الحسن بن محمد [(١)] ح محمد بن زكريا ح محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التَّيْمِيُّ - ودلني عليه الزبير بن بكار - حدثني أبي قال : [٩٤٩] بَيْنَمَا أَبُو السَّائِبِ ذَاتَ لَيْلَةٍ في دِثَارِهِ إِذْ سَمِعَ رَجُلًا يَتَغَنَّى بِهَذِه الأَبْيَاتِ [٢٦٣/أ] :

أَبْكِي الذينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُم ... حَتَّى إِذَا أَيْقَظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا (ن)

[قال الشيخ رحمه الله وزادني غير الإِسْفَرَايِينِيِّ هذا البيت الواحد] [(٢)] :

اسْتَنْهَضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُنْتَصِبًا ... لِثُقْلِ مَا حَمَلُوا مِنْ وُدِّهِم قَعَدُوا

حَسْبِي بِأَنْ تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ يُحِبُّكُمُ ... قَلْبِي وَإِنْ تَجِدُوا بَعْضَ الذِي أَجِدُ

أَلْفَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الحبِّ مَنْفَعَةً ... فَلَيْسَ يَنْفَدُ حَتَّى يَنْفَدَ الأَبَدُ

وَلَيْسَ لِي مُسْعِدٌ فَامْنُنْ عَلَيَّ بِهِ ... فَقَدْ بَلِيتُ وَقَدْ أَضْنَانِيَ الكَمَدُ (ن)

فَخَرَجَ أَبُو السَّائِبِ مِنْ دِثَارِهِ فَسَعَى خَلْفَه ، وَقَالَ : قِفْ حَبِيبِي فَقَدْ أَحْبَبْتُ دَعْوَتَكَ أَنَا مُسْعِدُكَ ، إِلى أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : إِلى خِيَامِ الشَّعَفِ [(٣)] مِنْ وَادِي العَرجِ ، قَالَ : فَمَضَيَا فَأَصَابَتْهُمَا سَمَاءٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَعَلَ أَبُو السَّائِبِ يَقُولُ : ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] قَالَ : فَرَجَعَ إِلى مَنْزِلِهِ ، وَقَدْ كَادَتْ نَفْسُهُ تَتْلَفُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُه وَإِخْوَانُه ، فَقَالُوا : يَا أَبَا السَّائِبِ مَا الذِي تَصْنَعُ بِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : إِلَيْكُمْ عَنِّي ، فَإِنِّي مَشَيْتُ في مَكْرُمَةٍ وَأَحْيَيْتُ مُسْلِمًا والْمُحْسِنُ مُعَانٌ » [(٤)] .

وقد شفع الحسن بن علي رضي الله عنهما ونوفل بن مساحق [(٥)] لقيس المجنون ، وإنما فعلوا ذلك ؛ لأنهم عذروا ولم يعذلوا ، ورأوا ذلك قدرًا جرى عليهم ، وأنهم لم يكتسبوا

---

(١) زاد في (خ) بعدها : ابن إسحاق . (٢) سقط من (خ) .

(٣) الشَّعف : شِدَّة الحُب وما يَغْشى قلب صاحبه ، النهاية مادة (شعف) ، (٢/٤٨١) .

(٤) الخبر أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بألفاظ متقاربة عن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التيمي عن أبيه (٩/٤٦٢) رقم (٥٠٩٢) .

(٥) هو نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة العامري أبو سعد ، قيل : إنه صحابي ، وهو تابعي معروف ، أخرج له أبو داود ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٦/٥١٤) رقم (٨٩١٥) ومات سنة أربع وأربعين ، الثقات لابن حبان (٥/٤٧٨) رقم (٥٨١٤) .

ذلك لأنفسهم ، وكيف يكون ذلك كسبًا لهم ، والله تعالى يقول لأكرم خلقه : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ [٢٦٣/ب] ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

وحدثني أبو بكر العماني ح أبو العباس أحمد بن محمد بن الأزهر السِّجْزِيُّ (١) ، قال : سمعت صالح بن محمد بن يحيى بن سعيد يقول : سمعت أبا (٢) يحيى بن سعيد يقول : [٩٥٠] « أَتَانِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ لِي : يَا يَحْيَى إِنَّهُنَّ فِتْنَةٌ لَقَدْ عَرَضُوا عَلَيَّ جَارِيَةً يَا يَحْيَى لَوْ رَأَيْتَهَا يَا يَحْيَى يَا يَحْيَى - ثَلاثَ مَرَّاتٍ - قَالَ يَحْيَى : حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ » (٣) .

والحب الذي هو أوسط المراتب التي يرتقي منها إلى العشق عجيب أمره ، بديع شأنه ، يغيب عن كثير من الآلام والملاذ ، ويحول بين صاحبه وبين كثير من المنافع والمضار ؛ لأنه يعمي ويصم ، وأقل ما فيه أنه يذيب المخ واللحم ويقحل الجلد والعظم ، وفيه يقول بعضهم :

شكوت إليها الحب قالت كذبتني ... ألست ترى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلعق الحب والهوى ... عظامك حتى تستبين بواليا
ويأخذك الوسواس من كلف بنا ... وتخرس حتى لا تجيب مناديا

وأعجب من هذا قول الآخر :

بانوا فصار الجسم من بعدهم ... ما تبصر العين له فيًّا
بأي وجه أتلقاهم إذا ... رأوني بعدهم حيًّا
وأخجلنا منهم ومن قولهم ... ما ضرك البين لنا شيًّا

ولم يكن بنا إلى إنشاء هذه الأشعار ورواية هذه الأبيات حاجة ، وإن لم يكن خاليًا من فائدة وأنشدها كبار المشايخ قبلنا وإنما أردنا [٢٦٤/أ] بذلك تنبيهًا لمن عسى تسمو

---

(١) السِّجْزِيُّ : بكسر السين المهملة ، وسكون الجيم ، وفي آخرها الزاي ، هذه النسبة إلى سجستان . قال ابن ماكولا : هذه النسبة على غير قياس ، الأنساب (٣/ ٢٠) .

(٢) في (خ) : أن .

(٣) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، فيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الأزهر السِّجْزِيُّ ، قال فيه ابن حبان في المجروحين من المحدثين : لا يكاد يذكر له باب إلا وأغرب فيه عن الثقات ، ويأتي فيه عن الأثبات بما لا يتابع عليه (١/ ١٦٣) رقم (٩٢) ، وقال ابن عدي في الكامل : حدث بمناكير (١/ ٢٠٢) رقم (٤٧) .

همته إلى الأمر العظيم من محبة من [١] ليس كمثله شيء ، فيرى غفلة منه أن له منها مشاقة الريح ، فمن شاهد ذلك من نفسه فليعرض نفسه على أحوال هؤلاء في شأن محدث لا يضر ولا ينفع .

وسمعت بعض أصحابنا يقول : سمعت الشِّبْلِيَّ [٢] يقول : وذكر قيس المجنون ، فقال : كان إذا سئل عن ليلى يقول : أنا ليلى [وليلى أنا] [٣] . فكان يغيب بليلى عن ليلى حتى يبقى بمشهد ليلى ، وتغيبه عن كل معنى سوى ليلى ، ويشهد الأشياء كلها بليلى ، فكيف تدعي محبة من ليس كمثله شيء وأنت صحيح مميز ترجع إلى أوقاتك ومألوفاتك وحظوظك ، ولم تبذل مجهودك لمعبودك ، ولا زهدت في ذرة منك مع ما أن بذل المجهود للمعبود [٤] أدنى رتبة عند القوم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وقال بعض شيوخ الصُّوفِيَّة : (إن الله ﷻ إنما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه ، ويشق عليهم سخطه ، ويسرهم رضاه ، ويستدلوا بذلك على قدر طاعة الله ﷻ الذي لا مثل له ولا نظير ، وهو خالقهم غير محتاج إليهم ، ورازقهم مبتدئًا غير ممتن عليهم ، فإذا أوجبوا على أنفسهم طاعة من سواه كان هو ﷻ [٥] أحرى أن يتبع رضاه) .

ومن شرط المحبة وأوصافها موافقة المحبوب في مخالفة المحب حتى يحب بغيضه إذا أحبه محبوبه ، ويبغض الحبيب إليه إذا أبغضه محبوبه ، حتى يؤدي ذلك إلى نفسه وأوصافها ، فيعرض [٢٦٤/ب] عنها إذا أعرض عنها محبوبه ، ويقبل عليها إذا أقبل عليها محبوبه موافقة لا شغلًا به .

قال بعض الشعراء :

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبًا لذكرك فليلمني اللوَّمُ
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهمُ

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) الشِّبْلِيُّ : بكسر الشين المعجمة ، وسكون الباء المنقوطة بواحدة ، هذه النسبة إلى قرية من قرى أُسْرُوشَنة ، يقال لها : الشِّبلية ، منها شيخ الصوفية أبو بكر دُلَف بن جَحْدر الشِّبْلِيُّ ، الأنساب (١٠٨/٣) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في (خ) : للمحبوب .

(٥) زاد في (خ) بعدها : أولى و .

وأهنتني فأهنت نفسي عامدًا [١] ما من يهون عليك ممن أكرمُ
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدمُ

هذه بعض أوصاف المحبة التي يجوز أن يكون معها حظوظ النفس ومطالبة الشهوة ، ويقول الله تعالى في قصة امرأة العزيز : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ الآية [يوسف : ٢٣] ، مع قوله تعالى : ﴿ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ ﴾ [يوسف : ٣٠] ، ثم آثرت ألمه على ألمها ، وصرفت اللائمة إليه بقوله : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ الآية [يوسف : ٢٥] ، وقوله : ﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف : ٣٢] فإذا كان هذا الذي ذكرنا من أوصاف المحبة التي هي معلولة بحظوظ النفس فما ظنك بالعشق الذي يموت معه شهوات النفس وتفنى حظوظها ، فإن من أخص أوصافه ما قاله جالينوس ، قال : (النفس كامنة في الدماغ والقلب والكبد) قال : (وفي الدماغ ثلاثة مساكن : التخييل وهو في مقدم الرأس ، والفكر وهو في وسطه ، والذكر وهو في مؤخره) قال : (وليس يكمل لأحد اسم عاشق حتى يكون إذا فارق من يعشقه [٢٦٥/أ] لم يخل من تخييله وفكره وذكره ومن قلبه وكبده فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد ، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخييل ، والذكر له والفكر فيه فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به ، فمتى لم تشتغل به وقت الفراق لم يكن عاشقًا ، ونهاية العشق التلف وذلك أن الحرارة التي تنشأ في الطبع من غلبة الاشتياق تحرق حجاب القلب فتصل الحرارة إلى العلقة السوداء فتذيبها فتسيل فيموت صاحبه) وهو معنى قول الحسن [٢] : (لو بلغ الحب سويداء قلبها لماتت) ولذلك كان يقرأ : (قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا) [يوسف : ٣٠] بالعين ، أي : صارت مشعوفة به .

وممن مات في العشق عروة بن حزام [٣] وعمرو بن عجلان وجماعة يطول ذكرهم ، ويقول بعضهم :

ففي عروة العذري إن مت أسوة وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند [٤] (ن)

---

(١) في هامش الأصل وفي (خ) : صاغرًا . (٢) زاد في (خ) بعدها : البَصْرِيّ .

(٣) هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة ، شاعر إسلامي ، أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى ، لا يعرف له شعر إلا في عفراء بنت عمه عقال بن مهاصر وتشبيبه بها ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٢٣/٢٤) .

(٤) ينسب إلى ابن سريج وإلى ابن طنبورة عن الهشامي قالوا : ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة فأنبه ولامه ، وقال له : يا بني ، الله الله في نفسك ؛ فإنك ميت إن دمت على هذا ، فقال : =

ومن المشهور في ذلك ما حدثناه محمد بن محمد بن محمود ح نصر زكريا ح عمار ابن الحسن ح سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس بن شريق عن ابن شهاب عن أبي عبد الله بن أبي حدرد الأَسْلَمِيّ عن ابنه[1] عبد الله بن أبي حدرد ﷺ قال: [٩٥١] «كُنْتُ يَوْمَئِذٍ - يَعْنِي يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ حِينَ فَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ - في خَيْلِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ فَقَالَ: [لي فَتًى] [2] وَهُوَ فِي السَّبْي، وَقَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلى عُنُقِهِ برمةِ الحبْلِ [3] وَنِسْوَةٌ مُجْتَمِعَاتٌ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنْه: يَا فَتًى. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: هَلْ أَنْتَ آخِذِي بِهَذِه الرمةِ فَقَائِدِي [٢٦٥/ب] بِهَا إِلى هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ حَتَّى أَقْضِي إِلَيْهِنَّ حَاجَتِي؛ ثُمَّ تَرُدُّنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَتَصْنَعُونَ بِي مَا بَدَا لَكم؟. قَالَ: قُلْتُ وَاللهِ لَيَسِيرًا مَا سَأَلْتَ. فَأَخَذْتُ برمتَه فَقُدْتُه بِهَا حَتَّى وَقَفْتُه عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: اسْلَمِي حُبَيْشُ عَلَى نَفَدِ الْعَيْشِ:

أرأيتِ إذْ طالبتُكم فوجدتُكم ... بحليةَ [4] أَو ألفيتُكم بالخوانقِ [5]

أَلم يكُ حقًّا أنْ يُنَوَّل عاشقٌ ... تكلَّف إدلاج السرى والودائقِ

فَلا ذنبَ لي قدْ قلت إذْ هلنا معًا ... أَثيبي بودٌّ قبلَ إحدى الصفائقِ

أَثيبي بودٌّ قبلَ أنْ تشحطَ [6] النَّوى ... وينأى الأميرُ بالحبيبِ المفارقِ

فَإنِي لا سرًّا لديَّ أذعتُه ... ولا رَاقَ عَيني بعدَ وجهكِ رائقُ

عَلى أنَّ مَا نابَ العشيرةَ شاغلٌ ... فلا ذكر إلا أن يكون تَوَامُقُ

قَالَتْ: فَأَنْتَ فَحَيِيتَ عَشْرًا وتِسْعًا [7] وِترًا وثَمَانيًا تَتْرَى. قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ بِهِ، فَقُدِّمَ فَضُرِبَتْ عُنُقُه» [8].

= وفي عروة العذري إن مت أسوة ... وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند

وبي مثل ما ماتا به غير أنني ... إلى أجل لم يأتني وقته بعد

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٩/٢٢٧).

(١) في (خ): أبيه.

(٢) في (خ): يا فتى.

(٣) سقط من (خ).

(٤) في هامش (خ): الشحط البعد.

(٥) في هامش الأصل: ميدان. وفي هامش (خ): الحلية اسم موضع.

(٦) في (خ): اسم موضع.

(٧) في (خ): وسبعًا.

(٨) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بنحوه عن ابن عباس في كتاب السير باب سبي الذراري (٥/٢٠١) رقم (٨٦٦٣)، وابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن ابن أبي حدرد الأسلمي (٥/١٠٠)، والحميدي في مسنده بنحوه عن ابن عصام عن أبيه (٢/٣٥٩) رقم (٨٢٠)، وابن سعد في =

وحدثنا محمد بن محمود [1] ح نصر ح عمار ح سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن أبي فراس بن أبي سبيلة الأَسْلَمِيِّ عن أشياخ منهم ممن كان حضرها منهم ، قالوا : [٩٥٢] « قَامَتْ إِلَيْهِ حِينَ ضُرِبَتْ عُنُقُه فَأَكَبَّتْ عَلَيْه فَمَا بَرِحَتْ تُقَبِّلُه حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَه » [2] .

وحدثنا أحمد بن عبد الله الْهَرَوِيُّ ح محمود بن محمد الرَّافِعِيُّ حدثني سليمان بن يوسف ح الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة عن أبيه عن أخيه عن النعمان بن بشير قال : [٩٥٣] « بَعَثَنِي عُمَرُ أَوْ عُثْمَانُ ﭬ مُصْدقًا عَلَى أَفْنَاءِ قُضَاعَةَ مِنْ عُذْرَةَ والحارِثِ وسَلامَانِ [3] وضبةَ وسَائِرِ سَعْد هُذَيم ، فَقَبَضْتُ الصَّدَقَةَ [٢٦٦/أ] مِنْ أَهْلِهَا وَأَقْبَلْتُ ، فَلَمَّا صِرْتُ في بِلادِ عُذْرَةَ في حَيٍّ مِنْهُم يُقَالُ لَهُم : بَنُو هِنْدٍ ، فَبَيْنَا أَنَا أَصْدُقُهُم إِذَا أَنَا بِبَيْتِ جُحَيْشٍ ، فَيَمَّمْتُه ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى وَعَجُوزٌ عِنْدَ رَأسِهِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِي تَحَرَّكَ ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ :

جَعلتُ لعرافِ اليمامةِ حُكْمَهُ ... وعرَّافِ حَجْرٍ إِنْ هُمَا شَفَيَاني

قَالَ أَحْمَدُ : وَزَادَني غَيْرُه هَذَا البيْتَ الوَاحِدَ :

فقَالا شَفَاكَ اللَّهُ واللَّهِ مَا لَنَا ... بما ضُمِّنَتْ مِنْكَ الضُّلُوع يدانِ

وعَينَايَ مَا أوفيتَ نشرًا لتنظُرَا ... بما فيهِمَا إلا هما تكفَانِ

= الطبقات الكبرى عن عبد الله بن عصام عن أبيه (١٤٩/٢) ، والطبري في تاريخه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي (١٦٥/٢) ، والطبراني في الكبير بنحوه عن ابن عباس (٣٦٩/١١) رقم (١٢٠٣٧) ، وفي الأوسط (١٩٦/٢) رقم (١٦٩٧) ، وقد صحح ابن حجر في فتح الباري إسناد النسائي (٥٨/٨) . هذا وقد أخرج هذه الرواية بنحوها من أهل الأدب أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي (٣٠٢/٧) ، (٣٠٩/٧) .

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بنحوه عن ابن عصام عن أبيه في كتاب السير باب التخلف عن السرية (٢٦٠/٥) رقم (٨٨٣٨) ، وابن هشام في السيرة النبوية عن أبي فراس بن أبي سنبلة الأسلمي عن أشياخ منهم (١٠١/٥) ، والحميدي في مسنده بنحوه عن ابن عصام عن أبيه (٣٥٩/٢) رقم (٨٢٠) ، والطبري في تاريخه بألفاظ متقاربة عن أبي فراس بن أبي سنبلة الأسلمي عن أشياخ منهم (١٦٥/٢) ، والطبراني في الكبير بنحوه عن ابن عباس (٣٦٩/١١) رقم (١٢٠٣٧) ، وقد حسن الهيثمي إسناده في مجمع الزوائد (٢١٠/٦) .

(٣) في (خ) : سلمان .

كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجناحِهَا   على كَبِدِي مِنْ شدَّةِ الخفقانِ (ن)

فَقُلْتُ : يَا هَذِه مَنْ هَذَا ؟ وَمَا حَالُه ؟ فَقَالَتْ : هَذَا الكَرِيمُ الحَبِيبُ عُرْوَةُ بنُ حِزَام الْعُذْرِيِّ ، وَأَنَا وَالِدَتُه ، وَإِنَّه أَحبَّ ابْنَةَ عَمٍّ له يُقَالُ لَهَا : عَفْرَاءُ ، وَمَا سَمِعْتُ له أَنَّةً مُنْذُ سَنَةٍ حَتَّى كَانَ فِي صَدْرِ هَذَا الْيَوْمِ فَإِنِّي سَمِعْتُه يَقُولُ :

مَنْ كانَ مِنْ [1] أُمَّهَاتِي بَاكِيًا أَبَدًا   فاليومَ إني أُرَاني اليومَ مقْبُوضا

أَسْمِعْنَنِيهِ فَإِنِّي غيرُ سامِعِه   إذَا علوتُ رقابَ القومِ مَعْرُوضا (ن)

ثُمَّ شَهِقَ شَهْقَةً فَخَرَجَتْ نَفْسُه ، فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْه ، فَقَالَتْ لِي : لا تُرَعْ [2] ، مَاتَ ابْنِي بِأَجَلِهِ وَاسْتَرَاحَ مِنْ تَبَارِيحِهِ وغُصَصِهِ ، فَهَلْ لَكَ في الأجْرِ ؟ . قُلْتُ : ومَا ذَاكَ ؟ قَالَتْ : تُقِيمُ وَتُعِينُنَا عَلَى أَمْرِهِ ، فَأَقَمْتُ حَتَّى كَفَّنْتُه وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ » [3] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : ولو تتبعنا ما وقع إلينا من الحديث والحكايات [٢٦٦/ب] فيها بروايات الأئمة وأهل الأدب لطال ، وإنما أردنا تصحيح هذه الحالة لشهادة الرسول لصاحبها بالشهادة في قوله : « **من عشق فعف وكتم ثم مات مات شهيدًا** » ، فشهادة الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ له بالشهادة معلقة بشرطين هما : العفة ، والكتمان .

والعفة عفتان : عفة عن مواقعة الفاحشة وارتكاب المحظور ، وقلما تكون هذه الصفة في العاشق ؛ لأنه يكون قد ماتت فيه شهوات النفس ، ومن كانت أوصافه ما ذكرنا لا تكاد تكون فيه شهوات النفس وحركات الطبع .

وقيل لأعرابي من بني عذرة : ما العشق عندكم ؟ فقال : نحول الجسم ، وصفرة اللون ، ونفس متتابع ، وأحوال لا تأتلف ، ودموع تكف ، وأحشاء تحترق . ثم قال : وما العشق عندكم في الحضر ؟ فوصف شيئًا . فقال الأعْرَابِيُّ : ليس هذا بعاشق ، هذا طالب ولد .

والعفة الثانية : حبس النفس عن الاستمتاع بالنظر والمجالسة والحديث والدنو من مواضع الاستراحة به بنوع من التأويل ، فإن ذلك ربما كان سبب الوقوع في المحظور .

ومن الاستمتاع ما أنشدني محمد بن عبد الله بن يوسف قال : أنشدني إبراهيم بن محمد بن عرفة الأَزْدِيُّ بن نفطويه :

---

(١) في (خ) : في .   (٢) في الأصل : تراع .

(٣) الخبر أخرجه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني بألفاظ مختلفة عن النعمان بن بشير (١٣٤/٢٤) .

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني منه الحياء وخوف اللَّه والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لي في فساد منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية لا خير في لذة من بعدها سقر (ن) [٢٦٧/أ]

لعمري لئن كان قد جود في الحياء وخوف اللَّه والحذر ، ورفض اللذة حذرًا من حر السقر ، فقد أعظم الخطر في التعرض لمجاري القدر ، في الوقوع فيما عليه حظر وعنه زجر ، وقد روي في الحديث : [٩٥٤] « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَتَعَرَّضَنَّ لِلْبَلاءِ وَلا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهَمِ** » [١] .

فالعفة التي أشار إليها النبي ﷺ إن شاء اللَّه هي العفة عن إيتاء النفس حظها طلبًا لراحة قلبه ومتابعة هوى نفسه وإن كان في غير محرم ، وإن كان صاحب هذه الصفة [٢] لا يأثم لقوله ﷺ : « **الهوى مغفور ما لم يعمل به أو يتكلم** » ، حدثناه محمد ابن عبد اللَّه الحامد ح أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الْقَطِيعِيُّ [٣] ح مهنى بن يحيى الشَّامِيُّ ح أبو أسلم [٤] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : [٩٥٥] « **الْهَوَى مَغْفُورٌ مَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ أَوْ يَتَكَلَّمْ** » [٥] فهذا إذا لم يعمل به ونهى النفس عن الهوى فهو مغفور له ما كان من الهنات في طلب الاستراحة ، ويستحق وعد اللَّه تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ الآية [النازعات : ٤٠] ، ولكن مرتبة الشهادة مرتبة سنية رفيعة لا تنال إلا برحمة اللَّه تعالى

---

(١) الحديث ذكره الألوسي في تفسير روح المعاني ، ولم يعزه (٢٥٨/١٢) ، والعجلوني في كشف الخفاء ، وعزاه للزمخشري في الكشاف (٣٣٣/٢) رقم (٢٥٠١) .
(٢) في (خ) : العفة .
(٣) الْقَطِيعِيُّ : بفتح القاف ، وكسر الطاء المهملة ، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين ، وفي آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى القَطيعة ، وهي مواضع وقطائع في مجال متفرقة ببغداد ، الأنساب (٧٣/٤) .
(٤) في (خ) : مسلم .
(٥) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة (٢٥٩/٢) ، وبلفظه عن أبي هريرة أيضًا ، وقال : تفرد بهذا اللفظ المسيب عن ابن عيينة (٢٦١/٧) ، وإسناد الحديث فيه مهنى بن يحيى الشامي ، مختلف فيه ، نقل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن الأزدي الحافظ قوله : منكر الحديث . وعن الدارقطني قوله : ثقة نبيل (٢٦٦/١٣) رقم (٧٢١٩) ، وفي الإسناد أبو أسلم ، لم أتعرف عليه ، ولم يثبت لي أن ممن حدث عن هشام بن عروة من يكنى بأبي أسلم .

وفضله وفضيلة كاملة أو بلية شاملة ، وإنما يقارب أوصاف القتيل في سبيل اللَّه تعالى أوصاف من عف عن حظوظ النفس وطلب راحتها إيثارًا لمرضاة اللَّه تعالى ، فإن القتيل في سبيل اللَّه معرض عن نفسه جملة ببذله ماله ودمه مقبلًا غير مدبر مجاهدًا في اللَّه حق جهاده ، والذي عف عن طلب راحة النفس إيثارًا لحق اللَّه على هوى [٢٦٧/ب] نفسه ورضاه على رضاها فجاهد نفسه في مخالفة هواها ؛ طلبًا لرضا اللَّه تعالى وإجلالًا لحقه وتعظيمًا لحرمته فإنه يعادي نفسه في اشتغالها بدونه ونظرها إلى سواه ، ويمقتها بأنها سبب حلول محبة محدث مخلوق محل محبة قديم خالق .

سمعت بعض مشايخنا يقول : قال لي بعض الكبار : (علق قلبي بشخص من هذه الأشخاص التي تظهر في الكون فجذبته بحقيقتي فلم أزل أصب عليه البلاء حتى قتلته . قلت : ومن صفة المحب أن يقتل محبوبه ؟ فقال لي : اسكت لو زاحمني العرش محقته) .

فمن عزم على العفة عن النظر وتشاغل عما يعترضه من الفكر فهرب هرب الحذر واجتنب مواقع التلف ما قدر ربما هام على وجهه شاردًا وداوم على حاله مجاهدًا كما فعل أبو الغريب الأصبهاني ، وهو أحد الفقراء المجردين ، سمعت أبا القاسم فارس بن أبي الفوارس البَغْدَادِيَّ يقول : (كنا بمصر جماعة من الفقراء ، ومعنا أبو الغريب ، وكان يأتينا الجامع حدث من أبناء المياسير ، فوقع من قلب أبي الغريب ، فكان إذا رآه تغير وأدخل رأسه في مرقعته لا ينظر إليه ، فقلنا له يومًا : باسطه لعله يخف عنك . فمد كفه إليه كالسائل وهو عنه معرض إليه ، فدفع الفتى إليه خاتمه ، فلبسه أبو الغريب ، وذهب الفتى فأخبر أبوه بذلك فأرسل إلى أبي الغريب يسترده بخاتم ابنه ، فأدخل أبو الغريب إصبعه في فيه يخرج الخاتم ، فامتنع عليه ، فلم يملك نفسه أن قطع إصبعه بأسنانه ووضعها مع الخاتم في كف الرسول [٢٦٨/أ] وقام ، فخرج أبو القاسم فخرجنا في الغزاة بعد سنين ، فإذا أنا به في بعض بلاد الروم فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال : كما كنت . قلت : ويحك قد عاش الفتى ومات أبوه فلو قدمت معنا ؟ فقال : واللَّه ما دخلت ديار الإسلام وسري بغير اللَّه مشغول) .

فهذا قد هرب عن مواضع الفتنة ، وشهد على نفسه بما لا يستحل مساكنة المسلمين في ديارهم ؛ مقتًا لنفسه ، وغضبًا عليها ، وإجلالًا للَّه تعالى أن يشتغل سره بسواه ، ومنهم من يعتزل ناحية ، ويلتزم زاوية ، ويألف سارية ، يزم جوارحه ، ويراقب سره ، فأوقاته حسرات ، وأنفاسه زفرات ، وألحاظه عبرات ، شرابه الأسف ، وطعامه الكلف ،

ولباسه التلف ، جاهه عند الخلق ذاهب ، وهو في نفسه عاطب [١] ، ومن اللَّه في حاله راهب ، لا يطالع عوضًا على بلواه ، ولا يرجو إجابة لدعواه ، ولا يبث إلى أحد شكواه ، هجر الإخوان ، وترك الأوطان ، ومل الأخدان ، فهو في وطنه غريب ، ومع سلامة صدره مريب ، وفي جميع أوقاته كئيب ، فإن تداركه اللَّه فلطف به نظره ، ولم يدركه قدره ، فسمع نجواه ، وكشف عنه بلواه ، قفل سالمًا ، وبالأجر غانمًا ، وإن قصرت أيامه ، وأزف من الدنيا انصرامه ، وأدركه في حاله حمامه ، فبالحري أن يكون شهيدًا ، وعند اللَّه حميدًا ، وفي حاله رشيدًا ، قد جمع أوصاف الشهداء التي عدها الخبر ، ونقل عن رسول اللَّه ﷺ فيه الأثر ، فهذا قد عف وكتم ، وربما يعف هذه العفة [٢٦٨/ب] من لا يكتم عجزًا منه ، أو طلبًا للتخفيف عنه في إظهار حاله إلى أقرانه ، وبثه حزنه إلى إخوانه ، أو ترنم بشعر في خلاء ، أو سكب دمعة في ملأ ، فيقف على حاله الأريب فيعذره ، أو ينهتك عند الغر الجاهل فيعذله .

حدثني أبو بكر العماني ح أبو سليمان داود بن محمد بن خالد الرَّقِّيُّ [٢] ح هلال بن العلاء الرَّقِّيُّ ح محمد بن عمرو البَاهِلِيُّ سمعت الأَصْمَعِيَّ [٣] يقول : بينا أنا أطوف بالبيت إذ نظرت فإذا أنا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول :

لا يقبل اللَّه من معشوقة عملًا ... يومًا وعاشقها غضبان مهجور
ليست بمأجورة في قتل عاشقها ... لكن عاشقها في ذاك مأجور (ن)

قال : قلت : يا جارية تطوفين بالبيت وتقولين بمثل هذه الأبيات ؟! فقالت : إليك عني يا بطال لا يرهقك الحب . قلت : وما الحب ؟ قالت : هو واللَّه له كمون ككمون النار في الحجر ، إن قدحته بدا ، وإن تركته توارى ، ثم أنشأت تقول :

بيض نواعم ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ... ويصدهن عن الخنا الإسلام (ن)

---

(١) في هامش (خ) : أي هالك .

(٢) الرَّقِّيُّ : بفتح الراء وفي آخرها القاف المشددة ، هذه النسبة إلى الرقة ، وهي بلدة على طرف الفرات ، الأنساب (٣٢٠/٢) .

(٣) الأَصْمَعِيُّ : بفتح الألف وسكون الصاد المهملة ، وفتح الميم والعين المهملة في آخره ، هذه النسبة إلى الجد ، وهو الإمام المشهور أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي الأصمعي من أهل البصرة ، الأنساب (١٢٣/١) .

فهذه قد عفت ولم تكتم ، وأختها أحسن عذرًا منها .

سمعت أبا بكر يقول : سمعت عمر بن علي الزَّنْجَانِيَّ [(١)] يقول : سمعت عن أبي الجحاف قال : إني والله لفي الطواف وقد مضى أكثر الليل وخف الحجيج فإذا أنا بامرأة [٢٦٩/أ] كأنها شمس على قضيب غرس في كثيب وهي تقول :

رأيت الهوى حلوًا إذا اجتمع الوصل ومرًّا على الهجران لا بل هو القتل

ومن لم يذق للهجر طعمًا فإنه إذا ذاق طعم الوصل لم يدر ما الوصل

وقد ذقت طعميه على القرب والنوى فأبعده قتل وأقربه خبل

ثم التفتت فرأتني ، فقالت : يا هذا ظن خيرًا ، فإن من ضعفت قوته عن حمل شيء ألقاه طلبًا للراحة ، وفرارًا من ثقل المحبة ، وقد نطقت بما علمه الله وأحصاه الملكان ، فإن يعف عن أهل السرائر أكن فيهم ، وإن يعاقبوا فيا خيبة للمذنبين ، ثم بكت فما رأيت درًّا قطع سلكه فانتثر بأحسن من تناثر دموعها ، فاعتزلت خوفًا من أن يصبو قلبي إليها .

فهذه عفت وسترت وكتمت فغلبها ما تجد فعجزت عن مقاومة الحال فأظهرت عن خفاء وخلاء ، وشريطة الشهادة في العفاف والكتمان .

قد خرجنا إلى الإسهاب والإكثار ، وعدلنا عن الإيجاز إلى الإطناب ، ودخلنا فيما لم يكن من شرط الكتاب ، والذي حملنا على ذلك ذهاب بعض الثوابت من المتقرئة ، ومن أعجب بحاله عما يوجبه حقيقة النظر ، جهلًا منهم بمجاري القضاء والقدر ، وقلة معرفة بالورود والصدر ، فلاموا المعذور وأثموا المأجور وعاقبوا المغفور ، ونستغفر الله فإنه رب غفور (ن) .

نرجع الآن إلى فائدة الخبر في قوله : « **فعف وكتم ثم مات مات شهيدًا** » فنقول : الشهداء [٢٦٩/ب] على ما ورد به الخبر سبعة ، سوى الشهادة الكبرى التي هي القتل في سبيل الله تعالى مقبلًا غير مدبر ، والذي في هذا الحديث تاسعهم ، والغريب عاشرهم ، فنظرنا في أوصاف الشهداء وصفة هذا الحديث [(٢)] نحن في ذكره ؛ إذ المقتول في سبيل الله تعالى هو الذي أتاه سهم غائر ، أو طعن برمح شاهر ، أو ضرب بسيف باتر ، وهو مقبل غير مدبر ، مؤثرًا رضا الله الأكبر ، باذلًا فيه روحه ونفسه

---

(١) الزَّنْجَانِيُّ : بفتح الزاي ، وسكون النون ، وفتح الجيم ، وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى زنجان ، وهي بلدة على حد أذربيجان من بلاد الجبل ، الأنساب (٣٧٦/٢) .

(٢) في (خ) : الذي .

وماله ، والذي ذكرنا بسهم القدر مجروح ، وبرمح الصبر مشروح [(١)] ، وبسيف البلاء مذبوح ، أعرض عن حظوظ نفسه فعف وكتم ، وآثر رضا الله على راحة نفسه فتم [(٢)] ، فهو على طلب رضا الله مقيم ، ومن متابعة هوى نفسه سليم .

والثاني : صاحب الحرق وهو الذي أحرقته نار الشجر وكمين الحجر ، وهذا أحرقته نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة .

والثالث : الغريق ، وهو الذي غطته أمواج البحار ، وغمرته مياه الأنهار ، وبانت عن العلائق يده ، وزالت [(٣)] عن التراب قدمه ، وهذا غطته أمواج المحن ، وتكسرت لنجاته السفن ، وليس له في حاله مقر ، ولا له مما هو فيه مفر .

والرابع : صاحب الهدم ، وهو الذي تكسرت دعائم حيطانه ، فخرت عليه سقوف بنيانه ، وهذا تهدمت عليه بنيان طبائعه فمات كمدًا بفجائعه .

والخامس : المبطون ، وهو الذي ذاب جسمه ، ورق عظمه ، وتقرحت حشوته ، ففسدت بنيته ، وهذا أخص أوصاف الهائم [٢٧٠/أ] العفيف الكاتم .

والسادس : المطعون ، وهو الذي أصابه من الجن وخز ، أو أدركه نصيبه من الرجز ، فقد قال ﷺ : [٩٥٦] « **فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ** » ، **فَقِيلَ : هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَا** [(٤)] **فَمَا الطَّاعُونُ ؟ فَقَالَ** : « **وَخزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الجِنِّ** » [(٥)] ، وفي حديث آخر في صفة الطاعون

---

(١) أي ممزق ، والتَّشْرِيح : قَطْعُ اللحم عن العضو قَطْعًا ، وقيل : قَطْعُ اللحم على العظم قطعًا ، لسان العرب مادة (شرح) .

(٢) غير واضحة في الأصل .

(٣) في (خ) : زلت .

(٤) في (خ) : عرفناه .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن أبي موسى (٣٩٥/٤) رقم (١٩٥٤٦) ، والحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة عن أبي بردة بن قيس ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٠٢/٢) رقم (٢٤٦٢) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده بألفاظ متقاربة عن أبي موسى (٧٢/١) رقم (٥٣٤) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بألفاظ مختلفة عن عائشة (٧٦١/٣) رقم (١٣٧٦) ، والبخاري في التاريخ الكبير بلفظه ، ولكن أخرج الجزء الأول منه فقط حتى « والطاعون » ، (٢١١/٤) رقم (٢٥٣٤) ، والبزار في مسنده بلفظه عن أبي موسى (١٦/٨) رقم (٢٩٨٦) ، وأبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة (٩٩/١) ، والطبراني في الأوسط (٣٦٨/٣) رقم (٣٤٢٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح (٣١١/٢) ، وقال في موضع آخر : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، وفيه عبد الله بن عصمة النصيبي ، قال ابن عدي : له مناكير ، وقد وثقه ابن حبان (٣١٤/٢) .

[قال إنه] [(١)] : [٩٥٧] « مِنْ بَقَايَا الرِّجْزِ ، فَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُم فِيهَا فَلا تَخْرُجُوا مِنْهَا ، وَإِنْ كُنْتُم خَارِجِينَ فَلا تَدْخُلُوهَا » [(٢)] وهذا معنى الحديث ، وهذا الكاتم العفيف وخزه قدر ربه بواسطة حبه .

والسابع : فريسة السبع وهو الذي ضربه بنابه واختطفه بمخلبه ، وهذا فريسة مخلب الصبابة وألقى عليه الصبر نابه .

والثامن : المرأة تموت بجمع ، وهذه قد انقطع منها النياط ، وانحل في جوفها الرباط ، وهذا قد انقطع أبهره ، وأسلمه إلى لحده صبره .

ومن الشهداء الغريب فيما حدثنا الشريف أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين الْحَسَنِيُّ ح موسى بن سعيد الْقُشَيْرِيُّ ح موسى بن سهل ح عمرو [(٣)] بن الحصين ح محمد بن عبد الله بن علاثة عن الحكم بن أبان عن وهب بن منبه عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [٩٥٨] « مَوْتُ الرَّجُلِ في الغُرْبَةِ شَهَادَةٌ ، فَإِذَا احْتُضِرَ فَرَمَى بِبَصَرِهِ عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ فَلَمْ يَرَ إِلا غُرَبَاءَ وَذَكَرَ أَهْلَه وَوَلَدَه فَتَنَفَّسَ فَلَه بِكُلِّ نَفَسٍ يَتَنَفَّسُ بِه يَمْحُو اللَّهُ بِهِ أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ ، ويَكْتُبُ لَه أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ ، وَيُطْبَعُ بِطَابَعِ الشُّهَدَاءِ إِذَا خَرَجَتْ نَفْسُه » [(٤)] .

---

(١) في الأصل : له .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد في كتاب الأنبياء باب أم حسبت أن أصحاب الكهف ، ولفظه : « الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه » ، (١٢٨١/٣) رقم (٣٢٨٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب الطاعون والطيرة والكهانة (١٧٣٧/٤) رقم (٢٢١٨) ، وأبو داود في سننه عن عبد الرحمن بن عوف في كتاب الجنائز باب الخروج من الطاعون (١٨٦/٣) رقم (٣١٠٣) ، والترمذي في جامعه في كتاب الجنائز باب ما جاء في كراهية الفرار ، وقال : حسن صحيح (٣٧٨/٣) رقم (١٠٦٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطب باب الخروج من الأرض التي لا تلائمه (٣٦٢/٤) رقم (٧٥٢١) ، ومالك في الموطأ عن أسامة (٨٩٦/٢) رقم (١٥٨٨) .

(٣) في (خ) : عمر .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بنحوه عن ابن عباس (١٧٣/٧) رقم (٩٨٩٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٩/٤) رقم (٢٣٨١) ، ونعيم بن حماد في الفتن (٧١٢/٢) رقم (٢٠٠٠) ، والعقيلي في الضعفاء (٣٦٥/٤) رقم (١٩٧٨) ، وابن عدي في الكامل (٢٥٧/١) رقم (٨٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١١٩/٥) ، وعبد الكريم القزويني في التدوين في أخبار قزوين بألفاظ مختلفة (٣٦٩/٣) ، والقضاعي في مسند الشهاب بنحوه (٨٣/١) رقم (٨٣) ، والطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة (٥٧/١١) =

ها للغريب عن الوطن فما ظنك بالغريب في الوطن ، وهذا لمن [٢٧٠/ب] فارق لغربته أهله وولده فما ظنك فيمن فارق في حضرته روحه وجسده ، فقد وجد في هذا العبد بعفته وكتمانه الأوصاف التي وجدت الشهادة في إخوانه ، فحري أن ينـزل منازل الشهداء ، ويفوز بأعظم أجور الشهداء ، وكل هؤلاء بمناظر الخلق نالوا في حالهم نباهة الذكر ، وفازوا بين الخلق بشرف القدر ، وهما مما استعجلوه من أجورهم وإن كان ما عند اللّه لا يفنى ولا ينفد ، وهؤلاء خباياه في خلقه ، لا يشرف على حالهم إلا اللّه وحده ، وربما نظر إليهم بعين الإزراء ، ولا يرى لهم أحد قدرًا ولا خطرًا ، ولم يأكلوا من أجورهم شيئًا في الدنيا ، فأخلق بهم أن يكونوا من أعظم الشهداء عند اللّه تعالى قدرًا ، وأكثرهم عنده ثوابًا وأجرًا ، ونحن نسأل اللّه تعالى العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، ونستغفر اللّه ونحمده فإنه غفور حميد شكور مجيد .

١٨١
باب فيمن تصلح فيه الرياضة

حديث آخر : [٩٥٩] حدثنا محمد بن حاتم بن سعيد البَيْكَنْدِيُّ [(١)] ح إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحاق ح الحميدي [(٢)] ح سفيان ح معمر عن الزُّهْرِيِّ عن سالم عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ قال : « **تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَيْسَ فِيهَا رَاحِلَةٌ** [(٣)] » [(٤)] .

= رقم (١١٠٣٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير وفيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك (٣١٧/٢) ، وعمرو بن الحصين العقيلي من رجال إسناد المصنف .

(١) في (خ) : السكندري . (٢) في هامش (خ) : الحِمْيَرِيُّ .

(٣) الراحلة هي : البَعيرُ القويُّ على الأسفار والأحمال ، النَّجِيبُ التام الخَلْقِ الحَسَنُ المنْظَرِ ، ويقع على الذكر والأنثى ، النهاية مادة (أبل) ، (١٦/١) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن ابن عمر في كتاب فضائل الصحابة باب قوله ﷺ : « الناس كإبل مائة » (١٩٧٣/٤) رقم (٢٥٤٧) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة في كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل ابن آدم ، وقال : حسن صحيح (١٥٣/٥) رقم (٢٨٧٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب من ترجى له السلامة من الفتن (١٣٢١/٢) رقم (٣٩٩٠) ، وأحمد في مسنده (٧/٢) رقم (٤٥١٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٩/٩) رقم (١٧٥٦٨) ، وابن حبان في صحيحه (٤٦/١٤) رقم (٦١٧٢) ، ومعمر بن راشد في الجامع (٢٤٦/١١) رقم (٢٠٤٤٧) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٥٩/١) رقم (١٩١٤) ، والحميدي في مسنده بلفظه (٢٩٣/٢) رقم (٦٦٣) ، وعبد بن حميد في المنتخب بألفاظ مختلفة (٢٣٨/١) رقم (٧٢٤) ، والطبراني في الكبير (٣٢٢/١٢) رقم (١٣٢٤٠) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : الإبل للأحمال ، ومنها البدن يراد منها اللحوم والأسنمة والأطعمة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ﴾ [الحج : ٣٦] وقال في الأحمال : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ الآية [النحل : ٧] ، [٢٧١/أ] فالإبل إذا سلمت من العلل والأسقام لم تخل من منافع الأحمال ومنافع المأكول والأبنية من جلودها وأوبارها ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا ﴾ الآية [النحل : ٨٠] ، فكل هذه المنافع موجودة في الإبل حيث كانت في أكثر الأحوال ، وأما الراحلة فإنها تراد للركوب والأسفار وقطع المفاوز ، ومن أوصافها أنها تسير وحدها مشيًا وإسراعًا طلبًا وهربًا ، تجري إذا أريد منها المشي ، وتقف إذا وقف بها ، وتسرع إذا بعثت ، وتهدأ إذا سكنت ، وتصبر على الوحدة ووسط الجمال ، وتقوى على طول السرى ، وتهتدي في ظلم الدجى ، وترفق براكبها إذا مشت ، وتعدل في انحطاطها إذا بركت ، وهي مع هذه الأوصاف عسى لا تحمل من الثقل نصف ما تحمله غيرها من الجمال والنوق ، ثم الراحلة لا تكاد توجد في مائة من الإبل ؛ لأن التي في الإبل الأعمال ، وهي لا تكاد لعدمها ، وما في الراحلة أخلاق وهي لا تكاد توجد في مائة فما فوقها ، ثم قيمة ناقة أو جمل يحمل من الثقل أضعاف ما تحمله الراحلة ، ولها من عظم الخلقة ولحم الظهر وشحم البطن وعظم السنام أضعاف ما للراحلة عشر قيمة الراحلة على نحافة بدنها ودقة جسمها وضعفها عن حمل الثقل ، فكأن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ أشار في هذا إلى أفعال الظاهر وأخلاق الباطن ، فقد يوجد من الناس مائة وفوقها يعملون للَّه تعالى ، فينصبون أبدانهم ويدأبون على أعمالهم من صوم وصلاة وحج وغزو [٢٧١/ب] وسائر الأعمال الظاهرة ومن النوافل ، ولا يوجد في مائة من يحسن للَّه ، وبين عباد اللَّه خلقه ، وإنما يشرف العباد بأخلاقهم ، وتقبل الأعمال بالنيات وحسن الأخلاق ، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٩٦٠] « **إِنَّ أَثْقَلَ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ** » حدثناه أحمد بن ماجد ح [عبد العزيز] [١] بن إبراهيم بن يوسف ح الصلت بن مسعود الْجَحْدَرِيُّ ح جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ عن عبد اللَّه بن أبي الحسين [٢] المكِّيِّ عن الحارث بن أبي جميلة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك [٣] .

---

(١) في هامش الأصل : عبد الرحمن . وفي (خ) : عبد اللَّه .

(٢) في (خ) : الحسن .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١١٩/أ) .

فقيمة العمل بحسن الخلق ، وكذلك القربة إلى الله تعالى والمنزلة عنده .

حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب رحمه الله ح عبد الصمد بن الفضل وإسماعيل بن بشر قالا : حدثنا [1] شداد بن حكيم ح أبو جعفر الرَّازِيُّ عن داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة قال : قال رسول الله ﷺ : [٩٦١] « **إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَكْرَمَكُمْ عَلَيَّ - أَوْ قَالَ : أَقْرَبَكُم مِنِّي - يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَحَاسِنُكُم [2] أَخْلاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُم إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُم مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلاقًا** » [3] . وإنما يكمل إيمان المرء الذي به ينال الفوز في الدنيا والآخرة ويحوز جميع الخيرات به ويبلغ أقصى المنازل وأنهى الغايات به بحسن الخلق قاله النبي عليه السلام حدثنا محمد بن عبد الله بن يوسف ح إدريس بن جعفر العطار أبو محمد ح أبو بدر شجاع بن الوليد ح محمد بن عمرو عن [٢٧٢/أ] أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [٩٦٢] « **إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُم أَخْلاقًا وَأَنَا أَحْسَنُكُم خُلُقًا لأَهْلِي** » [4] والأعمال بالعادات والرغبة والرهبة ، والأخلاق غرائز وسجيات ، وتزكو وتطهر بالرياضة والتهذيب ، فالرياضة وإن كانت تصلح الأخلاق وتطهرها ، فإنها لا تنفع إلا فيمن صحت بنيته وطابت أرومته وحسنت طبائعه وزكت سجيته ، فإن الراحلة وإن كانت تراض فإنه يختار لها النجابة في الأصل والكرم في الخيم ، قال النبي ﷺ : « **الرياضة لا تصلح إلا في نجيب** » .

حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح محمد بن خلف الْمَرْوَزِيُّ ح يحيى بن هاشم [5] ح هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) في (خ) : عن . (٢) في هامش (خ) : أحاسنكم .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن جابر في كتاب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق ، وقال : حسن غريب (٣٧٠/٤) رقم (٢٠١٨) ، وأحمد في مسنده عن أبي ثعلبة الخشني (١٩٣/٤) رقم (١٧٧٦٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٩٣/١٠) رقم (٢٠٥٨٨) ، وابن حبان في صحيحه (٢٣١/٢) رقم (٤٨٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١٠/٥) رقم (٢٥٣٢٠) ، وهناد بن السري في الزهد (٥٩٣/٢) رقم (١٢٥٥) ، والطبراني في الكبير (٢٢١/٢٢) رقم (٥٨٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح (٢١/٨) .

(٤) الجزء الأول من الحديث حتى قوله : « أخلاقًا » سبق تخريجه في اللوحة رقم (٢٦/أ) ، والحديث بتمامه أخرجه أبو الحسين بن قانع في معجم الصحابة بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (١٩٥/٢) ، وهذا الحديث إسناده ضعيف ، فيه إدريس بن جعفر العطار أبو محمد ، قال فيه الدارقطني : متروك ، تاريخ بغداد (١٣/٧) رقم (٣٤٧٩) ، لسان الميزان (٣٣٢/١) رقم (١٠١١) .

(٥) في (خ) : هشام .

[٩٦٣] « **لا تَصْلُحُ الصَّنِيعَةُ إلا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ ودِينٍ كَمَا أَنَّ الرِّيَاضَةَ لا تَصْلُحُ إلا في نَجِيبٍ** » (١) فكذلك الرياضة في الناس إنما تصلح فيمن صحت بنيته واعتدلت طبائعه ، فعند ذلك تعمل الرياضة فتصلح أخلاقه وتهذب ، فإن الغرض من الرياضة هو أن يفعل ما ينبغي لما ينبغي كما ينبغي على الوجه الذي ينبغي (٢) ، وليست الرياضة إدخال ما ليس في الأصل وإنما هي إصلاح ما في الأصل ، وذلك أن الإنسان فيه قوى مختلفة تقبل كل قوة منها ما يأتيها من المراد فيزداد لذلك وينتقص ويصلح ويفسد ويطيب ويخبث ، مثال ذلك : أن الإنسان بني من أشياء مختلفة وركب من طبائع [٢٧٢/ب] مختلفة ؛ لأنه خلق من أديم الأرض ، والأرض مختلفة الألوان متغايرة الأوصاف متباينة الأحوال ، كما قال ﷺ فيما حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الأَشْعَرِيُّ ح علي بن عبد العزيز ح أحمد بن يونس ح فضيل بن عياض ح هشام عن عوف الأَعْرَابِيِّ عن قسامة بن زهير عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : [٩٦٤] « **إِنَّ اللَّهَ تعَالى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى ذَلِكَ الأَحْمَر والأَسْوَد والأَبْيَض والسَّهْل والحزَن والطَّيِّب والخَبِيث** » (٣) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ الآية [الروم: ٢٢] ، ثم الإنسان فيه نفس وروح وعقل وطبع ، فللنفس قوة الطعم والشرب والنوم والجماع ، ومنها الشهوة والخفة ، وفي الروح قوة الحياة والحركة ، ومنه العلم والحلم والرضا والشكر والحياء والكرم ، وفي العقل قوة التمييز وحفظ الأشياء ومعرفة مصالحها ووضع كل شيء

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة عن عائشة ، وقال : رواه جماعة من الضعفاء عن هشام (٤٥٤/٧) رقم (١٠٩٦٨) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٤/٢) رقم (٨٧١) ، والعقيلي في الضعفاء ، وقال : لا يصح في هذا شيء (٤٣٢/٤) رقم (٢٠٦٣) ، وابن عدي في الكامل ، وقال : رواه عن هشام بن عروة من الضعفاء غير المسيب بن شريك (٣٨٦/٦) رقم (١٨٧٣) .

(٢) في هامش (خ) : (ينبغي) كالصلاة مثلًا ، (فيما ينبغي) أي لله ، (كما ينبغي) أي على الوجه الذي يجوز شرعًا ، (على الوجه الذي ينبغي) أي على الإخلاص .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي موسى الأشعري في كتاب السنة باب في القدر (٢٢٢/٤) رقم (٤٦٩٣) ، والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة ، وقال : حسن صحيح (٢٠٤/٥) رقم (٢٩٥٥) ، وأحمد في مسنده (٤٠٦/٤) رقم (١٩٦٥٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣/٩) رقم (١٧٤٨٥) ، وابن حبان في صحيحه (٢٩/١٤) رقم (٦١٦٠) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٦/١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١٩٣/١) رقم (٥٤٩) ، وأبو محمد الأصبهاني في العظمة (١٥٤٤/٥) رقم (١٠٠٢١) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٤/٣) .

موضعه واستعمال كل آلة فيما تصلح له ، وفي الطبع قوة الغضب والرضا والمؤاتاة والاستعصاء والسهولة والحزونة والسفه ، فكل هذه الأوصاف وجميع هذه الخصال محتاج إليها ، وكل شيء منها آلة تصلح لشيء ، فكما أن العلم والحلم يحتاج إليهما كذلك الخفة والحمية يحتاج إليهما ، وكما أن الرضا والمؤاتاة لا بد منهما كذلك الغضب والاستعصاء لا بد منهما ، وكما أن الرحمة واللين لا بد منهما كذلك القسوة والغلظة لا بد منهما ، كل في حينه وأوانه وفي وقته وإبانه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [النور : ٢] [٢٧٣/أ] ، وقال : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وكان النبي ﷺ يغضب حتى يحمر وجهه وتدر عروقه ، ومعها وصفه الله بالرحمة والرأفة فقال : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، وقال ﷺ : [٩٦٥] « **وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا** » [1] وليس حسن الخلق هو المضي على الطبع والسجية ، وإنما هو المضي على الفضيلة ، فقد يكون الإنسان مجبولاً على قلة الغضب والرزانة في الطبع فلا يكاد يغضب ، وعلى الرحمة والرقة فلا يغلظ ولا يجفو ، وعلى البذل والإنفاق فلا يكاد يمسك ، وكذلك سائر الأخلاق لزيادة بعض الأمشاج من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ، فالرياضة إنما يحتاج إليها لتعدل هذه الطبائع وتستوي هذه الأخلاط فيوجد كل في موضعه ، فالمجبول على الرزانة وقلة الغضب يجب أن يروض نفسه على اكتساب الغضب والحركة ، كما يجب على الطائش الحاد أن يروضها على اكتساب الحلم والرزانة ، وكذلك المشفق الرقيق يحمل نفسه على الغلظة والشدة كما يحمل القاسي إياها على الشفقة والرأفة ، كذلك جميع الأخلاق ، قال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٣] ، وقالت الفلاسفة : (كمال الإنسان أن يتصف بصفة النفس

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب الأنبياء باب : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف : ٩] ، (١٢٨٢/٣) رقم (٣٢٨٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره (١٣١٥/٣) رقم (١٦٨٨) ، وأبو داود في سننه في كتاب الحدود باب في الحد يشفع فيه (١٣٢/٤) رقم (٤٣٧٣) ، والترمذي في جامعه في كتاب الحدود باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود ، وقال : حسن صحيح (٣٧/٤) رقم (١٤٣٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب قطع السارق باب ذكر الاختلاف على عبيد الله في حديث نافع (٣٣٢/٤) رقم (٧٣٨٢) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الحدود باب الشفاعة في الحدود (٨٥١/٢) رقم (٢٥٤٧) .

الناطقة التي خص بها من بين سائر الحيوان) ومعناها بالنفس الناطقة أي العاقلة ، قالوا : (وإنما يتصف الإنسان بصفة النفس الناطقة بثلاثة أشياء بالعفة [1] والنجدة والحكمة) ، قالوا : (والعفة هي التوسط [٢٧٣/ب] في شهوات البطن والفرج وهو ألا يكون شرهًا ولا كليل الشهوة) وقال بعضهم : (العفة هي جودة الهيئة الشهوانية حتى يكون بحال أن يشتهي ما ينبغي وبقدر ما ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي) ، قالوا : (والنجدة هي توسط بين الفزع والجرأة) ، قالوا : (والجرأة هي على الأعداء عند المحاربة ، وعلى الأصدقاء عند المخالفة ، وعلى النفس عند ضبطها عن اللذات الضارة السمجة إذا هاجت في طلبها ، [وفي ضبطها] [2] على الآلام النافعة إذا أرادت الهرب منها ، والحكمة هي إحكام الأمور وأحكم الأمور أوسطها عن الغلو والتقصير وحسن الحال في الأوائل والأواخر والاستقامة في البداية والنهاية) .

وجملة ما قالوا في خصلتين : وهو ألا يستخف الرذائل فيميل إليها ، ولا يستثقل الفضائل فيحيد عنها ، بل يكون فيه حلم وغضب ورزانة وخفة وجد وهزل ، وكل ذلك لاكتساب الفضيلة في الدين والدنيا لا للجري على الطبع والعادة ، فقد يستخف واحد ما يثقل على الآخر ، ويستحسن هذا ما يستقبحه ذلك ويعظم الصغير عند من يصغر عنده الكبير من الأخلاق والعادات والمعاصي والطاعات فترى كما أن المشار إليه بالفضل يوالي على ما يوجب [العداوة ويعادي على ما يوجب] [3] الولاية وينكر على من يخالفه ما يعرف ممن يوافقه ويعظم عنده من المناهي ما هو أخف حالًا من غيره إذا قرب أحدهما من طبعه وبعد الآخر منه ، فترى من ينكر ترنم غزل من شاب عسى ليس في قلبه مما يقول شيء [٢٧٤/أ] ولا ينكر على متزمت وقوعًا في مؤمن ، وتراه يتحفظ من كلمة يمازح بها ويشمئز إذا سمعها ، وربما اغتاب مسلمًا وخرق عرض مؤمن وهو لا يبالي به ، ويعادي من يشرب شرابًا اختلف فيه الفقهاء وينكر عليه ويغلظ القول له ويهتك سره ، ويوالي من عسى يأكل مال يتيم أو يزني أو يربي أو يرتشي أو يبيع ويشتري من غير علم بما يفعله ، وكل هذا يرى أنه يغضب على الشارب والمترنم بالغزل ومن يؤثره [4] لله تعالى ويعاديه في الله وينكر عليه منكرًا ويأمره بمعروف وهو في الحقيقة يفعل ذلك على طبعه وشهوته وعلى ما يستعظمه الناس لا بما هو عظيم في نفسه ، وربما

---

(١) في (خ) : بالمعرفة . وفي هامش (خ) : بالعفة .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) في (خ) : له طرة .

يوالي الآمر بأمر المعروف والناهي عن المنكر عند نفسه أن يزعجه [١] من داره ، ويخرجه من جواره ولو كان لله غضبه لا لنفسه وكراهة طبعه لألزمه جواره ليحتشمه فيترك بعض ما يأتيه حشمة له ورهبة منه ، وهو إذا أزعجه من جواره كأنه يقول له : افعل ما شئت بعد ألا يكون ذلك بمرأى مني فتسقط من جاهي أو يوضع ذلك على الاستخفاف بحقي .

وحكى أبو القاسم الحكيم عن الفقيه أبي نصر الْعِيَاضِيِّ [٢] : (أنه خرج إلى بعض ضياعه ومعه طائفة من أهل العلم ، فسمع في جواره صوت عود فأعظم أصحابه ذلك ، فقيل له في ذلك وظنوا أنه لا يعرف حال جاره ، فقال أبو نصر رَحِمَهُ اللهُ : هذا جاري منذ سنين وأنا أعرفه بهذا وبما هو أعظم منه ولم أنكر عليه يومًا من الدهر . فقيل له : ولم ذاك ؟! فقال : لأنه يتوقى معرفتي حاله ، ويترك كثيرًا مما يريده خوفًا أن يبلغني ذلك ولو أعلمته وأنكرت عليه ربما تحول [٢٧٤/ب] من جواري فيسكن موضعًا لا يحتشم فيه أحدًا فيعمل ما تدعوه إليه نفسه فيكون ذلك إغراء مني له على معصية الله تعالى) .

قال أبو القاسم رَحِمَهُ اللهُ [٣] : (ثم إن ذلك الإنسان عرف معاملة الفقيه له بذلك فتاب ولزم أبا نصر فكان من أخص أصحابه) ، هذه من بركة حسن الخلق .

وروي أن [٤] عثمان رضي الله عنه رفع إليه قوم اجتمعوا على مكروه فقصدهم فأخبر بذلك القوم فتفرقوا وأعجلهم الحال عن إزالة ما كانوا اجتمعوا عليه من آلة اللهو والشراب ، فدخل عثمان فرأى تلك الآلات ولم ير أحدًا ، فقال : الحمد لله الذي ستر هؤلاء ، فلم أرهم على مكروه .

وذلك لأن غرضه رضي الله عنه على ذلك إنما كان تفرقهم عن المنكر الذي كانوا فيه ؛ لأن على العبد تغيير المنكر وإزالة المكروه في الوقت وترك المعصية في الحين ، وليس عليه ألا يكون ذلك أبدًا ، فإن الله تعالى لو أراد ألا يعصى لم يغلب عليه .

فالرياضة للأبدان والتهذيب للأخلاق إنما يراد به أن يصرف ما للنفس والخلق إلى

---

(١) في (خ) : يعجزه . وفي هامش (خ) : يزعجه .

(٢) الْعِيَاضِيُّ : بكسر العين المهملة ، وفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وفي آخرها الضاد المعجمة ، هذه النسبة إلى عياض ، وهو اسم الجد المنتسب إليه ، الأنساب (٣٨٦/٣) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : الحكيم .

(٤) في (خ) : عن .

ما للّه ولرسوله ، وأن يرجع من مخالفة الطبع وموافقته إلى موافقة الحق ، فيترك ما يترك ويأتي الذي يأتي للّه ﷻ لا لشيء سواه ، ويكره ما يكره ويريد الذي يريد للحق والواجب لا للطبع والعادة ، وأن يستثقل الرذائل ؛ لأنها رذيلة منهي عنها لا لأنها لا توافقه ، ويستخف الفضائل ؛ لأنها فضيلة مندوب إليها لا لأنها توافقه ، هذه سمة العبودية للّه وعلامة الرق والانقياد للأمر والنهي والاستسلام للّه وحده .

ثم إن أول حسن الخلق فيما بين العبد [٢٧٥/أ] وبين ربه في قبول أوامره وحسن الأداء لها ، والانتهاء عن نواهيه وسماحة الطبع بالإعراض عنها ، والتلقي للمكروه من القضاء بالبشر وسعة الصدر والترحيب به والاستبشار له ، كما حدثنا أبو الفضل محمد ابن أحمد بن سهل الْبَامِيَانِيُّ ح أبو سهل حامد بن علي ح محمد بن داود ح محمد بن الخليل ح أبي قال : (سمعت من جار لفضيل بن عياض أنه أتى عليه ثلاثة أيام ولياليها لا يجد فيها طعامًا ولا دهن سراج ، قال : فنذر للّه نذرًا على أنه إن تم له أربعة أيام ولا يجد ركع للّه تعالى أربعمائة ركعة) .

وحدثنا أحمد بن عبد اللّه الْهَرَوِيُّ ح أبو إسحاق النَّحْوِيُّ هو إسماعيل بن يونس ح الرِّيَاشِيُّ (١) وهو العباس بن الفرج (٢) الأَصْمَعِيُّ قال : قال لي ابن أبي ذئب : (لما قطعت رجل عروة بن الزبير نظر إليها بين يديه فقال : سخاء بنفسي عنك أني لم أنقلك إلى خطيئة ثم تمثل بقول معن بن أوس الْمُزَنِيُّ :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ... ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي (ن)

ثم قال : اللّهم إن كنت أخذت عضوًا فقد أبقيت عضوًا كثيرًا فلك الحمد) .

ثم حسن الخلق مع خلق اللّه تعالى وهو كما قال أنس ﷺ : [٩٦٦] « خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عشرَ سِنِينَ فَمَا قالَ لِشَيءٍ صَنَعْتُهُ : لم صَنَعْتَهُ ، ولا قَالَ لي لِشَيءٍ لم أصنَعْهُ : أَلَا صَنَعْتَهُ ،

---

(١) الرِّيَاشِيُّ : بكسر الراء ، وفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وفي آخرها الشين المعجمة ، هذه النسبة إلى رياش ، وهو اسم رجل من جذام ، وكان والد المنتسب إليه عبدًا له فنسب إليه ، وهو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي النحوي اللغوي ، كان من أهل السنة ... قدم بغداد وحدث بها ... وكان ثقة ، الأنساب (٣٣٨/٢) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : قال حدثنا .

وَلا رَأَيْتُ رُكْبَتَهُ قُدَّامَ رُكْبَةِ جَلِيسِهِ قَطُّ ، ولا عَابَ [٢٧٥/ب] طَعَامًا قَطُّ ، ولا صَافَحَهُ أَحَدٌ قَطُّ فَانتزَعَ يدَهُ منْ يدِهِ حَتَّى يكونَ المصَافِحُ هُوَ الذِي ينتزِعُ يَدَهُ ، ولا أَصْغَى إليهِ برأْسِهِ ، فيُنَحِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأسَهُ حتَّى يكونَ المصْغِي رَأْسَه هُوَ الذِي يُنَحِّي رَأسَهُ » (١) .

وقال جابر بن سمرة فيما حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ ح علي بن الجعد أخ قيس بن الربيع ح سماك قال : [٩٦٧] « قُلْتُ لجابِرِ ابْنِ سمرَةَ : أَكُنْتَ تجالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ وَكَانَ أَصْحَابُه يَتَنَاشَدُونَ الشِّعْرَ وَيَذْكُرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَبْتَسِمُ مَعَهُم إِذَا ضَحِكُوا » (٢) .

وسمعت أبا القاسم الحكيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول : (غاية حسن الخلق أن تعاشر من ساء خلقه عشرة يظن السيئ في الخلق أنه أحسن الناس خلقًا) وهو ما قال أنس : « ما قال لي لشيء صنعته : لم صنعته ، ولا قال لي لشيء لم أصنعه : ألا صنعته » .

وقيل : حسن الخلق كف الأذى وبذل الندى ، وقيل : هو ألا يؤذي ولا يتأذى ، وجملته ما قال اللَّه تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

قال : وهو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، فأولياء اللَّه تعالى وخالصته من خلقه وخصيصاه من بريته الذين اصطفاهم لنفسه ، وأقبل بهم إليه ، وجعلهم في كنفه ، وضن بهم عن غيره ، فهم الذين طابت مواليدهم ، وحسن نشؤهم ، وزكت طبائعهم ، وحسنت أخلاقهم ، ثم قيض اللَّه لهم من أدبهم فأحسن تأديبهم ، وعلمهم فأحسن تعليمهم ، فهم كالراحلة التي لا تكاد تجد [٢٧٦/أ] منها واحدة في مائة ، فهم الذين قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : [٩٦٨] « النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٥/ب) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن سماك (٨٦/٥) رقم (٢٠٨٢٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٥٢/٧) رقم (١٣١١٦ ، ١٣١١٧) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٠٥/١) رقم (٧٧١) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٧٢/١) ، وابن الجعد في مسنده (٣٠٧/١) رقم (٢٠٧٠) ، والطبراني في الكبير (٢٤٣/٢) رقم (٢٠١٧) ، وفي الأوسط (١٢٠/٧) رقم (٧٠٣١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني في حديث طويل ورجال أحمد رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة (٢٩٧/١٠) .

خِيَارُهُم في الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا » [١] ومن لم يكن له [٢] هذه النجابة في المولد وهذا [٣] الذكاء في الطبيعة والصحة في البنية فإنه لا بد له من جهد في رياضة نفسه وتهذيب أخلاقه ومجاهدة شهوته دهره والصبر عليها عمره ، فإنه قال في الحديث : [٩٦٩] « **الخَيْرُ عَادَةٌ والشَّرُّ لَجَاجَةٌ** [٤] » [٥] والعادة هي من العود إن شاء الله ، كأنه يعود إلى الشيء مرة بعد أخرى وثانية بعد أولى ، حتى يسهل عليه فعل الخير ، ويتيسر له إتيان الصالح من الأعمال والفاضل من الأخلاق ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٣٥] فمن جاهد في سبيله برياضة نفسه وتهذيب أخلاقه أفلح لا محالة ؛ لأن لعل وعسى من الله واجب ، وإنما يؤتي العبد من الضجر والملالة [٦] والعجلة كما قال ﷺ : [٩٧٠] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى يَسْتَجِيبُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَعْجَلْ** » . **قِيلَ لَه : وَمَا عَجَلَتُهُ ؟ قَالَ : « يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي ثُمَّ دَعَوْتُ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي** » حدثناه عبد العزيز بن محمد [٧] ح أبو ثابت حدثني عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٧] ، (١٢٣٨/٣) رقم (٣٢٠٣) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب البر والصلة باب خيار الناس (١٩٥٨/٤) رقم (٢٥٢٦) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢٦٠/٢) رقم (٧٥٣٤) ، والحاكم في مستدركه عن أم سلمة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قال الذهبي : صحيح لكنه منقطع (٢٧١/٣) رقم (٥٠٦١) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (٢٩٤/١) رقم (٩٢) ، ومعمر بن راشد في الجامع بألفاظ متقاربة عن سعيد بن المسيب (٣١٦/١١) رقم (٢٠٦٤١) ، والشافعي في مسنده عن أبي هريرة (٢٧٩/١) ، والطبراني في الأوسط بلفظه (٢١٧/١) رقم (٧٠٤) .

(٢) زيادة من (خ) . (٣) في الأصل : هذه .

(٤) لجاجة : الملاجة التمادي في الخصومة ، مختار الصحاح مادة (لجج) .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بلفظه عن يونس بن ميسرة عن معاوية في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٨٠/١) رقم (٢٢١) ، وابن حبان في صحيحه (٨/٢) رقم (٣١٠) ، وأحمد ابن حنبل في الزهد (٥٤/١) رقم (١٠١) ، وابن أبي عاصم في الزهد عن الحسن (٢٨١/١) ، وابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة (١٤٥/٣) رقم (٦٦٦) ، والطبراني في الكبير بلفظه (٣٨٥/١٩) رقم (٩٠٤) ، وفي مسند الشاميين (١٥٩/٢) رقم (١١٠٦) .

(٦) في (خ) : الملال .

(٧) زاد في (خ) بعدها : السمرقندي حدثنا محمد السمرقندي .

السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (١) .

وإنما يعجل العبد إذا كان غرضه من الدعاء نيل ما يسأل ، فإذا لم ينل ما يريد ثقل عليه الدعاء ، ويجب أن يكون غرض [٢٧٦/ب] العبد من الدعاء هو الدعاء لله والسؤال منه والافتقار إليه والإقبال عليه ، فكذلك يجب أن يكون غرض من يروض نفسه ويروم تهذيب أخلاقه مجاهدته نفسه ومخالفته هواه ، وهما أفضل أعمال العباد وأعظم الطاعات وأجلها موقعًا عند الله ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ [الحج : ٧٨] فعليه ائتمار هذا الأمر الذي أمر به ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ [القصص : ٥٠] فعلى العبد أن يفنى في مجاهدة نفسه عمره ، ويقطع في مخالفته هواه دهره ، والله لا يخلف الميعاد ولا يخيب العباد وهو كريم جواد .

١٨٢
باب في تأويل قوله ﷺ : « سبعة أحرف »

حديث آخر : [٩٧١] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح جرير عن مغيرة عن واصل ابن حيان عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أُنزِلَ القُرآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنهَا ظَهرٌ وَبَطْنٌ ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ** » (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الدعوات باب يستجاب للعبد ما لم يعجل (٢٣٣٥/٥) رقم (٥٩٨١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل (٢٠٩٦/٤) رقم (٢٧٣٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٦٤/٣) رقم (٨٨١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٥٣/٣) رقم (٦٢٢٢) ، والبخاري في الأدب المفرد (٢٢٨/١) رقم (٦٥٤) .

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظه عن عبد الله دون قوله : « ولكل حد ومطلع » ، (٢٧٦/١) رقم (٧٥) ، وابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة عن الحسن ، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٥٨/٣) رقم (٥٩٦٥) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة عن عبد الله (٨٠/٩) رقم (٥١٤٩) ، والطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة (١٣٦/٩) رقم (٨٦٦٧) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه الحماني ، وهو يحيى بن عبد الحميد الحماني ، قال الذهبي في المغني في الضعفاء : يحيى بن عبد الحميد الحماني حافظ منكر الحديث ، وقد وثَّقه ابن معين وغيره ، وقال أحمد بن حنبل : كان يكذب جهارًا . وقال النسائي : ضعيف (٧٣٩/٢) رقم (٧٠٠٦) ، ويراجع أيضًا ميزان الاعتدال للذهبي (١٩٨/٧) رقم (٩٥٧٥) .

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : اختلف الناس في تأويل قوله : « سبعة أحرف » فقال قوم : هو وعد ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج . وقال قوم : حلال وحرام وأمر ونهي وخبر ما كان وخبر ما يكون وأمثال . وقال آخرون : معناه سبع [(١)] لغات . وهذا أشبه بالمراد إن شاء اللَّه لدلائل في الحديث ، وهو قول الأكثر أيضًا ، وأخرى أنه قال في حديث آخر : [٩٧٢] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنزلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا شِئْتُم** » حدثناه حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح عبد [٢٧٧/أ] الرحمن بن مهدي عن مالك عن أنس عن الزُّهْرِيِّ عن عروة أخبرني عبد الرحمن بن عبد القاريُّ عن عمر عن النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ [(٢)] .

فقوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : « **فاقرؤوا منه ما شئتم** » دليل على أنه أراد به اللغات ، ولو كان الوعد والوعيد وما ذكروا لم يكن تصلح قراءته إلا على وجهه ؛ لأنه لا يجوز أن يقرأ آية الوعد وعيدًا ولا الوعيد وعدًا ولا الأمر نهيًا ولا النهي أمرًا ، كذلك القصص والأمثال ، فإذا قال : « **فاقرؤوا ما شئتم** » أي على أي لغة شئتم ما يؤدي على المعنى الذي ما يؤدي عنه الآخر ، وقد بيَّن ذلك حديثه الآخر :

حدثنا أبو نصر أحمد بن نصر ح الحسين بن أحمد بن مالك ح جعفر بن محمد الصائغ ح عفان بن مسلم ح حماد بن سلمة أخ علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكر [(٣)] عن أبيه : [٩٧٣] أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ : « يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ » . فَقَالَ لِي مِيكَائِيلُ : اسْتَزِدْهُ . وَقَالَ : « اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ ، حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ، كُلٌّ شَافٍ كَافٍ » ، كَقَوْلِكَ : « هَلُمَّ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ وَاذْهَبْ وأَسْرِعْ وعَجِّلْ » [(٤)] .

---

(١) في الأصل : سبعة .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن عمر في كتاب الخصومات باب كلام الخصوم بعضهم في بعض (٨٥١/٢) رقم (٢٢٨٧) ، ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٥٦٠/١) رقم (٨١٨) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٧٥/٢) رقم (١٤٧٥) ، والترمذي في جامعه في كتاب القراءات باب ما جاء أنزل القرآن ، وقال : حسن صحيح (١٩٣/٥) رقم (٢٩٤٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب افتتاح الصلاة باب جامع ما جاء في القرآن (٣٢٥/١) رقم (١٠٠٩) ، ومالك في الموطأ (٢٠١/١) رقم (٤٧٣) .

(٣) في (خ) : بكرة .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي بن كعب في كتاب الوتر باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٧٦/٢) رقم (١٤٧٧) ، والنسائي في سننه الصغرى (٥٦٧/١) رقم (١٠٥٣) ، وأحمد في مسنده عن أبي بكرة (٥١/٥) رقم (٢٠٥٣٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن أبي بن كعب =

فقد فسر هذا الحديث المراد بالأحرف أنها [1] اللغات ، وإنما أراد رسول الله بذلك التوسعة على أمته في استزادته حتى بلغ سبعة ، لكي يقرؤه كل من طبع من العرب على لفظ يصعب عليه الانتقال إلى غيره ، فهو يقرؤه على ما جبل عليه طبعه ، وعلى ما جرت به عادته ؛ كالإدغام ، والإظهار ، والهمز ، والتليين ، والرفع ، والنصب .

ولو كان المراد بالأحرف الوعد والوعيد والأمثال والقصص لم يكن فيه معنى الرخصة والتوسعة [٢٧٧/ب] ؛ لأنه لم يكن يجوز صرف الوعد إلى الوعيد ، ولم يكن أحد الوجهين أيسر من الآخر في القراءة والتلاوة ، فصح أن المراد بالسبعة الأحرف اللغات على ما فسره الحديث من قوله : « هلم وتعال » .

ومعنى قوله : « كل شاف كاف » يجوز أن يكون معناه كل حرف قرئ به من الأحرف السبعة التي نزل القرآن به كاف في الحجة على صدق محمد وعلى توحيد الله ؛ لأنه كلام الله ، والله أنزله ، فلزمت الحجة بكل ذلك لإعجاز نظمه ومعناه وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ؛ لأن الحروف التي نزل القرآن بها لا يغير نظم القرآن حرف منها ولا تقلب معناه ، فالإعجاز فيه قائم ، والدلالة فيه ظاهرة ، والحجة كافية على أنه من عند الله نزل .

ومعنى « شاف » : يجوز أن يكون شافيًا [2] لصدور المؤمنين به والموحدين له المصدقين لرسوله كما قال : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت : ٤٤] ، فكأنه قال : على أي لغة قرأتموه وبأي حرف تلوتموه والحجة [3] فيه كافية ، والشفاء فيه بين ليس أحد الأحرف بأبلغ في الحجة ولا غيره بأضعف فيها من الآخر ، وكذلك الشفاء .

= (٣٨٤/٢) رقم (٣٨٠٢) ، وابن حبان في صحيحه (١١/٣) رقم (٧٣٧) ، ومعمر بن راشد في الجامع (٢١٩/١١) رقم (٢٠٣٧١) ، وسعيد بن منصور في سننه عن عمرو بن دينار (١٥٩/١) رقم (٣٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه (١٣٨/٦) رقم (٣٠١٢٢) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده عن أم أيوب (١٩٣/١) رقم (٢) ، وعبد بن حميد في المنتخب عن أبي بن كعب (٨٥/١) رقم (١٦٤) ، والبزار في مسنده عن أبي بكرة (٩١/٩) رقم (٣٦٢٢) ، والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري (١٤٢/٦) رقم (٦٠٣٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني بنحوه إلا أنه قال : واذهب وأدبر ، وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيئ الحفظ ، وقد توبع وبقية رجال أحمد رجال الصحيح (١٥١/٧) .

(١) زاد في (خ) بعدها : على .

(٢) في الأصل وفي (خ) : شاف .

(٣) في (خ) : فالحجة .

وقوله : « **لكل آية منها ظهر وبطن** » يجوز أن يكون المراد فيه لكل آية منها ظاهر وباطن ، فظاهر تنزيله الذي يوجب الإيمان به ، والباطن تأويله الذي يوجب العمل به ، كأنه قال : كل آية منها توجب الإيمان والعمل بما فيه ، ليست منها آية توجب أحد الأمرين دون الآخر ، فإن وجوه القرآن على ما قيل من الوعد والوعيد والحلال والحرام والمواعظ والأمثال [٢٧٨/أ] والاحتجاج والأمر والنهي وخبر الماضي والآتي وكل وجه من ذلك يجب الإيمان به والتصديق له والعمل به ، فالعمل بالوعد هو الرغبة فيه ، وبالوعيد الرهبة منه ، وبالحلال إتيانه ، وبالحرام اجتنابه ، وبالمواعظ الاتعاظ بها ، وبالأمثال الاعتبار ، وكل آية من القرآن لا تخلو من وجه من هذه الوجوه ، وكل وجه منها يوجب عملًا كما أوجب تصديقًا وإيمانًا .

ويجوز أن يكون معنى : « **ظهر وبطن** » التلاوة والفهم ، كأنه يقول : لكل آية منها ظاهر هو نظمه بحروفه فتقرأ كما أنزل ، ولها باطن يتفهم ويتدبر ويتفكر فيه ، فيكون فيه الشفاء والتذكر [١] ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق : ٣٧] ، وقال : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : ٤٥] فالتذكر والتدبر باطن ، والقراءة والحفظ ظاهر ، ثم الظاهر الذي هو التلاوة إنما يأتي بالتعلم به والحفظ بالدرس [٢] ، والتفهم إنما يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة ، وألا يزاحمه في قلبه خلافه من فضول الدنيا وحديث النفس ومتابعة الشهوات وتحفظ ما لا يؤيده من فضول الشعر وقصص الملوك وأمثالها ، فمن اجتهد في تعلمه ورياضة لسانه في أداء حروفه وتقويم كلماته وخدم القراء وأهل العلم به وفقه اللَّه لتعلمه وتقويمه من درسه وفقه يحفظه ومن صفاء سره من فضول الشهوات ، والرغبة والرهبة من غير اللَّه في تحفظه من الحرام والشبهة في مطعمه وملبسه حسب طاقته ، وبذل مجهوده في السعي فيما كلف [٢٧٨/ب] من حفظ الحدود ، وعمل بما علم ، أعطاه اللَّه تعالى فهمًا فيه لاستخراج حكمه وإصابة فوائده ، فإنه بحر طهور ماؤه ، عذب شرابه ، بارد سقياه ، يخرج منه اللؤلؤ والمرجان والجواهر النفيسة ، ومن كان بهذه الصفة فهو من الراسخين في العلم الذي يعلم تأويل ما تشابه من القرآن .

حدثنا محمود بن إسحاق ح حريث بن عبد الرحمن أخ أحمد بن الحسن الترمِذيُّ

---

(١) في (خ) : والتدبر .

(٢) في (خ) : بالتدرس .

ح نعيم بن حماد ح فياض بن محمد الرَّقِّيُّ عن عبد اللَّه بن يزيد قال : سمعت أنسًا وأبا الدرداء وواثلة ﷺ يقولون : [٩٧٤] سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ ؟ قَالَ : « **مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وصَدَقَ لِسَانُهُ ، واسْتَقَامَ قَلْبُهُ ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، فَهُوَ مِنَ الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ** » [١] .

وحدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو معاوية عن إبراهيم الْهَجَرِيُّ عن أبي الأحوص عن عبد اللَّه ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [٩٧٥] « **إِنَّ القُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مَأْدُبَتَه مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ وَهُوَ النُّورُ البَيِّنُ والشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ ، وَلا يعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ ، وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، اتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ : آلم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ** » [٢] .

وقوله : « **ولكل حد مطلع** » يؤيد ما قلناه [٣] في الفهم [٢٧٩/أ] والتلاوة ، فإن الحد هو الذي ينتهى إليه ، وهو مقصور على نهاية وغاية ، والاطلاع هو التدبر والتفكر ولا نهاية له .

فيجوز أن يكون قوله : « **لكل حد مطلع** » لكل آية حد تنتهي إليه تلاوة وتفسيرًا لا يجوز مجاوزته ، أما التلاوة فمقصورة على الخط الذي هو الإمام الذي جمع الناس عليها عثمان ﷺ بإجماع من الصحابة ، فلا يجوز الخروج لقارئ وتالٍ [٤] ومجاوزة ما في المصحف ، وأما التفسير فلا يجوز إلا سمعًا قال أبو بكر الصديق ﷺ : [٩٧٦]

---

(١) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بألفاظ متقاربة عن أنس وأبي أمامة وأبي الدرداء (١٨٥/٣) ، والطبراني في الكبير (١٥٢/٨) رقم (٧٦٥٨) ، وعزاه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم إلى أبي حاتم (٣٤٨/١) .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الصغرى عن عبد اللَّه (٥٤١/١) رقم (٩٨٣) ، والدارمي في سننه بألفاظ مختلفة (٥٢٣/٢) رقم (٣٣١٥) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧٤١/١) رقم (٢٠٤٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٥/٢) رقم (١٩٣٣) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٧٥/٣) رقم (٦٠١٧) ، وسعيد بن منصور في سننه (٤٣/١) رقم (٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٥/٦) رقم (٣٠٠٠٨) ، والطبراني في الكبير (١٣٠/٩) رقم (٨٦٤٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه مسلم بن إبراهيم الهجري وهو متروك (١٦٤/٧) .

(٣) زاد في الأصل بعدها ، وقوله : « ولكل حد مطلع » يؤيد ما قلناه .

(٤) في الأصل : وتالي .

« أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِي » [١] فقد جاء في الوعيد لمن فسر القرآن برأيه أخبار .

فهو الحد الذي لا يجوز لأحد الخروج منه والشذوذ عنه ، والمطلع الذي هو الفهم ، فإن فوق كل ذي علم عليم ، ويفتح الله فيه على الصغير ما لا يفتح على الكبير ؛ لأنه بحر طام [٢] ، فمن تبرقع ببرقع الفهم وتمسك بحبل الحكم فغاص فيه تفكرًا وتفكر فيه تدبرًا ؛ خرج منه بأنواع الجواهر ، وصدر عنه بأعظم الفوائد ، ورجع بأجزل الزوائد ، فإن مزيد الله لا يبيد ، ومأدبته لا تنفد ، وبحره لا يفيض ، وهذا ظاهر بيِّن جلي ليس بخفي .

ترى الفقهاء إذا تدبروا فيه يأتي كل خلف منهم ما لم يأت به سلف ، والأدباء يأتي منه الآتي ما شذ عن [٣] الماضي ، وأصحاب التأويل يزيد أحدهم على الآخر ، والحكماء يأتون أبدًا بالعجائب التي تحار فيها عقول كثير من الناس غموضًا ودقة وبهاء ورقة ، ولدى الله المزيد ومن عنده التوفيق والتسديد .

وقوله : « **فاقرؤوا** [٢٧٩/ب] **ما شئتم** » معناه : فاقرؤوا من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها ما شئتم ، وليس معناه أن يقرأ كل من شاء منهم ما شاء بلغته وما يجوز معناه ويأتي بمضمونه من غير سمع ، فإن اللغات تخرج عن السبعة وأضعافها ، عسى فلو كان ذلك مفوضًا إليهم فقرأه كل من شاء بلغته صار ذلك أضعاف السبعة ، ولو قصروا على سبعة ولم تكن الحروف منصوصة لوقع التنازع فيها ، فكان كل واحد [٤] يدعي أن الحرف حرفه دون حرف صاحبه ، فلم يكن يصح منها حرف وفي هذا فساد ظاهر ، فدل أن الحروف السبعة التي نزل القرآن بها منصوصة معروفة سماعًا من النبي ﷺ ، وقد قال ﷺ : « **أنزل القرآن على سبعة أحرف** » ، فصح أن الحروف التي اجتمع قراء الأمصار عليها [وهي التي] [٥] نزل القرآن بها ، وتلقفها من النبي ﷺ أصحابه وتوارثها قرن عن قرن ، فكان رسول الله ﷺ يعرض في كل سنة في شهر رمضان

---

(١) الحديث أخرجه سعيد بن منصور في سننه بألفاظ متقاربة عن ابن أبي مليكة (١٦٨/١) رقم (٣٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن الشعبي (١٣٦/٦) رقم (٣٠١٠٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن القاسم ابن محمد (٤٢٤/٢) رقم (٢٢٧٨) .

(٢) طَمَّ الماءُ يَطِمُّ طَمًّا وطُمُومًا : عَلاَ وغَمَرَ ، لسان العرب مادة (طمم) .

(٣) في (خ) : على .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) من هامش الأصل .

ما نزل من القرآن على جبريل ؏ ، وقالت عائشة ؓ : [٩٧٧] « عَرَضَ [١] رَسُولُ اللَّهِ ؏ عَلَى جِبْرِيلَ فِي السَّنَةِ التي مَاتَ فِيهَا القُرْآنَ عَرْضَتَيْنِ » [٢] فكان جبريل ؏ يقرؤه بالحروف التي أنـزل اللَّه القرآن بها ، ويأخذ أصحابه منه بتلك الحروف .

وقراء أصحاب رسول اللَّه ﷺ معروفون منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم - رضوان اللَّه عليهم أجمعين - أخذوا القراءة عن النبي ؏ ، وأخذها عنهم أصحابهم قرنًا فقرنًا ، فكل حرف اجتمع عليه أهل مصر مسموع من النبي ؏ ، ثم هو مسطور [٢٨٠/أ] في المصحف الذي هو الإمام الذي جمع الناس عليه عثمان ؓ بإجماع الصحابة ، ومن الواجب ألا يكون شذ عن المصحف الذي كتبه عثمان ؓ حرف من الحروف التي نـزل القرآن بها ؛ لأنه إنما كتبه بمشورة أصحاب النبي ؏ ؓ .

حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح أبو ثابت ح [٣] محمد بن عبيد اللَّه ح إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد اللَّه بن السباق عن زيد بن ثابت قال : [٩٧٨] « بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ؓ لِمَقْتَلِ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ : إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ [٤] يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا فَيَذْهَبُ قُرْآنٌ كَثِيرٌ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ . قُلْتُ : كَيفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ عُمَرُ ؓ : هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الذِي رَأى عُمَرُ . قَالَ زَيْدٌ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لانَتَّهِمُكَ ، قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ؏ فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ . قَالَ زَيْدٌ : فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ عَلَيَّ بِأَثْقَلَ [٥] مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٣٢٦/١) رقم (٣٠١٢) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٥٠/٢) رقم (٢٩٠٣) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٥/٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٤/٦) رقم (٣٠٢٨٩) وأخرجه أيضًا عن عائشة رقم (٣٠٢٩٣) ، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عباس (٢١٧/١) رقم (٦٤٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٤/٢) رقم (٢٢٤٧) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في هامش (خ) : استحر أي اشتد .

(٥) زاد في (خ) بعدها : عليَّ .

الْقُرْآنِ . قُلْتُ : كَيْفَ تَفْعَلانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟! قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الذِي رَأَيَا . قَالَ : فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ (١) والرِّقَاعِ واللِّخَافِ (٢) وَصُدُورِ الرِّجَالِ . قَالَ : فَفَقَدْتُ آخِرَ سُورَةِ [٢٨٠/ب] التَّوْبَةِ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَأَصَبْتُهَا مَعَ خُزَيْمَةَ - أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ - فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا [وَكَانَتِ الصُّحُفُ] (٣) عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَه حَتَّى تَوَفَّاه اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ » (٤) .

وحدثنا عبد العزيز [ح محمد] (٥) ح أبو ثابت ح إبراهيم عن ابن شهاب أن أنس ابن مالك حدثه [٩٧٩] « أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرِبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمَانِ لِعُثْمَانَ ﷺ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْل أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكُتُبِ كَاخْتِلافِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَرْسِلِي الصُّحُفَ (٦) نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَدَعَا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ : إِذَا اخْتَلَفْتُم أَنْتُم وَزَيْدٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّمَا أُنْزِلَ بِأَلْسِنَتِهِم فَفَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الْمُصْحَفَ (٧) فِي المَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ المصْحَفَ إِلَى حَفْصَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ

---

(١) العُسُب : جمع عَسِيب ، والعسيب : جريدَة من النَّخلِ وهي السَّعْفَة ممَّا لا يَنْبُتُ عليه الخُوصُ ، النهاية مادة (عسب) ، (٢٣٤/٣) .

(٢) اللخاف : حجارة بيض عريضة رقاق ، واحدتها لَخْفة ، لسان العرب مادة (لخف) .

(٣) في (خ) : فكان المصحف .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن زيد بن ثابت في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن (١٩٠٧/٤) رقم (٤٧٠١) ، والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ، وقال : حسن صحيح (٢٨٣/٥) رقم (٣١٠٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب فضائل القرآن باب ذكر كاتب الوحي (٧/٥) رقم (٧٩٩٥) ، وأحمد في مسنده (١٣/١) رقم (٧٦) ، وفي فضائل الصحابة (٣٩٠/١) رقم (٥٩١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤٠/٢) رقم (٢٢٠٢) ، وفي شعب الإيمان (١٩٥/١) رقم (١٧١) ، وابن حبان في صحيحه (٣٦٠/١٠) رقم (٤٥٠٦) ، والطبراني في الكبير (١٤٧/٥) رقم (٤٩٠٢) . (٥) سقط من (خ) .

(٦) من هامش الأصل . وفي (خ) : بالمصحف . (٧) في (خ) : الصحف .

بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهَا [١] فِيهِ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُمْحَى أَوْ يُحْرَقَ » [٢] .

ففي هذا الحديث دلالة بينة أن جمع القرآن كان بإجماع الصحابة ، وأنهم جمعوا فيه كل ما سمعوا من النبي ﷺ يقرؤه ؛ لأنهم إنما كتبوه من الرقاع [٢٨١/أ] واللخاف التي كتب فيها ما تلقى [٣] من النبي ﷺ ؛ لأنهم [٤] إنما محوا الرقاع واللخاف وحرقوها لاستغنائهم بما جمعوا عنها ، ولو كان فيها حرف لم يدخل في المصحف لما محوا ذلك ، وإنما محوا الصحف لأجل التأليف ؛ لأن الرقاع لم تكن جمعت جميع القرآن ، وإنما كتبه كل من سمع النبي ﷺ ما أقرأه وتلقفه منه على غير ترتيب ، فمحوا الرقاع ؛ لئلا يقع الاختلاف في الترتيب وفي صور الحروف ، فإن العرب ربما كان يختلف في صور بعض حروفها في الكتابة وإن كان اللفظ يجمعه ، والذي يدل على أن المصاحف جمعت كل ما أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ من الحروف واللغات إجماع الصحابة على محو ما سواه ، كما حدثنا أبو محمد [٥] الْمُزَنِيُّ أخبرنا أبو خليفة ح أبو الوليد الطَّيَالِسِيُّ ح محمد بن أبان ح علقمة بن مرثد عن العيزار بن جرول [٦] - من رهط سلمة بن كهيل - قال : قال سويد بن غفلة سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول : [٩٨٠] « اتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُم وَالغُلُوَّ فِي عُثْمَانَ ﷺ ، وَقَوْلكُم : حَرَقَ المَصَاحِفَ ، فَوَاللَّهِ مَا حَرَقَهَا إِلا عَنْ مَلأٍ مِنَّا [٧] أَصْحَاب مُحَمَّدٍ ﷺ [٨] فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ القِرَاءَةِ التي [٩] قَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا ، يَلْقَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ : قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ ؟ قَالَ : وَهَذَا أَشْبَهُ بِالكُفْرِ . فَقُلْنَا [١٠] : الرَّأْيُ رَأْيُكَ

---

(١) في (خ) : سوى ما .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس بن مالك في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن (١٩٠٨/٤) رقم (٤٧٠٢) ، والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ، وقال : حسن صحيح (٢٨٤/٥) رقم (٣١٠٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب فضائل القرآن باب بلسان من نزل (٦/٥) رقم (٧٩٨٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤١/٢) رقم (٢٢٠٣) ، وابن حبان في صحيحه (٣٦١/١٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٩٢/١) رقم (٩٢) .

(٣) في (خ) : تلقن .

(٤) في (خ) : وإنهم .

(٥) زاد في (خ) بعدها : أحمد بن عبد الله .

(٦) في (خ) : خرول .

(٧) في (خ) : من .

(٨) زاد في (خ) بعدها : جميعًا .

(٩) من هامش الأصل .

(١٠) في هامش (خ) : أي علي وأصحابه .

يَا أَمِيـرَ المُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ [٢٨١/ب] أَنْ أَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ فَلا يَكُونُ اخْتِلافُهُمْ بَعْدُ ، إِذَا اخْتَلَفْتُم اليَوْمَ فَإِنَّ مَنْ بَعْدَكُم أَشَدُّ اخْتِلافًا . فَقُلْنَا : نِعْمَ مَا رَأَيْتَ . فَأَرْسَلَ إِلى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَسَعِيدِ بْنِ العَاصِ فَقَالَ : يَكْتُبُ أَحَدُكُم [(١)] وَيُمْلِي الآخَرُ ، وَإِنْ اخْتَلَفْتُمَا في شَيْءٍ فَارْفَعَاهُ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَتَبَ أَحَدُهُمَا وأَمْلَى الآخَرُ ، فَمَا اخْتَلَفَا في حَرْفٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا في حَرْفٍ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ ، قَالَ سَعِيدٌ : ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ، وَقَالَ زَيْدٌ : « التَّابُوه » [(٢)] فَقَالَ : اكْتُبُوه « التَّابُوتُ » فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ : وَاللَّهِ لَوْ وُلِّيتُ مِثْلَ مَا وُلِّيَ لَصَنَعْتُ مِثْلَ الذِي صَنَعَ » [(٣)] .

فأخبر عليٌّ أن عثمان ﷺ جمع القرآن بإجماع من الصحابة ، وأخبر أن الاختلاف إنما كان وقع بين الناس في القراءة [(٤)] باللغات ، وأن العرب كانت تقرؤه بلغاتها من غير سماع ، يدل على ذلك قوله : « قراءتي أفضل من قراءتك وقرآني خير من قرآنك » ؛ لأنهم كانوا يقرؤونها على لغاتهم وآرائهم ، ولو كانوا يقرؤون ما سمعوا النبي ﷺ يقرؤه لم يقولوا : هذا أفضل من غيره ولا هذه خير من هذه ، فلما فعلوا ذلك جمع عثمان ﷺ في المصحف جميع ما سمع من النبي ﷺ من القراءات والحروف وجمع الناس عليها ، ومحا ما سوى ذلك ؛ لئلا يختلفوا في صور الحروف وما كتب الكاتب بلغته بخلاف السمع والذي يدل أن محوه الرقاع إنما كان لاختلاف صور الحروف في الكتابة قوله : « اختلفوا في التابوت والتابوه ، فقال : اكتبوه التابوت » [٢٨٢/أ] وليس هذا مما يغير المعنى وإنما يغير الصورة .

والذي كتب المصحف أربعة ، ثلاثة منهم قرشيون : ابن الزبير ، وسعيد ، وعبد الرحمن ، فكان زيد يكتب وهؤلاء يملون ويرقبون صور الحروف والتأليف ، وعرضهم على عثمان ﷺ يدل على ذلك ؛ لأنهم لو كانوا اختلفوا في عين القرآن والآيات فكان يقول أحدهم : « هذا قرآن » وينكره الآخر لم يكونوا يرضون برفعه إلى عثمان وحده ، ولكان يقع بينهم تنازع ؛ لأن إنكار آية من القرآن أمر عظيم ، فقول عثمان : « فإن اختلفتم في

---

(١) في (خ) : أحدكما . (٢) في (خ) : التابوه .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن علي (٤٢/٢) رقم (٢٢٠٤) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٨/٣٩) وقد تفرد المصنف بهذا المتن ، فالبيهقي وابن عساكر كلاهما لم يذكرا اختلاف زيد وسعيد في ﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] ، وقد أخرجه ابن عساكر وغيره بألفاظ مختلفة عن أنس بن مالك (٢٧٥/٣٤) .

(٤) في (خ) : القراءات .

شيء » يؤدي [(١)] إلى الاختلاف فيما يجوز الاختلاف فيه ، وهو صور الحروف والتأليف واللغة ، فكتبوا القرآن وجمعوه من الرقاع ثم عرضوه على عثمان وعلى جماعة أصحاب النبي ﷺ و ﷺ ، فلو كان يشذ منه حرف مسموع من النبي ﷺ لأخبر به الذي سمعه ، ولم يكن يسكت عنه ولو جاز هذا في واحد لجاز في الجميع ، وفساد ذلك ظاهر .

إذًا فمن البيِّن أن الحروف السبعة التي نزل القرآن بها قد جمعها المصحف الإمام ، وتوارثها الناس قرنًا عن قرن ؛ ولذلك لم يترخص الفقهاء والقراء وعامة علماء الأنصار في قراءة تخالف الخط ، فصح بهذا أن قول النبي ﷺ : « **فاقرؤوا منه ما شئتم** » من السبعة التي نزل بها الروح الأمين على السراج المنير – صلى الله عليهما – دون غيرها من الحروف التي يأتي بها الأعراب ومن ينتحل الأدب في الأعراب .



١٨٣ باب في المعاينة والخبر

حديث آخر : [٩٨١] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما [٢٨٢/ب] عن النبي ﷺ قال : « **لَيْسَ الْمُعَايَنَةُ كَالْخَبَرِ** » [(٢)] .

---

(١) في هامش الأصل وفي (خ) : يومئ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده عن ابن عباس بلفظ : « ليس الخبر كالمعاينة » ، (٢١٥/١) رقم (١٨٤٢) ، والحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٥١/٢) رقم (٣٢٥٠) ، وابن حبان في صحيحه (٩٦/١٤) رقم (٦٢١٣) ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (٤٨٣/٢) رقم (١١١٤) ، وأبو عبد الله المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٩٨/٢) رقم (٧٦٦) ، وابن عدي في الكامل (١٣٦/٧) رقم (٢٠٥١) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٠١/٢) رقم (١١٨٢) ، والبيهقي في الزهد الكبير (٣٥٩/٢) رقم (٩٨٣) ، والطبراني في الأوسط (١٢/١) رقم (٢٥) ، وأخرجه بلفظه في المعجم الكبير (٥٤/١٢) رقم (١٢٤٥١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (١٥٣/١) ، وقد أعلَّ ابن عدي في الكامل إسناد الحديث بتدليس هشيم ، وأسند عن يحيى بن حسان قوله : (هشيم لم يسمع حديث أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ليس الخبر كالمعاينة » إنما دلسه) ... وقال أيضًا في نفس ترجمة هشيم : (ويقال : إن هذا لم يسمعه هشيم من أبي بشر إنما سمعه من أبي عوانة عن أبي بشر فدلسه) ، (١٣٦/٧) رقم (٢٠٥١) .

قال الشيخ رحمه الله : الخبر خبران : خبر صادق لا يجوز على مخبره النسيان والخطأ والغلط ، وخبر صادق يجوز على مخبره النسيان والخطأ والغلط ، فالذي لا يجوز على مخبره ما ذكرنا هو خبر الله وخبر رسوله ؛ لأن الرسول فيما يخبر محفوظ عن النسيان والخطأ والغلط ، وإن كان ذلك جائزًا عليه فيما دون الخبر .

وكل خبر بعد خبر الله وخبر رسوله وإن كان مخبره صادقًا فإنه يجوز على مخبره النسيان والخطأ والغلط ، فيجوز أن يكون مخبره بخلاف خبره ، فقوله عليه السلام : « **ليس المعاينة كالخبر** » يحتمل لمعنيين :

أحدهما : أنه ليس المعاينة كالخبر في القوة بل الخبر أقوى وأوكد وأبعد من الآفات التي تدخل في إزالة مخبره عن حقيقته إذا كان الخبر خبر الله وخبر رسوله .

والمعنى الآخر : ليس المعاينة كالخبر بل هي أقوى وأوكد إذا كان الخبر خبر من سوى الله ورسوله ، وذلك أن المخبر لا يستقر نفسه ؛ ولا يطمئن قلبه ولا يزول عنه الظنون والشكوك في خبر من يجوز عليه النسيان والخطأ والغلط والكذب ، فإنه يكون في لبس ويخالطه بعض الشك وإن نفي عن مخبره الكذب ؛ لأنه لا يزول عنه النسيان والخطأ والغلط ، وأما خبر الله وخبر رسوله فإنه يسلم من الكذب والنسيان والخطأ والغلط من كل وجه ، فلا يزاحمه خاطر الريب والشك في وقوع مخبره عند من آمن بالله ورسوله ، والمعاينة قد تخطئ وتصيب ، فإنه قد يجوز أن يرى الإنسان الشيء على خلاف ما هو ، ألا ترى [٢٨٣/أ] إلى ما أخبر الله تعالى في قصة موسى والسحرة لما ألقوا حبالهم وعصيهم أوجس موسى خيفة في نفسه ؛ لأنه رآها حيات تسعى وهي في الحقيقة حبال وعصي جماد ليس فيها حركة ولا حياة ولا سعي ، قال الله تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٦٦] ، وقال ﷻ في قصة بدر : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٤] فرأى المشركون المؤمنين أقل مما كانوا ، فتشجعوا واجترؤوا عليهم حتى قال أبو جهل : [٩٨٢] « إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةُ رَأْسٍ » (١) فظنوا أنهم مستأصلوهم وإن كانت العين قد سلمت لهم ، فواقعوهم فقتلوا ، ورأى المؤمنون المشركين أقل مما كانوا فلم يدخلهم هيبة ولا خوف منهم ؛ بل اجترؤوا عليهم والتقوا يحرص كل واحد من الطائفتين على استئصال الأخرى بغلبتهم إياها ، فلما التقوا واقتتلوا رأى المشركون المؤمنين مثليهم ،

---

(١) لم أقف عليه .

قال اللّٰه تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ [آل عمران : ١٣] ، قال الفراء : (رأى المشركون المؤمنين ثلاثة أمثالهم) ، كأنه يقول : إنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا فرآهم المشركون تسعمائة ونيفًا وأربعين رجلًا ، وقال غيره : (أراهم اللّٰه مثليهم) [١] ، أي : ستمائة وبضعًا وعشرين رجلًا فدخلهم الرعب فانهزموا ، فهذا عيان رأي الشيء بخلاف ما هو عليه ، وقال اللّٰه تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] ، فأخبر ﷻ أنه يرى الشيء بخلاف ما هو عليه ، فلما كان هذا جائزًا في رأي العين ولم يحز مثله في خبر اللّٰه وخبر رسوله [٢٨٣/ب] كان خبر اللّٰه ورسوله أوكد في قلوب المؤمنين وأقوى من المعاينة ؛ ولذلك أقروا وصدقوا قول اللّٰه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وأخبر نبيه ﷺ أنه مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته كالذر وأخذ الميثاق عليهم ، ثم ردهم في صلبه فتقرر ذلك في نفوس المؤمنين المصدقين للّٰه ورسوله ، وإن لم يذكروا ذلك ذكرًا فإنهم صدقوا اللّٰه ورسوله ، وعلموا أن مخبرها لا يكون بخلاف الخبر ، فكان ذلك آكد في نفوسهم وأثبت في عقولهم من ذكرهم له أن لو ذكروه ، فلما كان الأمر كذلك جاز أن يكون معنى قول النبي ﷺ : ليس المعاينة كالخبر في القوة بل الخبر أقوى إذا كان الخبر خبر اللّٰه ورسوله ، وإذا كان الخبر خبر الخلق غير الرسل ، فالمعاينة أقوى في النفوس من الخبر .

وروي أن قوله ﷺ : « **ليس المعاينة كالخبر** » كان في قصة موسى ﷺ وفتنة قومه ، وهو ما حدثنا محمد بن محمد بن محمود ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسين ح سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحاق عمن لا يتهم عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [٩٨٣] « **يَرْحَمُ اللّٰهُ مُوسَى بنَ عِمْرَانَ مَا الْـمُخْبَرُ كَالْمُعَايِنِ ، لَقَدْ أَخْبَرَه اللّٰهُ تَعَالى بِفِتْنَةِ قَوْمِهِ وَأَنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ أَضَلَّهُم فَعرَفَ أَنَّ مَا حُدِّثَهُ حَقٌّ وَأَنَّه عَلَى ذَلِكَ لَـمُتَمِسِّكٌ بِمَا في يَدَيْهِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِم عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ أَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ مَا الْـمُخْبَرُ كَالْـمُعَايِنِ** » [٢] .

---

(١) ذكر نحوًا من هذه الأقوال ، الطبري في تفسيره جامع البيان (١٩٢/٣ - ١٩٧) .

(٢) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، فيه نصر بن زكريا ، ضعيف ، لسان الميزان (١٥٢/٦) رقم (٥٣٥) ، الكشف الحثيث عمن رمي بالتدليس (ص ٢٦٦) رقم (٨٠٣) ، وفي الإسناد أيضًا سلمة بن الفضل ، =

فإن كان هذا محفوظًا فإنه يجوز أن يكون أراد بقوله : « **ليس المعاينة كالخبر** » أي ليس حال الإنسان عند معاينة [٢٨٤/أ] الشيء كحاله عند الخبر عنه في السكون والطمأنينة والاضطراب والحركة ، فإنه إذا شاهد الشيء الذي يحبه ويريده ويحتظي به يكون أسكن إليه وأكمل لذة وأتم حظًا منه عند الخبر عنه ، وإن كان [الخبر صدقًا] (١) لا يتخالجه من (٢) الشكوك ولا تنازعه فيه الظنون ، وإذا شاهد الشيء الفظيع الذي يكرهه ويتألم به وينفر منه طبعه يكون أشد اضطرابًا وأكثر نفرة وأتم ألمًا منه عند الخبر عنه ، وإن كان لم يتخالجه فيه الشكوك ولا ينازعه الظنون فيه قبل المشاهدة له .

ألا ترى إلى قوله : « **ليس المخبر كالمعاين** » فأخبر بحال من أخبر وعاين ولم يخبر عن حال الخبر والعيان أن أحدهما أقوى من الآخر ، ألا ترى أنه قال : « فعرف أن ما حدثه حق » (٣) فيجوز أن يكون موسى إنما كان متمسكًا بما في يديه عند الخبر عن فتنة قومه ؛ لأنه ﷺ عرف فتنة قومه بصفة اللَّه لا بصفة نفسه ، وذلك أنه إنما عرف ذلك بخبر اللَّه له ، وخبره كلامه ، وكلامه (٤) صفته ، وهو قوله ﷻ : ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ الآية [طه: ٨٥] ، وقوله : صفته ، فعرف فتنة قومه بصفة اللَّه تعالى ، وصفة موسى خامدة فيه منطفئة لا فعل لها ؛ لأن صفة البشرية لا تظهر عند صفة اللَّه تعالى ، فلما لم يظهر في موسى صفته التي هي عجز البشرية وضعف الإنسانية تمسك بما في يديه ولم يلقه ، فلما عاين قومه عاكفين على العجل عابدين له مفتتنين به عاينهم بصفة نفسه التي هي نظره ببصره ورؤيته بعينه ، وصفته [٢٨٤/ب] عجز البشرية وضعف الإنسانية ونقص الخلقة فلم يطق بصفته تمسك بما في يديه فلما عاين قومه عاكفين مع اضطرابها وقلقها وتغيرها عن حالها فألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه .

ألا ترى أنه لما سكن اضطرابه ورجعت صفته إلى حالها من السكون رجع إلى اللَّه معتذرًا من فعله بأخيه ومستغفرًا بقوله : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾ [الأعراف: ١٥١] ، كذلك النبي ﷺ ثبت ليلة المسرى عند قاب قوسين أو أدنى ، فأخبر ﷺ

= ضعيف ، وفي حديثه بعض المناكير ، الكامل لابن عدي (٣٤٠/٣) رقم (٧٩٠) ، المجروحين من المحدثين لابن حبان (٣٣٧/١) رقم (٤٢٥) ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٦٨/٤) رقم (٧٣٩) ، وفي الإسناد شيخ ابن إسحاق ، مجهول .

(١) في (خ) : المخبر صادقًا .
(٢) في (خ) : فيه .
(٣ ، ٤) من هامش الأصل .

بتجلي أوصاف الحق له بقوله : [٩٨٤] « **وَضَعَ يَدَه بَين كَتِفِي حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ كَفِّهِ** »[(١)] أو كما قال ، ولم يثبت موسى عند تجلي [(٢)] للجبل حتى خر صعقًا ؛ لأن النبي ﷺ كان قائمًا بأوصاف الحق ، وأوصافه التي هي عجز البشرية وضعف الإنسانية فانية منه ، خافية فيه ، ساقطة عنه في وقته ، ليس لها هناك أثر ، وموسى ﷺ كان ناظرًا إلى الجبل بصفته التي هي صفة الإنسانية وضعف البشرية وعجز الخلقة ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فكان نظر موسى بصفته ؛ لأنه ﷺ مكلفًا في ذلك ، مأمورًا به ، والنبي ﷺ مأخوذًا عنه ، مفعولًا به ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] ، وإلى قوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ [الأعراف : ١٤٣] فكان موسى جائيًا بصفته لميقات ربه ناظرًا إلى الجبل بصفته التي هي نظره ، والنبي ﷺ مسرى به ، منظور إليه ، قال الله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٧، ١٨] رأى آيات ربه الكبرى بربه الأعلى فثبت [٢٨٥/أ] ولم يفن ، ولو كانت أوصافه [(٣)] باقية فيه لزاغ البصر لضعفه أو طغى ، ألا ترى أنه ﷺ لما رأى جبريل في صورته لم يثبت بل صعق .

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان قال : قرأت على صالح بن محمد في سنة ست وثمانين ومائتين ح [(٤)] علي بن عبد الله وقلت : إنك سألته عنه ح يحيى ابن آدم ح يحيى ح أبو بكر بن عياش عن إدريس بن بنت وهب بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس ؓ قال : [٩٨٥] « **سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ ﷺ أَنَّه يَرَاهُ فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ : ادْعُ رَبَّكَ ، فَدَعَا رَبَّه فَطَلَعَ عَلَيْهِ سَوَادٌ [(٥)] مِنْ قِبَلِ المشْرِقِ فَجَعَلَ يَرْتَفِعُ وَيَنْتَشِرُ فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ صُعِقَ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَنَعَشَهُ وَمَسَحَ الْبُزَاقَ عَنْ شِدْقَيْهِ** »[(٦)] .

---

(١) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عائش (١٧٠/٢) رقم (٢١٤٩) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٣١/١) رقم (١١) .

(٢) بهامش الأصل تعليق غير واضح .

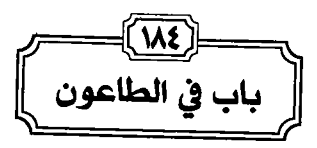
(٣) زيادة من (خ) .

(٤) في هامش الأصل : حدثكم . وفي (خ) : قال : حدثكم .

(٥) من هامش الأصل .

(٦) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن ابن عباس (٣٢٢/١) رقم (٢٩٦٧) ، والطبراني في =

قال الشيخ رحمه الله : نظر إلى جبريل بصفته ؛ لأنه هو الذي سأل ذلك فصعق ، ونظر إلى ما عجز عنه جبريل بالله عز وجل فثبت ، قال عليه السلام : [٩٨٦] « **فَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ صَارَ مِثْلَ الْوَصَعِ** (١) » (٢) ذلك ليعلم أن أوصاف البشرية عجز لا تقاوم أوصاف القدرة والربوبية والله عز وجل لا يعجزه شيء ، سبحان القوي العظيم وتعالى علوًّا كبيرًا .



١٨٤ باب في الطاعون

حديث آخر : [٩٨٧] حدثنا أبو أحمد بكر بن محمد بن حمدان ح أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى الْبَرْقِيُّ القاضي أخ أبو سليمان الجوزجاني (٣) ح محمد بن الحسن أخ أبو حنيفة عن زياد بن علاقة عن عبد الله بن الحارث عن أبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ** » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الطَّعْنَ قَدْ عَرَفْنَا (٤) ، فَمَا الطَّاعُونُ ؟ قَالَ : « **وَخزُ (٥) أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلٍّ شَهِيدٌ [إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى]** (٦) » (٧) .

قال الشيخ رحمه الله [٢٨٥/ب] : إن الله تعالى اختص المؤمن لنفسه وصرفه في محابه

= الكبير بألفاظ متقاربة (٥٧/١١) رقم (١١٠٣٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات (٢٥٧/٨) .

(١) في هامش الأصل : الوصع طائر صغير كالعصفور . وفي هامش (خ) : الوصع أصغر ما يكون من العصافير ا.هـ . قال في النهاية : الوَصَع : يروى بفتح الصاد وسكونها وهو طائِر أَصْغَر من العُصْفور والجمع وِصْعَان ، النهاية مادةَ (وصع) ، (١٩٠/٥) .

(٢) الحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة عن ابن شهاب (٧٤/١) رقم (٢٢١) .

(٣) الجوزجاني : هذه النسبة إلى مدينة بخراسان مما يلي بلخ ، يقال لها : الجوزجانان ، الأنساب (٤٥٥/١) .

(٤) في (خ) : عرفناه .

(٥) الوَخزُ : طَعْن ليس بِنَافذ ، النهاية مادة (وخز) ، (١٦٢/٥) .

(٦) سقط من (خ) .

(٧) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي موسى (٣٩٥/٤) رقم (١٩٥٤٦) ، وأبو يوسف الأنصاري في كتاب الآثار (٢٠١/١) رقم (٩٠٧) ، والبزار في مسنده (١٦/٨) رقم (٢٩٨٦) ، وأبو يعلى في مسنده (١٩٤/١٣) رقم (٧٢٢٦) ، والروياني في مسنده (٣٦٣/١) رقم (٥٥٣) ، والطبراني في الأوسط عن أبي موسى (٣٦٨/٣) رقم (٣٤٢٢) ، وعن ابن عمر (٣٧٦/٢) رقم (٣٢٧٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح (٣١٢/٢) .

وجعل كل أحواله خيرًا له ، وأراد به الخير في كل ما أصابه من ضراء أو سراء وألم ولذة ، وقيض له من يواليه إرادة الخير به ، من ملك يستغفر له ونبي يشفع له ومؤمن يعاونه ، وجعل له من يعاديه إرادة الخير به ، من شيطان يزله وعدو يقاتله وجني يخزه ، وهو ﷻ له حافظ وناصر لأعدائه مخز [1] قاهر ، وقد قال ﷺ : [٩٨٨] « **عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّه لَهُ خَيْرٌ وَلَيسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ فَإِنْ أَصَابَتْه سَرَّاءُ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا له وَإِنْ أَصَابَتْه ضَرَّاءُ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ** » حدثناه القاضي محمد بن أحمد السُّلَمِيُّ ح الحسن بن سفيان ح هدبه بن خالد وشيبان قالا : ح سليمان بن المغيرة ح ثابت بن [2] عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال ذلك [3] .

فالشيطان الذي هو كلب الله المشلى [4] وسبعه العادي على الأعداء ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : ٨٣] ، وقال : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [فصلت : ٢٥] عذر المؤمن وحجته [5] في زلته وعلته ، كلما زل [6] احتج به ، وكلما عثر اعتذر فيه ، كما قال بعضهم عند قراءته قوله تعالى : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٦] ، قال [7] : الشيطان يا رب ، وقد أخبر الله تعالى بحجة أوليائه وعذرهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٥] ، وقال في آدم وزوجته : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [البقرة : ٣٦] ، وقال في يوسف وإخوته : ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ [٢٨٦/أ] ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ [يوسف : ١٠٠] ، وقال في موسى ﷺ : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [القصص : ١٥] ، وقال في فتى موسى : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الكهف : ٦٣] [8] ، إلى كثير من الآيات ، أخبر الله تعالى عن أنبيائه وأوليائه أنهم احتجوا بالشيطان من [9]

---

(١) في الأصل : مخزي .
(٢) في (خ) : عن .
(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن صهيب في كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خير (٢٢٩٥/٤) رقم (٢٩٩٩) ، وابن حبان في صحيحه (١٥٥/٧) رقم (٢٨٩٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٦/٤) رقم (٤٤٨٧) .
(٤) في هامش (خ) : أي المغرى والمسلط ا.هـ . وجاء في لسان العرب : المُشَلَّى من الرِّجالِ : الخَفِيفُ اللَّحْمِ ، لسان العرب مادة (شلا) .
(٥) من هامش الأصل .
(٦) في الأصل : زال ا.هـ . وما أثبته من (خ) .
(٧) في هامش (خ) : أي قال القارئ عند قراءته : الشيطان يا رب .
(٨) وقد زاد في (خ) بعدها : وقال في قول يوسف لساقي الملك : ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [يوسف : ٤٢] .
(٩) في (خ) : في .

زلاتهم ، واعتذروا إلى اللّٰه من سقطاتهم بنزغ الشيطان واستزلاله ، فهو مع شريته خير للمؤمن ، واللّٰه تعالى له عليه ظهير وله منه نصير ، قال اللّٰه ﷻ : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] لولا مناصبته الشيطان ودعواه : ﴿ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ الآية [الأعراف : ١٧] ، متى كان يتبين [١] للمؤمن خصوصيته للّٰه ﷻ جلت مرتبة من اختصه الجليل العظيم الذي ليس كمثله شيء [٢] بياء الإضافة له إياه إلى نفسه وجوابه ﷻ عدوه عنه وذبه إياه منه ، ألا ترى إلى قول جابر بن عبد اللّٰه ﷺ صاحب رسول اللّٰه ﷺ حين قال : [٩٨٩] « وَاللّٰهِ مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَّا مَا ذَكَرَهُ اللّٰهُ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ [لِقَوْلِهِ تَعَالَى] [٣] : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ [آل عمران : ١٢٢] » [٤] ، وقال ﷻ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ [البقرة : ٢٦٨] إلى أمثالها من الآيات .

أظهر لك خصوصيتك به ومرتبتك عنده بسبب عدوك إبليس ، وقال ﷻ في عدوك الذي يقاتلك من شياطين الإنس : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١١] ، اشترى ﷻ من المؤمن نفسه وماله بالجنة ليقاتل بهما عدوه ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة : ١١١] فإن قتل المؤمن [٢٨٦/ب] عدوه غنمه اللّٰه ماله وأخدم له أولاده ونساءه وأورثه دياره مع تكفير ذنوبه وتمحيص خطاياه وعلوه في الأرض ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، وإن قتله عدوه فاز بالحياة الدائمة وحصل عند ربه فرحًا مرزوقًا ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٩] ، فأي شيء خير للمؤمن مما يرده إلى ربه ويحصله عنده وكما يقاتله شياطين الإنس فيقتل مرة ويقتل أخرى وكل واحد من الأمرين خير له من الآخر ، فكذلك عدوه الذي هو من شياطين الجن قد انتصب له يريد إهلاكه وإتلافه وله عليهم من اللّٰه معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر اللّٰه فهم لا يطيقونه مع معقباته ولا يستطيعونه مع حفظته ؛ قال رسول اللّٰه ﷺ : [٩٩٠] « **وُكِّلَ بِالمؤمِنِ سِتُّونَ ومِائَةُ مَلَكٍ ، يَذُبُّونَ عَنْهُ كَمَا يُذَبُّ عَنْ ضَعَفَةِ الشَّاءِ الذِّئَابُ في اليَوْمِ الصَّائِفِ ، ولَوْ بَدَوْا لَكُم لَرَأَيْتُمُوهُم عَلَى كُلِّ سَهْلٍ**

---

(١) زيادة من (خ) .
(٢) سقط من (خ) .
(٣) في (خ) : ثم قال .
(٤) قول جابر أخرجه الطبري في جامع البيان بألفاظ مختلفة (٧٣/٤) .

وَجَبَلٍ ، وَكُلُّهُم بَاسِطٌ يَدَه فَاغِرٌ فَاه ، لَوْ وُكِّلَ الْعَبْدُ إِلى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاخْتَطَفَتْه الشَّيَاطِينُ » حدثناه عبد اللّٰه بن محمد ح محمد بن عيسى بن يزيد [١] ح أبو اليمان ح عفير بن معدان عن سليمان [٢] بن عامر عن أبي أمامة ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ [٣] .

فكما يديل اللّٰه المؤمن على عدوه من شياطين الإنس مرة ويديل عليه عدوه أخرى – كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] وكله إرادة الخيرية – كذلك يديله على عدوه [٢٨٧/أ] من شياطين الجن مرة ويديلهم عليه أخرى ، فيخزونه ويطعنونه ليفوز بالشهادة والحياة الدائمة عند ربه ، وهو الطاعون الذي يصيبه ، وكما جاز أن يطعنه عدوه الظاهر له برمحه وسيفه وقتًا من الأوقات وهو له مناصب أبدًا يطلب غرة وينتهز فرصة ، فيمنع اللّٰه ﷻ المؤمن من عدوه الظاهر له بالرعب الذي يطرحه في قلب عدوه ، وبما أعطاه مما يرهب به عدوه مما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل ، وبأنصاره المؤمنين وأوليائه المقاتلين صفًا كأنهم بنيان مرصوص إرادة الخير به ، ثم يسلط عليه هذا العدو إذا شاء إرادة الخير به فيطعنه فيقتله ، وربما يستولي على ديار المؤمنين وأموالهم ، كذلك يمنع اللّٰه تعالى المؤمن من عدوه الذي لا يراه المؤمن ، وعدوه يراه بالمعقبات والحفظة إذا شاء ، ثم يسلط عليه هذا العدو إذا شاء فيخزه فيقتله ، وهو الطاعون الذي قاله النبي ﷺ .

وهما طعنان : طعن نافذ من عدو ظاهر وهو شيطان الإنسان ، وطعن غير نافذ من عدو خافي [٤] هو شيطان الجن وهو الوخز .

قال أهل اللغة : الوخز طعن غير نافذ ، فطعن الإنس نافذ [٥] وطعن الجن غير نافذ ، وسمى النبي ﷺ الطعن النافذ الذي يطعنه الإنس : طعنًا ، والطعن الذي ليس بنافذ وهو الوخز الذي يطعنه الجن : طاعونًا .

ومما يدل على أن الطاعون طعن ما حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ أخ إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبد اللّٰه بن أبي بلال [٢٨٧/ب] الخُزَاعِيِّ عن العرباض بن سارية قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : [٩٩١] « **يَخْتَصِمُ**

---

(١) في (خ) : بريد .
(٢) في (خ) : سليم ا.هـ . وقد سبق الحديث بنفس الإسناد وجاء فيه : سليم .
(٣) سبق في اللوحة رقم (٢٤٨/أ) .
(٤) كذا وصوابها : خافٍ .
(٥) زاد في (خ) بعدها : من عدو خافٍ هو شيطان الجن ، وهو الوخز .

الشُّهَدَاءُ والْـمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ إِلى رَبِّنَا في الذِينَ مَاتُوا في الطَّاعُونِ ، فَقَالَ الشُّهَدَاءُ : إِخْوَانُنَا قُتِلُوا كَمَا قُتِلْنَا . وَيَقُولُ الْـمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ [١] **: إِخْوَانُنَا مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ كَمَا مِتْنَا . فَيَقْضِي اللَّهُ تعَالى بَيْنَهُم فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلى جِرَاحِ الْمُطْعَنِينَ فَإِنْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَ الشُّهَدَاءِ فَهُمْ مِنهُمْ . فَنَظَرُوا إِلى جِرَاحِ الْمُطْعَنِينَ فَإِذَا هِيَ قَدْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَ الشُّهَدَاءِ فَيُلْحَقُونَ بِهِمْ »** [٢] .

أخبر أن في كل شهادة ، وكما جاز الطعن النافذ من عدوه الذي من الإنس مع علو المؤمن إذ يقول : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ، ومع قوله : ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] في وقت من الأوقات حتى يحدث اللَّه عند طعن العدو للمؤمن موتًا وتخرج نفسه عنده كذلك يجوز الوخز الذي هو الطعن الذي ليس بنافذ من عدوه الذي هو الجن مع معقبات اللَّه الذين يحفظونه بأمر اللَّه ، ومع قوله : ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] في وقت من الأوقات فيحدث اللَّه عند وخزه للمؤمن موتًا وإخراج نفس ليكون شهيدًا حيًا عند ربه كما كان الذي طعنه العدو شهيدًا حيًا عند ربه ، وأما ما جاء به من الحديث الآخر الذي حدثنا محمد ابن محمد بن محمود ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسن ح سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن طلحة بن يزيد ركانة عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر - أراه عن ابن عمر - عن عبد الرحمن عن عوف ﷺ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : [٩٩٢] « **إِذَا سَمِعْتُمْ بِهَذَا الْوَبَاءِ بِبَلَدٍ فَلا** [٢٨٨/أ] **تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ فِيهِ فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ لا يُخْرِجُكُمْ إِلا ذَلِكَ** » [٣] . وكان ذلك في طاعون

---

(١) في (خ) : فروشهم .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن العرباض بن سارية باب مسألة الشهادة (٢٥/٣) رقم (٤٣٧٢) ، وأحمد في مسنده (١٢٨/٤) رقم (١٧١٩٩) ، والطبراني في الكبير (٢٥٠/١٨) رقم (٦٢٦) ، وفي مسند الشاميين (١٩٥/٢) رقم (١١٧٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وقال : غريب من حديث العرباض تفرد به خالد عن بلال بن سعد (٢٢١/٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٠/٧) رقم (٩٨٨٢) ، وحديث النسائي إسناده حسن عند ابن حجر ، فتح الباري (١٩٤/١٠) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد الرحمن بن عوف في كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون (٢١٦٤/٥) رقم (٥٣٩٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب الطاعون والطيرة والكهانة (١٧٤٠/٤) رقم (٢٢١٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطب باب الخروج من الأرض التي لا تلائمه (٣٦٢/٤) رقم (٧٥٢١) ، وأحمد في مسنده (١٩٤/١) رقم (١٦٧٩) ، =

عِمْوَاسَ [1] بِالشَّامِ ، فسماه في هذا الحديث « وباء » .

وحدثنا محمد ح نصر ح عمار ح سلمة ح محمد بن إسحاق عن أبان بن [2] صالح عن شهر بن حوشب الأَشْعَرِيّ عن رابه - رجل من قومه وكان شهد طاعون عمواس - قال : [٩٩٣] « لَمَّا اشْتَعَلَ الْوَجَعُ قَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ خَطِيبًا فِي النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْسِمَ لَهُ مِنْهُ حَظَّهُ . قَالَ : فَطُعِنَ فَمَاتَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ فَقَامَ خَطِيبًا بَعْدَهُ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ مُعَاذًا يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْسِمَ لآلِ مُعَاذٍ مِنْهُ حَظَّهُمْ . فَطُعِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن مُعَاذٍ فَمَاتَ ، ثُمَّ قَامَ فَدَعَا رَبَّهُ لِنَفْسِهِ فَطُعِنَ فِي رَاحَتِهِ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ يُقَبِّلُ ظَهْرَ كَفِّهِ ثُمَّ يَقُولُ : مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِمَا فِيكِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا مَاتَ اسْتُخْلِفَ عَلَى النَّاسِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ فَإِنَّمَا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ فَتَجَبَّلُوا مِنْهُ فِي الْجِبَالِ » [3] فسماه في هذا الحديث وجعًا ، والوباء والوجع مرض كسائر الأمراض التي تصيب الناس من تباغي الطبائع وغلبة بعض الأمشاج ، وإن لم يكن هناك طعن إنسان ولا وخز جن .

فيجوز أن يكون الطاعون على ضربين : منه داء ومنه وجع [٢٨٨/ب] ووباء يقع من غلبة بعض الأمشاج الذي هو الدم أو الصفراء إذا احترق أو غير ذلك من غير سبب يكون من الجن ، ومنه ما يكون من وخز الجن كما يكون القرح داءً ووجعًا يصيب الإنسان من احتراق الدم وغلبة الأمشاج ، فيحرق له الجلد ويشرح اللحم وإن لم يكن هناك طعن من الإنس ، ومنه ما يكون من طعن الإنس ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إن

= والبيهقي في سننه الكبرى (٣٧٦/٣) رقم (٦٣٤٨) ، وابن حبان في صحيحه (٢١٩/٧) رقم (٢٩٥٣) ، ومعمر بن راشد في الجامع (١٤٧/١١) رقم (٢٠١٥٩) ، وأبو يعلى في مسنده (١٥٠/٢) رقم (٨٣٧) ، والشاشي في مسنده (٢٦٨/١) رقم (٢٣٥) ، والطبراني في الكبير (١٣١/١) رقم (٢٧٠) .

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : عمواس رواه الزمخشري بكسر أوله وسكون الثاني ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة ، وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس (١٥٧/٤) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : أبي .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن رابه (١٩٦/١) رقم (١٦٩٧) ، والطبري في تاريخه (٤٨٨/٢) ، وذكره ابن حبان في الثقات (٢١٨/٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وشهر فيه كلام (٣١٦/٢) ، وشهر بن حوشب من رجال إسناد المصنف .

يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ، وقد قرئ برفع القاف ونصبه (١) ، والقَرح بالنصب الجراح ، والقُرح بالرفع الخراج (٢) ، فسمي الطعن والخراج قرحًا كذلك سمى النبي ﷺ وصاحباه أبو عبيدة ومعاذ الطاعونَ الذي هو وخز الجن داءً ووجعًا ، وقال اللَّه تعالى : ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ [النساء : ١٠٤] والألم وجع ، والوجع مرض وداء ، وذلك فيما أصاب المسلمين من الجراح يوم أُحد .

فالقرح قرحان : جِراح وخُراج ، فالجراح طعن الإنسان ، والخراج فعل الطبيعة ، وسمى اللَّه تعالى الطعن قُرحًا على قراءة من قرأها بالرفع ؛ لأن الآية نزلت في الجراح والطعن ، فكذلك سمى النبي ﷺ الطاعون الذي هو وخز الجن داءً ووجعًا ، فكما لم تناف (٣) إحدى القراءتين الأخرى من الرفع والنصب كذلك لا تنافي إحدى الروايتين الأخرى من الوخز والوباء ، واللَّه أعلم .

ولما (٤) جاز أن يكون القرح قرحين جراح وخراج كذلك يجوز أن يكون الطاعون نوعين داءً ووخزًا (٥) .

ومعنى قول أبي عبيدة ومعاذ رضي الله عنهما : « إن هذا الوجع رحمة ربكم ، أي : حين جعل وخز [٢٨٩/أ] الجن هو طعن غير نافذ من عدو غير ظاهر ولا مجاهدة من الطاعون (٦) بالوخز صاحبه شهادة ، كما جعل الطعن النافذ من العدو الظاهر مع المجاهدة من الذي طعن بالطعن شهادة أو الداء الذي هو فعل اللَّه بتباغي الطبائع شهادة ، كما جعل القتل في سبيله شهادة وذلك برحمته .

ومعنى قوله ﷺ : « **ودعوة نبيكم** » هو ما جاء في الحديث الذي حدثناه المَحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن رجل عن أبي قلابة عبد اللَّه بن زيد الْجَرْمِيّ (٧) أنه كان يقول : [٩٩٤] « بَلَغَنِي مِنْ قَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَقَوْلِ مُعَاذٍ أَنَّ هَذَا

---

(١) القراءة بضم القاف قراءة شعبة ، وحمزة ، والكسائي ، والقراءة بفتحها للباقين ، الإرشادات الجلية (ص ٩٢) .

(٢) قال الراغب الأصفهاني : القَرْحُ الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج ، والقُرْحُ أثرها من داخل كالبثرة ونحوها ، المفردات في غريب القرآن (ص ٤٠٠) .

(٣) في (خ) : تنافي .

(٤) في (خ) : وكما .

(٥) في (خ) : ووخزٌ .

(٦) في هامش الأصل وفي (خ) : المطعون .

(٧) الْجَرْمِيّ : بفتح الجيم ، وسكون الراء المهملة ، هذه النسبة إلى جرم ، وهي قبيلة من اليمن ... وأبو قلابة =

الْوَجَـعَ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ فَكُنْتُ أَقُولُ : كَيْفَ دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُمَّتِهِ حَتَّى حَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ لا أَتَّهِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَهُ [١] وَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ : « **إِنَّ فَنَاءَ أُمَّتِكَ يَكُونُ بِطَعْنٍ أَوْ طَاعُونٍ** » ، قَالَ : فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **اللَّهُمَّ فَبِالطَّاعُونِ** » مَرَّتَيْنِ . قَالَ : فَعَرَفْتُ أَنَّهَا التي قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَمُعَاذُ [٢] .

ويكون المعنى في دعوة النبي ﷺ أن يكون بالطاعون أنه ﷺ أخبر أنه يكون فناء أمته بأحد هذين الشيئين : الطعن أو الطاعون ، فعلم ﷺ أن الطعن إنما يكون من أعداء الدين الذين هم الكفار أو من أعداء الدنيا الذين هم أهل القبلة ، وفي طعن الكفار غلبة للكفر وقهر الدين وأهله ، وفي طعن أهل القبلة فساد الدنيا وهلاك الفريقين وفناؤهما ، فالمحق منهما هلاكه فساد الدين وإن سعد المطعون به ، والمبطل منهما هلاكه شقاوة المقتول [٢٨٩/ب] وإن ظهر الدين ، وفي الطاعون [٣] فناء أهل الدين مع سلامة الدين و [من بقي من] [٤] أهله من الهلاك في الدنيا والآخرة .

ويجوز أن يكون معنى دعوة النبي ﷺ دعوة الشهادة فإنه ﷺ كان يسأل اللَّه الشهادة و [٥] لأصحابه ، كما سأل لحارثة وعمرو بن حزام وغيرهما حين سألوه أن يسأل اللَّه لهم الشهادة فسألها لهم ، وكما سأل عمر ﷺ وتمناها بما حدثنا الْـمَزْدَكِيُّ ح سعيد بن مسعود ح يزيد بن هارون أخ سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن مجاهد قال : [٩٩٥] « قرأ عُمَرُ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ : ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر : ٣٣] ، قَالَ : وَهَلْ تَدْرُونَ مَا جَنَّاتُ عَدْنٍ ؟ قَصْرٌ في الجَنَّةِ لَهُ خَمْسَةُ آلافِ بَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ [عشرون] [٦] أَلْفًا [٧] مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لا يَدْخُلُهَا إلا نَبِيٌّ فَهَنِيئًا لِصَاحِبِ الْقَبْرِ ، وَأَشَارَ إِلى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، وَهَنِيئًا لأَبي بَكْرٍ ، أَوْ شَهِيدٌ وأَنَّى لِعُمَرَ الشَّهَادَة ؟! وَإِنَّ

= عبد اللَّه بن زيد الجرمي من كبار التابعين ، كان من سادات أهل البصرة فقهًا وعبادة وزهادة ، الأنساب (٤٠٤/١) .

(١) كذا ، والصواب زيادة كلمة « منه » بعدها ، وهو ما أتى في رواية الطبري الآتي بيانها .

(٢) الحديث أخرجه الطبري في تاريخه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه بن زيد الجرمي (٤٨٨/٢) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه مجهول .

(٣) في (خ) : المطعون .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) سقط من (خ) .

(٦) زيادة من (خ) .

(٧) في رواية الفاكهي في أخبار مكة « خمس وعشرون ألفًا » ، (٢٠٨/٤) رقم (٢٥١٦) .

الذِي أَخرَجَنِي مِنْ الْحَتَمَةِ [(١)] لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسُوقَهَا إِلَيَّ » [(٢)] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : ولست أدري ما هذه الكلمة أعني الحتمة فإنها كذا وقعت في كتابي ، [وأراني رأيت في موضع آخر] [(٣)] الحنتمة ، وهي اسم أم عمر ، قال محمد ابن إسحاق : (كان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة) [(٤)] .

وقال علي رضي الله عنه : [٩٩٦] « مَا يَمْنَعُ أَشْقَاهَا مِنْ أَنْ يخضِبَ هَذِهِ مِنْ هَذَا . وأَشَارَ إلى عُنُقِهِ ولِحْيَتِهِ » [(٥)] ، وكذلك خيار الناس يدعون اللّٰه ويسألونه الشهادة ، وقد رغب النبي عليه السلام في سؤالها فيما حدثنا محمد بن موسى الرَّازِيُّ ح محمد بن أيوب أخ أحمد ابن عيسى المِصْرِيُّ ح عبد اللّٰه بن وهب ح عبد الرحيم بن [٢٩٠/أ] شريح عن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده عن النبي عليه السلام أنه قال : [٩٩٧] « مَنْ سَأَلَ اللّٰهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللّٰهُ تعالى مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ » [(٦)] ، ثم كان الطاعون شهادة دعا [اللّٰه ورسوله بها] [(٧)] لأمته ؛ لأنها شهادة في سلامة الدين وأهله .

---

(١) في هامش (خ) : الحتمة بيت الصنم ا.هـ . وفي رواية الفاكهي في أخبار مكة : « وإن الذي أخرجني من منزلي بالحثمة قادر على أن يسوقها إليَّ . وزاد محمد بن عبد الملك في حديثه قال يزيد بن هارون : قال سفيان بن حسين : الحثمة منزله بمكة » ، (٢٠٨/٤) رقم (٢٥١٦) . وفي لسان العرب : الحَتَمَةُ بفتح الحاء والتاء : السواد ، لسان العرب مادة (حتم) .

(٢) الحديث أخرجه الفاكهي في أخبار مكة بألفاظ مختلفة عن مجاهد (٢٠٨/٤) رقم (٢٥١٦) ، وإسناد هذا الحديث ثقات غير المزدكي لم أتعرف عليه .

(٣) في (خ) : فأُرَاها .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١٩٤/٢) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (١٣/ب) .

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده في كتاب الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل اللّٰه (١٥١٧/٣) رقم (١٩٠٩) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة في كتاب الجهاد باب ما جاء فيمن سأل الشهادة ، وقال : حسن غريب (١٨٣/٤) رقم (١٦٥٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجهاد باب القتال في سبيل اللّٰه (٩٣٥/٢) رقم (٢٧٩٧) ، والدارمي في سننه (٢٧٠/٢) رقم (٢٤٠٧) ، والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٨٧/٢) رقم (٢٤١٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٦٩/٩) رقم (١٨٣٣٦) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه (٤٦٥/٧) رقم (٣١٩٢) ، وأبو عوانة في مسنده (٤٩١/٤) رقم (٧٤٤٦) ، والطبراني في الكبير بألفاظ متقاربة (٧٢/٦) رقم (٥٥٤٩) ، وفي الأوسط (٢٥٨/٣) رقم (٣٠٧٩) .

(٧) في (خ) : رسول اللّٰه بها .

وقوله : « وموت الصالحين قبلكم » يجوز أن يكون [موت الصالحين] [(١)] قبل هذه الأمة هم بنو إسرائيل ، فإن الطاعون أفنى منهم في ساعة من النهار سبعين ألفًا ، والمقلل يقول : عشرون [(٢)] ألفًا ، وذلك [٩٩٨] « لَمَّا غُلِبَ بَلْعَمُ عَلَى الدُّعَاءِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ فَقَالَ : ذَهَبَتِ الدُّنْيَا والآخِرَةُ فَلَمْ يَبْقَ إِلا المكرُ وَالْحِيلَةُ ، فَأَمَرَ الْكَنْعَانِيِّينَ أَنْ يُرْسِلُوا النِّسَاءَ فِي عَسْكَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَنْ أَرَادَ امْرَأَةً مِنْهُمْ [(٣)] لَمْ تَمْنَعْ نَفْسَهَا ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا : كشبى بِنْتُ صورا [(٤)] إِلى رَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَه : زِمْرَى بْنُ شَلْوَم ، فَأَعْجَبَتْه فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهُمَا فِنْحاصُ بنُ العَيزَارِ بِحَرْبَةٍ انْتَظَمَهُم بِهَا رَافِعًا إِلى السَّمَاءِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفْعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ ، فَوَقَعَ الطَّاعُونُ فِيهِم فَمَاتَ مِنْهُم مِنْ حِينِ وَقَعَ زِمْرَى عَلَى المرْأَةِ إِلى أَنْ قَتَلَهُمَا فِنْحَاصُ سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ عِشْرُونَ أَلْفًا » حدثنا به المَحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة عن محمد بن إسحاق عن سالم بن أبي النضر بن أبي أمية أنه حدث [(٥)] بذلك [(٦)] . وكان ذلك من اللَّه تطهيرًا لهم وكفارة لما كان منهم من السكوت عن زمرى وما فعله ، كما كان قتل بعضهم بعضًا [٢٩٠/ب] كفارة لما كان من عبادتهم العجل لما تابوا ورجعوا إلى اللَّه تعالى واستسلموا لقوله : ﴿ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء : ٦٦] فكانوا شهداء ، كذلك الذين تابوا ورجعوا إلى اللَّه تعالى مما كان من أمر الذي فجر بالمرأة وماتوا بالطاعون ، فكان ذلك كفارة لهم ، فهم صالحون ؛ لأنهم إلى اللَّه تائبون ، فيجوز أن يكون معنى : « موت الصالحين قبلكم » هؤلاء وغيرهم .

١٨٥
باب في سؤال بعض الصحابة النبي ﷺ فيمن يكون له الأمر بعده

حديث آخر : [٩٩٩] حدثنا حاتم بن عقيل ح يحيى بن إسماعيل ح يحيى الحِمَّانِيُّ ح ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يَوْمُ

---

(١) في (خ) : الصالحون .
(٢) في (خ) : عشرين .
(٣) في (خ) : منهن .
(٤) في (خ) : صور .
(٥) في (خ) : حدثه .
(٦) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان بألفاظ مختلفة عن سالم بن أبي النضر بن أبي أمية (١٢٥/٩) ، وفي تاريخ الطبري (٢٥٨/١) .

الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ؟! ثُمَّ بَكَى ابْنُ عَبَّاسٍ حَتَّى خَضَبَ دَمْعُه الْحَصَى [١] . فَقُلْتُ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ؟ قَالَ : اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ ، فَقَالَ : « **ائْتُونِي حَتَّى أَكْتُبَ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدِي** » ، فَتَنَازَعُوا وَلا يَنْبَغِي التَّنَازُعُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ » فَقَالُوا : مَا لَه أَهْجَرَ [٢] !! اسْتَفْهِمُوهُ . فَقَالَ : « **دَعُونِي فَإِنَّ الذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الذِي تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** » وَأَوْصَى بِثَلاثٍ ، فَقَالَ : « **أَجِيزُوا الْوَفْدَ [٣] بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ وَأَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ** » وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ [٤] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : يجوز أن يكون قول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ : « **ائتوني حتى أكتب لكم كتابًا** » كان بعد اقتضاء ذلك منه بعض أصحابه وسؤالهم إياه أن يكتب لهم فأجابهم إلى ذلك ، وخاف بعضهم أنه إن كتب لهم كتابًا وعهد إليهم عهدًا ثم خالف ذلك مخالف هلك ، فكره أن يكتب لهم كتابًا وكان قد سمعه قبل ذلك يقول : [١٠٠٠] « **إِنِّي تَارِكٌ فِيكُم مَا إِنْ** [٢٩١/أ] **تَمَسَّكْتُم بِهِ بَعْدِي لَنْ تَضِلُّوا : كِتَابَ اللَّهِ وعِتْرَتِي** [٥] » [٦] ،

---

(١) خَضَبَ دمعهُ الحَصَى : أي بَلَّه ، من طريق الاسْتِعارة ، والأشْبَهُ أن يكونَ أراد المُبالغةَ في البُكاء حتى احْمَرَّ دمْعُه فَخَضَب الحصَى ، النهاية مادة (خضب) ، (٣٩/٢) .

(٢) أهْجَر : أكْثَر الكَلام فِيما لا يَنْبَغي ، النهاية مادة (هجر) ، (٢٤٤/٥) .

(٣) الوَفْد : هُم القَوم يَجْتَمعون ويَرِدُونَ البِلاد واحدُهم وَافِد ، وكذلك الذين يَقْصِدون الأُمَراء لزِيارَةٍ واسْتِرْفادٍ وانْتِجاع وغير ذلك ، النهاية مادة (وفد) ، (٢٠٨/٥) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الجهاد والسير باب جوائز الوفد هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم (١١١١/٣) رقم (٢٨٨٨) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به (١٢٥٧/٣) رقم (١٦٣٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب العلم باب كتابة العلم (٤٣٤/٣) رقم (٥٨٥٤) ، وأحمد في مسنده (٢٢٢/١) رقم (١٩٣٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٠٧/٩) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٧/٦) رقم (٩٩٩٢) ، والحميدي في مسنده (٢٤١/١) رقم (٥٢٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٩٨/٤) رقم (٢٤٠٩) ، وأبو عوانة في مسنده (٤٧٧/٣) رقم (٥٧٦٠) ، والطبراني في الكبير (٤٤٥/١١) رقم (١٢٢٦١) .

(٥) عترتي : عِتْرة الرجل أخصُّ أقاربِه ، وعِترةُ النبي ﷺ بَنُو عَبْد المُطَّلب ، وقيل : أهلُ بيتِه الأقْرَبُون وهو أوْلادُه وعليٌّ وأوْلادُه ، وقيل : عِترته الأقْرَبُون والأبْعدُون منهم ، النهاية مادة (عتر) ، (١٧٧/٣) .

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن جابر بن عبد اللَّه في كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ، وقال : حسن غريب (٦٦٢/٥) رقم (٣٧٨٦) ، والحاكم في مستدركه عن زيد بن أرقم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله وسكت عنه الذهبي (١١٨/٣) رقم (٤٥٧٦) ، وعبد الكريم القزويني في التدوين في أخبار قزوين عن جابر (٢٦٦/٢) ، والطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري (٦٦/٣) رقم (٢٦٨٠) ، وفي الصغير (٢٣٢/١) رقم (٣٧٦) .

وقوله : [١٠٠١] « **إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي وَلَنْ يَفْتَرِقَا** [١] **حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ** » [٢] وغير ذلك .

وقوله : « **اللَّه خليفتي فيكم** » وقوله في أبي بكر حين أمره بالصلاة وسمع تكبير عمر فقال : [١٠٠٢] « **يَأْبَى اللَّهُ والْمُؤْمِنُونَ ، يَأْبَى اللَّهُ والْمُؤْمِنُونَ** » [٣] فلما قال : « **ائتوني أكتب لكم كتابًا** » ظن أنه أنسي ذلك لغلبة الوجع عليه فقال : « استفهموه » فإن قال ذلك حكمًا استسلمنا وإن قال ذلك عن اقتضاء وغفلة ونسيان لغلبة الوجع رجع عنه ، ويكون ذلك كما قال علي ﷺ للعباس فيما حدثنا محمد بن محمد المَحْمُودِيُّ ح نصر ابن زكريا ح عمار بن الحسين ح سلمة و [٤] حدثني محمد بن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ عن عبد اللَّه بن كعب بن مالك عن ابن عباس قال : [١٠٠٣] « **خَرَجَ عَلِيٌّ ﷺ عَلَى النَّاسِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : يَا أَبَا الحَسَنِ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا . قَالَ : فَأَخَذَ العَبَّاسُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَاللَّهِ عَبْدُ العَصَا** [٥] **بَعْدَ ثَلاثٍ أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتَ المَوْتَ في وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ في وُجُوهِ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلى رَسُولِ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ هَذَا الأَمْرُ فِينَا عَلِمْنَاه ، وَإِنْ كَانَ في غَيْرِنَا أَمَّرْنَاه ، فَأَوْصَى بِنَا النَّاسَ . فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ : إِي وَاللَّهِ لا أَفْعَلُ لَئِنْ مُنِعْنَاهُ لا يُؤْتِينَاهُ أَحَدٌ بَعْدَه . فَتُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ الضُّحَى مِنْ ذَلِكَ اليَوْمِ** » [٦] .

---

(١) في (خ) : يتفرقا .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن زيد بن أرقم في كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ، وقال : حسن غريب (٦٦٣/٥) رقم (٣٧٨٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب باب فضائل علي ﷺ ، (٤٥/٥) رقم (٨١٤٨) ، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري (١٤/٣) رقم (١١١١٩) ، وابن الجعد في مسنده (٣٩٧/١) رقم (٢٧١١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن زيد ابن ثابت (٣٠٩/٦) رقم (٣١٦٧٩) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن عائشة (١٠٦/٦) رقم (٢٤٧٩٥) ، والحاكم في مستدركه عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، قال الذهبي : إسناده صحيح (٥٤٢/٣) رقم (٦٠١٦) ، وعبد الرزاق في مصنفه عن أسماء بنت عميس (٤٣٢/٥) رقم (٩٧٥٤) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى عن عائشة (٢٢٥/٢) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) في هامش (خ) : أي عصا الخلافة .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ =

فقد أراد العباس أن يسأل رسول الله فيمن يكون هذا الأمر [٢٩١/ب] وأغفل ما أدركه عليٌّ ، ولم يأمن علي أن يجيب رسول الله العباس فيما يسأله فيخبره أن الأمر في غيرهم ، ولو أخبر النبي بذلك لم يعطوه أبدًا ، وكان علي ﷺ يعلم أن الصواب والرأي في أن يرسل الأمر إرسالًا ولا يبينه بيانًا حتمًا ، فلا يقهر أهل بيته ولا يسلبون الأمر ، وهو مع ذلك لم يأمن أنه إن سألاه البيان بيَّن لهما فيكون في الأمر ما فيه ، فكذلك الذين سألوا رسول الله أن يكتب لهم كتابًا أرادوا أن يبين لهم فلا يختلفوا ، وأغفلوا ما أدركه عمر ومن تابعه أنه إن كتب لهم كتابًا وعهد إليهم عهدًا ربما لم يفوا بعهده فيضلوا ، وكأن إجابة النبي ﷺ لذلك لهم متابعة لمن سأله وإيجابًا لهم وحرصًا على ألفتهم واستقامتهم ، والرأي والصواب في ترك ذلك ، كما أذن رسول الله ﷺ المنافقين حتى استأذنوه إرادة الخير بهم وألا يفتتنوا والصواب غير ذلك حتى عاتبه الله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] ، وكما رغب في الفداء يوم بدر إرادة الرفق بالمؤمنين والتربص بالمشركين أن يرجعوا عن شركهم حتى عاتبه الله تعالى ، فقال : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [الأنفال : ٦٧] ، وأكبر من ذلك وأعظم منه همه بالركون إلى ما سأله المشركون رغبة في إسلامهم حتى قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٤] ، فكذلك أجاب رسول الله ﷺ من سأله الكتاب والبيان والعهد [٢٩٢/أ] ، رغبة في صلاحهم واستقامتهم والصواب فيما صار إليه من ترك ذلك ، والله تعالى عصمه وسدده ؛ إذ هو ﷺ خليفته في أمته وأرأف بهم منه وأعلم بما يصلحهم .

ومما يدل على أن قوله : « **ائتوني أكتب لكم كتابًا** » كان باقتضاء وسؤال قوله : « **دعوني فإن الذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه** » أي الذي أنا فيه من وصيتي لكم بكتاب الله وعترتي وإرسال الأمر بعد ذلك استعانة بالله والاستخارة لهم وأن يكون خليفته فيهم ويحفظهم ويختار لهم ولا يكلهم إلى رأيهم واختيارهم ولا يردهم إلى أوصافهم ولكن يكون مصرفهم فيما هو خير لهم ، ولو كان قوله : « **الذي أنا فيه خير من الذي تدعونني إليه** » هو الكتاب بينهم والعهد لهم لم ينتقل من الذي هو خير إلى ما هو دونه بقول عمر أو غيره ، ولما كان الله يتركه ولا يبين له كما بين في إذنه المنافقين وفدائه

= ووفاته (١٦١٥/٤) رقم (٤١٨٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٤٩/٨) رقم (١٦٣٥١) ، وابن هشام في السيرة النبوية بلفظه (٧٢/٦) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى بألفاظ مختلفة (٢٤٥/٢) ، والطبري في تاريخه (٢٢٩/٢) .

المشركين ، فلما انتقل عن الكتاب لهم والعهد إليهم إلى ما كان سبق منه من استخارته الله لهم دلَّ ذلك أن أراد بقوله : « الذي أنا فيه خير » هو الإرسال والتفويض لا الكتاب والعهد .

وقول من قال من عمر أو غيره : « فما له أهجر ! استفهموه » ظن منه أن الوجع ربما غلب عليه حتى أنساه ما كان منه قبلًا من التفويض إلى الله والوصاية بكتاب الله أو غلبة الوجع حتى غيبه عن النظر فيما هو خير لهم والخوف عليهم الخلاف بعد البيان فيكون فيه هلاكهم ، ولم يكن ذلك منه حكمًا أنه قال ذلك هجرًا بل ظن ذلك ظنًّا ، ألا تراه يقول : [٢٩٢/ب] استفهموه وكان ذلك من إشفاق القائل ذلك على رسول الله ﷺ والمحبة له والضن عليه ، فخاف غلبة الوجع عليه حتى أخرجه إلى القول من غير تمييز وهو الهجر وإن كان يعلم قبل ذلك أنه ﷺ محفوظ في أقواله معصوم في أفعاله ، كما أشفق عليه اغتيال المشركين بعض أصحابه حتى كان يحرسه ، وقد سمع الله يقول له : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة: ٦٧] فغلب عليه الإشفاق على رسول الله ﷺ حتى غيبه عن عصمة الله له من الناس فخاف أن يغتال فحرسه ، وكما غلب الإشفاق على أبي أيوب فيما حدثنا المَحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مغفل [1] الْمُزَنِيِّ قال :

[١٠٠٤] لَمَّا أَعْرَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَفِيَّةَ بِخَيْبَرَ أَوْ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَبَاتَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في قُبَّةٍ لَهُ وبَاتَ أَبُو أَيُّوب خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي النَّجَّارِ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِهِ يَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ ويطِيفُ بِالقُبَّةِ حَتَّى أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا رَأى مَكَانَه قَالَ : « **مَا لَكَ يَا أَبَا أَيُّوبِ** ؟ » قَالَ : خِفْتُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ المرْأَةِ ، فَكَانَتْ [2] امْرَأَةً قَدْ [قُتِلَ أَبُوهَا] [3] وَزَوْجُهَا وقَوْمُهَا ، وكَانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ فَخِفْتُهَا عَلَيْكَ . فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبَا أَيُّوبِ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِي** » [4] .

وقد علم أبو أيوب أن الله تعالى يختار لنبيه ﷺ من النساء أفضلهن وأتقاهن لله وأخلصهن بالإيمان بالله [٢٩٣/أ] قال الله تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وقال ﷻ : ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ ﴾ [الأحزاب: ٦] وغيبة الإشفاق

---

(١) في (خ) : معقل . (٢) في (خ) : كانت .

(٣) في (خ) : قتلت أباها ا.هـ . وهو الموافق لرواية ابن هشام في السيرة النبوية (٣١١/٤) .

(٤) الحديث أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن ابن إسحاق (٣١١/٤) .

عليه عن معرفته أن النبي ﷺ لا ينكح امرأة إلا بأمر من الله ، ألا تراه يقول في عائشة رضي الله عنها ما حدثنا عبد العزيز بن محمد [١] ح محمد بن إبراهيم ح إسحاق بن محمد الفَرْوِيُّ ح ابن أبي الزناد عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال لها : [١٠٠٥] « **رَأَيْتُكِ [٢] فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ ، أَرَى رَجُلًا يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ [٣] مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ : هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَاكْشِفْهَا ، فَإِذَا أَنْتِ فَأَقُولُ : إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ** » [٤] .

وقال في حفصة بنت عمر ما حدثنا محمد بن أحمد [٥] ح يحيى بن أبي طالب ح زيد بن الحباب أخ حماد بن سلمة عن أبي عمران الْجُونِيِّ عن قيس بن زيد : [١٠٠٦] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ طَلَّقَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا خَالاهَا قُدَامَةُ بْنُ مَظْعُونٍ وَأَخُوهُ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا طَلَّقَنِي عَنْ شِبَعٍ ، قَالَ : وَدخلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَجَلْبَبَتْ [٦] ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « **قَالَ لِي جِبْرِيلُ : رَاجِعْهَا فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَهِيَ مِنْ أَزْوَاجِكَ فِي الْجَنَّةِ** » [٧] .

وقال الله تعالى في زينب امرأة زيد : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] فكان النبي ﷺ لا ينكح امرأة من النساء إلا بأمر من الله واختيار له منهن ، والله تعالى لا يختار له إلا مؤمنة بالله مخلصة لله تقية له ، فغلب على أبي أيوب الإشفاق على رسول الله حتى أنساه ذلك فبات يحرسه مخافة أن تفتك به صفية التقية الزكية ، فكذلك غلب على عمر وغيره ممن ظن أن رسول الله ﷺ غلبه الوجع حتى أنساه ذلك

---

(١) في (خ) : يحيى .
(٢) في هامش الأصل وفي (خ) : أريتك .
(٣) سَرَقَة من حَرير : أي في قِطْعة من جَيِّد الحرير ، وجمعها سَرَق ، النهاية مادة (سرق) ، (٣٦٢/٢) .
(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب النكاح باب نكاح الأبكار (١٩٥٣/٥) رقم (٤٧٩٠) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٤١/٦) رقم (٢٤١٨٨) ، وابن حبان في صحيحه (٥/١٦) رقم (٧٠٩٣) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٦٤/٨) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بألفاظ مختلفة (١٩٩/٢) رقم (٧٠٣) ، وأبو يعلى في مسنده (٧٤/٨) رقم (٤٦٠٠) ، وأبو عوانة في مسنده بألفاظ متقاربة (٨١/٣) رقم (٤٢٧٦) ، والطبراني في الكبير (٢٠/٢٣) رقم (٤٣) .
(٥) زاد في (خ) بعدها : البَغْدَادِيُّ .
(٦) في هامش (خ) : أي لبست الجلباب .
(٧) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن قيس بن زيد وسكت عنه الذهبي (١٦/٤) رقم (٦٧٥٣) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨٤/٨) ، والطبري في جامع البيان عن قتادة (١٣٢/٢٨) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥٠/٢) ، والطبراني في الكبير (٣٦٥/١٨) رقم (٩٣٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (٢٤٥/٩) .

أن النبي ﷺ [٢٩٣/ب] لا يهجر وأنه لا يهذي في أقواله ولا يخبط في أفعاله .

وقد أغمي على رسول الله ﷺ حتى لُدَّ فلما أفاق قال : [١٠٠٧] « **مَنْ صَنَعَ هَذَا بي ؟** » فَقَالَ عَمُّهُ العَبَّاسُ : خَشِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الجَنْبِ . قَالَ : « **فَإِنَّ ذَلِكَ لَدًّا** [(١)] ، **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَقْذِفَنِي بِهِ ، لا يَبْقَى في البَيْتِ أَحَدٌ إِلا لُدَّ إِلا عَمِّي** » . قَالَ الرَّاوِي : فَلَقَدْ لُدَّتْ مَيْمُونَةُ وَإِنَّهَا لَصَائِمَةٌ لِقَسَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُقُوبَةً لَهُم بِمَا صَنَعُوا » [(٢)] .

حدثنا المَحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير أن عائشة حدثته : [١٠٠٨] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ حِينَ قَالُوا : خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بِكَ ذَاتُ الجَنْبِ فَقَالَ : « **إِنَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلَمْ يَكنْ اللَّهُ لِيُسَلِّطَهُ عَلَيَّ** » [(٣)] .

فأخبر أنه كان مغلوبًا بالوجع لا يمكنه أن ينهاهن حين لَدَدْنَهُ ، ثم قال ابن عباس : [١٠٠٩] « لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ جِبْرِيلَ في صُورَتِهِ فَصُعِقَ [(٤)] فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَنَعَشَهُ وَمَسَحَ البُزَاقَ عَنْ شِدْقِهِ [(٥)] » [(٦)] فإذا جاز عليه الإغماء والصعق - وهو فيه محفوظ - جاز عليه غلبة الوجع وهو فيه محفوظ ، حتى ظن به الظان الهجر من القول ، وهو الكلام من غير تمييز ، وذهب عليه أنه كان في الإغماء والصعق وغلبة الوجع محفوظًا لا يهجر ، ويكون ذلك الظن به ممن ظن غيبة وذهابًا يشاهد الإشفاق عن جواز الإهجار عليه ، كما جاز غيبة أبي أيوب وغيره في شاهد الإشفاق عليه عن عصمة الله إياه عن الناس حتى [٢٩٤/أ] خاف أن يغتال .

---

(١) من هامش الأصل وفي (خ) : لداءً ا.هـ . وفي لسان العرب عن الفراء : اللَّدُّ أَنْ يؤخَذَ بلسان الصبي فيُمدُّ إلى أَحد شقَّيه ، ويُوجَر في الآخر الدواءُ في الصدَف بين اللسان وبين الشُّدْق ، لسان العرب مادة (لدد) .

(٢) الحديث أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن عبد الله (٦٦/٦) ، والطبري في تاريخه عن عائشة (٢٣٠/٢) .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه عن عائشة (٢٧٤/٦) رقم (٢٦٣٨٩) ، والحاكم في مستدركه بألفاظ مختلفة وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٤٩/٤) رقم (٨٢٣٥) ، والطبري في تاريخه بألفاظ متقاربة (٢٣٠/٢) .

(٤) في (خ) : صعق . (٥) في (خ) : شدقيه .

(٦) سبق في اللوحة رقم (٢٨٥/ب) .

ويجوز (١) أن تكون إرادة النبي ﷺ الكتاب لهم حين سألوه ذلك إنما كان ؛ لأنه ﷺ كان عبدًا للّه ، ناظرًا إلى اللّه ، مصغيًا بأذنه إلى اللّه ، معلقًا قلبه باللّه ، يرجع من الأشياء كلها إلى اللّه ، ويسمع الأشياء كلها من اللّه ، للّه يعطي ومنه يأخذ ، وإياه يناجي ، ومنه يسمع ، فكان إذا قيل له شيء لم يكن فيه وحي من اللّه وكان مما يجوز مثله لم يعترض عليه ، ولم يرد على قائله ، ولم يعجل في إتيانه ولا تركه ، ولكنه كان يتأنى فيه بعض التأني ، فإن لم يأته ما يصرفه عنه مضى عليه ، وإن صرف عنه تركه ، ألا ترى أنه لما عرضت عليه عائشة رضي الله عنها قال : « **إن يرد اللّه يمضه** » ، وقال يوم أُحد : [١٠١٠] « **إِنِّي رَأَيْتُ بَقَرًا فَأَوَّلْتُهَا خيْرًا ، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي** (٢) **ثَلَمًا** (٣) ، **وَأُرِيتُ** (٤) **أَنِّي أَدْخلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا** » ، فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَخْرُجُ إِلَى أَعْدَائِنَا لا يَرَوْنَ أَنَّا قَدْ جَبُنَّا عَنْهُم وَضَعُفْنَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ حَتَّى لَبِسَ لأْمَتَهُ (٥) ، ثُمَّ نَدِمَ النَّاسُ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ (٦) اسْتَكْرَهْنَاكَ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ** » حدثنا بهذا المَحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة عن محمد بن [٢٩٤/ب] إسحاق (٧) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : [١٠١١] « **ما خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ بينَ أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا** » (٨) ؛ لأن اليسر والائتلاف والاتفاق دليل على الأمر المقضي المرضي والفعل المراد ، والعسر والالتواء والفرقة والاختلاف دليل على غير ذلك ، فكان النبي ﷺ إذا

---

(١) زاد في (خ) بعدها : فيه معنى آخر وهو .

(٢) ذُبابُ السيف : طَرَفُه الذي يُضرَبُ به ، النهاية مادة (ذبب) ، (٢/١٥٢) .

(٣) الثَّلم : كسرٌ في حرف السيف ، لسان العرب مادة (ثلم) .

(٤) في (خ) : ورأيت .

(٥) اللأمَة مَهموزة : الدِّرْع ، وقيل : السِّلاح ، ولأمَةُ الحَرب أداته ، وقد يُترك الهمز تخفيفًا ، النهاية مادة (لأم) ، (٤/٢٢٠) .

(٦) زاد في (خ) بعدها : قد .

(٧) الحديث ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٤/٩) وأخرجه الطبري في تاريخه بألفاظ مختلفة عن محمد ابن إسحاق (٢/٦٠) .

(٨) سبق في اللوحة رقم (١٢/ب) .

استقبله أمر لم يكن فيه وحي وكان مما يجوز مثله ولم يأته فيه البيان يتأنى فيه بعض التأني ، فإن سهل عليه وسكنت النفوس إليه واطمأنت القلوب فيه عمله توسم [1] فيه مراد اللَّه وحكمه ، وإن عسر عليه والتوى وتنافروا منه وتنازعوا فيه توسم فيه كراهة اللَّه لذلك فتركه ، وكذلك لما سألوه أن يكتب لهم جاز أن يكون كان رأيه ما صار إليه من ترك ذلك غير أنه لم يتبين به [2] مراد اللَّه فيه وحكمه ومشيئته ، وسمع ذلك من قولهم وهو مصغٍ [3] إلى اللَّه كأنه يسمعها منه ، وعينه مادة إليه تنتظر الإذن منه ، وأراد أن يفعل وهو كالمستشير ربه والمستخير مولاه ، فأبان له ربه وخار له مولاه بتنافر نفوس الأجلة من أصحابه والعلية منهم ، وسمع الذي قال ﷺ أن اللَّه تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه . حدثناه بكر بن مسعود ح أبو سليمان محمد بن منصور ح عبد اللَّه ابن مسلمة ح نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المقرئ عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١٠١٢] « **جُعِلَ الحَقُّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ** » [4] .

وحدثنا عبد العزيز ح محمد ح أبو ثابت محمد بن عبيد اللَّه ح إبراهيم بن سعد [5] عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ [٢٩٥/أ] قال : [١٠١٣] « **إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُم أُنَاسٌ يُحَدَّثُونَ** [6] **فَإِنْ يَكُنْ في أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** ﷺ » [7] ، فلما

---

(١) في هامش (خ) : أي تأمل فيه ، والتوسم التأمل في وسم الشيء .

(٢) في (خ) : له . (٣) في الأصل : مصغي .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب الخراج والفيء والإمارة باب في تدوين العطاء (١٣٩/٣) رقم (٢٩٦٢) ، والترمذيُّ في جامعه بلفظه عن ابن عمر في كتاب المناقب باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ، وقال : حسن غريب (٦١٧/٥) رقم (٣٦٨٢) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في المقدمة باب فضل عمر ﷺ ، (٤٠/١) رقم (١٠٨) ، وأحمد في مسنده بلفظه عن ابن عمر (٥٣/٢) رقم (٥١٤٥) ، والحاكم في المستدرك عن أبي ذر ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، قال الذهبي : على شرط مسلم (٩٣/٣) رقم (٤٥٠١) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٣١٢/١٥) رقم (٦٨٨٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥/٦) رقم (٣١٩٨٦) ، والطبراني في الأوسط عن ابن عمر (٩٥/١) رقم (٢٨٩) .

(٥) زاد في (خ) بعدها : عن أبيه عن أبي سلمة . (٦) في هامش الأصل وفي (خ) : محدثون .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب (١٣٤٩/٣) رقم (٣٤٨٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المناقب (٤٠/٥) رقم (٨١٢٠) ، وأحمد في مسنده (٣٣٩/٢) رقم (٨٤٤٩) ، وفي فضائل الصحابة عن عائشة وزاد : (قال إسحاق : فقلت لأبي ضمرة ما معنى يحدثون ؟ قال : يلقى على أفئدتهم العلم) ، (٣٦٢/١) رقم (٥٣٠) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده عن أبي هريرة (٣٠٨/١) رقم (٢٣٤٨) ، =

سمع النبي ﷺ عمر يقول : حسبنا كتاب الله ، وكان النبي ﷺ قد أوصاهم به وكان ذلك رأيه ﷺ علم أن الذي سألوه من الكتاب لا خير فيه ولا رشد معه فسكن إليه وترك الذي أرادوه عليه فقال : « **دعوني فإن الذي أنا فيه خير** » ، وعلم أن الذي سألوه لو كان خيرًا لسكنت إليه نفسه ﷺ وانشرح له صدور أصحابه ولم يتنازعوا فيه ، ألا ترى إلى حديث أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لما أراد أبو بكر أن يجمع القرآن ، فقال لعمر [(١)] : [١٠١٤] « **كَيْفَ تَعْمَلُ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟! قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ** » [(٢)] ، وكذلك قال زيد لعثمان رضي الله عنهما [(٣)] حين أمره بأن يكتب القرآن ، فقال زيد : [١٠١٥] « **وَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ** » [(٤)] فكذلك الصواب والحق تطمئن القلوب إليه وتسكن النفوس فيه وتتفق الآراء عليه فلما وقع التنازع عند رسول الله ﷺ وتفرقت قلوب أصحابه تركه والله تعالى ما كان ليختار لنبيه إلا أرشد الأمور وأصوبها ، ولا يريد بأمة هي خير أمة أخرجت للناس إلا ما هو خير لهم ، والله الحافظ المعين وله الحمد وإليه المصير ، وقد كان رسول الله ﷺ يأتيه الاختيار من الله تعالى ويأخذ [٢٩٥/ب] الأمر من الله بواسطة أصحابه ، ألا ترى أنه نزل يوم بدر منزلًا ، فقال له أصحابه : [١٠١٦] **هَذَا مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ أَوْ الرَّأْيُ وَالمَكِيدَةُ ؟ [فَقَالَ : « بَلْ الرَّأْيُ والمَكِيدَةُ »]** [(٥)] **فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِمَنْزِلٍ آخَرَ فَنَزَلَهُ** [(٦)] ، وقد كانوا إذا سبقوا في الصلاة مع النبي ﷺ صلوا ما سبقوا به [ثم أتموا معه ما أدركوه ، فجاء معاذ يومًا وقد سبق ببعض الصلاة فصلى ما أدرك ثم قضى ما سبق ، فصارت سنة] [(٧)] .

= والعقيلي في الضعفاء (٢٥٦/٢) رقم (٨٠٨) .

(١) في هامش الأصل : له عمر ا.هـ . وزاد في (خ) بعدها : فقال له عمر .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٢٩٩/ب) ، والقصة بهذه السياقة فيها اضطراب ؛ حيث إن الذي عرض جمع القرآن هو عمر ، والذي استفظع الأمر في بدايته أبو بكر ، والذي راجع أبا بكر حتى شرح الله صدره هو عمرُ . وقد سبقت القصة بتمامها بإسناد المصنف بدون هذا الاضطراب .

(٣) الثابت في الرواية التي ساقها المصنف بإسناده أن الذي قال هذه العبارة لأبي بكر هو زيد بن ثابت .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٢٨٠/ب) . (٥) من هامش الأصل .

(٦) الحديث ذكره ابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن ابن إسحاق عن رجال من بني سلمة (١٦٧/٣) ، وأخرجه الطبري في تاريخه عن ابن إسحاق عن رجال من بني سلمة أيضًا (٢٩/٢) .

(٧) زيادة من (خ) .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح خالد بن عبد اللَّه عن ابن أبي ليلى عن عمرو ابن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل ﷺ : [١٠١٧] أَنَّ النَّاسَ كَانُوا إِذَا فَاتَتْهُم شَيْءٌ مِنْ صَلاةِ الإِمَامِ صَلَّوْا مَا فَاتَهُمْ ثُمَّ دَخَلُوا مَعَ الإِمَامِ ، فَجَاءَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا وَقَدْ فَاتَه مِنْ صَلاةِ رَسُولِ اللَّهِ شَيءٌ فَأَوْمَؤُا إِلَيْهِ أَنَّا قَدْ صَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، فَدَخَلَ مَعَ الإِمَامِ [١] فِي صَلاتِهِ ، فَلَمَّا قَضَى الإِمَامُ الصَّلاةَ [٢] قَامَ يَقْضِي مَا فَاتَه ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **إِنَّ مُعَاذًا قَدْ سَنَّ لَكُمْ سُنَّةً فَافْعَلُوا مِثْلَمَا فَعَلَ مُعَاذٌ** » [٣] .

وكذلك الأذان رآه عبد اللَّه بن زيد في المنام فأخبر به النبي ﷺ فقال : [١٠١٨] « **إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا حَقٌّ** » [٤] وأمره أن يلقيه على بلال ، فلما كانت هذه الأشياء وغيرها مما اختار اللَّه لنبيه وأمته بواسطة أصحاب النبي ﷺ من غير وحي يعلم جاء من السماء كذلك ترك رسول اللَّه ﷺ الكتاب لهم كان [٥] مما اختار اللَّه له وللأمة بواسطة عمر ، ففيه شرف عمر وليس فيه مطعن . وقول عمر ﷺ في الحديث الآخر : « حسبنا كتاب اللَّه » رد على من أراد النبي على الكتاب ، ورضا بما أوصى به النبي ﷺ [من كتاب اللَّه وليس فيه رد على النبي ﷺ] [٦] ورضي عن الصحابة .



١٨٦ باب في النحوسة والسعادة

حديث آخر [٢٩٦/أ] : [١٠١٩] حدثنا بكر بن محمد بن حمدان ح عبد الصمد

---

(١) في (خ) : رسول اللَّه . (٢) من هامش الأصل .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن معاذ في كتاب الصلاة باب كيف الأذان (١٣٩/١) رقم (٥٠٦) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٩٣/٣) رقم (٤٩٢٥) ، وعبد الرزاق في مصنفه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (٢٢٩/٢) رقم (٣١٧٥) .

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن عبد اللَّه بن زيد في كتاب الصلاة باب كيف الأذان (١٣٥/١) رقم (٤٩٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان ، وقال : حسن صحيح (٣٥٩/١) رقم (١٨٩) ، والنسائي في سننه الصغرى (٢٠٠/١) رقم (٢٧٧) ، والدارمي في سننه عن محمد بن إسحاق (٢٨٦/١) رقم (١١٨٧) ، وأحمد في مسنده عن عبد اللَّه بن زيد (٤٢/٤) رقم (١٦٥٢٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٣/١) رقم (٣٧٣) ، والدارقطني في سننه (٢٤١/١) رقم (٢٩) ، وابن هشام في السيرة النبوية (٤١/٣) .

(٥) زيادة من (خ) . (٦) من هامش الأصل .

ابن الفضل ح يعقوب بن محمد الزُّهْرِيُّ ح عبد العزيز بن محمد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سهيل [(١)] بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ . وَقَالَ : « **إِنَّ الأَرْبَعَاءَ يَوْمُ نَحْسٍ مُسْتَمِرٌّ** » [(٢)] .

قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون معنى قوله : « **إن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر** » أي أن اليوم الذي أرسل اللَّه الريح على عاد كان يوم الأربعاء ، وكان ذلك يوم نحس مستمر ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر : ١٩] ، فكان ذلك اليوم من الأيام يوم الأربعاء [(٣)] ، وليس معناه إن شاء اللَّه أن يكون كل يوم أربعاء نحسًا ؛ لأنه لو كان كل أربعاء نحسًا لكان الناس يتطيرون به ، والنبي ﷺ كان يكره الطيرة ، والأيام كلها للَّه وكذلك الشهور والسنون ، وقد جاء في تفضيل بعض الأيام على البعض كالجمعة والخميس والإثنين ، فإنه قال ﷺ : [١٠٢٠] « **تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي كُلَّ خَمِيسٍ وَإِثْنَيْنِ** » [(٤)] ، وقال : [١٠٢١]

---

(١) في الأصل : سهل .

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن جابر (١٧٠/١٠) رقم (٢٠٤٤٢) ، وأبو عوانة في مسنده (٥٧/٤) رقم (٦٠٢٢) ، وابن عدي في الكامل (٢٣٨/١) رقم (٢٠) ، والطبراني في الأوسط (٢٨٣/٦) رقم (٦٤٢٢) ، وقد ضعف إسناد حديث جابر العجلوني في كشف الخفاء (١١/١) رقم (٣) ، (٢٣٧/٢) رقم (٢١٩١) ، (٥٣٨/٢) رقم (٣٢٥٥) ، وإسناد هذا الحديث ضعيف ، فيه يعقوب بن محمد الزهري ، قال العقيلي في الضعفاء الكبير : في حديثه وهم كثير ، ولا يتابعه عليه إلا من هو نحوه (٤٤٥/٤) رقم (٢٠٧٣) ، ونقل ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن أحمد بن حنبل قوله : ليس بشيء ليس يسوي شيئًا (٢١٤/٩) رقم (٨٩٦) ، وقال ابن عدي في الكامل : أحاديثه لا يتابع عليها (١٤٩/٧) رقم (٢٠٥٨) .

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن منسوبًا للزجاج وابن عباس (١٣٥/١٧) .

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد أخرجه الأئمة وليس من ألفاظ متون أحاديثهم ما يفيد عرض الأعمال على النبي ﷺ والروايات التي وقفت عليها تصرح بعرض الأعمال على اللَّه تعالى ، أو تبني الفعل « تعرض » للمفعول ، وعرض الأعمال في يومي الإثنين والخميس أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن الشحناء والتهاجر (١٩٨٧/٤) رقم (٢٥٦٥) ، وأحمد في مسنده (٣٢٩/٢) رقم (٨٣٤٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧١/٥) رقم (٦٦٢٧) ، وابن حبان في صحيحه (٤٨٣/١٢) رقم (٥٦٦٧) ، وأبو عبد الرحمن الضبي في كتاب الدعاء (٣٣٩/١) رقم (١٤٤) ، وعبد الرزاق في مصنفه (٣١٤/٤) رقم (٧٩١٤) ، والحميدي في مسنده (٤٣٠/٢) رقم (٩٧٥) .

« **تَبَرَّكُوا بِصَوْمِ [١] يَوْمِ الأَحَدِ فَإِنَّه اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى** » [٢] .

حدثنا عبد اللَّه بن محمد ح محمد بن الحسين [٣] بن حفص ح واصل بن عبد الأعلى ح إسماعيل بن أبان عن عنبسة بن عبد الرحمن القُرَشِيِّ عن علاق بن [٤] مسلم عن أنس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١٠٢٢] « **تَبَرَّكُوا بِيَوْمِ الأَحَدِ فَإِنَّه اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى** » [٥] هذا من الفأل الذي كان رسول اللَّه ﷺ يحبه .

فأما قوله في [٦] الأربعاء : « **إنه يوم نحس مستمر** » يؤدي [٢٩٦/ب] إلى الطيرة وكان ﷺ يكرهها ، وقد يكون بعض الأيام أفضل من بعض ، والعمل للَّه في يوم أكثر ثوابًا منه في غيره ؛ لأن الأخبار وردت فيه .

فأما النحوسة والسعادة فإنها من باب الطيرة ، وليست الطيرة من الدين ولكنها من فعل الجاهلية ومن قول الكهان والمنجمين ، فإنهم يقولون : إن يوم الأربعاء لعطارد ، وعطارد عندهم نحس من النحوس وسعد من السعود ، فإذا لم يكن معه سعد فإنه نحس [عند بعضهم] [٧] ، وقول المنجمين لا يدخل في باب الدين بل هو من الكهانة ، وقال ﷺ : [١٠٢٣] « **مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَه بِمَا يَقُولُ فقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** » [٨] .

---

(١) سقط من (خ) .
(٢) لم أقف عليه .
(٣) في (خ) : الحسن . وفي هامش (خ) : الحسين .
(٤) زاد في (خ) بعدها : قريش .
(٥) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، فيه عنبسة بن عبد الرحمن القرشي ، قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : ضعيف الحديث ، وعن أبي زرعة : منكر الحديث واهي الحديث (٤٠٣/٦) رقم (٢٢٤٩) ، وفي الإسناد أيضًا علاق بن مسلم ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب : مجهول (٤٣٦/١) رقم (٥٢٦٥) .
(٦) في الأصل : يوم .
(٧) في (خ) : عندهم .
(٨) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الطهارة باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض (٢٤٣/١) رقم (١٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عشرة النساء باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة (٣٢٣/٥) رقم (٩٠١٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة باب النهي عن إتيان الحائض (٢٠٩/١) رقم (٦٣٩) ، والدارمي في سننه (٢٧٥/١) رقم (١١٣٦) ، =

ويجوز أن يكون قوله ﷺ : « **يوم الأربعاء يوم نحس مستمر** » تخويفًا لأصحابه وأمته ، كأنه يقول : كان اليوم الذي أرسل الله الريح العقيم على عاد يوم نحس مستمر يوم الأربعاء فاحذروا ذلك اليوم وجددوا لله فيه توبة وطاعة خوفًا أن يصيبكم ما أصابهم ، كما كان ﷺ [١٠٢٤] إِذَا رَأَى مَخِيلَةً [١] يَفْزَعُ إِلى الصَّلاةِ وَيَقُومُ وَيَخْرُجُ ، فَإِذَا أَمْطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ في ذَلِكَ ، فَقَالَ : « **مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا عَذَابٌ** » [٢] أو كلامًا هذا معناه .

فقد كان يحذر أمته من مثل ما حل بأولئك الذين قالوا : ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف : ٢٤] وكما قال حين أتى الْحِجْرَ : [١٠٢٥] « **لا تَدْخلُوا عَلى هَؤُلاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ** » [٣] وكما رغب ﷺ في صوم يوم عاشوراء مما جعل الله فيه من نجاة

= والحاكم في مستدركه بألفاظ متقاربة ، وقال : صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٩/١) رقم (١٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٣٥/٨) رقم (١٦٢٧٣) ، والبزار في مسنده بلفظه عن عمران ابن حصين (٥٢/٩) رقم (٣٥٧٨) ، ومعمر بن راشد في الجامع بألفاظ مختلفة عن ابن مسعود (٢١٠/١١) رقم (٢٠٣٤٨) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده بلفظه عن عبد الله (٥٠/١) رقم (٣٨٢) ، وابن عدي في الكامل بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود (٤/٥) رقم (١١٨٣) .

(١) المَخِيلة : السحابة الخليقةُ بالمَطَر ، النهاية مادة (خيل) ، (٩٣/٢) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا ... ﴾ [الفرقان : ٤٨] ، ونصه : « عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه ، فإذا أمطرت السماء سري عنه . فعرفته عائشة ذلك فقال ﷺ : « ما أدري لعله كما قال قوم : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ الآية [الأحقاف : ٢٤] » (١١٧٢/٣) رقم (٣٠٣٤) ، وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأحقاف ، وقال : حسن (٣٨٢/٥) رقم (٣٢٥٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الاستسقاء باب القول عند المطر (٥٦٢/١) رقم (١٨٣٠) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر (١٢٨٠/٢) رقم (٣٨٩١) ، وأحمد في مسنده (١٦٧/٦) رقم (٢٥٣٨١) ، ومعمر بن راشد في الجامع (٨٨/١١) رقم (٢٠٠٠١) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٩٣٨/٣) رقم (١٢٢٠) ، وأبو يعلى في مسنده (١٦٥/٨) رقم (٤٧١٣) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣/٤) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن ابن عمر في كتاب المغازي باب نزول النبي ﷺ الحجر (١٦٠٩/٤) رقم (٤١٥٧) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب الزهد باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا (٢٢٨٥/٤) رقم (٢٩٨٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر : ٨٠] ، (٣٧٤/٦) رقم (١١٢٧٤) ، وأحمد في مسنده (١٣٧/٢) =

موسى من البحر ، ونجاة بني اسرائيل من فرعون ، ونجاة يونس من بطن الحوت ، واستواء سفينة [٢٩٧/أ] نوح على الجودي ، وما عده الخبر ، فلما كان ذلك اليوم فيه هذه الراحات والبركات رغب النبي ﷺ في نيل تلك البركات في ذلك اليوم ، كذلك حذر من يوم الأربعاء مما كان فيه الهلاك وإرسال الله الريح على عاد .

١٨٧

باب في فضل سورتي الإخلاص والكافرون

حديث آخر : [١٠٢٦] حدثنا نصر ح أبو عيسى ح علي بن حجر ح يزيد بن هارون أخ يمان بن المغيرة العنزي ح [1] عطاء عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ **تعدل نصف القرآن** ، و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ **تعدل ثلث القرآن** ، و ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ **تعدل** [2] **ربع القرآن** » [3] .

قال الشيخ رحمه الله : إن الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ على حين فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، والخلق في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، لا يعرفون الله ولا يوحدونه ، ولا يرجون بعثًا ولا يعرفونه ، ولا يقرون برسول ولا نبي ، إلا طائفة من أهل الكتاب أقروا بالبعث وببعض الرسل ، وأشركوا بالله وألحدوا في صفات الله ، فمنهم من أشرك مع الله في الخلق والإحداث ؛ كالثنوية الذين قالوا بقديمين هما النور والظلمة ، وإن النور خالق الخير ، والظلمة خالق الشر . وكذلك المجوس قالوا بقديم واحد وخالقين ، ومنهم من قالوا بقدماء عدة وخالق واحد ، فأشركوا بالله بإثبات قدماء لم تزل وإن قالوا :

= رقم (٦٢١١) ، وابن حبان في صحيحه (٨١/١٤) رقم (٦٢٠٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٥٥/١) رقم (٧٩٨) ، والحميدي في مسنده (٢٥٥/١) رقم (٧٩٨) ، والطبري في جامع البيان بلفظه (٦٧/١٢) .

(١) في (خ) : عن .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن ابن عباس في كتاب ثواب القرآن باب ما جاء في : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة : ١] ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة (١٦٦/٥) رقم (٢٨٩٤) ، والحاكم في مستدركه بألفاظ متقاربة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧٥٤/١) رقم (٢٠٧٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه (٤٩٦/٢) رقم (٢٥١٤) ، وعبد الرزاق في مصنفه بألفاظ مختلفة عن معمر عن رجل (٣٧٢/٣) رقم (٦٠٠٩) ، وعبد الكريم القزويني في التدوين في تاريخ قزوين بألفاظ متقاربة عن ابن عباس (٤١١/٣) .

لا خالق إلا الله ، وهم أصحاب الهيولى [(١)] ، ومنهم المخمسة ، أثبتوا خمسة قدماء لم تزل ، ومنهم من لم يشرك بالله من جهة الخلق والقدم ، [٢٩٧/ب] وأشرك به من جهة العبادة ، فعبد مع الله غير الله ، وإن كان لا يزعم أن قديمًا وخالقًا غير الله ، وهم عبدة الأصنام الذين قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] ، ومنهم من عبد النجوم والشمس والقمر وعيسى وعزيرًا ، فأنزل الله كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على نبيه الذي هو خاتم الأنبياء ورسوله إلى كافة الإنس والجن فحاج فيه طوائفه الكفرة ، من المعطلة الذين لا يقرون بصانع ، والمشركين والجاحدين للبعث ، والمنكرين للرسالة والجنة والنار والوعد والوعيد ، فما حاج الله به المعطلة الجاحدين قوله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الجاثية : ١٢] ، وقوله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١٢] ، وقوله : ﴿ أَفَلَمْ [(٢)] يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ الآية [ق : ٦] ونظائرها ، وقال في الذين أشركوا بالله من جهة الخلق : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، وقوله : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان : ١١] وأمثالها .

وقال في الذين أشركوا بالله من جهة العبادة فعبدوا الأوثان منبهًا لهم : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم [(٣)] مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الزمر : ٣٨] ، وقال [(٤)] : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ [٢٩٨/أ] شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس : ٢٣] ، وقال : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ١٧] ، وقال في تبكيتهم وتقريعهم : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ الآية [الأحقاف : ٥] ، ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً ﴾ [الأحقاف : ٦] ، ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنبياء : ٦٦، ٦٧] ، وقال في الذين جعلوا لله ولدًا من الملائكة وزعموا أنهم

---

(١) في (خ) : الهيولا ا.هـ . والهيولى : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة ، واصطلاحًا : جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية ، التعاريف للمناوي (٧٤٥/١) .

(٢) في (خ) : أولم .

(٣) في الأصل : أرأيتم .

(٤) زيادة من (خ) .

بنات الله ، فقال : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ الآية [الصافات : ١٥٣] ، ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ الآية [النجم : ٢١] .

وقال في اليهود والنصارى - حين قالت اليهود : عزير ابن الله وقالت النصارى : المسيح ابن الله : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾ الآية [الأنبياء : ١٧] ، ﴿ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر : ٤] ، وقال في الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة : ٧٥] ، ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ١٧] ، ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ الآية [المائدة : ٧٢] ، فحاج الله تعالى هؤلاء الجاحدين والمشركين والملحدين في آيات أنزلها الله .

وأكثر ما نزل من القرآن بمكة ، يقال : جميع سور القرآن مائة وأربع [(١)] عشرة سورة ، منها [أربع وعشرون] [(٢)] مدنية والباقي كلها مكيات ، وكل ما نزل من [٢٩٨/ب] القرآن بمكة فعامتها ، وكثير مما نزل بالمدينة فيها إثبات الربوبية لله وتوحيده ونفي الشركاء عنه وإثبات نبوة محمد وإثبات البعث وليس في كثير منها الشرائع وغيرها ، فلو تتبع المتتبع آيات القرآن عسى وجد الثلث من القرآن في إثبات التوحيد ونفي الشركاء والولد عن الله وإثبات الربوبية لله وحده ، وأنه لا إله غيره ولا معبود سواه ، وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، ولم يشرك في حكمه أحدًا ، وأنه ليس كمثله شيء [وهو السميع البصير] [(٣)] ، وإثبات الصفات العلى والأسماء الحسنى له تعالى ، وسورة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] سورة مجردة لهذه الأوصاف التي عددناها ، لا يخالطها شيء من وجوه القرآن من القصص والأمثال والأحكام والوعد والوعيد والناسخ والمنسوخ .

فيجوز أن يكون معنى قول النبي ﷺ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] **تعدل ثلث القرآن** » أي المعنى المضمون في هذه السورة هو المعنى المضمون في ثلث القرآن ، فمن قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن ، يدل على هذا التأويل ما حدثنا حاتم ح يحيى

---

(١) في الأصل : وأربعة .

(٢) في الأصل : أربعة وعشرين .

(٣) زيادة من (خ) .

ح الحِمَّانِيُّ ح يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة الْيَعْمَرِيِّ (١) عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال : [١٠٢٧] « **أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟** » . قَالُوا : نَحْنُ أَعْجَزُ مِنْ ذَلِكَ وَأَضْعَفُ . قَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾** [الإخلاص: ١] **جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ** » (٢) .

قال الشيخ رحمه الله : فجعله جزءًا من ثلاثة أجزاء [٢٩٩/أ] من جميع القرآن ، ومعلوم أن ذلك ليس من جهة عدد الآي والحروف (٣) ، فجاز أن يكون ذلك فيما تضمنه جميع أجزاء القرآن - إن شاء الله تعالى - ، ثم في القرآن نفي الشركاء عن الله تعالى من جهة العبادة معه ، والبراءة عن عبادة مَنْ دون الله ، والتوجه بالعبادة لله وحده ، كما قال تعالى خبرًا عن خليله : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] ، وقال : ﴿ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦] ، وقال : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٨] ، وجميع ما حاج الله تعالى مشركي العرب إنما حاجهم في عبادتهم غير الله مثل قوله : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٤] ، وقال : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢١] ، وأمر الله تعالى بإخلاص العبادة لله تعالى من الرياء وإرادة من سواه فقال : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] ، ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] ، وأمر الله ﷻ بألا يخاف غيره ولا يرجى سواه ، وأخبر أنه لا ضار ولا نافع إلا هو فقال : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ [هود: ٦٣] ، ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٠] ، ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ

---

(١) الْيَعْمَرِيُّ : بفتح الياء المعجمة باثنتين من تحتها ، وسكون العين المهملة ، وفتح الميم ، وفي آخرها الراء المهملة ، وهذه النسبة إلى يعمر ، وهو بطن من كنانة ، الأنساب (٥٣٤/٤) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي الدرداء في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] (٥٥٦/١) رقم (٨١١) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة (١٧٦/٦) رقم (١٠٥٣٧) ، والدارمي في سننه (٥٥٢/٢) رقم (٣٤٣١) ، وأحمد في مسنده (٤٤٣/٦) رقم (٢٧٥٣٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٠٣/٢) رقم (٢٥٣٤) .

(٣) من هامش الأصل .

ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧] .

فلو تتبع متتبع آيات القرآن في ترك عبادة مَنْ [٢٩٩/ب] سوى اللَّه تعالى وخلع الأنداد ونفي الشركاء وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وأنه لا ضار ولا نافع إلا هو وأنه لا عاصم من أمر اللَّه عسى وجد ربع القرآن في هذا المعنى ، فإن أكثر القصص التي قص اللَّه تعالى والمثلات [(١)] التي أوقعها بالأمم الماضية والذين أهلكهم بألوان العذاب إنما كان بسبب شركهم باللَّه وعبادتهم مع اللَّه غير اللَّه والسكون إلى غير اللَّه من حولهم وقوتهم ، كعاد حيث قالوا : ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥] ، ونظرهم إلى العدد والعدة كفرعون ؛ إذ قال : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف: ٥١] ، ونمروذ إذ قال : ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، وممن آمن باللَّه ثم نظر إلى سوى اللَّه كما قال : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [التوبة: ٢٥] ، فكل هذه الأوصاف والآيات التي فيها داخلة في نفي الشركاء عن اللَّه ، والإخلاص بالعبادة للَّه ، وترك الاعتماد على غير اللَّه والإعراض عما سوى اللَّه .

وسورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١] سورة مجردة لما ذكرنا ، فالمعنى المضمون في ربع القرآن من هذه الآيات مضمون في هذه السورة ، فهي تعدل ربع القرآن ؛ لأنها تأتي بمعنى ربع القرآن ، فمن قرأها فكأنما قرأ ربع القرآن من جهة المعنى ، ثم مما حاج اللَّه تعالى بالقرآن مشركي العرب والدهرية في إنكارهم البعث وأنه لا حياة بعد الموت ولا جنة ولا نار في قولهم : ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] ، وقولهم فيما حكى اللَّه عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن [٣٠٠/أ] يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ ﴾ الآية [النحل: ٣٨] ، وفي استبعادهم ذلك وتعجيز اللَّه عنه قال : ﴿ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] ، وقوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١] ، ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الإسراء: ٤٩] ، وقال في إثبات القدرة على إعادتهم : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] .

---

(١) الْمَثلات أو الْمُثلات : جمع الْمَثلَة ، وهي نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالًا يرتدع به غيره ، وذلك كالنكال ، المفردات في غريب القرآن مادة (مثل) ، (ص ٤٦٣) .

وقال فيما أراهم في المشاهدة ما يستدلون به على إعادة الخلق : ﴿ وَنَزَّلْنَا [(١)] مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَحْيَيْنَا [(٢)] بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق : ٩ - ١١] ونظائرها ، حاجهم اللَّه تعالى فيما أنزل من القرآن على الإعادة والبعث ، وعلى التوحيد للَّه ونفي الشركاء عنه ، ثم أوعدهم على إنكار ذلك وعلى شركهم وكفرهم باللَّه ، وعلى إتيان ما نهاهم عنه ، ووعدهم على الإيمان باللَّه ونفي الشركاء عنه والإقرار بالبعث وعلى إتيان ما أمرهم به ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾ الآية [الحج : ٣١] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [الرعد : ٢٩] .

وجميع ما وعد وأوعد ما لو تتبع متتبع آيات القرآن وما أنزل اللَّه في كتابه من صفة البعث والنشور وصفة الساعة وكونها وأسمائها وأهوالها وما فيها من الحساب والميزان والقصاص والعرض والصراط وصفة الجنة والنار والوعد والوعيد عسى وجد [٣٠٠/ب] ذلك نصف آيات القرآن تصريحًا وتعريضًا ، وسورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة : ١] مخصوصة بذكر البعث والساعة إلى قوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ [الزلزلة : ٦] ، ومن قوله : ﴿ لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الزلزلة : ٦] إلى آخرها بذكر الوعد والوعيد ، فعدلت هذه السورة بنصف القرآن ؛ لأنها تضمنت المعنى الذي تضمنه [(٣)] نصف القرآن - إن شاء اللَّه تعالى - ، وليس في القرآن سورة مخصوصة بهذين الوصفين إلا هذه السورة وسورة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة : ١] ؛ لأنها في ذكر صفة القيامة إلى قوله : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة : ٥] ، ثم إلى آخرها وعد ووعيد ليس فيها غيرها ، غير أن سورة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ فيها صفة حال القيامة دون صفة البعث والحياة بعد الموت ، وسورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ فيها صفة البعث والنشور وخروج الناس من قبورهم وصفة حال يوم القيامة ، وكلا هذين أنكرهما المشركون ؛ استبعدوا الإحياء بعد الموت قال اللَّه تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن : ٧] وأنكروا أحوال القيامة وأوصافها فقال : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ [المؤمنون : ٣٦] ، فسورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة : ١] أعم من سورة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ ، فيجوز أن يكون خصوصها

---

(١) في (خ) : وأنزلنا . (٢) في الأصل : فأحيينا .
(٣) في الأصل : تضمنته .

بذلك والله أعلم .

فجملة العبودية في أشياء ثلاثة : في التفريد والتجريد والوعد والوعيد ؛ التفريد لله ، والتجريد عما سوى الله ، والرغبة إليه والرهبة منه والرجوع إليه والمحبة للقائه ، فسورة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] فيها التفريد ، وسورة : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١] فيها التجريد ، وسورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة: ١] فيها الرجوع إلى الله تعالى [٣٠١/أ] والرغبة إليه والرهبة منه .

فيجوز أن يكون معنى الثلث والربع والنصف على ما تضمنتها هذه السور من المعاني ، ولكل آية مما تلوناها نظائر كثيرة ، منها تصريح ومنها تلويح ومنها عبارة ومنها إشارة ، والإشارة والتلويح ينبئان عما تنبئ عنه العبارة والتصريح ، فلا يستبعد جمع هذه الآيات في هذه الصفات على هذه الأنواع أن تبلغ الثلث والربع والنصف إن شاء الله تعالى .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **تعدل ثلث القرآن** » أن جميع ما أنزل الله في القرآن يرجع إلى ثلاثة معانٍ ، **أحدها** : إثبات الإلهية والتوحيد له ونفي الشركاء والولد وأوصاف الحدث عنه . **والثاني** : إثبات نبوة محمد ﷺ . **والثالث** : إثبات المعاد ؛ لأن الخلق إنما اختلفوا والعرب خاصة الذي أنزل الله القرآن عليهم وبلغتهم وحاجهم فيه في هذه الأشياء الثلاثة فقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص: ٥] ، وقالوا في نبوة محمد ﷺ : ﴿ هَلْ [(١)] هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣] ، ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩] ، وقال تعالى فيمن أنكر الصانع والبعث : ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] ، وجميع ما في القرآن من القصص والأمثال وخبر ما كان ويكون وما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد فداخل في هذه المعاني الثلاثة ؛ لأن الأمثال ضربت لهذه المعاني ، قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ الآية [الحج: ٧٣] ، وأمثالها من القرآن كثيرة في استحالة أن يكون ما ادعوه آلهة ، وقال في استحالة [٣٠١/ب] عبادة من دون الله : ﴿ ضَرَبَ [(٢)] ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ الآية [الزمر: ٢٩] ، وقال في إثبات رسالته وتكذيبهم إياه : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٣] فالقصص كلها دالة على وحدانية الله ونفي الشركاء عنه وإثبات الرسالة والمعاد ، قال الله تعالى في قصة نوح : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ

---

(١) في الأصل : ما .

(٢) في الأصل : وضرب .

يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ٥٩] ، وقال في تكذيبهم بالبعث وإنكارهم نبوة نوح : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [المؤمنون : ٢٤] ، وقال في تكذيبهم بالبعث : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾ [سبأ : ٣] وإنما أهلكهم الله بذلك ، وفيها إثبات نبوة محمد ﷺ ؛ لأنه رجل أمي منهم ، نشأ بينهم ، لم يقرأ كتابًا ، ولا سافر فسمع من الناس ، ثم أخبر بأمر القرون الماضية ، فلولا أن الله أخبره وإلا لم يكن يعلم ذلك ، ولذلك ما أخبر بالكائنات التي كانت ، والوعد والوعيد فإنما هو من جهة التصديق والتكذيب ، والأمر والنهي إنما يلزم بإثبات الرسالة ، فدل أن معاني القرآن كله ترجع إلى هذه الثلاثة المعاني ، و ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] أحد هذه المعاني ، فهو ثلث القرآن ؛ لأن فيه أحد المعاني الثلاثة التي في القرآن كله ، ليس فيه من المعنيين الآخرين شيء .

فيجوز أن يكون ثلث القرآن من جهة المعنى لا من جهة النظم ، يدل على ذلك ما حدثنا محمد بن أحمد القاضي ح أحمد بن نصر الخفاف ح نصر بن علي ح بشر بن المفضل [(١)] ح شعبة عن أبي قيس قال : سمعت عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ﷺ [٣٠٢/أ] عن النبي ﷺ قال : [١٠٢٨] « ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] **ثُلُثُ الْقُرْآنِ** » [(٢)] .

قال الشيخ ﷺ : ثم المشركون صنفان : صنف عَبَدَ ما أثبت من الشريك لله ؛ وهم عبدة الأوثان والشمس والقمر والنجوم [(٣)] والملائكة ، وصنف لم يتوجه بالعبادة إلا إلى الله وحده دون ما أثبت من الشركاء في القدم معه أو الخلق ؛ فإن الفلاسفة الذين أشركوا من جهة إثبات قدماء معه لم يتوجهوا بالعبادة إلى الهيولى والعقل والنفس ، وإنما توجهوا بعبادة الله وحده ، وكذلك الذين قالوا بالنور والظلمة عبدوا النور [(٤)] – وهو

---

(١) في هامش الأصل : الفضل .

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بلفظه عن أبي أيوب في كتاب الوتر باب الفضل في قراءة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] ، (٣٤٢/١) رقم (١٠٦٨) ، وأحمد في مسنده (٤١٨/٥) رقم (٢٣٥٩٣) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده عن أبي مسعود (٨٦/١) رقم (٦١٧) ، وابن عدي في الكامل (٣٣٤/٥) رقم (١٤٨٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي أيوب (١٦٦/٤) رقم (٤٠٢٥) ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود (١٦٠/١٠) رقم (١٠٣١٨) .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : والظلمة .

الله عندهم - ولم يعبدوا الظلمة ، والمجوس الذين قالوا بخالقين لم يعبدوا إلا يزدان وهو الله عندهم ، ولم يعبدوا آهرمن الذي هو إبليس خالق الشر عندهم ، ثم أوجب الله البراءة من عبادة من دون الله كما أوجب البراءة من الشرك بالله .

وسورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون : ١] فيها البراءة من عبادة من دون الله ، ليس فيها غيره ، فهو أحدُ نِصْفَي الشركِ بالله ، وإنما كان البراءة من عبادة من دون الله معنى ربع القرآن ؛ لأن المعاني الثلاثة التي ذكرناها ترجع إلى نوعين : العقل والسمع ، فإثبات الربوبية والصانع للعالم وأنه واحد لا يجوز أكثر من واحد وأنه لا يلزمه أوصاف الحدث فذلك (١) كله من باب العقل وموجبه ، قال الله تعالى في إثبات الصانع : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ ﴾ [فصلت : ١٥] ، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾ [الروم : ٨] ، وقال في استحالة أن يكون له شريك : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، وقال في نفي أوصاف الحدث عنه واستحالة ذلك [٣٠٢/ب] : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] ، وأما إثبات النبوة والرسالة وإثبات المعاد فهو من باب السمع ؛ لأن العقل لا يوجبها ؛ لأنه كان جائزًا في العقل أن يخلق الله الخلق ثم يفنيهم فلا يبعثهم ، وإنما وجب الإيمان به من جهة السمع لما أخبر الله بقوله : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] ، وقال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم : ٤٠] فآمنا به وصدقنا وأقررنا بالبعث بعد الموت والجنة والنار ، فكما جاز أن كان الله ولا شيء معه كان يجوز أن يفنيهم فلا يكون معه شيء ، وكذلك الرسول لو لم يرسل الله رسولًا ولم يبعث نبيًّا لم يكن ذلك واجبًا في العقل ، ألا ترى أنه تعالى خلق عوالم كثيرة فلم يبعث إلى واحد منها رسولًا غير الثقلين ، فلو لم يبعث إليهما رسولًا لم يكن ذلك ممتنعًا ، ولكنه أرسل رسولًا وأمر ونهى ودل على صدق الرسل بالآيات الدالة على صدقهم ، وأن الله أرسلهم فأخبروا عن الله بأنه يعيدهم بعد الموت وأنه يثيبهم ويعاقبهم ؛ وبإتيانهم وجب قبول الأمر والنهي ، وعلى الأمر والنهي وجب الوعد والوعيد ؛ فصح بذلك أن وجوب البعث والمعاد والوعد والوعيد وإرسال الرسل والأمر والنهي من باب السمع ، فلما كان جميع العبودية والإيمان إنما كان [نوعين عقليًّا وسمعيًّا] (٢) ، والبعث والمعاد والثواب والعقاب

---

(١) في (خ) : فكذلك .

(٢) في الأصل : نوعان عقلي وسمعي ا.هـ . وهو خطأ نحوي .

من باب السمع ولا يعرف ذلك إلا بالرسل ، كانت السورة المذكورة [٣٠٣/أ] فيها هذه الأشياء وهي سورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة: ١] ، تصف ما جاء القرآن به ؛ لأنه جاء بنوعين : عقلي وسمعي ، وهذه السورة أفردت بذكر السمعي من الأمر ، ليس فيها مما يوجبه العقل شيء ، فصارت من هذه الجهة تعدل نصف القرآن ، والله أعلم .

ووجه تخصيصها من سورة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ أن سورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ فيها ذكر البعث والحياة الثانية التي هي حياة الأبد ، وفيها ذكر الدار الآخرة ، وسورة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ ليس فيها أمر البعث والحياة الثانية وفيها ذكر الدار الآخرة وذكر القيامة ، وكان الناس مختلفين في أمر البعث ، فمنهم من أقر بالدار الآخرة وأن وراء هذه الدار دار ، وينكرون مع ذلك البعث بعد الموت وأن الله تعالى يحيي هذه [1] الخلق بعد موتهم ، وهم أكثر الفلاسفة والثنوية ، فإنهم قالوا بأن هذا العالم الذي هو العالم السفلي وهو ما دون الفلك عالم المزاج ، والعالم العلوي الذي هو الفلك وما فوقه عند بعضهم فإنه عالم البسائط ، وعند الثنوية عالم الخلوص وهو النور الخالص والظلمة الخالصة ، والبسائط وهي الحر الصرف والبرد الصرف ، وكذلك اليبس والبله ، وكذلك العقل والنفس هما عندهم في العالم العلوي بالكل وفي هذا العالم بالجزء ، فإذا مات الحيوان انحلت هذه التركيبات ورجع كل جزء إلى كله .

وعند الثنوية : إن النور يرجع إلى أصله والظلمة إلى أصلها ، ويتخلص النور من الظلمة ، فهؤلاء أقروا بالبعث والقيامة من هذه [٣٠٣/ب] الجهة ، وبذلك قالت الباطنية والقرامطة ، وأنكروا أن الله تعالى يحيي هذا الخلق فيعيدهم مرة أخرى كما كانوا في الأولى .

وقالت طائفة ممن يقول بالتناسخ : أن معنى المعاد والدار الآخرة والبعث هو أن يخلق الله عالمًا جديدًا لم يكونوا قط فيدخل هذه الأرواح فيها ، لا أن يكون يحيي الله هؤلاء الذين ماتوا وصاروا ترابًا وتفرقت أجزاؤهم ولكنهم خلق جديد ، ثم تتناسخ الأرواح في الأبدان المختلفة أبد الآبدين ، وطائفة من العرب كانوا يقولون بالبعث وينكرون الثواب والعقاب من الجهة التي يقولها المسلمون ، فكانوا يقولون : إن من ربطت عند قبره بعد موته ناقة حتى تموت حشر عليها ، ومن لم يفعل به ذلك حشر ماشيًا .

قال خزيمة بن أشيم الفقعسي وهو يوصي ابنه سعدًا :

---

(١) في (خ) : هذا .

يا سعد إما أهلكن فإنني أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب
لا تتركن أباك يعثر خلفهم تعبًا يخر على اليدين وينكب
واحمل أباك على بعير صالح وتقى [١] الخطيئة إنه هو أصوب
ولعل لي مما تركت مطية في الهام أركبها إذا قيل اركبوا

قال : وكانوا يربطونها معكوسة الرأس إلى مؤخرها مما يلي ظهرها فيتركونها حتى تموت .

وطائفة منهم كانوا يقولون بالبعث على جهة التخمين والظن لا على التحقيق ، وهم الذين قال اللَّه تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ [٣٠٤/أ] وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ [الجاثية : ٣٢] ، فلما كانوا كذلك حاجهم اللَّه وأوجب الإيمان بالأمرين جميعًا ، بالإحياء بعد الموت والإعادة لهذه الأبدان ، والثواب والعقاب والجنة والنار والقيامة وأوصافها .

فسورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة : ١] جمعت بين هذين المعنيين من أمر الإحياء لهذه الأبدان وصفة القيامة والكائن فيها ، فكان فيها المعنى الذي لم يكن في سورة ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة : ١] ، فلذلك خصت سورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ بتعديل نصف القرآن إن شاء اللَّه تعالى .

ويجوز أن يكون المعنى في قوله : « **تعدل نصف القرآن** » وثلثه وربعه ، أي في الثواب على قراءتها ، فيكون ثواب من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] كثواب من قرأ ثلث القران ، وكذلك القول في السورتين ؛ وذلك أن الثواب على الأعمال ليس من جهة الاستحقاق ولكن من جهة الفضل ، ولله تعالى أن يتفضَّل على من يشاء بما يشاء كما يشاء ، كثر العمل أو قل ، ألا ترى إلى ثواب هذه الأمة على قليل أعمالها وخفتها على النفوس وقصر أعمارها أكثر من ثواب سائر الأمم على كثرة أعمالها وثقلها على النفوس وطول أعمارها ؟!

حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد [٢] ح أبو ثابت ح إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب أن سالم بن عبد اللَّه أخبره أن عبد اللَّه بن عمر ﷺ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ

(١) في (خ) : تق . وفي هامش (خ) : وتقي أي الحال أنه تقي عن الخطيئة يحتمل أنه جر في معنى الأمر .
(٢) زاد في (خ) بعدها : ابن إبراهيم .

يقول : [١٠٢٩] « **إِنَّمَا بَقَاؤُكُم فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أُوتِيَ** [١] **أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا** [٣٠٤/ب] **قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيراطًا قِيراطًا ، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ** [٢] : **أَيْ رَبَّنَا أَعْطَيْتَ هَؤُلاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا مِنْهُم ، قَالَ اللَّهُ تَعَالى : هَلْ ظَلَمْتُكُم مِنْ أَجْرِكُم مِنْ شَيْءٍ ؟! » قَالُوا : لا . فَقَالَ : فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ** » [٣] .

فإذا جاز أن يثيب اللَّه من عبد اللَّه في أوقات معدودة في مدة خمسين سنة أو دونها على سماحة وسهولة أكثر مما يثيب من عبد اللَّه في أكثر الأوقات في مدة مائة سنة وخمسمائة سنة وأكثر على شدة وغلظة ، جاز أن يثيب من قرأ إحدى هذه السور مثل ما يثيب من قرأ نصف القرآن وثلثه وربعه .

ويجوز فيه معنى آخر ، وهو أن اللَّه تعالى يتفضل بإيجاب ثواب من عمل للَّه بقدر ما شاء ، فيجوز أن يعطي من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] مثلما وعد من قرأ ثلث القرآن ، ويعطي اللَّه من قرأ ثلث القرآن ما وعده ويزيده من فضله ، فقد قال اللَّه ﷻ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ١٧٣] ، فهو تعالى يوفي من قرأ ثلث القرآن أجره الذي وعده ، والذي قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] يوفيه أجره ، وأجره الذي وعده مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، فيستويان في الثواب الموعود وقدره ، ويزيد اللَّه الذي قرأ ثلث القرآن من فضله ، فيكون أكثر ثوابًا من الذي قرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] ، كما أنه يعطي [٣٠٥/أ] المجانين والأطفال فيدخلهم الجنة فضلًا [٤] ، ويعطيهم من الدرجات فيها كما يدخل المكلفين المطيعين له ، ويعطيهم الدرجات فيها ، ويزيد المكلفين من الثواب على أعمالهم ما يفوق على ما أعطى الأطفال والمجانين ، فيستويان في دخول الجنة ونعيمها ،

---

(١) في (خ) : وأوتي .
(٢) في (خ) : الكتاب .
(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن ابن عمر في كتاب مواقيت الصلاة باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (٢٠٤/١) رقم (٥٣٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (١٢١/٢) رقم (٦٠٢٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١١٨/٦) رقم (١١٤٢٥) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده عن نافع (٢٥٠/١) رقم (١٨٢٠) ، وأبو يعلى في مسنده عن ابن عمر (٣٤٣/٩) رقم (٥٤٥٤) .
(٤) زاد في (خ) بعدها : ويد .

ويتباينان في الزيادة التي يعطيها أحدهما ، ولله الأمر والخلق ، وهو المتفضل على عباده المؤمنين ، وله المن والفضل ، ولله الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقه ، والصلاة على رسوله ، والله أعلم .



١٨٨ باب في ترتيب الأئمة

حديث آخر : [١٠٣٠] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو بكر [١] محمد بن سليمان بن الحارث الْبَاغَنْدِيُّ ح حفص [٢] بن عمر الأُبُلِيّ [٣] ح أبو المقدام وابن أبي ذئب قالا : ح الزُّهْرِيُّ عن عمرو بن الزبير عن عائشة وأبي هريرة ﵄ أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول : « **يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُم لِكِتَابِ اللَّهِ تعالى ، فَإِنْ كَانُوا في الْقِرَاءةِ سَوَاءً فَأَفْقَهُهُم في دِينِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانُوا في الْفِقْهِ سَوَاءً فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا ، فَإِنْ كَانُوا في السِّنِّ سَوَاءً فَأَصْبَحُهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ وَجْهًا ، فَإِنْ كَانُوا في الصَّبَاحَةِ وَالْحُسْنِ سَوَاءً - أَحْسَبُهُ قَالَ** [٤] **- : فَأَكْبَرُهُمْ حُسْنًا** » [٥] .

قال الشيخ ﵀ : رتب النبي ﵇ الأئمة على هذا الترتيب وقدم الأولى ؛ فالأولى ، وذلك أن الإمامة خلافة النبي ﵇ إذ هو ﵇ إمام الناس كلهم يوم القيامة قال ﵇ : [١٠٣١] « **آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحتَ لِوَائِي [وَلا فَخْرَ]** » [٦] [٧] وقال : [١٠٣٢] « **أَنَا إِمَامُ**

---

(١) زاد في (خ) بعدها : ابن .

(٢) في (خ) : جعفر . وفي هامش (خ) : حفص .

(٣) الأُبُلِيُّ : هذه النسبة إلى الأُبُلَّة ، بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، الأنساب (١/٥٥) .

(٤) زاد في (خ) بعدها : سواء .

(٥) الحديث ذكره الشوكاني في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة مختصرًا (٢/٢١) ، وذكره بألفاظ مختلفة أبو الحسن الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢/١٠٣) ، وذكره بلفظه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤/١٩٩٠) ، والحديث في إسناده حفص ابن عمر الأبلي ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال : قال ابن عدي : أحاديثه كلها إما منكرة المتن أو السند ، وهو إلى الضعف أقرب . وقال أبو حاتم : كان شيخًا كذابًا (٢/٣٢٤) رقم (٢١٣٥) .

(٦) سقط من (خ) .

(٧) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل ، وقال : حسن صحيح (٥/٣٠٨) رقم (٣١٤٨) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن =

النَّاسِ [يَوْمَ القِيَامَةِ] (١) » (٢) وكذلك كان إمامهم في وفادتهم على اللّه في الدنيا عند صلواتهم [٣٠٥/ب] ، فهي - أعني الإمامة بعده - في الأقرب والأقرب إليه منزلة ، والأمثل فالأمثل به مرتبة ، وأجل مراتب العباد وأعلى منازلهم المعرفة للّه .

والخلق في ذلك صنفان : عارف في ذات اللّه ، وعارف بصفات اللّه ، فالمعرفة في ذات اللّه مقام الرسل والأنبياء وأفاضل الصديقين والأولياء ، وسيدهم في ذلك رسول اللّه ، بذلك سادهم فقال : [١٠٣٣] « **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ ولا فَخْرَ** » (٣) ، قال اللّه تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، وقال ﷺ : [١٠٣٤] « **أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللّهِ** » (٤) .

والمعرفة بصفاته مقام خواص المؤمنين وعلية المسلمين ، فالمعرفة في ذات اللّه توجب الهيبة والإجلال والتعظيم ، فيسقط عن السر إجلال ما سواه وتعظيم غيره ، فيكون العبد به وله ولا يؤثر الكون فيه ، ولا يعظم شيء عنده ، ولا ينظر إلى محدث ، ولا يلتفت إلى مخلوق ، ألا ترى كيف وصف اللّه رسوله فقال : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] .

والمعرفة بصفات اللّه توجب السكون إلى اللّه ، والخوف من اللّه ، والتوكل على اللّه ، وسائر المقامات التي لعباد اللّه ، على قدر تجلي الصفات على أسرارهم ، قال ﷺ : [١٠٣٥] « **اعْبُـدِ اللّهَ كَأَنَّكَ تَرَاه** » (٥) هذا مقام المعرفة في ذات اللّه ، « **فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » هذا مقام المعرفة بصفات اللّه ، وغير هذا المكان أولى بشرح ذلك لك (٦) (ن) .

= أبي نضرة (٢٨١/١) رقم (٢٥٤٦) ، وأبو يعلى في مسنده بلفظه (٢١٤/٤) رقم (٢٣٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨١/٢) رقم (١٤٨٨) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٨٧/٣) رقم (٨٤٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى وأحمد وفيه علي بن زيد وقد وثق على ضعفه وبقية رجالهما رجال الصحيح (٣٧٣/١٠) .

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظ : « إذا كان يوم القيامة كنت إمام الناس وخطيبهم » عن أبي بن كعب في كتاب المناقب باب في فضل النبي ﷺ ، وقال : حسن (٥٨٦/٥) رقم (٣٦١٣) ، وأحمد في مسنده (١٣٧/٥) رقم (٢١٢٨٣) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٦٦/٢) رقم (٧٨٧) ، وابن عدي في الكامل (١٢٩/٤ ، ٩٦٩) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٥٧/ب) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٥٠/أ) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٣/ب) .

(٦) سقط من (خ) .

ثم القرآن كلام الله ، وكلام الله صفته في نفسه ، لم يزل تعالى موصوفًا به ، فالأخص بكلام الله بعد مشاهدات السر ومقامات القلوب أقرؤهم له ، وأقرؤهم له أقربهم من رسول الله ؛ لقوله ﷺ : [١٠٣٦] « **مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا** [٣٠٦/أ] **أُدْرِجَت النُّبُوَّةُ بَين جَنْبَيْهِ إلا أَنَّهُ لا يُوحَى إِلَيْهِ** » (١) فأخبر أنه ليس بينه وبين النبوة إلا الوحي ، فهو أولى بخلافة رسول الله في الوفادة على الله ﷻ ؛ لأنه أقرب الناس إليه حالًا وصفة .

ثم الفقه في دين الله صناعة رسول الله ، وهو الموروث عنه ؛ إذ العلماء ورثة الأنبياء ، والعلماء بالإطلاق هم الفقهاء ، والعلماء بسائر العلوم علماء على التقييد إلى علمهم ، والوارث يرث من المورث المال لا الحال ، فمقام القارئ مقام الوصي من الميت ، ومقام الفقيه مقام الوارث ، فالوصي يقوم مقام الميت نفسه دون الوارث ؛ لذلك قدم النبي ﷺ القارئ على الفقيه إن شاء الله تعالى ، فإذا استويا في القراءة وأحدهما أفقه فهو أولى ؛ لأن مقامه مقام الوصي من الوارث ، فإن استوى القوم في الفقه فأكبرهم سنًا ؛ لأنه أكثر متابعة للنبي ﷺ ، وأكثر خدمة لله ، وأتم عقلًا ، وأتم الخلق عقلًا النبي ﷺ .

حدثنا محمد بن موسى بن علي ح الحارث بن أبي أسامة ح داود بن المحبر عن عباد ابن كثير عن أبي إدريس عن وهب بن منبه أنه قال : [١٠٣٧] « قَرَأْتُ أَحَدًا وَسَبْعِينَ كِتَابًا فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنْيَا إِلى انْقِضَائِهَا مِنَ العَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِ مُحَمَّدٍ ﷺ إلا كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ رِمَالِ الدُّنْيَا وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وَأَفْضَلُهُم رَأْيًا » (٢) .

فالأتم عقلًا أقرب إلى النبي ﷺ ، فهو أولى بمقامه ، فإن استووا في السن فأصبحهم وأحسنهم وجهًا ؛ لأن رسول الله ﷺ كان أحسن أمته وجهًا ، لم يكن في عصره ولا بعده أحسن وجهًا منه [٣٠٦/ب] .

وحدثنا أبو محمد بكر بن مسعود ح أبو سليمان محمد بن منصور ح محمد (٣) بن

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧٣٨/١) رقم (٢٠٢٨) ، وابن المبارك في الزهد (٢٧٥/١) رقم (٧٩٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢٠/٦) رقم (٢٩٩٥٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢٢/٢) رقم (٢٥٩٠) .

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ متقاربة عن وهب بن منبه (٢٦/٤) .

(٣) في (خ) : يحيى . وفي هامش (خ) : محمد .

كثير ح شعبة عن ابن [(١)] إسحاق عن البراء قال : ذكر النبي ﷺ ، فقال : [١٠٣٨] « كَانَ مَرْبُوعًا [(٢)] ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، كَانَ شَعْرُهُ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ [(٣)] ، وَلَقَدْ رَأَيْتُه في حُلَّةٍ [(٤)] حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ » [(٥)] .

وحدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب الحَارِثِيُّ رحمه الله ح أحمد بن علي بن سليمان الْمَرْوَزِيُّ وشعيب بن الليث الْكَاغَذِيُّ [(٦)] ومحمد بن بكر التَّمِيمِيُّ قالوا : حدثنا إبراهيم ابن منذر الْحِزَامِيُّ قال : ح عبد العزيز بن أبي ثابت حدثني إسماعيل بن إبراهيم ابن أخي موسى بن [(٧)] عقبة عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : [١٠٣٩] « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رَأَيْتَ كَالنُّورِ بَيْنَ ثَنَايَاهُ » [(٨)] .

وقال علي رضي الله عنه حين نعته فقال في آخر نعته : [١٠٤٠] « يَقُولُ نَاعِتُهُ : لم أَرَ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ مِثْلَهُ » [(٩)] ، فأحسن الناس وجهًا أقربهم منه حلية وصورة وأشبههم به خلقًا ، فهو أولاهم بمقامه ، وقد يكون حُسن الوجه والصباحة من جهة البشر وطلاقة الوجه

---

(١) في (خ) : أبي .

(٢) مربوعًا : أي لا قصيرًا ولا طويلًا ، لسان العرب مادة (ربع) .

(٣) في (خ) : أذنيه .

(٤) الحُلَّةُ : إزار ورداء ، ولا تسمى حُلة حتى تكون ثوبين ، مختارالصحاح مادة (حلل) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن البراء في كتاب الفضائل باب صفة النبي ﷺ (١٣٠٣/٣) رقم (٣٣٥٨) ، ومسلم في صحيحه في نفس الكتاب والباب (١٨١٨/٤) رقم (٢٣٣٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب باب اتخاذ الشعر (٤١٢/٥) رقم (٩٣٢٦) ، وأحمد في مسنده (٢٨١/٤) رقم (١٨٤٩٦) ، وابن حبان في صحيحه (١٩٥/١٤) رقم (٦٢٨٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٢/٣) رقم (١٧١٤) ، والروياني في مسنده (٢٢٨/١) رقم (٣٢٠) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٩٨/١) رقم (٧٢١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٨/٥) رقم (٦٤٧٢) .

(٦) الْكَاغَذِيُّ : بفتح الغين ، وكسر الذال المعجمتين ، هذه النسبة إلى عمل الكاغَد الذي يكتب عليه وبيعه ، وهو لا يعمل في المشرق إلا بسمرقند ، الأنساب (١١٦/٤) .

(٧) زاد في (خ) بعدها : أبي .

(٨) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بألفاظ متقاربة عن ابن عباس (٤٤/١) رقم (٥٨) ، والطبراني في الأوسط (٢٣٥/١) رقم (٧٦٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف (٢٧٩/٨) ، وعبد العزيز بن أبي ثابت من رجال إسناد المصنف .

(٩) الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى بلفظه عن علي (٤١٢/١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظه مع اختلاف الترتيب (٣٢٨/٦) رقم (٣١٨٠٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه (١٥٠/٢) رقم (١٤١٥) .

وبسطه لا من جهة الصورة ، ومن كان طلق الوجه مستبشرًا منبسطًا تأنس به النفوس وتقرب منه الطباع فإنه دليل على حسن خلقه .

حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل ح موسى بن جعفر ح عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن ابن أبي حسين عن عبيد (1) بن عمير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام قال : [١٠٤١] « **أَقْرَبُكم مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا** [٣٠٧/أ] **الْمُوَطَّؤونَ أَكْنَافًا** (2) **الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ** » (3) .

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يوسف ح إدريس بن جعفر العطار أبو محمد ح أبو بدر هو شجاع بن الوليد ح محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [١٠٤٢] « **إِنَّ أَكْمَلَ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَنَا أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا لأَهْلِي** » (4) .

فأخبر عليه السلام أن أحسنهم خلقًا أقربهم منه وأحبهم إليه وأكملهم إيمانًا ، فمن كان أقرب مجلسًا منه وأشبه خلقًا به فهو أولى بمقامه . « وإن كانوا في الصباحة وحسن الوجه سواء فأكبرهم حسبًا » كان النبي عليه السلام أكبر الناس حسبًا .

حدثنا حاتم ح يحيى ح يحيى الحِمَّانيُّ ح قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [١٠٤٣] « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالى قَسَّمَ الخَلْقَ قِسْمَيْنِ فَجَعَلَنِي في خَيْرِهِمَا قِسْمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى** : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٢٧] ، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الواقعة : ٤١] **فَأَنَا مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ ، وَأَنَا خَيْرُ أَصْحَابِ اليَمِينِ ، ثُمَّ جَعَلَ القِسْمَيْنِ أَثْلاثًا فَجَعَلَنِي في خَيْرِهَا ثُلُثًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى** : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة : ٨] ،

---

(١) في (خ) : عبيد الله .

(٢) الموطؤون أكنافًا : من التَوْطِئة وهي التَّمْهيد والتَّذْليل ، وفِرَاشٌ وَطِيء لا يُؤْذي جَنْبَ النَّائِم ، والأَكْنافُ : الجَوانِب أرادَ الذين جوانِبُهم وَطِيئَةٌ يتمكن فيها من يُصاحِبُهم ولا يَتَأذى ، النهاية مادة (وطأ) ، (٢٠٠/٥) .

(٣) الحديث أخرجه البزار في مسنده بنحوه عن عبد الله (١٣٥/٥) رقم (١٧٢٣) ، وابن عدي في الكامل عن أبي هريرة (٦٣/٤) رقم (٩١٢) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة عن جابر بن عبد الله (٤٤٣/١) رقم (٤٥٦) ، وعبد الكريم القزويني في التدوين في أخبار قزوين عن أبي هريرة (١١٧/٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري (٢٣٢/٦) رقم (٧٩٨٣) ، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة (٣٥٠/٧) رقم (٧٦٩٧) ، وفي الصغير عن أبي سعيد الخدري (١٦٢/١) رقم (٦٠٥) ، وإسناد الحديث ضعيف ، فيه موسى بن جعفر ، مجهول .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٢٦/أ) .

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ [الواقعة : ٩] ، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] **فَأَنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ ، [فَأَنَا مِنَ السَّابِقِينَ]** (١) **ثُمَّ جَعَلَ الأَثْلاثَ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا قَبِيلَةً ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :** ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] **فَأَنَا أَتْقَى وَلَدِ آدَمَ وَأَكْرَمُهُم عَلَى اللَّهِ ولا فَخْرَ ، ثُمَّ جَعَلَ الْقَبَائِلَ بُيُوتًا فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا بَيْتًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :** ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] » (٢) .

فأخبر ﷺ أنه أكبر الناس حسبًا ، فمن كان أكبر الناس حسبًا فإنه أقرب منه شرفًا ، والأقرب [٣٠٧/ب] منه أولى بمقامه .

وأخرى : أن الحسيب من الناس أعف الناس طعمة وأطهرهم عما يشينهم من الرذائل وأكثرهم مناقب وفضائل ، [١٠٤٤] « كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - أَنْ أَشِرْ عَلَيَّ بِأَقْوَامٍ أَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَهْلَ الآخِرَةِ لا يُرِيدُونَكَ ، وَأَصْحَابُ الدُّنْيَا لا تُرِيدُهُمْ ، فَعَلَيْكَ بِذَوِي الأَحْسَابِ ، فَإِنَّهُمْ لا يُدَنِّسُونَ أَحْسَابَهُمْ بِالْخِيَانَاتِ » .

فمن كان أبعد من الرذائل وأجمع للفضائل وأنزه من أعراض الدنيا وأعف عن أموالهم فهو أولى بالإمامة التي هي مقام الشفاعة والزعامة ، والنبي ﷺ ذكر هذه الخصال وجعل أربابها أولى الناس بمقامه الذي هو مقام الوفادة على اللَّه والشفاعة إلى اللَّه والزعامة بين عباد اللَّه ، ورتبهم هذه المراتب مع استوائهم في هذه الأوصاف ، فقدم الزائد عليهم في إحدى هذه الخصال ، فإن وجد من جمع هذه الخصال - وهو جد عزيز - فهو أفضل أهل زمانه ، فهذا أولى بالخلافة [على الأمة] (٣) ، فكيف بالإمامة للقبيلة .

ومن جمع منها خصلتين فهو أولى وأحق بالإمامة ، فإن كان في قبيلة أو محلة قارئ ليس في عداد الفقهاء فقيهًا (٤) ، وفقيه ليس في عداد القراء فالأولى منهما بالإمامة القارئ ، وذلك أن صلاة المأمومين منوطة بصلاة الإمام ، وكل فساد يدخل في صلاة الإمام فإنه داخل في صلاة المأمومين ، فعلى المأمومين أن يحتاطوا لأنفسهم في تحصين [٣٠٨/أ] صلاتهم من الفساد الداخل عليها ، والفساد الذي يدخل في الصلاة من جهة القراءة أكثر من الذي يدخل من جهة الشرائط .

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٩٩/ب) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) في الأصل : فقيه . والكلمة سقط من (خ) .

وليس الأقرأ هو الأحفظ لنظم القرآن وسرعة المرور فيه ، بل الأقرأ هو الأعرف بوجوه القراءات [(١)] ، من تقويم الحروف وحسن مخارجها وإيفاء كل حرف حقه ، فيخرج كل حرف من مخرجه ، فإن الحروف إذا لم توف حقها فمنها ما يتغير من حدها فيصير حرفًا آخر ، كالطاء إذا لم يخرج من مخرجه ويدلغ [(٢)] فيه فيصير قافًا ، وإذا قصر فيه يصير ضادًا [(٣)] ، والضاد يصير ظاء عند المبالغة أو ذالًا عند التقصير ، والغين يصير خاء إذا لم يوف حقها ، والصاد يصير سينًا إذا همس فيه .

ومن الحروف حروف إن لم توف حقها ولم تخرج من مخارجها خرج عن اللغة العربية مثل الباء ، إذا عدل فيه عن اللين والرخاوة إلى الصلابة والخشونة لم يكن من كلام العرب ، وكذلك الجيم والكاف إذا قصر في صلابته وخشونته وعدل إلى الرخاوة واللين لم تكن عربية ، فالقرآن عربي ، فما خرج عن اللغة العربية في غير معنى فهو من كلام الناس ، وكلام الناس يفسد الصلاة عند أكثر الفقهاء ، خطأً كان فيه أو نسيانًا ، ثم اللحن الذي يغيِّر المعنى يفسد الصلاة عند أكثر الفقهاء ، واستلاب بعض الحروف واختلاسها ربما يغيِّر المعنى ، وهذه العلل كثيرًا ما تعرض لمن لم يخدم القراء ولم يتلقن الحروف منهم ولم يقرأ عليهم ، فالضعيف في معرفة هذه الأشياء وإن حفظ نظم القرآن فهذّه هذًّا ومر فيه حتى لا يقف عسى في شيء منه [٣٠٨/ب] ربما فسدت عليه صلاته من حيث لا يشعر ، وقد يلحق عدة من هذه العلل المفسدة للصلاة في قراءة سورة واحدة ، وعسى في آية واحدة ، ومن لم يُعْن بالقرآن ولم يخدم القراء ولم يقرأ عليهم ولم يستمع لقراءتهم وأغفل هذا النوع من العلم وإن كان فقيهًا عارفًا بالأحكام فإنه لا يكاد يتحرز من الفساد الذي يدخل عليه ، وفي فساد صلاته فساد صلاة المأمومين ، ومن عُني بعلم القرآن وخدم القراء وأخذ منهم وتأدب بأدبهم لم يكد يغفل عن شرائط الصلاة وما يفسدها من جهة أعمالها والطهارة لها ، فإن شرائط الصلاة التي لا تكمل الصلاة إلا بها قلما يغفلها أوساط المسلمين ، فكيف بمن خدم القراء وترقى إلى معرفة علم القراءة وآدابها ؟! وإن نابته نائبة بخلاف المعهود الذي لا يهتدي إلى فساد الصلاة وصلاحها وأشكل عليه استأنف الصلاة ، وتبعد صفة الجهل بظاهر أعمال الصلاة ممن

---

(١) في هامش الأصل : القراءة .

(٢) كذا ولم أقف عليها ، ولعلها « ويلدغ » . (مختار الصحاح مادة (حرف) .

(٣) في (خ) : تاء ا.هـ . وهو الصواب .

خدم القراء وترقى إلى معرفة القراءة [١] ، ولا تبعد أفعال [٢] ما يفسد الصلاة من اللحن والبخس بالحروف ممن لم يعن بالقرآن وإن عني بمعرفة علم الأحكام .

وإن دخل في الصلاة نقصان من جهة غفلة أو نسيان في أعمالها فإن أكثرها ينجبر بسجدتي السهو ، ومنها ما يتدارك قبل الخروج منها ، وما دخل من جهة الأذكار غفلة كان أو نسيانًا من لحن يغير المعنى أو أداء حروف أو كلمة على غير وجهها فإنه لا يجبرها شيء ولا تتدارك إلا باستئناف الصلاة ، فالفساد الذي يدخلها [٣٠٩/أ] من جهة الأذكار أدق ، والبلوى فيه أكثر وأعم ، والعلم به أعز من الفساد الذي يدخلها من جهة الأفعال ، فلذلك كان الأقرأ للقرآن أولى بالإمامة من الأفقه في الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأخرى : أن الفقيه أهدى إلى مواضع التحرز من العوارض التي تعرض في الصلاة مما يفسدها مما يجوز وقوعه في الفرط والأحيان وربما لا يعرض ، والقارئ أهدى إلى مواضع التحرز [٣] من التي لا تكاد الصلاة تنفك منها وهي القراءة التي لا صلاة إلا بها ، فالتحرز من الآفة [٤] التي لا يكاد يسلم منها كثير من الناس أولى من التحرز من الآفة التي لا يكاد يبتلى بها إلا الشاذ الفريد ، والله أعلم .



١٨٩ باب في حفظ القرآن

حديث آخر : [١٠٤٥] حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسين [٥] بن علي ح إبراهيم ابن عبد الله أبو مسلم الْكَجِّيُّ ح يحيى بن كثير النَّاجِيُّ [٦] ح عبد الله بن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ [٧] مَا مَسَّتْهُ النَّارُ** » [٨] .

---

(١) في (خ) : القراءات .
(٢) في (خ) : إغفال .
(٣) من هامش الأصل .
(٤) سقط من (خ) .
(٥) في هامش الأصل وفي (خ) : الحسن .
(٦) النَّاجِيُّ : بالنون المشددة ، والجيم بعد الألف ، هذه النسبة إلى بني ناجية ، الأنساب (٣٩٢/٤) .
(٧) الإهاب : هو الجلد ، وقيل : إنما يقال للجلد : إهاب قبل الدبغ فأما بعده فلا ، النهاية مادة (أهب) ، (٨٣/١) .
(٨) الحديث أخرجه الدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن عقبة بن عامر (٥٢٢/٢) رقم (٣٣١٠) ، وابن عدي في الكامل بلفظه عن سهل مرفوعًا (٢٩٥/٥) رقم (١٤٣٥) ، وعن عقبة بن عامر (٤٦٩/٦) رقم =

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معناه أن كلام الله تعالى الذي هو القرآن ليس مما يحل في الأماكن والأجسام ، وأنه ليس بجسم يقوم بنفسه ، ولا عرض يقوم بغيره ، ولكنه صفة الله في ذاته ، فهي لا تحل الأماكن ، ولا يقوم بغيره ، وإنما يوجد عندنا قراءة له وحفظًا في الصدور وكتابة في المصاحف وسماعًا بالأسماع ، فأما بالحلول في الأماكن فلا ، وإنما يحل في المصاحف والقرطاس والإهاب واللوح المداد [1] الذي تصور به الحروف التي يتلى بها القرآن ، فالإهاب [٣٠٩/ب] الذي كتب فيه القرآن إن مسته النار فإنما تمس الإهاب والمداد ليس المكتوب فيه وهو القرآن ، ولو كان القرآن مما يجوز حلوله في الأماكن ثم حل الإهاب لم يمس الإهاب النار ؛ لأنها لو مسته لمست الحال فيه .

ويجوز أن تكون الفائدة في هذا الحديث حفظ مواضع الشكوك عن الناس عند احتراق مصحف أو قرطاس أو كتاب كتب فيه القرآن فيستعظمون احتراق ذلك ، فإذا احترق دخلهم الشك في المكتوب فيه ، فقد دخل أصحاب رسول الله في حياة رسول الله الشك في قراءته ولما [2] خالفت قراءة غيره قراءته وقال رسول الله ﷺ : « **كذلك أنزلت القراءتان جميعًا** » وهو أبي بن كعب حتى ضرب رسول الله بيده على صدره ، وقال له : « **إِنَّ الْقُرْآنَ نَـزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ** » .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو الأحوص عن عمار بن زريق عن محمد بن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : قال أبي بن كعب ﷺ : [١٠٤٦] كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَامَ يُصَلِّي ، فَافْتَتَحَ سُورَةَ النَّحْلِ فَقَرَأَ فَخَالَفَنِي ؛ فَقُلْتُ لَه : مَنْ أَقْرَأَكَ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ . قَال : ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَامَ يُصَلِّي فَقَرَأَ سُورَةَ النَّحْلِ فَخَالَفَنِي وَخَالَفَ صَاحِبِي ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَـنْ

= (١٩٥٣) ، وأبو يعلى في مسنده عن عقبة بن عامر (٢٨٤/٣) رقم (١٧٤٥) ، وأبو محمد الأنصاري في طبقات المحدثين بأصبهان بألفاظ متقاربة (٥٩٤/٣) رقم (٥١١) ، وعبد الكريم القزويني في أخبار قزوين (٢٢٥/١) ، والطبراني في الكبير بألفاظ متقاربة (٣٠٨/١٧) رقم (٨٥٠) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بألفاظ متقاربة (٢٥٣/٣) ، ونقل أحمد بن حنبل في العلل ومعرفة الرجال عن ابن وهب قوله : ما رفعه لنا قط ابن لهيعة في أول عمره (٢٦٨/٣) رقم (٥١٩٠) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه خلاف (١٥٨/٧) .

(١) كذا في الأصل و (خ) ، والصواب : بالمداد .

(٢) في (خ) : لما .

أَقْرَأَكَ ؟! قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : فَأَخَذَنِي مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ أَشَدَّ مِمَّا أَخَذَنِي فِي الجاهِلِيَّةِ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُمَا : انْطَلِقَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . قَالَ : فَانْطَلَقْتُ بِهِمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَقْرِئْ هذا . فَاسْتَقْرَأَهُ . قَالَ : [٣١٠/أ] « أَحْسَنَ » . قَالَ : فَأَخَذَنِي مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ مِمَّا أَخَذَنِي فِي الجاهِلِيَّةِ . قَالَ : فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرِي بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أُعِيذُكَ بِاللَّهِ [١] مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ » . قَالَ : فَفِضْتُ عَرَقًا فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَبِّي فَرَقًا [٢] ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ . قَالَ : فَقُلْتُ رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي . ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ : رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي . قَالَ : ثُمَّ أَتَانِي الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا أُعْطِيكَهَا . قَالَ : قُلْتُ : رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي . وَادَّخَرْتُ الثَّالِثَةَ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَيَرْغَبُ فِيهَا خَلْقُ اللَّهِ جَمِيعًا حَتَّى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ » [٣] .

فإذا جاز أن يدخل قلب أُبيٍّ صاحب رسول اللَّه في حياته شك أو تكذيب في القراءة كان دخول الشك والتكذيب لمن دونه في احتراق مصحف أو كتاب أو إهاب كتب فيه القرآن أجوز وأقرب ، وقد دخل الشك قلب من هو أجل من أبيٍّ فيما هو أبعد من الشك من هذا وهو عمر ﷺ ، شك في موت النبي ﷺ ، بل تقرر عنده أنه ﷺ لم يمت ، كما حدثنا المَحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة حدثني محمد بن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ قال : [١٠٤٧] « لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ [٣١٠/ب] فَقَالَ : إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ مَا مَاتَ وَلَكِنَّهُ ذُهِبَ بِهِ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذُهِبَ بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قَدْ مَاتَ وَوَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ كَمَا رَجَعَ مُوسَى فَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي الرِّجَالِ وَأَرْجُلِهِمْ ،

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) الفَرَق بالتحريك : الخَوف والفَزَع ، النهاية مادة (فرق) ، (٣/٤٣٨) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي بن كعب في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (١/٥٦١) رقم (٨٢٠) ، وأحمد في مسنده (٥/١٢٧) رقم (٢١٢٠٩) ، والأصبهاني في دلائل النبوة (١/٨٣) رقم (٧٣) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٤/٧٣) .

يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ » ساق الحديث إلى أن قال : « أَقْبَلَ - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ - عَلَى النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ . قَالَ : ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] قَالَ : فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ . قَالَ : فَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ قَالَ : فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : قَالَ عُمَرُ : مَا هُوَ إِلا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلاهَا فَعَقِرْتُ [١] حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى الأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلايَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ » [٢] .

فإذا جاز دخول الشك في قلب عمر في موت النبي ﷺ والنبي ﷺ بشر مخلوق محدث يجري عليه كثير من الآفات التي تجري عليهم إجلالًا له وتعظيمًا لشأنه أن رسول اللَّه ﷺ نبيه الكريم لم يمت ، وقد سمع اللَّه يقول له : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، ويقول : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٦] ويقول : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت : ٥٧] إلى أمثالها من الآيات ، وقد كان يعلم أنه يجوز عليه الموت ، فلأن يدخل الشك قلب من يرى [٣١١/أ] مصحفًا كتب فيه كلام اللَّه الذي هو صفته ليس بمحدث ولا مخلوق ولا يجوز عليه ما يجوز على المخلوق فيراه قد احترق أولى وأجوز ، فيسبق إلى قلوب الناس أن المصحف ليس فيه كلام اللَّه تعالى بمعنى الكتابة وأن المكتوب فيه غير كلام اللَّه ، أو الذي جاء به النبي ﷺ من القرآن ليس بكلام اللَّه ، فحفظ منهم موضع هذا الخاطر فأخبر أن القرآن لم يحل الإهاب فيكون إذا احترق الإهاب أو أصابته آفة كانت الآفة والاحتراق راجعًا إلى القرآن وأن الذي حل الإهاب مداد صورته الحروف التي يقرأ بها كلام اللَّه المكتوب فيه ، واللَّه أعلم .

ويجوز فيه معنى آخر : وهو أن قوله : « **ما مسته النار** » يرجع إلى النار العظمى التي هي نار جهنم ، ألا ترى أنه عرف النار بالألف واللام كأنه يقول : لو كان القرآن في إهاب مكتوبًا لم تمس نار جهنم ذلك الإهاب لحرمة ما كتب ، فتكون فائدة الخبر أن الإهاب الذي لا خطر له عند اللَّه ولا قيمة له عند الناس إذا جعل فيه القرآن - بمعنى

---

(١) فعقرت : أي دهشت ، لسان العرب مادة (عقر) .

(٢) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه بنحوه عن أنس بن مالك (٢٩٦/١٥) رقم (٦٨٧٥) ، وابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٧٥/٦) ، والطبري في تاريخه (٢٣٢/٢) .

الكتابة - والإهاب موات لا يدري ما فيه ولا يعرف ما كتب فيه - لم تمسه نار جهنم حرمة لما كتب وتعظيمًا له وإجلالًا ورفعًا من قدره فكيف تمس النار مؤمنًا هو أجل قدرًا عند الله من الدنيا وما فيها ؟! وله خلق الله الجنة التي خلقها بيده ، وغرس شجرها بيده ، وخلق آدم أباه بيده ، وقد أودع سره كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأجراه على لسانه فسهل عليه تلاوته ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ [٣١١/ب] فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] ولو نزل على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله ، ثم أسهر القرآن ليله وأظمأ نهاره وحرم المؤمن ما حرمه القرآن ، وأحل ما أحله ، وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه ، فآنسه في خلواته وأغناه في فقره ، وقوي به عند الضعف ، وحمله عند الجوع .

سمعت محمد بن إسحاق الدِّمَشْقِيَّ يقول : (كنت أمشي في البادية وحدي ، فإذا أعييت رفعت صوتي بالقرآن ذهب عني العياء ، وإذا جعت رفعت صوتي بقراءته فحملت عني ألم الجوع حتى قطعت مراحل ماشيًا لا أطعم شيئًا) .

وقد رفع قدره بين خلقه حتى قال النبي عليه السلام : « **خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه** » حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب رحمه الله ح عبد الله بن محمد بن نصر المَالِكِيّ ح عاصم بن علي ح شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٠٤٨] « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** » . **قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : فَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا ، وَكَانَ يُعَلِّمُ مِنْ خِلافَةِ عُثْمَانَ إِلى إِمْرَةِ الحَجَّاجِ** [(١)] .

ومن الدليل على ما تأولناه من أن النار لا تمس المؤمن الحامل للقرآن : ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : [١٠٤٩] « **حَرَامٌ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مَوَاضِعَ الوُضُوءِ** » [(٢)] فإذا كانت النار لا تحرق مواضع الوضوء التي مسها الماء للوضوء فلأن لا تحرق القلب الذي

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عثمان بن عفان في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (١٩١٩/٤) رقم (٤٧٣٩) ، وأبو داود في سننه في كتاب الوتر باب في ثواب قراءة القرآن (٧٠/٢) رقم (١٤٥٢) ، والترمذي في جامعه في كتاب ثواب القرآن باب ما جاء في تعليم القرآن ، وقال : حسن صحيح (١٧٣/٥) رقم (٢٩٠٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب فضائل القرآن باب فضل من علم القرآن (١٩/٥) رقم (٨٣٦) ، وابن ماجه في سننه في المقدمة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه (٧٦/١) رقم (٢١١) ، وأحمد في مسنده (٦٩/١) رقم (٥٠٠) .

(٢) لم أقف عليه .

حفظ القرآن والفم الذي قرأ به كلام اللّه تعالى والأذن التي سمع به أرجى ، وذلك أقرب وأحرى ، واللّه بهذا الفضل [٣١٢/أ] أولى وهو ذو فضل عظيم .

والإهاب : ما لم يدبغ من الجلود ، فيجوز أن يكون المعنى في ذكر الإهاب أن النار إليه أسرع وأشد التهابًا (١) وأبطأ خمودًا منها إلى الجلد المدبوغ ، فكأنه ذكر الشيء الذي هو أقرب إلى الاحتراق وأشد لتعلق النار به ولو حله القرآن ثم مسته النار لم تعمل النار فيه ولم تحرقه النار .

ويجوز أن يكون ذلك على جهة المثل ، وأن الإهاب وهو ما لم يدبغ من الجلود إذا لم تحرقه النار بحرمة (٢) القرآن فالمؤمن الذي لم تطهره التوبة من الأنجاس والأرجاس التي اكتسبها من الذنوب والخطايا ولم تدبغه الرياضة ولم تصلحه السياسة (٣) فيرد اللّه تعالى بأخلاق البشرية وأوصاف الإنسانية التي أكثرها بخلاف الواجب ، فقد قال اللّه تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٤] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج : ١٩- ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

هذه وأمثالها أوصاف البشرية ونعوت الإنسانية ، وإنما تزول بعض هذه الأوصاف من العبد بعد توفيق اللّه وإصلاحه له بالرياضة والتهذيب والتخلق بالأخلاق الجميلة ، فمن لم يعن بنفسه وأهمل إصلاحها كان بهذه الأوصاف التي ذكرها اللّه ، ثم ما يكتسبه من الذنوب ويجترحه من الخطايا بشهوة نفسه الأمّارة بالسوء فيقدم على اللّه ويرد النار التي أقسم اللّه تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ الآية [مريم : ٧١] كان حقيقًا [٣١٢/ب] أن تلتهب النار به وتحرقه ، فإن أوساخ الذنوب وأرجاس الطبع في الإنسان كالدسومة (٤) والرطوبة التي في الجلد وهي مما يقوي النار في التعلق به ، كذلك أوساخ الذنوب وأرجاس الطبع يستحق العبد به النار ، فإن كان مع هذه الأوصاف حاملًا للقرآن تاليًا له لم تمسه النار ، وإن كان حريًّا بالاحتراق كالإهاب الذي لم يدبغ كان حريًّا لتعلق النار به ، فهي لا تمس الإهاب الذي كتب فيه القرآن لحرمة القرآن كذلك لا تمس النار هذا الإنسان الوسخ الدنس بالخطايا ، لم تطهره التوبة ولا دبغته الرياضة ولا أصلحته المحن لحرمةِ القرآن الذي حمله وكلامِ اللّه الذي تلاه وحفظه ، واللّه ذو المن والطول العظيم (ن) .

---

(١) في (خ) : التهامًا .

(٢) في (خ) : لحرمة .

(٣) في الأصل : الرياسة .

(٤) في (خ) : كالدموسة .

١٩٠
باب في تلاوة القرآن

حديث آخر : [١٠٥٠] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل ح محمد بن وهب [ح محمد بن وهب] [(١)] ح بقية عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر ﵄ قال : قال النبي ﷺ : « **مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَ في قِرَاءتِهِ كَانَ لَهُ بِكلِّ حَرْفٍ عِشْرُونَ حَسَنَةً ، وَمَنْ قَرَأَهُ بِغَيْرِ إِعْرَابٍ كانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ** » [(٢)] .

قال الشيخ ﵀ : يجوز أن يكون معنى قوله : « **ومن قرأه بغير إعراب** » أي يرسله إرسالًا ولا يقف عند رؤوس الآيات ويمر عليها ولا يعطي الحروف حقها من الإعراب ، كأنه إذا قرأ سورة مريم يقرأ : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٣، ٤] يمر على الآي ويصلها من غير تنوين في ﴿ خَفِيًّا ﴾ و ﴿ شَيْبًا ﴾ بل يرسله إرسالًا [٣١٣/أ] ويصل الحروف [(٣)] بما بعده ، وكقوله : ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ١، ٢] إذا سكن الدال أو الباء من قوله : ﴿ ٱلْمَجِيدِ ﴾ و ﴿ عَجِيبٌ ﴾ ثم لا يقف عليه بل يصله بما بعده فلا يكسر الدال ولا يرفع الباء ولا ينونها ، هذه وأمثالها .

فكأنه يقول : من ترك الإعراب فيه جهلًا به ولا يلحن فله بكل حرف عشر حسنات ؛ لأنه قرأ ولم يلحن ونقص له من ثواب المعرب في كل حرف عشر حسنات ؛ لأنه أغفل من أدب القراءة وذهب برونقها .

والقرآن نـزل بلغة العرب ، بل أكثره بلغة قريش ، وهي أفصح اللغات وأفحلها ، قال ﵇ :

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن ابن عمر (٤٢٨/٢) رقم (٢٢٩٤) ، والطبراني في الأوسط بنحوه عن عائشة (١٥٢/٥) رقم (٤٩٢٠) ، وضعف الهيثمي في مجمع الزوائد إسناد الطبراني (١٦٣/٧) ، والحديث في إسناده محمد بن وهب ، وهو محمد بن وهب بن عطية ، قال ابن عدي في الكامل : ولمحمد بن وهب غير حديث منكر ، ولم أر للمتقدمين فيه كلامًا ، وقد تكلموا فيمن هو خير منه (٢٦٩/٦) رقم (١٧٥٣) ، وقال أبو حاتم الرازي : صالح الحديث ، ووثقه الدارقطني ، تهذيب الكمال للمزي (٥٩٩/٢٦) رقم (٥٦٧٨) .

(٣) في (خ) : الحرف .

[١٠٥١] « **أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبُ ، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، وَوُلِدْتُ فِي بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ ، فَأَنَّى يَكُونُ فِيَّ اللَّحْنُ** » [١] .

فأخبر أن قريشًا وبني سعد أفصح العرب ، والقرآن نزل بلغة قريش ، فيجب أن يكون أفصح وأعرب ، قال عثمان ﷺ لزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ﷺ حين أمرهما بكتابة المصاحف : [١٠٥٢] « فَإِذَا تَمَارَيْتُمَا فِي شَيْءٍ فَاكْتُبَاهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ » [٢] فحق القرآن أن يقرأ بأجود القراءات وأفصح اللغات ، ويوفَّى كل حرف حقه ، ويهمز المهموز ويشدد ما حقه التشديد ، فيكون أفحل له وأحسن لأدائه وأجود لقراءته وأحلى عند مستمعه وأقرب إلى فهم المتفهم له ، فإن الذي يغفل ذلك لا يفهم المستمع إليه حق إفهامه ويشكل عليه معناه .

وليس معنى قوله : « **من قرأه بغير إعراب** » أن يلحن فيه ويخطئ في قراءته فيرفع المنصوب وينصب المخفوض فيغير المعنى [٣١٣/ب] واللفظ ، فإن من أغفل في قراءته هذا المعنى حتى يلحن فيه وهو ممكن من التعلم ويجد من يعلمه ثم ترك ذلك فإن هذا عاص لله تارك لأمره مستخف بحق القرآن ، فهذا إلى أن يعاقب على قراءته القرآن على غير وجهه والاستخفاف بحقه والاستهانة بحرمته وترك واجبه أولى وأقرب منه إلى أن يكون له بكل حرف عشر حسنات ، والذي جاء في بعض الروايات أن لله تعالى ملكًا ، وهو ما حدثنا عبد الله بن محمد ح الحسن بن تذون الْفَرْغَانِيُّ ح يحيى بن موسى ح أبو معاذ عن أبي حنيفة عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٠٥٣] « **إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَكًا** [٣] **فَإِذَا قَرَأَ الْعَبْدُ الْقُرْآنَ فَلَمْ يَقْرَأْ مُقَوَّمًا [قَوَّمَهُ الْمَلَكُ فَرَفَقَ مقومًا]** [٤] » [٥] . فإن ذلك إن صح فإن معناه في الحبشي الذي لا يفصح فيقرأ الشين سينًا والراء همزة ، والتركي الذي يجعل الخاء قافًا والغين

---

(١) لم أقف عليه ، قال عمر بن علي بن الملقن الأنصاري في خلاصة البدر المنير : غريب كله (٢/٢٥١) رقم (٢١٧٤) ، وقال القاري في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : قال السيوطي : لا يعلم من أخرجه ولا إسناده (١/٦٠) رقم (٤٠) ، وقال العجلوني في كشف الخفاء : أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده (١/٢٣٢) رقم (٦٠٩) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٢٨١/أ) .

(٣) من هامش الأصل .

(٤) السابق .

(٥) الحديث أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في مسند أبي حنيفة بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (١/٢٦٦) ، والحديث في إسناده عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي ، متهم بوضع الحديث ، لسان الميزان (٣/٣٤٨) رقم (١٤١٦) .

خاء للكنة لسانه ، أو الألثغ الذي يبدل الحرف حرفًا كالذي لا يجري لسانه بالراء فيجعله لامًا أو ياءً ويجعل السين ثاء كما قال الشاعر :

وألثغ قد لاججته مرة فقال في غنج وإخناث

لما رأى مني خلافي له ما لقي الناث من الناث (ن)

أراد الناس ، فحكى أنه أبدل السين ثاء للثغة لسانه ، فهذا وأمثاله معذورون ، فلا ينقص لهم - إن شاء الله - مما يعطى من الثواب المعرب فيه الموفي للحروف حقوقه [1] الذي خدم القراء وأخذ القراءة منهم إذا تعلمه وبذل مجهوده فيه فأتى من قبل نقصان آلته فلا يكلف إن شاء الله ما لا يطيقه ، ولا ينقصه مما يعطى المعرب من الثواب [٣١٤/أ] إن شاء الله ، وإنما ينقص من ثواب المعرب من يترك إعراب حروفه ويبخس الحروف بحقها فيخفف المشدد ويلين المهموز ويقصر الممدود ويرسل الحروف إرسالًا كفعل الصبيان أول ما يتعلمون ، فهذا ينقص له من ثواب المعرب في كل حرف عشر حسنات ؛ لأنه متغافل ساه [2] تارك للأدب ، ويعطى بكل حرف عشر حسنات ؛ لأنه قرأ القرآن ولم يلحن فيه فهو في قراءته محسن وفي تعلمه له مطيع والله وعد المحسنين ، ولن يخلف الله وعده .

١٩١
باب في معنى « القرآن »

حديث آخر : [١٠٥٤] حدثنا نصر ح أبو عيسى ح محمد بن إسماعيل ح هشام بن إسماعيل أبو عبد الملك العطار ح محمد بن شعيب هو ابن شابور ح إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن أنه حدثهم عن جبير بن نفير [3] عن نواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **يَأْتِي الْقُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ** » . قَالَ نواسُ : وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَال مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ ، قَالَ : « **يَأْتِيَانِ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ** [4] **أَوْ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا ظُلَّةٌ مِنْ طَيْرٍ**

(١) في (خ) : حقوقها .
(٢) في الأصل : ساهي .
(٣) في (خ) : بدير . وفي هامش (خ) : نفير .
(٤) في (خ) : غيابتان . وفي هامش (خ) : الغيابة ظل السحاب ، وقيل : ظل العلم . ا.هـ . وجاء في النهاية : الغَيَايَة : كل شيء أَظَلَّ الإنسانَ فَوْق رأسه كالسَّحابة وغَيْرها ، النهاية مادة (غيا) ، (٤٠٣/٣) .

صَوَافُّ [١] **تُجَادِلانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا »** [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **يأتي القرآن** » أي قراءة القارئ للقرآن ، وقد تسمى القراءة قرآنًا : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨] ، قالوا : قراءته [٣] . وقال حسان يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ضحوا بأشمط [٤] عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا (ن)

يعني قراءة ، فكأنه قال : تجيء قراءة القرآن [٥] والذي قرأ وعمل به في الدنيا ، والقراءة فعل العبد ، وهو عرض من الأعراض يخلقه الله يوم القيامة جسمًا من الأجسام [٣١٤/ب] على صفة الغياية والغمامة وجماعة الطير فتدفع عن صاحبه وتحاج عنه ، كما جاء في حديث آخر وهو ما حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب الحَارِثِيُّ ح أحمد ابن عبدان ح نصر بن فضالة ح القاسم بن الحكم عن مجاشع عن خالد بن يزيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [١٠٥٥] « **مَنْ قَالَ عِنْدَ مَضْجَعِهِ :** ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران : ١٨] **وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى سَبْعِينَ أَلْفَ خَلْقٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ لَقَّمَ أَخَاهُ لُقْمَةَ حَلْوَاءَ صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَارَةَ المَوْقِفِ يَوْمَ القِيَامَةِ** » [٦] .

---

(١) صَوافُّ : أي باسِطات أجْنِحَتها في الطَّيَران . والصَّوَافُّ : جمع صافَّة ، النهاية مادة (صفف) ، (٣/٣٨) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن النواس بن سمعان في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١/٥٥٤) رقم (٨٠٥) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب ثواب القرآن باب ما جاء في سورة آل عمران (٥/١٦٠) رقم (٢٨٨٣) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٤/١٨٣) رقم (١٧٦٧٤) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٨/١٤٧) رقم (٢٥١٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٥١) رقم (٢٣٧٣) ، والطبراني في مسند الشاميين (٢/٣٢٠) رقم (١٤١٨) .

(٣) ذكر هذا القول ابن عباس فيما أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان بإسناده إليه ، وهذا القول هو اختيار الطبري (٢٩/١٨٩) .

(٤) في هامش (خ) : أي ذبحوه وجعلوه أضحية ، والأشمط : الذي يختلط سواد شعره بالبياض .

(٥) في (خ) : القارئ .

(٦) الحديث أخرجه الخطيب البغدادي بنحوه عن أنس ، وقال : هذا حديث منكر جدًّا (٤/٨٥) ، وقد ذكره الفتني في تذكرة الموضوعات بألفاظ مختلفة عن أنس ، وقال : فيه مجاشع بن عمر ، كذاب يضع (١/٨٠) ، وعده من الموضوعات الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (١/٢٩٨) ، =

فكما يخلق اللَّه هذا الخلق الكثير من قول العبد ما يقول حتى يستغفروا له كذلك يخلق من قراءته خلقًا يجادل عنه ، ولهذا نظائر كثيرة من الأخبار أن أفعال العباد يخلق اللَّه منها خلقًا هم أجسام ملائكة وما شاء .

ويجوز فيه معنى آخر ، وهو أن يريد بالقرآن الحروف المجموعة التي سمي القرآن قرآنًا لذلك ، والحروف مختلفة متغايرة لحاجة العباد الذين هم معلولون لا يتوصلون إلى قراءة كلام اللَّه إلا بالحروف والأصوات ؛ لأنهم أجسام لا يفعلون إلا بآلة ، ولا يتكلمون إلا بالألسنة والشفاه واللهوات وسائر الجوارح الذي يكون به كلامهم ، فكذلك لا يقدرون على قراءة كلام اللَّه إلا بالشفاه واللهوات والحلوق والألسنة ، فلا بد لهم من الحروف التي يتوصلون بها [٣١٥/أ] إلى عبارة ما في ضمائرهم وإلى قراءة كلام ربهم ، وكلام اللَّه يسمى قرآنًا ، فإذا ورد ذكر القرآن في كتاب أو سنة فإنه ربما يكون المعنى به كلام اللَّه الذي هو صفته لم يزل هو به موصوفًا .

وربما يكون المعنى فيه الحروف التي يتلى بها كلام اللَّه كما قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] ، فلما كان كلام اللَّه صفة له ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر فيحل الأماكن أو يوصف بما يوصف به الشيء المحدث لم يجز أن يحمل معنى قوله : « **يأتي القرآن** » على معنى أنه يأتي كلام اللَّه ، بل يحمل معناه على الحروف التي يتلى بها كلام اللَّه ويسمع ويكتب ، فيأتي القرآن الذي هو الحروف يوم القيامة بهذه الصفة ، وليست الحروف كلام اللَّه ؛ لأن كلام اللَّه هو الذي تكلم اللَّه تعالى به ، واللَّه تعالى لا يتكلم بالحروف ؛ لأنه ليس بذي أعضاء وجوارح ولا محتاج إلى آلة فيحتاج إلى الحروف في كلامه إذا تكلم به ﷻ الذي ليس كمثله شيء .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **يأتي القرآن** » أي يأتي ثواب اللَّه عبده على قراءة القرآن ، وثواب اللَّه غير اللَّه وصفاته ، وهو محدث مخلوق [1] فيجوز أن يكون له صفة الأجسام والأعراض ، فيكون غياية وغمامة وظلة طير تظل العبد يوم القيامة وتجادل عنه ، وكل ما جاء في الحديث في ذكر القرآن وأنه يأتي ويجادل ويدفع ويحاج وأنه يأتي على صورة رجل شاحب وأمثالها فإنه يرجع معنى ذلك إلى هذه الثلاثة المعاني ، واللَّه أعلم .

= والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (٩٨٠/١) .

(١) يعني : ثواب القرآن لا القرآن نفسه ؛ إذ القرآن ليس بمخلوق ؛ لأنه صفة اللَّه .

١٩٢
باب في آداب تلاوة القرآن

حديث آخر [(١)] : [١٠٥٦] حدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد ابن [٣١٥/ب] إسماعيل ح أبو النعمان ح حماد عن أبي عمران الْجُونيّ عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « **اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ** » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **ائتلفت قلوبكم** » مع ألسنتكم في قراءتكم ، كأنه يقول : يجامع قلوبكم ألسنتكم عند القراءة ، وتشهد قلوبكم قراءتكم فتقرؤونه على تفهم وحضور من قلوبكم ، فتفهمون ما تقرؤون وتعلمون ما تقولون ، فإذا اختلفتم - أي اختلفتم في أنفسكم - فصارت قلوبكم في فكرة شيء سوى قراءتكم فكانت القراءة بألسنتكم وقلوبكم في غيرها مشغولة ذاهبة عن قراءتكم فلا تفهمون ما تقرؤون ولا تعلمون ما يجري على ألسنتكم لشغل قلوبكم فقوموا عنه ، كأنه يقول : قوموا عنه إلى وقت تقر قلوبكم وتطمئن أفئدتكم فتراجعون القراءة عندها ، وهذا كما جاء في حديث آخر : [١٠٥٧] « **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَنْصَرِفْ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ** » [(٣)] .

---

(١) هذا الحديث وشرحه سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن جندب بن عبد الله في كتاب فضائل القرآن باب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم (١٩٢٩/٤) رقم (٤٧٧٣) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٠٥٣/٤) رقم (٢٦٦٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب فضائل القرآن باب المراء في القرآن (٣٣/٥) رقم (٨٠٩٧) ، والدارمي في سننه (٥٣٤/٢) رقم (٣٣٦١) ، وأحمد في مسنده (٣١٣/٤) رقم (١٨٨٣٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٨/٢) رقم (٢٢٦٠) ، وابن حبان في صحيحه (٥/٣) رقم (٧٣٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤٢/٦) رقم (٣٠١٦٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٨٩/٣) رقم (١٥١٩) ، والطبراني في الكبير (١٦٤/٢) رقم (١٦٧٤) .

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب الطهارة باب الأمر بالوضوء للنائم المضطجع (٩٧/١) رقم (١٥٤) ، وابن حبان في صحيحه (٣٢٠/٦) رقم (٢٥٨٤) ، وعبد الرزاق في مصنفه بنحوه (٥٠٠/٢) رقم (٤٢٢٢) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ مختلفة (١١٦/٨) رقم (٨١٣٨) .

وقد يختلف قلب الإنسان فيذهب عن قراءته للملال والسآمة والضجر يلحق الإنسان من القراءة ، فيقول : اقرؤوا القرآن عند النشاط فتأتلف قلوبكم فتفهمون ما تقرؤون ، فإذا مللتم وسئمتم فقوموا عنه ، والله أعلم .

ويجوز أن يكون المعنى فيه إذا كنتم جماعة اجتمعتم على قراءة القرآن فاقرؤوا ما ائتلفتم عليه وكانت همتكم وإرادتكم مجتمعة على قراءة القرآن لا تريدون غيرها فاقرؤوا القرآن فإنه أحرى أن تأتلفوا عليه وتفهموه وتتفكروا [٣١٦/أ] فيه ، فإذا اختلفتم في الإرادات والهمم فأراد أحدكم أمرًا من الأمور والآخر يقرأ فقوموا عنه حتى تجتمع قلوبكم عليه ، فإن الجماعة إذا اجتمعت لقراءة القرآن فربما قرؤوه على تفهم وتدبر وتفكر وتعظيم له وتوقير فيه ، فإذا اختلفوا في الهمم والإرادات عسى ترك أحد الجماعة القراءة واشتغل بما ذهب قلبه إليه من كلام أو فعل شغل الآخر كلامه وخوضه في غيره فيذهب الآخر عن قراءته شغلًا بصاحبه وبحديثه ، فربما يقرأ ما لا يفهم ، فإذا آل بهم الأمر إلى هذا فالتفرق عنه أولى ، ليرجع المشتغل إلى شغله والقارئ يتفرغ لقراءته وتفهم ما يقرأ وتدبره والتفكر فيه ، ويكون في هذا الحديث دلالة على كراهية قراءة القرآن [في الأسواق] (١) ومجامع الطرق برفع الصوت ؛ لأن من حضره لا يستمع له ، ومن قرأه ربما شغل عن تدبره وتفهمه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ، فإن قرأ القارئ في نفسه ولم يشتغل بغيره عن تفهم قراءته وتدبرها فلا بأس إن شاء الله تعالى .

١٩٣

باب في أن قراءة القرآن أفضل الأعمال

حديث آخر : [١٠٥٨] حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله ح إبراهيم بن محمد بن الهيثم ح داود بن رشيد ح وهب بن راشد قال : سمعت مالك بن دينار عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **مَنْ أَصْبَحَ حَزِينًا عَلَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ سَاخِطًا عَلَى رَبِّهِ تَعَالى ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَإِنَّمَا يَشْكُو اللَّهَ ، وَمَنْ تَضَعْضَعَ (٢) لِغَنِيٍّ لِيَنَالَ فَضْلَ مَا عِنْدَهُ أَحْبَطَ اللَّهُ ثُلُثَي عَمَلِهِ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ** » (٣) .

(١) من هامش الأصل .

(٢) تضعضع : خضع وذل . النهاية مادة (ضعضع) ، (٨٨/٣) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة عن أنس ، وقال : تفرد به وهب بن راشد بهذا =

قال الشيخ رحمه الله : إن الله تعالى قسم الأرزاق كما قدر الآجال [٣١٦/ب] قبل أن يخلق الخلق بدهر[١] وأزمان ، فيأتي العبد من الدنيا ما قسم له ، فمن حزن على ما فاته مما يريده من الدنيا فكأنه سخط على ربه ألا قسم له فوق ما قسم ولم لا قدر له أكثر مما قدره .

وأخرى : أن الله تعالى قسم لخلقه من الأرزاق على علمه بهم مما يصلح لهم وعلى مشيئته وإرادته ، فمن حزن على ما فاته [مما يريده][٢] من الدنيا فكأنه رأى نفسه أهلًا لأفضل مما قسم له ومستحقًّا لفوق ما قدر له فيسخط على الله أنه حرمه ما يستحقه ومنعه ما يستأهله .

ومن شكا مصيبة نزلت به فإنما يشكو الله ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، فهذا الذي يشكو كأنه يقول : أصبت بما لم تكتسبه يدي ، وأصابني ربي بغير جناية كانت مني ، وعاقبني على غير ذنب مني ، فهو يشكو الله تعالى ، وقال : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [التغابن : ١١] ، قيل : بعلم الله وبإرادة الله ومشيئة الله[٣] ، والله لا يريد بالمؤمن إلا الخير[٤] ، ولا يسأله إلا اليسر ، قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، فمن شكا مصيبة نزلت به فكأنه يشكو ما حقه أن يشكر ؛ لأن الله تعالى إنما يصيب المؤمن بالمصيبة ليكفر بها خطاياه ، ويمحص بها ذنوبه ، ويرفع بها درجاته ، ويمحو بها سيئاته ، فعلى من عرف ذلك من الله به الشكر له ليس الشكاية منه .

= الإسناد ، وروى ذلك بإسناد آخر ضعيف (٢١٣/٧) رقم (١٠٠٤٤) ، وأخرجه الطبراني في الصغير بألفاظ مختلفة (٣٠/٢) رقم (٧٢٦) ، وابن عدي في الكامل بألفاظ متقاربة (٦٧/٧) رقم (١٩٩٢) ، وذكره ابن حبان في المجروحين ، وقال : وهب بن راشد شيخ يروي عن مالك بن دينار العجائب ، لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به (٧٥/٣) رقم (١١٣٠) ، وذكر الحديث الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وعزاه لفرقد السنجي نقلًا عن التوراة (٩٩/٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الصغير وفيه وهب بن راشد البصري صاحب ثابت وهو متروك (٢٤٨/١٠) ، ووهب بن راشد البصري من رجال إسناد المصنف .

(١) بقعة بالأصل ، والكلمة من (خ) . (٢) سقط من (خ) .

(٣) ذكر نحو هذه الأقوال الطبري في جامع البيان عن علقمة (١٢٣/٢٨) ، والقرطبي في الجامع في أحكام القرآن عن الفراء (١٣٩/١٨) .

(٤) في هامش (خ) : يعني في المصائب والنوائب .

وقوله : « **ومن تضعضع لغني لينال فضل ما عنده أحبط الله ثلثي عمله** » عمل العبد [٣١٧/أ] كله ثلاثة أثلاث : أذكار وأفكار وأعمال ، فالأذكار عمل اللسان ، والأفكار عمل القلب ، والأعمال حركات البدن ، ومن تضعضع لغني خدمة بجوارحه ومثل بين يديه واستكان له وأثنى عليه وسأله وتملق له فإذا فعل ذلك فقد صرف إليه ثلثي عمله فكأنه أشركه في ثلثي عمله لله ، والشرك يحبط العمل ، قال الله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الآية [الزمر : ٦٥] ، فلذلك - إن شاء الله - يحبط الله ثلثي عمله .

قوله : « **من أعطي القرآن فدخل النار فأبعده الله** » قراءة القرآن أفضل أعمال العباد وأحبها إلى الله ، حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ح سهل بن المتوكل ح سعيد بن سليمان ح صالح الْمُرِّيُّ ح قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن ابن عباس ﷺ أن رجلًا قام إلى النبي ﷺ فقال : [١٠٥٩] يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : « **الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ** » . قَالَ : مَا الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ ؟ قَالَ : « **فَتْحُ الْقُرْآنِ وَخَتْمُهُ ، صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمِنْ آخِرِهِ إِلَى أَوَّلِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ** » (١) .

ومما يدل على أن قراءة القرآن أفضل الأعمال أن الأخبار قد وردت عن النبي ﷺ أن أفضل الأعمال ذكر الله ، من ذلك ما حدثنا نصر ح أبو عيسى ح الحسين بن حريث ح الفضيل بن موسى عن عبد الله بن سعيد عن ابن أبي هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبي بحرية عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال النبي ﷺ : [١٠٦٠] « **أَلا أُنَبِّئُكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا في [٣١٧/ب] دَرَجَاتِكُم وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟** » قَالُوا : بَلَى . قَال : « **ذِكْرُ اللَّهِ** » (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب القراءات باب منه ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بالقوي (١٩٧/٥) رقم (٢٩٤٨) ، والدارمي في سننه عن زرارة (٥٦٠/٢) رقم (٣٤٧٦) ، والحاكم في المستدرك عن ابن عباس : وقال : تفرد به صالح المري ، وهو من زهاد أهل البصرة ، إلا أن الشيخين لم يخرجاه ، وله شاهد من حديث أبي هريرة وسكت عنه الذهبي (٧٥٧/١) رقم (٢٠٨٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٨/٢) رقم (٢٠٠١) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢٥٧/٣) ، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦٠/٢) ، والطبراني في الكبير (١٦٨/١٢) رقم (١٢٧٨٣) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي الدرداء في كتاب الدعوات باب منه (٤٥٩/٥) رقم (٣٣٧٧) ، ومالك في الموطأ (٢١١/١) رقم (٤٩٢) ، وأحمد في مسنده (١٩٥/٥) رقم (٢١٧٥٠) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٦٧٣/١) =

وحدثنا الرَّشَادِيُّ ح محمد بن عيسى الطَّرَسُوسِيُّ ح أحمد بن صالح الْمِصْرِيُّ ح ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال : [١٠٦١] « **يَقُولُ الرَّبُّ تعالى [يَوْمَ القِيَامَةِ]** (١) **: سَيَعْلَمُ أَهْلُ الجَمْعِ اليَوْمَ مَنْ أَوْلَى بِالكَرَمِ** » . فَقِيلَ : وَمَنْ أَهْلُ الكَرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « **مَجَالِسُ الذِّكْرِ** » (٢) .

وحدثنا نصر ح أبو عيسى ح قتيبة ح ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ ﷺ : [١٠٦٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ : أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ قَالَ : « **الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا** » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِنَ الغَازِي في سَبِيلِ اللَّهِ ؟! . قَالَ : « **لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ في الْكُفَّارِ والمشْرِكِينَ حَتى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً** » (٣) .

فإذا كان ذكر اللَّه هذا محله ومرتبته وفضله فما ظنك بالقرآن وهو كلام اللَّه الذي منه بدأ وإليه يعود ، وإنما يدخل العبد الموحد باللَّه المقر له بالوحدانية والربوبية النار سيئاته ، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ، فإذا كان للعبد حسنات واكتسب سيئات أذهب اللَّه عنه سيئاته بحسناته ، ويكفر سيئاته أيضًا بمصائبه ، ويحصل له حسنات ، فمن كثرت سيئاته ولم يكفرها [٣١٨/أ] مصائبه فأتى القيامة قوبلت حسناته بسيئاته فإن بقيت له حسنة واحدة أدخله اللَّه بها الجنة .

حدثنا عبد اللَّه بن محمد بن يوسف العماني ح السُّرِّيُّ بن خزيمة بن معاوية ح محمد بن عبد اللَّه الرَّقَاشِيُّ ح المعتمر هو ابن سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر عن ابن عباس ﵄ عن النبي ﷺ عن الروح الأمين - صلوات اللَّه عليه -

---

= رقم (١٨٢٥) ، وابن المبارك في الزهد (٣٩٨/١) رقم (١١٢٩) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٢/٢) .

(١) من هامش الأصل .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد (٦٨/٣) رقم (١١٦٧٠) ، والحاكم في المستدرك بنحوه عن عقبة بن عامر الجهني ، وقال : صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤٣٣/٢) رقم (٣٥٠٨) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد (٩٨/٣) رقم (٨١٦) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة (٣١٣/٢) رقم (١٠٤٦) ، وابن عدي في الكامل (١١٤/٣) رقم (٦٤٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠١/١) رقم (٥٣٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد بإسنادين وأحدهما حسن ، وأبو يعلى كذلك (٧٦/١٠) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة وعبد الرزاق في مصنفه أبي سعيد في كتاب الدعوات باب منه ، وقال : هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث دراج (٤٥٨/٥) رقم (٣٣٧٦) ، وأحمد في مسنده (٧٥/٣) رقم (١١٧٣٨) .

قال : [١٠٦٣] « قَالَ الرَّبُّ ﷻ : يُؤْتَى الْعَبْدُ وَسَيِّئَاتُهُ فَيُقْتَصُّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، فَإِنْ بَقِيَتْ (١) حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ ، وَإِنْ لَمْ تَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأحقاف : ١٦] » قَالَ (٢) : قُلْتُ : أَفَرَأَيْتَ قَوْلَه : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ [السجدة : ١٧] قَالَ : « هُوَ العَبْدُ يَعْمَلُ عَمَلَ السِّرِّ أَسَرَّهُ إِلَى اللَّهِ فَأَسَرَّ اللَّهُ (٣) قُرَّةَ عَيْنٍ يَوْمَ القِيَامَةِ » (٤) . فأخبر أن زيادة حسنة واحدة يدخل بها العبد الجنة ، وإن استوت حسناته وسيئاته قبلت حسناته ويتجاوز عن سيئاته فيدخل الجنة .

وحدثنا محمد بن عمر ح صالح بن محمد ح عبد الأعلى بن حماد وسويد بن سعيد وإبراهيم بن محمد بن غرغرة (٥) وهذيم بن عبد الأعلى قالوا : حدثنا المعتمر بن سليمان بإسناده نحوه ، وقال عن الروح الأمين قال : [١٠٦٤] : « يُؤْتَى بِحَسَنَاتِ العَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ » ، وَقَالَ : قَالَ (٦) : قُلْتُ : فَإِنْ ذَهَبَتْ الحَسَنَةُ ، قَالَ : « ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ ﴾ » (٧) .

وذاكر اللَّه أكثر الناس حسناتٍ ، وقراءة القرآن أفضل الأذكار ، فمن أعطي القرآن فقرأه كان أفضل الناس وأكثرهم حسنات ؛ لأن النبي ﷺ قال : « له بكل حرف عشر [٣١٨/ب] حسنات » .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو معاوية عن إبراهيم الْهَجَرِيِّ عن أبي الأحوص عن عبد اللَّه ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١٠٦٥] « إِنَّ هَذَا القُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مَأْدُبَتَه مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ وَهُوَ النُّورُ البَيِّنُ (٨) والشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ ، وَلا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ ، وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ ،

---

(١) زاد في (خ) بعدها : له .

(٢) في هامش (خ) : ابن عباس .

(٣) زاد في (خ) بعدها : له .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن ابن عباس ، وقال : صحيح الإسناد لليمانيين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٨٠/٤) رقم (٧٦٤١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٢٢١/١) رقم (٦٦١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٤/٥) رقم (٦٩٢٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩١/٣) ، والطبراني في الكبير (١٨٣/١٢) رقم (١٢٨٣٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وإسناده جيد (٢١٨/١٠) .

(٥) في (خ) : عرعرة .

(٦) سقط من (خ) .

(٧) التخريج السابق .

(٨) في هامش الأصل : المبين .

وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، اتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَات ، أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ : آلم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْف ، وَلامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ » (١) .

فأخبر ﷺ أن القارئ للقرآن له بكل حرف عشر حسنات ، وقد حدثنا أبو نصر أحمد بن نصر الفقيه ح الحسين بن أحمد بن مالك ح يحيى (٢) بن المغيرة الْهَمَذَانِيُّ ح القاسم بن الحكم ح سلام عن غياث بن المسيب عن عبد الرحمن بن عثمان عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ قال : [١٠٦٦] « آيَاتُ الْقُرْآنِ سِتَّةُ آلافٍ وَمِائَتَانِ وَثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً ، وَحُرُوفُهَا ثَلاثُمائةُ أَلْفِ حَرْفٍ وَستمائةُ حَرْفٍ وَتِسْعُونَ حَرْفًا » (٣) فلتالي القرآن في كل حرف منها عشر حسنات ، ومن أعطي القرآن فالواجب عليه أن يقرأه في كل شهر مرة ، والمستحب أن يقرأه في سبعة أيام ، وبذا أمر النبي ﷺ عبد اللَّه بن عمرو (٤) لما قال له : [١٠٦٧] في كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ فَقَالَ : **« في شَهْرٍ »** . فَقَالَ : إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ : **« اقْرَأْهُ في عِشْرِينَ »** . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى قَالَ : **« اقْرَأْهُ في سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَاقْتَصِرْ بِهِ على ذَلِكَ »** (٥) .

فمن أعطي القرآن وقرأه في كل [٣١٩/أ] سبعة أيام فله في السنة الواحدة إحدى وخمسون ختمة ، وله في كل ختمة ثلاثة آلاف ألف وستة آلاف وتسعمائة حسنة ، فيكون له في كل يوم قريب من خمسمائة ألف حسنة ، فَمَنْ مِنَ الموحدين للَّه القارئين لكتاب اللَّه تبلغ سيئاته في اليوم هذا العدد ؟! وقد استبعد النبي ﷺ من يعمل في اليوم والليلة ألفين (٦) وخمسمائة سيئة فيما حدثنا نصر ح أبو عيسى ح أحمد بن منيع ح

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٢٧٩/أ) .

(٢) في (خ) : محمد .

(٣) لم أقف عليه ، وفي إسناده غياث بن المسيب ، قال ابن حجر في لسان الميزان : مجهول (٤٢٣/٤) رقم (١٣٠٠) .

(٤) في (خ) : عمر .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه بن عمرو في كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن ؟ (١٩٢٧/٤) رقم (٤٧٦٦ ، ٤٧٦٧) ، وأبو داود في سننه في كتاب شهر رمضان باب في كم يقرأ القرآن ؟ (٥٤/٢) رقم (١٣٨٨) ، والترمذي في جامعه في كتاب القراءات باب منه ، وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه (١٩٦/٥) رقم (٢٩٤٦) ، وأحمد في مسنده بنحوه (٢/ ١٨٩) رقم (٦٧٧٥) .

(٦) في الأصل : ألفي .

إسماعيل بن علية ح عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : [١٠٦٨] « **خُلَّتَانِ لا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إلا دَخَلَ الجَنَّةَ ، أَلا وَهُمَا يَسِيرٌ ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ : يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا وَيُكَبِّرُهُ عَشْرًا** » . قَالَ : فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ . قَالَ : « **فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ وَخَمْسُمائَةٌ فِي المِيزَانِ ، وَإِذَا أَخذتَ مَضْجَعَكَ تُسَبِّحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِائَةً ، فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ وَأَلْفٌ فِي المِيزَانِ فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ أَلْفَيْنِ** [1] **وَخَمْسُمائَةِ سَيِّئَةٍ ؟!** » . قَالُوا : فَكَيْفَ لا يُحْصِيهَا ؟ قَالَ : « **يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي صَلاتِهِ فَيَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا ، حَتَّى يَنْفَتِلَ ، فَلَعَلَّهُ ألا يَفْعَلُ ، وَيَأْتِيهِ فِي مَضْجَعِهِ فَلا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتى يَنَامَ** » [2] . وحدثنا محمود بن إسحاق ح أبو عبد الله بن أبي حفص رَحِمَهُ اللَّهُ أخ أبو حذيفة ح سفيان الثَّوْرِيُّ عن عطاء بن السائب بإسناده نحوه .

فقد استبعد النبي عليه السلام أن يعمل الرجل المسلم في اليوم ألفين وخمسمائة سيئة ، فكيف بخمسمائة ألف أو ما شاء الله ، فقول النبي عليه السلام أبعده [3] ، كأنه عليه السلام [٣١٩/ب] يقول : من بلغت سيئاته العدد الذي لا تفي حسناته في قراءة القرآن بها حتى يدخل النار فأبعده الله ، فهذا على الاستبعاد من النبي عليه السلام لا على الدعاء ، كأنه يقول : أنَّى يكون هذا ؟! ومتى يكون هذا ؟! أي لا يكون هذا أبدًا ، وصدق رسول الله وهو الصادق المصدوق ، كيف يكون هذا ؟! اللَّهم إلا أن يترك قراءة القرآن رأسًا ، الحامل له والقارئ ، ومن أعطي القرآن [4] فتركه وأعرض عنه ورفض قراءته وتلاوته حتى لم يكتسب بقراءته حسنات ثم اجترح من السيئات ما يستوجب به النار فهذا حري أن يبعد في النار ويدخلها إلى أن يشاء الله فيخرجه منها بإيمانه ويتجاوز عنه ، فأما من لم يعرض عنه ولم يستخف به وقرأه في كل شهر مرة فإن حسنات هذا تزيد على سيئاته وله سوى قراءته للقرآن كفارات .

---

(١) في الأصل : ألفي .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن عبد الله بن عمرو في كتاب الدعوات باب منه ، وقال : حسن صحيح (٤٧٨/٥) رقم (٣٤١٠) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب صفة الصلاة باب عدد التسبيح بعد التسليم (٤٠١/١) رقم (١٢٧١) ، والبخاري في الأدب المفرد (٤١٧/١) رقم (١٢١٦) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : الله .

(٤) من هامش الأصل .

وحدثنا محمود بن إسحاق ح حريث بن عبد الرحمن ح علي بن إسحاق بن إبراهيم السمرقندي القاضي أخ ابن مروان عن أبان عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٠٦٩] « **حُمَّى يَوْمٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ** » [١] وبهذا الإسناد : [١٠٧٠] « **حُمَّى لَيْلَةٍ** » [٢] .

وسمعت محمد بن عبد الله بن حامد يقول : سمعت جعفر بن محمد بن سوار يقول : سمعت أحمد بن سعد الخُزَاعِيّ خشنام قال : سمعت سويد بن سعيد الأَنْبَارِيّ يقول : سمعت مروان بن معاوية يقول : سمعت داود بن يزيد الأَوْدِيّ [٣] يقول : سمعت إبراهيم يقول : سمعت الأسود يقول : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : سمعت رسول الله ﷺ [٣٢٠/أ] يقول : [١٠٧١] « **مَا مِنْ عَبْدٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً** » [٤] .

ثم له حسنات يكتسبها من صلاة وصيام وصدقة وسائر أعمال البر الذي لا يخلو العبد المسلم منها - وإن قل - ، ثم قراءة القرآن وله بكل حرف عشر حسنات ، فيبعد أن يدخل النار مثل هذا العبد مع سعة رحمة الله ﷻ ، فكأن النبي ﷺ قال : من أعطي القرآن لا يدخل النار أبدًا .

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفاء : (« حُمَّى يَوْمٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ » ، قال في المقاصد : رواه القضاعي في مسنده عن ابن مسعود مرفوعًا في حديث بلفظ : « وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مُجْرِمَةٍ » وله شاهد رواه ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء موقوفًا بلفظ : « حمى ليلة كفارة سنة » ورواه تمام في فوائده عن أبي هريرة ﷺ رفعه بلفظ الترجمة وزاد : « وحمى يومين كفارة سنتين وحمى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين » ولابن أبي الدنيا عن الحسن مرسلًا رفعه : « إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة » وقال ابن المبارك عقب روايته له : إنه من جيد الحديث ، ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا عن الحسن ، قال : « كانوا يرجون في حمى ليلة كفارة لما مضى من الذنوب » وله شواهد كثيرة يقوي بعضها بعضا ، انتهى) ، (٤٤٠/١) رقم (١١٧٣) .

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن أبي الدرداء موقوفًا (١٦٧/٧) رقم (٩٨٦٩) .

(٣) الأَوْدِيّ : بفتح الألف ، وسكون الواو ، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى أود بن صعب بن سعد العشيرة من مذحج ، الأنساب (١٥٧/١) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه (١٩٩١/٤) رقم (٢٥٧٢) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه مع اختلاف الترتيب في كتاب الطب باب كفارة المريض (٣٥٣/٤) رقم (٧٤٨٨) ، وأحمد في مسنده (٤٢/٦) رقم (٢٤٢٠٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة (١٥٦/٧) رقم (٩٨٢٦) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (١٦٧/٧) رقم (٢٩٠٦) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٨٧٧/٣) رقم (١٥٤٨) ، وابن عدي في الكامل بألفاظ متقاربة (٨٠/٣) رقم (٦٢٣) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ مختلفة (٥٤/٦) رقم (٥٧٧٣) .

١٩٤

باب في إخلاص العبودية لله تعالى

حديث آخر : [١٠٧٢] [حدثنا الشيخ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب] (١) حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد اللّه الْهَرَوِيُّ ح إبراهيم بن محمد بن الهيثم ح داود بن رشيد ح وهب بن راشد حدثني فرقد عن أنس ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **أَوْحَى اللّهُ تَعَالى إلى نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قل لِعِبَادِي الصِّدِّيقِينَ لا يَغْتَرُّوا ، فَإِنِّي إِنْ أُقِمْ عَلَيْهِمْ عَدْلِي وَقِسْطِي أُعَذِّبْهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَقُلْ لِعِبَادِي الخطَّائِينَ لا يَيْأَسُوا مِنْ رَحْمَتِي ، فَإِنَّهُ لا يَكْبُرُ عَلَيَّ ذَنْبٌ أَغْفِرُهُ** » (٢) .

و [١٠٧٣] « **أَوْحَى اللّهُ تَعَالى إِلى نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قُلْ لِقَوْمِكَ لا يَدْخُلُوا بُيُوتِي - يَعْنِي مَسَاجِدِي - بِقُلُوبٍ غَيْرِ طَاهِرَةٍ وَأَيْدٍ غَيْرِ نَقِيَّةٍ يَرْفَعُونَ فِيهَا أَيْدِيَهُم بَاطِلاً ، مَا يَرْجُونَ ؟! إِيَّايَ يَخْدَعُونَ ؟! أَمْ بِي يَغْتَرُّونَ ؟! وَعِزَّتِي لأَبْتَلِيَنَّهُمْ بِبَلاءٍ يَتْرُكُ الحلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ ، لا يَنْجُو مِنْهُمْ مَنْ نَجَا إِلا بِدُعَاءٍ كَدُعَاءِ الْغَرِقِ** » (٣) .

قال الشيخ رحمه الله : التصديق والخطأ صفتان للعبد ، والعبد موصوف بهما ، والعبد المؤمن حبيب اللّه ، قال اللّه تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فهو عز وجل لا يرضى من حبيبه نظره إلى غيره وإقباله على من دونه واشتغاله بسواه ، وذلك لمحبته له [٣٢٠/ب] وإيثاره إياه ، والمحب يحب إقبال محبوبه عليه وإيثاره له ، ويكره اشتغاله عنه ونظره إلى من سواه ، والعبد إذا نظر إلى غير اللّه تعالى إنما ينظر إلى أشياء ثلاثة : إلى الأشكال والأفعال والأعراض ، فمن نظر إلى الأشكال وسم بالرياء ، ومن نظر إلى الأفعال وسم بالعجب ، ومن نظر إلى الأعراض وسم بالشرك ، وهو الشرك الخفي ، ومعنى النظر إلى الأشكال رؤية الحمد منهم والذم والاغترار بهم والميل إليهم ، والنظر إلى الأفعال بمعنى الضر والنفع ، والنظر إلى الأعراض بمعنى المساكنة إليها والاكتفاء بها ، والعبد مأمور بالرجوع إلى اللّه في كل شيء سوى اللّه ، قال اللّه تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات : ٥٠] ،

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن أنس ، وقال : الحديث بهذه الألفاظ لم يروه عن أنس - رضي اللّه تعالى عنه - غير فرقد ، ولا عنه إلا وهب بن راشد ، ووهب وفرقد غير محتج بحديثهما وتفردهما (٤٨/٣) .

(٣) السابق .

وقال : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور : ٣١] ، وقال : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر : ٥٤] ، فالنظر إلى الأشكال صفة عوام المؤمنين ، والنظر إلى الأعراض صفة خواصهم ، وقد يسلم من هاتين الصفتين كثير من الناس ، والنظر إلى الأفعال أعم بلية وأعظم فتنة ، وأكثر الخلق إنما أتوا من قبل هذه الصفة ، وذلك أن من نظر إلى فعله الذي هو المعصية بالاستجلاء له والسكون إليه والاعتناق له فهو مُصرٌّ ، ومن نظر إلى فعله الذي هو الطاعة بمعنى الضر والنفع فهو معجب ، وكل هؤلاء مصروفون عن الله ، قد خطئ بهم طريق العبودية لله ؛ لأن العبودية لله هو أن يرى تقلبه في قبضة مولاه وتصرفه بمشيئته وأنه أسير القدرة سليب القبضة لا متقدم له ولا متأخر إلا بالله وحده ، لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ، وهو كما قال الله ﷻ : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا [٣٢١/أ] مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٧٥] ، وقال : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ الآية [النحل : ٧٦] .

فالعبد ممر القضاء والقدر مكتوب عليه أفعاله [١] مقدر له حركاته ، لا بد له من ملاقاة ما كتب عليه ، قال النبي ﷺ : [١٠٧٤] « **كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** » [٢] ، وقال : [١٠٧٥] « **لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لجاءَ اللَّه بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُم** » [٣] ، وقال لأبي هريرة ﷺ : [١٠٧٦] « **إِنَّكَ لاقٍ مَا كُتِبَ عَلَيْكَ فَاخْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ** » [٤] .

فليس يمكن للعبد أن يتحرز عما كتب عليه ، وإنما عليه أن يرجع في الأحوال كلها إليه ، إن كان في حال معصية رجع عنها إلى الله بالاستغفار ، وإن كان في حال طاعة رجع فيها إلى الله بالحمد له ، فإن رجع إلى الله من حال المعصية فهو تائب ، والله

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عمران بن حصين في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] ، (٢٧٤٥/٦) رقم (٧١١٢) ، ومسلم في صحيحه في كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي (٢٠٤١/٤) رقم (٢٦٤٩) ، وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب في القدر (٢٢٨/٤) رقم (٤٧٠٩) ، والترمذي في جامعه عن عمر في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة هود ، وقال : حسن غريب (٢٨٩/٥) رقم (٣١١١) ، والنسائي في سننه الكبرى عن عمران في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الليل : ٨، ٩] ، (٥١٧/٦) رقم (١١٦٨) ، وأحمد في مسنده (٤٣١/٤) رقم (١٩٨٨٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤٣/٢٠) رقم (٣٣٣) ، والطبري في جامع البيان عن عمر (١١٧/١٢) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٧١/أ) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٧٢/ب) .

يحب التوابين ، [وإن رجع في حال الطاعة إلى الله فهو أواب محسن ، والله يحب المحسنين] (١) .

فالمقصود من العبد إقباله على الله ونظره إليه وإيثاره له وفيه قربة من الله ، وبه يعظم قدره عند الله ، وإنما يسقط من عين الله بإقباله على غيره واشتغاله بسواه ونظره إلى نفسه ، والأعمال والحركات التي تجري عليه أقدار هو لا بد لاقيها ، فقوله ﷺ : « **قل لعبادي الصديقين لا تغتروا** » صرف من الله لهم عن نظرهم إلى إياهم وسكونهم إلى أفعالهم وإقبالهم على أوصافهم إلى النظر إلى الله والإقبال عليه والسكون إليه ؛ لأن الصديق إذا نظر إلى صدقه وتصديقه فرآه بعين الاستعظام فسكن إليه واعتمد عليه فظن أنها تنجيه وقد قال ﷺ : [١٠٧٧] « **لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ** » (٢) .

فقد رجع عن الله إلى ذاته ، وانصرف عن مطالعة صفات الله إلى صفاته ، فاعتمد المسكين على شفا جرف هار ، وسكن إلى ضعيف عاجز مهين ، وأوى إلى ركن غير شديد ، [٣٢١/ب] ونسي ما من الله إليه من توفيقه إياه وإذنه له وتيسيره عليه وتمكينه إياه منه ، أوبقه ما كان يرى أنه منجيه ، وأبعده ما كان يظن أنه يدنيه ، فإن ناقشه الله وطالبه بحق نعمه عليه كما كان حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب الحَارِثِيُّ ح علي ابن محمد السمسار (٣) البَلْخِيُّ والحسن بن سفيان النَّسَوِيُّ (٤) قالا : ح سويد بن سعيد حدثني صالح بن موسى عن ليث بن أبي سليم عن عثمان عن محمد بن سيرين عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٠٧٨] « **يُؤْتَى بِالنِّعَمِ يَوْمَ القِيَامَةِ والحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ فَيَقُولُ اللَّهُ تعالى لِنِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ : خُذِي حَقَّكِ مِنْ حَسَنَاتِهِ . فَمَا تَتْرُكُ لَهُ حَسَنَةً إِلا ذَهَبَتْ بِهَا** » (٥) .

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (٢٣٧٣/٥) رقم (٦٠٩٨) ، والدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن جابر (٣٩٥/٢) رقم (٢٧٣٣) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٥٤١/٢) رقم (١٠٦٨٨) ، وابن الجعد في مسنده بلفظه (٤٠٧/١) رقم (٢٧٧٢) .

(٣) سقط من (خ) .

(٤) النَّسَوِيُّ : بفتح النون ، والسين المهملة ، والواو ، هذه النسبة إلى نَسَا ... واشتهر بهذه النسبة أبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر ... إمام متقن ورع حافظ ، الأنساب (٤١٩/٤) .

(٥) الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر بلفظه عن أنس (١٢/١) رقم (٢٤) ، وضعف إسناده ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم (٢٤٣/١) .

وحدثنا عبد الله بن محمد ح خلف بن عامر ح أزهر بن جميل قال : سمعت سفيان ابن عيينة يقول : [١٠٧٩] « لَمَّا عُوفي أَيُّوبُ عليه السلام مِنْ بَلائِهِ قَالَ : يَا رَبِّ لِمَ ابْتَلَيْتَنِي وَمَا خُيِّرْتُ بَين أَمْرَينِ قَطُّ أَحَدُهُمَا لَكَ فِيهِ رِضًا والآخرُ فِيهِ صَلاحِي إلا اخْتَرْتُ رِضَاكَ عَلَى صَلاحِي ؟! . قَالَ : فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَمِنْكَ كَانَ ذَلِكَ أَو مِنِّي ؟ قَالَ : لا بَلْ مِنْكَ يَا سَيِّدِي . وَوَضَعَ التُّرَابَ عَلَى رَأسِهِ » [(١)] .

وحدثنا عبد الله [(٢)] ح خلف [(٣)] ح [إبراهيم بن جميل] [(٤)] ح أزهر [(٥)] قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : [١٠٨٠] « لَمَّا عُوفي أَيُّوبُ عليه السلام مِنْ بَلائِهِ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ أَنَّه صَبَرَ ، فَنُودِيَ بِعَشْرَةِ آلافِ صَوْتٍ مِنْ وَرَاءِ عَشْرَةِ آلافِ غَمَامَةٍ يَا أَيُّوبُ ، أَأَنْتَ صَبَرْتَ أَمْ نَحْنُ صَبَّرْنَاكَ ؟ قَالَ : لا يَا رَبِّ بَلْ أَنْتَ صَبَّرْتَنِي » [(٦)] .

هذا لمن نبه فانتبه وذكر فتذكر ورجع إلى الله عما إليه نظر ، فأما من مر على غفلته وخرج من الدنيا على غرته [٣٢٢/أ] فوافى القيامة وهو يرى أن له أعمالًا تنجيه وأفعالًا تنفعه ذاهبًا عن نظره إلى الله واعتماده على الله إلى أفعاله وحركاته ناظرًا إلى نعوته وصفاته مريدًا بها سواه طالبًا بها عوضًا في دنياه أكذبه عند ذلك مولاه ثم جعل النار إلى مدة مأواه .

حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد الأَزْهَرِيُّ ح الحارث بن محمد بن أبي أسامة ح عبد الوهاب أخ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أخ يونس بن يوسف عن سليمان بن يسار قال : تفرق الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال له نابل [(٧)] أخو أهل الشام : يا أبا هريرة حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله قال . سمعت رسول الله ﷺ يقول : [١٠٨١] « **أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاثَةٌ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، أُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرفَهَا ،**

---

(١) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، فيه عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي شيخ المصنف ، متهم بالوضع ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) ، وفيه خلف بن عامر ، قال ابن حجر في لسان الميزان : فيه جهالة ، قال ابن الجوزي : روى حديثًا منكرًا (٤٠٣/٢) رقم (١٦٥٥) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : ابن محمد . (٣) زاد في (خ) بعدها : ابن عامر .

(٤) من هامش الأصل ، وهي سقط من (خ) . (٥) زاد في (خ) بعدها : ابن جميل .

(٦) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، فيه عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي شيخ المصنف ، متهم بالوضع ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) ، وفيه خلف بن عامر ، قال ابن حجر في لسان الميزان : فيه جهالة ، قال ابن الجوزي : روى حديثًا منكرًا (٤٠٣/٢) رقم (١٦٥٥) .

(٧) في هامش (خ) : نابل بالباء المنقوطة بواحدة .

فَقَالَ : مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ . قَالَ : قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ . قَالَ : كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ . فَأُمِرَ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَقَرَأَ القُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرفَهَا . فَقَالَ : مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ فَقَالَ : تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَقَرَأْتُ القُرْآنَ وَعَلَّمْتُ (١) **. قَالَ : كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ عَالِمٌ وَفُلَانٌ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، فَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَه نِعَمَهُ فَعَرفَهَا . فَقَالَ : مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ يَجِبُ أَنْ يُنْفَقَ فِيهِ إِلا أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ . قَالَ : كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَوادٌ فَقَدْ قِيلَ . فَأُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ [٣٢٢/ب] عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ »** (٢) .

هؤلاء - والله أعلم - الذين أشركوا بالله في أفعالهم من حيث خفي عليهم ، فقد قال ﷺ : [١٠٨٢] « **الشِّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا** (٣) **فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ** » (٤) ألا ترى إلى ما قالوا : « قاتلت حتى استشهدت » و « قرأت القرآن وعلمت » و « أنفقت فيه لك » ، ظن المساكين أنهم أرادوا الله بأعمالهم ، وأضمرت نفوسهم الأمارة بالسوء ما أضمرت من الأعواض عليها في الدنيا وهم لا يشعرون ، جهلًا منهم بمكائد نفوسهم ، واغترارًا منهم بخدعها لهم ، فإنها أسحر من هاروت وماروت ، تأتي صاحبها من حيث لا يشعر ، فلا ينتبه لها إلا فطن خبير ، ولا يقف على خدعها إلا عالم نحرير .

سمعت بعض مشايخنا يقول عن أحمد بن أرقم البَلْخِيِّ قال : حدثتني نفسي بالخروج إلى أسبيجاب للغزو ، فقلت : سبحان الله إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ

---

(١) زاد في (خ) بعدها : وعملت .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٥١٣/٣) رقم (١٩٠٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [القمر : ٤٨] (٤٧٧/٦) رقم (١١٥٥٩) ، وأحمد في مسنده (٣٢١/٢) رقم (٨٢٦٠) ، وأبو عوانة في مسنده (٤٨٩/٤) رقم (٧٤٤١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٦٨/٩) رقم (١٨٣٣٠) .

(٣) الصَّفا : جمع صَفاة ، وهي الصَّخرةُ والحجر الأملَس ، النهاية مادة (صفا) ، (٤١/٣) .

(٤) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٣٦/٣) ، وذكره أبو شجاع الهمذاني في الفردوس بمأثور الخطاب بألفاظ متقاربة عن عائشة (٣٧٦/٢) ، والحكيم الترمذي بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (١٤٢/٤) ، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة بألفاظ مختلفة عن أبي بكر الصديق (١٥٠/١) رقم (٦٢) .

﴿ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدًا !! ولكنها استوحشت فتريد لقيا الناس فتستروح إليهم ويتسامع الناس به فيستقبلونها بالتعظيم والبر والإكرام ، فقلت لها : لا أسلك العمران ولا أنزل على معرفة ، فأجابت نفسي وأسأت ظنًّا بها ، وقلت : اللَّه أصدق قولًا ، فقلت لها : أقاتل العدو حاسرًا فتكوني أول قتيل . فأجابت ، وعد أشياء عما أرادها به فأجابت إلى كل ذلك ، قال : فقلت : يا رب نبهني لها فإني لها متهم [٣٢٣/أ] ولقولك مصدق ، فألهمت كأنها تقول : إنك تقتلني كل يوم مرات لمخالفتك إياي ومنع شهواتي ولا يشعر به أحد فإن قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال : استشهد أحمد فيكون شرفًا لي وذكرًا في الناس ، قال : فقعدت ولم أخرج ذلك العام .

هكذا خدع النفس وغرورها تراءى بعد الموت بفعل لم يكن بعد ، وهذا إشراكها في أفعالها ، ولا يفطن ذلك إلا من عصمه اللَّه فنبهه لغرورها وأعلمه بخدعها ، فكأن هؤلاء الذين عدهم الخبر غفلوا عن مرادها في أفعالها فظنوا أنهم في اللَّه قاتلوا وله عملوا وفيه أنفقوا فأكذبهم اللَّه لعلمه بهم وبما أرادت نفوسهم من الأعواض [1] على أفعالهم ، ولولا ظنهم أنهم للَّه عملوا وإلا لم يكونوا بين يدي اللَّه مدعين ولا له مكذبين [2] وهم به موحدون وله عارفون ، ومن عرف اللَّه ووحده وآمن به لا يكذبه في خطابه ، ولا يلبس عليه جوابه ، وإنما يكذب بين يديه الجاحدون له الجاهلون به المشركون معه غيره ، قال اللَّه تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، وقال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: ٢٠] ، وقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ الآية [يس: ٦٥] ، فهؤلاء الذين هم باللَّه جاحدون [3] فإنهم يكذبون اللَّه ويظنون أن اللَّه لا يعلم سرهم ونجواهم بجهلهم باللَّه ، وأما الذين عدهم الخبر صدقوا عند أنفسهم وهم جاهلون بما كان من مرادهم ؛ لأن ذلك كان [٣٢٣/ب] خفيًّا فيهم ، فهذه أوصاف من ساكن عمله أفعاله ونظر إليها بعين النفع له وقد ضره حين طالع به عوضًا غير اللَّه ، ومن قارن أفعاله بشهود الخلق هلك بأحسن أعماله وتلف بأصلح أفعاله لما راءى بها أمثاله وباهى بها أشكاله .

---

(١) في (خ) : الأعراض . (٢) في (خ) : كاذبين .

(٣) في (خ) : جاهلون .

حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ح محمد بن قدامة بن سيار وعبد الله بن محمد بن علي البَلْخِيَّان قالا : ح محمد بن أبان ح عبد الله بن موسى عن قطن بن الحارث عن عبد الوارث مولى أنس عن أنس - إن شاء الله - قال : قال رسول الله ﷺ :

[١٠٨٣] « **إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صَارَتْ أُمَّتِي ثَلاثَ فِرَقٍ : فِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ خَالِصًا ، وَفِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ رِيَاءً ، وَفِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ يَشْتَرُونَ بِهِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ لِلدُّنْيَا : بِعِزَّتِي وَجَلالِي مَا أَرَدْتَ بِعِبَادَتِي ؟ فَيَقُولُ : الدُّنْيَا . فَيَقُولُ : لا جَرَمَ ، لا يَنْفَعُكَ مَا جَمَعْتَ وَلا تَرْجِعُ إِلَيْهِ ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى النَّارِ . وَيَقُولُ لِلَّذِي كَانَ يَعْمَلُ رِيَاءً : بِعِزَّتِي وَجَلالِي مَا أَرَدْتَ بِعِبَادَتِي ؟ . قَالَ : الرِّيَاءَ . قَالَ : يَقُولُ : انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ، وَيَقُولُ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ خَالِصًا : مَا أَرَدْتَ بِعِبَادَتِي ؟ فَيَقُولُ : بِعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، كُنْتُ أَعْبُدُ لِوَجْهِكَ وَدَارِكَ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ** » (١) .

فهؤلاء علموا ما أرادوا بأعمالهم فصدقوا الله وأقروا على أنفسهم ، فلم ينفع من شغل عن الله بسواه عمله وعبادته مولاه فصارت النار إلى مدة مثواه ، فهذا ثمرات نظر العبد إلى أوصافه وأفعاله ، وهذه عاقبة من رجع عن [٣٢٤/أ] الله إلى نعوته وأعماله ، فقال الله تعالى لنبيه : « **قل لعبادي الصديقين لا تغتروا بأعمالكم** » ، ولا تساكنوا أفعالكم فإنها أوصافكم معلولة مثلكم ، مَؤُوفةٌ (٢) كأنتم لا تنجيكم مما تخافون ، ولا تبلغكم ما تأملون ، فلا تنظروا إليها من حيث أنتم ، وليكن نظركم فيها إلى صفاتي دون صفاتكم ، من توفيقي لكم وتيسيري عليكم وإذني بها لكم ، فليكن نظركم إلي وإقبالكم علي وإرادتكم لي ، فإنكم إن نظرتم إلى غيري وأقبلتم على من دوني وأردتم سواي من خلق أو دنيا أو رجعتم إلى أوصافكم عني أقمت عليكم عدلي وقسطي فعذبتكم غير ظالم لكم ، وإن نظرتم إليَّ وأقبلتم عليَّ وآثرتموني على من دوني فحمدتموني على توفيقي لكم وشكرتموني على تيسير طاعتي لكم واعتمدتم على رحمتي قبلت مدخول أعمالكم ، وجازيتكم الكثير على قليل أفعالكم ، وشكرت لكم ما آتيتم به ، سبحانه ما ألطفه بعباده المؤمنين .

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ متقاربة عن أنس (٣٢٧/٥) رقم (٦٨٠٨) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ مختلفة (٢٩/٥) رقم (٥١٠٥) ، وضعف الهيثمي في مجمع الزوائد إسناد الطبراني (٣٥٠/١٠) .

(٢) قال ابن منظور : وطعامٌ مَؤُوفٌ : أَصابته آفةٌ ، وفي غير المحكم : طعام مَأْووفٌ ، لسان العرب مادة (أوف) .

وقوله: «**وقل لعبادي الخطائين لا تيأسوا من رحمتي**» ردٌّ (١) أيضًا لهم عن أوصافهم وصرفٌ (٢) لهم عن أفعالهم (٣)؛ لأن الخطايا من أوصافهم ونعوتهم، فصرفهم الله عن نظرهم إليها بعين التعظيم لها وهي حقيرة، وعن استكبارهم لها وهي صغيرة؛ لأنها أوصافهم ونعوتهم وأفعالهم وهم صغار ضعفاء مكبلون حقراء، والله تعالى لا يكبره ذنب أن يغفره؛ لأنها لا تؤذيه ولا تضره، وإنما يكبر عند الله انصراف عبده وإقباله على غيره وإعراضه عنه وشغله بسواه، وأما خطايا العبد فإنها مكتوبة عليه ومقدورة له ليصرف بها وجهه إليه [٣٢٤/ب] ويقبل به عليه؛ لأنه تعالى أمر عبده المؤمن به العارف له أن يتوجه إليه ويقصد نحوه ويقبل عليه، فأوضح له الطريق وبين له السبيل ونصب له الأعلام، والعبد في غمرة أوصافه وظلمة أفعاله، فأشعل له معرفته ونور له توحيده، فهو يسلك إليه قاصدًا نحوه مقبلًا عليه بنور معرفته وضياء توحيده له وإشراق إيمانه، وعن يمين طريقه وشماله مناكب، وفي نواحيه مهالك ومعاطب، فإن التفت عن توجهه يمنة أو يسرة شاكه شوك غفلة ونكبته حجارة زلة، فانصرف عن التفاته ورجع إلى طريقه فأقبل على ربه ونظر إلى مولاه وأعرض عمن (٤) سواه.

ألا ترى إلى ما روي عن النبي ﷺ فيما حدثنا عبد الله بن محمد ح محمد بن الأشرس السُّلَمِيّ ح الحكم بن المبارك ح عيسى بن أبي عيسى عن محمد بن ثابت الْبُنَانِيِّ عن أبيه عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: [١٠٨٤] «**إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه، ثُمَّ إِنْ عَادَ فَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه، ثُمَّ إِنْ عَادَ فَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلمَلائِكَتِه: إِنَّ عَبْدِي عَرَفَ أَنَّ لَه رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ أُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَه**» (٥).

قال الشيخ رحمه الله: فذنوبه نكباته، وخطاياه عثراته، وتوبته رجوعه إلى السبيل، واستغفاره إقباله على الرب الجليل، فلا يزال يلتفت فينكب فيقبل، ويسهو فيشاك فيرجع، حتى يؤويه ربه إليه ويدنيه منه ويقبل به عليه، فيعصمه عن متالفه [٣٢٥/أ] ويحول بينه وبين معاطبه، فلا يلحقه بعد ذلك ذنب يوبقه، ولا يدركه خطيئة تمحقه، فكيف يستعظم عبد ذنبه وقد عرف هذا الكرم من ربه؟! وقد صالحه مولاه من جميع

---

(١) في الأصل: ردًا.
(٢) في الأصل: وصرفًا.
(٣) زاد في (خ) بعدها: ورد لهم عن أوصافهم إليه.
(٤) في (خ): عما.
(٥) سبق في اللوحة رقم (٢٤٩/أ).

ذنوبه على ندم من قلبه واستغفار بلسانه ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [الزمر: ٥٣] ، فهذا وعد من الله صادق والله لا يخلف الميعاد ، ثم إنه ﷺ وعد العبد المؤمن إذا أقبل على الله بقلبه وتاب إليه من ذنبه أن يبدل سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا ، ثم من لطفه بعبده ونظره له ومحبته إياه لا يحب له أن يخجله ذنبه فينسيه ذنوبَه ربُّه ، فلا يستوحش إذا لقي مولاه .

حدثنا بكر بن محمد بن حمدان ح أبو بكر محمد بن خشنام الْبَلْخِيُّ ح أبو صالح العباس بن زياد ح سعدان هو الْـخُـلْمِيُّ [١] عن سعيد عن قتادة عن أنس ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : [١٠٨٥] « **إِذَا تَابَ العَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ الحفَظَةَ ذُنُوبَه وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَه ومَقَامَه [٢] مِنَ الأَرْضِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ القِيَامَةِ ولَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ** » [٣] فإن فرط العبد في توبته ولم يرجع إلى الله من حوبته حتى ذهب عمره وأتاه قدره فخرج من الدنيا بآثامه لم يتداركها ببقية أيامه ولم يمحها عنه مصائب ولا كفرها عنه في دنياه عقوبة ما جناه فإن شفاعة نبيه وراءه ، وأعظم من ذلك فضل مولاه ، وإن عاقبه الله بعقوبة في الدنيا فحري ألا يعاقبه في العقبى .

حدثنا عبد الله بن محمد ح سليمان بن داود [أبو [٣٢٥/ب] سعيد الْهَرَوِيُّ] [٤] ح معاذ بن عيسى بن ضرار ح إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : [١٠٨٦] « **نَـزَلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ** » قُلْتُ : وَأَيُّ [٥] آيَةٍ هِيَ ؟ قَالَ : « ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] » ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : « **ذَنْبُ المُؤْمِنِ ذَنْبَانِ :**

---

(١) في هامش (خ) : الخلم قرية من قرى بلخ ا.هـ . قال السمعاني : والْخُلْمِيُّ : بضم الخاء المنقوطة بواحدة ، وسكون اللام ، هذه النسبة إلى بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ منها ، يقال لهم : خلم ، وهي من بلاد العرب ، نزلها الأزد وبكر وتميم وقيس ، الأنساب (١٧٦/٢) .

(٢) في (خ) : ومعالمه .

(٣) الحديث ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بألفاظ مختلفة (٢١٠/٢) ، وأخرجه الجرجاني في تاريخ جرجان بنحوه عن أبي بكر الصديق (٦٦/١) رقم (١١) ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بألفاظ متقاربة عن أنس (١٧/١٤) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب بألفاظ متقاربة عن أنس وعزاه للأصفهاني (٤٨/٤) رقم (٤٧٥٦) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه سعدان الخلمي ، ضعفه الذهبي في المغني في الضعفاء (٢٥٤/١) رقم (٢٣٣٣) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) في (خ) : وأية .

ذَنبٌ يَغفُو اللَّهُ عَنهُ في الدُّنيَا ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ في عَفوِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَذَنبٌ يُعَاقِبُهُ اللَّهُ في الدُّنيَا ، فَاللَّهُ أَعدَلُ مِنْ أَنْ يَثْنِي العُقُوبَةَ عَلَى عَبدِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ » . ثُمَّ قَالَ ﷺ : « **نَجَا المُؤْمِنُ نَجَا المُؤْمِنُ** » [١] .

ومن لطف اللَّه تعالى بعبده أن قيض له من عنده شفعاء مرضيين من ملك مقرب ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٥] ، ومن نبي مكرم قال ﷺ : [١٠٨٧] « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » [٢] .

ثم هيأ لهم مكانًا يتخففون فيه من أثقالهم ، ويتواهبون فيه جناياتهم ، من ذلك ما حدثنا عبد اللَّه بن محمد ح أبو حامد أحمد بن عبدان ح محمد بن الحسين ح العباس بن موسى عن إسماعيل بن أبي زياد عن أبان عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١٠٨٨] « **إِنَّ بَين يَدَي الجَنَّةِ لَفِنَاءً يَتَوَاهَبُ المسلِمُونَ فِيهِ ذُنُوبَهُمْ حَتَّى يَقُولَ الرَّبُّ : ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ** » [٣] .

وأعظم من ذلك كله إرضاءه الخصوم من فضله ، وحدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح محمد بن أحمد بن أبي العوام ح عبد اللَّه بن بكر السَّهْمِيُّ ح عباد بن شيبة عن سعيد ابن أنس عن أنس رضي الله عنه قال : [١٠٨٩] بَيْنَا [٤] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ بَين أَصْحَابه إِذْ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ [٣٢٦/أ] ثَنَايَاه . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ فَقَالَ : « **رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا** [٥] **بَين يَدَي رَبِّ العِزَّةِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يَا رَبِّ خُذْ**

---

(١) لم أقف عليه ، وفيه معاذ بن عيسى ، قال إبراهيم بن محمد في الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث : رماه الذهبي بوضع الحديث (ص ٢٥٨) رقم (٧٧١) ، وفيه عبد اللَّه بن محمد بن يعقوب الحارثي ، شيخ المصنف ، متهم بالوضع ، لسان الميزان (٣٤٨/٣) رقم (١٤١٦) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .

(٣) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، فيه إسماعيل بن أبي زياد ، قال البخاري في التاريخ الكبير : مرسل (٣٥٦/١) رقم (١١٢٣) ، وقال ابن حبان في الثقات : شيخ يروي المراسيل (٣٩/٦) رقم (٦٦٢٥) ، وقد وجدت اثنين يسميان بإسماعيل بن أبي زياد ، أحدهما شامي ، وهو متروك الحديث ضعيف ليس بالمشهور ، لسان الميزان لابن حجر (٤٠٦/١) رقم (١٢٧٤) ، الكشف الحثيث عمن رمي بالتدليس (ص ٧٠) رقم (١٤٢) والآخر الشقري كذاب ، لسان الميزان (٤٠٧/١) رقم (١٢٧٥) ، الكشف الحثيث عمن رمي بالتدليس (ص ٦٩) رقم (١٤١) .

(٤) في (خ) : بينما .

(٥) في (خ) : جثوا .

لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي . [فقالَ اللَّهُ تعالى : كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ ؟] [(١)] . فَقَالَ اللَّهُ : أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَته . قَالَ : يَا رَبِّ كَيفَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ ؟! فَقَالَ : يَا رَبِّ لِيَحْمَلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي » . وَفَاضَتْ عَيْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالبُكَاءِ ، وَقَالَ : « إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ ، يَومَ يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ فِيهِ . فقَالَ اللَّهُ تعالى : ارْفَعْ رَأْسَكَ فَانْظُرْ في الجِنَانِ . فَقَالَ : يَا رَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللؤْلُؤِ ، لأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا ؟ وَلأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا ؟ فَقَالَ اللَّهُ تعالى : هَذَا لِمَنْ أَعْطَانِي الثَّمَنَ . قَالَ : يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنْتَ تَمْلِكُهُ . قَالَ : يَا رَبِّ بِمَاذَا ؟ قَالَ : بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ . قَالَ : يَا رَبِّ قَدْ عَفَوْتُ عَنه . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالى لِلطَّالِبِ : خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْه الجَنَّةَ » . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم ، فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَين المُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ » [(٢)] .

فإذا كان هذا صنع اللَّه بعباده المؤمنين فكيف يستعظم عبد ذنبه فيلقي بيديه إياسًا من رحمته وقنوطًا منها فلا يرجع إليه بتوبة يمحو بها خطاياه ؟! وكيف يكبر عليه ما جنته يداه إذ حل به الموت وهو غير تائب منها ولا راجع إلى ربه عنها فيقنط من رحمته التي وسعت كل شيء .

فمعنى الحديث يرجع إلى شيئين :

أحدهما : أن اللَّه تعالى لا يرضى للمؤمن أن يرجع عنه إلى غيره ، أو [٣٢٦/ب] أن يعتمد سواه ، أو يسكن إلى صفات نفسه من طاعة يعتمدها أو معصية يصر عليها ، بل يريد من المؤمن نظره إليه وإقباله عليه وتملقه له والتجاءه إليه .

والثاني : ألا يستعظم ما يكون منه ولا يستكثر ما يأتيه من طاعة يصول بها أو معصية يقنط منها ، فإن العبد قليل صغير مهين حقير ، فما عسى أن يكون منه شيء يعتمد عليه أو يسكن إليه أو يعظم عند اللَّه قدره ، وهو ملك جليل إله عظيم غني كريم ، أو ما عسى أن يجترح من سيئاته ويكتسب من خطيئاته ما لا يسعه عفوه وهو واسع عليم بر رحيم .

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن أنس ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٤/ ٦٢٠) رقم (٨٧١٨) .

١٩٥

باب في ترك ما يؤذي الملائكة وإن كان حلالًا

حديث آخر : [١٠٩٠] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانيُّ ح شريك وأبو بكر عن أبي إسحاق عن يحيى البَهْرَانيِّ [(١)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كَانَ يُنْبَذُ [(٢)] لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَشْرَبُهُ مِنْ يَوْمِهِ وبالغَدِ فَإِنْ بَقِيَ مِن [(٣)] بَعْدِ الغَدِ أَهْرَاقَهُ أَوْ سَقَاهُ الْخَدَمَ » [(٤)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون النبي ﷺ إنما يترك شربه بعد يومين ؛ لأنه عسى كان يتغير رائحته وإن كان لم يتغير طعمه ، ولو كان تغير طعمه لم يسقه الخدم ؛ لأن النبيذ إذا تغيَّر طعمه لمرور الوقت عليه خاصة في مثل أرض الحجاز مع حرارتها فإنه يغير حال شاربه ، وقد نهى رسول اللَّه ﷺ عن شرب ما أسكر كثيره ، وحرم اللَّه ورسوله المسكر من الشراب والنبيذ إذا تغيَّر طعمه ، فإنما يتغير من الحلاوة إلى المرارة ، وإذا صار كذلك ربما أسكر ، وما أسكر فالنبي ﷺ لا يسقيه الخدم [٣٢٧/أ] ولا غيرهم ، وما ترك النبي ﷺ شربه لتحريمه فإنه لا يسقيه غيره ، ولكن ربما كان يتغير رائحته ، وتغير الرائحة لا يوجب تحريمه ؛ لأنه لا يغير حال شاربه ، فكان يسقيه الخدم ؛ لأنه حلال ، ولا يشربه ؛ لأنه كان لا يتناول ما له رائحة كريهة وإن كان ذلك حلالًا .

ألا ترى أنه كان لا يأكل الثوم لرائحته ، وكان ﷺ يأتيه ملائكة اللَّه وهم يتأذون بالكريهة من الرائحة ، فكان ﷺ يترك تناول ما يتأذَّوْنَ به .

حدثنا محمد بن محمد ح نصر بن زكريا ح عمار بن الحسين ح سلمة بن الفضل

---

(١) البَهْرَانيِّ : بفتح الباء المنقوطة بواحدة ، وسكون الهاء ، وفتح الراء ، وفي آخرها النون ، هذه النسبة إلى بهراء وهي قبيلة من قضاعة نزلت أكثرها بلدة حمص مدينة بالشام ، الأنساب (٣٠٤/١) .

(٢) في هامش الأصل : ينتبذ .

(٣) في (خ) : شيء .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الأشربة باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكرًا (١٥٨٩/٣) رقم (٢٠٠٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الأشربة باب ذكر ما يجوز شربه من الأنبذة وما لا يجوز (٢٤٤/٣) رقم (٥٢٤٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٠٠/٨) رقم (١٧١٩٨) ، وأبو عوانة في مسنده (١٣٠٣/٥) رقم (٨١٢١) ، والطبراني في الكبير (١١٢/١٢) رقم (١٢٦٢٨) .

حدثني محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبيد اللَّه الْيَزَنِيِّ (١) عن أبي رهم الشَّامِيِّ حدثني أبو (٢) أيوب ﷺ قال : [١٠٩١] لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنَّا نَصْنَعُ لَهُ عَشَاءً ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ مِنْهُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوَاضِعَ أَصَابِعِهِ فَأَكَلْنَا مِنْه نَبْتَغِي بِذَلِكَ البَرَكَةَ حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ وَقَدْ جَعَلْنَا فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثَوْمًا فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا . قَالَ : فَجِئْتُه فَزِعًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي رَدَدْتَ عَشَاءَكَ وَلَمْ أَرَ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ . قَالَ : « **إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجَى فَأَمَّا أَنْتُم فَكُلُوه** » ، قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ لَهُ بَعْدُ (٣) .

فكان ﷺ لا يأكل ما يؤذي به من يناجيه من ملائكة اللَّه الكرام وإن كان حلالًا ، ومن ذلك أيضًا ما حدثنا خلف ح إبراهيم ح محمد حدثني إبراهيم بن موسى أخ هشام ابن يوسف [٣٢٧/ب] عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت : [١٠٩٢] كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا ، فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَنْ أَيَّتِنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ : أَكَلْتَ مَغَافِيرَ (٤) ؟ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ ، فَلَمَّا قُلْنَا : قَالَ : « **لا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، فَلَنْ أَعُودَ وَقَدْ حَلَفْتُ لا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا** » (٥) ، أَرَاهُ فنزلت : ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ [التحريم: ١] .

---

(١) الْيَزَنِيُّ : بفتح الياء المنقوطة من تحتها بنقطتين ، والزاي مفتوحة بعدها نون ، هذه النسبة إلى يزن ، وهو بطن من حِمْير ... والمشهور بهذه النسبة أبو الخير مرثد بن عبيد اللَّه اليزني ... كان مفتي أهل مصر في أيامه ، الأنساب (٥٣٠/٤) .

(٢) في الأصل : أبي .

(٣) الحديث أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن أبي أيوب (٢٧/٣) .

(٤) المغافير : شيء يَنْضَحُه شَجَرُ العُرْفُط حُلو كالناطف ، النهاية مادة (غفر) ، (٣٧٤/٤) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن عائشة في كتاب التفسير باب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم: ١] ، (١٨٦٥/٤) رقم (٤٦٢٨) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة في كتاب الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (١١٠٠/٢) رقم (١٤٧٤) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأشربة باب في شراب العسل (٣٣٥/٣) رقم (٣٧١٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الأيمان والكفارات باب النية في اليمين (١٣٠/٣) رقم (٤٧٣٧) ، وأحمد في مسنده (٢٢١/٦) رقم (٢٥٨٩٤) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٥٣/٧) رقم (١٤٨٥٧) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٠٧/٨) ، وأبو عوانة في مسنده (١٥٨/٣) رقم (٤٥٥٤) .

وإنما قالتا له : « أكلت مغافير ؟ » ؛ لأنه شيء له رائحة كريهة ، فكان النبي ﷺ يجتنب كل رائحة كريهة لمكان الملائكة ، ويحب الطيب من أجلهم ، فكان النبي ﷺ لا يشرب النبيذ إذا تغيَّرت رائحته ، كما يترك البصل والثوم والمغافير وهي كلها حلال ، وكان يسقيه الخدم دون غيرهم ؛ لأنه ﷺ كان يتأذى بما تتأذى منه الملائكة ، ولو سقاه أهله أو بعض أصحابه لكان يتأذى بهم إذا ناجوه كما يتأذى به الملك أن لو أكله إذا ناجاه ، وقد قال ﷺ : [١٠٩٣] « **مَنْ أَكَلَ الثَّوْمَ والبَصَلَ والكُرَّاثَ فَلا يَقْرَبْنَا في مَسَاجِدِنَا** » حدثناه نصر ح أبو عيسى ح إسحاق بن منصور أخ يحيى بن سعيد القطان عن ابن جريج عن عطاء عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ [١] .

فقوله : « أهراقه أو سقاه الخدم » يجوز أن يكون يهريقه إذا تغير طعمه ورائحته ، ويسقيه الخدم إذا تغيرت رائحته ولم يتغير طعمه ، والله أعلم .

١٩٦
باب في عذاب القبر

حديث آخر : [١٠٩٤] حدثنا حاتم ح يحيى [٣٢٨/أ] ح الحِمَّانِيُّ ح ابن عيينة قال : سمعت القاسم الرحال يقول : سمعت أنسًا ﷺ يقول : دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ خَرِبًا [٢] لِبَنِي النَّجَّارِ كَأَنَّه يُرِيدُ حَاجَةً ، فَخَرَجَ وَهُوَ مَذْعُورٌ فَقَالَ : « **لَوْلا أَلَّا [٣] تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُم عَذَابَ أَهْلِ القُبُورِ مَا أَسْمَعَنِي** » [٤] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن جابر بن عبد الله في كتاب صفة الصلاة باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث (٢٩٢/١) رقم (٨١٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأطعمة باب في أكل الثوم (٣٦٠/٣) رقم (٣٨٢٢) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في كراهية أكل الثوم والبصل (٢٦١/٤) رقم (١٨٠٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب المساجد باب النهي عن منع النساء إتيان المساجد (٢٦٠/١) رقم (٧٨٦) ، وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة في كتاب الإقامة باب من أكل الثوم فلا يقربن المسجد (٣٢٤/١) رقم (١٠١٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى وعبد الرزاق في مصنفه جابر (٧٦/٣) رقم (٤٨٣٢) ، وابن حبان في صحيحه (٥٢٢/٤) رقم (١٦٤٤) ، وابن خزيمة في صحيحه (٨٣/٣) رقم (١٦٦٥) .

(٢) في هامش (خ) : أي حائط . (٣) سقط من (خ) .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه عن أنس في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٢٢٠٠/٤) رقم (٢٨٦٨) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أنس (١١١/٣) رقم (١٢١١٧) ، وابن حبان في صحيحه (٣٩٦/٧) رقم (٣١٢٦) ، والحميدي في مسنده (٥٠١/٢) =

قال الشيخ رحمه الله: يجوز أن يكون إنما أحب أن يسمعهم عذاب القبر دون غيره من الأهوال التي تستقبل الميت [1] [إذا مات] [2] [من الأهوال] [3] من رؤية الملائكة وبشارتهم بالخير والشر وأمثالها مما هو من أحواله في الدنيا ؛ لأنه عرف من الناس استعظامًا لذلك ، وكانوا ينكرون أن يعرف الميت شيئًا من الأشياء بعد موته قبل أن يؤمنوا ، فكان ذلك في قلوبهم حتى قرر النبي ﷺ ذلك عندهم ، كما قرر اللّٰه البعث والحياة بعد الموت عند من أنكره منهم ، وكانوا في أمر البعث والحياة بعد الموت فِرقًا مختلفين ، منهم من ينكر ذلك كله رأسًا ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾ [الإسراء: ٤٩] الآية ، ومنهم من يظنه ظنًا ولا يستيقنه ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [الجاثية: ٣٢] الآية ، ومنهم من يقر به وهو على شركه باللّٰه ، يعبد معه غيره ، منهم عبد المطلب جد رسول اللّٰه ، قال عند حفره زمزم وهو يضرب بالقداح على الغزالين والأدراع التي وجدها في طوى زمزم فيما حدثنا المَحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار بن الحسن عن سلمة بن الفضل حدثني محمد بن إسحاق قال : [١٠٩٥] « قَامَ عَبْدُ المطَّلِبِ يَدْعُو اللَّهَ ويَقُولُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ المِلِكُ المحمُودُ رَبِّي ، وأَنْتَ المبْدِئُ المعِيدُ ، [٣٢٨/ب] ومُمْسِكُ الرَّاسِيَةَ الجلمُودَ ، مِنْ عِنْدِكَ الطَّارِفُ والتَّلِيدُ ، إِنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ لِمَا تُرِيدُ مِنْ مَوْضِعِ الحِلْيَةِ والحَدِيدِ » [4] .

ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو يقول في قصيدته التي أولها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

يؤخر فيوضع في كتاب ويدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومنهم زيد الفوارس بن حصين الضبي وهو الذي يقول :

أريد به يوم الحساب جزاءه لذي حاسب يوم القيامة عالم

فكانوا في الجاهلية في البعث مختلفين كما ذكرنا ، وهم مجمعون أن الميت لا يعرف

= رقم (١١٨٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٤/٦) رقم (٣٦٩٣) ، وعبد اللّٰه بن أحمد في السنة (٥٩٧/٢) رقم (١٤٢١) .

(١) من هامش الأصل .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) هذه العبارة غير متسقة والسياق ، ويبدو أنها زائدة .

(٤) الحديث ذكره الفاكهي في أخبار مكة بألفاظ مختلفة عن ابن إسحاق (٢٠/٢) .

لذة ولا ألمًا ، ولا يسمع نداء ، فأخبرهم النبي ﷺ بأن الميت يعذب في قبره ، فقال حين مر بالقبرين فغرس فيهما عودين وقال : [١٠٩٦] « **إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، والآخَرُ فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ مِنَ البَوْلِ** » (١) .

وتعوذ ﷺ من العذاب في القبر ، حدثنا الحسين (٢) بن علي ح ابن أبي ميسرة ح أبو جابر محمد بن عبد الملك ح شعبة عن بذيل بن ميسرة عن عبد الله بن سفين (٣) عن أبي هريرة ﷺ : [١٠٩٧] « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ [كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنَ النَّارِ] (٤) ، كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وعَذَابِ جَهَنَّمَ وفِتْنَةِ الدَّجَّالِ » (٥) ، وقال لعائشة : [١٠٩٨] « **تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ** » (٦) .

والأخبار فيه كثيرة وافرة ، فكان مع ذلك يستبعدون ذلك ويستعظمونه ، حتى (٧) قالوا لما نادى أصحاب القليب يوم بدر : [٣٢٩/أ] « **أتنادي قومًا قد جيفوا ؟!** » كما حدثنا المحْمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة ح محمد بن إسحاق ح ني حميد الطويل عن أنس ﷺ قال : [١٠٩٩] سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله (٨٨/١) رقم (٢١٣) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول (٢٤٠/١) رقم (٢٩٢) ، وأبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب الاستبراء من البول (٦/١) رقم (٢٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطهارة باب التنزه من البول (٦٩/١) رقم (٢٧) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة باب التشديد في البول (١٢٥/١) رقم (٣٤٧) ، والدارمي في سننه (٢٠٥/١) رقم (٧٣٩) ، وأحمد في مسنده (٢٢٥/١) رقم (١٩٨٠) .

(٢) في (خ) : الحسن .

(٣) في (خ) : شقيق . ا.هـ. وهو الصواب ، تهذيب الكمال (٩٠/١٥) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه - دون ما بين المعكوفين - عن أبي هريرة في كتاب المساجد باب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٤١٣/١) رقم (٥٨٨) ، وأبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب الوتر باب في الاستعاذة (٩٠/٢) رقم (١٥٤٢) ، والنسائي في سننه الكبرى عن أبي هريرة في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من عذاب جهنم (٤٦٤/٤) رقم (٧٩٥٨) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٢٩٨/٢) رقم (٧٩٥١) .

(٦) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن ميمونة (٣٠٣/٥) رقم (٦٧٣١) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٠٥/٨) ، والطبراني في الأوسط عن عائشة (٤٣/٥) رقم (٤٦٢٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام (٤٦/٣) .

(٧) في (خ) : حين .

« **يَا أَهْلَ القَلِيبِ** [١] ، **يَا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعةَ ويَا شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ويَا أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ويَا أَبَا جَهْلِ بْنِ هِشَام** - فَعَدَّدَ مَنْ كَانَ معَهُم في القَلِيبِ - **هَلْ وَجَدْتُم مَا وَعَدَ رَبُّكُم حَقًّا ؟! ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا** » . فَقَالَ المسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جِيفُوا ؟! قَالَ : « **مَا أَنْتُم بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُم وَلَكِنْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي** » [٢] .

فكان ذلك مما يستبعدونه ويستنكرونه [٣] ، والنبي ﷺ يعرف ذلك منهم فقال : « **لولا ألا تدافنوا لسألت اللَّه أن يسمعكم عذاب أهل القبور** » ليزول عنكم الاستعظام له [٤] ، ولم يكونوا يستبعدون سائر ما أخبرهم به من نزول الملائكة وأحوال ما يستقبل الميت ، فخص رسول اللَّه ﷺ هذا بإرادة أن يسمعهم ليتقرر عندهم ، ويتمكن من قلوبهم تمكن العيان ، وإن كان قد تمكن من قلوبهم كونه من جهة الخبر ، فإن المخبر ليست حالته كحالة المعاين .

وقوله : « **ألا تدافنوا** » يجوز أن يكون ذلك أي لما يدخل في قلوبكم من الفزع والخوف لا تقدروا على نزول الحفر ودفن الموتى فيها .

ويجوز أن يكون معنى « لا تدافنوا » أي إذا عرفتم أن الذي تريدون دفنه معذب تركتم دفنه استهانة به ، وترون أنه من أهل النار ، وليس كل معذب في قبره من أهل النار ، فقد ضغط القبر [٣٢٩/ب] من اهتز له العرش سعد بن معاذ ﷺ ، وذلك نوع من العذاب ، فليس كل معذب في قبره يكون من أهل النار .

فيجوز أن يكون النبي ﷺ خاف على أمته أنهم إن تحققوا بعذاب ميت منهم في قبره حكموا عليه بأنه من أهل النار ، وقطعوا عليه بذلك فتركوا دفنه والدعاء له ، فلم يرجو له من النجاة ما يرجون لموتاهم ، فلم يسأل اللَّه أن يسمعهم ذلك ليكونوا في موتاهم المؤمنين بين خوف عليهم ورجاء لهم ، ولا يقطعوا بأحد الأمرين عليهم ، كما

---

(١) القَلِيب : البِئر التي لم تُطْوَ ويُذَكَّر ويؤنث ، النهاية مادة (قلب) ، (٤/٩٧) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٤/٢٢٠٣) رقم (٢٨٧٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين (١/٦٦٥) رقم (٢٢٠١) ، وأحمد في مسنده (١/٢٦) رقم (١٨٢) ، وابن حبان في صحيحه (١٤/٤٢٣) رقم (٦٤٩٨) ، والطبري في تاريخه (٢/٣٧) ، وعبد بن حميد في المنتخب (١/٣٦٤) رقم (١٢١١) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٢٥) رقم (٨٧٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٦/٧٢) رقم (٣٣٢٦) .

(٣) في هامش الأصل : ويستكبرونه .

(٤) زاد في (خ) بعدها : والاستبعاد .

قال للذي قال في عثمان بن مظعون لما مات : [١١٠٠] شَهَادَتِي لكَ أَبَا السَّائِبِ [١] بِكَذَا . فَقَالَ : « **وَمَا يُدْرِيكَ ؟! واللَّهِ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟! وإِنِّي لا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِي ، وإِنِّي لأَرْجُو اللَّهَ لَهُ** » [٢] هذا معنى الحديث ، فلما كره النبي ﷺ أن يقطعوا بالشهادة من عندهم لأحدهم بالجنة والفوز والنجاة كذلك كره أن يقطعوا بالشهادة لأحدهم بالهلاك والنار ، والله أعلم .

١٩٧
باب في الحياء من الله تعالى

حديث آخر : [١١٠١] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح مروان بن معاوية ويعلى ابن عبيد عن أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة [٣] عن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ** » . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي . قَالَ : « **لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى ، وَلْيَحْفَظِ البَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَلْيَذْكُرِ المَوْتَ والبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ فَلْيَتْرُكْ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ** » [٤] .

---

(١) في هامش (خ) : أي يا أبا السائب ، وأبو السائب كنية عثمان .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن خارجة بن زيد بن ثابت في كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه (٤١٩/١) رقم (١١٨٦) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير باب العين الجاري (٣٨٥/٤) رقم (٧٦٣٤) ، وأحمد في مسنده (٤٣٦/٦) رقم (٢٧٤٩٧) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٥٣٤/١) رقم (١٤٠١) ، قلت : بل أخرجه البخاري كما يتضح من التخريج ، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٤٠٦/٣) رقم (٦٥٠٢) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي النضر (٤٠٩/٢) رقم (٦٤٣) ، ومعمر بن راشد في الجامع (٢٣٧/١١) رقم (٢٠٤٢٢) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٤٦١/١) رقم (١٥٩٣) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : الْهَمْدَانِيُّ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن مسعود في كتاب صفة القيامة باب منه ، وقال : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد (٦٣٧/٤) رقم (٢٤٥٨) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٨٧/١) رقم (٣٦٧١) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي (٣٥٩/٤) رقم (٧٩١٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٢/٦) رقم (٧٧٣٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٧/٧) رقم (٣٤٣٢٠) ، والبزار في مسنده بألفاظ مختلفة (٣٩٢/٥) رقم (٢٠٢٥) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٦١/٨) رقم (٥٠٤٧) ، =

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الحياء فزع يتولد [٣٣٠/أ] في الإنسان ممن يجل قدره عنده ، وممن يهابه ويجله ، عند تقصير يكون منه في واجب حقه ، وإجلاله أن يراه على فعل سقيم أو خلق ذميم ، فالله تعالى أجل ناظر ، وأكبر شاهد ، لا يخفى عليه خافية ، ونعمه على عباده لا تحصى عدًّا ، ولا تدرك حدًّا ، وهو المحسن المتفضل مبتدئًا ومجازيًا ، فقد ابتدأ بالفضل والبر والإنعام والإكرام قبل الإيجاد ، وزاد من فضله بعد ما أوجد ، ووعد الزيادة من فضله عودًا بعد بدء ، جازى بالحسنة أمثالها بل أضعافها ، ووعد للحاجة إسعافها ، وللسيئة غفرانها ، فهو البر الكريم الغفور الرحيم .

وأفعال العباد نوعان : مأمور بها ومنهي عنها ، فالمنهي عنها مسؤول عنها ، والمأمور بها مدخول فيها ، وكلا الأمرين يوجب الحياء ، فقوله ﷺ : « **استحيوا من الله حق الحياء** » أمر بإجلال الله وتعظيمه ومعرفة حقه وتنبيه على عجز الإنسان وضعفه وتقصيره كأنه قال : أجِلُّوا الله وعظموه واعرفوا تقصيركم في واجبه .

وقولهم : « إنا لنستحيي » كأنهم يقولون : إنا نجل الله عن اتخاذ الشركاء والأولاد ، ونعظمه بمعنى التنزيه عما لا يليق به من أوصاف الحدث ، ونعرف من أنفسنا التقصير في خدمته ، والعجز عن حق عبادته .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « **ليس ذاك** » أي ليس الذي أردت بقولي ذاك فإني عرفت ذلك منكم ، وليس معناه أنكم لستم تستحيون هذا الحياء ، ولكن حق الحياء حفظ الرأس وما حوى ، وحفظ البطن وما وعى ، والذي يحويه الرأس [٣٣٠/ب] هو السمع والبصر واللسان ، والذي وعاه البطن القلب والفرج ، والله تعالى ناظر في الأحوال كلها لا يحجب العبد عنه شيء ، ولا يواريه كنٌّ ، وهو تعالى على من آمن به مقبل ، وله مؤثر ، وعليه عاطف ، وله ذاكر ، وعليه مثنٍ [(١)] ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] الآية ، وقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] إلى آخرها ، فهذا ثناؤه عليهم وهو سامع لدعائهم وثنائهم قال الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى

= والطبراني في الكبير (١٥٢/١٠) رقم (١٠٢٩٠) ، وفي الأوسط عن عائشة (٢٢٦/٧) رقم (٧٣٤٢) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : (قال الحافظ : أبان والصباح مختلف فيهما ، وقد ضعف الصباح برفعه هذا الحديث ، وصوابه عن ابن مسعود موقوفًا عليه) (٣٤٨/٢) رقم (٢٦٧٤) .

(١) في الأصل : مثني .

زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة : ١] وقال سمع اللّٰه لمن حمده ، فحق الحياء منه ألا يذكر معه غيره ، ولا يثني على أحد سواه ، ولا يشكى [١] في الأحوال كلها إلا إياه ، وبالحري أن يستحيى عن غير [٢] هذه الأوصاف إجلالًا لقدره ، وتعظيمًا لحقه ، ومعرفة بالواجب من المكافآت ، وعجزًا عن المقابلة له بأفعاله السقيمة وأوصافه الذميمة ، ومن حق الحياء ألا ينظر إلا إلى من هو ناظر إليه ، ولا يقبل إلا على من هو مقبل عليه ، ولا يؤثر إلا من آثره ، وأن يكون أبدًا بين يديه ماثلًا ، وبسره إليه مائلًا ، وبالحق له وفيه قائلًا ، وله معظمًا ، ومنه قابلًا ، وهو في نظره إليه مشفق ، وفي إقباله عليه مطرق إجلالًا له وحياء منه أنه تعالى يراه ويعرف سره ونجواه ، وهو في واجبه ذو تقصير ، وعن أداء حقه قاصر [٣] ، ومن حقه ألا يسمع قائلًا إلا هو ، ولا يصغي بسمعه إلا إليه ، ولا يعي إلا قوله ، سمعه يقول : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ [٣٣١/أ] ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [الواقعة : ٨٥] ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] فهو لا يسمعه إلا ثناءه ، ولا يريد إلا رضاه ، فيستحيي أن يراه وهو إلى غيره ناظر ، وينظر إليه وهو لغيره ذاكر ، وأن يصغي إلى غيره وفي قلبه له منه زاجر ، ثم إذا رجع إلى ما وعاه بطنه من قلبه فعلم أنه موضع نظره إليه من ربه أجله أن يجد فيه شغلًا لسواه ، أو يراه مقبلًا على غيره بمعناه ، أو ينيب في كل حال إلا إلى مولاه ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق : ٣٣] فمن استحيى من اللّٰه سلمت أفعاله ، وتهذبت أخلاقه ، وطهر سره ، وظهر بره ، وقل شره ، وكثر خيره قال عليه السلام : « **الحياء خير كله** » .

حدثنا محمد بن نعيم ح أبو حاتم الرَّازِيُّ ح الأنصَارِيُّ حدثني خالد بن رباح عن أبي السوار عن عمران بن حصين قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : [١١٠٢] « **الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ** » [٤] .

ثم هو في متصرفاته المأذون له فيها وجل ، وحوائجه التي لا بد [٥] منها خجل ، حدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن يوسف ح الكُدَيْمِيُّ ح خالد بن عبد الرحمن ح سفيان الثَّوْرِيُّ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : [١١٠٣] « أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام كَانَ

---

(١) في هامش الأصل وفي (خ) : يشكر .
(٢) من هامش الأصل .
(٣) في (خ) : عاجز .
(٤) سبق في اللوحة رقم (٧٧/ب) .
(٥) زاد في (خ) بعدها : لها .

إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ غَطَّى رَأْسَه ، وَإِذَا أَتَى أَهْلَه غَطَّى رَأْسَه » [١] .

فمن استحيى من الله إن عمل برًّا خجل لتقصيره فيه ، وإن زل زلة غلب حياؤه خوفه ؛ لأن الخوف يرجع إلى ذات الخائف ؛ لأن الوعيد عليه ، والحياء يرجع معناه إلى إجلال قدر من ضيع حقه .

وقوله : « **ومن أراد الآخرة فليترك زينة الدنيا** » [٣٣١/ب] نبه (بهذه الكلمة على تعظيم قدر الله وإجلاله ، وذلك أن الآخرة مخلوقة لحظوظ الأبدان ، كما أن الدنيا مخلوقة لمرافق النفوس ، وبالعبد إليهما جميعًا حاجة ، كما لا بد له من الآخرة التي إليها مصيره ، كذلك لا بد له من الدنيا التي فيها ممره ، غير أن الآخرة خير من الأولى ، وهما ضرتان ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، فمن أراد الآخرة وتشبث بالدنيا كان كمن أراد أن يدخل دار ملك دعاه لضيافته ، وعلى عاتقه جيفة ، وتحت إبطه ميتة ، والملك بينه وبين الدار عليه طريقه ، وبين يديه ممره ، فكيف يكون حياؤه منه ؟ وكيف يحتال لطرح [٢] ما على عاتقه ؟ ورمي ما تحت إبطه ؟ فهو يستتر بكل ما يرى أنه يستره ، ليطرح عنه ثقله ويزيل عنه نتنه ، فكذلك من أراد الآخرة وهو متشبث بالدنيا ، والدنيا جيفة ، فإن النبي ﷺ [١١٠٤] مَرَّ بِسَخلةٍ [٣] مَيِّتَةً ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ : « **فَكَيْفَ تَرَوْنَ هَوَانَ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا ؟** » فَقَالُوا : مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا . فَقَالَ : « **الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا** » [٤] .

فإذا كان هذا حال من أراد الآخرة فما ظنك بمن أراد الله الذي ليس كمثله شيء

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن عائشة وقال : وهذا الحديث أحد ما أنكر على محمد بن يونس الكديمي (٩٦/١) رقم (٤٦٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٣٩/٧) ، وابن عدي في الكامل (٢٩٣/٦) رقم (١٧٨٠) ، وفي إسناد الحديث الكديمي ، وهو محمد بن يونس بن موسى أبو العباس الكديمي البصري ، قال ابن عدي في الكامل : (اتهم بوضع الحديث وبسرقته ، وادعى رؤية قوم لم يرهم والرواية عن قوم لا يعرفون ، وترك عامة مشايخنا الرواية عنده) (٢٩٣/٦) رقم (١٧٨٠) .

(٢) في الأصل : طرح .

(٣) السخلة : ولد الشاة من المَعز والضَّأن ذكرًا كان أَو أُنثى ، لسان العرب مادة (سخل) .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن المستورد بن شداد في كتاب الزهد باب ما في هوان الدنيا على الله ﷻ ، وقال : حديث المستورد حديث حسن (٥٦٠/٤) رقم (٢٣٢١) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب مثل الدنيا (١٣٧٧/٢) رقم (٤١١١) ، والدارمي في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٣٩٦/٢) رقم (٢٧٣٧) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن المستورد بن شداد (٢٢٩/٤) رقم (١٨٠٤٢) ، وابن المبارك في الزهد (١٧٧/١) رقم (٥٠٨) .

كيف يجب أن يكون رفضه لما سواه ؟ وكيف يجب أن يكون إقباله على مولاه وإعراضه عن نفسه ودنياه ؟ وكيف لا يستحيي من ربه إذا نظر إلى غيره بقلبه ؟ .

حدثنا العماني ح جدي ح أحمد بن أبي الحَوَارِيِّ قال [٣٣٢/أ] : سمعت أبا أحمد القاضي قال : (إن العباد عملوا على أربع درجات - أو قال : على أربع منازل - : على الخوف ، وعلى الرجاء - أو قال : الشوق - والتعظيم ، والحياء ، فأشرفها منزلة الحياء) ، لما أيقن القوم أن الله يراهم على كل حال اكتفوا بذلك ، قالوا : سواء علينا رأيناه أو رآنا ، فكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه جل وعز .

١٩٨
باب في النهي عن الأكل بالشمال

حديث آخر : [١١٠٥] حدثنا نصر ح أبو عيسى أخ إسحاق بن منصور أخ عبيد الله ابن نمير ح عبيد الله بن عمر عن ابن شهاب عن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن عمر [١] ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **لا يَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ وَلا يَشْرَبْ بِشِمَالِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ** » [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : اليمين والشمال جانبا الجسم وطرفاه ، وكل جسم له حد ، وحد الجسم عند الفلاسفة الطويل العريض العَميق ، قال : فأول حدَّي الطول هو البداية ، والثاني النهاية ، وأول حدَّي العرض اليمين ، والثاني الشمال ، واليمين والشمال اسمان لحدَّي العرض ، والشيطان جسم ، فيجوز أن يكون له يمين من جهة أنه أول حدَّي عرضه ، وشمال ويكون ذلك آخر حدَّي عرضه ، فإن كان له يمين من هذه الجهة فليس فيه شرف ، فهو يأكل باليد التي هي آخر حدَّي عرضه ، ولا يأكل باليد التي هي أول

---

(١) في (خ) : عبد الله بن عمر . ا.هـ. وهو الموافق لروايات الحديث التي وقفت عليها .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عمر في كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (١٥٩٩/٣) رقم (٢٠٢٠) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في النهي عن الأكل والشرب بالشمال ، وقال : حسن صحيح (٢٥٧/٤) رقم (١٧٩٩) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب الأشربة المحظورة باب النهي عن الشرب بالشمال (١٩٩/٤) رقم (٦٨٩٢) ، وابن ماجه في سننه بنحوه عن أبي هريرة في كتاب الأطعمة باب الأكل باليمين (١٠٨٧/٢) رقم (٣٢٦٦) ، ومالك في الموطأ بألفاظ مختلفة عن ابن عمر (٩٢٢/٢) رقم (١٦٤٤) ، والدارمي في سننه (١٣٢/٢) رقم (٢٠٣٠) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٨٠/٢) رقم (٥٥١٤) .

حدَّيه ؛ لأنه معكوس مقلوب الخلقة ، يبدأ بالآخر ، وهذه صفة ذم ؛ لأنها صفة عكس وقلب .

ونهى رسول اللَّه ﷺ المؤمنين أن يفعلوا فعله ، فيتصفوا بصفته ، وقد جعلت اليمين من الإنسان لما فوق الإزار من البدن ، [٣٣٢/ب] وهو موضع الطهارات ، والشمال لما تحت الإزار ، وهو موضع الحدث ، ونهى النبي ﷺ أن يمس الرجل فرجه بيمينه أو يمسكه ، وقال أبو بكر [١] ﷺ : [١١٠٦] « مَا بَزَقْتُ [٢] عَنْ يَمِينِي مُنْذُ أَسْلَمْتُ » [٣] ، وعن عمر ﷺ قال : [١١٠٧] « مَا بُلْتُ قَائِمًا مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلا مَسِسْتُ فَرْجِي بِيَمِينِي » [٤] ، وعن عثمان ﷺ أنه قال : [١١٠٨] « مَا مَسِسْتُ فَرْجِي بِيَمِينِي مُنْذ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ومَا نشطتُ [٥] فِي وَجْهِ وَالِدَتِي مُنْذُ أَسْلَمْتُ » [٦] ، وقال علي ﷺ : [١١٠٩] « مَا تَسَرْوَلْتُ قَائِمًا مُذْ أَسْلَمْتُ » [٧] ، وقال مسلم بن يسار : [١١١٠] « إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أَمَسَّ فَرْجِي بِيَمِينِي [وَأَنَا أَرْجُو] [٨] أَنْ آخُذَ بِهَا كِتَابِي » [٩] .

فإذا كانت اليد اليمنى للطيبات والطهارات والشمال للأقذار والأنجاس ومواضع الحدث نسب رسول اللَّه ﷺ تناول الطعام وأكله من الشيطان بشماله ؛ لأن الذي يأكله خبيث نجس ، وهو نفسه قذر نجس ، فسواء أكل باليد التي هي من المؤمنين اليمين

---

(١) الثابت أن قائل هذه العبارة هو معاذ بن جبل ﷺ كما سيتبين في تخريج الحديث .

(٢) بزق : البَزْقُ والبَصْق : لغتان في البُزاق والبُصاق ، بَزَقَ يَبْزُقُ بَزْقًا ، لسان العرب مادة (بزق) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن معاذ (٥١٦/٧) رقم (١١١٧٧) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٥٨٦/٣) .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه من أوله حتى « أسلمت » عن ابن عمر في كتاب الطهارة باب ما جاء في النهي عن البول قائمًا (١٨/١) رقم (١٢) ، والحاكم في المستدرك (٢٩٠/١) رقم (٦٤٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١٦/١) رقم (١٣٢٤) ، والبزار في مسنده (٢٥٥/١) رقم (١٤٩) ، وابن عدي في الكامل بألفاظ مختلفة (٣٤٠/٥) رقم (١٤٩٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار ورجاله ثقات (٢٠٦/١) .

(٥) في (خ) : بسطت .

(٦) الحديث أخرجه حتى « بايعت رسول اللَّه ﷺ » الحاكم في المستدرك بلفظه عن عمران بن حصين من كلامه هو لا عثمان ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٥٣٦/٣) رقم (٥٩٩٥) ، وابن أبي عاصم في الزهد (١٤٩/١) ، وأخرجه من كلام عثمان ﷺ ابن أبي عاصم في السنة عن أنس بن مالك (٥٥٨/٢) رقم (١١٧٠) ، والطبراني في الكبير عن زيد بن أرقم (١٩٢/٥) رقم (٥٠٦١) .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) في (خ) : وإني لأرجو .

(٩) الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى بلفظه عن مسلم (١٨٧/٧) .

أو بالشمال ؛ لأنه أكل قذرًا وتناول نجسًا ، واليد التي هي للأنجاس والأقذار هي الشمال ليس اليمين .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **يأكل بشماله** » أي يأكل الشؤمى ، والشمال تسمى الشؤمى ، واليمين تسمى اليمنى وقال الشاعر :

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك

وقال الله ﷻ : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [الواقعة: ٨، ٩] ثم قال : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٢٧] ، ﴿ وَأَصْحَابُ [٣٣٣/أ] الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ [الواقعة: ٤١] ، ﴿ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [البلد: ١٩] ، [فأصحاب الشمال هم أصحاب المشأمة] [1] والمشأمة من الشؤم ، والميمنة من اليمن ، فاليد اليمنى كأنها هي المباركة الطيبة الطاهرة ، والشمال هي الشؤمى ، كأنها مشؤومة منحوسة ، فلما كان الشيطان مشؤومًا منحوسًا ، فكل أوصافه شؤم ونحس ، وهو نفسه مشئوم ملعون ، فيداه جميعًا مشؤومتان ، فبأي يد أكل فهي الشؤمى ، وعلى هذا يكون يداه جميعًا شمالاً وشؤمى ، وليست له يمين ولا يمنى ، غير أن الذي يدل الحديث عليه يريد به اليد التي هي من الجانب الذي هو الشمال ، وهو الذي إذا توجهت إلى المشرق كان على شمالك وإذا توجهت إلى القبلة كان على يمينك ، فناحيتا العالَم تسميان شمالاً وجنوبًا ، فالجنوب ما على يمينك إذا توجهت إلى المشرق ، والشمال ما على شمالك إذا توجهت إليها ، فيد الشيطان التي هي إلى الشمال شمال ، والتي إلى الجنوب يمين من جهة الناحية والحد ، ويمينه شمال من جهة المشؤوم ، ومن جهة أن ما يتناوله قذر نجس خبيث .

فقوله ﷺ : « **إن الشيطان يأكل بشماله** » أي يأكل باليد التي هي من ناحية الشمال ، فكلوا أنتم باليد التي هي من ناحية اليمين ، فيمين المسلم يمين من جهة الجهة والحد ، وناحية العالَم وهي يمين من جهة البركة ، واليمنى وهي لما فوق الإزار ، وتناول الطهارات والطيبات ، وبها يعطى كتابه ، وبها يأخذه ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا [٣٣٣/ب] يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] وهو من أصحاب اليمين ، يعني المباركين الطيبين الطاهرين ، وشمال المسلم من [2] يده من ناحية الشمال وجهته وحده ، فهي لما تحت الإزار من موضع الحدث ، وتناول الخبائث من

---

(١) زيادة من (خ) . (٢) سقط من (خ) .

الأنجاس والأقذار ، والاستطابة بها ، وهي التي يعطى الكافر بها كتابه فيأخذه بها ؛ فيدعو ثبورًا ويصلى سعيرًا ، وهو من أصحاب الشمال والمشأمة أي الشؤم ، فهو مع المشائم الملاعين الخبيثين الأنجاس ، وأما الشيطان فكلتا يديه شمال وشؤمى ؛ لأنه من أصحاب الشمال والمشأمة ، وهو أشأم المشائم ، وأخبث الخبيثين ، وأنجس الأنجاس ، وأقذر الأقذار ، وكل ما يفعله قذر نجس ، والذي يأكله خبيث رجس ، فبأي يديه أكل فهي الشؤمى والشمال ، وهو يأكل باليد التي هي له من ناحية الشمال ، فيمينه شمال ، وشماله شمال ؛ لأنهما مشؤومتان منحوستان قذرتان نجستان .

والذي يأكله الشيطان فيجوز أن تكون له عين من الأعيان يأكله من الأنجاس والأقذار فيكون طعامًا له ، والذي يشارك الإنسان فيه مما يأكلونه فالرائحة دون العين ، كالجن الذين طعامهم العظم ، وإنما هو رائحته دون عينه ، قال ﷺ : [١١١١] « **لا تستنجوا بالعَظْمِ فَإنَّه زَادُ إخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ** » (١) ثم يرى العظم إذا وضع لم ينقص من عينه شيء ، فهم إنما يأكلون رائحته .

فيجوز أن يكون الشيطان يشارك الناس في طعامهم إذا لم يسموا الله عليه في رائحته دون عينه ، يدل على ذلك ما حدثنا نصر ح أبو عيسى ح أحمد بن منيع [٣٣٤/أ] ح يعقوب بن الوليد عن ابن أبي ذئب عن الْمَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١١١٢] « **إنَّ الشَّيْطَانَ حَسَّاسٌ لَحَّاسٌ** (٢) ، **فَاحْذَرُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ ، مَنْ بَاتَ وفي يَدِهِ رِيحُ غَمْرٍ** (٣) **فَأَصَابَه شَيْءٌ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ** » (٤) فأخبر أنه إنما يلحس

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود في كتاب الطهارة باب ما جاء في كراهية ما يستنجى به (٢٩/١) رقم (١٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطهارة باب ذكر نهي النبي ﷺ عن الاستطابة بالعظم (٧٢/١) رقم (٣٩) ، وأحمد في مسنده (٤٣٦/١) رقم (٤١٤٩) ، وابن حبان في صحيحه (٢٨١/٤) رقم (١٤٣٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤٤/١) رقم (٨٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٤٣/١) رقم (١٦٤٩) ، وأبو عوانة في مسنده (١٨٦/١) رقم (٥٨٤) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٣٧/١) رقم (٢٨١) ، والطبراني في الكبير (٧٧/١٠) رقم (١٠٠١٠) .

(٢) حَسَّاسٌ لَحَّاس : أي كَثِير اللَّحْس لِمَا يَصِل إليه ، تقول : لَحَسْتُ الشيءَ أَلْحَسُه إذا أَخَذْتَه بلسانك ، واللَحَّاس للمبالغة ، والحَسَّاس الشديد الحَسِّ والإدْراك ، النهاية مادة (لحس) ، (٢٣٧/٤) .

(٣) غَمْر : الغَمْر بفتح الغَين وسكون الميم : الكَثير ، النهاية مادة (غمر) ، (٣٨٣/٣) .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الأطعمة باب ما جاء في كراهية البيتوتة وفي يده ريح غمر ، وقال : غريب من هذا الوجه (٢٨٩/٤) رقم (١٨٥٩) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه الألفاظ ، قال الذهبي : بل موضوع =

الرائحة ، والغمر دون العين .

ويجوز أن تكون مشاركته الناس فيما لا يسمون الله عليه من جهة ذهاب البركة عنه ، فيكون الطعام إذا ترك التسمية يذهب بركته فلا يغني غناءه .

حدثنا نصر ح أبو عيسى ح أبو بكر محمد بن إبان ح وكيع ح هشام الدَّسْتُوَائِيُّ (١) عن بديل بن ميسرة العقيلي عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أم كلثوم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : [١١١٣] « **إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامَهُ فَلْيَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ** » (٢) .

وبهذا الإسناد عن عائشة رضي الله عنها قالت : [١١١٤] **كَانَ النَّبِيُّ عليه السلام يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ ، فَقَالَ عليه السلام : « أَمَا إِنَّه لَوْ سَمَّى اللَّهَ تعالى لَكَفَاكُمْ »** (٣) .

= (١٣٢/٤) رقم (٧١٢٧) ، وابن الجعد في مسنده (٤١٥/١) رقم (٢٨٣٧) ، قال المنذري في الترغيب والترهيب : (قال الحافظ : يعقوب بن الوليد الأزدي هذا كذاب ، واتهم ، لا يحتج به ... وقال البغوي في شرح السنة : حديث حسن) (١٠٩/٣) رقم (٣٢٧٧) .

(١) الدَّسْتُوَائِيُّ : بفتح الدال ، وسكون السين المهملتين ، وضم التاء ثالث الحروف ، وفتح الواو ، وفي آخره الألف ، ثم الياء آخر الحروف ، هذه النسبة إلى بلدة من بلاد الأهواز يقال لها : دستوا ، وإلى ثياب جلبت منها ... والمشهور بهذه النسبة أبو بكر هشام بن أبي عبد الله واسمه سنبر ، المعروف بالدستوائي ، وهو ربعي ، من أهل البصرة ... كان يبيع الثياب التي تجلب منها فنسب إليها ، الأنساب (٢٣١/٢) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام (٣٤٧/٣) رقم (٣٧٦٧) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة في كتاب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام ، وقال : حسن صحيح (٢٨٨/٤) رقم (١٨٥٨) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا نسي التسمية ثم ذكر (٧٨/٦) رقم (١٠١١٢) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة في كتاب الأطعمة باب التسمية عند الطعام (١٠٨٦/٢) رقم (٣٢٦٤) ، والدارمي في سننه بألفاظ مختلفة (١٢٩/٢) رقم (٢٠٢٠) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٢٠٧/٦) رقم (٢٥٧٧٤) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٢١/٤) رقم (٧٠٨٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة (٢٧٦/٧) رقم (١٤٣٨٥) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن عائشة في كتاب الأطعمة باب ما جاء في التسمية على الطعام ، وقال : حسن صحيح (٢٨٨/٤) رقم (١٨٥٨) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة باب التسمية عند الطعام (١٠٨٦/٢) رقم (٣٢٦٤) ، والدارمي في سننه (١٢٩/٢) رقم (٢٠٢٠) ، وأحمد في مسنده (٢٦٥/٦) رقم (٢٦٣٣٥) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٧٦/٧) رقم (١٤٣٨٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٣/١٢) رقم (٥٢١٤) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده بألفاظ مختلفة =

أخبر أنه لما ترك التسمية ذهبت البركة منه ، فلم يغن طعام سبعة واحدًا ، فالإنسان إذا أكل ولم يسم ذهبت البركة منه ، فلم يغنه ما كان يغنيه لو سمى ، فكأنه شاركه فيه غيره من هو آكلُ منه ، فقد جاء عن النبي ﷺ أن ما لم يذكر اسم اللَّه عليه طعام الشيطان ، حدثنا بكر بن [1] مسعود ح عبد اللَّه بن حماد ح سعيد بن أبي مريم أخ يحيى بن أيوب حدثني عبد اللَّه بن زجر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ﷺ [٣٣٤/ب] عن رسول اللَّه ﷺ قال : [١١١٥] « **إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا أُنـزِلَ إِلى الأَرْضِ قَالَ : يَا رَبِّ أَنـزَلْتَنِي الأَرْضَ وَجَعَلْتَنِي رَجِيمًا – أَوْ كَمَا ذكرَ – فَاجْعَلْ لِي بَيْتًا . قَالَ : الْحَمَّامُ . قَالَ : فَاجْعَلْ لِي مَجْلِسًا : قَالَ : الأَسْوَاقُ ومَجَامِعُ الطُّرُقِ . قَالَ : فَاجْعَلْ لِي طَعَامًا . قَالَ: مَا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ . قَالَ : اجْعَلْ لِي شَرَابًا . قَالَ : كُلُّ مُسْكِرٍ** » [2] .

قال الشيخ رحمه الله : فإذا كان ما لم يذكر اسم اللَّه عليه طعامًا له فلا بركة فيه ، فمن أكله فإنما يأكل طعامه ، فكأنه يأكل معه وإن لم يأكل من عين ذلك الطعام .

١٩٩
باب في الحث على قلة الأكل

حديث آخر : [١١١٦] حدثنا نصر ح أبو عيسى ح إسحاق بن موسى الأنصارِيُّ ح معن ح مالك :

و ح نصر ح أبو عيسى ح قتيبة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **طَعَامُ الاثْنَيْنِ كافِي الثَّلاثَةَ ، وطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةَ** » [3] .

= (٦٨٩/٣) رقم (١٢٨٨) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده بألفاظ متقاربة (٢١٩/١) رقم (١٥٦٦) ، والطبراني في مسند الشاميين (٢٢٧/١) رقم (٤٠٧) .

(١) زاد في هامش (خ) بعدها : محمد بن . (٢) سبق في اللوحة رقم (٢٤٥/أ) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأطعمة باب طعام الواحد يكفي الاثنين (٢٠٦١/٥) رقم (٥٠٧٧) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة باب فضيلة المواساة في الطعام القليل (١٦٣٠/٣) رقم (٢٠٥٨) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في طعام الواحد يكفي الاثنين ، وقال : حسن صحيح (٢٦٧/٤) رقم (١٨٢٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب آداب الأكل باب طعام الواحد (١٧٨/٤) رقم (٦٧٧٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤/٥) رقم (٥٦٣٣) .

قال أبو عيسى : وروى جابر عن النبي ﷺ قال : [١١١٧] « **طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ ، وطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ ، وطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ** » [١] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون ذلك بمعنى الغذاء والقوة لا في الشبع والتملي ، كأنه يقول : طعام الواحد يغذي الاثنين ويزيل الجوع عنهما وإن كان لا يشبعهما شبع التملي ، فإن فائدة الطعام الاغتذاء به والقوة منه وإزالة الجوع عن الإنسان ، والضعف الذي يصيب الإنسان إذا خلا جوفه ، وليس الشبع الذي هو التملي بمحمود ولا فيه نفع بل فيه ضرر وآفة ومرض قال ﷺ : [١١١٨] « **مَا مِنْ وِعَاءٍ إِذَا مُلِئَ شَرٌّ مِنَ البَطْنِ ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَثُلُثٌ** [٣٣٥/أ] **لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وثُلُثٌ لِلنَّفَسِ** » [٢] وقال : [١١١٩] « **بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكَلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ** » [٣] .

فأخبر أن فائدة الطعام إقامة الصلب وإزالة الضعف ، وأن التملي شر وقد وجدت هذه الفائدة في طعام الواحد إذا أكله اثنان فهو كافيهما والشبع مذموم قال ﷺ : « **أكثركم شبعًا في الدنيا أطولكم جوعًا يوم القيامة** » حدثنا عامر بن محمد بن يعقوب الْخَوَارِزْمِيُّ ح علي بن صالح الْهَمَذَانِيُّ ح الحسن بن عمر بن شقيق ح أبو يحيى الرَّازِيُّ قال : [١١٢٠] رَأَيْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ في المَسْجِدِ الحَرَامِ فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ ، فَقَالوا : يَحْيَى البَكَّاءُ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ : يَا هَذَا كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « **أَطْوَلُكُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُكُمْ شِبَعًا في الدُّنْيَا** » [٤] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن جابر في كتاب الأشربة باب فضيلة المواساة في الطعام القليل (١٦٣٠/٣) رقم (٢٠٥٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في طعام الواحد يكفي الاثنين ، وقال : حسن صحيح (٢٦٧/٤) رقم (١٨٢٠) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب آداب الأكل باب طعام الواحد (١٧٨/٤) رقم (٦٧٧٤) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة باب طعام الواحد (١٠٨٤/٢) رقم (٣٢٥٤) ، والدارمي في سننه (١٢٦/٢) رقم (٢٠٤٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤/٥) رقم (٥٦٣٣) ، وابن حبان في صحيحه (٤٢/١٢) رقم (٥٢٣٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٨/٩) ، وأبو عوانة في مسنده (٢٠٧/٥) رقم (٨٤٠٤) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٩/ب) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٩/ب) .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن ابن عمر في كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (١١١١/٢) رقم (٣٣٥٠) ، والبيهقي في شعب الإيمان بنحوه عن أبي جحيفة (٢٦/٥) رقم (٥٦٤٢) ، وذكره ابن أبي حاتم في العلل وقال : (قال أبي : هذا حديث منكر) (١٣٩/٢) رقم (١٩١٠) .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **طعام الواحد يكفي الاثنين** » على معنى التشجيع في المواساة ، كأنه يقول : إن أحدكم إذا كان عنده من الطعام ما يكفيه فواسى منه أخاه أو نزل به ضيف فليطعمه منه فإن اللَّه يجعل فيه البركة فيكفي الاثنين ، ألا ترى إلى حديث النبي ﷺ وهو ما حدثنا محمد بن عبد اللَّه الفقيه ح أبو إسحاق الْهِسِنْجَانِيُّ ح هناد ح يونس بن بكير حدثني عمر بن ذر عن مجاهد عن أبي هريرة ﷺ قال :

[١١٢١] أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدَحٌ مِنْ لَبَنٍ فَقَالَ : « **الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُم** » ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ ، قُلْتُ : [مَا هَذَا] [١] الْقَدَحُ بَين أَهْلِ الصُّفَّةِ وَأَنَا رَسُولُه ، فَسَيَأْمُرُنِي أَنْ أُدِيرَه عَلَيْهِم فَمَا عَسَى أَنْ يُصِيبَنِي مِنْه ، وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُصِيبَنِي مَا يُغْنِينِي ، فَأَتَيْتُهُم فَدَعَوْتُهُم ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ قَالَ : « **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ** [٣٣٥/ب] **خُذْ الْقَدَحَ فَأَعْطِهِمْ** » ، فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُنَاوِلُهُ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يروى [٢] ثُمَّ يَرُدُّهُ فَأُنَاوِلُهُ الآخَرُ حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُم ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقَدَحَ [٣] فَوَضَعَهُ عَلَى يَدَيْهِ [٤] ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، فَتَبَسَّمَ فَقَالَ : [**يا أبا هريرة**] [٥] » قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « **اقْعُدْ فَاشْرَبْ** » ، فَشَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ : اشْرَبْ ، فَشَرِبْتُ ، فَلَمْ أَزَلْ أَشْرَبُ وَيَقُولُ : « **اشْرَبْ** » ، حَتَّى قُلْتُ : والَّذِي بَعَثَكَ [**بِالْحَقِّ نَبِيًّا** [٦]] [٧] مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، وَأَخَذَ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَسَمَّى ثُمَّ شَرِبَ [٨] .

فهذا من جهة البركة ، وقد كان ذلك طعام واحد فكفى جميع أهل الصفة وأرواهم بالبركة التي جعلها اللَّه فيه آية للنبي ﷺ .

---

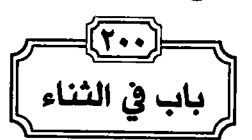
(١) في (خ) : وما .
(٢) من هامش الأصل .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) في (خ) : يده .
(٥) في (خ) : أبا هر .
(٦) سقط من (خ) .
(٧) من هامش الأصل .
(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ؟ (٢٣٧/٥) رقم (٦٠٨٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة باب منه وقال : حسن صحيح (٦٤٨/٤) رقم (٢٤٧٧) ، وأحمد في مسنده (٥١٥/٢) رقم (١٠٦٩٠) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي (١٧/٣) رقم (٤٢٩١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤٤٦/٢) رقم (٤١٣٦) ، وهناد ابن السري في الزهد (٣٩٣/٢) رقم (٧٦٤) .

فقوله : « **طعام الواحد يكفي الاثنين** » معناه أن الذي يشبع الواحد يرد جوع الاثنين ويقيم صلبهما فيكفيهما في هذه الجهة ، وكذلك ما يشبع الأربعة يكفي الثمانية بمعنى إقامة الصلب ورد كلب الجوع ، فكأنه قال : فائدة الطعام تسكين الجوع وإقامة الصلب والتَّقوِّي به لأداء الفرائض ، وقد يوجد هذا في طعام الواحد يأكله اثنان .

وفيه أيضًا حث على المواساة والإطعام والمروءة ، فكأنه يقول : من كان عنده طعام يشبعه فليواس منه ويطعم منه غيره ولا يستبد به ولا يجعله كله حظ نفسه ، فليواس منه كما قال ﷺ لبعض أصحابه : [١١٢٢] « **وَإِذَا اتَّخَذْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءهَا وَاغْرِفْ لِجَارِكَ** » [(١)] .

وفيه أيضًا تشجيع عند جبن النفس وشرهها ، وتخويف الشيطان الذي ذكر الله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ [٣٣٦/أ] ٱلْفَقْرَ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ، فكأنه إذا خوفه الشيطان الحاجة إليه وفزعته النفس الجوع فليتشجع وليعلم أن الذي عنده من الطعام كافيه وصاحبه .

وفيه حث على قلة الأكل ، والتوقي من الامتلاء الذي يؤذي صاحبه إلى أن تصير بطنه شر وعاء ملئ ، والشبع الذي يطيل جوع صاحبه يوم القيامة ، ونعم المؤدب رسول الله ﷺ ، ونعم المشير ناصح أمين صلى الله عليه .



٢٠٠ باب في الثناء

حديث آخر : [١١٢٣] حدثنا علي بن محتاج ح علي بن عبد العزيز ح مسلم بن إبراهيم ح أبو هلال ح [(٢)] عقبة بن أبي ثبيت الرَّاسِبِيُّ عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار (٢٠٢٥/٤) رقم (٢٦٢٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الوليمة باب البقول التي لها رائحة (١٦٠/٤) رقم (٦٦٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة باب من طبخ فليكثر ماءه (١١١٦/٢) رقم (٣٣٦٢) ، والدارمي في سننه (١٤٧/٢) رقم (٢٠٧٩) ، وأحمد في مسنده (١٦١/٥) رقم (٢١٤٦٥) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (٢٨٢/٢) رقم (٥٢٣) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده بألفاظ مختلفة (٦٠/١) رقم (٤٥٠) ، والبزار في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٨٠/٩) رقم (٣٩٦٢) ، وأبو عوانة في مسنده بألفاظ مختلفة (٤١٣/١) رقم (١٥٢٦) .

(٢) سقط من (خ) .

قال : قال رسول الله ﷺ : « **أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلأَ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ [(١)] النَّاسِ خَيْرًا وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلأَ أُذُنَيْهِ [(٢)] مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ** » [(٣)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيرًا** » عَمِلَه ، و « **من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرًّا** » عَمِلَه ، كأنه يقول : من لا يزال يعمل الخير حتى ينتشر عنه في الناس فيثنون عليه بأفعاله [الحسنة ، ولا يزال يفعل الشر حتى ينتشر عنه في الناس فيثنون عليه بأفعاله] [(٤)] السيئة ، يدل على ذلك قوله : « **وهو يسمع** » أي يبلغه ذلك الثناء ويسمعه لانتشاره في الناس .

ومعنى قوله : « **أهل الجنة** » أي الذين يصيرون إليها من الموقف ولا يدخلون النار ، والذي ملأ أذنيه من ثناء الشر [(٥)] فإنه يصير إليها يومًا ما إذا كان معه إيمان بالله ورسوله لقوله : [١١٢٤] « **يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلا اللَّه** » [(٦)] .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **أهل النار** » الذين استحقوها بسوء أعمالهم وارتكابهم العظائم والكبائر لا أنهم يدخلونها على كل حال ، لقوله [٣٣٦/ب] عليه السلام :

---

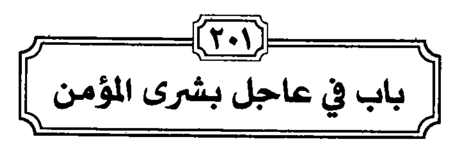
(١) من هامش الأصل .
(٢) السابق .
(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن ابن عباس في كتاب الزهد باب الثناء الحسن (١٤١٢/٢) رقم (٤٢٢٤) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بلفظه وقال : (غريب من حديث أبي الجوزاء لم يرفعه ولم يسنده إلا مسلم عن أبي هلال) (٨٠/٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة (٣٧٨/٥) رقم (٧٠١٨) ، وفي كتاب الزهد الكبير بلفظه (٣٠٥/٢) رقم (٨١٤) ، والطبراني في الكبير (١٧٠/١٢) رقم (١٢٧٨٧) ، وإسناد الحديث ثقات عدا علي بن محتاج - شيخ المصنف - لم أتعرف عليه ، وأبي هلال ، وهو محمد بن سليم الراسبي ، صدوق فيه لين . تقريب التهذيب لابن حجر (٤٨١/١) رقم (٥٩٢٣) ، وأبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله ، ثقة تقريب التهذيب لابن حجر (١١٦/١) رقم (٥٧٧) .
(٤) من هامش الأصل .
(٥) في (خ) : الناس بالشر .
(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه (٢٤/١) رقم (٤٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٨٢/١) رقم (١٩٣) ، والترمذي في جامعه في كتاب صفة جهنم باب ما جاء أن للنار نفسين ، وقال : حسن صحيح (٧١١/٤) رقم (٢٥٩٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة (١٤٤٢/٢) رقم (٤٣١٢) ، وأحمد في مسنده (١١٦/٣) رقم (١٢١٧٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٦/٦) رقم (٣٠٣٨٥) ، وأبو عوانة في مسنده (١٥٧/١) رقم (٤٥٣) .

[١١٢٥] « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » [١] وقال : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] يجوز أن يغفر اللَّه له فلا يعذبه .

يدل على ذلك ما حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح إسماعيل بن إسحاق ح هدبة ابن خالد ح سهيل بن أبي حازم ح ثابت عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : [١١٢٦] « **مَنْ وَعَدَهُ اللَّه عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مُنْجِزُهُ لَهُ ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَهُوَ فِيهِ بِالخِيَارِ** » [٢] .

قيل :

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي



٢٠١ باب في عاجل بشرى المؤمن

حديث آخر : [١١٢٧] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح يحيى بن أبي طالب أخ عبد الوهاب أخ شعبة عن أبي عمران الجُونِيِّ عن عبد اللَّه بن الصامت عن أبي ذر قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُل يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ . قَالَ : « **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ** » [٣] .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : قوله : « يعمل لنفسه » أي يخلص العمل للَّه ، لا يريد به غير وجه اللَّه ، ولا يرائي به أحدًا ، بل يعمل للَّه وحده ، ليكون فائدة العمل لنفسه خاصة فيما وراء الموت ، ولا يريد به عرض الدنيا ومراءاة الناس .

وقوله : « **تلك عاجل بشرى المؤمن** » أي بشراه على محبة اللَّه له ؛ لأن من أخلص العمل للَّه فهو محسن ، واللَّه يحب المحسنين ، ومن أحبه اللَّه حببه إلى عباده قال ﷺ : [١١٢٨] « **إِذَا أَحَبَّ اللَّه تعَالَى عبدًا أمرَ جبريلَ فنَادَى في السَّمَاءِ أَلا إنَّ اللَّه تعَالى**

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٨٦/أ) (س) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي ذر في كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره (٢٠٣٤/٤) رقم (٢٦٤٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (١٦٨/٥) رقم (٢١٥١٥) ، وابن حبان في صحيحه بلفظه (٨٧/٢) رقم (٣٦٦) ، وابن المبارك في الزهد بألفاظ متقاربة (٢٥٠/١) رقم (٧١٧) ، وابن الجعد في مسنده بلفظه (١٨٠/١) رقم (١١٦١) ، والبزار في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٧٥/٩) رقم (٣٩٥٥) .

قَدْ أَحَبَّ فُلانًا ، فأَحِبُّوه فيُحِبّه أَهْلُ السَّماءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَه القَبُولُ في الأَرْضِ » [(١)] .

فمن أحبه اللّه [٣٣٧/أ] أحبه عباد اللّه ، ومن أحبه عباد اللّه الصالحون فذلك دلالة على محبة اللّه له وبشارة من اللّه بها له في الدنيا قبل أن يلقى اللّه ، ألا ترى إلى قوله : [١١٢٩] « **مَنْ طَلَبَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِعَمَلِهِ عَادَ حَامِدُهُ لَهُ ذَامًّا** » [(٢)] فمن راءى بعمله غير اللّه أبغضه عباد اللّه وفاته ثواب اللّه ، ومن أخلص العمل للّه أحبه عباد اللّه ونال في الآخرة ثواب اللّه ، فمحبة العباد الصالحين له عاجل بشراه على محبة اللّه له وعلى ثوابه إياه قبل بشرى الملائكة له عند موته ، قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ الآية [فصلت : ٣٠] ، ولهم بشرى أخرى يوم القيامة ، قال اللّه تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الآية [الحديد : ١٢] .

للمؤمن من اللّه بشارتان : إحداهما قبل وجوده وكونه وقبل حدوثه ، وذلك بما سبق له من اللّه الحسنى والنظر الجميل ، وذلك أنه اختصه لنفسه وجعله في قبضته فقال : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس : ٢] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] ، وبشرى أخرى حين جمعهم في مستقر رحمته وأظهر لهم اختصاصهم به واصطناعهم له فقال : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ ﴾ الآية [التوبة : ٢١] ، وفيما بين ذلك بشارات من ثناء حسن من أوليائه وشهدائه على خلقه المرضيين [(٣)] العدول المزكين [(٤)] ، قال اللّه تعالى : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال ﷺ : [١١٣٠] « **أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللّهِ في الأَرْضِ** » [(٥)] ومن رؤيا صالحة يراها أو ترى له قال اللّه تعالى : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس : ٦٤] ،

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٢/ب) .

(٢) الحديث أخرجه القضاعي في مسند الشهاب بألفاظ متقاربة عن الفضيل بن عياض (٢٩٩/١) رقم (٤٩٧) ، والبيهقي في كتاب الزهد الكبير بألفاظ مختلفة عن عائشة (٣٣١/٢) رقم (٨١٦ و ٨١٧) ، وقد ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٥/١٠) .

(٣) في الأصل : المرضيون .

(٤) في الأصل : المزكون .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس في كتاب الجنائز باب ثناء الناس على الميت (٤٦٠/١) رقم (١٣٠١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى (٦٥٥/٢) رقم (٩٤٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الجنائز باب ما جاء في الثناء الحسن على الميت ، وقال : حسن صحيح (٣٧٣/٣) رقم (١٠٥٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الجنائز باب الثناء (٦٢٩/١) رقم (٢٠٥٩) ، وأحمد في مسنده (١٨٦/٣) رقم (١٢٩٦١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه (٤١١/٧) رقم (٣٦٩٦٠) .

[٣٣٧/ب] قال ﷺ : [١١٣١] « **هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ** » (١) .

وبشرى من الملائكة الكرام البررة فلا (٢) خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ، وبشرى يوم القيامة حين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الحديد: ١٢] ، سبحان البر اللطيف الرءوف الرحيم وبحمده .

٢٠٢
باب في التباكي

حديث آخر : [١١٣٢] حدثنا علي بن محتاج ح علي بن عبد العزيز ح أبو نعيم ح عبد الرحمن بن عبيد بن أبي مليكة عن (٣) أبي مليكة عن عبد اللّٰه بن عبيد اللّٰه بن السائب بن نهيك قال : « جِئْتُ إِلى سَعْدٍ فَقَال : مَنْ أَنْتَ يَا ابْنَ أَخِي ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : مَرْحَبًا بِجَارٍ كسبته ، كَيْفَ قِرَاءتُكَ لِلْقُرْآنِ ؟ قُلْتُ : خَشْيَةً (٤) . قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ : « **اقْرَؤوا الْقُرْآنَ وابْكُوا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا ، وَغَنُّوا بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّه لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُغَنِّ أَوْ يَتَغَنَّ بِهِ** » (٥) .

قال الشيخ رحمه الله : القرآن يجمع وعدًا من اللّٰه بالحسنى ووعيد أمته بالسوءى ، والعبد قد جمع بين أمرين : بين ما يستحق به الوعد وبين ما يستحق به الوعيد ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ [التوبة: ١٠٢] ، فحقه أن يخاف الوعيد على الشيء أن يلحقه ، والوعد الصالح أن يفوته ، ومن كان هذا حاله فحقيق عليه أن يبكي ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ [المائدة: ٨٣] الآية ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ [الإسراء: ١٠٧] الآية ، ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨] ، فحق من [٣٣٨/أ] قرأ القرآن وتدبر فيه بوعده ووعيده أن يبكيه ، فمن لم يجد ذلك من نفسه فليرجع إليها

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٤٥/ب) . (٢) في (خ) : بلا .

(٣) زاد في (خ) بعدها : ابن . (٤) في (خ) : حسنة .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن سعد في كتاب الإقامة باب في حسن الصوت بالقرآن (٤٢٤/١) رقم (١٣٣٧) ، والبزار في مسنده مختصرًا وقال : (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن سعد إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، وعبد الرحمن بن أبي مليكة هذا لين الحديث) (٦٩/٤) رقم (١٢٣٥) ، وأخرجه أيضا القضاعي في مسند الشهاب بألفاظ متقاربة (٢٠٨/٢) رقم (١١٩٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٣١/١٠) رقم (٢٠٨٤٧) .

باللوم عليها خائفًا أن يكون من الذين قال الله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم : ٥٩، ٦٠] ، انظر كيف قرع الله هؤلاء حين لم يبكوا ، وذلك أنه لم يقع من قلوبهم موقعه ، ولم يعرفوا كنه معرفته وقدره ، وأنه يرفع أقوامًا ويضع آخرين ، فمن رفعه القرآن لم يتضع ، ومن وضعه لم يرتفع ، فمن أمارات الإيمان به وجل القلوب له ، ومن علامات التصديق له اقشعرار الجلود منه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية [الأنفال : ٢] ، ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ الآية [الزمر : ٢٣] ، فحق على من لا تبكيه آيات القرآن أن يبكيه خوفه على نفسه حين لم يتله ، فإن الخوف على فوت الخوف أولى من الخوف ، والبكاء على عدم البكاء عندما يوجب البكاء أحق من البكاء .

فيجوز أن يكون معنى « فليتباك » أي ليتذكر وليتدبر في فوت ما يبكيه ، وعدم البكاء مما يوجب البكاء فيه ، فليبكه خوفه على نفسه من وجود أوصاف من لا يبكيه القرآن في نفسه .

ويجوز أن يكون معنى التباكي أن يردد آيات الوعيد والوعد وما أوقع الله من المثلات على من خالف أمره ويترجع فيها ويكررها على تدبر وتفكر فيثير منه البكاء ، فكأنه يتكلف البكاء بمعنى التذكر ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

وقوله : « غنوا [٣٣٨/ب] بالقرآن » يجوز أن يكون معناه تطربوا به ، فإنه ربيع المؤمنين ، وروضة العارفين ، ومتنزه الصادقين ، وسلوة المكروبين ، وراحة المغمومين ، ومتعلل الخائفين ، وبشرى الراجين ، فالغناء من علامات الطرب ، والبكاء من أمارات الحرب ، والحرب والطرب [١] دليلا الخوف والرجاء ، والخوف والرجاء صفتان متعاقبتان على قلوب المؤمنين ، فمن خرج عن هاتين الصفتين [٢] فليس منهم نعتًا وحلية .



٢٠٣ باب في دوام البلاء للمؤمن

حديث آخر : [١١٣٣] حدثنا بكر بن محمد بن حمدان ح محمد بن الفرج ح [٣]

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) السابق .

(٣) سقط من (خ) .

الأزرق ح الْوَاقِدِيُّ ح معمر ومحمد وغيرهما عن الزُّهْرِيِّ عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الزَّرْعِ ، لا تَزَالُ تُفَيِّئُه الرِّيحُ ، ولا يَزَالُ يُصِيبُ المؤْمِنَ بَلاءٌ ، وَمَثَلُ المنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأَرْزَةِ (١) لا تَهْتَزُّ حَتَّى تُسْتَحْصَدَ** » (٢) .

قال الشيخ رحمه الله : ظاهر هذا الحديث يدل على أن المؤمن قلما يخلو من بلاء يصيبه ، فهو يميله مرة كذا ومرة كذا ، أي يصيبه البلاء فلا يستمسك ؛ لأنه لا يطيق البلاء ولا يقاومه ، فهو يميل يمنة ويسرة ، والمنافق على حالة واحدة في الصحة في بدنه والسلامة من الآفة في أهله وماله وولده ، وإنما يفعل الله ذلك به ؛ ليصرف المؤمن إليه ويقبل به عليه ، ليلتجئ في الأحوال كلها إلى ربه ، ولئلا يشتغل عنه ، فكلما سكنت نفسه إلى شيء أزالها عنه سيده ، وأماله إلى نفسه ﷻ ، ليرجع عما ساكن إليه ، فيدعوه بلسانه ، ويقبل عليه بقلبه ؛ لأنه يحبه فيحب صوته له داعيًا ، وأذنه إليه مصغية [٣٣٩/ أ] ، وقلبه به متعلقًا .

قال رسول الله ﷺ : [١١٣٤] « **إِذَا أَحَبَّ اللَّه تَعَالَى عَبْدًا صَبَّ عَلَيْهِ الْبَلاءَ صَبًّا وسَحَّهُ عَلَيْهِ سَحًّا** (٣) ، **فإذا دَعَا قَالَتِ الملائِكَةُ صَوْتٌ مَعْرُوفٌ ، وَقَالَ جِبْرِيلُ : يَا رَبِّ عَبْدُكَ فُلانٌ اقْضِ لَهُ حَاجَتَهُ ، فَيَقُولُ اللَّه تَعَالَى : دَعُوا عَبْدِي فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ** » (٤) .

هذا للسابقين الذين هم أقرب الناس حالة إلى الأنبياء وأشبههم به والأمثل فالأمثل ، قال ﷺ : [١١٣٥] « **أَشَدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياءُ ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ** » (٥) ، وللمقتصدين

---

(١) الأرزة : بسكون الراء وفتحها شجرة الأَرْزَنِ ، وهو خشب معروف ، وقيل : هو الصنوبر . النهاية مادة (أرز) ، (٣٨/١) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز (٢١٦٣/٤) رقم (٢٨٠٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأدب باب ما جاء في مثل المؤمن القارئ للقرآن وغير القارئ ، وقال : حسن صحيح (١٥٠/٥) رقم (٢٨٦٦) ، وأحمد في مسنده (٢٣٤/٢) رقم (٧١٩٢) ، وابن حبان في صحيحه (١٧٧/٧) رقم (٢٩١٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٣/٧) رقم (٩٧٧٨) ، والقضاعي في مسند الشهاب بنحوه عن كعب بن مالك (٢٨٢/٢) رقم (١٣٦٤) .

(٣) سحه عليه سحًا : قال ابن منظور : سحّ الماء وغيره يسُحُه سحًا : صبه صبًا متتابعًا كثيرًا ، لسان العرب مادة (سحح) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٨/ب) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (١٥/ب) .

الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ما حدثنا أبو شعيب صالح بن مرثد بن زهير ح خلف بن عامر ح علي بن حجر ح الوليد بن محمد المُوَقَّرِيُّ عن الزُّهْرِيِّ عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١١٣٦] « **إِنَّ المرِيضَ إِذَا بَرَأَ مِنْ مَرَضِهِ فَهُوَ كَالبردَةِ تَنْـزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي صَفَائِهَا وَلَوْنِهَا** » (١) فدل أن المرض يطهره ويكفر سيئ عمله الذي خلطه بصالحه ويصفو صالحه له ، وأما الظالمون فإنه يحجزهم عن ظلمهم أنفسهم بالبلاء يصيبهم ، ويكون ذلك عقوبة ما اجترحوه ووبال ما اكتسبوه ويكون حظه من النار .

حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل ح ني عبد الله بن سلمة عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : [١١٣٧] « **إِنَّ اللَّهَ تعَالى قَالَ : لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي اثْنَتَيْنِ ، أَسْلُبُهُ كَرِيمَتَيْهِ وَأُعَذِّبُهُ بِالنَّارِ** » (٢) . وقال ﷺ : [١١٣٨] « **الحُمَّى نَصِيبُ المُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ** » (٣) .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **تفيئه الريح** » أي أن البلاء يرد المؤمن إلى الله ، والنعم كذلك ، وذلك أنه من الله إليه ، فكلما مال مال إلى الله [٣٣٩/ب] ، فإن أصابته محنة أو نزلت به شدة مال إلى الله بالصبر فيها والتوبة إليه والتضرع نحوه والدعاء له ، وإن أصابه نعمة أو رفاهية حال مال إلى الله فيها بالشكر فيه والحمد له والثناء عليه والإفضال منه ، فمختلف الأحوال تميل بالمؤمن إلى الله ، المحن والنعم جميعًا ؛ إذ ليس المؤمن أبدًا في شدة ، ولا المنافق أبدًا في خفض وسعة ، وقد تختلف على المنافق الأحوال ، فتكون مرة لذة ومرة ألـمًا ، ونعمة تارة ومحنة أخرى ، غير أنهما لا يردانه إلى

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الطب باب التداوي بالرماد (٤١١/٤) رقم (٢٠٨٦) ، والعقيلي في الضعفاء (٣١٨/٤) رقم (١٩١٩) ، وابن عدي في الكامل (٤٠٦/٣) رقم (٨٣١) ، والطبراني في الأوسط (٢٢٩/٥) رقم (٥١٦٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه الوليد بن محمد الموقري ، وهو ضعيف (٣٠٣/٢) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بنحوه عن أنس (٢٨٣/٣) رقم (١٤٠٥٣) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (١٩٤/٧) رقم (٢٩٣٢) ، وهناد بن السري في الزهد عن أبي هريرة (٢٢٩/١) رقم (٣٨٠) ، وأبو يعلى في مسنده عن ابن عباس (٣٤٢/٤) رقم (٢٤٥٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة (٥٣/٥) رقم (٥٧٥١) ، والطبراني في الكبير عن جرير (٣٠٣/٢) رقم (٢٢٦٣) ، وفي الأوسط عن أنس (١٤/٤) رقم (٢٤٩٢) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التاريخ الكبير بألفاظ مختلفة عن أبي ريحانة الأنصاري (٦٣/٧) رقم (٢٩١) ، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٣٣/١) رقم (٢١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦١/٧) رقم (٩٨٤٦) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء عن عائشة (١٨٢/٢) .

الله ولا يميلانه من حالته التي هو عليها من إقباله على نفسه وإصراره على معصيته وجريه على طبيعته الشؤمى ؛ لأنه لا يهتدي إلى الله ، قد أعمى الله عينيه ، وأصم سمعه وختم على قلبه ، فنفسه كالخشب المسندة لا تتثنى لشيء ، وقلبه كالحجارة لا تلين بل أشد قسوة ، ليس فيه رطوبة الإيمان ولا لين الإسلام ، بل هو قاس كز [1] شديد ، فهو كالأرزة لا يهتز حتى يستحصد بمنجل ملك الموت ، ويرده إلى الله زبانية غلاظ شداد ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام : ٦٢] ، وقال : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١] ، نعوذ بالله من عذاب القبر .

٢٠٤
باب في كمال العقل

حديث آخر : [١١٣٩] حدثنا أبو عبد الله محمد بن موسى بن علي ح الحارث بن أبي أسامة ح داود بن المحبر عن عباد عن ابن جريج [عن عطاء] [2] عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قَسَّمَ اللهُ العَقْلَ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمُلَ عَقْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَلا عَقْلَ لَهُ : حُسْنِ المَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وحُسْنِ الطَّاعَةِ** [٣٤٠/أ] **لَهُ ، وحُسْنِ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ** » [3] .

قال الشيخ رحمه الله : ذكر النبي عليه السلام المعرفة والطاعة والصبر وقرن الحسن بها ، فالمعرفة بالله توحيده ومعرفة أنه إله قديم لا شريك له ولا قديم غيره ، وحسن المعرفة نفي تشبيه ذاته وتعطيل صفاته ، فقد عرف الله قوم بالوحدانية والقدم ، وأنه لا شريك له ولا إله غيره ، وأنه أحدث العالم وأرسل الرسل وأنزل الكتب ، غير أن منهم من شبهه بخلقه تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ، ومنهم من عطل صفاته فلم يصفه بما وصف به نفسه فنفاه

---

(١) في هامش الأصل : قليل الخير . وفي هامش (خ) : الكنزازة اليبس والانقباض .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بألفاظ متقاربة عن أبي سعيد (٨٠٠/٢) رقم (٨١٠) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢١/١) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٣٥٩/٢) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه داود بن المحبر ، قال البخاري في التاريخ الكبير : (منكر الحديث ، قال أحمد : لا شيء ، لا يدري ما الحديث) (٢٤٤/٣) رقم (٨٣٧) ، وقال الذهبي في الكاشف : بصري واه (٣٨٢/١) رقم (١٤٦٠) ، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : متروك ، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات (٢٠٠/١) رقم (١٨١١) .

من حيث أراد إثباته ، وعطله من حيث قصد توحيده ، فحسن المعرفة على ثلاثة أوجه :

أولها : نفي تشبيه ذاته وتعطيل صفاته ، قال الله تعالى ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] فنفى تشبيهه وأثبت صفاته .

والثاني : معرفة آلاء الله ونعمائه ، فآلاؤه ما دفع من ضلالات الأديان ومعاطب الأبدان ، وهو العصمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ الآية [النور : ٢١] (١) ، ونعماؤه الهداية إلى الإيمان به وشرح الصدر له ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ الآية [الزمر : ٢٢] ، وقال : ﴿ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وقال : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] ، والرسول الذي أرسل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾ [النساء : ١٣٦] ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس : ٥٨] وما أعطى من مصالح الأبدان ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ الآية [النحل : ٧٨] ، وقال : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾ الآية [النحل : ٨١] ، وقال : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان : ٢٠] وأجمل فقال : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ [٣٤٠/ب] نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

والوجه الثالث : معرفة نظره لك فيما أمر ونهى وفيما حكم وقضى ، فتعلم أن أوامره لدينك كالأغذية لبدنك ، فكما لا ينمو بدنك ولا يصلح جسمك إلا بالأغذية كذلك لا يتم دينك ولا يسلم إيمانك إلا بإقامة الأوامر وأداء الفرائض ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وقال : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] ، وقال : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ الآية [التوبة : ١٠٣] ، وقال ﷺ : [١١٤٠] « **الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ** » (٢) و [١١٤١] « **الصَّومُ جُنَّةٌ** » (٣) وقال : [١١٤٢] « **الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ** » (٤) .

---

(١) زاد في (خ) بعدها : فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٧٣/أ) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٢٣/ب) .

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ متقاربة عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال الذهبي : أظنه موضوعًا (٦٥٧/٣) رقم (٦٤١٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري (٢٤٥/٣) رقم (٣٤٤٢) ، والطبراني في الأوسط بلفظه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٣٧٢/٧) رقم (٧٧٦١) .

حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو شعيب عبد اللَّه بن الحسن الحَرَّانِيُّ ح أبو الربيع الزَّهْرَانِيُّ أخ سلام بن سلم الطويل عن مخلد بن عبد الواحد الأَزْدِيِّ عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال : [١١٤٣] خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَسْجِدِ المدِينَةِ فَقَالَ : « إِنِّي رَأَيْتُ البَارِحَةَ عَجَبًا ، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءه مَلَكُ الموْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَه ، فَجَاءه بِرُّه بِوَالِدَيْه فَرَدَّ عَنْهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ القَبْرِ فَجَاءه وُضُوءه فَاسْتَنْقَذَه مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطَشًا ، كُلَّمَا وَرَدَ حَوْضًا مُنِعَ ، فَجَاءه صَوْمُ رَمَضَانَ فَاسْتَنْقَذَهُ فَسَقَاهُ وَأَرْوَاهُ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي والنَّبِيُّونَ قُعُودٌ حلَقًا حلَقًا ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقْعُدَ [١٤١/٣أ] حلَقًا مُنِعَ فَجَاءه غُسْلُهُ مِنَ الجنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِي ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ ، ومِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ ظُلْمَةٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ ، وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ ، فَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِي الظُّلُمَاتِ ، فَجَاءه حِجَّةُ وعُمْرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَهُ مِنَ الظُّلْمَةِ وَأَدْخَلَهُ النُّورَ . وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي مَا يُكَلِّمُ المؤْمِنِينَ وَلا يُكَلِّمُونَه ، فَجَاءَه صِلَتُهُ الرَّحِمَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ المؤْمِنِينَ كَلِّمُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ يَصِلُ رَحِمَهُ ، فَكَلَّمَهُ المؤْمِنُونَ وصَافَحُوه وكَانَ مَعَهُمْ ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ فَجَاءَتْ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرًا عَلَى وَجْهِهِ » (١) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : فأي غذاء من الأبدان يقع موقع هذه الفرائض من الأديان ، وأي ضرر يدفع المطاعم من الأجساد ما دفع هذه الفرائض من العباد ، وتعلم أن مناهيه كالسموم القاتلة ، فكما تتلف نفسك ويهدم بنيتك تناول السموم كذلك يهدم دينك ويجرح إيمانك ارتكاب المناهي ، قال اللَّه تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الآية [الزمر : ٦٥] ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] (٢) ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ الآية [المائدة : ٩٠ ، ٩١] .

---

(١) الحديث ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول مختصرًا عن عبد الرحمن بن سمرة (٢٣١/٣) ، وذكره بتمامه الهيثمي في مجمع الزوائد بألفاظ مختلفة وقال : (رواه الطبراني بإسنادين) ، وضعف إسناديه (١٨٠/٧) ، وقد ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية بألفاظ مختلفة وقال : (هذا حديث لا يصح) وذكر له طريقين ومنهما طريق فيه مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد بن جدعان ، وكلاهما من رجال إسناد المصنف ، وقال : (فأما الطريق الثاني ففيه علي بن زيد ، قال أحمد ويحيى : ليس بشيء ، وقال أبو زرعة : يهم ويخطئ فاستحق الترك ، وفيه مخلد بن عبد الواحد ، قال ابن حبان : منكر الحديث جدًّا ، ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات) (٦٩٨/٢) رقم (١١٦٦) .

(٢) سقط من الأصل .

قال ﷺ : [١١٤٤] « **ثَلاثَةٌ لا يَرْضَى اللَّهُ تعالى عَنْهُم يَوْمَ القِيَامَةِ : الرَّجُلُ يَمُوتُ وَهُوَ مُدْمِنُ الخَمْرِ ، والرَّجُلُ يَمُوتُ وَهُوَ قَاطِعٌ رَحِمَه ، والرَّجُلُ يَمُوتُ وَهُوَ فَاتِكٌ في الأَرْضِ** » حدثناه عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل ح محمد بن الحسن بن أبي الحسن المخزُوميُّ عن عبد اللَّه بن [٣٤١/أ] عبد العزيز عن هشام بن عروة عن أبيه عن حذيفة بن اليمان ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال ذلك [١] .

وحدثنا مكي بن عجيف [٢] ح محمد بن الضوء ح أحمد بن يونس ح أبو بكر بن عياش عن عبد اللَّه بن سعيد عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١١٤٥] « **ثلاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وهوًى مُتَّبَعٌ ، وإعجَابُ المرْءِ بنفْسِهِ** » [٣] .

سمعت محمد بن عبد اللَّه العماني يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت أبا هاشم الْغَسَّانِيَّ [وزين بن محمد الحِمصيَّ] [٤] يقول : سمعت سليمان بن عبد المجيد الْيَشْكُرِيَّ [٥] يقول : سمعت أبي يقول : سمعت عمر [٦] بن قيس السَّكُونيَّ يقول : سمعت واثلة بن الأسقع ﷺ يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : [١١٤٦] « **اليَمِينُ الغَمُوسُ الكَاذِبَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ** » [٧] .

[حدثنا عبد اللَّه بن محمد ح القاسم بن عباد ح أحمد بن حرب عن حسان عن إسماعيل عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١١٤٧] « **الزِّنَا يُورِثُ الْفَقْرَ** » [٨]] [٩] .

---

(١) لم أقف عليه ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه عبد اللَّه بن عبد العزيز ، أبو عبد العزيز المدني ، لم يثبت تحمله من هشام بن عروة على الرغم من ثبوت تحمله من محمد بن الحسن المخزومي . تهذيب الكمال للمزي (٢٣٨/١٥) رقم (٣٣٩٥) ، قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : منكر الحديث ، ضعيف الحديث ، لا يشتغل بحديثه ، ليس في وزن يشتغل بأخطائه ، عامة حديثه خطأ ، لا أعلم له حديثًا مستقيمًا (١٠٣/٥) رقم (٤٧٥) ، وقال ابن حبان في المجروحين من المحدثين : كان يقلب الأسانيد وهو لا يعلم ، ويرفع المراسيل من حيث لا يفهم ، فاستحق الترك (٨/٢) رقم (٥٣٠) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : ابن نصر .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٦/أ) .

(٤) سقط من (خ) .

(٥) الْيَشْكُرِيُّ : بفتح الياء بائنتين من تحتها ، وسكون الشين المعجمة ، وضم الكاف ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى قبيلة يشكر . الأنساب (٥٣٣/٤) .

(٦) في (خ) : عمرو .

(٧) سبق في اللوحة رقم (١٤٧/ب) .

(٨) سبق في اللوحة رقم (١٤٧/ب) .

(٩) سقط من (خ) .

وحدثنا عبد اللَّه ح نصر بن أحمد ح الحسن بن الصباح ح هاشم بن القاسم ح محمد بن عبد اللَّه العَمِّيُّ عن علي بن زيد عن أنس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١١٤٨] « **لا يَلِجُ جَنَّاتِ الفِرْدَوْسِ مُدْمِنُ خَمْرٍ وَلا العَاقُّ وَلا المَنَّانُ عَطَاءهُ** » [(١)] .

فأي سم يبلغ من الأبدان ما بلغت هذه المناهي من الأديان ، ثم تعلم أن مكاره الأحكام الجارية عليك بمنزلة الأدوية التي تنفض عن جسدك الأخلاط [٣٤٢/أ] ، والأخلاط الفاسدة والمواد الردية التي إذا بقيت فيك أداك إلى الهلاك والعطب ، كذلك مكاره الأقضية التي تجري عليك تكفر خطاياك وتمحو سيئاتك التي إن وافيت القيامة بها خف بها ميزانك واستوجبت النار ، قال اللَّه ﷻ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وقال : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡ ﴾ الآية [النور : ١١] ، وقال ﷺ : [١١٤٩] « **حُمَّى لَيْلَةٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ** » حدثناه محمود بن إسحاق ح حريث عبد الرحمن ح [(٢)] علي بن إسحاق ح ابن مروان عن أبان عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ [(٣)] .

حدثنا أبو حاتم ح محمد بن عيسى الوسقندي ح محمد بن إدريس أبو حاتم الرَّازِيُّ ح عفان ح حماد بن سلمة ح أبو ربيعة يعني سنان بن ربيعة سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول : [١١٥٠] إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ تعالى إِذَا ابْتَلَى المُؤْمِنَ** [(٤)] **بِبَلاءٍ في جَسَدِهِ قَالَ لِلْمَلَكِ : اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَه وَطَهَّرَهُ ، وَإِنْ قَبَضَه غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ** » [(٥)] .

وحدثنا حاتم ح يحيى [حدثنا الحِمَّانِيُّ] [(٦)] ح حماد بن زيد وحماد بن شعيب

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن أنس (٢٢٦/٣) رقم (١٣٣٨٤) ، والطبراني في الأوسط (٢٦٥/٨) رقم (٨٥٩٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : فيه علي بن زيد ، وفيه ضعف لسوء حفظه (٧٤/٥) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : أبو حاتم . (٣) سبق في اللوحة رقم (٣٢٠/أ) .

(٤) في هامش الأصل و في (خ) : المسلم .

(٥) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أنس (٢٣٨/٣) رقم (١٣٥٢٦) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة (٢٣٢/٧) رقم (٤٢٣٣) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٤/٧) رقم (٩٩٣٣) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى وأحمد ورجاله ثقات (٣٠٤/٢) .

(٦) زيادة من (خ) .

وأبو بكر بن عياش عن عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد قال : [١١٥١] سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلاءً قَالَ : « **الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ هُوِّنَ عَلَيْهِ ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ مَا لَه مِنْ ذَنْبٍ** » [١] .

فأي دواء يجلب الصحة ويقي من السقم ما يجلب المكاره من صحة الأديان وشفاء العصيان [٣٤٢/ب] ، فهذا نظره لك ورحمته إياك ودفعه عنك ، سبحانه ما ألطفه بعباده المؤمنين .

وقوله ﷺ : « **وحسن الطاعة له** » يجوز أن يكون حسن الطاعة الانقياد للّٰه تعالى فيما أمر ونهى ، والاستسلام لما قدر وقضى ، وتفويض الأمر إليه فيما سر وساء ، فالانقياد في الأمر والنهي هو ألا يغلو فيه ولا يجفو عنه ، إذ بالغلو مرقت المارقة ، وبالجفاء هلكت المرجئة ، وبالتوسط نجت السنية الجماعتية [٢] ، قال ﷺ : [١١٥٢] « **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ ، ولا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللّٰهِ ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى** » حدثناه الحسين على العطار ح عبد اللّٰه بن أبي ميسرة ح خلاد [٣] بن يحيى ح يحيى بن المتوكل عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد اللّٰه ﷺ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ ذلك [٤] .

وحدثنا عبد اللّٰه بن محمد بن يعقوب الحَارِثِيُّ رحمه الله ح عبد اللّٰه بن محمد بن شيرويه ح محمد بن أبي بكر المُقَدَّمِيُّ [٥] ح جعفر بن سليمان ح المعلى بن زياد عن أبي غالب عن أبي أمامة البَاهِلِيِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال : [١١٥٣] « **صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَبْلُغَهُمَا**

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن سعد بن مالك في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء ، وقال : حسن صحيح (٦٠١/٤) رقم (٢٣٩٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الطب باب أي الناس أشد بلاء (٣٥٢/٤) رقم (٧٤٨١) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (١٣٣٤/٢) رقم (٤٠٢٣) ، والدارمي في سننه (٤١٢/٢) رقم (٢٧٨٣) ، وأحمد في مسنده (١٧٢/١) رقم (١٤٨١) ، والحاكم في المستدرك وصححه وسكت عنه الذهبي (٣٨٦/٣) رقم (٥٤٦٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٧٢/٣) رقم (٦٣٢٦) ، وابن حبان في صحيحه (١٦١/٧) رقم (٢٩٠١) .

(٢) في (خ) : الجماعية .

(٣) في (خ) : خالد .

(٤) سبق في اللوحة رقم (٩٦/ب) .

(٥) المُقَدَّمِيُّ : بضم الميم ، وفتح القاف ، وتشديد الدال المهملة ، وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى الجد ، الأنساب (٣٤٣/٤) .

شَفَاعَتِي - أَوْ لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي ، أَوْ لَنْ أَشْفَعَ لَهُمَا - أَمِيرٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ (١) **عَسُوفٌ** (٢) ، **وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ** (٣) » (٤) .

وحدثنا القَوَارِيرِيُّ (٥) حدثنا عمران بن موسى بن (٦) مجاشع الجُرْجَانِيُّ ح سويد بن سعيد الأَنْبَارِيُّ ح شهاب بن خراش عن محمد بن زياد عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١١٥٤] « **مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ فَاسْتَجْمَعَ لَهُ أَمْرَ أُمَّتِهِ إِلا وَفِي أُمَّتِهِ مُرْجِئَةٌ وَقَدَرِيَّةٌ** [٣٤٣/أ] **يُشَوِّشُونَ عَلَيْهِ أَمْرَ أُمَّتِهِ ، أَلا وَإِنَّ اللَّهَ تعالى لَعَنَ الْمرْجِئَةَ وَالْقَدَرِيَّةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا أَنَا آخِرُهُمْ** » (٧) فالقدرية غالية ، أخرجت من الإيمان من ارتكب كبيرة ، وحكمت عليه بالخلود إن مات بغير توبة ، فغلت فلعنت ، واستخفت المرجئة بأوامر الله ونواهيه ، فزعمت أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، ولا يدخل موحد النار وإن لم يسجد لله سجدة ، فجفت فلعنت ، وخير الناس أهل السنة والجماعة الذين قال أمير المؤمنين علي ﷺ : [١١٥٥] « **خَيْرُ النَّاسِ النَّمَطُ الأَوْسَطُ** (٨) **، يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْغَالِي وَيَلْحَقُ**

---

(١) غَشُومٌ : الغَشْمُ : الظُّلْم والغَصْبُ . لسان العرب مادة (غشم) ، وغَشُومٌ مبالغة من ذلك .

(٢) العَسْفُ : السَّير بغير هداية والأَخذُ على غير الطريق ... ويقال : رجل عَسوفٌ إذا لم يَقْصِد قَصْدَ الحقِّ ، لسان العرب مادة (عسف) .

(٣) المُرُوق : سرعة الخروج من الشيء ، يقال : مَرَق الرجلُ من دِينه ومَرَقَ من بيته . لسان العرب مادة (مرق) .

(٤) الحديث أخرجه الروياني في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي أمامة (٢٧٤/٢) رقم (١١٨٦) ، والطبراني في الكبير (٢٨١/٨) رقم (٨٠٧٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الكبير ثقات (٢٣٥/٥) .

(٥) في الأصل : القواري .

(٦) في (خ) : حدثنا .

(٧) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة عن معاذ بن جبل (١١٧/٢٠) رقم (٢٣٢) ، وفي مسند الشاميين (٢٢٤/١) رقم (٤٠٠) ، والبيهقي في الاعتقاد (٢٣٧/١) ، والخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (٥١٨/١) ، وذكره أبو شجاع الهمذاني في الفردوس بمأثور الخطاب بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٨٣/٤) رقم (٦٢٥٧) ، وأخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٨٦/٨) ، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية وقال : (هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، وأتى به سويد بن غفلة ، وكذلك شهاب ، قال يحيى بن معين : لو كان لي فرس ورمح كنت أغزو سويدًا . قال أبو حاتم الرازي : هو كثير التدليس . قال ابن حبان : يأتي بالمعضلات عن الثقات ، يجب مجانبته . وشهاب بن خراش كان يخطئ كثيرًا حتى خرج عن حد الاحتجاج به) (١٥٦/١) رقم (٢٣٥) .

(٨) النمط : الطريقة من الطرائِق والضرب من الضُّروب ، يقال : ليس هذا من ذلك النَّمط ، أي من ذلك الضَّرب . والنَّمَط الجماعة من الناس أمرُهُم واحِد ، النهاية مادة (نمط) ، (١١٨/٥) .

بِهِ التَّالِي »[١] ، وهي التي ترجو اللَّه لغفران الكبائر ، وتخافه في[٢] العقوبة على الصغائر ، فهذا حسن الطاعة له[٣] فيما أمر ونهى ، وأما حسن الطاعة فيما قدر وقضى فالتوكل على اللَّه فيما تكفل ، والاكتفاء به مما دهم ونزل ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] ، وقال : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية [إبراهيم : ١٢] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٣] ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] ، هذه عاقبة من على اللَّه توكل وبه احتسب ، قال عليه السلام : [١١٥٦] « **لَوْ تَوَكَّلْتُم عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُم[٤] كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوحُ بِطَانًا** »[٥] .

وقال عليه السلام : [١١٥٧] « **يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الجَنَّةَ سَبعُونَ أَلفًا بغيرِ حِسَابٍ** »[٦] ثم قال : [١١٥٨] « **هُمُ الذِينَ لا يَرْقُونَ ولا يَسْتَرقُونَ ولا يَكْوُونَ ولا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ** »[٧] فالاستسلام لما قدر وقضى تسليم النفس إلى خالقها ، وتسليمها إلى مشتريها ، قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ [٣٤٣/ب] ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] ، فعلى البائع تسليم ما باع حتى يستحق الثمن ، وقال عز وجل لخليله : ﴿ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ١٣١] ، قال اللَّه تعالى : ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] ، فهذه عاقبة من سلم واستسلم ، قال عليه السلام : [١١٥٩] « **إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَقُلْ : اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نفسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ** »[٨] وقال عليه السلام : [١١٦٠] « **مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ** »[٩] .

والاعتراض على اللَّه فيما يقضي مما لا يعنيه ؛ لأن من باع شيئًا وسلمه إلى المشتري لم يكن له أن يعترض على المشتري فيما يحدث فيما اشتراه ، وتفويض الأمر فيما سر وساء ، وهو تفويض أمره إلى اللَّه ، فلا يتحكم عليه ولا يختار على ما يختار له ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ ﴾ [القصص : ٦٨] ، وقال عز وجل حكاية عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ الآية [غافر : ٤٤] ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ ﴾ الآية [غافر : ٤٥] ، هذه عاقبة

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بألفاظ متقاربة عن علي (٧/١٠٠) رقم (٣٤٤٩٨) .

(٢) في (خ) : من .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) في (خ) : لرزقكم .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٣٧/أ) .

(٦) سبق في اللوحة رقم (٢٢/أ) .

(٧) سبق في اللوحة رقم (٥٤/ب) .

(٨) سبق في اللوحة رقم (٦٣/ب) .

(٩) سبق في اللوحة رقم (٦٢/ب) .

التفويض إلى الله قال ﷺ : [١١٦١] « **فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ** » [١] .

وقوله ﷺ : « **وحسن الصبر على أمره** » الأمر هاهنا يحتمل معنيين : أمر إيجاب وحتم ، وأمر قضاء وحكم ، فالصبر على أوامر الله تعالى إقامتها بحدودها ، قال الله تعالى : ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وقال لنبيه ﷺ : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل : ١٢٧] ، وقال : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية [الكهف : ٢٨] .

وحسن الصبر في أوامر الله تعالى أن لا يشاهد الخلق فيما يعمله لله فيقدح فيه الرياء ، قال [٣٤٤/أ] الله تعالى يذم المنافقين : ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ١٤٢] ، وقال : ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ الآية [الماعون : ٥، ٦] ، وقال ﷺ : [١١٦٢] « **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً وَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا بَرِيءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ** » حدثناه عبد العزيز ح محمد ح إسحاق بن محمد الفَرْوِيُّ ح ابن [٢] الزناد عن عمرو بن أبي عمرو عن الْمَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى ذلك [٣] .

قال الشيخ : وأن لا يقارن نفسه فيما يعمله فيفسده العجب ، قال الله تعالى في قصة قارون : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص : ٧٨] ، قال الله تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص : ٨١] ، وقال : ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ [ص : ٧٤] ، قال : ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف : ١٢] ، قال الله تعالى : ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ الآية [الحجر : ٣٤] ، هذه ثمرة العجب والنظر إلى النفس ، وأهونه ما قال الله تعالى : ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ الآية [التوبة : ٢٥] الآية ، وأن لا يطالع عوضًا فيما يفعله عند [٤] رضا الله والدار الآخرة ، فإن مطالعة العوض محبط العمل ، وهو الشرك الخفي ، قال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف : ١١٠] ، قيل : لا يريد به غير الله [٥] ، قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام : ٨٢] قيل : بشرك [٦] . ومنه الشرك في العمل .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٦٣/ب) .
(٢) زاد في (خ) بعدها : أبي .
(٣) سبق في اللوحة رقم (٤٩/ب) .
(٤) في (خ) : غير .
(٥) أخرج الطبري في جامع البيان نحو هذا القول عن سفيان (١٦/٤٠) .
(٦) قاله الطبري في جامع البيان (٧/٢٥٤) .

حدثنا عبد العزيز ح محمد بن إبراهيم ح محمد بن إسماعيل ح موسى [(١)] ح ابن أبي ذئب عن القاسم بن عباد عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن أبي [(٢)] مكرز - رجل من أهل الشام من بني عامر بن لؤي - عن أبي هريرة ﷺ : [١١٦٣] أَنَّ رَجُلًا [٣٤٤/ب] قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الجِهَادَ في سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَبْتَغِي مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا ؟ قَالَ ﷺ : « **لا أَجْرَ لَهُ** » . فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ : عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ لَعَلَّهُ لَمْ يَفْقَهْ . فَعَادَ لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَقَالَ لَه ﷺ مَا قَالَ لَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ قَالَ النَّاسُ لِلرَّجُلِ : عُدْ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَيْضًا فَأَفْقِهْهُ . فَعَادَ ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ الثَّالِثَةَ [فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ] [(٣)] : « **لا أَجْرَ لَهُ** » [(٤)] .

وحدثنا الرَّشَادِيُّ ح محمد بن الضوء ح محمد بن كثير الْعَبْدِيُّ ح ابن المبارك ح أسامة بن زيد عن سعيد الْمَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١١٦٤] « **رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلا الْجُوعُ والْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلا السَّهَرُ** » [(٥)] .

هذه عاقبة مطالعة العوض على العمل ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] ، فحسن الصبر على أوامر اللَّه وفروضه أن يخلصه للَّه من الرياء والعجب والشرك الخفي ، وحسن الصبر على ما قدر وحكم هو أن لا يكون صبره عقيب جزع ، قال اللَّه تعالى يذكر قول نبيه يعقوب ﷺ :

---

(١) زاد في (خ) بعدها : ابن جعفر .
(٢) في (خ) : ابن .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الجهاد باب في من يغزو ويلتمس الدنيا (١٤/٣) رقم (٢٥١٦) ، وأحمد في مسنده (٢٩٠/٢) رقم (٧٨٨٧) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٩٤/٢) رقم (٢٤٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (٤٩٤/١٠) رقم (٤٦٣٧) ، وابن المبارك في الجهاد (١٦٩/١) رقم (٢٢٧) .
(٥) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الصيام باب آداب الصائم (٢٣٩/٢) رقم (٣٢٤٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم (٥٣٩/١) رقم (١٦٩٠) ، وأحمد في مسنده (٣٧٣/٢) رقم (٨٨٤٣) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة وقال : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٥٩٦/١) رقم (١٥٧١) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٧٠/٤) رقم (٨٠٩٧) ، وابن حبان في صحيحه (٢٥٧/٨) رقم (٣٤٨١) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩/١١) رقم (٦٥٥١) .

﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ ﴾ [يوسف : ١٨] قيل : لا جزع معه [(١)] وقال ﷺ : [١١٦٥] « **الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّـدْمَـةِ الأُولَى** » [(٢)] .

حدثنا أحمد بن عبد اللَّه الْهَرَوِيُّ [(٣)] ح يوسف بن موسى ح أبو يعلى [(٤)] ح الأَصْمَعِيُّ قال : عزي أسد بن عبد اللَّه الْقَسْرِيُّ [(٥)] ، فكان فيما عزاه دهقان [(٦)] فقال له : (إن قدرت أن تعجل ما أخرته العجزة فتريح نفسك وترضي ربك فافعل) .

هذا صبر العوام من المؤمنين ، وهو انتظار الفرج من اللَّه ﷻ ، وأما صبر الخواص فهو [٣٤٥/أ] أن يصبر في الصبر فلا يطالع الفرج فيه ولا يريد الخلاص مما هو فيه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، فالصبر أن لا ينتظر الفرج إلا [(٧)] من اللَّه تعالى ، كما قال ﷺ : [١١٦٦] « **لا يَرْقُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ** » [(٨)] .

والمصابرة ألا يريد إلا ما أراده اللَّه تعالى ، حدثنا عبد اللَّه بن محمد ح الفضل بن عمير بن عثمان ح سعيد بن سليمان [ح ابن] [(٩)] شهاب عن أبي حيان التَّيْمِيُّ عن أبيه قال : [١١٦٧] « دَخَلْنَا عَلَى سُوَيْدَ بْنَ مَثْعبَةَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْخِطَطِ [(١٠)] نَعُودُهُ ، فَلَوْلا أَنَّ امْرَأَتَه قَالَتْ : أَهْلِي فِدَاؤُكَ مَا نُطْعِمُكَ مَا نَسْقِيكَ مَا عَلِمْتُ أَنَّ تَحْتَ الثَّوْبِ

---

(١) قاله مجاهد فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان بإسناده إليه (١٦٥/١٢) .

(٢) الحديث أخرجه بلفظه عن أنس في كتاب الجنائز البخاري في صحيحه باب زيارة القبور (٤٣٠/١) رقم (١٢٢٣) ، ومسلم في صحيحه باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى (٦٣٧/٢) رقم (٩٢٦) ، وأبو داود في سننه باب الصبر عند الصدمة (١٩٢/٣) رقم (٣١٢٤) ، والترمذي في جامعه باب ما جاء أن الصبر في الصدمة الأولى وقال : حسن صحيح (٣١٤/٣) رقم (٩٨٨) ، والنسائي في سننه الكبرى باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة (٦١٣/١) رقم (١٩٩٦) ، وابن ماجه في سننه باب ما جاء في الصبر على المصيبة (٥٠٩/١) رقم (١٥٩٦) .

(٣) في (خ) : الْمُزَنِيُّ .

(٤) زاد في (خ) بعدها : الساجي .

(٥) الْقَسْرِيُّ : بفتح القاف ، وسكون السين المهملة ، وفي آخرها الراء المهملة ، هذه النسبة إلى قسر ، وهو بطن من قيس . الأنساب (٥٣/٤) .

(٦) الدِّهْقَانُ و الدُّهقان : التاجر . لسان العرب مادة (دهق) .

(٧) من هامش الأصل.

(٨) سبق في اللوحة رقم (٥٤/ب) .

(٩) في (خ) : عن أبي .

(١٠) الخِطَط : جمع خِطَّة بالكسر ، وهي الأرض يَخْتَطُّها الإنسان لنفسه بأن يعَلّم عليها علامةً ويَخُطُّ عليها خَطاً لِيُعْلَم أنه قد احْتازَها ، النهاية مادة (خطط) ، (٤٨/٢) .

شَيْئًا ، فَرَفَعَت الثَّوْبَ فَإِذَا مِثْلُ الفَرْخِ وَإِذَا هُوَ يَقُولُ دَبِرَتْ الْحَرَاقِفُ [١] والظَّهْرُ وَمَا مِنْ ضَجْعَةٍ إلا مَا تَرَوْنَ ، ومَا يَسُرُّنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالى نَقَصَ مِنْه قُلامَةَ ظُفْرٍ » [٢] .

وحدثنا محمد بن عبد اللّه الرَّازِيُّ ح أبو إسحاق الْهِسِنْجَانِيٌّ ح أحمد ح محمد بن معاوية أبو عبيد [٣] الصُّورِيُّ [٤] عن أبي عبيد [٥] اللّه النُّبَاجِيِّ [٦] قال : (إن في خلق اللّه خلقًا يستحيون من الصبر لو يعلمون مواقع أقداره لتلقفوها تلقفًا) [٧] ، قال بعض الكبار : (صابر الصبر ، فاستغاث به الصبر ، فنادى الصبور : يا صبر صبرًا) ، ثم لا يشهد الصبر عن نفسه ، وإنما يراه نعمة من اللّه عليه ليشكره عليها ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ، وقال أبو عمر الدِّمَشْقِيُّ في معنى قول أيوب ﷺ : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] قال : مسني الضر فصبرتني ؛ لأنك أنت أرحم الراحمين . وقال : مسني الضر الذي تخص به أنبياءك وأولياءك بلا استحقاق مني ، لكن لأنك أرحم الراحمين . فتذلل في حاله وتلذذ في بلائه ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] [٣٤٥/ب] ، ولم يسأل التخفيف ولا زوال السقم ، كذلك يعقوب ﷺ قال : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٦] كأنه رأى شكواه إليه ألذ عنده من كثير مما اصطنعه إليه .

وقوله ﷺ : « **ومن لم يكن فيه فلا عقل له** » العقل عقلان :

عقل حجة ، وعقل محجة ، فعقل الحجة هو الغريزي الذي جعله اللّه في كل بالغ مميز ، وبه تمت حجة اللّه على خلقه ، فمن لم يركب اللّه فيه هذا العقل لم يكلفه شيئًا ، وهو المعتوه والطفل والبهائم وسائر ما خلق اللّه غير الثقلين ، وهو عقل الحجة التي قال

---

(١) الحرْقَفَتانِ : رؤوس أعالي الوَرِكَين ... ويُقال للمريض إذا طالت ضَجْعَتُه : دَبِرَتْ حَرَاقِفُه ... والجمع الحَرَاقِفُ . لسان العرب مادة (حرقف) .

(٢) الحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد بألفاظ مختلفة عن أبي حيان عن أبيه (١٥٧/١) رقم (٤٦٣) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٦٠/٦) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٣٥٩/١) .

(٣) في هامش الأصل : عبيد اللّه .

(٤) الصُّورِيُّ : صور بلدة كبيرة من بلاد ساحل الشام . الأنساب (٢١٨/٣) .

(٥) في (خ) : عبد .

(٦) النُّبَاجِيُّ : بكسر النون ، وفتح الباء المنقوطة بواحدة وفي آخرها الجيم ، هذه النسبة إلى النُّبَاج ، وهي قرية في بادية البصرة على النصف من طريق مكة . الأنساب (٣٩٩/٤) .

(٧) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة بألفاظ متقاربة عن أبي عبد اللّه النباجي (٢٨٠/٤) .

اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤] ، وقال : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ الآية [الحج : ٤٦] .

وعقل المحجة هو استعمال العقل الغريزي وتربيته بالنظر في الآيات من الأقطار والأنفس ، وهو العقل الذي به يتبع العبد أوامر اللَّه فيقيمها ، ويجتنب مساخط اللَّه فيتركها ، فمن لم يعمل ذلك فلا عقل له ، قال اللَّه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة : ٥٨] ، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر : ١٣] وقال ﷺ : « **العاقل من عمل بطاعة اللَّه تعالى** » حدثنا [١] محمد بن موسى ح الحارث بن [٢] أسامة [ح الحارث] [٣] ح داود [٤] عن عباد عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عمر قال : [١١٦٨] قَدِمَ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ جُرَشٍ [٥] الْمَدِينَةَ تَاجِرًا ، فَكَانَ لَهُ بَيَانٌ وَوَقَارٌ وَهَيْبَةٌ ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا أَعْقَلَ هَذَا النَّصْرَانِيَّ ، فَزَجَرَ الْقَائِلَ فَقَالَ لَهُ : « **مَهْ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى** » [٦] .

والكافر والمشرك باللَّه وإن كان له عقل من جهة أنه مميز يعرف ما له وعليه وليس بمعتوه [٣٤٦/أ] ولا مجنون فإنه ليس بعاقل ، من قِبَلِ أنه لم ينتفع بعقله وتمييزه ، كما أنه له سمعًا وبصرًا وهو يسمع ويبصر ولسانًا ناطقًا ، وقد قال ﷻ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١] ، فنفى عنهم العقل ، كما نفى عنهم السمع والبصر والنطق وإن كانوا يسمعون ويبصرون وينطقون ويميزون ، ولكنهم لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم سماهم صمًّا وبكمًا وعميًا ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ [الأحقاف : ٢٦] ، فلما جحدوا ما أراهم أبصارهم وأسمعهم أسماعهم من آيات اللَّه الدالة على وحدانية اللَّه

---

(١) زاد في (خ) بعدها : أبو عبد اللَّه .
(٢) زاد في (خ) بعدها : أبي .
(٣) سقط من (خ) .
(٤) زاد في (خ) بعدها : ابن المحبر .
(٥) في هامش الأصل : موضع . ا.هـ. قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : (جُرَش بالضم ثم الفتح وشين معجمة من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وهي في الإقليم الأول ، طولها خمس وستون درجة وعرضها سبع عشرة درجة ، وقيل : إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة) (١٢٦/٢) .
(٦) الحديث أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بألفاظ متقاربة عن ابن عمر (٨١١/٢) رقم (٨٣٦) ، وعده الشوكاني في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع موضوعًا ، قال الشوكاني : (أخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن داود بن المحبر بضعًا وثلاثين حديثًا قال العسقلاني : كلها موضوعة منها ...) وذكره (٢٥٦/١) رقم (٤٥٦) ، وعده العجلوني في كشف الخفاء موضوعًا أيضًا (٥٥٣/٢) .

وربوبيته أخبر أنهم لم ينفعهم أسماعهم وأبصارهم وسماهم صمًّا وبكمًا وعميًا ، كذلك لما جحدوا ما عرفوه بعقولهم من توحيد اللَّه وصدق محمد والدلالات على البعث وغيره فلم ينتفعوا بعقولهم أخبر أنهم لا يعقلون ولا يفقهون ولا يعلمون ، نعوذ باللَّه من الخذلان ونسأل اللَّه التوفيق على البيان ، إنه متفضل منان .

٢٠٥
باب في رحمة النبي ﷺ بأمته

حديث آخر : [١١٦٩] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو إسحاق إسماعيل ابن إسحاق القاضي ح عبد اللَّه بن مسلمة بن قعنب الْقَعْنَبِيُّ ح سلمة بن وردان قال : سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول : « ارْتَقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ دَرَجَةً فَقَالَ : « آمِينَ » [1] . ثُمَّ ارْتَقَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ : « آمِينَ » . ثُمَّ ارْتَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ : « آمِينَ » . ثُمَّ اسْتَوَى فَجَلَسَ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : عَلَى مَا أَمَّنْتَ ؟ . قَالَ : « **أَتَانِي جِبْرِيلُ** عليه السلام [٣٤٦/ب] **فَقَالَ : رَغِمَ** [2] **أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتُ عِنْدَه فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ . فَقُلْتُ** : آمِينَ . **فَقَالَ : رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ** [3] **فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ . فَقُلْتُ** : آمِينَ . قَالَ : **رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ . فَقُلْتُ** : آمِينَ » [4] .

وحدثنا محمد بن الحسن بن علي ح سهل بن المتوكل ح الْقَعْنَبِيُّ بإسناده نحوه .

وحدثنا محمد بن أحمد [5] ح أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمِذِيُّ ح سعيد ابن [6] مريم ح محمد بن هلال ح سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجره عن أبيه

---

(١) آمين : اسم مَبْنِيٌّ على الفتح ، ومعناه اللهم استجب لي ، النهاية مادة (آمين) ، (٧٢/١) .

(٢) رَغِمَ أنفُه : أي ألصقه الرَّغام ، وهو التراب ، النهاية مادة (رغم) ، (٢٣٨/٢) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : أو أحدهما .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٣٠٤/٤) رقم (٨٢٨٧) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن الحويرث (١٤٠/٢) رقم (٤٠٩) ، والبزار في مسنده عن عمار ابن ياسر (٢٤١/٤) رقم (١٤٠٥) ، وأبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة (٣٢٨/١٠) رقم (٥٩٢٢) ، والطبراني في الأوسط (١١٣/٨) رقم (٨١٣١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار ، وفيه سلمة ابن وردان ، وهو ضعيف ، وقد قال فيه البزار : صالح . وبقية رجاله رجال الصحيح (١٦٦/١٠) ، وسلمة ابن وردان من رجال إسناد المصنف .

(٥) زاد في (خ) بعدها : ابن حبيب .

(٦) زاد في (خ) بعدها : أبي .

عن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله ﷺ : [١١٧٠] « **احْضُرُوا المنبَرَ** » ، فَحَضَرْنَا ، فَلَمَّا ارْتَقى دَرَجَةً قَالَ : « **آمِينَ** » ، ثُمَّ ارْتَقى دَرَجَةً ثَانِيَةً فَقَالَ : « **آمِينَ** » ، فَلَمَّا ارْتَقى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ قَالَ : « **آمِينَ** » ، فَلَمَّا فَرَغَ نَزَلَ عَنْ الْمِنْبَرِ . قُلْنَا لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ ؟! . فَقَالَ : « **إِنَّ جِبْرِيلَ** عليه السلام **عَرَضَ لِي فَقَالَ : بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ . فَقُلْتُ : آمِينَ . فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ : بَعُدَ مَنْ إِذَا ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ . فَقُلْتُ : آمِينَ . فَلَمَّا رَقِيتُ** [١] **الثَّالِثَةَ قَالَ : بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ الْكِبَرُ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَهُ فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ . فَقُلْتُ : آمِينَ** » [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : كان النبي عليه السلام أرحم بأمته من آبائهم ، وأرأف [٣] بهم من أمهاتهم ، وبذلك وصفه الله تعالى فقال : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، والله أرسله رحمة للعالمين فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ، وعاتبه الله تعالى في قوله : [١١٧١] « **كَيفَ تُفلِحُ أُمَّةٌ خَضَبَتْ وَجهَ نَبِيِّهَا** ؟! » [٤] فقال : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية [آل عمران : ١٢٨] ، وبلغ من شفقته على أمته أن كان يأخذ دمه [٣٤٧/أ] بيده وثوبه حين دموا وجهه مخافة أن يقع من دمه على الأرض ؛ فينزل بهم العذاب وهم بالله مشركون ، يقاتلونه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ، و [١١٧٢] لَمَّا نَزَلَتْ قَوْلُه : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٦٥] ، قَالَ : « **أَعُوذُ بِوَجْهِكَ** » ، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٦٥] ، قَالَ : « **أَعُوذُ بِوَجْهِكَ** » [٥] ، وهو إذ ذاك بمكة يُكذَّب ويُؤذى ويُشتم ويُوضع

---

(١) في (خ) : ارتقيت .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن كعب بن عجرة ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٧٠/٤) رقم (٧٢٥٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٥/٢) رقم (١٥٧٢) ، وأسلم بن سهل الواسطي في تاريخ واسط (٢٥٤/١) ، والطبراني في الكبير (١٤٤/١٩) رقم (٣١٥) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله ثقات (١٦٦/١٠) .

(٣) في هامش الأصل : وأرق .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة آل عمران ، وقال : حسن صحيح (٢٢٧/٥) رقم (٣٠٠٣) ، وأحمد في مسنده (٢٠١/٣) رقم (١٣١٠٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٣/٧) رقم (٣٦٥٦٨) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن جابر بن عبد الله في كتاب تفسير القرآن باب ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ (١٦٩٤/٤) رقم (٤٣٥٢) ، والترمذي =

الفرث على ظهره وهو ساجد ، ثم يدعو على قوم آمنوا به وصدقوه وأقروا بما جاء به وصلوا الخمس وصاموا رمضان برغم الأنف والبعد عن الرحمة ، إن في ذلك لحكمة ورحمة [1] .

فيجوز أن يكون معنى ذلك في المستخف به ﷺ من المنافقين الذين يراؤون الناس ، وهم كافرون مذبذبون ، لا يؤمنون عقدًا ولا كافرون قولًا ، فلا يوقره ولا يعزره تكذيبًا له وشكًا فيه ، وكذلك المستخف برمضان فلا يصومه ولا يقومه جحودًا له وإنكارًا ، أو يستخف بحق الوالدين تكذيبًا لما أنزل اللّه تعالى في قوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] ، فيكون دعاؤه على الجاحدين والمنافقين الذين قد أخبر اللّه عنهم [2] أنهم في الدرك الأسفل من النار وهم مشركون لا يغفر اللّه لهم دون من آمن باللّه وصدق رسوله وبما جاء به ، واللّه أعلم .

ويجوز أن يكون ذلك في المؤمنين باللّه ، المصدقين رسوله ، المعتقدين صيام رمضان ، المؤمنين بما أنزل اللّه من الوصاءة بالوالدين ، غير أنهم اتبعوا شهوات نفوسهم فتشاغلوا بها عن مرضات خالقهم ، أراهم اللّه تعالى مواضع رشدهم فتعاموا عنها ، ودلهم على سبيل النجاة فتجافوا [٣٤٧/ب] عنه ، فكأنهم أبوا إلا النار أن يتهافتوا فيه ، والجنة أن يميلوا إليها ؛ وذلك أن اللّه تعالى نهاهم عن المعاصي أن يواقعوها ، والمناهي أن يأتوها ، فأبوا إلا مواقعتها وارتكابها ، فرهنوا أنفسهم النار ، فأعطاهم اللّه شهر رمضان ، أمرهم بصيامه وقيامه وزم جوارحهم فيه ، فيغفر لهم ما جنوه في جميع السنة ، ويكفر عنهم خطايا [3] أحد عشر شهرًا فيه ، وأعذر إليهم في صفد الشياطين وغل مردة الجن ، وفتح أبواب الجنان وإغلاق أبواب النيران ، وأعانهم بإخوانهم المؤمنين فلا يرى إلا صائمًا لربه في يومه ، قائمًا في ليله تاليًا لكتابه ، ذاكرًا لربه ، تركوا الملاهي ورفضوا المناهي ، وأقبلوا على مجالس الذكر ، وسكن من نفوسهم كثير من شهواتهم ، فأعطاهم فيه ليلة القدر

= في جامعه في كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنعام ، وقال : حسن صحيح (٢٦١/٥) رقم (٣٠٦٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التعبير باب قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] (٤١٢/٤) رقم (٧٧٣١) ، وأحمد في مسنده (٣٠٩/٣) رقم (١٤٣٥٥) ، والحميدي في مسنده (٥٣٠/٢) رقم (١٢٥٩) ، وسعيد بن منصور في سننه (٢٣/٥) رقم (٨٨٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٦٢/٣) رقم (١٨٢٩) ، والطبري في جامع البيان (٢٢٤/٧) .

(١) سقط من (خ) .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) زيادة من (خ) .

التي هي خير لهم من ألف شهر يصومونه ويقومونه ، فأبوا مع ذلك إلا العصيان والتمرد على الرحمن ، فلم يستوجبوا الغفران ، وبعث إليهم رسولًا من أنفسهم عزيز عليه عنتهم ، حريص رؤوف رحيم بهم ، إمامهم في الدنيا ، وأمانهم من العذاب ، وشفيعهم في الآخرة ، وزعيمهم بين يدي اللّٰه تعالى ، أمر بتوقيره وتفخيم أمره وتعزيزه ، [وصلى عليه] (١) وأمر بالصلاة عليه ، وصلى عشرًا على من صلى عليه واحدة ، ومن صلى اللّٰه عليه لم يعذبه بعدها [من ذكر عنده] (٢) ، فتذاهب عن الصلاة عليه ، وقد ذكر عنده ، وترك حظه من صلاة ربه عليه ، فكأنه أعرض حين أقبل عليه ، وأبى حين دعي إليه ، فلم يكتسب بصلاته على نبيه مغفرة ذنبه ، ولم يبتغ في [٣٤٨/أ] صلاته عليه رضا ربه ، فلم يستوجب غفران ذنبه ، وأمر اللّٰه بتعظيم حق نفسه وهو الكبير المتعال ، ذو الإكرام والجلال ، وأمر بشكره فيما أنعم ، وهو هدى لشكره وألهم ، فقصروا في واجب حقه ، ولم يشكروا نعم مستحقه ، فأمرهم بشكر والديهم ، وجعل ذلك شكرًا منهم فيما أنعم عليهم فقال : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان : ١٤] ، وجعل برَّهما سبب غفران السيئات ، وعقوقهما أكبر الكبيرات ، فأعرض عنهما من أدركهما ، أو أدرك الكبر عنده أحدهما فلم يرضهما ، والمؤنة في إرضائهما يسيرة ، والمثوبة على ذلك جليلة كبيرة ، فلم يجب له من اللّٰه المغفرة ، ولم يقبل على اللّٰه بترك ذلك بالمعذرة ، فحكم اللّٰه على هؤلاء أن يؤدبهم بالنار ويطهرهم بها ، إذ لم يتطهروا بما أعطاهم من الطهارات ، ولا تخففوا من أثقالهم بما بين لهم من الكفارات ، فأبعدهم من زمرة السابقين في دخولهم جنة رب العالمين ، وأخر غفرانهم إلى مدة فأرغم أنفهم بذلك ، فأخبر نبيه على لسان أمينه عليه السلام حكمه فيهم ، فوافق الحبيب حبيبه في مشيئته ، ولم يخالف مولاه في إرادته ، فشاء لهم ما شاء اللّٰه ، وأراد فيهم ما أراد اللّٰه من تأخرهم من زمرة السابقين ، وتأديب اللّٰه لهم في دار الظالمين ، وتطهيره إياهم من أنجاس ذنوبهم ، وإزالته عنهم أوساخ عيوبهم ، فدعا عليهم بما سبق من حكم اللّٰه فيهم ، فإذا دخل على ربه وجد محل الوسيلة من قربه فشفع فيهم ، واستغفر لهم فغفر اللّٰه لهم ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد : ١٩] ، وقال : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ [٣٤٨/ب] رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وقال عليه السلام : [١١٧٣] « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » (٣) ، وقيل له عليه السلام :

---

(١) السابق . (٢) سقط من (خ) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .

[١١٧٤] لمَنْ تَشْفَعُ ؟ قَالَ : « **لأَصْحَابِ الدِّمَاءِ والعَظَائِمِ** » [(١)] . فكانت دعوته ﷺ موافقة للَّه في مشيئته ، ولم يكن غلظة على أمته ؛ إذ هو للَّه حبيب ، ومنه قريب ، وله صفي ، وعلى أمته حفي ، فلم يكن يتقدم بين يدي اللَّه ، ولا يتأبى على اللَّه ، بل وافقه في كل الأحوال ، وآثر محبته في كل الأعمال ﷺ الكبير المتعال .

ويجوز فيه معنى آخر : وهو أنه أراد بدعائه على هؤلاء الزجر لأمته ، والترهيب لهم بأبلغ الزجر ، وأشد الترهيب لعظم الذنب ؛ لئلا يواقعوا هذه الأشياء ، وليجتنبوا هذه الأعمال .

ومعنى الدعاء عليهم هو الدعاء لهم ، والاستغفار لهم ، وسؤال التطهير والزكاة لهم ، فقد قال ﷺ فيما حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو معاوية وأبي عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : [١١٧٥] دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلانِ فَأَغْلَظَ لَهُمَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ [(٢)] أَصَابَ مِنْكَ خَيْرًا مَا [(٣)] أَصَابَ هَذَانِ [(٤)] مِنْكَ خَيْرًا . قَالَ : « **أَوَمَا عَلِمْتِ مَا عَاهَدْتُ عَلَيْهِ رَبِّي ؟** » قَالَتْ : قُلْتُ : وَمَا عَاهَدْتَ عَلَيْهِ رَبَّكَ ؟ قَالَ : « **قُلْتُ : اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً وَعَافِيَةً وَكَذَا وَكَذَا** » [(٥)] . فقد أخبر ﷺ أن شتمه إياهم ولعنه لهم رحمة وزكاة وعافية ، فكأنه ﷺ حين قال : « **أبعده اللَّه وأرغم أنفه** » استغفر له وسأل [٣٤٩/أ] اللَّه أن يرحمه ويتجاوز عنه ويتوب عليه ويزكيه ، وإن كان ظاهر الأمر إبعادًا ودعاء عليه ، فهو ﷺ جمع في قوله : « **أبعده اللَّه ورغم أنفه** » تخويفًا لأمته وزجرًا لهم ، ونهيًا إياهم وترهيبًا لهم ، وإعلامًا لهم بعظم الذنب ، وشفقة عليهم واستغفارًا لهم ، وشفاعة فيهم وطهرة لهم وتجاوزًا عنهم ، وسأل اللَّه أن يتوب عليهم فيطهرهم بالتوبة ، أو يكفر عنهم ذنوبهم فيزكيهم ويطهرهم ويمحص عنهم ، شفقة عليهم ورأفة لهم ورحمة لهم ، فقد كان ﷺ كما ذكره اللَّه ووصفه وأثنى عليه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .
(٢) في (خ) : لمن .
(٣) في (خ) : لما .
(٤) في الأصل : هذين .
(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب البر والصلة والآداب باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلًا لذلك كان له زكاة وأجرًا ورحمة (٢٠٠٧/٤) رقم (٢٦٠٠) ، والدارمي في سننه بنحوه عن أبي هريرة (٤٠٦/٢) رقم (٢٧٦٥ و ٢٧٦٦) ، وأحمد في مسنده (٤٨٨/٢) رقم (١٠٣٤١) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن عائشة (٦١/٧) رقم (١٣١٦١) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧١/٦) رقم (٢٩٥٥٣) .

رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨] ، أرسل رحمة للعالمين [وأمانًا للمؤمنين] (١) وشفيعًا للمذنبين غير فظ ولا غليظ ﷺ .



٢٠٦ باب في السفر

حديث آخر : [١١٧٦] حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد القاضي ح عبد الله بن أبي دارة ح أبو مصعب حدثني مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَه وَطَعَامَه وشَرَابَه ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُم نَهمَتَهُ** (٢) **مِنْ وَجْهِهِ فَلْيَعْجَلْ إِلى أَهْلِهِ** » (٣) .

وروي في حديث آخر : [١١٧٧] « **سَافِرُوا تَصِحُّوا وتَغْنَمُوا** » (٤) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **السفر قطعة من العذاب** » هو السفر لطلب الدنيا والحرص عليها والضرب في الأرض وأقطارها للتجارة فيها والازدياد والاستكثار منها ، وصاحب هذه الصفة متعب معذب ، يطوف البلدان ويسلك المفاوز

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) النَّهمة : بلوغ الهمة في الشيء ، النهاية مادة (نهم) ، (١٣٧/٥) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب العمرة باب السفر قطعة من العذاب (٦٣٩/٢) رقم (١٧١٠) ، ومسلم في صحيحه بلفظه في كتاب الإمارة باب السفر قطعة من العذاب (١٥٢٦/٣) رقم (١٩٢٧) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة في كتاب السير باب السفر (٢٤٢/٥) رقم (٨٧٨٣) ، وابن ماجه في سننه في كتاب المناسك باب الخروج إلى الحج (٩٦٢/٢) رقم (٢٨٨٢) ، ومالك في الموطأ بلفظه (٩٨٠/٢) رقم (١٧٦٨) ، والدارمي في سننه بألفاظ متقاربة (٣٧٢/٢) رقم (٢٦٧٠) ، وأحمد في مسنده (٢٣٦/٢) رقم (٧٢٢٤) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظه (٢٥٩/٥) رقم (١٠١٤١) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (٤٢٥/٦) رقم (٢٧٠٨) .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن ابن عمر (٣٨٠/٢) رقم (٨٩٣٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى بلفظه (١٠٢/٧) رقم (١٣٣٦٦) ، ومعمر بن راشد في الجامع بألفاظ متقاربة عن عمر ابن الخطاب (٤٣٤/١١) رقم (٢٠٩٢٨) ، وعبد الرزاق في مصنفه (١٦٨/٥) رقم (٩٢٦٩) ، وابن عدي في الكامل بلفظه عن ابن عمر (١٩٠/٦) رقم (١٦٦٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٦٤/١) رقم (٦٢٢) ، والطبراني في الأوسط بألفاظ متقاربة (٢٤٥/٧) رقم (٧٤٠٠) ، قال ابن أبي حاتم في علل الحديث : هذا حديث منكر (٣٠٦/٢) رقم (٢٤٣) ، وكذا قال أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم (٧١/١) رقم (١١٨) .

ويحل القفار ، يجلب ما فرغ منه من الرزق الذي قدره الله تعالى ، [٣٤٩/ب] قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٣] ، وقال : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق : ٧] ، فأخبر أنه قدر الرزق ووسعه ، وقال ﷺ : [١١٧٨] « **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَسْعَوْنَ فِيمَا يُدْرَكُ بِغَيْرِ سَعْيٍ مِنَ القَدَرِ المَقْدُورِ ، والأَجَلِ المَكْتُوبِ ، والرِّزْقِ المَقْسُومِ** » (١) .

وقال ابن مسعود ؓ : [١١٧٩] « إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا وَقَعَتْ في الرَّحِمِ بَعَثَ اللَّهُ تعالى إِلَيْهِ مَلَكًا يَكْتُبُ أَثَرَه وأَجَلَه ورِزْقَه وشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ » (٢) . فسعي المرء فيما لا يقدم ولا يؤخر ولا يوسع ولا يقدر تعب وعذاب ، فقوله : « **السفر قطعة من العذاب** » هو السفر لاستفادة حطام الدنيا ، وتقدير الاتساع فيه والاستكثار منه ، يدل عليه قوله : « **يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه** » ؛ لأن المسافر في طلب الدنيا والجمع منها يمنع النفس إرفاقها ، ويحرمها حظوظها ، ليوفر بزعمه ماله ، ولا ينقص بظنه كماله .

وأما قوله : « **سافروا تصحوا وتغنموا** » فهو السفر في الغزو في سبيل الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح : ٢٠] ، وقال : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٧] ، وقال : ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٤] ، فالمسافر في سبيل الله لا يمسه سوء ، فهو الصحة ، ويغنمه الله ويفيء عليه ، فهو الغنيمة ، فمن سافر للغزو في سبيل الله صح بدنه لقوله : ﴿ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] ، وغنم لقوله : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ الآية [الفتح : ٢٠] ،

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن عبد الله بن مسعود ، وقال : هذا حديث يعرف بعمرو بن يزيد الرفاء وهو بهذا الإسناد باطل ... وروي بإسناد آخر أضعف منه (٧٣/٢) رقم (١١٩٥) ، وأخرجه الشاشي في مسنده (٨٥/٢) رقم (٦٠٦) ، والعقيلي في الضعفاء (١٩٥/٣) رقم (١١٩٣) ، وابن عدي في الكامل ، وقال في عمرو الرفاء : أحاديثه تشبه الموضوع (٥٥/٥) رقم (١٢٢٨) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩٨/٥) ، والطبراني في الكبير (١٩٣/١٠) رقم (١٠٤٣٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه عمرو بن يزيد الرفاء وهو ضعيف (٢٢٩/١٠) .

(٢) هذا معنى حديث أخرجه أبو داود في سننه عن عبد الله بن مسعود في كتاب السنة باب في القدر (٢٢٨/٤) رقم (٤٧٠٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (٣٦٦/٦) رقم (١١٢٤٦) ، وابن أبي عاصم في السنة (٧٧/١) رقم (١٧٥) ، وأبو بكر الخلال في السنة (٥٣٨/٣) رقم (٨٩٠) ، وأبو محمد الأنصاري في طبقات المحدثين بأصبهان (٨١/٢) رقم (١٠٢) .

و(١) لقوله ﷺ : [١١٨٠] « **لَغَدْوَةٌ (٢) في سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا** » حدثناه علي بن محتاج ح علي بن (٣) حجاج بن منهال [٣٥٠/أ] ح حماد بن سلمة عن الحجاج عن مقسم عن ابن عباس عن النبي ﷺ (٤) .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « سافروا تصحوا وتغنموا » أي سافروا بقلوبكم فكرة في ملكوت السموات والأرض ، وجولوا في أقطارها بالهمم والإرادات والفكر فيما خلق اللَّه تعالى ، فقد قال : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الآية [البقرة: ١٦٤] ، وقال : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ الآية [ق: ٦، ٧] ، وقال : ﴿ [قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟] (٥) كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] ، ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾ [النمل: ٦٩] ، فأمر اللَّه تعالى بإجالة الفكر في ملكوت السموات والأرض ، والنظر فيما خلق وذرأ وأحدث وبرأ ، وأخبر أن ذلك يورث اليقين والسكون والطمأنينة بتوحيد اللَّه ونفي الشركاء عنه ، والاعتبار بما أنزل اللَّه من العقوبة فيمن ترك أوامر اللَّه ، ومن جمع وبنى (٦) وشيد وجمع الأموال والعدد وجند ، فقال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩] إلى أمثالها من الآيات .

ثم قال في قصة خليله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ، فأخبر أن التفكر في ملكوت السموات والأرض وإجالة السر فيها يورث اليقين ، واليقين هو الصحة ؛ لأن الشك الذي هو ضده مرض ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠] ، قيل : شك (٧) ، فإذا كان الشك

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) الغَدْوَة : المرّة من الغُدُوّ ، وهو سَيْر أوّل النهار ، نَقِيض الرَّواح ، النهاية مادة (غدا) ، (٣٤٦/٣) .

(٣) زاد في (خ) بعدها : عبد العزيز حدثنا .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أنس بن مالك في كتاب الجهاد والسير باب الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١٠٢٨/٣) رقم (٢٦٣٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١٤٩٩/٣) رقم (١٨٨٠) ، والترمذي في جامعه في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغدو والرواح في سبيل اللَّه (١٨١/٤) رقم (١٦٥١) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجهاد باب فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه ﷻ (٩٢١/٢) رقم (٢٧٥٧) ، وأحمد في مسنده (١٣٢/٣) رقم (١٢٣٧٢) ، وابن حبان في صحيحه (٤٦١/١٠) رقم (٤٦٠٢) .

(٥) في الأصل : أولم يسيروا في الأرض فينظروا . (٦) رسمها في الأصل : بنا .

(٧) قاله ابن عباس وابن مسعود فيما أخرجه الطبري بإسناديه إليهما كما ورد في جامع البيان (١٢١/١) .

مرضًا كان اليقين صحة ، فمن سافر في ملكوت السموات والأرض بهمته والفكرة فيه ورث اليقين فصح ورجع بالفوائد ، وورد على [٣٥٠/ب] سره الزوائد فغنم .

سمعت بعض مشايخنا يقول : (قدم النُّورِيُّ [١] من سفر ، وقد وقع له في سفر خاطر في التوحيد ، فسمعه من جنيد ، فقال النُّورِيُّ : نرتكب المتالف [٢] ليقع لنا هذا العلم فنسمعه منكم تحت العوافي ، فقال جنيد : يا أبا الحسين قطعتموها بالأجسام وقطعناها بالهمم) .

فسفر الأسرار في ملكوت السموات والأرض يورث صحة العقائد من مرض الشك ، ويغنم صاحبه التوكل على اللَّه فيما ضمن ، وهو الكنز الذي لا يفنى ، والثقة باللَّه ، ورضا بما قدر وقضى ، وهو الحصن الذي لا يهدم ولا يبلى ، وسفر الأبدان في طلب الدنيا وهو العذاب يمنع النفوس عن إرفاقها ، ويحرمها حظوظها من طعام وشراب ونوم ، ولا يجلب ممنوعًا ، ولا يزيد في مقدور ، واللَّه يعطي ويمنع ، ويسوق ويدفع ، وهو الرزاق ذو القوة المتين .

٢٠٧
باب في خير الشهداء

حديث آخر : [١١٨١] حدثنا نصر بن الفتح ح أبو عيسى ح إسحاق بن موسى الأنصَارِيُّ ح معن ح مالك عن عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان عن أبي عمرة الأنصَارِيِّ عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **أَلا أُخبِرُكُم بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا** » [٣] .

---

(١) النُّورِيُّ : بضم النون المشددة والراء المهملة بعد الواو ، هذه النسبة إلى نور ، وهي بليدة بين بخارى وسمرقند عند جبل ، بها مزارات ومشاهد يقصدها الناس للزيارات ، الأنساب (٤/٤٤٥) .

(٢) المَتَالِف : المَهَالِكُ . لسان العرب مادة (تلف) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن زيد بن خالد الجهني في كتاب الأقضية باب بيان خير الشهود (٣/١٣٤٤) رقم (١٧١٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الشهادات باب ما جاء في الشهداء أيهم خير (٤/٥٤٤) رقم (٢٢٩٥) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب القضاء باب من خير الشهداء (٣/٤٩٤) رقم (٦٠٢٩) ، ومالك في الموطأ (٢/٧٢٠) رقم (١٤٠١) ، وأحمد في مسنده (٥/١٩٣) رقم (٢١٧٢٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/١٥٩) رقم (٢٠٣٨١) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (١١/٤٧٠) رقم (٥٠٧٩) ، وأبو عوانة في مسنده بلفظه (٤/١٧٢) رقم (٦٤١) ، والطبراني في الكبير (٥/٢٣٢) رقم (٥١٨٢) .

وحدثنا نصر ح أبو عيسى ح واصل بن عبد الأعلى ح ابن فضيل عن الأعمش عن علي بن مدرك عن هلال بن يساف عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : [١١٨٢] « **خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم** - ثلاثًا - ، **ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِم يَتَسَمَّنُونَ وَيُحِبُّونَ السِّمَنَ** [٣٥١/أ] ، **يُعْطُونَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا** » [(١)] .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **يعطون الشهادة قبل أن يسألوها** » فيمن لا شهادة عنده فيشهد شهادة زور ، وأما الذي هو خير الشهداء فهو الذي يشهد بما استشهد عليه ، واحتاج المشهود له إلى شهادته ليصل إلى حقه ، فيشهد له الشاهد بالشهادة التي هي له عنده ، وإن لم يسألها من أشهده تبرعًا وفضلًا ، وذلك أن يكون الشاهد محتشمًا كسلطان أو رئيس لا يقدر صاحب الحق أن يسأله الشهادة ، فيتبرع الشاهد فيشهد له ، أو يكون صاحب الحق أشهد على من له عليه الحق ، ثم ذهب عليه أن له على جاحده حقه ، شاهد النسيان أو فعله أو غيرهما ، فهو لا يسأله الشهادة ؛ لأنه لا يعلم أن له عنده شهادة ، فيتبرع الشاهد فيشهد له ، فهو خير الشهداء ؛ لأنه في شهادته متبرع متفضل ، وليست بواجبة عليه إلا أن يسألها ، فإذا سئلها لم يكن له أن يسكت عنها ويكتم شهادته ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **يعطون الشهادة قبل أن يسألوها** » في الحدود من زنًى أو سرقة أو شرب خمر ، وذلك كمن شهد على إنسان بسرقة وقد رأى السارق إلا أنه لم يسأل منه شهادة ، فيجيء فيشهد أنه رأى هذا قد سرق ، أو رأى هذا قد شرب الخمر ، فيشهد بذلك عند الإمام فيوجب على المشهود عليه حدًّا ، ويهتك له سترًا ستره اللّه عليه ، وهو منهي عن هتك ستره ، ومأمور أن يستر عليه ما علمه منه ، فقد قال عليه السلام : [١١٨٣] « **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِم وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قُلُوبِهِم لا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ المسْلِمِينَ** [٣٥١/ب] **فَإِنَّ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَه وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ**

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن عمران بن حصين في كتاب الشهادات باب منه ، وقال : (غريب من حديث الأعمش عن علي بن مدرك) ، ثم ذكر للحديث طريقًا آخر وقال : (وهذا أصح من حديث محمد بن فضيل) (٥٤٨/٤) رقم (٢٣٠٢) ، وأخرج الحديث أيضًا أحمد في مسنده (٤٢٦/٤) رقم (١٩٨٣٣) .

يَفْضَحُهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » [١] ، فمن شهد على أخيه بحد من الحدود قبل أن يسأل فهو قاذف ، أو من أعوان الشيطان .

حدثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ح عبد الله بن محمد الْبَلْخِيُّ ح يحيى بن موسى ح أبو سعيد الصَّغَانِيُّ محمد بن ميسرة ح أبو حنيفة عن يحيى التَّيْمِيِّ عن أبي ماجد الجُهَنِيِّ [٢] قال : [١١٨٤] « أَتَى رَجُلٌ بِابْنِ أَخِيهِ نَشْوَانَ [٣] إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : تَلْتِلُوهُ [٤] ومَزْمِزُوه وَاسْتَنْكِهُوهُ . فَتُرْتِلَ [٥] وَاسْتُنْكِهَ ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ عُذْرًا ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ ، فَلَمَّا صَحَا دَعَا بِهِ وَدَعَا بِسَوْطٍ فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِعَتْ ثَمَرَتُهُ ثُمَّ دُقَّ رَأْسُهُ ثُمَّ دَعَا بِجَلادٍ فَقَالَ : اجْلِدْهُ وَلا تَمُدَّ ضَبْعَيْكَ [٦] ثُمَّ أَنْشَأَ عَبْدُ اللَّهِ يَعُدُّ لَهُ حَتَّى إِذَا أَكْمَلَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً خَلَّى سَبِيلَهُ . فَقَالَ الشَّيْخُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَاللَّهِ إِنَّه ابْنُ أَخِي وَمَا لِيَ وَلَدٌ غَيْرُه . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : بِئْسَ الْعَمُّ وَاللَّهِ وَالِي الْيَتِيمِ أَنْتَ ، مَا أَحْسَنْتَ أَدَبَهُ صَغِيرًا وَلا سَتَرْتَهُ كَبِيرًا . ثُمَّ أَنْشَأَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُنَا فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ حَدٍّ أُقِيمَ فِي الإِسْلامِ لِسَارِقٍ أُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ قَالَ : انْطَلِقُوا بِهِ فَاقْطَعُوهُ ، فَلَمَّا انْطُلِقَ بِهِ أَنْ يُقْطَعَ نَظَرَ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَسْفِي [٧] عَلَيْهِ الرَّمَادَ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَأَنَّ هَذَا قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْكَ فَقَالَ : « **مَا يَمْنَعُنِي أن لا يَشْتَدَّ عَلَيَّ أَنْ تَكُونُوا أَعْوَانَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ** » فقَالُوا : هَلا خَلَّيْتَ سَبِيلَه ؟ . قَالَ : « **فَهَلا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُونِي بِهِ** » فَإِنَّ الإِمَامَ إِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْحَدُّ فَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَطِّلَه ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ الآية [النور: ٢٢] » [٨] [٣٥٢/أ] .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٣٨/ب) .
(٢) في (خ) : الحَنَفِيُّ .
(٣) في هامش (خ) : أي سكران .
(٤) في (خ) : ترتروه . و في هامش (خ) : الترترة والترتلة والمزمزة التحريك الشديد الاستنكاه . ا.هـ .قال في النهاية : وفي حديث ابن مسعود : « أنه أتي بِسَكْران فقال : تَرْتِرُوه ومَزْمِزُوه » أي حرِّكُوه ليُسْتَنْكَهَ هل يُوجَد منه ريح الخمر أم لا . وفي رواية « تَلْتِلُوه » ، ومعنى الكُلِّ التَّحريكُ ، النهاية مادة (ترر) ، (١٨٦/١) .
(٥) في (خ) : فترتر ومزمز .
(٦) الضَّبْع بسكون الباء : وسَطُ العَضُد . وقيل : هو ما تَحْت الإبْط ، النهاية مادة (ضبع) ، (٧٣/٣) .
(٧) أي يذروه بالتراب ، يقال : سَفَت الريحُ التُّرابَ تَسْفِيه سَفْيًا ذَرَتْه ، وقيل : حمَلَتْه ، لسان العرب مادة (سفا) .
(٨) الحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بألفاظ مختلفة عن أبي ماجد الحنفي (٣٧١/٧) رقم (١٣٥١٩) ، والحميدي في مسنده (٤٨/١) رقم (٨٩) ، وابن أبي شيبة في مصنفه مختصرًا (٥٢٤/٥) رقم (٢٨٦٢٥) ، والشاشي في مسنده (٢١٤/٢) رقم (٧٨١) ، والبيهقي في سننه الكبرى ، وقال : (قال =

فقد أخبر عبد الله أن الذي شهد على ابن أخيه بشرب الخمر بئس والي اليتيم حين كان لم يستره ، وأخبر عن النبي ﷺ أن الذي شهد على السارق من أعوان الشيطان .

فيجوز أن يكون معنى قول النبي ﷺ : « **يعطون الشهادة قبل أن يسألوها** » هم هؤلاء [(١)] الذين يشهدون على إخوانهم بما يهتك أستارهم ويوجب إقامة الحدود عليهم وإن كانوا صادقين ، ويكونوا قاذفين أو أعوانًا للشيطان على إخوانهم المسلمين ، أو يشهدون قبل أن يستشهدوا في الحقوق فيكونوا شهود زور كاذبين .

وإنما صار الشاهد قبل أن يسأل في الحقوق خير الشهداء [(٢)] ؛ لأنه ينفع صاحب الحق وجاحده ، وذلك أن صاحب الحق مظلوم ونصرة المظلوم واجبة ، والجاحد له حقه ظالم ونصرة الظالم واجبة ، وهو أن يكفه عن الظلم ، فقد قال ﷺ : [١١٨٥] « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** » ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَنْصُرُه مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُه ظَالِمًا ؟ . قَالَ : « **تَكُفُّهُ عَنْ الظُّلْمِ** » [(٣)] .

وأما في الحدود فإنه إذا شهد قبل أن يسأل الشهادة هتك ستر مسلم ، أو يكون قاذفًا يجب عليه الحد ، فهو إذ ذاك شر الشهداء ؛ لأنه قاذف أو عون للشيطان ، وشاهد زور إذا لم يكن عنده شهادة ، وقد قال ﷺ : « **عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللَّهِ** » حدثنا نصر ح أبو عيسى ح أحمد بن منيع ح مروان بن معاوية عن سفيان بن زياد الأسدي عن فاتك بن فضالة عن أيمن بن خريم : [١١٨٦] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : « **أَيُّهَا النَّاسُ** [(٤)] **عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللَّهِ** » ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠] [(٥)] [٣٥٢/ب] .

= أبو عبيد : وهذا الحديث بعض أهل العلم ينكره) . قال البيهقي : (لضعف يحيى الجابر وجهالة أبي ماجد) (٣١٨/٨) رقم (١٧٣٠٥) ، والطبراني في الكبير (١٠٩/٩) رقم (٨٥٧٢) .

(١) رسمها في الأصل : هاولاء .

(٢) في هامش (خ) : الشهود .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا (٨٦٣/٢) رقم (٢٣١٢) ، والترمذي في جامعه في كتاب الفتن باب منه ، وقال : حسن صحيح (٥٢٣/٤) رقم (٢٢٥٥) ، والدارمي في سننه عن جابر (٤٠١/٢) رقم (٢٧٥٣) ، وأحمد في مسنده عن أنس (٩٩/٣) رقم (١١٩٦٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٩٤/٦) رقم (١١٢٨٩) ، وفي شعب الإيمان (١٠١/٦) رقم (٧٦٠٦) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (٥٧١/١١) رقم (٥١٦٧) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٤١١/١) رقم (١٤٠١) ، والطبراني في الصغير (٣٤٦/١) رقم (٥٧٦) .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن خريم بن فاتك في كتاب الأقضية باب في شهادة =

انظر إلى عظم قدر المؤمن وجليل مرتبته عند الله ؛ إذ جعل الشهادة عليه بالباطل كالشهادة على نفسه ﷻ بالباطل ، فإن الذي جعل لله شركاء شهد على الله بالباطل فزعم أن معه آلهة أخرى ، وشهد على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ [الأنعام: ١٩] ، فالمشرك بالله شاهد على الله بالباطل وبما لا أصل له ، فهو مفترٍ [١] على الله ﷻ ، وشاهد الزور على المؤمن شاهد بالباطل وبما لا أصل له ، فهو مفترٍ [٢] عليه ؛ فجعل الله الشهادة على المؤمن بالباطل والافتراء عليه كالشهادة على نفسه ﷻ بالباطل والافتراء عليه فقال : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠ ، ٣١] ، فيه إشارة إلى أن قائل الزور غير حنيف لله ومشرك به ، ولولا الدلالات الدالة على أن ما دون الشرك بالله ليس بشرك على الحقيقة ، وأنه لا يخرج من الإيمان إلى الكفر ومن التوحيد إلى الشرك غير الإشراك بالله والجهل به لكان ظاهر هذه الآية يوجب زوال التوحيد عن شاهد الزور ، وقد قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة: ٣٣] ، فجعل المحارب لعباده المؤمنين والساعي عليهم بالفساد في الأرض محاربًا له ﷻ ولرسوله ، كذلك جعل الشاهد بالباطل على المؤمن بالله كالشاهد بالباطل على الله ﷻ ؛ وذلك لحرمة المؤمن وعظيم مرتبته وجليل قدره ، كذلك الأذى للمؤمن جعله أذى لله ورسوله فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٧] ، وجعل المؤذي للمؤمن مبارزًا له بالمحاربة ، [٣٥٣/أ] قال ﷺ رواية [عن الله] [٣] : [١١٨٧] « **مَنْ آذى لي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَني بِالمحَارَبَةِ** » [٤] .

= الزور (٣٠٥/٣) رقم (٣٥٩٩) ، والترمذي في جامعه بلفظه عن أيمن بن خريم وقال : (وهذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد ، واختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد ، ولا نعرفه لأيمن بن خريم سماعًا من النبي ﷺ ، وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد) (٥٤٧/٤) رقم (٢٢٩٩) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن خريم بن فاتك في كتاب الأحكام باب شهادة الزور (٧٩٤/٢) رقم (٢٣٧٢) ، وأحمد في مسنده عن أيمن بن خريم (١٧٨/٤) رقم (١٧٦٤٠) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن خريم (١٢١/١٠) رقم (٢٠١٧٠) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٩/٤) رقم (٢٣٠٣٩) ، والطبري في جامع البيان بألفاظ متقاربة (١٥٤/١٧) ، والطبراني في الكبير عن خريم (٢٠٩/٤) رقم (٤١٦٢) ، وعن عبد الله (١٠٩/٩) رقم (٨٥٦٩) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن (٢٠٠/٤) .

(١) في الأصل : مفتري .
(٢) السابق .
(٣) زيادة من (خ) .
(٤) سبق في اللوحة رقم (١٨٠/أ) .

وفي الحديث : [١١٨٨] « **لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَذَى الْمُؤْمِنِ** »[١] قال الله تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى : ٥] فيمن جعل لله ولدًا ، فسوى بين الأمرين ، والله المستعان .

(٢٠٨) باب في وسوسة الشيطان

حديث آخر : [١١٨٩] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ أخ خالد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : جَاءَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَحَدَنَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا يَعْظُمُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ . قَالَ : « **وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟** » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « **ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ** »[٢] .

وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال : [١١٩٠] « قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَجِدُ شَيْئًا لا نُحِبُّ مِنْ أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ وَإِنَّ لَنَا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ »[٣] .

وقال غيره : [١١٩١] « لِأَنْ يَخِر أَحَدُنَا مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ »[٤] .

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن عمرو في كتاب المحاربة باب تعظيم الدم (٢٨٤/٢) رقم (٣٤٤٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢٢/٨) رقم (١٥٦٤٨) ، ونعيم ابن حماد في الفتن (١٦٣/١) رقم (٤١٨) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان (١١٩/١) رقم (١٣٢) ، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في رد الوسوسة (٣٢٩/٤) رقم (٥١١١) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة الأول باب الوسوسة (١٧٠/٦) رقم (١٠٥٠٠) ، وأحمد في مسنده (٤٤١/٢) رقم (٩٦٩٢) ، وابن حبان في صحيحه (٣٦١/١) رقم (١٤٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٩٥/١) رقم (٦٥٤) ، وأبو عوانة في مسنده (٧٧/١) رقم (٢٢٧) .

(٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٣٥٨/١) رقم (١٤٥) ، وهناد بن السري في الزهد (٤٧٠/٢) رقم (٩٤٩) ، والبخاري في الأدب المفرد (٤٣٧/١) رقم (١٢٨٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٩٧/١) رقم (٦٦٢) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٢١/٢) رقم (٧٧٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٢١/١٠) رقم (٥٩١٤) ، والطبراني في الأوسط (٣٥٦/٤) رقم (٤٤١٩) .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن عائشة (١٠٦/٦) رقم (٢٤٧٩٦) ، وابن حبان في صحيحه عن عبد الله (٣٦١/١) رقم (١٤٩) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده عن عائشة (١٠٢٢/٣) رقم (١٧٧٠) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة بلفظه عن أنس (٧٢٥/٢) رقم (٧٨٤) ، وأبو يعلى في مسنده بألفاظ متقاربة (١٥٦/٧) رقم (٤١٢٨) ، وأبو عوانة في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة (٧٧/١) رقم (٢٢٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله (٣٠١/١) رقم (٣٣٩) .

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : يجوز أن يكون معنى قوله عليه السلام : « **ذاك صريح الإيمان** » أي استعظامكم لذلك وكراهتكم له واختياركم الخرور من السماء على التكلم بما لا يليق به [من صريح الإيمان] (١) ، وذلك أنه لولا صحة الإيمان وثبوت المعرفة لله في القلب وصفاء التوحيد له لم يعظم عليه أن يتكلم بما لا يليق بالله ، ألا ترى أن من لم يدخل الإيمان في قلبه ولا عرف الله معرفة تيقنٍ قال فيه ما نزه الله نفسه عنه ، مِنَ اتخاذ الشركاء له ، وجعل الأولاد له ، ووصفه بما يتعالى عنه ويجل ، فأما من صحت معرفته بالله ، وصفا له توحيده ، وخامر الإيمان قلبه ، يعظم عليه سماع ما لا يليق بالله من قائليه فضلًا أن يقوله ، قال الله عز وجل : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٩٠ ، ٩١] ، فقوله : « **ذاك صريح الإيمان** » أي ذلك الاستعظام والكراهة صريح الإيمان ، وذلك الرد لما يجد في نفسه من صريح الإيمان .

ويجوز أن يكون قوله : « ذاك » أي الذي تجدون « صريح الإيمان » أي ذلك علامة صريح الإيمان ، وذلك أن الشيطان إذا أيس من المؤمن أن يغويه وأتاه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله فلم يقدر عليه ، لانقطاع المؤمن إلى الله ، واصطناع الله له ، واستخلاصه لنفسه ، كما قال : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] ، فإذا عجز عنه وبطلت حيلته فيه ولم يعمل كيده فيه رجع إلى الوسوسة له ليؤذيه بها ، قال عليه السلام لما ذكر له ما يجدون في نفوسهم : « الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبي عن الأعمش عن زر عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : [١١٩٢] جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوَسْوِسُ في صَدْرِي بِمَا أَكُونُ حُمَمَةً (٢) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ ، فَقَالَ عليه السلام : « **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلى الْوَسْوَسَةِ** » (٣) .

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في هامش الأصل : الحممة الفحم البارد .ا.هـ. وفي مختار الصحاح : الحُمَمُ الرماد والفحم وكل ما احترق من النار ، الواحدة حُمَمَةٌ . مختار الصحاح مادة (حمم) .

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن ابن عباس في كتاب عمل اليوم والليلة الأول (١٧١/٦) رقم (١٠٥٠٣ و ١٠٥٠٤ و ١٠٥٠٥) ، والطبراني في الصغير (٢٣٧/٢) رقم (١٠٩٠) ، وفي الكبير بنحوه عن معاذ بن جبل (١٧٢/٢٠) رقم (٣٦٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني منتصر (٣٤/١) .

وأصل الوسوسة الحديث الخفي والإكثار منه ، قال الشاعر [(١)] :

تسمعُ للحَلْي وَسْوَاسًا إذا انصَرفت كما استعانَ بريحِ عِشْرِقٌ زَجِلُ

فكان الشيطان لما عجز عن إضلال المؤمن وإغوائه الذي ادعاه لقوله : ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] ، فزجره اللّه وأخسأه بقوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] رجع خاسئًا حقيرًا صاغرًا كسيرًا ، فجعل يحدث نفسه بكفره في [٣٥٤/أ] خفية وخيفة أن يصيبه المؤمن بقوة إيمانه فيكسره ويرميه بشهاب توحيده فيحرقه ، ألا ترى إلى قوله ﷺ : [١١٩٣] « **إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ لِلصَّلاةِ أَدْبَرَ وَلَهُ حُصَاصٌ** [(٢)] » [(٣)] وفي حديث عيسى ﷺ لما اعترض له فقال عيسى ﷺ : [١١٩٤] « سُبْحَانَ اللّهِ عَمَّا تَقُولُ وبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللّهِ وبِحَمْدِهِ مِلءَ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ وَعَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَمَبْلَغَ عِلْمِهِ وَمُنْتَهَى كَلِمَاتِهِ وَوَزْنَ عَرْشِهِ ؛ نَفَخه مِيكَائِيلُ نَفْخَةً ذَهَبَ يَطم مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ نَحْوَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ لا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا حَتَّى صَدَمَ عَيْنَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا ، فَخَرَّ حَصِيدًا خَضِيدًا مُحْتَرِقًا » [(٤)] .

وقال ﷺ : [١١٩٥] « **إِنَّ الشَّيطَانَ لَيفْرِقُ مِن ظِلِّ عُمَرَ** » [(٥)] ، وقال ﷺ لعمر : [١١٩٦] « **مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ** » [(٦)] ، فهو اللعين يخاف [(٧)] إذا أعياه المؤمن بكل وجه لم يجد حيلة غير حديث كثير في هيبة وخوف ، لا يبديه إبداء ولا يظهره إظهارًا خوفًا أن يصيبه ما أصابه من روح اللّه عيسى ﷺ ؛ وذلك لقوة إيمان المؤمن وصدق توحيده وصحة معرفته ، وفي بعض الحكايات عن بعض الكبار قال : (كانوا يكرهون أن يفقدوا الوسوسة) . وقال بعضهم : (إن الشيطان لص فهو لا يقصد لبيت لا شيء فيه) .

فقوله ﷺ : « **ذاك صريح الإيمان** » كأنه يقول : من صريح الإيمان وثبوته في قلوبكم يوسوس لكم العدو ؛ لأنه لا يقدر منكم على غيره ، وذاك غير ضائركم ولا قادح فيكم ، بل مظهر صحة عقائدكم وقوة إيمانكم ، والحمد للّه .

---

(١) البيت للأعشى ، الأغاني للأصفهاني (١٨٠/٩) .

(٢) في هامش (خ) : أي ضراط .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٠٥/أ) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٠٥/ب) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٤٢/أ) .

(٦) سبق في اللوحة رقم (١٠٤/أ) .

(٧) سقط من (خ) .

٢٠٩

باب في محبة الله تعالى إقبال عبده عليه

حديث آخر : [١١٩٧] حدثنا أبو بكر محمد بن يعقوب البَيْكَنْدِيُّ ح محمد بن الفضل [٣٥٤/ب] البُخَارِيُّ أبو عبد الرحمن ببلخ ح يعلى بن عبيد اللّه [1] عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تعَالى كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا : الصِّحَّةَ ، وَأَنْ يَبْرَأَ الرَّجُلُ مِنْ أَخِيهِ ، وَفَخْرَهُ عَلَى أَخِيهِ** » [2] .

قال الشيخ رحمه الله : إن المؤمن حبيب اللّه ، أحبه قبل أن يوجده ، واصطفاه قبل أن يخلقه ، واجتباه قبل أن يحدثه ، فقال: ﴿ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقال : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج : ٧٨] وقال : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فهو بحبه إياه يكره ذهابه وغفلته منه ، ويحب أن يراه ماثلًا بين يديه مقبلًا عليه ذاكرًا له ، سائلًا منه داعيًا إياه ملتجئًا إليه ، فخواصه منهم وأولياؤه فيهم وخصائصه من بينهم بين يديه ماثلون في كل أحوالهم ، وعليه مقبلون في جميع أوقاتهم ، وله ذاكرون وإياه داعون ، فأما عوام المؤمنين فربما يشغلهم عن ذكره عارض شغل ، ويلهيهم عن دعائه حظ نفس أو زينة دنيا ، والصحة لهم داعية إلى طلب حظوظ النفس والشغل بالأشكال والانخداع للدنيا ، فهو يكره لهم ذلك ، ويحب لهم ضده من سقم مكروه ومرض مؤلم ، ليردهم إلى الإقبال عليه والذكر له والدعاء إياه ، قال عليه السلام رواية [عن اللّه] [3] : [١١٩٨] « **دَعُوا عَبْدِي** [4] **فإني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوتَهُ** » [5] ، فهو عز وجل يحب نداء عبده إياه وذكره له وإقباله عليه ، يبليه ويمرضه ليكون له داعيًا وعليه مقبلًا وله ذاكرًا ، ويكره له الحالة التي تصرفه عنه وتشغله عن ذكره وتحول بينه وبين الدعاء إياه والذكر له والثناء عليه ، [٣٥٥/أ] والذي يدل على أن ذلك في عوام المؤمنين دون خواصهم قرينتاه من الخصلتين ، وهما البراءة من أخيه وفخره على أخيه ، وهما صفتا عوام الناس دون خواصهم من المؤمنين ؛ لأن من صفات خواص

---

(١) سقط من (خ) . وزاد في (خ) بعدها : حدثنا يحيى بن عبيد اللّه .

(٢) لم أقف عليه ، وإسناده ضعيف ، رجال إسناده مجهولون عدا أبي هريرة ﷺ .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٣/أ) .

المؤمنين الموالاة للمؤمنين ؛ والتحاب بينهم والإيثار لهم والذلة لهم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، وقال : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] ، وقال : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فهذه أوصاف خواص المؤمنين ليس البراءة منهم والفخر عليهم ، كذلك الصحة مكروهة مثل هؤلاء ؛ لأنها تلهيهم عن ذكر الله ، وتشغلهم بملاذ النفوس وتطهرهم ، فلذلك كرهها لهم ، والله أعلم .

وأما العلية منهم فالصحة لهم عون على خدمة الله ، والمثول بين يديه ، والاجتهاد فيه ، والعون لأولياء الله ، والقتال لأعدائه ، وهم في الصحة والمرض لله ذاكرون ، وإياه داعون ، وفي السراء والضراء عليه مقبلون ، وبين يديه ماثلون ، لا تلهيهم عنه لذة ، ولا يشغلهم عنه ألم ، قال الله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧] ، ومن حب الله للمؤمنين يكره لهم التدنس بالخطايا والتلطخ بالذنوب ، ويحب تطهيرهم من أنجاس ما اكتسبوه ، وأرجاس ما اجترحوه ، والصحة تحملهم على التدنس بالخطايا ، والمرض يكفرها لهم ، ويطهرهم منها ، فلذلك كره لهم الصحة ، وأحب ضدها لهم .

قال أبو الدرداء ﷺ : [١١٩٩] « أُحِبُّ الْمَرَضَ تَكْفِيرًا لِخَطَايَايَ ، وَأُحِبُّ الْفَقْرَ تَوَاضُعًا لِرَبِّي ، وأُحِبُّ الْمَوْتَ اشْتِيَاقًا إِلى رَبِّي » (١) وقدر الله المقادير [٣٥٥/ب] ، وحكم ما يشاء ، وقسم لكل درجات على ما سبق من علمه فيهم ومشيئته لهم ، وهو الحكيم في فعله ﷻ ، فرفع درجات في الجنة ، وحكم أن لا ينالها العباد إلا بالبلايا والأسقام والمكاره والآلام .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانيُّ ح أبو معاوية عن الحجاج عن جبلة بن سحيم عمن أخبره عن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٢٠٠] « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الدَّرَجَةُ عِنْدَ اللهِ تعالى مَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلاءٍ في جَسَدِهِ ، فَيَبْلُغُهَا بِذَلِكَ البَلاءِ** » (٢) فهو يكره لهم فواتها لهم ؛ لأن حكمه لا يغير .

---

(١) الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى بألفاظ متقاربة واختلاف ترتيب عن أبي الدرداء (٣٩٢/٧) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢١٧/١) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة بلفظه (٦٣٦/١) .

(٢) الحديث أخرجه هناد بن السري في الزهد بألفاظ متقاربة عن عبد الله (٢٣٧/١) رقم (٤٠٠) ، والحديث إسناده ضعيف ، فيه رجل مبهم لم يسم .

وقوله لا يبدل فهو يكره لهم الصحة ؛ لئلا تفوتهم تلك الدرجات ، فهو يبليهم ويمرضهم لينالوا ما أعد لهم .

حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الفقيه ح أبو عبيد الله محمد بن الربيع الجِيزِيُّ بمصر أخ يونس أخ ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﷺ عن رسول الله ﷺ : [١٢٠١] « **أَنَّ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ : يَا رَبِّ إِنَّكَ تَقْتُرُ عَلَى المؤمِنِ في الدُّنْيا قَالَ** [١] **: فَفَتَحَ لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ ، قَالَ : هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ . قَالَ : يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ وجَلالِكَ وارْتِفَاعِ مَكَانِكَ لَوْ كَانَ أَقْطَعَ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ خَلَقْتَهُ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّ هَذَا مَصِيرُه لَكَانَ لَمْ يَرَ بُؤْسًا قَطُّ . قَالَ : يَا رَبِّ إِنَّكَ تُعْطِي الكُفَّارَ** [٢] **في الدُّنْيا مَالاً . فَفَتَحَ لَهُ بَابًا مِنَ أَبْوَابِ النَّارِ قَالَ : هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ . فَقَالَ : يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ وَارْتِفَاعِ مَكَانِكَ لَوْ أَعْطَيْتَهُ الدُّنْيا** [٣٥٦/أ] **وَمَا فِيهَا لَمْ يَزَلْ في ذَلِكَ مُنْذُ خَلَقْتَهُ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّ هَذَا مَصِيرُهُ كَانَ لَمْ يَرَ خَيْرًا قَطُّ** » [٣] .

وحدثنا عبد العزيز ح محمد بن إبراهيم ح أبو ثابت محمد بن عبيد الله حدثني عمر ابن طلحة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال : [١٢٠٢] جَاءَتْ امرَأَةٌ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيَنِي . قَالَ : « **إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكِ ، وَإِنْ شِئْتِ فاصْبِرِي وَلا حِسَابَ عَلَيْكِ** » . قَالَتْ : فَأَصْبِرُ وَلا حِسَابَ عَلَيَّ [٤] .

فذكر [٥] رسول الله ﷺ لهذه المرأة الشفاء والصحة ؛ لأنه كره لها الحساب ، فخيرها بين ما اختار الله لها وبين ما سألت فوُفِّقَتْ فاختارت ما أحب الله لها ، فالسقم

---

(١) زاد في (خ) بعدها : رسول الله ﷺ . (٢) في (خ) : الكافر .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن أبي سعيد الخدري (٨١/٣) رقم (١١٧٨٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة ودراج ، وقد وثقا على ضعف منهما (٢٦٧/١٠) ، وابن لهيعة ودراج من رجال إسناد المصنف .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة (٤٤١/٢) رقم (٩٦٨٧) ، وهناد بن السري في الزهد (٢٣٢/١) رقم (٣٨٨) ، وابن عدي في الكامل (٢٦٧/٦) رقم (١٧٥١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو وهو ثقة وفيه ضعف (١١٦/٥) ، ومحمد بن عمرو من رجال إسناد المصنف .

(٥) في (خ) : فكره .

والمرض حاجز لعوام المؤمنين وسبب العصمة لهم وتكفير لخطاياهم ، والله تعالى يكره لهم فوات ذلك وهو في الصحة فيكرهها لهم .

والسقم والمرض درجات لخواص المؤمنين ، وتطهيرهم ورفع من أقدارهم لسماع الحق نجواهم ، فهو ﷻ يكره لهم ما يصرفهم عنها ويحول بينهم وبينها ، وهو الصحة ، فهو تعالى يكرهها ، وهو الحليم العليم الرؤوف الرحيم .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح عبد العزيز بن محمد عن محمد بن أبي حميد عن عون بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله ﷺ قال : [١٢٠٣] كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ تَبَسَّمْتَ ؟ قَالَ : « **عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ وجَزَعِهِ مِنَ السُّقْمِ ، وَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَا لَهُ فِي السُّقْمِ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ سَقِيمًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ** » . ثُمَّ تَبَسَّمَ الثَّانِيَةَ وَرَفَعَ رَأْسَه إِلى السَّمَاءِ . فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ [٣٥٦/ب] مِمَّ تَبَسَّمْتَ وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ إِلى السَّمَاءِ ؟ قَالَ : « **عَجَبًا مِنْ مَلَكَيْنِ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّهِ نَزَلا يَلْتَمِسَانِ عَبْدًا مُؤْمِنًا فِي مُصَلًّى كَانَ يُصَلِّي فِيهِ فَلَمْ يَجِدَاهُ فِيهِ فَرَجَعَا إِلى اللَّهِ فَقَالا : يَا رَبِّ كُنَّا نَكْتُبُ لِعَبْدِكَ فُلانٍ الْمُؤْمِنِ عَمَلَه الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ فَوَجَدْنَاه قَدْ حَبَسْتَه فِي جَبَلٍ لَكَ – أَوْ فِي جِبَالِكَ** – قَالَ [صَاحِبُ الْكِتَابِ] [١] الْمُصَنِّفُ : الشَّكُّ مِنِّي – **فَلَمْ نَكْتُبْ لَهُ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ . فَقَالَ : اكْتُبُوا لِعَبْدِي مَا كَانَ يَعْمَلُهُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ وَلا تَنْقُصُوا مِنْهُ شَيْئًا ، فَعَلَيَّ أَجْرُ مَا حَبَسْتُهُ وَلَهُ أَجْرُ مَا كَانَ يَعْمَلُ** » [٢] . والله أعلم .

٢١٠
باب في حال النبي ﷺ مع ربه

حديث آخر : [١٢٠٤] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ أخ أبو معاوية عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لَوْ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ ذِرَاعٌ**

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده بألفاظ مختلفة مختصرًا عن عبد الله بن مسعود (٤٦/١) رقم (٣٤٧) ، والبزار في مسنده بألفاظ متقاربة مختصرًا ، وقال : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه (١٦٧/٥) رقم (١٧٦١) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء بتمامه (٢٦٦/٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٨٥/٧) رقم (٩٩٢٧) ، والطبراني في الأوسط (١٤/٣) رقم (٢٣١٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط والبزار باختصار ، وفيه محمد بن أبي حميد ، وهو ضعيف جدًا (٣٠٤/٢) ، ومحمد بن أبي حميد من رجال إسناد المصنف .

لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلى كُرَاعٍ [(١)] لأَجَبْتُ » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : كان رسول الله ناظرًا إلى الله ، مصغيًا إليه ، ذاهبًا فيه عمن سواه ، يرى الأشياء كلها له ، ويرى الحركات كلها منه ، يراه مصرفًا لخلقه فيما شاء ، يرى النفع والضر من عنده ، والمنع والعطاء منه ، لا يرى غيره معطيًا ، ولا يسمع غيره داعيًا ؛ لأنه عليه السلام يظل عند ربه ويبيت .

قال عليه السلام : [١٢٠٥] « **إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي** » [(٣)] وقال : [١٢٠٦] « **إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي** » [(٤)] فكيف يرى غيره ممن هو عنده ، وكيف يسمع سواه من هو معه ، وقال عليه السلام : [١٢٠٧] « **لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتٌ لا يَسَعُنِي فِيهِ غَيْرُه** » [(٥)] وهو يظل عنده ويبيت ، إذًا فلا وقت له يسعه فيه غيره ؛ لأن الأوقات ساعات الليل والنهار [٣٥٧/أ] ، والظلول عبارة عن جميع أوقات النهار ، والبيتوتة عبارة عن جميع أوقات الليل ، فلا وقت غير هذين ، فهو إذًا في كل الأوقات معه لا يسعه فيه غيره ، وقد قال عليه السلام : [١٢٠٨] « [**أَحْسَنُ مَا قَالَت العَرَبُ قَوْلُ لَبِيدٍ**] [(٦)] : **أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلُ** » [(٧)]

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري : (الكُراع : بضم الكاف وتخفيف الراء وآخره عين مهملة هو مستدق الساق من الرجل ، ومن حد الرسغ من اليد ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير ، وقيل : الكراع ما دون الكعب من الدواب . وقال ابن فارس : كراع كل شيء طرفه) (٢٤٥/٩) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الهبة باب القليل من الهبة (٩٠٨/٢) رقم (٢٤٢٩) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأحكام باب ما جاء في قبول الهدية وإجابة الدعوة ، وقال : حسن صحيح (٦٢٣/٣) رقم (١٣٣٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الوليمة باب إجابة الدعوة إلى ذراع (١٤٠/٤) رقم (٦٦٠٩) ، وأحمد في مسنده بلفظه (٤٢٤/٢) رقم (٩٤٨١) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة (١٦٩/٦) رقم (١١٧٢٠) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (١٠٢/١٢) رقم (٥٢٩١) ، ومعمر بن راشد في الجامع عن الحسن (٤٤٩/١٠) رقم (١٩٦٦٨) ، وهناد بن السري في الزهد بلفظه عن الحسن (٤١٣/٢) رقم (٨٠٤) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٢٢/ب) .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٥٤/ب) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٤٢/أ) .

(٦) زيادة من (خ) .

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية (١٣٩٥/٣) رقم (٣٦٢٨) ، ومسلم في صحيحه في أول كتاب الشعر (١٧٦٨/٤) رقم (٢٢٥٦) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر ، وقال : حسن صحيح (١٤٠/٥) رقم (٢٨٤٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب باب الشعر (١٢٣٦/٢) رقم (٣٧٥٧) ، وأحمد في =

فهو ﷺ إذا أهدي إليه رأى الهدية ممن هو عنده ، وإذا دعي يسمع النداء ممن هو معه ؛ لأنه من المحال أن يسمع على بساط القرب ومقام النجوى قائلًا سواه ومعطيًا غيره .

فقوله : « **لو أهديت إلي ذراع لقبلت** » ؛ لأنه يقبل من الله ؛ لأنه على بساطه ليس معه غيره .

وقوله : « **لو دعيت إلى كراع لأجبت** » ؛ لأنه يناجيه فلا يسمع غيره داعيًا ، فقبوله منه وإجابته إياه ؛ لأنه معه لا يسعه معه غيره ﷺ .

٢١١
باب في رقة القلوب

حديث آخر : [١٢٠٩] حدثنا أحمد بن علي بن عمرو الحافظ ح عبد الله بن جعفر الأَصْبَهَانِيُّ [١] ح يونس بن حبيب ح أبو داود ح ابن سعيد [٢] يعني إبراهيم عن أبيه عن [عمر بن أبي سلمة أو ابن سلمة] [٣] - شك أبو داود - عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « **يُدْخِلُ اللَّهُ الجنَّةَ أَقْوَامًا أَفْئِدَتُهُم مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ** » [٤] .

قال الشيخ ﷺ : يجوز أن يكون معناه في الرقة والضعف كما قال في صفة أهل اليمن : [١٢١٠] « **أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً** » [٥] أي أنها لا تحتمل الأشغال - أشغال الدنيا - ، ولا تقوى على مزاحمة الأضداد ، فلا يسعها الشيء وضده ، كالدنيا والآخرة ، وحظوظ النفس وموافقة الحق ، وسياسة الخلق وإجلال الحق .

= مسنده (٢٤٨/٢) رقم (٧٣٧٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٢١٦/١٠) رقم (٢٠٧٥٣) ، وابن حبان في صحيحه (٩٩/١٣) رقم (٥٧٨٣) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٢/٥) رقم (٢٦٠١٦) .

(١) الأَصْبَهَانِيُّ : بكسر الألف أو فتحها ، وسكون الصاد المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، والهاء ، وفي آخرها النون بعد الألف ، هذه النسبة إلى أشهر بلدة بالجبال ... ومن مشاهير المحدثين بها أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس بن الفرج الأصبهاني ، كان من الثقات المعمرين المكثرين . الأنساب (١٢١/١) .

(٢) في (خ) : سعد .

(٣) في (خ) : عمرو بن سلمة أو أبي سلمة .

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (٢١٨٣/٤) رقم (٢٨٤٠) ، وأحمد في مسنده (٣٣١/٢) رقم (٨٣٦٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٠٢/١٠) رقم (٥٨٩٦) ، وابن عدي في الكامل (٢٤٨/١) رقم (٧٧) .

(٥) سبق في اللوحة رقم (٢٦/ب) .

ويجوز أن يكون معناه مثل أفئدة الطير هيبة وفزعًا وخوفًا ورهبة ، فإن الطير أفزع شيء وأشد الحيوان خوفًا ، لا يطيق حسًا [٣٥٧/ب] ولا يحتمل إشارة ولا يقوم لإيماء ، فكذلك أفئدة هؤلاء مما حلها من هيبة الحق وخوف الله وجلال [منه ، كما أنه] [(١)] لا يطيق حس شيء يبدو من آثار القدرة .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ [١٢١١] « كَانَ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً قَامَ فَزِعًا فَإِذَا أَمْطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ » [(٢)] وقال ﷺ : [١٢١٢] « **أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ** » [(٣)] قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وقرأَ زُرَارَةُ بنُ أَبِي أَوْفَى في صَلاةِ الفَجْرِ : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ [المدثر : ٨] خَرَّ [(٤)] ميتًا [(٥)] ، وَمَرَّ الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْمٍ بِحَدَّادٍ يَنْفُخُ في الكِيرِ [(٦)] فَغُشِيَ عَلَيْهِ [(٧)] ، وسمع إبراهيم بن أدهم ﵀ قائلًا يقول : كل ذنب لك مغفور سوى الإعراض عني (ن) فغشي عليه ، وعلي بن الفضيل سمي قتيل القرآن [(٨)] .

فكان قوله ﷺ : « **يدخل الله الجنة أقوامًا أفئدتهم مثل أفئدة الطير** » ، أي الذين هم لله خائفون ، وله مجلون ، ومن خشيته مشفقون ، ولهيبته خاضعون .

ويجوز أن يكون معناه ضعف قلوبهم ورقة أفئدتهم ، فلا تصبر على ضر ، ولا تستقيم على سر ، يقلقهم السلب ، ويزعجهم الطرب ، إن ابتلوا لم يصبروا ، وإن أعطوا لم يشكروا ، يحزنهم الفوت ، ويفرحهم الوجود ، ويجبنون عن العدو أن يقاتلوهم ، ويضعفون عن الولي فيحسدونهم .

---

(١) في (خ) : سلطانه و . (٢) سبق في اللوحة رقم (٢٩٧/أ) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٥٠/أ) .

(٤) كذا والصواب : فخر . ا.هـ. وهو ما ورد بالروايات التي وقفت عليها .

(٥) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن بهز بن حكيم (٢٥٨/٢) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢٣٠/٣) رقم (٤٩٥) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥١٦/٤) .

(٦) الكِيرُ : بالكسر كِير الحَدَّاد ، وهو المبْنِيُّ من الطِّين ، وقيل : الزِّقُّ الذي يُنْفَخ به النَّار ، والمبْنِيُّ الكُور . النهاية مادة (كير) (٢١٧/٤) .

(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بألفاظ مختلفة عن بكر بن ماعز (١١٠/٢) ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة عن أبي وائل (٦٦/٣) .

(٨) أخرج الذهبي في سير أعلام النبلاء بإسناده إلى إبراهيم بن بشار قال :(الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ [الأنعام: ٢٧] ، مع هذا الموضع مات ، وكنت فيمن صلى عليه ﵀) (٤٤٦/٨) .

قال ﷺ : [١٢١٣] « [**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلا وفِيهِ حَسَدٌ** (١) **وسُوءُ ظَنٍّ**] » (٢) [١٢١٤] « **الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسٍ شَدِيدَةٍ : مُؤْمِنٍ يَحْسُدُه ، ومُنافِقٍ يبغضُه ، وعَدُوٍّ يُقَاتِلُه ، وشَيْطَانٍ يُضِلُّه ، ونَفْسٍ تغْوِيه** » (٣) .

فأخبر أن المؤمن يحسد [٣٥٨/أ] ، وذلك لضعف قلبه ورقته عن رؤية قدر اللّٰه وتقديره النعمة لعبده ، وكذلك يجبن عن العدو أن يقاتله ، قال اللّٰه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ، وقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، فأخبر عن الأجلة الذين هم خير القرون أصحاب رسول اللّٰه ﷺ بالفشل عنهم ، والمنازعة في الأمر ، والوهن والحزن مع علوهم ، ونصر اللّٰه إياهم ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥] ، فإذا كانت هذه الصفات في خير القرون فما ظنك فيما دونهم ، وهم مع ذلك يدخلون الجنة .

فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ أن أمثال هؤلاء الذين قلوبهم بهذه الصفة يدخلهم اللّٰه الجنة فضلًا ورحمة ، ليعلم أن دخول الجنة ليس من جهة الاستحقاق والعمل الصالح ، واكتساب العباد (٤) لكنه بفضل اللّٰه ورحمته ، قال ﷺ : [١٢١٥] « **لَنْ يُدْخِلَ أحَدَكُم عَمَلُه الجَنَّةَ** » . **قِيلَ : وَلا أَنْتَ ؟ قَالَ :** « **ولا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ** » (٥) قال اللّٰه تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس : ٥٨] ، ويجوز أن يكون معناه بهداية اللّٰه وبتوفيقه وعصمته افرحوا ، فالفرح فيه خير مما تجمعون من طاعاتكم المدخولة .

٢١٢
باب في النهي عن الحسد والحرص والكبر والغضب

حديث آخر : [١٢١٦] حدثنا أبو بكر أحمد بن سعد رَحِمَهُ اللَّهُ ح أبو بكر محمد بن [محمد بن] (٦) إبراهيم الْوَاسِطِيُّ ح أحمد بن عتاب ح أبو الفضل الأَزْدِيُّ عن حماد

---

(١) الحسد : يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه ، النهاية مادة (حسد) ، (١/٣٨٣) وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها . المفردات في غريب القرآن للأصفهاني .
(٢) من هامش الأصل . والحديث سبق في اللوحة رقم (١٠/أ) .
(٣) سبق في اللوحة رقم (٢٣٥/أ) .
(٤) في (خ) : العبادة .
(٥) سبق في اللوحة رقم (١٣٠/أ) .
(٦) سقط من (خ) .

ابن عمرو عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال لعلي : « **يَا عَلِيُّ أَنْهَاكَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : الْحَسَدِ والْحِرْصِ وَالْكِبْرِ والغَضَبِ** » (١) .

قال [٣٥٨/ب] الشيخ رحمه الله : الحسد تسخط قضاء الله ، والاعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه ؛ لأنه لا يؤلمه نعمة الله على عبده ولا يصرفه عنه لذة ، وإنما صار الحسد تسخطًا على الله واعتراضًا عليه ؛ لأنه حكيم لا يفعل السفه والعبث تعالى عن ذلك ، وهو تعالى عالم لا يجهل ، فهو إذا أنعم على عبده نعمة فهو حكمة ؛ لأنه لا يعبث ، ويضع الشيء في موضعه ؛ لأنه لا يجهل ، فالحاسد للمنعم عليه فكأنه يرى أنه (٢) وضع الشيء غير موضعه ؛ لأنه يريد إزالتها عنه ، فكأنه لا يراه موضعًا لها ، فكأنه ينسب ربه إلى السفه أو العبث أو الجهل ، والله يتعالى عن هذه الأوصاف ، وهو أيضًا (٣) متسخط قضاء الله وقدره ، وقال عليه السلام رواية : « **من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربًّا سواي** » حدثناه أحمد بن علي ح محمد بن عبد الله بن خزيمة الآبِيْوَرْدِيُّ (٤) ح محمد بن حسين (٥) بن بشير [بن زياد] (٦) ح سعيد بن زياد بن فائد ابن زياد بن أبي هند الدَّارِمِيُّ (٧) ح أبي زياد بن فائد عن أبيه فائد بن زياد عن جده زياد

---

(١) لم أقف عليه ، وفي إسناده شيخ المصنف أبو بكر أحمد بن سعد ، ذكره الخطيب البغدادي وسكت عنه (١٨٤/٤) رقم (١٨٦٧) ، ومحمد بن محمد بن إبراهيم الواسطي ، لم أتعرف عليه ، وفي إسناده أحمد ابن عتاب ، نقل ابن حجر في لسان الميزان عن أحمد بن سعيد قوله فيه : شيخ صالح روى الفضائل والمناكير (٢٢/١) رقم (٦٨٣) ، وفي إسناده أبو الفضل الأزدي ، لم أتعرف عليه ، وفي إسناده حماد بن عمرو ، بالرجوع لكتب الرجال وجدت رجلين تحت اسم حماد بن عمرو ، لم أتبين أيهما هو ، حيث إنني لم أجد من شيوخِ أيِّهما جعفر بن محمد ، ولا من تلاميذِ أيِّهما أبا الفضل الأزدي ، وكلا الرجلين المسميان حماد بن عمرو ضعيفان ، أولهما حماد بن عمرو النصيبي أبو إسماعيل ، قال فيه البخاري في التاريخ الكبير : منكر الحديث (٢٨/٣) رقم (١١٧) ، وقال النسائي في الضعفاء والمتروكين : متروك الحديث (ص ٣٢) رقم (١٣٦) ، وقال ابن حبان في المجروحين من المحدثين : كان يضع الحديث وضعًا على الثقات ... لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب (٢٥٢/١) رقم (٢٤٠) . والرجل الثاني يسمى حماد بن عمرو أبو حميد ، قال النسائي في الضعفاء والمتروكين : ليس بثقة (ص٣٢) رقم (١٣٧) .

(٢) زيادة من (خ) . (٣) زيادة من (خ) .

(٤) الآبِيْوَرْدِيُّ : بفتح الألف ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين ، وفتح الواو ، وسكون الراء ، وفي آخرها الدال المهملة ، هذه النسبة إلى آبيورد ، وهي بلدة من بلاد خراسان . الأنساب (٥٨/١) .

(٥) في (خ) : الحسن .

(٦) من هامش الأصل . و زاد في (خ) بعدها : اللخمي .

(٧) في (خ) : الداري . ا.هـ. والدَّارِمِيُّ : بفتح الدال المهملة ، وكسر الراء ، هذه النسبة إلى بني دارم ، =

ابن أبي هند الدَّارِمِيُّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [١٢١٧] « **قَالَ اللَّهُ تَعَالى : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ يَصْبِرْ عَلى بَلائِي فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوَايَ** » (١) .

والله تعالى يعاقب الحاسد في الدنيا بالغيظ الشديد والهم الدائم ، فهو يتشقق غيظًا ويموت كمدًا ، قال الحكيم : الحسود منشار نفسه فهو يشققها ، وفيه يقول الشاعر :

إن يحسدوني فإني لا ألومهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا[٣٥٩/أ]

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظًا بما يجدوا (ن)

ويعاقبه في الآخرة بإبطال حسناته ، حدثنا محمود بن إسحاق ح أحمد بن حاتم ح الْقَعْنَبِيُّ ح سليمان عن إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٢١٨] « **إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ** » (٢) .

والحرص : مسابقة قدر الله ، ومن سابق القدر سُبِق ، وهو مغالبة الله ، ومن غالب الله غلب ، قال كعب بن مالك :

جاءت سخينة كي تغالب ربها وليغلبن مغالب الغلاب (ن)

حدثنا المحْمُودِيُّ ح نصر بن زكريا ح عمار ح سلمة بن الفضل قال : حدثني علوان ابن داود عن أيوب بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ لكعب : [١٢١٩] « **يَا كَعْبُ**

= الأنساب (٢٠٨/٢) . أما سعيد بن زياد بن فائد فنسبه الصحيح الدَّارِيُّ ، والدَّارِيُّ : بفتح الدال المهملة المشددة ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى أشياء منها إلى الجد ، ومنها إلى قرية على خمسة فراسخ من هراة يقال لها : دار واشكيذبان ، الأنساب (٢٠٩/٢) .

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن أنس (٢١٨/١) رقم (٢٠٠) ، والطبراني في الكبير عن أبي هند الداري (٣٢٠/٢٢) رقم (٨٠٧) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه سعيد بن زياد وهو متروك (٢٠٧/٧) ، وسعيد بن زياد من رجال إسناد المصنف ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان وقال : أخرجه السمعاني في الأنساب عن زهر عن البيهقي إجازة عن الحاكم وقال : هذا إسناد مظلم لا أصل له (١٦٧/٤) رقم (٤١٠) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب في الحسد (٢٧٦/٤) رقم (٤٩٠٣) ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن أنس في كتاب الزهد باب الحسد (١٤٠٨/٢) رقم (٤٢١٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب بلفظه عن أبي هريرة (٤١٨/١) رقم (١٤٣٠) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٣٠/٦) رقم (٣٦٥٦) ، والقضاعي في مسند الشهاب بألفاظ متقاربة عن ابن عمر (١٣٦/٢) رقم (١٠٤٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان بلفظه عن أبي هريرة (٢٦٦/٥) رقم (٦٦٠٨) .

أَنْتَ القَائِلُ : جَاءتْ سُخَيْنَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبَّهَا وَلَيُغْلَبَنَّ مَغَالِبَ الغلابِ ؟ » قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « مَا نَسِيَهُ لَكَ رَبُّكَ » [١] .

وإنما كان الحرص مغالبة اللَّه ؛ لأن الحريص يريد أن ينال ما لم يقدر اللَّه له ، فعقوبة الحريص في الدنيا الحرمان والخيبة والتعب الدائم ، وقد قيل : (الحريص محروم) ، ولأنه يريد نيل ما لم يقدر . وقد قيل (نيل ما لم يقدر صعب) ، فالحرص أبدًا تعب ، وغايته الخيبة ، وعاقبته العطب .

أنشدني أبو القاسم الحكيم - رحمة اللَّه عليه :

لـلّـه در الحريـص كيـف لـه ... في كل ما لا يناله أرب (ن)

ما زال حرص الحريص يطعمه ... في درك الشيء دونه عطب (ن) [٣٥٩/ب]

وله في الآخرة النار أو يعفو اللَّه عنه .

والكبر : منازعة اللَّه تعالى في صفته التي هي له في ذاته لا يستحقها غيره ولا تليق بأحد سواه ، فمن نازع اللَّه في صفته فالنار مأواه .

حدثنا أبو بكر محمد بن مهرويه بن العباس [٢] ح المُحَارِبِيُّ عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : قال اللَّه تعالى : [١٢٢٠] « **الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي والعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُه في النَّارِ** » [٣] فعقوبة المتكبر في الدنيا المقت من أولياء اللَّه تعالى والذلة بين عباد اللَّه .

حدثنا عصمة بن محمود ح أبو الحسن علي بن الحسين ح عبد اللَّه بن عبد الرحمن ح عبيد اللَّه بن عبد المجيد عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : [١٢٢١] « **مَا مِنْ أَحَدٍ إلا وَفي رَأْسِهِ سِلْسِلَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا في السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالأُخْرَى في الأَرْضِ السَّابِعَةِ ، فَإِذَا تَوَاضَعَ العَبْدُ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالى بِالسِّلْسِلَةِ الَّتِي في السَّمَاءِ إِلَيْهِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْفَعَ نَفْسَهُ وَضَعَهُ اللَّهُ تَعَالى** » [٤] هذه

---

(١) الحديث أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن عبد الملك بن يحيى بن عباد (٢٢٢/٤) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : بالري حدثنا الحسن بن يزداد بن سيار بن دينار [غير واضحة] حدثنا ابن [غير واضحة] .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٤٠/أ) .

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة عن ابن عباس (٢٧٦/٦) رقم (٨١٤١) ، وأبو أحمد الجرجاني في التراجم الساقطة من الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين في سياق ترجمته لسلمة بن =

عقوبته في الدنيا ، وفي الآخرة نار الأنيار عصارة أهل النار .

حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو أحمد محمد بن عبدوس بن كامل ح الوليد ابن شجاع ح عطاء بن مسلم الخفاف سمعت محمد بن عمرو بن علقمة يذكر عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : [١٢٢٢] « **يُجَاءُ بِالجَبَّارِينَ وَالمتَكَبِّرِينَ ، رِجَالٌ في صُوَرِ الذَّرِّ يَطَؤُهُمُ النَّاسُ مِنْ هَوَانِهِمْ** [٣٦٠/أ] **عَلَى اللَّهِ تعَالى حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ . قَالَ : ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلى نَارِ الأَنْيَارِ** (١) » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا نَارُ الأَنْيَارِ ؟ قَالَ : « **عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ** » (٢) .

وأما الغضب : فنسيان العبودية ، وذلك أن صفة العبد الذلة والانكسار والضعف والاضطرار ، ولن يليق الغضب لمن هذه صفته ، وإنما ينبغي الغضب للّه الذي يفعل ما يشاء ويقدر على كل ما يريد .

وفي حديث عيسى ﷺ حين اعترض له إبليس في ثنية أفيق فقال له : [١٢٢٣] « أَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّه سَيَأْتِي عَلَيْكَ يَوْمٌ تَغْلُو فِيهِ الخَلَائِقَ كُلُّهَا ، فَتَكُونُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ ومَنْ فِيهِنَّ دُونَكَ ، وَأَنْتَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ تُدَبِّرُ الأُمُورَ وَتُقَسِّمُ الأَرْزَاقَ . فَقَالَ عِيسَى ﷺ : سُبْحَانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ مِلءَ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ وَعَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَاء نَفْسِهِ

= وهرام وقال : روى عنه زمعة أحاديث مناكير ، أخشى أن يكون حديثه حديثًا ضعيفًا (١/١٠٦) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه زمعة بن صالح والأكثر على تضعيفه وبقية رجاله ثقات (٨/٨٣) .

(١) فسرها ابن الأثير في النهاية على أنها جمع النار ، قال : وفي حديث سجن جهنم « فتعْلوهم نَار الأنْيَار » لم أجده مَشْرُوحًا ولكن هكذا يُروى فإن صَحَّت الرواية فيحتمل أن يكون معناه نَارَ النِّيران فجمع النَّار على أنْيَار وأصلها أنوار ؛ لأنها من الواو كما جاء في رِيح وعِيد أرْيَاح وأعْيَاد من الوَاو واللّه أعلم ، النهاية مادة (نور) ، (٥/١٢٤) أما الرازي في مختار الصحاح فقد عدها جمعًا لنير ، قال : نِيرُ الفدَّان الخشبة المُعرَّضة في عُنُق الثورين ، والجمع النِّيرَانُ والأَنْيَارُ ، مختار الصحاح مادة (نير) ولا أجد معنى العبارة في الحديث متسقًا وهذا المعنى الذي ذكره .

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة (١/٢٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مختصرًا وقال : رواه البزار وفيه من لم أعرفه (١٠/٣٣٤) ، وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد مختصرًا ، ونقل عن أبي بكر المروزي قوله : قلت - يعنى لأحمد بن حنبل - : تعرف عن عطاء ابن مسلم الخفاف عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « يحشر المتكبرون في صور الذر يطؤهم الناس » فأنكره ، وقال : ما أعرفه ، وعطاء بن مسلم مضطرب الحديث (١٢/٢٩٤) ، ولا يخفى أن عطاء بن مسلم الخفاف عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة هو إسناد المصنف ، والحديث صححه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٤/٩٥) .

وَمَبْلَغَ عِلْمِهِ وَمُنْتَهَى كَلِمَاتِهِ وَوَزْنَ عَرْشِهِ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ نُفِخَ عَنْهُ إِبْلِيسُ نَفْخَةً يَطم مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ لا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا حَتَّى وَقَعَ فِي اللُّجَّةِ الْخَضْرَاءِ ثُمَّ جَاشَتْ بِهِ اللُّجَّةُ إِعْظَامًا لِمَا قَالَ : فَنَبَذَتْهُ فِي الْخَافِقِ الأَقْصَى ثُمَّ نَهَضَ عَدُوُّ اللَّهِ بِالَّذِي فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ فَبَدَرَ عِيسَى إِلَى أَسْفَلِ الْعَقَبَةِ فَسَدَّ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَقَدْ غَضِبْتَ غَضَبَ إِلَهٍ عَظِيمٍ ، وَلَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ إِلَهٌ وَمَا أَنْتَ بِبَشَرٍ ، فَأَعَادَ عِيسَى عليه السلام كَلامَهُ الأَوَّلَ فَصَدَمَه إِسْرَافِيلُ صَدْمَةً ذَهَبَ يَطم عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى وَقَعَ فِي العَيْنِ الْحَمِئَةِ الَّتِي تَغْرُبُ فِيهَا الشَّمْسُ فَغَرِقَ فِيهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ لا يَقْدِرُ أَنْ يَتَخَلَّصَ كلَّما اطلعَ منهَا شَيْءٌ غَطسَتْهُ الملائِكَةُ حَتَّى تَخَلَّصَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَمَا كَادَ فَمَا رَامَ عِيسَى عليه السلام بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا زَالَ لَهُ هَائِبًا [٣٦٠/ب] » حدثناه المحمُودِيُّ ح نصر ح عمار ح سلمة عن محمد بن إسحاق فيما ساقه من حديث عيسى عليه السلام (١) .

فعلم عدو اللَّه أن الغضب من صفة اللَّه تعالى ، ليس للبشر أن يغضب فيما أمر اللَّه به ، ومن عقوبة الغضوب في الدنيا الاحتراق بنار نفسه وإبطال حسناته بقوله وفعله .

وقال الحكيم : الغضوب وقود ذاته في الآخرة ، غضب اللَّه عليه إن لم يتجاوز عنه ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾ [النور: ٢٢] الآية ، فيه إشارة إلى أن من لم يعف ولم يصفح لم يغفر اللَّه له ، وقال عليه السلام : [١٢٢٤] « **إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ** » (٢) وقال : [١٢٢٥] « **ارْحَمْ مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ** » (٣) .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٠٥/ب) .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أسامة بن زيد في كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ : « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته » (٤٣١/١) رقم (١٢٢٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب البكاء على الميت (٦٣٥/٢) رقم (٩٢٣) ، وأبو داود في سننه في كتاب الجنائز باب في البكاء على الميت (١٩٣/٣) رقم (٣١٢٥) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الجنائز باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة (٦١٢/١) رقم (١٩٥٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز باب ما جاء في البكاء على الميت (٥٠٦/١) رقم (١٥٨٨) ، وأحمد في مسنده (٢٠٤/٥) رقم (٢١٨٢٤) .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه عن عبد اللَّه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٧٧/٤) رقم (٧٦٣١) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده عن أبي عبيدة (٤٤/١) رقم (٣٣٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١٤/٥) رقم (٢٥٣٦٤) ، وأبو يعلى في مسنده عن ابن مسعود (٤٧٤/٨) رقم (٥٠٦٣) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢١٠/٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب عن أبي عبيدة عن أبيه =

فالنبي ﷺ نهى عليًا ﷺ عن تسخط قضاء اللَّه والاعتراض عليه ، وعن مسابقة قدر اللَّه ومغالبته نفسه ، وعن منازعته صفته التي لا يستحقها غيره ، وعن نسيان العبودية للَّه ، فقد جمع له جميع خصال الشر ودواعي الهلاك ، ودله على أسباب النجاة ، عصمنا اللَّه بمنه عن جميع مناهيه ، ووفقنا لما يرضيه ، إنه ملك قدير .

﴿٢١٣﴾ باب في ثلاثة يخاصمهم اللَّه تعالى يوم القيامة

حديث آخر : [١٢٢٦] حدثنا خلف بن محمد ح إبراهيم بن معقل ح محمد بن إسماعيل حدثني يوسف بن محمد ح يحيى بن سليم عن إسماعيل بن أمية عن سعيد المَقبُرِيِّ عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : قال اللَّه تعالى : « **ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ** » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : الذي أعطي باللَّه جعل اللَّه كفيلًا له فيما لزمه [٣٦١/أ] من [وفاء من] (٢) أعطاه به ، والكفيل خصم المكفول به للمكفول عنه ، والذي باع حرًّا فإنه [غاصب لأنه] (٣) باع عبدًا للَّه تعالى ليس لأحد عليه سبيل إلا اللَّه ، فلما باعه وجعله عبدًا لغيره فكأنه غصب عبد غيره ، والمغصوب منه خصم الغاصب .

والذي استأجر أجيرًا فاستوفى منه قد استأجر عبدًا ، وغلة العبد لمولاه ، فالذي استأجر أجيرًا حصلت أجرته لمالكه لا له ، فالمالك هو الخصم في مطالبة أجرة عبده .

فيجوز أن يكون معنى تخصيص هؤلاء الثلاثة من بين سائر الجنايات بالخصومة من اللَّه هو أن رجوع هذه الحقوق إلى اللَّه ، هذا لأنه كفيل ، والكفيل خصم ، وهذا لأنه

= (٣٧٥/١) رقم (٦٤٧) ، والطبراني في الكبير عن جرير (٣٥٦/٢) رقم (٢٥٠٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (١٨٧/٨) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الإجارة باب إثم من منع أجر الأجير ، وابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة في كتاب الرهون باب أجر الأجراء (٨١٦/٢) رقم (٢٤٤٢) ، وأحمد في مسنده (٣٥٨/٢) رقم (٨٦٧٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٤/٦) رقم (١٠٨٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (٣٣٣/١٦) رقم (٧٣٣٩) ، والطبراني في الصغير (١١٩/٢) رقم (٨٨٥) .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) من هامش الأصل .

مغصوب منه ، وهذا لأن الأجرة حصلت له ، واللّه أعلم .

ثم إن اللّه أكرم الخصوم وأغناهم وأتمهم قدرة على ما يريد ، والكريم إذا ملك أحسن ، روي في بعض الأخبار أن أعرابيًا قال لرسول اللّه ﷺ : [١٢٢٧] إِنَّ اللَّهَ يَتَوَلَّى مُحَاسَبَةَ عِبَادِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ فَقَالَ ﷺ : « نَعَمْ » . فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ : الحَمْدُ لِلَّهِ ، إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا حَاسَبَ سَمَحَ ، وَإِذَا حَصَّلَ [١] وَهَبَ [٢] هذا معنى الحديث إن شاء اللّه .

ففي الحديث معنيان :

أحدهما : تعظيم هذه الخصال وأنها كبائر وعظائم ، أخبر ﷺ بذلك على جهة التحذير منها والتوقي عنها والاستعظام لها لتجتنب وتتقى .

والمعنى الآخر : إخبار عن كرم اللّه تعالى وفضله ، وأنه الخصم الكريم الغني الرحيم ، وأنه إذا كان هو الخصم كان أرجى [٣] للعبد لأنه غني ، لا يتعاظمه ذنب فيغفره ولا ينقصه شيء فيناقش فيه ، وأنه كريم يعفو ويصفح ، فهو يخاصم عبده فيخصمه ، ثم يهب منه حقه [٣٦١/ب] كرمًا ، ويرضي خصومه من فضله غنى ، يدل على ذلك ما حدثنا محمد بن حامد الوزان ح محمد بن زجاج [٤] ح حبان بن موسى أخ عبد اللّه ابن المبارك ح محمد بن بشار [٥] عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : [١٢٢٨] « بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَهُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِي النَّجْوَى ؟ . قَالَ : سَمِعْتُه يَقُولُ : « **يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ** – قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : يَعْنِي سِتْرَهُ – **فَيَذْكُرُ صَحِيفَتَهُ** » ، قَالَ : « **فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، هَلْ تَعْرِفُ** » ؟ « قَالَ : **يَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ . هَلْ تَعْرِفُ ؟** » قَالَ : « **يَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ حَتَّى يَبْلُغَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ . فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ** » . قَالَ : « **وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ قَالَ اللَّهُ** ﷻ : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] » [٦] .

---

(١) قال في النهاية : حَصَّلْتُ الأمر حَقَّقْته وأثبته . النهاية مادة حصل (٣٩٦/١) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) رسمها في الأصل : أرجا .

(٤) في (خ) : رجاز .

(٥) في (خ) : يسار .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن ابن عمر في كتاب المظالم باب قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، (٨٦٢/٢) رقم (٢٣٠٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢١٢٠/٤) رقم (٢٧٦٨) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ ، (٣٦٤/٦) رقم (١١٢٤٢) ، وابن ماجه في سننه في =

فأخبر في هذا الحديث أنه ﷻ يقرر عبده ، ويعرض عليه ما أحصاه عليه كاتباه ، فلا يجد له مخلصًا ، ولا تقوم له حجة فيقر بها ويعرفها ، لا يجحد شيئًا من ذلك ؛ لأنه باللَّه عارف ، يعلم أنه لا يخفى عليه خافية ، فإذا أقر بها غفرها له ؛ لأنه كريم ، والكريم يعفو ويصفح ، وهو غني ، والغني لا ينقصه شيء .

فقد جمع الحديث معنى الخوف والرجاء ، وهما سمتا العبودية ومخ العبادة ، وذلك أن العبودية اضطرار وافتقار ، فالخوف اضطرار ، والرجاء افتقار ، والعبادة إنما تصفو بخوف التقصير وشكر التوفيق ، فرؤية التقصير توجب الخوف ، ورؤية التوفيق توجب الرجاء .

وروي هذا الحديث من وجه آخر أن النبي ﷺ [٣٦٢/أ] قال : [١٢٢٩] « **ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ وَمَنْ كُنْتُ خَصْمُهُ خَصَمْتُهُ** »[1] فذكر هؤلاء الثلاثة ، فيجوز أن يكون معنى تخصيص هؤلاء بخصومة النبي ﷺ إياهم أن الإمام الذي يُبايع ويُعطي عهد اللَّه على الوفاء بالبيعة هو خلف النبي ﷺ في أمته والزعيم عليهم والقيم بأمورهم ، فهو خليفته ﷺ في رعاية أمته وتقويم أودهم وسد خلتهم والذب عنهم والنظر لهم ، فمن غدر به فكأنه إنما غدر بالنبي ﷺ ، ومن غدر بالنبي ﷺ ولم يف له بما ضمن له خاصمه ، ومن خاصمه خصمه (ن) .

والذي باع حرًا فإنه جنى على أمته ؛ لأنه أسقط عدلًا عن عدالته ، وأوهن قويًا من أمته ، وسبى من ذريته ؛ لأن أحكام العبيد أضعف وأوهن من أحكام الأحرار ، فجنايته رجعت على جميع الأمة من المسلمين ، والجاني على الأمة خصمه ولي الأمة ، وهو النبي الأمي ﷺ .

والذي منع أجرة الأجير مخل بالتعاون ؛ لأن اللَّه تعالى إنما أباح المبايعات والإجارات

= المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية (٦٥/١) رقم (١٨٣) ، وأحمد في مسنده (٧٤/٢) رقم (٥٤٣٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٣/١) رقم (٢٧١) ، وابن حبان في صحيحه (٣٥٤/١٦) رقم (٧٣٥٥) ، وابن المبارك في الزهد (٥٤/١) رقم (١٦٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦٤/٧) رقم (٣٤٢٢١) .

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة في كتاب الرهون باب أجر الأجراء (٨١٦/٢) رقم (٢٤٤٢) ، وأحمد في مسنده (٣٥٨/٢) رقم (٨٦٧٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٤/٦) رقم (١٠٨٣٦) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٤٤/١١) رقم (٦٥٧١) ، وابن الجارود في المنتقى (١٤٩/١) رقم (٥٧٩) ، والطبراني في الصغير (١١٩/٢) رقم (٨٨٥) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١١٦/١) .

والمكاسب للتعاون لا لجلب الأرزاق ، فإن الأرزاق مقسومة مكفول بها مقسوم [١] عليها ، لا يزيدها حيلة محتال ولا ينقصها عجز عاجز ، وإنما جعلت المكاسب والإجارات والحرف والتجارات أسبابًا للتعاون ؛ لأن الخلق محتاجون مضطرون إلى ما يصلحهم ، فكل واحد منهم لا يستغني من صاحبه في أسباب الدين والدنيا ، فالذي يمنع أجرة الأجير [يمنع الأجير] [٢] من إجارته نفسه ؛ لأنه إنما يؤاجر نفسه لحاجته إلى أجره ، فإذا لم يصل إلى حاجته [٣٦٢/ب] امتنع عن إجارة نفسه فأخل بالمستأجر ؛ لأنه إنما استأجره لحاجته إلى عمله ، فالذي يمنع الأجير أجرته مانع للأجير من إجارة نفسه ، فامتنع المستأجر من إيفاء الأجرة ، وامتنع المؤاجر من العمل ، فأخل ذلك بالفريقين فقطع أسباب التعاون ، فأدى ذلك إلى ضرر بجميع الخلق ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] ، وقال : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ الآية [البقرة : ١٧٩] ، ومن أخل بأمة محمد ﷺ وقطع أسباب التعاون بينهم خاصمه محمد ﷺ ؛ لأنه زعيمهم وحجيجهم في أمر دينهم ودنياهم ، وقال ﷺ حين ذكر الدجال : [١٢٣٠] « **إِنْ يَخْرُجْ وأَنَا فِيكم فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكم وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُم فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ واللهُ تَعَالَى خَلِيفَتِي فِيكُمْ** » [٣] .

ومن كان ﷺ خصمه خصمه ، ثم هو ﷺ موصوف بالرحمة والرأفة ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية [التوبة : ١٢٨] ، فهو ﷺ لعزة عنتهم عليه وحرصه على صلاحهم ورشدهم ورفقهم فخاصم من أخل بهم ، وقطع أسباب التعاون عنهم ، ونقص من عدولهم ، وأوهى قوتهم ، وغدر بزعيمهم ، وخان قيمهم ، فهو يخصم من خاصمه ، ويقوم الحجة له عليه ، ويدحض حجة خصمه ، ثم لرأفته بهم ورحمته لهم وشفقته عليه يشفع لهم ، ويهب حقه منهم ، ويعفو ويصفح عنهم ؛ لأنه ﷺ متخلق بأخلاق الله تعالى ، متصف بصفاته من الرحمة والرأفة والكرم والعطف والتجاوز والعفو ، فهو يعاملهم معاملة سيده [٣٦٣/أ] ، ويستن فيهم سنة مولاه ؛ لأنه أرسله رحمة لهم وأمانًا ، وأقامه شفيعًا ﷺ ، ثم إن الله ﷻ أقام محمدًا ﷺ مقام نفسه ﷻ ، في كثير من الأحوال قرن ذكره بذكره ، فقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] ، وجعل طاعته طاعة نفسه فقال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ،

---

(١) في (خ) : مقسم . (٢) من هامش الأصل .
(٣) سبق في اللوحة رقم (١٩٥/ب) .

وجعل اتباعه ﷺ محبة نفسه تعالى فقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وجعل يده يد نفسه فقال : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ، وفرض ذكره والثناء عليه كما فرض ذكر نفسه والثناء عليه فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، فإذا أقامه الله في هذه الأحوال وغيرها مما يكثر ذكره مقام ذكره ﷻ قام ﷺ بالخصومة عنه ﷻ فخاصم ﷺ من هو تعالى خصمه ، وحاج من الله حجيجه موافقة لله تعالى ووفاء لحق العبودة ، أخبره الله أنه خصم هؤلاء فقال ﷺ : « أنا خصمهم » ، ثم لما وفى بحق الخصومة عنه وخصم من خاصمه وأقام الحجة عليه وعلم من كرم الله تعالى في العفو من خصومه والصفح عنهم والتجاوز لهم وهبه حقه منهم ، وقام ﷺ بالشفاعة لهم والاستغفار ، واستوهب اللهَ جناياتِهم فشفعه فيهم ، وغفر لهم ، ووهب منهم ، فقال ﷺ : [١٢٣١] « **اخْتَبَأْتُ شَفَاعَتِي لأُمَّتِي** » [(١)] ، وقال ﷺ : [١٢٣٢] « **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » [(٢)] وقال ﷺ : [١٢٣٣] « **شفاعتي لأصحاب العظائم والدماء** » [(٣)] ، وقال ﷺ : [١٢٣٤] « **فَأَخِرُّ سَاجِدًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، قُلْ تُسْمَعْ** [٣٦٣/ب] ، **وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ** » [(٤)] ، أقر الله بأمته عينه وبلغه الدرجة الوسيلة والرفعة والفضيلة .

٢١٤
باب في أولاد الزنى

حديث آخر : [١٢٣٥] حدثنا محمد بن عمر المعدل ح خلف بن سليمان النَّسَفِيُّ أبو سعيد ح محمد بن المصفى ح بقية بن الوليد ح عمران أو ابن عمران حدثني كرز عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ أَوْلادُ الْجِنِّ مِنْ نِسَائِكُمْ ، وَيَكْثُرَ نَسَبُهُمْ فِيكُمْ ، حَتَّى يُجَادِلُوكُم بِالْقُرْآنِ** [(٥)] ، **حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ** » [(٦)] .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (٤٨/أ) .
(٢) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .
(٣) سبق في اللوحة رقم (٤٧/ب) .
(٤) سبق في اللوحة رقم (١٠١/ب) .
(٥) في هامش (خ) : في القرآن .
(٦) ذكره ابن حجر مختصرًا في سياق ترجمته لكرز ، وكرز هذا هو عبد الله بن عبد الملك بن كرز بن جابر القرشي الفهري ، قال ابن حبان : لا يشبه حديثه حديث الثقات ، يروي العجائب . وقال العقيلي : منكر الحديث . وقال أبو زرعة : هو ضعيف يضرب على حديثه ، لسان الميزان (٣١١/٣) رقم (١٢٨٩) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله عليه السلام : « **أولاد الجن** » أولاد الزنى ؛ لأن الجن في اللغة الستر ، وإنما سمي الجن جنًّا لاستتارهم عن الأبصار ، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه ، ويسمى الترس مجنًّا ، وفيه حديث النبي عليه السلام : [١٢٣٦] « **أَنَّهُ قَطَعَ فِي مَجَنٍّ قِيمَتُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ** » (١) ، فالجن الستر ، والزنى نكاح السر ، قال عليه السلام [١٢٣٧] « **أَعْلِنُوا بِالنِّكَاحِ** » (٢) ، فالنكاح ظاهر في المساجد وبين يدي الشهود والأولياء ، والسفاح خاف (٣) ستير في الزوايا ، وفي ستر عن الشهود والأولياء .

فيحتمل أن يكون أولاد الجن أولاد الزنى ، ومما يؤيد ذلك أن الجن من أَجَنَّ يُجِنُّ أي ستر ، والستر والسر يتقاربان في المعنى واللفظ والصرف ؛ لأنك تقول : أَسَرَّ يُسِرُّ إِسْرَارًا ، وكذلك تقول : أَجَنَّ يُجِنُّ إِجْنَانًا ، فيجوز أن يكون معنى الجن معنى السر ، والسر هو الزنى في اللغة (٤) ، وروي في التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي زنى (٥) ، [وقال أعشى بن قيس] (٦) :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ متقاربة عن ابن عمر في كتاب الحدود باب قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] (٢٤٩٣/٦) رقم (٦٤١١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود باب حد السرقة ونصابها (١٣١٣/٣) رقم (١٦٨٦) ، وأبو داود في سننه في كتاب الحدود باب ما يقطع فيه السارق (١٣٦/٤) رقم (٤٣٨٥) ، والترمذي في جامعه بلفظه في كتاب الحدود باب ما جاء في كم تقطع يد السارق ، وقال : حسن صحيح (٥٠/٤) رقم (١٤٤٦) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ متقاربة في كتاب قطع السارق باب القدر الذي إذا سرقه السارق قطعت يده (٣٣٥/٤) رقم (٧٣٩٤) ، وابن ماجه في سننه بلفظه في كتاب الحدود باب حد السارق (٨٦٢/٢) رقم (٢٥٨٤) ، ومالك في الموطأ بألفاظ متقاربة (٨٣١/٢) رقم (١٥١٧) ، والدارمي في سننه بلفظه (٢٢٧/٢) رقم (٢٣٠١) ، وأحمد في مسنده (١٤٣/٢) رقم (٦٢٩٣) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة عن عائشة في كتاب النكاح باب ما جاء في إعلان النكاح (٣٩٨/٣) رقم (١٠٨٩) ، وابن ماجه في سننه في كتاب النكاح باب إعلان النكاح (٦١١/١) رقم (١٨٩٥) ، وأحمد في مسنده عن عبد الله بن الزبير (٥/٤) رقم (١٦١٧٥) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٢٠٠/٢) رقم (٢٧٤٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن عائشة (٢٩٠/٧) رقم (١٤٤٧٦) ، وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن الزبير (٣٧٤/٩) رقم (٤٠٦٦) .

(٣) في الأصل : خافي .

(٤) لسان العرب مادة (سرر) .

(٥) قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وأبو مجلز ، وجابر بن زيد ، وإبراهيم ، فيما أخرجه الطبري في جامع البيان بأسانيده إليهم (٥٢٢/٢ و ٥٢٣) .

(٦) من هامش الأصل .

لا تنكحن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا (ن) [٣٦٤/أ]

فيجوز من هذا المعنى أن يكون معنى الجن معنى الزنى ، فكأنه ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم أولاد الزنى ، يدل على ذلك ما روي عن النبي ﷺ قال حين ذكر آخر الزمان فقال : [١٢٣٨] « **يَكْثُرُ فِيهِمْ** [(١)] **النِّسَاءُ وَيَقِلُّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ** » [(٢)] فإذا كثر النساء وقل الرجال فشا الزنى ، وروي في بعض الروايات : [١٢٣٩] « **إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ عَلَى أَوْلَادِ الزِّنَى** » [(٣)] وهذا قريب إن شاء الله لما قلناه من كثرة النساء وقلة الرجال .

فيجوز أن يكون قوله : « **يكثر فيكم أولاد الجن** » أي أولاد السر ، والسر الزنى ، وهذا من التعريض والتوقي عن الفحش ، ولم يكن ﷺ فحّاشًا ، فيجوز أن يكون كنّى عن الزنى بالجن ، والله أعلم .

وفيه دلالة على أن الذين يجادلون في القرآن ، ويوقعون بين الناس الأهواء المضلة ، ويفتنونهم في الأديان ، ويتبعون ما تشابه من القرآن ، ويلبسون على الناس ، ويوردون عليهم الشبه ، قد خبثت موالدهم ، وقد قال ﷻ : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ [النور: ٢٦] ، فأولاد الزنى خبيثون ، ومجادلتهم بالقرآن وردهم الناس عن أديانهم خبيثات ، فحري أن يكون المبتدعة في الدين وأصحاب الأهواء المضلة والآراء الفاسدة ولدوا من غير رِشْدة ، فتكون موالدهم خبيثة ، وأفعالهم خبائث ، وسرائرهم مريضة ، وظواهرهم سقيمة ، وأقوالهم فاسدة خبيثة ، فهم خبيثون ، والخبائث أوصافهم ، والنار في الآخرة مثواهم ، نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى ، ومن الخزي والردى .

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أنس بن مالك في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٦/٤) رقم (٢٦٧١) ، والترمذي في جامعه بألفاظ متقاربة في كتاب الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة ، وقال : حسن صحيح (٤٩١/٤) رقم (٢٢٠٥) ، والنسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة في كتاب أهل العلم باب قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] رفع العلم وظهور الجهل (٤٥٥/٣) رقم (٥٩٠٦) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب أشراط الساعة (١٣٤٣/٢) رقم (٤٠٤٥) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (٩٨/٣) رقم (١١٩٦٢) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ مختلفة (١٧١/١٥) رقم (٦٧٦٨) .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن عبد الله بن مسعود ، قال الذهبي : موضوع (٥٦٦/٤) رقم (٨٥٩٠) ، ونعيم بن حماد في الفتن (٦٦٤/٢) رقم (١٨٥٧) .

٢١٥

باب في صحة المقاصد والسرائر

حديث آخر : [١٢٤٠] حدثنا محمد بن عمر ح أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر [٣٦٤/ب] الْهَرَوِيُّ ح علي بن حرب الْمَوْصِلِيُّ ح أسباط بن محمد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **قَدْ سَمِعْتُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ الْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تُخَافِتُ** »[١] . قَالَ : قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ . قَالَ : « **سَمِعْتُكَ يَا عُمَرُ وَأَنْتَ تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ** » . قَالَ : أُنَفِّرُ الشَّيْطَانَ وَأُوقِظُ الوَسْنَانَ[٢] . قَالَ : « **سَمِعْتُكَ يَا بِلَالُ تَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ** » . قَالَ : كَلَامٌ طَيِّبٌ يَجْمَعُ اللَّهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ . فَقَالَ ﷺ : « **كُلُّكُمْ قَدْ أَصَابَ** »[٣] .

قال الشيخ رحمه الله : نظر النبي ﷺ إلى مقاصد القوم وسرائرهم ، فلم يعترض على ظواهرهم ، ولولا ما اطلع عليه من صحة عقودهم والذي بعثهم على أفعالهم مما يجدونه في سرائرهم لردهم إلى الأدب الظاهر الذي ندبه الله إليه بقوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء: ١١٠] ، فهو ﷺ قوي على تحمل ما يجده في سره ، فقام بالأدب في فعله ، ولم يكن لهم من القوة ما به فغلب عليهم مواجيدهم ، فصرفهم عن مراعاة الأدب ، فعذرهم ذلك ، ليعلم أن مراعاة الأدب مع مطالعة الأرب صفة الأنبياء والمرسلين ، والاختلال بالأدب مع مشاهدات السر محتمل معفو عنه ، ولهذا المقام غَوْرٌ بعيد ، وزلت من هذه الدرجة أقدام الناس ، وأقوام خيلت لهم ، واستدرجوا فيه ، فإن تداركهم الله بفضله وسلامتهم[٤] وإلا هلكوا ، وقد قيل : إن الصفاة الزلاء التي

---

(١) زاد في (خ) بعدها : قراءتك .

(٢) الوَسْنَان : النَّائِم الذي ليس بِمُستغرق في نَوْمه والوَسَن أوَّل النَّوْم ، النهاية مادة (وسن) ، (١٨٥/٥) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب التطوع باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (٣٧/٢) رقم (١٣٣٠) ، والترمذي في جامعه بنحوه عن أبي قتادة في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في قراءة الليل (٣٠٩/٢) رقم (٤٤٧) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٤٥٤/١) رقم (١١٦٨) ، والبيهقي في سننه الكبرى عن أبي هريرة (١١/٣) رقم (٤٤٧٨) ، وابن حبان في صحيحه عن أبي قتادة (٧/٣) رقم (٧٣٣) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٩/٢) رقم (١١٦١) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن أبي هريرة (٢٨٥/١٣) رقم (٧٢٥٠) ، والطبراني في الأوسط عن أبي قتادة (١٨١/٧) رقم (٧٢١٩) .

(٤) في هامش الأصل : وسالمهم .

لا تثبت عليها أقدام العلماء الطمع ، وقال ﷺ : [١٢٤١] « **أَعُوذُ بِاللَّهِ [٣٦٥/أ] مِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ** » (١) والكلام في هذا يدق ، والله المستعان .

ثم انظر إلى مقامات القوم وإشاراتهم في مقاصدهم وعباراتهم :

قال الصديق ﷺ : « أسمعت من ناجيت » أشار إلى الأنس بالله ، والقرب من الله .

وقال عمر ﷺ : « أنفر الشيطان وأوقظ الوسنان » أشار إلى الاستظهار بالله ، والشفقة على خلق الله .

وقال بلال ﷺ : « كلام طيب يجمع الله بعضه إلى بعض » أشار إلى القيام بالله ، والتصرف في قبضة الله .

وقوله ﷺ : « **كل قد أصاب** » يجوز أن يكون معناه أصاب فيما أشار إليه ورامه ، إنه قد روي في حديث آخر أنه قال لأبي بكر ﷺ : [١٢٤٢] « **ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ قَلِيلًا . وَقَالَ لِعُمَرَ ﷺ : « اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ قَلِيلًا** » (٢) وقال لبلال ﷺ : [١٢٤٣] « **إِذَا أَخَذْتَ سُورَةً فَتَمِّمْهَا** » (٣) فنقلهم عن أفعالهم ، ولو كانوا في ذلك مصيبين ما نقلهم عنها إلى غيرها ، فيكون على هذا أنه صوبهم في مقاصدهم ، ونقلهم إلى مراعاة الأدب في أفعالهم ، فكأنه صوب أحوالهم ، وأمرهم بحفظ الأدب في أفعالهم ، والله أعلم .

سلمت عقود القوم ، وصحت مقاصدهم ، وأفعالهم مدخولة من جهة الشغل بها عن مراعاة الأدب فيها ، فاحتملت مقاصدهم أفعالهم ، وصححت عقودهم أحوالهم ، فصوبهم النبي ﷺ فيها ، والحمد لله وحده .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ مختلفة عن معاذ بن جبل (٢٣٢/٥) رقم (٢٢٠٧٤) ، والحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث مستقيم الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٧١٦/١) رقم (١٩٥٦) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٧٠/١) رقم (١١٥) ، والبخاري في التاريخ الكبير عن عوف بن مالك (٢٦٥/٨) رقم (٢٩٤٤) ، والبزار في مسنده عن معاذ بن جبل (١٠٥/٧) رقم (٢٦٦٢) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٣٦/٥) ، والطبراني في الكبير (٩٣/٢٠) رقم (١٧٩) .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بألفاظ متقاربة عن أبي قتادة في كتاب التطوع باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل (٣٧/٢) رقم (١٣٢٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (١١/٣) رقم (٤٤٧٦) ، وابن حبان في صحيحه (٧/٣) رقم (٧٣٣) ، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٩/٢) رقم (١١٦١) ، والطبراني في الأوسط (١٨١/٧) رقم (٧٢١٩) .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بألفاظ مختلفة ، وعزاه للحليمي (٤٣٠/٢) رقم (٢٣٠٤) .

٢١٦
باب في فضل مجالس الذكر

حديث آخر : [١٢٤٤] حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق السراج أخ يحيى يعني ابن يحيى [(١)] إسماعيل بن عياش عن عمر بن عبد الله مولى غفرة أن أيوب [٣٦٥/ب] بن خالد بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَعُوا في رِيَاضِ الجَنَّةِ** » . قُلْنَا : أَيْنَ رِيَاضُ الجَنَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « **مَجَالِسُ الذِّكْرِ ، اغْدُوا ورُوحُوا في ذِكْرِ اللَّهِ ، وَاذْكُرُوه بِأَنْفُسِكُمْ ، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ كَيْفَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ** » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : أفضل شيء أعطاه الله تعالى أهل الجنة في الجنة النظر إليه ﷻ ، وذلك أفضل نعيم في الجنة ، وأفضل شيء أعطاهم في الدنيا ذكر الله ، وذكر الله في الدنيا كالنظر إليه في العقبى ، فالذاكر لله بلسانه على حضور قلبه مشاهده بسره ، ناظر إليه بفؤاده ، ماثل بين يديه ببدنه ، فهو كأنه في الجنة يرتع في رياضها .

وقوله عليه السلام : « **اذكروه بأنفسكم** » يجوز أن يكون معناه اذكروه في أنفسكم ، يعني بقلوبكم وأسراركم ؛ لأن ذكر اللسان عبارة عن ذكر القلب ، وذكر القلب شهوده المذكور ، فمن ذكر بلسانه عبارة عن شهود قلبه فهو ذاكر على الحقيقة .

قال بعض الكبار : (الذكر طرد الغفلة) ، فإذا ارتفعت الغفلة كان العبد ذاكرًا وإن

---

(١) زاد في (خ) بعدها : حدثنا .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة عن جابر بن عبد الله ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي (٦٧١/١) رقم (١٨٢٠) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٣٣٣/١) رقم (١١٠٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٠/٣) رقم (١٨٦٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٨/١) رقم (٥٢٨) ، والطبراني في الأوسط (٦٧/٣) رقم (٢٥٠١) ، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١٢٦/٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وفيه عمر ابن عبد الله مولى غفرة ، وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة وبقية رجالهم رجال الصحيح (٧٧/١٠) ، وعمر بن عبد الله مولى غفرة من رجال إسناد المصنف ، قال فيه ابن حبان في المجروحين : كان ممن يقلب الأخبار ، ويروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، لا يجوز الاحتجاج به ، ولا ذكره في الكتب إلا على سبيل الاعتبار . (٨١/٢) .

سكت ، ومن ذكر بلسانه ولم يشاهده بقلبه فهو غافل وإن حرك لسانه بذكره .

قال جنيد رحمه الله : (من قال : الله ، بغير مشاهدة فهو مفترٍ) ، وذلك أنه لم يزد على أنه حرك لسانه بالحروف التي هي آلته ، وآلة العبد تليق به ولا [٣٦٦/أ] تليق به عز وجل ، وإنما يكون العبد ذاكرًا لله إذا قال : الله ؛ إذا شاهد بقلبه الله من جهة التوحيد له والمعرفة به ، وحقيقته أن يؤله به عما سواه ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤] كأنه يقول : إذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرًا لله ، فمن لم يكن مشاهدًا الله معرفة به وتوحيدًا له كان قوله : الله – زورًا وكذبًا على الله ، كأنه يقول : ولهت إليك وهو غير واله ، قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] ، أكذبهم الله في قولهم ، وإن كانت الكلمة كلمة صدق ؛ لأنها كانت عن غير مشاهدة .

فقوله : « **اذكروه بأنفسكم** » كأنه يقول : كونوا مشاهدين له ، ذاكرين بأسراركم آلاءه فيكم ونعمه عندكم ، واعرفوه [1] إحسانه إليكم وفضله لديكم حين ذكركم في أزليته ، وأجرى القلم بالسعادة لكم وأنتم غير موجودين ، وتوفيقه لكم بالذكر له عند إيجاده إياكم ، ثم أثنوا عليه تعالى بألسنتكم على مشاهدة ذلك بقلوبكم .

وقوله عليه السلام : « **من كان يحب أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده** » يجوز أن يكون معناه من أحب أن يعلم منزلته عند الله في سابق علمه به قبل إيجاده له ، من اجتبائه إياه ، واصطفائه له ، وتقريبه إياه منه ، فلينظر في حاله ، فإن كان مؤثرًا له على غيره ، معظمًا له ، مجلًّا قدره ، متوكلًا عليه ، مستأنسًا به ، محبًّا له ، طالبًا لرضاه ، هاربًا من سخطه ، مقيمًا لأوامره ، منتهيًا عن مناهيه ، فليعلم أنه ممن اجتباه واصطفاه واصطنعه له وقربه منه ، دليل ذلك قوله عليه السلام : [١٢٤٥] « **كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** » [2] [٣٦٦/ب] أخبر أن أفعال العباد دليل على ما سبق لهم من الله ، وأنه ميسر لهم من الأفعال ما هم إليه صائرون ، فليعلم العبد منزلته عند ربه بآثار توفيقه وأعلام إرشاده إياه ، فتكون أفعاله علامات منزلته عند الله ، وأعماله أمارات محله عنده عز وجل .

وقوله : « **فإن الله ينـزل العبد منه حيث أنزله من نفسه** » يجوز أن يكون معناه أنه

---

(١) في (خ) : واعرفوا .

(٢) سبق في اللوحة رقم (٣٢١/ب) .

ينزل العبد في حال وجوده منه تعالى حيث أنزله من نفسه ﷻ في سابق علمه ، فيكون تقريبه إياه من نفسه ، واصطناعه له بالتوفيق والتيسير لله ، وشرح صدره ، وتطوير قلبه ، وتسديد أقواله ، وتصحيح أفعاله ، وحسن أحواله ، على حسب اصطناعه له ، واجتبائه إياه ، وتقريبه منه ، واصطفائه إياه . فتكون الهاء في قوله : « **منه** » وقوله : « **من نفسه** » كنايتين [1] عن اللَّه تعالى ، وراجعتين [2] إليه ، وإن حمل معناه على المجازاة من اللَّه لعبده لم يبعد ، وهو أن يكون معناه من عظَّمَ اللَّهَ في إقامة أوامره ، وأَجَلَّه باجتناب معاصيه ، ورضي أقضيته ، وشكر نعماءه ، وبذل مجهوده في طلب مرضاته ، أجلَّ اللَّهُ قدره ، فباهى به ملائكته ، وأحبه ، وأمر جبريل عليه السلام أن ينادي في سمواته : [١٢٤٦] « إنَّ اللَّه تعَالى أَحَبَّ فُلانًا فأَحِبُّوه » [3] ثم شكر له أعماله ، فقبل مدخولها ، وكثر قليلها ، وعظم صغيرها ، وشرح صدره بنوره ، ووفقه لصالح أعماله ، ويكون قوله : « **فإن اللَّه ينزل العبد منه** » يعني من نفسه ﷻ بالبر به ، والإحسان إليه ، والقبول منه ، بحيث أنزله العبد من نفسه ، بتعظيم قدره ، وأداء فروضه [٣٦٧/أ] ، واجتناب نواهيه ، فإن الجزاء فضل من اللَّه تعالى على عبده ، وليس ذلك باستحقاق منه عليه ، فمجازاته له عودًا كمبادأته له بدءًا ، وكلا الأمرين فضل ، واللَّه ذو فضل عظيم .

والمعنى الأول أوجه وأقرب لقوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقوله : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾ [يونس : ٥٨] ، وقوله : [١٢٤٧] « **لَنْ يُدْخِلَ [4] أَحَدَكُم عَمَلُه [5]** » [6] ، وقوله : « **تدخلون الجنة برحمة ربكم** » [7] فإذا كان دخول الجنة لا يكون بعمل العبد وإنما يكون برحمة اللَّه ، فلأن لا يكون القربة لديه والمنزلة عنده بصفة العبد أولى وأحرى ، واللَّه أعلم .

---

(١) في الأصل : كنايتان .

(٢) في الأصل : وراجعتان .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٢/ب) .

(٤) في (خ) : ينجي .

(٥) زاد في (خ) بعدها : وقوله عليه السلام : « لن يدخل أحدكم الجنة » .

(٦) سبق في اللوحة رقم (١٣٠/أ) .

(٧) هذا القول من تتمة الحديث السابق ، ولكن بمعناه .

٢١٧

باب في إظهار السفر كوامن الأخلاق

حديث آخر : [١٢٤٨] حدثنا أبو حاتم محمد بن عمرو بن شاذويه ح حامد بن سهل ح هشام بن عمار ح عبد الملك بن محمد ح أبو سلمة الْعَامِرِيُّ (١) - أو الْعَامِلِيُّ (٢) - عن الزُّهْرِيِّ عن أنس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأَكْثَمَ بن أَبِي الجونِ الخزَاعِيِّ : **« يَا أَكْثَمُ اغْزُ مَعَ غَيْرِ قَوْمِكَ يَحْسُنْ خُلُقُكَ ، وَتَكْرُمُ عَلَى رُفَقَائِكَ ، يَا أَكْثَمُ خَيْرُ الرُّفَقَاءِ أَرْبَعَةٌ ، وَخَيْرُ الطلائِعِ أَرْبَعُونَ ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمائَةٌ ، وَخَيْرُ الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ ، وَلَنْ يُؤْتَى (٣) اثْنَا (٤) عَشَرَ أَلْفًا عَنْ قِلَّةٍ » (٥) .**

قال الشيخ رحمه الله : السفر يظهر خبايا الطبائع وكوامن الأخلاق وخفايا السجيات ومختلف العادات ، وذلك أن السفر يتعب الأبدان قال عليه السلام : [١٢٤٩] **« السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ »** (٦) ، والأبدان إذا تعبت ضعفت القوى ، وهي - أعني القوى - مختلفة في القلة والكثرة ، وهي التي تتعب الطبائع ، وتظهر مقاديرها ، وزيادة بعضها ونقصان

---

(١) الْعَامِرِيُّ : بفتح العين المهملة ، وفي آخرها الراء ، هذه النسبة إلى ثلاثة رجال ... ومن المشهور بهذه النسبة أبو سلمة مسعر بن كِدام بن ظهير بن هلال العامري ... كان مرجئًا ثبتًا في الحديث ، وكان يسمى بـ« المصحف » لقلة خطئه وحفظه ، الأنساب (٢٩٢/٣) .

(٢) الْعَامِلِيُّ : بفتح العين ، والميم المكسورة ، بينهما الألف ، وفي آخرها اللام ، هذه النسبة إلى عاملة ، وهو من العماليق ، الأنساب (٢٩٦/٣) .

(٣) في هامش الأصل : يغلب .

(٤) في الأصل : اثني .

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ متقاربة عن أنس بن مالك في كتاب الجهاد باب السرايا (٩٤٤/٢) رقم (٢٨٢٧) ، وذكره ابن أبي حاتم في العلل وقال : أبو سلمة العاملي متروك الحديث ، كان يكذب ، والحديث باطل (٢٩٦/٢) رقم (٢٣٩٨) ، وفي إسناد الحديث أيضًا عبد الملك بن محمد الصنعاني ، قال الذهبي في الكاشف : ليس بحجة (٦٦٩/١) رقم (٣٤٧٩) .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب العمرة باب السفر قطعة من العذاب (٦٣٩/٢) رقم (١٧١٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب السفر قطعة من العذاب (١٥٢٦/٣) رقم (١٩٢٧) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب السير باب السفر ، وابن ماجه في سننه في كتاب المناسك باب الخروج إلى الحج (٩٦٢/٢) رقم (٢٨٨٢) ، ومالك في الموطأ (٩٨٠/٢) رقم (١٧٦٨) ، وأحمد في مسنده (٢٣٦/٢) رقم (٧٢٢٤) .

بعض ، فهناك تظهر محاسن الأخلاق ومساوئها [٣٦٧/ب] ؛ لأنها تمتد من الطبائع ، والطبائع من القوى ، والقوى من الأحوال الخارجة من الراحة والتعب والمخالفة والموافقة واللذة والألم والأهوية ومزاجاتها والأغذية واختلافها ، والسفر يأتي على مختلف الأهوية ومختلف الأغذية ، وهي تغير القوى وتمدها ، وهي تمد الطبائع ، والأخلاق تمتد منها ، فلهذه العلة يكون السفر يظهر الخفي من الأخلاق من الرجال ، ولذلك سمي الضرب في الأرض سفرًا ؛ لأنه يسفر عن كوامن الطبائع وخفيات الأخلاق ، فمن سافر مع قومه لم يخل من أن يكون ذا شرف بينهم ، مطاعًا فيهم ، أو متوسطًا فيهم كواحد منهم ، أو مستضعفًا فيهم مستحقرًا عندهم ، فإن كان فيهم ذا شرف يسمع منه ويطاع لم يخالف في شيء ، ولم يستقبله مكروه ، وكان من معه يجهلون أنفسهم على موافقته ، ويتحملون المكاره له ، فهذا ربما ساء خلقه ؛ لأن حسن الخلق في تحمل المكاره ، وسوء الخلق الجري على الطبع والعادة ، والمطاع يجري [1] على طبعه وعادته ، فلا يكاد يحسن خلقه ، وإذا كان في غير قوة لم يطع طاعة قومه له ، ولا يتحرى أصحابه موافقته كتحري قومه ، ولم يوافق في كل ما يقوله ويفعله ، وخولف عسى قوله وفعله ، ولم يجد بدًّا من تحمل ذلك ، والمداراة معهم ، والموافقة لهم على ما يخالف طبعه ، فيكون ذلك تأديبًا له وتهذيبًا لخلقه ورياضة لنفسه ، فيحسن لذلك خلقه ، قال أبو بكر الوراق :

وطهارة الأخلاق عند مكاره والنور في الظلماء يبرق بالسنا (ن) [٣٦٨/أ]

والمتوسط في قومه لا يجتشم [2] منه ولا يحتشم ، فيجري على عادته وطبعه ، فإذا كان في غير قومه احتشمهم ، فتكلف رعاية الأدب وتحمل الأذى ، فكان ذلك سبب حسن خلقه ، فقد قال أبو بكر : (المكروه غذاء الطبع والمحبوب غذاء النفس) ، واحتشمه أصحابه فتكلفوا له كما يتكلف لهم ، فيكون ذلك هداية له إلى محاسن الأخلاق .

والمستضعف في قومه يهان ويستحقر ، فيتولد لهم فيه ضغائن وأحقاد ، فيسوء لذلك خلقه ؛ لأنه تحدث نفسه بالانتقام منهم ، وتفكر في انتهاز الفرص في الانتصار منهم ، وأوائل الشرور والمساوئ حديث النفس بها والفكرة فيها ، فإذا كان في غير قومه لم ينظر

---

(١) من هامش الأصل .

(٢) يقال : جَشِمَ الأمْرَ ، بالكسر ، يَجْشَمُه جَشْمًا وجَشامةً وتَجَشَّمَه : تَكَلَّفَه على مشقة ، لسان العرب مادة (جشم) .

إليه [(١)] بعين الإزراء ، فيحسنون عشرته ويرفعون قدره فتحسن طويته لهم ، ويحدث نفسه بالمكافأة لهم فيحسن معاشرتهم ، فيحسن بذلك خلقه ، وإنما تتغير الأخلاق عند الإكرام والإهانة ، وتتبين قوة الرجال عند المدح والذم .

قال أبو بكر الوراق في قصيدة له رحمه الله :

الناس قد عجزوا عن اثنتين إن ... يدركهما يسبق ويعل الأقوياء
ضبط النفوس من التغير عندما ... مدحت وذمت فيهما الراضي علاء
هيهات لا يحويهما إلا الذي ... ساد الخلائق بالسناء وبالبهاء

فيجوز أن يكون قول النبي عليه السلام : « **اغز مع غير قومك يحسن خلقك وتكرم على رفقائك** » لهذه الخصال إن شاء الله .

وقوله : « **خير الرفقاء أربعة** » يجوز أن يكون [٣٦٨/ب] ذلك لأن الأربعة أبعد أوائل الأعداد من الآفة وأقربها إلى التمام ، ألا ترى أن الشيء الذي يحمله من الدعائم أربعة والشيء الذي له قوائم أربعة بعد أن زال إحدى الدعائم أو سقط إحدى القوائم استمسك ذلك الشيء وقام على ثلاث [(٢)] دعائم ولم يكد يخر ؟! والذي يحمله من الدعائم الثلاثة والذي له ثلاث قوائم إذا سقط إحداها أو زال خر وسقط ولم يقم ولم يستمسك ، ومما يدل على أن الأربعة من الأعداد أبعد من الآفات حديث النبي عليه السلام : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج [(٣)] اثنان دون صاحبهما** » .

حدثنا نصر ح أبو عيسى ح هناد ح أبو معاوية عن الأعمش [(٤)] عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [١٢٥٠] « **إِذَا كُنتُمْ ثَلَاثَةً فَلا [(٥)] يَتَنَاجَى [(٦)] اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا** » . وقال شقيق [(٧)] في حديثه : « **فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ فَإِنَّ**

---

(١) زاد في (خ) بعدها : عسى .

(٢) في (خ) : ثلاثة .

(٣) في الأصل : يتناجى .

(٤) زاد في (خ) بعدها : وحدثنا نصر حدثنا أبو عيسى حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن الأعمش .

(٥) من هامش الأصل .

(٦) في (خ) : يتناج ا.هـ . وهو الصواب نحويًا ، وقد وجدت ما في الأصل عند الترمذي ، والحديث بإسناد المصنف إليه .

(٧) في (خ) : سفيان .ا.هـ. وهو الصواب ، حيث إن المصنف يروي الحديث بإسناده إلى الترمذي ، وقد وقعت عند الترمذي : سفيان .

ذَلِكَ (١) يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِ » (٢) .

فهذا نوع من الآفة يلحق ما دون الأربعة ؛ لأنهم إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان بقي اثنان ، ولم ينفرد الواحد فيتأذى به ، وإذا بعدت الآفة عن الشيء كان ذلك الشيء أقوى من الذي تسرع الآفة إليه .

ثم الطليعة يجب أن تكون أقوى في الحال ، وأبلغ إلى التمام ، وأحرى بدفع الأذى والآفة عن (٣) نفسها وعمّا وراءها ، والأربعون أقوى الأعداد لما قلنا ، والرفقة محتاجة إلى القوة على قدرها ، فأقوى أعدادها أربعة ، والطليعة أشد حاجة إلى القوة ودفع الأذى والآفة من الرفقة ، فيجب أن تكون أقوى على دفع [٣٦٩/أ] الأذى والآفة من الرفقة ، وأتم في القوة ، وتمام القوة في الأربعين من العدد ؛ لأنها في الدرجة الثانية من العدد القوي ، وهي درجة العشرات ، والذي يدل على أن القوى (٤) تستكمل الأربعين (٥) قول اللّٰه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، وقال ﷻ : ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ﴾ [الأعراف : ١٤٢] ، فوصف الأربعين بالتمام وبلوغ الأشد . وقال ابن عباس ﵄ : [١٢٥١] « أُنْزِلَ (٦) الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً » (٧) .

ثم الدرجة الثالثة من درجات الأعداد درجة المئين ، والمائة في القوة أزيد من العشرة ، كما أن العشرة أزيد من الواحد الفذ ، ودرجة السرية أرفع من درجة الطليعة ، كما أن درجة الطليعة أرفع من درجة الرفقة في الحاجة إلى القوة ، فالسرية أحوج إلى كمال القوة من الطليعة ، فلما كانت قوة الرفقة في الأربعة من الأعداد والتي هي أحوج إلى القوة

---

(١) زاد في (خ) بعدها : « يحزنه » وفي رواية أخرى : « لا يتناج اثنان دون واحد فإن ذلك » .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد اللّٰه في كتاب الاستئذان باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة (٢٣١٩/٥) رقم (٥٩٣٢) ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (١٧١٨/٤) رقم (٢١٨٤) ، والترمذي في جامعه في كتاب الأدب باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث ، وقال : حسن صحيح (١٢٨/٥) رقم (٢٨٢٥) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب باب لا يتناجى اثنان دون الثالث (١٢٤١/٢) رقم (٣٧٧٥) ، والدارمي في سننه (٣٦٧/٢) رقم (٢٦٥٧) ، وأحمد في مسنده (٣٧٥/١) رقم (٣٥٦٠) .

(٣) في الأصل : عنها .

(٤) في (خ) : القوة .

(٥) في الأصل وفي (خ) : الأربعون .

(٦) في (خ) : نزل .

(٧) الحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بألفاظ متقاربة عن ابن عباس (٥٩٨/٣) رقم (٦٧٨٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن الحسن (٣٢٨/٧) رقم (٣٦٥٤٥) .

منها وهي الطليعة في الأقوى من العدد وهو الأربعون كانت السرية أحوج إلى القوة من الطليعة ، وقوة المائة أبلغ من قوة العشرة كانت السرية التي هي الثالثة من الرفقة تمامها في الدرجة الثالثة من أقوى الأعداد ، وذلك أربعمائة ، والجيش أحوج إلى القوة من السرية ، وقوة الألف أكثر من قوة المائة ، والجيش هو الرابع من الرفقة ، والألف في الدرجة الرابعة من العدد ، فأقوى الأعداد وأرفعها درجة أربعة آلاف ، والذي يدل على قوة أربعة آلاف ما روي [٣٦٩/ب] في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ [المدثر : ١٢] قالوا : أربعة آلاف [1] . والشيء الممدود أقوى من الذي لا مدد له ، والأربعة آلاف ممدود فهو قوي .

فيجوز أن يكون معنى قوله : « **خير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف** » لقوتهما في أنفسهما ، ورفعة درجاتهما من درجة من دونهما من الفريقين ، فما كان دون ذلك فليس بتمام القوة ؛ لأنه ليس بتمام العدد ، وما كان فوق ذلك من الأعداد في الأصناف الأربعة فهو فضل ؛ لأن ما كان فوق التمام فهو فضل ، لا حاجة إليه ، وربما كان شغلًا .

وقوله ﷺ : « **ولن يؤتى اثنا عشر ألفًا من قلة** » يجوز أن يكون ؛ لأنها في حد الكثرة من أقوى الأعداد وحد النهاية من درجاتها ، وحد الكثرة من نهاية الدرجة ؛ لأن اثني عشر ثلاث مرات أربعة ، والأربعة أقوى عدد الآحاد ، والألف أنهاها في القوة وأرفعها في الدرجة ، والثلاثة أول حد الكثرة ، فالاثنا [2] عشر استكمل قوة العدد وهو الأربعة ، ونهاية الدرجة فيها وهو الألف ، والكثرة منها وهو الثلاثة ، فلن يؤتى من قلة ؛ لأنها ليست بقليلة من وجه ، فإن أتيت فلعلة أخرى ، ألا ترى إلى قول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ الآية [التوبة : ٢٥] ، أخبر أنهم كانوا في حد الكثرة والقوة من العدد ، وهم كانوا اثني عشر ألفًا ؛ لأن النبي ﷺ فتح مكة في عشرة آلاف ، وخرج إلى حنين فيهم وفي ألفين من مسلمة الفتح ، فكانوا اثني عشر ألفًا ، وأخبر ﷻ أنهم أتوا [3] من جهة الإعجاب ، وإنما أعجبهم الكثرة ، فلم [٣٧٠/أ] يؤتوا حين ولوا مدبرين من جهة القلة ، وإنما أتوا من جهة الإعجاب بها ، لذلك قال النبي ﷺ : « **لن يؤتى اثنا عشر ألفًا من قلة** » .

---

(١) قاله سفيان فيما أخرجه الطبري في جامع البيان بإسناده إليه (١٥٣/٢٩) ، ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن لقتادة (٧١/١٩) .

(٢) في الأصل وفي (خ) : فالاثني .

(٣) في (خ) : أوتوا .

٢١٨
باب في آفة التمني

حديث آخر : [١٢٥٢] حدثنا بكر بن مسعود ح عبد الصمد بن الفضل ح يحيى ابن بكير عن ابن [١] لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « **قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ** ﷺ : **لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعِينَ** [٢] » [٣] .

قال الشيخ رحمه الله : نبه رسول الله ﷺ في هذا الحديث عن آفة التمني وشؤم الاختيار ، فإنهما ليسا من أوصاف العبودية لله تعالى ، ولا من نعوت العبودة له ﷻ ، وذلك أن التمني اعتراض ، والاختيار دعوى ، وقد نفى الله الاختيار عن العباد بقوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨] ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ، وقد بين الله تعالى آفة التمني في أحوال خصائصه من أنبيائه المصطفين ورسله المجتبين وأصحاب رسول الله البررة [٤] المتقين ، وإن كان تمنيهم فيها للحق دون حظوظ النفوس ومرافق الأبدان ، بعدما صرح بالنهي عنه فقال : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٢] ، فما ظهر من عواقب التمني ما قص الله من خبر صفيه [٣٧٠/ب] آدم أبي البشر ، تمنى الخلود في جوار المعبود ، فعدِمَ الموجود ، وسُلب المعهود ، وشقي شقاوة تعب ، وغوى غواية سلب ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧] ، وقال : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] ، والذي بعثه على

---

(١) في (خ) : أبي . (٢) في (خ) : أجمعون .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الجهاد والسير باب من طلب الولد للجهاد (١٠٣٨/٣) رقم (٢٦٦٤) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب الأيمان باب الاستثناء (١٢٧٦/٣) رقم (١٦٥٤) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب النذور باب إذا حلف رجل فقال له رجل : إن شاء الله هل له استثناء (١٤١/٣) رقم (٤٧٧٢) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤٤/١٠) رقم (١٩٦٩٤) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٠٢/٨) ، وأبو عوانة في مسنده (٥٣/٤) رقم (٦٠٠١) .

(٤) من هامش الأصل .

ذلك تعظيم اللّه ، واستلذاذ جوار اللّه ، وطلب الخلود والثواء في دار النعيم واللقاء ، روي في الحديث أن اللّه تعالى لما عاتبه بقوله : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] قال : [١٢٥٣] « يَا رَبِّ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا يَحْلِفُ بِكَ كَاذِبًا » (١) - أو كلامًا هذا معناه - وشغله التمني حتى لبس عليه موضع التوقي ، فتأول فأخطأ في التأويل ، وظن أن المنهي عنه العين دون الجنس ، وإنما ليس عليه ذلك .

وفي قصة موسى عليه السلام حين كلمه ربه تمنى الرؤية فقال : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، فجعل اللّه الجبل دكًا وخر موسى صعقًا .

وداود عليه السلام تمنى أن ينال درجة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فيتقرب به وبذكره إلى اللّه كما يتقرب بأذكارهم ، فقد جاء في بعض الأخبار أنه قال : [١٢٥٤] « يَا رَبِّ إِنِّي أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ : يَا إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ إِذَا دَعَوْكَ ، فَاجْعَلْ اسْمِي فِيهِمْ ، فَأَوْحَى اللّهُ إِلَيْهِ أَنِّي ابْتَلَيْتُهُمْ فَصَبَرُوا . فَقَالَ : يَا رَبِّ أَنَا أَصْبِرُ إِنْ ابْتَلَيْتَنِي . فَأَعْلِمَ عليه السلام وَقْتَ مَا يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يَبْتَلِيه ، وَقَالَ لَهُ : تَحَفَّظْ ؛ فَإِنِّي مُبْتَلِيكَ يَوْمَ كَذَا . فَلِذَلِكَ (٢) دَخَلَ المحرَابَ وَتُوُفِّيَ ذَلِكَ اليَوْم ، فَأَصَابَهُ فِي يَوْمِهِ مَا أَصَابَهُ » (٣) .

وتمنى رسول اللّه ﷺ هداية عمه ، فأدبه اللّه فقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] ، وتمنى هداية قومه فنزلت : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [عبس : ١] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ الآية [الأنعام : ٥٢] ، وكل ذلك تمني [٣٧١/أ] القربة إلى اللّه منهم عليهم السلام وفيما يلحق دون حظوظ أنفسهم ، غير أن اللّه لم يكن أوحى إليهم في ذلك ، وتمنوا الزيادة في الرفعة والعلو في الرتبة والمكان في القربة من عند أنفسهم ، فامتحنوا عليهم السلام وأدبوا فيما لم يكن سبق من حكم اللّه وقدره وقضائه كون ما تمنوه .

والتمني يقرب من الإرادة ، بل هو الإرادة إن شاء اللّه ، وقد قال بعض أهل التفسير في معنى قوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج : ٥٢] قالوا : في إرادته (٤) . وذلك أنهم إذا أرادوا أمرًا فيه إلى اللّه قربة

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة مختصرًا عن العباس بن عبد المطلب مرفوعًا وقال : هذا حديث صحيح رواه الناس عن علي بن زيد بن جدعان تفرد به ووافقه الذهبي (٦٠٦/٢) رقم (٤٠٤١) .

(٤) لم أقف عليه .

وسوس إليهم الشيطان ، فيرد اللَّه عنهم تلك الوسوسة ، ويثبت لهم ما أرادوا من القربة إلى اللَّه والطاعة له ، فأخبروا أن التمني إرادة .

ويجوز أن تكون المحنة التي تعقب التمني إذا كان في القربة إلى اللَّه ، إنما يكون ذلك تنبيهًا لهم ، وإيقافًا على مواضع الشكر ؛ لأن المتمني مستزيد ، وكل مستزيد مؤدٍّ (١) بالتقصير مما عنده ، إما [النسيان أو الغفلة] (٢) وسهو عما أوتي ، يدل على ذلك قوله تعالى لكليمه موسى عليه السلام حين أفاق : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، كأنه ذكره نعمة الاصطفاء بالرسالة إليه ، والاصطفاء له ، وكلامه إياه ، أي كن شاكرًا فيما آتيتك ، لا مستزيدًا مما زويت عنك .

سمعت بعض مشايخنا يقول : سمع الشِّبْلِيُّ من يتغنى بهذا البيت :

تريدين مني أن أزيدك في الهوى أبقيت شيئًا في الهوى فأزيد (ن)

فجعل يقول : لا يارب لا يا رب حتى غلب . كأنه رأى نفسه مستزيدًا ما سبق من اللَّه إليه [٣٧١/ب] من نعمه ، فسمع البيت على أثر ذلك .

ومما يدل على أن المتمني مستزيد وهو كالساهي أو الغافل أو الناسي ولذلك تقارنها المحنة قول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٣] ، وذلك أنهم لما فاتهم بدر تمنوا أن يلقوا العدو ، فيكون منهم ما كان من أهل بدر من الصبر والثبات والقتال لأعداء اللَّه ، فينالوا ما ناله أهل بدر ، فأصابهم ما أصابهم من التولي والإدبار ، حتى قال اللَّه تعالى : ﴿ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٣] ، فكانت عواقب التمني هذه المحن ، وقلما سلم منها (٣) أولو النهى والحجى ؛ ولذلك قال عليه السلام : [١٢٥٥] « **أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَاثْبُتُوا وَاصْبِرُوا** » (٤) . وقال خباب بن الأرت : [١٢٥٦] « **لَوْلا أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام نَهَانَا أَنْ**

---

(١) في الأصل : مؤدي . (٢) في هامش الأصل : نسيان أو غفلة .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه بن أبي أوفى في كتاب الجهاد والسير باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (١٠٨٢/٣) رقم (٢٨٠٤) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (١٣٦٢/٣) رقم (١٧٤٢) ، وأبو داود في سننه في كتاب الجهاد باب في كراهية تمني لقاء العدو (٤٢/٣) رقم (٢٦٣١) ، والنسائي في سننه الكبرى عن أبي هريرة في كتاب السير باب تمني لقاء العدو (١٨٩/٥) رقم =

نَدْعوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ » (١) وذلك لما علمه ﷺ من الآفة في التمني ، فمن تلك الآفات التي خيف فيها على أربابها ما ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث - وهو حديث صحيح - من تمني نبيه سليمان ﷺ أن يكون له مائة من الولد فرسان يجاهدون في سبيل الله ، وأظهر آفة تمنيه بذهابه عن الاستثناء فيه ، وهو قوله : « **فلم يقل إن شاء الله** » .

ويجوز أن يكون ذلك لما غلب عليه من التمني ، فغيبه ذلك عن شرط مشيئة الله فيه ، فكان ذهابه عن الاستثناء آفة تمنيه ، ومحنته ﷺ فيه أن ولد له شق إنسان ، فقال بعض أصحاب المعاني : إنه الجسد الذي ألقي على كرسيه الذي قال ﷻ : ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ [ص: ٣٤] ، وذلك حين ناولوه المولود (٢) ، والذي ذكرناه في [٣٧٢/أ] أحوال الأنبياء حظوظ الأغيار فيهم ، ليعلموا مواضع التوقي ، ويكون تأديبًا لهم ، وتنبيهًا على شكر ما أعطوا مما لم يستحقوه ، وتعظيم ما أدركوه مما قصرت عنه أوهامهم من صنائع الله بهم ، فيشتغلوا بالشكر فيما أوتوا عن تمني ما لم يؤتوه ، فإن لم يفعلوا ذلك وتمنوا كان ذلك غفلة منهم وذهابًا عن رؤية النعم التي ألزمهم الله شكرها ، وسبب ازدياد الشكر على المستفاد ليس التمني والمراد ، فإن سهوا عنها لم يخل من الآفة فيه ، لما سبق من سنة الله تعالى في ذلك في أنبيائه ورسله ، وليتوقعوا المحن فيه فيوطنوا أنفسهم لذلك ، وليعدوا للصبر فيه ، ويتنبهوا لما نبهوا له ، لأن الذي جرى على رسل الله وأنبيائه مع سلامتهم من الآفات من طهارة أسرارهم ، وعلو شأنهم ، ورفعة منزلتهم ، وعصمة الله لهم ، لم يخل من أدنى آفة لحقت ظواهرهم في تمنيهم ، ومحنة حلت بهم ، فكيف بمن دونهم .

هذه إن شاء الله إحدى فوائد ما جرت عليهم من هذه الأحوال وغيرها ، فأما

= (٨٦٣٤) ، والدارمي في سننه عن عبد الله بن عمرو (٢٨٥/٢) رقم (٢٤٤٠) ، والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن أبي أوفى ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٨٧/٢) رقم (٢٤١٣) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٦/٩) رقم (١٧٨٥٧) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه عن قيس بن أبي حازم في كتاب المرضى باب نهي تمني المريض الموت (٢١٤٧/٥) رقم (٥٣٤٨) ، ومسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة في كتاب الذكر والدعاء باب تمني كراهة الموت لضر نزل به (٢٠٦٤/٤) رقم (٢٦٨١) ، والنسائي في سننه الكبرى بلفظه في كتاب الجنائز باب الدعاء بالموت (٦٠٠/١) رقم (١٩٤٩) ، وأحمد في مسنده (١٠٩/٥) رقم (٢١٠٩٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٣٧٧/٣) رقم (٦٣٥٤) ، والحميدي في مسنده (٨٣/١) رقم (١٥٤) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٧/٦) رقم (٢٩٨٥٥) ، والبزار في مسنده (٦٤/٦) رقم (٢١٢٥) .

(٢) عزا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن هذا القول للنقاش وغيره (٢٠١/١٥) .

أحوالهم في أسرارهم فإنها أرفع من أن يقدح فيها شيء ، والذي جرى عليهم لم يكن آفة فيهم ، بل كانت رفعة لهم من خصوص أحوالهم ، وإظهارًا لمراد الله فيهم ، من رفع أقدارهم ، وجذبه لهم إليه ، وصرفه إياهم عن الأشياء ، وحفظًا لمواضع الفتنة التي تحل بمن سواهم ، ألا ترى إلى قول الله تعالى في قصة آدم في قوله لملائكته : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه: ١٢٢] ، وقال لكليمه موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الآية [الأعراف: ١٤٤] ، وقال في قصة داود : ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ ﴾ [ص: ٢٤] ، ثم قال : [٣٧٢/ب] ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ [ص: ٢٥] الآية ، وقال للنبي عليه السلام : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الآية [الشورى: ٥٢] ، وقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] ، وقال في الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦] ، فظهر أن ما جرى على الأنبياء حظوظ الأغيار فيهم .

قال عمار بن الحسن : حدثنا أبو القاسم عن صالح المُرِّيِّ قال : (ذكر داود عليه السلام منشطة للتوابين) ، فأما حظوظهم في أنفسهم فما أظهر الله من رفع درجاتهم بعد المحن لهم ، فإنها كانت لهم زيادات ورفعة لا نقص وحطة .

فيجوز أن تكون الفائدة في ذهاب سليمان عليه السلام عن الاستثناء أن الذي تمناه وأراده لم يكن سبق له من الله ، فصرف عن الاستثناء ، ليكون العلة فيه منوطة بصفة البشرية من الغفلة أو النسيان ؛ إذ لو استثنى وشرط مشيئة الله فيهم ثم لم يتم المراد كان فيه مخالفة المرادين ، وفرقان المشيئتين من مراد الله ومراد رسوله ، فصرف عن شرط المشيئة له لئلا تظهر مخالفة إرادته إرادة مولاه ، ومشيئته مشيئة ربه تعالى .

وقول النبي عليه السلام وقسمه : « **لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون** » يؤيد ما قلناه ، كأنه قال : لو كان ذلك سابقًا في مشيئة الله تعالى وإرادته له من كون ما تمناه أجمعون [1] لشرط المشيئة من ربه في الاستثناء ، ليتفق المرادان ويوافق المشيئتان ، والله أعلم .

وقوله عليه السلام : « **فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله** » يجوز أن يكون صاحبه الملك الذي هو قرينه وبطانته ، فقد قال عليه السلام : [١٢٥٧] « **إِنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلا خَلِيفَةً إلا وَلَهُ** [٣٧٣/أ] **بِطَانَتَانِ : بِطَانَةٌ** [2] **تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنْ المُنْكَرِ ، وَبِطَانَةٌ**

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) من هامش الأصل .

لا تألُوهُ خبَالًا [١] ، **وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ** » حدثنا نصر ح أبو عيسى ح محمد بن إسماعيل ح آدم بن أبي إياس ح شيبان ح أبو معاوية قال عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ ذلك [٢] .

ويجوز أن يكون ذلك خاطره ونداء الحق في سره ، وهو الذي قال ﷺ : « **واعظ الله في قلب كل مسلم** » حدثنا خلف ح سهل بن شاذويه ح نصر بن الحسين ح عيسى ابن معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه عن النواس بن سمعان الأنصاريِّ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : [١٢٥٨] « **الدَّاعِي مِنْ فَوْقِ وَاعِظُ اللهِ في قَلْبِ كل مُسْلِمِ** » [٣] .

ويجوز أن يكون المعنى فيه على التقديم من قوله ﷺ لم يقل : إن شاء الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، ويجوز أن يكون هذا على الظاهر ، قال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فشغل فلم يقل : إن شاء الله ، ليتم مراد الحق فيه ، والله أعلم .

٢١٩
باب في ترك ما يشغل العبد عن النجوى

حديث آخر : [١٢٥٩] حدثنا محمد بن عبد الله [بن يوسف] [٤] العماني ح الحسن بن علويه القطان ح عباد بن موسى الـخُتَّلِيُّ [٥] ح طلحة بن عمر حدثني

---

(١) لا تألوه خبالًا : أي لا تُقَصر في إفساد حاله . النهاية مادة (ألي) ، (٦٣/١) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن أبي هريرة في كتاب الزهد باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ ، وقال : حسن صحيح غريب (٥٨٣/٤) رقم (٢٣٦٩) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٤٥/٤) رقم (٧١٧٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٥/٤) رقم (٤٦٠٤) ، والبخاري في الأدب المفرد (٩٩/١) رقم (٢٥٦) .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن النواس بن سمعان في كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل الله لعباده ، وقال : حديث غريب (١٤٤/٥) رقم (٢٨٥٩) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير باب سورة يونس (٣٦١/٦) رقم (١١٢٣٣) ، وأحمد في مسنده بألفاظ متقاربة (١٨٢/٤) رقم (١٧٦٧١) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (١٤٤/١) رقم (٢٤٥) ، وابن أبي عاصم في السنة بألفاظ مختلفة (١٤/١) رقم (١٨) والمروزي في السنة بلفظه (١١/١) رقم (١٦) .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) الـخُتَّلِيُّ : بضم الخاء ، والتاء المنقوطة باثنتين مشددة ، قرية على طريق خراسان ، الأنساب (١٣١/٢) .

يونس [١] بن زيد عن ابن شهاب عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إِذَا قُرِّبَ العَشَاءُ والصَّلاةَ فَابْدَؤوا بِالعَشَاءِ قَبْلَ الصَّلاةِ** » [٢] .

قال الشيخ رحمه الله : نفس الإنسان مثل الكلب الجائع ، والكلب إذا رأى شهوته واشتهى [٣] ، فإن حبس عنها نازع الحابس له وجاذبه ، فمن بين غالب ومغلوب ، والصلاة مناجاة وسر بين العبد وبين ربه ، ومقام القرب والقيام على بساط النجوى ، فمن القبيح أن ينازع مناجي الملك كلب ، أو يجاذبه قرد [٣٧٣/ب] يكاد يصرفه عنه ويشغله به ، فيكون منقسمًا بين من يناجيه وبين من ينازعه فيه ، أو يلتفت إلى المناجاة مرة وإلى الكلب أخرى ، ثم لا سبيل إلى طرد هذا الكلب وإبعاده والهرب منه والانفراد عنه .

كذلك النوم ، لا سبيل له إلى الخلاص من نفسه والهرب منها أيام حياته ، فلا حيلة له فيه غير إيتائه حظه ورميه إليه جيفته ليشتغل بها عن مجاذبته له ومنازعته إياه ، ليخلص له النجوى ، ويتفرد في مقامه من البلوى ، فيقف على بساط القرب ، فلا يشغل عن النظر إلى من يناجيه ، ولا ينازعه منازع فيه ؛ لذلك قال ﷺ : « **فابدؤوا بالعشاء** » ، لتشتغل النفس بحظها ، فتسكن منازعتها صاحبها ، ومجاذبتها إياه ، فتشهد الصلاة وهو مجتمع السر ، ساكن النفس ، شاهد الفؤاد ، لا ينازع فيها ، ولا يجاذب عنها .

ثم هذه النفس ليست هي للعبد وإنما هي لله ، قال ﷺ : [١٢٦٠] « **إِنَّ لِنفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** » [٤] ، وهي وإن كانت كلبًا فإنها تتأدب إذا أدبت ، وتتهذب إذا هذبت ، فهي بمنزلة الكلب الذي يأمر الملك بتأديبه فيلزمه بعض عبيده ليؤدبه ، ويعلم [٥] ليصطاد

---

(١) في (خ) : يوسف .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مختلفة عن عائشة في كتاب الأذان باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة (٢٣٨/١) رقم (٦٤٠) ، ومسلم في صحيحه عن أنس بن مالك في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام (٣٩٢/١) رقم (٥٥٧) ، والترمذي في جامعه في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء إذا حضر العشاء وقال : حسن صحيح (١٨٤/٢) رقم (٣٥٣) ، والنسائي في سننه الكبرى في كتاب الإمامة والجماعة باب العذر في ترك الجماعة (٢٩٨/١) رقم (٩٢٦) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الإقامة باب إذا حضر الصلاة ووضع العشاء (٣٠١/١) رقم (٩٣٣) ، والدارمي في سننه (٣٣١/١) رقم (١٢٨١) ، وأحمد في مسنده (١٠٠/٣) رقم (١١٩٨٩) .

(٣) في (خ) : وأتاها .

(٤) سبق في اللوحة رقم (١٨/أ) .

(٥) في (خ) : ويعلمه .

للملك ما يرسله عليه ، فعلى من ألزمه تأديبه أن يطعمه ويسقيه ، ولا يمنعه رفقه ، ولا يبخس لحقه فيتلفه ، أو يسوء أدبه عند جوع يلحقه أو ضرورة تحل به فيتناول صيده ، وكما أن عليه ألا يمنعه طعامه وشرابه ومصالحه ، كذلك عليه أن لا يخلي بينه وبين [٣٧٤/أ] أقرانه من الكلاب غير المعلمة فيسوء أدبه ، ولا يرسله على الخبائث من الصيد كالخنازير والقردة والجرذان ، ويصونه عن الأقذار والميتات والأنتان فيوافقها بطبعه فيتلطخ بها على عادته ، كذلك العبد المؤمن يجب عليه أن يؤدب نفسه ويروضها ويعلمها ، فإذا تعلمت وتأدبت وفر عليها قسطها ، وأعطاها حظها مما يقويها على ما علمت له وأدبت فيه ، من إقامة حقوق اللّه ، وأداء فروضه ، وحسن معاملة عباده ، وجميل المعاشرة بهم ، ويصرفها عما يفسد أخلاقها من أبناء جنسها الذين مروا على طبائعهم الفاسدة وعاداتهم الردية وأخلاقهم السيئة ، بل يحول بينها وبينهم ، ويمنعها عن معاشرتهم ومداخلتهم ، وكذلك يصرفها عما يولد فيها الشره والحرص والرغبة في الدنيا والحرص على الحياة ، ويشغلها عن واجب حق اللّه تعالى ، فقد قال ﷺ : [١٢٦١] « **لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ** (١) **فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيَا** » حدثناه حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح قيس عن شمر بن عطية عن المغيرة بن سعد (٢) عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ذلك (٣) .

فدل هذا الحديث على أن كل ما رغب في الدنيا وشغل العبد عن النجوى فواجب

---

(١) قال ابن الأثير : (الضَّيعةُ في الأصل : المرّة من الضَّياع ، وضيعةُ الرجل في غير هذا ما يكون منه مَعاشه ، كالصَّنْعة والتِّجارَة والزِّراعة وغير ذلك ... ومنه حديث ابن مسعود : « لا تتَّخِذوا الضَّيْعةَ فتَرْغَبُوا في الدُّنيا ») النهاية مادة (ضيع) ، (١٠٨/٣) .

(٢) زاد في (خ) بعدها : ابن الأخرم .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن عبد اللّه بن مسعود في كتاب الزهد باب منه ، وقال : حديث حسن (٥٦٥/٤) رقم (٢٣٢٨) ، وأحمد في مسنده (٣٧٧/١) رقم (٣٥٧٩) ، والحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (٣٥٨/٤) رقم (٧٩١٠) ، وابن حبان في صحيحه (٤٨٧/٢) رقم (٧١٠) ، وابن المبارك في الزهد (١٧٥/١) رقم (٥٠٥) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٥٠/١) رقم (٣٧٩) ، والحميدي في مسنده (٦٧/١) رقم (١٢٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٤/٧) رقم (٣٤٣٧٩) ، وابن أبي عاصم في الزهد (٢٩/١) ، وأبو يعلى في مسنده (١٢٦/٩) رقم (٥٢٠٠) ، والشاشي في مسنده (٢٤١/٢) رقم (٨١١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٤/٧) رقم (١٠٣٩١) .

عليه تركه ، ويلزمه رفضه لئلا يزاحمه في مقام النجوى مزاحم ، ولا ينازعه على بساط القرب منازع ، ولا يصرفه عن الإقبال على من يناجيه صارف ، وكل ما نازعت النفس من صاحبها نوعان :

أحدهما : مرافقها التي لا بد لها منه ، مما يقيم صلبها من طعام وشراب ، ويكسو عورتها من ثياب ، ويكنها من الحر والبرد ويدفع عنها الأذى ، وما يعينها على ما طولب ، فيجب توفيرها [٣٧٤/ب] عليها ، لقوله ﷺ : [١٢٦٢] « **إنَّ لِنفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** » (١) .

والنوع الآخر : شهواتها التي تطالبها بعادتها ، وتنازع إليها بطبعها ، وتحرص عليها بخلقها الذميم ، فيجب صرفها عنها ، لقوله ﷻ : ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠] ، فإنها طبعت على الهلع والجزع ، وهي كنود جحود ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ الآية [المعارج : ١٩] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « **هو الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده** (٢) » .

حدثنا القاضي محمد بن أحمد ح عبد الله بن محمود ح محمد بن عبد الله بن يزيد ح مروان يعني ابن معاوية عن جعفر بن الزبير عن أبي عبد الرحمن عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] قال : [١٢٦٣] « **هُوَ الكَفُورُ الَّذِي يَضْرِبُ عَبْدَهُ وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ** (٣) **وَيَأْكُلُ وَحْدَهُ** » (٤) .

---

(١) سبق في اللوحة رقم (١٨/أ) .

(٢) مكانها بياض بالأصل .

(٣) الرِّفْدُ : الإعانة ، النهاية في غريب الحديث مادة (رفد) ، (٢٤١/٢) أو هو العطاء والصلة ، لسان العرب مادة (رفد) .

(٤) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان بألفاظ مختلفة عن أبي أمامة (٢٧٨/٣٠) ، والطبراني في الكبير (٢٤٥/٨) رقم (٧٩٥٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني بإسنادين ، في أحدهما جعفر بن الزبير ، وهو ضعيف ، وفي الآخر من لم أعرفه (١٤٢/٧) ، وقال ابن حبان في المجروحين من =

فبين النبي ﷺ في قوله : « **ابدؤوا بالعشاء قبل الصلاة** » .

وندب إلى فراغ السر للنجوى ، وشهود القلب وجمع الهمة ، والانصراف عن جميع ما يشغل العبد عن مقامه ، وذلك في إيفاء النفس حظها مما لها ، وصرفها عما ليس لها .

والله الموفق لذلك، فنعم المولى ونعم النصير .

٢٢٠
باب في أنه يجب على من ولي شيئًا من أمور المسلمين تقديم إصلاح أحوالهم على حظ النفس

حديث آخر : [١٢٦٤] حدثنا أحمد بن سباع بن الوضاح الخطيب ح محمد بن الضوء ح عمرو بن عون ح هشام [(١)] عن علي بن زيد عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا** » [(٢)] .

قال الشيخ رحمه الله : في هذا الحديث إشارة من النبي ﷺ إلى أن كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين وجب عليه تقديم إصلاحهم على حظ نفسه .

وأن [٣٧٥/أ] يكون الغرض منه صلاح الحال لهم ، وجر المنافع إليهم ، ودفع المضار عنهم ، والنظر لهم في أدق أمورهم وجلها .

فمنهم السلطان الذي يسوسهم ويحوطهم ويذب عنهم من يريدهم بفساد من

= المحدثين : جعفر بن الزبير يروي عن القاسم مولى معاوية وغيره أشياء كأنها موضوعة ، وكان ممن غلب عليه التقشف حتى صار وهمه شبيهًا بالوضع ، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين (٢١٢/١) رقم (١٧٨) ، وجعفر بن الزبير من رجال إسناد المصنف .

(١) في (خ) : هشيم .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن أبي قتادة في كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (٤٧٢/١) رقم (٦٨١) ، وأبو داود في سننه عن عبد الله بن أبي أوفى في كتاب الأشربة باب في الساقي متى يشرب (٣٣٨/٣) رقم (٣٧٢٥) ، والترمذي في جامعه عن أبي قتادة في كتاب الأشربة باب ما جاء أن ساقي القوم آخرهم شربًا وقال : حسن صحيح (٣٠٧/٤) رقم (١٨٩٤) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأشربة باب ساقي القوم آخرهم شربًا (١١٣٥/٢) رقم (٣٤٣٤) ، والدارمي في سننه (١٧٤/٢) رقم (٢١٣٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١١/٥) رقم (٢٤٢٢٧) .

أعدائهم ويسيء إليهم من أوليائهم .

ومنهم العلماء الذين يعلمونهم ويحفظون عليهم أمور دينهم .

ومنهم المُطَّوِّعةُ [١] الذين يذبون عنهم ويقاتلون دونهم .

ومنهم التجار الذين يتولون منافع أبدانهم ، وأصحاب الحرف الذين يعاونون .

فالواجب على السلطان الذب عنهم وحسن السياسة لهم ، من نصر المظلومين وقمع الظالمين ، واللين لمحسنهم والغلظة على مسيئهم .

فالواجب عليهم أن يكون ذلك غرضهم مما تولوه من أمور المسلمين ، دون طلب حظوظهم من نيل شهواتهم والتسلط على عباد اللّٰه ، والعون [٢] على أنفسهم .

وعلى العلماء أن يعلموا الجهال برفق ونصيحة ، ويصبروا على البليد منهم ، ويوفروا على ذي الفهم منهم ، ويتحروا أوقات نشاطهم وفراغهم ، ولا يكثروا عليهم فيملوهم ، ولا يقصروا عنهم فينفروهم ، ولا يقصدوا بتعليمهم حظوظ أنفسهم ، من طلب الرياسة فيهم والعلو عليهم ، وصرف وجوه الناس إليهم ، ووطأ أقدامهم ، ولا يريدون به شيئًا من عرض الدنيا ، ويضبطون أنفسهم عن شهواتهم المباحة لهم حفظًا لمواضع الفتنة بهم ممن يقتدي بهم .

- وكذلك المطَّوِّعة والتجار يقصدون في مبايعاتهم النصح لهم ، وأن يقصدوا إصلاح أحوالهم ، ويؤثروهم على أنفسهم ، فإن لم تسخ أنفسهم بذلك فيساووهم فيريدون لهم ما يريدون لأنفسهم .

وأصحاب الحرف يقصدون التعاون فيما بينهم دون جر المنافع إليهم .

وهذا وما يطول شرحه مضمر في قوله ﷺ : « **ساقي القوم** [٣٧٥/ب] **آخرهم شربًا** » .

وفيما قلنا تأويل قوله ﷺ : [١٢٦٥] « **سَيِّدُ القَوْمِ خَادِمُهُم** » [٣] .

وكل ذلك بين في أحوال النبي ﷺ في حياته والوصية بعد وفاته .

---

(١) المُطَّوِّعةُ : الذين يَتَطَوَّعُونَ بالجهاد ، لسان العرب مادة (طوع) .

(٢) في هامش الأصل وفي (خ) : العود .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٥٨/ب) .

فقد روي عن النبي ﷺ ما حدثنا محمد بن أحمد البَغْدَادِيُّ ح محمد بن [محمد بن] [١] سليمان ح عبد الوهاب بن الضحاك ح الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زيد عن أبيه قال :

[١٢٦٦] « **قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لِلْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : « قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ** » - وفي رواية [١٢٦٧] : « **قِطْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ** » [٢] - [٣] قَالَ : « **فَإِنْ لَمْ يَكُنْ [لَهُ دَارٌ]** [٤] **وَإِلا فَدَارٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرْكَبٌ وَإِلا فَمَرْكَبٌ** » [٥] .

وما ظهر من الخلفاء بعده من الأربعة الأئمة الذين قال ﷺ : « **الخِلافَةُ بَعدِي ثَلاثُونَ سَنَةً** » حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال :

قال رسول الله ﷺ : [١٢٦٨] « **الْـخِلافَةُ في أُمَّتِي ثَلاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ مُلْكًا بَعْدَ ذَلِكَ** » .

ثُمَّ قَالَ سَفِينَةُ : أَمْسِكْ ، خِلافَةُ أَبِي بَكْرٍ وَخِلافَةُ عُمَرَ وَخِلافَةُ عُثْمَانَ وَخِلافَةُ عَلِيٍّ ﷺ فَإِذَا هِيَ ثَلاثُونَ سَنَةً . قُلْتُ لِسَفِينَةَ : إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ خِلافَةَ [٦] فِيهِمْ ! قَالَ : كَذَبُوا بَنُو الزَّرْقَاءِ ، بَلْ هُمْ مُلُوكٌ مِنْ شَرِّ الْمُلُوكِ » [٧] .

قد أخرجهم رسول الله ﷺ من الخلافة لما رجعوا إلى حظوظهم وشهواتهم عن

---

(١) سقط من (خ) .
(٢) لم أقف عليه .
(٣) ما بين المعترضتين سقط من (خ) .
(٤) من هامش الأصل .
(٥) لم أقف عليه ، وفي إسناده عبد الوهاب بن الضحاك ، هو السلمي العرضي أبو الحارث الحمصي ، تهذيب الكمال (٤٩٤/١٨) رقم (٣٦٠١) ، قال العقيلي في الضعفاء : متروك الحديث (٧٨/٣) رقم (١٠٤٤) ، وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : سمع منه أبي بالسليمة ، وترك حديثه والرواية عنه ، وقال : كان يكذب ... وحدث بأحاديث كثيرة موضوعة (٧٤/٦) رقم (٣٨١) ، وقال ابن حبان في المجروحين : كان يسر في الحديث ويرويه ... لا يحل الاحتجاج به ولا الذكر عنه إلا على جهة الاعتبار (١٤٧/٢) رقم (٧٥٦) .
(٦) في (خ) : الخلافة .
(٧) سبق في اللوحة رقم (٦٥/أ) .

السياسة لرعيتهم .

وحدثنا خلف ح حامد بن سهل أخ أحمد بن عثمان الأَوْدِيُّ ح محمد بن بشير (١) ح عبد اللَّه بن بشير (٢) عن معاوية البَصْرِيّ عن نهشل الضَّبِّيِّ (٣) عن الضحاك بن مزاحم عن علقمة والأسود عن عبد اللَّه أنه قال : [١٢٦٩] لوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْم صَانُوا العِلْمَ وَوَضَعُوه عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا أَهْلَ زَمَانِهِمْ ، وَلَكِنْ وَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ فَهَانُوا [٣٧٦/أ] عَلَيْهِمْ . سَمِعْتُ نَبِيَّكُم يَقُولُ : « **مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا - هَمَّ المَعَادِ - كَفَاهُ اللَّهُ تعَالى سَائِرَ هُمُومِهِ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ عَلَيْهِ هُمومُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ** » (٤) .

هلاك عمدتا الدين والدنيا السلطان والعلماء ، وسائر الناس تبع لهم ، فإذا انصرفوا من واجب حق اللَّه تعالى في عباده إلى حظوظ أنفسهم ، وطلبوا فيما ولاهم اللَّه من أمور عباده إرفاقهم ، واشتغلوا بشهوات أنفسهم الأمارة بالسوء عن مصالح عباده ، أسقطوا من مراتبهم ، وهانوا في الدنيا عند أهلها ، وفي الآخرة عند اللَّه ، وإذا أدوا حق اللَّه في عباده ، وآثروا عباده ، وصلاح المسلمين على حظوظهم ، كانوا في الذروة العليا ، والمرتبة الأعلى .

واللَّه الموفق لمراشد الأمور ، ويعصم من الهلاك والثبور ، إنه ملك غفور ، واللَّه أعلم .

---

(١) في (خ) : بشر .

(٢) في (خ) : نمير .

(٣) الضَّبِّيُّ : بفتح الضاد المعجمة ، والباء المكسورة المشددة المنقوطة بواحدة ، هذ النسبة إلى بني ضَبَّة ، وضبة قرية بالحجاز على ساحل البحر على طريق الشام ، الأنساب (٢٣٢/٣) .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بألفاظ مختلفة عن عبد اللَّه بن مسعود في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به (٩٥/١) رقم (٢٥٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٦/٧) رقم (٣٤٣١٣) ، والبزار في مسنده (٦٨/٥) رقم (١٦٣٨) ، والشاشي في مسنده بألفاظ متقاربة (٣٣٨/١) رقم (٣١٧) ، وابن عدي في الكامل وقال في نهشل - أحد رجال الإسناد : ليس بثقة ، ونقل عن إسحاق قوله في نهشل : كان كذابًا ، وعن النسائي قوله : متروك الحديث (٥٧/٧) رقم (١٩٨٦) ، وأخرجه الدارقطني في العلل (٤٢/٥) رقم (٦٨٨) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، وقال : غريب من حديث الأسود ، لم يرفعه إلا الضحاك ، ولا عنه إلا نهشل (١٠٥/٢) .



(٢٢١) باب في العجب والكبر

حديث آخر : [١٢٧٠] حدثنا عبد العزيز بن محمد ح محمد بن إبراهيم ح محمد ابن إسماعيل ح موسى بن جعفر ح ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **عَلَى ذِرْوَةِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ ، فَامْتَهِنُوهَا بِالرُّكُوبِ ، فَإِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّهُ** ﷻ » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **على ذروة كل بعير شيطان** » هو أن الإبل قد خلقت من الجن ، قال رسول الله ﷺ : [١٢٧١] « **صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ وَلَا تُصَلُّوا فِي مَعَاطِنِ** (٢) **الإِبِلِ ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الْجِنِّ ، أَلَا تَرَاهَا إِذَا نَفَرَتْ** » (٣) فإذا كانت الإبل من جنس الجن جاز أن تكون هي من مراكبها ، والشيطان من الجن ، قال

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن حمزة بن عمرو الأسلمي في كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا ركب (١٣٠/٦) رقم (١٠٣٣٨) ، والدارمي في سننه (٣٧١/٢) رقم (٢٦٦٧) ، والحاكم في المستدرك عن أبي لاس الخزاعي وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد صحيح وسكت عنه الذهبي (٦١٢/١) رقم (١٦٢٤) ، وبألفاظ متقاربة عن أبي هريرة (٦١٢/١) رقم (١٦٢٧) ، والبيهقي في سننه الكبرى بألفاظ مختلفة عن أبي لاس الخزاعي (٢٥٢/٥) رقم (١٠٠٩٩) ، وابن خزيمة في صحيحه (٧٣/٤) رقم (٢٣٧٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن حمزة بن عمرو الأسلمي (٩١/٦) رقم (٢٩٧٢٣) ، وابن سعد في الطبقات الكبرى عن أبي لاس الخزاعي (٢٩٧/٤) ، وابن عدي في الكامل عن أنس (٢٦١/٧) رقم (٢١٦٢) ، والطبراني في الكبير عن أبي لاس الخزاعي (٣٣٤/٢٢) رقم (٨٣٧) ، وفي الأوسط عن ابن عمر (٦/٧) رقم (٦٦٨٨) .

(٢) معاطن الإبل : العَطَنُ للإبل كالوَطَنِ للناس ، وقد غَلَبَ على مَبْرَكِها حولَ الحوض ... ومعنى مَعاطِنِ الإبل في الحديث مواضعُها . لسان العرب مادة (عطن) .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه بنحوه عن البراء بن عازب في كتاب الطهارة باب الوضوء من لحوم الإبل (٤٧/١) رقم (١٨٤) ، والترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مرابض الغنم وأعطان الإبل (١٨٠/٢) رقم (٣٤٨) ، وابن ماجه في سننه عن عبد الله بن مغفل في كتاب المساجد والجماعات باب الصلاة في أعطان الإبل ومراح الغنم (٢٥٣/١) رقم (٧٦٩) ، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة (٥٠٩/٢) رقم (١٠٦١٩) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤٤٩/٢) رقم (٤١٥١) ، وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن مغفل (٦٠١/٤) رقم (١٧٠٢) ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٧/١) رقم (٣٨٧٧) ، والطبراني في الأوسط عن عقبة بن عامر (٩٥/٨) رقم (٨٠٧٤) .

الله تعالى : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ [الكهف: ٥٠] ، فهما إذا كانا [(١)] من جنس واحد فلذلك كان الشيطان على ذروتها .

ويجوز أن يكون معنى [٣٧٦/ب] قوله : « **على ذروة كل بعير شيطان** » يعني به الفخر والعزة والكبر والعجب ، وذلك أن الإبل من أجلِّ أموال العرب ، ومن كانت له إبل كثيرة لم يؤمن عليه الإعجاب بها ، وقد قال ﷻ : ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦] ، ومن كان فيه الجمال خيف فيه العجب والفخر ، ألا ترى إلى ما روي عن النبي ﷺ فيما حدثنا حاتم ح يحيى ح [(٢)] الحِمَّانيُّ ح خالد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [١٢٧٢] « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَيْهِ بُرْدَانِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » [(٣)] ، فدل على أن الجمال من البردين كان سبب إعجابه ، والعجب سبب الكبر ، فإذا كان في الإبل جمال ، والجمال سبب الإعجاب ، وعلى ذروة [(٤)] كل بعير شيطان ، للمشاكلة ، والشيطان ينفخ في الإنسان ، ونفخه الكبر ، لم يؤمن من أن يتولد في نفس صاحبها العجب ، والإعجاب بالشيء يولد الكبر في الإنسان ، والكبر صفة الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴾ [البقرة: ٣٤] ، فكان معنى قوله : « **على ذروة كل بعير شيطان** » أي سبب يتولد منه الكبر .

ومما يؤيد ذلك أن الكبر والعجب نار ؛ لأنهما استعلاء وارتفاع ، ومن صفة النار أنها ترتفع إلى فوق ، وقد قال ﷻ في قصة إبليس : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ ﴾ الآية [الأعراف: ١٢] ، فكان كبره من جهة النار ، والإبل خلقت من الجن ، والجن خلق من نار، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الحجر: ٢٧] ، فالإبل من النار ، والشيطان من النار ، والكبر نار ، فجاز أن يكون [٣٧٧/أ] الناران إذا اجتمعتا ، وهما الكبر والإبل ، كان الشيطان الذي هو من نار ثالثهما ، فيجوز أن يكون في ذروة كل بعير شيطان ينفخ في الإنسان ، فيتولد فيه العجب والكبر .

ومعنى قوله : « **فامتهنوها بالركوب** » يجوز أن تكون الحدة والنارية التي خلقت [(٥)]

---

(١) سقط من (خ) .

(٢) سقط من (خ) .

(٣) سبق في اللوحة رقم (١٦/أ) .

(٤) من هامش الأصل .

(٥) سقط من (خ) .

في خلقة الإبل تنطفئ بالركوب ، وهو أن الإبل إذا ركبت ذلت ولانت ، فهي تمتهن بالركوب فتذل ، ويجوز أن تكون تلك النار التي في البعير من جهة الخلقة ، يطفئها بالركوب ؛ لأن المؤمن إذا ركب حمد اللّه وسبحه ، قال ﷻ : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ الآية [الزخرف : ١٢] ، فالمؤمن إذا ركب البعير وغيره من الأنعام سمى اللّه وسبحه وحمده ، فأطفأ تلك النار التي تولدها الإعجاب بها ، فلا يتعظم ولا يتكبر ، بل يستخذي ويتذلل للّه تعالى .

ويجوز أن يكون معناه أن الشيطان الذي هو من النار يخمد سلطانه ويبطل كيده إذا سمى المؤمن اللّه وسبحه ، فلا يعمل فيه نفخه ، وهو الكبر ، فيكون في امتهان الإبل بالركوب ذهاب الإعجاب ، وزوال علة الكبر ، وسقوط السبب المولد له ، فكأنه قال : سكنوا ذلك الكبر وأذلوا الشيطان الذي على ذروة البعير بالركوب المقرون بذكر اللّه ، المنفر للشيطان ، المبعد له .

حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح ابن المبارك عن أسامة بن زيد حدثني محمد بن حمزة [1] أنه سمع أباه يقول : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : [١٢٧٣] « **عَلَى ظَهْرِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ ، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلا تَقْصُرُوا عَنْ حَاجَتِكُمْ** » [2] . [٣٧٧/ب]

وقوله ﷺ : « **فإنما يحمل اللّه** » يجوز أن يكون معناه : كيف يعجب الإنسان بفعل غيره والحامل هو اللّه تعالى ؟! فمن علم ذلك برئ من العجب والكبر ، وقد قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، فالحامل اللّه ، وليس من حكم العاقل أن يعجب بفعل غيره .

ويجوز أن يكون معنى قوله : « **فإنما يحمل اللّه** » ؛ لأن الشيطان على ذروة البعير ، فلولا أن اللّه هو الذي يحمل وإلا لم يكن إلى ركوبه سبيل ؛ لأنه خلق من الجن ، وعلى ذروته شيطان ، ومعه نار الإعجاب ، فكيف يمكن ركوب الجن ومزاحمة الشيطان

---

(١) زاد في (خ) بعدها : ابن عمرو الأَسْلَمِيُّ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في مسنده بألفاظ متقاربة عن محمد بن حمزة الأسلمي عن أبيه (٤٩٤/٣) رقم (١٦٠٨٢) ، والحاكم في المستدرك بألفاظ مختلفة وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد على شرطه ووافقه الذهبي (٦١٢/١) رقم (١٦٢٦) ، وابن حبان في صحيحه بألفاظ متقاربة (٦٠٢/٤) رقم (١٧٠٣) ، والطبراني في الكبير بألفاظ مختلفة (١٦٠/٣) رقم (٢٩٩٤) .

ومقاربة النار لولا أن اللّٰه هو الذي يحمل بفضله ؟! وهو ذو الفضل العظيم ؛ فيطفئ النار، ويسخر الجن ، ويقمع الشيطان ، وسبحان اللّٰه العظيم .



٢٢٣ باب في المواجيد والأحوال

حديث آخر : [١٢٧٤] حدثنا حاتم ح يحيى ح الحِمَّانِيُّ ح أبو داود الطَّيَالِسِيُّ وح نصر ح أبو عيسى ح عباس الْعَنْبَرِيُّ ح أبو داود عن عمران القطان عن قتادة عن يزيد بن عبد اللّٰه بن الشخير عن حنظلة الأسدي (١) ﷺ قال : قال سول اللّٰه ﷺ: « **لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَأَظَلَّتْكُمُ الملائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا** » (٢) .

وفي حديث حاتم [١٢٧٥] : « **كَمَا أَنْتُمْ عِنْدِي** » (٣) .

قال الشيخ رحمه الله : يجوز أن يكون معنى قوله : « **لو أنكم تكونون** » في معانيكم وأحوالكم ، أي تكون تلك الحالة التي تكونون بها عندي حالتكم ومقامكم التي أحلكموها اللّٰه وأقامكم عليها لأظلتكم الملائكة ، ولكنها ليست بحالة لكم .

وحال العبد هو مقامه في سره ، وشهوده بقلبه وصفته [٣٧٨/أ] ومعناه ، وما كان كذلك فإنها تكون لازمة له ، لا ينتقل عنها في حال ، ولا يزول عنها بمعنى ، فأما كونهم عند النبي عليه السلام على ما كانوا عليه فإنها كانت مواجيد ، والمواجيد تجيء وتذهب؛ لأنها عوارض تنشأ في الأسرار من خارج .

قال بعض الكبار : (الوجد مقرون بالزوال ، والمعرفة ثابتة لا تزول) .

أنشدونا للحلاج رحمه الله :

الوجد يطرب من في الوجد راحته ... والوجد عند حضور الحق مفقود

وأنشدوني للشِّبْلِيِّ رحمه الله :

---

(١) في (خ) : الأسيدي .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بلفظه عن حنظلة الأسدي في كتاب صفة القيامة باب منه ، وقال : حسن غريب (٦٣٤/٤) رقم (٢٤٥٢) ، وأحمد في مسنده بألفاظ مختلفة (٣٤٦/٤) رقم ١٩٠٦٨) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده بألفاظ متقاربة (١٩١/١) رقم (١٣٤٥) .

(٣) الحديث أخرجه أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٤٠٧/٢) رقم (١٢٠٢) ، والطبراني في الكبير (١٢/٤) رقم (٣٤٩٣) .

الوجد عندي جحود ما لم يكن عن شهود وشاهد الحق عندي ينفي شهود الوجود

والدليل على أن الذي كانوا يكونون فيه عند النبي ﷺ لم يكن حالة لهم في حديث آخر : [١٢٧٦] « إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ كُنَّا كَذَا فَإِذَا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِكَ فَشَمَمْنَا الأَوْلادَ وَالأَمْوَالَ » [(١)] بمعنى [(٢)] ذكر في الحديث ، فأخبروا عن أنفسهم أنهم يجدون في أسرارهم عند كونهم عند النبي ﷺ خلاف المعهود ، ثم يزول ذلك عنهم إذا رجعوا من عنده ، وكان الذي يجدونه عند النبي ﷺ سلطان الحق وقوة سر النبي ﷺ ، ألا ترى إلى ما قال أنس ﷺ : [١٢٧٧] « مَا نَفَضْنَا أَيْدِيَنَا مِنْ دَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا » [(٣)] ؛ ذلك لأن سلطان النبوة زال عنهم ، وسلطان النبوة كان يقهر الأعداء ويجذب الأولياء ، فمن قَهْرِهِ [(٤)] الأعداءَ ما حدثنا المَحْمُودِيُّ ح نصر بن زكريا ح عمار ح سلمة ح محمد بن إسحاق حدثني عبد الملك بن [٣٧٨/ب] عبيد [(٥)] اللَّه بن أبي سفيان وكان واعية [(٦)] [١٢٧٨] أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَرَاشَةَ [(٧)] بَاعَ إِبِلًا لَهُ مِنْ أَبِي جَهْلٍ ، فَمَطَلَهُ بِأَثْمَانِهَا ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : خُذْ لِي حَقِّي مِنْهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : « **مُحَمَّدٌ ، فَاخْرُجْ إِلَيَّ** » . قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي وَجْهِهِ رَائِحَةٌ ، وَقَدْ انْتُقِعَ لَوْنُهُ [(٨)] فَقَالَ : « **أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ** » . قَالَ : نَعَمْ ، لا تَبْرَحْ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ . فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ لِلأَرَاشِيِّ : « **الْحَقْ بِشَأْنِكَ** » [(٩)] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها (٦٧٢/٤) رقم (٢٥٢٦) ، وابن حبان في صحيحه (٣٩٦/١٦) رقم (٧٣٨٧) ، وابن المبارك في الزهد (٣٨٠/١) رقم (١٠٧٥) ، ومحمد بن فضيل الضبي في كتاب الدعاء (٣١٧/١) رقم (١٢٨) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٣٣٧/١) رقم (٢٠٨٣) ، وعبد بن حميد في المنتخب (٤١٥/١) رقم (١٤٢٠) .

(٢) زاد في (خ) قبلها : وكنا كذا .

(٣) سبق في اللوحة رقم (٦٥/أ) .

(٤) في (خ) : قهرها .

(٥) في (خ) : عبد .

(٦) في هامش (خ) : أي حافظة .

(٧) أراشة : قبيلة . ا.هـ. كذا قال الأصبهاني في دلائل النبوة (١٩٦/١) رقم (٢٦٤) .

(٨) انتقع لونه : يقال : انْتُقِع لونُه وامْتُقِع إذا تَغَيَّر من خَوْفٍ أو ألمٍ ونحو ذلك . النهاية مادة (نقع) ، (١٠٨/٥) .

(٩) الحديث أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية بألفاظ مختلفة عن عبد الملك بن عبد اللَّه بن أبي سفيان الثقفي (٢٣٤/٢) ، والأصبهاني في دلائل النبوة (١٩٦/١) رقم (٢٦٤) .

فهذا من سلطان النبوة وقهر الحق للأعداء ، والذي يجده أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم عنده جذب الحق ، لقوة سر النبي ﷺ وسلطانه ، كأن يصرفهم عن الأشياء ، ويأخذهم عنها ، ويجذبهم منها ، من غير أن يكون ذلك حالة لهم ، فإذا خرجوا من عنده رجعوا إلى أحوالهم ، من النظر إلى الأولاد ، والشغل بالأموال ، فأخبرهم النبي ﷺ أن الذي يجدونه عند النبي ﷺ لو كانت حالة لهم ومقامهم لأظلتهم الملائكة بأجنحتها ، ألا ترى أنهم كانوا عند النبي ﷺ بتلك الصفة ولم تظلهم الملائكة ، والنبي ﷺ يقول : « **لو تكونون كما تكونون عندي لأظلتكم الملائكة** » ، وهم في وقتهم عند النبي ﷺ كذلك ، فكان يجب أن تظلهم في تلك الحال إن لم تظلهم إذا رجعوا من عنده ؛ لأن العلة الموجبة للشيء إذا وجدت وجب وجود معلولها ، فلما لم يوجد [٣٧٩/أ] علم أن العلة لم توجد ، وفي حديث : [١٢٧٩] « **لَصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ** » (١) ولم تصافحهم وهم عند النبي ﷺ ؛ لأنها لم تكن حالتهم ، ولكنها كانت سلطان الحق ، ولو كان الذي يجدونه حالهم لكانت ثابتة لهم ؛ لأنها لو كانت حالهم لكانت مواهب الله ، والله تعالى لا يرجع في هبته ، ولا يسلب كرامته ، والذي يدل على أن ذلك لم يكن حالاً لهم قوله في حديث الحِمَّانِيِّ : « **لو أنكم تكونون كما أنتم عندي** » ، يجوز أن يكون معناه تكونون عندي على خلاف ما أنتم عليه ، والذي أنتم عليه ليس لكم بحال ، ولهذا الكلام شرح طويل ليس هذا موضعه ، وقد وهم في هذا المعنى قوم لهم أخطار ، والخطأ فيه ليس بهين ولا بقليل ، والله يوفق من يشاء ، ويفتح على من يريد ، وهو الحميد المجيد (٢) .

وصلى الله على سيد الأولين والآخرين ، وخاتم النبيين ، وحبيب رب العالمين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليمًا كثيرًا ، والحمد لله على ما ألهم من

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه عن حنظلة الأسدي في كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة (٢١٠٦/٤) رقم (٢٧٥٠) ، والترمذي في جامعه في كتاب صفة القيامة باب منه ، وقال : حسن صحيح (٦٦٦/٤) رقم (٢٥١٤) ، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب المداومة على العمل (١٤١٦/٢) رقم (٤٢٣٩) ، وأحمد في مسنده (١٧٨/٤) رقم (١٧٦٤٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٣/٢) رقم (١٥٩) ، وابن حبان في صحيحه عن أنس (٥٥/٢) رقم (٣٤٤) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٨/٥) رقم (٣٠٣٥) ، والطبراني في الأوسط (١٢٩/٣) رقم (٢٦٩٦) .

(٢) إلى هنا نهاية النسخة (خ) وقد زاد في (خ) بعدها : والحمد لله على ما ألهم من الصواب ، وأستغفر الله من الخطأ والزلل وما يوجب العقاب ، وقد تم الكتاب .

الصواب ، وأستغفر اللَّه من الخطأ يوم الحساب ، والحمد للَّه رب العالمين .

وجملة الأحاديث المروية في هذا الكتاب من أوله إلى آخره مائتان واثنان وعشرون حديثًا مبشرة ، وثلاثمائة وسبعون حديثًا شواهد ، فتكون جملتها خمسمائة واثنان وتسعون حديثًا .

وقد تم كتاب معاني الأخبار ، تصنيف الشيخ الإمام الأجل ، الزاهد العارف ، ناصر الشريعة ، محيي السُّنة ، ماحي البدعة ، محمد بن إبراهيم الكلاباذي البُخَارِيٌّ - قدس اللَّه روحه ونور ضريحه - على يدي العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير ، أحوج خلق اللَّه إلى رحمة ربه الكريم ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن إبراهيم ، تاب اللَّه عليه وتولاه ، وجعل عقباه خيرًا من أولاه ، بالديار المصرية بالخانقاه المعمورة الملكية الناصرية - خلد اللَّه ملك واقفها - في رابع عشر جمادى الأولى ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة هجرية ، والحمد للَّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على شفيع المذنبين ، وقائد الغر المحجلين ، محمد وآله وصحبه أجمعين [٣٧٩/ب] .

* * *




بحر الفوائد

المشهور

بمعاني الأخبار

الفهارس




فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سُورَة الفَـاتِحَة		
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٥٦٣
سُورَة البَقَـرَة		
﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٣٤	٦٨٤
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾	٤٤	٥٧٢
﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾	٣٠	٦٨٤
﴿ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٣١	٩٠٣
﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾	٣٤	٩٦٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾	٢٦	٣٩٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٥٣	٩٠٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾	٢٢٢	٢٩٢ ، ٥٦٦ ، ٥٨٣ ، ٦٦٩
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	١٦٤	٩١٦
﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾	٣١	٥٠٥
﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	٥٠٥ ، ٦٨٤
﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	٥٠٥ ، ٩٥٩
﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾	١٥٣	٩٠٤

سُورَةُ النِّسَاء

سُورَة المَـائدة

سُورَة الأنعام

سُورَةُ الأعْـرَاف

سُورَة الأنفَال

سُورَة التوبة

سُورَة يُونس

سُورَة هُود

سُورَة يُوسُف

سُورَة الرَّعْد

سُورَة إبراهيم

سُورَة الحِجْر

سُورَة النَّحْل

سُورَة الإِسْرَاء

سُورَة الكهف

سُورَة مَريَم

سُورَة طه

سُورَة الأنبيـاء

سُورَة الحَـج

سُورَة المؤمنون

سُورَة النُّور

سُورَة الفُرْقان

سُورَة الشُّعَرَاء

سُورَة النَّمْل

سُورَة القَصَص

سُورَة العَنكبوت

سُورَة الرُّوم

سُورَة لقمَان

سُورَة السَّجْدَة

سُورَة الأحزَاب

سُورَة سَبَأ

سُورَة فَاطِر

سُورَة يس

سُورَةُ الصَّافات

سُورَةُ صٓ

سُورَةُ الزُّمَر

سُورَة غـافر

سُورَة فُصِّلَت

سُورَة الشورى

سُورَة الزُّخْرُف

سُورَة الجَاثِيَة

سُورَةُ الأحقاف

سُورَةُ محمد

سُورَةُ الفتح

سُورَة الحُجرَات

سُورَة قٓ

سُورَةُ الذَّارِيَات

سُورَةُ الطُّور

سُورَةُ النَّجْم

سُورَة الحديد

سُورَة المجادلة

سُورَة الحشر

سُورَةُ المُمْتَحِنَة

سُورَةُ الصَّف

سُورَةُ المنَافِقون

سُورَةُ التغَابُن

سُورَةُ الطَّلَاق

سُورَةُ التَّحْرِيم

سُورَةُ القَلَم

سُورَةُ الحَاقَّة

سُورَة الإنسان

سُورَة النازعات

سُورَة عبس

سُورَة الانفطار

سُورَة المطففين

سُورَة الانشقاق

سُورَة الأعلى

سُورَة الغَاشِيَة

سُورَة الفَجْر

سُورَة البَلَد

سُورَة الشَرْح

سُورَة العَلَق

سُورَة القَدْر

سُورَة الزَلزَلة

سُورَة العَاديَات

سُورَة القَارِعَة

سُورَة المَاعون

سُورَة الكَافِرون

سُورَة النَّصْر

سُورَة الإخلاص

سُورَة الفَلَق

* * *

فهرس الأحاديث

* * *

فهرس الأعلام المترجم لها

* * *

فهرس الأبيات الشعرية

* * *

فهرس المصادر

١ - **الإبانة عن أصول الديانة** : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ٣٢٤هـ ، تحقيق : د . فوقية حسين محمود ، ط دار الأنصار الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

٢ - **الآثار** : يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، أبو يوسف ١٨٢هـ ، تحقيق : أبو الوفا ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٣٥٥هـ .

٣ - **الآحاد والمثاني** : أحمد بن عمرو بن الضحاك ، أبو بكر الشيباني ٢٨٧هـ ، تحقيق : د . باسم فيصل ، ط دار الراية / الرياض الطبعة الأولى ١٩٩١م .

٤ - **الأحاديث المختارة** : عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط مكتبة النهضة الحديثة / مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٥ - **أحكام القرآن** : محمد بن إدريس الشافعي ، أبو عبد الله ٢٠٤هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٠هـ ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق .

٦ - **أحوال الرجال** : إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، أبو إسحاق ٢٥٩هـ ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي .

٧ - **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه** : محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي ، أبو عبد الله ٢٧٥هـ ، ط دار خضر / بيروت ١٤١٤هـ ، الطبعة الثانية ، تحقيق : د . عبد الملك عبد الله دهيش .

٨ - **الأدب المفرد** : محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخاري الجعفي ٢٥٦هـ ، ط دار البشائر الإسلامية / بيروت .

٩ - **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار** : محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، ط مكتبة القدس لنشر التراث الإسلامي ، الطبعة (بدون) .

١٠ - **الأربعين في دلائل التوحيد** : عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي ،

أبو إسماعيل ٤٨١هـ ، ط المدينة المنورة ١٤٠٤هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د . علي ابن محمد بن ناصر الفقيهي .

١١ – **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** : محمد بن محمد العمادي ، أبو السعود ٩٥١هـ ، ط دار إحياء التراث العربي / بيروت .

١٢ – **الإرشاد في معرفة علماء الحديث** : الخليل بن عبد اللّٰه بن أحمد الخليلي القزويني ، أبو يعلى ٤٤٦هـ ، تحقيق : د . محمد سعيد عمر إدريس ، ط مكتبة الرشد / الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

١٣ – **الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية** : محمد محمد محمد سالم محيسن ، ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧١م .

١٤ – **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى** : ملا علي القاري ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

١٥ – **أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب** : محمد بن السيد درويش الحوت ١٢٧٦هـ ، ط دار الكتاب العربي / بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، تحقيق : خليل الميس .

١٦ – **الإصابة في تمييز الصحابة** : أحمد بن علي بن حجر ، أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٢ هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط دار الجيل / بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

١٧ – **الأعلام** : خير الدين الزركلي ، ط . دار العلم للملايين ، الطبعة التاسعة ١٩٩٠م .

١٨ – **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى** : علي بن هبة اللّٰه بن أبي نصر بن ماكولا ٤٧٥هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٤١١هـ ، الطبعة الأولى .

١٩ – **أمالي المحاملي – رواية ابن يحيى البيع** : الحسين بن إسماعيل الضبي المحاملي ،

أبو عبد اللّه ٣٣٠هـ ، تحقيق : د . إبراهيم القيسي ، ط المكتبة الإسلامية ، دار ابن القيم / عمان - الأردن ، الدمام ، الأولى ١٤١٢هـ .

٢٠ - **الأولياء** : عبد اللّه بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي ، أبو بكر ٢٨١هـ ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٢١ - **الإيمان** : محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ٣٩٥هـ ، تحقيق : د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٢٢ - **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر ٤٦٣هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط دار الجيل / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٢٣ - **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث** : أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، ط دار الآفاق الجديدة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .

٢٤ - **الأغاني** : أبو الفرج الأصفهاني ٣٥٦هـ ، تحقيق : سمير جابر ، ط دار الفكر / بيروت ، الطبعة الثانية .

٢٥ - **البحر الرائق شرح كنـز الدقائق** : زين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر ٩٧٠هـ ، طبعة دار المعرفة / بيروت .

٢٦ - **البحر الزخار** : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ٢٩٢هـ ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين اللّه ، ط مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٢٧ - **البداية والنهاية** : إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، أبو الفداء ٧٧٤هـ ، ط مكتبة المعارف / بيروت .

٢٨ - **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث** : الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي ٢٨٢هـ ، تحقيق : د . حسين أحمد صالح الباكري ، ط مركز خدمة

السنة والسيرة النبوية / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٢٩ - **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف** : إبراهيم بن محمد الحسيني ١١٢٠هـ ، تحقيق : سيف الدين الكاتب ، ط دار الكتاب العربي / بيروت ١٤٠١هـ .

٣٠ - **تأويل مختلف الحديث** : عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الدينوري ٢٧٦هـ ، تحقيق : محمد زهري النجار ، ط دار الجيل / بيروت طبعة ١٩٧٢م .

٣١ - **تاج التراجم في من صنف من الحنفية** : الحافظ زين الدين أبي العدل قاسم بن قطلوبغا الحنفي ٨٧٩هـ ، تحقيق : إبراهيم صالح ، ط دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٣٢ - **تاج العارفين دراسات ونصوص منشورة وغير منشورة** : تحقيق وتعليق : د . محمد مصطفى ، ط دار الطباعة المحمدية / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٣٣ - **تاريخ الأدب العربي** : كارل بروكلمان ، ط دار المعارف ، الطبعة الخامسة .

٣٤ - **تاريخ الأمم والملوك** : محمد بن جرير الطبري ، أبو جعفر ٣١٠هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

٣٥ - **تاريخ التراث العربي** : فؤاد سزكين ، ط إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٣م .

٣٦ - **تاريخ الصغير (الأوسط)** : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخاري الجعفي ٢٥٦هـ ، ط دار الوعي ، مكتبة دار التراث / حلب ، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد .

٣٧ - **التاريخ الكبير** : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله البخاري الجعفي ٢٥٦هـ ، تحقيق : السيد هاشم الندوي ، ط دار الفكر .

٣٨ - **تاريخ بغداد** : أحمد بن علي ، أبو بكر الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت الطبعة (بدون) .

٣٩ - **تاريخ جرجان** : حمزة بن يوسف ، أبو القاسم الجرجاني ٣٤٥هـ ، تحقيق :

د . محمد عبد المعيد خان ، ط عالم الكتب / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨١م .

٤٠ – **تاريخ دمشق** : ابن عساكر (قرص ليزر ، إصدار دار التراث لأبحاث الحاسب الآلي ، الإصدار الأول ١٩٩٩م) .

٤١ – **تاريخ مولد العلماء ووفياتهم** : محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي٣٩٧هـ ، تحقيق : د . عبد الله أحمد سليمان الحمد ، ط دار العاصمة / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٤٢ – **تاريخ واسط** : أسلم بن سهل الرزاز الواسطي ٢٩٢هـ ، تحقيق : كوركيس عواد ، ط عالم الكتب / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٤٣ – **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، أبو العلا ١٣٥٣هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة (بدون) .

٤٤ – **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار** : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي ٧٩٥ هـ ، ط مكتبة دار البيان / دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

٤٥ – **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي ٩١١هـ ، ط دار الفكر ١٩٩٣م ، تحقيق : الشيخ عرفان عبد القادر حسونة العشا .

٤٦ – **التدوين في أخبار قزوين** : عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، تحقيق : عزيز الله العطاردي ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٨٧م .

٤٧ – **تذكرة الحفاظ** : محمد بن طاهر بن القيسراني ٥٠٧هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي ، ط دار الصميعي / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٤٨ – **تذكرة الموضوعات** : محمد طاهر بن علي الهندي الفتني ٩٨٦هـ ، ط دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ١٣١٩هـ .

٤٩ – **التذكرة في الأحاديث المشتهرة** : بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

٥٠ - **التراجم الساقطة من الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث** : عبد الله ابن عدي بن عبد الله بن محمد بن المبارك ، أبو أحمد الجرجاني ٣٦٥هـ ، ط مكتبة ابن تيمية / القاهرة ، الطبعة الأولى١٩٩٣م ، تحقيق : أبو الفضل عبد المحسن الحسيني .

٥١ - **ترتيب الموضوعات** : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، أبو عبد الله ٧٤٨هـ ، ط دار الكتب العلمية / الأولى ١٤١٥هـ ، بيروت ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول .

٥٢ - **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** : عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، أبو محمد ٦٥٦هـ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٥٣ - **تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم وما انفرد كل واحد منهما** : محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري الحاكم ، أبو عبد الله ٤٠٥هـ ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الجنان / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

٥٤ - **تسمية من لم يرو عنه غير رجل واحد** : أحمد بن شعيب ، أبو عبد الرحمن النسائي ، مراجعة : محمود إبراهيم زايد ، ط دار الوعي / حلب ١٣٦٩هـ .

٥٥ - **التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح** : سليمان بن خلف ابن سعد ، أبو الوليد الباجي ٤٧٤هـ ، تحقيق : د . أبو لبابة حسين ، ط دار اللواء للنشر والتوزيع / الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

٥٦ - **التعرف لمذهب أهل التصوف** : أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ٣٨٠هـ ، تحقيق : محمود أمين النواوي ، ط المكتبة الأزهرية للتراث ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٠هـ ، تحقيق الشيخ : عبد الحليم محمود ، طه عبد الباقي سرور ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، تحقيق : أحمد شمس الدين .

٥٧ - **التعريفات** : علي بن محمد بن علي الجرجاني ٨١٦هـ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٥٨ - **تعظيم قدر الصلاة** : محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، أبو عبد الله ٢٩٤هـ ،

تحقيق : د . عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، ط مكتبة الدار / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٥٩ – **تغليق التعليق على صحيح البخاري** : أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن موسى القزقي ، ط المكتب الإسلامي ، دار عمار / بيروت ، عمان – الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٦٠ – **تفسير البيضاوي** : البيضاوي ٧٩١هـ ، تحقيق : عبد القادر عرفات العشا حسونة ، ط دار الفكر / بيروت ١٩٩٦م .

٦١ – **تفسير القرآن العظيم** : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، أبو الفداء ٧٧٤هـ ، ط دار الفكر / بيروت ١٤٠١هـ .

٦٢ – **تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل** : عبد اللَّه بن أحمد بن محمود النسفي ، مراجعة الشيخ : إبراهيم محمد رمضان ، ط دار القلم / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

٦٣ – **تقريب التهذيب** : أحمد بن علي بن حجر ، أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٢هـ ، تحقيق : محمد عوامة ، ط . دار الرشيد / سوريا ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

٦٤ – **التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير** : أحمد بن علي بن حجر ، أبو الفضل العسقلاني ٨٥٢هـ ، تحقيق : السيد عبد اللَّه هاشم اليماني المدني ، ط المدينة المنورة ، ١٩٦٤م .

٦٥ – **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** : أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه بن عبد البر النمري ٤٦٣هـ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكر ، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية / المغرب ١٣٨٧هـ .

٦٦ – **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة** : علي بن محمد بن علي ابن عراق الكناني ، أبو الحسن ٩٦٣هـ ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، عبد اللَّه محمد الصديق الغماري ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

٦٧ – **تهذيب التهذيب** : أحمد بن علي بن حجر ، أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٢هـ ،

ط دار الفكر / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٦٨ - **تهذيب الكمال** : يوسف بن الزكي عبد الرحمن ، أبو الحجاج المزي ٧٤٢هـ ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

٦٩ - **التواضع والخمول** : عبد الله بن محمد ، أبو بكر المعروف بابن أبي الدنيا القرشي ٢٨١هـ ، مراجعة : محمد عبد القادر أحمد عطا ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٨٩م .

٧٠ - **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم** : أحمد بن إبراهيم بن عيسى ١٣٢٩هـ ، ط المكتب الإسلامي / بيروت ١٤٠٦هـ ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : زهير الشاويش .

٧١ - **التوقيف على مهمات التعاريف** : محمد عبد الرؤوف المناوي ١٠٣١هـ ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، ط دار الفكر المعاصر / بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٧٢ - **الثقات** : محمد بن حبان بن أحمد ، أبو حاتم التميمي البستي ٣٥٤هـ ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م .

٧٣ - **الجامع (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج١٠)** : معمر بن راشد الأزدي ١٥١هـ ، تحقيق : حبيب الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٧٤ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، أبو جعفر ٣١٠هـ ، ط دار الفكر / بيروت ١٤٠٥هـ .

٧٥ - **جامع التحصيل في أحكام المراسيل** : أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي ، أبو سعيد العلائي ٧٦١هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفيط ، عالم الكتب / بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

٧٦ - **الجامع الصحيح المختصر** : محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخاري الجعفي ٢٥٦هـ ، تحقيق : د . مصطفى ديب البغا ، ط . دار ابن كثير ، اليمامة / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .

٧٧ - **الجامع الصحيح سنن الترمذي** : محمد بن عيسى ، أبو عيسى الترمذي السلمي ٢٧٩هـ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، طبعة دار إحياء التراث العربي / بيروت ، الطبعة (بدون) .

٧٨ - **الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب** : الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ، تحقيق : محمد إدريس ، عاشور بن يوسف ، ط دار الحكمة ومكتبة الاستقامة / بيروت ، سلطنة عمان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٧٩ - **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم** : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ٧٥٠هـ ، ط دار المعرفة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٨٠ - **الجامع لأحكام القرآن** : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ، أبو عبد الله ٦٧١هـ ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، ط دار الشعب / القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ .

٨١ - **الجامع لشعب الإيمان** : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبو بكر البيهقي ٤٥٨هـ ، تحقيق ومراجعة وتخريج : د . عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط الدار السلفية / بومباي الهند ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

٨٢ - **الجرح والتعديل** : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس ، أبو محمد الرازي التميمي ٣٢٧هـ ، ط دار إحياء التراث العربي / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٥٢م .

٨٣ - **جزء البطاقة** : حمزة بن محمد بن علي بن العباس ، أبو القاسم الكناني ٣٥٧هـ ، تحقيق : عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر ، ط مكتبة دار السلام / الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٨٤ - **جزء فيه أحاديث نافع بن أبي نعيم** : محمد بن إبراهيم المقرئ ، أبو بكر ٣٨١هـ ، تحقيق : أبو الفضل الحويني الأثري ، ط دار الصحابة للتراث / طنطا ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٨٥ - **جزء فيه مجلسان من إملاء النسائي** : أحمد بن شعيب النسائي ،

أبو عبد الرحمن ٣٠٣هـ ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط دار ابن الجوزي / الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٨٦ - **الجهاد** : أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ، أبو بكر ٢٨٧هـ ، تحقيق : مساعد بن سليمان الراشد الجميد ، ط مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٨٧ - **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** : محيي الدين أبي محمد عبد القادر ابن أبي الوفاء الحنفي المصري ، ط مجلس دائرة المعارف النظامية / الهند ، الطبعة الأولى .

٨٨ - **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** : محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي ٧٧٥هـ ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م ، تحقيق : د . عبد الفتاح الحلو .

٨٩ - **حجة القراءات** : عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، أبو زرعة ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

٩٠ - **حسن الأثر فيما ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر** : محمد بن السيد الحوت ، ط دار المعرفة ، الطبعة (بدون) .

٩١ - **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ ، ط دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

٩٢ - **خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي** : عمر بن علي بن الملقن الأنصاري ٨٠٤هـ ، ط مكتبة الرشد / الرياض ١٤١٠هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي .

٩٣ - **خلق أفعال العباد** : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخاري الجعفي ٢٥٦هـ ، تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة ، ط دار المعارف السعودية / الرياض سنة النشر ١٩٧٨م .

٩٤ - **دائرة المعارف أو مقتبس الأثر ومجدد ما دثر** : محمد الحسين الأعلمي الحائري ١٣٩٤هـ ، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ .

٩٥ - **الدر المنثور** : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ٩١١هـ ، ط دار الفكر / بيروت ١٩٩٣م .

٩٦ - **الدراية في تخريج أحاديث الهداية** : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، أبو الفضل ٨٥٢هـ ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ، ط دار المعرفة / بيروت .

٩٧ - **الدعاء** : سليمان بن أحمد الطبراني ، أبو القاسم ٣٦٠هـ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٩٨ - **دلائل النبوة** : إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني ٥٣٥هـ ، ط دار طيبة / الرياض ١٤٠٩هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد محمد الحداد .

٩٩ - **الديباج على صحيح مسلم** : عبد الرحمن بن أبي بكر ، أبو الفضل السيوطي ٩١١هـ ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط دار ابن عفان / الخبر - السعودية ١٩٩٦م .

١٠٠ - **شرح ديوان الحماسة** : أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ٤٢١هـ ، نشره أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

١٠١ - **ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم** : أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ٣٨٥هـ ، تحقيق : بوران الضناوي ، كمال يوسف الحوت ، ط مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

١٠٢ - **رؤية الله** : علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ٣٨٥هـ ، تحقيق : مبروك إسماعيل مبروك ، ط مكتبة القرآن / القاهرة .

١٠٣ - **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة** : محمد بن جعفر الكتاني ١٣٤٥هـ ، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني ، ط دار البشائر الإسلامية / بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٦م .

١٠٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي ،

أبو الفضل ١٢٧٠هـ ، ط دار إحياء التراث العربي / بيروت .

١٠٥ – **الروض الداني (المعجم الصغير)** : سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم الطبراني ٣٦٠هـ ، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج أمرير ، ط المكتب الإسلامي ، دار عمار / بيروت ، عمان ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

١٠٦ – **الروضة الريا فيمن دفن بداريا** : عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادي ١٠٥١هـ ، تحقيق : عبده علي الكوشك ، ط دار المأمون للتراث / دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

١٠٧ – **زاد المسير في علم التفسير** : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٥٩٧هـ ، ط المكتب الإسلامي / بيروت ١٤٠٤هـ ، الطبعة الثالثة .

١٠٨ – **الزهد ويليه الرقائق** : عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي ، أبو عبد الله ١٨١هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط دار الكتب العلمية / بيروت .

١٠٩ – **الزهد** : أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، أبو بكر ٢٨٧هـ ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط دار الريان للتراث / القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ .

١١٠ – **الزهد** : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ٢٤١هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٣٩٨هـ .

١١١ – **الزهد** : هناد بن السري الكوفي ٢٤٣هـ ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي / الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١١٢ – **السنة** : أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر ٣١١هـ ، تحقيق : د . عطية الزهراني ، ط دار الراية / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

١١٣ – **السنة** : عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ٢٩٠هـ ، تحقيق : د . محمد سعيد سالم القحطاني ، ط دار ابن القيم / الدمام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١١٤ – **السنة** : عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ٢٨٧هـ ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتب الإسلامي / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

١١٥ – **السنة** : محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله ٢٩٤هـ ، تحقيق :

سالم أحمد السلفي ، ط مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

١١٦ – **سنن أبي داود** : سليمان بن الأشعث ، أبو داود السجستاني الأزدي ٢٧٥هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الفكر .

١١٧ – **سنن ابن ماجه** : محمد بن يزيد ، أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ٢٧٥هـ ، ط دار الفكر / بيروت .

١١٨ – **سنن البيهقي الكبرى** : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، أبو بكر البيهقي ٤٥٨هـ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط مكتبة دار الباز / مكة المكرمة ، سنة النشر ١٩٩٤م .

١١٩ – **سنن الدارقطني** : علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ٣٨٥هـ ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، ط دار المعرفة / بيروت سنة النشر ١٩٦٦م .

١٢٠ – **سنن الدارمي** : عبد الله بن عبد الرحمن ، أبو محمد الدارمي٢٥٥هـ ، تحقيق : فواز أحمد ، ط دار الكتاب العربي / بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٢١ – **السنن الكبرى** : أحمد بن شعيب ، أبو عبد الرحمن النسائي ٣٠٣هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١م .

١٢٢ – **سنن سعيد بن منصور** : سعيد بن منصور ٢٢٧هـ ، تحقيق : د . سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ، ط دار العصيمي / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

١٢٣ – **سير أعلام النبلاء** : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، أبو عبد الله ٧٤٨هـ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣هـ ، الطبعة التاسعة .

١٢٤ – **السيرة النبوية لابن هشام** : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ٢١٣هـ ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ط دار الجيل / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

١٢٥ – **الشذرة في الأحاديث المشتهرة** : محمد بن طولون الصالحي ٩٥٣هـ ، تحقيق : كمال بن بسيوني زغلول ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

١٢٦ - **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة** : هبة اللّٰه بن الحسن بن منصور اللالكائي ، أبو القاسم ٤١٨هـ ، تحقيق : د . أحمد سعد حمدان ، ط دار طيبة / الرياض ١٤٠٢هـ .

١٢٧ - **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك** : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ١١٢٢هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، رقم الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

١٢٨ - **شرح معاني الآثار** : أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة ، أبو جعفر الطحاوي ٣٢١هـ ، تحقيق : محمد زهري النجار ، ط دار الكتب العلمية / بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

١٢٩ - **شعب الإيمان** : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

١٣٠ - **الشكر** : عبد اللّٰه بن محمد أبو بكر القرشي ٢٨١هـ ، تحقيق : بدر البدر ، ط المكتب الإسلامي / الكويت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م .

١٣١ - **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية** : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، أبو عيسى ٢٧٩هـ ، تحقيق : سيد عباس الجليمي ، ط مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

١٣٢ - **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** : محمد بن حبان بن أحمد ، أبو حاتم التميمي البستي ٣٥٤هـ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م .

١٣٣ - **صحيح ابن خزيمة** : محمد بن إسحاق بن خزيمة ، أبو بكر السلمي النيسابوري ٣١١هـ ، تحقيق : د . محمد مصطفى الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي / بيروت ١٩٧٠م .

١٣٤ - **صحيح البخاري** : محمد بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري ٢٥٦هـ ، ط مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ١٩٥٣م ، طبعة دار ابن كثير / اليمامة (بيروت) ، ط الثالثة ١٩٨٧م ، تحقيق : د / مصطفى ديب البغا .

١٣٥ - **صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)** : محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م .

١٣٦ - **صحيح مسلم** : مسلم بن الحجاج ، أبو الحسين القشيري النيسابوري ٢٦١هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي / بيروت .

١٣٧ - **الصفات** : علي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـ ، تحقيق : عبد الله الغنيمان ، ط مكتبة الدار / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

١٣٨ - **صفة الصفوة** : عبد الرحمن بن علي بن محمد ، أبو الفرج ٥٩٧هـ ، تحقيق : محمود فاخوري - د . محمد رواس قلعه جي ، ط دار المعرفة / بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

١٣٩ - **الصمت وآداب اللسان** : عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبيس الدنيا ، أبو بكر ٢٨١هـ ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني ، ط دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

١٤٠ - **الضعفاء الصغير** : محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله البخاري الجعفي ٢٥٦هـ ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط دار الوعي / حلب ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ .

١٤١ - **الضعفاء الكبير** : أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ٣٢٢ هـ ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، ط . دار المكتبة العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

١٤٢ - **الضعفاء والمتروكين** : أحمد بن شعيب النسائي ٣٠٣هـ ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط دار الوعي / حلب ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ .

١٤٣ - **الضعفاء والمتروكين** : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، أبو الفرج ٥٧٩هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٦هـ .

١٤٤ - **الضعفاء** : أحمد بن عبد الله بن أحمد ، أبو نعيم الأصبهاني الصوفي ٤٣٠هـ ، ط دار الثقافة / الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م ، تحقيق : فاروق حمادة .

١٤٥ – **ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)** : محمد ناصر الدين الألباني ، ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

١٤٦ – **طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات** : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي ٤١٢هـ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

١٤٧ – **طبقات الصوفية** : أبو عبد الرحمن السلمي ٤١٢هـ ، تحقيق : نور الدين شريبة ، ط دار الكتاب العربي بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٥٣م .

١٤٨ – **الطبقات الكبرى** : محمد بن سعد بن منيع ، أبو عبد اللّه البصري الزهري ٢٣٠هـ ، ط دار صادر / بيروت .

١٤٩ – **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها** : عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن حيان ، أبو محمد الأنصاري ٣٦٩هـ ، تحقيق : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م .

١٥٠ – **طبقات المدلسين** : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٢هـ ، تحقيق : د . عاصم بن عبد اللّه القريوتي ، ط مكتبة المنار / عمان الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

١٥١ – **طبقات المفسرين** : أحمد بن محمد الأدنروي ، ط مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ١٩٩٧م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي .

١٥٢ – **العظمة** : عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ، أبو محمد ٣٦٩هـ ، تحقيق : رضاء اللّه بن محمد إدريس المباركفوري ، ط دار العاصمة / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

١٥٣ – **العقل وفضله** : عبد اللّه بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي ٢٨١هـ ، تحقيق : لطفي محمد الصغير ، ط دار الراية / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

١٥٤ – **علل الحديث** : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن مهران الرازي أبو محمد المعروف بابن أبي حاتم ٣٢٧هـ ، تحقيق : محب الدين الخطيب ،

ط دار المعرفة / بيروت، سنة النشر ١٤٠٥هـ .

١٥٥ – **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية** : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ٥٩٧هـ ، تحقيق : خليل الميس ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

١٥٦ – **العلل الواردة في الأحاديث النبوية** : علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ، أبو الحسن الدارقطني البغدادي ٣٨٥هـ ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين اللّٰه السلفي ، ط دار طيبة / الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

١٥٧ – **عمل اليوم والليلة** : أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، أبو عبد الرحمن ٣٠٣هـ ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، تحقيق : د . فاروق حمادة .

١٥٨ – **عناية المسلمين بالسنة ومدخل لعلوم الحديث** : د .محمد حسين الذهبي ، ط مكتبة شباب الأزهر ، الطبعة (بدون) .

١٥٩ – **عوارف المعارف مع إحياء علوم الدين** : السهروردي ، ط دار الكتب العلمية/ بيروت ، الطبعة (بدون) .

١٦٠ – **عون المعبود شرح سنن أبي داود** : محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .

١٦١ – **غريب الحديث** : عبد اللّٰه بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ٢٧٦هـ ، تحقيق : د . عبد اللّٰه الجبوري ، ط مطبعة العاني / بغداد ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

١٦٢ – **الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة** : أبو الحسن نور الدين السمهودي ٩١١هـ ، تحقيق : محمد إسحاق محمد إبراهيم السلفي ، ط . دار اللواء للنشر والتوزيع / السعودية ، الطبعة الأولى ١٩٨١م .

١٦٣ – **غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة** : خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، أبو القاسم ٥٧٨هـ ، تحقيق : د . عز الدين علي السيد ،

محمد كمال الدين عز الدين ، ط عالم الكتب / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٦٤ - **مجموع فتاوى ابن تيمية** : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي ، الطبعة السعودية الأولى .

١٦٥ - **فتح الباري شرح صحيح البخاري** : أحمد بن علي بن حجر ، أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٢هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب ، ط دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩هـ .

١٦٦ - **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** : محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ١٢٥٠هـ ، ط دار الفكر / بيروت .

١٦٧ - **الفردوس بمأثور الخطاب** : أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني ٥٠٩هـ ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

١٦٨ - **فضائل التسمية بأحمد ومحمد** : الحسين بن أحمد بن عبد اللّٰه بن بكير ٣٨٨هـ ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، ط دار الصحابة للتراث / طنطا ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

١٦٩ - **فضائل الصحابة** : أحمد بن حنبل ، أبو عبد اللّٰه الشيباني ٢٤١هـ ، تحقيق : د . وصي اللّٰه محمد عباس ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

١٧٠ - **فضيلة الشكر للّٰه على نعمته** : محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري ، أبو بكر ٣٢٧هـ ، تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، د . عبد الكريم اليافي ، ط دار الفكر / دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

١٧١ - **فقه السيرة** : محمد الغزالي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثامنة ١٩٨٢م .

١٧٢ - **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط** : ط المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت / ١٩٩١م .

١٧٣ - **فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية** : تصنيف : فؤاد سيد ،

أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية سابقًا ، القاهرة ١٩٨٨م .

١٧٤ – **الفهرست** : محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ٣٨٥هـ ، ط دار المعرفة / بيروت ١٩٧٨م .

١٧٥ – **الفوائد البهية في تراجم الحنفية مع التعليقات السنية على الفوائد البهية للمؤلف** : أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٢٤هـ ، تصحيح : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني .

١٧٦ – **فوائد العراقيين** : محمد بن علي بن عمرو النقاش أبو سعيد ٤١٤هـ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، ط مكتبة القرآن / القاهرة .

١٧٧ – **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة** : محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، ط مطبعة السنة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٩٦٠م .

١٧٨ – **فيض القدير شرح الجامع الصغير** : عبد الرؤوف المناوي ، ط المكتبة التجارية الكبرى / مصر ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .

١٧٩ – **القاموس المحيط** : الفيروزآبادي ، ط : دار المأمون للتراث ١٩٣٨م .

١٨٠ – **القدر وما ورد في ذلك من الآثار** : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ١٩٧هـ ، تحقيق : د . عبد العزيز عبد الرحمن العثيم ، ط دار السلطان / مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

١٨١ – **قضاء الحوائج** : عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا أبو بكر ٢٨١هـ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، ط مكتبة القرآن / القاهرة .

١٨٢ – **القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد** : أحمد بن علي العسقلاني ، أبو الفضل ٨٥٢هـ ، ط مكتبة ابن تيمية / القاهرة ١٤٠١هـ ، الطبعة الأولى .

١٨٣ – **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة** : حمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي ٧٤٨هـ ، تحقيق : محمد عوامة ، ط دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو / جدة ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

١٨٤ – **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف مع الكشاف عن حقائق التنـزيل للزمخشري** : الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ، ط دار المعرفة ، الطبعة (بدون) .

١٨٥ – **الكامل في ضعفاء الرجال** : عبد اللّه بن عدي بن عبد اللّه بن محمد ، أبو أحمد الجرجاني ٣٦٥هـ ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي ، ط دار الفكر/ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م .

١٨٦ – **كتاب الأنساب** : عبد الكريم بن محمد بن منصور الخراساني ، أبو سعد ٥٦٢هـ ، ط دار إحياء التراث العربي / بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، تقديم : محمد أحمد حلاق .

١٨٧ – **كتاب الدعاء** : أبو عبد الرحمن محمد بن فضيل بن غزوان الضبي ١٩٥هـ ، ط مكتبة الرشيد/ الرياض ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، تحقيق : د .عبد العزيز ابن سليمان بن إبراهيم البعيمي .

١٨٨ – **كتاب الزهد الكبير** : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد اللّه بن موسى البيهقي ٤٥٨هـ ، تحقيق الشيخ : عامر أحمد حيدر ، ط مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .

١٨٩ – **كتاب الفتن** : نعيم بن حماد المروزي ، أبو عبد اللّه ٢٨٨هـ ، تحقيق : سمير أمين الزهيري ، ط مكتبة التوحيد / القاهرة ، الطبعة الأولى١٤١٢هـ .

١٩٠ – **كتاب المصنف في الأحاديث والآثار** : أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ٢٣٥هـ ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط . مكتبة الرشد / الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

١٩١ – **كتاب جمهرة الأمثال** : أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، ط دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م .

١٩٢ – **كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير** : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس ٧٢٨هـ ، ط مكتبة ابن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم النجدي .

١٩٣ - **الكرم والجود وسخاء النفوس** : محمد بن الحسين البرجلاني ، أبو الشيخ ٢٣٨هـ ، تحقيق : د . عامر حسن صبري ، ط دار ابن حزم / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

١٩٤ - **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث** : إبراهيم بن محمد بن سبط بن العجمي ، أبو الوفا الحلبي الطرابلسي ٨٤١هـ ، تحقيق : صبحي السامرائي ، ط عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

١٩٥ - **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** : إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ١١٦٢هـ ، تحقيق : أحمد القلاش ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

١٩٦ - **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** : مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة ١٠٦٧هـ ، ط دار الفكر / بيروت ١٩٩٤م .

١٩٧ - **الكفاية في علم الرواية** : أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ ، ط المكتبة العلمية / المدينة المنورة ، تحقيق : أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني .

١٩٨ - **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ٩٧٥هـ ، ضبط الشيخ : بكري حياني ، تصحيح الشيخ : صفوة السقا ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ١٩٨٥م .

١٩٩ - **الكنى والأسماء** : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين ٢٦١هـ، تحقيق : عبد الرحيم محمد أحمد القشقري ، ط الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

٢٠٠ - **الكنى** : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله البخاري الجعفي ٢٥٦هـ، ط دار الفكر / بيروت ، تحقيق : السيد هاشم الندوي .

٢٠١ - **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة** : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ، ط دار المعرفة / بيروت .

٢٠٢ - **لسان العرب** : ابن منظور ، ط دارالمعارف ، الطبعة (بدون) .

٢٠٣ - **لسان الميزان** : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٢هـ ، تحقيق : دائرة المعرف النظامية / الهند ، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م .

٢٠٤ - **المجتبى من السنن** : أحمد بن شعيب ، أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ٣٠٣هـ ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية / حلب ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

٢٠٥ - **المجروحين** : أبو حاتم محمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، ط دار الوعي / حلب .

٢٠٦ - **مجمع الأمثال** : أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧م .

٢٠٧ - **مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي** : أحمد قبّش .

٢٠٨ - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ ، ط دار الريان للتراث / القاهرة ، دار الكتاب العربي / بيروت ١٤٠٧هـ .

٢٠٩ - **مختار الصحاح** : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط مكتبة لبنان / بيروت ١٩٨٧م .

٢١٠ - **مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين** : الدكتور نافذ حسين حماد ، ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٢١١ - **مداخل المؤلفين والأعلام العرب حتى عام ١٢١٥هـ = ١٨٠٠م** : فكري زكي الجزار ، ط مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية السلسلة الثالثة (٤) الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

٢١٢ - **المراسيل** : سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود ٢٧٥هـ ، تحقيق :

شعيب الأرناؤوط ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٢١٣ - **المراسيل** : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ٣٢٧هـ ، تحقيق : شكر الله نعمة الله قوجاني ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

٢١٤ - **المرض والكفارات** : عبد الله بن محمد أبو بكر المعروف بابن أبي الدنيا ٢٨١هـ ، مراجعة : عبد الوكيل الندوي ، ط الدار السلفية / بومباي ١٩٩١م .

٢١٥ - **المستدرك على الصحيحين** : محمد بن عبد الله ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية / بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

٢١٦ - **مسند أبي داود الطيالسي** : سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي ٢٠٤هـ ، ط دار المعرفة / بيروت .

٢١٧ - **مسند أبي عوانة** : يعقوب بن إسحاق الإسفراييني أبو عوانة ٣١٦هـ ، ط دار المعرفة / بيروت .

٢١٨ - **مسند أبي يعلى** : أحمد بن علي بن المثنى ، أبو يعلى الموصلي التميمي ٣٠٧هـ ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط دار المأمون للتراث / دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٢١٩ - **مسند إسحاق بن راهويه (٤ - ٥)** : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ٢٣٨هـ ، تحقيق : د . عبد الغفور عبد الحق حسين بر البلوشي ، ط مكتبة الإيمان / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

٢٢٠ - **مسند إسحاق بن راهويه** : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي ٢٣٨هـ ، تحقيق : د . عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، ط مكتبة الإيمان / المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٩٩١ م .

٢٢١ - **مسند ابن الجعد** : علي بن الجعد بن عبيد ، أبو الحسن الجوهري البغدادي٢٣٠هـ ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، ط مؤسسة نادر / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

٢٢٢ - **مسند الإمام أبي حنيفة** : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ، أبو نعيم ٤٣٠هـ ، تحقيق : نظر محمد الفاريابي ، ط مكتبة الكوثر / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٢٢٣ - **مسند الإمام أحمد بن حنبل** : أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ٢٤١هـ ، ط مؤسسة قرطبة / مصر .

٢٢٤ - **مسند الروياني** : محمد بن هارون الروياني ، أبو بكر ٣٠٧هـ ، تحقيق : أيمن علي أبو يماني ، ط مؤسسة قرطبة / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٢٢٥ - **مسند الشاميين** : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ٣٦٠هـ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٢٢٦ - **مسند الشهاب** : محمد بن سلامة بن جعفر ، أبو عبد الله القضاعي ٤٥٤هـ ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

٢٢٧ - **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم** : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني ٤٣٠هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي .

٢٢٨ - **مسند عبد الله بن عمر** : محمد بن إبراهيم الطرسوسي أبو أمية ٢٧٣هـ ، تحقيق : أحمد راتب عرموش ، ط دار النفائس / بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .

٢٢٩ - **المسند للشاشي** : أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ٣٣٥هـ ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين الله ، ط مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٣٠ - **المسند** : عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي ٢١٩هـ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ومكتبة المتنبي / القاهرة .

٢٣١ - **مشكل الحديث وبيانه** : أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، ط دار الوعي / حلب ١٩٨٢م ، تحقيق : د . عبد المعطي أمين قلعجي .

٢٣٢ – **المصنف** : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط المكتب الإسلامي / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٢٣٣ – **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع** : علي بن سلطان محمد الهروي القاري ١٠١٤هـ . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ط مكتبة الرشد / الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ .

٢٣٤ – **معالم التنزيل** : الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، أبو محمد ٥١٦هـ ، تحقيق : خالد العك – مروان سوار ، ط دار المعرفة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

٢٣٥ – **المعتصر من المختصر من مشكل الآثار** : يوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن ، ط عالم الكتب ، مكتبة المتنبي / بيروت ، القاهرة .

٢٣٦ – **معجم اصطلاحات الصوفية** : عبد الرزاق الكاشاني ٧٣٠هـ ، تحقيق : د . عبد العال شاهين ، ط دار المنار ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٢٣٧ – **المعجم الأوسط** : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، ط دار الحرمين / القاهرة سنة النشر١٤١٥هـ .

٢٣٨ – **معجم البلدان** : ياقوت بن عبد الله الحموي ، أبو عبد الله ٦٢٦هـ ، دار الفكر / بيروت .

٢٣٩ – **معجم الصحابة** : عبد الباقي بن قانع أبو الحسين ٣٥١هـ ، تحقيق : صلاح بن سالم المصراتي ، ط مكتبة الغرباء الأثرية / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٢٤٠ – **المعجم الكبير** : سليمان بن أحمد بن أيوب ، أبو القاسم الطبراني ٣٦٠هـ ، ط مكتبة العلوم والحكم / الموصل ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م .

٢٤١ – **معجم المؤلفين** : عمر رضا كحالة ، ط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٢٤٢ – **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث** : مجموعة من المستشرقين .

٢٤٣ – **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الحديث / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٢٤٤ - **المعجم الوجيز** : مجمع اللغة العربية ١٩٩١م .

٢٤٥ - **المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي** : أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي ، أبو بكر ٣٧١هـ ، تحقيق : د . زياد محمد منصور ، ط مكتبة العلوم والحكم / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٤٦ - **المعجم** : أحمد بن علي بن المثنى الموصلي أبو يعلى ٣٠٧هـ ، تحقيق : إرشاد الحق الأثري ، ط إدارة العلوم الأثرية / فيصل آباد ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

٢٤٧ - **معرفة الثقات** : أحمد بن عبد اللّه بن صالح ، أبو الحسن العجلي الكوفي ٢٦١هـ ، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي ، ط مكتبة الدار / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

٢٤٨ - **معرفة علوم الحديث** : أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٧٧م ، الطبعة الثانية ، تحقيق : السيد معظم حسين .

٢٤٩ - **المغني عن حمل الأسفار مع إحياء علوم الدين** : زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة (بدون) .

٢٥٠ - **المغني في الضعفاء** : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ٧٤٨هـ ، تحقيق : نور الدين عتر .

٢٥١ - **المفردات في غريب القرآن** : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ٥٠٢هـ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، ط مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ١٩٦١م .

٢٥٢ - **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة** : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ٩٠٢هـ ، تصحيح : عبد اللّه محمد الصديق ، ط دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٢٥٣ - **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** : علي بن إسماعيل الأشعري ، أبو الحسن ٣٢٤هـ ، تحقيق : هلموت ريتر ، ط دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة .

٢٥٤ – **المقتنى في سرد الكنى** : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ ، تحقيق : محمد صالح عبد العزيز المراد ، ط مطابع الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة ١٤٠٨هـ .

٢٥٥ – **مكارم الأخلاق** : عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي ٢٨١هـ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، ط مكتبة القرآن / القاهرة ، سنة النشر١٩٩٠م .

٢٥٦ – **الملل والنحل** : محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ٥٤٨هـ ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، ط دار المعرفة / بيروت ١٤٠٤هـ .

٢٥٧ – **من حديث أبي الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي** : علي بن عمر ابن أحمد الدارقطني ، أبو الحسن ٣٦٧هـ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي / الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٢٥٨ – **من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي** : خيثمة بن سليمان القرشي ٣٤٣هـ ، تحقيق الدكتور : عمر عبد السلام ، ط دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

٢٥٩ – **من كلام أحمد بن حنبل في علل الحديث ومعرفة الرجال** : أحمد بن محمد ابن حنبل الشيباني ، أبو عبد الله ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، ط مكتبة المعارف / الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٢٦٠ – **المنار المنيف في الصحيح والضعيف** : محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي ، أبو عبد الله ٧٥١هـ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية / حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٢٦١ – **المنتخب من مسند عبد بن حميد** : عبد بن حميد بن نصر ، أبو محمد الكسي ٢٤٩هـ ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي ، ط مكتبة السنة / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٢٦٢ – **المنتقى من السنن المسندة** : عبد الله بن علي بن الجارود ، أبو محمد النيسابوري ٣٠٧هـ ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، ط مؤسسة الكتاب الثقافية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٢٦٣ - **منهاج السنة النبوية** : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، أبو العباس ٧٢٨هـ ، ط مؤسسة قرطبة ١٤٠٦هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم .

٢٦٤ - **المنهج الإسلامي في علم مختلف الحديث منهج الإمام الشافعي** : عبد اللطيف السيد علي سالم ، ط دار الدعوة ١٩٩٢م ، الطبعة الأولى .

٢٦٥ - **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي** : محمد بن إبراهيم بن جماعة ٧٣٣هـ ، ط دار الفكر/ دمشق ١٤٠٦هـ ، الطبعة الثانية ، تحقيق : د . محيي الدين عبد الرحمن رمضان .

٢٦٦ - **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان** : علي بن أبي بكر الهيثمي ، أبو الحسن ٨٠٧هـ ، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ، ط دار الكتب العلمية / بيروت .

٢٦٧ - **موضح أوهام الجمع والتفريق** : أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ ، تحقيق : د . عبد المعطي أمين قلعجي ، ط دار المعرفة / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

٢٦٨ - **الموضوعات** : عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ، أبو الفرج ٥٩٧هـ ، ط المكتبة السلفية / المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان .

٢٦٩ - **موطأ الإمام مالك** : مالك بن أنس ، أبو عبد الله الأصبحي ١٧٩هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء التراث العربي / مصر .

٢٧٠ - **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ط دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

٢٧١ - **نصب الراية لأحاديث الهداية** : عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي ٧٦٢هـ ، تحقيق : محمد يوسف البنوري ، ط دار الحديث / مصر ١٣٥٧هـ .

٢٧٢ - **نقد المنقول والمحك بين المردود والمقبول** : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

٧٥١هـ ، تحقيق : حسن السماحي سويدان ، ط دار القادري / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٢٧٣ - **النهاية في غريب الأثر** : المبارك بن محمد بن محمد عبد الكريم ، أبو السعادات الجزري المعروف بابن الأثير ٦٠٦هـ ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، ط دار الفكر / بيروت ١٩٧٩م .

٢٧٤ - **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** : محمد بن علي بن الحسن ، أبو عبد اللَّه الحكيم الترمذي ، تحقيق : د . عبد الرحمن عميرة ، ط دار الجيل / بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

٢٧٥ - **هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري** : أحمد بن علي بن حجر ، أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٨٥٢هـ ، ط دار المعرفة / بيروت ١٣٧٩هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، محب الدين الخطيب .

٢٧٦ - **الهواتف** : عبد اللَّه بن محمد بن عبيد بن سفيان ، أبو بكر ٢٨١هـ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

* * *

فهرس موضوعات المجلد الثاني

* * *

الفهارس

* * *

● **من مؤلفاته :**

١ - بحث في أصول الفقه حول قاعدة « ما لا يتم الواجب إلا به هل هو واجب » .

٢ - بحث حول قاعدة « شرع مَن قبلنا وبعض آثاره في الفقه الإسلامي » .

٣ - بحث منشور إلكترونيًا عن مدلولات الألفاظ بعنوان « ألفاظ الإزار والرداء والقميص ومدلولاتها في القرآن والسنة واللغة » .

* * *

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم .. السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ..

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًّا إلى الأمام .

*** فهيًا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :**

الاسم كاملًا : .... **الوظيفة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... الدولة : ....

المدينة : .... حي : .... شارع : .... ص.ب : ....

هاتف : [ ] / [ ] e-mail : [ ]

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

□ أثناء زيارة المكتبة □ ترشيح من صديق □ مقرر □ إعلان □ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة .... العنوان ....

- ما رأيك في عملنا في الكتاب ؟

□ ممتاز □ جيد □ عادي (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

□ عادي □ جيد □ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ □ رخيص □ معقول □ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... العملة ....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة ... فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك :

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على **e-mail:info@dar-alsalam.com**

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم :

نشكرك على اقتنائك كتابنا هذا ، الذي بذلنا فيه جهدًا نحسبه ممتازًا ، كي نخرجه على الصورة التي نرضاها لكتبنا ، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن ، وفي مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة على ثلاث مراجعات قبل دفعه للطباعة ، ويشاء العلي القدير الكامل أن يثبت للإنسان عجزه وضعفه أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من العلم والخبرة والدقة تصديقًا لقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨)

فأخي العزيز إن ظهر لك خطأ مطبعي أثناء قراءتك للكتاب فلا تتوان في أن تسجله في هذا النموذج وترسله لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعًا في سيرنا نحو الأفضل .

الخطأ	رقم الصفحة	السطر

شاكرين لكم حسن تعاونكم . . ،

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)